مجلة الأزهر

٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

٣٦١ هجرية

٩٧٢ ميلادية

ALAZHAR AL SHARIF

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٥

المجلد الخامس والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٣هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان - ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر ـ بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
المحرم ١٤١٣ هـ
يوليه ١٩٩٢ م
الجزء الأول
السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

حكام حمر وأرض بيضاء :

ماحدث بالاتحاد السوفيتى كان حسابه متوقعا فى ضوء ماخلف تاريخ الفلسفة الاجتماعية من نتائج نظم الحكم ، كما كان متوقعا فى حساب عباقرة المفكرين الذين يُعنَون بالتحليل كالأستاذ عباس محمود العقاد ـ رحمه الله .

وفى دراسة فذة جمعت بين الأستاذ العقاد ، و « ليونارد شابيرو » . فى « سلسلة كتب الناقوس » كان كتاب « مستقبل روسيا » الذى صدر بالقاهرة من قَبْلِ أكثر من ثلاثين عاما وجمع بين الدارسين .

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى لقاء مع شيخ من إحدى الجمهوريات الإسلامية يرأسه فضيلة الشيخ طلعت صفا تاج الدين الذى جلس يمين فضيلة الإمام الأكبر وعن يمينه نائبه السيد دو ضياف فالسيد اسماعيل موسى بستان وعن يسار الإمام الأكبر فضيلة الشيخ سيد سعودـوكيل الأزهر ورئيس البعثة إلى الجمهوريات الإسلامية بروسيا .

عُنِىَ العقاد ــ رحمه الله ــ بكشف استحالة قيام الحكم الشيوعى بشكله الوردى الذى قدمه الشيوعيون للعالم ، حيث صوروه الحكم الفريد الخالى من «الديكتاتورية» لأنه ــ كما قالوا : «الحكم الوحيد الذى يزيل رءوس الأموال ؛ لأنها هى التى تخلق الطبقات الاجتماعية ، وتمكن أصحاب الأموال من تسخير ما عداها من الطبقات العاملة والفقيرة ، فإذا زالت الطبقات الحاكمة المستغلة زالت ذريعة الطغيان والاستبداد ، وتعذر على الطبقة العليا ــ فضلا عن الفرد ــ أن تستبد أو يستبد بمن دونها من أبناء الأمة ..» .

ونحن نعلم أن الشيوعية لم تمارس تطبيقا إلا من خلال الحكم الديكتاتورى ، وأنها زالت ــ حين أراد الله ــ تعالى ــ لها أن تزول ــ بوجود من رفض الحكم الديكتاتورى على وضع ما .

لذا تناولت دراسة العقاد ــ رحمه الله ــ (وسيلة الحكم) ثم (إلقوم المحكومين) .

فأما وسيلة الحكم فقد قامت ــ وهذا ما حدث فعلا ــ على أنقاض التخلص التام من الطبقة المتميزة من الشعب ، تلك الطبقة التى تأبى ــ بطبيعتها ــ قهر الشيوعية لها ، فاستطاعت تلك الأخيرة أن تقضى على

هذه الطبقة بممارسة إشعال نيران (حرب الطبقات) ؛ فتم لها بذلك القضاء على هذه الطبقة ، وَكَمْ كان مؤسفا أن تسهم الطبقة المُعْدمة فى هذا القضاء فتظلم نفسها شر ظلم .

وأما (المحكومون) فهم هذه الطبقة المعدمة التى بقيت بعد فناء غيرها ، وكان ـــ طبيعيا ـــ أن تستسلم للقهر والإرهاب مسلوبة الإرادة يُقَلِّبُهَا الحكام ـــ أو بعضها ـــ كيف يشاءون ، فَتُنْعِمُ على البعض ، وتحرم آخرين طبقا لأهداف مقررة تحقيقا لوضع مطلوب لمعاناة مدروسة .

فهل كان طبيعيا أن يبقى مجتمع على طبقة واحدة ..؟

أو يدوم ، وهو يمارس حكما ـــ مخالفاً لكل ما حوله من أنظمة ؟

هذا ما أنكره التاريخ ، وكان (صفرا) فى نتائج التحليل .

كان مستحيلا أن يبقى مجتمع على طبقة واحدة ، فكان لابد من النهاية التى عرفها العالم .. .

كما كان مستحيلا أن يدوم هذا الحكم وحوله نظم أخرى تخالفه ، فلم ينجح فى التحليل .

ويعطى «شابيرو» معادلة بسيطة للغاية يشير بها إلى انهيار الحكم الشيوعى فيقول :

جانب من أعضاء البعثة الأزهرية فى أحدى اللقاءات الرسمية ـــ فى مقدمته ـــ إلى اليسار رئيس البعثة فضيلة الشيخ سيد سعود فالأستاذ محمد حفنى أبو الفتوح فالأستاذ محمد يوسف فالشيخ عبد الجليل الديب ، فالشيخ فؤاد البرعى فالأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام فالأستاذ فوزى الزفزاف ، فمستشار السفارة المصرية فالدكتور على ناصر فالشيخ عبد الحكيم .

فى القاهرة : تجمع بين فضيلة الشيخ سيد سعود رئيس البعثة ويتوسط الصف الأمامى وعن يساره فضيلة المفتى الأستاذ طلعت صفا تاج الدين فنائبه ، وعن يساره الأستاذ فوزى الزفزاف وفى الصف الخلفى من أعضاء الوفد الإسلامى بأعلى الصورة من اليمين الأستاذ إسماعيل موسى بستان ، والسيد صالح خام خويف رئيس المعهد الإسلامى بـ (نزران) والسيد شرف الدين يونس شوت ــ الصورة أمام مبنى إدارة الأزهر .

«إما أن تبقى الشيوعية فيسود العالم حكم ديكتاتورى عن طريق نجاح روسيا فى تحويل الأنظمة الاجتماعية جميعا إلى شيوعية .

أو تسود الأنظمة الاجتماعية حول روسيا فتتحول روسيا عن الشيوعية فينتهى دورها » اهـ .

و هذا الذى حدث ..!!

وانتهت الشيوعية رسميا ، بل أعلن جورباتشوف حل الحزب الشيوعى ، ورد أمواله إلى الدولة ...

لكن ..!

كيف نشأت الطبقات ففرضت التحول العظيم ..؟

(ا) لقد كان قيام الصناعات الثقيلة ، ثم ما استتبعها من إرادة الْفَوْق على العالم الغربى فى مجال البحث والفضاء مؤذنا بظهور طبقة من الخبراء والفنيين والمهندسين ، والعمال الفنيين ــ أقوى نفوذا من طبقة رأس المال فى البلاد الأخرى بسبب شدة الحاجة إليها ، كما كانت أرسخ قدما فى دواوين الحكم من كل حكومة دستورية فى العالم .

(ب) كذلك مَثَّلَ أهل (الفنون الجميلة) ، وبجانبهم أهل الإعلام ــ طبقة أخرى متميزة ــ كسابقتها ــ عن الطبقة الكادحة فقد كانت الدولة تريد من الفن والإعلام التغنى ... الخ . بفضلها ، والتسبيح بنعمتها التى لاوجود لها إلا فى أيدى رجال الحكم والحزب الشيوعى والطبقات المختارة .

وويل للشعوب الكادحة من أهل الفن والإعلام فى الدولة الديكتاتورية .. !!

إن كل القيم الشريفة قابلة للمساومة لدى الطائفتين .

لا شىء — لديهما يتمتع بالقداسة .

ج — يضاف إلى هاتين طبقة «المهمات الخاصة» وأولئك بحر لا ساحل له .

وهكذا .. شيئا فشيئا نشأ التحول العظيم ، فإذا الدولة الشيوعية تسمح للبعض «بملك الأرض وتوريثها للأعقاب ، ومسموح بتقدير الأبحاث ، وتسعير السلع من الكماليات والضروريات ، وسمحوا بتفاوت الأجور وأحوال المعيشة بين طبقة العمال أنفسهم ، فضلا عن طبقة الخبراء والحكام ، وسمحوا بالفرق الكبير فى جرايات الطعام وأماكن السكنى ، ودرجات التشريف والتعظيم ، بل سمحوا بالفرق فى درجات السكك الحديدية ووسائل المواصلات» .

وبدهى ... كل ذلك حدث للبعض دون الآخرين لتبقى الطبقة الكادحة مُعْدِمَة يتمثل فيها الأكثرية الساحقة لهذا الشعب التعيس .

هذا هو المذهب الذى أراد أن يفرض على العالم كله زوال الطبقات فزال ، وأبقى من الطبقات أسوأها لتمتص — بدورها — فى الطبقة الكادحة المعدمة .

مسجد (نجم الدين القانوق) فى قرية (كازبرون) الثالثة بجمهورية (قباردينا بلقار) .. ألقى خطبة الجمعة وقام بترجمتها فضيلة الشيخ عبدالجليل الديب عضو البعثة . أغلق هذا المسجد سبعين عاما .

وها هو المذهب الذى كافح ليبقى نشازا حول أنظمة كان لامناص لها من مقاومته حتى قضت عليه .

وإذا كنا هنا نأخذ من الكتاب « مستقبل روسيا » ونضيف ، فإننا نلتزم بتقديم توقعات الأستاذ العقاد ـــ رحمه الله ـــ لروسيا بنصها ، قال ص (٢٤) من قبل أكثر من ثلاثة عقود ..

« وربما كان شأن الدول المستقلة التى تصادق روسيا ، ويحسبها من يغتر بالأسماء فى عداد الشيوعيين أخطر على الدولة الروسية من جيرانها الخاضعين لها ... ولنضرب المثل بأكبر هذه الدول ، وهى دولة الصين الحمراء ... فهذه الدولة أخطر على سادة الكرملين من المجر وبلغاريا والبولونيين ... »

وصدق العقاد ، فقد وقع ذلك بنصه .

وفى ص (٢٥) قال : بصدد المذهب الشيوعى والقوة الحزبية :

« فإذا كانت الروسيا الاجتماعية صائرة إلى غير الشيوعية ، فالروسيا الأمبراطورية لاتثبت على قدمين راسختين ، ولايسعها أن تحشد ـــ فى معترك السياسة ـــ قوة تضارع ـــ فى موقف الخطر ـــ قوى المعسكر المناوىء لمعسكرها .

ثم يستطرد فيقول ص (٢٥) :

ومن يدرى ؟

لعلها تنشق غداً إلى عشرات من الإمارات والولايات المتحدة كما كانت قبل أن توحدها فتوح القياصرة .

ومن يدرى ؟

لعل روسيا الحمراء ستصبح ـــ بين الأمم ـــ بيضاء ناصعة البياض حين يحمر غيرها بعض الاحمرار إذا جاز أن توصف الاشتراكية اليسارية بالصبغة الحمراء .

وبعيد جدا أن تعود روسيا إلى القيصرية .
وغير قريب أن تعود إلى نظام رأس المال كما يعهده العالم بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

أما ما هو أبعد من هذا وذاك فهو أن يقوم مستقبل روسيا على الشيوعية ، أو على الأمبراطورية الواسعة باسم الشيوعية .

والله أعلم بالغيب والشهادة ..» اهـ .. حديث العقاد ،

د. على أحمد الخطيب

مع
الإمام الأكبر

بالهجرة قامت أمة

وتأســـت دولـــة

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ/جاد الحق على جاد الحق
شـــيخ الأزهـــر

جميل أن يحتفل المسلمون بالأيام الخالدة فى تاريخهم ، وأن يستعيدوا ما كان لتلك الأيام من مآثر فى الإسلام .

وجميل أيضاً أن يقف المسلمون فى إجلال وإعجاب أمام يوم اتخذوه مبدأ لتاريخهم ، ذلك هو يوم هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى يثرب ، هذه الهجرة التى غيرت مجرى التاريخ لأمة الإسلام وكانت فاصلاً بين عهدين ، عهد المسالمة والترقب والقلة المعذبة المطاردة ، وعهد المنعة والكثرة والسلطان والمبادأة . كان ذلك يوماً من أيام شهر ربيع الأول ، كما كان مولده ﷺ فى ذات الشهر ، ولكن الرجال الذين أرخوا للمسلمين وللإسلام بالهجرة احتسبوا بدء التاريخ بالمحرم الذى هو أول العام على المشهور عند العرب وكان ذلك من أولئك الأبرار الأحرار ذوى القلوب التى صقلها الإسلام يرون الأثر الأكبر للهجرة ، ميلاد أمة الحق والتوحيد ويأخذون من هذا الحدث عزماً وعزيمة على السير قدماً نحو عزة الإسلام والإعتزاز به ، ويحتفون بذكرى الهجرة لا فى غرة المحرم من كل عام فحسب ثم ينسون أو يتجاهلون هذا التاريخ كحال الأمة الإسلامية اليوم ، وإنما كانوا دائمى الذكر للهجرة وصاحبها محمد رسول الله ﷺ خاتم الرسل والأنبياء ، رسول الله بالإسلام وبالسلام إلى الناس كافة ، ذلك لأن واقعاتها وآثارها قد وقرت فى أنفسهم منذ أن كانت تحولاً بالإسلام من أرض أجدبت ورغبت عن استقبال الغيث الذى أنزل عليها إلى أرض استقبلت الإسلام عقيدة ، وشريعة وأدباً وعلماً ، ونما فيها الغراس الطيب وأثمر وانتشر ، وتخطى الحدود والسدود لأنه غيث الحياة لبنى الإنسان ونعمة الرحيم الرحمن .

ولم كان التأريخ بالهجرة ؟

يروى شيخ المؤرخين الطبرى أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بأنه تأتينا منك خطابات ليس لها تاريخ ، فجمع عمر القوم للتشاور فقال بعضهم نؤرخ لمبعث رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : نؤرخ لهجرته ، فقال عمر : بل نؤرخ لهجرته لأنها فرقت بين الحق والباطل .

وهناك روايات أخرى رواها كل من الطبرى وأبو الفداء فى تاريخه وغيرهما ، وكلها تشير إلى أن الحاجة دعت إلى اتخاذ تاريخ لدولة الإسلام فكانت المشورة والحوار بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأصحابه ، وكانت الهجرة هى العلم البارز والحدث المؤثر وأحسب أنهم استظهروا أن للهجرة معالم ينبغى أن تتذاكرها الأمة الإسلامية فى مستقبل حياتها ، وتستنبط منها الدروس والعبر والأحكام والحكم .

ولعل من أبرز ما ارتآه مجلس هذه المشورة أنهم بحثوا عن حدث انفرد به الإسلام ورسول الإسلام ﷺ تعرف به الأمة ، ولا تكون تبعاً لغيرها فكانت الهجرة تاريخاً يذكر المسلمين بأن عقبات الحياة ومعوقات نجاح أية دعوة ، وبالتالى أى عمل لا تواجه باليأس والاستسلام ، أو بالارتجال فى المواجهة دون تفكير وتدبير وتنظيم ، وإنما يكون

التغلب على تلك العقبات والمعوقات بالمشورة بين أصحاب الفطنة والرأى الذى صقلتهم التجارب حتى لا يكون الرأى فطيراً صادراً عن رعونة وغرور ، وبعد الاستقرار على هذا الرأى السديد بإجماع الأمة على ما ارتآه هذا المجلس من اتخاذ الهجرة مبدءاً للتاريخ الإسلامى – يأتى دور التخطيط والتنفيذ ووسائله وتبعاته وأعبائه .

وإنه ليحز فى نفس كل مسلم أن تخرج جماعة من المسلمين فى هذا العصر على هذا الإجماع الذى استقر واستمر نحو أربعة عشر قرناً ويؤرخون بوفاة الرسول ﷺ ، وهم يعلمون أن إجماع أمة المسلمين على أمر شرعى يجعله حتماً مقضياً لا يحق لأحد خرقه أو تجاوزه . ألا ليتهم يفكرون فيما ابتدعوا وخرقوا من الإجماع ويعودون إلى الحق جمعاً لكلمة الأمة التى تفرقت بدداً وتوزعت أشلاء ، ولم تعد ذلك الجسد الواحد الذى تمثله الرسول ﷺ صاحب الذكرى فى حديثه الشريف .

هذا ولم تكن الهجرة النبوية أمراً أوحت به المصادفة أو تقرر فجأة ولكن تمت الهجرة بعد تدبير وتخطيط سليم أمد الله به رسوله ﷺ فكانت له لقاءات ممهدات لهذه الهجرة مع حجاج البيت من قبائل العرب ، وكان ممن التقى بهم وعرض عليهم دعوته وفود الحج من الأوس والخزرج بيثرب ، فالتقى أول مرة بستة منهم ، أصغوا إليه وهو يتلو عليهم بعض آيات القرآن الكريم الذى أنزله الله عليه وبه نزلت السكينة على قلوبهم وقالوا : والله إنه النبى الذى تهددنا به اليهود وسوف لا نتركهم يسبقوننا إليه . وقالوا للنبى ﷺ : إنا تركنا قومنا الأوس والخزرج وبينهم من العداوة ما بينهم فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وإنا مقدمون عليهم وداعوهم إلى أمرك وعارضون عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، وفى موسم الحج التالى تضاعف العدد من هؤلاء القوم ودخل الإسلام اثنا عشر رجلًا من الأوس والخزرج ، ثم كانت البيعة الثانية فى الموسم التالى حيث بايع النبى ﷺ ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان من أهل يثرب .

بهذا بدأ التخطيط للهجرة عملياً ، ومن ثم لم تكن أمراً مفاجئاً ، وإنما كان بذل الجهد فى التخطيط والتمهيد باعتبار أن الهجرة إصرار على النضال وتصعيد للجهاد وكانت الهجرة بعد إذ نجحت دعوته لأهل يثرب واستوثق ممن اتبعوه وبايعوه منهم .

ولقد درج المسلمون فى هذا العصر على الاحتفاء بالأيام الغر فى تاريخ المسلمين بما لا يفيد جديداً ، فمازال الكثير من كتابنا وخطبائنا يرددون خط سير الهجرة وواقعاتها يعيدون ويزيدون وينقصون ، دون أن يسبروا غور هذا الحدث الأغر ، وينفذوا به إلى توجيهات الإسلام وتعميق مدلولاتها ، والوصول بها إلى أكبر عدد من الناس ، كل الناس فى كل موطن ، ومهما اختلفت الألسنة والمدارك والنوازع ، باعتبار أن حدث الهجرة النبوية كان فى سبيل الحق والعقيدة ، وقد أصَّلت كثيراً من المبادىء التى برزت واستقرت فى العصر الحديث ، قواعد دستورية وحقوقاً للإنسان بمعيار الثقافة الغربية المبهرة الآن .

ولا شك أن توجه الكتاب والعلماء المسلمين إلى استظهار ما يحتويه حدث الهجرة وسيرة المهاجر صلى الله عليه وسلم من فضائل ومناقب ، ومن تفرد عقلى ونفسى وما فيها من اللمسات الاجتماعية والإنسانية ، يضيف إشعاعات جديدة من نور الوعى بالدعوة الإسلامية أو بالداعى الأول مبلغ الرسالة صلى الله عليه وسلم ، بلغة هذا العصر ومنطقه ، وأساليبه .

وحبذا لو تتبع كتابنا وعلماؤنا وخطباؤنا أوزار وسيئات المستشرقين وغيرهم ، وعقبوا عليها بما يظهر زيفها وتزويرها من واقع هذه الأحداث الإسلامية الغراء والتى لم تستظهر ولم تدرس – بعد – من العلماء كل من زاوية تخصصه ، ومن ثم تصبح لدى الشباب المسلم بل لدى كل الأمة الإسلامية دراسات إسلامية متكاملة مصدرها القرآن الكريم وسيرة وسنة رسول الله ﷺ ، موائمة لما استحدث فى العصر الحالى من ميادين للعلم أفردت بنوعيات مجددة كعلم الاجتماع ، وعلم التربية ، وعلم الإدارة ومشتقاته ، من التخطيط والتنظيم والعلاقات الإنسانية .

تأتى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة وأرض المسلمين تنتقص من أطرافها ، وجمعهم قد تفرق ، واستشرى فيهم الخلف وتسرب الوهـن إلى قلوبهم ، فانفضوا عن التكافل والتعاون فيما أصابهم من ملمات وتخاذلوا فى مواجهة ما حاق بهم ، وحل بساحاتهم من متاعب ومصاعب وهوان ، فقد استبيحت أرضهم ، وانتهكت أعراضهم ، وتشردت نساؤهم وأطفالهم ، ولم توقظهم هذه القوارع والنذر ، ومازالوا سادرين فى لهوهم والناس من حولهم يتخطفونهم ، ولم يعد أمرهم بيدهم ، وبدلا من أن يتحِدُوا ويتحَدَّوْا تلك الخطوب ويتعاونوا على البر والتقوى ، تقاتلوا واقتتلوا ، واستعان كل منهم على أخيه بالغرماء الذين انطوت صدورهم على الغل والبغضاء ، وصاروا عيالًا على أولئك الفرقاء فى كل شىء حتى فقدوا سماتهم .

فليت ذكرى الهجرة النبوية الشريفة تذكرهم بأنها كانت هجرة المنتصر ، وبأنها أقامت أمة ، وأسست دولة العدل والإحسان ، وكرمت الإنسان وأعلت شأنه ، وارتقت به إلى حيث شاء الله من حفظ وصون .

ألا ليت هذا الهلال – هلال المحرم – الجديد يهله الله على أمة الإسلام بيقظة رشيدة تخرج بها من محنها المتلاحقة ومن خبث الفرقة والتناحر إلى عز الوحدة والتناصر .

ألا ليت المسلمين – حكاماً ومحكومين – يطهرون قلوبهم مما تغشاها حتى أعماها أو أدماها فلم تستبصر سوء المصير الذى استهواها فأرداها .

ألا ليتهم يهاجرون إلى الله بقلوب نقية حتى تتنزل عليهم رحمات ربهم ، فيهديهم ويصلح بالهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، فينفروا كافة من السوءات والسيئات إلى صنائع المعروف وإلى الحسنات ويستعيدوا قوتهم وعزتهم ويكونوا يداً واحدة على من سواهم .

إنها آمال نتراءاها فى مستهل العام الهجرى الجديد ويدعو الأزهر الشريف الأمة إلى جعلها أعمالًا خيرة نيرة تعلو بها الجباه وتمتد الهامات فلا تذل ولا تخذى عند الملمات .

هاجروا من ميدان الفرقة والخصام إلى ميدان الوحدة ، والقوة والوئام ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

وصلى الله وسلم على صاحب الهجرة ورضى الله عمن به اهتدوا وفكروا وقدروا حين أرَّخوا للمسلمين بالهجرة النبوية حدثاً فريداً فى تاريخ الإنسانية به قامت أمة ونشأت دولة ، وحتى يكون هذا التأريخ حافزاً لأمة المسلمين حكاماً ومحكومين أن يلتزموا به وتذكرة وحافزاً إلى الإفادة والاستزادة من مغزى نظام المؤاخاة الذى أقامه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار إثر هجرته إلى المدينة على نحو لم يسبق فى المجتمعات الإنسانية وكانت منة الله على المسلمين فى سورة الأنفال ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

فتاوى الإمام الأكبر

القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢
مخالف للشريعة الإسلامية

السيد الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور

رئيس مجلس الشعب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعـــد ..

فقد ورد إلى شيخ الأزهر استفتاء كثير طلباً للرأى الشرعى فيما تضمنه القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، والقوانين المعدلة له من أحكام ، لتنظيم العلاقة بين مستأجر الأرض الزراعية ومالكها .

وقد أحيلت هذه الاستفتاءات إلى لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية لإبداء الرأى فيما وردت بشأنه .

فراجعت اللجنة أحكام القانون ، ونظرت مناط الاستفتاء وانتهت إلى ما يلى :

أولا : إن الإجارة بالمفهوم الشرعى عقد على المنافع بعوض ، وهى جائزة شرعاً بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فمنه قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ سورة الطلاق – وقوله سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ – الآية ٢٦ من سورة القصص – وقوله عز وجل :

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ الآية ٧٧ من سورة الكهف .

وأما نصوص السنة فكثيرة منها قوله – ﷺ : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر . ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يؤته أجره » رواه ابن ماجه .

هذا وقد أجمع سلف الأمة على مشروعية الإجارة بشروطها .

ثانيا : ان عقد الإجارة من عقود المعاوضة ، وله ركنان هما : الإيجاب والقبول ، ولا يصح العقد إلا إذا تحقق فيه ما يلى :

١ – التراضى به وبشروطه ، قال تعالى :

﴿ **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾ الآية ٢٩ من سورة النساء . وهذا شأن عام فى عقود المعاوضة .

أما عقود التبرع فيكفى فيها طيب النفس من المتبرع : قال تعالى :

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ الآية ٤ من سورة النساء .

٢ – أن يكون العاقد جائز التصرف . قال تعالى :

﴿ وَٱبْتَلُوا ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾

الأية ٦ من سورة النساء .

٣ – أن تكون المنفعة مباحة . فقد ثبت أن النبى – ﷺ – « نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن » متفق عليه .

٤ – أن تكون المنفعة معلومة إما بوصفها – كبناء دار وتمهيد طريق .. وهكذا ، أو تكون معلومة بمدتها ، مثل إجارة المساكن والأرض الزراعية .

وعلى هذا فإن الجهالة بالمدة فى إجارة الأرض الزراعية يؤدى إلى الجهالة بالمنفعة المتعاقد عليها مما يعنى فساد العقد . وتوريث عقد الإيجار عن المستأجر تأييد له على اختلاف مقتضى الشرع إذ الأصل فى عقد الإجارة أن تكون المنفعة معلومة بالوصف أو بالمدة .

٥ – إن الشروط الفاسدة التى تصاحب بنود العقد – فتخل بمقصوده ، أو تخل بمقصود الشرع كأن اشتملت على ظلم وجور – تعود على العقد بالإبطال عند الشافعية والحنفية وهو قول لأحمد .

أما غير هؤلاء فيرون إلغاء الشرط وبقاء أصل العقد .

وثمرة الرأى فى القولين متقاربة ، فهى إما أن تنفى العقد أصلًا أو تنفى شروطه – إن كانت فاسدة – فيبقى أصل العقد مجرداً عن العمل .

٦ – عقد الإجارة عقد لازم يمضى إلى أجله إلا أن يقبل أحد العاقدين صاحبه ، بخلاف عقد المزارعة فإنه جائز غير لازم .

٧ – لا تعويض إلا عن ضرر وهو يقدر بقيمته ، ويختلف بحسب الأحوال والملابسات ويترك تقديره للقضاء .

ثالثا : ان عقد المزارعة عقد جائز شرعاً لدى كثير من الأئمة لما ثبت أن النبى ـ ﷺ ـ عامل أهل خيبر على نصف ما يخرج من الأرض من ثمر أو زرع .

وتشترك أحكامها مع المضاربة والإجارة . ويشترط لها :

١ ـ أن تكون حصة كل من صاحب الأرض والمزارع نسبة من الناتج ، فلا تصح بمقدار معين من الثمار ، كعشرين أردباً قمحاً مثلا . أو ناتج قطعة معينة من الأرض موضوع عقد المزارعة .

٢ ـ أن تكون تكلفة كل من الطرفين إزاء هذا العقد محددة تحديداً نافياً للجهالة .

٣ ـ أن تكون المدة معلومة محددة ، لأن المزارعة عقد على منافع الأرض ، أو منافع العامل ، والمدة هى المعيار للعلم بهما . فإذا لم تحدد المدة كانت المنافع مجهولة ، مما يعود على العقد بالإبطال أو الفساد .

٤ ـ إن عقد المزارعة عقد جائز لا يلزم ، وشخصية العامل فيه ملحوظة ، ولذا يمكن إنهاؤه إذا لم يترتب على الإنهاء ضرر .

رابعا : إن شريعة الإسلام قد جمعت ما يفى بمصالح الأنام ، وما يكفل للمجتمعات أجواء العدل والرحمة .

فإذا صدر تشريع أو تنظيم يجافى مصالح المجتمع الإسلامى ، ويفسد أجواء العدل والرحمة بين أبنائه ، أو يقسم المسلمين إلى طبقات ، يوقد بينها العداوة والبغضاء ويضرب طبقة بطبقة ، فهو تشريع يتعدى حدود الله ويستوجب الإثم المبين .

ولقد جاء التحذير الشديد من إيقاع الفتنة بين المسلمين ، وبث بذور العداوة فى مجتمعاتهم .

يقول الله سبحانه : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ الآية ١١٨ من سورة آل عمران .

ويقول عز وجل : ﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ **الآية ٤٧** من سورة التوبة .

ويقول جل شأنه : ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة**﴾ الآية ١٩ من سورة النور . والفاحشة هنا بمعناها العام .

من أجل هذا وبعد الدراسة :

رأت اللجنة أن القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ بتنظيم العلاقة بين مستأجر الأرض الزراعية ومالكها قانون يجافى الأصول الإسلامية فى أساسه وأن غالب أحكامه ومبادئه غير مقبول شرعاً .

وعليه فإنه قانون باطل ، تبطل العقود والأحكام القضائية التى تقوم على قواعده الفاسدة .

ولقد رأت اللجنة كثيراً مما يؤخذ على هذا القانون من معايب لا يزال فاشياً فيما نشر عن مشروع قانون لتعديل هذا الوضع .

واللجنة تنصح مجلس الشعب وكافة المسئولين بالمبادرة إلى تغيير هذا القانون تنقية لأجواء المجتمع من مظالمه ، ووضع قانون جديد ملتزم بأحكام الشريعة العادلة الغراء .

والله ولى التوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عن بناء المساجد

بجوار المقابر المهجورة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من سكان منطقة المحس ، شياخة نورى ، جامع مشيخة نورى ، لجنة الجامع عنهم : نوح حاج نور عمر ـ خطاب يذكر فيه أن سكان منطقة المحس بالشمالية . أرادوا بناء جامع كبير على الطراز العصرى ، وجمعوا مبلغا كبيرا ، تحمل المغتربون أكثره ، ولم يجدوا مكانا يجمع القرى الأربعة إلا مكانا منخفضا بجانب قبور مهجورة ــ لا نعرف عنها شيئا ــ وتقع أرض القبور المهجورة بقرب الأرض المنخفضة التى اختيرت ، وبسؤال المسنين عن هذه الأرض المنخفضة قالوا : انهم كانوا يزرعونها عندما تأتى مياه الأمطار صيف ، وتتجمع فيها ، وكلفنا الإمام بأن يسأل علماءنا فى الخرطوم ، مستفسرا عن صلاحية بناء الجامع هناك فقال علماء السودان بالجواز ، والسماح بالبناء بجانب المقابر المهجورة ، وقمنا بالبناء ، وكان من أعظم جوامع المنطقة ، وتبرع الرجال بالعمل مساء والنساء صباحا ، حتى تم ردم المنخفض بارتفاع ثلاثة أمتار من بعض النواحى ، وبارتفاع مترين فى الغالب ، وأثناء حفر أساس السور عثرنا على قبور فى الناحية الغربية ، وعلى كل تم بناء الجامع ،

والناس يصلون من سنة ١٩٨٣ وفجأة جاء طلاب من المدينة المنورة ، يدرسون هناك ، وهم شبان ، وقالوا للناس إن الصلاة فى هذا الجامع حرام ، لأن وجود قبور فى الجهة الغربية عند حفر الأساس دلالة على وجود قبور داخل الجامع ، وأوضح لهم الناس أن مكان المسجد كان منخفضا ، ومجمعا لمياه السيول ، والناس تزرع فيه ، وما كان أحد من الناس يدفن ميته فى مياه ، وأن القبور كانت لمسلمين مكفنين ومستقبلين للقبلة ، إلا أن الشباب يقولون لو كانت القبور لكفار فالمكان نجس ، وقلنا لهم إن ردما كبيرا حصل فى المنخفض ، ولا اختلاط للتراب بنجاستهم ، ولكن الناس يصلون ولا يسمعون كلامهم ، والشبان حين رجعوا للمدينة اتصلوا بالمغتربين ، واقنعوهم ببطلان الصلاة ، حتى إنهم يقترحون بناء جامع آخر ، وفى النهاية اجتمع أولو الأمر والرأى ، وأئمة الجوامع فى المنطقة ، وكاتبوا المغتربين بأنهم لا يتركون الجامع أبدا برأى هؤلاء الشباب ولكن نختار حكما عدلا ، فاختاروا الأزهر وعلماء الأزهر كحكم بينهم وأنهم مستعدون لقبول حكم الأزهر ، وإنهم سيسرون بحكم الأزهر ، وقد رد المغتربون بقبول حكم الأزهر . والكل الآن ينتظر حكم شيخ الأزهر فى هذا الجامع هل نستمر أم نتوقف ؟

الجواب :

إن المساجد بيوت الله فى الأرض ، وتعميرها من صفات المؤمنين ، وخلوصها لعبادة الله أمر مؤكد قال الله تعالى :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٣) .

وعن عثمان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة** » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، وفى هذا ترغيب من النبى ﷺ للمسلمين فى بناء المساجد لحصولهم على ثوابها المحقق .

جعل الله الأرض مسجدا وطهورا لسيدنا محمد ﷺ ولأمته ، ـ وتلك خصوصية له روى البخارى عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ : « **أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا طهورا ، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت له الغنائم ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة** » قال الحافظ ابن حجر « جعلت لى الأرض مسجدا » أى كل جزء منها يصلح أن يكون مكانا للسجود أو يصلح أن يبنى فيه مكان للصلاة »(٤) .

(١) سورة النور من الآية ٣٦ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٨ .

(٣) سورة الجن الآية ١٨ .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى الجزء الأول صـ٥٣٣ ط دار المعرفة .

بنى الرسول ﷺ مسجده الشريف على حائط لبنى النجار بداخله قبور للمشركين وخرب ونخل وأقيم المسجد بعد أن نبشت قبور المشركين وسويت الخرب ، وقطع النخل ، وفى هذا يروى البخارى عن أنس قال (قدم النبى ﷺ المدينة ، فنزل أعلى المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام النبى ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار فجاءوا متقلدى السيوف ، كأنى أنظر إلى النبى ﷺ على راحلته ، وأبوبكر ردفه ، وملأ بنى النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبى أيوب ، وكان يحب أن يصلى حيث أدركته الصلاة ، ويصلى فى مرابض الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل الى ملأ من بنى النجار فقال : يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم هذا ، قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فقال أنس ، فكان فيه ـ أى الحائط ـ ما أقول لكم : قبور المشركين ، وفيه خرب ، وفيه نخل ، فأمر النبى ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت ، وبالنخل فقطع ، فصفوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا عضادتيه الحجارة ، وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون ، والنبى ﷺ معهم وهو يقول :

« **اللهم لا خير إلا خير الآخرة : فاغفر للأنصار والمهاجر** » ، قال الإمام الحافظ ابن حجر : وفى الحديث جواز التصرف فى المقبرة المملوكة بالهبة والبيع ، وجواز نبش القبور الدراسة إذا لم تكن محترمة ، وجواز الصلاة فى مقابر المشركين بعد نبشها واخراج ما فيها ، وجواز بناء المساجد فى أماكنها(٥) .

لما كان ذلك : وكان ما ورد بالسؤال من أن هذا المسجد قد أقيم على أرض منخفضة وقد شهد كبار السن أن هذه الأرض كانت تزرع عندما تهطل عليها الأمطار صيفا ثم ردمت بارتفاعات مختلفة وصل بعضها إلى ثلاثة أمتار ثم أقيم عليها المسجد وأنه توجد بجوار المسجد أرض مرتفعة كان بها قبور مهجورة لمسلمين أزيلت ولا يدفن فيها ، كانت إقامة هذا المسجد على هذا الوجه مشروعة ، والصلاة فيه صحيحة ، دون اعتبار لاعتراض بعض الشباب المنوه عنهم بالسؤال ولا لقولهم : إن الصلاة فى هذا الجامع حرام لأن وجود قبور فى الجهة الغربية دليل على وجود قبور داخل الجامع ، بعد أن أوضح الناس لهم أن الأرض كانت تزرع ، كما لا اعتبار لقولهم إن كانت القبور لكفار فالمكان نجس ، لأن شهادة شهود الحال من كبار السن قامت على غير ذلك .

وإذا كان هذا هو حال المسجد المسئول عنه ، والمقام على الأرض المنخفضة المردومة والتى كانت تزرع سابقا فلا شبهة فيه وبناؤه مشروع ، وصلاحيته للصلوات قائمة ، ووجود الأرض المرتفعة بجواره والتى كان بها قبور هجرت وأزيلت لا تؤثر على صلاحية المسجد وطهارته ، ولا تقلل من شأن مشروعيته ولا يلزم الناس هجره وبناء غيره ، بعد إذ ظهر أنه لا يوجد سبب شرعى يحتم نقض هذا المسجد أو ترك الصلاة فيه .

وفى قصة بناء المسجد النبوى أول الأمر بالمدينة والتى نقلها الينا البخارى ـ على النحو السابق ـ ما يوضح المقام ويرفع الإبهام .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى الجزء الأول صـ ٥٢٤ ، صـ ٥٢٦ دار المعرفة .

الصلاة المشروعة على النبى

[صلى الله عليه وسلم]

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من الدكتور / غنوم محمود غنوم ـ سوريا ـ دمشق ١٥ شارع التجهيز ـ وفيه يعرض ما يلى :

درج أحد الأئمة فى حينا (مسجد الشيخ محمد بن أبى بكر الصديق) على ذكر والدى سيدنا محمد حين يدعو عقب كل صلاة على النحو التالى : (اللهم صلى على سيدنا محمد الحبيب وعلى والديه وعلى آله وسلم) وقد ناقش بعض المصلين الإمام فى ذلك هل هو جائز وكيف لم يرد ذلك على لسان الصحابة والخلفاء الراشدين ؟

ومن أتى بعدهم فقال : إننى لا أرى مانعا يمنعنى فقال أحدهم هل تذكر أيضا أولاده ؟ فلم يجب . أرجو أن تجيبونى على استفسارى هذا عسى أن ينجلى الأمر لدى المؤمنين فى مسجدنا بما يرضى الله ورسوله الكريم كما يمليه علينا الشرع والسنة الشريفة .

والجـواب :

١ ـ إن الصلاة على النبى ﷺ عبادة مشروعة ، وسنة محمودة ، وفضيلة مرغوبة ثبتت مشروعيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١]

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا** »[٢] وقد تلقت الأمة الصلاة على النبى ﷺ بالقبول استجابة لله ورسوله .

٢ ـ ومعنى صلاة الله على نبيه ﷺ ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين[٣] ، ورحمته رحمة مقرونة بالتعظيم .. وصلاة الملائكة عليه استغفارهم له ودعاؤهم بالتعظيم والتبجيل بما يليق به .

وصلاة المصلين عليه بالدعاء بصيغة من الصيغ الواردة تشريف لهم واقتداء بالله وملائكته فى الصلاة عليه[٤] .

وبذلك يجتمع الثناء على النبى ﷺ من أهل العالمين السماوات والأرض جميعا بالصلاة عليه من الله وملائكته وعباده المؤمنين .

ومن فضلها أن المصلى على النبى ﷺ تفيض عليه الرحمات ما دام مشتغلا بهذه الصلاة والملائكة تصلى على من يصلى عليه وتدعو له بصالح الدعوات ورفيع الدرجات ، وحكمتها دوام الرفعة والكمال له عليه الصلاة والسلام لأنه ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه .

وحكم الصلاة على النبى ﷺ أنها فرض على المكلف فى العمر مرة[٥] ، وهى فى كل حين من السنن التى لا يصح تركها وقد حكى صاحب كتاب التاج الجامع للأصول[٦] . فقال : « وظاهر الآية ـ أن الله وملائكته يصلون على النبى » ـ أن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ واجبان على المؤمنين وهذا باتفاق العلماء ، ولكنهم اختلفوا فى وقتهما ، فعند الشافعى واجبان فى الشتهد الأخير من كل فرض لأنهما دعاء وهو بآخر الصلاة أليق ، وعند مالك تجبان فى العمر مرة واحدة ، وعند غيرهما تجبان فى كل مجلس مرة ، وقيل تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه الشريف .. بدليل ما رواه الترمذى عن حسين بن على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل علىّ** » رواه النسائى وابن حبان .. وصححه

---

(١) الأحزاب ٥٦ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٣) قال ابو العاليه كما فى فتح البارى جـ٨ ص٥٣٣ ط دار المعرفة .

(٤) تفسير ابن كثير جـ٣ عند تفسير الآية ٥٦ من الأحزاب ، جـ٥ من التاج الجامع للأصول ص١٤٣ .

(٥) مرشد الدعاة إلى الله ص ٢٧٥ .

(٦) جـ٥ ص ١٤٣ من التاج الجامع للأصول .

الترمذى، وزاد فى سنده على بن أبى طالب، وقال حديث حسن صحيح غريب .

كيفية هذه الصلاة :

ورد فى كيفية الصلاة على النبى ﷺ صيغ كثيرة ، (وأرجاها بالقبول ، وأحظاها بالتمسك ، وأولاها بالعمل ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من صيغ مروية فى أحاديث صحيحة ومن ذلك ما روى عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه البخارى ومسلم وأبوداود ، وأزواجه زوجاته أمهات المؤمنين وذريته أولاده ﷺ ونسله الشريف من فاطمة الزهراء .

ومن ذلك أيضا ما روى عن عبدالرحمن بن أبى ليلى رضى الله عنه قال لقينى كعب بن عجرة فقال : ألا أهدى لك هدية ، إن النبى ﷺ خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد[٧] . وآل محمد (أقاربه المؤمنون أو كل تقى من أمته)[٨] .

وللبخارى فى بدء الخلق : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[٩] .

ووردت روايات أخرى فى كيفية الصلاة على النبى ﷺ ــ مع ما سبق ذكره ــ وكلها متقاربة ولم يذكر فيها « والديه » كما جاء هذا فى السؤال منقولا عن إمام مسجد « الشيخ محمد بن أبى بكر الصديق » .

ولما كان الخير فى اتباع الوارد من النصوص الثابتة عن النبى ﷺ فى كيفية الصلاة عليه ، وكان من المحقق عدم ورود ما ذكره امام المسجد ، فإن العودة إلى النص الثابت ، والوقوف مع المعلوم المحقق الوارد عن الثقاة من أمثال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى أهدى وأنفع ، والواجب على المؤمنين تخليص العبادة مما ليس منها ليكونوا على بصيرة من أمر دينهم ، (لأن النبى ﷺ هو صاحب الحق فيمن يذكر معه فى الصلاة عليه ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء ، وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه ، ولم يثبت عنه إذن فى ذلك)[١٠] .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

(٨) الجزء الخامس من كتاب التاج الجامع للأصول ص ١٤٤ بالهامش .

(٩) ذكر فى كتاب التاج الجامع للأصول جـ٥ ص١٤٤ .

(١٠) فتح البارى جـ٨ ص٥٣٤ ط دار المعرفة ــ بيروت لبنان .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾

صدق الله العظيم

فى الآية السابقة على هذه الآيات أمر للمؤمنين بطاعة الله ورسوله ، ونهى لهم عن التولى والاعراض عنه ، والحال أنهم يسمعون منه القرآن وكلام الله ، ويبلغهم ما يصلح به حالهم فى الدنيا ، ويسعدون به فى الآخرة ، والسماع يعنى سماع الفهم والتدبر الذى يستتبع الطاعة والإذعان ، وتلك خصصى المؤمنين وميزتهم ، أما الكفار والمنافقون ، فكانوا يسمعون ولا يتفكرون ، فليس سماعهم سماع تدبر ولكنه سماع نفاق أو استهزاء ، وكان الكفار من اليهود يقولون : سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسَمع ، والمنافقون يحضرون مجالس رسول الله - ﷺ - بأجسامهم وقلوبهم منصرفة منه فلا يتدبرون القرآن ، بل قلوبهم عليها أقفالها حتى إذا انفضوا من مجلسه تساءلوا : ماذا قال آنفا ، ونعى عليهم القرآن عدم سماعهم الواعى المتفكر فى آيات شتى ، وهنا أيضا زراية بهم .

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

والدواب جمع دابة وهى ما يدب ويمشى على الأرض ، فيشمـــل الإنسان والبهائم والحشرات ،

ولا تستعمل الدابة للإنسان وحده ، ولكن تطلق عليه مع غيره وفى القرآن : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴾ فهى آية شاملة للإنسان وغيره ، ومن القليل الذى استعملت فيه للإنسان وحده : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ــ وليست خالية من السخرية ، ولا تدخل الطيور فى الدواب .

وفى القرآن ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

وتعنى الآية أن شر من يمشى على الأرض فى حكم الله وميزانه هم هؤلاء الأناس الذين منحهم الله السمع والعقل والقدرة على الفهم والاستنتاج ولكنهم أهملوا هبة الله العظيمة فلم ينتفعوا بما يسمعون ولم يفكروا فى محتواه ، وقد خرست ألسنتهم عن النطق بالحق ، فكانوا بإهمال هذه النعم كالحيوان الأصم الذى فقد عقله ، ولم يستطع أن يفرق بين الخير والشر والحق والباطل ، فهؤلاء حقا لا يعقلون ، وما قيمة العقل وما فائدته إذا هو لم ينفع صاحبه ؟ ان هؤلاء كالأنعام التى لا عقل لها بل هم أضل سبيلا من الأنعام ، لأن الأنعام لم يخلق لها عقل فاهملته ، وهؤلاء رزقوا النعمة فأهملوها .

والقرآن الكريم يلح فى النعى على هؤلاء الغافلين : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ .. ﴾ ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ أفلا يتدبرون القرآن .. ؟ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾

ونحن ــ مسلمى هذه الأيام ــ بعد أن غشينا من غواشى الحياة المادية ، بهرج الحضارة الزائفة ما غشينا ، كدنا نكون من شرار الدواب ، فنحن نسمع القرآن الكريم صباح مساء ، ولا فرق بين سماعنا إياه وسماعنا غناء المغنيين ، طرب للأصوات واهتزاز للنغم ، وصياح عال عند كل وقف ، ولكن لا تدبر للمعانى ، ولا محاسبة نفس على ما يقدمه القرآن من إرشاد ، وسواء لدى السامعين نهى القــرآن وأوامره ، أو عظاته وزواجره وسواء كان الحديث عن الكافرين أم المؤمنين ، كل ذلك يمر على آذان صماء وقلوب لاهية ، ونحن بهذا نقترب من المنافقين والكافرين الذين كانوا يسمعــون القــرآن ولا يسمعونه .

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ : لو علم الله سبحانه ان لديهم اتجاها للخير وميلا للانتفاع به إذا فهموه لاسمعهم إياه سماع تدبر وتفهم ، ولكنهم لِمَا قَرَّ فى ضمائرهم من السوء ، ولمَا ران على قلوبهم من ماديات الحياة وأحاط من خطاياهم جمدوا على العناد وطباع السوء ، فلا جدوى فى إسماعهم ، ولو أسمعهم سماع تدبر وتفهم مع ما هم عليه من جمود القلب والنفور من الخير لارتدوا بعد ذلك ، وكذّبوا ولم يستقيموا .

وصدق الله فما زلنا نرى بيننا من يعرفون الحق ، ومن يدرسون القرآن الكريم ، ويعرفون حقائق الإسلام ، ومع ذلك يتلمسون أسباب الطعن فيه والصد عنه ، قد يحملهم على ذلك التعصب الأعمى والكبرياء ، وقد يحملهم عليه العناد والأنفة من اتباع دين عربى أو نبى شرقى ، والمبشرون والمستشرقون مثل بين فى ذلك كله ، ونحن نعلم ما كان على عهد الرسالة من عناد بنى أمية وبنى مخزوم وقد كان يلذ لهم سماع القرآن فيتسللون ليلا ليستمعوا إلى تلاوة رسول الله ــ ﷺ ــ ثم يصبحون يصدون الناس عنه ، وقال عمرو ابن هشام المخزومى ــ وهو أبو جهل ــ تنازعنا الشرف وبنى هاشم أطعموا فأطعمنا وسقوا فسقينا .. حتى قالوا : منا نبى يوحى إليه .

ويقال أن الآية نزلت فى بنى عبدالدار بن قصى ، كانوا يقولون : نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد ــ لا نسمعه ولا نجيبه ، ولم يسلم منهم إلا رجلان هما

مصعب بن عمير ، وتاريخه فى الإسلام معروف ، وقد استشهد يوم أحد ، وسويد بن حرملة ، وبنو عبدالدار كانوا حملة اللواء ، وكان أبوسفيان يحرضهم يوم أحد ، ويوهمهم أنه سينتزع اللواء منهم ، وما يريد الا تحميسهم وإثارة حميتهم ، وقد قتل بنو عبد الدار يوم أحد جميعا .

وقيل الآية تعنى المنافقين ، وقيل تعنى أهل الكتاب .

والأولى أن تظل على عمومها ، لتشمل الماضين واللاحقين ، وقد جاءت فى القرآن الكريم آيات أخرى تبين أن إحاطة الخطايا والذنوب بالقلوب تحول بينها وبين قبول الحق والإذعان إليه ، منها قول الله سبحانه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . ومنه : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .. وتقدير الكلام ، مثل الذين كفروا وداعيهم إلى الحق ، كمثل من يدعو الصم البكم العمى ، فهم لا يتأتى منهم التعقل .

والواو فى جملة « وهم معرضون للحال » والجملة تفيد أنهم يبعدون عنه وعن دعوته ، لأن قلوبهم معرضة عن قبول الحق والعمل به .

ثم دعت الآيات المؤمنين ألا يكونوا على شاكلة هؤلاء الذين أعرضوا عن الله فأعرض الله عنهم ، ونسوا الله فنسيهم ، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

والاستجابة والإجابة بمعنى ، ولكن زيادة السين والتاء تفيد توكيد الطلب، وتدعو إلى التهيؤ والاستعداد والنشاط للطاعة والاذعان للدعوة بسرعة ، كما نلمح ذلك فى مثل قول الله تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ ، ﴿ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ والاستجابة للرسول هى الاستجابة لله ، لأن الرسول ـ ﷺ ـ مبلغ ما يوحى إليه من ربه ولا ينطق عن الهوى ، ويجمع بين الدعوة لطاعتهما إيذانا بذلك ، وتكرر فى القرآن الكريم : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وجاء : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ، وهنا أيضا أفرد ضمير الداعية فقال : « اذا دعاكم لما يحييكم » ولم يقل إذا دعوا كما ، لأن الرسول ـ ﷺ ـ هو المبلغ ، وهو الذى يدعو بلسانه وهديه المرئى ، وما يحيى هو ما يعقب الحياة الأبدية السعيدة والنعيم الدائم فى الآخرة ، لأنها هى الحيوان ، والحياة حقا ، أما حياة الدنيا فهى ظل زائل ، وأجل محدود ، والآية تدعونا إلى ما يفيد هناك وهو أيضا سعادة فى العاجلة كما هو سعادة فى الآجلة .

وقيل المراد بما يحيى هو الجهاد ، وهذا مناسب جدا فى هذا الموقف لأن الآيات مازالت فى جَوّ الحديث عن غزوة بدر ، وما كان من المسلمين من تكاسل عن التعرض للطائفة ذات الشوكة .

والجهاد فى أى وقت سبيل للعزة والكرامة ، وما ترك قوم القتال الا سيموا الخسف وريثوا بالزلة ، والله تعالى يقول :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

والناس يحبون الراحة ، ويضنون ببذل النفس ، وهذا هو الوهن الذى فسره الحديث بأنه حب الدنيا وكراهة الموت .

ولا ريب ان الجهاد سبب الحياة الحقة .. ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ .

وقيل ما يحيى هو القرآن الكريم فالمعنى اذن استجيبوا فالقرآن ، الذى هو أساس التشريع وينبوع الحياة .

وقيل المراد بما يحيى هو الإسلام ،، ومع أن الخطاب للمؤمنين فإن الدعوة إلى الإيمان نظير قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا آمِنُوا بالله ورسوله ﴾ فهى تعنى الثبات على الإيمان .

وكل ما يدعو إليه الرسول ـ ﷺ ـ فيه حياة هنيئة وسعادة أبدية ، ومن كان يريد العزة فلله العزة جميعا .

أحسن الناس أتقاهم

الأستاذ محمد صابر البرديسى

عن ابن مسعود (رضى الله عنه) أن النبى ـ ﷺ ـ كان يقول : (اللهـم إنى أسـألك الهُدَى(1) والتقى(2) والعَفَافَ(3) والغِنَى(4)) .
ـ رواه مسلم ـ

١ ـ التقوى : فضيلة يراد بها . إحكام ما بين الإنسان والخلق ، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه ، وذلك بأن يَتَّقِى الإنسان ما يُغْضب ربه ، وما فيه ضرر لنفسه ، أو إضرار لغيره .

والذى يعلم قدر الله هو الذى يخشاه ويتقيه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ **سورة فاطر ـ ٢٨ .**

فالمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة ، وذلك بالوقوف عند حدود الله ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وهو ـ سبحانه لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية ، ولا ينهى إلا عما يَضُرُّ بِهَا .

ومن جزاء الله تعالى ـ للمتقين ، أنه معهم ، عونا دائما لهم ، لا يتركهم لأنفسهم طرفة عين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ **سورة النحل ـ ١٢٨ .**

والمتقون هم أولياء الله وأحباؤه الذين يَحْمِيهم ويُوَالِيهم وينصرهم ، وقد أعد لهم جنات عرضها السموات والأرض ، وَطَمْأَنَهُمْ ، وبشرهم بالعزة والكرامة فقال تعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾

سورة يونس ـ ٦٢ ـ ٦٤

(٢) ثمرات التقوى :

وضح من الآية السابقة فى قوله تعالى : ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ أن التقوى تجعل الإنسان فى أمن من الخوف والحزن يوم القيامة ، والنصر والتوفيق فى الدنيا ؛ والثواب العظيم ، والنعيم المقيم فى الآخرة قال ـ تعالى :

(١) الهدى : الهداية إلى الطريق المستقيم .

(٢) التقى : الحذر من ممارسة ما يغضب الله .

(٣) العفاف : صيانة النفس من الطمع فيما لا يحل .

(٤) الغنى : الكفاية عما فى أيدى الناس .

﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

سورة آل عمران ــ ١٥

ومن ثمرات التقوى : نيل رحمة الله تعالى . قال تعالى :

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

سورة الأعراف ــ ١٥٦

وهى فى مقدمة أسباب تفريج الأزمات ، وحل المشكلات . قال تعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

سورة الطلاق ــ ٢ ــ ٣

والتقوى : تنير البصيرة ، وتهدى إلى الطريق المستقيم . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾

الأنفال ــ ٢٩

هذا شيء من ثمرات التقوى ، وقد أولاها القرآن الكريم عناية فائقة ، ودعا إليها .

ولما كانت التقوى بهذه المنزلة السامية ، فليس من عجب ألا يمارسها إلا القليل وألا يختص بها إلا المؤمنون ، فأما الذين هم فى غيهم سادرون فأنّى لهم بها ، وهم دعاة الإثم ، ومبيدوا السلام .

على أن الذين تَخَلَّوا عن تقوى الله ــ تعالى ــ قد تخلوا فى دنياهم عن أسباب السعادة النفسية .. تخلوا عن راحة الضمير .. تخلوا عن الثقة فى الناس ، وثقة الناس بهم ، فهم فى أمر مَرِيج ، فلق لم يَحْظَوا براحة النفس ، ولا برضا الرب ، كما اكتسبوا سخط الناس بما آذَوْهم به ، فإذا هم هدف للعناتهم دون ما منعة من إنتقامهم .

يرحلون عن الدنيا ــ إذا رحلوا ــ لا تودعهم كلمة خير ، ولا تترحم عليهم نَفْس ، ثم هم بعد مقبلون على دار الجزاء وفيها يقول ــ تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾

سورة ال عمران ــ ٣٠

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

سورة الحشر ــ ١٨

(٣) التقوى خير زاد :

إن التقوى روح الإخلاص ، وهى خير زاد ينفع المؤمن فى دنياه وأخراه .

المتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ، لا حيث نهاهم ، يعرفون الحق ويؤيدونه ، وينكرون الباطل ويجتنبونه .

لا يخافون فى الله لومة لائم .

تزودوا بالتقوى ، ولبسوا لباسها عملا بقوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ .

سورة البقرة ــ ١٩٧

وقوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

سورة الأعراف ــ ٢٦

إن تقوى المرء أسرع صلة به الله تعالى وبها تقوى روحه ، وفى التاريخ أمثلة عَجَب لثمار التقوى ذهب الناس فى تفسيرها مذاهب ، على أن الله تعالى ــ يبسط رزقه حيث يشاء ، كما أنه سبحانه يعطى بغير حساب .

إن للتقوى شفافية لها ثمراتها التى تخفى إلا على أمثالها ، وإنما يَعْرِف المتقين المتقون ، و

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

سورة يس ــ ٨٢ .

الهجرة الكبرى

حدث وذكرى

للشيخ
معوض عوض ابراهيم

□ على طريق المُرسلين :

أدى رسول الله ﷺ أمانة الله بصدق وإخلاص فما اصطفاه الله للرسالة المهيمنة الجامعة لكل ما تفرّق فى دعوات المرسلين من فضائل إلا وهو صلوات الله عليه على المستوى الذى طبعه الله عليه ، وأراد أن يكون مصطفاه القدرة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، والمُعلِّم الذى لم يسبَق ولن يلحق فى كمال العقيـدة ، وتمام العبادة ، وجمال السَّمْت ، وجلال التصرّف ، وحُسن الخلق ، والحرص على إخراج الناس من غواشى الشرك ودياجى الكفر ، إلى نور الهدى وصفو الإيمان وجاوز فى ذلك المدى حتى قال له مولاه ..

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
سورة الشعراء ـ ٣

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ .

سورة الكهف ـ ٦

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ سورة فاطر ـ ٨

ولقد جاء محمد ﷺ الدنيا كلها عربها وعجمها وأبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها بالدين العظيم ، كما أتى المرسلون من قبله أقوامهم برسالاتهم التى بلّغُوها فى الحَيز المحدود ، والزمن المعدود ودَعَوا الناس إلى عبادة الله وحده دون شريك من خلقه أو مخلوقاته فلا وُدّ ولا سُواع ولا يغوث ولا يعوق ولا نسرا ، ولا فرعون يقــول ﴿ أنــا ربكــم الأعلى ﴾ سورة النازعات ـ ٢٤ ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ القصص ـ ٣٨ ، ولا اللات ولا مناة ولا العُزَّى ولا هُبل ولا عِزة لعاد ولا لثمود ولا لمدْيَن ، وإنما العبادة لله وحده والعِزَّة لله جميعا ، ولمن أعزهم من رسله وأنبيائه وعباده المؤمنين .

ولقد آمن بالمرسلين فى أزمنتهم من آمن ، وتعاقبت رسالات الله فى الأمة وراء الأمة ، وأنكر الطغاةُ عبيد المصالح الخاصة ، وأسرى الشهوات هذه الرسالات ، وأغرى الملأ بالمرسلين حنودهم ، وقال قوم نوح مِن هؤلاء .. ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهتَكُم .. ﴾ الآية ٢٣ من سورة نوح وقالوا له ما حكى الله

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ سورة الأعراف

وتَتبُّع رسالة هود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى ، فإنك مُلاقٍ أنباءَ تكذيبهم وأذاهم وإخراجهم ومن آمَنَ معهم على نحو ما قال الله تعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾

الأعراف ـ ٨٨

وكان ذلك شأن الطغاة فى عهود المرسلين فهاجرَ إبراهيم إلى الشام وإلى مصر وإلى واد غير ذى زرع ، وقال تعالى فى ابن أخيه لوط :

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ .

العنكبوت ـ ٢٦

وهاجر موسى من مصر إلى مدين إلى الأرض المقدسة ، وهاجر عيسى عليه السلام إلى مصر ، وفى مرحلة من مراحل دعوة موسى عليه السلام لبنى إسرائيل قال تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ سورة إبراهيم

□ وكانت الهجرة الكبرى :

وكانت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة بعد أنْ استُحْصِدَ نَبْتُ الإيمان فيها ، وأنفق المسلمون كل طاقات الصبر واحتمال الأذى الذى لم يسلم منه النبى وبناته وأم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وخير من أقلّتْ الأرض وأظلّت السماء حينئذ من عباد الله ، لقد أوذوا رجالا ونساء وآباء وأبناء وأمهات وموالى ، وتحول النبى عن مكة مهاجرا مستنصرا إلى الطائف بعد أن هاجر المسلمون بعض الوقت إلى الحبشة ، وأتى الرسول قومه بالآيات فانشق القمر ، واستيقن القوم الإسراء وشهد المنصفون بخبر المعراج ، ولكن قريشا لجّت فى ضلالها وكفرها وأمعنت فى أذاها وعُتُوِّها ولم يُبْقِ والدٌ على وُدٍّ ولِد أسلم ولا أخ أنصف الحق من الباطـــل ، والهدى من الضلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ
الايتان ــ ٢١ ــ ٢٤ من سورة التوبة ..
﴿ ولو كانوا آباءهم .... ﴾ .
سورة المجادلة ــ ٢٢

وتدارك الله النبى وصحبه بعد أن لم يبقَ فى قوس الصبر منزع ، فأذن بهجرة ﴿ الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ سورة الحج ــ ٤٠ .

ذلك ذنب من آمنوا عند من لم يؤمنوا .. وقد أبصر من قال :

إذا مَحَاسِنِـــىَ الــــلائى أُدِلُّ بها
كانت ، ذُنُوباً فقل لى : كيف أعْتَذِرُ ؟!

لقد اصطنعت قريش كل صنوف الأذى للذين قالوا ربنا الله ، وخُذوا مثلا ما صنعت بآل ياسر حين قتلت الأب وطعنت الأم بخنجر فى موضع العفَّةِ منها بعد أن قتلوا الصغار أمام الكبار وكان الرسول يراهم فى العذاب قبل أن يُقْتلوا فيقول :

« صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة » وفى اكراه عمَّار رضى الله عنه على ما قال نزل قول الله تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾
الآية ــ ١٠٦ . سورة النحل(١) .

ولا يجدون وأمثالهم للعذاب لذعا ، ولكنه يَحْسُنُ فى أنفسهم وقعا ، وكان رجل كبلال فوق حصباء مكة يوضع على صدره رحا الطامحون ويجرّ بالسلاسل ، وتُلهبه السياط من شتى جوانبه ويقول لمن يدعوه أن يكفر بالله « أحد .. أحد ، لا أعبد سواه ، ما أخف العذاب على نفسى وما أشهاه » .

ورأى المسلمون الاعتقال الذى يصطنعهُ أئمة الضلال عبر الأجيال فأخرجوا المسلمين من مكة وأخرجوا معهم بنى هاشم وبنى المطلب ، وَلَـدَىَ عبدمناف إلى شِعْبِ أبى طالب وكتبوا بمقاطعتهم صحيفة باغية لا يبيعونهم بها ولا يبتاعون منهم حتى أكل المسلمون ومن معهم من المشركين ورق الشجر ، وكان أبولهب وبعض بنى عبدمناف يمنعون التجار من أن يبيعوا هؤلاء شيئا وصمد الرسول وقومه لكل هذا الأذى ، وأذن للمسلمين بالهجرة الثانية إلى الحبشة حتى كانت آية الله بنقض الصحيفة الظالمة وزهق الباطل .

﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ .
سورة سبأ ــ ٤٩

---

(١) سيرة ابن هشام حـ ١ بتصرف .

□ الهجرة جهاد كبير :

إن الحديد والنار والحصار الاقتصادى والنفى من الأرض لم تزد الذين آمنوا إلا استمساكا بالحق الذى جاءهم به نبيهم ، وما أن فتح الله لهم باب الهجرة إلى يثرب بعد أن وطأت أكنافها لهم الوفود التى عاهدت النبى فى بيعتى العقبة على الإسلام ثم على النصرة بعد الهجرة فهاجر المسلمون من أكرم دار إيثاراً لعقيدتهم ، وتقديماً لمثل آخر فى البذل والعطاء ، ووجدوا فى المدينة إخواناً:

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

سورة الحشر ـ ٩

ومن أعطى عقيدته الصبر على الأذى وفقد الأحبة على الإيمان وطرح الأموال والتجارات الدَّارة وراء الظهور وهجر أعزّ دار ، وأكرم جوار ، والرضا بحياة الاغتراب فى البلد الذى أراه الله مصطفاه وأذن له بهجرة أصحابه ثم هجرته هو إليه ليكون عاصمة دولة الإسلام الأولى ، ليس عجيبا أن يجدوا الأنصار على مستوى فتح الصدور قبل الدُّور للمهاجرين الأبرار ، وأن يقاسموهم أموالهم ، ويتركوا لهم أعزّ أقسامها حتى مدحهم الله مهاجرين وأنصارا بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ﴾ .

سورة الأنفال ـ ٧٤ ـ ٧٥

□ الهجرة الباقية :

ولقد هاجر المسلمون وهاجر من بعدهم رسول الله ، وأحداث هجرته وثبات إيمانه بربه فيها بعد أن أخذ من قومه حذره ، وخطَّط لأمَّتِه من كيد المشركين جهده ، وأخبار الرفيق « ثانى اثنين » الذى رصد للحدث العظيم ماله وآلَهُ ورجالَه ، وكان أبوبكر على مستوى هذا الإفتداء وهو يَمْهَدُ الغار ويهيؤه ويبعد عوادىَ الشَّرِّ عنه قبل أن يأوى إليه رسول الله ﷺ ، ثمَّ وهو فيه تكاد تهلكه الخشية على النبى وهو يقول : « يا رسول الله لو نظر أحد القوم تحت قدميه لرآنا » وراء ما نسج العنكبوت واطمأنت فوق فروع شجرة حمائم فقال له ﷺ « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا » وصدق الله العظيم .

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

سورة التوبة .

وخرج الرسول وصاحبه إلى الطريق ، وأبَىَ أبوبكر إلا أن يضرب مثلا فى الافتداء جديدا وهو يتقدم الرسول حتى يفديه من الرصد ، ويتأخر خلفه حتى يكون من دون الطلب ، وسأله الرسول فى ذلك فأجابه صَادقاً بما أضمر وأسرَّ .

وبلغ أيمنُ ركب مأمَنَه .. وانتهت بعناية الله ورعايته الهجرة وبقيت هجرة دائمة ما بقى المؤمنون إنها هجرة الجهاد لحماية المقدسات وتأمين المسلمين وهجرة الآثام لِتَخلُصَ النفوس لعبادة الله من رئاء الناس ، والتطاول على أموالهم وأعراضهم وأمنهم .

وبورك مَنْ يُلْقُون الآذان والقلوب للهجرة وهى تُحَدِّثُ أخبارها فتنفعهم الذكرى .

(١) صحيح البخارى ص١/٥١٦ ، وزاد المعاد حـ٢ ص٥٣ .

الأشهر الحُرُم

للأستاذ/ محمد زين العابدين العزازى

الأشهر الحرم أربعة كان لها احترامها وتعظيمها قبل الإسلام فلا حرب فيها ولا قتال ولا اعتداء على أحد ، حتى إن الرجل كان يلقى فيها قاتل أبيه أو ابنه فلا يمسه بسوء .

فلما جاء الإسلام زاد تعظيمها واحترامها وجعلها من الأزمنة التى يضاعف الله فيها الأجر والجزاء لعباده .

يقول عز من قائل :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

آية ٣٦ سورة التوبة

(إن عدة الشهور) جمع شهر : وهى الشهور القمرية المبنية على سير القمر وتسمى الشهور العربية وهى التى يعتد بها المسلمون فى حجهم وصيامهم وأعيادهم (عند الله) أى فى حكم الله وفيما كتب فى اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شيء من أحوال العباد ومن شئون الدنيا وسائر ما يقع فيها .

(يوم خلق السموات والأرض) يقول الإمام القرطبى : إنما قال يوم خلق السموات والأرض ليبين أن قضاءه وقدره كان قبل ذلك ، وأنه سبحانه وتعالى وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السموات والأرض وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة . وهو معنى قوله تعالى ﴿ **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا** ﴾ وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لاسمائها ، والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير اسماء الشهور وتقديمها ، ولذلك قال عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع

(أيها الناس ـــ ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .

وأن الذى فعله أهل الجاهلية من جعل المحرم صفرا وصفر محرما ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى ﴿ **مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ الأشهر الحرم المذكورة فى هذه الآية ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان وهو رجب مضر وقيل له رجب مصر لأن ربيعه بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا وكانت مضر تحرم رجبا نفسه ، ولذلك قال النبى ﷺ فيه : **(الذى بين جمادى الآخرة وشعبان)** .

ورفع ما وقع فى اسمه من الاختلال بالبيان .

وكانت العرب أيضا تسميه مُنْصِلُ الاسنة ذلك لانهم كانوا اذا دخل رجب نزعوا اسنة الرماح ونصال السهام إبطالا للقتال فيه ، وقطعا لإسباب الفتن لحرمته .

فقد روى البخارى عن أبى رجاء العطاردى واسمه عمران بن ملحان وقيل عمران بن تيم قال : كنا نعبد الحجر ، فاذا وجدنا حجرا القيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا مدخل الا سنة فلم ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناها فالقيناه .

(ذلك الدين القيم) أى الحساب الصحيح والعدد المستوفى ، وقد ذكر القرطبى فى تفسيره أن ابن عباس قال (ذلك الدين) أى ذلك القضاء ، وقال ابن عطيه والأصوب عندى أن يكون الدين هاهنا على أشهر وجوهـــه أى ذلك الشرع والطاعة .

(القيم) أى القائم المستقيم ، وكان العرب ينفذون الحساب الصحيح فيحرمون الأشهر الأربعة الحرم فى مواقيتها الى أن انحرفوا عنها فاحدثوا النسيء .

والنسيء فعيل بمعنى مفعول من قولك : نسأت النسيء فهو منسوء اذا أخرته . ثم يحول الى نسيء كما يحول مقتول الى قتيل . وقال الطبرى النسيء بالهمزة معناه الزيادة وقالوا نسأ ينسأ اذا زاد ومن قوله عليه الصلاة والسلام : **(من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه)** .

قال الأزهرى : أنسأت الشيء إنساء ونسيئا اسم وضع موضع المصدر الحقيقى وكانوا يحرمون القتال فى محرم اذا احتاجوا الى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا فى محرم ، وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق

عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها .

ويقولون لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن .

وكانوا يذهبون لرجل منهم يقال له القلمَّس فيقولون له أنسئنا شهرا ، أى أخِّرنا حرمة محرم واجعلها فى صفر فيحل لهم المحرم ، وكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها .

فجاء الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله فيه ، وهذا معنى قوله عليه السلام (**ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**) .

قال مجاهد كان المشركون يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر التى حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة ، ثم حج عليه الصلاة والسلام فى العام المقبل حجة الوادع فوافقت ذا الحجة وهذا معنى قوله فى خطبته عليه السلام : (**ان الزمان قد استدار**) الحديث .

وأراد بذلك أن أشهر الحج رجعت الى مواضعها وعاد الحج الى ذى الحجة وبطل النسىء وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **انما النسىء زيادة فى الكفر** ﴾ .

﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ الضمير راجع إلى جميع الشهور على قول ابن عباس ، وعلى قول بعضهم إلى الأشهر الحرم خاصة ، لأنه اليها أقرب ولها ميزة فى تعظيم الظلم لقوله تعالى :

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

آية ١٩٧ سورة البقرة .

كما أن الظلم فيهن أعظم منها فيما سواهن ، فكان تخصيصها لمزية فضلها وعظيم منزلتها عند الله فيكون الظلم فيها أعظم عقابا فيضاعف فيه العقاب بالعمل السىء كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح وقد اختلف العلماء فيمن قتل فى الشهر الحرام خطأ ، هل تغلظ عليه الدية أم لا ؟

فقال الأوزاعى : القتل فى الشهر الحرام تغلظ فيه الدية فتجعل دية وثلثا وقال الشافعى : تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام وقال مالك وأبوحنيفة وأصحابهما وابن أبى ليلى : القتل فى الحل والحرم سواء وفى الشهر الحرام وغيره سواء ، ولأن النبى ﷺ سن الديات فلم يذكر فيها الحرم ولا الشهر الحرام .

وقد خص الله سبحانه وتعالى الأشهر الأربعة الحرم بالذكر ، ونهى عن الظلم فيها تشريفا لها وتعظيما وان كان الظلم منهيا عنه فى كل زمان ، ذلك لكى يأمن الحجيج الذين يحجون بيت الله الحرام على أنفسهم وعلى أموالهم ولقوله تعالى :

﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى الْحَجِّ ﴾ .

ولأن حج البيت كان موجودا عند العرب من قديم الزمان وقد ثبت أنه لم يبعث نبى من الأنبياء لأمة من الأمم الا وطاف بالبيت العتيق .

﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾ أى قاتلوا المشركين محيطين بهم ومجتمعين متعاونين ومتناصرين وقد اختلف العلماء فى حكم القتال فى الأشهر الحرم ، فقال فريق منهم : كان ذلك حراما ثم نسخ بهذه الآية أى قوله تعالى :

﴿ **قاتلوا المشركين كافة** ﴾ يعنى فى الأشهر الحرم وفى غيرها وقال بعضهم ان التحريم لم ينسخ ، فلا يزال القتال فيها محرما إلا إذا قوتلنا فيها فيجب علينا أن نرد العدوان .

﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ يعني أن الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين الطائعين الذين يرجون رحمته ويخشون عذابه ويطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه .

والأشهر الأربعة الحرم كل منها له ذكريات غالية ، وترتبط به أحداث عزيزة على نفس كل مسلم ، فى مشارق الأرض ومغاربها فشهر ذى القعدة يقع بين ركنين من أركان هذا الدين الحنيف وهما الصيام والحج كما أن هذا الشهر يقع أيضا ضمن الميقات الزمانى للحج إلى بيت الله الحرام وكما هو معروف أن ميقات الحج الزمانى هو شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة ، كأنه تم فيه صلح الحديبية الذى وصفه الله تعالى بأنه كان فتحا مبينا للإسلام ونصرا عظيما للمسلمين لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

أما شهر ذى الحجة فهو موعد ذهاب المسلمين من مختلف الأجناس إلى البقاع الطاهرة إلى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين والوقوف بعرفات مناجين ربهم طالبين عفوه وغفرانه وزيارة المدينة المنورة بسيدنا رسول الله ﷺ ، أما شهر المحرم فقد اتخذه المسلمون أول شهور السنة الهجرية عندما رأوا أن هناك ضرورة وضع مبدأ التاريخ الإسلامى فى عهد عمر بن الخطاب .

أما شهر رجب فقد حدثت فيه تلك المعجزة الكبرى وهى الاسراء بنبينا عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام من المسجد الحرام بمكة المكرمة الى المسجد الأقصى بالشام ، ثم عروجه الى السموات العلا والى سدرة المنتهى . ثم إلى حيث شاء العلى الأعلى وصدق الله إذ يقول :

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

على طريق الهجرة معا

بقلم الأستاذ/ حامد محمد الفار

في تدبرى لكتاب الله الكريم .. أضاء فى نفسى هذا التماثل والتكامل فى سيرة « محمد » ﷺ وسيرة « إبراهيم » عليه السلام .. وقد وضح لى بذلك أنه لا ينبغى ـ فى دراستنا للدين الحق فى شريعته وأخلاقه ـ أن نفصل بين هاتين السيرتين الجليلتين المتكاملتين ، وبخاصة فى هذا العصر الذى اتسع فيه المدى الجغرافى للمسلمين .. وتكاثرت المخططات لغوايتهم فى دينهم وتفريقهم عن قبلتهم .

وحتى نتبين حقيقة الارتباط الخالد بين رسالة « محمد » ورسالة « إبراهيم » عليهما الصلاة والسلام ،نقرأ ـ أولا ـ قول الله عز وجل عن هذا الرباط الذى لا ينفصم بين أحسن الإسلام والدين ، واتباع ملة « إبراهيم » فيما شرعه الله للمسلمين « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » . النساء ١٢٥

ثم أعرض ، بإيجاز ، إلى معالم هذا التكامل بين السيرتين والرسالتين ، والذى انتهى إلى مشرق شمس الإسلام بغير أفول ، فأذكر كيف دبر المشركون قتل كل من « محمد » المصطفى ﷺ ، و « إبراهيم » الخليل عليه السلام ثم كانت آيات الله ظاهرة وحاسمة فى نجاتهما وحفظهما ، حتى يتم إشراق الإسلام على العالم بتكامل جهادهما وغايتهما ونصر الله لهما .

أما النار التى ألقو فيها « إبراهيم » ، فقد جعلها الله برداً وسلاماً عليه ، ومن جوفها خرج على الطريق الصحيح للنصر ، وهو الهجرة بهدى من الله إلى موضع إقامة بيت الله ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ سورة الأنبياء ٦٩ .

وحيث يقول عن هجرته بعد نجاته وانتصاره :

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ . وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ الصافات ٩٧ ـ ٩٩ .

وأما الغار الذى لجأ إليه رسول الله ﷺ مع صاحبه على طريق هجرته المنتصرة ، التى أوحى الله له بها بعيداً عن معتزمى قتله ، فقد جعل الله جوفه الموحش أمناً وسلاماً على خاتم النبيين ، كما جعله ـ بحفظه ونصره ـ هزيمة وخزيا للكافرين المكذبين .

وعن شروق هذا النصر بسكينته وسلامه على طريق الهجرة إلى المدينة يقول الله تعالى :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ سورة التوبة ٤٠ .

وهكذا ، فى جلاء صورة هذا التكامل بين السيرتين الجليلتين نجد أنه من الأمن والسلام « فى جوف النار » خرج « إبراهيم » مهاجراً بوحى من الله ليقيم فى مكة بيت الله الذى أصبح ـ ولا يزال ـ بهذه الهجرة المنتصرة منارة للإسلام وقبلة للمسلمين . ثم خرج من الأمن والسلام « فى جوف الغار » « محمد » عليه الصلاة والسلام ليتم طريق الهجرة المنتصرة إلى المدينة ، حيث أنجز تأييد الله أعظم جهاده ، وحقق الأسوة فى عمله ، وقدم القدوة فى سماحته وصفحه إلى أمد تمت مشيئة الله منذ الأزل ، فدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وألف الله بين قلوب المؤمنين .. وبذلك تمت نعمة الله بهذا الدين الحق على جميع البشر من مشرق انتشاره حول « بيت الله » الذى أقام قواعده « إبراهيم » الخليل ، والذى نزل عنده أول القرآن الكريم على « محمد » الأمين خاتم النبيين والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

الهجرة بداية الجهاد

مضى الرحيم المجاهد ﷺ فى طريقه تاركا وراءه « مكة » الطيبة .. بلد النبوة والذكريات .. والبطولات والتاريخ العظيم .

مضى ليبعث النور من مشارق جديدة ، ولينقل الفكر الخالد إلى آفاق رحبة ، وليغرس المبادىء المثلى فى بلد طيب .. وصرح التوحيد الخالص فى قلوب صالحة .

مضى ليضع فى القلوب معنى الأخوة .. وفى الصدور كلمة الله الهادية ، فتنبت الحبَّ والحُبَّ والخير .

مضى لينقذ الإنسانية من العثرات .. وليرشد الآدمية إلى سواء السبيل .

مضى ليصنع المعجزة التى حولت صانعى حروب « البسوس وداحس والغبراء وحليمة وبعاث » إلى أمة واحدة يقول عنها الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر ـ ٩

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ال عمران ١٠٣ .

مضى ليحقق المعجزة التى انطلقت من « يثرب » ثم فى قوة وأمان إلى « دمشق وبغداد والقاهرة ومراكش وغرناطة ودلهى » وما شاء الله من بقاع وأصقاع .

تلك المعجزة التى أذهلت العالم وحيرت المؤرخين .. المعجزة التى أهدت للإنسانية أعظم حضارة .. وأعظم رجال .. وأعظم فكر .. وأعظم تراث !

المعجزة التى أحالت البيد إلى أرض مزهرة مزدهرة .. تنبت الرجال والأخلاق .

مضى .. ومضى معه التاريخ الأمين والعظيم يسجل خطوه .. فلقد كانت كل خطوة من خطاه إنتصاراً للإنسان .

وقبل أن يمضى إلى يثرب « المدينة » وقف وألقى نظرة وداع على « مكة » أرضها ودورها .. وناسها وذكرياتها ..!

ثم أخذ يستعيد القصة كلها .. قصة الصراع بين التوحيد والشرك .. بين الوضوح والغموض .. بين

الصراحة والخداع .. بين الإنسان والصنم ..!

لقد كان الصراع رهيباً .. جند له الشيطان كل ما يملك من زيف وحقد وسعار !

لكن المجاهد العظيم .. والمهاجر الكبير صلى الله عليه وسلم لم يذل .. ولم يهن .. ولم يتراجع . بل صدع بأمر ربه وإن أرغى الشرك وأزبد .. وهدد وتوعد .. فهو كالقمر فى السماء لا تطفؤه نفخة أبله ، ولا تعفره عربدة إعصار !

ووقف الرسول وقفة تأمل ووداع .. وانطلقت الدموع من عينيه والكلمات من فمه : « يا مكة : والله لأنت أحب بلاد الله إلى الله .. وأحب بلاد الله إلىّ .. ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » .

قالها رسول الله ومضى ليعيش الصراع مرة ثانية حتى يتهاوى « الصنم » تحت أقدام « الإنسان » الزاحف نحو الفجر الجديد .

ومضى الشيطان وراءه بخيله ورجله .. وفى « غارثور » اختبأ الرسول وصاحبه .. وعاد « المطاردون » صفر الوجوه .. يجرون أذيال الخيبة والمهانة . وقال الشاعر يصف خيبة المطاردة الشركية » :

يا عدو الله مهــــلا واتئــــد
وارحم الخيل فقـد خارت قواهـا
لا تحاول قتــل نفس جعــلت
هذه الدنيـا ومـا فيها فداهـا
قف ، تمهــل ، لا تحاول هذه
رحمة الـرحمن تمتـد يداهـا
ها هو «الغار» وهذا «المصطفى»
فيك مثل الشمس غابت فى سناهـا
سر عينيــه بعيــنك التقــى
فانثنت عيناك تشكـو من قذاهـا
ذاك سر الله . والله إذا
ما اصطفى من خلقه نفسا حماهـا

* * *

إن «محمداً» أرسله الله بشريعة العقل .. شريعة الإنسانية الصالحة لكل زمان ومكان .

وشريعته صوت من العدل والفضل ما يسعد الإنسان فى دنياه وأخراه .

فلنذكر « محمداً » ﷺ .

ولنذكر منهجه السديد فى إعطاء كل ذى حق حقه .

ولنذكر كيف جاهد .. وكيف كان سمحاً إذا وعظ .. سمحاً إذا أفتى .. سمحاً إذا قال .. سمحاً إذا عمل . وكيف ثبت على مبدئه ولم يروعه الخصوم برغم ما هم فيه من قوة ومكر .

ولنذكر ـ فى يوم هجرته ـ كيف جاهد التخلف والأنانية والفوضى .

وهجرة « محمد » عليه الصلاة والسلام لم تكن خوفاً ولافرارا .. لأنها لو كانت كذلك .. لكانت عملاً سلبياً .. إنما كانت هجرته هجرة مبادىء .. وهجرة إشعاع .

كانت هجرته بحسه ومشاعره من أرض إلى أرض ، ومن أفق إلى أفق .. ليعطى الأملاء الحيارى هداية .. والجماهير الظمأى ريا وأمنا .

حتى فى « مكة » كان ينتقل بدعوته من دار إلى دار .. ومن حى إلى حى .. ومن قبيلة إلى قبيلة .. يعرض هداية الله على كل قلب .. وكلمة الله على كل أذن .

وكانت هجرته هجرة فكرية .. ولابد لنا أن نهاجر فكريا .

فلنهاجر من التخلف إلى التقدم .. ومن الانتهازية إلى المثالية ، ومن الانحراف إلى الاستقامة ، ومن البغض إلى الحب ، ومن القسوة إلى الرحمة ، ومن كل صفة بغيضة إلى كل صفة نبيلة تسعد الإنسان وتهديه .

* * *

إن يوم « الهجرة » يوم كبير فى التاريخ الإسلامى والإنسانى . لأنه اليوم الذى تحرر فيه الإنسان من عبادة غير الله عز وجل ، واكتشف فيه الإنسان نفسه وعرف ـ لأول مرة ـ أنه قادر على أن يعطى الحياة فكراً وحضارة .. ومبادىء ومثلا .

فلتعش ذكرى « الهجرة » فى خلد التاريخ نورا يهدى .. ووعيا يحرك .

هجرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

ا.د محمود محمد رسلان

يقول الله جل وعز :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠)

سورة التوبة

لقد هَمَّ الصديق بالهجرة مراراً ، بل عزم مرة ، وخرج مهاجراً ، وترك مكة فعلا ، ومضى فى طريقه ليتم هجرته ، فالتقى به ابنُ الدغُنَّة ، وأعاده إلى مكة ، فدخلها فى جواره ..!!

لماذا .... ؟

لأن الله ـ سبحانه ـ اختار له خير صُحْبة لخير هجرة ..!!

فى السنة الثالثة عشرة لبعثة محمد ـ ﷺ ـ كانت الهجرة النبوية التى اختارها الفاروق عمر ـ رضى الله ـ عنه بداية للتاريخ الإسلامى ، تقديراً لجلال الحدث الذى كان منطلق تحول حاسم وخطير فى مسيرة الإسلام .

وعلى امتداد الزمن يحتفل المسلمون حيثما كانوا بمستهل عام الهجرة دون أن يفوتهم لمحُ ما كان لها من أثر بعيد فى حركة سير الدعوة الإسلامية ، ودون أن يخطئهم إدراك ما أعقب تلك الحوادث التاريخية من تغير فى موازين القوى بين حزب الله ، وبين الوثنية الباغية فى مكة ..

لقد كان التحول من مكة إلى المدينة حداً فاصلا بين أخطر مرحلتين فى فجر الدعوة .

ولقد مضى على الهجرة أكثر من أربعة عشر قرناً وكلما بدأت السنة القمرية بهلال المحرم تحركت أقلام تحكى الذكرى الخالدة ، وشُدَّت أبصار وقلوب إلى خطوات المهاجر العظيم ـ ﷺ ـ ما بين مكة و(يثرب) منذ خرج ذات نهار ، وقد بلغت محنة الاضطهاد أقصى مداها بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة .. متجهاً إلى صاحبة الصديق أبى بكر ، وأسر إليه أن الله تعالى أذن له فى الخروج والهجرة ، فهتف الصديق : يا رسول الله الصحبة . وبدأ التأهب لرحيل عاجل[١] .

(١) أنظر مع المصطفى ـ ﷺ ـ فى عصر المبعث د. عائشة عبدالرحمن ص١١٨ بتصرف .

ولما كان نصيب الصديق ـ رضى الله عنه ـ وما كتب بشأنه فى هذا الحدث العظيم قليلا ، فقد أردت إلقاء الضوء على هجرته ـ رضى الله عنه ـ وجهاده مع رسول الله ـ ﷺ ـ ودعوته .

فمن هو الصديق ؟

هو عبدالله بن أبى قحافة ، وأبو قحافة هو عثمان بن عامر ، بن عمرو ، بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب القرشى التيمى ، يلتقى مع الرسول ـ ﷺ ـ فى مرة .

أول من أسلم من الرجال .

وأول من جمع القرآن .

وأول من سماه مصحفا .

وأول من سمى خليفة(٢) .

صحبته : حرص رضى الله عنه كل الحرص على صحبة رسول الله ـ ﷺ ـ ، حفيا بزمالته حتى لقد كان كما وصفته السيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ : « خدنا لمحمد ، وصفياً له »(٣) .

لقد كان حادث الهجرة فصلا ختامياً لسياسة الموادعة بالرفق ، والصبر على احتمال المكاره ثلاثة عشر عاماً .

ويعد هذا أول تخطيط للجهاد المادى ، لردع الكفار عن مقاومة الدعوة ، وانتشالهم من ضلال يخيم عليهم ، ومكر يحيق بهم ، ومصير يتلقفهم إلى عذاب واصب فى جحيم يتلظى(٤) .

وما أريد الخوض فى حديث الهجرة ، أو خروج النبى ـ ﷺ ـ وصاحبه ـ بالتفصيل ـ كتدبير حصيف لاحباط المؤامرة العاتية الماكرة ، فقد تكفلت سورة الأنفال بما حدث ، إنما أود إظهار دور الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى الهجرة ، معتمداً على شهادة القرآن وشهادة رسول الله ـ ﷺ ـ له .

ففى الآية التى قدمنا بها يتضح ما يلى :

أ ـ عتاب الله للمسلمين ، وما ظهر من تردد بعضهم فى الخروج إلى غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة . وكان هذا التردد لأسباب يتعلل بها المنافقون الذين يعيشون بين المسلمين .

ب ـ يحذرهم الله أن يعودوا إلى هذا التخلف ، وفى سياق هذا العتاب يشيد القرآن بمناقب أبى بكر منذ فجر الدعوة ، ويستثنيه من هذا العتب ، بل ويمجده بصفات لم تكن لغيره من أصحاب محمد ـ ﷺ ـ فإن معنى الآية الكريمة : إن لم تنصروا رسول الله فى تبوك أو سواها ؛ فإن الله كفيل بنصره كما سبق فى حادث الهجرة حيث كان حادثاً خطيراً ، ولم يكن مع النبى سوى شخص يرافقه .

ثم لم يجمل القرآن كلامه ، بل اعتبر النبى ثانى اثنين ، وهذا تنصيص على اعتبار أبى بكر واحداً من اثنين دون تخفيض من مقامه فى هذا الموقف فكل من النبى ـ ﷺ ـ وأبى بكر ثان بالنسبة للآخر .

ثم يؤكد القرآن قائلا : « إذهما فى الغار » فالاثنان فى هذا الموقف العصيب سواء ، وهما كذلك فى التعرض لما يكون من الكفار لوصادفوهما .

والمساواة بينهما فى هذه الاحتجابة تشهد لأبى بكر بتمام الاستعداد للتضحية عن إيمان كامل ، وعزيمة صادقة ، وبذل للروح عن طيب خاطر فى مؤازرة الرسول ـ ﷺ ـ .

بل لقد كان أبو بكر شديد الحرص على سلامة الرسول ـ ﷺ ـ شديد الخوف مما يتوقعه ، شديد الحزن لما عسى أن يبدر من الكفار نحو الرسول من إساءات لو استطاعوا .

وقد كان أقصى ما يتمناه أبو بكر صحبة رسول الله ﷺ فى هجرته ، ليظفر بهذا الشرف ، وليكون فداء له من كل شر .

حتى كان يتخيل أن عدوا يلاحقه من خلف فيمشى خلفه ، أو يلاحقه من أمام فيمشى أمامه ، وهكذا عن يمينه وشماله .

كما سبق إلى نزول الغار ليتحسس ما به من الهوام خوفاً على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يلم به مكروه .

---

(٢) الامام السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٧ ط الرابعة ط التجارية القاهرة ١٣٨٩ هـ .

(٣) خلفاء الرسول ﷺ . الأستاذ خالد محمد خالد ص ٣٨ .

(٤) الشيخ عبداللطيف السبكى : نفحات القرآن جـ٣ ص ٤٥ المجلس الأعلى القاهرة : ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ .

وبعد الاستقرار فى الغار أحس أبو بكر باقتراب الكفار من مخبئهما ، فاشتد وجله على النبى - ﷺ - وتوقع أن تقع عليهما عين الطغاة ، فقال النبى ﷺ :

« يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟؟ »

ولفظ النبى ﷺ يسوى بينهما فى هذا المقام ، إذ هو أحد الاثنين ، وفى معية الله معه .

« إذهما فى الغار » .

« لا تحزن إن الله معنا » برعايته وحفظه ، فالقرآن يقرر له هذه الصحبة بقوله تعالى :

« إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

وإلى هنا يكون أبو بكر مشهوداً له بمناقب الصحبة فى أمجد معانيها ، منذ كان أول من آمن من الرجال[٥] .

كان أبو بكر - رضى الله عنه - على أتم الولاء لرسول الله - ﷺ - والفداء له بنفسه وبماله حتى أشاد النبى - ﷺ - بهذا على مسمع من صحابته :

« إن من أمن الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر »[٦] .

كان - ﷺ - فى اطمئنان إلى رعايــة الله له ولصاحبه ، وهو مع هذا على رضا دائم لما يكن من بلاء فى جهاده .

« فأنزل الله سكينته » على أبى بكر ، وأيد الله رسوله بالملائكة ليحرسوا رسوله من أعين الكفار ، كما أيده بالملائكة فى غزوة بدر ، وفى كل محنة يتعرض لها ، وقضت حكمة الله أن تكون سياسة الكفار دائماً فى خسران ، وكلمتهم التى يجتمعون عليها فى كفرهم ، أو تدبيرهم ضد رسوله والمؤمنين فى هبوط واندحار .

وإن يكن أبو بكر محور هذا الحديث بجانب رسول الله - ﷺ - فقد عودنا القرآن أن يعطف عليه بالثناء ، وبالتمجيد فى مقامات سوى مقام الهجرة ، فهو فى طليعة الأسخياء حتى قيل : إنه المقصود بقوله تعالى :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[٧] .

شهادة رسول الله ﷺ لأبى بكر :

روى البيهقى عن ابن اسحاق أن أبا بكر - رضى الله تعالى عنه - لقى رسول الله - ﷺ - فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك إيانا ؟ فقال رسول الله - ﷺ - « بلى » .

« إنى رسول الله ، ونبيه بعثنى لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه لحق ، فأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته ، وقرأ عليه القرآن فلم يتكبر ، بل أسلم ، وكفر بالأصنام ، وخلع الأنداد ، وأقر بالإسلام ، ثم رجع إلى أهله وقد آمن وصدّق .

وقال ابن اسحاق : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال :

« ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة ، وتردد ونظر إلا أبا بكر ماعكم حين ذكرته له ولا تردد »[٨] .

قال البيهقى : وذلك لما كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته ، فلما دعاه ، وقد سبق فيه تفكره ونظره أسلم على الفور .

وقال السهيلى - رحمه الله تعالى - : كان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا له إنه رأى رؤيا قبل ، وذلك أنه رأى القمر نزل إلى مكة ، ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة ، وبيوتها فدخل فى كل بيت شَعْبة ثم كان جميعه فى حجره ، فقصها على بعض أهل الكتابين فعبّرها له بأنه النبى المنتظر قد أطل زمانه ، ثم قال له :

اتبعه ، وتكون أسعد الناس به ، فلما دعاه الرسول - ﷺ - لم يتوقف[٩] .

---

(٥) راجع تفسير ابن كثير جـ٢ ص٣٥٨ ط الحلبى ، وانظر نفحات القرآن جـ٢ ص٤٦هـ ٤٧ .

(٦) البخارى على حاشية السندى : باب مناقب المهاجرين جـ٢ ص١٩٢ ط المعاهد : ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

(٧) نفحات القرآن ص٤٨ .

(٨) سيرة ابن كثير : ٤٣٣/١ ، والكبوة قال : أبو ذر : يعنى تأخرا ، وقلة إجابة من قولهم : كبا الزند : إذا لم يور نارا ، ماعكم : أى ما تلبث ، بل أجاب بسرعة . راجع السيرة الشامية جـ٢ ص٤٠٦ ط المجلس الأعلى .. (١٤٠٧ - ١٩٨٦) .

(٩) الروض الأنف : ١٦٥/١ .

لم تكن رؤيا أبى بكر مجرد حديث للنفس فى منامها ، ولا مجرد تعبير عن أشواق مستكنة فى لا شعوره .. بل كانت إرهاصا بحقائق وطيدة راسخة . أملت على صاحبها يقينا لا يتزعزع بحاجة الناس إلى رسول ، وبحتمية مجىء هذا الرسول - ﷺ - .

وكانت رؤياه هذه بشرى بين يدى يقينه ، وتحية الغيث لروحه المتطلعة وإيمانه المتلهف ..

الاذن بالهجرة ورؤية دارها :

لما اشتد الأذى بالمسلمين من المشركين لعلمهم أنهم تاركوهم إلى أرض غير أرضهم ، ضيقوا عليهم ، ونالوا منهم بالشتم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله - ﷺ - وأستأذنوه فى الهجرة فقال :

« قد أريت دار هجرتكم ، أريت سبْخة ذات نخل بين لابتين (وهما الحرتان) ولو كانت السَّراة أرضَ نخل وسباخ لقلت : هى هى » . ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال :

« قد أُخبرت بدار هجرتكم ، وهى يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها » . فجعل القوم يتجهزون ، ويترافقون ، ويتواسون ، ويخرجون ، ويخفون ذلك(١٠) .

فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة ، فقال له رسول الله - ﷺ - :

« على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى » .

فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ للصحبة ..

وانطلق الركب الميمون بعد أن أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة ، وفاز الصديق بشرف الصحبة باختيار الرسول - ﷺ - فى هذه الرحلة الايمانية الشاقة .

كان شيخ الصحابة رضى الله عنه فى هذه الرحلة يلتقى بأناس يعرفهم ويعرفونه فيسألونه قائلين : يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك ؟

فيقول : هاد يهدينى السبيل ، فيحسب السائل انه إنما يعنى الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

شخصية الصديق :

لامرية فى أن مكانة الصديق رضى الله عنه محفوظة بالخير عند الله ، وعند رسوله ، ثم عند كل مسلم وباحث ، ومن ثم فإن عمل الصديق رضى الله عنه فى خلافته لم يكن أقل جلالا من صحبته لرسول الله - ﷺ - .

يقول الشيخ محمد الخضرى : لولا أبو بكر وعزيمته القوية بعد معونة الله وتأييده ما كان تاريخ المسلمين يسير سيره الذى عرف ، حَصَّلَ ذلك فى وقت استولى فيه الذهول على أفئدة المسلمين كافة حتى أقواهم شكيمة وأشدهم قلبا .

من نتائج هجرة الصديق رضى الله عنه :

١ - ظهور إيمان أبى بكر الذى لو وزن بإيمان هذه الأمة لرجح .

٢ - جهاد الصديق وتضحيته فى سبيل نصرة الاسلام ودعوته .

٣ - شهادة القرآن بأنه « ثانى اثنين » .

٤ - من أنكر صحبة الصديق كفر لانكاره النص الجلى .

٥ - جواز التكنى بأبى فلان ، وإن لم يكن اسم ابنه ؛ إذ لم يكن لأبى بكر ابن إسمه بكر ، ولا يشترط للجواز كونه ذا ولد ؛ فقد كنيت السيدة عائشة بأم عبدالله ولم تلد ، وكنَّى الرسول - ﷺ - الصغير فقال : « يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ »(١١) .

---

(١٠) ابن سعد ، الطبقات : ١٥٣/١ دار التحرير القاهرة ١٢٨٨ - ١٩٦٨ ، والسيرة الشامية : ٣١٣/٣ ط المجلس الأعلى القاهرة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م تحقيق الأستاذ عبدالعزيز عبدالحق والسبخة : بكسر الباء : الأرض المالحة ، و« بين لابتين » تثنية لابة وهى : « الحرتان » تثنية حرة وهى : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . و« السَّراة » بفتح السين : أعظم جبال بلاد العرب . راجع السيرة الشامية جـ٣ ص ٣٢٣ . مرجع سابق .

(١١) البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة . كل فى الأدب .

بشائر الكتب السابقة

أو العمق التاريخى لرسالة نبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لرسول الله محمد ﷺ عمق تاريخى يتجلى فى تذكير الله تعالى لأنبيائه ورسله وأقوامهم برسالته الخاتمة التى يبعث بها النبى العربى والرسول الأمى إلى الناس كافة وقد أخذ هذا التذكير أكثر من شكل وورد فى أكثر من كتاب منزل قال جل وعلا ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾

آل عمران ٨١ ، ٨٢ .

وعلى هذا دعا الأنبياء والمرسلون عليهم السلام أقوامهم إلى الايمان برسالة خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وفاء بالعهد والتزاما بالميثاق فهو مصدق لما معهم ومؤيد بالمعجزات وداع إلى الحق وصراط مستقيم ، كما أكد القرآن تأكيداً قوياً واحتج احتجاجاً ظاهراً على نبوته ﷺ ببشارات التوراه والانجيل ، وألزم أهل الكتابين ضرورة الايمان بهذه النبوة والرسالة المحمدية تصديقاً لما معهم ، وما ثبت لديهم من أنه ــ عليه الصلاة والسلام ــ جاء بالحق وصدق المرسلين ويعتبر هذا الاتجاه القرآنى فريداً فى إثبات النبوة[1] .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف

وقال جل وعلا : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الرعد

وفى تفسير هذه الآية الكريمة بيان أن الله شاهد ومؤيد لرسالة النبى ﷺ وعلى صدقه وأنه بلغها إلى قومه وكذلك يشهد على صدق هذه الرسالة من أسلم من أهل الكتابين التوراه والانجيل فإنهم كانوا يجدون البشارات عنه فى كتبهم[2] .

وفى هذا المعنى يقول الامام ابن تيمية (نفس إخباره بذلك فى القرآن مرة بعد مرة واستشهاده بأهل الكتاب وأخباره بأنه مذكور فى كتبهم مما يدل العاقل عليأنه كان موجوداً فى كتبهم فلو لم يعلم أنه مكتوب عندهم ، بل علم انتقاء ذلك لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه .

ويعد الامام ابن تيميه هذا الطريق من أظهر الحجج على أهل الكتابين وأظهر الاعلام على نبوته ﷺ[3] .

لكن الذين أوتوا الكتاب وهم يعرفون صفة رسول الله ﷺ واسمه ومكان مبعثه معرفة وثيقة بناء على ما أخبرت به كتبهم ينكرون هذه المعرفة حسداً من عند أنفسهم وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة ١٤٦

لكن عناية الله شملت هداية بعض علماء أهل الكتاب وأحبارهم فأسلموا عصر النبوة مثل عبدالله بن سلام وزيد بن سعنة ووهب بن منبه كما أسلم بعض آخر فى العصور التالية لذلك كان هؤلاء الأوفياء حجة على بنى قومهم المكذبين الذين آثروا متاع الحياة الدنيا الرخيص ورضوا بأن يظلوا سدنة الباطل وأعداء الحق .

ما ورد على لسان وهب بن منبه الذى أسلم فى عصر النبوة

ذكر ابن ظفر الصقلى الحموى ما روى عن وهب بن منبة أنه قال : (قرأت فى بعض كتب الله المنزلة على نبى من بنى اسرائيل ان قم فى قومك وقل : يا سماء اسمعى ويا أرض أنصتى ؛ لأن الله تعالى يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل ، إلى ربيتهم بنعمتى وآثرتهم بكرامتى واخترتهم لنفسى ، وإنى وجدت بنى اسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها فرددت شاردتها وجمعت ضالتها وداويت مريضها وجبرت كسيرها وحفظت سمينها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ؛ فويل لهذه الأمة الخاطئة وويل لهؤلاء القوم الظالمين .

إنى قضيت يوم خلقت السماوات والأرض قضاء حتما وجعلت له أجلا مؤجلا لابد منه فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمه ؟ فى أى زمان يكون

(١) كتاب الرسول ﷺ والوحى تأليف دكتور محمد سيد أحمد المسير المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٨٨ صفحات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر المجلد الثانى الحزب ٢٦ فى تفسير سورة الرعد .

(٣) نقلا عن كتاب الرسول ﷺ والوحى المرجع السابق .

ذلك ؟ فانى مظهره على الدين كله فليخبروك متى يكون هذا ؟ ومن القيم به ؟ ومن أعوانه وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟ فإنى باعث بذلك رسولا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا قوال بالهجر والخنا أسدده لكل جميل ، واهب له كل خلق كريم ، واجعل السكينة على لسانه ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والاسلام ملته .

أرفع به من الوضيعة ، وأغنى به من العَيْلة ، وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة ، وأجعل أمته خير الأمم ايماناً بى ، وتوحيدا واخلاصاً لما جاء به رسولى ألهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لى فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم ، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ، يقاتلون فى سبيلى صفوفًا ويصلون لى قيامًا وركوعاً وسجوداً ، يكبرونى على كل شرف ، رهبان الليل أسد النهار ، ذلك فضلى على من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم)[٤]

الكاهن اليهودى المصرى سعيد بن حسن الاسكندرانى

كان من علماء بنى اسرائيل عارفا باللسانين العبرانى والسريانى وفى بحثه لما يستشهد به من نصوص ينقله نقلا مباشراً من نسخ العهد القديم العبرانية والسريانية ، وليس من النسخ السبعينية أو اللاتينية أو الترجمات العربية المتداولة آنئذ ، وحرر فى ذلك كتابا دعاه (مسالك النظر فى نبوة سيد البشر) وقد عاش فى عصر الملك الناصر قلاوون ، وكان دخوله فى الإسلام سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة النبوية .

ويذكر ما جاء فى السفر الخامس من العهد القديم (وهو سفر التثنية) بالاصحاح الثامن عشر عدد ١٨ مبشرا بالرسول المبعوث من بنى اسماعيل وذلك فى قوله باللسان العبرانى (نابى أقيم لاهام مقارب أحى خام مبنى يشماعيل ، وسمتى ديارای بفيوا بلورشماعو) .

وترجمته باللغة العربية هو (سنرسل إليكم نبيا من قرابتكم من أولاد أخيكم اسماعيل سأجعل نطقى بفيه وإياه اتبعوا)[٥] .

وبالرجوع إلى النصوص العربية فى زماننا المعاصر وهى المأخوذة عن الترجمات السبعينية نجدها لم تذكر لفظ (اسماعيل) بالمرة كما حرقت عبارة (من أولاد أخيكم) وجعلتها (من وسط اخوتهم) ولاشك أن المعول عليه هو نصوص العهد القديم العبرانية والسريانية وأما الترجمات كالنسخ السبعينية أو اللاتينية فقد تمت بعد ذلك بزمان طويل عندما احتَّلت دولة اليونان بقيادة الاسكندر المقدونى مصر وبلاد الشام وكثيرا من بلاد الشرق بعد عهد الفراعنة .

ثم توفى الاسكندر فآلت مصر فى حكمها إلى بطليموس أحد قواده وفى عهد خليفته بطليموس الثانى الملقب ببطليموس فيلادلف ترجم سبعون عالما من بنى اسرائيل العهد القديم ويسمونه التوراه العبرانية الى اللغة اليونانية سنة ٢٨٢ قبل الميلاد .

وفى تلك الترجمة عمد المترجمون الى تلغيز بعض الكلمات بدلا من وضع كلمات واضحة تؤدى الى المعنى بدون صعوبة فى الفهم كما عمدوا الى حذف بعض الكلمات والأسماء عمداً كما حدث فى حذف لفظ (اسماعيل) فى النص السابق الاشارة إليه[٦] .

الأستاذ زكى عريبى عميد اليهود فى مصر

كان أحد المحامين البارزين فى مصر ومن أشهر محامى القاهرة ولدى بلوغه الخامسة والستين عاماً أعلن إسلامه ، ويعلل ذلك بأنه ـ وان لم يرث عقيدة الإسلام عن والديه ـ إلا أن الله شرح صدره للإسلام ؛ فقد ولد فى بيئة مسلمة ، ونشأ وتربى وقضى طفولته

---

(٤) كتاب خير البشر بخير البشر لابن ظفر الحموى الصقلى صفحة ٥٣ ، ٥٤ تحقيق الشيخ عبدالحفيظ فرغلى والدكتور حمزة النشرتى ـ العدد الأول طبعة الأهرام بدون تاريخ .

(٥) كتاب مسالك النظر فى نبوة سيد البشر تحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى طبعة سنة ١٩٩٠ م .

(٦) كتاب على التوراه فى نقد التوراه اليونانية تأليف الشيخ الفقيه على بن محمد بن خطاب علاء الدين الباجى الشافعى تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا طبعة سنة ١٩٨٠ .

وصباه وشبابه حتى شيخوخته وسط قوم مسلمين فى حى شعبى هو (حى بولاق) .

فحفظ القرآن مع الأطفال المسلمين فى المدارس الأميرية التى التحق بها مثل (مدرسة عباس) فى (السبتية) ومنها إلى (مدرسة حلوان الثانوية) وبعد انتهائه من هذه المرحلة انتظم فى (مدرسة الحقوق) وفيها اتيحت له فرصة دراسة الشريعة الإسلامية ، فقارن بينها وبين القانون الرومانى الذى مضى عليه آلاف السنين ولم يصل بعد إلى المرحلة التى يمكن أن يعد فيها مقارباً للكمال بالرغم من أنه مضى عليه عدة آلاف من السنين وهو فى مجال التطور التشريعى وبالرغم من هذا فإنه كان مصدراً لقوانين كثيرة فى بلاد العالم المختلفة .

أما الشريعة الإسلامية فقد وجدها نشأت ونهضت بعد رسول الله ﷺ مباشرة إذ ما جاوز العصر الإسلامى الأول حتى كشف أصولها وقواعدها الأئمة الأربعة بحيث انتهى كل منهم فى دراسته للشريعة بقانون متكامل لشريعة وصلت حد الكمال .

ثم نظر فى الإسلام وأطال النظر وفكر وأطال التفكير ثم سأل نفسه : ما مبدأ هذا الدين الأصيل ؟ ثم عثر على الاجابة ، فقد وجدها حقيقة أزلية عرفها إبراهيم – عليه السلام – وكذلك عرفها جميع الأنبياء قبله وبعده .

ثم وقف أمام حقيقة أخرى خالدة هى الرسالة المحمدية وحقيقة محمد – ﷺ – نفسه ، هذا الرجل الذى بعثه ربه فى صحراء جرداء قاحلة حيث لا ثقافة لأهلها ولا معرفة اللهم إلا القليل ، هذا الرجل من جاء إليه بالقرآن ؟

هل هو ساحر كما وصفه به أعداؤه ؟

أو أنه صنع القرآن بنفسه ؟

وإذا صح هذا فما باله وأخبار الأمم الماضية التى يتحدث عنها القرآن ويبدع فى الحديث عنها أكثر من التوراه والأناجيل حين تتحدث عنها ؟

لذا أيقن حينئذ أن القرآن لابد أن يكون من وراء الحجب وأن يكون من عند الله ، وتساءل بعد ذلك : عن آية صدق نبوة هذا الرسول ثم وجدها فى بساطته فهو يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق كأى واحد من أصحابه ، وعندئذ أسلم بعقله بعد أن آمن بوجدانه ثم يتحدث عما وجده من جمال فى الإسلام ، فقد وجده دينا مصدقاً للأنبياء والمرسلين قبله فاليهودى إذا أسلم لم يجد نفسه قد انتزع من دينه انتزاعا فهو بين أنبياء بنى اسرائيل موسى وغيره من أنبيائهم وكذلك المسيحى إذا أسلم سيجد نفسه مع قصة مريم ابنة عمران وابنها المسيح والنبى يحيى عليهم السلام .

ثم ينعى على الصهيونية العالمية فيقول : من الاجرام وقد عاش اليهود فى أحضان العرب والمسلمين مكرمين بعد طردهم من أسبانيا فى القرن الخامس عشر أن تبدأ مناوراتهم الدنيئة ، وأن يقابل كرم الضيافة العربى بهذا اللؤم وبهذه الخدع ، وأنه شخصياً يعتقد أن شر ما ابتليت به اليهودية هو الصهيونية وعن السلام الذى ينشده العالم يتمنى من كل قلبه أن تأخذ الأمم بتعاليم الإسلام فإنها خير وسيلة لإحلال السلام على الأرض محل البغضاء التى بين الشعوب فتحية المسلمين هى السلام وصلاتهم كلها سلام وجنة الإسلام السلام وكل صغيرة وكبيرة فيه تشتمل على السلام ، والسلام إذا انتشر بين الشعوب كفى الإنسانية العداوة والبغضاء[7].

ولقد أسلم من النصارى فى عهد النبوة كثير منهم سلمان الفارسى وعدى بن حاتم ووفد الحبشة الذين أرسلهم النجاشى إلى النبى – ﷺ – ليسمعوا كلامه ويروا صفاته ، فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبروه[8] وفيهم نزل قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾

سورة المائدة

(٧) جريدة الأهرام القاهرية سنة ١٩٥٩ .

(٨) مختصر تفسير ابن كثير لمحمد على الصابونى المجلد الأول فى تفسير سورة المائدة .

عبدالله الترجمان

اهتدى ذلك المسيحى إلى الإسلام فى بداية القرن التاسع الهجرى ويقول عنه المستشرق الأسبانى (آسين بلاثيوس) أنه كان قبل إسلامه قسيساً يدعى (إنسلم تورميدا) Encelm Turmeda ويحكى صاحب هذه الترجمة عن نفسه أنه ولد ونشأ فى مدينة ميورقة فى جزر البليار شرق الأندلس ولما بلغ من العمر ست سنين أرسله والده إلى أحد رجال الدين المسيحى فقرأ عليه الأنجيل مدة سنتين كما تعلم على يديه لغتها مدة ست سنين .

ثم ارتحل منها إلى (مدينة لاردة) من (أرض القطلان) وتقع غربى (مدينة برشلونة) ويسمونها مدينة العلم الدينى المسيحى هناك لما يجتمع فيها من طلبة العلم الدينى فقرأ على علمائها هناك مدة ست سنين أيضاً ثم انتقل منها بعد ذلك إلى (مدينة بانوليه) ليستكمل فيها العلم على يد كبير أساقفتها فى كنيسته ويدعى (نقلاد مرتيل) وهو وان كان طاعنا فى السن لكنه اشتهر بعظيم المنزلة عندهم فقرأ عليه علم أصول المسيحية وأحكامها وأخذ يتقرب إليه بخدمته والقيام بكثير من وظائفه حتى جعله أخص خواصه فدفع إليه مفاتيح مسكنه وكذا خزائن طعامه ومأكله واستمر على هذه الحال مدة عشر سنين .

ثم حدث ان مرض ذلك الأسقف الكبير (نقلاد مرتيل) فتخلف عن مجلس قراءته فأخذ الحاضرون من تلاميذه يتذاكرون مسائل من العلم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قوله فى انجيل يوحنا (ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب[9] فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق)[10] وكانت الترجمة الأسبانية للمعزى باسم (البارقليط) فبحث التلاميذ الحاضرون عمن يكون هذا النبى فكثر جدلهم وعظم منهم مقالهم ثم انصرفوا من غير تحصيل أى فائدة عن تلك المسألة .

وبعد انصراف أولئك التلاميذ توجه (انسلم تورميدا) إلى مسكن أستاذه المريض الأسقف (نقلاد مرتيل) وأخبره باختلاف القوم فى اسم البارقليط وكلام كل منهم فرد عليه الأسقف أن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا العلماء الراسخون فى العلم وأن هؤلاء التلاميذ لم يحصلوا من العلم إلا القليل .

فما كان من التلميذ (انسلم تورميدا) إلا أن بادر إلى قدميه يقبلهما طالباً منه معرفة صاحب ذلك الاسم الشريف فبكى الأسقف الشيخ وقال له (اعلم يا ولدى أن (البارقليط) هو اسم من أسماء نبى الإسلام محمد ـ ﷺ ـ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال فى سفره فقد أخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه ، وأن دينه دين الحق ، وملته هى الملة البيضاء المذكورة فى الانجيل) فبادره تلميذه (انسلم تورميدا) بسؤاله (إذاً ما تقول فى دين المسيحية ؟ فأجابه الأسقف الشيخ بقوله يا ولدى لو أن المسيحيين أقاموا على دين المسيح الأول لكانوا على دين الله ؛ لأن المسيح وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى ، ويقصد فى ذلك عقيدة توحيد الله تعالى وأن المسيح بشر رسول[11] .

فقلت له وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟ فقال : بالدخول فى دين الإسلام وعندئذ ينجو المرء فى الدنيا والآخرة ، وإن الله تعالى لم يطلعه على حقيقة ما أخبره به ، من فضل دين الإسلام وشرف نبيه إلا بعد كبر سنه وضعف جسمه لكن حجة الله عليهم قائمة ولو كان علم ذلك فى شبابه لخلص إلى بلاد المسلمين وانتظم تحت راية الإسلام ومع ذلك فهو على دين المسيح يكتمه فى نفسه ولا يعلم ذلك إلا الله تعالى .

ثم طلب الأسقف الشيخ من تلميذه أن يعاهده على كتمان هذا الأمر وألا يبوح به لأى أحد وزوده بخمسين ديناراً ذهباً لتعينه فى سفره إلى بلاد المسلمين وكانت وجهته إلى تونس فلما وصل إليه اتصل بطبيب سلطانها

---

(٩) الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا عدد ١٥ ، ١٦ ، ١٧ من العهد الجديد لكتاب النصارى المقدس عندهم .

(١٠) انظر كتاب الانجيل والصليب تأليف الأب عبدالأحد داود الآشورى العراق (باب الانجيل يبشر بملكوت الله) المحفوظ بدار الكتب المصرية ففيه يذكر أن الآب تعنى فى كتب التوراه موجد كافة الموجودات ومكون كل الكائنات ومعطى الثمر وهو الله .

(١١) من الثابت تاريخياً أن المسيحيين اعتنقوا عقيدة الثالوث فى القرن الرابع الميلادى سنة ٣٢٥ م بعد انعقاد مؤتمر نيقيه المسكونى .

وحرر رسالته التى تحكى قصته المشار إليها(١٢)

زكى النجار وقد تسمى بعد إسلامه محمد زكى الدين النجار

كان من المسيحيين الذين عاشوا فى صعيد مصر بداية هذا القرن من زماننا المعاصر فإقامته كانت بمدينة (طهطا) من أعمال (محافظة سوهاج) ولما كان بطبيعته يميل إلى البحث والتنقيب درس الكتاب المقدس عند أهل الكتاب بعهديه القديم والجديد دراسة جيدة ، ثم اطلع على القرآن الكريم ، وعندئذ استبان له الحق ، فدخل فى دين الاسلام وحرر رسالة فى ذلك نشرها فى نهاية الأربعينات نقتطف منها بعض العناصر التى أنارت له طريق الهداية فيقول :

١ ـ ان الله خلق المسيح عيسى بن مريم بكلمة كن التى صدرت عنها جميع العوالم التى خلقها الله والدليل على ذلك قوله فى سفر التكوين أول أسفار العهد القديم (وقال الله ليكن نور فكان نور)(١٣) وقوله أيضاً فى نفس السفر (وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه)(١٤) .

٢ ـ اشارة الى التحول الخطير فى النبوة ونزعها من فرع اسحق بن ابراهيم وتثبيتها فى فرع اسماعيل بكر ابراهيم عليهم السلام أرسل أمام سيدنا محمد ﷺ وهو من فرع اسماعيل ثلاثة أنبياء فى وقت واحد جعلهم الله سفراء أمامه إعلاما بقرب شروق شمس النبوة المحمدية وانبلاج دعوته وشريعته بوصفها خاتمة شرائع السماء وهؤلاء الأنبياء الثلاثة المشار إليهم هم زكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام .

٣ ـ وقد صرح سفرحزقيال من أسفار العهد القديم بنهاية النبوة من بنى اسرائيل ونقلها إلى الفرع الآخر من أولاد ابراهيم عليه السلام وهو فرع اسماعيل وهذا واضح فى قوله (إنى أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ورفعت الشجرة الوضيعة ، وأيبست الشجرة الخضراء وأفرخت الشجرة اليابسة أنا الرب تكلمت وفعلت)(١٥)

٤ ـ وردت البشارة بمبعث سيدنا محمد ـ ﷺ ـ فى انجيل يوحنا من أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس عند أهل الكتاب وذلك فى قوله (وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته)(١٦) وعبارة المعزى الروح القدس جاءت فى النسخة اليونانية **Hepikatoz** وذلك ترجمته حماد وأحمد فهو ﷺ أحمد وأمته هم الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ومفتاح صلاتهم الحمد(١٧) .

والنسخة اليونانية هى الأصل وعنها ترجمت أسفار العهد الجديد إلى جميع لغات العالم .

وبعـــد

فرسالة نبى الإسلام محمد ﷺ هى امتداد وخاتمة أديان سماوية شريفة عميقة القدم لكنها متفقة فى الجوهر نظيفة اللباب واضحة الهدف وهو ـ ﷺ ـ إذ يعلن أن عقيدة التوحيد لله ـ جل وعلا ـ أعز وأغلى ما يحرص عليه المؤمن الصادق إنما يجدد تعاليم أولى العزم من المرسلين : نوح وإبراهيم وموسى والمسيح عيسى بن مريم عليهم السلام . قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(١٨) ولما قال سبحانه أنه منح موسى عليه السلام التوراه ثم منح المسيح عليه السلام الانجيل قال لمحمد ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة ٤٨ .

لذلك فإن حقائق التوراه والانجيل الجديرة بالاتباع موجودة فى القرآن فهو الرقيب والمسيطر على سائر الكتب السماوية التى تقدمته ، وهو فقط المرجع السماوى الصحيح الذى ضمن الله حفظه من التحريف والتغيير والتبديل إلى يوم القيامة قال جل وعلا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر ٩ .

(١٢) كتاب تحفة الأديب فى الرد على أهل الصليب للقس انسلم تورميدا تحقيق وتعليق الدكتور محمد على حماية الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ تنشره دار المعارف بالقاهرة .

(١٣) سفر التكوين الاصحاح الأول عدد ٣ .

(١٤) السفر السابق عدد ٦ .

(١٥) سفر حزقيال اصحاح ١٧ عدد ٢٤ .

(١٦) انجيل يوحنا الاصحاح ١٤ عدد ٢٦ .

(١٧) كتاب الاسلام نور الأكوان لمرحوم محمد زكى الدين النجار .

(١٨) سورة الشورى ١٣ .

أولى أمهات المؤمنين

مناقب السيدة خديجة

[إذا ذكرت رسالة المصطفى – ﷺ – وذكرت معها الأيام العصيبة التي مرت به – ﷺ – فإن السيدة خديجة – رضوان الله عليها – تذكر ، إذ هي النفحة الطيبة ، والنسمة الرطبة العاطرة وسط هذه الأجواء العاصفة] .

للأستاذ عبد المنعم محمد عمر

إن أول ما ينبغى أن نبدأ بالحديث عنه هو ذكر بعض النواحى التى شملتها بها العناية الإلهية من رعاية ، وما خصتها به طوال حياتها من عناية .

إن العناية الربانية وحدها هى التى اختارتها لتكون شريكة حياة « محمد بن عبد الله » خاتم الأنبياء والمرسلين - ﷺ - وهيأتها لأن تكون وزيرة مخلصة تقف بجواره عند الشدائد ، وتقوى من عزيمته ، وتشحذ من همته ، منحتها العناية الإلهية رجاحة العقل ، ونبل الأخلاص ، وطهرت سيرتها طوال الأربعين عاما التى سبقت زواجها منه حتى أعجبت بها مكة كلها ، ولقبها الناس بـ « الطاهرة » . وأرادت لها السماء أن تمارس بنفسها الإشراف على تجارتها الواسعة ، فتعلمت منها الصبر والقدرة على الصمود ، والحزم عند اتخاذ القرار ، ولذلك وقفت بجوار زوجها لم تهن لحظة ، ولم يفتر حماسها فى الدفاع عن دين الوحدانية ، ولم تبخل فى سبيل ذلك بجهد أو مال ، صمدت عندما هبت العاصفة التى أثارتها الأرستقراطية الوثنية على هذا الدين وعلى النبى - ﷺ - الذى كان يبشر به ، ولم يتأثر إيمانها عندما زلزل الطغاة بتعسفهم وجبروتهم إيمان بعض من دخل فى هذا الدين ، فكانت تتقى كيدهم بعقلها الراجح حينا ، وبحنان الأم الملهمة حينا آخر ، وبحب الزوجة المؤمنة العفيفة إذا ادلهم الخطب ، وازداد الكرب ، كانت تواجه إسراف الطغاة ، ولم تنحن أمام عنفهم .

والعناية الإلهية هى التى جعلتها بادئ ذى بدء ترفض كل من تقدم من أشراف قريش وأغنيائها للزواج منها ، ثم قضت العناية الربانية أن تختار « محمد بن عبد الله » عليه الصلاة والسلام ليتاجر لها فى أموالها ، ويشرف على قافلتها الذاهبة إلى الشام . والقضاء والقدر وحده هو الذى جعل الإعجاب بأمانة « محمد » - ﷺ - وخلقه الكريم يتسربان إلى نفسها رويدا رويدا حتى دفعها الإعجاب والتقدير إلى عدم التقيد بعادات الجاهلية وتقاليدها ، فتختاره زوجا لا يمتاز بالمال الوفير ، ولا يعتز بكثرة الأتباع ؛ ولكنه كان يمتاز بالخلق الكريم حتى عرفه أهل مكة جميعا بلقب : « الأمين » .

قادها التفكير السليم إلى أن أصبحت رائدة من رواد تقرير حق المرأة كاملا فى اختيار شريك حياتها .

والعناية الإلهية وحدها هى التى ألهمتها عدم الوقوف فى سبيله عندما أراد أن يذهب إلى غار حراء حيث يبقى هناك شهرا كاملا كل عام ليخلو فيه لنفسه ، ويتعبد فيه لربه خالق كل شىء ، بعيدا عن أصنام مكة وما كان منتشرا فيها من لهو ومجون وعبث وفجور ؛ بل لم تكتف بذلك ، بل إن بعد نظرها جعلها تشجعه عليه ، وتنهض بنفسها لإعداد كل ما يلزم له أثناء غيابه عنها من مأكل ومشرب .

والعناية الإلهية وحدها هى التى جعلتها تترك لزوجها أمر العناية بأموالها ، وتصريف أمور تجارتها بعقله الراجح وأمانته المعروفة .

فقد كان المال فى يده يربو كلما أنفق منه فى وجوه الخير والبر .

وقد أراد الله الذى لا يضيع أجر المحسنين ، أن يكرم هذه الزوجة النبيلة المخلصة فأمر كبير ملائكته أن يقول لخاتم الأنبياء والمرسلين - ﷺ - : « يا محمد ، هذه خديجة قد أتتك بإناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى » ، وهو إكرام قابلته بالشكر والعرفان ، فردت على الفور بقولها : « الله هو السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام »(١) ، وهو رد على البديهة يدل على ما حباها الله به من ذكاء وفطنة ، وما وهبها من لباقة ألهمتها أن تعظم الله فى ردها بما هو أهله ، وأن تسأله السلام والأمان ، وأن تشكر جبريل لتبليغها ما أفاء الله عليها من نعمة وفضل .

والله سبحانه ، هو الذى هداها إلى أن تنشر فى بيتها جوا من الهدوء والحنان والمحبة ، فوجد فيه النبى الكريم وآل بيته راحة النفس ، وهناء العيش بجانب الاستقرار

---

(١) ورد فى كثير من كتب الحديث مع خلاف يسير فى بعض الألفاظ ، والنقل هنا عن محب الدين الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ، الطبعة الثانية ، مكتب التراث الإسلامى بحلب ص ٢٦ - ٢٧ ، وأنظر البخارى جـ ٦ الحديث رقم ٣٤٠٢ ص ١٦٤ .

الذى ينشده كل زوج مكافح ، فلم يقابله فيه يوما ما ينغص عليه عيشه ، ولم يجد فيه ما يعوق تأدية رسالته الإلهية ، بل وجد فيه كل ما يعينه على تبليغها ، وما يشد من أزره ويقوى من عزيمته على الدعوة إليها ، كما وجد بجواره من يعاونه على تذليل العقبات التى تعترض سبيل نشرها ، ولذلك فقد أعلى الله منزلتها ، فأمر رسوله — ﷺ — أن يبشرها ببيت فى الجنة من لؤلؤ ، يسوده الهدوء ، تجد فى ربوعه راحة البال ، وهناءة العيش ، وسعادة النفس ؛ فقد ورد عن نبى الله — ﷺ — قوله : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب »(٢) .

وكان من إكرام الله لها أن وهبها من رسول الله — ﷺ — الذرية الصالحة ، وبارك لهما فيها ، فامتدت جذورها ، واستطالت فوق الأرض جذوعها ، وامتدت فى الأقطار الإسلامية فروعها ، وظلت تتوالد جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن حتى عصرنا هذا تحمل اسم نبى الله « محمد بن عبد الله » — ﷺ — ، واسم زوجته الأولى « أم المؤمنين خديجة بنت خويلد » رضوان الله الكريم عليها .

ولابد لنا أن نتذكر أن خاتم الأنبياء والمرسلين ولد يتيم الأب ، ثم فقد أمه « آمنة بنت وهب » وهو ما يزال فى السادسة(٣) من باكورة طفولته ، ففقد رعاية الأب وحنان الأم وعطفها ، وقد عوضه عطف جده « عبد المطلب » ، ورعاية « عمه أبى طالب » ما فقد من رعاية أبيه ، وظل « أبو طالب » ينشر عليه مظلة حمايته حتى وفاته عندما جاوز « محمد » عليه الصلاة والسلام الخمسين من عمره ، ولكن « محمدا » — ﷺ — ظل طوال حياته يذكر أمه ، ولم يجد من الحنان والرعاية فى طفولته وبداية شبابه إلا ما كانت توليه إياه « فاطمة بنت أسد » الهاشمية زوجة عمه وأم « على بن أبى طالب » فقد ألقى الله فى قلبها حب النبى العظيم فعوضته بعض ما فقد من حنان الأم ؛ وقد ظل النبى الوفى يذكر لها ذلك فقال عنها : « إنه لم يكن بعد (أبى طالب) أبرَّ بى منها »(٤) ؛ ولكنها كانت تنوء بالنهوض بإدارة بيت زوجها سيد بنى هاشم ، وبما كانت تحمل من أعباء رعاية العدد الكبير من عيالها .

وعندما بلغ « محمد » الحلم وبدأ يكتسب رزقه عاش فقيرا يكد ويتعب ليكسب قوته فى رعاية الغنم لأغنياء أهله عند أجياد بالقراريط(٥) ، وكان كثيرا ما يتغذى بثمار شجر الأراك ، فكان يجتنى ما طاب واسود منها(٦) ، فى حين كان أنداده من أغنياء شباب قريش يبكرون بالزواج من زهرات قريش بعد تقديم الصداق المناسب ، وقد ظل حتى الخامسة والعشرين من عمره لا يملك ما يقدمه مهرا لواحدة منهن إلى أن قيض الله له « خديجة بنت خويلد » ، وقد أدركت بذكائها وفطنتها وشفافية روحها ما « لمحمد بن عبدالله » من كرامة بشر بها الكهان وأحبار اليهود ورهبان النصارى مما جعلها تؤمن أن السماء توشك أن ترسل إلى الناس من يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويهديهم صراطا مستقيما ، وذلك ما أكده بعد ذلك « ورقة بن نوفل » فالبشائر تدل على أن « محمداً » هو النبى العربى المنتظر ، ولذلك فقد ضربت بعادات الجاهلية الموروثة عرض الحائط ، وتقدمت فخطبته لنفسها وكفته بذلك مؤونة البحث عن رفيقة حياته ؛ ثم أخلصت له بعد الزواج فكانت زوجة وفية ، وأنيسة رقيقة ، وأما عطوفاً ، فعاشا — قبل النبوة — خمسة عشر عاما ، ذاقا خلالها حلاوة العيشة الهنية ، يسودها الإخلاص والاحترام المتبادل ، ونعما فيها برغد العيش ؛ مما أنعم الله به عليه ، وذكره به فى القرآن الكريم بقوله :

---

(٢) ورد فى كثير من كتب الحديث ، وأنظر المرجع السابق : السمط الثمين ص ٢٧ — ٢٨ ؛ والبخارى جـ ٦ ص ١٦٢ — ١٦٤ الحديثين رقم ٣٣٩٨ — ٣٨٩٩ .

(٣) متفق عليه وانظر ابن سعد : الطبقات جـ ١ القسم الأول ص ٧٣ .

(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، المجلد السابع فى ترجمة فاطمة بنت أسد برقم ٧١٦٨ .

(٥) ابن سعد : الطبقات عند ذكر رعيه الغنم — ﷺ بمكة جـ ١ ، القسم الأول ص ٨٠

(٦) المرجع السابق .

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ (الضحى ٦)

ووهبه الله منها فى تلك الفترة الذرية الكريمة التى أصبحت لهما منبعا من منابع السعادة طوال حياتهما.

كان «محمد» - ﷺ - فى شبابه عف النفس، طاهر الذيل لم يعرف قبل «خديجة» امرأة أخرى، فتزوجها وهو فى عنفوان شبابه فى الخامسة والعشرين من عمره وكانت هى فى الأربعين، فلما كان فى الأربعين، اختاره الله للناس نبياً هادياً ومبشراً ونذيراً، فسارعت خديجة إلى مساندته، وأزالت بحكمتها وحنانها ما لقيه من جهد، وأذهبت عن نفسه ما حل بها من أذى، وصدقته وآمنت بما جاء به من ربه، فكانت بذلك أول من آمن به، وأول من صلى خلفه. وعندما عصفت عاصفة الحقد والكراهية التى أثارها زعماء الأرستقراطية الوثنية وقفت إلى جواره تتلقى معه كيدهم فى جلد وصبر، ويتغلبان بحكمتهما وعزيمتهما على دسائسهم وحماقاتهم «فكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله عنه بها، فكانت تثبِّته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه مايلقى من قومه»[7] فخفف الله بذلك عنه حمل بعض أعباء الرسالة، ومضى فى سبيله وهى تشد من أزره طوال عشر سنوات كاملة، كانت فى بدايتها قد بلغت الخامسة والخمسين، واستمرت فى كفاحها بجانبه حتى الخامسة والستين، ممتعة بجمال الروح، وقد زانها الإيمان بالله والثقة برسوله، فزاد حبه لها، ولم يفكر برهة فى أن يطلب السعادة عن طريق الزواج من غيرها ولم يسمح له وفاؤه أن يتسرى حتى لا يشرك فى حبه «لخديجة» امرأة أخرى.

ولما انتقلت أم المؤمنين «خديجة» إلى جوار ربها كان رسول الله - ﷺ - قد جاوز الخمسين من عمره، وعاش بعدها حوالى أكثر من عشر سنوات تزوج فى خلالها خمس سيدات قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة من بنى إسرائيل[8]، وقد زفت إليه منهم واحدة فقط بكراً، بينما كانت الأخريات ثيبات، وكذلك قبل الرسولُ الكريم «مارية» القبطية هدية من «المقوقس» عظيم أقباط مصرو ورزق منها بابنه «إبراهيم». وكان من بين العشر من نسائه من عرفت بالذكاء، والجمال، والفطنة، وأصالة الرأى، وكمال الدين، وكانت «أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر» رضى الله عنها من أحبهن إلى نفسه، وكانت تساميها فى الحظوة عنده «أم المؤمنين زينب جحش» رضى الله عنها ابنة عمته «أميمة» وقد وصفتها «عائشة» بذلك فقالت: «هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى - ﷺ - فى المنزلة عند رسول الله - ﷺ - ولن أر امرأة فى الدين خيراً من «زينب» وأتقى عند الله - عز وجل - وأصدق حديثا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة..»[9]؛ ولكن النبى - ﷺ - كان لا يفتأ يذكر أم المؤمنين الأولى «خديجة بنت خويلد»، ولا يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها[10] حتى إن «أم المؤمنين عائشة» - رضى الله عنها - وهى الزوجة الوحيدة التى زفت إليه وهى بكر بعد وفاة خديجة بحوالى خمس سنوات[11]، كانت تغار من كثرة ثنائه وشدة وفائه «لخديجة» وذلك برغم أنها كانت من أحب نسائه إليه فقد روى عنها قولها: «ماغرت على امرأة ماغرت على «خديجة»، ومابى أن أكون أدركتها؛ ولكن كان ذلك لكثرة ذكر رسول الله - ﷺ - إياها، وإن كان ليذبح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن»[12] ورُوى عنها كذلك قولها: «ماغرت على أحد من نساء النبى - ﷺ - ماغرت على «خديجة»، ومارأيتها، ولكن كان رسول الله - ﷺ - يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة؛ وربما قلت: كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا «خديجة»، فيقول إنها كانت

---

(٧) ابن هشام: السيرة، وابن عبدالبر: الاستيعاب فى ترجمة خديجة وكذلك ترجمتها عند ابن حجر: الإصابة.

(٨) متفق عليه وأنظر محب الدين الطبرى: السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٥ - ٦.

(٩) المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤.

(١٠) متفق عليه وانظر المرجع السابق ص ٢٨ - ٢٩.

(١١) متفق عليه وأنظر المرجع السابق ص ٣٦.

(١٢) المرجع السابق ص ٣٠

وكانت ، وكان لى منها الولد»[١٣] وقالت فى مناسبة أخرى : إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها عندما غارت على خديجة فأغضبته : «إنى رُزقت حبها»[١٤] . وكان نبى الله ـ ﷺ ـ دائم الذكر «لخديجة» والثناء عليها ، فقد روت ذلك «عائشة» قائلة : «كان رسول الله ـ ﷺ ـ لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة» فيحسن الثناء عليها ، فأدركتنى الغيرة فقلت : وهل كانت إلا امرأة عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها ؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال : «لا ، والله ما أبدلنى الله خيرا منها : آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الولد إذ حرمنى أولاد النساء» . فقالت عائشة : «فقلت فى نفسى : لا أذكرها بسيئة أبداً»[١٥] .

وكان النبى الوفى بجانب حبه لها ، يحترمها ، ويقدر لها الدور الكبير الذى نهضت به فى خدمة الإسلام ، وقد وصفها للكثير من أصحابه أنها من خير نساء العالمين ومن أفضلهن ، فقد روى «على بن أبى طالب» أنه سمع رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة»[١٦] . وروى «ابن عباس» أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية»[١٧] وعن «أنس» أن النبى الكريم قال : «حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون»[١٨] .

ومن أمثلة الوفاء لذكرى أم المؤمنين «خديجة» ، أن ماشطتها ، وكانت تدعى «أم زفر» ، وفدت على نبى الله ـ ﷺ ـ وهو فى «المدينة المنورة» ، فأكرم وفادتها ثم قال : «هذه كانت تغشانا فى عهد «خديجة» ، وإن حسن العهد من الإيمان»[١٩] .

ومن أروع للأمثلة التى ضربها الرسول الكريم وفاء لذكرى أم المؤمنين «خديجة» ، أنه فى العام الثامن للهجرة ، وبعد وفاتها بنحو إحدى عشرة سنة ، حين ولى «الزبير بن العوام»[٢٠] قيادة خيل المهاجرين والأنصار القادمين لفتح مكة ، أعطاه رايته ، وأمره أن يغرزها بأعلى «مكة بالحجون» ، وقال له : «لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتى حتى آتيك»[٢١] ، فلما وصلت خيل «الزبير» إلى الحجون قال له «العباس بن عبدالمطلب» : «يا أبا عبدالله ، ها هنا أمرك رسول الله أن تركز الراية»[٢٢] ، وهناك بالحجون حيث كانت ترقد أم المؤمنين «خديجة» فى قبرها ، ارتفع علم رسول الله ـ ﷺ ـ ، وضربت للرسول الأعظم قبته حيث اتخذ له مكانا للقيادة يدير منه معركة الفتح الأعظم[٢٣] ، ويشرف وهو بالقرب من قبرها على سير الحوادث . ومن هنا دخل أم القرى يوم نصر الله عبده ، وأعز جنده ، وهزم مشركى الارستقراطية الوثنية ــ وحده ــ ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانتصر دين التوحيد بالله على كل أنواع الشرك ، وكُسِّرت الأوثان ، وطهر البيت الحرام وما حول الكعبة المشرفة من الأصنام ، وتلا رسول الله ـ ﷺ ـ قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء ــ ٨١)

---

(١٣) المرجع السابق ص ٢٩ ــ ٣٠ وأنظر البخارى جـ ٦ الحديث ٣٤٠٠ ص ١٦٣ .
(١٤) السمط الثمين ، ص ٣٠ .
(١٥) ابن عبدالبر : الاستيعاب : ترجمة خديجة وكذلك ابن حجر فى الإصابة والسمط الثمين .
(١٦) محب الدين الطبرى : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ص ٣١ عن الشيخين وصححه الترمذى .
(١٧) المحب الطبرى المرجع السابق ص ٣١ ــ ٣٢ .
(١٨) المرجع السابق ص ٣٢ وقد ذكر محب الدين الطبرى أنه استقى الأحاديث السابق ذكرها من كتب الصحاح المختلفة .
(١٩) الوفاء بأحوال المصطفى ، جـ٢ صـ٦٤٦ .
(٢٠) الزبير بن العوام هو ابن أخى السيدة خديجة .
(٢١) الطبرى : التاريخ عند ذكر أحداث السنة الثامنة جـ ٣ ص ٥٥ ــ ٥٧ .
(٢٢) صحيح البخارى نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جـ ٧ ص ٧ ــ ٩ ، الحديث ٣٧٢٥ ؛ والطبرى : المرجع السابق .
(٢٣) الطبرى : التاريخ ، المرجع السابق .

سعيد بن زيد

أحد السابقين الأولين

أ.د. عبد العزيز غنيم

كان العرب فى الجاهلية مشركين يعبدون ما ينحتون . وكانت لهم أعراف وعادات ينفر منها الفكر السديد والعقل الرشيد . وكان زيد بن عمرو أحد الحنفاء الذين أنكروا على قومهم خاصة وعلى العرب كافة هذه الطقوس الدينية والأعراف الاجتماعية فكان يأبى أن يسجد للأصنام ويقول كيف ننحتها بأيدينا [١] ونطأطىء لها رؤوسنا ووجوهنا . وكان إذا رأى رجلاً يحفر التراب ليوارى فيه إبنته [٢] وهى على قيد الحياة يأخذها من بين يديه فيغذوها ويكسوها . فإذا نمى عودها وأكتمل نموها خيره بين إعادتها إليه وتركها عنده حتى تزف إلى من يتزوجها وينقلها إلى بيته وبين مضارب أهله وعشيرته . وكان إذا رأى شاة تذبح على النصب قال . أينزل الله لها الماء من السماء وينبت من أجلها الحبة والكلأ . ثم لا يذكر عليها اسمه ويأبى أن يتناول منها شيئاً . وكان ورقة بن نوفل يرى رأيه هذا فيما كان عليه قومه من العادات والعبادات فتوثقت بينهما روابط الإلف وقويت وشائج المودة والمحبة وغادرا مكة [٤] معاً يبحثان عن دين يكون خيراً لهما من دين قومهما .

(١) ابن سعد . الطبقات الكبرى . جـ٣ ـ ص ٣٧٩ . ط/ دار بيروت للطباعة والنشر .

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى . جـ٣ ـ ص ٣٨١ .

(٣) مرجع سبق ذكره ـ ص ٣٨٠ .

(٤) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٣ . ط/ دار الفكر ـ بيروت .

وفى أرض الشام لقيا علماء يهود وتباحثا وإياهم حول اليهودية فاعتنقها ورقة وأبى زيد لأنه رأها لا تقل فساداً عما كان عليه قومه . وانطلقا معاً حتى لقيا القساوسة والرهبان وتباحثا وإياهم حول النصرانية فارتد ورقة عن ديانة يهود وانضوى تحت ألوية النصارى وبقى زيد بن عمرو كما هو وقال لأحد القساوسة وهو يحاوره قومى مشركون وأنتم كذلك . والفرق بينكما أنكم نسبتم إلى الله ولداً ذكرا . فقال له القسيس وكان فى إحدى كنائس الموصل والله إنى لأعلم ما تطلب قال زيد وما أطلب : قال تطلب ملة إبراهيم وإسماعيل . عد إلى أرضك فإن نبياً عربيا من ولد إسماعيل سوف يبعث فى هذه البلاد فاتبعه وادخل فيما يدعو إليه . وعاد زيد إلى مكة ينتظر ظهور هذا النبى ويعبد الله على ملة إبراهيم ويصرخ فى قومه قائلا وقد أسند ظهره إلى جدار الكعبة . يا معشر قريش والله لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه والله ما أحد منكم على دين إبراهيم غيرى . ولما طال إنتظاره لظهور النبى الذى حدثه عنه الراهب وخشى أن ينفذ عمره قبل أن يلقاه أفضى بما فى نفسه إلى عامر بن ربيعة(٥) وكان له صديقاً فقال له : (يا عامر إنى خالفت قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده . وكانوا يصلون إلى هذه القبلة فأنا انتظر نبيا من ولد اسماعيل يبعث ولا أرانى أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبى . فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام . قال عامر فلما تنبأ رسول الله -ﷺ- أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله -ﷺ- وترحم عليه وقال : « قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولاً » . وقد يفهم من هذا الخبر أن زيد بن عمرو لم ير رسول الله ﷺ وليس كذلك فقد عاش الرجل حتى هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءها(٢) وقد كان هذا قبل مبعثه صلوات الله عليه بخمس سنين . وجاء فى أكثر من رواية أن زيد بن عمرو رأى رسول الله ﷺ فى بلدح(٣) وأمامه سفرة فيها لحم فدعاه ليأكل منها فاعتذر إليه قائلاً يا ابن أخى إنى لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. أو قال أنا لا آكل مما ذبح على النصب . قال الراوى(٤) فما رؤى النبى ﷺ من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث .

فى بيت هذا العبد الصالح والأب الصالح ولد سعيد بن زيد وعلى يديه نمى وترعرع ومن علمه وفكره تأدب وتثقف وما أشك فى أنه قد آثر ما آثر أبوه وعادى ما عادى فأحب التوحيد وكره الشرك وعبد الله دون غيره من الحجر والشجر والشمس والقمر وغيرها مما كان عليه الناس فى مكة وما سواها من البوادى والقرى . وما أشك كذلك فى أن أمه فاطمة بنت بعجه قد نسجت على هذا المنوال نفسه وشاركت زوجها زيد ابن عمرو فيما كان يحبه ويبغضه من العادات والعبادات ـ وقد يكون هذا هو السبب الذى من أجله أسلم سعيد وأمه فاطمة قبل أن يجلس النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم(٥) وقد يكون هذا هو السبب كذلك فى إعتناق فاطمة بنت الخطاب وأخت عمر الفاروق للإسلام فور إسلام زوجها سعيد وأمه . فقد كان البيت الذى انتقلت إليه بيت هدى ونور . وكان سعيد وأبوه من قبله مثلاً يضرب فى سداد الفكر وقوة العقل والقدرة التى لا حد لها فى الكشف عن الحق والوسائل الكفيلة بالوصول به إلى أعماق النفس وأغوار الفؤاد . ويقول المؤرخون وكتاب السير إن سعيداً هذا وزوجه فاطمة قد كانا أحد الأسباب(١) التى من أجلها إنقاد عمر رضى الله عنه للإسلام وانضوى تحت لواء النبى عليه الصلاة والسلام . فقد جاء فى أكثر من رواية . أن عمر قد تقلد سيفه وقصد الى النبى عليه الصلاة والسلام يريد

(٤) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ، بن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٤ .

(١)ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٧٩ .

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨١ .

(٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٠ .

(٤) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥٢٤ .

(٥) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ . ط/ دار الفكر ـ بيروت .

(١) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ جـ١ ـ ص ٢٩٥ . ط/ مكتبة الكليات الأزهرية .

قتله وأنه قد إنصرف عن هذا القصد عندما إعترضه رجل فى طريقه وقال له إلى أين يا بن الخطاب . قال : إلى هذا الذى سب آلهتنا وعاب أباءنا وأجدادنا إلى محمد أقتله وأريح الناس من شره . قال له : أتظن أن بنى عبد مناف يتركونك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً . إذهب إلى أختك وختنك فأعدهما إلى دينك ثم إقض ما أنت قاض . وانطلق عمر إلى دار سعيد وما أن دخلها حتى طرح صاحبها أرضاً وجثم على صدره ورأت أخته ذلك منه فأسرعت إلى زوجها تخلصه فلطمها عمر لطمة أدمت وجهها . فلما رآها تبكى رق لها وطلب منها إحضار الصحيفة التى كانت تقرأها فقالت إنك مشرك نجس وإن القرآن لا يمسه إلا المطهرون . فقام عمر فاغتسل ثم تناول الصحيفة وما إن أخذ فى قراءتها حتى انبثق نور اليقين فى قلبه وسأل عن النبى عليه الصلاة والسلام فأخبر أنه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فهرول إلى الدار حتى دخلها وأعلن إسلامه وقد قرب الحق بين عمر وختنه وقوى وشائج الود بينهما . وصحب سعيد حتى جلسا بين يدى النبى[٢] صلوات الله وسلامه عليه وراح سعيد يحكى قصة أبيه ورحلته فى البحث عن الدين الحق . والنبى عليه الصلاة والسلام يصغى إليه فلما انتهى أثنى صلوات الله عليه على زيد بن عمرو . وذكر أنه من أهل الجنة وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده[٣] . ولما أذن النبى صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة . هاجر سعيد وزوجه فاطمة ونزل على رفاعه[٤] بن المنذر أخى أبى لبابة . ولما آخى صلوات الله عليه بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين رافع[٥] بن مالك الزرق .

ويقول المؤرخون وكتاب السير إن سعيداً هذا قد شهد المشاهد كلها مع النبى عليه الصلاة والسلام فلم يتخلف عن غزوة ولم يغب عن مشهد . اللهم إلا غزوة بدر . وقد أختلف العلماء فى السبب الذى من أجله تخلف عنها فذهب[١] فريق إلى أن النبى ﷺ قد بعثه هو وطلحه بن عبيد الله عينين له يرصدان عير قريش . فطال غيابهما فخرج صلوات الله عليه حتى أتى بدراً . وقاتل المشركين فيها وعاد سعيد وصاحبه إلى المدينة فى اليوم الذى دارت فيه رحى هذه المعركة فخرجا يقصدانه فلقياه فى الطريق عائداً . فأسهم لهما صلوات الله وسلامه عليه وأعطاهما أجرهما واعتبرهما كأنهما شهدا الوقعة . وذهب فريق[٢] آخر إلى أن سعيداً قد كان غائباً فى الشام فلما عاد أسهم له النبى وأعطاه أجره . والرواية الأولى فيما أرى هى الصحيحة لا لأنها أقوى سنداً من أختها وحسب ولكن لأنها تميط النقاب عن العلة التى من أجلها أسهم النبى عليه الصلاة والسلام لسعيد فى بدر . وأعطاه أجره . وقد كان سعيد رفيع المنزلة فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم . فقد قربه وأدناه وبشره بالجنة[٣] ضمن العشرة الذين بشرهم بها من قريش . ومات صلوات الله عليه وهو عنه راض وبه قرير عين .

ولم تهبط مكانة سعيد فى عهد الشيخين أبى بكر وعمر فقد خاض المعارك وصحب الزحوف وأبلى أحسن البلاء فى كل من اليرموك وفتح دمشق[٤] وطال عمر الرجل فشهد خلافة الراشدين وجزءاً من خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما . وكان مجاب الدعوة شكته أروى بنت أويس أو بنت أونيس إلى

---

(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ جـ٣ ـ ص ٣٨١ .
(٣) ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥ .
(٤) ، (٥) ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٢ .

(١) ابن سعد ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٣ ـ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(٢) ابن حجر ـ الإصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ .
(٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ٨ ـ ص ٥٧ . ط / مكتبة المعارف ـ بيروت .
(٤) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦
(٥) ابن حجر ـ الإصابة ـ جـ٢ ـ ص ٤٦ ، ابن عبد البر ـ الاستيعاب ـ جـ٢ ـ ص ٥ ، ٦ .

مروان بن الحكم أثناء ولايته على المدينة مدعية أنه اغتصب جزء من أرضها فكلم فى ذلك فأنكره وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من اغتصب شبراً من أرض طوقه من سبع أرضيين يوم القيامة وأعطى المرأة ما شاكته من أجله وسأل الله إن كانت كاذبة أن يعمى بصرها ويميتها فى بئرها . فأجاب الله دعاءه وعميت المرأة وسقطت فى بئرها فماتت فكان الناس يعجبون من ذلك . وكان كل من ظلمه ظالم . دعا الله فقال اللهم أعمى بصره كما أعميت أروى .

ولا جدال فيما لهذا الخبر من الدلالة على أن سعيد بن زيد قد كان شديد الإخلاص لله قوى الصلة به . عظيم المنزلة عنده . ويقول المؤرخون[1] : إن عمر لما طعن أشار عليه بعض الناس أن يستخلف سعيداً فأبى لقربه منه . فقد كان كل منهما من بنى عدى . وكان سعيد زوجاً لفاطمة أبنة الخطاب وكان عمر زوجاً لعاتكة ابنة زيد .

ولا جدال فيما كان لدى الفاروق من الحساسية تجاه عشيرته وذوى قرباه فقد كان يحرمهم ابتغاء مرضاة الله . وكان يضعف لهم العقوبة إذا وقعت منهم إساءة حتى لا يظن ظان أنه يستطيع أن ينال عن طريقهم كسباً لا حق له فيه أو يدرك غاية ليس أهلاً لها .

وكما أختلف المؤرخون فى السبب الذى من أجله تخلف سعيد بن زيد عن غزوة بدر . فقد اختلفوا كذلك فى البلد الذى ورى فيه التراب . فذهب بعضهم[2] إلى أن وفاته رضى الله عنه قد كانت فى العقيق وأنه قد حمل على أعناق الرجال حتى دفن فى المدينة . وأن عبد الله بن عمر وسعد بن مالك قد نزلا قبره وتوليا دفنه . وكان ذلك يوم الجمعة . وجاء فى هذه الرواية أن عبد الله بن عمر لما سمع الصراخ عليه . وكان يستجمر للصلاة آتاه فترك الجمعة .

وذهب البعض[3] الآخر إلى أن موته ودفنه قد كان فى الكوفة وفى الأرض التى أقطعها إياه عثمان بن عفان . رضى الله عنه . والرواية الأولى أصح سنداً وأكثر طرقا . وهى التى مال إليها الجمهور .

وأيا ما كان . فإن سعيد بن زيد رضى الله عنه قد توفى وله من العمر ثلاث[4] وسبعون سنة . ومن المؤرخين من لا يرى هذا التحديد ويقول : إنه قد توفى وله بضع[5] وسبعون سنة . وقد يكون هذا الاتجاه هو الأصح لاختلاف الروايات فى العام الذى قضى فيه نحبه أكان هو الحادى والخمسين أم الذى يليه أم أن صعوده إلى الرفيق الأعلى قد كان فى الخامس والخمسين . فرحم الله سعيد بن زيد ورفع مقامه فى الجنة . وأحسن مثوبته على جهاده فى سبيل نصرة الحق . وإعلاء لواء الدين .

---

(١) ابن كثير ــ البداية والنهائية ــ جـ٨ ــ ص ٥٧ .

(٢) ابن سعد ــ الطبقات الكبرى ــ جـ٣ ــ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٣) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٨ ــ ص ٥٧ .

(٤) ابن حجر ــ الإصابة ــ جـ٢ ــ ص ٤٦ .

(٥) ابن كثير ــ البداية والنهاية ــ جـ٨ ــ ص ٥٧ .

الإيثار من دروس الهجرة

● للأستاذ/ عبد الجواد محمد الخضرى

تعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة نموذجا فريداً للمدنية الإنسانية ، والمجتمع المثالى الذى فاق فى نظمه الحكيمة تصورات الفلاسفة بيد أنه بنى على الواقع بقرار إلهى نفذه سيد الخلق ﷺ ، ومن أهم الفضائل التى ظهرت ملامحها فى الهجرة الإيثار ذلكم الخلق الكريم الذى يحمى الديار ، ويحفظ الجوار ويجعل المسلمين شعوراً واحداً لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ولا ذكرهم وأنثاهم ، ولا غنيهم وفقيرهم .. إنهم أمة واحدة منذ أن أعلنوا التوحيد ودخلوا فى دين الله أفواجاً .

والإيثار معناه : « تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فيما عند الله وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة ، والصبر على المشقة يقال : آثرته بكذا أى خصصته به وفضلته[1] » ومضاده الأثرة وهى الأنانية التى تجر صاحبها إلى قتل نفسه طمعاً وتدميرها شرهاً ! هلا علم أن رزقه فى خزائن الغنى المغنى وعمره لن يستقدم أو يستأخر ؟ فلم الحرص وعلام الشح والبخل ؟!

• سبق التعريف بالكاتب وله دراسات منشورة .

(١) سليمان بن عمر العجيلى (الفتوحات الإلهية ..) ج ٤ ص ٣١٦ ط الحلبى (بدون) .

لقد سجل التاريخ بحروف من نور كيف كان صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ حين استقبلوا إخوتهم أهل مكة الذين تركوا المال والولد فارين بدينهم غير مبالين بالنتائج هاجروا بلا زاد ولا متاع فكان الأنصار أهل نجدة ومروءة رحبوا بهم حتى لا يكاد الضيف يحس أنه فى مكة بل فى منزل أحب إليه من منزله الذى عاش فيه ! لذا استحقوا الوسام ولهجت بذكرهم القلوب قبل الألسن يقول تعالى :

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

سورة الحشر

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلاً فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى قد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال : « لا . ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم[٢] » يروى القرطبى فى تفسيره : « كان المهاجرون فى دور الأنصار فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا مع المهاجرين فى إنزالهم إياهم فى منازلهم وإشراكهم فى أموالهم ثم قال : إن أحببت قسمت ما أفاء على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم إن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عباده وسعد بن معاذ : بل نقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر لأسباب خاصة .

وأخرج البزار عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدهما أقل من الآخر ثم يجعلون السعف مع أقلهما ثم يخيرون المسلمين يأخذون أكثرهما ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف حتى فتحت خيبر فقال رسول الله ـ ﷺ ـ وفيتم بالذى كان عليكم فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم قالوا : إنه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة قد فعلنا الذى سألتنا بأن لنا شرطنا قال فذاكم لكم !! وعن أنس رضى الله عنه ـ قال : دعا النبى ـ ﷺ ـ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال : « أما لا فاصبروا حتى تلقونى فإنه سيصيبكم أثره » رواه البخارى

وتزخر كتب السيرة بعشرات المواقف التى تتجلى فيها صفة الإيثار والتضحية بأغلى ما يملك الإنسان من أجل أخيه المسلم ابتغاء رضوان الله ، ومن العجيب أن البذل وصل بهؤلاء الخيرين إلى التسابق والتشاحن فى مديد العون إلى الآخرين ملتزمين بالمؤاخاة التى لم تعهدها البشرية من قبل .

المؤخاة تذيب الفوارق

إذا تآخى اثنان فى الله ارتفعت بينهما الكلفة ، وأصبحا نسيجاً واحداً ينطلقان إلى غاية مشتركة تجعل الجميع مترابطاً متضامناً يتعاون على البر والتقوى فى ألفة ومحبة حتى وصلت درجة الإخاء إلى مستوى جعلت المهاجرى يرث الأنصارى دون ذوى رحمة !! للأخوة التى سجلها القرآن فلما نزلت « ولكل جعلنا موالى » نسخت ثم قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾

سورة النساء ـ آية ٣٣

(٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج ٤ ص ٣٣٧ ط مكتبة التراث ١٤٠٠هـ

أى من النصر والرفادة والنصيحة ثم ذهب الميراث ويوصى لها .

لقد آخى الرسول بين تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم الآخر من الأنصار قائلاً : « تآخوا فى الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى فكان رسول الله وإمام المرسلين وعلى ابن أبى طالب أخوين وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد ابن حارثة أخوين ، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وكان أبو بكر الصديق وخارجه بن زيد الخزرجى أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخرين ، والزبير بن العوام وسلمة بن وقش أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين ، وسعيد بن زيد وأبى بن كعب أخوين ، ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين ، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين ، وسلمان الفارسى وأبى الدرداء أخوين ...أ هـ[3] » .

دلالات وإشارات

المؤاخاة التى عقدت بين النبى ـ ﷺ ـ وعلى بن أبى طالب ـ على الرغم من وجودهما معاً فى منزل واحد تجعلنا نتساءل لماذا كانت ؟ أجيب كى يعلم المسلمون أن الأخوة بينهما لا تحتكم إلى معايير السن فعلى يصغر الرسول بثلاثين عاماً على الأقل لكنه الأخ المختار لأفضل الخلق مما يدعونا إلى النظر للإخوة بمنظار (الإيمان) حتى نقيم تواصلاً مع الناس ففارق السن لايعوق الصحبة ، المسلم أخو المسلم بغض النظر عن عمرهما الزمنى وبذا يرسى الإسلام قاعدة مثلى للعلاقات الإنسانية السوية .

● المؤاخاة بين حمزة أسد الله وزيد بن حارثة تمت لتهدم العصبية القبلية القائمة على تقسيم البشر إلى سادة وعبيد ناهيك أن الإسلام يدعو إلى عبودية الله وحده ومن كان يعتقد أن حمزة وهو من هو ؟ عزاً وجاهاً ورفعة وسيادة سيكون أخاً لمولى رسول الله ﷺ ؟!

● والمؤاخاة بين أبى بكر الصديق وخارجه تُرينا مدى التربية المحمدية لتنظيم الصحبة ، أبو بكر الذى يعلمه رمل الصحراء ، وتعرفه وهادها قبل بشرها كتاجر شهير صاحب جاه وقنعة يغدوا اليوم أخاً لخارجة منتهى العظمة الإيمانية التى لا تعرف بين البشر فرقاً كلكم لآدم وآدم من تراب .

● ونأتى إلى المؤاخاة بين سلمان وأبى الدرداء .. سلمان ليس عربياً لكنه مسلم إذن هو عربى ! ويتآخى مع أبى الدرداء العربى القح الذى رضع لبان العروبة لينصهرا معاً فى بوتقة الدين فيستويان فى القومية الإسلامية « سلمان منا آل البيت » . وإنك لواجد فى اختيار الأخوة أعظم الدروس العملية فى التهذيب الاجتماعى لمجتمع تباينت أطرافه ، واختلفت طباعه لكن الإسلام حين يتدخل فى سلوكياتنا فإنه يصفى الفطر ويزيل شوائبها فترجع النفوس إلى نقائها الذى خلقت به مما أهل المجتمع المدنى الجديد ليقود العالم مُستقبلاً .

نموذج فذ فى الإيثار

أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ قدم المدينة فآخى رسول الله ـ ﷺ ـ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى فقال له سعد : أى أخى ! أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى إمرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك دلنى على السوق فدلوه فباع واشترى وربح فجاء بشىء من أقط وسمن ثم لبث ما شاء الله له أن يلبث فجاء وعليه درع زعفران فقال رسول الله

(٣) عماد الدين إسماعيل بن كثير (البداية والنهاية) ج ٢ ص ٢٦٤ ط دار الغد ١٤١٢هـ

مُهْيَم ؟ فقال يا رسول الله تزوجت إمرأة ! قال ما أصدقتها ؟ قال : وزن نواة من ذهب فقال : أَوْلِمْ ولو بشاة قال عبد الرحمن ـ رضى الله عنه ـ فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً وفضة (٤) » أنظر إلى مدى العطف الإيمانى والمشاركة الوجدانية منقطعة النظير ، فهل قبل عبد الرحمن ذاك العرض المغرى ؟ إن الإسلام رباه على العزة والكرامة ، واحترام الذات لم يعش عالة على غيره باسم حقوق الأخوة ! لقد دعا لأخيه وشكر له صنيعه ثم ذهب إلى السوق محل التجارة فعف نفسه واحترم شخصيته وتحول إلى ثرى من أشراف العرب كلهم اتسعت تجارته وزادت ممتلكاته حتى أخطأ العادون حدودها يروى أنه تصدق مرة بسبعمائة جمل بأحمالها قدمت إلى المدينة من الشام ، وأعتق ثلاثين ألف رقيق فى يوم واحد وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف وأوصى لمن بقى ممن شهد بدرا لكل رجل اربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وتصدق على عهد الرسول بشطر من ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفاً ثم تصدق بأربعين ألف ألف درهم ثم حمله على خمسمائة راحلة فى سبيل الله وباع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق (٥) » .

بهذه الروح الإخائية الكريمة تمت المؤاخاة فى جو مفعم بالحب والتحنان وبهذه المكارم الشاملة أرسى النبى دولة الإسلام ، وبدأت معالم البناء الحضارى الشامخ تظهر بعد الهجرة المباركة وتفيض على العالمين عطفاً ووئاماً ومؤاخاة خالصة متجردة من المطامع ... وأقبلت كتائب الإسلام تعطى بلا أذى فمكن الله لهم فى الأرض وبوأهم مكاناً سامياً يتيهون به على مر الدهور وكر العصور .

(٤) محمد يوسف الكندهلوى (حياة الصحابة) ج ١ ص ٣٦٣ ط مكتبة الدعوة ١٣٧٩ هـ

(٥) محمد كرد على (الإسلام والحضارة العربية) ج ١ ص ١٥٥ ط دار الكتب ١٩٣٤ م

المسلمون فى روسيا

للاستاذ الدكتور : محمد عبد العليم العدوى *

كانت روسيا فى القرون الاولى عبارة عن منطقة لاتزيد على مليونى كيلو متر مربع انتشرت فيها قبائل من الروس السلاف وكانت قاعدتهم موسكو ، وفى الجنوب الغربى كييف وفى الغرب منسك .

وكانت تجاورها من جميع الجهات قبائل قليلة العدد . وفى القرن السابع الهجرى (١٣ م) قدم التتار واستقرت بعض قبائلهم فى المناطق الشرقية والجنوبية ، وفرضوا سيطرتهم على الروس وتقدموا نحو الغرب .

وفى فترة من فترات وهن التتار انتهز الروس هذه الفرصة وقد زاد عددهم ، فشرعوا يتوسعون فى الارض حتى وصلوا الى جبال الأورال فى الشرق ، وسواحل البحر الأسود فى الجنوب ، وضموا نتيجة هذا التوسع مناطق إسلامية وقد أطلق على المنطقة جميعها اسم « روسيا » .

* استاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية اللغة العربية/جامعة الازهر فرع المنصورة

متى وكيف وصل الإسلام الى روسيا ؟
وقد وصل الإسلام الى هذه المناطق فى وقت مبكر مع التجار الدعاة الى الله والذين كانوا يسلكون طريق الحريز الممتد من البحر الأسود غربا حتى الصين شرقا . وطريق الفراء على طول نهر الفولجا .
ولكنه انتشر خلال فترتين زمنيتين :
اولاها – فى بداية القرن الرابع (١٠ م) حين انتشر فى منطقة الفولجا بين قبائل (البلغار) .
وثانيهما – فى منتصف القرن السابع (منتصف القرن ١٣ م) حين انتشر بين التتار حينما اعتنقته القبيلة الذهبية التى استقرت فى المناطق الشرقية والجنوبية .
وعن الفترة الاولى يذكر المؤرخ المشهور ابن فضلان فى وثيقة تاريخية هامة وصف رحلته التى قام بها بأمر الخليفة العباسى المقتدر سنة ٣٠٩ هـ – ٩٢١ م الى بلاد البلغار .. عندما جاء وفد من سكان بلغار الفولجا إلى الخليفة العباسى وأخبروه بإسلامهم ، وإسلام من وراءهم ، وطلبوا منه أن يرسل لهم مجموعة من العلماء لتعليمهم الدين ، كما طلبوا منه مجموعة من المهندسين والمستشارين العسكريين ليبنوا لهم الاستحكامات والحصون والقلاع العسكرية ، لأنهم محاطون بأمة همجية تدعى الروس لا يعرفون دينا ولا ملة ، وغارقون فى الوحشية[1] . وقد سجل ابن فضلان خط رحلته من بغداد مرورا بإيران ثم بخارى ثم خوارزم ثم كيف عبروا شمالا فى اتجاه نهر الفولجا حتى وصلوا الى ملك البلغار المسلم المش بن بلطوار ثم وصف فى أثناء رحلته التى استغرقت أحد عشر شهرا كل ما صادفه من أشياء غريبة أو مهمة . وذكر أنه اصطحب معه الى جانب الفقهاء والمهندسين والاطباء سوسن الروسى مولى نذير الحزمى وتكين التركى بارس الصقلى ، ورسول الصقالبة المسلم . وترك لنا وصفا دقيقا عن الأمة الهمجية التى تدعى روسيا أو الروسيا ، ومعناها الأمة الشقراء والذين لم يتجاوز عددهم مائة الف ، كما وصفهم ابن رسته والمسعودى وابن فضلان وابن بطوطة بأنهم أشر خلق الله وأنهم شقر الأبدان ، وصفر الشعور طوال القامات ، ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهارا وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده ، شديدو البأس شجعان لا يعرفون الهزيمة ولا يولى الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل ، واذا نزلوا بساحة قوم لم ينصرفوا عنهم دون أن يهلكوا أو يستبيحوا نساءهم واولادهم ويسترقونهم (وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ، ولا يغتسلون من جنابة ، كأنهم الحمير الضالة) واذا مرض الواحد منهم ضربوا له خيمة وطرحوه فيها حتى يشفى أو يهلك ، ولا يزوره أحد ولا يتعهده بالرعاية .
واذا مات الرئيس منهم قال أهله لجوارية وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم أنا ، فاذا قال ذلك وجب عليه .. فيأخذون الجارية ويغنون ويرقصون ويدخل عليها سته نفر من أهله ينكحونها واحد بعد الاخر ، ثم يشدون وثاقها ويذبحونها .
ولهم لغة ودين وشريعة لا يشاركهم فيها أحد يعبدون أصناما ونصبا من خشب (٢) .
وقد اجتهد البلغار فى تحويل الروس لاعتناق الإسلام الا ان التنافس كان شديدا بين المسلمين والنصارى لاجتذاب ملكهم (فلاديمير) والذى أبدى ميلا للإسلام ، ولكنه كره الختان ولم يقبل تحريم الخمر ، وكان الروس شديدى الولع بها وكذلك أخفق اليهود فى كسبه فى حين أرسل المسيحيون داعية لسنا ذكيا شرح له المسيحية شرحا حسنا بليغا ، كان له أعمق الاثر فى نفسه خاصة وقد وعده ذلك الداعية بملك مملكة السماء اذا هو دخل المسيحية .
وأخيرا انتهى رأيه الى أن يبعث بوفدين من الروس الى بلاد النصرانية وبلاد الإسلام فأى الوفدين وجد البلاد التى زارها أسعد وأرخى حالا ، كان ذلك دليلا على امتياز أهلها فى رأيه . فأما الوفد الذى ذهب الى بلاد الإسلام فذهب الى بلاد البلغار ، فوجد فيها فقرا فاشيا ووجدها فيما قال موحشة كئيبة ويبدو ان هؤلاء البلغار لم يطبقوا الإسلام عمليا فى شئون حياتهم فكانت

---

(١) البلدان الإسلامية ص ٧٣٢

(٢) مقال للأستاذ حسين أحمد أمين فى العدد ٢٧٧ من مجلة العربى تحت عنوان (نزهة الأفئدة والنفوس فى معرفة أحوال الروس) ورسالة ابن فضلان تحقيق د . محمد سامى الدهان .

مناطقهم على هذه الصورة ـ ووجد مساجدهم بسيطة لا زينة فيها ، وصلاتهم جليلة وقورة لا موسيقى فيها ولا أنشاد ، وأما الذين ذهبوا الى بلاد المسيحية فقد توجها الى بلاد الالمان الكاثوليك ـ فوجدوا ـ حسبما قالوا ـ وجوها نضرة وأجساما ضخمة ، وكنائس جليلة يصلى الناس فيها على نغمات الموسيقى والانشاد البهيج ثم ذهبوا الى القسطنطينية حيث أحسن الامبراطور وفادتهم وجعلهم يشهدون الصلاة فى كنيسة أيا صوفيا بضخامتها وملابس قساوستها الزاهية الالوان وتراتيلهم على الانغام ، فوقع فى نفوسهم ـ المأخوذة بزخارف الدنيا وزينتها ـ ان عقيدة أهل القسطنطينية لابد أن تكون فى رأيهم أقرب العقائد الى الله سبحانه، اذ انه اضفى عليها هذه الزينة كلها ـ فى زعمهم ـ وبعد تداول طويل بين الملك ونصائحه استقر رأيه على اتباع المسيحية على مذهب الكنيسة الاغريقية (كنيسة الدولة البيزنطية) وهى ما نسميه نحن بعقدة الروم الارثوذكس سنة ٩٨٨ م .

وهكذا كسبت المسيحية شعب الروس كله ، وانتشرت فى كل ما سكنوه وخضع لهم من بلاد وهذا حدث يعتبر من أخطر حوادث التاريخ الإسلامى ولا نزال نحس أثره الى اليوم ، وخاصة وقد تعصب قياصرة الروس للمسيحية تعصبا شديدا ، واوقفوا تقدم الإسلام فى بلادهم . بل أخذوا فى توسعهم يضطهدون الإسلام ويدمرون دياره ويقتلون أهله فيما دان لهم من بلاد (٣) .

ثم تطورت بعد ذلك أحوال الروس وصاروا حماة المسيحية وسدنتها بعد أن سقطت القسطنطينية (اسطنبول) على يد السلطان العثمانى العظيم محمد الفاتح سنة ٨٥٧ ــ ١٤٥٣ م ولكن همجيتهم ووحشيتهم وادمانهم الخمر لم تفارقهم الى اليوم .

وفى الفترة الثانية وخلال القرن الثانى الهجرى الرابع عشر الميلادى وبعد أن انزل جنكيزخان ورجال دولته وآله ببلاد الإسلام من تخريب وبعد ما كان منه من القضاء على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ ــ ١٢١٨ م . وما تلا ذلك من امتداد سلطان المغول على الجناح الشرقى لمملكة الإسلام . نجد ذلك الدين القيم يعود فيغزو بفضائله المغول أنفسهم فيدخل فيه خان ايلخانية ايران، وهم ورثة باتوا عم هولاكو على ذلك القسم من امبراطوريته الواسعة .

وأول من هداه الله منهم بركة خان الذى اعتنق الإسلام وتسمى بأسم الملك السعيد بركة خان سنة (٦٥٤ ــ ٦٦٥ م) ، (١٢٥٦ ــ ١٢٦٧ م) وأخذ كل المغول التابعين له باعتناق هذا الدين ، واجتهد فى تعويض الإسلام عما لحق به من الاذى على أيدى أجداده ، فاهتم بانشاء المساجد واستقدام الفقهاء والإحسان إليهم وتيسير مهمتهم فى نشر الدين ، وفى عهد هذا السلطان بركة خان المغولى نجد العلاقات تتوطد بينه وبين سلطان مصر المملوكى ركن الدين بيبرس البندقدارى .

وكانت طائفة كبيرة من المغول تسمى القبيلة الذهبية تسكن الاراضى الواسعة الممتدة من شمال بحر أورال الى شمال بحر قزوين ومصب الفولجا، وكان أولئك المغول تابعين اسما لخان مغول ايران . وهو بركة خان . فلما أسلم أخذ الإسلام ينتشر بينهم .

وفى سنة ١٣١٣ م تولى زعامة القبيلة الذهبية أوزبك خان الذى ظل يحكمها حتى سنة ١٣٤٥ م وكان مسلما متحمسا للإسلام حريصا على إدخال كل القبيلة الذهبية فيه وكانت مملكة اوزبك خان تمتد من شمال بحر أورال الى مصب الفولجا فوضع خطة لنشر الإسلام فى كل بلاد الروس . وكانت المسيحية قد انتشرت بينهم على يد دعاة مسيحين . من بيزنطة (القسطنطينية) .

وكاد الإسلام يسود نصف نهر الفولجا حتى نوفوجورود ويسترسل حتى بلاد القرم ولكن أوزبك خان كان متسامحا فلم يأذن لنفسه فى اضطهاد المسيحيين فى بلاده بل ترك دعاة المسيحية ينشرون كيف شاءوا .

---

(٣) د (حسين مؤنس : الإسلام الفاتح ص ٧٦ ، ٧٩ .

وبهذا لم يقدر لهذا الزعيم المغولى المسلم المتحمس أن يوقف تقدم المسيحية فى بلاد الروس .

وظل الإسلام فى روسيا مقتصرا على المناطق التى خضعت لمغول القبيلة الذهبية من مصب الفولجا الى نوفوجزرود مع امتداده الى الغرب حتى بلاد القرم .

اما بقية الروس ما بين مسيحيين وغير مسيحيين فقد ظلوا يؤدون الجزية لاوزبك خان دون أن يرغموا على اعتناق الإسلام (٤) . وقد زار الرحالة الإسلامى المشهور ابن بطوطه السلطان محمد أوزبك وقال عنه (وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن ، رفيع المكانة ، قاهر لاعداء الله ، اهل القسطنطينية العظمى مجتهد فى جهادهم وبلاده متسعة ومدنه عظيمة ، منها الكفا والقرم والماجر وأزاق وسرادق وخوارزم ، وحاضرته السرا .

وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ظل الله فى أرضه إمام الطائفة المنصورية الذين لايزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره ، وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين .

وقد وصف المدن الكبيرة التى فى حوزة السلطان وذكر مساجدها وسعتها ومدارسها ووصف الروس بقوله : نصارى شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر .

المسلمون يحكمون روسيا وموسكو ذاتها لمدة ٣٤٠ عاما :

وبإسلام المغول فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وخاصة أمراء وأفراد القبيلة الذهبية انتشر الإسلام على طول نهر الفولجا ، وأصبح هذا النهر من منبعه الى مصبه تقريباً نهرا إسلاميا خالصا ..

وكذلك انتشر الإسلام فى جبال الأورال أيضا . ودخل الإسلام الى بشكيريا وتتاريا الى المناطق التى تسكنها القبائل النورماندية مثل مارى وموردوف وأدمورت وتحولت جميعا الى الإسلام ، وأصبحت شبه جزيرة القرم جزيرة إسلامية . وظهرت المدن الإسلامية العظيمة المشهورة فى بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند وترمذ خوارزم وفرغانة وطشقند كما ظهرت مدن أقل شهرة منها ، ولكنها أيضا ذات تاريخ مجيد فى الإسلام مثل قازان واستراخان السرا وأوفا ومدينة البلغار والكفا والقرم وسرادق ، ومنذ عهود مبكرة كانت مدينة دربند (باب الابواب) وباكو وكنجة وبرزعة وبيلفان فى اذربيجان . مدنا إسلامية كما أصبحت مدينة سيبر فى سيبريا الغربية ، والتى منها أخذ أسم سيبيريا عاصمة إسلامية منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) .

وقد ظلت الإمارات التترية الإسلامية تحكم اجزاء واسعة مما كان يعرف باسم الاتحاد السوفيتى .

ولم يكن أمير موسكو ينصب الا بعد استئذان سلطان قازان المسلم ، وقد ظلت موسكو خاضعة تحت حكم التتار المسلمين لمدة ٢٤٠ عاما (٥) .

ظهور الامبراطورية الروسية واحتلال مناطق التتار المسلمين

ونتيجة للخلافات بين هذه الامارات التترية وانقسامها ضعف شأنها فى الوقت الذى قويت فيه الدولة المسكوبية (نسبة الى موسكو) وكانت إمارة نشأت فى القرن الحادى عشر الميلادى . ولكن بعد أن تحول الروس الى المسيحية حملوا لواء الصليبية الحاقدة ضد المسلمين فى حروب طاحنة .

---

(٤) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٥) محمد على البار : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ج ١ ص ٤٢ ، ٤٣ .

وبدأ ايفان الثالث ــ جد ايفان الرهيب ــ هذه الحرب الصليبية سنة ٨٨٥ هـ ــ ١٤٨٠ م معلنا بذلك انتهاء سيطرة المسلمين التتار على موسكو ، وذلك عندما رفض دفع الجزية لأحمد خان سلطان قازان ، وقامت الحرب بينهما وانهزم المسلمون ، وانتصر الروس فى تلك المعركة ، وقام البابا بحث أمير موسكو فاسيلبى الثالث (والد ايفان الرهيب) بأشعال الحرب المقدسة ضد المسلمين ، ولكنه ترك هذه المهمة لوالده ليفان الملقب بالرهيب .

وبظهور ايفان الرهيب الذى تميز بالدهاء والقوة العسكرية وشدة الحقد على المسلمين ، بدأت تلوح نهايات الامارات الإسلامية التترية ، واستطاع ايفان الرهيب أن يكتسح قازان سنة ٩٦٠ هـ ــ ١٥٥٢ م وبعد خمس سنوات استطاع أن يحتل المركز الثانى للتتار المسلمين وهى استراخان وذلك سنة ٩٦٠هـ ــ ١٥٥٧ م . وبذلك أصبح نهر الفولجا خاضعا لسيطرته ، وقام ذلك الرهيب بحرب إبادة للتتار المسلمين وفرض عليهم أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم ويهاجروا مثلما فعل الأسبان بمسلمى الأندلس ، وذلك بعد مرور ستين عاما فقط من احتلال الأسبان لغرناطة .

واتجهت قوات ايفان سنة ٩٦٥هـ ــ ١٥٥٧ م الى بشكيريا وفرض على أهلها النصرانية كما فرضها على بقية المناطق ، وتحول بعض البشكير تحت القهر الى النصرانية .

واستطاع ايضا ان يوسع رقعة مملكته الى ارض الجوفاش المجاورة لتتاريا وذلك سنة ٩٦٠هـ ــ ١٥٥٢ م كما ضم أرض الموردوف والادمــــورت والمارى والذين كانوا قد أسلموا لتأثرهم بالتتار المسلمين المجاورين لهم وانتشر بينهم الإسلام ، ولكن ايفان بعد استيلائه على ارضهم فرض عليهم النصرانية بحد السيف ، فلما انقشعت الغمة قليلا فى عهد كاترين فى القرن الثامن عشر الميلادى ، أعلنوا إسلامهم ومع ما يتسم به عهد كاترين من التسامح الدينى النسبى ، الا أنها لم تسمح لهم بإقامة المساجد على اعتبار أنهم كانوا وثنيين ثم أصبحوا نصارى ولم يكونوا من قبل مسلمين ولم يستطيعوا أن يجاهروا بإسلامهم الا عندما سمح بالحريات الدينية لفترة وجيزة . وفى عام ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥ م . استطاع قياصرة روسيا أن يحتلوا سيبريا الغربية ، واتجهت القوات الروسية بعد ذلك جنوبا صوب القوقاز ، إلا أنها وجدت مقاومة عنيفة واستمرت الحرب بين الروس وأهل القوقاز قرابة عشر سنوات من ١١٩١ هـ/ ١٧٨٤ م .

واستمرت بعد ذلك المناوشات والمعارك الجانبية حتى عام ١٢٢٨ هـ ــ ١٨١٣ م ، وأضطر نادر شاه حاكم ايران كما اضطر الامراء المحليون الى الخضوع بعد أن اكتسحتهم القوات الروسية .

وفى هذه الحقبة الطويلة من التاريخ عاشت الشعوب التركية القفقاسية محنة قاسية ، وعانت صراعا مريرا ومستمرا للحفاظ على تراثها الروحى والبقاء كشعوب متميزة ..

الى أن قامت الثورة الشيوعية سنة ١٩١٨ م فقسمت المنطقة الى عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتى ــ كما يزعمون بعضها فى حوض الفلجا وترتبط جميعها بمدينة (موسكو) وبعضها فى القرم ، وبعضها فى سيبريا والآخر فى شمالى القوقاز .

فهل تتجه قلوب المسلمين فى العالم ــ بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ــ إلى هؤلاء المسلمين .. ويوطدون الصلة بهم .. حتى تعود إلى سماء هذه الديار راية الإسلام عالية خفاقة .....

﴿ ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوى عزيز ﴾

ساعة

الإجابة

للأستاذ/ محمد بركات

هى الساعة التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهذه الساعة تكون فى الثلث الأخير من الليل وهى التى وردت فيها الأحاديث الشريفة كحديث .

« ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعونى فأستجب له من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له ؟ » رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة .

وقد جاء فى كتاب سيدى أحمد المبارك فى ص ٣٢٨ من كتابه الأبريز من كلام سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله تعالى عنهما . قلت : ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ
عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ
رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

سورة الكهف

وبعد قراءة الآيات يطلب من الله تعالى أن يوقظه فى الساعة المذكورة فإنه يفيق فيها بإذن الله . .

وقد ذكر العلماء فى تحديدها أوقاتاً كثيرة نكتفى منها بذكر ما يأتى :ـ

● فى ليلة القدر :

أقول قد نطق القرآن بشرف تلك الليلة قال الله تعالى : إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ، والتشريف من الله لها يستلزم قبول الدعاء فيها . وأما الأحاديث التى وردت فى فضلها فمنها ما أخرجه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : أن من قامها إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر « وكذا فى الصحيحين وغيرهما وأشهر ما يقال فيها ما ورد عن السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سألت الرسول ﷺ ماذا تقول إذا صادفتها ليلة القدر قال قولى « اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى » .

● فى يوم عرفة :

روى الإمام الترمذى ما يدل على إجابة دعاء الداعين فيه وهو ما أخرجه وحسنه من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أن النبى ﷺ قال : « خير الدعاء يوم عرفة » والوقوف بعرفة فى يوم عرفة كما نعلم هو الركن الأساسى فى الحج وفى تشريفه قال عليه الصلاة والسلام « الحج عرفة » فهو يوم من أيام الله فيه يتجلى الرب جل وعلا على عباده بكامل رحمته وعموم رأفته .

● فى شهر رمضان :

الحديث عن شهر رمضان وما ورد فى فضله وشرفه كثير وهناك من الأدلة الثابتة فى أمهات الكتب الكثير والكثير نكتفى منه هنا بما أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر وفى رواية حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم » وكذا ما أخرجه البيهقى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : « إن للصائم عند فطرة دعوة لا ترد » .

● ليلة الجمعة ويوم الجمعة وساعة الجمعة :

تواترت النصوص فى ثبوت فضل يوم الجمعة وشرفه على سائر الأيام وهكذا ليلته وتواترت أيضاً بأن فى الجمعة ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه إياه والغالب أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة والأقرب أنها عند قراءة الفاتحة حتى يؤمن . ومما روى فى فضل ذلك من الأحاديث ما روى عن الترمذى والحاكم فى قبول الدعاء ليلة الجمعة حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه » أن فى ليلة الجمعة ساعة الدعاء فيها مستجاب » وقد حسنه الترمذى وصححه الحاكم .

● فى جوف الليـــــــــل

من سعادة العبد أن يجعل لربه ساعة يخلو فيها بربه فى يومه وليلته وحبذا لو كانت فى جوف الليل حيث السكون والهدوء وحيث يكون الناس نياماً وإذا علمنا ما ورد فى ذلك من النصوص التى تشجع بل وتجعل قلب المؤمن يشتعل حبا وشوقاً إلى الحضور مع ربه حرصنا جميعاً على أن لا نحرم من النفحات التى تعطى للعباد فى هذا الوقت ومن الأحاديث التى وردت فى فضل ذلك ما أخرجه الترمذى وحسنه من حديث أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أى الدعاء يسمع ؟ قال فى جوف الليل ودبر الصلاة وكذا أيضا ما أخرجه الترمذى وقال فيه حسن صحيح وذلك من حديث عمرو بن عيشة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول أقرب ما يكون العبد من ربه فى جوف الليل الأخير فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى

تلك الساعة فكن « وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير : فيقول من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فاغفر له ؟ وفى رواية لمسلم أن الله سبحانه يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى سماء الدنيا فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى الحديث وأخرج مسلم أيضا من حديث جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمور الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وهذا فى كل ليلة .

● عند النداء للصلاة وكذا بين الأذان والإقامة :

لما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة وذلك كحديث الموطأ وحديث أبى داود عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله « ثنتان لا يردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا وزاد أبو داود وتحت المطر . وأيضاً حديث أبى داود والترمذى وحسنه من حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة » قيل ماذا تقول يا رسول الله ؟ قال « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة وأخرجه غيرهما من رجال الحديث .

● عند الصف فى سبيل الله :

ويدل على ذلك ما أخرجه مالك فى الموطأ عن أبى هريرة أو عن حازم بن دينار رضى الله عنهما « ساعتان تفتح لهما أبواب السماء وقل داع ترد عليه دعوته حضرة النداء للصلاة والصف فى سبيل الله » .

● دبر الصلوات المكتوبات وفى السجود :

الأحاديث التى وردت فى هذا المقام كلها تدور حول الترغيب فى الإكثار من الدعاء فى هذه الأوقات فيها ما يقوم الذاكر والداعى بعدها مغفورا له وفيها أنها تحل شفاعته وفيها أنه يكون فى ذمة الله عز وجل إلى الصلاة الأخرى وفيها حديث أبى أمامة المتقدم قيل يا رسول الله أى الدعاء اسمع ؟ قال جوف الليل الأخير ودبر الصلاة المكتوبة قال الترمذى حديث حسن وأما فى السجود فهناك الحديث العظيم عن أبى هريرة رضى الله عنه ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء » أخرجه مسلم وغيره .

● عند قراءة القرآن وختمه :

حديث عمران بن حصين أنه مر على فازىء يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ القرآن فليسأل الله فأنه سيجىء «أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس » أخرجه الترمذى وحسنه .

وعند قول الإمام ولا الضالين ؛ فى صحيح مسلم وغيره « إذا قال الأمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم الله » وكذا ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

● عند شرب ماء زمزم :

أخرج الحاكم فى ذلك من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «ماء زمزم لما شرب له . إن شربته تستشفى به شفاك الله وأن شربته لشبعك أشبعك الله وأن شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهى هزمة جبريل وسقيا اسماعيل وأن شربته مستعيذا أعاذك الله » .

● عند صياح الديكة :

جاء فى الصحيحين وغيرهما : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فأنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله فإنه رأى شيطانا » .

● في مجال الذكر :

من حديث مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد رضى الله عنه أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وكذا جاء فى الصحيحين حديث طويل ومنه .... إن الله يقول لملائكته اشهدوا أنى قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

● عند تغميض عين الميت :

فى ذلك ما أخرجه مسلم وأهل السنة من حديث أم سلمة : قالت دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فاغمضه وقال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهدين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه .

وبعد هذا أخى المسلم هذه موائد الرحمن ممتدة لك فبادر إليها ولها واطعم منها ما شئت فى الأوقات المباركة وهى موائد لا تكلفك أكثر من معرفتها وحضورها فاجتهد لتظفر بخيرى الدنيا والآخرة فالمحروم من حرم من معرفتها وحضورها ولم ينل شيئا من خيراتها .

والسعيد من يشمر عن ساعد الجد وينتهز الفرصة الرحمانية لينال منها ما يسعده فى حياته وآخرته وعلّم ذلك لأولادك وأهلك وكل من تحب واجعل دعاءك فيها معمما فإن الدعاء المعمم لا يرد جعلنى الله وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

الفتـــاوى

للأستاذ/ عبدالمنعم فودة

تطلب الطلاق لعقم الزوج بعد خمسة عشر عاما :

السؤال من السيد / م.ع.ش :

زوجة تطلب الطلاق من زوجها بعد خمسة عشر عاما بسبب عدم إنجابه وهذا ثابت بتقارير الأطباء المختصين برغم أن الزوج كامل الفحولة وتقول إن من حقها الإنجاب ، يبلغ سن الزوج (٤٥) سنة ، وسن الزوجة ٣٢ سنة ، وقد ثبت بالتقارير ضعف الحيوانات المنوية فى الزوج للعلاج لتكثيرها وتقويتها وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما ثم توقف .

هل يحق للزوج أن يتزوج من أخرى فى حال عدم الإنجاب ، وما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأنه بعد أن ثبت بالتقارير الطبية أن الزوج كامل العضوية والرجولة وأن هناك ضعف فى الحيوانات المنوية للزوج ، وقد استمر العلاج خمسة عشر عاما فإذا أرادت الزوجة أن تطلق نفسها من هذا الزوج كان لها أن ترفع أمرها إلى القضاء .

كما أنه يجوز للرجل أن يتزوج من زوجة أخرى بعد مصارحتها بحاله .

هذا والله تعالى أعلم .

رفـض العـلاج :

السؤال من السيد / ث.م.س :

سيدة مريضة ترفض العلاج أو أخذ دواء لاعتقادها أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو الذى يشفيها دون علاج أو أخذ دواء وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال فى كتابه العزيز :

﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ بمعنى أن المسلم واجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الشافى ، وفى نفس الوقت لا يمنعه ذلك من الأخذ بالأسباب ، وهو متوكل على الله ، ومن أسباب الشفاء تعاطى الدواء والعلاج على يد المختصين ، وهم الأطباء فى هذا العصر وقد أمر الرسول ـ صلوات الله عليه ـ بأن نتداوى فقال : ـ ﷺ ـ : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء » .. رواه أحمد والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

واننا لعلى يقين بأنه من واجب المريض أن يتوكل على الله ، ويأخذ العلاج اللازم لحالته المرضية ، وهو مؤمن بعد ذلك أن الشافى هو الله ومن يمتنع عن العلاج على هذا النحو يكون مقصرا فى حق نفسه ، وغير ملتزم للمنهج الإسلامى الذى رسمه رسولنا الكريم لأمته ـ ﷺ ـ والله تعالى أعلم .

حقوق المطلقة قبل الدخول :

السؤال من السيد / م.ع.هـ :

ما حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول علما بأنه قد تم الاتفاق على أن يقوم الزوج بتجهيز بيت الزوجية ، وتم كتابة قائمة بالمنقولات التى سوف يقوم بتجهيزها نظير مقدم المهر ، ولها مؤخر صداق ، وكان قد قدم لها شبكة ذهبية ، فما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فنفيد بأن حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها استحقاق نصف المهر جميعه : مقدمه ومؤخره ، وكذلك نصف الشبكة ؛ لأنها جزء من المهر كذلك تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق

وحيث إن ما اتفق عليه كتب فى قائمة منقولات طرف الزوج ، فيكون للزوجة نصف المنقولات باعتبارها مقدم المهر .

والله تعالى أعلم .

عقد بزيادة الإيجار كل عام :

السؤال من السيدة / ع.س.أ :

تم عقد إيجار بين اثنين على مخزن منصوص فيه على زيادة القيمة الإيجارية كل سنة بواقع أربعين فى المائة ، وعند الدفع رفض المستأجر الزيادة ، فما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى اله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فنفيد بأن العقد شريعة المتعاقدين والنبى ﷺ يقول : (**المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما**) رواه الترمذى فإذا رفض المستأجر دفع ما اتفق عليه يكون آثما ما دام الشرط لم يُحِلَّ حراما أو يحرم حلالا

والله تعالى أعلم .

« الزوجة مع أولاد الاخوة الأشقاء »

ميراث :

من ش.م.ح :

توفى رجل وترك زوجة ، وأولاد إخوة أشقاء ذكورا وإناثا ، كما ترك بنت أخت شقيقة فما نصيب كلٍ ؟

الجـواب :

لزوجة المتوفى من تركته الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباق لأبناء إخوته الأشقاء تعصيبا بالتساوى بينهم .

ولا شىء لبنات إخوته الأشقاء ولا لبنت أخته الشقيقة ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبة . وهذا أذا لم يكن للمتوفى وارث آخر وكان الحال كما ذكر بالسؤال ... والله أعلم .

سؤال : ع . ح . ز :

توفى رجل عن زوجتين وبنت ابن وأخت شقيقة وأولاد عم فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجتين الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ويقسم بينهما بالتساوى ولبنت الابن النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها والباق للأخت الشقيقة تعصيبا ولا شىء لأولاد العم بحجبهم بالأخت الشقيقة لأنها صارت عصبة مع بنت الأبن والله تعالى أعلم .

من ع . م . د :

قمت بالأذان جالسا لمرضى ولم يكن أحد من الناس موجودا ليؤدى الأذان بدلا منى فكا حكم ذلك ؟

الاجـابة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .

نفيد بأن الأصل أن يؤدى المؤذن الأذان واقفا فإن تعذر الوقوف لمرض ولم يوجد أحد يستطيع أداء الأذان واقفا فلا مانع مع أن يؤديه المؤذن جالسا إذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

إنتاج الطاقة من المياه

ا .د. أحمد فؤاد باشا *

انطبع العصر الصناعى الذى نعيشه بسمة التوسع الهائل فى استهلاك الطاقة على حساب مخزون الارض المحدود من مصادر تقليدية تشمل : الفحم ، والبترول ، والغاز الطبيعى ، ومن ثم فإن البشرية تعلق على العلم والتقنية آمالا كبيرة فى تطوير مصادر جديدة ومتجددة لانتاج الطاقة النظيفة بأقل كلفة ممكنة . فالشمس ، والارض ، والرياح والمياه ، والنبات ، والحيوان ، كلها مصادر لا تنضب لطاقات الامداد بقدرات كهربية وحرارية وميكانيكية فائقة. وسوف نعرض فى هذا المقال للتعريف بطاقة المياه والأساليب العديدة لانتاجها والآفاق المنتظرة لاستخدامها تلبية لاحتياجات النشاط الانسانى المتزايد .

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

إن الله ، بديع السموات والأرض ، قد هيأ الماء الذى أسكنه فى الأرض للقيام بدوره المتميز فى حياة الأحياء ، وأودع فيه من الخصائص والصفات ما يجعله ـ من بين المواد اللازمة لقيام الحياة على الأرض ـ أعظم أهمية وأعجب شأنا ، وأجل قدرا . ومع ذلك فما أقل ما أفاد الانسان من خصائص الماء وصفاته .

وقد اتجهت انظار الباحثين عن مصادر جديدة للطاقة الى مياه البحيرات والينابيع والانهار والبحار والمحيطات لاستخدامها فى انتاج الطاقة اللازمة لتحقيق الطموح البشرى نحو المزيد من التقدم والرقى فى مختلف القطاعات الصناعية والتجارية والتقنية وغيرها . وتتناول أهم البحوث المختلفة فى هذا المجال طرق الاستفادة من الفرق فى درجة حرارة مياه البحار والمحيطات وحركة أمواج البحر ، وظاهرة المد والجزر ، وطاقة المياه الساقطة ، والطاقة الملحية الناتجة عن امتزاج مياه الانهار العذبة بمياه البحار ، والطاقة الحرارية المختزنة فى البرك الشمسية الضحلة المعرضة للاشعاع الشمسى وطاقة البخار المتصاعد من الينابيع الحارة ، وعملية التحليل الكهربى للماء لانتاج الهيدروجين واستخدامه كوقود .

طاقة المحيط الحرارية :

من المعروف أن طبقات المياه السطحية فى البحار والمحيطات تختزن قدرا هائلا من الطاقة الشمسية التى تسقط عليها طوال النهار ، فترتفع درجة حرارتها لتصل فى المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية الى حوالى ٣٠°م ، بينما تقل درجة حرارة مياه الطبقات الاكثر عمقا بسبب ذوبان الثلوج الاتية من المناطق القطبية نحو خط الإستواء لتصل الى حوالى ٤°م عند أعماق أقل من ١٠٠٠ متر تحت سطح البحر . ووفقا للقواعد الاساسية لعلم الديناميكا الحرارية يمكن استغلال هذا الفرق بين درجة حرارة المياه السطحية الدافئة وبين درجة حرارة مياه الأعماق الباردة كمصدر للحصول على طاقة حركية باستخدام آلات حرارية يلزم لادارتها وجود مصدر ساخن ووجود مخرج بارد . ومثل هذا المحرك الحرارى لا يكلف الناس شيئا ؛ لأنه لا يحتاج فى تشغيله لاى وقود .. كما أن فرق درجات الحرارة للمحيط لا يختلف كثيرا بين الليل والنهار ، ومن ثم يمكن اعتباره مصدرا مستمرا بانتظام ، ومع هذا فإنه يتعرض لتغيرات موسمية تزداد بالبعد عن خط الاستواء .

وبالرغم من قدم الفكرة النظرية لتحويل طاقة المحيط الحرارية المعروفة باسم « أوتيك » (وهى الحروف الاولى للمقابل الانجليزى OCEAN THERMAL ENERGY CONVERSION « OTEC ») إلا أن تطويرها تقنيا لم يبدأ إلا بعد عام ١٩٢٩م عندما نجح مهندس فرنسى يدعى « جورج كلود » فى إقامة محرك صغير قوته ٢٢ كيلو وات على شاطىء البحر ، استخدم فيه الماء البارد من أعماق البحر عبر أنبوب طويل . ولم تكن هذه المحاولة ناجحة من الناحية الاقتصادية إلا أنها برهنت على إمكان تنفيذ الفكرة النظرية . وقد بدىء فى تشغيل أول محطة كبيرة لتوليد الكهرباء من طاقة المحيط الحرارية فى أمريكا عام ١٩٧٩ ، وتبين من التجارب التى أجريت فى هذا المجال أن انتاج ميجاوات واحد (مليون وات) من الكهرباء يستلزم نقل الماء بمعدل ثلاثة أمتار مكعبة فى الثانية .

ويتم انتاج الطاقة الكهربية وفق مبدأ الاستفادة من حرارة مياه البحار والمحيطات بطريقتين ، احداهما تسمى طريقة الدائرة المفتوحة ، وفيها يستخدم ماء البحر وحده كمائع تشغيل لايعاد تدويره ، والأخرى تسمى طريقة الدائرة المغلقة ، وفيها تستعمل مياه البحر الدافئة لتبخير مائع تشغيل آخر سهل التطاير مثل « ماء النوشادر » أو « الفريون » المستعمل فى الثلاجات المنزلية[1] ويعتبر « ماء النوشادر » أكثر أمانا وملاءمة فى حالة الدوائر المغلقة حيث يسهل ذوبان ما قد يتسرب منه فى ماء البحر ، وسرعان ما يتحول بواسطة العناصر الطبيعية مثل البكتريا والاكسجين وضوء الشمس ، الى مواد أخرى لا ضرر منها ولا تؤثر فى البيئة المحيطة بمحطة الطاقة . وقد أقيمت حديثا واحدة من محطات الدائرة المغلقة فى أمريكا ، وهى محطة

(١) راجع فى ذلك : د . أحمد مدحت اسلام : الطاقة ومصادرها المختلفة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٨٨م . و د . محمد رأفت اسماعيل رمضان و د . على جمعان الشكيل : الطاقة المتجددة ، دار الشروق ١٩٨٦م .

تجريبية على هيئة سفينة طافية على سطح البحر وتبلغ قدرتها مائة ميجاوات ، وتكفى حاجة مدينة متوسطة يصل تعداد سكانها الى مائة ألف نسمة .

ويمكن استخدام الطاقة الكهربية الناتجة من مثل هذه المحطات البحرية فى أغراض كثيرة مثل انتاج بعض المواد الأولية الهامة المستخدمة فى الصناعة بتكلفة أقل بكثير من تكاليف إنتاجها على البر . فيمكن ـ على سبيل المثال ـ تزويد هذه المحطات العائمة بأجهزة خاصة لفصل غاز النتروجين من الجو وتحضير غاز الهيدروجين بتحليل مياه البحر ، ثم مفاعلة هذين الغازين ؛ لتكوين غاز النوشادر بكميات تجارية تساعد على عمل المحطات العائمة ذاتها ، وتسهم مساهمة جيدة فى صناعة الأسمدة والمخصبات الزراعية . كذلك يمكن نقل غاز الهيدروجين الناتج بالتحليل الكهربى للماء الى البر على هيئة سائل واستخدامه بعد ذلك كوقود فى عمليات التسخين والتدفئة ، أو يستخدم فى تصنيع بعض المواد الهامة الأخرى مثل الميثانول والكيروسين والجازولين . ويمكن أيضا تنمية بعض الصناعات التى تحتاج الى قدر كبير من الطاقة الكهربية مثل صناعة الالومنيوم .

وبالرغم من كل هذه المميزات ، فما زالت التكلفة العالية تمثل عائقا كبيرا أمام تنفيذ هذه المشروعات بالاضافة إلى أن إقامة هذه المحطات العائمة بعيدا عن الشاطىء يشكل صعوبة بالغة فى نقل الكهرباء الناتجة منها إلى البر .. لكن الآمال المعقودة على هذه التقنية فى حل مشكلات الطاقة تدفع الباحثين قدما ـ فى مختلف دول العالم ـ نحو اجراء المزيد من البحوث والدراسات لزيادة كفاءة محطات « أوتيك » ومنتجاتها .

٢ ـ طاقة أمواج البحر :

يسعى الباحثون حاليا الى انتاج الطاقة من حركة أمواج البحر فى ارتفاعها وانخفاضها ، ويستند أحد المشروعات فى هذا المجال الى تعويم سلسلة من البراميل فى مسار الامواج بالقرب من الشاطىء . وعندما تدفع الامواج هذه البراميل تدور حول محورها وتؤدى حركتها المتواصلة الى تشغيل مولد كهربى لانتاج الطاقة الكهربية وتقتضى هذه الطريقة وجود أمواج يصل طولها الى ١٥٠ مترا على الاقل وارتفاعها نحو ٣ أمتار حتى يمكن توليد قدر مناسب من الكهرباء .

وهناك مشروع آخر قدمه بعض علماء اليابان فى شكل باخرة يبلغ طولها نحة ٥٠٠ متر ويوجد فى باطنها مجموعة من « التوربينات » التى تعمل بضغط الهواء توضع الباخرة عند الميناء فى مسار أمواج البحر ، وعند ارتفاع الامواج فإنها تدخل الى « التوربينات » وتضغط الهواء فيها فتدور محركاتها وعند انخفاض الامواج يقل ضغط الهواء داخل « التوربينات » ويؤدى الى سحب الهواء من الجو واندفاعه ، فيمر ايضا على « التوربينات » ويديرها وبذلك يستمر دوران « التوربينات » التى تولد فى حركتها قدرا من الطاقة يعتمد على شدة ارتفاع الامواج وهبوطها .

وهناك نماذج أخرى مختلفة لا تزال فى مرحلة التجريب لتوليد الطاقة الكهربية من حركة أمواج المياه فى البحار والمحيطات .

٣ ـ طاقة المد والجزر :

عرف الانسان ظاهرة المد والجزر منذ قديم الزمان عندما لاحظ أن مياه البحر ترتفع فى بعض الأحيان لتغطى أجزاء من الشاطىء ، ثم تعود لتنخفض بعد فترة من الزمان وتنسحب فى اتجاه البحر بعيدا عن الشاطىء وقد وجد أن هذه الظاهرة تتكرر فى دورات خاصة بعضها نصف يومية ، وبعضها نصف سنوية أو أطول . وهذه الدورات تؤثر على مدى المد وتعتمد على طبيعة الشاطىء وخط عرض المكان .

وتعتبر حركة المد والجزر أولى مصادر الطاقة التى استخدمها الانسان من مياه البحر ، فقد عالج المسلمون ـ فى مدينة البصرة منذ القرن الرابع الهجرى ـ هذه الظاهرة عندما كان الماء يزورهم فى كل يوم وليلة مرتين ، فيدخل الماء الانهار أثناء المد ، وينحسر راجعا أثناء الجزر وعمدوا الى أرحية أقاموها على أفواه الأنهار ليديرها الماء فى أثناء حركته داخلا وخارجا(٢) .

(٢) آدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : ترجمة محمد أبوزيدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، المجلد الثانى ، ص ٣٦٢ وما بعدها

أما التفسير العلمى لظاهرة المد والجزر فلم يتم التوصل اليه الا بعد اكتشاف نيوتن للتجاذب المتبادل بين كل من الشمس والقمر وبين الارض .

وتحدث أكبر موجة للمد عندما تكون الأرض والشمس والقمر فى خط واحد . وعلى الرغم من أن كتلة الشمس تبلغ نحو ٢٨ مرة قدر كتلة القمر إلا أن قوة جذبها لمياه البحار تبلغ نحو ٠,٤٦ فقط من تأثير القمر فى عملية المد والجزر .. والسبب فى ذلك أن الشمس تبعد كثيرا عن الأرض وتبلغ المسافة بينهما نحو ١٥٠ مليون كيلو متر ، بينما يقع القمر قريبا من الأرض وعلى مسافة ٣٨٥٠٠٠ كيلو متر منها فقط .. كما أن القمر ، من ناحية أخرى ، يدور حول الأرض فى مدار بيضاوى ، ولذلك فإن قوة جذبه لمياه البحر تتغير تبعا لموقعه فى هذا المدار ، فعندما يكون القمر فى أقرب موقع له من الأرض ، تزداد قوة جذبه بنحو ٤٠٪ على قوة جذبه عندما يكون فى أبعد نقطة له من الأرض .

ويتغير ارتفاع موجة المد من مكان لآخر ، فقد يتراوح ارتفاعها بين ثلث متر وبين خمسة عشر مترا ، وقد يندفع تيار المد على شكل حائط من الماء يتقدم بسرعة كبيرة نحو الشاطىء . ويعمل المد والجزر على ابطاء حركة دوران الارض ، غير أن معدل الابطاء صغير جدا ، فقد تم تقدير هذه القيمة الضئيلة والثابتة بمدى يتراوح بين ثانية فى اليوم كل ١٢٠ ألف سنة وثانية فى اليوم كل مائة ألف سنة .

وبالرغم من أن التفسير العلمى لظاهرة المد والجزر قد تناول الأشكال والأسباب الرئيسية لارتفاع مستوى سطح البحر وانخفاضه ، فإن هذه الاعتبارات النظرية لا يمكن استعمالها للتنبؤ بمقدار المد والجزر فى مكان معين ، حيث أن طبيعة شكل الشواطىء وأبعاد أحواض المحيطات تؤثر بدرجة كبيرة فى ذلك . وبالتالى فإن المد والجزر يسلكان سلوكا مختلفا تجاه القوة وراء حدوثهما وذلك باختلاف المكان .. ومن ثم فإن المشاهدة هى أدق الطرق لتعيين طبيعة المد والجزر فى أى مكان . ومثل هذه المشاهدات هى التى يعول عليها فى المقام الاول عند وضع جداول التنبؤ بالمد والجزر والمعلومات المتعلقة بهما .

وتتلخص الطريقة الحديثة لاستغلال طاقة المد والجزر فى بناء سد منخفض يحجز ماء المد العالى ثم يسمح لهذا الماء أن يتدفق فيدير مجموعة من « التوربيات » وتولد منها قدرا كبيرا من الطاقة الكهربية .

وخير مثال لتسخير ظاهرة المد والجزر فى انتاج الطاقة مشروع نهر الرانس RANCE بفرنسا ، الذى بدأ تشغيله فى عام ١٩٦٦ م بمعدل انتاجى مقداره ٢٤٠ ميجاوات ليسد حاجة إقليم « بريتانى » من الكهرباء الى جانب مساهمته فى امداد مناطق باريس ونانت وبرست ببعض احتياجاتها من الطاقة الكهربية ويوجد بالقرب من « مرمانسك » بروسيا الاتحادية و« تاليانج » بالصين محطات تجريبية أصغر حجما لانتاج الطاقة الكهربية من حركة المد والجزر .

ولقد أثبتت محطة « الرانس » الجدوى الاقتصادية للمشروع وحثت الباحثين على اجراء العديد من دراسات الجدوى لتحديد مواقع مناسبة لاقامة محطات قوى مد وجزر تتميز بمدى واسع مع إمكانات توفير مستودعات كبيرة لتخزين كميات كبيرة من المياه المنتجة للقوى ، وشملت هذه الدراسات مواقع مختلفة فى امريكا وألاسكا وفرنسا وانجلترا واستراليا والارجنتين وروسيا وكوريا والهند وغيرها ، ويمكن لمشاريع طاقة المد والجزر على المستوى الدولى أن تنتج حوالى ٦٣٥٠٠٠ ميجاوات أى ما يعادل أكثر من بليون برميل من النفط سنويا .. وهذا يمثل إضافة لا بأس بها لطاقة العالم الحالية من الكهرباء والتى تقدر بحوالى $١٠^{١٢}$ وات ، أضف الى ذلك أن طاقة المد الكهربية لا تحتاج فى انتاجها الى استهلاك أى وقود ، وبالتالى لا ينتج عنها مخلفات ضارة بالصحة ، كما أن تأثيرها البيئى الضار بالمساحات المجاورة أقل كثيرا إذا ما قورن بتأثير السدود المنشأة على مصاب الأنهار(٣) .

(٣) راجع لمزيد من التفصيل :
- مجلة العلم والمجتمع ، الترجمة العربية ، اليونسكو ، ع ٧٠ ، ١٩٨٨م .
- تاربوك ولوتجنز ، الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، طرابلس ليبيا ١٩٨٩م .

الرضاعة الطبيعية

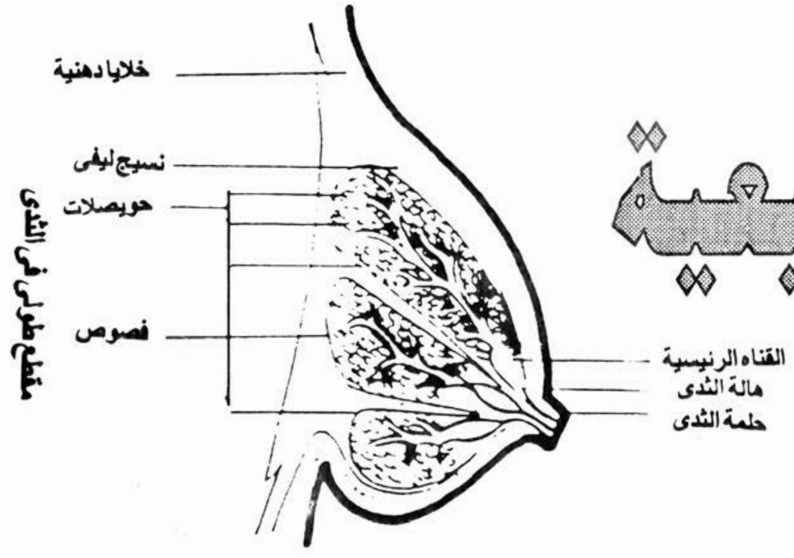

للدكتور أحمد رجاء عبد الحميد

لقد حث القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعيـة للطفل لمدة عامين ، وذلك لحكم إلٰهية ، وهى أن تسترد الحامل صحتها علاوة على ما للبن الأم من فوائد صحية للطفل .

قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ (٢٣٣) ﴾

ســـورة البقرة

وقد أثبت العلم الحديث أن هذه المدة هى المدة النموذجية لصحة ونفسية الطفل والأم معاً . فمن المعروف أن السيدة الحامل تحتاج إلى مواد غذائية ، و (فيتامينات) ، ومعادن لازمة لنمو الجنين داخل الرحم . وكذلك تحتاج إلى فترة لكى يستعيد جسمها النقص الذى سببه الحمل من هذه العناصر . وإذا حدث حمل مباشرةً بعد الولادة فإنها تصاب بفقر دم (أنيميا) نتيجة نقص عنص الحديد ، كما تصاب بلين فى العظام والأسنان نتيجة نقص عنصر (الكالسيوم) ، وكذلك يولد الطفل مصاباً بهذا النقص .

ولبن الأم هام جداً للطفل ؛ حيث يحتوى على مواد تكسب الطفل مناعة ضد الأمراض والالتهابات ، كما أن الرضاعة الطبيعية تزيد من ارتباط الطفل بأمه مما يقوى الرابطة العاطفية بينهما ، ولبن الأم غذاء كامل للطفل فى أشهره الأولى ؛ فهو يحتوى على سكر اللاكتوز اللازم لنمو المخ والجهاز العصبى ، وكذلك يحتوى على بروتينات من نوعين :

النوع الأول : وهو « الألبومين والجلوبيولين » وهو لا يتجبن بفعل العصارة المعدية ، ولذلك فهو سهل الهضم .

والنوع الثانى : والمسمى « كازين » هو الذى يتجبن فى المعدة ، وكذلك يوجد باللبن فيتامينات ومعادن مثل : الكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والفوسفور ، والحديد ، والنحاس .

فوائد الرضاعة الطبيعية بالنسبة للأم :

١ ـ الوقاية من سرطان الثدى .
٢ ـ تقليل كمية النزيف فى الأسابيع الأولى بعد الولادة
٣ ـ المساعدة على عودة الرحم إلى حالته الطبيعية وذلك نتيجة لإفراز هرمون « الأوكسيتوسين » الذى يؤدى إلى انقباض الرحم .
٤ ـ فقدان الوزن الزائد أثناء الحمل « حوالى ٤ كيلوجرامات » ، مما يؤدى إلى المحافظة على جسم المرأة من الترهل .
٥ ـ تمنحها فرصة إطالة الفترة بين الحمل والحمل الآخر وفرصة للراحة من أعباء الحمل .

فوائد الرضاعة الطبيعية بالنسبة للطفل :

- لبن الأم يعتبر غذاء كاملًا خلال الأربعة شهور الأولى من عمر الطفل .
- لا يتعرض للتلوث حيث أنه يصل من الثدى إلى فم الطفل مباشرة .
- سهل الهضم .
- يقى الطفل من الإسهال .
- يقل معه احتمال إصابة الطفل بالحساسية .
- يقل احتمال إصابة الطفل بالتشنجات إذا ارتفعت درجة حرارته ؛ حيث أن لبن الأم به نسبة أملاح أقل من الموجودة فى الألبان الأخرى والتى تزيد من احتمال حدوث التشنجات .

الكولستروم أو « اللبأ » ينتج فى الأيام القليلة الأولى بعد ولادة الطفل ، وهو يحتوى على تركيز عال من الأجسام المضادة من الأم ، ومواد أخرى كثيرة تحمى الطفل من الأمراض .

والكلوستروم مصدر هام لكرات الدم البيضاء والأجسام المضادة التى تساعد على حماية الغشاء المبطن للأمعاء من الإصابة بميكروبات الأمعاء (الجراثيم المسببة للأمراض الأخرى) وكذلك يوجد به مضادات للفيروسات ، ووجود هذه الأجسام المضادة يؤدى إلى انخفاض احتمالات الإصابة بالعدوى للطفل فى أيامه الأولى .

تكوين الثدى : (انظر الشكل)

يتكون كل ثدى من ١٥ إلى ٢٥ فصاً يفصل بينها نسيج ليفى ، ويغلف كل فص خلايا دهنية ، وأجزاء الثدى تتكون من :

١ ـ الفصـوص .
٢ ـ خلايا دهنية .
٣ ـ نسيج ليفى .
٤ ـ حويصلات .
٥ ـ القناة الرئيسية .
٦ ـ الحلمة .
٧ ـ هالة الثدى .

تأثير الرضاعة الطبيعية على الحالة النفسية للفرد :

وجد أن الطفل الذى يتناول طعامه من ثدى أمه يكون أكثر هدوءًا ومرحاً من زميله الذى حرم من هذا الطعام ـ لوفاة الأم أو مرضها أو ظروف عملها وحياتها ـ مهما أعطى ألباناً وأغذية أخرى أكثر فى محتواها من لبن الثدى . وكذلك توجد أبحاث علمية تؤكد أن الرضاعة الطبيعية لا تؤثر فى مزاج ونفسية الطفل فى هذه المرحلة فقط بل تتعداها إلى المراحل الأخرى من عمره . وتؤثر ـ أيضاً ـ فى شخصيته وصحته حينما يصبح رجلًا .

وقد وجد أن الأشخاص الذين لم يرضعوا رضاعة طبيعية فى طفولتهم يكونون أكثر عرضة للأمراض النفسية ـ من اكتئاب وقلق ـ من نظرائهم ممن حظوا بالرضاعة الطبيعية من أمهاتهم أثناء طفولتهم .

طرق الرضاعة : توجد طريقتان للرضاعة :

الأولى : الرضاعة التى تتفق مع الفطرة : وهى إرضاع الطفل ـ كلما احتاج ـ ثدى أمه .
الثانية : عملية تنظيم الرضاعة فى أوقات محددة بصـ[illegible]ـظر عن بكائه .
[illegible] ثبت أن الطريقة الأولى هى المثلى من الناحيتين الصحية والنفسية وتجعل الطفل أكثر هدوءًا ومرحاً .
مدة الرضاعة : أثبت العلم الحديث أن المدة النموذجية للرضاعة هى عامان ـ كما جاء بالقرآن الكريم « سورة لقمان وسورة البقرة » ـ وأن هذه المدة نموذجية لصحة ونفسية الطفل والأم معاً .

موانع الرضاعة :

قال رسول الله ﷺ : « توقوا أولادكم من لبن البغى والمجنونة فإن اللبن يعدى » حديث شريف(١)

إن اكتشاف مرض الإيدز وطرق انتقاله عن طريق الرضاعة ، وأن أكثر البغايا مصابات بهذا المرض اللعين ، وكذلك فإن غائبة العقل قد تؤذى الطفل ؛ ولهذا فإن من أهم موانع الرضاعة هو : ما جاء بالحديث الشريف ، بالإضافة إلى بعض الموانع النادرة ، مثل : مرض السل المفتوح : « كأن يكون بصاق المريض مدمماً » .

(١) عن دراسة من إعداد لجنة من علماء الأزهر الشريف بعنوان : المنهج الإسلامى فى رعاية الطفولة القاهرة ١٩٨٥م .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد*

☐ سماعة تعمل بالكمبيوتر للصم :

نجح فريق من الأطباء الأمريكيين فى زرع سماعة تعمل بالكمبيوتر لأصم يبلغ من العمر سبعين عاما ؛ وأصبح يسمع بشكل طبيعى . ويقوم الجراح بتوصيل ١٦ قطبا صغيرا بعصب السمع داخل الأذن مما يسمح بيث عدد كبير من الأصوات التى تلتقطها السماعة ، فتعمل على إثارة عصب السمع فى الأذن الداخلية لدى الأشخاص الذين يعانون من عجز تام أو شبه تام فى السمع ، وقد استمرت البحوث والتجارب على تطوير هذه السماعة منذ عشرين عاما .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

□ أشعة الليزر لعلاج أورام المخ فى الأطفال :

توصل أحد الأطباء الأمريكيين فى مستشفى الأطفال بولاية « أوهايو » الأمريكية إلى طريقة جديدة لعلاج أورام المخ عند الأطفال باستخدام شعاع شديد التركيز من أشعة الليزر ، وهذه الطريقة ستمكن الأطباء من اجراء عمليات فى بعض المناطق فى المخ دون الحاجة إلى إزالة جزء كبير من عظام الجمجمة ، وتتلخص الطريقة الجديدة فى قيام الطبيب بتمرير أشعة الليزر إلى رأس الطفل من خلال فتحة صغيرة لا تتعدى سنتيمترا أو نصف السنتيمتر ، وبعدها يستخدم الشعاع شديد التركيز كى يقضى على الورم ، كما تقوم أشعة الليزر بإغلاق الأوعية الدموية للحيلولة دون فقدان أى دماء ، وقد استخدمت الطريقة الجديدة لعلاج خمسين طفلا حتى الآن ، وتستغرق العملية ساعة ونصف ويشفى المريض منها بعد يومين .

●○●

□ صمامات القلب من عضلات الظهر :

تمكن أطباء جراحة القلب بجامعة « ليفربول » البريطانية من حل مشكلة أمراض القلب الناتجة من خلل فى صماماته حيث نجحوا فى صناعة صمامات القلب من عضلات قوية تؤخذ من الظهر ، وأشار الأطباء إلى أن عضلات الظهر تتمتع بقوة أكثر من غيرها من عضلات الجسم وأن إصابتها لا تسبب أى ضرر فى وظائف الجسم

●○●

□ أصغر حاسب آلى « كمبيوتر » فى حجم ساعة اليد :

شملت الثورة التكنولوجية جميع الأفاق ، وخاصة فى المجال الالكترونى ؛ حيث أصبح التفكير السائد هو : تصغير حجم المعدات والأجهزة إلى أقصى حد ممكن ، وقد قامت إحدى الشركات الأمريكية فى كاليفورنيا بإنتاج « كمبيوتر » صغير يضعه الشخص حول معصمه مثل الساعة الكبيرة ، بحيث يمكن استخدامه فى أى وقت وأى مكان ، ويتوقع الخبراء أنه قبل نهاية هذا القرن سيعمم إستخدام الأجهزة الدقيقة فى جميع مجالات الحياة العامة والخاصة ، وسيستطيع رجال الأعمال إدارة أعمالهم والاطلاع على النشاط المالى العالمى من أى مكان بواسطة أجهزة « الكمبيوتر » الدقيقة .

●○●

□ أحدث طريقة لعلاج مرضى السكر :

توصل بعض العلماء الدانمركيين إلى طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف ، تتلخص هذه الطريقة فى تعويض النقص فى انتاج الأنسولين بواسطة غدة البنكرياس عن طريق استنشاق مادة الأنسولين من الأنف قبل تناول الطعام ، ويضاف إلى الأنسولين مادة كيميائية مساعدة ومضمونة تماما .

●○●

□ البان الماعز أدوية طبيعية :

ذكرت صحيفة « واشنطن بوست » الأمريكية أن العلماء الأمريكيين نجحوا فى أبحاث خاصة بتأثير « جينات » الماشية وخاصة الماعز والغنم والأبقار ؛ لإنتاج لبن طبيعى يحتوى على أدوية معالجة ، وأشارت الصحيفة الى أن هذا الحلم الذى راود علماء « التكنولوجيا » الحيوية أصبح حقيقة من الناحية النظرية ، وأثبتت احدى الدراسات أن لبن الماعز من الممكن استخدامه لانتاج دواء « كى بى إيه » لمعالجة الأزمات القلبية وهذ الدواء أكثر المحاليل تكلفة فى السوق .

□ جهاز للقراءة لمكفوفى البصر :

ابتكر مواطن استرالى جهازا جديدا يستطيع قراءة الوثائق والرسائل والكتب لمساعدة مكفوفى البصر ، ويمكن استخدام الجهاز بوضع الصفحة المراد قراءتها على وجهها كما هو الحال فى آلات التصوير ، ثم يضغط على زر ليبدأ الجهاز بقراءة الصفحة ، ويعتبر الجهاز هو الأول من نوعه فى العالم ؛ حيث يعتمد على أسلوب التعرف على الحروف البصرية ، وهو عبارة عن صندوق أسود اللون وفوقه غطاء يمكن رفعه لوضع الوثيقة أو الصفحة تحته بحيث تواجه اللوحة الزجاجية وعند الضغط على الزر الخاص بالتشغيل يبدأ الجهاز فى قراءة الصفحة بصوت عال ويمكن التحكم فى الصوت حيث يمكن تعديل قوته أو سرعته أو طبقته بواسطة مفاتيح خاصة ، ويقتصر الجهاز حاليا على قراءة النصوص الانجليزية ، ولكن الأبحاث تجرى لبرمجته لقراءة لغات أخرى .

●○●

□ التيار الكهربى لعلاج الأورام السرطانية :

تمكن عالم سويدى ـ متخصص فى علم العلاج بالأشعة ـ من رسم تخطيط واضح للدوائر الكهربية فى جسم الانسان لتسهيل عملية استخدام التيار الكهربائى فى تقليص الأورام السرطانية ، والعلاج بهذا الأسلوب الجديد ما يزال فى مراحله الأولى ، إلا أنه سيكون له أهمية كبيرة فى مجال علاج الأمراض السرطانية ، وتتطلب هذه الطريقة تمرير التيار الكهربى داخل الورم السرطانى بطاقة محددة تقوم باجتذاب خلايا الدم البيضاء المتخصصة فى مهاجمة الخلايا السرطانية الى مكان الورم .

□ طائرة مائية لأعماق المحيطات

نجح خبراء هندسة المحيطات الأمريكيين فى بناء أول طائرة مائية مخصصة للعمل بالاعماق البعيدة من المياه ، وهى تستخدم أسلوب الطفو فوق سطح المياه كى ترتفع ؛ لتغوص كالحوت ، وأطلق عليها طائرة الأعماق . الطائرة مزودة بأجنحة ، الوسطى منها مثبتة فى جسمها ومحدبة السطح الانسيابى المقلوب ، لتتمكن من اداء الحركة العكسية للغوص ، أو الطفو فوق سطح المياه للصعود وكأنها تصعد على منحدر وبدون الاستعانة بقوة المحركات ، حجرة الملاح صغيرة جدا تقاوم الضغط ، وهى عبارة عن أنبوبة سميكة من مواد صناعية وشفافة من جانب واحد ، يكون الملاح داخلها فى وضع السباح ، يقبض بيده على مُوجِّه الحركة ، واليد الأخرى على آلة التصوير ومفاتيح الاضاءة ، وعندما تصبح فى المسار الصحيح يمكن تشغيلها « اتوماتيكيا » الهدف من طائرة الأعماق هو : البحث العلمى ذو الطابع السريع وكذلك استكشاف الجديد فى أعماق المحيطات .

من
أعلام الأزهر

الأستاذ الشيخ : الشرباصي الحسنين البصراطي

للدكتور/متولى محمد البساطى *

مولده وسيرته

كان بحق مثلا وقدوة ، ولا تزال سيرته بين تلاميذه ، وإخوانه ، وأبناء قريته زاكية عاطرة ، ولا يزالون يحفظون له اعتزازه بأزهره وقريته .

ولد العالم الفاضل بقرية (ميت أبو غالب) وهى إحدى قرى (محافظة دمياط) حالياً ، وهى قرية عرفت بين القرى المجاورة بعلمائها المتميزين ، فكانت مقصداً لطلاب العلم ، كما اشتهرت بحفظة القرآن الكريم ، وكثرة « الكتاتيب » لتحفيظه .

وكان أبوه رجلا صالحاً له تجارة متواضعة ، إلى جانب عمل يده ، جاهد لينفق على ابنه ليواصل تعليمه بعد أن حفظ القرآن الكريم ، جاهد والتحق بمعهد دمياط الدينى ، حتى أتم الله عليهما نعمته بعد رحلة جهاد من أجل العلم .

* الكاتب : وكيل كلية اللغة العربية بالمنصورة .

علمه ونبوغه

ولقد أفاض الله عليه علماً فلم يبخل به ، فمارس الخطابة منذ أن كان طالباً ، وكان ذا موهبة خطابية متميزة ، فى نغمة هادئة ، وموضوعية هادفة كان لها أثرها فى الأجيال التى استمعت إليه وأخذت عنه إلى جانب حلقات درسه بالمسجد ، وتدريسه بكليتى أصول الدين واللغة العربية .

وإلى جانب ما أفاء الله به عليه من علم ، وما منحه من موهبة فى الحديث .

كان تواضعه وسماحته وسعة صدره وحبه للناس ، وللخير والفضيلة من السمات الواضحة التى حببته إلى الناس ، وقربته إلى قلوبهم ، فكان قدومه إلى القرية بزيه الأزهرى الذى كان يعتز به ويحرص عليه ، حدثا يترقبه الناس ، فيؤمون بيته للإفادة منه .

ولم تنقطع صلته بأهل قريته بعد رحيله إلى القاهرة واستقراره بها للتدريس بكلية أصول الدين ، بعد حصوله على شهادة (الأستاذية) فى علوم القرآن الكريم .... وتمثل ذلك فى زياراته التى لم تنقطع ، وفى تذييل مقدمة كتبه باسم قريته فى اعتزاز .

وكانت له مواقف مشهودة فى محاربة الجهل والبدع والخرافات التى كانت سائدة ، يروج لها أدعياء الدين والمشعوذون والدجالون ، والمنتفعون ..

أهم أعماله وأبحاثه

١ ـ الإصلاح المنشود للأسرة . ويقع فى حوالى مائتى صفحة يقول فى مقدمته : « .... فأهدى رسالتى هذه إلى الأمة الحيرى التى بعدت عن دينها ، وأصبحت تبحث عن علاج لها فى مشاكلها الاجتماعية والدينية والخلقية إلا أنها ضلت الطريق ، حيث نبذت الدين وراءها ظهرياً ، وظلت تتلمس دواءها فى واردات الغربيين وأفكار الملحدين مع أن مصدر شفائها تحت يدها وبين سمعها وبصرها ذلكم هو الإسلام القويم والقرآن الحكيم الذى وضع لكل داء دواءه المنشود[1] » .

وقد عالج فيه كثيرا من القضايا التى تتعلق بالأسرة والمرأة من مصادر إسلامية : مثل عناية الإسلام بالمرأة ، وحقوقها ، والزواج ، وحقوق الزوجة ، وما خص الله به الرجال ، وتعدد الزوجات ، ورد الشبه الواردة على ذلك ، وحق الآباء على الأبناء ، ونظام الطلاق ، والعدة ، ونظام التوريث .

٢ ـ من هدى النبوة : ويقع فى حوالى خمسين ومائتى صفحة ، وهو يتضمن شرحاً لعشرين حديثاً من أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ وهى أحاديث ذات صلة قوية بواقع المسلمين وحياتهم فى أسلوب سهل ميسر .

وكان منهجه أن يأتى بالحديث ، ومصادر روايته . ثم يشرحه شرحاً مجملا ، يخرج منه إلى الشرح التفصيلى ، بعده يعرض لمعانى المفردات ، ثم أغراض الحديث ، يلى ذلك إعطاء نبذة موجزة عن راوى الحديث ، ويختم بالآيات والأحاديث التى تؤيد حديث الباب ...

(١) ص ٣ شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٩٦٧ .

طرائف و مواقف

اعداد الأستاذ
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

عظنى بما رأيت

دخل مقاتل بن سليمان على الخليفة المنصور فى يوم بيعته بالخلافة .

فقال له : عظنى يا مقاتل !!

قال : أعظك بما رأيتُ ، أم بماسمعت ؟

قال : بما رأيت .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ عمر بن عبدالعزيز ، وقد خلَف أحد عشر ولداً ، وترك ثمانية عشر ديناراً ، كفن منها بخمسة ، واشترى له قبر بأربعة ، ووزع الباقى على ولده .

ومات هشام بن عبدالملك ، فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع من النقد دون الضياع والقصور ثمانين ألفاً والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت فى يوم واحد ولداً من ولد عمر بن عبدالعزيز يحمل مائة فرس فى سبيل الله ، وولداً من ولد هشام يسأل الناس فى الطريق !!

قالـــوا ...

• ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك .

• علامة الحكمة معرفة أقدار الناس .

• الاخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه ، والصبر عليه ، والصدق لا يتم إلا بالاخلاص فيه والمداومة عليه .

• أعربنا فى الكلام ، ولحنا فى الأعمال ، فيا ليتنا لحنا فى الكلام ، وأعربنا فى الأعمال .

• كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوه ، وتشغل قلبك بما عندهم ، فتكون أجهل منهم ، لأنهم اشتغلوا بما أُعطُوا واشتغلت أنت بما لم تُعطَ !!

عجب لتلك قضية !!

يروى لهُنَيِّ بن أحمر الكنانى :

هل فى السويَّــةِ أن إذا استغنيتُــمُ
وأمنتُــمُ فَأنــا البعيــدُ الأجْــنَبُ
وإذا الشدائِــدُ مَرّةً أشجتكُــمُ
فأنــا الأحبَّ إليكُــمُ والأَقْرَبُ
وإذا تكونُ كَريهَــةٌ أُدْعَــى لَهَــا
وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعى جُنْدبُ
عَجَبٌ لتــلك قضيــةٌ وإقامَتــى
فيكُمْ على تِلْكَ القضيــةِ أعْــجَبُ
هذا لعمــرِكمُ الصَّغَــارُ بِعَيْنِــه
لا أم لى إن كان ذاك وَلا أبُ
ألِمَــالِكٍ خِصْبُ البِــلادِ ورغْيُهَــا
ولى الثمَّــادُ ورعيهُــنُ المُجْــدِبُ

حقائــق

قال أبو ذر الغفارى ــ رضى الله عنه ــ :

إن قيامى بالحق لله ــ تعالى ــ لم يدع لى صديقاً ، وإن خوفى من يوم الحساب ما ترك على بدنى لحماً ، وإن يقينى بثواب الله ــ تعالى ــ ما ترك فى بيتى شيئاً .

من أجالــس ؟

سأل رجل ذا النون المصرى فقال :

من أجالس ؟

فأجابه : جالس من الناس من تقهرك هيبته ، وتخوفك فى السر والعلانية رؤيته ، ويخبرك عن نفسك بالذى هو أعلم به منك .

كان عندى ضاغــط

كان سيدنا معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ عاملا لسيدنا عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فلما رجع ، قالت له زوجته : ما جئت به مما يأتى به العمال إلى أهلهم ؟ وما كان قد أتاها بشىء .

فقال لها : كان عندى ضاغط .

قالت : كنت أميناً عند رسول الله ــ ﷺ ــ وعند أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ ويبعث عمر معك ضاغطاً وقامت بذلك بين نسائها ، واشتكت عمر ــ رضى الله عنه ــ فلما بلغه ذلك ، دعا معاذاً ، وقال : بعثت معك ضاغطاً ؟ قال : لم أجد ما أعتذر به إلا ذلك ، فضحك سيدنا عمر ــ رضى الله عنه ــ وأعطاه شيئاً ، وقال له : أرضها به .

ومعنى : ضاغطاً أى رقيباً . كان ــ رضى الله عنه ــ يريد بالرقيب الله ــ سبحانه وتعالى ــ .

نصيحــة

من حكم سليمان الدارانى ــ رضى الله عنه ــ :

من أحسن فى ليله كوفىء فى نهاره ، ومن أحسن فى نهاره كوفىء فى ليله ، ومن صَدَقَ فى ترك شهواته كفى مؤونتها ، والله أكرم من أن يعذبَ قلباً ترك شهوة لأجله .

رحــم مقطوعــة

روى أنه قيل لمعاوية بن أبى سفيان :

يا أمير المؤمنين ، بالباب رجل يقول : إنه أخوك !!

فقال : كيف لا أعرف إخوتى ؟

أدخلوه ، فدخل الرجل .

فقال له معاوية : أى أخوتى أنت ؟

قال : أخوك من آدم !

قال : رحم مقطوعة ، والله لأكونن أول من وصلها . وقضى له حاجته .

دعاء لرد كيد الشيطان
بمشيئته تعالى

اللهم ، إن هذا الشيطان يرانى من حيث لا أراه ، وأنت ــ سبحانك ــ تراه من حيث لا يراك ، فأسألك ربى أن ترد عنى كيد من تراه ولا أراه .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدى رسول الله ﷺ .

من روائـــع الماضى بمجلة الأزهـــر

رأى الإسلام فى القتال

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز

إعداد وتقديم الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

القصد والتحديد آمران لابد منهما لفهم النصوص القرآنية وبعض الألفاظ فى القرآن الكريم قد يتطلب هذا التحديد ، جلاءً ، وفهما ، وإستيعابا ، وضعا للأمـــور فى نصابها الشرعى . فليس أخطر على الباحث فى الشريعة الإسلامية من الوقوف عند اطرافها المجملة ، لأنه بذلك يدع النصوص تتصادم مع بعضها ، فإذا حاول التوفيق فقد يضل أو يزل . لهذا لابد من البيان والتوضيح بشرط أن تكون أدواته فى المقدور والمستطاع ممن يملك هذه الأدوات ، قال الأستاذ رحمه الله .

هذه إحدى « الثلاثيات » ، القرآنية .

وأعني بتلك « الثلاثيات » طرازاً خاصاً من الأحكام ، يصدرها القرآن فى ثلاثة ألوان مختلفة من أساليب البيان : أسلوب « الإثبات » المجمل تارة ، و « النفى » المجمل تارة ، و « الإثبات والنفى » جميعاً تارة أخرى ، مفصلا فى هذا الوضع الأخير مطالع الحكم ومقاطعه ، ومحددا فيه منازل التشريع ومنازعه ، مبيناً بذلك أنه ، حين يثبت مجملا وحين ينفى مجملا ، إنما يقضى فى شأنين مختلفين ، فيقرر فى كل شأن حكمه العدل ، ويقول فى كل مقام قوله الفصل .

ليس أخطر على الباحث فى الشريعة الإسلامية من الوقوف عند أطرافها المجملة ، لأنه بذلك يدع نصوصها تتصادم وتتخاصم .. حتى إذا سعى فى الصلح بينها برأيه لم يأمن على نفسه الهوى والزلل فى تأويلها . وهذا شأن اتباع المتشابه الذى نهى الله عنه .

وإنما يستبين موقف الإسلام واضحاً جلياً فى هذا الضرب من المسائل ، حين يلتمس حلها فى تلك الآيات الجامعات ، التى تلتقى فيها الأطراف على قدر ، والتى يبرز بها التشريع الإسلامى فى وحدة لا تنقسم ، وعروة لا تنفصم . تلك هى الآيات المحكمات ، وهن أم الكتاب .

هذا الطراز من التشريع الثلاثى مفتاحه إذاً فى وسطه لا فى طرفيه ، وروحه فى قلبه لا فى جناحيه . وسنريك الآن : أين الأطراف ، وأين الأوساط فى موضوع حديثنا .

* * *

فانظر ها هنا ، فى أقصى الجانب الأيمن !

أليس يبرز الإسلام أمامك فى شعاب « مكة » ووديانها رافعاً راية السلام بيضاء نقية لا شية فيها ؟ أليس يبدو نبى الإسلام باسطاً جناحى رأفة ورحمة يفىء إلى ظلهما الوارف أنصاره وأعداؤه على السواء ؟ ألست تسمع كتاب الإسلام وهو يحدد مهمة حامله ؟ فإذا هى هداية وأرشاد ، وموعظة وتذكير ، وإنذار وتبشير . ويجمع ذلك كله فى كلمة واحدة : « بلاغ » .

« ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ » « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ » « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ » « وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ » « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ » « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » « فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ » ..

وزد ما شئت من سماحة وكرم ، لا ترى فيهما شائبة لعنف ولا انتقام ، ولا إثارة من مقاومة أو اصطدام ... الإسلام إذاً هو رسالة السلام .

ولكن هلم إلى أقصى الطرف الآخر !

ألست تسمع من قبل « المدينة » صيحات النفير إلى النزال ، وقعقعة السلاح فى ميادين القتال ؟ أو لست ترى هنالك أشلاء تتناثر ، وأطرافا تتطاير ، وأعناق تدق ، ودماء تسفك ، وأرواحا تزهق ، وأسرى يشد وثاقهم ، وشهداء يهنأون بنبيل تضحياتهم ، ويبشرون بعظيم أجورهم ؟ « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ » « أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون » « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » « فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » « فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ »

الحرب إذاً شريعة إسلامية ، وفريضة محمدية . بل هى أعظم من ذلك ، إنها عنصر أصيل من عناصر الإيمان الصادق : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا » « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » .

يا لله ! ما أبعد الشقة ، وأشد المفارقة !... أمن السلام الأبيض الناصع ، الرحيم المتواضع ، إلى الثورة الحمراء القانية ، والحرب الفاتكة المهلكة ؟

تلك هى المشكلة التى فتحت باب التعليل والتأويل أمام الذين يأخذون الأمور من أطرافها . وما أكثر

الفروض ، وما أبعد تشعب الظنون ، حين يتحرر المرء من قيود العيان والبرهان ! وما أشد إغراء الهوى لمن وقف فى محراب العلم وهو لما يفق من نشوة نزعاته وعصبياته ، ولما يتجرد من سلطان عقائده وعوائده ! هنالك يطير خلف كل سانحة وبارحة من الرأى ، فيمسك بأيها كان أحب لقلبه ، أو أكثر تملقا لشعور قومه ، ثم يرسلها فى الناس باسم العلم وفلسفة التاريخ . وما هى من العلم ولا من التاريخ فى شىء .

ذلك مثل فريق من كتاب الغرب حين تفرقت بهم السبل فى معالجتهم لهذه القضية :

أكان محمد متعطشا للدماء بفطرته ، ولم يمنعه من سفكها — إذ كان فى «مكة» — إلا أنه كان من الأعوان فى قلة ، ولم يكن أعوانه فى عامة الأمر يومئذ إلا الضعفاء والمستضعفين ، فكان تسامحه حينذاك ضرورة ألجأه اليها العجز وفقد النصير ، حتى إذا واتته الفرصة فى موطنه الجديد اهتبلها ، وغمس يده فى الدماء إشباعا لغريزة الثأر والتشفى ؟

أم كان فى هذا الموقف الحربى متحركا بحركة قسرية ، لا يستعمليها من مرارة قلبه ، ولكنه دفع اليها دفعا ، وكان فيها تابعا لا متبوعا ؟ ذلك أنه وجد نفسه فى قوم عاشوا جل دهرهم على الغارات والحروب ، فما كان منه إلا أن نزل على إرادتهم وجرى فى تيارهم .

وهل أنا إلا من غزية ؟ إن غوت
غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

لقد قلبوا وجوه الرأى وذهبوا فيها كل مذهب ، ولكنهم حيثما ذهبوا لم يجدوا إلا برقا خلبا ، وسرابا خادعا ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . نعم لقد اصطدموا بحقائق التاريخ فى كل مسلك سلكوه ، وضلوا ضلالا بعيداً فى كل مثل ضربوه .

ذلك أن الذين درسوا منهم نفسية محمد فى مختلف أطواره : فى شبابه وكهولته ، فى بأسائه ونعمائه ، حتى فى أوج سلطانه ، شهدوا بأن محمداً لم يكن يوماً مافظ الطبع ، ولا غليظ القلب ، ولا خشن العشرة ، ولا عاتى الحكم ، ولا حامل ضغن على صديق أو عدو . ولئن كانت فى طباعه نزعة عاتبه الوحى فيها عتاباً بلغ حد اللوم والتثريب ، لقد كانت تلك ، على العكس ، نزعته للصفح عن أعدائه ، ومجازاتهم بالذنب غفرانا ، وبالسوء إحسانا . وإن شواهد سيرته العطرة فى هذا كله لأشهر من أن ينبه عليها ، وأكثر من أن يعد بعضها ناهيك بمنه بالحياة على قريش وهم فى قبضته ، بعدما تآمروا على قتله .

وذلك أن الذين درسوا حياة محمد شهدوا فى الوقت نفسه بأنه لم يكن يوما ما إمعة فى رأيه ولا رخواً فى حكمه ، وأنه لم يعرف عن أمة فى التاريخ أنها كانت أطوع لملك أو قائد أو زعيم من قوم محمد له : طاعة لا يمليها سوط ولا صولجان ، ولكن يبعثها الحب والمهابة والثقة والإيمان ، وأنهم بلغوا فيها إلى حد تفديته بأهليهم وآبائهم وأبنائهم وأنفسهم .

وكذلك شهد التاريخ أن خروج محمد من القرية الظالمة إلى دار الأنصار لم يكن سبباً فى تحول سياسته مع قريش من اللطف إلى العنف ، ومن المسالمة إلى المقاومة ، على الرغم من وضوح حقه فى هذا التحول وتمكنه منه ، فقد بايعه الأنصار من قبل هجرته اليهم ، وأعطوه المواثيق الغلاظ على مؤازرته ونصرته . فلو أنه فكر فى الثأر لرمى بهم فى وجه عدوه من أول يوم ، ولكانوا أطوع له من بنانه ، ولكنه لبث فيهم زهاء عامين شغل فى أثنائهما شغلا مستغرقا بشعائر دينه ، وشئون قومه ، وكان كل شىء فى سيرته إذ ذاك يدل على أنه قد تناسى الماضى بحسناته وسيئاته ، وأنه قد أطمأن الاطمئنان كله إلى حياته الجديدة ، فهاهو ذا قد استبدل داراً بدار ، وأهلا بأهل ، بل لقد استبدل شعاراً بشعار ، وقبلة بقبلة : إذ أصبح يولى وجهه فى الصلاة شطر بيت القدس بعد أن كان يستقبل الكعبة .

وجملة القول : إن خوضه غمار الحرب لأول مرة كان حادثاً فجائيا حقا ، لم تمهد له مقدمات من حياته بالمدينة ، كما لم تمهد له مقدمات من ميوله ونزعاته ، ولا من شخصيته ومنزلته فى قومه .

° ° °

هكذا فشل كتاب الغرب فى محاولتهم تعليل هذا الموقف الجديد بأسباب وعوامل التمسوها فى المعسكر الإسلامى .

وكان الإنصاف العلمى يقضى عليهم أن يلتمسوها بعد ذلك فى الجانب الآخر ، فلم يفعلوا . ولو أنهم طرقوا هذا الباب لوجدوا من ورائه ضالتهم ، ولقضوا من فورهم على جريمة الحرب فى مهدها ومولدها .

فالواقع أن أول حرب فى الإسلام لم يوقدها المسلمون ، بل كانوا وقودها ، وأن أعداء الإسلام هم الذين أشعلوا نارها ، وأطاروا شررها . لا أقول إنهم كانوا سببها البعيد فحسب ، بل كانوا هم معلنيها عمليا ، والمتسببين فيها من طريق مباشر ، وما كان من المسلمين إلا أنهم قبلوا التحدى ، وردوا التعدى .

لا تعجل أيها القارىء على رداً وإنكاراً ، ولا تغض رأسك إلى دهشاً وعجباً : فإنى أعرف أنك تقرأ فى كتب التاريخ كلها أن أصحاب الرسول هم الذين أخذوا يتعقبون عير قريش وهى آمنة مطمئنة فى قفولها من الشام إلى الحجاز . أفلا يكونون إذاً هم البادئين بالمناوشة .. ؟ ألا فليعلم القارىء الكريم أن هذا الذى سطرته كتب التاريخ إنما هو الحلقة الأولى ظلت صفحة منسية منعزلة ، لم تأخذ مكانها فى سلسلة السرد التاريخى لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى العرب ومؤرخى الغرب كانوا سواء فى السكوت عنها ، فحق عليك أن ترد هذه اللبنة المفقودة إلى مكانها من البنيان . وإليك جلية الخبر !

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبى وأصحابه تغير أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين فى «مكة» وهم أولئك الذين لم يجدوا سبيلا للحاق بإخـــوانهم المهاجرين . فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم قبل الهجرة حوادث فردية ، متفرقة ، وكان يلطف من حدتها غالب الأمر مقام الرسول وعظماء أصحابه بين ظهرانيهم ، أخذت حين خلا لها الجو تهاجم جموعهم ، وتوالى التنكيل بهم ، وهى آمنة أن تلاق لهم ولياً حميما تخشى غضبه ، أو يلاقيها شفيع متوسل تستحى أن ترد سعيه . وما زال طغيانها عليهم يزداد يوماً بعد يوم ، حتى عيل صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهنالك أخذوا يجأرون إلى الله مستغيثين ، فى صرخات عالية ، تسمع دويها فى القرآن الكريم .. وهنالك فقط أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لإغاثتهم ، فكان ذلك هو أول تحريض على القتال : «وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ، وأَجْعَلْ لنا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً» .

لم تكن الغزوة الأولى إذاً حملة تحرش وبدء بالعدوان ، كما زعم الجاهلون ، فذلك ذنب خليق أن يعتذر منه لو وقع . ولم تكن دفعة ثأر وانتقام لجروح قديمة قد اندملت ، أو محاولة تعويض واسترداد لحقوق استولى عليها الأعداء من ديار المهاجرين وأموالهم ، كما قد يظن بادىء الرأى ، ولو فعلوا لكان حقا لهم تقره كافة الشرائع السماوية والوضعية ، ولكنه حق مشروع فحسب ، وكان من السائغ التنازل عنه . كلا ، لم تكن هذا ولا ذاك ، ولكنها كانت عملا أعلى من ذلك كله وأسمى : لقد كانت قيام بواجب منزه القصد مبرأ الغاية عن كل الأغراض والمنافع العاجلة ، واجب نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف . فهى إذاً صفحة فخار جديرة أن تسجل فى أعلى مكان من ديوان التضحية والإيثار ، وليست عملا عاديا يتطلب التبرير أو الاعتذار .

° ° °

والآن وقد صححنا الوضع فى هذا الحدث التاريخى الذى ضلت به افهام ، وزلت فيه أقلام ، نعود إلى سياق الحديث عن المبادىء العامة فنقول : إن أمثال هذه الضلات والزلات فى تحديد موقف الإسلام من الحروب مردها كما أسلفنا إلى تلك النظرات الجزئية الجانبية فى نصوص التشريع ، وإلى تلك الوقفات المترددة عند أطرافها المتباعدة ، ولا ريب فى أن المقارنة بين الدعوة إلى السلام فى السور المكيـــة ، وبين التحريض على القتار فى آيات من التشريع المدنى ، وهو آخر دورى التشريع الإسلامى ، كانت مثار شبة وفتنة لكثير من النفوس المريضة ، فقد خيل إليها أن شريعة القتال جاءت قاعدة عامة ختمت بها الدعوة المحمدية ، وأنها تمثل انقلابا نهائيا محيت به آية السلام فى الإسلام . وإنه لمن العجيب والمؤسف حقاً أن أكثر الكتاب الغربيين لا يزالون إلى يومنا هذا يرددون صدى هذا

الضلال القديم ، حتى إن بعض كبار المستشرقين (١) ، الذين عاشوا بيننا ، ودرسوا لغتنا ، وتولوا إدرات فنية فى دورنا العربية ، كتبوا فى الموسوعات الأوربية الحديثة فصولاً مطولة عن الإسلام قرروا فيها هذه النظرية الخاطئة ، وكانت زلتهم كغيرهم أنهم نظروا فى التشريع القرآنى إلى طرفى خطيه المنفرجين ، ولم يحوموا حول رأس الزاوية التى يلتقى عندها الخطان .

وها نحن أولاء ندعو الباحثين المنصفين منهم أن ينتقلوا معنا من هذه الأطراف إلى الحد الوسط الذى كان وجوده فى القرآن حكمة بالغة ، وحجة دامغة ، تنقطع عند نصوصها كل الفروض والظنون ، وتنهزم أمامها كل التعليلات والتأويلات ، فإنه متى ظهر النص بطل القياس ، ومتى طلع النهار زال كل لبس والتباس .

أجل إن القرآن الحكيم لم يكتف فى تعيين مراده بأنه كان يدعو إلى السلم فى ظروف وملابسات عادية توائمه ، ويأمر بالقتال فى ظروف وملابسات استثنائية تحتمه ، ولو أن القرآن نزل لأهل عصره وحدهم لكفاهم ذلك ، إذ كان واقع الحال فى كلا المقامين تفسيراً شافياً لموقع كل تشريع ، وتحديداً كافياً لمجال تطبيقة ، أما وهو دستور الإنسانية الخالد : فقد كان من الحكمة السامية ألا يعتمد فى تحديد مقاصده على ظروف واقعية فى عصر نزوله ، لاتلبث أن تنسى إذا طال العهد بها ، وكان من الرحمة الشاملة أن يسجل أهدافه بنفسه فى نصر صريح يضع كل تشريع فى موضعه ، ويكون مرجعاً للناس على مر العصور والأجيال ، ولاسيما فى قضية الأمن العالمى التى يرتبط بها مصير البشرية جمعاء .

ولقد قام القرآن بهذه المهمة على أدق وجه فى آيات جامعات ، استبان بها أن الحرب ليست هى القاعدة ، وإنما هى استثناء من القاعدة ، وأنها لايخلقها الإسلام ، ولكن يخلقها اعداؤه بعدوانهم المسلح على دعوته السلمية ، وأنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها ، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التى استوجبتها ، وبالجملة إنها محذودة بحدود الدفاع المشروع لاتستقدم عنه خطوة ، ولاتستأخر خطوة :

«وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولاتعتدوا ، إن الله لايحب المعتدين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم» «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»

فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (٩١) سورة النساء

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» .

لقد أبطل الإسلام حروب العصبية الدينية :

«لا إكراه فى الدين »

« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »

ومنع حروب التشفى والانتقام للإساءات الأدبية :

«ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا»

واستنكر حروب التنــافس بين الأمم فى مجال الضخامة والفخامة : «ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة» .

فهل كان يراد منه فوق ذلك كله أن يمحو حق الدفاع عن النفس والحيف ، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم ؟ كلا : إن الإسلام دين إحسان ولكنه إحسان لايناقض العدل ، ولايشجع الإجرام ، ولايدع الحق مكبل اليدين إذا أراد الباطل أن يفتك به ، إنه ذو رحمة واسعة ، ولكنه لايرد بأسه عن القوم المجرمين . فهو دين عدل وإحسان معا ، وبذلك فضل الشرائع السابقة التى فرقت بينهما . ولقد علمنا كيف ننزل بالحكمة كلا المبدأين فى منزلته ، وحذرنا أن نضع واحداً منهما فى موضع صاحبه ،

فوضع النــدى فى موضع السيــف بالعــلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

---

(١) اقرأ البحث الذى كتبه للسوفييت و المدير السابق لدار الآثار العربية ، عن (الديانة الإسلامية) ونشره فى موسوعة «التاريخ العام للديانات» باللغة الفرنسية **Gaston Wist, La Religion Islamique.in Histoire generale des Religions, PP. 347, 359360 Quillet, Paris1948.** ففى هذا البحث يقرر المؤلف أن فكرة الشيخ محمد عبده فى قصر الحروب الإسلامية على الدفاع فكرة عصرية تمثل تطوراً حقيقيا فى وجهة نظر المسلمين ، وأن النصوص تدل على عكس هذه النظرية ، ويستشهد على رأيه بآية القتال : «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب» . فالمؤلف كما ترى يتمسك بآية من آيات الأطراف ، نظرة عن الآيات الجامعة التى سنشير إليها . على أنه قد أخطأ فى فهم الآية التى أوردها نفسها . ولو قرأ آخرها لتبين له أنها فى التقاء الجيوش فى الحروب «حتى تضع الحرب أوزارها» وأنها فى حرب الدفاع والانتصاف «ولو يشاء الله لانتصر منهم» .

الشعر و الشعراء

من وحى الهجرة

إعداد الأستاذ رشاد محمد يوسف

ستبقى هجرة المصطفى - ﷺ - من مكة وطنه الأول الذى أُخرِجَ - عليه الصلاة والسلام - منه ظلما وبغيا واستكبارا ، إلى المدينة وطنه الثانى الذى هيأه الله له لمتابعة دعوته ونشر عقيدته وتبليغ رسالة ربه . ستبقى الهجرة أكبر وأعظم حادث فى تاريخ الإسلام على مر العصور .

كل مشاهدها وكل أحداثها تنطق بالسمو والعظمة والثبات والإصرار فيها قوة الإيمان وصلابة اليقين وصدق الإرادة المؤمنة . فيها الثبات على الحق رغم المكاره والأذى وكيد الكائدين . فيها البطولة السامية والفدائية الفريدة التى لا مثال لها .

بطولة الصبى الذى ترعرع فى حجر النبوة « على بن أبى طالب » رضى الله عنه .

بطولة الفتاة المسلمة التى حفظت السر وتحملت الأذى « أسماء بنت أبى بكر » رضى الله عنها .

بطولة الصدق والصديق وهو يحفظ رسول الله - ﷺ - فى قلبه ويحميه بجوارحه .

بطولة الذين بايعوا محمداً - ﷺ - من الأنصار الذين يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

وإذا كنا نقدم فى هذا اليوم هذه الباقة من الشعر حول أحداث الهجرة ومشاهدها الخالدة ؛ فإننا أمام تناولات عدة لهذه الأحداث تخلد ذكراها وتعمق معناها وتعايش دقائقها وتستخلص العظة والعبرة منها .

فمن الشعراء من يتكلم عن مكة والندوة التى عقدها الكفار وحصار بيت رسول الله ﷺ .

ومنهم من يقف طويلا أمام « الغار » وما توالى أمام مدخله من مشاهد ، وما دار بين الكفار من حوار ، وكيف نسج العنكبوت ، وعشش الطير فى مدخله .

ومنهم من يتناول بالتحليل مشاعر أبى بكر فى الغار ، وكيف طمأن النبى ﷺ صاحبه ، وبث فيه الأمن والأمان .

ومن الشعراء من يتناول الرحلة بصفة عامة يواكب كل همسة أو حركة أو قول يستنهض بذلك الهمم ، ويوقظ العزائم وينبه القلوب الغافلة لتعود الخطا الشاردة وتصحو المشاعر الرافدة ، وتثور الهمم الخامدة على أضواء الهجرة وصدق الله العظيم : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

من البردة :

الغار

للإمام أبوعبدالله شرف الدين البوصيرى

أقسمت بالقمر المنشق إن له ... من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم ... وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما ... وهم يقولون : ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام ، وظنوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ، ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع ، وعن عال من الأطم
ماسامنى الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مستلم

●●●

حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم
ومنذ ألزمت أفكارى مدائحه ... وجدته لخلاصى خير ملتزم
ولن يفوت الفتى منه يدا تربت ... إن الحيا ينبت الأزهار فى الأكم
ولم أرد زهرة الدنيا التى اقتطفت ... يدا « زهير » بما أثنى على « هرم »

●●●

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسولَ الله جاهك بى ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

من نهج البردة :

لأمير الشعراء أحمد شوقى

خططت للدين والدنيا علومهما ... يا قارىء اللوح ، بل يا لامس القلم
أحطت بينهما بالسر ، وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم
وضاعف القرب ما قلدت من منن ... بلا عداد ، وما طوقت من نعم
سل عصبة الشرك ـ حول الدار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسم :
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم ... كالغاب والحائمات الزُّغب كالرخم
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يد الله بالجارين ما سلما ... وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا ... ومن يضم جناحُ الله لا يضم

من وحى الهجرة :

ديوان الماحى

الشاعر محمد مصطفى الماحى

كم بات يسأله الصديق فى لهف ... فيم التريث والأهوال تلتطم
وما تعجل فيما كان يعزمه ... فالسر عند رسول الله مكتتم
نجا النبى ولم يظفر بصحبته ... إلَّا الوفى الأبى الصادق العلم
ما كان غير أبى بكر يفوز بها ... فى موقف حفَّه المكروه والنقم
حتى إذا لجأ للغار ضمهَّما ... على الوفاء فلا بأس ولا ندم
وأقبل ابن أبى بكر تعاونه ... ذات النطاقين : نعم السادة الخدم
هذا يكشِّف أنباء الجناة ، وذى ... تسعى لتحمل فى الظلماء قوتهم
فيا لها صحبةً عزَّ المثيل لها ... وفى الصَّداقة مالا تبلغ الرَّحم
إنَّ العقيدة ندٌّ للحياة فإن ... ضاعت فكل حياة بعدها عدم
ما كان حزن « أبى بكر » له جزعا ... هيهات يجزع من دانت له الهمم
لكنَّه خاف فوز المشركين إذا ... نال النبىَّ من المكروه ما اعتزموا
وأدركت رحمةُ « المختار » خشيته ... فحاطه وهو طلق الوجه مبتسم
وقال : حسبك إنَّ الله ثالثنا ... وليس بعد أمان الله معتصم
وأقبلت عصبة الطغيان باحثةً ... حتى اذا بلغوا الغار الأمين عموا
ومن تكن قوة الإيمان ناصره ... فأعظم الخطب هَيْنٌ حين يصطدم

● ● ●

وأمَّ يثرب يطوى البيد منصلتا ... كالسيف جُرِّد لا أين ولا سأم
فاستقبل الناسُ خير الناس وانشرحت ... به الصدور وزال الخلف بينهم
وسارعوا حين آخى بينهم فغدوا ... والشمل مجتمع والشعب ملتئم
وأنزل الله من آياته عجبا ... فى الوحى قرَّت به الآساس والدعم
ولم تزل راية الإسلام خافقةً ... فى ظلها يتآخى العرب والعجم

نور على الصحراء..

للشاعر إبراهيم صالح إبراهيم
من ديوان « أحبك فجرا عنيد الضياء »

يا رمـــال البيـــد غنـــى وأعيـــدى ... قصة النـــــور على سمع الوجـــــود
يوم سارت خطـــــوة الطهــــــر على ... صدرك الممتـــد للأفـــق البعيـــد
ومضى الموكب يطـــــــــوى أعصرا ... من بقايـــا الخلـــف والليـــل العتيـــد
ويحيـــل التيـــه جنـــات هدى ... فاح فى أرجائهـــا عطـــر الخلـــود
اذكـــــرى أحمد فى إشراقـــــه ... وهـــو يحكـــى طلعـــة الصبـــح الجديـــد
فى طريقـــــــــى نحوه أسمع فى ... سبحـــات الـــروح قدسىَّ النشيـــد

• • •

كلمـــــا لاحت لعينـــــى يثرب ... هزَّ أعمـــاق صدى اللحـــن الفريـــد
طلعـــــة البـــدر على آفاقهـــا ... فرحـــة الإيمان بالـــنصر المجيـــد
وسجـــود الليـــل فى صولتـــه ... للغـــد الآتى مع الفجـــر الوليـــد
ثورة للنـــور تجتـــاح المدى ... حيث يسعـــى النـــور خفـــاق البنـــود
رافعـــا فى البيـــد أعـــلام الضحـــى ... والدجـــى بين شريـــد وطريـــد
يا لها ذكـــرى صحـــا الشادى لها ... ووعاهـــا الدهـــر فى كل العهـــود

إلى أمة العرب

للشاعر أحمد منصور نفادى

أيها الطَّودُ الذى قد كان بالأمس قويــا
يزحـم الشمس ويستعصى على الغـزو فتيّا
رافـلا فى العــزة القــعساء وضاء المحيــا
يغمُــر الآفاق بالنــور فلا يتــرك غيــا
ويبث العدل فى الأرض فلا يبقى شقيا
بأسود فى سبيــل الله تستــحلى المُضيَّــا
عُدْ إلى ماضيك وانْـهض فى شموخ للثريــا

•••

عُدْ فإن السَّاح تشتاق لصيحات الأسودْ
وسيوفُ الحقِّ فى الأغماد أعياها الركـودْ
وخيولُ الله ظمــأى لانــتصارات الحدودْ
ساءها أن عربد البغى وظلت فى القيـود
وحياضُ الدين تدعو : يا رجالى من يذود ؟
دون أن تلقى مجيبا .. يقهر البغى العنيد
غير رجع بعثرتـه الريحُ فى واد بعيــد !!

•••

هكــذا بعثرت الأيــام أبنــاء العروبــه
ورمتهم فى متاهــات من الفكــر غريبــه
صفقوا للباطل الخداع واستحلوا ضروبه
وأقاموه مكــان الشرع لم يخشوا عقوبــه
وكتائب الله دنيا .. بالهدى جد خصيبــه
ملأ العـــالم عدلًا ومساواة وطيبـــه
أعــرضوا عنــه فكــانت

ربقــة الضعــف ضريبــة

---

* الشاعر ــ كلية اللغة العربية ــ أسيوط

من أعلام الشعر العربى المعاصر

الدكتور / عزت شندى موسى

فى رسالة ماجستير بكلية البنات بسوهاج

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

مات شاعر من رجال الإعلام ، ومات الشاعر الدكتور عزت شندى موسى ، فحظى الأول من الإعلام ووسائله بكثافة من التمجيد والتفخيم بما جاوز ـ كالعادة ـ اقتصاد النقد وجلاله ، بينما انطلقت قلوب محبى د. شندى فيما يبرز جليل عطائه ، وروعة بنائه فى حفل جمع كوكبة من شعراء العروبة ، تعاقب منهم أكثر من ثلاثين شاعرا سجلوا أروع وأعمق مشاعرهم الإنسانية نحو هذا العملاق الإنسان .

ووقف كاتب هذا المقال يُذَكِّرُ القومَ بقصيدة للفقيد يودعهم فيها وداعه الأخير ـ وكان لا يزال حَيا ـ جاء فيها :

سيذكرنى قومى إذا غالنى الردى ... وغبت عن الدنيا وطال بى المدى
يرجوننى والموت بينى وبينهم ... وفى حلكة الظلماء يرجون فرقدا
ويذكرنى الخلَّانُ ، إذ كنتُ إنْ كبا ... صديقٌ ونادانى .. مَددْتُ له يدا
ويشهد لى الأعداء أنى لم أُهِنْ ... ولم أكُ ممن قد أساءَ أو اعتدى

إلى قوله :

وسوف يقــول النــاس : قد كان عاشقـــا ... وقــد عاش للحُســن البديـــع مُمَجِّـــدا
وأشجــاه فى الـــروض الــورودُ وطِيبُهـــا ... وصفْــوُ غديــر فى الرُّبَـــى سال مُزْبـــدا
وقـــد كان فى المستضعـــفين .. ضعيفهـــم ... وفوق الأُلَى اصطنعــوا السيــادة .. سيِّــدا
ولم ينْسَ طول العمـــر نُكـــرانَ ذاتـــه ... وإلَّا .. لعـــاش العمـــر .. أغْنـــى وأسعـــدا

واختتمت قصيدته تلك ، بدعائه الحار ، بعد زوال صورة اللحم والدم :

فيـــارب أكرِمْـــهُ ، وخفـــف حسابـــه ... وَبَـــيِّض من الألـــواح .. ما كان سَوَّدا

● ● ●

وقد انتقل صدى هذا الحفل العُكاظى إلى شتى مدن وقُرى مصر ، إلى أن انتهى إلى أقصى الصعيد ، واجتذب الأستاذ سهام سيف الدين ـ المعيدة بكلية البنات بسوهاج ـ لإعداد رسالة ماجستير عن الشاعر بعنوان : الدكتور. عزت شندى موسى .. حياته وشعره .

وقد تحدثت فيها عن وقائع عصره السياسية والأدبية ، ونشأته بإحدى قرى ريف مصر (أمّ خُنان) مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، فى الخامس عشر من يونيو سنة ١٩٠٩ م ، فى بقعة هادئة ساحرة ، تزخر بالمناظر الطبيعية الخلابة ، بما فيها من حقول منبسطة ، وجداول منسابة ، وأفق صاف ، وليالى سَمَرٍ قمريّة .. جعلته يُناجِى البدر ، فيما بعد ، حينما استباح رواد الفضاء حماه ، بقوله :

كم دار حولك مجلس السُّمَّـــــــــارِ ... وَسَمَتْ إلـــــيك مسارح الأفكـــــار
وَرَنَتْ لنُـــورك فى الظـــلام محاجـــر ... وتـــرنم الشعـــراء فى الأسحـــار
وَشَـــدا بحُسْـــنك للحِســـان مُتَيَّـــمُ ... وهَـــفَت إلـــيك لواحـــظ النُّظَّـــار

إلى أن يقول : ساخرا :

يا بدر ، يا ابـــن الأرض .. أُمُك أينـــعَت ... وتزيـــــــنت بالأيْك والأزهـــــار
هل فى رُبـــاك تعـــيش أى خلائـــق ... من قطـــــة مُنبَثَّـــــةٍ أو فار !
ماذا تساوى(١) اليـــوم حتـــى يُنفقـــوا ... فى لمْسَةٍ لثراك .. بالمليـــــــار !!

لكنه فى النهاية ، سرعان ما ينحاز للبدر ، حينما يختتم قصيدته تلك ، قائلا :

يا أيهـــا الـــفضىُّ خُـــذْ لى ملجـــأ ... بذرُاك .. يُنجِـــــي من الأكـــــدار

● ● ●

وأشارت الباحثة إلى حب الشاعر المفرط للحيوانات ، بحكم اختلاطه بها فى بيئته الريفية الأولى فى مدارج طفولته وصباه ، وطول مراقبته لها مراقبة الواعى الفطن ، مما حدا به بعد ذلك إلى نظم القَدْر الكثير من شعر الحيوان ، يضمه ديوانه : (مع الحيوان) ومن أبدع ما ترجم به عن حبه للحيوان ، قوله :

دعنـــى أخـــى أحيـــا مع الحيـــوان ... فى غابـــة فينانـــة الأغصـــان
ألقـــى الطبيعـــة فى بديـــع جمالها ... وأشيم صفـــو النبـــع والغـــدران
دعنـــى أرى الطيْـــرَ الجميـــلَ بأيْكـــه ... يشدو ويـــنشد أعـــذب الألحان

(١) لا يريد الشاعر التقليل من مكانة القمر ، لكنه يلفت النظر إلى ما يقصده أصحاب الريادة إلى القمر من إنتهاك حرمته للإستيراد على كنوزه .

وبلغ الأمر بالشاعر أن خصَّص جل وقت فراغه ، يوميا تقريبا ، ليقضيه بحديقة الحيوان بالجيزة ، وهى تقع فى منتصف الطريق بين عيادته الطبية الخاصة بميدان الدقى ، ومنزله الذى يطل على النيل بالجيزة ، ويظل فى حديقة الحيوان دارسا ، ومتفحصا متأملا ، فى مملكة الحيوان ، يراقب طباعها ، ويسجل ــ فى واعيته الباطنة ــ ما يستخلصه فيما بينه وبين نفسه ، من طول المراقبة والمشاهدة ، لأطوارها ، كما تقول الشاعرة جليلة رضا فى تقديمها لديوانه (مع الحيوان) .. « حتى إذا امتلأت نفسه ، وازدحمت مخيلته بشتى الأحاسيس والمشاعر ، فاض فيضا ذاتيا ، بابتداع حر تلقائى ، وأبدع لنا لوحة بديعة ، نابضة بالحياة ، لما يشاهده حوله ، فى أُمَم مثلنا ، من الطيور والحيوانات ، بل والحشرات أيضا » ..

وتنتقل الباحثة بعد ذلك ، إلى تتبع مراحل حياته الدراسية ، التى بزَّ فيها الجميع بقوة حافظته ، وإقباله على تحصيل العلم ، حتى أكمل مرحلة التعليم الثانوى ، وحصل على أكبر مجموع فى فرقته ، وكان ترتيبه (الأول) على طلبة البكالوريا جميعا ، فى مصر بأسرها ! .. ولم يلتحق بعد ذلك بكلية الآداب ، كما كان مُتوقَّعا ، لحصوله على الدرجة النهائية فى مادة اللغة العربية ، وإنما آثر الالتحاق بكلية الطب ، إشباعا لميوله الفطرية ، ولاعتقاده بأن الطبيب الحاذق ، الذى يدرك حقيقة رسالته ومهنته يرى قدرة الله ــ عز وجل ــ ماثلة جليّة ، ومجسَّمة أمامه عن كثب .. فى تكوين جسم الإنسان ، وفى دقة خلقه منذ صرخة الوليد إلى لحظة الوفاة .

ولم ينقطع شاعرنا أثناء فترة الدراسة عن الاطلاع على أمهات الكتب ، فى الأدب والفلسفة ، والفقه والتفسير والأصول ، وخاصة فى فترات الأجازة الصيفية ، بعد أن غرس والده فى نفسه رحب القراءة فى شتى فروع المعارف والعلوم بمكتبته الخاصة العامرة بأنفس الكتب ويُعطينا الشاعر صورة طريفة لعلاقته بوالده ــ وكان أصغر الأبناء ــ فيقول بقصيدته : (من وحى صورة والدى) :

هى صورة أحْـيتْ بفكــرى حقبــة	قَضَّيْتُ من عمــرى بها أغــلاه
قد كنتُ ثالثَ لازميْــن ، يضمُّنــا	حبــا ، ويمنحنــا جميــل رضاه
كنــا نُلازمــه النهار كظلِّــهِ	يُسراه تهدينــا إلى يمنــاه
فأنــا أروح وأغتــدى ، بجواره	أنَّــى يُرَى .. وكتابُــه وعصاه

• • •

وساعدته مهنة الطب ، بعد التخرج عام ١٩٣٠ ، على الغوص فى أعماق الإنسان ، وتدبر عظمة الخالق ــ عز وجل ــ لوقوفه على أسرار علم وظائف الأعضاء ، وعلم التشريح ، فأصبح المجال متسعا فسيحا للإبداع والتحليق .

ولندع فضيلة الدكتور عبدالمنعم النمر ــ رحمه الله ــ يصفه لنا ، بحكم زمالته له ، ومعرفته الوثيقة به ، خلال الأربعينات ببلدة (دسوق) ، حيث كان يعمل طبيبا بمستشفاها ، فيقول عنه ، أنه : « كان طبيبا شابا ، ممتلئا قوة وفتوة ، يستحوذ على ثقة الناس ، بِطبِّهِ وأمانته ، ودماثة خلقه ، ورقة طبعه ، وحُسْن معاملته لمرضاه ، ولكل الذين يتصلون به »(١)

(١) أنظر مجلة الثقافة ــ عدد أبريل ١٩٨٢ م.

ومن وحى مهنته كطبيب ، يقول عن نفسه وتجربته فى هذا المجال :

تغفـو العيـونُ ـ إذا مرضت ـ وعينُـهُ تَجْفُـو الكَـرَىٰ .. حتـى تعـود سليمـا
ويبيـتُ (سهرانـا) ، لأجلـك ، إنْ عدا داءٌ عليـك ، فَبتَّ منـه سقيمـا
ولـربما أنْـفضَّ الجميـعُ ، تسلُّـلًا كلّ لوجهتـه .. وظـل مقيمـا
ولـربما القـى الجبـانُ سلاحـه لكنـه لا يعـرف التسليمـا

إلى أن يقول عن الطبيب :

البـاعث النـور الـذى كاد العَمَـى يُلْقِـى عليـه غياهبـا وغيومـا
ومُهَيِّـىء الأرحـامَ للحَـدَث الـذى يهنـى العـقيم ـ وقـد يكـون .. عقيمـا

●●●

وأشادت الباحثة بالجانب الدينى ، عند حديثها عن فنون شعره ، وخاصة فى قوله بختام قصيدته آنفة الذكر عن (الطبيب) :

كل بإذن الله ، وهـو وسيلـة والله يجعـل من يشاء حكيمـا

بدليل أن الطبيب ، أحيانا :

يأسى على خطـأٍ تدخّـل جاهِـدا فيـه القضاءُ ، ونفَّـذ المحتومـا
وإذا الطبيـب كبـا ، فَمِـنْ قَدرٍ رَمَـى فأصاب ، والمسكين كان .. مَلُومـا

وقديما قيل : خطأ الطبيب ، إصابة الأقدار ..

وفى نهاية قصيدته يقول :

وتـراه بين الجنـد مجهـولا وكم حمل اللـواءَ ، مُضحِّيـا محرومـا

●●●

وقد استطاع ناقدنا الكبير الراحل ، مصطفى عبداللطيف السحرتى ، أن يستشف أخلاقيات الشاعر وصفاته الحميدة ، دون أن يراه من قبل ، وينعته نعتا دقيقا ، حينما أطلعْتُه فى لقاءٍ لى معه بمنزله ، على نسخة مخطوطة من ديوان شاعرنا (مواكب الحياة) ، فقال عن الشاعر ـ بعد قراءته لمخطوطة الديوان : « سُررْتُ أَيَّما سرور لمعرفتى به من ديوانه ، ولما نلتق .. وقد شمل ديوانه خصاله الحميدة : حبه للجمال وأنداء الطبيعة ، وغرامه بأهله وأسرته ، وحبه لله حبا منقطع النظير ، وفضلا عن هذا .. عفة نفسه ، وإنكار ذاته ، ومحبته للفقراء ، وغيرها من الخلال الكريمة ، والتى تشهد بها قصائده الطويلة الرقيقة »

وللشاعر فى هذا المجال ، قصيدة ذاتية رائعة ، تصور ما تفعله نَفْسُه اللوَّامة معه ... وهى بعنوان (محكمة الضمير) ، يقول فيها عن ضميره :

---

(١) أنظر مجلة الثقافة ـ عدد يونيه ١٩٨٠ م.

يعـــــدُ من الإثم نظـــــرة عيْــــنٍ ويحسب إيماءَة الإصبــــــــــــــع
ويُــــــحصِى علـــــــىَّ خواطر نفسى ويُصغـــــى لنجــــواىَ فى مضجعـــــى
وَيُردعنـــــــى عن وُرُودِ المبــــــاح وغيرىَ فى الغــــــــــــىِّ لم يُرْدعِ !

إلى أن يقول فى البيت التالى ، الذى ترد فيه لازمة من لوازم المهنة .

وينفــــــذ بين حنايـــــا الضلـــــوع يسبـــــق كفِّــــى إلى .. مبضعـــــى !

أى ، ليستأصل شأفة أى شر محتمل ! ثم لا يلبث أن يتوجه إلى ضميره بالخطاب ، فيقول :

ضميرى تَرَفَّـــــقْ ، فإنى طهـــــــور بغير الفضائـــــــــل لم أولــــــــع

.. وحتى فى وصْفه لمفاتن الريف ، نرى عبق الإيمان يشيع فى أبياته ، يقول :

هذه قدرة المهيمـــــــــن ، تبـــــــــدو أينما سِرْتَ ، فاتَّئِـــــــــــــد فى المسير

بل ونراه فى قصيدته عن (غزو القمر) ، لا يلبث أن يقول فى ختامها ، فى نجوى خالقه ـ عز وجل ـ:

إن كان فى الآفاق نور باهـــــــــــــــر فلأنتَ حقـــــــاً .. مصدر الأنـــــــوار

كما نراه فى ختام قصيدته : (من الوجدان) ، يقول :

ما لِحـــــىٍّ فوق التـــــراب خلـــــود إن لله ـ ذى الجلال ـ الخلـــــــــــــود!

وحتى فى حديثه إلى (الساقية المهجورة) ، نراه يختتمها بهذه النفحة الإيمانية :

لهف نفسى .. أيــــــن ركــــــن هادىء فى رحــــاب منكِ يشْفــــى ما بيـــــه ؟
نأكل التــــوت .. ونـــــرْوِى غُلَّـــــةً من ينابيــــــع الـــــزَلاَل الصافيـــــة
ونُـــــحبُ الله ، فيمـــــا حولنـــــا من جمال ، ومعـــــــان .. ساميـــــة

وحينما يقدِّم (كشْفَ الحساب) ، بعد رحلة عمره المديد ، يقول بقصيدته : (سيذكرنى قومى) :
وسوف يقـــــول النـــــاس ما زاغ أو غوى ومـــا ضَلَّ يومـــــا أو أسَفَّ وعربـــــدا
ولم يأت ذنبـــــا دون توْبٍ وأوْبـــــةٍ ومـــا زَلَّ يومـــــا .. عامـــــدا متعمـــــدا

● ● ●

وأشارت الباحثة بعد ذلك إلى نشاط شاعرنا الأدبى الكبير ، الذى جعله يوافى مجلات العاصمة (القاهرة) : كالثقافة ، والجديد ، والهلال ، والشعر ، والأزهر ، ومنبر الاسلام ، والصفحة الأدبية بجريدة الأهرام ، بنتاجه الشعرى ، كما امتد نشاطه إلى المجلات الأدبية والدينية بالبلاد العربية الشقيقة ، كمجلات القافلة والفيصل ومنبر

الاسلام وغيرها واشترك فى ندوات : شعراء الإسلام بجمعية الشبان المسلمين ، وندوة شعراء العروبة ، وهى امتداد لندوة جماعة شعراء (أبوللو) ، وقد انتهى إليه أمر رئاستها لمدة تسع سنوات ، حتى تاريخ وفاته إلى رحمة الله ـ تعالى ـ فى فجر يوم الجمعة الموافق الثانى عشر من ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ (الخامس من ديسمبر ١٩٨٨) .

كذلك أشارت الباحثة إلى تعلُّقه بسيرة سيد المرسلين ، بعد أن امتلأ قلبه بحبه ـ ﷺ ـ وتعدُّد مرات حِجِّهِ لبيت الله الحرام لسبع سنوات متوالية ، وهو يردد بلهفة والتياع :

يا مصطفـــــــــى إنى شددْتُ ركابى ... سعْيـــا إلـــيك ، ألـــوذ منك ببـــاب
فتـــركت أبنـــائى وأحبـــابى إلى الـــ ... أغْلَـــى من الأبنـــاء والأحبـــاب
متـــعثرا ، أخطـــو إلى الحرم الـــذى ... قد فاح بالنفحـــات والأطيـــاب
متهيبـــاً أعْتابــــه ، حتـــى إذا ... ما جئتـــه ، أجثـــو على الأعتـــاب

وفيها :

أنـــا إنْ ذَكَـــرْتُك يا رسول ، تقشَّعتْ ... عنـــى الهمـــوم ، وخُفِّـــفتْ أوصابى
يا (مصطفـــى) إنى نذرت كهولتـــى ... وَقْفـــا علـــيك ، كما نذرت شبـــابى
وَمَـــزَارك المرجـــوّ ، خاتمة المنـــى ... عنـــدى ، وخير رغائبـــى وطـــلابى

وقد أتيح للشاعر السفر إلى الخارج عدة مرات ، لحضور مؤتمرات علمية ، أو لزيارة كريمته المتزوجة من أحد أعضاء السلك الدبلوماسى ، أو للاستشفاء ، والتماس الفوائد السبع التى تحدث عنها شاعرنا العربى القديم .. وثامنها : نَظْمُ شعر الحنين إلى الوطن .

ومن أروعه ، قوله بقصيدة (خواطر مغترب) ـ التى أبدعها أثناء زيارته للولايات المتحدة الأمريكية ـ وهى تعد بمثابة (وثيقة نفسية) نقف منها على منازعه النفسية ، وعاطفته الوطنية الأصيلة :

بلادى هى الحب الأصيـــل ، ولـــيس لى ... سواهـــا ، أرى فى حبها غايـــة الـــوصل

ثم يعطينا هذه الصورة الرائعة :

وأغُـــمض عينـــى ، لا أرى غير وجههـــا ... وأفتـــح عَيْنِـــى ـ لا أرى غيرهـــا ـ حولىٰ

ثم يختتم قصيدته ، بهذه الفلتة الشعرية العميقة ، فى تساؤل مُذيب :

أشوْقـــاً ؟ .. ولما أقْض فى البُعـــد ليلـــة ... فكيـف إذا ما امتدَّ بى البُعد .. للحوْل ؟ !

● ● ●

وفى القسم الثالث من الدراسة تحدثت الباحثة عن سائر فنون شعره ، وبيَّنتْ موقع شعره من التيارات الأدبية المعاصرة ، وأنه يجمع فيه بين أصالة القديم ، وروعة الجديد .. كما أفاضتْ فى إبراز الجوانب الفنية فى التعبير بالصور الطريفة ، والألفاظ الموجبة ، ثم إنتهت إلى عقد موازنة بينه وبين شعراء جيله ، وشدة وفائه للراحلين منهم ، ومدى اعتزازه بندوة شعراء العروبة الشهرية التى كان الرئيس الثالث لها ، بعد الشاعرين الكبيرين الراحلين : خالد الجرنوسى ، وعبدالله شمس الدين ، صاحب نشيد (الله أكبر) .

ان الباحثة قد وفقت تمام التوفيق فى إعطائنا دراسة وافية مستوعبة لحياة الشاعر ، وشتى جوانبه الفنية المتعددة الخصبة .

والله تعالى ولى التوفيق .

في رحاب الأدب المقارن

الطفولة في مرآة الشعراء

بقلم الأستاذ : محمد عبدالوهاب جنيدى

إنَّ أروعَ طور من أطوار الحياة لأى كائن حى هو طور طفولته ، سواء فى ذلك الإنسان والطبيعة والحيوان ؛ فإن الطفولة تُعَدُّ إرهاصة لكائنات ناضجة كاملة ، تملأ الكون بالحياة .

كذلك نجد أجمل أوقات اليوم هو الصباح ، حيث الإشراق البديع الذى يغمر الأرض بالنور والنماء ، فإذا نظرنا فرخاً صغيراً رقّ فؤادُنا وأحسسنا رابطاً نورانياً دافقاً يربط قلوبنا بهذا المخلوق الرقيق ، فأما إذا سمعنا بكاء طفل وليد فإنه يثير فى صدورنا لواعجَ الشفقةِ والحنان ، فإذا ابتسم كانت بسمتُهُ تصويراً ـ بالشعور ـ لوجه مَلَكٍ جميل ، فالطفولة فى كلّ شيء هى الرقّة والبراءة الحقة التى تجسِّد أبرز سماتِ الخير فى هذا الوجود .

فلاشك إنّ للطفولة سحرها وحظوتها عند البشر ، بل عند الحيوان الأعجم ، وذلك بفطرة إلّهية سامية .. وكان فن الشعر ـ ولا يزال ـ « ينقل هذا الواقع ـ بفعل الخيال والسحر ـ من مجال الحقيقة ، إلى نطاق الذوق والإحساس وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب ، وتقرير الواقع من جانب آخر » كما يقول أستاذنا العالم الجليل الدكتور محمد البهى[1] .

والشعراء هم الألسنة المعبرة عن شتى المشاعر إزاء الطفولة ، إذ تظل تكمن فى مخيلاتهم كنوزاً للذكريات الجميلة ، مع عرائس المروج وسبحات الخيال ..

وهذا الرافعى ، باستغراقه فى الاستمتاع[2] بمرائى الحسن فى الوجود ، يمزج هذه المرائى بالطفولة فى صورة فريدة أخاذة ، حين يقول فى وصف الفجر :

(١) أنظر عدد مجلة الأزهر الغرّاء الصادر فى جمادى الأولى ١٣٨١ هـ أكتوبر ١٩٦١ م .

(٢) أنظر قصيدته (مطلع الشمس) بعدد المقتطف الصادر فى ابريل عام ١٩٢٣ م .

الفجـر طفـــل فى سريــر السَّحَـــــرِ عليـــه سِتْـــرٌ من شعـــاع القمـــــرِ
لما تباكــــــى بدمـــــع الزهَـــــرِ غنّتْ له الأطيـــارُ .. فوق الشجـــــرِ(٣)

كما نجد الشاعر الإنجليزى (ألفريدْ لورد تينسون) يقول فى أنشودة له :

ماذا يقول الفرْخ الصغير
فى عشه عند بدء الصباح
يقول الصغيرُ : دعينى أطير
أيَا أمَّاهُ ، دعينى أطير
تقول الرءوم : تريّث قليلا
لحين اشتـــــداد الجنــــــاح الرقيـــــــق
وفى حِينه سوف تعلو بعيداً

What does little birdie say
In her nest at peep of day ?
Let me fly, says little birdie,
Mother, let me fly away.
Birdie, rest a little longer,
Till the little wings are stronger,
So she rests a little longer,
Then she flies away.

● ● ●

What does little baby say,
In her bed at peep of day ?
Baby says, like little birdie,
Let me rise and fly away.
Baby, sleep a little longer,
Till the little limbs are stronger,
If she sleeps a little longer.
Baby too shall fly away.

Alfred Lord Tennyson

وماذا يقول الوليد الصغير
على مهده عند بدء الصباح
كقول الفرخ الصغير ، يقول الوليد :
دعينى أشبّ ، أطير بعيداً !!
تقول الأم الحنونُ : مهلا ، تريَّثْ ، لحين اشتداد العظام الرقيقة .
« إذا نَمتْ ـ أيضاً ـ بعيداً تطير ! »

وبعد فقد آن أن تُقدم أثرين فنيين ، لشاعرين : الأول فرنسى ، والآخر مصرى .. الشاعر الأول هو : فيكتور هيجو ، الذى يُعدُّ فى طليعة من تغنوا للطفولة فى الأدب العالمى ، واختصَّها بالعديد من فرائده ، لأبنائه الأربعة ، وحفيديه .

يقول هيجو فى قصيدته التالية ، مصوِّراً فرحة أهل المنزل عند استقبالهم لوليد جديد ، مصوّرا لنا لوحة حيَّة ، نابضة بالمشاعر المتدفّقة للطفل الوافد ، وما يحدثه مرآهُ من بهجة وانشراح فى محيط الأسرة ، فيبدِّد سحابات الكآبة التى قد تكون تراكمت فى سمائها :

Lorsque l'enfant paraît, le cercle de famille
Applaudit à grands cris; son doux regard qui brille
Fait briller tous les yeux,
Et les plus tristes fronts, les plus souillés peut-être,

حينما بدا الطفل بإطلالته :
صفقَّتْ حلقةُ الأسرة الملتفة حوله بصخب
وأحدثت نظرته المتألقة
ألقاً .. فى كل العيون
فالجباه المُكْفهِرّة العابسة ..

(٣) وليت شاعرنا الكبير الأستاذ أحمد مصطفى حافظ يتحفنا هو نفسه بترجمة شعرية بليغة ـ كما عوّدنا ـ لقصيدة هيجو المذكورة : عن الطفولة .

Se déri dent soudain à voir l'enfant paraître,
Innocent et joyeux.

انبسطت أساريرُها
لدى رؤية الطفل الباسم فى براءة وعذوبة

● ● ●

Quelquefois nous parlons, en remuant la flamme
De patrie et de Dieu, des poëtes, de l'âme
Qui s'élève en priant;
L'enfant paraît, adieu le ciel et la patrie
Et les poëtes saints ! la grave causerie
S'arrête en souriant.

فى بعض الأحيان نتحدث ـ ونحن
ـ فى خضم الأسمار ـ
عن الوطن ، وعن الاعتقاد
وعن الشعراء
وعن النفس التى تخشع فى الصلاة
وإذا ما أهَلَّ الطفل علينا
نذر الحديث عن الشعراء
والمبادىء ، والوطن ، ويتوقف
الحديث الجاد ، مبتسماً ..

Enfant, vous ëtes l'aube et mon âme est la plai ne
Qui des plus douces fleurs embaume son haleine
Quand vous la respirez;
Mon âme est la forêt dont les sombres ramures
S'emplissent pour vous seul de suaves murmures Et de rayons dorés !

Car vos beaux yeux sont pleins de douceurs infinies,
Car vos petites mains, joyeuses et bénies,
N'ont point mal fail encor;

أيها الطفل ، أنت الفجر ونحن الوادى
الذى تتعطَّر أنفاسه
بعَبَق الأزهار ، عندما تَنشَقها
وتغدو روحى كغابة تمتلىء غصونها
لك وحدك ، بوَشْوشات عذبة
وأشعة ذهبية
وذلك لأن عينيك الوسيمتين
ممتلئتان بدورهما
بعذوبة لا نهائية
إن يديك الصغيرتين لم تقترفا إثماً بعد
كما أن خُطاك لم تلمس وَهْدَتنا

● ● ●

Il est si beau, l'enfant avec son doux sourire,
Sa douce bonne foi, sa voix qui veut tout dire.

Ses pleurs vite apaisés,

جميل هو الطفل حقاً ببسمته الرائعة
وتصوراته البديعة
وبصوته الذى يهفو إلى التعبير عن كل شىء
وبدموعه التى سرعان ما تَرْقأ

تاركة نظرة حالمة
وهو يهب روحه من كل النواحى للحياة
وثغره .. للتقبيل !

Laissant errer sa vue étonnée et ravie,
Offrant de toutes parts sa jeune âme â la vie.
Et sa bouché aux baisers !

● ● ●

اللهم صُنْ كلَّ مَنْ أُحِب :
من إخوة ، وأهلٍ ، وأصدقاء
بل وأعداء أيضاً !
واجعل الجميع لا يدعون للشر سبيلا
للانتصار عليهم
فإننى لا أعرف مطلقاً :
الصيف ؛ بدون أزهار
أو الأقفاص ، بدون عصافير ..
والخلايا بدون نحل
والدار .. بلا أطفال !

Seigneur ! préservez-moi, Préservez ceux que j'aime,
Fréres, parents, amis, et mes ennemis même
Dans le mal triomphants,
De jamaîs voir, Seigneur l'été sans fleurs vermeilles,
La cage sans oiseaux, la ruche sans abeilles,
La maison sans enfants !

● ● ●

ويعتبر الشاعر المصرى الدكتور عزت شندى موسى ـ رحمه الله ـ من المبدعين فى شعر الطفولة ، ونظم فيها العديد من جياد القصائد ، نذكر من فرائده فى هذا المجال : (وداع فى المطار) و (صورة أبى) و (يتيم) و (أمل .. ولقاء) و (حفيدى أحمد) و (ولدى) ... وقد آثرنا إثبات بعض أبيات قصيدته : « إلى حَفيدى الصغير .. أحمد »[٤] التى يقول فيها :

يا بسمـــــة أشرقت فى كل ناحيـــــة ... منـــــى لتجلـــو من الإظـــلام أركانى
ونعمـــة ساقهـــا الوهَّـــاب سابغـــة ... ومنَّـــة أفـــرطت من فيض منَّـــان
وفلـــذة من شغـــاف القـــلب قد فصلت ... فطـــار من الإثـــر قلبـــى جدَّ نشوان

● ● ●

يا « أحمدا » يا حفيـــــدى يوم بشرنى ... بك البشـــير ، بدا عيـــداً وهنَّـــانى
جدَّدت عمـــرى ، وشمس العمـــر غَاربـــة ... فعشت فيك سعيـــداً ، عمـــرى الثـــانى

وعـــاد فيك صبايـــا ، بعدمـــا ذهـــبتْ | به الليـــــالى ، ورُدت فيك أزمــــــانى
وحـــان بعث شبـــابى بعـــد ميتتـــه | وكـــنت شيعتـــه يومـــاً بأشجـــانى
وعاودتـــى الأمــــانى بعدمـــا ارتحلت | عنـــى ، وآب نشاطـــى بعـــد هجـــران
وهمت بالنـــاس حبـــاً ، بعدمـــا جحـــدوا | وكان ما كان من كفـــر ونكـــران

● ● ●

إذا ابـــتسمت .... فكـــل النـــاس باسمة | وإن عبست سكبنـــا فيض تحنـــان
وإن صحـــوت صحـــا بيت بأكملـــه | وإن غفـــوْت .. فكـــلٌ راح فى شان
كأنما كنت قطُبـــاً ، فيـــه قد شُغـــلتْ | به الرحـــى .. بين قاصٍ منـــه أو دانى
أو إنما كنت ربَّ الـــدار ، قد عمـــلت | له الجمـــوع ، فسوَّاهـــم بعـــدان

ونحب أن نقرر باديء ذى بدء ، أن الدكتور عزت شندى ـ رحمه الله ـ لم يطلع على قصيدة (فيكتور هيجو) ؛ لأن قراءاته فى الأدب اقتصرت على العربية والإنجليزية فقط ، ولم يترجم إلا عن مشاعره وأحاسيسه الخاصة به ، ويقتصر على إطلاق العنان لـ (مشاعره الذاتية) فى تصوير فرحته بقدوم حفيده .. ووصْفه ـ كما اتفق لفيكتور هيجو ـ بالبسمة التى أشرقت فى كل ناحية ، لتجلو نفسه ممَّا اعتراها من أشجان فى : (رحلة العمر)[٥] .. وكشاعر إسلامى شديد التمسك بقيم دينه ، فقد ذكر ميلاد حفيده ، كنعمة ساقها الله الوهّاب له .. جدَّدت عمره ، فى شمسه الغاربة ، وأعادت الذكريات الجميلة لصباه ، وهنا ينبغى أن نلاحظ أن الدكتور عزت شندى ، صاحب ديوان : (رحلة العمر) كان يرثى شبابه فى معظم قصائد هذا الديوان ، ومن ثمَّ فهو يجد فى حفيده هذا : العوض عن صباه وشبابه هو .. ثم نراه يصوِّر ما أبداه « هيجو » من فرحتى الأهل والخلّان ...

فإذا ابتسم الحفيد الطفل ، فكل الناس باسمة ، وإذا صحا من نومه ، صحا البيت كله ، وإذا عاد فأغفى ، راح كلٌ فى انشغال بأموره الخاصة .

ويزيد على (فيكتور هيجو) بالحديث عن تطورات الزمن ، وماساد فيه من إحن ومحن ، ففصّل حيث أوجز (هيجو) ، وانتهى بالدعاء لحفيده بأن يصونه الله من عاديات الزمن .

وقد كان للوزن والإيقاع فى قصيدة الدكتور شندى ، أثره فى إبراز روعة قصيدته ، وليت قصيدة « هيجو » تظفر بمن يترجمها شعراً ، كما اتفق للشاعر الأستاذ أحمد حافظ[٣] فى قصيدة : « كريستينا روزيتى » : (وصية إلى حبيب) بعدد مجلة « الأزهر » الغرّاء ، فى شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٢ هـ .

وبعد .. فكم نطمح إلى إثراء لغتنا الحية بالعديد من الدراسات الأدبية المقارنة .

وبالله التوفيق

---

(٥) اسم أحد دواوين الشاعر عزت شندى موسى .

ابن بسام ولمحاته النقدية

للدكتور/ محمود جمعه أمين خليفة

الحلقة الأخيرة

(د) المحسنات البديعية :

اهتم ابن بسام بالبديع وبالصفة البديعية اهتماما بالغا حتى إنه جعله ـ أى البديع ـ مقياسا يقيس به العمل الأدبى ؛ لتمييز جيده من رديئه ، فهو عند « قيم الأشعار وقوامها وبه يعرف تفاضلها وتباينها »(١) .

واهتمامه بالبديع يرجع إلى أنه كان يحاول أن يظهر المحاسن لأهل الأندلس مما هو مخترع مبتدع من أنواع المعانى والخيال فى الشعر والنثر .

ولقد ألزمه هذا المنهج بأن يلتفت إلى الموازنة بين أشعار المشارقة والأندلسيين فكان يأتى بالأمثلة من هنا وهناك دون أن يضيف إلى ألوان البديع ـ السابقة على عصره ـ شيئا ، وإنما كان يبحث فى أصول هذا الفن عند من تقدمه ؛ فكان يجمع شواهده وأمثلته ـ موجزة مركزة ـ من خلال مصطلحات بديعية عرفها المشارقة وذكرها ابن رشيق فى كتابه العمدة فكان يأخذها بالنص أو بالتلخيص مما يدل على أن كتاب (العمدة) كان معتمد ابن بسام فى هذا المضمار .

الكاتب مدرس الأدب والنقد ـ جامعة الأزهر ـ بنات سوهاج .

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ٦ .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول : إن طبيعة المنهج الذى سلكه ابن بسام فى تتبع أنواع البديع لجعلها قياسا للعمل الأدبى كان تعقبا واستقصاء للنماذج البديعية لمحاسن أهل الفقه .

ومن المناسب أن نتناول بالذكر المصطلحات البديعية التى ألمح إليها ابن بسام .

من تلك المصطلحات : الالتفات ، والاعتراض ، والاستدراك ، والتتميم ، والمبالغة ، والايغال ، وغيرها ـ مما سنذكره بعد قليل ـ فقد نظر فى هذه المصطلحات وقلّب ما احتوته هذه المصطلحات من معان وألفاظ عند أصحابها الأوائل من الشعراء ففى حديثه عن شعر أبى العلاء بن زهر نراه يستطرد إلى قول « كثير عزة » .

لو أن الباخلين وأنت منهم
رأوك تعلموا منك المطالا

ويقول : فقوله « أنت منهم » التفات . وقد سماه ابن المعتز اعتراضا وجعله بابا على حدة بعد الالتفات ، وغيره جمع بينهما وقال النابغة :

ألا زعمت بنو عبس بأنى
ألا كذبوا كبير السن فان

فقول (ألا كذبوا) اعتراض[1] .

وقد مثل الاستدراك بقول ابن عطاء السندسى يرثى يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لم تبعد على متعمد
بل كل من تحت التراب بعيدا[2]

وعندما أنشد بيت طرفة :

وسقى طلولك غير مفسدها
صوب الربيع وديمة تهمى

تتبع هذا المعنى لدى ذى الرمة فى قوله :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ويقول : « لأن فى مداومة الانهلال تعفية الرسوم ومحو الآيات على أنه قد احترس من الاعتراض احتراسا قدمه فى صدر البيت وهو قوله « اسلمى » فدعا لها بالسلامة على تعاقب ما قد يحل بها من بلى الديار واندراس الآثار ، وبيت طرفة أسلم ، والذى فتق للشعراء هذا الفتق فاقتفوا فيه وجاءوا بالاحتراس وغيره الملك الضليل ـ يعنى امرأ القيس ـ حيث يقول :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا
تحرقت الأرض واليوم قر

يقول ابن بسام : « فقوله : « واليوم قر » تميم للمعنى ومبالغة فى اللفظ ومن هذه المبالغة أيضا فى التميم قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ويعلق على ذلك بقوله : « ويسمى أصحاب البديع ما كان مخصوصا من هذا النوع بالقافية الايغال والتبيع وما كان فى أضعاف البيت المبالغة والتميم[1] .

ويذكر أنواعا بديعية أخرى مما يضمها باب الاشارة ويقول : « وهى ـ أى الاشارة ـ من غرائب الشعر وملحه وتدل على بعد المرمى ، وليس يأتى بهذا إلا الشاعر المبرز الماهر ، وهى فى كل نوع من الكلام لمعة دالة واختصار وتلويح[2] » ويذكر أنواعا منها كالايماء من مثل قول أبى اسحاق ابراهيم بن المعلى :

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستُم
حلل الحرير عليكم ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها
لو لم يكن بطرنة ما كانا[3]

---

(١) الذخيرة القسم الرابع مجلد واحد صـ ٣٠ .
(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ ٩٣ .
(١) الذخيرة القسم الثالث صـ ٢٦٨ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢٠٧ ، نقلا عن ابن رشيق انظر العمدة حـ ٢ صـ ٣٠٣ ، صـ ٣١٢ باب الإشارة .
(٣) المصدر نفسه صـ ٢٦٩ .

فالشطر الأخير من البيت الثانى إيماء إذ أنه يومىء به إلى ما وقع منهم من سوء فعل فى « بطرنة » .

ومن مثل قول أبى الوليد محمد بن يحيى بن حزم :

فأبحث سرج اللهـو مرتـاد الهوى
ومنعت طير الوجد أن يترنما

وقد علق ابن بسام عليه بقوله : « ومنعت طير الوجد أن يترنما » من لطيف الاشارة ومليح الاستعارة ، أومأ به إلى الكتمان إيماء يأخذ بمجامع البيان[1] » .

ثم يذكر أنواعا أخرى من الاشارة كالتلويح فى مثل قول قيس بن معاذ (مجنون ليلى) :

لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل
بى النقض والابرام حتى علانيا

ويقول : « ومنها ما جاء على التشبيه كقول الراجز يصف لبنا ممذوقا :

حتى إذا جن الظلام واختلط
جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ؟

فأشار إلى تشبيه لونه لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذئب[2] .

ومنها المعاقدة وهى أن يشترط الشاعر شروطا فى معان يريد التوفيق بينها فيعقد لكل صنف منها ما يشاكله ويماثله كما فى قول المجنون أيضا :

وأدنيتنى حتى إذا ماسبيتنى
بقول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عنى حين لالى حيلة
وخليت ما خليت بين الجوانح

فعاقد بين قوله « أدنيتينى وتجافيت عنى حيث تشابها رسما وشكلا وعاقد أيضا بقوله « وخليت ما خليت » وبقوله .. يحل العصم سهل الأباطح[1] .

ومن مليح هذا ـ لبعض أهل الأندلس ـ قول يحى ابن هذيل القرطبى :

لما وضعت على قلبى يدى بيدى
وصحت فى الليلة الظلماء واكبدى
ضجت كواكب ليلى فى مطالعها
وذابت الصخرة الصماء من جلدى

فعاقد بين قوله « يدى بيدى» «وذابت الصخرة الصماء من جلدى» وذكر أن المتنبى أنشد من شعر أهل الأندلس حتى أنشد هذين البيتين فقال : «هذا أشعر القوم[2]» .

أما التقسيم فقد نبه عليه فى مواضع كثيرة من كتابه لدى كثير من الشعراء وعلى الأخص ابن زيدون فقد رأيناه أثناء ترجمته يقف عند هذا النوع من البديع ويقول : «وهو مما احتذى به ابن زيدون مذهب أبى العميثل الأعرابى وديك الجن وهذا الباب صنعه المولدون وعدوه تقسيما وتقطيعا ، ويورد بيتا لابن زيدون :

تِهْ أَحْتَمِلْ، واستطل أصبر وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أُطع

وقد أعجب ابن بسام بهذا البيت إعجابا شديدا حتى قال : «وأحسن لعمرى ابن زيدون فى هذا التقسيم ودفع بالحديث فى صدر القديم[3]» .

وكذلك تحدث عن المماثلة والسجع فذكر فى ترجمته للكاتب أبى الحسن صالح بن صالح الشنقرى أن كلامه فى هذين الضربين من البديع جار على الطبع ذاهب بين الجزالة والحلاوة[4]» ومن المصطلحات البديعية التى وقف عندها ابن بسام ـ عدا ماذكرناه ونقلناه عنه ـ الاستطراد والخروج والادماج وهى مما نقله عن ابن رشيق مع شىء من التغيير والتحوير فى

---

(١) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٤٢ .
(٢) انظر الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٧١ .
(١) الذخيرة القنحم الثانى صـ ٢١١ .

(٢) المصدر نفسه صـ ٢١١ .
(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣٢٠ .
(٤) الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٢٦ .

الألفاظ والأمثلة فجاءت عبارته أشمل وأمثلته أكثر تنوعا .

وفى الاستطراد يقول ابن بسام : «وأصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر وإنما فر ليكر وكذلك الشاعر يريك أنه فى شىء فيعرض له شىء لم يقصد إليه فيذكره وإن لم يقصد حقيقة إليه فإن قطع ورجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد وإن تمادى فذلك الخروج . ويرى أن أصح الاستطراد قول السموءل :

ونحن أناس لانرى القتل سبة
إذا ما رأته عامر وسلول[1]

ولكنه كعادته فى الاستحسان أو الاستهجان لم يبين بعمق سر الاستحسان أو الاستهجان وإنما هى لمحات خاطفة واشارات عابرة كما وضح ذلك فيما أوردناه من نظراته النقدية وتعليقاته والمحنا إليه فى صدر هذا المجال الذى اتجه إليه ابن بسام .

(هـ) السرقة الأدبية :

تقدم القول بأن ابن بسام اهتم بالبديع وجعله «قيم الأشعار» إذ به يعرف تناضلها وتباينها . ونعتقد أن ذلك مما جعله يخوض فى موضوع السرقات الأدبية ليضع يده على ما لأهل الأندلس من ابتداع فى المعانى والألفاظ الشعرية حتى ليمكن القول بأن نظرته إلى السرقة الأدبية إنما كانت على أساس من علم البديع بل على أساس أنها جزء منه ـ يمثل ذلك قوله : «فقد وعدت أن ألمح فى هذا المجموع بلمع من ذكر البديع وأن أمهد جانبا من أسبابه وأشرح جملا من أسمائه وألقابه ، وإذا ظفرت بمعنى حسن أو وقفت على لفظ مستحسن ذكرت من سبق إليه وأشرت إلى من نقص عنه أو زاد عليه ، ولست أقول : أخذ هذا من هذا قولا مطلقا ، فقد تتوارد الخواطر ويقع الحافر حيث الحافر إذ الشعر ميدان وشعراء فرسان[1]» وليس ابن بسام فى الحقيقة مؤصّلا لهذا الاتجاه البديعى فى السرقة ، بل هو قديم فى دراسات النقاد القدماء أمثال : ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٧هـ فى كتابه البديع والآمدى المتوفى سنة ٣٧٠هـ فى كتابه الموازنة ، وأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥هـ صاحب الصناعتين ، وأبى مقصور الثعالبى المتوفى ٤٢٩هـ فى تيمة الدهر ، وابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٦٣هـ فى كتابيه العمدة وقراضة الذهب ، وغيرهم فقد نقل هؤلاء موضوع السرقة إلى حيز البلاغة لاسيما الآمدى وابن رشيق إذ جعلا «السرق فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال : إنه أخذه من غيره[1]» .

وكذلك الثعالبى فقد احتفل هو الآخر بأنواع البديع فى السرقة الأدبية[2] .

وابن بسام فى منهجه فى السرقات نراه لا يضيق على الشاعر ولا يحجر عليه بل يتميز برحابة أفق وسعة اطلاع، تمشيا مع قواعد منهجه التطبيقى فهو يأخذ بـ«توارد الخواطر واتفاق الهواجس» ويتوافق بذلك مع القاضى الجرجانى صاحب الوساطة فى هذه النظرة[3] بل إنه يكاد يحتذيه فى عامة منهجه فى هذا المجال إذ يرى رؤيته باستبعاد السرقة فى المعانى المشتركة وفى المعانى المخترعة التى تدوولت واستفاضت وفى التشابه الأسلوبى أيضا وهو الاحتذاء حتى إن منهج ابن بسام فى السرقة الأدبية ليقفنا على حقائق ثابتة فى استراقات الشعراء مما عرفه النقاد العرب فى بحوثهم النقدية إلى وقت ابن بسام فقد تمثل طرائفهم جميعا كما فى رؤيته للسرقة الحسنة التى أقرها الناقد ابن طباطبا المتوفى سنة ٣٢٢هـ من قبل نحو قوله : «وإذا تناول الشاعر المعانى التى سبق إليها فأبرزها فى أحسن صورة وكساها أحسن

---

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ٦ ، ٧ .

(١) الموازنة للآمدى جـ١ صـ٣٤٦ ، والعمدة لابن رشيق جـ٢ صـ٢٨١ .

(٢) انظر اليتيمة للثعالبى جـ٢ صـ١٠٧ .

(٣) انظر الذخيرة قسم أول مجلد واحد صـ٣٠٤ والوساطة للجرجانى صـ٥٢ ، صـ١٨٣ ، صـ١٨٥ ، صـ٢١١ .

من الكسوة التى عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه(٤)» .

وقد تنبه ابن بسام إلى شرائط السرقة الممدوحة فقد تضمنت تعاليقه المبثوثة على سرقات الشعراء ما يتوجب للسرقة المستحسنة وهى صدى لاراء المتقدمين من النقاد من أمثال من ذكرنا كابن طباطبا والجرجانى وغيرهما .

ويزيد ابن بسام فى أنه تعقب السرقات واستقصاها لدى طائفة من الشعراء الأندلسيين والمشارقة والحق أن هذا الاتجاه الذى اتجهه ابن بسام فى تعقب السرقات إنما هو تحقيق لمنهج تاريخى عظيم لم يؤته عفو الخاطر وإنما هو نتيجة اطلاع علمى جاد واحساس فنى أصيل نما وتطور مع شخصية ابن بسام الناقدة الواعية لخفايا الأدب ومعانيه وقد كان ذلك قيمة كبرى تحققت لابن بسام ؛ إذ كان يرجع الأشياء إلى أصولها الأولى وينسبها إلى قائلها الاول ليضيع أمام القارىء درجات متفاوتة فى الفكر والعاطفة من خلال تفاوت العصور وتباين ثقافة أهلها التى أخرج فيها الأثر الفنى والنظر اليه وموازنته مع غيره مما قيل فى معناه أو فى لفظه أو مما قيل فى معناه ولفظه معا ضمن آثار الماضى ونتاج الحاضر ، وتلك خاصية منهجية كان يجد فيها ابن بسام إحساسا بإظهار اطلاعه وسعة محفوظه من الآثار الأدبية أندلسية ومشرقية .

وعلى ذلك فإن هذا الاتجاه يمثل صورة ذهن ابن بسام وتفكيره الشخصى وتفقهه لا فى الصناعة الشعرية بل فيما هو أبعد من ذلك فى «الابداع الشعرى» على حد المصطلح العصرى . ذلك أن ابن بسام حاول تتبع المعانى الشعرية ووجد البديع فى شعر الشعراء منذ أن اخترعها مخترعها فتناولها منه من جاء بعده فزاد عليه وحسن أو قصر عنه فأخفق .

كل ذلك بداية من العصر الجاهلى إلى عصر ابن بسام مما جعل لدراسته هذه أن تساير تاريخ الأدب فى سير تطوره سواء نحو التحسن أو الضعف .

ويوازن بين الشعراء والعصور لاموازنة من لا يتجاوز مجرد الاستحسان أو النفور فى حكم عام على شاعر أو بيت بل موازنة تقوم على كيفية تناول معنى بذاته أو صورة من البديع بعينها بالاعتماد على الذوق الأدبى الذى هو أساس العملية الفنية والمحسنات البديعية التى كانت من سمات العصر آنذاك .

وهكذا فإن موضوع السرقة ـ فى عمومه ـ إنما هو النظر فى الابداع الشعرى وتطوره ونقد كثير من الشعر فى نطاق هذا الابداع وهذا التطور .

ومما يجب إليه التنبيه هاهنا أن ابن بسام لم يبن دراسته فى السرقة الأدبية على نظرية بعينها يناقشها ويطبقها ، بل ان جهوده ومواقفه كانت استمرارا للجهود العربية النقدية السابقة فى هذا المجال . غير أننا نتبين فى كتابه الذخيرة تنبيهات إلى النواحى العامة التى لابد من مراعاتها فى دراسة السرقات لاسيما ما اتصل منها بالمصطلحات التى لهج بها النقاد قبله .

وأظهر مايميز موقفه من السرقة الأدبية منهجه الواضح القائم على الاستقراء الذوقى الشامل من جهة وعلى سعة اطلاعه وإحاطته بهذا الفن ومصطلحه من جهة أخرى حتى لتكاد بحوثه فيها تفوق ـ فى تناولها والافصاح عنها ـ أسلوب النقاد العرب السابقين عليه فى بحوثهم الأدبية فى السرقات .

وعلى هذا الأساس فقد ميز ابن بسام فى نظرته إلى المعانى بين أقسام ثلاثة :

أولها : المعانى القديمة المتداولة . وثانيها : المعانى التى تتميز بأنها قليلة الدوران على ألسنة الشعراء ، وثالثها : المعانى الجديدة المخترعة .

أما القسم الأول فهو لايخرج عن كونه معانى مطروقة متداولة بين الناس ثابتة فى وجدانهم ومتصورة فى كل خاطر مما لايختص بمعرفته قوم دون قوم ولايحتاج فى العلم به إلى رؤية واستنباط وتدبر . فهذا القسم لا سرقة فيه بل هو مشاع مباح لأن تؤخذ معانيه للسبب

(٤) عيار الشعر لابن طباطبا صـ ٧٦ .

المذكور ، ولا فضل فيه لأحد على أحد إلا بحسن تأليف اللفظ وصياغته .

ولابن بسام أقوال كثيرة متناثرة حول هذا المعنى من مثل قوله : « معنى قد طوى ونشر[١] » أو كقوله : « معنى قد كسف رواؤه مما ابتذل وأسن ماؤه مما عل به ونهل[٢] » أو أنه « معنى من متداولات المعانى[٣] » .

ومن أمثلته فى تعقب المعنى الواحد لدى أكثر من شاعر تعليقه على البيت الآتى للفقيه أبى حفص عمر الهوزنى :

بدء صعق الأرض نشر وطـــل
وريــــــاح ثم غيم أبـــــل

« معنى مبتذل وفيه المثل : « السقط يحرق الحرجة[١] » وقال الأول « والشىء تحقره وقد ينمى » وقال الفرزدق :

قوارضُ تأتينـــى وتَحْتَقِرُونهـــا
وَقَدْ يَمْلأُ القَطْرُ الإناء فينعم

وقال نصر بن سياد من أبيات كتب بها لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية :

فإن النـــار بالعوديـــن تزكـــى
وإن الحرب مبدؤهـــا الكـــلام

وقال أبو تمام وعول عليه الفقيه ـ أبو حفص ـ ولكنه استحقه بما زاد عليه :

كم من قليـــــــــل غدا كثيرا
كم مطـــــــــــر بدؤه مطير

إلى غير ذلك مما لا يحد شهرة ولا يحصى كثرة[٢] .

وأما القسم الثانى : وهى المعانى التى تعد قليلة فى أنفسها فإنه يتسامح فى التعرض إلى شىء منها وذلك بشروط منها :

١ ـ التجويد فى الزيادة : وقد رأيناه ـ أى ابن بسام ـ وهو يفرق بين ما هو مليح من السرقة الحسنة وغير الحسنة يقف موقفا وسطا إذا ما أخفى الشاعر سرقته بما يشغل بها عن ذكر أصلها . ومن أمثلة ذلك ما التقطه أبو نواس من سرقة فى تصوير الكأس فى قوله :

قرارتها كسرى فى جنبــــــاتها
مها تدّريها بالــقِسِىّ الفـــوارس
فللراح مادارت عليه جيـــوبها
وللماء مادارت عليه القلانس[٣]

يريد أن حد الخمر بلغ نحور هذه الصور وزيد الماء فيه فانتهى الشراب الى فوق رءوس وفائدة هذا معرفة حدها صرفا من حدها ممزوجة .

ثم أورد أن أبانواس ولد هذا المعنى من قول امرىء القيس .

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه
وشجت بماء غير طلق ولا كدر

فتسلق الحسن عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكأس إلا أنها سرقة مليحة[١] .

على أن ابن بسام قد أدرك أنه فى مثل هذه المعانى المتقدمة مما انفرد به كل واحد من الشعراء لا يكون الأخذ إلا بزيادة تظهر[٢]

٢ ـ ومنها ـ أى الشروط ـ قلب المعنى إلى موضع آخر أو نقلـــه عن الأصلى أو التركيب عليه بعبارة أحسن من الأولى :

ومن أمثلة ذلك أنه عندما تعقب ما تعاورته الشعراء

---

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ٣٠٠ .
(٢) المصدر نفسه القسم الأول المجلد الثانى صـ١١ .
(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ٣٠١ .
(١) السقط أول مايقع من النار ، والحرجة = الغابة كثيرة الأشجار [انظر لسان العرب مادة حرج] .
(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ٣٧ .
(٣) المصدر نفسه صـ٢٧٨ .
(١) الذخيرة القسم الثانى صـ٢٧٨ .
(٢) المصدر نفسه صـ٢٧٩ .

من المعانى فى صور متباينة قال : «وفى قريب منه قول ابن شرف :

عجبت منـــه وأحشائى منازلـــه
كيف استقر بها من كثرة القلق !

يقول ابن بسام : «وقلب هذا المعنى بعض فتيان وقتنا وهو الأديب أبو بكر بن بقى فقال :

أبعدتـــه عن أضلـــع تشتاقـــه
كى لاينام على وساد خافـــق[3]

وبعد أن أورد هذا البيت الآتى من مقطوعة لأبى الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادى :

جفَت جفونى الآماق فيك فما
تُسْبِلُ اشْفارهـــا على الحـــدق

قال : وإنما أشار فى هذا إلى قول بشار :

جفت عينى عن التغميض حتى
كأن جفـــــــونها عنها قصار

فنقل لفظه ومعناه وقصر عنه . وقد أخذ أيضا العتّابى هذا المعنى واجتناه أريا فرده شربا بقوله :

فى انقبـــاض عن جفـــونها
وفى الجفون عن الآماق تقصير[1]

على أن ابن بسام قد اعتمد رأى ابن شهيد فى حسن الأخذ فى السرقة الأدبية بقوله :

«وقد تقدم القول من تخيل حذاق الصناعة فى أخذ المعانى أن تترك القافية والوزن وكذلك يجب أن يقصد إلى التطويل إذا قصر المتقدم . ألا ترى قول أبى عامر ــ ابن شهيد ــ حين سمع الرمادى يقول :

ولم أر أحلى من تبسم أعين
غداة النوى عن لؤلؤ كان كامنا

فقال أبو عامر :

ولما فشا بالدمع من سر وجدنا
إلى كاشحينا ماالقلـــوب كواتم
أمرنا بإمساك الدموع جفوننـــا
ليشجى بما تطوى عذول ولائم
فظلت دموع العين حيرى كأنها
خلال ماقينــــــا لال توائم
أبى ومعنا يجرى مخافـــة شامت
فنظمـــه بين المحاجـــر ناظـــم
وراق الهوى فما عيـــون كريمة
تبسمـــن حتى ماتروق المبـــاسم

فأقام بهذا التركيب ما نسيت له حيلة التطويل[2]

وبيت الرمادى من قول ابن عبد ربه :

وكـــأنما غاص الأسى بجفـــونها
حتـــى أتـــاك بلؤلـــؤ منثـــور

فاحتال الرمادى حتى أتى باللؤلؤ ، وعوض من الغائص التبسم ، ووقعت له استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وإنما هو للثغور بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور ، فسخ المعنى نسخا وقلبه قلبا وتشبيه الدموع باللؤلؤ أكثر من أن يحصى[1]

وأما القسم الثالث والأخير فهو المرتبة العليا فى الشعر من ناحية استنباط المعانى لأن ذلك يدل على نفاذ خاطر الشاعر وتوقد ذهنه إذ يمكنه أن يستنبط معنى غريبا .

(٣) الذخيرة قسم أول مجلد ثان صـ ٢١٩ .

(١) الذخيرة القسم الأول مجلد واحد صـ ٢٧٤

(٢) المصدر السابق صـ ٢٧٦ .

(١) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٢٧٧ .

وهذا النوع المخترع لا يمكن أن يهتدى إلى مثله كل فكر بل يتحاماه الشعراء لانكشاف السرقة فيه : « والمعانى التى بهذه الصفة تسمى العقم لأنها لا تلقح ولا تحصل عنها نتيجة ولا يقتدح منها ما يجرى مجراها من المعانى[٢] » . والأمثلة التى تدل على أن ابن بسام كان يسعى وراء ماسماه اختراعا وابتكارا مما انفرد به كل واحد من الشعراء أو تميز به لا يكاد يتناولها حصر فى كتابه الذخيرة بيد أنها فى جملتها تعليقات نقدية فى حدود الجزئيات كما أسلفنا .

ومن أمثلة ذلك تعليقه على أبيات لابن عبدون من قصيدة له :

كأن عداه فى الهيجا ذنوب
وصارمه دعاء مستجاب

فقال : « وهذا مما أغرب فيه ، ولم أسمع له شبيه ، ولعله أمير شعره ، ونتيجة فكرة » .

وقد كرر ابن بسام مثل هذا القول على بيت آخر من القصيدة نفسها وهو :

وسرت ومن كواكبه حلى
علىَّ ومن غياهبه قراب

فقال : « وهذا مما سلك فيه سبيلا من البديع لا تسلك واستوط منه على غاية من الكلام المطبوع فلما تدرك » .

ومن ثم فهو يرى فى الاختراع أن يجىء الشاعر بمعنى جديد لم يطرقه الشعراء من قبله وفى كتابه الذخيرة شواهد أخرى على أن فكرة الاختراع بهذا المعنى كانت مما شغل به نفسه إذ أنه فى تعليقاته كان يتكىء على هذا الجانب كثيرا ويشير إلى ما فى منظوم الشعراء من ابتكار . فهو يتعقب المعنى الشعرى حتى يصل به إلى مصادره الأولى فينسبه إلى من سبق فيه القول وينظر إلى ما بينه وبين ما يشبهه أو يوافقه ثم ينقد ذلك بالثناء أو بالتقبيح مع محاولة الابانة عن أوجه الاستحسان أو التقصير فى ايجاز وتركيز .

مثال ذلك هذا البيت الذى ساقه لابن عبدون فى وصف الذباب وهو :

على ربى لم يزل شادى الذباب بها
يلهى بأنسق ملفوظ ومضروب

فقال : « وصفة ابن عبدون للذباب أجاد فيه ما أراد وقد تناول هذا المعنى أبو بكر ابن سعيد البطليوسى وأخذ ابن عبدون من قول ابن الرومى يصف روضا وإنما اخترعه أولا عنترة بقوله :

فترى الذباب بها يغنى وحده
هزجا كفعل الشارب المترنم
غردًا يَحُكّ ذراعه بذراعه
فعل المكب على الزناد الأجذم

فعلق على ذلك بقوله : « وهذا من التشبيه الذى ماله شبيه ولم يجسر عليه أحد » وقد فرق بين صورة من الأخذ فى السرقة الأدبية كالذى وصفه بالتناسب بين ألفاظ الشعراء ومعانيهم والاتباع والاختراع فهو يعلى من شأن هذه المصطلحات ويستحسنها كما فى تعليقه حول هذا البيت لأبى بكر بن الملح من قصيدة له يقول فيه :

لو كانت الشمس من خدام دولتكم
والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

يقول ابن بسام : « ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق فإن كان اتباعا فما أحسن وما أرق ، وإن يكن اختراعا فما أولى وأخلق[٢] » .

وفى أثناء تتبعه لأبيات ابن زيدون نراه يقول : وقوله : « وللنسيم اعتلال فى أصائله ... البيت » أراه ألمَّ فيه .

يقول ابن المعتز :

والريح تجذب أطراف الثياب كما
أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنان

(٢) المصدر نفسه صـ ٢٨٠ .

(١) انظر الذخيرة القسم الثانى صـ ٢٧٥ ـ صـ ٢٨٠ .

(٢) الذخيرة القسم الثانى صـ ١٨٧ .

فقلبه الرضى وقال :

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الربط واللحم

وأحسن الفرزدق أبا عذرته وواسم غرته بقوله :

وركب كأن الريح تطلب عندهم
لها ترة من جذبها بالـــعصائب[3]

وكذلك رأيناه وهو يتتبع قصيدة ابن المصيصى يقول : « وقول ابن المصيصى :

من مبلـــغ يده أنى نظـــمت لها
شكرا جعلت قوافيه من القبل

أخذه من قول ابن عبدون :

وبلـــغ عن فمـــى يده سلامـــا
كما أذكـــر الأزاهير الربــــابُ

وقول حسان ـ يعنى ابن المصيصى :

لاتحمدن زهد من لم يعط رغبته
لعله غضَّ من جفنيه ذو الحول

« معنى قد أكثر الناس فيه وإن كان حسان له فضل بزيادة التشبيه » ثم يقول : ومن مشهوره قول حبيب :

إذا المرء لم يزهد وقد صبغت له
بعصفرها الدنيا فليس بزاهـــد

وقد أحسن فيه أبو الطيب بقوله :

والظلم فى خلق النفوس فإن تجد
ذا عفّـــة فلعلـــــه لايظلـــــم

وقال بعض أهل عصرى :

تورَّعـوا بين لاعزوا ولاظفـــروا
وأكثر الضعف محسوب على الورع

وقوله :

وكم له سنـــة ضاء الزمـــان بها
ضوءا بلا لهب كالشمس فى الطفل

معنى بيَّن النقصان قصير الباع فى مدى الاحسان وفيه نقد أعرب عنه بعض أهل زماننا ومن فى طبقة ديواننا وهو أبو حاتم الحجازى وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينار صفرة وجهه
الشمس صفرتها من أجل زوالها

وقد نقله بعض أهل عصرى إلى التسيب فقال :

يعيبـونها عنـدى لصفـرة وجههـا
فقلـت الهرقليات أوجههـا صفـر

وقوله :

من كل معتقـل بالبـأس مختـــرط
للعـزم مدّرع للحـــزم مشتمـــل

من التقسيم المليح فى القريض الذى كثيراً ما يتفق فى هذه العروض . وهو شبيه بقول أبى سعيد المخزومى :

ومايريدون لولا الجبن من رجل
بالليـل مدرع بالجمـر مكتحـــل

وشبيه أيضا بقول أبى تمام :

تدبير معـــــتصم بالله منتقـــــم
فى الله مرتـــقب لله مرتـــــعب

إلى غير ذلك مما لا يحصى والاحاطة لله تعالى[1] .

وبعد : فهذه خلاصة ما اجتهدنا أن نكتب عن ابن بسام ولمحاته النقدية وهى لمحات لها قيمتها التاريخية والأدبية لايفرغ منها قارئها حتى يتجلى له القرن الخامس الهجرى على نحو واضح من خلال نتاج أهل الأندلس فى العلم والأدب كما صورته تلك اللمحات ـ على وجازتها ـ واحتواها كتابه « الذخيرة » الذى نرجو أن يكون قد اتضحت قيمته مصدرا من مصادر التاريخ والنقد الأدبيين عن هذه الفترة فى حياة الأندلس .

والله الموفق ،

---

(٣) الذخيرة القسم الأول المجلد الأول صـ ٣١٤ .

(١) الذخيرة القسم الثانى من صـ ١٧٦ ـ صـ ١٧٩ .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام أبى زكريا الأنصارى

تحقيق : فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام زين الملة والدين ، أبو يحيى زكريا الأنصارى الشافعى ـ رحمه الله ـ ونفعنا والمسلمين ببركة محمد ـ ﷺ ـ وآله آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذى يسر بتقريبه على من وفقه للقراءات العشر ، وجعل القرآن العظيم شافعا له يوم الحشر ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . شهادة منجية لى من الهول والضُّرْ . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، المؤيد بالنَصْر ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ المنزهين عن القبح والشر .

وبعد : فهذا ملخص تقريب النشر فى القراءات العشر . مع فوائد يرتقى بها النبيه . لخصته تسهيلا لحفظ مبانيه وفهم معانيه . وسميته :

« تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر »

والله أسأل أن يجعله نافعا خالصا لوجهه الكريم ، ووسيلة للفوز بجنات النعيم .

مقدمة فى مبادىء علم القراءات وفى بيان المقرىء والقارىء[1] اصطلاحا

فمبادئه : حدة وموضوعة وغايته واستمداده ومسائله : فحده : علم بأصول يعرف بها أحوال ألفاظ القرآن من حيث النطق بها .

وموضوعة ألفاظ القرآن من حيث يبحث فيه عن أحوالها ـ كالمد ، والقصر ، والنقل .

واستمداده من السنة والإجماع .

وغايته[1] ، ما يقرأ به كل من أئمة القراء .

ومسائله : المطالب التى يبرهن عليها فيه ؛ كعلمنا بأن قراءة (نافع) كذا ، وقراءة (حمزة) كذا .

والمقرىء : العالم بالقراءات الراوى لها مشافهة .

والقارىء : مبتدىء ؛ وهو : من شرع فى إفرادها[2] إلى ثلاث منها . ومنته : وهو من نقل منها أكثرها وأشهرها . ومتوسط ـ فى العشر : وهو من نقل منها أربعا أو خمسا .

باب أسماء الأئمة القراء العشرة ورواتهم وطرقهم

وهم : (نافع) ، من روايتى : « قالون » « وورش » عنه .

و (ابن كثير) ، من روايتى : « البزى » و « قنبل » بواسطتين عنه .

و (أبو عمرو) ، من روايتى : « الدورى » و « السوسى » عن « يحى اليزيدى » عنه .

و (ابن عامر) ، من روايتى : « هشام » و « ابن ذكوان » بواسطتين عنه .

و (عاصم) ، من روايتى : « أبى بكر شعبة بن عياش » ، و « حفص بن سليمان » عنه .

و (حمزة) ، من روايتى : « خلف » و « خلاد » ، عن « سليم » عنه .

و (على بن حمزة الكسائى) ، من روايتى : « أبى الحارث » و « الدورى » عنه .

و (أبو جعفر يزيد بن القعقاع) ، من روايتى : « عيسى بن وردان » و « سليمان بن جماز » عنه .

و (يعقوب بن إسحاق الحضرمى[1]) ، من روايتى : « رويس » و « روح » عنه .

و (خلف بن هشام البزار) ، من روايتى : « إسحاق الوراق » و « إدريس الحداد » عنه .

ولكل واحد من هؤلاء الرواة طريقان ، كل طريق من طريقين أو أربعة :

---

(١) انظر المنجد لابن الجزرى ، ولطائف الاشارات للقسطلانى ، والاتحاف للبنا ، والاضاءة فى أصول القراءة للضباع .

(١) قال الامام القسطلانى فى اللطائف : إن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم فى اللغة والإعراب ، والحذف ، والإثبات ، والتحريك ، والإسكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ، من حيث السماع .

(وفائدته) : صيانته عن التحريف والتغيير مع ما فيه من فوائد كثيرة عليها الأحكام تبنى .. ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارىء معنى ، لا يوجد فى قراءة الآخر ذلك المعنى . فالقراءات حجة الفقهاء فى الاستنباط ، ومحجتهم إلى الاهتداء إلى سواء الصراط . مع ما فى ذلك من التسهيل على الأمة ، وإظهار شرفها ، وإعظام أجرها من حيث إنهم يفرغون جهدهم فى تحقيق ذلك وضبطه .

(٢) معنى الافراد : أن يقرأ بقراءة إمام واحد ، أو إمامين ، أو ثلاثة .. المحقق .

(١) فى الأصل الحضر . والتصحيح من عندنا .... ابراهيم عطوة .

فقالون : من طريقى : أبى نشيط والحلوانى عنه ، وورش : [من] طريقى : الأزرق والأصبهانى عنه ، والبزى : من طريقى : أبى ربيعة وابن الحباب عنه ، وقنبل : من طريقى : ابن مجاهد وابن شنبوذ عنه ، والدورى : من طريقى : أبى الزعراء وابن فرح ـ بحاء مهملة ـ عنه ، والسوسى : من طريقى : ابن جرير وابن جمهور عنه ، وهشام : من طريقى : الحلوانى عنه ، والداجونى عن أصحابه عنه ، وابن زكران : من طريقى : الأخفش والصورى عنه ، وشعبة : من طريقى : عُبَيْد بن الصباح . وعمرو بن الصباح عنه ، وخلف من طرق : إبن عثمان وابن مقسم ، وابن صالح ، والمطوعى عن إدريس عنه ، وخلاد : من طرق ابن شاذان ، وابن الهيثم ، والوزان والصلحى عنه ، وأبو الحارث : من طريقى : محمد بن يحى ، وسلمة بن عاصم عنه ، والدورى : من طريق جعفر النصيبى وابن عثمان الضرير عنه ، وعيسى بن وردان : من طريق : الفضل بن شاذان وهبة الله بن جعفر عن أصحابهما عنه ، وابن جماز : من طريق أبى أيوب الهاشمى ، والدورى : من طريق : إسماعيل بن جعفر عنه ، ورويس : من طرق : النخاس ـ بخاء معجم ـ وأبى الطيب وابن مِقْسَم والجوهرى . عن التمار عنه ، وروح : من طريق : ابن وهب والزيدى عنه ، وإسحاق : من طريق : السوسنجردى . وبكر بن شاذان عن أبى عمر عنه . وعن محمد بن إسحاق نفسه والبرصاطى عنه ، وادريس : من طرق : الشاطبى ، والمطوعى ، وابن بويان ، والقطيعى عنه .

فنافع وأبو جعفر مدنيان ، وابن كثير مكى ، وأبو عمرو ويعقوب بَصْريان ، وابن عامر دمشقى ، وعاصم وحمزة [و] الكسائى كوفيون . ويدخل معهم خلف لموافقته لهم .

ومرادى فيما يأتى بالابنين ـ ابن كثير وابن عامر ، وبالأبوين أبو عمرو ، وأبو جعفر . وبالأخوين حمزة والكسائى . وبالأخوة هما وخلف .

باب الاستعاذة

المختار ـ لجميع القراء ـ فى صيغة التعوذ : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ـ ويجهر بها عندهم قبل القراءة .

وعن قالون : إخفاؤها ، وكذا عن حمزة . قيل : مطلقا ، وقيل : فى غير الفاتحة . ولا حرج على القارىء فى الاتيان بأى صيغة من صيغ التعوذ ، والتى صحت عند أئمة القراءة . ويجوز الوقف عليه[1] ووصله بما بعده من (بسملة) وغيرها من القرآن .. وهو مستحب ، وقيل : واجب .

باب البسملة

اختلفوا فى الفصل بها بين السورتين :

فابن كثير ، وعاصم ، والكسائى وأبو جعفر ، وقالون ، وورش من طريق الأصبهانى : يفصلون بها بين كل سورتين .

وحمزة : يصل السورة بالسورة بلا بسملة ، وكذا خلف ، وعنه أيضا السَكْتُ قليلا ـ أى بلا تنفس ولا بسملة ـ

واختلف عن الباقين . وهم : أبو عمر ، وابن عامر ، ويعقوب ـ وورش من طريق الأزرق ، فعن كُلٍّ البسملة والوصل والسكت .

واختار بعض أهل الأداء عمن وصل السورة بالسورة : السكتَ بين ـ (المدثر) ، (القيامة) وبين (الانفطار) ، و(التطفيف) ، وبين (الفجر) و(البلد) وبين (العصر) و(الهُمَزة) . لبشاعة اللفظ بـ(لا) و(ويل) .

وكذا اختاروا عمن سكت : الفصل بالبسملة فى هذه المواضع الأربعة .

وأجمعوا على (البسملة) أول كل سورة ابتدىء بها إلا (براءة) ـ فلا (بسملة) أوَّلها . ولو وصلت

---

(١) الأصل غير واضح كأنه الحرب أو الحلاب .... ابراهيم عطوة

(١) أى على التعوذ ... المحقق .

بـ(الأنفال) ؛ بل يجوز - عن كل من القراء - بينهما ثلاثة أوجه : الوصل ، والسكت ، والوقف .

وعن حمزة : ترك (البسملة) فى ابتداء السور سوى . (الفاتحة) .

وتجوز البسملة عن كل من القراء - بعد (الاستعاذة) - إذا ابتدىء بها بأوساط السور .

واستثنى بعضهم وسط (براءة) - وأجازة بعضهم .

وذهب بعضهم إلى أن (البسملة) فى أوساط السور تكون عَمَّن فصل بها بين السورتين دون غيره ، وإذا فصل بها بين السورتين - فلا يجوز القطع عليها إذا وصلت بآخر السورة .

ويجوز كل من الأوجه الثلاثة الباقية ، وقيل : يمنع القطع عليها إذا قطعت عن آخر السورة .

سورة أم القرآن

قرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف : (مالك يوم الدين) بألف والباقون بدونها .

[و] قرأ رويس وقنبل : (السراط) ، و(سراط) حيث أتى بالسين . والباقنون بالصاد .

وأشَمَّ[1] خلف عن حمزة الصاد (زايا) حيث أتى .

واختلف عن خلاد : فقيل : يشم فى الأول من الفاتحة فقط ، وهو ما فى الشاطبية والتيسير .

وقيل : موضعى (الفاتحة) فقط .

وقيل : يشم المعرف باللام فقط حيث أتى .

وقيل : يشم مطلقا كخلف .

هاء الضمير لجمع أو مثنى

قرأ يعقوب بضم كُلِّ هَاءِ ضَمِيرِ جَمْعٍ أو مثنى إذا وقعت بعد ياء ساكنة نحو : عليهم ، وعليهن ، وعليهما ، وفيهم ، وفيهما ، وفيهن ، وأبيهم[2] وصياصيهم ، وترميهم . ووافقه حمزة فى عليهم ، وإليهم ، ولديهم فقط ؛ فإن سقطت الياء أو بناء نحو : وإن يأتهم ، وفاستفتهم ، فَرُوَيْس : يضم الهاء من ذلك إلا قوله : و(من يولهم يومئذ) - فى الأنفال ، كسرها كالباقين . واختلف عنه فى - (وَيُلْهِهِمُ الأمل) - فى الحِجْر - و(يُغْنِهِمُ الله) - فى النور ، (وقهم السيئات) ، و(قهم عذاب الجحيم) - فى - وإن لم تسكن الياء لم تضم الهاء .

وعن يعقوب أنه يضمها - (بِبَغْيِهِم) - فى الأنعام ، و(حليهم) فى الأعراف ، وعنه أنه يكسر كسرها . و(أيديهن) فى الممتحنة .

وقرأ الباقون بكسر الهاء من ذلك كله .

وقرأ ابن كثير ، وأبو جعفر ، وقالون - بخلاف عنه : (عليهم غير المغضوب عليهم . ولا) (ومما رزقناهم ينفقون) ونحوها . مما وقع بعد (ميم الجمع) [فيه][1] محرك - بضم الميم - وصلته الضمة بواو . [و] وافقهم ورش فيما وقع بعد ميم الجمع فيه بهمزة قطع نحو : (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) .

وعن ابن جماز : أنه يسكن الميم من غير صلة إن لم يكن بعدها همزة قطع ؛ وبه قرأ الباقون فى الجمع .

ولا خلاف فى إسكانها وقفا ؛ فإن وقع بعد الميم ساكن ، وكان قبلها هاء ساكنة أو كسرة نحو - (عليهم الذلة) ، و(يريهم الله) ، و(قلوبهم العجل) ، و(بهم الأسباب) - فأبو عمرو يكسر الميم فى ذلك . والمدنيان ، والابنان ، وعاصم يضمونها . والأخوة يضمون الهاء والميم ، واتبع يعقوب الميم الهاء . فضمها فى نحو - (عليهم الذله) ، (يريهم الله) . وكسرها فى (قلوبهم العجل) ، و(بهم الأسباب) - ورويس على الوجهين فى - (يلههم الأمل) و(يغنهم الله) ، و(قهم السيئات) - فإن وقفوا : أسكنوا الميم ، وهم فى الهاء على أصولهم ، ولا خلاف فى ضم الميم وصلا إذا ضم ما قبلها نحو - (يلعنهم اللاعنون) ، و(أنتم الأعلون) .

---

(١) أى قرأ باشمام (الصاد) صوت الزاى ... المحقق

(٢) فى الأصل (وباقيهم) والتصحيح عن التقريب ... المحقق

باب الادغام الكبير

وهو : ما كان الأول من المثلين[1] ، وهما : ما اتفقا مخرجا وصفة . أو : المتجانسين ـ ما تقاربا مخرجا أو صفة ، أو مخرجا وصفة متحركا .

فأبو عمرو يدغم فى ذلك على خلاف فيه .

أما المرغم من المتماثلين [ف] سبعة عشر حرفا :

الباء ، والتاء ، والثاء ، والحاء ، والـراء ، والسين ، والعين ، والغين ، والفاء ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون ، والواو ، والهاء ، والياء ، نحو : (الكتاب بالحق) ، و(الموت تحبسونهما) ، و(حيث ثقفتموهم) ، و(النكاح حتى) ، و(شهر رمضان) ، و(الناس سكارى) ، و(يشفع عنده) ، و(من يبتغ غير الاسلام) ، و(ما اختلف فيه) ، و(أفاق قال) ، و(أنك كنت) ، و(لا قبل لهم) ، و(الرحيم ملك) ، و(نحن نسبح) ، و(فيه هدى) ، و(هو وليهم) ، و(يأتى يوم) .

وشرطه : أن يلتقى المثلان خطا فيدغم نحو : (إنه هو) . ولا يمنع الصلة ويظهر نحو : (أنا نذير) ، وأن يكونا من كلمتين ؛ فإن كانا من كلمة فلا يدغم إلا فى حرفين . (مناسككم) ـ فى البقرة ، و(سلككم) فى المدثر .

ومانعُهُ[1] من أن يكون الأول تاء ضمير متكلم أو مخالب نحو : (كنت ترابا) ، أو (فأنت تُسمع) ، وأن يكون مشدوا نحو : (مس سقر) ، ومنونا نحو ـ (سميع عليم) .

واختلف المدغمون ـ فيما إذا أدغم الأول ، وذلك فى قوله : (ومن يبتغ غير الإسلام) ، و(يخل لكم) ، و(إن يك كاذبا) .

وكذا اختلفوا فى (آل لوط) وهو ـ فى الحجر ، والنمل ، والقمر .

وفى الواو ـ إذا ضم ما قبلها ، نحو (هو والذين) ، و(هو والملائكة) ، ووقع فى ثلاثة مواضع . وفى و(الَّى يئسن) على وجه إبدال الهمزة ياء ساكنة ، وعلى الإظهار . وفى هذه اقتصر الشاطبى وجماعة . ولا يختص الخلاف فيها بأبى عمرو ، بل يشاركه فيه البزى . واتفقوا على إظهار (يحزنك كفره) لاجل الاخفاء .

وأما المدغم من المتجانسين والمتقاربين فهو ستة عشر حرفا : الباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والدال ، والذال ، والراء ، والسين ، والشين ، والضاد ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والميم ، والنون . وذلك بشرط : أن لا يكون الأول مشددا نحو : (أشدَّ ذكرا) . ولا منونا نحو : (فى ظلمات ثلاث) ، ولا تاء ضمير نحو : (خلقت طينا) ، و(جئت شيئا) بمريم .

فالباء تدغم فى الميم فى قوله : (يعذب من يشاء) .

والتاء تدغم فى عشرة أحرف :

الثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء .

ففى التاء نحو : (بالبينات ثم)[1] [وقد] اختلف المدغمون فى (الزكاة ثم) فى البقرة (والتوراة ثم) فى الجمعة .

وفى الجيم نحو (الصالحات جنات) ، وفى الذال نحو : (الآخرة ذلك) .

واختلفوا فى ـ (وآت ذا القربى) ـ فى الموضعين ،

وفى الزاى نحو : (الآخرة زَيَّنا) ، وفى السين نحو : (الصالحات سندخلهم) ، و(لم يوت سعة) للجزم مع خفة الفتحة ، وفى الشين نحو : (بأربعة شهداء) .

واختلفوا فى (جئت شيئا فريا) ، وفى الصاد نحو : (الملائكة صفا) ، وفى الضاد نحو : (والعاديات ضبحا) . وفى الطاء نحو : (أقم الصلاة طرفى) ، واختلفوا فى ـ (ولتأت طائفة) ، وفى الظاء نحو : (والملائكة ظالمى) .

والثاء تدغم فى خمسة أحرف :

التاء ، والذال ، والسين ، والشين ، والضاد .

ففى التاء نحو : (حيث تؤمرون) وفى الذال نحو : (الحرث ذلك) ، وفى السين نحو : (وورث

---

(١) فيه عن التقريب ...

(١) أى ما كان الأول منهما عين الثانى .

(١) أى مانع وقوع الادغام ... المحقق

سليمان) . وفى الشين نحو : (حيث شئتما) ، وفى الضاد نحو : (حديث ضيف) . والجيم تدغم فى الشين - من (أخرج شطأه) - على خلاف فيه . وفى التاء من - (ذى المعارج تعرج) ، والحاء تدغم فى العين من - (زحزح عن النار) ، على خلاف فيه .

والدال تدغم فى عشرة أحرف :

التاء ، والثاء ، والجيم ، والذال ، والزاى ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والظاء . إلا أن تكون الدال مفتوحة وقبلها ساكن فلا تدغم إلا فى التاء لقوة التجانس .

فإدغامها فى المذكورات بعد توكيدها : و(يريد ثواب) ، و(داوود جالوت) و(القلائد ذلك) ، و(يكاد زيتها) ، و(الأصفاد سرابيلهم) ، و(شهد شاهد) ، و(تفقِد صواع) ، و(من بعد ضراء) ، و(يريد ظلما) .

والذال تدغم فى السين من قوله : (فاتخذ سبيله) . وفى الصاد من قوله : (ما اتخذ صاحبة) .

والراء تدغم فى اللام نحو : (هن أطهر لكم) . فإن فتحت وسكن ما قبلها نحو : و(الحمير لتركبوها) - لم تدغم .

والسين تدغم فى الزاى من قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، وفى الشين من قوله : (واشتعل الرأس شيبا) . على خلاف فيه .

والضاد تدغم فى الشين من قوله : (لبعض شأنهم) فى النور على خلاف فيه . قيل : ومن قوله : (الأرض شقا)

والقاف تدغم فى الكاف إذا تحرك ما قبلها ، كانتا من كلمتين نحو : (ينفق كيف يشاء) ، وفى كلمة واحدة ، وبعدها ميم نحو : (خلقكم) ، واختلف المدغمون فى (طلقكن) - ولم يختلفوا فى إظهار - (رزقك) - فإن سكن ما قبلها لم تدغم ، نحو : (وفوق كل ذى علم) ، و(ميثاقكم) .

والكاف تدغم فى القاف - إذا تحرك ما قبلها - نحو : (ونقدس لك) قال : فإن سكن ما قبلها لم تدغم نحو : (تركوك قائما) .

واللام تدغم فى الراء - إذا تحرك ما قبلها - نحو : (رسل ربك) ، فإن سكن ما قبلها أدغمت مضمومة أو مكسورة نحو : (يقولُ رَبَّنا) ، و(إلى سبيل ربك) . وأظهرت مفتوحة نحو : (فيقول رب) . إلا (لام) قال ؛ فإنها تدغم حيث وقعت نحو : (قال رب) .

والميم تسكن عند الباء - إذا تحرك ما قبلها - فيخفى بغُنَّةٍ نحو : (أعلم بالشاكرين) . فإن سكن ما قبلها أظهرت نحو : (ابراهيم بنيه) .

والنون تدغم - إذا تحرك ما قبلها - فى الراء ، وفى اللام نحو : (تأذَّن ربك) ، و(لن نؤمن لك) . فإن سكن ما قبلها أُظْهِرَتْ عندهما نحو (يخافون ربهم)[1] ، (وإن يكون هم) إلا النون من (نحن)[1] إلا ؛ فإنها تدغم نحو : (نحن له) ، وعن السوسى أنه يظهرها .

فصـــل :

يجوز الرَّوْم والإشمام فى حركة الحرف المدغم - إذا ضم أو كسر ، والادغام الصحيح يمتنع مع الروم ، واستثنوا من جواز الاشارة[2] الميم عند مثلها وعند الباء . والباء عند مثلها وعند الميم .

واستثنى بعضهم الفاء عند الفاء أيضا ، وذلك نحو : (يعلم ما) ، و(أعلم بما) (نصيب برحمتنا) ، (يعذب من) (تعرف فى وجوههم) .

تنبيه

أجازوا - فيما إذا كان ما قبل الحرف المدغم معتلا - المد ، وهو أولى ؛ والتوسط والقصر ، كجوازها عند سكون الوقف نحو : (الرحيم ملك) ، (قال لهم) (يقول رَبَّنا) ، وكذا لو انفتح ما قبل الواو والياء نحو : (قوم موسى) ، (كيف فعل) .

فإن كان ماقبل المدغم صحيحا ؛ فالادغام الصحيح يعسر معه للجمع بين الساكنين . فأكثر

(١) ما بين القوسين عن التقريب .

(١) تصحيف فى الأصل والتصويب عن التقريب

(٢) أى الاشارة بالضمة .

المحققين على الإخفاء فيه ، وهو الرَّوْم . ويعبر عنه بالاختلاس ، وكان بعضهم يأخذ فيه بالادغام الصحيح ـ وإن عسر ـ وكلاهما صحيح ، وذلك نحو : (شهر رمضان) ، و(المهد صبيا) .

فصل

وافق حمزة أبا عَمْرو على الإدغام فى ـ (والصافات صفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا) (والذاريات ذروا) . واختلف عن خلاد عنه .. فى (فالملقيات ذكرا) ، والذاريات ذروا . واختلف عن خلاد عنه ـ فى (فالملقيات ذكرا) ، (فالمغيرات صبحا) . وفى (العاديات ضبحا) . ووافق يعقوب أبا عَمرو أيضا على إدغام الباء فى الباء ، (والصاحب بالجنب) فى النساء . وقيل : على إدغام جميع ما أدغمه بلا خلاف ، [ووافقه رويس][1] على إدغام كافات ـ (نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا إنك كنت) ـ فى طه ، وباء (فلا أنساب بينهم) فى المؤمنين . واختفى عنه بإدغام التاء فى (ثم تتفكروا) ـ فى سبأ . ووافقه ـ بخلاف عنه ـ على إدغام ـ (لذهب بسمعهم) .

[وانفرد عبد البارى عنه بإدغام][2] (فتلقى آدم من ربه) ، و(يكتبون الكتاب بأيديهم) ، و(العذاب بالمغفرة) ، و(نزل الكتاب بالحق) ـ فى البقرة ـ و(لا نكذب بآيات ربنا) فى الأنعام ، و(من جهنم مهاد) فى الأعراف ، و(جعل لكم) كل ما فى النحل . (لا مبدل لكلماته) ، فى الكهف . و(فتمثل لها) فى مريم . و(لتصنع على عينى) . فى طه و(تقع على الأرض) ، و(من عاقب بمثل) ـ فى الحج ، و(لا قبل لهم) ـ فى النمل ـ و(أنزل لكم فيها) فى الزمر . و(كذلك كانوا) ـ فى الروم ، و(جعل لكم من أنفسكم) فى الشورى ـ و(أنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات) ، و(أنه هو أغنى وأقنى . وأنه هو رب الشعرى) فى النجم ، و(ركبك كلا) فى الانفطار .

وعنه أيضا : إدغام (جعل) فى كل القرآن . و(طبع على) فى كله . والباء فى الباء فى كله إلى قوله . (ولا نكذب بآيات ربنا) ـ فى الأنعام .

فصل

يلتحق بهذا الباب خمسة أحرف :

أولها ـ (بَيَّتَ طائفة) ـ فى النساء . ادغم التاء منه فى الطاء أبو عمرو وحمزة .

ثانيها : (مالك لا تأمنا) فى يوسف . أجمع الأئمة العشرة على إدغامه ، واختلفوا فى اللفظ به . فقرأه أبو جعفر بإدغامه إدغاما محضا من غير رَوْم وإشمام ، والباقون بهما فلا يتأتى الادغام الصحيح مع الروم ، ويتأتى مع الاشمام ، وعن قالون الادغام المحض كأبى جعفر .

ثالثها : (ما مكننى) قرأ ابن كثير بإظهار النون وهى فى مصاحف مكة بـ(نونين) . والباقون بالادغام ، وهى فى مصاحفهم[1] بـ(نون)[2] واحدة .

رابعها : (أتمدونن بمال) ـ فى النمل . أدغم النون فى النون حمزة ويعقوب ، وأظهرها الباقون . وهى بنونين فى جميع المصاحف .

خامسها : (أتعداننى) فى الأحقاف . أدغم النون فى النون هشام والباقون . وأظهرها وهى بـ(نونين) فى جميع المصاحف .

باب هاء الكناية

وهى عندهم (هاء الضمير) المكنى بها عن المفرد المذكر الغائب . وتأتى على قسمين : بعد ساكن ، وبعد متحرك :

فالأول : إن تحرك ما بعده . قرأ فيه ابن كثير بصلتها ، فإن كانت مكسورة وصلها بياء ، أو مضمومة وصلها بواو نحو : (فيه هدى) ، و(منه آيات) ، و(اجتباه وهداه إلى) . فوافقه حفص (فيه مهانا) ـ فى الفرقان . وإن سكن ما بعدها أيضا نحو : (وإليه المصير) ، و(عليه القول) .

والثانى : إن تحرك ما بعدها أيضا أجمعوا فيه على صلتها بياء ـ إن كسر ما قبلها ـ وبواو ـ إن فتح أو ضم ـ نحو : (يضل به كثيرا) . (إنه هو) (له صاحبة) ـ وإن سكن ما بعدها فلا صلة نحو : (على عبده الكتاب) ، (فقد نصره الله) و(له الملك) .

---

(1) ما بين القوسين عن التقريب .

(2) ما بين القوسين عن التقريب .

(1) فى الأصل مضاجعهم وهو خطأ ... المحقق

وقد خرج من القسمين ـ بنوعيهما ـ ستة وعشرون موضعا وهى قوله : (يؤده إليك) ، و(لا يؤده إليك) ـ فى آل عمران .. و(نؤته منها) فى موضعيهما وموضع شورى ، و(نوله ما تولى) ـ و(نصله جهنم) ـ فى النساء . فقرأه أبو عمرو وحمزة وشعبة ، وكذا هشام ـ فى أحد أوجهه ـ، وعيسى بن وردان ، وابن جماز ـ فى أحد وجهيهما ـ بإسكان الهاء فى السبعة . وقرأه يعقوب ، وقالون ، وهشام ـ فى أحد أوجهه ـ وابن ذكوان ، وابن جماز ، وابن وردان فى ـ أحد وجهيهما ـ باختلاس كسرة الهاء ، ويعبر عنه بالقصر ، والباقون بالصلة . ويعبر عنها بالمد ، وبإشباع الكسرة . فيكون لأبى جعفر : الإسكان والقصر ، ولابن ذكوان : القصر والمد ، ولهشام : الاسكان والمد . وقوله : (فألقه اليهم) ـ فى النمل ؛ فقرأوا فيه كما قرأوا فيما قبله . إلا أن حفصا سكن الهاء مع من سكنها ، وعن قالون المد فى هذا وفيما قبله من السبعة . وقوله : (ويتقه) ـ فى النور فقرأه أبو عَمْرو وشعبة ، وهشام فى ـ أحد أوجههم ـ وابن ذكوان وابن جماز ـ فى أحد وجهيهما ـ بالقصر ، وكذا حفص . لكنه سكن القاف . والباقون بالمد . وكذا هشام ـ فى الوجه الثالث ـ وابن ذكوان ، وخلاد ، وابن وردان ، وابن جماز ـ فى وجههم الثانى ـ وقوله : (يرضه لكم) ـ فى الزمر ـ فقرأه السوسى بإسكان الهاء ، وكذا الدورى ، وهشام ، وشعبة ، وابن جماز ـ فى أحد وجهيهم ، وقراءة نافع ، وحمزة ، ويعقوب ، وحفص بالقصر . وكذا هشام ، وشعبة ـ فى وجههما الثانى ـ وابن ذكوان ، وابن وردان ـ فى أحد وجهيهما ـ وقرأه الباقون بالمد ، وكذا الدورى وابن ذكوان ، وابن جماز ، وابن وردان ـ فى وجههم الثانى ـ وقوله : (ومن يأته مؤمنا) ـ فى طه . فقرأه السوسى ـ فى أحد وجهيه ـ باسكان الهاء . وقالون ، وابن وردان ، ورويس ـ فى أحد وجهيهم ـ بالقصر ، والباقون بالمد . وكذا السوسى وقالون ، وابن وردان ، ورويس ـ فى وجههم الثانى ـ وقوله : (أن لم يره أحد) ـ فى البلد . فقرأه هشام من طريق الداجونى بالإسكان ، ويعقوب وابن وردان ـ بخلاف عنهما ـ بالقصر ، والباقون بالمد . وكذا هشام من طريق الحلوانى ، ويعقوب ، وابن وردان ـ فى الوجه الثانى ـ وقوله : (خيرًا يره وشرا يره) ـ فى إذا زلزلت ـ فقرأه هشام وابن وردان من طريق النهروانى بالاسكان فى الحرفين . وقرأه يعقوب بخلاف عنه ، وابن وردان من طريق ابن شاذان بالقصر ، والباقون بالمد ، وكذا يعقوب فى وجهه الثانى ، وابن وردان من طريق ثالث . فيكون له ثلاثة أوجه . وخص بعضهم روحًا بالاختلاس ورويسا بالمد ، وكلاهما صح عن يعقوب وقوله : (أرجئه) ـ فى الأعراف والشعراء . فقرأه بن كثير والبصريان وابن عامر بهمزة ساكنة ، والباقون بلا همز . وضم الهاء بغير مد البصريان ، وكذا هشام من طريق الداجونى . وضمها مع المد ابن كثير ، وكذا هشام من طريق الحلوانى . وأسكنها عاصم وحمزة ، وكسرها الباقون . واختلس كسرتها منهم قالون ، وكذا ابن وردان من طريق ابن شاذان وغيره ، وابن ذكران ، وهو على أصله بالهمز ، والباقون بالمد ، وهم : خلف ، والكسائى ، وورش ، وابن جماز ، وكذا ابن وردان من طريق ابن شبيب . وعن شعبة . ضم الهاء مع الهمزة كقراءة أبى عمرو .

وقوله (بيده) فى موضعى البقرة ، وموضعى المؤمنين ، ويس . فقراءة رويس بالقصر والباقون بالمد . وقوله : (ترزقانه) فى يوسف فقرأه قالون ، وابن وردان بالقصر ، والباقون بالمد ، وقوله : (انسانيه) فى الكهف . و(عليه الله) ـ فى الفتح . فقرأه حفص بضم الهاء فيهما . والباقون يكسرها . وقوله : (لأهله امكثوا) ـ فى طه والقصص بضمهما والباقون بكسرها . وقوله : (به انظر) ـ فى الأنعام ـ فقرأه ورش من طريق الأصبهانى بالضم . والباقون بالكسر .

يتبع

---

(٢) فى الأصل بنونين وهو خطأ ظاهر بدليل النعت .

انباء

وآراء

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد : مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة السابعة عشرة لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق حفل تخريج الأئمة والدعاة فى الدورة السابعة عشرة التى نظمتها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف لدعاة العالم الإسلامى .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى الكلمة التى ألقاها على أن الدعاة فى العالم الإسلامى مطالبون بالتصدى لما يموج به العالم من تيارات منحرفة وضالة ، وذلك بالفكر المستنير المستمد ن سماحة الإسلام فى إطار من حسن الحوار والموعظة الحسنة والحجة البينة مقدمين العالم الإسلامى فى صورته المثلى .

وقد طالب فضيلته الأئمة والدعاة بأن يعملوا على توضيح أسلوب الإسلام القائم على التيسير والعدل وأن يكونوا قدوة طيبة لكل من يتعامل معهم .

وأكد فضيلته على أن الدعاة فى مصر والعالم مطالبون مع كافة المسلمين فى أى مكان بأن يجعلوا من الأزهر مرجعهم عندما يواجهون أية فتاوى لايتيسر لهم الاجابة عليها .

وقد قام فضيلة الإمام الأكبر فى ختام الحفل بتوزيع شهادات التخرج على الأئمة والدعاة الذين حضروا هذه الدورة ممثلين لعدد من دول آسيا وإفريقيا وأوربا بالإضافة إلى عدد كبير من أئمة ودعاة الدول الإسلامية بالكمنولث الروسى .

الإمام الأكبر يلتقى بلجان التوعية الدينية بالمحافظات

التقى فضيلة الإمام الأكبر بلجان التوعية الدينية بالمحافظات ، حضر اللقاء الذى عقد بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الاستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف والاستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف والأوقاف .

فى بداية اللقاء أوضح فضيلة الإمام الأكبر ان المجتمع ينوء الآن بالكثير من الأفكار الضالة والمضللة وواجب العلماء حماية الشباب من كل فكر مضاد للإسلام ، وبيان سماحة الدين وحقيقته بالأسلوب اللين بعيدا عن العصبية والمغالاة .

كما طالب فضيلته العلماء ان يقتربوا من الشباب ، لتفهم وجهة نظرهم والتعامل معهم مباشرة .

وأكد فضيلته على ضرورة ان يكون لخطبة الجمعة موضوع محدد بدلا من أن تكون فى أمور

متفرقة تشتت السامع ولا تضيف له الجديد .

وقد تقرر توجيه جهود لجان التوعية الدينية خلال الصيف الحالى للتحرك بين الشباب فى المعسكرات والأندية والمساجد والشركات والمصانع والجمعيات ومختلف التجمعات بمحافظة الجمهورية .

الإمام الأكبر يلتقى وسفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ محمد شمس الدين جور سفير السنغال بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر الرئيس السنغالى وحكومة وشعب السنغال على مايقوم به الأزهر الشريف من دعم للمسلمين هناك .

وقد تم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات القائمة بين الأزهر والسنغال فى مجال التعليم بمعاهد الأزهر وجامعته .

الإمام الأكبر يلتقى وسفير مالى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ الآى النادى سيسى سفير جمهورية مالى بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر بمناسبة تسلم السيد السفير عمله الجديد بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث كافة سبل التعاون بين الأزهر والمسلمين فى دولة مالى والعمل على توثيق العلاقات القائمة وتقديم المساعدات للمسلمين هناك .

وقد شكر السيد السفير جهود الأزهر الشريف فى هذا المجال معربا عن أمله فى مواصلة الأزهر الشريف لدوره البناء فى دعم المسلمين فى لف دول العالم .

بدء المرحلة الأولى لترميم وإعمار الجامع الأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاجتماع الثالث للجنة العليا لاعمار الجامع الأزهر ، حضر الاجتماع الاستاذ الدكتور/ محمد الرزاز وزير المالية والسيد المهندس حازم العبد رئيس الجهاز المركزى للتعمير نائبا عن المهندس حسب الله الكفراوى وزير الاسكان والتعمير .

وقد اقرت اللجنة خلال الاجتماع البدء الفورى فى المرحلة الأولى لاعمار وتجديد الجامع الأزهر ، كما تمت الموافقة على صرف مبلغ ٢ مليون جنيه لبدء هذه المرحلة وذلك من جملة المبالغ المخصصة لاعمار وتجديد وترميم المسجد .

وقد اعلن فضيلة الإمام الأكبر ان خطة الترميم والاعمار تعتمد على الدراسة التى اجريت فى هذا الشأن واقرتها اللجنة ، وان مرحلة الاعمار ستتم دون تعطيل اقامة الصلاة وحلقات العلم فى الجامع الأزهر الشريف .

اعلان نتائج الشهادات العامة للبعوث

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نتيجة امتحان الشهادتين الاعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية للدور الأول لهذا العام .

بلغت النسبة العامة للنجاح بالشهادة الاعدادية (٣٣,١٪) .

كما بلغت النسبة العامة للنجاح بالشهادة الثانوية (٤٥,٢٪) .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

أسبوع إسلامى فى بوركينا فاسو

نظم المركز الإسلامى المعروف باسم (نور الإسلام) فى (بوركينا فاسو) بغرب أفريقيا واتحاد الطلبة المسلمين هناك أسبوعا إسلاميا افتتح بالمسجد الكبير بالعاصمة، وشمل معرضا به لوحات عن الإسلام ومبادئه والعبادات. وتحدث فيه رئيس الجالية الإسلامية حديثا اضافيا عن الإسلام قديما وحديثا كما عقدت أثناء الأسبوع ندوة عن الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم وألقيت محاضرات عن اعتناء الإسلام بالصحة، وندوة أخرى عن منافع صوم رمضان كما عقدت مسابقة بين الطلبة فى حفظ وتجويد القرآن.

علم نفس إسلامى

طالب شيخ الأزهر بضرورة وجود علم نفس إسلامى مستنبط من كتاب الله الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأكد فضيلته أن علم النفس من أبرز العلوم الإنسانية التى تبحث فى طباع وأخلاقيات وعاذات وتقاليد وسلوك الإنسان.

جاء ذلك فى كلمته امام الجلسة الأولى للمؤتمر السنوى الثامن لعلم النفس فى مقره الذى نظمته الجمعية المصرية للدراسات النفسية بالتعاون مع قسم علم النفس بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر برياسة الدكتور فؤاد أبو حطب رئيس الجمعية وذلك فى الفترة من ٥ إلى ٦/٨ الماضى.

خدمة غير مسبوقة

وافقت وزارة البرق والهاتف السعودية على تخصيص رقم هاتف خاص للرد على الاستفسارات اللغوية والتاريخية والثقافية التى تهم المثقفين والكتاب والباحثين الجامعيين والمواطنين بشكل عام.

وبدأت التجربة بالرياض العاصمة من (مايو) الماضى ويشرف عليها أساتذة جامعيون متخصصون فى علوم اللغة العربية والتاريخ والثقافة والاعلام.

جامعة الشقيقين

صرحت الدوائر المختصة فى المغرب بأنه شرع فى التخطيطات العامة لإنشاء جامعة الشقيقين التى تبعد عن (مدينة فاس) بستين كيلومتراً، والجامعة الجديدة ثمرة التعاون بين المغرب والسعودية وستكون مركزا عالميا للفكر والثقافة الإسلامية وستفتح أبوابها لطلبة العلم خصوصا الأفارقة منهم.

مجمع أبى بكر الصديق

وافق رئيس الوزراء على صرف خمسة ملايين جنيه على مرحلتين للانتهاء من مجمع أبى بكر الصيديق الإسلامى بالاسماعيلية. صرح مدير الأوقاف بمنطقة القناة، وقال: إن المجمع يضم مكتبة إسلامية كبرى، وقاعة لتحفيظ القرآن الكريم وداراً للحضانة، ومركزاً للعلاج الشامل ومسجدا.

صندوق زكاة عالمى

صرح الامين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر بأنه تقرر إنشاء صندوق زكاة إسلامى عالمى للإنفاق على ضحايا الجاليات الإسلامية فى دول العالم المتخلفة وقال : إن الصندوق سيتلقى دعما من الدول الإسلامية وستوزع أمواله لمساعدة المسلمين خصوصا أبناء البوسنة والهرسك وسيشرف على التوزيع شيخ الأزهر بالمشاركة مع علماء مجمع البحوث الإسلامية .

أول مسجد فى ريسيفى بشرق البرازيل

كلفت وزارة الأوقاف المصرية مركزها الإسلامى فى (سان باولو) بالبرازيل بالإشراف على بناء أول مسجد فى (مدينة ريسيفى) بشمال شرق البرازيل ويضم المسجد مدرسة إسلامية ومستوصفا وصيدلية وقاعة للندوات ومكتبة إسلامية .

موسوعة إسلامية عالمية

تصدر الإيسسكو موسوعة إسلامية تكون مرجعا للباحثين والدارسين فى الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة وذلك باللغة العربية فى عشرين مجلدا بحجم مجلدات الـ (ENCWCLOPEDIA BRITANICA) التى تبلغ ٢٤ مجلدا يزيد المجلد الواحد فيها عن ١٠٠٠ صفحة .

هذا وستصدر طبعات من الموسوعة الإسلامية بلغات عالمية بعد ترجمتها .

معهد إسلامى جديد فى أمريكا

يقوم مسلمو الولايات المتحدة الأمريكية بتنفيذ مشروع معهد إسلامى متكامل بـ (مدينة سيتل) على غرار المعهد الإسلامى بواشنطن وذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أن من أهداف المعهد تعميق الاعتزاز بالدين الإسلامى فى نفوس أتباعه ، وتنشئة الأجيال المسلمة تنشئة صحيحة والحفاظ على الشخصية الإسلامية والاهتمام بالجاليات الإسلامية ، وتوثيق الصلة بالأقليات الإسلامية وتوحيد الجهود ومد الجسور مع العالمين : العربى والإسلامى .

مسلمون جدد

قال محمد مشاه بن حسين : إن سبعين فى المائة من المهتدين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام عن طريق دعاة الجمعية الخيرية الإسلامية بـ (ولاية باهنج) الماليزية هم من المدرسين والمهندسين والاداريين فى القطاعين العام والخاص .

وذكر أمين (جمعية بوركلين) فى تصريح لوكالة الأنباء الإسلامية (إينا) أن الجمعية كثفت أنشطتها وسط اللاوينين حيث أقامت مخيماً بمنطقة (مرتفعات كاميرون) ضم مائتى مهتد ينتمون إلى القبائل اللاوينية تلقوا دراسات ، خاصة فى الدعوة وطرقها .

المؤتمر السادس لمسلمى أمريكا الجنوبية

أختتم المؤتمر السادس لمسلمى أمريكا الجنوبية اجتماعاته التى حضرها رؤساء الجمعيات الإسلامية والشخصيات الإسلامية هناك وغيرهم .

هذا وقد عقدت الاجتماعات فى قاعة المجلس الوطنى البرازيلى ، وألقى مفتى جبل لبنان الشيخ محمد على الجوزو توصيات المؤتمر الوطنى التى تؤيد نضال الشعوب الإسلامية فى آسيا وافريقيا خصوصا فلسطين المحتلة والبوسنة والهرسك وألبانيا وبورما . كما أوصى المؤتمرون بتشكيل لجنة تعليمية من المؤسسات التعليمية الإسلامية لإعداد دراسات الجدوى لمعهد تعليمى نموذجى لشباب أمريكا ، وتكثيف الاهتمام بالمرأة المسلمة هناك .

مكتبة قباء

افتتحت بإدارة رأس الخيمة مكتبة إسلامية جديدة باسم (مكتبة قباء) للثقافة والعلوم الإسلامية وتوفر المكتبة فيما توفر حلقات لتحفيظ القرآن الكريم والاطلاع على التراث الإسلامى كما أن بها مجموعات كبيرة من الدراسات التى تحارب الجنوح والتيارات الوافدة .

مركز إسلامى فى (بوخارست)

يقيم حاليا اتحاد المنظمات الإسلامية فى شرق أوربا اكبر مركز إسلامى فى العاصمة الرومانية بوخارست ويخدم هذا المركز ٣٢ ألف مسلم .

الفهـــرس

صفحة

● الافتتاحية ١
د. على أحمد الخطيب
● مع الإمام الأكبر ٧
● بالهجرة قامت أمة ٩
● قانون ١٨٧ مخالف للشريعة ١٢
● عن بناء المساجد بجوار المقابر المهجورة ١٥
● الصلاة المشروعة على النبى ١٨
● مع سورة الأنفال
للدكتور عبد الجليل شلبى ٢١
● أحسن الناس أتقاهم
للشيخ محمد صابر البرديسى ٢٤
● الهجرة الكبرى حدث وذكرى
للشيخ معوض عوض إبراهيم ٢٦
● الأشهر الحرام
للأستاذ محمد زين العابدين العزازى ٣٠
● معاً على طريق الهجرة
للأستاذ حامد محمد الفار ٣٤
● هجرة أبى بكر الصديق
للدكتور محمود محمد رسلان ٣٧
● بشائر الكتب السابقة
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٤١
● مناقب السيدة خديجة
للأستاذ عبد المنعم محمد عمر ٤٧
● سعيد بن زيد
للدكتور عبد العزيز غنيم ٥٢
● من دروس الهجرة « الإيثار »
الأستاذ عبد الجواد محمد الخضرى ٥٦
● المسلمون فى روسيا
للأستاذ الدكتور محمد عبد العليم العدوى ٦٠
● ساعة الإجابة
للأستاذ محمد بركات ٦٥
● الفتـــاوى
إعداد الأستاذ : عبد المنعم حافظ فودة ٦٩
● العلوم الكونية
● إنتج الطاقة من المياه
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا ٧٢
● الرضاعة الطبيعية
للأستاذ الدكتور أحمد رجاء عبد الحميد ٧٦
● الجديد فى العلم
للدكتورة : نجوى السيد أحمد ٧٩

صفحة

● من أعلام الأزهر
الأستاذ الشيخ الشرباصى الحسنين
للدكتور متولى محمد البساطى ٨٢
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
● رأى الإسلام فى القتال
إعداد : الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٨٦
● الشعر والشعراء
● من وحى الهجرة
إعداد الأستاذ رشاد محمد يوسف ٩٢
● إلى أمة العرب
للشاعر أحمد منصور نفادى ٩٦
● من أعلام الشعر العربى المعاصر (الدكتور عزت شندى)
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٩٧
● فى رحاب الأدب المقارن (الطفولة فى مرآة الشعراء)
للأستاذ محمد عبد الوهاب جنيدى ١٠٣
● ابن بسام ولمحاته النقدية
للدكتور / محمود جمعة أمين خليفة ١٠٨
● تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر
تحقيق للشيخ إبراهيم عطوة ١١٧
● أنباء وآراء
● أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
إعداد الأستاذ مصطفى عبد المجيد ١٢٦
● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ١٢٨
● القسم الفرنسى
إشراف الأستاذ محمد عمر
● المقال الثانى
للأستاذة أميمة جمال ١٣٥
● المقال الأول
للأستاذة إيناس عبد الفتاح عامر ١٤٢
● القسم الإنجليزى
إشراف الدكتور / أنس النجار
● المقال الثانى
للأستاذ إسماعيل راجى الفاروق ١٤٧
● المقال الأول
للدكتور أنس النجار ١٥٠

Incitant aux hautes moralités, le Prophète — qu'il soit béni et salué — a dit : "Visitez le malade, nourrissez l'affamé et déliverez le captif"(1).

L'Islam a stipulé des règles nobles pour traiter les prisonniers de guerre(2) :

1. Il leur a assuré la même nourriture et les mêmes vêtements que ceux de leurs maîtres.
2. Il préserve leur dignité : Abu Daud rapporte que lorsqu' Ibn 'Umar eût affanchi un esclave qu'il avait abattu il ramassa une brindie et dit : Je mérite aucune récompense : mon acte ne vaut pas mieux que celle-ci étant donné que j'ai entendu l'Envoyé d'Allah dire : "Quiconque giffle ou frappe son serviteur doit l'affranchir en expiation de cette faute"(3).
3. L'esclave peut devancer son maître dans les affaires temporelles tel que le commandement de la prière.

D'après Ibn 'Abbas, le Prophète — à lui bénédiction et salut — dit, "Le serviteur qui obéit à Allah et à son maître, Allah le fait entrer au Paradis soixante automnes avant son maître. Le maître dit : Seigneur : il était mon serviteur dans le monde. Allah dit : Je l'ai récompensé conformément à ses oeuvres et Je t'ai récompensé conformément à tes oeuvres"(4).

L'Islam se préoccupe du comportement du musulman envers son serviteur. Il a aboli l'état misérable du serviteur, l'esclavage est donc traité comme frère du maître, il mange de ce qu il mange et s'habille de la meme manière. D'autre part, la loi islamique a gardé à l'esclave son droit civil de se marier et d'avoir une famille.

(A suivre)
OMYAMA GAMAL

---

1. Rapporté par Al-Bukhari.

قال رسول الله ﷺ :
« ..... أوف نذرك » .

1. Rapport par Al-Bukhari.

قال رسول الله ﷺ :
«عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكوا العانى» .

2. Muhammad al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bayn Ta'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida, (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration des nations-Unies)-op.cit. - p. 100-101.

3. Rapporté par Abu Daud et Muslim.

وروى أبو داود أن ابن عمر أعتق مملوكاً له
ثم أخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال : ما لى فيه من الأجر ما يساوى هذا .. سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من لطم مملوكاً له أو ضربه فكفارته عتقه» .

4. CF. Taysir al Wosul.

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : عبد أطاع الله وأطاع مواليه ، فأدخله الله الجنة قبل مواليه بسبعين خريفاً فيقول السيد : يا رب ، هذا كان عبدى فى الدنيا ، قال : جازيته بعمله . وجازيتك بعملك ..

Parole d'Allah; fais le ensuite parvenir à son lieu sûr"(1). Allah n'a pas dit : s'il a entendu la Parole d'Allah, donne lui l'ordre de laisser sa religion et de suivre ta vraie religion, mais Il lui a dit de la faire revenir en sécurité à sa patrie.

d) La liberté civile : "On entend par liberté civile le caractère de raison civile qui rend l'individu capable d'assumer les responsabilités et de conclure — en son nom — les divers contracts licites"(2). L'esclavage est le contraire de cette liberté civile.

La révélation islamique est apparue à une époque où l'esclavage était le pilier sur lequel se basait la vie économique. Si le législateur avait interdit d'emblée l'esclavage, cette interdiction aurait eu pour conséquence l'échec. C'est pourquoi l'Islam l'a supprimé par étapes successives.

Pour arriver graduellement à supprimer l'esclavage, l'Islam a oeuvré afin de réduire les affluents qui assurent son existence, et élargir les abords qui aboutissent à l'affranchissement. L'esclavage ressemble ainsi à un ruisseau dont les embouchures sont nombreuses mais les ressources d'eau sont tarissables.

Les différents moyens suivis en vue de supprimer l'esclavage sont les suivants :

a. L'affranchissement des esclaves pour l'amour d'Allah.
b. L'affranchissement prescrit par la loi musulmane en contre partie de l'expiation des fautes suivantes :
   — l'homicide par imprudence
   — le faux serment par Allah
   — le serment du dos
   — la rupture du jeûne par une relation sexuelle au mois de Ramadan.
c. "Al-Tadbir" C'est-à-dire le fait de dire à un esclave : tu es libre après ma mort.
d. l'affranchissement par rachat : Allah a ordonné aux musulmans d'affranchir les escalves qui veulent racheter leur liberté en contre partie d'une somme d'argent.
   Allah a également ordonné aux musulmans d'aider les esclaves matériellement pour se racheter.
e. l'accomplissement du voeu : si un homme fait un voeu d'affranchir un esclave, il faut qu'il accomplisse son voeu, pour suivre les dits du Prophète : "... Excausez votre voeu"(1).

Nous voyons donc comment l'Islam a aboli graduellement les raisons de l'esclavage. Il a aboli ce qui était licite chez les romains.

Reste une seule source d'esclavage : les captifs de guerre. Soucieux des intérêts des musulmans, Allah n'a pas interdit formellement cette source d'esclavage connaissant par Son omniscience la continuité de la guerre entre les musulmans et les infidèles. Il n'est pas raisonnable de prescrire aux musulmans la délivrance des captifs de l'ennemi alors que les captifs musulmans souffrent de l'esclavage. Les commandements et les enseignements de Allah prescrivent de bon traitement aux prisonniers de guerre.

---

1. IX — L'Immunité — verset 6

سورة التوبة ، آية ٦ .

﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ .

2. Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk Al-Insan Fi-l-Islam (Les droits de l'homme en Islam)-op.-cit. p. 139

«يعنون بالحرية المدنية صفة الرشد المدنى التى تجعل الشخص أهلاً لأن يتحمل الالتزامات ويعقد باسمه مختلف العقود المشروعة» .

avec les gouverneurs. Abu Bakr — que Allah soit satisfait de lui — adit dans un discours aprés son ascension au Califat "O gens, j'ai été nommé pour vous et je ne suis pas le meilleur d'entre vous; si je suis dans le droit chemin, aidez-moi, et si je suis dans l'erreur, dirigez-moi. Obéissez-moi tant que j'obéis à allah, et si je Lui désobéis, abstenez-vous me suivre"[2].

b) La liberté de pensée : Quant à la liberté de pensée, c'est un droit reservé à chaque individu dans la société musulmane tant que cette liberté est gouvernée par la bonne intention.
Chaque individu possède également la liberté de pensée scientifique, c'est-à-dire la liberté de porter des jugements en ce qui concerne les phénomènes de l'univers.

c) Le droit de liberté religieuse : choisir sa religion et son dogme représente une liberté absolue que l'Islam assure à l'homme. En fait, il n'y a pas de contrainte en Islam[1], le non-musulman est libre de choisir sa religion Allah a octroyé à l'homme la raison et lui a révélé les signes de Sa création pour qu'il découvre la vérité.

"Les Musulmans ont respecté ce principe au cours de leurs Conquêtes avec les gens des autres religions. Ils permettaient aux habitants du pays conquis de conserver leur religion en contre partie d'un tribut de capitation et de l'obéissance au gouvernement existant. En échange les musulmans les protégeaient contre toute agression et respectaient leurs croyances et leurs cultes"[2]. 'Umar ibn al-Khattab a écrit aux habitants de Bayt al-Makdes après l'avoir conquise. "Voici la sécurité proposée par 'Umar le commandeur des croyants, aux habitants de Ilia' ; il assure leur sécurité, celle de leurs églises, de leurs croix; ils ne seront point contraints à changer leur religion et on ne portera atteinte à aucun d'entre eux"[3].

Que celui qui veut se convertir à l'Islam, le soit volontairement et non par contrainte. C'est pourquoi Allah Tout Puissant dit à son Envoyé — qu'il soit béni et exalté : "Si un polythéiste cherche asile auprès de toi, accueille le pour lui permettre d'entendre la

---

2. يقول أبو بكر رضى الله عنه فى خطبته عقب أن بايعه المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ :
«أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم» .

1. II — la Vache — verset 256

سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .
﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ .

2. Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk al-Insan Fi-l Islam (Les droits de l'homme en Islam) -op.cit.-p. 136

«وعلى هذا المبدأ سار المسلمون فى حربهم مع أهل الأديان الأخرى . فكانوا يبيحون لأهل البلد الذى يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة . وكانوا فى مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم» .

3. يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كتابه لأهل بيت المقدس عقب فتحه له : «هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان : أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم» .

Néanmonis, la science visée n'est pas restreinte aux sciences religieuses; la science au sens large comprend tous les domaines du savoir : la jurisprudence, l'astronomie, l'astrologie et la médecine, c'est-à-dire toutes les sciences qui sont au service de l'homme. "Il est douteux de croire que la science louée consiste à étudier la jurisprudence, l'exégèse et ainsi de suite, que les autres sciences sont supplémentaires et donc effectuées à titre volontaire" (...)[1].

Abu Hamid Al-Ghazali que "Allah" lui accorde Sa miséricorde a dit : "Celui qui possède une science qu'il a apprise et répandue, sera come le soleil qui s'illumine et illumine les autres, il est lumineux"[2].

L'Islam affirme l'obligation de l'instruction pour tout musulman et toute musulmane en vue d'abolir définitivement l'ignorance qui entrave la vraie connaissance de la religion ainsi que le progrès.

Pour affirmer l'importance de la science, l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et salut — considère la voie de la science comme la voie vers le Paradis. Il dit : "Quiconque parcourt une voie pour la quête de la science, Allah lui aplanira une voie vers le Paradis"[3].

III. **Le droit de liberté** : l'Islam respecte la volonté humaine et lui reconnaît sa personnalité et sa capacité d'agir. Cette liberté est contraire à l'esclavage et à la servitude qui fait perdre à l'homme sa liberté de conscience accordée par Allah.

L'Islam veille à appliquer la liberté aux différents domaines de la vie. Tels sont les quatre aspects connus : la liberté politique, la liberté de pensée, la liberté religieuse, et la liberté civile.

a) Quant à la liberté politique, on octroie à chaque personne raisonnable le droit de participer à la gestion des affaires de l'Etat et au contrôle des affaires du pouvoir exécutif par l'élection libre des représentants ou par le referundum"[1].

La liberté politique a été maintenue par l'Islam d'une manière sans précédent et même dans les nations démocratiques modernes. Le calife est désigné selon un libre choix des musulmans, bien plus, l'Islam a donné aux musulmans le droit de délibérer

---

1. **Muhammed al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bayn Ta'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration ds Nations Unies) op.cit., p. 203.**

«لكن من الخطل أن تظن العلم المحمود هو دراسة الفقه والتفسير وما شابه ذلك من الفنون فحسب ، وأما ما وراءها فهو نافلة يؤديها من شاء تطوعاً (...)» .

2. **Ahmad 'Abd al-Djawad al-Dumi, Al-Islam Menhadi we Suluk (L'Islam une méthode et une conduite) — le Caire — Al-Khira til Tiba'a — 1973 - p. 99.**

قال الغزالى رحمه الله :
«من أصاب علماً فاستفاده وأفاده كان كالشمس تضىء لنفسها ولغيرها وهى مضيئة» .

3. **Rapporté par Muslim**

قال رسول الله ﷺ :
«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» .

1. **Ali Abd al-Wahid Wafi — Hukuk Al-Insan Fi-l-Islam (Les droits de l'homme en Islam) — Dar al-Nile — Le Caire — p. 173.**

«أما الحرية السياسية ، وهى التى يمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل فى أن يشترك فى إدارة شئون الدولة ويرقب أعمال السلطة التنفيذية عن طريق انتخاب الممثلين انتخاباً حراً أو عن طريق الاستفتاء العام» .

L'ISLAM ET LES DROITS DE L'HOMME

par Omayma Gamal

Il est à noter que les droits de l'homme en Islam visent en premier lieu à sauvegarder l'humanité des créatures. Ce ne sont pas des dispositions théoriques hors du stade de l'application. On reconnaît que l'Islam a légiféré les droits de l'homme quatorze siècles avant la promulgation de la déclaration mondiale des droits de l'homme en 1968.

"Les droits de l'homme en Islam ne sont pas un don d'un roi, d'un gouverneur ou un décret promulgué par une autorité locale ou une organisation internationale. Ce sont des droits stricts en vertu de leurs sources divines, ils ne subissent ni suppression, ni abrogation, ni suspension. Il n'est pas permis de les transgresser, et il est inadmissible d'y concéder"(1).

L'adoption des droits de l'homme est le juste accès pour établir une véritable société musulmane.

Les droits de l'homme envisagés par l'Islam se résument comme suit :

I. **Le droit de vie** : chaque homme a le droit de vivre en sécurité. La loi islamique interdit le meurtre sous toutes ses formes. Tuer une âme est un crime qui équivaut au meurtre de tous les hommes.

Allah a donné, par sa mansuétude, les solutions détaillées les plus minutieuses aux problèmes qui pourraient survenir à l'humanité. Il n'est pas équitable de juger celui qui tue par préméditation de la même manière que celui qui tue involontairement, et d'appliquer la même peine.

Le musulman et le non-musulman sont égaux en ce qui concerne l'inviolabilité du sang et le droit de vivre en sécurité.

II. **Le droit d'enseignement** : En Islam, la science revêt une valeur fondamentale et considérable. La première sourate révélée du Coran(1) a ordonné au Prophète — à lui bénédiction et salut — de lire : or la lecture représente la voie de la science et de la connaissance. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — a mis en relief l'importance de la science, il a également édicté aux croyants selon les ordres d'Allah l'obligation de s'instruire. Il a dit "la quête du savoir est un devoir pour chaque musulman et chaque musulmane"(2). Voici la devise lancée depuis quatroze siècles pour imposer aux musulmans la quête du savoir.

---

1. **Muhammad al-Ghazali — Hukuk al-Insan Bay Ta 'alim Al-Insan wa I'lan al-Umam al-Mutahida (Les droits de l'homme entre les instructions de l'Islam et la déclaration des Nations-Unies) - Le Caire, Dar al-Kutub al-Islamiyya — 1984, p. 231.**

«إن حقوق الإنسان فى الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم ، أو قرار صادر عن سلطة محلية أو منظمة دولية ، وإنما هى حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهى ، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل ، ولا يسمح بالاعتداء عليها ، ولا يجوز التنازل عنها» .

1. **LXVIII — "Le Caillot de sang"-verset 1**

2. **Rapporté par Ibn Magah.**

سورة العلق آية (١) .
﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ .
قال رسول الله ﷺ :
«طلب العلم فريضة على كل مسلم وكل مسلمة» .

— Variantes dans l'ordre de certains mots

Dans la sourate III le sens du verset 156 le terme '' « بصير » '' précède, selon certaines lectures, l'expression'' '': « بما تعملون » : « والله بصير بما تعملون » ''au lieu'' « بصير »
Il s'agit donc d'une simple inversion.

— Variantes dans l'omission d'un mot

Comme dans la sourate ''la vache'', le sens du verset 137 l'expression '' « بمثل ما آمنتم » peut être leu ' « بما آمنتم » ''. Le terme « مثل » ''est omis dans la seconde lecture[2].

Toutefois ces variantes de lectures n'ont pas modifié le sens du Coran, mais il s'agit d'une simple variante de prononciation. C'est pourquoi Otman n'a pas aboli les modes de lectures que le prophète (salut et bénédiction sur lui) avait tolérées au contraire, il les a rendues légitimes pour éviter toute division dans la communaute islamique''[1].

(A suivre)
INES ABDEL FATTAH AMER

(١) روى البخارى ومسلم (واللفظ البخارى) : «قال رسول الله : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه».

2. Voir l'ouvrage de M. Draz, Initiation au Koran, opict, p. 33.

1. Motons à cet égard que soixcante dix ans environ après la mort du prophète (salut et bénédiction sur lui, le gouverneur de l'Iraq, Al Hagag décida d'apporter à la graphie arabe du Coran son complément orthographique (points st voyelles) pour en faciliter la lecture.

"Si, leur dit-il vous n'êtes pas d'accord avec Zeid ben Tsâbit sur un mot arabe du Coran, écrivez le dans le dialecte de Qoraich. C'est dans ce dialecte qu'il a été révélé. "On se conforma à ses indications"(1).

Quand le travail fut achevé, 'Otman rendit à Hafsa l'original et distribua les exemplaires aux villes principales de l'empire islamique, en ordonnant de brûler toutes les autres copies du Coran qui ne concordaient pas ave ce qu'il venait de faire exécuter.

Du vivant du Prophète, il s'agissait donc d'une mise par écrit des versets coraniques dont la place exacte est déterminée dans chaque sourate. Le but de ce travail fut de garder intacte le Révélation divine telle qu'elle fut transmise à Mohammad (salut et bénédiction sur lui).

De crainte que le Coran ne se perdît avec la mort des fidèles au cours des batailles, Abu Bakr fit rassembler les textes coraniques dispersés parmi les croyants dans un seul corpus dont fut exclu tout ce qui ne faisait pas partie du Coran.

Le recueil de 'Otman n'était qu'une reproduction intégrale de celui de Abu Bakr. 'Otman en fit exécuter plusieurs copies pour les distribuer dans les différentes villes islamiques.

Il y a lieu de signaler à ce propos que le recueil de "Otman, comme les précédents ne comportait pas les points diacritiques permettant de distinguer certaines consonnes comme le b, t, t, n, y qui se ressemblent quant à leur graphie. Il en résult que certains termes pouvaient être lus de différentes façons. Citons comme exemple le terme" "c'est-à-dire informez-vous" qui peut aussi se lire " " c'est-à-dire "agissez avec circonspection", mentionné dans le verset suivant : orale peut déterminer la lecture exacte des termes.

Toutefois la tradition nous apprend que le Prophète (salut et bénédiction sur lui) n'a pas toujours suivi un seul mode de lecture dans son enseignement, comme le prouve le Hadith suivant : قال تعالى ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ سورة الحجرات آية ٦ .

"Le Coran a été révélé en sept modes de lectures, récitez-le suivant celui qui vous sera le plus commode"(1)

Parmi ces sept variantes de lectures, nous en citerons quatre à titre d'exemples :

— Variantes par synonymie

qui consistent à remplacer un terme par son synonyme. Ainsi dans la sourate "Celle qui fracasse" verset 5) le terme "«عهن»" a été substitué, dans d'autres lectures, pas «صوف» ou "laine" : " «كالصوف المنفوش» " au lieu de «كالعهن المنفوش»

— Variantes de diacritisme

Comme dans la sourate "la Famille de 'Imran", le sens du verset 180 l'expression «بما تعملون»" peut également être lue «بما يعملون»

---

(١) «... وقال لهم إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا» رواه البخارى .

1. M. Draz, Initiation au Koran, Dar Al Maaref, Le Caire, 1949, p. 21.

1 Traduction personnelle.

3. L'ordre des sourates et des versets n'était pas toujours chronologique.
   Nous savons déjà que la révélation de ces derniers a été transmise selon le cours des événements dans la communauté musulmane. Par contre, leur ordre dépend d'autres critères.[1].

II) La Collecte du Coran à l'époque de Abu Bakr (632-634 J.C)

Un an après la mort du Prophète le besoin se fit sentir de rassembler en un seul corpus les textes coraniques éparpillés chez les fidèles. L'idée fut proprosée par "Omar Ibn el Hattab au Calife Abu Bakr quand le premier apprit la mort d'un grand nombre de ceux qu'on surnommait les "porteurs du Coran" lors de la bataille sanglante de "yamama" (en l'an 12 de l'Hégire) contre le faux prophète Musaylima. Abu Bkr hésita d'abord à prendre l'initiative d'accomplir une tâche que le Prophète (salut et bénédiction sur lui) prise. Mais il finit par admettre cette idée et désigna Zayd ben Tabit, l'un des scribes de la Révélation à l'époque du Prophète, pour procéder à l'assemblage du Coran. Afin de de garantir l'authenticité du texte sacré, une méthode rigoureuse de travail fut établie :

"n'admettre aucun écrit qui ne fût certifié par deux témoins comme étant rédigé, non de mémoire, mais sous le dictée même du Prophète et faisant partie du texte dans son état dernier. Cette exigence de deux témoins a dû exclure, nous dit Al laith Ibn Sa'd, un passage apporté par "Omar sur la lapidation de l'adultère, parce que 'Omar en était le témoin unique"[1].

Une fois que le corpus fut établi, Zayed ben Tabit le déposa chez Abu Bakr qui le passa avant sa mort à son successeur 'Omar Ibn el Hattab. Ce dernier le laissa ensuite à la garde de sa fille Hafsa, veuve du Prophète.

III) La collecte du Coran à l'époque de 'Otman (644-655 JC)

Sous le règne de 'Otman, les Musulmans s'étaient dispersés dans les diverses contrées conquises. Cette dispersion eut pour conséquence la naissance d'une nouvelle génération qui n'avait pas approfondi l'étude du Coran. Alors des plaintes se firent entendre, particulièrement au sujet des Syriens et des Irakiens qui étaient en désaccord sur les modes de récitation du Coran. Les premiers suivaient la lecture de leur concitoyen Obayy-Ben Ka'b, les autres celle du leur, Ibn Mas'oud, et chacun d'eux prétendait connaître la seule lecture correcte. Redoutant que l'ignorance des différentes lectures du Coran serve de prétexte à des divisions à l'intérieur de la communauté musulmane, le Calife "Otman nomma alors une commission composée de Zayed ben Tabit, Abdallah ben Az Zobayr, Sa'id ben Al As et Abdel Rahman ben El Harit ben Hisam pour faire des copies intégrales de l'original qu'il emprunta à Hafsa.

---

1. C'est sur l'inspiration divine (tawqif) que le Prophète salut et bénédiction sur lui opta pour l'ordre actuel des versets coraniques. Aussi la communauté musulmane a-t-il accrédité cet ordre.
   Pourtant les ulémas étaient en désaccord quant à la disposition actuelle des sourates. Ils ont avancé à cet égard trois opinions.
   1. Pour certains l'ordre des sourates est l'oeuvre des Compagnons du Prophète après sa mort (tartib igtihadi).
   2. Pour d'autres cet ordre fut inspiré par Allah au Prophète (tartib tawqif) comme ce fut le cas pour les versets.
   3. Enfin certain pensent que la classification de certaines sourates a été déterminée par le Prophète luimême, alors que les autres ont été disposées par les Compagnons.
   Quoiqu'il en soit, la communauté musulmane respecte la disposition des sourates telle qu'elle nous est parvenue. Car si les compagnons l'ont adoptée, c'est qu'elle ne peut être que la meilleure, et toute discussion serait inutile.

Enfin, d'après "Otman Ibn Affan, le Prophète a dit;

"Le meilleur d'entre vous est celui qui apprend le Coran et qui l'enseigne (ensuite)"(1)

Ainsi, du vivant du Prophète (salut et bénédiction soit sur lui), il y avait plusieurs centaines de fidèles nommés "les porteurs du Coran" : ils connaissaient par coeur le Coran et s'étaient spécialisés dans sa récitation. Parmi ceux-ci on comptait les quatre premiers Califes. Ibn Mo'ad ibn Gabal et Zayed Ibn Tabit cités dans le Hadith où l'Envoyé d'Allah a dit :

"Apprénez le Coran de quatre personnes" : "Abdallah ben Mas'oud, Salim, Mo'ad et Obayy ben Ka'b"(2)

b. La conservation du Coran par écrit

Le Prophète (salut et bénédiction sur lui) ne s'est point contenté de retenir le Coran en mémoire, mais il a également tenu à le conserver par écrit. A chaque nouvelle révélation, il faisait venir des scribes (dont le plus connu fut Zayd ben Tabit) et les chargeait d'inscrire les fragments révélés en leur indiquant la place, précise de chaque verset dans la sourate.

Ces considérations montrent qu'au moment de la Révélation, le Prophète était informé non seulement de l'ordre dans lequel les versets devaient être placés, mais aussi de la répartition en sourates. Cette mise par écrit fut faite sur des matériaux hétéroclites comme des omoplates, des morceaux de cuir, des feuilles et des pierres plates.

Zayed Ibn Tabit nous apprend :

"Nous faisions la collecte du Coran, chez l'Envoyé d'Allah (salut et bénédiction sur lui) sur des pièces de cuir ou des feuilles"(3).

On peut en déduire que, du vivant du Prophète, le Coran, en entier a été appris par coeur par un grand nombre de fidèles, puis mis par écrit sous la dictée personnelle du Prophète. Mais il n'avait pas encore été rassemblé dans un seul corpus.

Pourquoi à cette époque, le corpus coranique n'a-t-il pas été constitué?

En voici les raisons :

1. La société musulmane n'a pas éprouvé la nécessité de procéder à ce travail (comme c'était le cas à l'époque de Abou Bakr) parce qu'il y avait un grand nombre de récitateurs du Coran qui avaient appris par coeur le Livre sacré.
2. L'éventualité de nouvelles révélations est la raison pour laquelle le Prophète (salut et bénédiction sur lui) n'a point voulu les mettre en un seul corpus.

El Bokhâri, Les traiditions islamiques traduites de l'arabe par O. Houdas et W. Marçais, Adrien Maisonneuve, Paris, 1977, T. 3, p. 523.

(١) قال النبى – ﷺ – : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٢) جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر أن الرسول – ﷺ – يقول : «خذوا القرآن عن أربعة : عن عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب» .

Il y a lieu de signaler que les quatre noms mentionnés dans le Hadith sont cités à titre d'exemple.

Traduction personnelle.

(٣) عن زيد بن ثابت قال : «كنا عند رسول الله – ﷺ – نؤلف القرآن من الرقاع» .
نقلاً عن الزرقانى ، مناهل العرفان فى علوم القرآن جزء ١ ص ٢٤٧ .

[Les incrédules disent :
"Si seulement on avait fait descendre sur lui le Coran en une seule fois !"
Nous l'avons révélé ainsi,
pour que ton coeur en soit raffermi
et Nous l'avons fait réciter avec soin]
Sourate "La discrimination entre le vrai et le faux" le sens du verset 32[3]

1) La Collecte du Coran à l'époque du Prophète salut et bénédiction soit sur lui

L'expression "collecte du Coran" est attribuée tantôt à la conservation du Coran dans les coeurs, tantôt à sa fixation par l'écrit.

a — La conservation orale du Coran (dans les coeurs)

Le Prophète (salut bénédiction soit sur lui) était un illettré C'est pourquoi, lorsque la Révélation eut lieu, il ne songeait qu'à retenir par mémoire le fragment révélé de peur de l'oublier. Ensuite, il le récitait à ses auditeurs pour que ces derniers puissent l'apprendre à leur tour.

c'est lui qui a envoyé aux infidèles
un Prophète pris parmi eux[1]
qui leur communique Ses versets,
qui les purifie,
qui leur enseigne le Livre et la Sagesse.
Ils se trouvaient auparavant,
dans un égarement manifeste]

Sourate, "Le vendredi", le sens du verset 2[2]

Le zèle des Compagnons a joué aussi un rôle important dans la conservation du Coran. Un très grand nombre parmi eux l'apprenait par coeur; ils le récitaient continuellement nuit et jour afin de la conserver à tout moment dans leur mémoire. En outre le Prophète (salut et bénédiction soit sur lui) soulignait toujours le mérite qu'il y avait à apprendre le Coran, à tel point qu'il a dit :

> "Lorsque les hommes se réunissent dans l'un des lieux de dévotion pour réciter et étudier ensemble le Livre d'Allah, la paix les enveloppe, la miséricorde divine les protège, les anges les entourent, et Allah les mentionne à ceux qui sont auprès de Lui"[3]

Le Prophète a dit également :

> "Récitez le Coran; il intercédera le Jour de la Résurrection en faveur de ceux qui y auront été fidèles"[4]

---

(٣) قال تعالى ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ سورة الإسراء آية ١٠٦ .

(٣) قال تعالى وقال ﴿قال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا﴾ سورة الفرقان آية ٣٢

1. Nous suggérons la traduction suivante pour l'expression soulignée : C'est lui qui a envoyé aux illettrés un Messager".

(٢) قال تعالى ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولًا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ سورة الجمعة آية ٢ .

(٣) قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٤) عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» الحديث رواه مسلم .

3. Al Zikr (le Rappel)

[Nous avons fait descendre[1] le Rappel : Nous en sommes les gardiens]

Sourate. "Al Hjr le sens du verset 9[2]

La Révélation intégrale du Coran eut lieu au ciel de ce monde au cours de la Nuit du Décret[2].

[Nous l'avons fait descendre durant la nuit du Décret][3]

Sourate. "Le décret", le sens du verset 1[4]

Ensuite, c'est l'archange Gibril qui, selon la volonté divine, a révélé le Coran au coeur du Prophète (salut et bénédiction soit sur lui) par fragments échelonnés sur une durée approximative de vingt ans,[5] en deux étapes à peu près égales : l'une avant et l'autre après l'Hégire.

S'adressant à Son Prophète (salut et bénédiction soit sur lui), Allah dit :

[l'Esprit fidèle
st descendu avec lui sur ton coeur
pour que tu sois au nombre des avertisseurs
c'est une Révélation en langue arabe claire]

Sourate. "Les poètes", le sens des verset 193-195[6]

La tradition prophétique rapporte que Aïcha (veuve du Prophète) ainsi que Ibn "Abbas ont dit :

"Les Prophète demeura à la Mecque dix ans pendant lesquels il reçut la révélation du Coran, il resta également dix ans à Médine"[1].

En fait, le Coran fut transmis fragmentairement au fur et à mesure des événements qui jalonnaient l'histoire du Message islamique et de la nouvelle communauté musulmane.

D'ailleurs les deux versets suivants le prouvent :

[Nous avons fragmenté cette lecture
pour que tu la récites lentement aux hommes]

Sourate. "Le voyage nocturne", le sens du verset 106[2]

---

1. Nous proposons la traduction suivante pour les expressions soulignées : "Louange à Allah qui a révélé le Livre "et" Nous avons révélé le Rappel :

(٢) قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ سورة الحجر آية ٩ .

3. La Nuit du Décret est l'une des nuits de la dernière décade du mois de Ramadan. Certains Ulémas disent que c'est la nuit 26 ème au 27 ème jour de Ramadan.

(٤) قال تعالى ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ سورة آية ١ .

5. On rapporte également que la Révélation du Coran s'est étalée sur vingt trois ans dont treize à la Mecque et dix à Médine.

(٦) قال تعالى ﴿نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين.بلسان عربى مبين﴾ سورة الشعراء آيات ١٩٣ ــ ١٩٥ .

(١) «عن أبى سلمة قال : أخبرتنى عائشة وابن عباس رضى الله عنهم قالا : لبث النبى ــ ﷺ ــ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً» رواه البخارى فى صحيحه .

El Bokhâri, Les traiditions islamiques traduites de l'arabe par O. Houdas et W. Marçais, Adrien Maisonneuve, Paris, 1977, T. 3, p. 523.

Bref aperçu sur l'assemblage du Coran par Inès Abdel Fattah Amer

Les Ulémas musulmans sont unanimement d'accord sur la définition suivante de Coran :

"C'est la Parole inimitable d'Allah, révélée au dernier des prophètes et des envoyés par l'entremise de l'Archange Gibril (que la paix soit sur lui). Inscrit dans des recueils, et conservé dans les coeurs, il nous est transmis par une chaîne ininterrompue de rapporteurs. Sa récitation est considérée comme un acte de dévotion. Le Coran commence par la sourate "Al Fatiha" (la liminaire) et se termine par la sourate "Al Nas" (les hommes)"

Etymologiquement, le terme "Qur' an" est un nom d'action (masdar) dérivé du verbe arabe "qara'a" (réciter ou lire); d'où la parole divine :

[Suis sa récitation, lorsque Nous le récitons]

Sourate, "la-Résurrection", le sens du verset 18.(2)

Outre ce nom propre, Allah a donné Son Livre trois autres dénominations :

1. Al Furqan (la discrimination entre le vrai et le faux)
   [Béni soit :
   Celui qui a révélé la loi(3) à Son serviteur]
   Sourate, "La loi, le sens du verset 1(4)
2. Al Kitab (le Livre)
   [Louange à Allah qui a fait descendre le livre sur Son serviteur]
   Sourate. "La Caverne", le sens du verset 1(5)

---

(١) «هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، والمكتوب فى المصاحف ، المحفوظ فى الصدور المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس» .
بكرى شيخ أمين ، التعبير الفنى فى القرآن ، دار الشروق ، ببيروت ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص١١ .
(٢) قال تعالى ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ سورة القيامة آية ١٨ .

Nous avons suggéré une autre traduction pour le terme الفرقان qui serait soit "la discrimination entre le vrai 't le faux, soit "Al furqan".

(٤) قال تعالى ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ سورة الفرقان آية ١ .
(٥) قال تعالى ﴿الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب﴾ سورة الكهف آية ١ .

REVUE AL-AZHAR

Al Mouharam 1413
Volume 65 — Partie I

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

and therefore the Muslim theism holds that the existence of a healthy administration is dependant upon and the result of the actualization of religion, its values, doctrines and Shariah of Islamic law. The attainment of political action by an Islamic infrastructure will provide the "Khilafah" with a provincial platform on which to mobilize the whole Muslim world, and summon it to march to achieve its objective.

Excerpts from the Writings of
The Late Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, USA

engagement in, the destiny of the Ummah in the clear light of Tawid in its full light and complete spectrum of understanding. This is exemplified at its supreme form in the choral chant of pilgrims "Labbayka Allahumma Labayka", (At your call, O Allah; here we come at Your call"

"Ijma Al-Irahad" as here defined as community consensus of power and will, is an element constitutive of a universalist Ummah. In this function, consensus of power and will must be subject to organization "nizam" to which the institution of "Ijma" prepares the Muslims to understand and conceptualize the inherent meaning of "Tawhid". The requirement of fraternity and brotherhood consolidates reciprocal self identification within the corpus of the Ummah at large. This requirements must be engraved upon the Muslim's consciousness as it acknowledges Allah as the Creator and the Supreme Being. All this provides the ground work for the institutionalized organization of the "Khilafah". The Masjid is the hub of Islamic activity, and the center of Islamic logistic process; the everyday living arena where muslims under the aegis of Tawhid receive a daily ration of spiritual, moral, political and cultural support. The contact with fellow Muslims culminates in Salat al Jumuah (Friday congregational prayers) where the Khutbah (speech) of the Imam stands as constitutive pillar or Quranic quotations, and references from the Hadith; means to bring Islamic wisdom to address the congregation of the Ummah. In Islam, this is worship, the actual process of transformation of earth and men for the sake of which the Quran itself was revealed; the concrete service of the tenant farmer in the manor of Allah which is the earth; "Righteous are those who, when given dominion on earth, uphold the Salat, pay the Zakat, enjoin the works of righteousness and prohibit the works of evil. "Unto Allah all things ultimately return" (Surat Al-Hajj XXII, 41).

The consensus of purpose "Ijma Al-Amal", is the ultimate climax of all preceding preparations. Actualizing the Divine Will in space and time is a human purpose, the effort for which is terminated only by the Day of Judgement. This consists of satisfying the material needs of the Ummah, providing an education for individuals adequate enough to bring about a full measure of self-realization of the Ummah in all channels of life. The duty of the "Khilafah" is to make everything possible to enable every member of the Ummah earn and enjoy Allah's bounties. This must be understood as the means, a carrier instrument to attain the spiritual purpose of human life. This does not claim that spiritual purpose is an alternate to material pursuit. The spiritual life is the engagement of the individual in the material concerns of the Ummah; the pursuit of self education, and the actualization of values as the purpose of the Ummah. The consensus of purpose "Ijma Al-Amal" constitutes the highest standard of felicity the Ummah can attain. In its final analysis, this contributes directly to a process of pan-Islamization of the world. Its achievement on this level constitutes the Ummah's ultimate justification of the basic powerhouse of Tawhid.

Political action is the expression of Islam's spirituality. The whole social kinetics and political dynamism of the Ummah are totally dependent on the status of the concept of Tawhid. Islamic teachings penetrate every aspect of a Muslim's life

derives its organs and powers to exercise its sovereignty to become referred to as the "khalifah". This is the paradigm of government according to Islamic doctrines, and to the understanding of "Tawhid". The khalifah is the Ummah as far as the Ummah's vicegerency is implicated. It is also the state "Al-Dawlah" in respect to the Ummah's exercise of sovereignty which is constitutive of the Ummah's vicegerency. Analysis of the concept of "Khilafah" in Islamic understanding, the implication of "Tawhid" in the political theory must also be analysed. The "Khilafah" is a threefold consensus of vision, power, and purpose.

The consensus of vision "Ijma Al-Ruya", is the community consensus of mind and consciousness. This is based on knowledge of values constituting divine will whose sources are Revelation of Holy Quran, the Sunnah of Prophet; and rational thought of logic and reason in understanding its own processes of reality, of nature, of man, and of society. Consensus of vision in case of reason must be intuitive, enjoying a perceptual light which can illuminate any area by establishing for vision an image of the relevance of Islam to it. Knowledge of the historical realization of Islamic values is of crucial importance to members of the Ummah to move from a speculative understanding of their faith, to knowledge of how the doctrines of that faith embody themselves in the concrete substantial life of the Ummah. The particular materials of value actualization have an instructive influence on individuals, and are easier to penetrate and to remember as cultural trends than the contents of systematic studies. However, both systematic studies and value actualization are equally necessary to produce the vision needed for "Khilafah". Knowledge of the present, and how that present can realize the vision necessary to relate values to present times. The Khilafah must determine how present conditions affect the order and rank of values, and seek methodologies for actualizing these values without undermining the actual doctrinal injunctions of Faith.

"Ijma al ruya" as here defined, as consensus of vision has been assumed to be the source of religious knowledge. However, the institution of Ijtihad by men of knowledge is indeed highly encouraged. It is the duty of every sensible, rational, knowledgeable Muslim to reconsider "Ijtihad" a specific value or truth to conform with certain uncommon circumstances in life. Ijtihad is by nature dynamic, creative, and appeals to the perceptive mind. Together "Ijtihad" and Ijma constitute a dialectical process constitutive of Islamic dynamism in the realm of thought. The ultimate manifestation of Ijtihad is its acceptance and validity to be approved by Ijma.

The consensus of power "Ijma Al-Irahad" is the community consensus of power and will. The Muslims commit themselves to respond to events and situations in a similar manner, in a united obedience to the call of Allah. This has an organizational component and logistic process capable of crystallizing decision, of reaching and mobilizing Muslims for fulfillment of the transcendent call, and translating values into processes for individuals, for groups, and for their leaders. Social cohesiveness expresses itself in decision to identify with the community consensus of power and will of the Ummah through the milieu of Tawhid. This "Ijma Al-Irahad" is an ethical responsible act, being a commitment to, and an

Tawhid, Principle of Political Order

By: Ismail Raji Al-Faruqi

The concept of the Ummah in the vision of Islam is the integrated whole body of society in will and action; there is total consensus in thought, attitude, character, decision and power of the members of the Ummah. This results in harmony of mind and heart, a universal social unanimity which knows neither colour nor ethnic identity. In its commission, all members of the Ummah are equal, measurable only in terms of piety and righteousness. It is an order of human individuals who exercise to govern their lives, and seek to govern the lives of all other humans by the paradigm of values and principles constituting the concept of the Ummah as defined by the Islamic Sharia based on the ground of Tawhid. This asserts that the Ummah is a structure of believers in a matrix of brotherhood, whose members mutually love one another, counsel one another in justice, patience, and who are coherent t the bond of Allah. Within this mutual association, they enjoin what is right and prohibit what is evil; they adhere to divine ordinances,a nd follow the traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). The humoral fluency underlying the coherence of the Ummah is the intimate relevance of Tawhid to society; the genuine confession in the heart, mind and soul that there is no god save Allah (La illaha illa Allah), the supreme acme of reality and truth in the whole comic universal creation.

Membership in the Ummah gives the Shariah of Islamic law its ultimate authority over all differences among all individuals, of race, language, history, or social status. Membership of the Ummah requires only the true genuine confession of the Shehadah, the witness that "there is no god but Allah, and that Muhammad is his Messenger." No other requirement is necessary; and by such exercise of option, any individual becomes entitled to practice all the rights, enjoy all privilege, and stands subject to the duties and responsibilities recognized by the Islamic law of Shariah. This gives and maintains the juristic requirements, status, and obligations of the Shehadah. It is the duty of every individual Muslim to summon others to Islam by words and conduct, and seek to establish the concept of the Ummah in his territory of life.

Consequent upon the understanding of the Ummah as explained above; it is implicit that the Ummah becomes the agent of world reformative reconstruction to materialize and fulfill the divine will on earth. Mankind has been ordained as the Vicegerant "Khalifah" of Allah on earth; and this assignment extends to the Ummah in its status as the integrated whole body of society in will and action. The Ummah

Allah calls upon the people of previous revelations to submit in belief to what was revealed in the Divine Message of the Quran, which confirms what was previously revealed to them. The Quran was sent down in absolute truth to establish justice among mankind, and to teach them the knowledge of wisdom, and give them blessings and grace; to follow its percepts to achieve enlightenment and righteousness, guidance and compassion. Indeed, it is the Book of absolute perception, whose words include every detail, a Book designed by Allah, the All-Cognizant, All-Wise, for the benefit of mankind. Every basic principle is explained with annotation of historical records of Apostles, archives of events, and narrative portrayals of individual and collective human conduct since the birth of creation. The limelight of life and the axioms of knowledge and cultivated refinement are explained with illustrative supremacy by the signs, symbols, parables and moving anecdotes of the Holy Quran. A book that has been revealed as a Divine Message to mankind, the precepts, infallible felicity, and convictions therein; are meant to guide humanity from the dark blind naked ignorance into the light of intelligent comprehension. Praise be to the Divine Supreme Being - Allah who has revealed to humanity the Book of straightness without distortion, the criterion by which mankind may judge between right and wrong, between false and true; an admonition to all, shows the splendor of the spiritual world, guides through the complex, channels of life and provides hope of eternal bliss.

The Divine Message of the Holy Quran has indeed been revealed at an appropriate expedient phase of the natural development of humanity. In its comprehensive completeness; it is absolutely free from inconsistency, equivocalness, or ambiguity. The structure of its injunctions and percepts provide a paradigm of ecumenical culture that expands to encompass all horizons of human existence. What really counts is the conscience, the intention, and truth. It is the straight path of true guidance, the uplifting of the value of the faculty of rational thought. It is a message that qualifies and quantifies the dimensions and requirements of the human body and the human soul; the former being the vehicle of the latter. It is a message for all mankind to programme and discipline in precise orderliness and injunctions of self control the charisma of the self. It institutes orderliness, justice, unselfishness, benevolence, chastity, righteousness and munificence. It prescribes pardon, forgiveness and rejects dispute and differences; prescribes prayers and fasting, prohibits excessive indulgence and greed. It advocates modesty, condemns arrogance and false appearances. It sanctifies matrimony and absolutely forbids adultery. It provides a distinct milieu of fraternity and fidelity among the various fractions of the society.

The Divine Message of the Holy Quran is the ultimate summons to mankind constituting the whole integral manifestation of credence and the corpus juris of human life. There is nothing omitted from the Holy Book, everything is symbolized or realistically typified. It is the foundation of all knowledge, attainment of mental cultivation, and the eternal propagation of the transcendent milieu of the Creator. The words, and letters of the Holy Quran flow with mercy, blessings, grace and light. The light of Eternal Truth. .

rational intelligence and perceptive discrimination to understand, plan, initiate, as becomes the office of vicegerent. The process of Divine education to mankind continued through the ages of human history by a programmed system of pedagogic tuition through the medium of divine messages, expounded to mankind by divinely selected messengers. Several of these divine messages have been revealed to mankind, commencing with the very elementary most cardinal substance of knowledge - the concept of Tawhid - that there is no god except Allah. The process of human enlightenment continued by the revelation of divine injunctions, and the teachings of the appointed prophets. The last, and most elaborate in detail associating every aspect. The last, and most elaborate in detail associating every aspect of human life, was the revelation of the Holy Quran. This holy scripture of the Quranic text holds a unique place among all the books of the Revelations because of its undisputed authenticity.

The fountain of knowledge, purpose, percepts and teachings of the Islamic Theism is the Revelation of the Holy Quran, and its appendages of the Traditions and Hadith of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him). It is incumbent on every Muslim to know and exercise in practice the fundamental teachings of the scripture of the Holy Quran. This perpetual exercise in practice will eventually bring the individual to a state of inward and outward spiritual grace; acquiring a sense of quality, purpose, and the true dimensions of human life. The ultimate supreme level of this transformation is attained when the Divine Transcendent milieu discloses itself to the individual to touch the elements of human perception with the Eternal Light. This process of metamorphic transformation actualizes in the individual the true modulations of vision and passion of the real purpose of human existence, the coherent resonance with the Divine Transcendent milieu. Through this perception of Reality, all human activity becomes in the name of the Supreme Being-Allah. The Eternal light will radiate into the material soil matrix of human composition; and then the prayers, the service of sacrifice, the life received, the life lived, and the life surrendered in death, and all for Allah, the Sovereign Supreme.

The Divine message of the Holy Quran was revealed to the Prophet Muhammad, as the final most profound prescriptive directory for the enlightenment of mankind. The Quranic Revelation was made through the medium of Archangel Gabriel to Allah's messenger Muhammad over a period of twenty three years of the Prophet's life. The first verses revealed express the paramount importance of knowledge of creation, and the attainment of that knowledge by reading and writing. It is without doubt the Book of guidance, knowledge, wisdom, and instruction. It is the Book of Truth for the tuition of mankind in matters of which they are ignorant. There is no compulsion in Faith, truth, is distinct for error; Allah is the protector of those who have faith, instituting them with knowledge. The Prophet and the men of faith believe in the Revelation from Allah, in the Angels, and in the books and the Apostles before him without distinction. This justifies the understanding that the Quran is the final divine message for the enlightenment of mankind. Allah has revealed the Book of basic foundation, the nucleus of all knowledge, of optimal meanings "Muhkam", within which the essence of the Divine Message is included, the implications and the ordinances.

The Divine Message

By: Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The enrichment and cultivation of religious thought in our time is undoubtedly the consequent of the expanding size, and the growing unity of the world around us and within us. All surrounding us, the physical sciences are perpetually extending the depths of space and time; and continuously understanding new and profound relationships between the various elemental constituents of the universe. Within the human discursive thought, a whole world of horizons of interrelated systems is being awakened by the stimulus of these great discoveries. This collective awakening will at some given moment make each individual realize the true dimensions of his own life. This must ultimately and inevitably have a profound reaction on the religious perceptions of mankind - either to cast down or to exalt. There are humans who remain unaffected by these feelings of supreme anxiety and fascination; however, there are others whose thoughts are energized by the invincible attraction of the dialectic phenomena of the wondrous creation of the universe.

Within this channel of thought, every human activity must have a divine attribute; in the sense that the manifestations of the Divine Sublime Transcendence actuates the harmony of human attitudes, and brings them into their proper form and perfection. Human activities constitute everyday outward human actions and reactions, and all that occurs in the infrastructural intricate spheres of the human soul. The most important components of human life, are those spheres of activity, endeavour, and development. These spheres of human life can intentionally on the part of the individual undergo a process of transformation from a mere prosaic mundane activity into a glorified exalted pietistic activity. The primitive requirement for such transformation process is that all human activity must be done in the name of "The Supreme Divine Being" - Allah. This necessitates a close intimate coherent harmony between the creature and the Creator. This coherence must be understood to involve the whole human life to its most elemental natural zones, down to the marrow of human existence. The whole integrated phenomena of human life is justified by the bringing about the materialization of the most pontific fact that all human activity must be in the name of "The Supreme Divine Being" - Allah.

Mankind has been ordained with the Divine attribute of being the vicegerent of Allah on earth; a function through which human activities should be exercised through delegated divine powers of conceptive thought. Such supreme function was selectively endowed to mankind by the acquisition of knowledge. Allah taught Adam the nature of all things, and indoctrinated in his mental faculty the process of

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
Vol. 65, Part I
Muharam, 1413, Hijrah
EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.The Divine Message
By: Anas Moustafa El-Naggar.
2- Tawhid, The Principle of Political Order
By : Ismail Raji Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

٢٢٢٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
صفر ١٤١٣ هـ
أغسطس ١٩٩٢ م
الجزء الثانى
السنة الخامسة والستون

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

وللإسلام فى تلك الأرض حديث ، وحديثه ـ فيها ـ ذو شقين :

(أ) شأنه ممارسةً لشعائره ، وارتباطاً بها ، وحديثه ذو شجون .

(ب) ومؤسسات تتصل به .

ونقدم ـ فى كلمتنا هذه ـ حديثا عن تلك المؤسسات ؛ لنتعرف على دورها فى حياة المسلمين بتلك الديار ، وهذه المؤسسات ثلاث أساسية :

إدارات دينية ـ مراكز إسلامية ـ جمعيات دينية .

المساجد تنشأ على قدم وساق ، أعضاء بعثة الأزهر فى المقدمة ، وبعضهم منهمك فى أداء واجبه

الإدارات الدينية :

وتعتبر أساساً جزءا من تنظيم الدولة الشيوعية ، وكانت هذه الإدارات ـ فيما قبل «جورباتشوف» أربعاً فى الاتحاد السوفيتى كله ، يسيطر ـ عليها توجيها ـ « مجلس إدارة الشئون الدينية » الذى تتولاه مخابرات الدولة ، ويتبع رأساً مجلس الوزراء .

والإدارات الأربع هى :

١ ـ الإدارة الدينية فى آسيا الوسطى ، ومركزها « طشقند » وتعتبر مسئولة عن الجمهوريات : قازاقستان ، تركمانستان ، أوزبكستان ، كرغيزتان ، طاجكستان .

٢ ـ الإدارة الدينية للجزء الأوربى وسيبيريا ، ومركزها .. « أوفا » ، والجزء الأوربى الذى يتبعها هو : تتارستان وعاصمتها : قازان ، وباشكرتستان وعاصمتها « أوفا » .

٣ ـ الإدارة الدينية لمسلمى شمال القوقاز ، وهى مسئولة عن : داغستان ـ شاشانيا ـ انجوشتيا ـ قباردينى بلقاريا ، أوستيا الشمالية ، ومقاطعتى : استاوربوليا ، وكراسنودار ؛ إذ المسلمون ـ فى هاتين المقاطعتين ـ كثرة شاملة .

ومركز هذه الإدارة (ماحتش قلعة) على ساحل بحر قزوين فى داغستان .

٤ ـ الإدارة الدينية لما وراء القوقاز ، ومركزها (باكو) بـ « أذربيجان » ويتبعها عدا أذربيجان : جورجيا وأرمينيا .

والإدارات الثلاث الأولى سُنّيَّة ، والأخيرة تجمع بين السنة والشيعة .

ويرأس الإدارة الدينية مُفْتٍ ، وتختص بكل المسائل الدينية من نحو : تعيين أئمة ، إفتاء ، تسفير الحجيج ، إرسال طلاب لبعثات علمية إسلامية كالدراسة فى الأزهر ، أو ليبيا .

وليس للإدارة الدينية ميزانية من الدولة ، وكل حصيلتها المالية نابعة من نصيب محدد لها من تبرعات المساجد .

ولا يستطيع إمام أن يقوم بعمله إلا بإذن من الإدارة الدينية ، فليس له أن يتطوع بالإمامة بحال من الأحوال .

سيطرت الإدارات الأربع على النواحى الدينية جميعاً فى بلاد الاتحاد السوفيتى ، حتى إذا نال الكثير منها استقلاله ـ كالجمهوريات الخمس فى آسيا الوسطى ـ استحدثت هذه ، وأمثالها ، إدارة دينية لكل منها فكثر ـــ بذلك ـــ عدد هذه الإدارات ، اللهم إلا الإدارة الثانية فقد بقيت ما هى عليه محتفظة بطابعها القديم ، بينما كثرت الإدارات الدينية فى غيرها .

كذلك نستثنى من الجمهوريات المستقلة اثنتين هما : جورجيا ، وأرمينيا ، إذ لا يبدو عناية بأمر

أحد المساجد ـ فى حالة إنشاء ـ بجمهورية قبار دينى بلقاريا

مسجد آخر ـ بنفس الجمهورية ـ وفى أقصى يسار القارىء مفتى الجمهورية

المسلمين فيهما على الرغم من كثرتهم فى كلتا الجمهوريتين .

ولقد برز ـ حاليا ـ لون من الصراع بين هذه الإدارات ، تصحبه حساسية ، يفسرها البعض بشىء من « سوء الظن » لا أرى له محلا ، فالواقع أن الحماس للعمل الإسلامى ، مصحوباً بطول الحرمان منه ، مع الرغبة الأكيدة فى الإصلاح السريع بقدر الإمكان ، وحب التعويض الجارف لما فات . كُلُّ ذلك يستولد ـ طبيعيا ـ هذا اللون من الصراع والحساسية ، رغبة من الجميع فى الثمرة الناجعة ..

وفقهم الله جميعاً .

***

المراكز الإسلامية :

وتقديم الحديث بشأنها يماثله تماماً تقديم الحديث عن « الجمعيات الدينية » فإنه من الممكن أن تُنْشِئَ الجمعية الدينية مركزاً إسلاميا ، كما يسهل على المركز الإسلامى إنشاء « جمعية دينية » لكنه يحتاج ـ فى هذه الحالة ـ إلى إذن « الإدارة الدينية » .

ثم فى ضوء ما يسمى ـ حاليا ـ بالحرية ، ونرجو أن تكون ـ بدأ التحرك للحصول على حريات أكثر ، كل حسب مفهومه ، دون أن يكون لديه ـ فى الغالب ـ النية فى أن يضر الآخرين ، ويسعى ـ إذ يسعى ـ للحصول على فوائد علمية .. كخدمات دينية ، أو دراسية ، أو توعية ؛ فبدأت تظهر « المراكز الإسلامية » فى أواخر عهد « جورباتشوف » .

وإذا كنا نقول : إن الأكثر يتحرك ـ فى الغالب ـــ دون قصد الضرر . فإنما نقول ذلك ؛ لأن بعض هذه المراكز ـ وهو بَعْضٌ غير هَيِّن ـ يبدو من عمله ما لا يمت إلى الإسلام بصلة ، فضلًا عما فيه من شخصيات مجهولة الهوية تثير سوء الظن وتُؤَكِّدُهُ بأعمالها ، فأحد هذه المراكز ، وهو فى موسكو ـ مثلا ـ يقدم تصميمات لرقصات تجمع بين الجنسين فى « تابلوهات » حية ويطلقُ عليها : رقصات إسلامية .

يفعل ذلك ، وهو على يقين من أنَّ الأكثرية من المسلمين قد فقدت الثقافة الإسلامية الأصيلة التى تدرك بها الحلال والحرام ، فَيُلَبِّس عليها أمر دينها

وأمثال ذلك كثير ؛ فلم يكن عجباً أن تنظر بعض « الإدارات الدينيـــــة » بحذر مشوب بسخط ـ إلى هذه المراكز ، وزاد الطين بلة أن بعضها سعى فى إنشاء مؤسسات ربوية باسم الإسلام ، أضف ـ إلى ذلك ـ أن خلف بعض هذه المراكز جهات رسمية كانت تعمل للإساءة إلى الإسلام طوال فترات كثيرة ، من ذلك ـ على سبيل المثال ـ إشعال نار القوميات ..

وحسبك بها من فتنة .

غير أن ذلك كله ـ مجتمعاً ـ لا يعنى أن كل المراكز الإسلامية مطعونة ، إن كثيراً منها يعمل بإحسان ، ويواصل نشاطه بصدق ـ برغم ما يلقى فى طريقه من عقبات .

يتم إنشاء المركز الإسلامى بطريقة رسمية ، ويتكون من رئيس ، ومجلس شورى ، ويختص كل عضو من أعضاء الشورى بعمل ؛ فمنهم المختص بالإرشاد .. وآخر للأعمال الخيرية ، وثالث للمالية .. وهكذا .. وكل أنشطته بعيدة تماماً عن الأمور السياسية ، تلك الأمور التى تفسرها الحكومة عادة .

هذا وللمركز الإسلامى قانـــون يضعـــه مؤسسوه ، ويوافق عليه مؤتمره ، فتقره الدولة حيث لم يتجاوز شروطها .

وإن الأمل لكـــبير فى الشبـــاب من كلا المؤسستين : الإدارة الدينيـــة ، والمركــــز

الإسلامى ـ أن يَتَّقِيَا الفتن التى تنسج لهما ، وأن يقاوما الهدف الخبيث الطاعن باستمرار فى أعمال المخلصين ،

وفقهم الله .

***

الجمعية الدينية :

بصفة عامة يمكن القول : إن لكل مسجد جمعية ، إذ أن طبيعة إنشاء مسجد لا تساهم فيه الدولة بـ « روبل » واحد ، يقتضى جمع تبرعات ، فتقوم مجموعة من الناس لذلك ، فإذا هم جمعية ، ولقد تنشط الجمعية فيكون لها أكثر من مسجد .

وفى سنة ١٩٢٩ وقد اضطرت الظروف أن يتقرب « ستالين » من المسلمين ، أصدرت السلطة قانون « حرية الضمير والشعائر الدينية » وبرغم ذلك لم تنشأ المساجد ، حتى كانت المساجد فى الاتحاد السوفيتى كله لا تبلغ خمسين مسجداً . فى « داغستان » منها سبعة وعشرون مسجداً ، وفى « شاشان » ثلاثة عشر مسجداً لا غير ، فلما كان جورباتشوف ، ظهرت الجمعيات .

وفى إنشاء الجمعية ضرب من انتفاع الدولة التى تختفى خلف « الإدارة الدينية » ثم تقوم هذه الأخيرة بتحصيل ما لا يقل عن ٢٥٪ من حصيلة التبرعات ، فى إطار من نظام صارم قوامه عشرون رجلًا هم رجال الجمعية ، ملزمون بتقديم هذه الضريبة للإدارة الدينية ، أى للحكومة المركزية بـ « موسكو » وقد تعطى الدولة جزءًا من هذا المال للإداوة الدينية .

وإنما تسمى (تبرعات) بحكم شكلها ، وإلا فهى ضريبة يجب أن تدفع ، وإلا فلا جمعية .. فلا مسجد .. ومهمة الجمعية محصورة فى خدمة المسجد الذى تعين له الإدارة الدينية إماماً ، مَسْئُولِيَّتُهُ محصورة فى الصلاة ، وعقد الزواج ، وإجراء الطلاق ، والعناية بالموتى والصلاة عليهم ، والفتوى فى هذه الأمور ، ويتناول الإمام وموظفو المسجد راتبهم من حصيلة التبرع .

د. على أحمد الخطيب

مع
الإمام الأكبر

فتـــاوى

لفضيلـة الإمـام الأكبـر

فى

(ا) الحمـل وإسقاطـه ، والتعـقيم لعـدم الانجاب .

(ب) اشتراط الزوجة امتلاك نصف مال الزوج بوفاته أو أجرا فى مقابلة عملها بالمنزل .

(جـ) ما تدفعه الزوجة أو الأولاد مساهمة فى حاجة أبيهم أو المنزل .

الحمد لله والصلاة على سيدنا رسول الله .

وبعـــد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من معهد علوم الشريعة بجنوب أفريقيا متضمنا عدة أسئلة على النحو التالى :

السؤال الأول :

ما هى عقوبة المرأة التى تسقط حملها عمدا لتتخلص منه لسبب غير طبى أو غير شرعى وما الدليل على ذلك .

السؤال الثانى :

ما هى الأسباب الشرعية التى تبيح إسقاط الحمل ، وما المدة التى يجوز إسقاط الحمـل خلالها ؟

السؤال الثالث :

هل للمرأة اذا حملت من رجل اغتصبها أن تسقط هذا الحمل وما الدليل على ذلك وما المدة التى يجوز إسقاط هذا الحمل خلالها ؟

السؤال الرابع :

هل يجوز التعقيم للرجل أو المرأة ؟

السؤال الخامس :

هل تجب النفقة على من هى مفروضة عليه شرعا اذا كانت الدولة تنفق على المحتاجين وتدفع للكبار المتقاعدين . ؟

السؤال السادس :

هل يجوز أن يتفق الزوجان ــ قبل العقد أو بعده ــ على أنه فى حال وفاة الزوج أو عند فراقهما يكون للزوجة نصف ماله على أن يكون ذلك مهرا لها ؟

السؤال السابع :

هل يجوز شرعا أن تطلب المرأة مبلغا من مال زوجها لقيامها بخدمة البيت والأولاد وما دليل ذلك وهل فى الأمر خلاف فقهى ؟

السؤال الثامن :

ما حكم ما تدفعه الزوجة من راتبها لسد الحاجات بسبب عدم كفاية راتب زوجها ، وما الحكم فيما تدفعه من أقساط سدادا للقرض الذى على زوجها بسبب شرائه دارا له ، وما الحكم فيما يدفعه الأولاد من أقساط مساعدة لابيهم فى سداد القرض الذى عليه بسبب شرائه هذه الدار ؟

السؤال التاسع :

بالنسبة لراتب البنت والابن الموظفين ــ لمن يكون شرعا ؟

(الجـــواب)

تمهيـــد :

الاجهاض لغـة :

جاء فى لسان العرب فى مادة : جهض : أجهضت الناقة اجهاضا ، وهى مجهض ، ألقت ولدها لغير تمام ، ويقال للولد مجهض اذا لم يستبن خلقه ، وقيل : الجهيض السقط الذى قد تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش .

وفى القاموس : الجهيض والمجهض : الولد السقط ، أو ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش .

وفى المصباح : أجهضت الناقة والمرأة ولدها أسقطته ناقص الخلق ، فهى جهيض ومجهض ومجهضه بالهاء وقد تحذف .

وعبارة المصباح تشير الى جواز استعمال كلمة اجهاض فى الناقة والمرأة على السواء .

الاجهاض عند الفقهاء :

جرت عبارة فقهاء المذاهب عدا الشافعية والشيعة الجعفرية على استعمال كلمة إسقاط فى المعنى اللغوى لكلمة إجهاض ، وبهذا يكون الاسقاط عند الفقهاء الذين درجوا على استعمال هذا اللفظ .. معناه القاء المرأة جنينها قبل أن يستكمل مدة الحمل ميتا أو حيا دون أن يعيش وقد استبان بعض خلقه بفعل منها كاستعمال دواء أو غيره أو بفعل من غيرها .

حكم الاجهاض دينا وهل يأثم من يفعله ؟

قال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة[١] .

يباح اسقاط الحمل ، ولو بلا اذن الزوج قبل مضى أربعة أشهر ، والمراد قبل نفخ الروح وهذا لا يكون الا بعد هذه المدة ، وفى باب الكراهة من الخانية : ولا أقول بالحل ، اذ المحرم لو كسر بيض الصيد ضمنه ، لأنه أصل الصيد ، فلما كان مؤاخذا بالجزاء فلا أقل من أن يلحق المرأة اثم هنا اذا أسقطت من غير عذر ، كأن ينقطع لبنها بعد ظهور الحمل وليس لأبى الصبى ما يستأجر به المرضع ويخاف هلاكه[٢] .

وهل يباح الاسقاط بعد الحبل ؟

يباح ما لم يتخلق منه شىء ، وقد قالوا فى غير موضع . ولا يكون ذلك الا بعد مائة وعشرين يوما ، وهذا يقتضى أنهم أرادوا بالتخلق نفخ الروح ، وفى قول لبعض فقهاء المذهب أنه يكره وان لم يتخلق لأن الماء بعدما وقع فى الرحم مآله الحياة ، فيكون له حكم الحياة كما فى بيضة صيد الحرم ونحوه .. قال ابن وهبان : إباحة الإسقاط محمولة على حالة العذر ، أو أنها لا تأثم اثم القتل .

وفى فقه مذهب الامام مالك[٣] .

لا يجوز اخراج المنى المتكون فى الرحم ولو قبل الأربعين يوما ، واذا نفخ فيه الروح حرم اجماعا ، هذا هو المعتمد ، وقيل يكره اخراجه قبل الأربعين ، وهذا يفيد أن المراد فى القول الأول بعدم الجواز التحريم ، كما يفيد النقل جميعه : أنه ليس عند المالكية قول بإباحة إخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه ، فبعده بالاولى ، ونص ابن رشد . على ان مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ واستحسان الكفارة يرتبط بتحقق الاثم .

وفى فقه مذهب الامام الشافعى[٤] .

اختلف علماء المذهب فى التسبب فى اسقاط الحمل الذى لم تنفخ فيه الروح ، وهو ما كان عمره الرحمى مائة وعشرين يوما ، والذى يتجه الحرمة ، ولا يشكل عليه العزل لوضوح الفرق بينهما ، بأن المنى حال نزوله لم يتهيأ للحياة بوجه بخلافه بعد الاستقرار فى الرحم وأخذه فى مبادىء التخلق .. وعندهم أيضا : اختلف فى النطفة قبل تمام الأربعين على قولين : لايثبت لها حكم السقط والوأد ، وقيل لها حرمة ولا يباح افسادها ولا التسبب فى اخراجها بعد الاستقرار ، وفى تعليق لبعض الفقهاء .

قال الكرابيسى : سألت أبا بكر بن أبى سعيد الفراتى عن رجل سقى جاريته شرابا لتسقط ولدها ، فقال ما دامت نطفة أو علقة فواسع له ذلك ان شاء الله ، وفى احياء علوم الدين للغزالى فى التفرقة بين الاجهاض والعزل أن ما قبل نفخ الروح يبعد الحكم بعدم تحريمه ، أما فى حالة نفخ الروح فما بعده الى الوضع فلا شك فى التحريم ، وأما ما قبله فلا يقال إنه خلاف الأول ، بل يحتمل التنزيه والتحريم ويقوى التحريم فيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة .

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين جـ ٢ ص ٤١١ وفتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٢) من الأعذار المبيحة للاجهاض شعور الحامل بالهزال والضعف عن تحمل أعباء الحمل لا سيما إذا كانت ممن يضعن بغير طريقه الطبيعى (الشق الجانبى) المعروف الآن بالعملية القيصرية ، فهذا وأمثاله يعتبر عذراً شرعاً مبيحاً لاسقاط الحمل قبل نفخ الروح دون أثم أو جزاء جنائى شرعاً .

(٣) حاشية الدسوقى على شرح الدردير جـ ٢ ص ٢٦٦ وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(٤) حاشية البجيرمى على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠ ، وحاشية الشبراملسى على نهاية المحتاج جـ ٦ ص ١٧٩ ، وكتاب أمهات الأولاد فى نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٤١٦ .

وفى فقه مذهب الامام أحمد بن حنبل[٥] .

انه يباح للمرأة القاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح ، ويؤخذ من هذا أن الاجهاض بشرب الدواء المباح فى هذه الفترة حكمه الإباحة ، ونقل ابن قدامة فى المغنى . أن من ضرب بطن امرأة فألقت جنينا فعليه كفارة وغرة ، واذا شربت الحامل دواء فألقت به جنينا فعليها غرة وكفارة ، ومقتضى وجوب الكفارة أن المرأة آثمة فيما فعلت . ويؤخذ من النصوص التى ساقها ابن قدامة أن الضمان لا يكون الا بالنسبة للجنين الذى ظهرت فيه الروح على الصحيح .

وفى فقه المذهب الظاهرى[٦] .

أن من ضرب حاملا فأسقطت جنينا ، فان كان قبل الأربعة الأشهر قبل تمامها فلا كفارة فى ذلك لكن الغرة واجبة فقط لأن رسول الله حكم بذلك ، لأنه لم يقتل أحدا لكنه أسقط جنينا فقط ، واذا لم يقتل أحدا فلا كفارة فى ذلك ، ولا يقتل الا ذو الروح وهذا لم ينفخ فيه الروح بعد ، ومقتضى ذلك حدوث الاثم على مذهبهم فى الاجهاض بعد تمام الأربعة الأشهر ، اذ أوجبوا الكفارة التى لا تكون الا مع تحقق الاثم ولم يوجبوها فى الاجهاض قبل ذلك .

وفى فقه الزيدية[٧] .

لا شىء فيما لم يستبن فيه التخلق كالمضغة والدم ، ولا كفارة فى جنين لان النبى — ﷺ — قضى بالغرة ولم يذكر كفارة ، ثم ان ما خرج ميتا لم يوصف بالايمان ، واذا خرج حيا ثم مات ففيه الكفارة ، ومقتضاه وجود الإثم فى هذه الجزئية .

وفى فقه الشيعة الامامية[٨] .

انه تجب الكفارة بقتل الجنين حين تلجه الروح كالمولود ، وقيل مطلقا ، سواء ولجت فيه الروح أم لم تلج فيه الروح .

وفى فقه الاباضية[٩]

انه ليس للحامل أن تعمل ما يضر بحملها من أكل أو شرب ، كبارد وحار ورفع ثقيل ، فان تعمدت مع علمها بالحمل لزمها الضمان والاثم وإلا فلا إثم .

ونخلص من أقوال فقهاء تلك المذاهب فى هذا الموضع الى أن فى مسألة الاجهاض قبل نفخ الروح فى الجنين أربعة اقوال :

الاول :

الإباحة مطلقا من غير توقف على وجود عذر وهو قول فقهاء الزيدية ، ويقرب منه قول فريق من فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة وان قيده فريق آخر منهم بأن الإباحة مشروطة بوجود عذر ، وهو ما نقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثانى :

الإباحة لعذر أو الكراهة عند انعدام العذر ، وهو ما تفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة ، وفريق من فقهاء مذهب الامام الشافعى .

---

(٥) الروض المربع فى باب العمد ص ٤٤٧ والمغنى لابن قدامة جـ ٨ فى كتاب الديات .

(٦) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٥ — ٤٠ .

(٧) البحر الزخار جـ ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٥٧ .

(٨) الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٥ .

(٩) شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ ، ١٢١ .

الثالث :

الكراهة مطلقا : وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع :

الحرمة : وهو المعتمد عند المالكية والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل[10]

حكم الإجهاض :

بعد نفخ الروح وعقوبته الجنائية شرعا :

تذل اقوال فقهاء المذاهب[11] جميعا على أن اسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى محظور وقد نصوا على أنه تجب فيه عقوبة جنائية ، فاذا اسقطت المرأة جنينها وخرج منها ميتا بعد أن كانت الروح قد سرت فيه ، وجب عليها ما أطلق عليه الفقهاء أصطلاح الغـرة[12] وكـذلك الحكـم اذا اسقطـه غيرهـــا وانفصل عنها ميتا ، ولو كان أبوه هو الذى اسقطه وجبت عليه الغرة ايضا وذلك للحديث المتفق عليه :

(عن ابى هريرة — رضى الله عنه — قال (قضى رسول الله — ﷺ — فى جنين امرأة من بنى لحيان سقط ميتا بغرة عبد أو أمة ..[13] .

ولحديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة — رضى الله عنهما — عن عمر — رضى الله عنه أنه استشارهم فى املاص المرأة ، فقال المغيرة : قضى النبى — ﷺ — بالغرة عبد أو أمة فشهد محمد بن مسلمة أن شهد النبى — ﷺ — قضى بذلك[14] وبـــعض الفقهـــاء أوجب مع ذلك كفارة .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه وهذا احق لأنه قتل إنسان وجدت فيه الروح الانسانية ، فكان هذا الجزاء الدينى بالإثم وفيـه الكفـارة والجزاء الجنـائى بالتغريم وهو الغرة .

أما اذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ورأى الأطباء المختصون

---

(١٠) انزال المنى أثناء الجماع خارج فرج الزوجة .

(١١) فى الفقه الحنفى حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار جـ ٥ ص ٤١٠ ، ٤١٣ ، وفتح القدير للكمال بن الهمام على الهداية جـ ٤ ص ١٥٣ ، وفى الفقه المالكى حاشية الدسوقى وشرح الدردير جـ ٤ ص ٢٦٨ ، وبداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٤٧ ، وفى الفقه الشافعى نهاية المحتاج جـ ٧ ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، وفى الفقه الحنبلى : المغنى لابن قدامة فى كتاب الديات جـ ٨ ، وفى الفقه الظاهرى : المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٣٧ — ٤٦ ، وفى الفقه الزيدى : البحر الزخار جـ ٧ ص ٣٥٦ ، وفى فقه الامامية : الروضة البهية جـ ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، وفى الفقه الاباضى : شرح النيل جـ ٨ ص ١١٩ ، ١٢١ .

(١٢) والغرة : نصف عشر الدية عند جمهور الفقهاء ، أنظر (المغنى) لابن قدامة جـ ٩ ص ٥٤٢ وما بعدها مع (الشرح الكبير) ط المنار ١٣٤٨ هـ — وبداية المجتهد لابن رشد جـ ٢ ص ٣٤٧ ط أولى الخانجى ١٣٢٩ هـ — (حاشية ابن عابدين) جـ ٥ على (الدر المختار) ص ٥١٦ ط بولاق الأميرية ١٢٩٩ هـ و (اسنى المطالب شرح روض الطالب) لزكريا الأنصارى جـ٤ مع حاشية الرملى ط الميمنة ١٣١٣ هـ والدية — على ما حققه مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف : ألف دينار ذهباً تقابل بالوزن المعاصر (٤٢٥٠ جـ) أربعة آلاف ومائتين وخمسين جراماً من الذهب الخالص ، ويقوّم جرام الذهب بالسعر المحدد بالعملة السارية وقت ارتكاب الجريمة (جلسة اللجنة الفقهية بالمجمع بتاريخ ٢٣ من شوال ١٣٩٦ هـ ١٧ أكتوبر ١٩٧٦) ولما كانت الغرة باتفاق نصف عشر الدية فإنها تحتسب على أساس الذهب على هذا الوجه .

(١٣) من حديث متفق عليه — نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٦٩ .

(١٤) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان — جمع محمد فؤاد عبد الباقى حديث رقم : ١٠٩ ص ٤٢٠ .

ان بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا كان يتوقف عليه حياة الام عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين ، ولا مراء فى أنه اذا دار الأمر بين موت الجنين وموت أمه كان بقاؤها أولى لأنها أصله ، وقد استقرت حياتها ولها حظ مستقل فى الحياة . كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد .

ما موقف الطبيب من الإجهاض شرعا ؟ .

لقد قال الله سبحانه تعليما وتوجيها لخلقه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[١٥] والطبيب فى عمله وتخصصه من أهل الذكر ، والعلم أمانة ، ومن ثم كان على الطبيب شرعا أن ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين ،واذا كانت الأعذار المبيحة للاجهاض فى مراحل الحمل المختلفة منوطة برأى الطبيب حسبما تقدم بيانه كان العبء عليه كبيرا ، ووجب عليه ألا يَعْجَلَ بالرأى قبل أن يستوثق بكل الطرق العلمية الممكنة وان يستوثق بمشورة غيره فى الحالات التى تحتاج للتأنى وتحمله .

وقد بين الفقهاء جزاء المتسبب فى اسقاط الحمل جنائيا دنيويا بالغرة أو الدية فى بعض الأحوال وبالأثم دينا على الوجه السابق اجماله .

وهناك تفصيلات فى فقه المذاهب فى اسقاط الجنين ونزوله حيا ثم موته وفى التسبب فى الاسقاط وفى موت الأم بسبب الاسقاط ، ومتى تجب الدية أو الغرة والكفارة فى بعض الصور ، ولمن أراد الاستزادة فى هذه الأحكام أن يطالعها فى كتاب الديات فى فقه المذاهب[١٦] .

واذ قد تبينا من هذا العرض الوجيز : أقوال الفقهاء فى شأن اباحة الاجهاض أو عدم اباحته فيما قبل تمام الأربعة الأشهر الرحمية ، وفيما بعدها ، والجزاء الدينى والجنائى الدنيوى شرعا فى كل حال ، كما تبينا جواز الاجهاض اذا كان هناك عذر سواء قبل نفخ الروح أو بعده :

فهل يدخل فى الاعذار المبيحة للاجهاض ما يكشفه العلم بالأجنة من عيوب خلقية أو مرضية وراثية تعالج بالجراحة أو لا تعالج على نحو ما جاء بالصور المطروحة بالسؤال ؟

قبل الاجابة على هذا : ينبغى أن نقف على الحكم الشرعى فى وراثة الأمراض وغيرها .

حكم الإسلام فى وراثة الأمراض والصفات والطباع وغيرها :

إن وراثة الصفات والطباع والأمراض وتناقلها بين السلالات ــ حيوانية ونباتية ــ وانتقالها مع الوليد والى الحفيد أمر قطع به الاسلام .

(ألا يعلم من خلق)[١٧] وكشف العلم عنه . يدلنا على هذه الحقيقة نصائح رسول الله ــ ﷺ ــ وتوجيهاته فى اختيار الزوجة فقد قال : (تخيروا لنطفكم)[١٨] وقال[١٩] : (اياكم وخضراء الدمن) فقيل وما خضراء الدمن ؟ قال (المرأة الحسناء فى المنبت السوء) وتفسر معاجم اللغة لفظ (الدمن) بأنه ما تجمع وتجمد من روث الماشية وفضلاتها ، فكل ما نبت فى هذا الروث وان بدت

---

(١٥) من الآية ٧ من سورة الأنبياء .
(١٦) المراجع السابقة فى فقه المذاهب .
(١٧) من الآية ١٤ من سورة الملك .
(١٨) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٩ ص ١٠٢ فى باب أى نساء خير .
(١٩) رواه الدراقطنى من حديث ابى سعيد الخدرى ــ احياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٧٢٤ مع تخريج العراق لأحاديثه .

خضرته ونضرته إلا أنه يكون سريع الفساد ، وكذلك المرأة الحسناء فى المنبت السوء تنطبع على ما طبعت عليه لحمتها وغذيت به ومن هذا القبيل تحريم أكل لحم السباع وغيرها من الحيوانات سيئة الطباع والمتوحشة منعا لانتقال طباعها وصفاتها الى الإنسان .

ولعل نظرة الاسلام إلى علم الوراثة تتضح جليا من هذا الحوار الـذى دار بين رسول الله — ﷺ — وبين رجل من بنى فزارة اسمه ضمضم ابن قتادة حين[٢٠] قال هذا الرجل : إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، وهو بهذه العبارة يعرض بأن ينفى نسب هذا الولد اليه — فقال له النبى — ﷺ — (هل لك من أيل) قال : نعم ، قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر . قال : (فهل فيها من أورق) ؟ (أى لونه لون الرماد) قال : نعم . قال : أنى ترى ذلك ؟ قال أراه نزعه عرق . قال فلعل هذا نزعه عرق .

قال الشوكانى فى نيل الاوطار[٢١] فى شرح هذه العبارة الاخيرة :

المراد بالعرق الأصل من النسب تشبيها بعرق الشجرة ، ومنه قولهم فلان عريق فى الأصالة أى أصله متناسب .

وهذا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى فى الاسلام يقول لبنى[٢٢] السائب وقد اعتادوا التزويج بقريباتهم(قد اضويتم[٢٣] فانكحوا الغرائب) ومعناه تزوجوا الغرائب ، ويقال أغربوا ولا تضووا ، وهذا دليل على أن الزواج بين ذوى القربى مؤد الى الضرر والضعف ومن أجل هذا كان توجيه عمر بالزواج من غير القريبات حتى لا تتكاثر الصفات أو الأمراض الموروثة المتداولة فى سلالة واحدة ، فتضعف الذرية بوراثة الأمراض .

ولم يفت علم الوراثة أئمة الفقه الاسلامى ، فان الامام الشافعى رضوان الله عليه لما قال بجواز فسخ الزواج بسبب الجذام والبرص ، كان مما أورده تعليلا لهذا : إن الولد الذى يأتى من مريض بأحد هذين الدائين قلما يسلم وان سلم أدرك نسله .

قال العلامة ابن حجر الهيثمى ، فى تحفة[٢٤] المحتاج بشرح المنهاج فى نقل تعليل الامام الشافعى والجذام والبرص يعديان المعاشر والولد أو نسله كثيرا كما جزم به فى الأم وحكاه عن الأطباء والمجربين فى موضع آخر .

وإذا كان ذلك هو ما جرى به فقه الإسلام : إما صراحة كهذا النقل عن الامام الشافعى أو ضمنا واقتضاء لنصوص الفقهاء فى مواضع متعددة وكان سنده ما جاء فى نصوص القرآن والسنة الشريفة من تحريم أكل بعض الحيوانات وما صرح به رسول الله — ﷺ — فى العديد من أحاديثه الشريفة عن هذه الوراثة حسبما مضى من القول كان انتقال بعض الآفات الجسدية والنفسية والعقلية من الأصول إلى الفروع حقيقة واقعة لا مراء فيها .

---

(٢٠) هذا الحديث متفق عليه — شرح السنة للبغوى باب الشك فى الولد برقم ٢٣٧٧ جـ ٩ ص ٢٧٣ ، وبلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وشرح سبل السلام للصنعانى جـ ٣ ص ٢٤٦ فى باب اللعان .

(٢١) ج ٦ ص ٢٧٨.باب النهى عن ان يقذف زوجته لانها ولدت ما يخالف لونهما .

(٢٢) المغنى عن حمل الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار للحافظ العراقى المطبوع على هامش أحياء علوم الدين للغزالى ص ٧٢٤ فى كتاب آداب النكاح .

(٢٣) فى المصباح المنير : ضوى الولد من باب تعب إذا صغر جسمه وهزل واضويته ومنه : واغتربوا لا تضووا أى يتزوج الرجل المرأة الغريبة ولا يتزوج القرابة القريبة لئلا يجىء الولد ضاوياً .

(٢٤) حواشى تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ ٧ ص ٣٤٧ فى باب الخيار فى النكاح .

هــذا :ــ

وقد أثبت العلم بوسائله الحديثة أن أنواعا من الامراض تنتقل من المصاب بها الى سلالته ، وأنها اذا تخطت الولد ظهرت فى ولد الولد أو فى الذرية من بعده ، فالوراثة بانتقال بعض الأمراض والطباع والصفات من الاصول الى الفروع والأحفاد صارت واقعا مقطوعا به ، أو على الأقل ظنا راجحا بالاستقراء والتجارب ، واذا كان انتقال بعض الأمراض والعيوب الجسدية وراثة من الأصول للفروع على هذا الوجه من الثبوت الشرعى والعلمى ، فهل يجوز التعقيم نهائيا بمعنى منع الصلاحية للإنجاب لمن يثبت اصابته من الزوجين أو كليهما بمرض لا برء منه وكان من خصائصه وسماته الانتقال بالوراثة ؟ وهل يجوز الاجهاض بمعنى اسقاط الجنين اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لاتتلاءم مع الحياة العادية ؟

وهل يجوز الاجهاض اذا كانت هذه العيوب يمكن ان يعيش بها الجنين بعد ولادته حياة عادية ؟ وهل يجوز الاجهاض اذا كانت العيوب من الممكن علاجها طبيا أو جراحيا ؟ أولا يمكن علاجها حاليا ؟ ثم العيوب التى تورث من الأب أو الأم للأجنة الذكور فقط أو للإناث فقط ، هل يجوز الأبقاء على السليم واجهاض المعيب ؟

للإجابة على هذه التساؤلات : نعود الى القرآن الكريم والى السنة الشريفة فلا نجد فى أى منهما نصا خاصا صريحا يحرم التعقيم ، بمعنى جعل الإنسان ذكرا كان أو أنثى غير صالح للانجاب نهائيا وبصفة مستمرة بجراحة او بدواء أو بأية وسيلة أخرى ، لكن النصوص العامة ــ فيما ــ تأباه وتحرمه بهذا المعنى ، واعمالا لهذه النصوص قال جمهور الفقهاء ان تعقيم الإنسان محرم شرعا اذا لم تدع اليه الضرورة ، وذلك لما فيه من تعطيل الإنسان المؤدى إلى إهدار ضرورة المحافظة على النسل وهى إحدى الضرورات الخمس التى جعلها الإسلام من مقاصده الأساسية فى تشريع أحكامه(٢٥)

أما إذا وجدت ضرورة داعية لتعقيم إنسان ــ كما إذا كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن عَصِىٌّ على العلاج والدواء ، وهو فى الوقت نفسه ينتقل إلى الذرية عن طريق الوراثة ــ جاز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ الى التعقيم الموقوت ، لدفع الضرر القائم فعلا ، المتيقن حدوثه اذا لم يتم التعقيم ، وذلك باتخاذ دواء أو أى طريق من طرق العلاج لافساد مادة اللقاح أو باذهاب خاصيتها ، سواء فى هذا : الذكر والأنثى ، ونعنى بإباحة التعقيم الموقوت : أن يمكن رفع هذا التعقيم واستمرار الصلاحية للانجاب متى زال المرض .

والى مثل هذا المعنى أشار الفقهاء فى كتبهم . فقد نقل ابن عابدين(٢٦) فى حاشيته رد المحتار على الدر المختار فى الفقه الحنفى عن صاحب البحر (أنه يجوز للمرأة أن تسد فم الرحم منعا من وصول ماء الرجل اليه لأجل منع الحمل ، واشترط صاحب البحر لذلك اذن زوجها) .

ونقل البيجرمى(٢٧) من فقهاء الشافعية أنه : يحرم استعمال مايقطع الحمل من أصله ، أما ما يبطىء الحمل مدة ولا يقطعه فلا يحرم ، بل ان كان لعذر كتربية ولده لم يكره والا كره .

وقد فرق الشبراملسى الشافعى(٢٨) بين ما يمنع

---

(٢٥) الموافقات للشاطبى جـ ٢ ص ٨ وما بعدها فى مقاصد الشريعة .

(٢٦) جـ ٢ ص ٤١٢ .

(٢٧) حاشية الخطيب على الاقناع جـ ٤ ص ٤٠

(٢٨) نهاية المحتاج وحواشيه جـ ٨ ص ٤١٦ .

الحمل نهائيا وبين مايمنعه مؤقتا وقال : بتحريم الأول وأجاز الثانى باعتباره شبيها بالعزل فى الإباحة .

وصرح الرملى الشافعى نقلا عن الزركشى بأن استعمال مايمنع الحمل قبل انزال المنى حالة الجماع ــ مثلا ــ لا مانع منه .

وقال القرطبى[٢٩] المالكى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن : ان النطفة لايتعلق بها حكم اذا ألقتها المرأة قبل أن تستقر فى الرحم .

فهذه النصوص تشير بلا شك الى تحريم التعقيم النهائى المانع للانجاب حالا ومستقبلا ، أما التعقيم المؤقت بمعنى الحمل فتيجزه تلك النصوص وغيرها .

ذلك لأن التطور العلمى والتجريبى دل على أن هناك أمراضا قد تبدو فى وقت ما مستعصية على العلاج ، ثم يشفى منها المريض فى الغد القريب أو البعيد ، وإما لعوامل ذاتية وإما بتقدم وسائل العلاج من الادوية والجراحة وغيرهما ، وعندئذ يمكن رفع التعقيم المؤقت عملا بقاعدة : ماجاز بعذر بطل بزواله .

هكذا بالاضافة الى أن التعقيم بمعنى وقف الانجاب مؤقتا بوضع الموانع أو العوامل المفسدة لمادة اللقاح لدى الزوج أو الزوجة أو كليهما بصفة وقتية ريثما يتم العلاج أو انتظارا للشفاء من المرض أمر من الأمور التى تدخل فى باب التداوى المأمور به شرعا فى أحاديث الرسول ــ ﷺ ــ ومنها قوله للأعرابى الذى سأله : أنتداوى يا رسول الله .. ؟ قال : نعم ، فإن الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله[٣٠] . رواه أحمد .

وخلاصة ما تقدم من أقوال الفقهاء :

أن الحمل متى استقر رحميا لمدة مائة وعشرين يوما أو أربعة أشهر فقد ثبت بالقرآن والسنة الشريفة نفخ الروح فيه بعد اكتمال هذه السن الرحمية ، وبذلك يصير انسانا له حقوق الإنسان الضرورية ، حتى جازت الوصية له والوقف عليه ، ويستحق الميراث ممن يموت من مورثيه ويكتسب النسب لأبويه ومن يتصل بهما بشروط مبينه فى موضعها ، وتكاد كلمة فقهاء المذاهب تتفق على أهلية الحمل لهذه الحقوق الأربعة ، فله أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلا للالزام دون الالتزام .

متى يكون الإجهاض محرما ؟ ومتى يباح ؟ :

واذا كان الحمل قد نفخت فيه الروح وصارت له ذاتية الإنسان وحقوقه الضرورية ، صار من النفس التى حرم الله قتلها فى صريح القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿..وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٣١]

بهذا الاعتبار ومتى أخذ الجنين خصائص الإنسان وصار نفسا من الأنفس التى حرم الله قتلها ، حرم قتله بالاجهاض بأية وسيلة من الوسائل المؤدية إلى نزوله من بطن أمه قبل تمام دورته الرحمية ، إلا اذا دعت ضرورة لهذا الاجهاض ، كما اذا كانت المرأة الحامل عسرة الولادة وقرر الاطباء المتخصصون أن بقاء الحمل ضار بها ، فعندئذ يباح الاجهاض بل انه يصير واجبا حتما اذا كان يتوقف عليه حياة الأم عملا

(٢٩) جـ ١٢ ص ٨ .

(٣٠) منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٠٠ فى أبواب الطب .

(٣١) من الآية ١٥١ من سورة الأنعام .

بقاعدة[٣٢] (يزال الضرر الأشد بالضرر الأخف) وبعبارة أخرى (اذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما) . ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة أوردها الفقهاء . ولاشك أنه اذا دار الأمر بين موت الأم الحامل بسبب الحمل وبين موت هذا الحمل واسقاطه كان الأولى بقاء الأم لأنها الأصل ، ولا يضحى بها فى سبيل انقاذ الجنين ، لاسيما وحياة الأم مستقرة ولها وعليها حقوق وهو بعد لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها ، وقد اباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لاشفاء منه حماية لباق الجسم ، وبهذا المعيار الذى استنبطه الفقهاء من مصادر الشريعة : هل تصلح العيوب التى تكتشف بالجنين ، أيا كانت هذه العيوب مبررا لاسقاطه بطريق الاجهاض، بعد أن نفخت فيه الروح باستكماله مائة وعشرين يوما رحمية ؟ لا شك أنه متى استعدنا الأحكام الشرعية التى أجملناها فيما سبق نقلا عن فقهاء المذاهب جميعا ، نرى أنها قد اتفقت فى جملتها على تحريم الاجهاض بعد نفخ الروح ، حتى إن مذهب الظاهرية قد أوجب القود أى القصاص فى الاجهاض العمد ، وحتى إن قولا فى بعض المذاهب يمنع إسقاطه حتى فى حال اضراره بأمه مساواة بين حياتهما .

وإذ كان ذلك : وكان الاجهاض بعد نفخ الروح قتلا للنفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، ولم تكن العيوب التى تكتشف بالجنين مبررا شرعا لاجهاضه أيا كانت درجة هذه العيوب من حيث امكان علاجها طبيا أو جراحيا ، أو عدم امكان ذلك لأى سبب كان ، اذ قد تقدم القول بأن التطور العلمى والتجريبى دل على أن بعض الامراض والعيوب قد تبدو فى وقت مستعصية على العلاج ثم يجد لها العلم العلاج والاصلاح وسبحان الله الذى علم الإنسان مالم يعلم ، بل يعلمه بقدر حسب تقدم استعداده ووسائله

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣٣]

واذا كانت العيوب وراثية أمكن لمنع انتشارها فى الذرية الالتجاء الى وقف الحمل مؤقتا حسبما تقدم بيانه . أما اكتشاف عيوب بالجنين قبل نفخ الروح فيه أى قبل بلوغ الحمل أربعة أشهر رحمية فإنه قد تقدم بيان أقوال الفقهاء فى الاجهاض فى هذه المرحلة ، وانه يجوز - دون حرج - عند فقهاء الزيدية ، وبعض فقهاء المذهب الحنفى ، وبعض الشافعية الاجهاض لأى سبب ، بل وبدون سبب ظاهر ؛ لأن الجنين عند هؤلاء قبل نفخ الروح فيه لم يأخذ صفة الإنسان وخاصية النفس التى حرم الله قتلها .

والذى أختاره وأميل إليه فى الإجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا أنه يجوز عند الضرورة التى عبر عنها الفقهاء بالعذر .

وفى كتب الفقة الحنفى[٣٤] : أن من الاعذار التي تبيح الاجهاض من قبل نفخ الروح انقطاع لبن الأم بسبب الحمل ، وهى ترضع طفلها الآخر وليس لزوجها - والد هذا الطفل - ما يستأجر به المرضع له ويخاف هلاكه وفى نطاق هذا المثال الفقهى ، واذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما أو باحدهما مرض أو عيب خطير وراثى يسرى الى الذرية ثم ظهر الحمل ، وثبت ثبوتا قطعيا دون ريب بالوسائل العلمية والتجربية

(٣٢) الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفى المصرى فى القاعدة الخامسة واتحاف الأبصار والبصائر بترتب الاشباه والنظائر فى الحظر والاباحة والاشباه والنظائر للسيوطى الشافعى .

(٣٣) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٣٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار جـ ٢ ص ٤١١ .

أن بالجنين عيوبا وراثية خطيرة ، لا تتلائم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى سلالة أسرته جاز اسقاطه بالاجهاض مادام لم تبلغ أيامه الرحمية مائة وعشرين يوما .

أما الأجنة المعيبة بعيوب يمكن علاجها طبيا أو جراحيا ، أو يمكن علاجها حاليا ، والعيوب التى من الممكن أن تتلائم مع الحياة العادية ، هذه الحالات لاتعتبر العيوب فيها عذرا شرعيا مبيحا للاجهاض اذا ثبت طبيا انه لاخطورة منها على الجنين وحياته العادية ، فضلا عن احتمال ظهور علاج لها تبعا للتطور العلمى .

أما الأجنة التى ترث عيوبا من الأب أو من الأم ، للذكور فقط أو للاناث فقط فيجوز اسقاطها اذا ثبت أنها عيوب وراثية خطيرة مؤثرة على الحياة مادام الجنين لم يكتمل فى الرحم مدة مائة وعشرين يوما .

ومن هذا يتضح أن المعيار فى جواز الاجهاض قبل استكمال الجنين مائة وعشرين يوما رحميا ــ هو أن يثبت علميا وواقعيا خطورة مابه من عيوب وراثية وأن هذه العيوب تدخل فى النطاق المرضى الذى لاشفاء منه وأنها تنتقل منه الى الذرية ، أما العيوب الجسدية كالعمى أو نقص إحدى اليدين أو غير هذا فانها لاتعتبر ذريعة مقبولة للاجهاض ، لاسيما مع التقدم العلمى فى الوسائل التعويضية للمعوقين .

وان المعيار فى جواز الإجهاض للحمل الذى تجاوز ايامه الرحمية مائة وعشرين يوما وصار بذلك نفسا حرم الله قتلها ، هو خطورة بقائه حملا فى بطن أمه على حياتها سواء فى الحال أو فى المآل عند الولاده ، كما إذا ظهر هزالها وضعفها عن احتمال تبعات الحمل حتى اكتمال وضعه ، وكما اذا كانت عسرة الولادة ، أو تكررت ولادتها بما يسمى الآن بالعملية القيصرية ، وقرر الاطباء المختصون أن حياتها معرضه للخطر اذا ولدت هذا الحمل بهذه الطريقة أو استمر الحمل فى بطنها الى حين اكتماله .

ويحرم بالنصوص العامة فى القرآن والسنة ــ الإجهاض بعد نفخ الروح فى الجنين بسبب عيوب خلقية أو وراثية اكتشفها الأطباء فيه بوسائلهم العلمية لأنه صار إنسانا محصنا من القتل كأى إنسان يدب على الأرض لايباح قتله بسبب مرضه أو عيوبه الخلقية ، وسبحان الله الذى كرم الإنسان واستخلفه فى الأرض وصانه عن الامتهان .

ورسول الإسلام ــ ﷺ ــ وان ابتغى فى المسلم القوة بقوله : (**المؤمن**[٣٥] **القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير**) . إلا أنه لم يأمر بقتل الضعيف ، بل أمر بالرحمة به وهذا الجنين المعيب داخل فيمن طلب الرسول ــ ﷺ ــ شمولهم بالرحمة فى كثير من أحاديثه الشريفة .

لما كان ذلك :

فإنه عن السؤال الأول : بخصوص بيان عقوبة المرأة التى تسقط حملها عمدا لتتخلص منه لسبب غير طبى أو شرعى والدليل على ذلك :

أ ــ اذا كان اسقاط الحمل قبل نفخ الروح فيه : فللفقهاء فيه حينئذ أقوال تقدمت مفصلة ونستعيد مجملها فيما يلى ؛

الأول : الإباحة مطلقا أى سواء وجد عذر ، أم لم يوجد ــ وهو قول فقهاء الزيدية ، وقريب منه قول فريق فقهاء مذهب الإمام أبى حنيفة ، وقيده

(٣٥) سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤١ فى باب القدر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

فريق آخر منهم بأن الاباحة مشروطة بوجود عذر ، وهو مانقل أيضا عن بعض فقهاء الشافعية .

الثانى : الإباحة عند وجود العذر ، والكراهة عند عدمه وهو ماتفيده أقوال فقهاء مذهب الامام أبى حنيفة ، وفريق من فقهاء مذهب الامام الشافعى .

الثالث : الكراهة مطلقا : أى سواء وجد عذر أم لم يوجد — وهو رأى بعض فقهاء مذهب الامام مالك .

الرابع : الحرمة : وهو المعتمد عند المالكية ، والمتفق مع مذهب الظاهرية فى تحريم العزل .

ب — أما اذا كان اسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه : فأقوال فقهاء المذاهب جميعا تدل على أن اسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه أى بعد الشهر الرابع الرحمى « محظور شرعا » ، وقد نصوا على أنه تجب فيه «عقوبة جنائية» فاذا أسقطت المرأة جنينها ، وخرج منها ميتا بعد سريان الروح وجبت عليها «غرة» لخبر[٣٦] الصحيحين أنه — ﷺ :

(قضى فى الجنين بغرة[٣٧] : عبد ، أو أمه) .

وكذلك الحكم اذا أسقطه غيرها ، ولو كان أباه ، وانفصل عنها ميتا .

ولا يرث منه من أسقطه أبا كان أو أما ، أو غيرهما ممن يرثه ؛ لأنه قاتله لقوله — ﷺ : (ليس لقاتل ميراث)[٣٨] .

وبعض الفقهاء — الشافعية ، والحنابلة فى روايتهم الثانية — أوجب مع ذلك كفارة وهى : (عتق رقبة مؤمنه فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين) .

ومقتضى هذا أن هناك اثما وجريمة فى اسقاط الحمل (الجنين) بعد نفخ الروح فيه . وهذا حق لأنه قتل انسان وجدت فيه الروح الإنسانية ، فكان الجزاء الدينى بالإثم العظيم ، وفيه الكفارة والحرمان من الميراث ، والجزاء الجنائى بالتغريم بالغرة[٣٩] .

أما إذا قامت ضرورة تحتم الاجهاض (اسقاط الحمل) كما اذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون الحاذقون الثقات أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الاجهاض ، بل يجب اذا توقف عليه حياة الأم ، عملا بقاعدة (ارتكاب أخف الضررين ، وأهون الشرين) .

ولا مراء فى أنه اذا دار الأمر بين موت الجنين ، وموت أمه ، كان بقاؤها أولى ؛ لأنها أصله وحياتها متحققة ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل فى الحياة كما أن لها وعليها حقوقا ، فلا يضحى بالأم فى سبيل جنين لم تستقل حياته ، بل هو فى الجملة كعضو من أعضائها .

وقد أباح الفقهاء قطع العضو المتآكل أو المريض بمرض لا شفاء منه حماية لباقى الجسم .

---

(٣٦) حديث متفق عليه : عن أبى هريرة قال : (قضى رسول الله — ﷺ — فى جنين إمرأة من بنى لحيان سقط ميتاً غرة عبد أو أمه ....) نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار جـ ٧ ص ٦٩ وفى اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان — جمع محمد فؤاد عبد الباقى — حديث رقم ١٠٩٦ ص ٤٢٠

(حديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة — رضى الله عنهما — عن عمر — رضى الله عنه أنه استشارهم فى املاص المرأة ، فقال المغيرة : قضى النبى — ﷺ — بالغرة : عبد أو أمه فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبى — ﷺ — قضى بذلك .

(٣٧) راجع فى بيان قدرها وقيمتها هامش ٣ ص ٨ من هذه الفتوى .

(٣٨) رواه مالك فى الموطأ وأحمد وابن ماجة ، وفى رواية لأبى داود (لا يرث القاتل شيئاً) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٦ ص ٧٤ .

(٣٩) راجع ما تقدم من نصوص الفقهاء ص ٨ هامش رقم ٣ من هذه الفتوى فى شأن الغرة .

ومن ثم :

فإذا كان اسقاط (الحمل) قبل نفخ الروح فيه ـــ أى قبل استكمال مائة وعشرين يوما رحميا ـــ ففيه أقوال الفقهاء الأربعة السابق ذكرها .

أما اذا كان اسقاطه بعد نفخ الروح فيه عمدا ، للتخلص منه دون عذر فان هذا (محظور شرعا) باتفاق الفقهاء لما فيه من قتل نفس انسانية عمدا دون حق .

وعقوبة الجانى حينئذ أبا كان أو أما أو غيرهما :

الخلود فى جهنم ، وغضب الله عليه ، ولعنته اياه ، والعذاب العظيم لقوله تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٤٠) .

وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة ، وانعقد عليه الاجماع .

وحرمان الجانى الوراث من ميراث الجنين ، إن كانت له تركة لقوله ـــ ﷺ : (ليس لقاتل ميراث)(٤١) ووجوب الغرة لخبر الصحيحين أنه ـــ ﷺ (قضى فى الجنين بغرة)(٤٢) على ماسبق بيانه .

ووجوب الكفارة عند الشافعية ، وعند الحنابلة فى روايتهم الثانية لقوله تعالى ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤٣) .

واذا وجبت الكفارة فى القتل الخطأ بالاتفاق فلأن تجب فى العمد أولى ؛ لأن الحاجة إلى التكفير فى العمد أمس منها إليه فى الخطأ ، فكان أدعى الى ايجابها لأن العامد أغلظ اثما ممن كان قتله خطأ ، فكانت الكفارة به أليق من الخطأ .

وأحتجوا أيضا لمذهبهم فى وجوب الكفارة فى القتل العمد بمارواه الامام احمد وأبو دواد عن واثلة ابن الاسقع قال : أتينا رسول الله ـــ ﷺ ـــ فى صاحب لنا أوجب يعنى النار بالقتل ـــ فقال (اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار)(٤٤)

وايجاب النار انما يكون بالقتل العمد ، فهذا دليل واضح على أن الكفارة تجب فى قتل العمد .

وعن السؤال الثانى :

بخصوص بيان الأسباب الشرعية التى تبيح إسقاط الحمل ، والمدة التى يجب اسقاطه خلالها :

فانه يتضح مما سلف من نصوص الفقهاء أن من الأسباب التى تبيح الاجهاض ـ أى اسقاط الحمل ـ قبل نفخ الروح فيه ـ أى قبل استكماله مائة وعشرين يوماً رحمياً ـ خطورته على صحة أمه ، أو على طفلها الرضيع بانقطاع لبنها عنه ، وهى ترضعه ، وليس لزوجها ـ والد هذا الطفل الرضيع ـــ ما يستأجر به المرضع له ، وبخلاف هلاكه وكما إذا لم يمكن ابتداء وقف الحمل بين زوجين ظهر بهما ، أو بأحدهما مرض ، أو عيب ورائى

---

(٤٠) الآية ٩٣ من سورة النساء .

(٤١) تقدم تخرجه ص ٢١ .

(٤٢) تقدم تخريجه ص ٢١ .

(٤٣) الآية ٩٢ من سورة النساء .

(٤٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٥١ .

خطير يسرى إلى الذرية ثم ظهر الحمل ، وثبت قطعاً بالوسائل العلمية والتجريبية أن بالحمل عيوباً وراثية خطيرة لا تتلاءم مع الحياة العادية ، وأنها تسرى بالوراثة فى أسرته ، وسلالتها .

أما الأجنة المعيبة بعيوب ممكن علاجها طبياً أو جراحياً والمعيبة بعيوب تتلاءم مع الحياة العادية ، فلا تعتبر عذراً شرعياً مبيحاً للاجهاض لأنه لا خطورة منها على الجنين ، وحياته العادية فضلاً عن احتمال ظهور علاج لها تبعاً للتطور العلمى :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤٥) .

وعن السؤال الثالث :

فى شأن جواز أو عدم جواز إسقاط الحمل الذى حدث بطريق الاغتصاب : فإنه ظاهر مما سلف أن الاجهاض بوجه عام محظور شرعاً سواء أكان قبل نفخ الروح فيه أو بعدها ببلوغ عمره الرحمى مائة وعشرين يوماً للأدلة السابقة إلا لعذر كما سبق بيانه ، ولا يغير من هذا أن الحمل مِنْ زنى كرهاً واغتصاباً أو رضاء لأنه على أى حال قد تخلق واكتسب حرمة النفس التى حرم الله قتلها لا سيما بعد نفخ الروح فيه .

وعن السؤال الرابع :

بشأن حكم التعقيم للرجل أو المرأة عامة وحكم التعقيم للمرأة إذا شعرت بأنها لا تستطيع مراعاة أولادها وزوجها لا يقدر على أن ينفق على تربيتهم وزواجهم جميعاً بسبب ظروف خارجية وفوق طاقتهما .

فإنه قد تقدم أن التعقيم ـ بمعنى جعل الإنسان ـ ذكراً كان أو أنثى ـ غير صالح للانجاب نهائياً وبصفة مستمرة بجراحة أو بدواء أو بأية وسيلة أخرى (محظور شرعاً) عند جمهور الفقهاء وذلك لما فيه من تعطيل الانسال المؤدى إلى ضرورة المحافظة على النسل وهى إحدى الضرورات الخمس التى جعلها الاسلام من مقاصده الأساسية فى تشريع أحكامه .

أما التعقيم ـ بمعنى وقف الانجاب مؤقتاً ، بدواء أو بأى طريق من طرق العلاج لإفساد مادة اللقاح أو لإذهاب خاصيتها سواء فى الذكر أو الأنثى ـ فجائز شرعاً لكل من الزوجين أن يلجأ إليه لعذر كما إذا كان به مرض عقلى أو جسدى أو نفسى مزمن استعصى على العلاج ، وهو فى الوقت نفسه ينتقل بطريق الوراثة إلى الذرية وكما إذا كانت الأم مريضة أو خيف من الحمل على صحتها أو على ولدها الرضيع ، أو التقصير فى تربية أولادها .

إذ التعقيم بهذا المعنى ريثما يتم العلاج أو ترقباً للشفاء من المرض أمر من الأمور التى تدخل فى باب التداوى المأمور به شرعاً فى أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ ومنها قوله للأعرابى الذى سأله : انتداوى يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء . علمه من علمه وجهله من جهله »(٤٦) رواه أحمد .

وعن السؤال الخامس :

بشأن حكم النفقة على من هى مفروضة عليه شرعاً إذا كانت الدولة تنفق على المحتاجين وتدفع للكبار المتقاعدين :

فإنه إذا التزمت الدولة بالانفاق على المحتاجين والكبار المتقاعدين من الأقارب بقدر كفايتهم فلا تجب نفقتهم على من هى مفروضة عليهم قبل

(٤٥) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء .

(٤٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٠٠ .

التزام الدولة وقيامها بالانفاق عليهم لاستغنائهم واندفاع حاجتهم بانفاق الدولة عليهم ، مثلهم فى ذلك مثل الذين يكتفون برواتبهم مقابل عملهم أو بأموالهم أو بكسبهم فلا نفقة لهم شرعاً على الغير إلا إذا كان ما تعطيه الدولة لهم لا يكفيهم حسب العرف وعادة أمثالهم ، فعلى من تجب عليه نفقتهم شرعاً أن يعطيهم القدر الذى يفى بكفايتهم ، مثلهم فى ذلك أيضاً مثل الذين يتقاضون رواتب مقابل عملهم وهى لا تكفيهم أو كان مالهم أو كسبهم لا يفى بحاجتهم فعلى من تجب عليه نفقتهم حينئذ أن يكمل لهم قدر ما يكفيهم حسب العرف وعادة أمثالهم وأمثاله ، وكذلك نفقة الزوجة على زوجها فانها لا تجب على الزوج إذا أنفقت عليها الدولة باعتبار أنها صاحبة الولاية العامة وانفاقها بهذه الصفة يسقطها عن الزوج وإن كانت نظير الاحتباس لحقه .

وعن السؤال السادس :

فى شأن إتفاق الزوجين ـ قبل العقد أو بعده وخلال مدة الزوجية ـ على أنه فى حال وفاته أو عند فراقهما بالطلاق يكون لها نصف ماله ويقصد بهذا أن يكون نصف المال مهراً لها .

فإنه لما كان مهر الزوجة يثبت فى ذمة الزوج بالعقد الصحيح ويتأكد جميعه لها بالخلوة الصحيحة الشرعية بها أو بالدخول بها والمعاشرة الزوجية فعلاً أو بوفاة أحدهما صح هذا العقد ويعتبر تحديداً للمهر بنصف ماله وقت الفرقة بالموت أو بالطلاق .

وذلك لقوله تعالى فى سورة النساء :

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾(٤٧) .

وقوله سبحانه فى ذات السورة :

﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ ﴾

وقول الرسول ـ ﷺ ـ : « **من كشف خمار امرأة ونظر إليها وجب عليه الصداق دخل بها أو لم يدخل** »(٤٩) .

وقد انعقد اجماع المسلمين من عهد الرسول ـ ﷺ ـ على وجوب المهر على الزوج لزوجته بمجرد العقد الصحيح .

وتأكيد المهر بالخلوة ثابت بقوله تعالى فى سورة النساء(٥٠) :

﴿ ... وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٢٠ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾

وأنما يتأكد المهر بالموت بعد عقد الزواج لأن المهر وجب بالعقد وجوباً محتملاً للسقوط كلاً أو بعضاً ، فإذا حصل الموت استحال وقوع ما يسقطه فتقرر الوجوب ، ولم يعرف الموت فى الشرع مسقطاً للحقوق الواجبة .

وعن السؤال السابع :

بشأن بيان حكم طلب المرأة من زوجها مبلغاً من المال نظير قيامها بخدمة البيت والأولاد ، ودليل ذلك . وهل فى الأمر خلاف فقهى ؟

---

(٤٧) من الآية رقم ٤ .

(٢٨) من الآية رقم ٢٤ .

(٤٩) رواه الدارقطنى عن محمد عبد الرحمن بن ثوبان ـ المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٦٦ .

(٥٠) من الآية رقم ٢٠ .

فقد نقل ابن حبيب فى الواضحة : حكم النبى ـ ﷺ ـ بين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وبين فاطمة ـ رضى الله عنها ـ حين اشتكيا إليه الخدمة ، حيث حكم على فاطمة بالخدمة الباطنة ـ خدمة البيت ـ وحكم على علىٍّ كرم الله وجهه بالخدمة الظاهرة ـ خارج البيت .

ثم قال ابن حبيب : والخدمة الباطنة العجين والطبخ والفرش وكنس البيت واستقاء الماء وعمل البيت كله .

وقد روى هذا فى الصحيحين .

كما صح عن اسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما قولها :

كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ـ كان له فرس وكنت اسوسه وكنت أحش له وأقوم عليه .

كما صح عنها انها كانت تعلف الفرس وتسقى الماء وتخرز الدلو وتعجن وتنقل النوى على رأسها من أرض على ثلثى فرسخ .

ومن ثم فقد اختلف الفقهاء فى ذلك :

فأوجب طائفة من الخلف والسلف خدمة الزوجة زوجها فى مصالح البيت ، وقال أبو ثور : عليها أن تخدم الزوج فى كل شىء ومنعت طائفة وجوب الخدمة عليها فى شىء .

وممن ذهب إلى عدم الوجوب أبو حنيفة ومالك والشافعى وأهل الظاهر وقالوا أن عقد النكاح انما اقتضى الاستمتاع لا الاستخدام وبذل المنافع .

ومن أوجبوا على الزوجة الخدمة قالوا : بأن هذا ـ أى وجوب الخدمة عليها ـ هو المعروف عند من خاطبهم الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٥١)

وقوله تعالى فى سورة النساء :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٥٢) . وإذا لم تخدم المرأة زوجها ، بل كان هو الخادم لها ، كانت هى القوامة عليه ولأن كُلًا من الزوجين يستمتع بالآخر ، وقد أوصى الله بنفقتها وكسوتها ومسكنها على زوجها فى مقابل احتباسها لحقه ومنفعته بالخدمة ، وان هذا هو ما جرى فى عادة الأزواج .

ولأن العقود المطلقة انما تنزل على العرف ، والعرف خدمة المرأة وقيامها لصالح البيت الداخلة ، ولقد قسم الرسول ـ ﷺ ـ العمل بين علىٍّ وفاطمة وأقر سائر أصحابه على ما جرى به العرف والعمل من خدمة الزوجة لزوجها .

وظاهر من المقارنة بين الفريقين أن قول القائلين بوجوب الخدمة عليها أولى وأحق بالاتباع فإن العرف فى الشرع له اعتبار وعليه الحكم قد يدار لا سيما وقد قال الله ـــ سبحانه ـــ فى سورة الطلاق :

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾(٥٣) .

فإذا وجبت عليه الخدمة أو أجرها مطلقاً كان عسراً وتكليفاً بغير ما آتاه الله .

---

(٥١) من الآية رقم ٢٢٨ . (٥٢) من الآية رقم ٣٤ . (٥٣) الآية رقم ٧ .

ومن ثم :

فإن طلب المرأة قدراً من المال من زوجها نظير خدمتها فى البيت لا سند له من نصوص القرآن والسنة ، ولا اجماع أو قياس صحيح .

والصحيح أن على الزوجة أن تقوم بخدمة البيت والأولاد والزوج فى داخل بيتها ، بل وربما فى خارجه كما كانت تفعل اسماء مع زوجها الزبير بن العوام ــ رضى الله عنهما ــ ومهما تنوعت هذه الخدمة وفى حدود طاقاتها وقدراتها(٥٤) .

وعن السؤال الثامن :

فى شأن بيان الحكم فيما تدفعه الزوجة من راتبها لسد الحاجات بسبب عدم كفاية راتب زوجها ، وفيما تدفعه من أقساط سداداً للقرض الذى على زوجها بسبب شراء دار له ، وفيما يدفعه الأولاد أيضاً من أقساط مساعدة فى سداد القرض الذى عليه بسبب شرائه هذه الدار ، فإنه إذا قامت الزوجة بدفع جزء من راتبها لسداد الحاجات التى تلزم الزوج ولسداد بعض أقساط القرض الذى لزمه لشراء دار له ، وشرطت حق الرجوع عليه إذا أيسر كان ما دفعته ديناً عليه يلزمه قضاؤه لها عند ميسرته ، أما إذا دفعته على سبيل الهبة والتبرع طيبة به نفسها فليس لها حق الرجوع عليه بشىء من ذلك باعتباره هبة ومن موانع الرجوع فى الهبة : القبض ، لقول الرسول ـ ﷺ ـ :

« لا يحل مال أمرىء مسلم إلا بطيب نفسه »(٥٥) .

ومما يدل على التنفير من الرجوع فى الهبة قول الرسول ـ ﷺ ـ :

« العائد فى هبته كالكلب يقىء ، ثم يعود فى قيئته »(٥٦) متفق عليه .

وليس للأولاد أيضاً حق الرجوع على أبيهم بشىء من هذه الأقساط إذا دفعوها إليه لسداد القرض الذى لزمه ثمناً لشراء دار له ؛ لأن سداد تلك الأقساط من جانبهم يعتبر من قبيل الاحسان إلى والدهم ومصاحبته بالمعروف المأمور بهما فى قوله تعالى :

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾(٥٧) .

وفى قوله :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(٥٨) .

وبخاصة إذا كانوا موسرين ، ووالدهم فى حاجة إلى السكنى وسد حاجاته فهى إذا من قبيل النفقة الواجبة عليهم لأبيهم « طعامــاً » وكسوة وسكنى .

ولقوله ـ ﷺ ـ للرجل الذى قال له : يا رسول الله إن لى مالًا وولداً وإن أبى يريد أن يجتاح مالى فقال : « أنت ومالك لأبيك »(٥٩) .

وعن السؤال التاسع :

بشأن راتب البنت والابن ـــ الموظفين ـــ لمن يكون شرعاً : فإن راتب كل منهما حق له إذ هو فى مقابل عمله لقوله ـ ﷺ ـ : « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »(٦٠) . فهو كسب شخصى يملكه بمجرد قبضه .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٥٤) زاد المعاد لابن القيم جـ ٤ ص ٤٦ ـ ٤٧ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(٥٥) رواه الدارقطنى ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٥ ص ٣٢٦ .

(٥٦) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ـ حديث رقم ١٤٠٧ ـ ص ٣٩٧ ـ جمع محمد فؤاد عبد الباقى .

(٥٧) من الآية ٨٣ من سورة البقرة .

(٥٨) من الآية ١٥ من سورة لقمان .

(٥٩) رواه ابن ماجة ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٦ ص ١١ .

(٦٠) رواه ابن ماجه عن ابن عمر ، ورواه أبويعلى عن أبى هريرة ورواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ١ ص ٦٣٤ .

مع
سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿...وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

أورد المفسرون عدداً من الأقوال فى المعنى الذى يستفاد من جملة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾

وكلها ترجع إلى معنى الحول اللغوى ، وهو مصدر حال يحول ، والحول : تغير الشىء ، وهو ــ أيضاً : الفصل بين شيئين ، أو انفصال الشىء عن غيره .

يقال : حال الشىء يحول أى : تغير عما كان عليه ، ومنه :

لعمرى لقد حالت بك الحال بعدنا .
لئن كان إياه لقد حال بعدنا
عن الأمر ، والإنسان قد يتغير

ويقال : أحالته السنون ، أى : حولته عما كان عليه وغيرته .

ومما جاء فيه بمعنى الفصل ، قوله تعالى : ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ .

فهى تعنى أن الموج فصل بين نوح وابنه . ومن الأقوال الدارجة : لا يحل بينك وبين الحق هوى ، أى لا تجعل هواك حائلاً بينك وبين الحق .

ولا نطيل فى ذكر المعانى اللغوية ، ولكن يكفى ما تستخرج منه دلالة هذه الجملة .

قيل : إنها مجاز عن غاية القرب ــ قرب الله من العبد ــ لأن من حال بين شيئين ، ووقف بينهما كان أقرب لكل واحد منهما من الآخر ، ووقوف الله بين شيئين مستحيل ، ولكن لازمه يعنى القرب ، وهو صريح فى قوله تعالى:: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾

ويفهم من كلام ابن كثير أن التعبير استعارة تمثيلية ، أو هو مجاز مرسل مركب والمعنى على أى حال فى هذا التعبير أنه مجاز عن القرب ، ويلزمه أنه مطلع على أسراره وما يجول فى نفسه من خواطر .

وقيل : « يحول بين المرء وقلبه » يسلبه عقله فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً ، فالله هو الذى يملك قلبه فيوجهه كما يشاء ، ولهذا كان النبى ــ ﷺ ــ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .

وقال له بعض أصحابه : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟

قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله ــ تعالى ــ يقلبها » .

وجاء هذا الحديث فى رواية أخرى فيها : « ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ــ رب العالمين ــ إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » .

ومن هنا جاء وجه آخر فى الآية ، وهو إن الله ــ سبحانه ــ يحول بين قلب الشخص والكفر ؛ فيجعله مؤمناً ، وبينه وبين الايمان ؛ فيجعله كافراً ؛ ولذا يسأل المؤمنون الله تثبيت قلوبهم على الإيمان .

وعن السيدة أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ كان يكثر فى دعائه أن يقول : « اللهم مقلبَ القلوب ، ثبت قلبى على دينك ــ فقالت : يا رسول الله : أوَ إنَّ القلوبَ لتقلب ؟ قال : « نعم ، ما خلق من بشر من بنى آدم إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ــ عز وجل ــ فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى ، قال : قولى : اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى وأذْهِبْ غَيظ قلبى ، وأجرنى من مضلات الفتن ما أحييتنى » .

وجاء مثل هذا عن ابن عمر ، وعن أم المؤمنين عائشة ، وقد تزيد الألفاظ شيئاً أو تنقص ، ولكن مدارها كلها على أن القلوب فى توجهها إلى أعمالها إنما هى بيد الله خالقها وخالق كل شىء .

ولا يعنى هذا ولا يدلّ على أن هناك إجباراً للشخص على الكفر أو الايمان ، أو على الطاعة أو المعصية فكل امرىء له اختياره ، يعزم على عمل الشىء أيا كان نوعه ، معصية أو طاعة ، فلا يقدم على تنفيذ ما أراد حتى يشرح صدره له ، ويوجهه إليه ، وهو - سبحانه - يوجهه حسب نيته واستعداده ، وحسب إراداته .

وقيل إن الآية تعنى أن الله يحول بين المرء وقلبه بالموت ، وهو إذا مات لا يستطيع أن يعمل شيئاً ، فهى حثّ على المبادرة إلى عمل الخير قبل أن يحال بين الشخص وبين ما يريد . وهذا يتفق مع صدر الآية :

﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ -

فهى إذ طلبت الاستجابة إلى عمل الخير حثت على الاسراع إليه قبل أن يأتى الموت فيحول بين الشخص وهذا العمل .

قال صاحب المنار : « فهذه الجملة أعجب جمل القرآن ، ولعلها أبلغها فى التعبير » . وخلاصة ما ذكر فيها أن من سنة الله فى البشر أن يحول بين المرء وبين قلبه وقلبه هو المسيطر على إرادته ، فإذا حال بينه وبينه فقد المرء سيطرته على ارادته وعلى توجيه نفسه الوجهة التى يتراءى له الصلاح فيها ، وهذا ما يخافه المتقُون إذا غفلوا وفَرطُوا فى جنب الله ، كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف على نفسه إذا لم ييأس من روح الله فيها - فبينما يكون الشخص مستقيماً عابداً يطرأ له من الهوى ما يعصف بقلبه من الشهوات ، أو نزعات الشيطان فيضلل بها عقله ، ويهز اعتقاده ، فإذا هو بعد الهداية متبع للشيطان ، سائر تبعاً لهوى نفسه ، حتى لقد يتخذ له إلهاً من دون الله ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة الفرقان على أنه فى كل ذلك مختار لا جبر عليه .

وقصد الآية حينئذ - وهى خطاب للمؤمنين - نصحهم وتحذيرهم من طاعة الشيطان ، أو الغفلة من واجب الله نحوهم ، فإن الله يفصل بين المرء وبين ارادته فإذا سلبه هذه الصفة وهو لا يسلبها إلا إذا تمادى الشخص فى المعصية ، وغفل عن العبادة ، فلا إكراه عليه إذن ، ولكنه هو الذى أطاع شهواته وأذعن للشيطان .

وهذا يتفق ما توصى به التربية وما يعنى به علم النفس من تأثير البيئة والعادات والخضوع للغرائز ، أو ما يتسامى به منها أو يحسن به توجيهها .

ويتضح من الآية على أى حال تذكير الله - سبحانه - الطائعين من عباده بأن للقلوب تغيرات وللشيطان وساوس ، ولا يغتر الشخص بعبادته وطاعته ، فانه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . وحَذَّر المؤمنَ من الشيطان ، وتغيرات القلوب أحرى أن تجعله أثبت على إيمانه وأقوم بطاعة ربه .

وأكدت الآية ما ذكرته بالتذكير بأن المرجع للناس جميعاً والمصير النهائى لله رب العالمين . وقد جاءت آيات أخرى تنفر من اتباع الهوى حتى الأنبياء ، فقال الله - سبحانه - لنبيه داود - عليه السلام : يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

قال الراغب الأصفهانى : الهوى ميل النفس إلى الشهوة ، ويقال - أيضاً - للنفس المائلة إلى الشهوة ؛ لأنه يهوى بصاحبه ، ومنه ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ عن آيات الله ﴿ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

وفى القرآن أيضاً :

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً ﴾
﴿ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾.

والمراد من هذا السياق أن اتباع الهوى مما يغفل عن ذكر الله ، ويحول بين المرء وقلبه .

ونسأل - كما سأل رسول الله - مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على الإيمان وان يحول بيننا وبين الهوى .

والآية :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ متصلة بما سبق من الامر بطاعة الله ورسوله ــ فهي تعني أطيعوا الله واحذروا الوقوع فى الفتنة .

والفتنة من الفَتْن ، وأصله إدخال الذهب فى النار ليظهر جيده من رديئه ، واستعمل فى إدخال الإنسان فى النار ، ومنه : ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾

أى : عذابكم . وما يكون سبباً فى العذاب يسمى فتنة ، نحو : ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ .

أى : أوقعوا أنفسهم فيما ينشأ عنه عذابهم ، وتستعمل الكلمة ــ أيضاً ــ فى الاختيار والابتلاء ، وما يُدفعُ إليه الإنسان من الشدائد نحو : وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ، وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ، أى أن يوقعوك فى شدة وبلاء ، أو يضلوك .

وتصلح هذه المعانى فى آيتنا ؛ لأنها كلها لا تخلو من معانى الشر والابتلاء . وهى تقول للمؤمنين : خذوا لأنفسكم وقاية من حدوث أى فتنة ، إذا وقعت لا يقتصر ضررها على مثيرها وباعثى جذوتها وحدهم ، بل تأخذ الظالم والبرىء والمحسن والمسىء ، وهى من العبر والعظات التى تصيب الأمم والشعوب فيفطَنُ لها ذوو التقوى فيفيئون إلى الرشاد ، ويبعثها عادة تنازع الناس على المصالح العامة التى لا تخص الأفراد من شئون السياسة وتولى الملك ، وتطاحن الفرق الدينية .. فإذا تركت هذه المنازعات حتى تستفحل عادت على الجانبين بشرور كثيرة ، وأقرب الأمثلة إلينا هذه الحروب الطاحنة الدائرة بين الشعوب المعاصرة ، ولا ننسى الحربين العالميتين ــ ولم يكن مبعثهما إلا التنازع على السيادة ــ وقد أصيب فيهما أبرياء كثيرون لا صلة بهم بالحرب ولا يعرفون لها سبباً .

وحدثت هذه الفتن منذ القرن الأول الإسلامى ، وأولها فتنة عثمان ، ثم حرب الزبير وطلحة عليا يوم الجمل ، ثم كانت حرب الحسن ومعاوية ثم مصرع الحسين .

واعتبر الزبير بن العوام نفسه ومن معه هم المعنيين بهذه الآية ، وقال : إنا قرأنا على عهد رسول الله ــ ﷺ ــ وأبى بكر وعمر وعثمان هذه الآية ، ولم نكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت ، لقد قرأناها زماناً وما نرى أنا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها !

وإذا استطاع العامة أن يردوا الخاصة الذين يثيرون الفتنة خمدت الفتنة ، وعاد الأمن ، وقد أطفأت همة أبى بكر وحرصُه على معالم الدين فتنة حرب الردة ، كما أطفأت حكمة الحسن بن على تلك الفتنة الشعواء التى كانت بينه وبين معاوية .

وإذا سكت القادرون على إطفاء الفتنة وأغضوا عنها كانوا جديرين ان يَصْلَوْا نارها وفى الحديث : « ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك ــ أى لم ينكروا المنكر ــ عذب الله الخاصة والعامة جميعاً .

والفعل : لا تصيبن ــ جاء مؤكداً بالنون ، وهو إما جواب للأمر « واتقوا » ويقدر الكلام على المعنى الذى يقتضيه السياق ، فيكون التقدير : اتقوا فتنة إن وقعت لا تقتصر على الظالم وحده ولكنها تعمكم ، وإذا قدر شرط فتقديره إلا تتقوها ، ويجوز أن تكون الجملة صفة لفتنة ، أى : اتقوا فتنة لا يقتصر ضررها على الظالم وحده ، وأكد الفعل المنفى كما فى الآية :

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾ .

وقيل : « لا » هنا ناهية ، وهى صفة ــ أيضاً ــ على تقدير القول أى : فتنة مقول فيها لا تصيبن الذين ظلموا وحدهم ، ولا يعنينا أو نذهب طويلاً مع تقديرات النحو ، والمعنى واضح .

وختم الأمر والنهى بالتحذير من عذاب الله ، لأن الله شديد العقاب .

وبعد أن بين وأرشد تكون مخالفة أوامره ونواهيه عصياناً يستحق العقاب .

أهل العقل والحكمة
تشغلهم عيوبهم عن عيوب الناس

للشيخ : أحمد بن محمد طاحون

روى أبو هريرةَ رضى الله عنه أن رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال : « منْ حُسْنِ إسْلامِ المرءِ تركُه مالا يَعْنِيه »

رواه الترمذى وغيره

وفى الحديث الذى رواه أبو موسى قال : قلتُ : يارسولَ الله أىُّ المسلمين أفضل ؟ قال : « مَن سَلِمَ المسلمون مِنْ لسانه ويدِه »

رواه البخارى ومسلم والنسائى

إصـــلاح النفس :

إن المرء إذا حسُن إسلامه فهما وعملاً ومَسْلكا ، فإنه يُعْنَىٰ بإصلاح نفسه ، وبتكميلها بالفضائل ، ويَردعُها عن التقصير فى أداء الفرائِض والواجبات .. وإن أهل العقلِ والحكمةِ يُلازمهم شعوُر بالتقصير فى طاعة الربِّ ، وتَشْغَلُهم عيوبُهم عن مساوىء الناس ، ويحاسبون أنفسَهم قبل أم يُحَاسبوا ولا يُفتِّشون عن أحوال غيرهم، بل يَشْغلون العمْرَ بما يعود عليهم بالنفع والخير فى الدين والدنيا .

وقد حثَّ الرسول ـ ﷺ ـ أمتَه على أن يَشْغَلُوا أنفسهم بمعالى الامورِ عن سفْسافها ، والمؤمنُ إذا تدبَّر وصايا النبىَّ ـ ﷺ ـ لعلم أن كلامَ المرء من عمله ، وأنه محسُوبٌ له أن عليه ، وأنَّ المؤمن ينبغى له أن يحرصَ على تهذيب نفسه ، ومراقبتِها ، وأن يُعْنَىٰ بما ينفعه ، وبما تَصْلُح به أحوالُه ، فلا يخوضُ فيما لا يخصه ، ولا يبحثَ عن عيوب غيره ، ولا يتكلم إلا بخير ، ولا يُشاركَ أهلَ الغفلة فى لغْو الكلامِ وباطلِه وساقطِه مما لا منفعةَ فيه ولا خيرَ من ورائه .

المؤمن الحقُّ يوجِّه هَمَّه للعمل والقول الذى يَجِدُه فى ميزان حسناتِه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا من أتىٰ الله بقلب سليم .

وقد جاء عن أحمدَ وبعضِ أصحابِ السنن ، أن أبا ذَرٍّ قال : يارسولَ الله أوصِنى قال : « أُوصيك بتقوىٰ الله ، فإنها زَيْنٌ لأمرِك كلِّه ، قلتُ : يارسولَ الله زِدنى ، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكرِ الله — عز وجل — فإنه ذكرٌ لك فى السماء ونورٌ لك فى الأرض ، قلتُ : يارسولَ زِدنى ، قال : عليك بطول الصمتِ فإنه مَطْرَدةٌ للشيطان وعونٌ لك على أمر دينِك ، قلت : زِدنى ، قال : اياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه ، قلت : زدنى ، قال : قُل الحقَّ — أى الكلامَ الموافقَ للصواب والعدل — وإن كان مُرًّا ، قلت : زِدنى ، قال : لا تخفْ فى الله لومةَ لائم ، قلت : زِدنى ، قال : ليَحْجُزْك عن الناس ما تعلم من نفسك .

أى يمنعْك عن غِيبةِ الناس ، والاشتغالِ بعيوبهم وأحوالهم وأذاهم ما تعلمُه من عيوب نفسِك وتقصيرِك ، وأنك فى حاجة إلى التكميل والاجتهادِ فى الطاعة ، ومما يُعين الإنسانَ العاقلَ على ذلك كما بين النبىُّ — ﷺ — فى وصيته لأبى ذر أن يتقىَ المؤمنُ ربَّه ويخْشاه فى جميع أعماله ويراقبُه عند كلِّ قولٍ وعمل ، وأن يُقبل على تلاوة القرآن وتدبُّره ، وأن يكونَ لسانُه دوما رطباً بذكرِ الله عز وجل ، وأن يُمسِكَ لسانَه إلا عن القول النافع الطيبِ ، وأن يتمسَّك بالحق ويتجنبَ السخريةَ بالآخرين مع الإقبالِ دوما على تجميل النفسِ بالاستزداة فى الطاعات والتحلِّى بمكارم الأخلاق وتركِ الطعْنِ فى الناس وأكْلِ لحومِهم بالغِيبة والنَّميمة .

وفى الحكمة :

« على العاقل أن يكون بصيرا بزمانِه ، مُقبلا على شأنه ، حافظاً للسانه ، ومن حَسَب كلامَه من عمله قَلَّ كلامه إلَّا فيما يَعْنِيه » .

وقد سأل الصحابُى الجليلَ عقبةُ بنُ عامر رسولَ الله — ﷺ — عن النجاة ؟ فقال — عليه الصلاة والسلام : « أمسِكْ عليك لِسانَك ، ولْيَسَعْك بيتُك ، وابْكِ على خطيئتك »

رواه أبو داود وغيره

وفى الحديث الذى رواه ثوبان : « طُوبَىٰ لمن ملك لسانه ، ووسِعَه بيتهُ وبَكىٰ على خطيئته » .

أقوالنا وأعمالنا فى الميزان :

إن العمل الذى لا منفعةَ منه ولا قيمةَ له ضائعٌ على صاحبه ، وإن العمل الذى فيه معصيةٌ يكون شرًّا ووبالاً على مرتكبه ، وإن الأقوال تُوزن بميزان الأعمال ، وإن الإنسان إذا أمسك لسانَه عن الشرِّ والسوء وكان صادقا فى قوله حسنَ الكلام أحبَّه الناسُ واطمأنوا إليه ، ونال مرضاةَ الربِّ ، وإذا انصرف إلى بيته باذلا جُهدَه فى العناية به ، مقبلا على شانه ، موجِّها هِمَّته لإصلاح حاله ، وهو موقنٌ بأن العمر قصيرٌ ولا يجوز لعاقل أن يبددَه فى اللهو والاشتغالِ بعيوب الناس ، إن العبد العاقلَ إذا فعل ذلك والتفت إليه مع الندم على ما ضاع من عُمره والتوبةِ من الذنب ، وطلبِ المغفرة من الربِّ ، فإنه يكون أهلا لرحمةِ الله ، وعاش قريرَ العين مطمئنَّ القلب .

وقد بشَّر الحبيبُ المصطفى — ﷺ — أهلَ الإيمان الذين تَشْغَلُهم عيوُبهم عن عيوب الناس .. بشَّرهم بجنة النعيم فقال : « طُوَبىٰ لمَنْ شَغَلَه عيبُه عن عيوب الناس» .

رواه الديلمى عن أنس مرفوعا ، وأخرجه البزار عن أنس مرفوعا بسند حسن .

وعن الإمام مالك رضى الله عنه أنه : بَلَغَه أن عيسو عليه السلامُ كان يقول : لا تُكثِروا الكلاَم بغير ذكرِ الله فتقسُو قلوبُكم ، فإن القلبَ القاسىَ بعيدٌ من الله ، ولكن لا تعلمون ، ولا تنظُروا فى ذنوب الناسِ كأنكم أربابٌ ، وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد ، فإنما الناسُ مُبْتلىً ومُعَافىً ، فارحمُوا أهلَ البلاء ، واحمَدُوا الله على العافية» .

فالمؤمن العاقلُ لا ينظر فى ذنوب الناس مُعجباً بنفسه كأنه صاحبُ قدرة على شفاء هذه العيوبِ ويشغل قلبَه وفكرَه بذلك عن عيوب نفسه ، بل عليه دائما أن يرجُوَ رحمةَ ربِّه ، وأن يخاف من ذنبه ، وأن يتذلَّلَ لمولاه ، راجيا عفوَه وإحسانَه ومغفرةَ ذنوبه ، مفتِّشا عن طرق النجاة ، باحثا عن سبل الخيرِ وأسبابه .

وإن من أسباب انقطاع رحمةِ الله عن المرء ، أن يكونَ مِمَّن يُقحِمون أنوفَهم فيما لا يكون من مسؤولياتهم ولا علاقةَ له بتبعاتهم .

وفى هؤلاء يقول الحسنُ رضى الله عنه : «مِن علاماتِ إعراضِ الله تعالىٰ عن العبد شغلُه فيما لا يَعنيه» .

من حُسن التفكير :

إن المرء إذا حسُن إسلامُه واستقامت نفسُه ، وطهُرت سريرتُه ، وترك مالا يعنيه من الأقوال والأعمال ، أقبل على الطاعة ، وفرَّ من المعاصى ، واستحيا من الله عز وجل حقَّ الحياءِ أن يراه حيث نهاه ، وأن يَفْقِده حيث أمره ، والله عز وجل يقول لعباده ليراقبوه فى السر والعلانية :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ سورة ق

ولنتدبر قوله تعالى : «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ الزخرف

ومن النصائح الغالية لاهل العقلِ والحكمة ، ما جاء عن أبى ذَرٍّ فى صحيح ابن حبّان قال : «كان فى صُحف إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً علىٰ عقله أن تكونَ له ساعاتٌ : ساعةٌ يُناجى فيها ربَّه ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه ، ووساعةٌ يتفكَّرَ فيها فى صُنع الله تعالى ، وساعةٌ يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشْرب» .

السعى فيما فيه الصلاح :

وإذا نهض العبد للسعْى والضرْب فى الأرض فعليه كما قيل إنه جاء فى صحف إبراهيم ـــ عليه السلام «ألاَّ يكونَ ظاعِناً إلا لثلاث : تَزَوُّدٍ لمَعَاد ، أو حِرْفَةٍ لمَعَاش ، أو لذَّةٍ فى غير مُحَرَّم» ، وعلى هذا النحو يَقض أهلُ الإيمان أوقاتهم ، ويَشغلون أنفسهم فيما يَعنيهم وبما يعود عليهم بخير الدنيا والآخرة .

من سمات أهل العقل والحكمة :

ومما مدح الله به عبادَ الرحمن أنهم لا يتخوضُون فيما لا يعنيهم ، ولا يأكلون فى أعراض الناس يقول ـــ عز وجل ـــ فيهم : «وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ سورة الفرقان ، وقال فى المفلحين الناجين «وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» المؤمنون ٣

وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه العقيلى : «أكثرُ الناِس ذُنوبا أكثُرهم كلاما فيما لا يَعنيه» .

وسُئل لقمان عن سبب بلوغه الحكمةَ فقال : «صِدْقُ الحديثِ وطولُ السكوت عمَّا لا يَعنينى» .

سُئل صحابىٌ جليلٌ عند موته ، وكان وجْهُه يتهلَّل عمّا بلغ به هذه المنزلةَ فقال : ما مِن عَمَلٍ عندى أوثقُ من خصلتين : كنتُ لا أتكلَّم فيما لا يَعْنِينى ، وكان قلبى سَليما للمسلمين» .

وقال حكيم : كلامُ المرءِ فيمالا يَعنيه خِذلانٌ من الله ـــ عز وجل .

أما تركُ مالا يعنى المرء وفعلُ ما يَعنيه فإنه من كمال الإسلام وحُسنه ومن أمارات الحكمة ، وبُشْريات السعادة .

يقول ابن عمر : رأيت رسولَ الله ـــ ﷺ ـــ يطوف بالكعبة ويقول : ما أطيَبَكِ وأطيبَ ريحَك وما أعظمَكِ وأعظم حُرمَتكِ ، والذى نفسُ محمدٍ بيده لَحُرمةُ المؤمنِ أعظمُ عند الله حرمةً مِنْكِ : مالُه ودمِه وأنْ يَظنَّ به إلا خير» .

وفى الحديث : «كُلُ المسلم على المسلم حرام ... دمُه .. ومالُه .. وعِرْضُه»

وفى الحديث الذى رواه أنس : «لا يَستقيم إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه ، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه ، ولا يدخل الجنةَ رجلُ لا يأمن جارُه بوائِقَه» .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ

(الانعام/٨٢)

طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها

١

بقلم لواء ا ح د .
فوزى محمد طايل

مضى أكثر من مائتى عام منذ رزئت أمتنا بالغزو والاحتلال العسكرى الأجنبى ، وتفككت عرى وحدتها ، وأخذت تنحدر فى هوة التخلف السحيقة . وبعد أن بلغت الأمور مبلغا خطيرا صار يهدد أمن كل مسلم أصبح السؤال الذى يتردد على كل لسان : هل الى خروج من هذه الغمة من سبيل ؟

ولما كنت لا أشك فى أن كل مسلم ذا بصيرة قد صار على وعى بأبعاد المشكلة فإنى أكتفى بالقول : بأن الله تبارك وتعالى قد شاء أن تكون أمتنا أمة وسطاء ، وهى ليست ضعيفة من قلة فى النفر ، أو ندرة فى الموارد الاقتصادية والثروات ، ولكن الآفة تكمن فى « الانحلال الثقافى » ، « وتدنى الارادة » ، لذا قد يكون من المفيد أن أتوجه مباشرة إلى بسط ما أقترحه من حلول أتصور أنها .. سبيل الخروج مما نحن فيه :

أولا : النهضة الثقافية :

فما من حضارة على مر التاريخ إلا وكانت الثقافة لحمتها وسداها وكانت النهضة الثقافية هى نقطة البدء فيها ، وما تشوهت ثقافة أمة إلا وانهارت حضارتها .

وعلى الرغم من غموض كلمة « ثقافة » بسبب ضيق معناها اللغوى ، والتعدد الكبير لمفهومها الاصطلاحى ، فإنه يمكن الخروج من استقراء هذا كله بتعريف يكون اساسا نبنى عليه فكرتنا هذه ..

« فالثقافة » « Culture » على أختلاف فى النطق بين اللغتين الانجليزية والفرنسية هى : « المعرفة والتكوين العقلى والمزاج النفسى ، والاعتقاد فى منظومة للقيم بعينها (هى منظومة القيم الاسلامية بالنسبة لأمتنا) ، يضبط عليها السلوك الانسانى ، وتتخذ على أساسها القرارات فى كل المستويات ، ويميز بها الانسان الخبيث من الطيب » .

والثقافة هى العنصر الاكثر حسما فى بناء وحماية ونمو « المجتمع » وهى الصياغة المثلى للعلاقــات الاجتماعية والتعبير متعدد الجوانب عن منظومة قيمه ، التى تعد بمثابة « العمود الفقرى » لمنهاج حياة المجتمع ، وأحد أهم محركات السلوك الانسانى .

والثقافة فضلا عن هذا عنصر حسم متعدد يشكل إطار العلاقات بين الأمم ، بل إن هناك رباطا وثيقا بين الثقافة وأمن الامة ، لذا تستهدف كل أمة النيل من ثقافة الامة المعادية لها ، وهذا ما اعتدنا تسميته « الغزو الثقافى » .

وقد أكون ممن لا يعتقدون فى فكرة « الغزو الثقافى هذه » فالامة ذات الثقافة الصحيحة ، المتمسكة بمنهاج الله وشريعته ، الحافظة لمنظومة قيمها لا يجدى معها محاولات النيل منها فى حين تفرط الامة المهزومة فى ثقافتها وتحاول التشبه بغيرها ظنا منها أنها بهذا ستنهض من كبوتها وتستعيد سابق مكانتها .

ورحم الله العلامة الاسلامى « عبد الرحمن بن خلدون » الذى شخص هذا المرض الاجتماعى ووصفه وصفا دقيقا ، وصاغ نتائجه فيما يشبه القانون ، فأفرد لذلك فصلين من « مقدمته » عنون لأولهما بقوله : « فى أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده » ويرجع « ابن خلدون » ذلك لسبب نفسى اجتماعى قال عنه :

والسبب فى ذلك أن النفس تعتقد أبدا الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه ، إما لنظيره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه ، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى إنما هو لكمال الغالب ..

ثم يفصل ابن خلدون سوء عاقبة الأمة التى تتنازل عن ثقافتها وما فيها من قيم فيقول عن هذا التشبه : إنه « لا يعود على الامة المغلوبة بعصبية أو قوة بأس ، وانما يجعلها أمة تابعة بالضرورة تنظر للأمة الغالبة نظرة الرعية للملك ، أو المتعلمين للمعلم ..

ويضيف بعد ذلك قائلا : يحصل فى النفوس التكاسل ويقصر الأمل ، ويضعف الاعتمار وتتلاشى المكاسب والمساعى ويعجزون عن المدافعــة عن أنفسهم ، ويصبحون مُغلبين لكل متغلبٌ وطعمه لكل آكل . الخ .

أو ليس هذا هو واقع حال أمتنا بعد أن ترددت بين مناهج وقيم الديمقراطية الغربية « تارة » و« الاشتراكية الماركسية الملحدة » تارة أخرى ، وبعض قادة الفكر والرأى فينا بين مهزوم أمام قيم الآخرين ، ومبهور بها ، غير مدرك أن أيا من المنهاجين يستبعد بالضرورة منهاج الاسلام وقيمه نتاج الحضارة « النصرانية/اليهودية » التى ابتكر فلاسفتها هذه النظم الوضعية لكون هذين المنهاجين حلا مشكلات مجتمعاتهم !!

يقول الله تبارك وتعالى : « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ سورة المائدة

هذا وتعد « منظومة القيم الاسلامية » كما سبق أن أشرت ــ هى عماد الثقافة الاسلامية ، وهى فى نفس الوقت حجر الأساس الذى يبنى عليه المجتمع المسلم ، وعلى قدر تفهم المسلمين لمضمونها وتمسكهم بها تكون قوة مجتمعهم وصلابته « فمنظومة القيم الاسلامية » فى الحقيقة ما هى الا الدين القيم ، والصراط المستقيم الذى هدى الله تعالى به رسوله والمؤمنين يقول ــ تعالى :

قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ سورة الأنعام

والمجتمع لا يوصف منذ البداية بأنه « مجتمع إسلامى » ما لم يكن قائما على هذه المنظومة من القيم الإسلامية ، حتى ولو كان الناس يؤدون العبادات الإسلامية الخالصة وذلك أن الإسلام لا يقوم فقط على علاقة الإنسان بربه بل هو كل متكامل العناصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمعنوية ولا غرو فمعيار التفرقة بين الأمم والمجتمعات هو منظومة القيم هذه (عناصرها ، ومضمونها ، وطريقة وضعها موضع التطبيق) .

« ومنظومة القيم » تنقسم الى :

« قيم رئيسية » ، أو « أساسية » ، أو « عليا » ، تحكم كل مجالات الحياة ، وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشكل لم يعد يقبل النسخ أو التعدل ، لتمام الوحى وكمال الدين ، جاءت بوضع يجعل منها فريضة ، أو أمرا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة وهى : العلم ، والايمان ، والعمل ، وتكريم الانسان ، ووحدة الأمة ، والعدل ، والشورى .

و « قيم فرعية » تعد من قبيل تمام مكارم الأخلاق ، وتحسين العلاقات الاجتماعية .. وهى أكثر من أن تحصى فى هذا المقام .

لذا أكتفى بذكر « القيم الاسلامية العليا » ، وتحديد « مضامينها » كما جاءت فى كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ ثم أفرغ الوسع فى بذل الجهد لاستخراج الاسلوب المناسب لتطبيق هذه القيم العليا فى زماننا وفى ظروف مجتمعاتنا . وهذا عمل كاشف عن جوهر هذه القيم ، وليس منشئا ، كما أنه ليس من قبيل الرأى المطلق غير المستند إلى دليل شرعى .

١ ـ العلم :

وهو أعلى القيم الإسلامية على الإطلاق ، فبه تعرف وحدانية الله تعالى ، إذ يقول : « شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨) (ال عمران/١٨) .

وتفضيل ادم بالعلم جاء سابقا على أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم (البقرة/٣١ ـ ٣٤) . وبالعلم يرفع الله تبارك وتعالى عباده (المجادلة/١١ ـ الزمر/٩) .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » (إحياء علوم الدين ـ ٨/١) ، وفيما رواه الترمذى عن أبى أمامة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال

ـ « فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » .

قد يقول قائل : وبم يتميز منهاج الاسلام إذا كانت كل النظم الوضعية تجعل العلم قيمة عليا ؟

والاجابة يسيرة ، فليست العبرة بالمسميات ، لكن العبرة بالمضمون والفحوى :

فجامع العلم عندنا ومنبعه الأصيل هو القرآن الكريم الذى تعهد رب العزة بحفظه دون سائر كتبه ، وتعهد العلماء من غير المسلمين بأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وحسبنا أن نورد هنا ما قاله « موريس بوكاى » MAURICE BUCAILLE فى دراسة له بعنوان « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » (النسخة الفرنسية ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥/) : « لقد أثبت هذا البحث بالدليل الواضح أن النصوص المقدسة التى بين أيدينا (يقصد النسخ المتداولة حاليا من التوراة والانجيل) تحتوى على أمور تخالف الحقيقة بشكل يمس مصداقيتها .. وربما كان ذلك راجعا إلى ظروف وأسلوب تدوين هذه النصوص .. ولا يمكن للباحث إلا أن يقرر أن كثيرا من الأمور التى بسطها القرآن وكان لها بعد علمى تدل على أن القرآن ليس من عمل البشر بالنظر الى الظروف العلمية التى كانت سائدة فى العصر الذى عاش فيه محمد ـ ﷺ ـ ولا يوضح لنا هذا الامر أن القرآن موحى به من عند الله فحسب بل ن ما جاء فيه من هذه الحقائق العلمية تعتبر بمثابة دليل على مصداقيته . تلكم الحقائق التى وقفت أمام الانسان على مر العصور متحدية قدرته على تفسيرها » .

وفضلا عن هذه الخصوصية لمضمون قيمة العلم فى الإسلام . فإن العلم فى الإسلام لا حدود له . يقول الله تبارك وتعالى :

« وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) » (النجم) ،

ويقول جل شأنه : يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (الرحمن/ ٣٣) .

بل إن أعمال الفكر ، والدراسة التجريبية التى لا تقف عند حدود فريضة فى الاسلام شهد لها الكثير من النصوص ومنها قول الله ــ تبارك وتعالى : « أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ (الحج/٤٦)

وقوله تعالى :

إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ (الإسراء/٣٦) .

أضف الى ذلك أن الله ــ تبارك وتعالى بسط لنا فى القرآن الكريم أمورا فى غاية الخطورة والحساسية : كمسألة وجوده وقدرته على الخلق ، ووحدانيته ، وصحة رسالة محمد ــ ﷺ ــ ، وبدء الخليقة ، والموت والحياة والنشور ... الخ وهى أمور كانت معلقة تماما أمام العلماء الأوربيين ، لأن الكنيسة كانت تحتكر فهم النصوص الدينية ، وتضع حدودا على الفكر والتعليم والنظر فى ملكوت الله ، فأخترع أصحاب الديمقراطية الغربية « فكرة العلمانية» التى تفصل بين العلم والتعليم الدينى من ناحية ، وبين العلم والتعليم الدنيوى من ناحية أخرى .. وقد سار الماركسيون شوطا أبعد من هذا فاستبعدوا الدين كلية من حياتهم ، وجحدوا سنة الله ، وجعلوا العلم ماديا بحتا ، ونسبوا كل الظواهر العلمية الى الطبيعة والى الصدفة .

إن من خصوصية مضمون العلم فى الاسلام « وحدة العلم » ووحدة مصدره فإن الله تعالى هو الذى « عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » (العلق/٥) ، فلا علمانية فى الاسلام ، ولا إلحاد ومن ثم كان من الضرورى « توحيد النظام التعليمى » فى المجتمع الاسلامى فلا ينبغى أن يكون هناك تعليم عام وتعليم دينى .

ومن خصوصيات مضمون « العلم » فى الاسلام ــ تبعا لكونه من عند الله تعالى ــ أن هناك بعدا إلهاميا ، أو كشفيا ، أو استشراقيا يختص الله به بعض عباده إذ يقول سبحانه « يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ (البقرة/٢٦٩) وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ (النساء ١١٣) .

ويقول جل شأنه : .. نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم » (يوسف/٧٦) .

وقد اوضح الله تعالى لنا هذه الخصوصية بمثل واقع إذ قال : وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا .. » (الانبياء/٧٨ ــ ٧٩) .

إن خصوصية مفهوم العلم فى الاسلام ، وضرورة نقل العلم عن الإمام تشكلان معا ، معادلة صعبة ، لا يمكن حلها الا « بأسلمة العلوم » ، أى النظر اليها عند نقلها . بمنظار الشرع ، ووزنها بميزان الاسلام ، ومراعاة التوجيه الاسلامى لتلك العلوم حتى لا تتشوه قيمة العلم عندنا ، وهى أعلى قيم الاسلام على الإطلاق .

٢ ــ الإيمان :

إن من الطبيعة الفطرية للانسان أن يكون مؤمنا بقدرة تعلو قدرته ، وبنظام وترتيب وسنة تأتى من خارج ذاته ، وعليه أن يخضع لها ، وأن يسير فى منهاج حياته على مقتضاها .. فقيمة « الايمان » ، هى قيمة عليا عند المسلمين وغيرهم .

يقول الله تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (لقمان/٢٥) .

ومع ذلك فإن مضمون « الايمان » فى الاسلام هو مضمون خاص أوجزه الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ إذ كان جالسا وبعض الصحابة عند رسول الله ــ ﷺ ــ فخرج عليهم « جبريل » ــ عليه السلام ــ فى صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، وسأل رسول الله ــ ﷺ ــ : اخبرنى عن الاسلام .. فلما أخبره قال : فأخبرنى عن الايمان قال : أن تؤمن

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .. قال صدقت .. » .. وهذا المفهوم الشامل الجامع المانع « للايمان » لا يوجد لدى أى مجتمع خارج المجتمع الاسلامى ، كما أن للايمان درجة عليا هى « الاحسان » عبر عنها الحديث النبـوى الشريف سالف الذكر عندما سأل جبريل ــ عليه السلام ــ رسول الله ــ ﷺ ــ فأخبرنى عن « الاحسان » . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. » فأى درجة من درجات الضمير الانسانى أعلى من هذه الدرجة ؟ وأى أجر عظيم هذا الذى ينتظر المحسنين » ، الذين يتقنون أعمالهم ، ويقصرون أنفسهم على الامتثال لكل أوامر الله تعالى فى كل خطوة من خطوات حياتهم !

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ سورة آل عمران

وللايمان فى عقيدتنا الاسلامية بعد غيبى ، ينكره من عداهم من الامم ، هو بعد يخرج من الملة كل من انكره . يقول الله تبارك وتعالى : الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ (ســورة البقرة)

ولا يظنن أحد أن الايمان بالغيب منفصل عن الامور المادية المحسوسة من أمور الاقتصاد الى القتال فى سبيل الله ، فالرزق بيد الله وحده ، وهو الذى ينزل الغيث ، وهو فالق الحب والنوى ، وهو منشىء الشجر ومسير الرياح ويسوق السحاب الى الارض الجزر فتنبت .

والايمان بالغيب يقتضى التوكل على الله حق التوكل ، ومن مقتضاه رفض الأفكار المادية للاقتصاد « الماركسى » و « الرأسمالى جميعا ، خاصة ما يقرره هذا الأخير من أن الموارد محدودة وحاجات الانسان غير متناهية ، وما جاءت به نظرية « مالتس » للسكان أو ما يسمونه ضبط المواليد BIRTH CONTRO ، لان الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يكلهم لغير قدرته إذ يقول جل شأنه « يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون » (فاطر/٣) ويقول سبحانه : « وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ

إن من تمام « الايمان » ، كقيمة عليا .. ألا يتخذ المسلمون ــ من غير منهاج الاسلام ــ منهاجا ، ومن غير شرعة الله قانونا يمارسونه فى مجتمعاتهم ومن تمام الايمان التحلى بمكارم الاخلاق ، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وكل هذا بمعيار الاسلام ؛ لأن هذه الأمور تختلف من مجتمع لآخر بحسب اختلاف مضمون ومفهوم الايمان .

إن من المشكلات المعــاصرة التــى وضع لها « الايمان » حلا حاسما مشكلة « الولاء » فولاء المؤمنين لا يكون إلا لله ولرسوله ولمجتمع المسلمين يقول الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ سورة المائدة

وقد حذر الله تبارك وتعالى من مخالفة هذه القاعدة فى الشئون الخاصة به وغيرها فقال جل شأنه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة) .

وقال سبحانه : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ سورة المائدة

هذا ولا يقف الايمان عنـد حدود الوجـدان ، فالايمان لابد أن يقر فى القلب وأن يظهر فى صورة مادية خارجية هى « العمل » .

(يتبع ــ ٢)

الصحابى
الإمـــام
المفترى عليه

عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه

للأستاذ الدكتور عبد المقصود نصار

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أميه ولد بالطائف[1] بعد ولادة الرسول ﷺ بخمس سنين تقريبا ، وكان أبوه صاحب تجارة رابحه فترك ثروة صخمة لعثمان تاجر فيها فأعانته على القيام بجليل الأعمال فلم يحس بشظف العيش فى طفولته أو صباه :

وأُمُهُ (أروى) وأمها (البيضاء) بنت عبد المطلب عمة النبى ـ ﷺ ـ فعثمان بهذا أموى وفى عرقه لأمه دَمّ هاشمى[2] . وكان ـ رضى الله تعالى عنه ـ نشأ نشأة ثراء ، وخفض من العيش وشب على كريم

---

* الكاتب أستاذ التاريخ ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر الأسبق .

(١) الطائف كانت ولاتزال روضة الحجاز يقصدها سراة قريش للرفه ، فهواؤها جميل ، وفاكهتها موفوره وهى المصيف لسكان شبة الجزيرة العربية .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ١٩٦ ـ ومروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٢٤١ .

السجايا وحسن السيره محسنا إلى أهله فأحبوه حبا جما مما جعله مضرب الأمثال .

« أحبك والرحمن حب قريش عثمان »

ساعد على ذلك أنه كان جميل الوجه حلو الشمائل ، وقد أجمع واصفوه على صفتين لازمتين له هما: السخاء والحياء .

أما إسلامه فقد أقامت أسرته الحواجز بينهم وبين النبى — ﷺ — ومعلوم من التاريخ أن المنافسة بين بنى أميه وبنى هاشم كانت على أشدها وخاصة قبل الإسلام فلما أسلم عثمان غضب قومه لإسلامه ، وصب عمه الحكم جام غضبه عليه ، وأوثقه بالرباط ، إلا أن عثمان صبر حتى يئس منه عمه فأخلى سبيله .

وتلك قصة إسلامه أخرج ابن عساكر أنه قال : لقد حدث أبو بكر عثمان عن الإسلام ، وعن عقله وبصره بالحق من الباطل ، ثم عرض عليه أن يقصد الرسول — ﷺ — فلما دخلا عليه — ﷺ — قال — صلوات الله عليه — لعثمان : أجب الله إلى جنته ، وإنى رسول الله إليك وإلى خلقه ، فأسلم عثمان ، فكان من السابقين ، وسنة قد جاوز الثلاثين — والأمر الذى يشار إليه في إسلامه أن أبا بكر الصديق لم تكن له كبوة لما دعاه الرسول إلى الإسلام — وكذلك عثمان لما دعاه أبو بكر إلى الإسلام فقد أجابه من غير تردد .

وكان — رضى الله عنه — من خصائصه السخاء ، لقد اشتهر الأمويون بالتجارة والحرص على المال — أما عثمان وهو من عليتهم وكبار تجارهم فانه لما أسلم لم يكن له من شهرة إلا السخاء ، والتاريخ يحدثنا عن إسهامه فى الإعداد لجيش العسره ، وشراء بئر يستقى منه المسلمون بدون ثمن ، وشراء أرض لتوسعة مسجد رسول الله — ﷺ — والبّر بالقريب والبعيد ، وما قدم للمسلمين فى عام المجاعة ، فقد روى عن رسول الله — ﷺ — أنه خطب فحث على جيش العسره[1] فقال عثمان : علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان : على مائة أخرى ، بأحلاسها وأقتابها إلى أن قال الراوى وأخرجه البيهقى وقال : ثلاث مرات وأنه التزم بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها[2] ، قال عبد الرحمن الراوى فأنا شهدت رسول الله — ﷺ — يقول : وهو على المنبر « ماضر عثمان بعدها » أو قال « بعد اليوم » كذا فى البداية ج ٥ ص ٤ ، وأخرجه أبونعيم فى الحلية ج ١ ص ٥٩ بنحوه[3] . وفى بعض الروايات « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت » .... إلخ .

ومن صفاته التى تميز بها — الحياء

فقد روى عن أم المؤمنين عائشة — رضوان الله عليها — أنها قالت : « كان رسول الله — ﷺ — مضطجعا فى بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله — ﷺ — وسوى ثيابه ، قال محمد — وهو من رواة الحديث — ولا أقول ذلك فى يوم واحد — فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش[4] له ولم تبال ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبال ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة .

وفى رواية أخرى تقول : إن رسول الله — ﷺ — قال : « إن عثمان رجل حيىّ أو إنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إلى حاجة » فالحياء من خصائص عثمان يؤيد هذا حديث رواه ابن ماجه قال فيه الرسول — ﷺ — « أرحم أمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقضاهم على بن أبى طالب »[5]

---

(١) لغزوة تبوك ضد الروم فى شمال شبه الجزيرة العربية — وكان ذلك فى وقت حرّ وشدة جدب وعسره ، كما قدم — رضى الله عنه — ألف دينار ومطايا وأطعمة للمجاهدين .

(٢) الحلس مايوضع على ظهر الدابه تحت الرحل والقتب الرحل — هامش حياة الصحابة ، ج ٢ ص ١٥١ ومختار الصحاح ص ١٤٩ .

(٣) حياة الصحابة المرجع السابق ج ٢ .

(٤) يقول النووى فى شرح حديث صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٦٩ تهتش ، وقال أهل اللغة الهشاشه والبشاشة بمعنى طلاقة الوجه . وفى مختار الصحاح ص ٦٩٥ تهش بالفتح إذا خصّه إليه وارتاح له .

(٥) ج ١ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

وإن مثل ذلك الحياء البالغ مداه فى خلائق عثمان يبلغ مداه يوم يكون أميرا على المؤمنين ، ثم يواجه بالثائرين ، وقد خلعوا برقع الحياء لرجل بلغ به خلقه أن استحيا من مواجهة الثائرين ، ولو فعل لما كان ما كان ، ولكن الله ـــ تعالى ـــ بالغ أمره ، بحياء عثمان ، ورحم الله تعالى «على بن أبى طالب» فقد قال : ذلك امرؤ يُدْعَى فى السماء ذا النورين ، وكل المؤمنين يسعى نورهم بين أيديهم يوم القيامة إلا عثمان فإنه يسعى بين نورين .

يقول الأستاذ العقاد فى كتابه عن عثمان ـــ رضى الله عنه [1] : تؤمن فى الحق أنه ذو النورين . نور اليقين ونور الأريحة والخلق الأمين وفيه رويات كثيرة حول هذه التسمية . منها أن النبى ـــ ﷺ ـــ قال فيه : «نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض» : ولأنه أيضا كان متزوجا من بنتى رسول الله ـــ ﷺ ـــ السيدة رقية ، ثم أختها أم كلثوم بعد وفاة رقية ٢ هـ .

كما أنه كان ملازما للرسول ـــ ﷺ ـــ لم يفارقه إلا للهجرة إلى الحبشة تاركا تجارته دون نظر إلى مايلحقها من كساد ـــ كما كان سفيرا للرسول ـــ ﷺ ـــ إلى مشركى قريش للتفاوض حول موقفهم من منع رسول الله وصحبه من العمره فى الحديبية ـــ وإن مصاهرته للنبى ـــ ﷺ ـــ كان لها فى حياته العامة والخاصة الأثر الكبير .

أما إسلامه المبكر ـــ وهو فى قوم تأخروا فى الإسلام . بل كانوا كلهم على الشرك يوم إسلامه ـــ فيعتبر من أهم مميزاته :

خلافته : وقد شاء الله تعالى أن يُطعن عمر فى بطنه ـــ إلا أن عقله ظل يؤدى وظيفته على أكمل وجه فى كل ماصدر عنه ، وما ينبغى أن نقول ـــ لو ـــ ولكن ما أكثرها فى التاريخ فعلى طريقته نسأل : هل لو شاء الله تعالى لعمر أن ينظر فى أمر المسلمين وجسمه خال من العلة كان قد فعل غير ماتم على يد الستة من اختيار عثمان ؟

الجواب : لايكون إلا فيما عُرف من سيرته الحافلة ببعد النظر والإحساس بالمسئولية ـــ وأخيرا ـــ بعد صلاة فجر اليوم الثالث من وفاة عمر ٢٣ هـ ، جمع ابن عوف الرهط من الصحابة وفيهم أهل الشورى ورفع رأسه إلى السماء ويده فى يد عثمان ، ثم بايعه فبايعه الناس ، وإن خير مايعبر عن اختيار عثمان ما قاله عبد الله بن عمر فى آخر حديث له مع بعض الصحابة «فوقع قضاء ربك على عثمان» .

هل لى أن أقول : عثمان بعد عمر ـــ رضى الله تعالى عنهما : إن العجلة كانت تسير إلى الأمام بسرعة كبيرة فى كل مجالات الحياة . فهل كان على عثمان أن يقف أمامها ؟ . وما ذنب عثمان فى هذا الذى جرى ؟ فهل لأنه جاء بعد عمر الذى قال ـــ فى أول بيان له بعد أن تولى الخلافة بأسلوبه القوى : «والله لو أعلم أن غيرى أقوى على هذا الأمر منى ثم وليته لكان أن أقدم فتضرب عنقى أحب إلى من أن أَلِيَهُ» .

وكما قال ـــ فى أول خطاب له : «أما أنا فورب الكعبة لأحكمنكم على الطريق»[1] هذا ما كان يتحدث به عمر ، ويقوله للناس ، وبهذا فقد خشم أنوفهم ـــ كما كان يجمع أهله ويقول لهم : إنى نهيت الناس عن كذا و كذا وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة .

أما عثمان فقد تولى الخلافة وقد قارب السبعين ولم يقل للناس مقالة عمر وإنما قال لهم «بادروا أجالكم بخير[2] ما تقدرون عليه» فكيف به وقد كبرت سنه الذى طال فى الرفه والنعيم لكن على مايحب الله ورسوله وكيف بأهله وهم ينظرون إلى ماهو فيه ؟ وكيف بالمسلمين وهم يؤمنون بخلقه وسياسته تلك .

ولقد مات عمر بعد أن أراح نفسه حيا وميتا لكنه أتعب مَنْ بعده فهذا عثمان ـــ رضى الله عنه ـــ الذى ظلمه زمانه بالإضافة إلى حياته ، أما عمر فكانت هيبته

---

(١) ذو النورين عثمان بن عفان ص ١٢٦ .

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٩٧ ـــ وابن الأمير .

(٢) المرجع السابق ج ٢ .

تملأ القلوب قلوب الناس جميعا ـــ لكن عثمان كان نهجا آخر مع الرأى وتصريف الأمور ، وإرسال النجدات ، واقرأ ماقضى به فى مقتل عمر ـــ وأعماله فى البرّ والبحر ، هذا إلى اختلاف عصر الرجلين ، واستعداد كل منهما والفروق بينهما فى هذا : شجاعة عاقلة ـــ وسماحة بالغة ، وكلاهما يهدف إلى المثوبة .

فماذا بعد ذلك على عثمان ؟

وحتى نتبين الحق فى الحكم على الرجال لابد وأن نشير إلى عصر الرجلين : عمر وعثمان ولكننا قد لانجد ما يعبر عن الفرق بينهما سوى ما قاله عثمان فى مواجهة جماعة من المعترضين عليه بعمر حينما قالوا له : ماسبب مايجرى فى عهدك ولم يكن فى عهد عمر ؟ فقال لهم : « لقد كنت رعية عمر ، أما أنتم فرعيتى » وصدق عثمان .

إن السبب يرجع إلى اختلاف العصرين وبيان ذلك باختصار :

إن الله تعالى ـــ فتح على عمر والمسلمين أبواب الدنيا ومغرياتها بالفتوحات . فما غرّت عمر ، ولكنها لوحت لبعض خاصة قريش ، فكان يقول لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم انتشاركم فى البلاد ، وخيْرٌ لكم ألا ترون الدنيا ولا تراكم » فلما تولى عثمان وهو ابن نعمة وناشئته ثراء بلغ بهما وفيهما مبلغا ، فلا عليه أن وسّع عليهم .

يضاف إلى ذلك أن الدولة شملت أمصارا وجماعات مختلفة وأن بعضهم كان مع المسلمين أملا فى حياة كريمة حرموا فيها على يد الفرس والروم ، إلا أنهم لما رأوا هذا التسلط الاقتصادى والاجتماعى تمنوا الخلاص منهم[1] .

والسؤال الذى يلح علينا لكى نجيب عنه ، هو إذا كانت هذه هى بعض مشاكل عصر عثمان وهى تدور بين عامل الزمن والتطور ، فما هو دور عثمان فيها ؟ وقد صادفه بعد عمر مانادى به « أبو ذر الغفارى » بأن على المسلمين ألا يمسكوا إلا مايكفيهم ومن يعولون ـــ ولا ينبغى أن يقال إن رأى « أبى ذر » اشتراكى ، وإنما هى دعوة إسلامية سبيلها قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ التوبة[1]

وقد قال كثير من المفسرين والفقهاء فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ « ما أدى زكاته فليس بكنز »[2]

لقد صادفت هذه المقوله هوى فى نفوس جائعه فدخلوا فى غمار الفتنة التى زاد فيها عبد الله بن سبأ اليهودى الذى قيل : أنه أسلم ليكيد للإسلام وأهله والتحريض على عثمان لحساب على بن أبى طالب وافترى على الله الكذب ـــ فهل يعتبر عثمان مسئولا عن كل ماجرى ويجرى ؟

إن عثمان لم يكن ضعيفا فى سياسته للأمصار ، إنما ساسها كما لو كان خليفة آخر تولى أمر الدولة ، ونحن نؤمن بأن عثمان ساسها بحزم وحكمة بالغين ـــ أما الحروب ، وماتم فى عهده من فتوحات فحدّث عنها ولا حرج على الرغم من تباعد المسافات بين العاصمة وميادين القتال ، ومع هذا فقد بلغ الفتح منتهاه فى فارس بإنهاء حكم الأكاسره بقتل آخر ملوكهم « يزدجرد » وكيف تمت فتوحات شرق البحر المتوسط قبرص ورودس ، وغيرها مما سطره التاريخ بمداد من الفخر .

ومع هذا فقد أخذت الفتن فى الظهور للعوامل التى تقدمت ، وأخذت تموج موج البحر كما أخذ الشيطان ينزغ بين الناس فى الكوفة ثم فى البصرة ، وكانت ظهور العصبية القبلية ثالثة الأسافى فى بعض الأمصار ، أما مصر فقد باض الشيطان فيها وفرخ بسبب ابن سبأ اليهودى ، ولكى يعالج هذه الفتن رأى أن يلتقى فى موسم الحج بالناس وقد كان عَصَبُ مأخذهم يرجع إلى أهله الذين ولاهم بعض المناصب مما أحفظ عليه بعض

---

(١) التملك لاشيء فيه مادام قد أدّى حق الله فيه والتملك كان مشروعا .

(١) سورة التوبة ـــ وفى الطبرى حديث طويل حول ذلك ج ٤ ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٢) عن صفوة البيان ج ١ ص ٣١٨ للشيخ مخلوف .

النفوس الذين كانوا يرون أنهم أحق ممن ولاهم ، وقد حاورهم حتى رضوا ــ وكذلك إعطاؤه المال بسخاء لبعض أقاربه وعلى الرغم من سلامة رأيه ، فإنهم خشوا على أنفسهم ، وتكونت منهم جماعة ورسم لهم الطريق ابن سبأ ــ من الكوفة والبصرة ومصر واتفقوا على القيام بمسيرة إلى المدينة المنورة وأخذوا يشيعون أنهم يريدون الحج والزيارة وتواعدوا أن يكون اللقاء فى المدينة ٣٥ هـ متظاهرين بأنهم دعاة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالقرب من المدينة تجمع حوالى ثلاثة آلاف لايريدون سوى عثمان وحقيقة أمرهم حصار عثمان من أجل عزله فإن رفض عزلوه وتتابعت الأحداث على غير هدى وفى غيبة العقل بل والدين ، وعلى الرغم من تدخل بعض كبار الصحابة مثل على بن أبى طالب فإن الأفكار والأحداث تطورت فى خواطر هذه الجماعة الباغية حتى رأوا قتل الخليفة . وقتلوه ثم تدافعت أحداث هذه الفترة الأخيرة الأليمة ورأيت الإمساك عن الحديث عنها لمشاهدها القاسية والأليمة .

وقد أفاض فيها الطبرى فى الجزء الرابع بما لايحتاج إلى مزيد .

وختاما فماذا أقول عن عثمان ــ رضى الله تعالى عنه ــ المفترى عليه .

وعلى الرغم من أن السكوت أهدى سبيلا من الإجابة ، إلا أننى سأقول كلمة لعلها تخفف عنى بعض الآلام التى أحس بها بالإضافة إلى ماسبق أقول : لوأن أبا بكر أو عمر ــ رضى الله عنهما ــ مكان عثمان وفى ظل هذه المستنيرات أكان ذلك حدث ؟

لا أستطيع الإجابة على ذلك لأن الزمان له أحكامه وأحكام عصر عثمان يجب ألا تنسى حين نكتب التاريخ للتاريخ .

وأما ما يقال عن بعض المخالفات التى نسبت إليه فهى من صنع المفترين أو صنع الدساسين فى التاريخ لكى يشوهوا صورة صحابى جليل ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه ومن السابقين بشهادة القرآن الكريم بالإضافة إلى تقويم رسول الله ــ ﷺ ــ له رضى الله عنه وللأستاذ الكبير العقاد تقييم لعثمان فى كتابه ذى النورين ص ٩٨ ومابعدها مما يشهد للخليفة بما هو أهله .

وأخيرا ففى قول رسول الله ــ ﷺ ــ (ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم) الكافية ــ وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت بعض التوفيق فى قصدى ــ وهو سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

الرؤى المسيحية عند اليهود

للأستاذ الدكتور عبد الله نجيب محمد

يعتقد اليهود بأن مسيحا يهوديا مخلصا ، من نسل داود بن سليمان سوف يظهر ، ويجلب معه الخلاص لليهود ، ويمكنهم من حكم العالم . بعد حرب عالمية طاحنة يسمونها «هرمجدون» وفى كتبهم أن مسيحاً يظهر قبل المسيح المخلص يمهد له الطريق ، وتنحصر مهمته فى محاربة الأمم الوثنية ، وتجميع بنى اسرائيل من الشتات ، ثم يقودهم إلى الأرض المقدسة فى مهمة تستغرق أربعين عاما ، يظهر بعدها المسيح الرئيسى ابن داود،لتحقيق حلم اليهود النهائى .

وقد استغل هذه النبوءة عدد من اليهود وادعى كل منهم أنه المسيح الذى جاء يمهد الطريق للمخلص وخدعوا الجماهير اليهودية فى فترات الاضطرابات والحروب والكوارث ، وصاغ بعضهم لليهود مبادىء تنفى كل القيم الواردة فى التوراة ، وتقلبها قلبا عجيبا :

من هؤلاء «شيتاى تسيفى» الذى صاغ أحد هذه المبادىء ، ودعا إلى انتهاك المحرمات ، وكان يردد عبارة أمام أتباعه يقول فيها : «تبارك الرب الذى حلل المحرمات» ثم يقوم بانتهاك كل ما أمرت به التوراة ، وكل مادعت إليه الشريعة اليهودية ، ويأمر أتباعه بتقليده واتباعه .

ومن هؤلاء أيضا «سعقوب فرانك» الذى ابتدع مايسمى «الخطيئة المقدسة» وكان يقول لأتباعه : «لكى يصعد الإنسان يجب عليه أن يهبط أولاً» «إننى لم آت لهذا العالم لكى أصعد بكم، بل لأهبط بكم إلى قاع الهوة ، حيث لايستطيع الإنسان أن يصعد بقوته الذاتية» ثم يقوم بأنواع غريبة من الممارسات الجنسية الشاذة وغيرها ، لدرجة أنه كان يمزق التوراة ويصنع منها أحذية لأصدقائه ، وكانت له حاشية من بضع مئات من الفتيان والفتيات اليهود يمارس معهم كل أنواع الرذائل والموبقات التى تتنافى مع دعوة موسى — عليه السلام — وتقتلها من الجذور .

وقد سألوا الفيلسوف اليهودى الأسبانى الأصل «بندكت سبيتوزا» عن رأيه فى المسيح شيتاى لادى . فقال : إنه لا يرى سببا عقليا يمنع إمكان إعادة الحكم الزمنى لليهود .

ولنا بهذا أن نتصور مقدار الآثار السيئة لمثل هؤلاء المسحاء الكذابين وأثرهم البالغ السوء فى حياة اليهود ومعتقداتهم ، وما زالت هذه الفكرة عالقة بأذهان اليهود حتى يومنا هذا :

فمنذ قليل أعلن بعض حاخامات اليهود المعاصرون ، أثناء حرب الخليج ، أن هذه الأزمة الحالية فى الشرق الأوسط ، ماهى إلا مقدمة لظهور المسيح اليهودى ، الذى سيحقق لهم حلم العودة والخلاص ، والسيادة على كافة شعوب الأرض .

ولكى نفهم هذه النبوءة نعود قليلا إلى كتب التاريخ لنعرف ماهية هذه الفكرة لدى اليهود . وتفسير ذلك أنه قد ورد فى أحد كتبهم من النوع الذى يسمى الأدب الرُؤيَوى (Apochalyps) أبو كاليبس) لليهود الأسبانى موسى بن نخمان (١٩٥١ ــ ١٩٧٠) أن مسيحا سيظهر قبل المسيح اليهودى المخلص ، يقوم بتجميع بنى إسرائيل من الشتات ، ويقودهم إلى الأرض المقدسة وأن هذه المهمة ستستغرق أربعين عاما . ثم يظهر فى نهايتها المسيح بن داود ، ويقوم بشن حرب على يأجوج ، ويجلب معه الخلاص[1] .

وثمة رسالة أخرى كتبها « حسداى بن شيروط » المولود عام ٩١٠ م والذى كان طبيبا خاصا للخليفة عبد الرحمن الثالث ، ثم وزيرا لماليته ، ثم وزيرا للخارجية ، يروى فيها أنه سمع لأول مرة بوجود مملكة يهودية مستقلة هى مملكة الخزر (وهم اليهود السوفيت الذين يهاجرون الآن إلى إسرائيل) ويتلهف هذا الوزير إلى ذلك اليوم الذى يترقبونه ، وإلى الهجرة إلى هذه المملكة المستقلة التى يحكمها ملك يهودى ، انتظارا لظهور المسيح المخلص[2] .

والواقع ان اليهود يحلمون بعودة المسيح اليهودى كلما مرت بهم أزمة من الأزمات ، أو نكسة من النكسات ، أو كارثة من الكوارث ، وأعلاها ، الاضطهاد والظلم الذين أصيبوا بهما على أيدى حكام الأسبان المسيحيين بعد أ ن طردوا العرب من الأندلس ، فقد عاملوا اليهود معاملة قاسية ، وطردوهم نهائيا من أسبانيا عام ١٤٩٢ ، ولعل السبب فى هذه الكراهية وتلك المعاملة القاسية تمسك اليهود بأن المسيح المخلص لم يأت بعد ، وأن دعوة عيسى ــ عليه السلام ــ دعوة كاذبة[3] وقد سبق طردَ اليهود من أسبانيا اجتياحُ مرض الطاعون لشرق أوروبا كله ، مما اعتبره اليهود مقدمة المخاض الذى يسبق مجىء المسيح المخلص .

وعندما اتسعت الفتوحات التركية العثمانية خلال الفترة من عام (١٤٥٣ ــ ١٥٤٧) قال المفسرون اليهود أيضا : إنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من ظهور المخلص ، وأن هذا الزمن يمثل العصر الأخير الذى سيتمخض عنه ولادة المخلص[4] .

وقد استغل كثير من اليهود رؤى أبو كاليبس لمصالحهم الشخصية وللوصول إلى التحكم والسيطرة ، فيحدثنا المؤرخ اليهودى « يوسفوس (٣٧ ــ ١٠٠) » عن كثير من هؤلاء ، فيقول : إن منهم « فرايورس » الذى كان أخا لهيرود حاكم مقاطعة يهوذا الرومانى ، ثم « حزقيال » الذى كان يتولى حكم منطقة الجبل أثناء حكم هيرود أيضا ، وتبعه « يهودا » ثم ابنه مناحم وكان ذلك عام ٤ م ، ثم ظهر مسيح آخر أثناء حكم « كوسياس فادوس » واسمه « تيودس » فجمع عددا كبيرا من اليهود واعدا إياهم بشق نهر الاردن والعبور إلى فلسطين ، ولما سمع الحاكم الرومانى بهذه المحاولة أرسل جيشه فقتل أعوانه وقطعت رأس هذا المسيح الكذاب[5] .

ثم ظهر الكاهن « شمعون بركو خفقا » ومعناها ابن النجم فأعلن أنه سيعيد أمجاد النبى يعقوب ، وأعلن الثورة فى القدس عام ١٣٢ ، ولكن القوات الرومانية

---

(١) المسيح اليهودى ١٤١

(٢) امبراطورية الخزر : آرثر كوستيلر ترجمة حمدى متولى مصطفى نشر لجنة الدراسات الفلسطينية بيروت ص ٨٧

(٣) المسيح اليهودى منى ناظم ط مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر فى أبو ظبى ص ١٥٧

(٤) السابق ص ١٥٤

(٥) السابق ص ١٠١

تمكنت من القضاء عليه عام ١٣٥ وحطموا مدينة القدس ، وغيروا كثيرا من معالمها ، وقهروا سكانها اليهود وعذبوهم(٦) .

ثم ظهر « النبى اليهاهو » وأعلن نفسه مبشرا بقدوم المخلص بين يهود « سالونيكا » وذلك اثناء الحملات الصليبية عام (١٠٤٩) وتخبرنا وثيقة أخرى عن مسيح كاذب آخر أثناء الحملات الصليبية يظهر فى فلسطين عام ١١٢١ مدعيا أنه سوف يحرر فلسطين واتبعه بعض جنود الصلبيين آنذاك .

أما أشهر من ادعى المسيحانيه فى القرن الثانى عشر الميلادى (١١٤٧) فهو « داود الرائى» وهو من كردستان ، وكان رجلا عالما بالتوراة والمدراش والمشنا والتلمود ، عالما بالتنجيم والسحر وغيرها من المعارف السرية ، وقد أعلن أنه سيجمع اليهود بهدف الاستيلاء على فلسطين ، وقد آمن به خلق كثير من يهود بغداد والموصل وآذربيجان والمناطق المحيطة ، فكون منهم جيشا كبيرا إتجه به إلى « آمد » ولكن المسلمين فتكوا به وبجيشه ، وقتل فى المعركة(٧) .

ويحدثنا أيضا « موسى بن ميمون » عن ظهور رجل فى اليمن عام (١١٧٢) م تجول فى أرض اليمن ودعا الناس لاتباعه والسير معه للقاء المسيح المخلص ، فقبض عليه حاكم اليمن وقتله .

ومن أشهر هؤلاء الكذابين أيضا « اشير املين» الذى ظهر فى المانيا ، وحدد موعداً لظهور المسيح عام ١٥٠٢ وفرض على اتباعه طقوسا وعبادات جديدة ، ولكنه مات فجأة فى نفس العام فاضطرب أتباعه ، واعتنق بعضهم المسيحية .

على ان أشهر حركة قام بها هؤلاء المسحاء « شبتاى تسيفى» الذى ولد عام ١٤٢٤ فى (أزمير) ، وكان والده وكيلا لشركة انجليزية واسمه « مردخاى» ، آمن هذا الرجل بعقائد (القبالا) ، واستهوته كتب الاستشراق وغرق فى متاهاتها(٨) .

ويقال : إنه يعانى من اضطرابات نفسية ، وكانت زوجته الثالثة « سارة» مومسا تجوب العالم بحثا عن المسيح ، مدعية أنها خطيبته ، ومع ذلك فقد عاشرت « سبتاى تسيفى» ومارست معه ومع غيره من الشباب علاقات جنسية شاذة(٩) ، أما شبتاى تسيفى ، فقد أصدر حاخام أزمير قرارا بنفيه منها إلى (القسطنطينية) ، ثم سافر إلى (سالونيك) فالقاهرة فـ (غزة) و (حلب) و (القدس)، ثم عاد إلى أزمير عام ١٤٤٥ وكان قد حدد عام ١٤٤٤ لظهور المسيح المخلص طبقا لحسابات معينة ، واعتمادا على ماكتبه الكاتب الأوكرانى « غالا توفسكى» فقد تجمع اليهود حوله ، وتركوا منازلهم وممتلكاتهم ، وانضموا إليه فى انتظار المسيح القادم الذى سيحملهم على السحب إلى أورشليم(١٠) .

أضاف « شبتاى» إلى اسمه لقب ابن داود وسليمان ودعا إلى حذف اسم السلطان محمد الرابع من الخطب ، وذكر اسمه محله ، وانتشرت فى زمنه مايسمى « التوبة» بين اليهود ، وانقطع بعضهم عن الدنيا وانتشرت منشورات شبتاى فى كل البلاد التى بها يهود ، وتوقفت الأعمال التجارية ، وتبرع بعض تجار اليهود بالأغذية والذخيرة تمهيدا لشحنها إلى (فلسطين) ، وقدم له تجار امستردام صكوكا مفتوحة ، كما احتشد يهود (همبورج) للرقص فى الكنائس واشتد هوس « شبتاى» فقسم فلسطين وقسم العالم إلى (٣٨) مملكة ، وعين على كل منها ملكا من قبله ، وصار اليهود يفتتحون صلواتهم بـ « ياسيدنا ومولانا ، ويامليكنا المقدس شبتاى لاوى مسيح رب

---

(٦) السابق ص ١٠٢

(٧) السابق ص ١٠١ ــ ٢٠٢

(٨) بروتوكولات ..... صهيون ٢ : ٢٠٥ تعليقات الأستاذ عجاج نويهض

(٩) فرويد والتراث الصوفى اليهودى دافيد باكان ترجمة د . طلال عتريس بيروت ١٩٨٨ م ص ٨٦

(١٠) السابق ص ٨٧

(١١) مفصل العرب واليهود فى التاريخ د . أحمد سوسة . ج العراقية ــ وزارة الإعلام ١٩٨١ ص ٣٧٨

إسرائيل» وأغفلوا الدعاء للسلطان العثماني[11] وفي سنة ١٤٤٤ غادر أزمير مع أعوانه إلى (استامبول) في سفينة، إلا أن عاصفة شديدة الجأت السفينة إلى (مضايق الدردنيل) ومن هناك سيق مكبلا بالحديد إلى استامبول[12].

وقد أدى إحباط هذه الحركة على هذا النحو إلى ظهور نوع من التطرف بين أتباع الحركة الشبتانية، ففسروا أوامر التوارة ونواهيها تفسيرا عكسيا، وبدأوا في انتهاك المحرمات، وأنواع الرذائل التي لا نظير لها، وكما ترى الباحثة «منى ناظم»:[13] ان ما دعاهم إلى ذلك هو سلوك شبتاى نفسه الذى ابتدع مبدأ جديدا لأعوانه في انتهاك المحرمات، فكان يقول (تبارك الرب الذي حلل المحرمات) ثم يقوم بانتهاك الشرائع علنا أمام اتباعه ويأمرهم باتباعه.

وتنقل هذه الباحثة أيضا عنه عن المدعو «باروخيا روسو» أنه بشر أتباعه: أن الخطايا الست والثلاثين التي تنص الشريعه اليهودية على قتل من يرتكبها، هي خطيئة واحدة فقط من وجهة نظر (توراة الخلق)، أما وقد انتقل العالم إلى مرحلة (توراة الفيض) فإن تلك الخطايا قد أصبحت من المحللات، وقد بلغت الانتهاكات الجنسية بين اعضاء هذا الجناح المتطرف درجة غريبة، يتبادلون معها الزوجات، ويبيحون زواج المحارم، والممارسات الشاذة حتى بين رجال الدين[14].

ومن الطرائف الغريبة ايضا، أن بعض اليهود ظلوا على اعتقادهم بأن شبتاى كان هو المسيح، وقام «حايم مالاخ» بتفسير المسألة على النحو التالي: «على غرار موسى الذى منع اليهود من الدخول إلى الأرض الموعودة مدة ٤٠ سنة، يجب الانتظار ٤٠ سنة مماثلة أى إلى ١٧٠٤ حتى يبدأ الخلاص، وفي عام ١٧٠٠ قاد حايم هذا نحوا من ١٥٠٠ رجل إلى فلسيطين لاستقبال المسيح، ولما لم يظهر مسيحهم أصيبوا بإحباط وخيبة أمل، وجنح بعضهم إلى طقوس في منتهى الغرابة[15] ودخل بعضهـم في الإسلام وبعضهم الآخر في المسيحية.

يعقوب فرانك:

ولد فرانك عام ١٧٢٤ في جنوب غربي روسيا، وقد أعلن هذا الرجل أن صفة المسيحية قد انتقلت إليه، وتجسدت فيه فسمى نفسه السيد المقدس، وغرق في عالم من الأساطير والخيال والخرافات[16] وأعلن مايسمى بالخطيئة المقدسة وهي ممارسة أنواع شاذة من الممارسات الجنسية وغيرها قائلا لأتباعه: « لكى يصعد الإنسان يجب أن يهبط أولا » وانتهى أمر حركة فرانك إلى حرب كلامية شعواء بينه وبين الارثوذكس، وعلى الرغم من أن أنصاره كانوا يعتقدون خلوده إلا أنه توفى سنة ١٧٩١[17].

وكما رأينا فقد تنبأ المعاصرون من حاخامات اليهود بظهور مسيحهم هذا اثناء حرب الخليج، والغريب أن هناك من بين المسيحيين أنفسهم من يبشر بالمسيح اليهودي، وهؤلاء من وجهة نظرنا — مالم يكونوا جهلاء — فهم يهود متسترون، يبشرون بالحرب التي تنتهي باستيلاء اليهود على العالم وحكمهم له، فقد جاء في مقال في مجلة «برج المراقبة» التي كتبت على غلافها هذه العبارة (برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه) في العدد الأول من تموز ١٩٨٩ م (ص ٦) متحدثة عن انتصارات ابراهيم النبي عليه وعلى نبينا اصدق الصلاة والسلام، قائلة ولكن انتصارا أكبر بكثير على وشك الحدوث، فعما قريب سيهزم هذا الاله المجيد نفسه ملوك العالم وكل المسكونة في الحرب العالمية النطاق المدعوة (هرمجدون).

---

(١٢) المسيح اليهودى ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(١٣) المسيح اليهودى ص ٢٢٠ — ٢٢٢

(١٤) فرويد ص ٨٩

(١٥) المسيح اليهودى ص ٢٢٣

(١٦) مفصل ص ٣٨١

السلفية السنية .. وتحرير المملكة المغربية

بقلم الأستاذ الدكتور/أحمد الحفناوى

انتشرت الطريقة الشاذلية فى المغرب منذ عهد « الموحدين » ، وأصبح شيوخ التصوف ـ بمرور الزمن ـ أداة للدعاية السياسية ، مما حدا بالسلطان « محمد بن عبدالله » والسلطان « سليمان » من بعده إلى مقاومة الطرق ، والعمل على الانتصار للدعوة السلفية التى تعمل على تحرير الفكر وتطهير العقيدة من الخرافات ، وكان تأثر المغرب شديدا « بالعروة الوثقى » و « المنار » وأفكار « محمد عبده » كما كان للثورة الوهَّابية صدى الاستحسان والقبول فيه .

وقد حدث أن عادَ الشيخ « عبدالله السنوسى » إلى المغرب بعد زيارته « للحجاز » و « مصر » ومقابلته لأقطاب الدعوة السلفية فيهما ، ودعا بدعوته داخل جامع القرويين ، وتجمع حوله ثلة من الطلبة كان من أهمهم « محمد بن العربى العلوى » .

كذلك عاد ـ بعد الاحتلال ـ الشيخ الإمام أبوشعيب الدكالى الذى كان فى زيارة للمشرق أيضا ، وكانت عودته فى الوقت الذى برز فيه نشاط العالم السلفى محمد بن العربى العلوى وبدا واضحا أن نشاط هذين العالمين العظيمين هو الذى نصر السلفية فى « المغرب » وجعلها تكتسب الأنصار والمؤيدين ، « وتتخذ من الملك محمد الخامس » راعيا وأمينا(١) .

باشَر « ابن العربى » نشاطه فى مدينة « فاس » ، كما باشر « الدكالى » نشاطه فى مدينة « الرباط » وازداد الإقبال على دروسهما من قِبَل الشَّباب .

بدأت الحماية تشعر أن هذه الاجتماعات موجهة إلى مقاومتها ، فأخذَت تطارد رُوَّادها وألقت القبض على الأستاذ « محمد غازى » الذى كان من أكبر دعاة السَّلفية آنذاك(١) ، وسرعان ما تألفت من الشباب جَماعات صغيرة لتنوير الرأى العام بالقضايا الوطنية القائمة ، وبدأت الحركة السَّلفية تمتزج بالدعوة الوطنية ، وأهتم شبابَ العلماء بِبَعْث الروح السلفية والقومية فى نفوس روَّاد المساجد ، وأصدرت الحركة مجلَّة سرية سُميت « بأم البنين » كانت تصدر بانتظام فى أربعين صفحة ثم تُوزع عَلى الجماعات السَّرية فى مُدن المَغرب المختلفة .

كما حرصت على دعْم اتصالاتها بالمغاربة خارج البلاد لدعم حركتهم ؛ فتأسست فى « باريس » جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا .. وشَارك المغاربة فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية فى مصر

جدث سنة (١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) أن حاولت الإدارة الفرنسية الاستيلاء على مياه (وادى فاس) لصالح بعض الشركات الفرنسية ، فقامت مظاهرات عنيفة فى المدينة ، وتحدث « علال الفاسى » لصالح بعض الشركات الفرنسية ، فقامت مظاهرات عنيفة فى المدينة ، وتحدث « علال الفاسى » ـ الذى كان ضمن مجموعات الشباب ـ مهاجما الاستعمار والإدارة الفرنسية ، وقدم مذكرة ـ ومعه الحسن أبو عياد ـ لحاكم فاس الفرنسى تتضمن سحب الإدارة لمشروعها ، وقد استجاب الحاكم لما جاء فى هذهِ المذكرة ، وانتهت الحركة بظفر المدينة .

الحركة الوطنية :

كان لحرب افريقيا التى قادها الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابى أثر عظيم فى إذكاء الروح الوطنية ، فالعالم الغربى ظل سنوات طويلة يستهين بالشعوب الإسلامية ، ولم يعد لهذه الشعوب صوت مسموع فى المحافل الدولية ، ولكن الخطابى رفع هذا الصوت من جديد وأرغَم العالم على الاستماع إليه .

كان الخطابى فى نظر المغاربة بطلًا إسلاميا ، كما كان بطل الاستقلال الوطنى فى نفس الوقت ، وهذان الأمران : الإسلام والوطنية هما أقرب المثل العليا إلى قلوبهم .

فإذا أضيف إلى هذا أن شباب السلفية قد نجح فى فرض مطالبه أثناء ثورة فاس (سنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩٢٠ م) من أجل مياه واديها ، فَلِمَ لا يتحرك الشباب المغربى ويُفصح عن كل أهدافه ؟ .

لقد شهد مساء أول أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، تحولا فى حركة الشباب ، إذ اجتمع عدد من الشبان فى الرباط ـ بدعوة من أحمد بلا فريج ـ لدراسة طريق التخلص من الوضع المزرى للعروبة والإسلام فى بلادهم ، وقد تحدث (بلا فريج) الذى كان فى سن الثامنة عشرة وقتها وأنهى حديثه بقوله : « إن ظلمة القبور أكثر عزاء للنفوس من ضوء الشمس إذا ما حُرمت هذه النفوس من الحرية والاستقلال .

وقد انتهى هذا الاجتماع بإنشاء « جمعية أنصار الحقيقة » وهى نسبة لا يستطيع جهاز التَخابُر أن يعترض عليها ، أمَّا الاسم السرى للجمعية فهو « الجامعة المغربية » .

(١) علال الفاسى : محاضرات فى المغرب العربى : ص ١١٣ .

وفى نفس صيف سنة ١٩٢٦ م ، اجتمع فريق آخر من شباب المغرب فى مدينة « فاس » بزعامة « علال الفاسى » الذى كان وقتها فى سن الثامنة عشرة أيضا ـ وذلك لتدبير وسيلة لمعارضة تعاليم « عبدالحىّ الكتانى » ، حيث أُتهم من قِبَل الشباب بأنه يؤيد الخرافات ويُساعد جهاز التخابر الفرنسى ، هذا إلى جانب البحث فى أمر مستقبل البلاد .

ولقد قال « علال » فى هذا الاجتماع : « دعونا نحرر أنفسنا قبل أن نحرر أبداننا[٢] وقد انتهى هذا الاجتماع بتأسيس حركة سُمِّيت « اتحاد الطَّلبة » ثم قررّ مؤسسو حركتى الرباط وفاس إدماج التنظيمين فيما سُمِّى بالجامعة المغربية .

لقد كانت الحركة ذات طابع تقدمى ديمقراطى الذى هو طابع المبادىء الروحية الإسلامية .

لم تكتف فرنسا بفرض حمايتها على المغـــرب (١٣٣١ هـ ـ ١٩١٢ م) ولكنها عملت على إدماجه فى الوطن الفرنسى ، ولم تجد أمامها من عقبات إلا الإسلام واللغة العربية ، فالإسلام هو حارس الثقافة العربية ، وهو العاملُ الأساسى فى وحدة الشعور والاتجاه الفكرى وهو المثل الأعلى لكل المغاربة ، واذن لابد لفرنسا من تحطيم هاتين الصخرتين العاتيتين : (الإسلام والثقافة العَرَبيَّة) وليتحقق لها ذلك عمدت إلى سياسة التفرقة بين عنصرى السُكان : العرب والبربر !! لينفردوا بالبربر ويطبقوا عليهم سياسة الإدماج فى الوطن الفرنسى ، تمهيداً لإخضاع المغرب كله لهذه السياسة .

وتنفيذا لهذا الهدف :

١ ـ أنشأ الفرنسيون معهدا لتدريس اللهجات البربرية فى مراكش .

٢ ـ أنشأوا مجالس للجماعات البربرية لِتُحَارب سلطة القضاء الإسلامى .

٣ ـ أصدرُوا أمراً فى مراكش فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٥ م ، يقضى بجعل اللغة الفرنسية هى اللّغة الرسمية للبربر بِهَدف مقاومة تعريب البَرْبَر .

وفى نفس الوقت رسمت فرنسا خطة لتخريب القيم الإسلامية ، والسخرية بكل من يعتز بها يقول « كوليز » مندوب الحماية الفرنسية : « عند إمضاء عقد الحماية وجدنا بفاس جامعة القرويين التى زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقادة الفكر ... لقد سلطت الحماية حربها على هذه المنظمة الثقافية ونصبت عداءها المستمر عليها وعلى سائر فروعها فى أنحاء المغرب .[٣] .

كان هذا الذى حدث مقدمة لإصدار الظهير (المرسوم) البَرْبَرى فى ١٦ مايو سنة ١٩٢٠ م ، ذلك الظهير الذى كان حَلْقة من سلسلة طويلة محكمة أعَدَّتها فرنسا لهدم الدين والقومية فى المغرب ، والذى أصبح فى الوقت نفسه سلاحا فى أيدى الوطنيين بدءوا به حملة موجهة ضدّ إجراء تحريم المؤمنين من التشريع الذى أنزله الله تعالى .

لقد تضمن هذا الظهير : منع التعليم العَربى الإسلامى فى المناطق البربرية وكذلك فصل القضاء البربرى عن الشرع الإسلامى .

مقاومة السياسة البربرية :

حرصت الحركة الوطنية على استمرار إلْهَاب حماس الجماهير ، حيث كانوا يخرجون بالمصلين من المساجد متظاهرين فى الشوارع يستمعون إلى الخطباء الشبان الذين يشرحون لهم الأوضاع السياسية ويدعونهم إلى مقاومة المستعمر ، وحَدث أن اعتقلت السلطة خمسة وعشرين شابا وجَلدتهم بالسياط من بينهم : عبدالعزيز بن إدريس والهاشمى الفيلالى وحمد الوزانى وعلال الفاسى ، كما اعتقلت آخرين فى مدن أخرى من المغرب ، ولم تنقطع المظاهرات طوال أربعة عشر يوما

---

(٢) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٧١٨ : ترجمة حسين الحوت وآخر .

(٣) علال الفاسى : المرجع السابق ص ٦٩ ـ ٧٠ .

مدة بقاء المعتقلين فى السِّجن ، مما اضطر الإدارة الفرنسية إلى إطلاق سراحهم .

وأعلنت الإدارة أيضا قبولها لإخراج أية قبيلة تطالب بالقضاء الشرعى من حظيرة القبائل التى يشملها الظهير البربرى .

كان هذا الإعلان من الإدارة يهدف إلى خداع الحركة الوطنية التى شكلت وفدا لمقابلة الملك فى الرِّباط ، لكن الإدارة الفرنسية ألقَت القبض على بعض أعضاء الوفد مما أدى إلى استمرار المظاهرات فى « فاس » عشرة أيام ، واحتلّ الجيش « والبوليس » جامع القرويين والمساجد الكبرى ، ونفى (علال الفاسى) (محمد اليزيد) و (ابن عبدالسلام العلوى) .

كانت هذه الجولة العنيفة بين الحركة الوطنية والاستعمار الفرنسى فاتحة عهد كفاح وطنى اهتم فيه العالم الإسلامى بقضية المغرب . فارتفعت أصوات الغضب فى تونس والقاهرة وبغداد ، وقدم الأمير شكيب أرسلان ــ الذى يعتبره العرب أحَد زعمائهم الروحيين ــ نصيحته إلى إخوانه المسلمين ، بأن يحتجوا لدى عُصْبة الأمم والدول الكبرى والحكومة الفرنسية وبرلمانها ، وأن يوقفوا كل معاملاتهم التجارية مع فرنسا ، إذ أنّ هذه المقاطعة هى إحدى الأسلحة التى يخشاها الأوروبيون أكثر مايخشون ، لأنهم يعبدون المال أكثر مما يعبدون الله (٤) ، وقد شكلت لجان للدفاع عن مسلمى المغرب فى القاهرة ، وتدفقت الاحتجاجات على الهيئات الدولية واحتجت بعض الصحف الفرنسية على الظهير ، ولكن غالبية الصحف الفرنسية استنكرت هذه الاضطرابات المغربية على اعتبار انها من عَمل عصابة صغيرة من قُطَّاع الطرق لايحملون إلا شهادة الابتدائية المشكوك فى أمرها يحاولون أن يظهروا أمام العالم وكأنهم « غاندى » « وسعد زغلول » (٥) .

وقررت كتلة العمل الوطنى بالمغرب ــ وهو الاسم الذى أطلق على الحركة ــ إصْدار بعض الصحف وحملت فيها على المستعمرين وعلَى الأوضاع المتردِّية فى المغرب فصدرت صحف « عمل الشعب » « والسلام » « والحياة » وإلى جانب ذلك قررت أن يقوم علال الفاسى بإلقاء دروس شعبية عامة فى جامعة القرويين يحضرها إلى جانب الطلبة آلاف المغاربة من الرجال والنساء ، وكانت هذه الدروس ظاهرها دينى ، وباطنها شديد الاتصال بالسياسة ، إن لم يكن هو السياسة بعينها .... مما كان له الأثر الفعال فى بعث الإحساس بالذات والشعور بالواجب ، وفى بث الشجاعة فى القلوب (٦) .

وبمرور الوقت رأت الإدارة الفرنسية أن هذه الدُروس ماهى إلا مظاهرات سياسية يومية لايمكن السماح باستْمرارها ، فاستخدمت كُل الوسائل لمنعها .. ولكن وقوف الشيخ محمد بن العربى العلوى موقف الدفاع الصادق عن الأستاذ/علال الفاسى فى المجلس الأعلى لجامعة القرويين كان يحبط هذه المساعى التى تكررت أربعاً وعشرين مرة (٧) .

عينت فرنسا الجنرال « نوجيس » مقيما عاما لها فى المغرب فأصدر قرارا بحل كتلة العمل الوطنى فى (١٨ مارس ١٩٣٧ م) . فاتخذت الكتلة اسم : الحركة الوطنية لتحقيق المطالب ثم تحولت إلى « الحزب الوطنى » الذى قامت لجانه بتنفيذ برامج للإصلاح فى كافة المجالات ومن هذه اللجان :

لجنة التعليم :

قامت هذه اللجنة بتأسيس عدة مدارس ، كما عملت على تنظيم جامعة القرويين تنظيما صحيحا ، وبذلت جهودا لإنشاء عدد من المعاهد الدينية فى بعض مدن المغرب ، كما قامت بدعوة واسعة لتعليم البنات .

لجنة الإصلاح الدينى :

نادت هذه اللجنة بتثبيت دعائم السلفية ومقاومة ادعياء التصوف ، واهتمت بجمعيات تحفيظ القرآن الكريم .

---

(٤) محب الدين الخطيب : مجلة الفتح ، نوفمبر سنة ١٩٣٠ م .

(٥) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٧٢ : ترجمة حسين الحوت وآخر .

(٦) ابن جلون : هذه مراكش : ٢١٦ .

(٧) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب : ص ١٧٨ .

لجنة التقويم الخلقى :

« كان شباب هذه اللجنة ينبثون فى كل المجالات العامة يدْعون الناس للعدول عن شرْب الخمر وتعاطى المخدرات ويعملون على غلق الحانات فى الأحياء الإسلامية » (٨) .

باستمرار نضال الحزب الوطنى قرر الجنرال « نوجيس » نفى علال الفاسى إلى (الجابون) وإبعاد محمد اليزيدى وعمر عبد الجليل ، وشملت الثورة المغرب كلّه .

الثورة الوطنية :

شملت الثورة كل أنحاء المغرب ، واحتل الجيش المركز العام للحزب فى « فاس » واحتشد آلاف المتظاهرين فى جامع القرويين بالرغم من أوامر غلق كل مساجد المغرب ووقعت معارك دامية بين المتظاهرين والجيش ، واعتقل اكثر من ألف وطنى ... وبالرغم من كلِّ ذلك استمرت أعمال الدعاية والتنظيم فى المدينة .

حزب الاستقلال :

اجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الوطنى فى الرباط فى (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) وتقرر فى هذا الاجتماع إنشاء « حزب الاستقلال » وقد سار هذا الحزب على طريق النضال من أجل تحرير المغرب وتكتلت فيه قوى عديدة من كافة طبقات الشعب المغربى ، وما لبث أن قدَّم الحزْب فى (١١ يناير سنة ١٩٤٤ م) إلى الملك مشروعه للمُطالبة باستقلال المغرب ؛ فعقَد الملك المجلس الوزارى فى ١٣ يناير من نفس العام لبحث المشروع ، وكان للعالم الكبير محمد بن العربى العلوى دور بارز فى جمع كلمة المجلس على تأييده ، ووفدت على الملك الوفود الشعبية تؤيد المطالب وعرض الملك المشروع على الإدارة الفرنسية لتنفيذه ، لكنها مالبثت أن اتخذت ذريعة لاعتقال رجال الحزب بادعاء أن وراءهم دول المحور وتجَدَّدت المظاهرات فى انحاء المغرب ، وكانت مظاهرات « فاس » أخطرها إذ استمرت أكثر من أسبوعين . وحاصرت القوات الفرنسية الأحياء ، وقطعت التيار الكهربى والمياه ، وتكونت فرق الإغاثة اعضاء الحزب حيث قامت بتوزيع الأغذية والأدوية عن طريق أسطح المنازل ، وقد أغلقت سائر المدارس كما أغلقت جامعة القرويين وسجن مديرها وثلاثة من أعضاء مجلسها الأعلى « كما أن العالم القروى الشيخ محمد بن العربى العلوى وزير العدل إذ ذاك أعفى من منصبه وأبعد إلى الصحراء (٩) .

وقررت فرنسا تعيين الجنرال « جون » مقيما عاما لها فى المغرب ... وكان يُدرِك أن الملك محمد الخامس يعطف على الحركة الوطنية ويؤيدها (١٠) ، ولذلك فقد هدد الملك بالعَزْل وتولية « ابن عرفة » إذا لم يخضع لأوامره !! وكانت هذه الأوامر تشمل :

١ ــ استنكار الملك لما يقوم به حزب الاستقلال .
٢ ــ عزل وزراء وقواد ومندوبين وطرد مدير جامعة القرويين .

« وقدمت هذه الأوامر على شكل مشروع فى (٢٦ يناير سنة ١٩٥١ م) (١١) » وأعدت طائرة لنقل الملك وعائلته خارج المغرب إنْ أصرَّ على الامتناع عن التوقيع .

رفض الملك هذا المشروع ، واقتحم القائد الفرنسى غرفته وطلب التوقيع على وثيقة التنازل عن العرش فمزقها الملك .. وقرَّرت الحكومة الفرنسية نفيه إلى (مدغشقر) ... وَتَوَّجُو « ابن عرفة » ، ورفض المغاربة وعلماؤها الخضوع للإرهاب الفرنسى ومبايعة ابن عرفة ، واستمر النضّال سجالا بين الشعب المغربى والاستعمار الفرنسى !!

وأمام الإصرار العنيد للشعب المغربى على المقاومة دخلت فرنسا فى مفاوضات مع الزعماء المغاربة سنة ١٩٥٦ م ، وأعادت السلطان وأسرته واعترفت فى مارس من هذا العام باستقلال المغرب وسيادته ووحدته وتلَتْها إسبانيا فى ١٨ أبريل سنة ١٩٥٦ م ، وتوالى اعتراف الدول به وفى أكتوبر سنة ١٩٥٨ م انضمت المملكة المغربية الى الجامعة العربية . وهكذا كان للسلفية أثرها ــ الذى لاينكر ــ فى الحركة الوطنية المغربية .

---

(٨) علال الفاسى : الحركات الاستقلالية فى المغرب : ص ٢٣٤ ــ ٢٣٩ .
(٩) علال الفاسى : محاضرات فى المغرب العربى : ص ١١٥ .
(١٠) روم لاندو : أزمة المغرب الأقصى : ج ١ ص ١٨٤ ترجمة حسين الحوت وآخر .
(١١) فؤاد مصطفى . محمد الخامس وكفاح المغرب : ص ١٨ .

الفتــــاوى

للأستاذ/ عبدالمنعم فودة

عمليات التجميل

من المسلمة/ث . م . ا :

السؤال : هل عمليات التجميل التى تجريها المرأة فى وجهها حرام أم حلال أفيدونا أفادكم الله .

التجميل بمعناه العام يكون بإعطاء الشخص العادى مسحة من الجمال وبالارتقاء بالجميل الى وضع أجمل ، يكون بإحلال الجمال محل القبح ، والكمال بدل النقص .

وتجميل الجسم الإنسانى بوجه عام له أهمية ، إن تجميل الأنثى بوجه خاص له خطورته ، والجمال أمر محبب الى النفس ، وله مكانته فى الدين فهو مطلوب شرعى بالقدر الذى يؤدى الغرض الطيب منه بعيدا عن الحرام فى الأسلوب والهدف والغاية .

وجراحة التجميل نوعان : نوع يغلب عليه الطابع العلاجى كإصلاح خلل طارىء .. نوع

يغلب عليه الطابع الجمالى الذى فيه تحسين وضع قائم .

فالتجميل العلاجى الذى يباشره المختصون فى المصحات والعيادات لا يشك عاقل فى مشروعيته وليس فى الدين ما يمنعه بل ان نصوصه وروحه العامة تطلبه وقد ترق به الى درجة الوجوب كجبر عظم كسر ، أو خياطة جرح خطير أو ترقيع جلد حرق وذلك من باب المعونة على الخير وإنقاذ النفس من التهلكه .

وليس فى هذا النوع تغيير لخلق الله ، بل هو إزالة للتشويه العارض على خلق الله .

والنوع الثانى من التجميل الذى يمارس فى الصالونات وبيوت التجميل الأصل فيه الإباحة ، وهو مطلوب للشرع فى حدود معينة والممنوع منه ما قصد به التغرير والتدليس ، أو الاغراء والفتنة . وإليك بعض الأمثلة .

١ ــ مولود له اصبع زائدة قال جماعة من الفقهاء ــ وعلى رأسهم الطبرى ــ قصها حرام لأن فيه تغييرا لخلق الله ، وطاعة للشيطان الذى قال الله فيه « وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ » النساء : ١١٩ ، وقد طرد هؤلاء الحكم حتى حرموا إزالة اللحية التى تنبت للمرأة ، وازالة السن الزائدة . نص على ذلك القرطبى فى تفسيره وابن حجر فى فتح البارى والنووى فى المجموع وسرح صحيح مسلم .

وقال جماعة بالجواز ، لأن الاصبع الزائدة ــ وإن كانت من صنع الله ــ هى حالة من الحالات التى يسميها الأطباء شاذة أو استثنائية ووجودها فيه تشويه ، بل قالوا : تندب ازالتها اذا كان فى بقائها ايذاء ، ولا يدخل ذلك فى تغيير خلق الله ، فإن هذا التغيير لم يتفق على معناه ، وتفصيل ذلك مذكور فى تفسير القرطبى لهذه الآية .

جاء فى فتح البارى لابن حجره ١٢/٥٠٠ بعد حكاية قول الطبرى فى التحريم الشامل : ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية ، كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها فى الأكل ، أو اصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك والرجل فى هذا الأخير كالمرأة وقال النووى فى شرح صحيح مسلم « ج ١٤ » فى التنميص : إنه حرام إلا اذا نبتت للمرأة لحية أو شارب فلا يحرم بل يستحب . اهـ .

ومثل السن الزائدة أو الطويلة والاصبع الزائدة ، خياطة الشفة المشقوقة وتعديل الأنف المعوج ، وترقيع الأذن المخروقة ، ما دام ، أثر العلاج يكون دائما حيث لا يكون فيه تغرير ولا تدليس .

٢ ــ شد الوجه للعجوز لتبدو شابة ، إن هذه العملية تحسين مؤقت يعود الوجه لأصله بعد مدة طالت أو قصرت ولذلك لا يلجأ اليه غالبا إلا من يتاجرن بجمالهن فهو ــ كما عبر عنه بعض الفقهاء ــ شأن الفاجرات والقصد منه شىء لا شك فيه فهو حرام لأن التغرير فيه واضح حيث إن التحسين فيه مؤقت يزول ثم يحتاج إلى تكرار .

فلو انتفى عامل التغرير والتدليس والقصد السىء ، كأن كانت العجوز متزوجة وأذن لها زوجها بذلك لمتعته الخاصة لا لشىء آخر فلا وجه للقول بحرمته ، وقد صح عن الرسول ــ ﷺ ــ أنه لعن المتفلجات للحسن ، أى،

اللاتى يفرجن بين الاسنان لتظهر جميلة ، طلبات بذلك الحسن والتغرير .

والذى يقوم بجراحة التجميل وما شابهها ، إن كان يعلم أن ذلك مقصود به سوء فعمله حرام ، لأنه يساعد على الحرام ، وإن لم يكن يعلم ما يراد به فلا بأس ، بل قد يكون عمله مندوبا أو واجبا فى مثل ازالة التشويه الحادث بالحروق أو الكسور .

من د . ع . م . ص :

ما حكم المال الذى يتكسبه الانسان من مهنة (الكوافير) .. الرجل لتصفيف شعر النساء .. والأنثى لتصفيف شعر الرجال ؟

هل يجوز التصدق والزكاة وأداء فريضة الحج من هذا المال أم لا ؟
أفيدونا أفادكم الله ...

المال الذى يتكسبه الرجل من تصفيف شعر النساء حرام ومثله المال الذى تكسبه الأنثى من تصفيف شعر الرجال لأن كل هذا فيه لمس امرأة أجنبية ولمس رجل أجنبى وهو محرم وما يأتى منه من مال فهو محرم لمخالفته لما أمر الله سبحانه به رسول الله ــ ﷺ ــ .. ولا يصح الحج من هذا المال ، لأنه مال حرام .

من د/ع . ا . ح :

طالب يعمل فى نادى رياضى يأخذ عنه (راتبا شهريا) وكلما نجح فى مباراة صرفت له (مكافأة) .

١ ــ ما حكم هذا المال سواء فى راتبه أو فى مكافأته . ؟

٢ ــ وما مدى حل الاحتراف بالرياضة . ؟

هذا المال حلال لا شبهة فيه ، والراتب فى مقابله عمل والمكافآت على جودة العمل تشجيع مباح أيضا .
ولا مانع من احتراف الرياضة ولا ضرر فيها .

من ف . ع . س :

توفى رجل عن بنتين ، أولاد إبنين ذكور وإناث ، وزوجة ، أخت شقيقة/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنتين الثلثين فرضا لعدم من يعصمهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى لأولاد الابنين تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ولا شىء للأخت الشقيقة لحجبها بالفرع الوارث المذكور والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

السيد حسن قرون

١٩١٢ ـ ١٩٩٢م

للأستاذ : عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

كان من الرواد السابقين الذين حملوا القلم يحررون به الكلمة الصادقة ، ويجعلون منها رسالة تؤدى ، وبيانا يذيع ، وحكمة تنطلق عبر الأجيال وفى ساحات الفكر والمعرفة ، تنشر الوعى والعلم ، وتبث الرأى والفكر .

بدأت كتابة المرحوم الشيخ حسن قرون مبكرة جدا ، مصاحبة لكل الصفحات الأدبية والعلمية فى الصحف والمجلات العريقة والمتخصصة ، وقلما لا تجد صحيفة أو مجلة ذات نسب لم تشهد له مقالا ، ولم تسجل له بيانا .

ومن أولى هذه المجلات التى احتضنت قلم هذا الكاتب المبدع مجلة الأزهر منذ كان يرأس تحريرها أحمد حسن الزيات فالشيخ عبدالرحيم فودة ــ رحمهما الله ــ فالدكتور عبدالودود شلبى حتى هذا العهد يتولى فيه رياسة التحرير الأخ الدكتور على الخطيب ..

ووفاء المجلة لكاتبها العريق يدعو إلى كلمة وفاء له ، وإن كنت أعتقد أن كثيرا من أعضاء أسرة هذه المجلة العزيزة سواء أكانوا مشرفين أو كتابا ـ وقراء كذلك ـ يسارعون إلى المشاركة فى مأدبة الوفاء لهذا الراحل العزيز .

نعي مفاجىء :

وقد كان خبر وفاته ـ رحمه الله ـ مفاجئا لي فقد كنت على اتصال تليفوني معه قبلها بقليل استمر ما يقرب من نصف ساعة ، تحدث فيه عن رحلته الأخيرة لأداء العمرة في رمضان ، وسعد هناك في ظلال الحرمين الشريفين بما يسعد به كل مشتاق إلى هذا الرحاب الطاهر ، وكان يود أن تمتد إقامته إلى ما بعد أداء فريضة الحج ، ولكن مرض السيدة زوجته ـ وكانت معه ـ دعاه إلى العودة ، على أمل أن يعودا في العام القادم حاجين إن شاء الله ـ ولكن القدر عاجله ، وهذا قضاء الله ولا رادَّ لقضائه .

واستعرض معي في حديثه الشيق بعض ذكرياته حول أصدقائه القدامى الذين يكن لهم كل إعزاز وتقدير ، وهم يبادلونه الشعور نفسه ، لقد كان ـ رحمه الله ـ يتميز بعاطفة صادقة نحو من تربطه بهم صلة ، أو تجمعه بهم آصرة ، ولا سيما آصرة العلم والمعرفة .

بلده :

نشأ السيد حسن قرون حيث ولد في قرية من قرى محافظة سوهاج اسمها « تونَس » وهو اسم عربي جديد سميت به القرية ، وإلى هذه القرية كان ينتمي قريب وصديق له هو الأديب الشاعر محمد خليفة التونسي ـ رحمه الله ـ الذي كان يتصدر الكتابة في مجلة « العربي » الكويتية ، ويشرف على باب من أبوابها العتيدة وهو باب اللغة ، وعنوان مقاله فيها : « صفحة في اللغة » وقد توفي محمد خليفة التونسي في الكويت منذ سنوات قبل الغزو العراقي لها ، ودفن هناك ، ورثاه السيد حسن قرون في مقال أدبي مبدع نشرته صحيفة الأخبار المصرية حينذاك ، وسجل له فيه مكانته العلمية والأدبية ، وذكر له فيه فضله وأدبه ، وأشار فيه إلى تزاملهما معا في ندوات العقاد ، وجلساته التي كانا يدأبان معا على حضورها والمشاركة فيها بالسماع والمناقشة .

وقد تخرج السيد حسن قرون في كلية اللغة العربية عام ١٩٤١ م ، وهو من رفاق الدكتور عبدالجليل شلبي ، والمرحوم الشيخ عبدالرحيم فودة ، والأستاذ الشاعر سيد سليمان النخيلي صاحب ديوان ثورة الشباب ، والأستاذ الشاعر سيد عبدالرءوف ، وغير هؤلاء من الأعلام المبرزين في ميدان العلم والأدب .

وقد وصفه فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبي في حديث له عنه نشرته صحيفة الأخبار فقال : إنه كان وفيا طموحا يمتاز بالجرأة ، ويمزج جرأته بمزاجه فيخفف من وقعها على الأساتذة ويضحك الرفاق ، ولا يعنيه أن ينتصر أو لا ينتصر .

وذكر بعض الشواهد على ذلك ..

ولعل من الشواهد التي نضيفها إلى ذلك ما قصه علينا بعض رفاقه ، من أنه كان في فصل الدراسة في درس التاريخ الإسلامي ، والأستاذ يتحدث عن موضوع خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وميزاته ، وأنه حين رأى جزع المسلمين على وفاة الرسول ـ ﷺ ـ صعد المنبر فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ، ومَن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ،وتلا قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٤٤

وحين تلا الأستاذ هذه الآية أوعز السيد حسن قرون إلى بعض الزملاء أن يسأل الأستاذ : هل هذه الآية نزلت على النبي ـ ﷺ ـ أم على أبي بكر ؟

وألقى الزميل السؤال الذي كان مفاجأة غير متوقعة له فأجفل وأرتبك وتردد في الإجابة .

وانتهز الطلاب تردد الأستاذ فضحكوا ، وتنبه الأستاذ ولكن بعد فوات الأوان .

ومن مداعباته مع زملائه ما كان ينشره أحيانا في مجلة الكشكول مناقضا لقصائد الشعراء من زملائه ،

ويوقع نقيضته بإمضاء مستعار قائلا : اقرءوا ما يقوله شاعر الريف مثلا ، [وتكون القصيدة التى قالها زميله الشاعر فى منتهى القوة والرصانة ، ولكنها تتحول بمناقضته إلى قصيدة لاهية عابثة] ، ولا هدف من ذلك إلا المداعبة البريئة وإزجاء الوقت ، وإختفاء طابع من المرح الظريف على جو الحياة الكئيب ، وإراحة الذهن المكدود والبال المشغول .

اشتغال بالتدريس :

عمل الأستاذ قرون بعد تخرجه فى تخصص التدريس عام ١٩٤٣ م مدرسا فى وزارة المعارف إذ ذاك ، وتقلب فى عدة مناصب فيها ، وأذكر أنه فى عام ١٩٥٩ م أقامت الوزارة مسابقة بين المدرسين القدامى موضوعها : دراسة كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى ، ودراسة قصيدة النيل لشوقى ، ونتيجة المسابقة لمن يجتازها بتفوق الحصول على وظيفة مدرس أول .

واستذكرنا معا الكتاب والقصيدة ، وتقدمنا للجنة المناقشة وكانت مكونة من سبعة أعضاء تقريبا . وقد فوجئت اللجنة بأنها هى التى تناقَش وتُسأل لا هى التى تناقِش وتسأل ، لقد رأت أمامها فى شخصية السيد قرون موسوعة علمية نادرة يعز وجودها بين فئات الدارسين على اختلاف استعداداتهم ومواهبهم ، لقد كانت معلومات السائلين مقصورة على محيط موضوع الدراسة ، وهى معلومات محصورة فى محيط ضيق – وقد سلمت اللجنة بأحقيته فى الترقية – وعين مدرسا أول .

وسعدت به المدارس التى شغل فيها هذه الوظيفة ، ومن بينها مدرسة ناصر الثانوية للبنات بشبرا ، وقد استفاد زملاؤه من علمه وثقافته ، ووجدوا فى لقائه معهم فرصة للإثراء الأدبى والعلمى . وقد ظل شاغلا هذه الوظيفة حتى عين وكيلا بالمدارس الثانوية ، فذهب إلى بنها ، ثم عاد إلى القاهره وكيلا فى مدرسة شبرا الثانوية للبنين .

ولكن وظيفة الوكالة عمل إدارى بحت ، لم يجد فيها الحماس الذى كان يجده فى التدريس ؛ لأن التدريس عطاء فكرى وروحى ، أما الادارة فهى عمل (روتينى) يبدد الذهن والطاقة فى عمل يباين موهبة الأديب ولذلك ما كان أعظم فرحه حين انطلق إلى الحرية بعد الوصول إلى سن التقاعد ، لقد كان انطلاق العصفور من قفصه محلقا فى الفضاء .

نتاجه العلمى والأدبى :

للسيد حسن قرون نتاج أدبى علمى واسع ، وهو مثبوت فى بطون الصحف والمجلات ، لم يجمع شيئا منه بين دفتى كتاب ، على الرغم من صلاحية نتاجه كله لذلك .

فله مقالات ناقدة كثيرة يمكن أن يضم بعضها إلى بعض فى كتب تحمل هذا العنوان .

وكان لا يتهيب فى نقده أحدا ، حين نشر عبدالرحمن الشرقاوى دراساته عن (علىٍّ إمام المتقين) وغيره على صفحات الأهرام ، نقده السيد حسن قرون فى بعض المواضع .

ورد عليه الشرقاوى مثنيا عليه وقال : لقد نقدنى بعض الشيوخ والكتاب ، ولكن لم أجد نقدا موضوعيا مثل نقد العالم الفاضل الشيخ حسن قرون ، وأفرد صفحة كاملة من صفحات الأهرام بعرض هذا النقد .

ووجه رسالة إلى الأستاذ الفاضلة الدكتورة بنت الشاطىء تحمل بعض وجهات نظره حول ما كتبته فى صفحتها الرمضانية فى العام قبل الماضى ، وردت عليه الأستاذ الدكتورة شاكرة له حسن رأيه ، وقد نشرت ردها فى الأهرام حينذاك .

وقالت الأستاذ « ألفت الخشاب » فى حديثها عنه بالأخبار : ارتبط بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد ارتباطا فكريا وثيقا ، وكثيرا ما حدثت بينهما حوارات ومسجلات فكرية ، وكثيرا ما كتب ناقدا لأستاذه

مؤيدا تارة ، ومعارضا تارة ، وكان العقاد يتقبل نقده بصدر رحب وسماحة لا يتصف بها إلا العلماء .

ورد على صديقه فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى حول بعض نقاط فى موضوع الهجرة على صفحات الأخبار .. وقد أشار فضيلة الدكتور إلى ذلك فى حديثه عنه .

وناقش فضيلة الشيخ محمد زكى ابراهيم رائد العشيرة المحمدية فى بعض آرائه ، ونشرت صحيفة الأخبار هذه الآراء .

لقد كان نقده ينطلق من مناقشة الفكرة لا مخالفتها ، وإنه ليؤمن بجوهر الحكمة التى تقول : اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .

مقالات أخرى :

وله مقالات كثيرة يدرس فيها بعض أحداث التاريخ ، وهى موضوعات مهمة تفيد فى عصرنا هذا ، ومن القضايا التى عالجها : قضية الشعوب بين الأمس واليوم : « بن الحنفية والأحزاب المتصارعة » ، « الإمامة والشيعة » وغيرها وهى كثيرة تفوق الحصر .

وله مقالات أدبية متنوعة ، تتناول الأدب ونقده : شعره ونثره والمقام يضيق عن سرد عناوين هذه المقالة التى كانت تنشر فى مجلة الأزهر ، والعربى ، والهلال ، والرواية ، والرسالة ، وغيرها .. وكانت تنشر له صحيفة الأخبار فى أيامه الأخيرة موضوعا بعنوان « كلمة قرآنية » وهو موضوع طريف يحفل بالثراء الفكرى والعلمى ويتسم بالذكاء ودقة الفهم والإحاطة باللغة .

وله دراسة جيدة حول الشاعران : حافظ وشوق نشرتها مجلة الأزهر فى كتيب عام ١٤٠٣ هـ عنوانه : (حافظ وشوق فى مرآة الزمن) .

إن حفظ نتاج السيد قرون الأدبى والعلمى فى كتب أمانة نُحَمِّلها لأولاده الأعزاء ــ بارك الله فيهم ــ وهم جديرون بالقيام بها إن شاء الله تعالى .

شاعريته :

والسيد حسن قرون يتمتع بموهبة شعرية ، وله قصائد ممتعة ، نستشهد منها بأبيات جميلة عزَّى فيها الشاعرة الأميرة سعاد الصباح بعنوان : (لا تحزنى) جاء فيها :

لا تحـــزنى لا تحـــزنى
فالشمس تشرق فى غد
وتعـــود ربـــة عصرهـــا
فى موكب متجـــــــدد
تلك الكـــويت فحيهـــا
واهتـــف بهـــا بتـــودد
مهمـــا تعـــنت خصمهـــا
ومضى بطـــرف أرمـــد
وأتى بجـــــر سلاحــــه
ليشوه الوجـــه النـــدى
فالحق فـــوق سلاحــــه
يعلـــو ويبـــطش باليـــد

وقد نشرتها مجلة الأزهر عقب أحداث الكويت فى العام الماضى .

وبعد ، فهذه كلمات فرضها واجب الوفاء لهذا الصديق العزيز الذى كنت أتمنى له طول العمر ، ، وكنت أرجوه لما رجا شوقى فيه صديقه حافظا حين قال :

قد كنت أوثر أن تقـــول رثــائى
يا منصف الموتى من الأحيـــــاء

سلاما لك أيها الصديقُ العزيز ، وعليك رحمة الله ، وأفسح لك فى جناته ، وأسكنك رضوانه ، وجزاك عن العلم وأهله خيرا ، وبارك لك فى ذريتك تمد فى عملك الصالح وعطائك الممدود ..

وكتب الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

عن هذا العَلَم يقول:

مابين طرفة عين ، وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال فقد أصبح الكاتب الناقد النسَّابة : السيد حسن قرون خبرا للنُعاة ، وذكرى للرواة ، فى اليوم السادس من ذى الحجة ١٤١٢ الموافق لليوم السابع من شهر يونية ١٩٩٢ ، وهو على مسيرة أيام قلائل ، لسن الثمانين ، فقد دهمته سيارة مسرعة أثناء سيره بالطريق العام ، ولفظ نفسه الأخير بمستشفى الساحـــل التعليمى ، بعد نقله إليه ، وإجراء جراحة عاجلة له ، فى محاولة يائسة لإنقاذ حياته .. إلا أن القضاء المحتوم عاجله ، ليحط عصا التسيار ، ولينتقل هذا العلامة إلى أكرم جوار ، بعد حياة حافلة بالعطاء الفكرى الخصب ، فى شتى مناحى الأدب والتاريخ الإسلامى وعلم الأنساب وغير ذلك من نشاطاته التى سنواصل الحديث عنها فى باب النقد ــ بمشيئة الله ــ فاللهم ولا حول ولاقوة إلا بالله .

ولد ــ رحمه الله ــ فى التاسع عشر من يونية سنة ، ١٩١٢ م ، بقرية (تونس) مركز سوهاج ، وكان أصغر إخوته .. وحين لمس والده ــ الميسور الحال ــ شَغَفه بالعلم والتحصيل ، فى سن حفظه للقرآن الكريم ، وتجويده بأحكام التلاوة وهو فى سن الثانية عشرة ، سمح له ــ بالمضىَ قُدما فى الالتحاق بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر الشريف ، فحصل على الشهادتين : الابتدائية والثانوية من معهد أسيوط الدينى ثم التحق بكلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة ، حيث حصل على (العالية) [1] بتفوق ، عام ١٩٤١ ، بعد ذلك بعامين حصل على العالمية درجة إجازة التدريس ، فعمل بمدارس وزارة المعارف (التربية والتعليم حاليا) ، وانتهى به المطاف بالعمل وكيلا لمدرسة شبرا الثانوية ، حيث مقر إقامته الدائم مع أفراد أسرته بتلك الضاحية ، وفى خلال هذه الفترة دبَّج العديد من المقالات والأبحاث المستفيضة ، فى مجال تخصصه الأدبى ، ونشرها بالعديد من الصحـــف والمجلات ، نذكر منها : الأزهر والرواية والهلال والصباح والسياسة الأسبوعية ، والشعر والأخبار والرسالة كما كانت له مساجلات أدبية مشهورة بينه وبين كثير من الكتاب ، وبخاصة الذين كتبوا فى السيرة النبوية الشريفة على طريقة ترضى اليساريين .

كذلك كانت له مساجلات وتعقيبات مع الكاتبين من غير هؤلاء ومنهم شخصى الضعيف ولابأس من سرد هذه المساجلة ، بينى وبينه ، بإيجاز شديد ، لطرافتها ، ودلالتها على سعة اطلاعه ، وطول باعه ، ويقظته لما ينشر بالمجلات الأدبية ، حول تراث العربية الخالد ..

فقد حدث أن سبقنى القلم إلى كتابة بعض الوقائع عن شاعرنا العربى الجهير : (أبى تمام) [2] ، وجانبنى الصواب فى جزئية منها تتعلق بفترة و (جهة) إقامته بمصر ، أثناء تعقيبى على مقال نشره أحد الكتاب بمجلة (الهلال) عام ١٩٧٤ عن (ديوان الحماسة) فنشر الاستاذ قرون مقالا بعدد نوفمبر من مجلة الهلال ، فى

---

(١) ليسانس اللغة العربية .

(٢) بعدد مجلة (الهلال) الصادر فى أغسطس سنة ١٩٧٤ ، ولم أشأ اثبات نص هذه الكلمة ، تجنبا للإطالة . ويستطيع القارىء أن يستشف مضمونها من السِّياق .

ذات السنة ، تناول فيه بعض تعقيبى فقال : فمن الغريب أن يقول الكاتب (يقصد شخصى الضعيف) :

« إن ديوان الحماسة ، الذى جمع فيه أبو تمام مختاراته من عيون الشعر العربى ، لم يشتمل على شعر حربى ، يصف المعارك والانتصارات ، كما سبق إلى فهم الكثيرين »

وأنا لايهمنى رأى الكاتب ــ والكلام للأستاذ قرون ــ فى شعر أبى تمام (العلمى) ، ولا شعره الذى جاء شاهدا على قواعده .. وإنما يهمنى ديوان الحماسة .. فكيف خلا (ديوان الحماسة) من الحماسة ؟!..

إن شعر الحماسة فى الديوان بلغ ٣٣١ صفحة من الطبعة القديمة التى بيدى (طبعة ١٣٣٥ هـ) ، وكله شعر يفوح برائحة الدم ، شعر تسمع فيه دقات الطبول ، وصهيل الخيل ، وقعقعة السيوف ..

وكلنا قرأ الحماسة ، ويعرف أول قصيدة فيها « لقريط بن أنيف » ومطلعها :

لوكنت من مازن لم تستبح إبلى

بنوُ اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وفيها البيت المشهور :

لا يسألون أخاهم حين يند بهم

فى النائبات على ماقال برهانا

ثم يستطرد الأستاذ قرون فى حديثه عنى ، وعن زلة القلم :

« ومن غريب مأأتى به الكاتب أيضا ، أن أبا تمام عاشر الأزهريين وانتفع بهم ، حين كان الأزهر « فى نهاية شرفه العلمى » .. قال ذلك ، ليبرهن على نظرية جديدة ، وقع عليها .. يقول (أى شخصى الضعيف) : « ولعل السبب فى الفرق الظاهر من الزخرفة (الأبى تمَّامية) والبداوة (المُتَنَبِّيَّة) مثلا .. أن الأول انتقل من البداوة الخالصة ، إلى الحضارة الخالصة فى القاهرة ، فجاور (الأزهريين) ، فى عهد كان فيه الأزهر : « فى نهاية شرفه العلمى »

والقارىء ــ والكلام لقرون ــ حين يقرأ هذه الكلمات ، تروقه وتشوقه ، فهى قضية ، ولها برهانها .. وتضيع الحقيقة التاريخية بهذا المنطق ، فأبو تمام لم ير الأزهر ولا الأزهريين ، ولا القاهرة ، لأنه توفى ــ على أبعد التواريخ ــ ٢٣١ هـ ، والقاهرة تم بناؤها سنة ٣٦١هـ ، ومعها الجامع الأزهر .

وأما أبو تمام فقد ولد بقرية (جاسم) قرب دمشق ٢٩٠ هـ ، ونقل صغيرا إلى مصر ، فنشأ فيها صغيرا ، وكان يسقى بالجرة فى جامع عمرو ، كما يقول (الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه) ، وكما يقول شارح ديوان الحماسة ، أخذًا عن التبريزى : « ويقولون لعل طول مقامه بالمسجد ــ وهو يومئذ عُشُّ العلماء ــ حبَّب إليه العلم والأدب » فكاتبنا (يعنى شخصى مرة أخرى)

ترك جامع عمرو ، وترك عُشُّ العلماء ، ووضع قواعده ، وبنى عليها .

وقد يهم القارىء أن يعرف رأى كاتب هذا المقال فيما تقدم ، وعلى ذلك أُثبت ردى فيما يلى إتماما للفائدة ، الذى نشرته فى العدد التالى من الهلال ، الصادر فى ديسمبر ١٩٧٤ م ، وقلت فيه :

« أود أن أُقَرِّر ــ بادىء ذى بدء ــ أننى أُعجبت أيما إعجاب بالنقد الموضوعى النزيه ، الذى جاد به يراع الأستاذ السيد حسن قرون تعقيبا على كلمتى حول (ديوان الحماسة) لأبى تمام ؛ فقد كنت مثله أتوقع تعقيبا من كاتب المقال الذى عقبت عليه تعقيبا نقده الأستاذ السيد قرون ، أو تعقيبا من غيره من كرام الباحثين ، وذلك اننى لاحظت أن كلمتى ــ عند نشرها ــ قد سقط سهوا منها كلمة : ــ فحسب .. عند قولى عن الديوان ، أنه : « لم يشتمل على شعر حربى يصف المعارك والانتصارات » (فحسب) .. ويفهم من ذلك أن الديوان يشتمل على شعر الحماسة ، وغيره .. وقد جاء بكتاب : (الأفراح لإزاحة الأتراح) (١) لأحمد بن إبراهيم الأنصارى اليمنى الشروانى ، أن أبا تمام (هو الذى جمع الديوان المعروف بالحماسة ، وإنما قيل له ذلك ؛ لأن الباب الأول منه ، فى الحماسة ، أى الشجاعة .. والعرب تسمى قريشا : حُمسا ، لشدتهم فى القتال ، وإذا قيل هذا شعر الحماسى ، فالمراد به : أحد الشعراء المذكورين فيه ، سواء كان جاهليا أم إسلاميا) ولهذا الكتاب شروح

(١) ط المطبعة الكاستلية بمصر .

كثيرة ، أحسنها شرح العلامة الأجلّ ، الشيخ أبى علىّ أحمد بن المرزوق .

والسبب الأول فى تأليف أبى تمام لهذا الديوان هو على ماجاء فى كتب الأدب : « أن الثلج قد عاق أبا تمام ـــ وهو فى همدان ـــ عند رجل اسمه ابن سلمة ، فاغْتمّ لذلك أبو تمام ، وفرح ابن سلمة ، وقال له .

وطِّن نفسك فى البقاء ، إن الثلج لا ينحصر إلا بعد زمان .. وأحضر له خزانة كتب ، فطالعها ، وألَّف هذا الكتاب ، وكتبا أخرى ، فى الشعر المنتخب .. وبلغ عدد هذه الكـتب خمسة ، هى : كتـاب (الوحشيات) وكتاب (اختيار من أشعار الفحول) وكتاب (اختيار من شعراء القبائل) وكتاب (اختيار من أشعار المحدثين) وكتاب (الحماسة) .. ولم يبق منها إلا كتابه الأخير(١) .

والذى أُسَلِّم به ، بلا مراء ـــ هو تصحيح الأستاذ قرون ، لما ذكرته عند قدوم أبى تمام إلى مصر ، معتمدا على ذاكرة مكدودة ، زغزغتها نوائب الأيام .. حتى خلَطْتُ بين (جامع عمرو) ـــ عُشّ العلماء ـــ وبين : الجامع الأزهر .

مما تقدم ، يتبين مدى دقة ويقظة المرحوم الأستاذ قرون ، وتمحيصه لما ينشر بالمجلات الأدبية وغيرها .. وهذا مثل واحد .

● قدمته للقارىء ، من أمثلة كثيرة له مع آخرين ، فى مجال التصحيح والتصويب ، فقد كان فارس الحلبة حقا ، إذا انتضى قلمه ، للغوص على حقيقة من الحقائق ، وإظهار أسانيدها وعرض جوانبها المختلفة ، ببديهة حاضرة ، وسرعة خاطر مواتية .

وقد سبق لمجلة الأزهر الغراء أن أصدرت عدد صفر ١٤٠٣ هـ ومعه هدية العدد ، بعنوان (حافظ وشوق فى مرآة الزمن) بقلم الأستاذ السيد حسن قرون(٢) ، يعرض فيها عرضا وافيا شاملا لشتى جوانب الاختلاف والاتفاق ، حول الشاعرين الكبيرين ، بعبارة بليغة ، واستيعاب تام لكل ماكتب عنهما ، وتناول بالتحليل والدراسة والمناقشة ، كتاب الدكتور طه حسين ، الذى يحمل عنوان (حافظ وشوق) ، ووازن بينه وبين ما أورده العقاد بكتاب (الديوان) عن شوق ..

ورغم الصلة الشخصية الوطيدة التى كانت تربط السيد حسن قرون بالعقاد ، فإننا نرى الأستاذ قرون ، ينتصف لشوق من العقاد ، حينما قلَّل العقاد من قيمة بيت شوق المشهور ، بمرثيته لمصطفى كامل :

دَقَّاتُ قلب المرء قائلة له
إن الحياة دقائق وثوان

ولغته بالإحالة التى عَدَّها من عيوب المقلّدين ، وَوَلعهم بالأعراض دون الجواهر .. فقال الأستاذ قرون مُفَندا ومعقبا :

ـ « إن بيت شوق يعطى الشعور الحىّ وراء الحواس ، فحن نرى الساعة ، ونسمع دقاتها ، ولكنَّ تُنبِّهنا على أثر الزمن فى حياتنا ، يدعونا إلى الفزع ، والانتفاع بتلك الحياة ، التى تذلق منا ، دون أن نعيها ..

وبالإضافة إلى ماتقدم ، فقد كان الأستاذ قرون كثيرا ما ينظم الشعر فى أغراض مختلفة ، ومن ذلك قوله أثناء وقوفه أمام (الروضة النبوية الشريفة) أثناء (العمرة) التى قام بها :

---

(١) أنظر كتاب (تاريخ الأدب العربى) لنديم عدى ص ٥٠ جـ ١ .

(٢) وقدمت له أيضا ، من قبل ، هدية كل من أعداد : المحرم سنة ١٣٩٤ (الهجرة فى فلك التاريخ) وشعبان سنة ١٣٩٤ هـ (قصة القبلة فى الكتاب والسنة) ربيع الأول سنة ١٣٩٥ (أيمن مولود فى الوجود) وشوال سنة ١٣٩٥ هـ (زيد بن حارثة : المولى والأمير) .

يا خاتم الرسل إنى جئت معتذرا
والعفو عندك .. بشرى تدفع الضررا
فمذ عقلتُ وشوق فالق كبدى
واليوم يهدأ شوق ظل مَسْتعرا
لقد توانيت عن ركب المُنى زمنا
وها أنا ذا .. أُبارى الركبَ معتمرا

وقوله فى رثاء فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده (إلف الفؤاد)، رحمه الله :
ماكنت أحسبنى أحيا لأرثيه
وأن أقول قريضا دامعا فيه
وأن أزور مَغانيه لأسمعه
فلا أراه .. وتُشجينى مغانيه
إلْف الفؤاد .. قضينا العمرِ فى دَعَةٍ
فاليومَ لا أمَلُ عندى أرَجِّيه

ومما يحز فى النفس، أنه رغم هذا النتاج الغزير، فى حقل الدراسات الدينية والأدبية والتاريخية، وعلم الأنساب، والقصة القصيرة (بمجلة الرواية بصفة خاصة) .. فلم يطبع من حصيلة هذا النتاج كتاب واحد له، فى حياته المريرة المثمرة .. فهل نطمح إلى التفات الغيورين إلى هذه الحقيقة المؤلمة، ليشمروا عن ساعد الجد، والوفاء لذكراه، لجمع ما تناثر من آثاره القلمية فى بطون الصحف والمجلات، تمهيداً لإصداره فى كتب تصونه وتحفظه من التشتت والضياع، وتجعله فى متناول الدارسين والباحثين، وتخلد اسمه كعلم من أفذاذ العلماء العاملين المخلصين، تستفيد بعلمه وأدبه الأجيال .

وصفوة القول : ليت لنا اقتداره فى الكتابة الرصينة عن الأعلام، لتجويد الكتابة عنه، بدوره، بما يوفيه حقه، فهو بحق : منهم ومثلهم .. وقد جعل وكده استقصاء الحقائق المشرفة عن رجالات الإسلام، وأنسابهم، بتعمق وتفهم، بأسلوب كاتب صناع موهوب، يمتلك ناصيته اللغة والبيان ..
وبعد، يا ليت شعرى .. هل قلتُ الذى أجد ؟

يرحمه الله

اشتراكات مجلة الأزهر

الاشتراك لمدة عام : (٩) تسعة جنيهات مصرية فقط داخل جمهورية مصر
ترسل الاشتراكات إلى مؤسسة الأهرام ـ القاهرة ـ شارع الجلاء .
لا صلة لإدارة مجلة الأزهر، ولا محرريها بالاشتراكات، والاتصال المباشر بشأنها مع مؤسسة الأهرام .. شارع الجلاء القاهرة .

مجلة الازهر

العلوم الكونية

- الإنسان ومشكلات التلوث البيئى
- ماذا فى مساكـــــــن النمل
- الثقوب السوداء . بين الحقيقة والخيال
- الجديـــد فى العلـــم والتقنيـــة

الإنسان

ومشكلات التلوث البيئي

ا.د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الروم .

صدق الله العظيم .

شهدت العاصمة البرازيلية « ريو دى جانيرو » مؤخرا أعمال مؤتمر أكبر قمة عالمية ، للنظر فى المشكلات البيئية التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض ، وتنذر بكوارث كبرى مستقبلا ، وقد سبق ذلك قبل عشرين عاماً قمّة « استكهولم » التى وضعت قضية البيئة ـ لأول مرة ـ فى بؤرة الاهتمام العالمى . ويبدو من نتائج القمّتين أن الضوابط والمعاهدات الدولية التى توصل إليها المجتمعون غير كافية لتحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة من جهة أخرى .

والقضية فى مجملها لا تخلو من مداخلات سياسية بين دول الشمال الغنية ودول الجنوب النامية ، ولكنها فى جوهرها من صنع الإنسان ذاته منذ بدأ حياته على الأرض وهو يحاول أن يحمى نفسه من كوارث البيئة وغوائلها ، وانتهى به الأمر وهو يحاول أن يحمى البيئة من نفسه ، وسوف نقدم للقارىء فى هذا المقال فكرة شاملة عن صور التلوث البيئى الذى يمثل اليوم واحدة من أكبر مشكلات الإنسان فى هذا العصر .

المفهوم العلمى لبيئه :

« البيئة » كلمة يتسع مدلولها فى العلوم الكونية ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات الحية وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها . والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكوّنات البيئة دائم التأثير والتأثر فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة بما فيها من يمثل بنى جنسه .

والنظام البيئى ECOSYSTEM مصطلح علمى يطلق على أية وحدة من الطبيعة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية ، تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظاما مستقرا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدّره الخالق سبحانه وتعالى لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة . فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة ، وأكبر النظم البيئية هو ذلك الحيز الذى تظهر فيه الحياة على سطح الأرض ، مشتملا على الإنسان والحيوان والنبات ، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوى أى أن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض ، وكل شىء فى شبكة الغلاف الحيوى مرتبط بكل الأشياء الأخرى ، والخلل الذى يحدثه الإنسان فى مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة فى أماكن أخرى بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة .

والتوازن القائم الذى وضعه الله سبحانه وتعالى بين مختلف عناصر البيئة يمكن ملاحظته فى كثير من الأشياء التى تقع حولنا . مثال ذلك ما يقوم به النبات من امتصاص لغاز ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء ، لاستخدامه فى صنع غذائه بواسطة عملية التمثيل الضوئى التى يتولد منها غاز الأكسجين كناتج ثانوى تستهلكه الحيوانات المختلفة فى عملياتها الحيوية ، وفى الحصول على الطاقة اللازمة ، وتطلق بدورها غاز ثانى أكسيد الكربون ليبدأ دورته من جديد ، وإذا تأملنا النظام البيئى الأكبر فى محيط الأرض الحيوى لوجدنا أن كل ما فيه من ماء وهواء ويابسة وطاقة ومخلوقات حية يشكل كلًا متكاملًا يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء فى اتزان معجز ودقيق .

وتتجلى عظمة الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ ورحمته فى تنوع وتكامل عناصر البيئة بحيث تستطيع أن تقاوم بعض التغيرات إذا كانت فى حدود معينة تسمح باستعادة التوازن المطلوب ، ومن أمثلة ذلك أن النار إذا دمَّرت جزءاً من إحدى الغابات فإنه بعد أعوام قليلة تعود هذه الأرض التى احترقت أشجارها إلى طبيعتها الأولى فتنمو بها الحشائش والأعشاب ، ثم سرعان ما تكتسى بالأشجار الباسقة مرة أخرى . من ناحية أخرى ، عندما ينطلق غاز ثانى أكسيد الكربون نتيجة احتراق المواد العضوية وعمليات التنفس وتحلل أجسام الكائنات الحية ، فإن قدراً كبيرا منه يتم تثبيته بواسطة عمليات البناء الضوئى أو اختزانه بواسطة مياه البحار ، ولكن عندما يتدخل الإنسان فى هذا التوازن بتصرفات غير رشيدة ، تحت وطأة الحاجة إلى توفير مستلزمات التنمية ، كأن يلجأ على سبيل المثال إلى تدمير الغابات

وحرق كميات ضخمة منها ؛ فإن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى لابد أن ترتفع عن معدَّلها الموزون ، محدثة خللًا فى عملية الاتزان البيئى لا يسلم الإنسان من ويلاته .

المفهوم العلمى للتلوّث البيئى

التلوث البيئى مصطلح علمى يعنى وجود أية مادة أو طاقة فى غير مكانها وزمانها وكميتها المناسبة لاستمرار الاتزان البيئى ، أو هو ـ بعبارة أخرى ـ : كل تغير كمّى أو كيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية لا تقدر الأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل توازنها فالماء يُعتبر ملوِّثا إذا ما أضيف إلى التربة بكميات كبيرة ، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النباتات .

والأملاح تعتبر ملوِّثات عندما تتراكم فى التربة الزراعية بسبب سوء الصرف .

والسماد ـ المضاف إلى التربة الزراعية ، لتحسين خصوبتها ـ يعتبر ملوِّثا إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة ، والنفط يصبح ملوِّثا عندما يتسرب إلى رمال الشواطىء أو مياه البحار والأنهار ، ويتسع تعريف « التلوث البيئى » على هذا النحو ليشمل كل ما يكدّر أو يفسد أو يضرّ بأى من عناصر البيئة سواء كان هذا العنصر كائنا حيا : كالإنسان والحيوان والنبات أو مكوِّنا طبيعيا غير حىّ كالهواء والماء والتربة وغيرها .[٢] .

ومن هنا يمكن القول بأن التلوث كمشكلة بيئية لم تظهر بوضوح إلا بعد تزايد النشاط العلمى والتقنى للإنسان منذ مجىء عصر الصناعة ثم ازدهارها فى القرن التاسع عشر ، وحظيت هذه المشكلة حديثا بالدراسة والاهتمام ؛ لأن آثارها الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته ، وأخلت بالكثير من الأنظمة البيئية السائدة . أما فى عصور ما قبل الثورة الصناعية فإن الإنسان لم يتعرض لمشكلة التلوث البيئى ؛ لأن كل مخلفات نشاطاته كانت مما تستطيع الدورات الطبيعية للأنظمة البيئية أن تستوعبه ضمن سلاسل تحولاتها دون أن يختل توازنها .

أهم أنواع التلوث البيئى

١ ـ التلوث الحرارى : ويقصد به رفع درجة حرارة كل من الغلافين الهوائى والمائى للأرض بصورة ضارة ، ويعزى السبب الأساسى لهذا النوع من التلوث البيئى إلى كل ما أسفرت عنه نتائج تلك الثورة الصناعية الهائلة التى حققها الإنسان نتيجة ما أحرزه من تقدم علمى وتقنى فى مختلف مجالات الحياة ، فهناك كميات هائلة من الطاقة الحرارية التى تنطّلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعى فى مناطق البترول ومصافى تكريره ، والمراجل المتنوعة ، ومراكز تحلية المياه ، وأماكن التفجير النووى ، ووسائل النقل ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلى والخارجى ، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية .

---

(٢) تجدر الإشارة إلى أن تعريف « البيئة » يمكن النظر إليه ـــ أيضا ـــ من خلال النشاطات البشرية المختلفة ، فنقول البيئة الزراعية والبيئة الصناعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية .. إلى آخره . ومن ثم فإن كلمة « التلوث » يمكن أن يكون لها معنى معنوى عندما تدل على تغيرّ ينتاب النفس فيكدّرها أو الفكر فيفسده أو الروح فيضرها ، وهذا التغير يكون دائما إلى ما هو أسوأ أو يكون تغييرا من أجل غرض ما .

من ناحية أخرى ، يؤدى التزايد المستمر فى حرق كميات هائلة من الوقود الأحفورى (الفحم والنفط والغازات الطبيعية) إلى تزايد مُطَّرد فى نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو ، حيث بلغت التغيرات فى تركيزه حدًّا يتوقع علماء المناخ معه أن يصل إلى ٠,٠٦٪ ، أى ضعف النسبة الطبيعية تقريبا ، خلال القرن المقبل إذا أخذنا بعين الاعتبار معدلات التزايد المطرد فى استخدامات الوقود ، فقد أوضحت دراسات العلماء أن نسبة هذا الغاز فى الجو قد زادت من ٢٧٠ جزءاً فى المليون عند بدء العصر الصناعى إلى ٣٥٠ جزءاً فى المليون فى ثمانينيات القرن الحالى ، وكانت أسرع معدلات الزيادة فى العقود الثلاثة الأخيرة عندما زادت النسبة من ٣١٥ إلى ٣٥١ جزءا فى المليون فيما بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٨٨ . وينتج عن هذا التزايد فى تركيز غاز ثانى أكسيد الكربون أخطار عديدة منها زيادة تأثير « الصوبة » أو « البيت الزجاجى » green house effect الذى يؤدى إلى ارتفاع مستمر فى درجة حرارة الغلاف الجوى(٣) .

ويبدو أن دراسات علماء المناخ قد كشفت بداية مثل هذا الاتجاه عندما لاحظوا زيادة حوالى نصف درجة مئوية فى المتوسط الحرارى للكون منذ بداية هذا القرن ، وهذا فى الحدود المتوقعة بالنسبة لزيادة تأثير « الصوبة » . لكن التأكد من وضوح هذا الأثر يتطلب فترة أطول من الزمن نظرا للارتفاع الهائل فى قدرة المحيطات على امتصاص الحرارة بما يعادل ٤٠ ضعفا لقدرة الغلاف الجوى كله على الامتصاص .

ويحذر علماء البيئة والمناخ المشايعون لهذا التفسير مما يترتب على ارتفاع حرارة الجو من انصهار تدريجى للجليد المتجمع فوق القطبين وعلى القمم الجبلية المرتفعة ، وما يسفر عنه من ارتفاع فى منسوب مياه البحار والمحيطات وغمرٍ لمراكز الحضارة المنتشرة فى السهول الساحلية والمنخفضة(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الحديثة قد كشفت عن غازات أخرى لها تأثير الصوبة الزجاجية . مثل : غاز الميثان وبخار الماء والأوزون وغيرها من الغازات التى توجد فى جو الأرض بنسب صغيرة جدا ، إلا أنها تتزايد باستمرار ، فازدياد عملية التحلل العضوى التى صاحبت التزايد السكانى الهائل ، واتساع مساحات زراعة الأرز وانتشار حظائر تربية الماشية وتضخم مساحات القمامة خارج المدن وازدياد حرائق الغابات عند تنظيف الأراضى لزراعتها مجدَّدا ساهمت جميعها فى زيادة نسبة غاز الميثان فى الجو حتى أصبحت ضعف قيمتها منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ويتوقع العلماء أن يكون أثر غازات الصوبة هذه فى تدفئة الجو بحجم أثر ثانى أكسيد الكربون بعد حوالى خمسين سنة من الآن ، كما يتوقعون أن ينتج عن ظاهرة الصوبة ارتفاع حرارى يتراوح بين ١,٥ و ٤,٥ درجة مئوية بحلول عام ٢٠٣٠ م

(٣) يفيد تأثير الصوبة فى تفسير حالة الاتزان الحرارى فى الجو بالقرب من سطح الأرض ، حيث تعمل غازات معينة ، مثل ثانى أكسيد الكربون ، على حبس الحرارة فى جو الأرض بنفس الطريقة التى يحبس بها الزجاج الحرارة فى الصوبة الزجاجية التى يزرع بها بعض النباتات فى المناطق الباردة ، ومن هنا جاءت تسمية هذه الظاهرة باسم « تأثير الصوبة » أو « تأثير البيت الزجاجى » .

(٤) جاء فى مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة فى مدينة « سبليت » اليوغوسلافية فى مطلع اكتوبر عام ١٩٨٨ أن العلماء يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و ٥٥ سنتيمترا قبل حلول عام ٢٠٢٥ ميلادية ، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرنين من الزمن ، ومن ثم فإن هناك ثلاث مدن مشرفة على البحر المتوسط ستكون أكثر من غيرها مهددة بالغرق تقريبا ، وهى مدن الاسكندرية المصرية والبندقية الايطالية وسبليت اليوغوسلافية (عن مجلة آفاق علمية ، ع١٧ ، ص٤٨ ، يناير ١٩٨٩) .

وقد تلطف مياه المحيطات من هذا لارتفاع ؛ لأن تدفقتها تستغرق وقتا أطول (٥) .

وقد يبدو للمرء أن هذا الارتفاع المتوقع فى درجة حرارة الجو عديم الأهمية لضآلته نسبيا ، إلا أن أثره سيكون كبيرا على تغيرات الطقس العام وما يتبع ذلك من حدوث أضرار خطيرة تهدد مصير الكائنات الحية على الأرض ، فدفء الطقس ، على سبيل المثال ، يؤدى إلى ازدياد حدة الجفاف والرطوبة فى بعض المناطق ، ويعمل على تفاقم مشاكل التصحر desertification وتآكل التربة الزراعية وإرهاقها فى وقت قصير نسبيا . وبما أن الزراعة مجال حيوى هام ، فإن أى اضطراب أو خلل فى هذا المجال من شأنه أن يؤثر على أسعار المحاصيل الزراعية وأحوال المزارعين الاجتماعية ، وبالتالى على حركة التجارة العالمية .

٢ ـ التلوث الكهرومغناطيسى :

وهو تلوث ينتج من الموجات الكهرومغناطيسية التى تملأ الجو المحيط بنا ، وتنشأ هذه الضوضاء اللاسلكية عن مئات المحطات الاذاعية والتليفزيونية التى تبث برامجها ليلا ونهارا دون انقطاع فى مختلف أنحاء العالم . كما تنشأ الموجات الكهرومغناطيسية والمجالات المغناطيسية عن شبكات الضغط العالى التى تنقل الكهرباء مسافات بعيدة فى كثير من الدول المتقدمة والدول النامية ، وتتضمن هذه الشبكات عشرات من محطات القوى والمحوّلات ومحطات التقوية ، أضف إلى ذلك شبكات الموجات الدقيقة (الميكروويف) المستخدمة للاتصالات الهاتفية فى كثير من الدول . وتشير النتائج الأولية للأبحاث الجارية فى هذا المجال إلى التأثير السىء لهذا التلوث الكهرومغناطيسى على صحة الإنسان ، وخاصة فيما يتعلق ببعض التفاعلات الكيميائية التى تدور فى الخلايا الحية ، أو ما يتعلق بعمل المخ وأداء الجهاز العصبى ، وقد جذب هذا النوع من التلوث اهتمام الباحثين حديثا ، ومن ثم لا يمكن التسليم بصحة هذه النتائج بصورة نهائية فى ضوء ما تم من تجارب محدودة مقارنة .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم بإذن الله .

---

(٥) يستعين العلماء بعدد من النماذج الرياضية التى يدخل فيها ما يعرفونه من العوامل المؤثرة فى المناخ بواسطة الحاسب الآلى ، لكن مسألة التنبؤ بما سيحمله المستقبل من تقلبات فى درجة حرارة الجو يصعب حلها بصورة قاطعة نظرا لوجود عوامل كثيرة بعضها لا نعرف عن كنهها شيئا ، مثل غطاء السحاب الذى يعكس إشعاعات الشمس ويؤثر سلبا على درجة حرارة الجو ، أو تيارات المحيط التى تنقل الحرارة من مكان إلى مكان .

صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ

ماذا..

فى مساكن النمل..؟!

بقلم الأستاذ : منذر محمد عبدالرحمن

الباحث بمعهد بحوث وقاية النباتات ـــ فسيولوجيا الآفات .

من أعماق الماضى السحيق فى القرن العاشر من قبل الميلاد ، ترددت أصوات خطوات رتيبة منتظمة ، حيث يتقدم جنود من البشر والجن والطيور خلف قائدهم سيدنا سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى رهبة وخشوع ، زادتا من عمق صدى تكسر الأعواد الجافة ، وتفتت الصخور الهشة تحت أقدام الجنود الثابتة .

على مسافة غير بعيدة ، وعلى مشارف وادى النمل ، وفوق أحد التلال العديدة المليئة بالدهاليز والفجوات الداخلة التى صنعها النمل لتكون بيوتا له ، وقفت نملة تتابع باهتمام بالغ تقدم جيش سيدنا سليمان وتلاحظ اتجاه حركته ، وعندما أصبح الجيش قريبا ، وبات واضحا أنه سيمر فى طريقه على (وادى النمل) أرسلت تلك النملة صيحة تحذير بلغتها الخاصة — التى يفهمها النمل — قائلة لهم : ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، وسمع سليمان ما قالته وأدركه بما أنعم الله عليه من مقدرة على فهم لغة النمل ، وانشرح صدره كما ينشرح صدر المرء أمام كل طريف عجيب . إنه موقف يستحق أن يخلد وقد خلده الله تعالى فى سورة النمل :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

(سورة النمل ١٨ ـ ١٩)

والآن يا للعجب ! كيف حدث أن كان لمجتمع النمل لغته الخاصة وإدراكه المذهل ؟! .. ربما كان يجيب « هنرى فابر » ـ عالم الحشرات الشهير قائلا : « إن ذلك يرجع ببساطة إلى أن الله — سبحانه وتعالى — وضع الجهاز الضرورى للأعمال الفريزية فى واحدة من أصغر مخلوقاته » لقد أدخلتنا الجملة السابقة مباشرة إلى قلب عالم النمل العجيب حيث لا خروج على القوانين ، وحيث يضحى الفرد بحياته من أجل الكل ، وحيث النظام التام ، وحيث المملكة المترامية الأطراف التى يضل فيها أعظم العلماء — إذا لم يأخذ حذره — والتى ينقسم أفرادها إلى ثلاثة أنواع : الملكة التى تضع البيض ، والإناث العقيمات أو الشغالات ، ثم الذكور وهذا النوع الأخير .. يقوم فرد واحد منه بتلقيح أنثى عذراء مرة واحدة فى حياته .

وتشترك الأنواع الثلاثة من النمل من حيث التركيب فى ذلك الخصر الرفيع الذى يفصل بين البطن الذى يحتوى على أجهزة النمل الحيوية ، والصدر حيث العضلات القوية التى تحرك ستة أرجل نشطة والذى ينتهى برأس كبير بالنسبة لحجم باقى الجسم يحمل عينين كبيرتين ، وقرنى استشعار دائمى الحركة يعتمد عليها النمل اعتمادا كبيرا فى حياته ؛ نظرا لضعف نظره الشديد ، بالإضافة إلى هذين الفكين الرهيبين اللذين يستطيع نمل « الحصاد » أن يرفع بهما ٥٢ ضعف وزنه وهو ما يوازى قدرة الإنسان على رفع أربعة أطنان بأسنانه .

أنواع النمل :

ونمل الحصاد ما هو إلا نوع من خمسة عشر ألف نوع من أنواع النمل متعددة الألوان والأشكال تعيش منذ أكثر من ١٠٠ مليون سنة منتشرة فى كل بقاع المعمورة ، من أعالى الجبال إلى قيعان الوديان ، ومن القطب الشمالى إلى خط الاستواء ، ونجدها فى الصحارى كما نجدها فى السهول ، فى كل مكان — تقريبا —

تقع عيناك على ذلك الكائن باحثا عن غذائه أو عائدا لمستعمرته ، مستوليا ـ دون تحرُّج ـ على السكر الذى جهزته للشاى وقد نسيت أن تغلق عليه الإناء أو منهمكا فى تقطيع جثة صرصور ميت دون كلل .

فإذا عَنَّ لك أن تتابع أحدهم فقد يقودك إلى مدخل المستعمرة حيث تقف كتيبة قوية من النمل الكبير الحجم مستعدة للدفاع عن المستعمرة ضد أى دخيل ، فإذا عربدت فى رأسك فكرة الحفر لاستكشاف ما بعد هذا الباب فعليك أن تتحمل العشرات من عضات النمل المؤلمة . ولكن عليك أن تتزود بكثير من الصبر وستكتشف ما يدهشك .

والآن إذا مررت من الباب [1] فستجد دهليزا طويلا ، تتفرع منه عدة طرق تنتهى بحجرات صغيرة تربى فيها الصغار ، وهى قريبة من السطح لكى تساهم أشعة الشمس الدافئة فى نمو الصغار ، فاذا تجاهلت هذه الحجرات وتابعت الدهاليز فستجد مخازن الطعام ، وفيها ثقوب يشتم منها رائحة الغذاء المختزن وهو فى أحيان كثيرة عبارة عن حبوب تم تكسيرها بطريقة فنية بارعة لكى لا تنبت ، وليس هذا وقت الدهشة والتساؤل عن الكيفية التى أدرك بها النمل أن تكسير جنين الحبة يجعلها لا تنبت ، فما زال أمامك الكثير من المفاجآت ، لأنك إذا ما صابرت على تتبع الطرق المتشابكة فقد تعثر على حظائر الأبقار ، فالعديد من أنواع النمل فى المناطق المعتدلة تربى أبقارا تحلبها يوميا ، وبالطبع ليست أبقارا بالمعنى الحرفى ، وإنما هى عبارة عن حشرة خضراء صغيرة يطلق عليها اسم « المَنّ » تعيش على الأوراق النباتية الخضراء ، ولأن داخل المستعمرة لا يمكن أن تعيش النباتات ، فالنمل يقود قطعانا من هذه الحشرة يوميا إلى حيث الكلأ ، ويتم استخلاص (لبن) هذه الأبقار يوميا إذا جاز استعمال كلمة لبن على تلك الإفرازات الحلوة التى يفرزها المنّ ، ويحلو للبعض أن يسميها العسل ، والتى يهيم النمل بها ، ويفعل كل ما هو مدهش لكى يضمن حصوله عليها طوال العام ، ولهذا السبب ستعثر بكل تأكيد على مخزن جرَّار العسل فى بيوت النمل المُسمَّى بنمل العسل ، فهذا النوع من النمل يعتمد على العسل المخزون فى الفترة من نهاية الخريف إلى بداية الصيف ؛ لأن مادة المنّ[1] فى المناطق التى يعيش فيها هذا النوع من النمل لا توجد إلّا فى الأشهر الممطرة خلال الصيف ـ وستستدل على حجرة الجرار من الحراسة المشددة المفروضة على مدخلها ، وسأعتبرك محظوظا إذا أصبت بعضتين أو ثلاثة فقط من فكوك الحراس المستميتين فى الدفاع .

والآن رَكِّز النظر جيدا على هذه الجرار المعلقة فى سقف الحجرة وستلاحظ ـ لدهشتك ـ إنها تتحرك لسبب بسيط ، انها جرار عسل حية عبارة عن بعض النملات العاملات المتطوعات لأداء هذه المهمة ، حيث ارتشفن العسل بكميات كبيرة حتى انتفخت بطونها إلى حد أن تأخذ شكل البالون المنتفخ أو الجرة ثم تعلقت على سقف المخزن بواسطة مخالبها وبمساعدة باقى النمل .

وعندما تحتاج نملة إلى شىء من الغذاء تذهب إلى حجرة الجرَّار أو المخزن وتضع فمها على فم نملة من النمال الخازنة حيث تمر نقطة عسل من فم الجرة الحية إلى فم النملة الجائعة وسبحان الله ...

جناح النملة الأم :

وعلى عمق قدمين ، تزيد أو تقل قليلا ، ستتشرف بالتعرف على ملكة هذه المستعمرة ، النملة الأم ، حيث يحيط بها وصيفاتُها اللاتى تطعمها وتنظفها وتحرسها ، وبكل رقة تمنعها من الخروج إذا حاولت ، لأن هروبها من المستعمرة معناه انهيار المستعمرة بأكملها ؛ فلا أحد غيرها يستطيع وضع البيض المُخصَّب ، فمنذ اليوم التاريخى الذى تم تلقيحها فيه أثناء طيرانها فى الهواء بواسطة أحد الذكور الفدائيين والذى مات بعد أن أتم عمله وهى فى حجرتها هذه ، التى صنعتها بنفسها تضع البيض وتعتنى به حتى يفقس عن يرقات صغيرة تتحول

(١) عز الدين فراج : الحياة الاجتماعية عند الحيوان .

بعد فترة إلى عذارى ثم تتحول إلى نملات كاملات تقوم بمساعدة الملكة لتتكون فى النهاية مستعمرة كاملة متكاملة تبهرنا بنظامها .

مخزن الحبوب الكاملة :

فإذا تركت جناح الملكة وواصلت تجولك صعودا وهبوطا داخل الدهاليز فقد تعثر على مخزن الحبوب الكاملة ؛ لتلاحظ أن النمل يأخذ منها الحبوب الكاملة إلى الخارج بدلا من العكس ، فتشعر بالدهشة ، ولكن دهشتك ستزيد إذا ما علمت أن النمل يأخذ هذه الحبوب إلى الخارج لكى يزرعها ، فبعض أنواع النمل يمارس الزراعة بطريقة بالغة الإحكام يأخذهم لأن يقول : « لو استطاع رجل العصر الحجرى أن يدرس أسلوب النمل فى الزراعة ويتعلم منه لتقدم فى وثبة واحدة بضعة آلاف من السنين » .

فإذا كنت فى شك من هذا فحاول أن تحفر فى مستعمرة نوع من النمل يسمى « أتا » ولكن قبل أن أتركك تحفر اذكرك بأن أصعب المحصولات الزراعية هى فطريات « عش الغراب » لأنها تحتاج إلى تربة خاصة للغاية ، وإلى ظروف رطوبة ودرجة حرارة بالغة الإحكام ، ويقول العلماء أن الاحتفاظ بمزرعة نقية من صنف محدد منها من الصعوبة بمكان بسبب امتلاء الهواء بجراثيم الفطريات ، وحيثما يزدهر أحد الأصناف ، فهناك احتمال كبير فى توطيد أركان غيره .

والآن ابدأ الحفر وستجد حتما على عمق أكثر من متر وفى حجرة خاصة ، كتل متبلورة بنية اللون من مادة شبيهة بالأسفنج ، هى فى الواقع عبارة عن أوراق متحللة لنوع معين من النبات يسمى « الكيريزويت » إذا دقّقت فيها النظر ستجد خيوطا بيضاء رائعة من فطر عش الغراب تخترقها فى كل مكان وقد نما كأحسن ما يكون النمو لهذا الفطر ، إنه الطعام الوحيد لهذا النوع من النمل الذى يعيش غالبيته فى المناطق المدارية ، ولذلك فهو لا يقوم فقط بتحضير حوض زرع فطر عش الغراب ، بل يقوم بزراعته حيثما يمكن إنماؤه ، ويعمل على الاحتفاظ بالمزرعة نقية خالية من الحشائش وزيادة على ذلك فإنه يتحكم صناعيا فى المحصول بحيث لا ينتج سوى الخيوط ـ التى تعمل كالجذور ـ وكريات دقيقة فوق السطح يأكلها النمل ، والدليل على ذلك كما يقول العالم « جوزيف وودكراتش » انه إذا ما أزيل النمل الزارع من العش ، لا تلبث الحديقة أن تصبح برية ، وتتخذ مظهرا خضريا مختلفا ، كما تنتج كميات أقل من المادة الصالحة للأكل » .

ولضمان العناية الفائقة لهذا الغذاء الحيوى ، توجد بصفة مستمرة فى حجرة الزراعة ، مجموعة من الشغالة تستقبل أوراق شجرة الكريزويت وتنظفها باعتناء ، ثم تمضغها فتحيلها إلى عجينة مبللة باللعاب وتكورها على شكل كريات صغيرة لتضيفها إلى الحافة الخارجية للمزرعة بحيث تزداد مساحتها مع تقدم الزمن ، وكما يقول نفس العالم السابق : « يقوم فى نفس الوقت شغالة آخرون بالاحتفاظ بفطريات عش الغراب فى حالة جيدة واطعام اليرقات الدودية الشكل والحديثة الفقس بقطع من فطريات عش الغراب الناضجة » والتى تُعدُّ ـ كما ذكرنا ـ الطعام الوحيد لها أو للأفراد البالغة . ولا ننسى المجهود الذى تبذله فرقة ثالثة من الشغالة التى تتسلق شجرة الكريزويت ذات الخمسة أمتار طولا فتنزع أوراقها لتحملها إلى الأرض ثم إلى العش حيث تسلمها إلى أفراد الفرقة الأولى .

ولكن كيف حصل النمل على الجرثومة الأولى لهذه المزرعة أو البذرة التى بدأها بها ؟ سؤال يتكون من عدة كلمات لابد أنه سيتبادر على الذهن ولكن إجابته تحتاج إلى عدة صفحات قد تتعرف على إجابة لها فى مقالة أخرى على صفحات هذه المجلة الغراء ، لنستشف من سلوك تلك الحشرة الضعيفة عظمة الإله عز وجل .. ولتتردد فى رأسنا الآية الكريمة :

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ .

سورة لقمان ـ آية : ١١

الثقوب السوداء بين الحقيقة والخيال

بقلم أ.د. أحمد أحمد الناغى (*)

النجوم فى الكون : (كالشمس مثلا) تكون عادة فى حالة اتزان تحت تأثير قوتين : احداهما قوة التجاذب الكتلى والتى تعمل الى الداخل فى اتجاه مركز النجم وتميل إلى ضغط النجم ، والقوة الأخرى هى قوة الضغط المتولـدة عن نواتـج التفاعلات النووية والتى تنتج طاقة النجم وتعمل هذه القـوة إلى الخارج وتحاول التـوازن مع القـوة الجاذبة ، وطالما استمر النجم فى إنتاج الطاقة من وقوده النووى فانه يظل منتفخا كالبالون تحت تأثير القوتين سالفتى الذكر . وحيث أن وقود النجم من الأنوثة المتفاعلة كمية متناهية ؛ فانه سينفذ يوما ما ، وعندها تنخفض كل من الحرارة والضغط فى الجزء المركزى من النجم ويتقلص تحت تأثير الجاذبية الذاتية . ومعظم النجوم التى كتلتها مقاربة لكتلة الشمس قد تعانى من التقلص المذكور معطية نجوما ذات كثافات أكبر مليون مرة من كثافة الماء وتسمى مثل هذه النجـوم « الأقـزام البـيض » **WHITE DWARFS** . فإذا كانت كتلة النجم أكبر من كتلة الشمس فإنه يعانى انضغاطا أكبر من ذلك يمكن أن تصل كثافة مادة النجم فى هذه الحالة إلى قيم خيالية حوالى 10^{9} (واحد وأمامه تسعة أصفار) جرام لكل سنتيمتر مكعب ، أى ألف مليون مرة قدر كثافة الماء ، ويعرف حينئذ بالنجم النيوتـرونى **NEUTRON STAR** . وكما تعلم فان المادة فى الظروف العادية تتكون من ذرات ، والذرة تتكون من نواة موجبة الشحنة والكترونات سالبة الشحنة تدور حولها ، والنواة بدورها تتكون من بروتونات موجبة الشحنـة ونيوترونات متعادلة كهربيا . أما فى داخل النجم النيوترونى فان الضغط الشديد يرغم الالكترونات

(*) الكاتب أستاذ الفيزياء النووية بكلية العلوم جامعة القاهرة .

السالبة على الاتحاد مع البروتونات (الموجودة بالنواة) معطية نيوترونات وبذلك تكون جل مادة النجم من النيوترونات ، وهذا هو سبب تسميته بالنجم النيوتروني ، ويكاد يجمع العلماء الآن على وجود النجوم النيوترونية فى الفضاء الكونى .

ويفترض العلماء النظريون من أمثال كارل شفارتسشيلـــد **KARL SCHWARZILD** أن النجم إذا كانت كتلته أكبر بكثير من كتلة الشمس فإن الضغط الجذبى إلى الداخل يكاد يكون مفجعا وتنهار مادة النجم بسرعة عالية نحو المركز ولا تستطيع أى قوة منع هذا الانهيار الجذبى ولا يستطيع أى شىء موجود على سطح النجم الافلات من السقوط فى هذه الهاوية . حتى موجات الضوء لا تستطيع الانبعاث منها بل تنحنى رأسا على قدم وترتد مدحورة لغياهب المجهول .

ولا نستطيع نحن الراصديـــن من الخارج الحصول على أى معلومات عما يحدث بالداخل ، فقد انقطعت وسائل الاتصال بين داخل النجم المنهار وخارجه ، ويطلق العلمـــاء على هذه الكيانات الغريبة اسم الثقوب السوداء **BLACK HOLES** وهذه النجوم الهائلة الكتلة والتى لبست « طاقية الاخفاء » تمثل مصدر تشويق واثارة لعلماء الفيزياء والفلك .

ويطلق على حدود الثقب الأسود ، أى المناطق التى لا يمكن توصيل معلومات منها إلى العالم الخارجـــى ، اسم « أفـــق الحادث » **EVENT HORIZON** ، وعند هذا الأفق تحدث أمور عجيبة .فلو تخيلنا أننا أرسلنا سفينة استكشاف فضائى إلى ثقب أسود وتابعنا مسارها على شاشات المحطة الأرضية إلى أن تقترب من أفق الحادث فإننا سوف نرى عجبا عندما يبدو لنا (نحن الملاحظين الأرضيين) أن الزمن قد تجمد وأن السفينة لم تعبر الأفق بل توقفت عنده ، أما بالنسبة للرواد بداخل السفينة فسيبدو لهم أنه فى خلال زمن قصير جدا أقل من واحد على عشرة الاف من الثانية انهم قد عبروا الأفق حيث تسحقهم من الوجود القوى الجاذبة اللامتناهية . ان ما ذكر الآن من عنصر تشويق كان فقط على سبيل المثال لا الحصر ، الواقع أن حل المعادلات الرياضية المتصلة بهذا الموضوع يؤدى للعديد من الظواهر التى تفوق حتى الخيال العلمى .

أما كيف نستدل على وجود الثقوب السوداء إذا كانت قد لبست طاقية الاخفاء ؟ قال العرب قديما البعرة تدل على البعير ! .. فقد لا يمكن تسجيل أى أثر مباشر من ثقب أسود لكن قوة جذبه العاتية تؤثر على ما يحيط به من نجوم ، فلو درسنا أشعة اكس الصادرة من نجم ما فاننا نستطيع أن نحكم إذا كان هذا النجم يوجد فى جوار ثقب أسود . هذا ما تم الكشف عنه سنة ١٩٧٠ بواسطة القمر الاصطناعى الأمريكى يوهورو **UHURU** ويعرف هذا المصدر باسم سيجنوس اكس ــ ١ **(CYGNUS — X — 1)** وهو يتألف من نجم ساخن ضخم الكتلة يلازمه رفيق خفى كتلته حوالى ١٥ مرة قدر كتلة الشمس ، وفى يوم الخميس ٩ ابريل سنة ١٩٩٢ تم الكشف بواسطة علماء من أمريكا عن وجود ثقب أسود هائل فى مركز المجرة المجاورة لمجرة درب التبانة . وفى جميع هذه الحالات ما زال العلماء غير قادرين على تقديم برهان قاطع لا يتطرق اليه الشك عن اكتشاف الثقوب السوداء . ولكن المؤكد أن مواصلة البحث والدراسة ستؤدى لكشف شىء ما . فلقد مات كولمبس دون أن يدرى أنه اكتشف عالما جديدا وأرضا بكرا وسبحان الله إذ يقول :

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ الإســـراء

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

جهاز ملاحة الكترونى

ابتكرت شركة بريطانية جهاز ملاحة الكترونى يعمل بالحاسب الآلى ويتولى تحديد مختلف المواقع البحرية ومزود بخرائط ملاحية وتصل قدرته إلى ٥٠٠ نقطة مسار ؛ تحديد المواقع بالطول والعرض والمسافات . يمتاز الجهاز الجديد بالدقة وسهولة الاستخدام وبه امكانيات « كمبيوترية » تتولى تخزين المعلومات الملاحية وبثها على شاشة بللورية .

باحثة بالمركز القومى للبحوث

أحـــدث طريقة
لعلاج السكر تحت الجلد

تمكن خبراء أمراض السكر فى أمريكا من ابتكار جهاز جديد لعلاج مرضى السكر ، حيث يستطيع الجهاز وهو فى حجم الإبرة ، بعد وضعه تحت الجلد أو فى الأوعية الدموية ، قياس السكر فى الدم طوال الأربع والعشرين ساعة دون الحاجة إلى أخذ عينات من المريض حيث أنه مزود بكمبيوتر متصل بجهاز لحقن الأنسولين تلقائيا فى الجسم كلما احتاج اليه ، وأكد العلماء أن هناك أبحاثا تجرى الآن تبشر بالنجاح وتمثل أملا جديدا لوقاية الأطفال المعرضين للإصابة بالسكر عن طريق تحضير مصل ضد الفيروس المسبب للمرض وذلك فى حالة معرفة هذا الفيروس أو الفيروسات المسببة له وإعطاء هذاالمصل للتلاميذ قبل السن المدرسى .

دبابة لاستكشاف
القطب الجنوبى

صمم الخبراء الأمريكيون طوافة تصلح لاستكشاف القطب الجنوبى والطوافة ضخمة يمكنها السير على الطرق الوعرة بطريقة الدبابة ، كما يمكنها اجتياز البحار بسهولة ، حيث زودت بجنازير متحركة ، ثم تثبت فى منطقة ما بالقارة الجنوبية وتكون ملتقى المستكشفين والباحثين والعلماء ، والطوافة القطبية الضخمة عبارة عن معمل علمى حديث ضخم وبها أماكن لايواء الباحثين وسطحها عبارة عن مهبط للطائرات التى ستكون حلقة الاتصال بين الباحثين وأوطانهم .

وقد تم بناء الطوافة فى أحد مراسى البناء العالمية بولاية فلوريدا الأمريكية .

مترجم يتحدث ٥ لغات

قامت احدى الشركات اليابانية بصنع مترجم الكترونى يمكنه التعامل مع ٥ لغات هى الانجليزية والأسبانية والايطالية والفرنسية والالمانيـــة ، ويحتوى المترجم على عشرة آلاف كلمة و ٦٥ ألف اصطلاح ولا يكتفى بعرض معنى الكلمة أو الاصطلاح المطلوب باللغة المطلوبة لكنه ينطقها وبصوت مفهوم تماما .

دواء جـــــديد
لوقف انتشار السرطان

بدأ العلماء الأمريكيون يختبرون نوعا جديدا من الدواء ضد السرطان ، يعتمد الدواء على فهم طبيعة الحياة فى جزئيات الخلايا السليمة وفى فهم التغييرات التى تحدث في الجينات الوراثية والتى تحول الخلايا السليمة إلى خلايا مريضة ويقوم هذا الدواء الجديد بمهاجمة المرضى من جوانب متعددة فهو يمنع البروتينات الموجودة على جدار الخلية من أخذ مواد كيماوية من الدم تساعد على نمو الخلية ، كما أنه يوقف نمو الأورام بتدمير قدرتها على الانتشار والانتقال إلى أنسجة أخرى من أنسجة الأعضاء ، ويعمل على تحديد الخلايا السرطانية ويحدد حركتها .

الموز لعلاج
قرحة المعدة

اكتشف العلماء بجامعة « استون » بانجلترا أن تناول الموز يساعد على تنمية وزيادة خلايا الغشاء الحساس الذى يغطى جدار المعدة وقد قام العلماء بتصنيع بعض المستحضرات الطبية التى يدخل الموز فى تركيبها لعلاج مرضى قرحة المعدة .

الموسيقى تؤثر
على نمو النباتات

اخترع باحث أمريكى جهازا إلكترونيا يساعد على نمو النباتات ، ويصدر أصواتا موسيقية وزقزقة عصافير بإنتظام مع الرش بمحلول يحتوى على هرمونات طبيعية مستخرجة من جذور نباتات الأرز ، وباستخدام هذا الجهاز تمكن مزارع من ولاية ميسورى من زراعة الطماطم على أنغام الموسيقى بلغ وزن الواحدة منها سبعة كيلوجرام ، وحصد مزارع آخر من نبات فول الصويا ضعفى حصاده من النباتات الأخرى .

سيارة هيدروجينية
لا تلوث الهواء

تمكن أحد العلماء فى اليابان من اختراع سيارة تسير بالطاقة الهيدروجينية السائلة وأكد أنها لا تتسبب فى تلوث الهواء ، تمكنت السيارة الهيدروجينية عند اختبارها من الوصول إلى سرعة قصوى بلغت ٨٢ ميلا فى الساعة وأكد المسئولون فى المصنع اليابانى الذى قام بصنعها أن سرعتها تصل إلى ٩٤ ميلا فى الساعة وأن لها مضخات وصمامات يسيرها كمبيوتر مما يجعل الهيدروجين فى درجة حرارة ٤٥٣ تحت الصفر ، ونظرا إلى قابلية الهيدروجين السائل الشديدة للاشتعال فإن المهندسين يخشون من مخاطر الانفجار عند حدوث التصادم .

قمر صناعى لدراسة
تغييرات الأرض الطارئة

قامت وكالة الفضاء الأوربية بإطلاق قمر صناعى لدراسة التغييرات الطارئة على الأرض والناتجة عن النشاطات البشرية أو الطبيعية مثل : أثر البيوت الزجاجية ، وارتفاع مستوى المحيطات ، والتلوث الجوى أو البحرى ، والتصحر وتقلص مساحات الغابات . ويعمل القمر فى الجو الصحو والغائم ويمسح الأرض ويكتشف أدق التغييرات فى البيئة الأرضية بفضل مجموعة من الأجهزة بينها رادار للتحليل يزن ٣٣٨٠ كيلوجرام عند الاقلاع ، ويستطيع هذا الرادار أن يرى كل شىء بسرعة تصل إلى ١٠٠ مليون بثة فى الثانية .

أصغر مسجل يعمل بالليزر

انتجت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات أحدث جهاز تسجيل صغير الحجم — يمكن وضعه فى الجيب — أطلقت عليه « مينى مسجل » ويجمع بين مميزات الكمبيوتر والمسجل العادى ، وتكنولوجيا الليزر والترانزستور . الشريط الخاص به عبارة عن اسطوانة صغيرة شبيهة باسطوانة الكمبيوتر بحجم ٧ سنتيمتر ، والتسجيل يتم بالليزر ، كما أنه مثل الشريط العادى يتيح التسجيل والمسح عدة مرات ويتسع لما يعادل ٧٤ دقيقة تسجيل .. والمسجل الجديد فائق الحساسية ويمكن الاستماع إلى أى مقطع فيه خلال ثانية واحدة .

طرائف و مواقف

اعداد الأستاذ
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« شيء من القرآن الكريم »

قال عمران بن حطان :

خطبت عند زياد خطبة ، ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخا يقول :

« هذا الفتى أخطب العرب ، لو كان فى خطبته شىء من القرآن الكريم » .

« حقا ليتنــا »

روى الجاحظ عن يزيد بن إبان الرقاشى أنه قال :

ليتنا لم نخلق .
وليتنا إذ خلقنا ؛ لم نعص .
وليتنا إذ عصينا ؛ لم نمت .
وليتنا إذا متنا ؛ لم نبعث .
وليتنا إذابعثنا ؛ لم نحاسب .
وليتنا إذا حوسبنا ؛ لم نعذب .
وليتنا إذا عذبنا ؛ لم نخلد .

دعـــاء

« اللهم ارحم ذلى وضراعتى إليك ؛ ووحشتى من خلقك ، وأنستى بك يا كريم » .

يا أخى

تزود من التقوى فإنك لا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

حقيقة

من رام عيشا هنيئا يستفيد به
فى دينه ثم فى أخراه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدبا
ولينظرن إلى من دونه مالا

« الظلمات .. وسراجها »

قال سيدنا أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه : ــ

الظلمات خمس ، ولكن لكل واحدة سراج :
فالذنوب ظلمة وسراجها : التوبة .
والقبر ظلمة وسراجه : الصلاة .
والميزان ظلمة وسراجه : لا إله إلا الله .
والصراطُ ظلمة وسراجه : اليقين .
والآخرة ظلمة وسراجها : العمل الصالح .

« إلا باب التوبة »

قال رجل لابن مسعود ــ رضى الله عنه » : عملت ذنبا هل من توبة ؟ فأعرض عنه ؟ ثم التفت إليه ، فرأى عينيه تذرفان بالدموع !!

فقال له : إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة ، فإن عليه ملكا موكلا لا يغلقه إلى يوم القيامة ، فلا تيأس من رحمة الله .

نصيحة

يا ابن آدم ؛ طأ الأرض بقدمك ؛ فإنها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ؛ فرحم الله رجلا نظر فتفكر ؛ وتفكر فاعتبر ؛ واعتبر فأبصر ؛ وأبصر فصبر .

فارس

قال يزيد بن المهلب يوما لجلسائه : أراكم تعنفوننى فى الاقدام ؟

قالوا : نعم ؛ والله إنك لترمى بنفسك فى المهالك .

فقال : إليكم عنى ، فو الله لو لم آت الموت مسترسلا لآتانى مستعجلا ؛ إنى لست آتى الموت من حبه إنما آتيه من بغضه ؛ وقد أحسن من قال :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
حياة لنفسى مثل أن أتقدما

جعل الله ــ تعالى : العز فى القناعة ، والذل فى المعصية ، والهيبة فى قيام الليل ، والغنى فى ترك الطمع .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الإسلام والسلام

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

مما لا شك فيه أن ما أنزل الله ـ سبحانه ـ من دين كله متفق فى أصول العقائد من الإيمان بالله والجنة والنار ، وغير ذلك من المسلمات التى سمت بالإنسانية . ونأت بها عن الزلل والشطط والتفريط والإفراط . ومنعت الجهالة أن تضرب أطنابها على مناحى الحياة .

ولقد كانت هناك دائماً قلة مؤمنة حول الرسل والمبشرين والهداة الناصحين ، وحول دعاة الإصلاح فى الأمم الأخرى تبشر بالمستقبل المنتظر : فلما بزغت شمس الرسالة المحمدية كان ذلك إيذانا بتغلب قوة الاصلاح والخير ومطلعاً لعهد فريد من السمو بالإنسانية إلى أقصى ما ينبغى لها من مراتب الكمال والكرامة ولبنتها الأولى السلام . ولا غرو فى ذلك فإن السلام إسم من أسماء الله الحسنى واهب الأديان ومرسل الرسل دعاة محبة وسلام .

قال فضيلة الأستاذ رحمه الله :

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر ، ولا يحول بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى ، سواء أكانوا يسكنون معهم فى وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطاناً أخرى من هذا العالم .

وإن منها ما ليس كذلك ، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون ، بل ربما وقف فى سبيل التعاون البشرى والإخاء الإنسانى ، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه . وإن مثل هذا الدين يكون شراً تنوء به الحياة ؛ لأن الاختلاف بين البشر فى العقائد والأديان واقع ماله من دافع ، وليست هناك قوة يمكنها رفعه ، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة ، وأراد محو الأديان الأخرى ما عداه ، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها ، كان محاولاً ما لا يكون ، إنما الذى يكون هو الشقاق والتنابذ والحرب المتأججة التى لا تخمد ، والحكم الحق

على هذا الدين أنه لا يصح أن يكوّن أتباعه مع أتباع دين آخر وطناً واحداً ، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم .

وهل أسوأ من وطن يتعادى أبناؤه ولا يقدرون على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه ؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازاً فى هذه الدنيا ؟ تعادى الأمم الأخرى وتذكى نار الحرب ، وتكدر السلم وتقف فى طريق الغاية العظمى للإنسانية ، وهى السلام الدائم على هذه الأرض .

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتنقيه وعلى من لا يعتنقونه ، فهو لا يدعو معتنقيه إلى التورط فى حروب تلو حروب ولا يكدر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح .

والدين الإسلامى أين مكانه ؟ أفيه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثانى ؟ فهو حرب على الأديان الأخرى يشن عليها الحروب ويغير عليها كلما واتته فرصة ؟

إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامى من الأديان التى تدعو إلى السلم ، والذى يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين فى دولته أو فى دول أخرى . وذلك يتضح من أمور :

١ ـ أنه بيّن فى غير ما آية ، أن الاختلاف فى العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك فهو واقع لا بد منه ، ومحاولة تغيير سنن الكون عناء فى عناء ، لا تجدى إلا الكد والنصب فيما لا يكون ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمة داع للحقد ولا للبغض .

٢ ـ أنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التى لا هوادة فيها ﴿ لا إكراه أحد فى الدين ﴾ ، فكل امرىء يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين الا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ؛ليخرجوها من دينها .

٣ ـ قوله تعالى ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ، أجاز فى الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضاً فيطلقوهم لفداء ، وفى هذا تعليم عملى للمسلمين أن يعطوا مخالفيهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد أعتدائهم وحربهم والقدرة عليهم .

٤ ـ أنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم فى الدين ذمة[1] ، وأن يسكنوا فى وطن واحد .

٥ ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ بيّن حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هى مثل حقوق المسلمين ، لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا ، أى : لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ ـ صرح تصريحاً قاطعاً لا يقبل الشك ولا التأويل ، أن الاختلاف فى الدين لا يؤدى إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذى يؤدى إلى ذلك هو عدوانهم :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الممتحنة

(١) أى عهداً .

٧ ـ أن القران دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتى هى أحسن ، وحصر مهمة الرسول فى البلاغ :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ ، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

ولعل قائلا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ما ورد فيه من الدعوة إلى الحرب

وقتال المشركين كافة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ ، ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ، ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ ، ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾

أليست هذه الايات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ويطلب أن نقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقلعوا عنها كما ورد ؟

قلنا : إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا فى سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ؛ بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغضى عمن ناصبوه العداء وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفى الأيدى ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ؛ لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفى الإسلام حباً للسلام أنه يبغيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ولا يقدح فى حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم . وهذا هو مجمل الآيات والأحاديث التى تدعو إلى الجهاد والقتال وهى تارة تأتى مقيدة بالعدوان وتارة تأتى مطلقة عن التقييد لعلمه ، من الحال ، كأن يكون الكلام فى قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعلمه من النصوص التى تحرم قتال من لم يعتد ، وما كان الله ليترك هذه المسألة وهى تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم ، دون نص قاطع وبيان واضح وقد جاء هذا البيان فى قوله

تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ ،

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ ، ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ .

اعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ويكيدون له ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هى تأليب دول العالم عليه وإفهامهم أنه حرب للسلام وللتعاون البشرى والإخاء الإنسانى ؛ ليقفوا منه موقف العداء ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهدون فى أن يفهموه الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر فى الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه وعلى الإنسانية ؛ لأنه لو ترك وشأنه ، لورَّطها فى حرب تلو حرب ، وفى نزاع دائم وخلاف مستمر ؛ لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجراثيم الضارة والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذى يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة وأيمن على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواه ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذى يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام ؛ فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم فى جهاد فى غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرهم إلى العدو المتربص الذى يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

اللغة والنقد والأدب

- أســـــاس البلاغـــــة
- ســــنين القهـــــر
- هذا الملتقـــى الفلسفـــى

أساس البلاغة

للإمام الزمخشري

رحمه الله تعالى

د/توفيق محمد شاهين

قاموس رائد فى دنيا القواميس العربية ، له شهرة وصيت بين العلماء ، والبلغاء والأدباء . لا يستغنى عنه العالم ولا الشادى ، ولا الأديب أو المتأدب ، وهو دليل عبقرية الزمخشرى ، وطول باعه فى هذا المجال ، وبالتالى دليل على نضج علوم البلاغة واتضاح معالمها فى عصره (القرن السادس الهجرى) بعد جهود خلاقة ــ خلال ثلاثة قرون تقريبا قبله ــ لعلماء اللغة والبلاغة . والزمخشرى حين فرق بين الحقيقة والمجاز كان أزكى من أن يزج بنفسه فى ميدان ليس أهلا له ، وأكبر من ان يترك أثرا فذا مثل اساسه ، وفيه مطعن أو مغمز أو قصور أو مجارفة تنقص منه ــ عن اهمال أو جهالة ــ اللهم إلا استدراكات لوضوح شواهد لمحها من بعده من العلماء ، واتضاح مسيرة للفظ عربى ، ليقال : ترك الأوائل للأواخر شيئا ، وجلّ من لايسهو .

والعلامة ابن حجر العسقلانى ، استدرك على « الأساس» بما رأى أنه صواب فى رأيه ، وألف فى ذلك « غراس الأساس» الذى قمت ــ بفضل الله تعالى ــ بتحقيقه وتقديمه للطبع ١٤٠٨ هـ .

ولأساس البلاغة ميزات ، منها :
تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة ، والكتابة عن التصريح ، كما ذكر الإمام الزمخشرى فى مقدمة كتابه « أساس البلاغة» .

كما ان من ميزاته : التمكن من اجتناب الإسهاب ، وارتكاب الإيجاز ، كما قال العلامة ابن حجر العسقلانى فى مقدمة كتابه « غراس الأساس» تقريظا لأساس البلاغة للزمخشرى :

وكتاب الغراس لابن حجر ، استدراك على « اساس البلاغة » فى أدب العلماء واعتراف للسابق بالفضل والسبق ، بغية الفائدة ، والنقد البناء ، لا للفخر والمباهاة ، كما يفعل هواة الفخر والتجريح . فقال : ما أذكره فى هذا المختصر « غراس الأساس » هو ما جرى فى الاستعمال المجازى .. وما سكت عنه فهو من الحقيقة ، وإن عده « الأساس » من المجاز .

وتأسيسا على ذلك وافق ابن حجر الزمخشرى فى كثير من الأمور المجازية ، واختلف معه فى بعضها الآخر ، كما جعل مما أشار اليه الزمخشرى على أنه حقيقة من باب المجاز .. والعكس بالعكس .. كل ذلك فى أسلوب سهل واضح ، فى ايجاز غير مخل ، ولا تطويل ممل ، ضاربا صفحا عن الكلمات التى تخدش الحياء ، أو التى هى من شواذ القراءات والتعبيرات ، كما جاء فى كتابه .

والاستاذ المرحوم الشيخ أمين الخولى كتب .. يقدم « الأساس » سنة ١٩٥٣ م ويعدد من ميزاته .

بيان اثر الاستعمال فى حياة الكلمة وتعيين دلالتها ومعناها ، مما انطوى تحت استعمالات المُفْلِقِين ، حتى القرن السادس الهجرى ، وذلك ينير الطريق لمن يحاول تأريخ تلك الدلالات .. حتى يمكن فهم النصوص الأدبية فهما دقيقا ونفسيا .

ومنها ــ بالتالى ــ ايحاء الكلمة ، ووقعها على نفس سامعها ، وما توحيه فى التراكيب الحسنة ، ونوابغ الكلم الهاديـــة إلى مراشد حر المنطـــق .. كما عبر الزمخشرى نفسه فى المقدمة ...

« وأساس البلاغة بهذا وذاك ستظل له جدته ، وصلاحيته للبقاء ، ووفاؤه بمتطلبات الحياة والأحياء .. وأشواق الروح والمستقبل » .

وخاصة حين نيسر اقتناءه ،ونعنـــى بإخراجه ، ونلحق بـ « الأساس » « غراسه » فى ثوب يواكب ركب الطباعة الأنيقة ، والاخراج البديع ، بما يضيف الجلال الى الكمال لتراثنا . ولكن الشيخ أمين الخولى لا يساير القوم كثيرا فى أن ميزة الأساس هى تبيان الحقيقة من المجاز فقط ، لأسباب منها :

ان المعنى الاصطلاحى المستقر للمجاز اللغوى ، لم يكن قد بلغ مداه ، عندما ماكتب الزمخشرى ــ المتوفى فى القرن السادس الهجرى ــ قاموسه : « أساس البلاغة » ..

ويستشهد لذلك باختلاف الفهم للمجاز اللغوى فيما بينه وبين صاحب الغراس ــ المتوفى فى القرن التاسع الهجرى ــ بعد أن استقر الاصطلاح على معنى ذلك المجاز اللغوى ، المعروف فى كتب القوم .

ويستشهد أيضا على ذلك بما ذكره ابن حجر فى مقدمة « الغراس » هذا ».. ولاكتفائه بالكتب المصنفة فى اللغة ؛ لأنها أوعب للمجاز من أساس الزمخشرى ، ويدلل بأمثلة على هذا الاختلاف بين الامامين من غراس الأساس ، ويصف القواميس الأخرى بأنها كالهياكل العظمية ، وأنها لن تحيا حياة أثرية .

وليت الشيخ أمين الخولى اقتصر على ماذكره فى تقديمه بأنه لا يساير القوم كثيرا ــ وان سايرهم قليلا حسب المفهوم ــ وجعل ملاحظته منصبه على تبيان الحقيقة من المجاز فقط .. لأن وصفه للقواميس الأخرى كالهياكل العظمية ، وانها لن تحيا حياة أثرية !! وشبيه بقوله ما قاله بعض الكتاب ــ يوما ــ بأن قواميسنا القديمة يشم منها رائحة البعر وأبوال الإبل .. ؛ لأن هذه التجاوزات والمجازفات بالقول والملاحظة ، يحط أمام الناشئة من قيمة تراثنا الخالد ، ومقومات حيّاتنا الثقافية والأدبية . وما امتلاء معاجمنا بمئات وآلاف المواد لموضوع واحد ، مثل وصف الجمل والحصان ــ كما عاب ذلك غرٌ آخر ــ إلا دليل على غنى اللغة العربية فى وجوه استعمالاتها حين الاحتياج إليها ، ودليل ايضا على نبوغ علمائنا القدامى ، وقوة ملاحظاتهم ، وغزارة علمهم ، وسعة باعهم فى الجمع والاستيعاب .

ونلاحظ ان نقد الشيخ أمين الخولى : انما هو لجزئية فقط من ميزات ــ الأساس ، وليست هدما له من الأساس ولا متعدية الى ميزاته الأخرى .

وقضية عدم الاستقرار على فهم المجاز اللغوى حتى عصر الزمخشرى ــ على نحو ما ذكر الشيخ أمين الخولى ــ قضية لا نسلم بها ، ونختلف معه فيها لأسباب ، منها :

ان هذه القضية مختلف عليها بين علماء البلاغة القدامى ، بل والمحدثين مع ملاحظة أن الموافقين على الاستقرار .. أكثر ، وأدعى إلى القبول والثقة .

فبعضهم يرى أن قضايا البلاغة لم تكن استقرت منذ البدء بها فى القرن الثانى الهجرى ، حتى القرن الخامس الهجرى ، وحتى القرن السادى أيضا ويذكرون أن معالم البلاغة وحدودها قد اتضحت فى عصر السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) وعلى يديه بالذات ، كما ذكر الدكتور عبد القادر حسين فى كتابه : « المختصر فى تاريخ البلاغة » (ص ١٩٨ ، ط أولى) وهو بذلك يرى رأى الشيخ أمين الخولى ، وان كنت لا أوافق على ذلك .

لأن الزمخشرى أجل من أن يزج بنفسه فى ميدان ليس أهلا له ، ولا من فرسانه ، وهو من هو تشهد كتبه نضوجا وتمكنا.

ولأننا حين نرجع الى الكتب الأصلية المؤلفة فى البلاغة منذ القرون الأولى ، على يد علماء البلاغة — نجد أنها كانت متضحة الحدود ، واضحة المعالم ، قد استقر أمرها ، واستمر مريرها على ايديهم فى القرن الثالث والرابع والخامس ، كما ذكر اكثر من مختص بعلوم البلاغة .

غاية مافى الأمر كان التجاوز فى العناوين ، وعدم الفصل بين الموضوعات فى جملتها — من ادب وبلاغة ولغة مثلا — لم يكن محددا وقتذاك ، ولم يتم الفصل فيما بعد الا لغرض تعليمى محض ، حين فترت الهمم وقصرت العزائم ، وخاصة فى عصور الضعف بالنسبة للعلوم العربية عامة .

كما ان الفصل بين مواد العربية كالأدب ، والبلاغة ، عامة لم يكن مطلوبا ولا مرغوبا فى ذاته حينذاك ، لتضلع العلماء بالعلوم العربية وفروعها ، وفراغ بال ووقت الطلاب ، وطلب العلم لذات العلم ، ولوجه الله سبحانه .

وقد وصلنا من كتب البلاغة القيمة — وفيما نحن فيه بالذات بعد القرون الثالث والرابع والخامس — كتبا فيها وضوح وشمول للموضوعات التى تناولتها ودلالة على الاستقرار المطلوب ، والمتحدث عنه ، نخص بالذكر منها :

- كتاب البديع لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .
- وتلخيص البيان فى مجازات القرآن للرضى (ت ٣٠٤ هـ) والمجازات النبوية له ايضا ، كالنظرية والتطبيق فيما كتب .
- وتفصيل عبد القاهر الجرجانى (٤٧١ هـ) بين الحقيقة والمجاز فيما كتب .
- وكثير من علماء البلاغة تركو لنا ثورة بلاغية واضحة الحدود فيما كتبوه قبل وفاة الزمخشرى ، بل وقبل ولادته — رحمهم الله أجمعين — نذكر منهم :

— ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .
— وابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) .
— والقاضى الجرجانى (ت ٣٩٢ هـ) .
— وابو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ)
— والشريف الرضى (ت ٤٠٤ هـ) .
— والقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) .
— والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) .
— وابن سنان الخفاجى (ت ٣٦٦ هـ) .
— وعبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) .

وكل هؤلاء الاعلام كانوا قبل عصر الزمخشرى وتأليفه لأساس البلاغة ، علماء البلاغة وأساطينها والا فما الجديد فى هذا الجانب بعدهم حتى وقت الزمخشرى ، أو بعد وفاته حتى الآن فيما نحن بصدده ؟ اللهم لاجديد ، الا : توضيح غامض ، أو شرح مجمل ، أو استدراك مكمل ، أو العثور على تراكيب توضحها كتب البلاغة والأدب ، وتمليها وتحمها قواعدها بعد ان اتفق عليها وقر قرارها بشكل واضح مستوعب .

ويؤكد ذلك ان جامعى القواميس اللغوية العربية الأول ، كان همهم حفظ اللغة وتدوين مفرداتها من كلام الاصلاء من أهلها الفصحاء .. خوفا عليها من الاندثار أو الضياع ، فى أماكن معينة ، محدودة بأزمان محددة .

ونشك اذن فى أن أمر المجاز اللغوى أو غيره — حتى ذلك الوقت — كان غير تام ، أو غير واضح المعالم والحدود كما يقال ، بل اتضح كل شىء فى أمر المجاز اللغوى فجاءت — أبحاثهم سوية ، ومؤلفاتهم مكتملة .

ومن يطالع تأليف الزمخشرى عامة ، لايسلم فى هذه الجزئية التى اثارها الشيخ أمين الخولى ، فما نظنه كان يقدم على تأليف اساسه ، وفيه أمر لم يتضح ولم ينقدح فى ذهنه ، وقد شهد العدول والفحول له بطول

الباع فيما ألف وكتب وخاصة فى البلاغة ، وبميزات اساسه كما ذكر هو وغيره من العلماء المختصين الفاهمين والفاقهين .

والزمخشرى نفسه ينصح من يتصدى لتفسير القرآن الكريم ان يبرع فى علمى البيان والمعانى ، وإلا فلن ينجح فى محاولاته التفسير والتأويل ، مهما بلغ فى الفصاحة ، فكيف ينصح غيره بما لا يبرع فيه ، أو لم يتضح له ، كما قيل ؟ وكيف يقدم على تفسيره القيم ، وهو غير واثق باستقرار البلاغة وحدودها ؟ ولو طالعنا تفسيره لقوله تعالى :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

وتفسيره ـــ فى الكشاف أيضا ـــ قوله سبحانه :

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ ، ولو رجعنا الى رسالة الدكتور : محمد ابو موسى والتى نال بها الدكتوراه عن « بلاغة القرآن فى كشاف الزمخشرى لرأينا ثبوت قدم الزمخشرى فى البلاغة ، وبصره بمسائل البيان والمعانى ، واستقرارها فى فهمه ، واستيعابه لها ؟

فما ذكر من اقوال تشكك فى اقدار علمائنا الافذاذ ، أو تسهل الطريق بلمزهم مرفوض اساسا ، جملة ، وتفصيلا .. وما كان من مآخذ فيجب ان تكون من مختصين ومتمكنين ، ومستدركين عليهم ، لكن فى أدب العلماء ، كما ذكر ابن حجر فى مقدمة غراسه ، والاستدراك دليل نقص البشر وغفلتهم عن جزئيات .

ونحن نعلم ان الكمال لله وحده ، وان فهما قد يصل ـــ فى مسائل جزئية ـــ للمتأخرين وما تيسر للمتقدمين . وان الاستدراك بامعان النظر فى الكتب المختصة قد يوحى للاحق بما لم يتمكن منه السابق لسبب : كضيق الوقت ، وتزاحم التأليف ، وضيق العيش والحال ، وانعدام الامكانات المتاحة والمعينة على الحصر والكتابة لا التمكن من أبعاد الفهم .

وان العلوم أولا وأخيرا منحا إلهية ، قد يدرك منها المتأخر مالا يدرك المتقدم ، كما ذكر الامام ابن مالك فى التسهيل .

ولايكون ذلك اطلاقا مدار تنقص ، أو غضا من قيمة عالم لايزال يملأ سمع الدنيا ، وبصائر أهلها ، وسترث ذلك الاجيال القادمة ان شاء الله تعالى كمفخرة للعرب والمسلمين ، دليلا على حضارتهم الإنسانية ،.وقيمهم العلمية .

ولو توقف الاستدراك ، وتلكأ الاستنباط ، وتعثر النظر فيما الفَّ وكتب عامة من أصحاب الاختصاص .. لركدت الهمم وتبلد الفهم ، وساء الحال والمصير ولكنا قد اكتفينا بالقليل ، وعزفنا عن التفهم والتفقه والتبصر بما توحيه السطور ، وما بين السطور .

فرحم الله الزمخشرى فيما ترك من تراث قيم ، وما أبدع فيه بما نفخر به ، ورحم ابن حجر فيما استدرك وقدم نتيجة بحث فى كتب اللغة المختصة ،... واستيعابه وفهمه لما كتب فى الغراس ، بما يشهد له بطول الباع فى علوم العربية وبراعته فى العلوم الإسلامية ـــ كما سيرى القارىء فى الغراس ان شاء الله تعالى ، ويحكم بما يتراءى له مؤيدا أو مفندا ـــ كما شهدت له الدنيا ببصره ، وتمكنه فى علوم الدين .

وأسجد لله تعالى شكرا : أن وفقنى لتحقيق هذا السفر الجليل ، والاثر الرائع للامام ابن حجر العسقلانى ، ليرينا حسن الفهم ، وقدوة الآداء ، والأدب فى النقد ، وسمو اللفظ والعبارة ، وشمول المعرفة ، والتواضع فى العمل ، والإخلاص لوجه الله تعالى ، والاعتراف للسابق بما هو اهله ، والاستدراك عليه ، أو نقده بما لا يشين ولا يعيب ، لكن من باب تدارك السهو والفائت ، وتلك سمة العلماء العاملين ، المخلصين لله رب العالمين .

واسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعله فى موازين عملى يوم الدين ..

وكلى رجاء فى أن يخرج بفضل الله نادر الأخطاء ، لبعد الشقة بين كندا ـــ حيث أعمل ـــ وبين القاهرة حيث يطبع .. وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان .. دلالة على نقص الإنسان . وما كان من صواب فمن فضل الرحمن ..

والشاعر يقول :

من ذا الذى ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

سنين القهر

للأستاذ/مصطفى أبو السعود وهدان

ورد البيت :

وعوضوهم سنين القهر واحتسبوا * كل المعاناة وعند الله قربانا (١)

واعترض ناقد على التعبير بـ (سنين القهر) واعتبرها خطأ نحوياً ، ثم رأى أن تحذف نون (سنين) ثم تضعف ياؤها وتضاف إلى (القهر) فتخلص — بذلك — من خطأ لِيَرِدَ خطأ آخر .

وكلمة العلم فى (سنين) نقدمها من مصادرها العلمية البحتة التى تجيز فى النهاية صحة التعبير بـ (سنين القهر) كما وردت بالقصيدة :

يقول ابن مالك فى ألفيته :

أولـــو ، وعـــالمون ، علِّيونـــاَ   وأرضون شذ ، والسنونـــــا
وبابـه ، ومثـل «حين» قد يرد   ذا الباب ، وهو عند قوم يَطَّـرِد

---

(١) ورد هذا البيت ضمن قصيدة الشاعر رشاد محمد يوسف بعنوان (إلى أعضاء رحلة الأزهر إلى الكومنولث الإسلامى) نشرت فى عدد ذى الحجة ١٤١٢ هـ /يونية ١٩٩٢ م ص ١٥٤٠ ، ١٥٤١ رقم البيت فى القصيدة ٣٢

وشرح فضيلة شيخنا المرحوم/محمد محيى الدين عبد الحميد هذا البيت قائلا : وتقدير البيت :
وقد يرد هذا الباب ، وهو باب (سنين) معربا بحركات ظاهرة على النون مع لزوم الياء مثل إعراب «حين» بالضمة رفعا ، والفتحة نصبا ، والكسرة جرا ، والإعراب بحركات ظاهرة على النون مع لزوم الياء يطرد فى كل جمع المذكر السالم ، وما يلحق به عند قوم من النحاة أو من العرب .
وقد استشهد ابن عقيل على صحة هذا الإعراب بحديث رسول الله ــ ﷺ ــ : «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» فى إحدى الروايتين . واستشهد كذلك بقول الشاعر :

دعانِــىَ من نجد فإن سنينــه　　　لَعِبْنَ بنا شيبــاً وشيبننــا مُرْدًا

وعلق على ذلك فضيلة المرحوم الشيخ/محمد محى الدين عبد الحميد قائلا :
«اعلم ان إعراب (سنين) وبابه إعراب الجمع (أى : جمع المذكر) بالواو رفعا ، وبالياء نصبا وجرًّا هى لغة الحجاز وعلياء قيس ، وأما بعض بنى تميم وبنى عامر فيجعل الإعراب بحركات على النون ، ويلتزم الياء فى جميع الأحوال ، وقد تكلم النبى ــ ﷺ ــ بهذه اللغة فى قوله يدعو على المشركين من أهل مكة : «اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» وقد روى هذا الحديث برواية أخرى على لغة عامة العرب : «اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فإما أن يكون ــ عليه الصلاة والسلام ــ قد تكلم باللغتين جميعا : مرة بهذه ، ومرة بتلك ، لأن مقام الدعاء مقام تكرار للمدعوبه ، وهذا هو الظاهرة ، وإما أن يكون قد تكلم بإحدى اللغتين ورواه الرواة بهما جميعا . كل منهم رواه بلغة قبيلته ، لأن الرواية بالمعنى جائزة عند المحدثين ، وعلى هذه اللغة جاء شاهد ابن عقيل السابق . كما جاء قول جرير :

أرى مَرَّ السنيــنَ أخــذْنَ منــى　　　كما أخـــــذ السرار من الهلال

وقول الشاعر :

ألم نَسْقِ الحجيج ــ سَلِى مَعَدًّا ــ　　　سنينــاً ماتعــد لنــا حسابــا

وقول الآخر :

سنينى كلهــا لاقــيت حربــاً　　　أُعَدُّ مع الصلادمــة الذكــور

ومن العرب من يلزم هذا الباب الواو ويفتح النون فى كل أحواله ، فيكون إعرابه بحركات مقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل . ومنهم من يلزمه الواو ويجعل الإعراب بحركات ظاهرة على النون كإعراب (زيتون) ونحوه ، ومنهم من يجرى الإعراب الذى ذكرناه أولا فى جميع أنواع جمع المذكر السالم وما ألحق به ، إجراء له مجرى المفرد ، ويتخرج على هذه اللغة قول ذى الإصبع العدوانى :

إنى أبِــىٌّ أبِــىٌّ ذو محافظــــة　　　وابــن أبِــىٍّ أبِــىٍّ من أبِيِّــنِ

فتلخص لك من هذا أن ماذكرناه فى (سنين) وبابه أربع لغات . وأن ماذكرناه فى الجمع عامة لغتان .

والله أعلــم

هذا الملتقى الفلسفى الرابع

للأستاذ : شعيب الغباشى

تقدم مجلة الأزهر هذا التقرير عن المؤتمر السنوى الرابع للجمعية الفلسفية المصرية ؛ ليكون صورة دقيقة عما يدور فى مستويات الفكر المختلفة التى تصدر عن الدين أو التى تود تنحيته عن مسار منطلق المسلمين فى مجتمعنا ، مع انكماش هذا الجانب ـ فى هذه الدورة ـ بلا قيد أو شرط مما يثير أكثر من تساؤل .. !!

وأيا ما كان ، فإن الذين يستهدفون الحق ، وينمو فى ضمائرهم شرف الإنسانية الرفيع ، ينبغى أن يعلموا ـ وهم للأسف غافلون ـ أن الحضارة هى المطلب الأمثل الذى طولب به الإنسان من بدء خلقه .. فهو خليفة الله ـ سبحانه ـ فى الأرض ، ليعمرها .. عمرانا يتناول شتى ميادين الحياة التى تنهض به . أى إن الدين حضارة .

هذه حقيقة دينية إسلامية مسلمة ، قال تعالى :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٣٠

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية ١٦٥

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

سورة هود ـ آية : ٦١

فأية حضارة يمكن أن نلتمسها فى غير منهج الخالق ـ جل وعلا ـ فضرب من الهراء :

ثم نحن نتساءل :

هل يمكن لمؤتمر أن يضع قواعد لسلوك حضارى أم أن منهج التربية فى الأمة يدفعها إلى ممارسة سلوك ذى حكم حضارى .

أقامت الجمعية الفلسفية المصرية فى الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ يونيو ١٩٩٢ مؤتمرها السنوى الرابع بكلية دار العلوم جامعة القاهرة تحت عنوان « نحو مشروع حضارى جديد » شارك فيه أكثر من ١٦٠ باحثا بأبحاث دارت حول محاور ثلاث على النحو التالى :

المحور الأول : تأصيل المشروع الحضارى .

المحور الثانى : حاضر المشروع الحضارى .

المحور الثالث : مستقبل المشروع الحضارى .

أقيم المؤتمر تحت رعاية الدكتور مأمون محمد سلامة رئيس جامعة القاهرة . الذى أكد فى كلمته فى افتتاح المؤتمر على أهمية الموضوع ، وأن الأمة فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المشروع الحضارى ، وأن وجود هذه النخبة من أساتذة ومفكرين قادرين على أن يخرجوا من هذا المؤتمر بمشروع حضارى ينتشل الأمة من وهدتها ويخرجها من أزماتها الطاحنة .

وجاءت كلمة الدكتور أبوالوفا التفتازانى رئيس الجمعية الفلسفية المصرية لتؤكد على الحوار وأهميته بين

الحضارات مشيرا الى تلك الصلات الوثيقة التى قامت بين الحضارتين الإسلامية والأوربية فى العصر الوسيط ، وقال : ان الحضارات تتفق حول أمور كثيرة ، والحوار بينها مستمر ، فهى تتفق على قيمة العلم منهجا وأسلوبا فى الحياة بالإضافة إلى التوافق على قيمة الإنسان وحريته .

وأشار الدكتور محمد البلتاجى عميد كلية دار العلوم إلى ضرورة الارتكاز على قواعد الإسلام من قرآن وسنة وإجماع وقياس ، ونحن نقدم هذا المشروع الحضارى،وقال : إننا أمة لنا حضارتنا ولنا عقيدتنا وينبغى أن ينبثق أى مشروع حضارى جديد لأمتنا من حضارة الإسلام وعقيدته الكاملة الشاملة ، وأكد على أن أى مشروع لهذه الأمة لا يقوم على أساس من دينها وعقيدتها فهو مشروع حكم على نفسه بالفشل وعدم الصلاحية ؛ لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها .

الحضـارة الإسـلامية

وتحدث الدكتور زكى نجيب محمود عن الحضارة الإسلامية مؤكدا أن العرب جمعوا بين وسيلتى الإدراك : الوجدانية والعقلية كأنهما فى كفتى ميزان ... ثم قال : إننا كمسلمين . مطالبون بقراءة الطبيعة من أول آية نزلت من القرآن الكريم ، ثم قال : إن الأيام دول وسوف تزول الحضارة القائمة الآن وتتساقط .. ولكن السؤال : من يرث هذه الحضارة وتلك الريادة ؟!

وجاءت كلمة الدكتور محمود حمدى زقزوق لتأكد أن الحضارة فى جوهرها تهدف لصالح الإنسان بالدرجة الأولى وأن أية حضارة تسقط وتنتهى حينما تهمل فى مبادئها الاهتمام بالإنسان على مستوى الفرد والجماعة على حد سواء ، فالبعد الإنسانى فى كل الحضارات هو أهم الأبعاد التى ينبغى أن تتوفر فى أى مشروع حضارى جديد بجانب الاهتمام بالبعد الأخلاقى .

أما الدكتور حسن حنفى رئيس قسم الفلسفة بآداب القاهرة فأشار إلى أن كل مجتمع له مشروعه الحضارى ، وأكد على أن العلوم كلها فى حاجة إلى تجديد وإلى تعديل وتغيير ، فالسابقون رجال ونحن رجال !! نتعلم منهم ولا نقتدى بهم [١] ، وطالب بأن يكون المشروع الحضارى الجديد ملتحما بالواقع ويعمل على حل مشكلات المجتمع من بطالة وسوء أخلاق وغيرها .

سقوط العلمانية

وأكد الدكتور سعد الدين صالح عميد كلية أصول الدين بالزقازيق على أن أى مشروع وارد من الشرق أو الغرب لا يصلح لأمتنا العربية والإسلامية ؛ لأن أى مشروع حضارى ينبغى أن يكون نابعا من الظروف النفسية والتاريخية والعقائدية والاجتماعية لهذه الأمة ، فالمشروع الذى يصلح لأمة ليس بالضرورة أن يكون صالحا لأمة أخرى .

وأوضح الخطأ الذى وقعت فيه العلمانية وهو أنها وضعت الدين فى مواجهة العلم وقال أصحابها : إنك إذا أردت أن تكون علمانيا فابتعد عن الدين والعكس صحيح ، ومن هنا شكلتَ العلمانية تعارضا صريحا مع الدين ،فى الوقت الذى احتل العلم فى الإسلام منزلة عالية ويكفى أن نعلم أن أول كلمة نزلت فى الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إقرأ ﴾ .

ويتسأءل الدكتور حامد طاهر رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بدار العلوم : هل يَلْزَمُنا مشروع متكامل نقوم بتنفيذه على أرض فضاء ؟

أم نحن فقط محتاجون لاستكمال مشروع قديم حدثت به بعض التداعيات ؟! ويوضح الأسس التى ينبغى أن يقوم عليها المشروع الحضارى الجديد وهى اللغة بمفهومها الواسع الذى يحدث التواصل مع تراث الماضى والتعامل فى الوقت نفسه مع العالم المعاصر

(١) فى العبارة تناقض واغتراب .

وكذلك الدين بمفهومه المتكامل الشامل الذى يضم العقيدة ، والشعائر والأخلاق والتشريعات ، والعناية بالبيئة درسا وتحليلا واستثمارا ، والاهتمام بالكفاءة البشرية للوصول إلى الأداء الأمثل عن طريق التعليم والتثقيف والتدريب .

أما عن القيم التى ينبغى أن يسعى لتحقيقها المشروع الحضارى الجديد فهى : إعلاء قيمة العقل الإنسانى وقيمة العمل الإنسانى ، والتعاون للوصول إلى خدمة الصالح العام للأمة وإعلاء قيمة التضحية فى سبيل الجماعة مع الحفاظ على كرامة الفرد وتشجيع الطاقات الخلاقة وإحترام مبادراتها .

ملامح المشروع

الدكتور على عبدالمعطى رئيس قسم الفلسفة بآداب الاسكندرية يؤكد على أن ثمة أزمة فكرية فى الأمة بوجه عام ، وهى أزمة تتمثل فى عدم وجود رؤية واضحة لفكر مصرى عربى(٢) مستقل له معالمه الواضحة وأسسه الراسخة .. وقد اتجه جناح من هذه الأزمة نحو التقوقع على ما هو قديم والتفاخر به والقعود عنده دون طلب الجديد بينما اتجه جناح آخر إلى الأقتباس والنقل عن الحضارة الغربية بروافدها المختلفة التى قد تكون متعارضة فى كثير من الأحيان دون أدنى اهتمام بمدى توافق هذا الفكر المستورد مع طبيعتنا وعقيدتنا وواقعنا المعاشى .

ويشير إلى ملامح المشروع الحضارى الجديد فى أنها تتمثل فى الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والتخلى عن الأيدلوجيات المستوردة المجلوبة من واقع آخر نحن بعيدون عنه مع الاعتماد على الواقع الحى المعاش كما هو بحيث ينبثق الفكر عن الواقع ، والاهتمام بالبعد الدينى باعتباره محوراً مهما لا يمكن انكاره بحال .

لقد أكدت جلسات المؤتمر العديدة فى الأيام الثلاثة أن الإسلام يعطى الحرية الكاملة لصاحب الرأى ؛ كى يعرضه ولا يحرم الإسلام ولا يجرم آراء المخالفين ما دامت لا تخرج عن كلية من كلياته العليا .. وقد ظهر ذلك بوضوح شديد حينما قام أحد الباحثين بعرض أفكار وآراء قد تتعارض مع آراء الكثيرين ولكنه قام بعرضها وتم التعقيب عليها والرد على ما جاء فيها من شبهات !!

توصيات المؤتمر

وقد توصل المؤتمر إلى عدد من التوصيات :

أولا : أهمية الأخذ بالدين والهوية الثقافية للأمة كمنطلق للمشروع الحضارى الجديد .

ثانيا : أهمية الإنسان ، والتركيز على حقوقه فى التفكير والتعبير ؛ باعتباره صانع الحضارة وغايتها .

ثالثا : أهمية الأخذ بالمنهج العلمى ومعطيات العلوم وتشجيع العلماء وتدعيم المؤسسات العلمية .

رابعا : أهمية الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية كمكونات رئيسية للمشروع الحضارى .

خامسا : التركيز على وحدة الأمة وتجديد طاقتها بكافة فعالياتها من أجل تحقيق هذا المشروع المنشود .

سادسا : أهمية التعددية الثقافية والحضارية فى العالم إثراء للتجربة الإنسانية المشتركة وتبادل الخبرات بين الشعوب .

سابعا : أهمية الحوار بين الحضارات والتفتح على المشاريع الحضارية الأخرى دون الخضوع لما يسمى بنظام العالم الجديد وضرورة إسهام مشروعنا الحضارى إسهاما فعالا فى قيام نظام عالمى أمثل .

ثامنا : الدفاع عن حقوق الشعوب فى ممارسة سيادتها على أرضها واستقلالها القومى واحترام حقوقها المشروعة وخصوصا فى فلسطين والبوسنة والهرسك وبورما وكافة المناطق الأخرى .

تاسعا : مناشدة الضمير العالمى ألا يكيل بمكيالين فى تعامله مع قضايا الشعوب وتطلعها إلى الحرية والاستقلال .

---

(١) فى العبارة تناقض واغتراب .

(٢) لم يوضح الدكتور الفرق بين الأزمة فى الأمة والأزمة فى الفكر المصرى مما أدى إلى غموض فى العبارة . وعدم فهم المقصود منها .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام

أبى يحيى زكريا الأنصارى

تحقيق : فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

ـ ٢ ـ

« باب المد والقصر »

المد هنا زيادة المط فى حروف المد ، وهى : الألف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ولا يكون إلا لسبب .

والقصر : ترك تلك الزيادة ، والسبب إما لفظى أو معنوى ، فاللفظى إما همز أو ساكن ، فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله فإن كان بعده ـ وهو معه فى كلمة واحدة ـ فهو المتصل نحو « أولئك » و « السوآى » و « سِيئت » وإن كان أول كلمة وحرف المد آخر أخرى فهو المنفصل نحو « بما أنزل إليك » و « قالوا ءامنا » و « فى أنفسكم » .

والساكن إما لازم ، وهو : الذى لا يتغير فى حاليه أو عارض ، وهو الذى يعرض للوقف ونحوه ، فاللازم نحو « الضالين » و « وأتحاجوني » ، والعارض نحو « العباد » و « نستعين » و « يوقنون » حالة الوقف ، و « فيه هدى » و « قال لهم » و « يقول ربنا » حالة الإدغام فأجمع القراء على مد نوعى المتصل والساكن اللازم[1] ، وإن اختلفوا فى قدر المد — أيضا فى مد نوعى المتصل والساكن العارض وفى قصرهما ، فالمتصل اتفق جمهور القراء على مده قدرا واحدا مشبعا من غير إفحاش .

وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه ، فالطولى لحمزة ولورش من طريق الأزرق ، ولابن ذكوان من طريق العراقيين ، ودونها لعاصم ، ودونها لابن عامر والكسائى وخلف ، ودونها لِلبَصْرِيَّيْن وابن كثير وأبى جعفر وقالون وورش من طريق الأصبهانى ، وبعضهم لم يجعل فيه غير مرتبتين : الطولى لمن ذكر ، والوسطى لمن بقى .

واللازم فاوت فيه بعضهم والناس قاطبة على خلافِهِ .

والمنفصل قصره ابن كثير وأبوجعفر وكذا البصريان وقالون وهشام وحفص وورش من طريق الأصبهانى بخلاف عنه ، والباقون يمدونه ويتفاوتون فى المراتب كما مر فى المتصل ، وذهب فيه إلى أن المد فيه على مرتبتين : طولى لحمزة ولورش من طريق الأزرق ولابن ذكوان من طريق المشارقة ووسطى لمن بقى .

والعارض يجوز فيه لكل من القراء المد والقصر والتوسط . وإن كان الهمز قبل حرف « المد نحو أولى » و « إيمان » فلورش من طريق الأزرق فيه المد والتوسط[2] هو [و] ما كان قبل الهمز فيه ساكن صحيح فى نحو كلمة « القرآن » و « مسئولا » وما كانت الألف فيه مبدله من التنوين وقفا نحو « دعاءا — ملجأ » وكذا « يؤاخذ » حيث وقع ، قال الأصل : وما ذكر فى الشاطبية والتيسير ومن تبعهما ولم يستثنها غيرهما ، بل نص على مدها صاحب « العنوان » و « الهادى » وغيرهما وفى استثناء ما وقع حرف المد فيه بعد همز الوصل حالة الابتداء نحو « اوتمن — إيتونى » وفى استثناء « الآن » موضعى يونس و « عادا الأولى » فى النجم . ويأتى فى « الآن » بحسب الاعتداد بالعارض وعدمه ستة أوجه .

مد الأول وتوسطه وقصره مع تثليث الثانى فى الأول وتوسطه وقصره فى الثانى وقصره فى الثالث .

أما السبب المعنوى فهو المبالغة فى النفى ، ويسمى مد المبالغة ، ومنه المد للتعظيم نحو — « لا إله إلا الله » وقد مده لهذا المعنى فى قصر المنفصل ، وورد أيضا مد فى « لا » التى للتبرئة عن حمزة نحو « لا ريب فيه — لا جرم » والمد فى هذا النوع لم يبلغ الإشباع .

واختلف فى إلحاق حرفى اللين وهما « الياء والواو » المفتوح ما قبلهما بحروف المد وذلك فيما إذا وقع بعدهما همز متصل نحو « شيء » وكهيئة — وسوءة — والسُّوْء » واختلفوا فى قدر المد فقيل : مشبع ، وقيل متوسط ، واتفقوا على استثناء « موئلا » فى الكهف و « الموءودة » فى التكوير ، واختلفوا فى استثناء « سوآتهما وسوآتكم » والخلاف فيهما هو التوسط والقصر ، فيجىء فى كل منهما أربعة أوجه : المد بعد الهمز ، وفصل أول كل منهما ، وتوسطه مع تثليث ثانيه فى الأول وتوسطه فى الثانى ، وقرأ بعضهم بالمد فى « شيء » فقط وبالقصر فى غيره .

واختلفوا فى المد والتوسط والقصر فيما إذا كان بعد حرب اللين ساكن ، لازما كان أو عارضا ، فاللازم « عين » من فاتحة مريم والشورى ، والعارض كالليل والموت ، والطول حال الوقف وتجرى الأوجه الثلاثة لابن كثير فى « هاتين » فى القصص و « اللَّذَيْن » فى

---

(١) عبارة النشر : وقد أجمع الأئمة على مد نوعى المتصل وذى الساكن اللازم

(٢) فى التقريب قال : فإن لورش — من طريق الأزرق — فى ذلك المد والتوسط والقصر ص ١٩

فصلت ، وأجراها جماعة فى نحو « كيف فعل » حالة الادغام .

فصـــل

إذا تغير سبب المد همزا كان كما يأتى ، أو سكونا ـ نحو « آلم الله » وصلا جاز المد والقصر مراعاة للأصل ، أو نظراً لِلَّفظ سواء كان مُغَيَّر الهمزتين أم بإبدال أو بحذف ، والأولى المد فيما بقى أثره نحو « هؤلاء إن كنتم » فى قراءة قالون والبزى ، والقصر فيما ذهب أثره نحو « ها »(٣) فى قراءة أبى عمرو .

ومتى اجتمع سببان قوى وضعيف عمل بالقوى وألغى الضعيف نحو « آمين البيت » و « جاؤا أباهم » و « رأى أيديهم » فلا يجوز فيه التوسط ولا القصر لورش ، ولا يجوز « السماء ويشاء وجاء » لا يجوز فيه القصر وقفا عن حمزة ، ونحو « مستهزئون » لا يجوز الثلاثة لورش وقفا إلا على مذهب من قصره وصلا .

باب الهمزتين المُجتمعَتين من كَلمة

وتأتى الثانية ساكنة ومتحركة . فالساكنة ، أجمعوا على إبدالها بحركة الأولى فتبدل ألفاً فى نحو « آدم ـ وآسى » وواواً فى نحو « أولى ـ وأوذينا » و « ياء » فى نحو « إيمان وإيلاف » .

والمتحركة تكون مفتوحة ومكسورة ومضمومة ، ولا تأتى الهمزة الأولى إلا مفتوحة فالضرب الأولى : مفتوحتان نحو « أأنذرتهم أألد » فسهل الثانية بين بين ابن كثير ـ والأبوان(٤) وقالون ورويس وهشام من طريق الحلوانى بخلاف عنه ، وورش من طريق الأصبهانى ، وكذا من طريق الأزرق فى وجه ، والأكثر عنه على إبدالها ألفا ، فإن كان بعد الألف ساكن مُدَّ للساكنين نحو « أأنذرتهم » وإلا مد قدر ألف نحو « أألد » ، والباقون بتحقيق الهمزتين ، وفصل بينهما بألف الأبوان وقالون وهشام من طريق الحلوانى ، والباقون بغير فصل ، وعن ابن ذكوان أنه خالف أصله فسهل الثانية من « أأسجد » فى الاسراء .

وأجمعوا على عدم الفصل فى « أألهتنا خير » من الزخرف ، وحققها منهم الكوفيون وروح ـ وسهلها بين بين الباقون ، ولم يبدلها أحد عن الأزرق ، بل اتفقوا فيها على بين بين ـ .

واختلف فى إسقاط الأولى ـ وهى همزة الاستفهام ـ فى خمسة مواضع :

الأول : « أن يؤتى أحد » فى آل عمران فقرأه ابن كثير بهمزتين مفتوحتين على الاستفهام ، وهو على أصله فى تسهيل بين بين ، والباقون بهمزة واحدة على الخبر .

الثانى : « أأمَنْتُمْ » فى الأعراف وطه والشعراء ، فقرأها بالخبر حفص ورُوَيْس وورش من طريق الأصبهانى ، ووافقهم قنبل من طريق ابن مجاهد فى طه . والباقون بالاستفهام ، وحقق منهم الثانية الأخوان(٥) وخلف وشعبة وروح وهشام بخلاف عنه ، وسهلها الباقون بين بين ، ولم يدخل أحد بين الهمزتين ألفا ولا إبدال الثانية ألفا ، واختلف عن قنبل فى الأعراف وصلا وكذا فى « أأمنتم » فى الملك فابدل الأولى واواً قطعاً وسهل الثانية بين بين من طريق ابن مجاهدا وحققها من طريق ابن شنبوذ .

الثالث : « أأعجمى وعربى » فى فصلت قرأه بالخبر قنبل وهشام بخلاف عنهما وكذا رُوَيْس من طريق أبى الطيب ، والباقون بالاستفهام ، وحقق منهم الثانية : الأخوان وخلف وشعبة وروح ، والباقون منهم بين بين ، والأزرق على أصله فى البدل ، وهم على أصولهم

---

(٣) « ها » من هؤلاء .

(٤) هما : أبو عمرو ـ أبو جعفر .

(٥) حمزة والكسائى .

من طريق الأزرق ، وعنه إبدالها فى الثلاثة حرف مَدّ ؛ فتبدل فى الفتح ألفا فى الكسر ياء وفى الضم واوا ، وروى هذا عن قنبل .

وزاد بعضهم عن ورش من طريق الأزرق وجها ثالثا فى « هؤلاء إن كنتم » و « البغاء إن أردن » وهو جَعْلُ الهمزة الثانية « ياء » مكسورة ، وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين ، وعن روح تسهيل الثانية مطلقا ، وعنه أيضا تسهيلها فى « شاء أنشره » فقط .

والضرب الثانى المختلفتان ، فإن كانت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة نجد « شهداء إذْ » ومفتوحة ومضمومة وهو « جاءَ أُمَّةً » ومضمومة ومفتوحة نحو « السفهاءُ أَلا » أو مكسورة ومفتوحة نحو « هؤلاء أهدى » أو مضمومة ومكسورة نحو « يشاء إلى » ولم يقع فى القرآن عكس هذا ، فالمدنيان وابن كثير وأبن عمرو ورويس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية فى الخمسة ، فتجعل بين بين فى الأولَيَيْن منها ، وتبدل واوا محضة فى الثالث ، وياء محضة فى الرابع .

واختلف فى كيفية تسهيل الخامس فجمهور المتقدمين على إبدالها واوا محضة مكسورة وغيرهم على جعلها بين بين وهو القياس أى بين الهمزة والياء ، وقيل بين الهمزة والواو ، والباقون بتحقيق الهمزتين فى الخمسة ، وعن روح من طريق التسهيل كرويس .

فصـــــل

وإذا أبدلت ثانية المتفقتين حرف مدّ فى مذهب من رواهُ عن الأزرق وقنبل ووقع بعده ساكن زيد فى مَدّ حرف المد لالتقاء الساكنين نحو « جاء أمرنـــا » و « هؤلاء إن » فإن لم يكن بعده ساكن لم يزد على مقدار مدد الحرف المبدل نحو « جاء أحدهـــم » و « أولياء أولئك » فإن وقع بعد ثانية المفتوحتين ألف (نحو) « جاء آل لوط » فبعض المبدلين عنهما لا يبدلون الثانية للتعذر ، فيجعلونها بين بين .

« بـاب الهمـز المفـرد »

وهو ضربان ساكن ومتحرك ، فالساكن يكون « فاءً » من الفعل و « عينا » و « ولاما » ويكون ما قبله مضموما ومكسورا ومفتوحا نحو « يؤمنون ـ ورؤيا ـ ويسؤكم » و « يقول إئــذن لى » ونحو « بِئيس ـ وجِئْتَ ، والذى أيتمن » ونحو « فأتوهن ـ ومَأْوى ـ واقرأ ـ والهدى ـ إئتنا » فقرأه أبوجعفر بالإبدال بحسب ما قبله إن كانت ضمة فواوا وكسرة فياء أو فتحة فألفا ، واستثنى من ذلك « أنبئهم » فى البقرة و « نبئهم » فى الحجر والقمر ، واختلف عنه « نبئنا » فى يوسف .

وإذا أبدل الهمزة من « رؤيا والرؤيا » وما جاء منه قلب الواو ياء وأدغمها فى الياء بعدها ، وكذا يدعم « رئيا » فى مريم ، وإذا أبدل « تؤوى ـ وتؤويه » جمع بين الواوين ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى على إبدال[8] ذلك كله إلا أنه لم يدعم « الرؤيا » وما جاء منه ، واستثنى من ذلك أسماء وأفعالا .

فالأسماء « والبأس والبأساء واللؤلؤ ولؤلؤ » حيث وقعن و « رئيا » فى مريم ، و « الكأس والرأس » حيث وقعا .

والأفعال : « جئت » وما جاء منه كـ « جئناهم ـ وجئتمونا ـ ونبىء » وما جاء منه كـ « أنبئهـم ـ ونبئهـم ـ وأم لم يُنَبَّأْ ـ وقـرأت » ومـا جاء منه كـ « قرأنا ـ واقرأ ـ وهيىء ـ ويهيىء ـ وتؤوى ـ وتؤويه » ووافقه من طريق الأزرق على إبدال ما وقعت الهمزة فيه [فاء] من الفعل فقط ، واستثنى من ذلك

---

(٨) فى التقريب : واستثنى من ذلك خمسة أسماء وخمسة أفعال .

ما جاء من باب الإيواء نحو « المأوى ـ وفَــأْوُوا وتؤوى » ولم يبدل مما جاء عين الفعل سوى « بئس والبئر والذئب » وحقق سائر الباب ، وأبدل أبوعمرو بخلاف عنه كل الهمز الساكن ، واستثنى من ذلك :

ما كان سكونه للجزم ، وهو « يشأ ـ ونشأ » حيث وقعا « وتَسُؤْ وتنسأها ـوتهيىء لكم ـ وأَمْ لَمْ يُنَبَأْ » .

أو للأمر وهو « أنبئهم ـ وأرجئه ـ ونَبِّئْنا ـ ونَبِّئْ عبادى ـ ونَبِئْهم ـ واقْرَأْ ـ وهَيِء لنا » .

وكان إبداله ثقيلا وهو « تؤوى » .

أوللاشتباه وهو « رئيا » فى مريم .

أو لخروج من لغة وهو « مؤصدة » .

وعن الدُّورِى أنه لم يستثن شيئا مَن ذلك ، وعن ابن غلبون إبدال همزة « بارئكم » فى قول من(٩)سكنها .

قال الأصل : وفيهما(١٠) نظر ، وإذا قرىء بوجه التحقيق لأبى عمرو ، وقرىء بالإظهار أو بالإبدال جاز الإدغام الكبير والإظهار .

ووافق قالون بخلاف عنه على إبدال « المؤتفكة ـ والمؤتفكات » ، والكسائى وخلف على إبــدال « الذئب » وشعبة على إبدال « اللؤلؤ ـ ولؤلؤ » ، وأدغم « رئيا » فى مريم بعد الإبدال قالون وابن ذكوان كأبى جعفر ، وروى ذلك عن هشام من طريق الداجونى ، وَهَمَزَ حمزة ويعقوب وخلف وحفص « مؤصدة » كأبى عمرو والباقون بغير همز ، وَهَمَزَ عاصم « يأجوج ومأجوج » والباقون بغير همز ، وَهَمَزَ ابن كثير « ضئزى » فى النجم ، والباقون بغير همز .

والضرب الثانى : المتحرك ، وينقسم إلى ما قبله متحرك وساكن ، فالذى قبله متحرك منه ما يكون مفتوحاً وقبله ضم ، فإن الفعل أبدله أبوجعفر وورش نحو « يؤده ـ ويؤيد ـ ومُؤَذِّن ـ ومؤجلا » ، واختلف عن ابن وردان فى « يؤيد » واختلف أيضا عن ورش فى « مؤذن » فأبدله من طريق الأزرق ، وحققه من طريق الأصبهانى .

وإن كان عين الفعل أبدل منه ورش من طريق الأصبهانى « الفؤاد وفؤاد » حيث وقعا .

وإن كان لامه أبدل منه حفص « هزوا وكفوا » حيث وقعا كما سيأتى فى البقرة ، والباقون بالتحقيق فى ذلك كله .

ومنه ما يكون مفتوحا وقبله كسر فأبدل الهمزة منه ياء أبوجعفر فى « رئاء الناس » فى البقرة والنساء والأنفال « واستهزىء » فى الأنعام والرعد والأنبياء و « ليبطئن » فى النساء و (قرىء) فى الأعراف والانشقاق ، و « لنبوئنهم » فى النمل والعنكبوت ، و « خاسئا » فى الملك ، و « ملــئت » فى الجن و « ناشئة » فى المزمل هـ و « شانئك » فى الكوثر ، وكذا أبدلها فى « خاطئه الخاطئة ـ ومائة ـ وفئة » وتثنيتهما ، وعن ابن وردان التحقيق فى هذه الأربعة ، واختلف عن أبى جعفر فى « موطئا » ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى فى إبدال « فبأى » بألف حيث وقع ، واختلف عنه فيما لا (فآء) فيه نحو « بأى أرض » وعنه إبدال « شانئك ـ ولنبوئنهم » ، وأبدل ورش من طريق الأزرق « لئلا » فى البقرة والنساء والحديد ، والباقون بالتحقيق فى الجميع .

ومنه ما يكون مضموما بعد كسر وبعده واو فأبوجعفر يحذف الهمــزة ويضم ما قبلهـــا نحو « مستهزؤن » والصابئون ـ ومتكئون ـ وليواطئوا ـ وقل استهزؤا » ووافقه نافع على « الصابئون » فى المائدة ، واختلف عن ابن وردان فى « المنشئون » فى الواقعة ، والباقون بالهمزة وكسر ما قبله .

ومنه ما يكون مضموما بعد فتح وبعده واو وهو « ولا يطئون ـ ولا تطئوها ـ وأن تطؤهم » فحذف الهمـزة أبوجعفـر منها ، وعـن ابـن وردان تسهيـل

---

(٩) المحقق : إبدال همز (بارئكم) حال مكونها (ياءً) وَجْهٌ لا يقرأ به فى المتواتر .

(١٠) أى فى موضعى (بارئكم) .

فى الفصل إلا أن ابن ذكوان نص له جَمْعٌ على الفصل[٦] .

الرابع : « أأذهبتم طيباتكم » فى الإحقاف . قرأه بالخبر نافع وأبوعمرو والكوفيون ، والباقون بالاستفهام ، وهم على أصولهم فى التسهيل والتحقيق والفصل .

الخامس : « أن كان ذا مال » فى (نون) . قرأه بهمزة واحدة على الخبر نافع وابن كثير وأبوعمرو والكسائى وخلف وحفص ، والباقون بالاستفهام وحقق الثانية منهم حمزة وشعبة وروح ، وحقق الأولى وسهل الثانية ابن عامر وأبوجعفر ورويس ، وفصل بألف أبوجعفر ، وأبوعمرو بخلاف عنه .

والضرب الثانى أن تكون الثانية مكسورة نحو « أئنكم لتأتون ـ أئذامامت » فسهل الثانية بين بين نافع وابن كثير والأبوان ورُوَيْس ، وفصل بينهما بألف الأبوان وقالون وهشام بخلاف عنه ، وعنه أيضا الفصل فى سبعة مواضع : « أئنكم ـ أئن لنا » فى الأعراف ، و « أئذا مامت » فى مريم ، و « وأئن لنا » فى الشعراء و « أئنك لمن » و « أئفكا » فى الصافات و « أئنكم » فى فصلت . وعن رويس تحقيق « أئنكم لتشهدون » فى الأنعام . [illegible] هشام تسهيل حرف فصلت فى الفصل بألف .

واختلف أيضا فى إسقاط همزة الإستفهام فى مواضع : منها ما كرر فيه الاستفهام ، ومنها ما لم يكرر ، فغير المكرر خمسة مواضع .

الأول والثانى : « أَئِنكم لتأتون الرجال » ـ أئن لنا لأجرا » فى الأعراف . قرأها بهمزة واحدة على الخبر المدنيّان وحفض ، ووافقهم ابن كثير فى الثانى ، والباقون بهمزتين على الاستفهام ، وهم على أصولهم تسهيلا وتحقيقا وفصلا .

الثالث : « أئنك لأنت يوسف » قرأه ـ بالخبر ابن كثير وأبوجعفر ، والباقون بالاستفهام ، وهم على أصولهم .

الرابع : « أئذا مامت » فى مريم قرأه بالخبر ابن ذكوان من طريق الصدرى وغيره ، والباقون بالاستفهام ، وهو طريق ثان لابن ذكوان ، وهم على أصولهم .

والخامس : « أئنا لمغرمون » فى الواقعة قرأه بالاستفهام شعبة والباقون بالخبر ، والمكرر من الاستفهامين نحو « أئذ ـ أئنا » أحد عشر موضعا فى تسع سُوَرٍ : فى الرعد موضع ، وفى الإسراء موضعان ، وفى (المؤمنون) موضع ، وفى النمل موضع ، وفى العنكبوت . موضع ، وفى السجدة موضع ، وفى الصافات موضعان .

وفى الواقعة موضع ، وفى النازعات موضع ، فقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى فى الرعد ، وموضعى الإسراء ، وفى (المؤمنون) والسجدة والثانى من الصافات ، وقرأ نافع والكسائى ويعقوب فى هذه المواضع الستة بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى ، والباقون بالاستفهام فيهما ، وأما موضع النمل فالمدنيان بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، وابن عامر والكسائى بالعكس مع زيادة نون « إننا لمخرجون » والباقون بالاستفهام فيهما ، وعن رويس أنه أخبر فى الأول كالمدنيين .

وأما موضع العنكبوت فالمدنيان والابنان[٧] ويعقوب وحفص بالخبر فى الأول ، والباقون بالاستفهام فيه ، وأجمعوا على الاستفهام فى الثانى منه .

وأما الموضع الأول من الصافات فان عامر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، والمدنيان والكسائى ويعقوب بالعكس ، والباقون بالاستفهام فيهما .

---

(٦) فى التقريب إلا أن ابن ذكوان نص له بجمهور المغاربة على الفصل .

(٧) ابن كثير المكى ٤ ابن عامر الدمشقى .

وأما موضع الواقعة فالمدنيان والكسائى ويعقوب بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى ، والباقون بالاستفهام فيهما ، وأما موضع النازعات فأبوجعفر بالخبر فى الأول والاستفهام فى الثانى ، ونافع وابن عامر والكسائى ويعقوب بالعكس ، والباقون بالاستفهام فيهما .

وكل من استفهم فى هذه المذكورات فهو على أصله من التحقيق والتسهيل والفصل إلا أن الجمهور قطعوا بالفصل عن هشام فيما قرأه بالاستفهام منها ، وأجرى غيرهم فيه الخلاف عنه وهو القياس .

ومما يلحق بهذا الضرب « أئمة » وجاءت فى خمسة مواضع : فى التوبة وفى الأنبياء ، وفى القصص فى موضعين ، وفى السجدة . فقرأ ابن عامر والكوفيون وروح بتحقيق الهمزتين ، والباقون بتسهيل الهمزة الثانية ، وعن روح كذلك .

واختلف فى كيفية تسهيلها عنهم فالجمهور على جعلها بين بين ، وغيرهم « ياء » على جعلها خالصة ، وفصل ـ بألف بين الهمزتين ـ أبوجعفر حال تسهيله بين بين ، ووافقه ورش من طريق الأصبهانى فى الثانى من القصص وفى السّجدة ومن طريق آخر فى الأنبياء أيضا ، واختلف عن هشام فى الفصل فى المواضع الخمسة ، ولا يجوز الفصل مع إبدال الياء عن أحد .

والضرب الثالث : أن تكون الثانية مضمومة ، وأتت فى ثلاثة مواضع متفق عليها وواحد مختلف فيه ، فالمتفق عليه « قل أؤنبئكم » فى آل عمران و « أؤ نزل عليه الذكر » فى (ص) و « أؤلقى الذكر عليه » فى القمر ، فسهل الثانية منها نافع وابن كثير والأبوان ورويس ، والباقون بتحقيقها ، وفصل بينهما بألف أبوجعفر بلا خلاف ، وأبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم . وعن هشام من طريق غير الحلوانى القصر مع التحقيق فى موضع آل عمران ، والقصر مع التسهيل فى موضع صٓ والقمر ، ومن طريق الحلوانى المد مع التسهيل فى الثلاثة ، ومن طريق الحلوانى أيضا المد مع التحقيق فى آل عمران والقمر ، والقصر مع التحقيق فى ص . واختلف فيه « أشهدوا خلقهم » فى الزخرف فقرأه المدنيان بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة بين بين مع إسكان الشين ، وفصل بينهما أبوجعفر ، وقالون بخلاف عنه .

فصــــل

فإن دخلت همزة الاستفهام على همزة وصل مفتوحة فاتفق القراء على تسهيل همزة الوصل وذلك فى ثلاث كلم أتت فى ستة مواضع : « آلذَّكَرَيْن » فى موضعى الأنعام « الآن وقد » فى موضعى يونس « آالله أذن » فيها « الله خير » فى النمل .

واختلف فى كيفية تسهيلها فالجمهور على إبدالها ألف خالصة فتمد لالتقاء الساكنين ، وغيرهم على جعلها بين بين مع إجماعهم على عدم التحقيق والفصل ، وكذا الحكم فى « آلسِّحْرُ » فى يونس فى قراءة من استفهم وهو الأبوان .

« باب الهمزتين المجتمعتين من كلمتين »

وهما على ضربين متفقتان ومختلفتان ، فالمتفقتان يتفقان بالفتح نحو « جاء أحدكم » وبالكسر نحو « هؤلاء إن كنتم » وبالضم « أولياءَ أولئك » فأسقط الأولى فى الثلاثة أبوعمرو وابن كثير ـ بخلاف عنه ، ورويس من طريق أبى الطيب ، ووافقهم فى المفتوحتين قالون والبزى وسهلا الأولى من المكسورتين والمضمومتين بين بين ، واختلف عنهما فى « بالسوء إلا » [illegible] يوسف فالأصح المختار عنهما تسهيلها بالإبدال مع الإدغام ، وكذا الحكم لقالون فى « شَيْء إن » و « بيوت النبى ، إلا » وعنه إسقاط الأولى من المضمومتين ، وعنه أيضا إسقاطها من المكسورتين والمضمومتين ، وعنه أيضا تسهيل ثانى المضمومتين والمكسورتين ، وبه قرأ أبوجعفر وورش من طريق الأصبهانى ورُوَيْس من طريق غير أبى الطيب ، وروى ذلك عن قنبل من طريق ابن مجاهد ، وكذا عن ورش

« رءوف » حيث وقع ، وعن أبى جعفر تسهيل « تبؤوا الدار » والباقون بالهمز فى الجميع .

ومنه ما يكون الهمزة فيه مكسورة بعد كسر وبعدها « ياء » فأبوجعفر يحذفها فى « متكئين ـ والصابئين ـ والخاطئين ـ وخاطئين ـ والمستهزئين ـ ووافقه نافع فى « الصابئين » فى البقرة والحج ، وعن [ابن] وردان حذفها فى « خاسئين » والباقون بالهمز .

ومنه ما تكون الهمزة فيه مفتوحة بعد فتح فسهلها المدنيان بين بين فى « رأيت » حيث وقعت بعد همزة الاستفهام نحو « أرأيتكم ـ وأ رأيتم ـ وأفرأيت » وعن الأزرق إبدالها ألفا فتمد لالتقاء الساكنين ، والكسائى يحذفها ، والباقون يحققونها ، وعن ورش من طريق الأصبهانى تسهيلها من « رأى » فى « رأيت أحد عشر » ورأيتهم « لى ساجدين » فى يوسف « ورآه مستقرا ـ ورأته » فى النمل و « رآها » فى القصص و« رأيتهم » فى المنافقين وتسهيلها فى « كأن » مشددة كانت أو مخففة نحو « كأنهن ـ وكأنك ـ وبكأنه ـ وكأن لم يلبثوا » ، وتسهيلها فى « واطمئنوا بها » فى يونس و « اطمــأن به » فى الحج و « تأذن » فى الاعراف ، واختلف عنه فى إبراهيم[11] ، وكذا سهل الهمزة الثانية فى « أفأصفاكم » وفى « أفأمن » حيث وقع نحو « أفأمنوا مكر الله ـ أفأمنتم » وفى « أفــأنت ـ وأفأنتم » وفى « لأملأن » حيث وقع ، [و] عنه تحقيق « اطمأن به » فى الحج و « رأته » فى النمل و « رآها » فى القصص و « رأيتهم » فى المنافقين ، وعنه إطلاق تسهيل (باب رأى) وعن أبى جعفر تسهيل « تأخر » فى البقرة والفتح ، و « يتأخر » فى المدثر ، عن ابن وردان تسهيل « تأذن » فى البقرة والأعراف .

واختلف عن البزى فى تسهيل « لَأَعْنَتَكم » فى البقرة ، وحذف أبوجعفر الهمز من « متكئا » فى يوسف فيصير مكنفا ، والباقون بتخفيف الهمز فى الجميع .

ومنه ما يكون مكسوراً بعد فتح ، فعن ابن وردان تسهيل الهمزة فى « تطمئن ـ وبئيس » حيث وقعا .

والقسم الثانى المتحرك بعد ساكن ، والساكن إما ألف أو ياء أو غير ذلك . واختلفوا فى الألف فى « إسرائيل ـ وكأين » فى قراءة المدّ « وهأنتم واللائى » فسهل أبوجعفر الهمز من « إسرائيل » بين بين ، وكذا همزة « كائن » وعن ابن جماز تخفيفها فيه ، وعن الأصبهانى تسهيلها فى و « كأين من دابة » كقراءة أبى جعفر ، أما « هأنتم » فقرأه نافع والأبوان بالتسهيل بين بين ، واختلف عن ورش فعنه من طريقه مع التسهيل حذف الألف وإثباتها ، ومن طريق الأزرق إبدال الهمز ألفا فتمد لالتقاء الساكنين ، والباقون بالتحقيق ، وعن قنبل من طريق ابن مجاهد حذف الألف ، وأما « اللائى » وهو فى الأحزاب والمجادلة وموضعى الطلاق فقرأه ابن عامر والكوفيون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة ، والباقون بحذفها ، وحقق الهمزة منهم يعقوب وقالون وقنبل ، وسهلها بين بين أبوجعفر وورش ، وكذا أبوعمرو والبزى من طريق العراقيين ، وإبدالها ياء ساكنة من طريق غيرهم ، وعن ورش من طريق الأصبهانى فى الأحزاب مثل قالون ، وفى المجادلة مثل ابن عامر ، وفى الطلاق مثل الأزرق وهو غريب .

وإذا وقف علي قول من سهل بالإسكان أبْدَلَ الهمزة ياء ساكنة[12] ، وعن ابن وردان تسهيل الهمزة بعد الألف من « كهيئة الطائر » و « فيكون طائرا » فى آل عمران والمائدة ، وإن كان الساكن « ياء » فاختلفوا منه فى « النسيىء » فى التوبة ، فأبو جعفر وورش من طريق الأزرق ـ بالإبدال مع الإدغام ، وكذا فى قول من طريق الأصبهانى ، وفى « برىء وبريئون » و « هنيئا ومريئا » و « كهيئة » فأدغمها

(١١) أى فى (تأذن) التى فى سورة إبراهيم .

(١٢) فى التعبير شىء وجاد فى التقريب : وإذا وقف فى (اللائى) فمذهب من سهل إبدال الهمزة ياء ساكنة . أ هـ ص ٣٤ .

أبوجعفر بخلاف عنه ، وعن ابن وردان مدّ الياء توسطا كالأزرق فى أحد أوجهه ، والباقون بالهمز فى الجميع ، وفى « ييئس واستيأسوا » و « لا يتأسوا – وأنه لا ييأس – واستيأس الرسل » فى يوسف و « أفلم ييأس الذين آمنوا » فى الرعد ، فاختلف عن البزى فعنه أنه يقلب الهمز إلى موضع الياء وبالعكس ثم يبدل الهمزة ألفا ، وروى هذا عن ابن وردان ، والباقون بالهمز بلا قلب ، ولا إبدال .

وإن كان الساكن غير ذلك فله باب يأتى إلا أن أبا جعفر قرأ فى « جزءا » فى – البقرة والزخرف و« جزء » فى الحجر بحذف الهمزة وتشديد الزاى والباقون بالهمز بلا تشديد ، وبقى كلمات تلحق بهذا الباب وهى « النبى – والنبيون – والنبيين – والأنبياء – والنبوة » فنافع بالهمز والباقون بدونه ، و « يضاهون » فى التوبة فعاصم بكسر الهاء وبهمزة مضمومة بعدها ، والباقون بضم الهاء بلا همز ، – و « مرجون » فى التوبة و « ترجى » فى الأحزاب ؛ فابن كثير والبصريان وابن عامر وشعبة بهمزة مضمومة ، والباقون بلا همزة و « ضياء » فى يونس والأنبياء والقصص – فقنبل بهمزة مفتوحة بعد الضاد ، والباقون بالياء بلا همزة و « بادىء » فى هود فأبو عمرو بالهمز بعد الدال ، والباقون بالياء و« البريه » فى موضع « لم يكن » منافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء ، والباقون بتشديد الياء بلاهمز ، وما بقى مما يتعلق بهذا الباب يأتى فى مواضعه .

« بابَ نَقل حَركة الهمزَة إلى السَاكن قبلها »

وهو نوع من تخفيف الهمز المفرد اختص به ورش ، وذلك إذا كان الساكن آخر كلمة وليس حرف مد ، وكانت الهمزة أول كلمة تليه فيتحرك الساكن بحركتها وتسقط هى تنوينا كان الساكن أم لام تعريف أو غيرها نحو « ومتاع إلى » و « حامية ألهاكم » و « الآخرة » و « من آمن » و « ألم أحسب » وخلَوْا إلى و « ابنى آدم » ، واختلف عنه فى « كتابيه إنى » فى الحاقة ، وعن ابن جماز النقل فى جميع الباب ، ووافق رويس عليه ، فى « من إستبرق » فى الرحمن ، وقالون وابن وردان على فى « الآن » فى موضعى يونس ، وعنهما عدم النقل فيهما ، واختلف عن ابن وردان فى « الآن » فى باق القرآن ، واتفق – المدنيان والبصريان على النقل فى « عادا الأولى » فى النجم ، وإذا نقلوا أدغموا التنوين فى اللام حالة الوصل ، واختلف عن قالون وابن وردان فى همز الواو بعد اللام همزة ساكنة ، ويجوز فى الابتداء به لكل من نقل « الأُولَى » بإثبات لهمزة الوصل وضم اللام بعدها و (لُولَى) بضم اللام وجذف همزة الوصل اعتدادا بالعارض ، والوجهان جائزان لورش فيما نقل إليه مما فيه لام التعريف نحو « الأرض – والآخرة – والإيمان » ولغير ورش فى « عادا الأولى » عمن نقل ، وجه ثالث وهو الابتداء بالأصل بلا نقل ، والأوجه الثلاثة عن قالون فى وجه همز الواو إلا أن الثالث يتحد إذ لا يجوز همز الواو معه وقد – ورد النقل فيما كان من كلمة واحدة وهو « القرآن – وقرآن » حيث وقعا فقرأه بالنقل ابن كثير و « سل » وما جاء من لفظه أمْراً ، وقبل السين واو أو فاء نحو « واسئل القرية – واسئلوا الله – فسألوهم » فابن كثير والكسائى وخلف بالنقل و « ملء الأرض » فى آل عمران فابن وردان وورش من طريق الأصبهانى بالنقل بخلاف عنهما و « ردءاً يصدقنى » فى القصص فنافع وأبوجعفر بالنقل إلا أن أبا جعفر أبدل من التنوين لفا فى الحالين والباقون بعدم النقل فى الأربع ، ولا خلاف فى إبدال تنوين « ردءا » ألفا فى الوقف

(يتبع)

قراءة فى كتاب

حركة التاريخ بين النسبى والمطلق

تأليف : أديب إبراهيم الدباغ
عرض وتعليق : أحمد السيد تقى الدين

اكتسبت الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى عبر أربعة عشر قرناً أهمية لم تكتسبها حضارة أخرى ، ولم يحظ بها تاريخ أية أمة من الأمم ... الكل حار فى سر شموخها ودوامها ، لماذا انهارت سائر الحضارات وبقيت قائمة ؟... أسئلة كثيرة تشغل بال الدارسين لتاريخ الحضارات ؛ وكتاب هذا الشهر يقدم ـ على ما لنا عليه من تحفظات ـ إجابات على بعض هذه التساؤلات .

الكتاب بعنوان « حركة التاريخ بين النسبى والمطلق » تأليف أديب إبراهيم الدباغ ، وتقديم الدكتور عماد الدين خليل .

دارت موضوعات الكتــاب حول : التــاريخ والقدر ، أسرار الهزيمة والانتصار ، التاريخ بين النسبى والمطلق ، الحديث بين الإنسان والقـدر ، التاريخ والواجب ، التاريخ والأبدية .

حاول المؤلف أن يقدم إجابات لتساؤلات عدة تشغل ذهن الكثير من الباحثين والمهتمين ، واجتهد فى ذلك ، ولكن لم يمنعه اجتهاده من الوقوع عن قصد أو غير قصد فى محاذير عدة نذكرها بإذن الله بعد الفراغ من عرض الكتاب .

التاريخ والقدر

تحدث المؤلف عن « التاريخ والقدر » فأكد على أن التاريخ الإسلامى سيظل ـ بنظر المؤرخ المنصف ـ معجزاً بعبقريته ، وسرعة مده ، وقدرته الفذة على شق طريقه ، وأخذ مكانه المرموق فى أكثر صفحات التاريخ الإنسانى إشراقاً وأجلها حضارة ، ومع ذلك فهو لايخلو ـ كأى تاريخ آخر ـ من أحداث دامية ، ووقائع مأساوية ، يقف عندها المؤمن الغيور موقف الحيرة والحسرة ، ولا يعرف سبباً معقولاً يمكن أن يدفع بهذه الأحداث إلى صفحات التاريخ ، ويتمنى ـ فى نفسه ـ لو خلت صفحات تأريخه منها .

ويرى المؤلف أن الذين تناولوا بأقلامهم هذه الأحداث المروعة ، والفتن الدامية من المؤرخين وكتاب السير ـ على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم ومناحيهم ـ لم يتيسر لهم أن يضعوا أيدينا على مواضع الرحمة التى تنطوى عليها ، أو يوقفونا على أسرار الحكمة التى تكتنفها وتسرى فيها لكى نشعر ببعض العزاء .

يقول الباحث : « ولا أعرف أحداً ـ على قدر علمى ـ حاول أن يستشف الحكمة الإلهية من وراء هذه الأحداث ، أو يتلمس فيها مواطن الرحمة ويدلنا عليها » .

ثم يواصل أديب الدباغ استكباره لرؤية المؤرخين مؤكداً أن غاية ما فعلوه هو تعاملهم معها كأحداث بشرية محضة ، معزولة عن آفاقها القدرية الرحيمة ، ومبتوتة الصلة بالقدر الحكيم الذى ما انفكت أصابع قدرته تغزل فى مغازل الأرض مصائر الدول والأمم .

فالحدث العاصف بالأمة هو حدث مزلزل مثير للرعب والإشفاق من وجهة نظر الإنسان بقصور رؤيته ، ومحدودية علمه ، وتشبثه بجزيئات التاريخ ومفرداته ، وعجزه عن الإحاطة الكاملة بكليات التاريخ ومطلق أحداثه وعموم غاياته ومقاصده .

غير أن الحدث نفسه يغدو فى حكمة القدر المحيط شيئاً آخر فوق المأساة والآلام والدموع وفوق الأحزان والفواجع ، والقدر حين يمضى إلى غاياته فى بعث العطاء الحضارى للأمة من خلال النوء العاصف داخل كيان الأمة لا يمكن أن يقف فى سبيله شىء . والمؤرخون على اختلاف مناحيهم وفلسفاتهم ـ وحتى الماديون منهم ـ لا يسعهم إنكار الحكمة والرحمة وآثارهما الهائلة فيما تنطوى عليه دساتير الكون والطبيعة والحياة ونواميسها .

فما من أحد مهما اشتط فى ماديته ينكر النظام المشاهد والملموس الذى يحكم هذا العالم ويسيره ويضبط حركات موجوداته من أصغر ذرة فيه إلى أعظم جرم .

ويرى المؤلف أن تاريخ الإنسان الذى هو جزء من هذا الكون بل هو خلاصة حياة هذا الكون لا يمكن أن يخلو بأى حال من الأحوال من الحكمة والرحمة مهما بدت فى الظاهر عنيفة قاسية خالية من الجدوى والمغزى .

والشر والفساد اللذان يقترفهما الأفراد والشعوب والدول وإن كانا مدائنين فى شريعة العدل والخير ، وعائقين إلى حد ما لارتقاء التاريخ وسموه نحو جمالية الكمال الإنسانى إلا أنهما فى حصيلة مداهما البعيد يشكلان حافزاً ودافعاً لحركة التاريخ فى الاتجاه المعاكس لهما .

الهزيمة والانتصار

ثم يتنــاول الكــاتب بالحديث « أسرار الهزيمة والانتصار » فيؤكد على أن الإيمان هو الحق المطلق الذى لاحق دونه ولاحق بعده ، وأن الكفر هو الباطل المطلق الذى يهون كل باطل قبله ولا يعظم باطل بعده ، والاثنان فى صراع رهيب دائم دوام السماوات والأرض ، وكل حق إنما يستمد قوة أحقيته وعمق

مصداقيته على قدر صلته بالإيمان قرباً وبعداً وامتثالاً وإعراضاً ، وكذلك فكل باطل إنما يستمد جرثومة باظلة وقبيح منكره على قدر صلته بالكفر قرباً وبعداً وامتثالاً وإعراضاً .

ويقرر أديب الدباغ بأن الإيمان والكفر برغم تناقضهما الحاد واختلافهما فى كل شىء ، ماكثان جنباً إلى جنب على هذه الأرض مكوث الإنسان .

ومنذ عرف المسلمون الاستعمار ، وذاقوا مرارته ، وعاشوا مذلته ، وهم يتساءلون عن سر انكسارات الإيمان وهزائمه فى معظم معاركه فى ميادين الصراعات جميعاً برغم أنه حق صراح إزاء باطل الاستعمار والمستعمرين .

هذا التساؤل أثار حيرة المؤمنين والحكماء والأخلاقيين ، وقد أجاب كل منهم من وجهة نظره الجواب الذى يراه مناسباً ، ومع كثرة الأجوبة فما زالت غالبية المؤمنين لم يروا فى هذه الإجابات الجواب الشاف الواف الذى يطمئنون إليه ، لافتقارها إلى الشمول والإحاطة ، واقتصارها على أجزاء من الحقيقة دون الوقوع على كليتها .

ولكن النظرة الشمولية الجامعة ترى فى دساتير الكون ونواميس الوجود شريعة إلهية أخرى لا تقل أهمية عن شريعة الإيمان والإسلام(١) ، فكما أن المسلم الذى يخالف شريعة قرآنه وسنة نبيه ـ ﷺ ـ ويتهاون فيها ويخرق دساتيرها ينال عقابه الأليم على ذلك فى الآخرة ، فكذلك مخالفة الشريعة الكونية والنواميس الوجودية ، وخرقها وعدم فهمها والالتزام بها والتجاوب معها ، يعاقب عليها المسلم فى الدنيا بالهزيمة والانكسار وربما الانسحاق ولو كان يملك إيماناً راسخاً كالجبال .

فإغفال الناموس الكونى أو إغفال الشريعة الإلهية هو أحد أسباب الإحباط والانكسار الذى عرفته جماعة المؤمنين .

فالحق يعلو وله الغلبة والانتصار ، ولكن انطواء الحق على جزئية باطلة واحدة ربما تسبب له الكوارث والدمار والهزيمة أمام باطل ينطوى على جزئية واحدة حق .

فالباطل هنا منتصر ولكن على ماذا ؟ أهو منتصر على كلية الحق ؟ كلا بل هو منتصر على هذه الجزئية من الباطل الذى يضم الحق جوانبه عليها خطأ ـ ربما ـ من غير عمد .

النسبى والمطلق

ثم يتناول أديب إبراهيم الدباغ الحديث عن « التارخ بين النسبى والمطلق » مستشهداً بالمجتمع النبوى الذى كان نزّاعاً بكل جوارحه نحو الكمال المطلق الخالص من الأهواء البشرية فى العدل والحق وكل القيم الأخرى التى جاء بها الإسلام .

وكانت الدولة تعكس من خلال ممارستها لشئون الحكم هذا النزوع وتسعى مخلصة للتحقق بهذا الهدف السامى .

فالمحاولة الجادة والمخلصة للتحقق بـ « المطلق » من كل شىء ، واستشراف آفاقه ، والنظر إلى الأشياء بمنظاره ، ووزن الرجال بميزانه ، والحكم عليهم بمقاييسه ، وهو سمة العصر النبوى وطابعه العام .

فكل صفة إيمانية لا تبذل جهدها للاستمداد من « المطلق » ولا تحاول الارتقاء إليه تظل دون المستوى المطلوب بمقاييس هذا العصر .

فالشجاعة مثلاً مطلوبة من كل مؤمن ، ولكن الشجاعة لا تبلغ المطلق حتى تتحول ـ عند الحاجة ـ إلى شهادة ، والشهادة نفسها تبقى دون الكمال ما لم تكن خالصة لوجه الله .

والسخاء صفة المؤمنين جميعاً ، ولكن السخاء لا يبلغ أقصى درجات كماله عند المؤمن حتى يتحول إلى إيثار الغير على النفس إذا اقتضت الضرورة ذلك .

و « طلب العلم فريضة على كل مسلم » كما ورد فى الحديث الذى رواه البيهقى والطبرانى ، ولكن طالب العلم هالك ما لم يطلبه ويكرسه فى سبيله .

والعدل صفة لا بد من توفرها فى الحاكم المؤمن ، ولكن العدل المطلق فى المجتمع النبوى كما يريده الرسول ـ ﷺ ـ لأمته لم يكن ليراه الناس عيانا ويتمثلونه واقعاً ، حتى يرتقى (بلال) الكعبة ويؤذن فى الناس

---

(١) العبارة للمؤلف ولنا عليها تعقيب فى نهاية العرض .

للصلاة ، وحتى يصبح (سلمان) ـ مجازاً ـ من آل البيت إكراماً له وتسرية عنه .

واقامة صرح الحق بين الناس من أوجب واجبات السلطة الحاكمة ، ولكن الحق المطلق لم يستبن للناس تماماً لو لم يقف الرسول ـ ﷺ ـ بين الناس كاشفاً عن ظهره الشريف وهو يقول : « من جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليجلد ... » (الوفاق أخبار المصطفى لابن الجوزى) .

فالعصر النبوى هو أقرب عصور التاريخ الإسلامى إلى القيم المطلقة التى جاء بها الإسلام وعاشها المسلمون ، وما كان ذلك ليكون لو لم يكن الرسول ـ ﷺ ـ حياً قائماً بين ظهرانى أصحابه ، يأتيه الوحى من عند الله قرآناً مبيناً لمعالم المطلق البشرى فيما ينبغى أن يتصف به المؤمن من صفات ويأتيه من أفعال .

ويرى المؤلف أن المجتمع النبوى ـ بهذا الاعتبار ـ مجتمع موقوف على حدود المطلق ، وموزون بموازينه ، ومحكوم بأحكامه ، وقائم على قواعده وأى فعل يأتيه الحاكم أو المحكوم قاصراً عن المطلق ـ مهما كانت درجة هذا القصور ضئيلة ـ سيحدث شقاً عظيماً فى جسم المجتمع يؤدى به إلى ما لا يحمد عقباه ، حتى لو كان هذا القصور الأتى لا يشكل من مجموع الكمال المطلوب سوى جزء واحد من عشرة أجزاء منه ، فهذا العُشْرُ الهين ربما تسبب فى هلاك الناس كما جاء فى تحذيره ـ ﷺ ـ لأصحابه فى الحديث الشريف : « إنكم فى زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ، ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا » رواه الترمذى عن أبى هريرة .

ويؤكد أديب الدباغ على أنه إذا كان عصر القيم المطلقة الزاهر قد مضى وانقضى بانتقال الرسول ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى إلا أن ظلاله وصوره بقيت تُظل العصور التى تلته الواحد بعد الآخر بدرجات متفاوتة بحسب قرب العصر أو بعده عن عصر الرسالة العظيم الذى ترك أعمق الأثر فى ذاكرة الأمة وعقلها الباطن ، واستطاع أن يشد إليه روح الأمة وضميرها بروابط قوية من الحرمة والإعجاب والتعظيم ، حتى غدا ـ عصر الرسالة ـ ميزاناً حساساً تزن به الأمة حكامها ، وتحكم عليهم سلباً أو إيجاباً على قدر قربهم أو بعدهم عن روحه ومثله .

الإنسان والقدر

ثم يتحدث الكاتب عن « الحدث بين الإنسان والقدر » فيشير إلى أنه من حسن حظ البشرية أن يقف لها (القدر) بالمرصاد ويعيدها إلى شىء من الحق كلما أوغلت فى باطلها ، ويلجمها بشىء من العقل كلما جن جنونها ويسوقها إلى شىء من الحكمة كلما جهلت واستخفها البطر والأشر .

وغير خاف أن بعض الدروس التى يحاضر بها القدر الشعوب قد تبلغ مبلغاً عظيماً من القسوة والعنف فى ظاهر أمرها وربما كلفتها حروباً دامية ، وفتناً رهيبة ، ودماء غزيرة ، وقد تضرب أوطانها الزلازل ، ويغمرها الطوفان وتنتشر فيها الأوبئة والأوجاع ويشيع فيها القحط والجفاف ، إلى آخر ما هنالك من كوارث تأتى تحت أستار من الأسباب المادية الظاهرة ، ولكنها تخفى وراءها حكمة قدرية قد تنتبه إليها الشعوب المبتلاة وتفيد منها فى مستقبل أيامها وقد لا تنتبه إليها ، ولكنها موجودة على كل حال لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فإرادة الإنسان ليست هى الإرادة الوحيدة فى هذا العالم المتفردة فى تصريف الأحداث كما تشاء وتهوى .. وعليه فما يريده الإنسان ليس بالضرورة حتمى التحقيق .

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن « التاريخ والواجب » فيلفت النظر إلى وجود قاسم مشترك أعظم يطوى تحت جناحيه جميع الأحداث التاريخية بغض النظر عن حكمنا الأخلاق عليها ، وهذا القاسم المشترك الأعظم إنما هو حافز الواجب وما الدين إلا مدرسة تتعلم فيها الشعوب قدسية الواجب الذى هو أحد مقاصد الدين الذى يريدنا أن نسمو إليه ونرتقى بارادتنا نحوه . وأسبق الواجبات وأعظمها فى الأهمية إنما هو معرفة (الواجب الوجود) ـ سبحانه وتعالى ـ ثم تليها متتابعة الواجبات والفرائض حسب تسلسل أهميتها .

ولا يخفى أن الأحداث التاريخية معلولة أيضاً ، وعلة انبعاثها على مسرح الأحداث إنما هو الواجب الذى يراه بطل الحدث ويؤمن به ويحس إزاءه بالالتزام والمسئولية التاريخية ، فهـــو إذن المحرك الأساسى لإرادات الفعل التاريخى فيه والدافع الأول لتشكيله واقعاً قائماً فى حياة أمته وحضارته .

ومن الأمثلة التى ساقها المؤلف فى هذا الصدد (خوارزم شاه) عندما وقف يخطب فى وزارته قبل خروجه لمحاربة جنكيز خان : « إن ما على هو الجهاد فى سبيل الله اتباعاً لأمره سبحانه ، ولا حق لى فيما لم أكلف به من شئونه ، فالنصر والهزيمة إنما هو من تقديره هو سبحانه » .

التاريخ والأبدية

وفى نهاية الدراسة يتحدث أديب إبراهيم الدباغ عن « التاريخ والأبدية » فيقول : « إن إيماننـــا نحن ـ المسلمين ، ومعنا كل المؤمنين من بقية الأديان السماوية ـ بحياة أخرى نفضى إليها بعد موتنا ، وهى حياة أبدية خالدة لا نفاد لها ، ولا حد لامتدادها أمر فى غاية الخطورة ، وهو مسألة المسائل ، وكبرى القضايا والمحور الأساسى الذى ينبغى أن تدور عليه أفكار المؤمن وسلوكياته وأخلاقياته ، وما يأتيه أو يدعه من أفعال فلو قدر لنا أن نحيا على هذه الأرض مليونا من السنين السعيدة الخالية من المنغصات والآلام ، فإن هذه المليون ليست أكثر من قطرة تافهة فى بحر الأبدية التى تنتظرنا هناك » .

وكم نكون سذجاً إن لم نوجه اهتمامنا بالدرجة الأولى لكسب هذه الحياة الأبدية والحصول عليها بكل ثمن ، فالواجب الأول الذى ينبغى أن يستأثر باهتماماتنا هو واجبنا نحو خالقنا صاحب الأبدية .

وبعد :

فالدراسة التى تعرضنا لها هى بلا شك عمل فكرى امتاز أكثر ما امتاز بوضوح الفكرة والأسلوب واعتمد إلى حد كبير ـ كما ذكر المؤلف فى مقدمته وثنايا بحثه ـ على فكر الإمام (النورسى) وهو مفكر قلما يجود الزمان بمثله .

ولكن لنا بعض المآخذ على مؤلفنا أولها ما أورده فى ص ٣٣ و ٣٤ حيث تحدث عن شريعتين : واحدة دينية وأخرى كونية ، وليته أفاض فى شرح ما أسماه الشريعة الكونية حتى لا تختلط فى الذهن فتكون بمعنى قانون الثواب والعقاب .

وفى ص ٤٦ تحدث عن صحابة الرسول ـ ﷺ ـ قائلاً : كانوا قد تربوا ونشأوا فى حجر النبوة وعاشوا يقبسون من أنوارها ، ويلتمسون من آثارها وتعاليمها ، حتى أصبحوا ـ فيما بعد ـ من أشد الناس تعلقاً بعصر الرسالة وأكثرهم تشبثا به وأعظمهم رغبة فى الإبقاء على روحه حياً بينهم ، حتى إنهم وجدوا فى تعطيل هذا العشر من العدل والحق أحياناً سبباً كافياً لامتشاق السيوف وإهدار الدماء .

وهكذا افتتحت دم الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه المراق على صفحات القرآن عصر المأساة الإسلامية بكل معانيها وآلامها وكأن صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ هم الذين قتلوا عثمان ـ رضى الله عنه ـ وكأن عثمان قد عطل شرع الله فاستحق القتل . وهذه عبارات تحمل غموضاً من جهتين : الأولى ما أسماه تعطيل العشر ، وعثمان ـ رضى الله عنه ـ لم يعطل شيئاً ، والثانية ـ ما تؤدى إليه العبارة من الصاق شىء بالصحابة وهم براء منه .. وكان ينبغى التركيز على شخوص الفتنة لإبراء الصحابة منها .

ثم صحيح جداً أن يكون القارىء على إدراك بالمعنى الذى يريده الكاتب بكل من كلمتى : (النسبى والمطلق) ، وصحيح أيضاً أن يختلط عليه الأمر بشأنهما وأتساءل : لماذا تجاوز المؤلف التحديـــد للكلمتين الهامتين اللتين تحملان اسم الكتاب ..

نم : لماذا ...؟

أقول ذلك ؛ لأن أول شىء سئلت عنه عن تقديمى لهذا الكتاب : ماذا يريد المؤلف بهاتين الكلمتين ؟

وفى النهاية نقول : إن صفحات هذا الكتيب على صغرها كنز طيب لثقافة رفيعة .

الشعر و الشعراء

ماذا تنتظرون ؟

شعر رشاد محمد يوسف

أى شىء بعد خوف الله يوما تتقون ؟
أى خوف حط من أقداركم يا مسلمون ؟

دينكم صيد مباح يبتغيه الحاقدون ؟
عرضكم هان عليكم كيف بالله يهون ؟
أرضكم أرض الرسالات غدت أرض المنون ؟
خيركم قد صار نهبا للمرابى والخئون ؟

فى « سرايفو » كلاب الصيد باتوا ينهشون
خلفهم حقد الليالى وافتراءات القرون
نشوة الكفر أصابتهم بألوان الجنون
فاستهانوا بالدم الحر وبالعرض المصون .
لوثوا طهر العذارى أطفأوا نور العيون .
أخرجوا الأمعاء والأشلاء من جوف البطون .
برءوس الصبية الأبرار راحوا .. يقذفون .
والمصلى الطاهر المحراب أضناه المجون .
أخرسوا فيه النداءات وراحوا يصخبون .
وصغار البوسنة الجوعى حيارى خائفون .
يأكلون الرعب والعشب وأوراق الغصون .
يثقبون الأرض علَّ الأرض تحنو أو تلين .

كل شبر فى ربا .. « البوسنة » ملتاع الجفون .
إنه الموت فما جدوى صراخ القاعدين ؟

إنـه الكفــر فمــا قول الـكسالى التائـهين ؟
إنــه الجوع فمــا رأى السراة الجاحديــــن ؟

أنفقــوا فالله يجــزى من رعـى حق اليقيــن .
ســارعوا فالمــال مــال الله رب العــالمين .
أنفقــوا فالله لا يرضى عن الشـــح الضنين .

يا رفاق الجـرح والأهــوال شــدوا صادقين .
أشـعلوا الأرض ضرامــا فوق رأس الغــادرين .
اصرخــوا فى مسمــع الأيــام : إنا مســلمون .
حســبنا الله هــدانا وحبــانــا خير ديـــن .
فاصــدقوا الله نجـــواكم وموتـــوا عازميـــن .
لاتســـاوى الأســـد إن هانت ذيابا فى العرين .

مع ناقد

كتب بعض القراء الى مجلة الأزهر بشأن قصيدة .. الى أعضاء رحلة الأزهر الى الكمونولث الاسلامى مشيرا الى :

(ا) البيت السادس حيث جاء عجزه هكذا :

قد أخرسوه فما يستطيع إعلانا ..

وفى البيت خطأ مطبعى صحته (فما يسطيع إعلانا) ..

(ب) وأراد ناقد أن يجعل اسم (ليس) فى البيت الواحد والثلاثين كلمة (ربانا) ..

فهل يعنى ذلك أن كلمة (غير) لا يجوز أن تقع مبتدأ ؟

نرجو مراجعة الفقرة البلاغية الشهيرة (مثلك لا يبخل) و (غيرك لا يجود) حيث وقعت (غير) مبتدأ ، ويعنى هذا صحة وقوعها اسما لليس .

(جـ) فأما (سنين القهر) فى البيت الثانى والثلاثين فصحيحة راجع لسان العرب فى مادة سنين ، وانظر حاشية الصاوى على الألفية ٢٣٧/٢ طبع دار إحياء الكتب العربيةــ عيسى السباعى وشركاه . وانظر ــ فى هذا العدد ــ مقال سنين القهر .

وبعد : نسأل الله ــ سبحانه ــ أن يوفقنا لنقد برىء .

استغاثة في جوف الكعبة

شعر : السيد الصديق حافظ

«لَاهُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ رِحَالَكْ !»
(الصِّرْبُ) جُنْدُ الكُفْرِ مَاعَرَفُوا حَرَامَك أوْ حَلَالَكْ !!
هَتَكُوا «سَرايِيفوُ» بِمَا فِيها ، وَمَنْ فِيها دَعالَكْ !
هَدَمُوا المَسَاجِدَ واستبَاحُوهَا ، وَقَدْ طَلَبُوا نِزَالَكْ !
ذَبحُوا الأَذَانَ على مآذِنِها كَمَا ذَبَحوُا رِجالَكْ !
«لا يَغْلِبَنَّ صلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ أبدَاً مِحَالَكْ !»
حَطِّمْ رموز الشِّرْكِ لا تُطْفِىَءْ بظُلْمَتِها هِلَالَكْ !
المُسْلِمُون يُذَبَّحوُن بِكُلِّ نَاحِيةٍ حِيَالَكْ !
هُمْ يَحْمِلوُن ــ الدهَرَ ــ عِبءَ أمانَةٍ أعْيَتْ جِبالَكْ !
وَبِحَبْلِك اعْتَصَمُوا و (صِرْبُ الكُفْرِ) قَدْ قَطَعَتْ حِبَالَكْ !
رَبَّاهُ إنْ هَلَكوُا فَمَنْ يُعْلِى بِموْطِنِهِمْ جَلَالَكْ !
إنَّا عِيَالُكَ رَبِّ فانْصُرْناَ ولا تَخْذُلْ عِيالَكْ !
«إنْ كَاَن أمْر ماَ بَدا لَك رَبِّ فاصْنَعْ ماَ بَدا لَكْ !

(١) ثلاثة الأبيات الموضوعة بين علامات التنصيص « » لعبد المطلب جد النبى محمد ــ ﷺ ــ لما رأى أصحاب الفيل يريدون هدم الكعبة فقد تعلق بأستارها مستغيثا بالله ــ عز وجل ــ ليجعل كيدهم فى تضليل . وكلمة (لاهم) بتفخيم اللام هى اللهّم .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـــاء العـــــالم الإســلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

قرارات المجلس الإسلامى للدعوة والإغاثة

● ترأس فضيلة الإمامالأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ـ اجتماع هيئة رياسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، فى الدورة الرابعة عشرة بالقاهرة صباح الخميس ٢٢ من المحرم ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢/٧/٢٣ .

تقرر فى هذا الاجتماع الآتى :

ـ إرسال وفد على مستوى عال من المجلس لإجراء المصالحة بين الفرق المتعارضة فى افغانستان .

ـ تعزيز جهود هيئات الإغاثة التابعة للمجلس والعمل على امدادها بمزيد من المال . لتنهض بالأعباء التى يتطلبها الموقف فى البوسنه والهرسك والصومال .

ـ توجيه هيئات الإغاثة التابعة للمجلس للمسارعة لرعاية اللاجئين من مسلمى البوسنه والهرسك وبلغاريا والنمسا وبعض بلاد أوربا .

ـ العمل على نقل الاطفال المسلمين اليتامى فى البوسنة والهرسك واسكانهم فى مواقع آمنة ورعايتهم .

ـ ارسال وفد إلى حكومة بورما لبحث أسباب التحدى للمسلمين فى بورما ومحاولة إزالة أسباب الخلاف .

ـ وضع مشروعات تعليميّة وإنشاء مدارس لخدمة الأقليات مع زيادة الفصول الدراسية لأبنائها وامدادها بالمدرسين .

ـ التعاون مع البلاد الإسلامية التى استقلت أخيرا عن الاتحاد السوفيتى فى مجالات التعليم الإسلامى وامدادها بما تحتاج من مدرسين وكتب ومناهج .

ـ بذل جهود وعقد لقاءات مع الهيئات والمؤسسات السياسية وغيرها بالبلاد غير الإسلامية لتوضيح حضارة الدين الإسلامى ومبادئه على حقيقتها ، بحيث تنتفى الصورة المشوهة التى تنسب إلى الإسلام فى وسائل الإعلام العالمية ، وبحيث يتضح لهؤلاء وغيرهم أن الإسلام دين سلام وتعاون لخدمة الحضارة ، وصلاح أمور البشرية عامة .

ـ المسارعة للوفاء باحتياجات المسلمين فى البانيا من المدرسين والمنح والدعاة .

ـ متابعة مشكلات الأقليات الإسلامية فى أفريقيا وأوربا .

ـ توجيه الإغاثة إلى الصومال توجيها مباشرا لحماية الأطفال والضعاف والنساء .

ـ تعزيز أعمال الدعوة بالمجتمعات الإسلامية فى أفريقيا .

ـ تكوين لجنة للعمل على تصفية الأجواء العربية واعادة البلدان العربية لعلاقات الاخاء الطبيعى .

ـ توسيع نطاق عمل المجلس بقبول طلبات الإنضمام الجديدة الواردة من مؤسسات إسلامية

ذات مكانة فى المجتمعات الإسلامية وذلك حتى تتسع قاعدة المجلس وتمتد آفاق عمله .

ـ دعم المركز الإسلامى فى القدس .

لقاء شيخ الأزهر مع مفتى البوسنه والهرسك

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والشيخ احمد صالح جولا جوفيتش مفتى جمهورية البوسنه والهرسك بتاريخ الأربعاء ١٤ من المحرم ١٤١٣ هـ ١٩٩٢/٧/١٥ م تم خلال اللقــــاء بحث الأوضاع الراهنة هناك وكيفية التغلب على المصاعب التى تواجه المسلمين هناك .

وقد جدد فضيلة الإمام الأكبر دعوته إلى المسلمين بالتبرع المادى والعينى لشعب البوسنة والهرسك .

كما أكد فضيلته على ضرورة تكاتف جهود المؤسسات الشعبية والرسمية لتلبية احتياجات المسلمين هناك .

وطالب فضيلته المجاهدين فى البوسنه والهرسك بالدفاع عن الأرض والعقيدة مشيرا الى أن جهادهم محسوب عند الله فى ميزانهم يوم القيامة .

فى ختام اللقاء أشاذ مفتى البوسنه والهرسك بالدور المصرى المساند لقضية شعبه منذ بداية الأزمة .

الأزهر يشارك فى الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية بجزر القمر

بشارك الأزهر الشريف فى أعمال الملتقى الدولى للثقافة الإسلامية الذى عقد فى الفترة من ٢٦ من المحرم / ٥ صفر ١٤١٣ إلى ٤ أغسطس الحالى بوفد من علماء الأزهر ضم فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية والأستاذ الدكتور مجدى حسن الأنور مترجم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن بالشئون الفنية لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ جمال قطب الواعظ بالأزهر وعضو مجلس الشعب .

وقد اهدى الأزهر الشريف المسلمين فى جزر القمر مكتبة إسلامية ضمت المصحف الشريف ومجموعات من الكتب الدينية من اصدارات مجمع البحوث الإسلامية واللجنة العليا للدعوة بالأزهر ولكبار الكتاب الإسلاميين .

الإمام الأكبر يدعو الفلسطينيين إلى الوحدة حتى يستعيدوا الأرض المغتصبة

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى وحدة الشعب الفلسطينى حتى يستعيد أرضه .

وقال فضيلته فى بيان صدر عن الأزهر الشريف :

« تواترت الأنباء عن وقوع اختلافات واشتباكات بين الفلسطينيين فى قطاع غزة المحتل » .

والأزهر الشريف يذكر الأخوة المختلفين بأن التنازع يؤدى إلى الفشل والخسران ، وأن الله ـ سبحانه ـ قد حذرنا من هذا فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

فكونوا ممن استمعوا لقول الله سبحانه واطاعوا فإن فى اختلافكم أو تشاحنكم إضرارا بالقضية الكبرى للأمة .

وفى ختام بيانه قال فضيلته :

« إن الأزهر الشريف وقد اهمته تلك الأنباء ليناديكم من القاهرة التى تحوط قضيتكم بكل رعاية وعناية واهتمام ان توقفوا ما بينكم من شحناء ، وإن تنهوا كل خلاف أو اختلاف على قضايا غير عاجلة الآن ، وأجمعوا امركم على ما هو حال وعاجل وهو أن يؤول الى الفلسطينيين أمرهم على أرضهم .

تعديل مواعيد امتحانات الدور الثانى

تأخذ امتحانات الدور الثانى بالمعاهد الأزهرية طابعا خاصا هذا العام سواء فى سنوات النقل أو الشهادات العامة .

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على تعديل قواعد دخول امتحانات الدور الثانى بحيث يسمح للطالب الراسب فى امتحان الدور الأول بدخول امتحانات الدور الثانى فيما رسب فيه من مواد دون التقيد بعدد معين من المواد .

وقد تم تعديل مواعيد امتحانات الدور الثانى بالنسبة لسنوات النقل بالاعدادى والثانوى والمعلمين والقراءات لتكون يوم السبت الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٩٢ .

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

استغاثة

قال مدير معهد القيروان الإسلامى للدراسات القرآنية فى (منتريال) بكندا أن المعهد مهدد بالإغلاق نظراً لعجزة عن الوفاء بالتزاماته المالية وأشار الشيخ عبد الحميد سنو أن إغلاق المعهد سيحرم الدارسين من تلقى الدروس الدينية المنصبة على فهم القرآن ومعانيه وأهاب بالمتطوعين أن ينقذوا المعهد من تلك الورطة خدمة للإسلام .

بدون تعليق

دعا مركز المخطوطات والتراث والوثائق التابع لجمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت جميع مسلمى العالم للمساهمة فى المشروع الذى يتبناه المركز بهدف المحافظة على المخطوطات الإسلامية التى تزيد عن (١٠٠) ألف مخطوطة وصيانتها ، وأشار المسئولون إلى أن ٤٠ ألف مخطوطة إسلامية فى طشقند معرضة للتلف وعوامل التعرية الجوفية و(٢٠) ألف فى اذربيجان و (٢٠) ألف فى بطرسبرج و (١٠) الاف فى (موسكو) ، كلها تحتاج الى رعاية وعناية ويتطلب المشروع نصف مليون دينار كويتى .

بشرى لمسلمى كندا

استجابت حكومة ولاية (أونتازيو) أكبر ولايات كندا سكانا للطلب الذى تقدم به مكتب الاتحاد الإسلامى لأمريكا الشمالية للإعتراف بأعياد المسلمين ومنحهم إجازة من أعمالهم فى عيدى الفطر والأضحى وذلك أسوة بغيرهم من مواطنى كندا .

هذا ويطالب المسلمون هناك الحكومة الكندية أن تعترف بقوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

وكان الاتحاد قد بعث مذكرة لحكومة كندا طالب فيها بأن يُمنح الموظف المسلم هناك راحة لمدة ساعتين كل أسبوع ليتمكن من أداء صلاة الجمعة .

خطة عاجلة لدعم المسلمين فى الكومنولث

وضع الأزهر الشريف خطة عاجلة لدعم المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية بأسيا الوسطى وأوروبا الشرقية تتمثل فى إنشاء عشرة مراكز اسلامية وذلك فى العواصم والمدن ذات الشهرة فى التاريخ الإسلامى ، وسيوفد الأزهر دعاة للعمل بهذه المراكز كما تسهم وزارة الأوقاف ببعض التكاليف إلى جانب الأشراف الهندسى على إنشاء تلك المراكز التى سيتكون كل منها من مسجد ومدرسة اسلامية ومكتبا لتحفيظ القرآن وتدريب الدعاة ومعهد مهنى وعيادة طبية وذلك ليتكامل المرفق الإسلامى .

هذه البلاد المجهولة

ستُنشىء المسلمــون فى (جزر سليمان) المعروفة بدولة (فينيتو) بآسيا جمعية إسلاميــة ثقافيــة للدعــوة الإسلامية ، وينحدر المسلمون هناك من أندونيسيا وفيجى وغانا .

وقد اعتنق عدد من أهل الجزر الإسلامية مؤخرا ، وهذه الجزر تقع فى المحيط الهادى ويبلغ عدد سكانها (٣٠٠) ألف نسمة ومساحتها (١٠) آلاف ميل مربع .

بقى أن نعلم أن الأبجدية التى يتحدث بها أهل جزر سليمان هى أقل الأبجديات حروفا تسمى (الرُّوكَارْت) إو يبلغ عدد حروفها (١١) أحد عشر حرفا بخلاف الأبجدية (الكامبودية) التى تبلغ (٧٤) حرفا ، وتعتبر من اكبر الابجديات فى العالم .

من أخبار المسلمين فى أوغندا

قال مدير الشئون الدينية بالمجلس الإسلامى الأعلى فى (أوغندا) بشرق إفريقيا : إن مشاكل المسلــمين فى أوغندا تكاد تكون محصورة فى التخلف والجهل ونقص الغذاء والمستشفيات .

وأشار إلى ان المنصرين وانعدام الوعى فى أوساط المسلمين جعــل مشاكلهم تتفاقم إضافة إلى انهم ليس لديهم وسائل إعلام مقــروءة أو مسموعة أو مرئية إلا بعض النشرات المعتمدة على الجهد الفردى ، كذلك حذر من الخطط التنصيرية مؤكدا أن المنصرين منظمـون ولـديهم الوسائل المتنوعة الأساليب ، فهم يبنون المدارس والمستشفيات ونـوادى الشبـاب .. الخ ، وأكد سيادته أن للإسلام فى أوغندا مستقبلا زاهـرا حيث يشهر أربعة افـراد إسلامهـم كل يوم على الأقل .

لأول مرة

انتهت هيئة المساحة المصرية من إصدار التقويم الهجرى للعام الهجرى الجديد ١٤١٣ هـ وهو تقويم يصدر لأوَل مرة وذلك بالانجليزية لخدمة المسلمين فى مختلف دول العالم ودول الكومنولث الإسلامى .

كراكاس

يفتتح رئيس جمهورية فنزويلا فى ديسمبر القادم مسجد الشيخ ابراهيم ابن عبـد العزيــز الابراهيمــى فى (كراكاس) وهـو من اكبر مسَاجد العاصمة وتكلفته ٨ مليون دولار ، صرح بذلك الشيخ فهد اليحيى مدير (مؤسسة الابراهيمــى) ومقرهـــا الرياض ، وقال : إن بالمسجد مدرسة لتعليم القرآن ومصلى للسيدات .

هذا ، وتقوم نفس المؤسسة ببناء خمسة وسبــعين مسجــدا فى دول الكومنـولث ، يتركـز معظمهـــا فى جمهورية (طاجكستـان) التـى يمثل المسلمون فيها ٨٥٪ من عدد السكان بالاضافة إلى التـزام المؤسسة يدفع رواتب (٧٠) داعيــة بمساجـــد الكومنولث وبرامج للمنح الدارسية الداخلية فى معهـد الإمام البخارى بطشقنـد ، كما تنشىء دورا للعجـزة والأيتام والمسنين بموسكـو وجنـوب روسيا يتلقى فيها العلاج بالمجان .

دعوة واستجابة

اصدرت وزارة التعليم والثقافة فى (باراجـواى) قرار بمنـح المركــز الإسلامى هنـاك الحماية التامة فى (الأنْثَالسيُون) وهـو المجلس الوطنـى للدولـة ، وذلك لدعـوة النـاس إلى الإسلام بحرية كاملــة فى كل انحاء (باراجواى) من أمريكا اللاتينية .

كما عُيّن الشيخ محمد حسان عارف مديرا وإماما للمركز الإسلامى هناك

يأتى هذا استجابـــة للحــديث الصحفى الــذى أدلى به الشيــخ عبـد العزيـز حاج مؤسس رابطـــة المسلمين فى باراجواى الذى أكد أن مشاكل المسلمين هناك ــ فى مواجهة التنصير الــذى يسمـى مغالطــة بالتبشير ــ لاتحل إلا ببنـاء مسجـد يكون مركزا لتوعيـة المسلمين ضد التيـارات الهدامـة والعـادات الضارة وأهاب فضيلته ــ فى ملحق الجمعة بصحيفة الاتحاد الاماراتية الصادرة فى ٩٢/٦/١٩ بأهل الخير أن يساهموا فى اقامة هذا الصرح الإسلامى الذى هو باكورة المساجد هناك من أجل مسلمين زاد عددهم على (١٢٠) ألف نسمة ليس لهم مسجد يصلون فيه .

المعرض العالمى للمصاحف

عرضت آلاف المصاحف النادرة فى المعرض العالمى للمصاحف الذى أقيم فى (كولوموبو) بسيرلانكا . طُبعت المصاحف فى (٦٠) دولة وعبر عدة عصور .

افتتح المعرض الشيخ عبد الله العقيل الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمى للمساجد ثم وزعت جوائز على الفائزين فى المسابقة التى نظمتها جمعية القرآن الكريم بسيرلانكا ، وكانت الجائزة الأولى ١٠٠ ألف روبية سيرلانكية .

هذا وقد عثرت باحثة إيطالية على أقدم مصحف مطبوع وذلك فى مدينة فينيسيا يرجع إلى القرن الخامس عشر ، وهو بخلاف المصحف الذى عُثر عليه فى هامبورج بألمانيا والذى كان يُعتقد أنه أقدم مصحف مطبوع .

زيارة عمل

قام ــ مؤخرا ــ أمين عام مساعد المجلس الأعلى العالمى للمساجد التابع لرابطة العالم الإسلامى بزيارة سنغافورة وتايوان واليابان وهونج كونج وكوريا . وأشار فضيلته إلى إعجابة بالنشاط الذى يمارسه اعضاء جمعية الدعوة الإسلامية بسنغافورة ، كما افتتح ٣ مساجد جديدة فى تايوان نصف تكاليفها تبرعات محلية .

كما بحث فى اليابان تجديد وصيانة مسجد طوكيو .

الأخوة فى الإسلام

نُظّمت بمدينة (تُورونْتُو) الكندية الندوة السنوية الرابعة لمجمع الدراسات الاجتماعية الإسلامى بعنوان (الأخوة فى الإسلام) وشارك فيه أمين عام رابطة العالم الإسلامى ولفيف من الشخصيات الإسلامية وقد عقدت فيه عدة مسابقات إسلامية ومحاضرات دينية .

باكستان

قررت الجامعة الإسلامية العالمية فى باكستان افتتاح فرعين جديدين لها : أحدهما فى (دوشامبى) عاصمة جمهورية (طاجكستان) والآخر : فى (قرطبة) بجنوب أسبانيا صرح بذلك دكتور حسين حامد حسان رئيس الجامعة .

جغرافية العالم الإسلامى

عقدت (الإيسيسكو) حلقة دراسية فى مدينة (كوناكرى) بغينيا لموجهى الجغرافيا حول إدراج جغرافية العالم الإسلامى خصوصاً جغرافية فلسطين فى المناهج الدارسية للدول الإفريقية الأعضاء بالمنظمة والناطقين بالفرنسية ، وذلك لمدة ٦ أيام قدم فيها المنهج الموحد لجغرافية العالم الإسلامى مع بيان طرق الاستفادة منه فى تدريس الجغرافيا فى المدارس عن طريق الخرائط و (الأطالس) والوسائل الإيضاحية والرسوم البيانية المختلفة هذا وقد ألقيت فى الحلقة ١٢ محاضرة بواقع محاضرتين يوميا من قبل جامعيين غينيين .

صرح علمى جديد

يفتتح فى منتصف سبتمبر القادم المركز الثقافى الإسلامى بالعاصمة الإسبانية (مدريد) وذلك على أرض مساحتها (١٨) ألف متر مربع ، ويتكون من ستة طوابق : بها مسجد كبير يسع أكثر من ألف مُصَلٍّ ، وقسماً خاصاً بالنساء ، وقاعة كبيرة للمحاضرات بها (٥٠٠) مقعد مجهزة بوسائل الترجمة الفورية وقاعة خاصة للاجتماعات كما أن به مدرسين لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ومكتبة ضخمة ومعرضين للتراث الإسلامى للكتاب الإسلامى .

يأتى افتتاح هذا الصرح العلمى الجديد اغتناماً للفرصة الإعلامية النادرة التى أتاحها افتتاح أكبر المعارض العالمية بمناسبة مرور (٥٠٠) عام على اكتشاف كولمبس لأمريكا والذى افتتح بأشبيلية أوائل هذا العام .

الفهـــرس

الموضوع	صفحة
• الافتتاحية : أرض السهول البيضاء	
للدكتور على أحمد الخطيب	١٥٣
• مع الإمام الأكبر	
فتــاوى لفضيلــة الإمـــام الأكبر شيخ الأزهر	١٥٩
• مع سورة الأنفال	
لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى	١٧٧
• أهل العقل والحكمة	
للشيخ أحمد بن محمد طاحون	١٨١
• طريق الخروج بالأمة وتحقيق أمنها	
بقلم لواء ا ح د. فوزى محمد طايل ...	١٨٤
• الصحابى الإمام المفترى عليه عثمان بن عفان	
بقلم الأستاذ الدكتور عبد المقصود نصار	١٨٩
• الرؤى المسيحية عند اليهود	
للأستاذ الدكتور عبد الله نجيب محمد .	١٩٤
• السلفية وتحرير المملكة المغربية	
بقلم الأستاذ الدكتور أحمد الحفناوى .	١٩٨
• الفتاوى	
اعداد الأستاذ عبد المنعم حافظ فودة .	٢٠٣
• من اعلام الأزهر (السيد حسن قرون)	
للأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلى	٢٠٦
• عن هذا العَلَم	
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	٢١٠
• العلوم الكونية •	
• الإنسان ومشكلات التلوث	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٢١٥
• ماذا فى مملكة النمل ؟	
بقلم الأستاذ منذر محمد عبد الرحمن .	٢٢٠
• الثقوب السوداء بين الحقيقة والخيال	
بقلم الدكتور أحمد أحمد الناغى	٢٢٤
• الجديد فى العلم والتقنية	
اعداد الدكتورة نجوى السيد أحمد ...	٢٢٦
• طرائف ومواقف	
اعداد الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبدالحليم	٢٢٩

الفهـــرس

الموضوع	صفحة
• من روائـــــــع الماضى (الإسلام والمسلمون)	
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات	٢٣١
• اللغة والنقد والأدب •	
• أساس البلاغة (للإمام الزمخشرى)	
بقلم د. توفيــق محمـــد شاهين .	٢٣٥
• سنين القهر	
للأستاذ مصطفى أبو السعود وهدان .	٢٣٩
• هذا الملتقى الفلسفى الرابع	
بقلم الأستاذ شعيب الغباشى	٢٤١
• تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٢)	
تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض	٢٤٤
• قراءة فى كتاب (حركة التاريخ بين النسبى والمطلق)	
عرض وتعليق الأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٢٥٣
• الشعر والشعراء •	
• ماذا تنتظرون ؟	
شعر الأستاذ رشاد محمد يوسف	٢٥٩
• إستغاثة فى جوف الكعبة	
شعر السيد الصديق حافظ	٢٦١
• أنباء وآراء •	
• أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٢٦٥
• القسم الفرنسى •	
إعداد الأستاذ محمد عمر	
المقالة الثانية : أنس عبد الفتاح عمرو	٢٧١
المقالة الأولى : أميمة جمال	٢٧٦
• القسم الإنجليزى •	
المقالة الثانية : إسماعيل راجـــى الفاروقى	٢٨١
المقالة الأولى : دكتور أنسى مصطفى النجار	٢٨٦

sens du verset 219)[2]. Ensuite Allah interdit aux hommes d'accomplir la Prière alors qu'ils sont en état d'ivresse (sourate "Les Femmes" le sens du verset 43)[3]. Dans ce cas il s'agit seulement d'une interdiction partielle. Enfin dans la sourate (La Table servie" le sens du verset 90)[4] Allah formule l'interdiction formelle de l'alcool.

2. La distinction entre sourates mecquoises et médinoises permet d'étudier les étapes de l'évolution de la Révélation divine ainsi que la progression de la législation en vue d'établir les fondements stables pour la communauté musulmane.

Comment distingue-t-on les sourates mecquoises des sourates médinoises ?

Le seul moyen de les distinguer est de nous fier à ce qui nous a été transmis par les Compagnons du Prophète salut et bénédiction sur lui et par leurs disciples. Du vivant du Prophète (salut et bénédiction sur lui), les Musulmans n'ont pas éprouvé le besoin de péciser ceci, car aucune sourate n'a été révélée sans qu'ils sachent où elle a été révélée et dans quelles circonstances précises elle a été révélée.

Dans un Hadith rapporté d'aprés Masrouq, Abdallah a dit :

"Par-Allah! en dehors duquel il n'y a pas de divinité, aucune des sourates du Livre d'Allah n'a été révélée sans que je sache où elle a été révélée. Pas un verset du Livre d'Allah n'a été révélé sans que je sache à propos de quoi il a été révélé. Si je connaissais quelqu'un mieux instruit que moi du Livre d'Allah et auprès duquel on pourrait arriver à chameau, je monterais à chameau pour me rendre auprès de lui" [1].

Bien que les Compagnons aient été le seul mode de transmission par lequel la classification des sourates mecquoises et médinoises nous est parvenue il existe toutefois des critères qui pourraient nous permettre de les distinguer.

A) Particularités des sourates mecquoises

1. Les sourates mecquoises sont destinées en premier lieu à instituer la foi en l'Unicité d'Allah dans les cœurs et à avancer les preuves évidentes qui affirment l'existence d'Allah, l'unique Créateur.
2. Elles accordent une grande importance à la venue eschatologique de l'Heure; et à la rétribution équitable qui sera attribuée le Jour du Rassemblement aux hommes selon leurs actions dans la vie de ce monde.
3. Elles réfutent les coutumes erronées des Arabes à l'époque de la Gahiliya : le meurtre, l'enterrement des filles vivantes et l'usurpation des biens de l'orphelin. Ceci en vue d'attirer l'attention des fidèles sur les conséquences néfastes qui en découlent.

---

٢ ـ قال تعالى [يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا] سورة البقرة

٣ ـ قال تعالى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ] النساء . آية ٤٣ .

٤ ـ قال تعالى [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] . سورة المائدة . آية ٩٠

١ ـ حدثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله رضى الله عنه والله الذى لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا انا أعلم اين انزلت ، ولا انزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم انزلت ولو اعلم احدا اعلم منى بكتاب الله تبلغه الا بل لركبت إليه .

El Bokhâri, les traditions islamiques, op.cit, T. 3, p. 527.

"Bref aperçu sur l'assemblage du Coran"

par Inès Abdel Fattah Amer

Les Ulémas ont classé les sourates en deux catégories : les mecquoises et les médinoises ou plutôt "préhégiriennes" et "post-hégiriennes'. Les premières sont celles qui ont été révélées avant l'émigration du Prophète à Médine et les autres datent de la période qui suit l'Hégire. "Il est à noter que ces dénominations sont purement chronologiques car il y a des sourates médinoises, qui ont été révélées à la Mecque ou ailleurs, comme il y a des sourates mecquoises qui n'ont pas été révélées à la Mecque. Ainsi le verset suivant : Allah vous ordonne de restituer les dépôts) (Sourate "Les femmes" (le sens du verset 58).[1] est médinois, alors qu'il fut révélé à la Mecque à l'intérieur de la Ka'aba. De même la partie liminaire de la sourate "le Butin" a été révélée à "Badr" et pourtant on la considère comme une sourate médinoise et non mecquoise.

Selon les jurisconsultes, on ne considère une sourate comme mecquoise ou médinoise que d'après sa partie liminaire. Si celle-ci a été révélée avant l'émigration, on l'inscrit comme mecquoise, par contre, si elle a été révélée après, elle est considérée comme médinoise. Donc ces appellations ne correspondent pas à la ville où elles ont été révélées.

En fait une telle classification est d'une grande utilité pour plusieurs raisons :

1. Elle permet de distinguer entre l'abrogé et l'abrogeant. Ainsi, quand il s'agit de deux versets coraniques où sont indiquées des régles destinées à régir la communauté musulmane, on juge d'après le verset révélée posté-rieurement (l'abrogeant) car ce dernier abroge le verset antérieur (l'abrogé).

Il est à noter que les deux versets coraniques (l'abrogé et l'abrogeant) appartiennent tous deux à la Parole divine. Mais le premier (l'abrogé) est considéré comme une loi provisoire spécifique pour son temps ou comme une loi adaptée aux hommes à une époque déterminée (III, 109; IV; 15), tandis que l'autre (l'abrogeant) parchève cette loi provisoire après que la communauté muslumane se fut établie sur des fondements stables :

(Dès que nous abrogeons un verset ou dès que nous le faisons oublier, nous le remplaçons par un autre, meilleur ou semblable. Ne sais-tu pas que Allah est Puissant sur toute chose), (Sourate "La vache" le sens du verset 106[1]

Ainsi l'interdiction absolue des boissons alcooliques s'est faite progressivement. Elle commence par une simple allusion à l'aversion pour l'alcool (voir sourate "La Vache", le

---

٢ ـ قال تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.سورة النساء . اية ٥٨ .

١ ـ قال تعالى :﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ البقرة .

C'est ainsi que le Coran a recommandé la justice d'une manière générale, sans désigner une espèce, ou une catégorie quelconque car la justice est le code et la législation d'Allah, les gens sont égaux devant Sa justice, les blancs et les noirs, l'homme et la femme, le musulman et le non-musulman le riche et le pauvre ...

Le Prophète était le bon exemple pour les premiers musulmans, une fois mort sa Sunna et ses hadiths authentiques représentent un guide pour les croyants. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — a appliqué la justice dans la communauté musulmane à Médine. On rapporte qu'un hypocrite et un juif s'étant disputés, ils ont voulu un juge pour trancher entre eux. Le juif dit : Recourons à l'arbitrage de l'Envoyé d'Allah. L'hypocrite a voulu recourir à l'arbitrage de Ka'b ibn Al-Ashraf qui était un des tyrans des juifs. Ils ont enfin décidé de prender l'arbitrage de l'Envoyé d'Allah. Il jugea en faveur du juif. L'hypocrite n'accepta pas l'arbitrage du Prophète. C'est pour cette raison que le sens du verset 60 dans la sourate Les Femmes est descendu "..., ils veulent se rapporter aux Taghut..." Le Taghut dans ce verset est Ka'b ibn Al-Ashraf le juif.

"Il résulte de tous ces principes de la législation musulmane que l'Islam attache une importance primordiale aux droits fondamentaux de l'homme et apporte un soin majeur à la sauvegarde des droits économiques, sociaux et culturels. L'Islam ne formule pas ces principes comme de simples et pieux sermons. Ils constituent plutôt des prescriptions, voire des ordres. Des textes législatifs les accompagnent en vue d'en garantir l'exécution"[1].

L'Islam se préoccupe non seulement de la relation entre l'homme et son Seigneur, mais il a également réglé les relations entre les hommes dans la société. L'Islam préconise l'égalité absolue entre les créatures, la distinction est basée sur la piété. D'autre part, il a incité les musulmans à la justice, justice avec l'âme en ne lui infligeant pas ce qu'elle ne supporte pas ou ne l'accédant pas aux désirs et au libertinage; justice envers la société, ne sera opprimé et nul ne sera privé de son droit. Autrement dit, la justice de tout homme envers l'autre : le père et le fils, le frère et son frère musulman, l'ami et son ami, le chef et les subalternes, le juge et les inculpés, c'est une équité globale.

En s'éloignant des interdictions d'Allah : le meurtre, le vol, l'adultère, le dépouillement des libertés et des droits, la communauté musulmane parvient à la gloire et au progrès comme le souligne l'histoire de la civilisation musulmane.

Omayma Gamal

---

1) Colloques de Ryad sur le dogme musulman et les droits de l'homme en Islam — Beyrouth — Dar Al-Kitab Allubnani p. 35.

l'élection du calife, après la mort de 'Umar Ibn Al-Khattàb, Abd Al-Rahman Ibn 'Awf ne laissa aucune personne sage sans la consulter.

V. *Le droit de justice :* **Parmi les droits prescrits par la Loi islamique, figure la justice qui représente la souveraineté d'Allah. "Allah vous ordonne de restituer les dépôts et de juger selon la justice, lorsque vous jugez entre les hommes"(1).**

"Si chaque religion a un trait caractéristique, celui de l'Islam réside dans la justice qui est sa devise et sa qualification; la justice représente la balance droite qui détermine les relations entre les hommes en cas de paix et en cas de guerre. Elle incarne l'équité droite par laquelle les droits sont partagés et protégés et l'existence humaine réglée"(2).

La justice consiste à donner à chacun son droit, elle a pour contraire l'injustice qui est la transgression des droits d'autrui. L'équité frome la base de la communauté musulmane qui met, tous les hommes, sans distinction, sur le même pied d'égalité devant la Loi musulmane. Le meilleur exemple en est l'histoire de cette noble Kurayshite qui a volé. Usàma ibn Zayd vint intercéder pour elle auprès du prophète — à lui bénédiction et salut — dont le visage change de couleur. Il dit à Zayd : "Tu viens intercéder dans un des droits prescrits par Allah. Puis le Prophète prêche : "Les gens, qui vous ont précédé périrent car lorsque le noble volait, ils le laissaient sans punition, et lorsque le faible volait, ils appliquaient sur lui la peine légale. Je jure par celui qui détient mon âme entre ses mains que si Fatima, fille de Muhammad, se rendait coupable de vol, je lui couperais certainement la main"(1).

L'Islam a recommandé également la justice envers les enfants : ne pas faire de distinction d'un tel au détriment d'un autre. Allah, l'équitable, a prescrit la justice même avec les ennemis, le musulman doit être au-dessus de toute haine (ou divergence). Il dit : "O vous qui croyez ! Tenez-vous fermes comme témoins, devant Allah, en pratiquant la justice. Que la haine envers un peuple ne vous incite pas à commettre des injustices. Soyez justes ! La justice est proche de la piété"(2).

---

1) IV — Les Femmes le sens du — le sens du verst 58

سورة النساء ، آية ٥٨ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾

2) Muhammad Abu Zahra-Al-'Ilakat Al Dawliya Fi Al-Islam (Les relations internationales en Islam) — Le Caire — Al-Dar Al Kawmiyya liltiba'a Wa-l Nashr — 1964 — p. 35.

« واذا كان لكل دين سمة يتسم بها فسمة الاسلام هو العدالة وهى شعاره وخاصته والعدالة هى الميزان المستقيم الذى يحدد العلاقات بين الناس فى حال السلم ، وحال الحرب فهى القسطاس المستقيم الذى به توزع الحقوق ، وبه تحمى الحقوق ، وبه ينتظم الوجود الانسانى » .

1) rapporté par Muslim

قال رسول الله — ﷺ — :

« فانما أهلك الناس من قبلكم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

2) V — La Table Servie le sens du verset 8

سورة المائدة ، آية ٨ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ » .

L'Islam respecte hautement la femme en lui confiant une liberté totale de penser, de s'instruire, de dépenser son propre bien et de choisir son époux. Ibn 'Abbas rapporte que la femme de Thabit ibn Kays est venue consulter le Prophète en lui disant : "O Envoyé d'Allah je n'ai rien à reprocher à Thàbit ibn Kays en ce qui concerne son caractère ou bien la pratique de sa religion, mais je crains de manquer aux devoirs de l'Islam. Le Prophète a répondu : veux-tu lui rendre son jardin ? Elle a répliqué par l'affirmative. Eh bien ! dit le prophète à Thàbit, reprends ton jardin et répudiela"(3).

En traitant le problème du divorce, la Loi musulmane a observé un principe humain, celui de l'interdiction du "préjudice psychologique et corporel". La Loi musulmane débute la voie vers le divorce par la réconciliation, Allah Tout Puissant dit : "Quand une femme redoute l'abandon ou l'indifférence de son mari; nul péché ne leur sera imputé s'ils se réconcilient vraiment, car la réconciliation est un bien"(1). Le mari ne "peut, à tout moment sans formalité et sans indemnité, rompre le lien conjugal". Le divorce, la chose licite la plus odieuse à Allah est soumis à des règles après avoir épuisé toutes les possibilités de réconciliation. Le divorce n'est pas légal dans les cas suivants :-

— dans la période de menstruation.

— dans un état de pureté légale où les époux n'ont pas eu des rapports charnels.

— en cas de colère.

"Toutefois, la nature a prouvé que "la direction" est nécessaire dans toute communauté petite ou grande et que des divergences d'opinions peuvent exister. Comme il faudrait que quelqu'un décide et prenne une résolution et d'en être responsable, c'est là qu'est née la tutelle. Et il était naturel que celle-ci revînt à l'homme en raison de ses diverses responsabilités envers sa famille et en raison de sa supériorité naturelle"(1). La femme est plutôt sentimentable, impulsive, et affectueuse.

La femme possède la liberté d'emettre son jugement et son droit de véto. Quand le calife 'Umar ibn Al-Khattab, qu 'Allah soit satisfait de lui, a prêché dans un sermon le sujet de la détermination des dots et le fait de ne pas les augmenter, une femme lui a dit : Allah dit "Si vous avez un qintar à l'une des deux, n'en reprenez rien..."(2) Allah nous donne et toi, tu nous en empêche. Ce à quoi 'Umar a répliqué : "une femme a eu raison et 'Umar a eu tort"(4). N'est-elle pas libre, raisonnable. On raconte également que lors de

---

« جاءت امرأة ثابت بن قيس الى رسول الله فقالت : يا رسول الله ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الاسلام .. فقال رسول الله — ﷺ — : أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم . فقال رسول الله — ﷺ — اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» .

1) IV - Les Femmes - le sens du verset 128

سورة النساء ، آية ١٢٨ .
﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾

1) Ahmad Shalaby — Islam, Croyance, Législation, Morale — traduit de l'arable par Mohammad Nasr El-Dine — Le Caire The Renaissance Bookshop — p. 233.

3) IV — Les Femmes - le sens du verset 20

سورة النساء ، آية ٢٠
﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾

قال عمر بن الخطاب :
« أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

Lorsque l'Islam a proclamé l'égalité, il n'a pas voulu mettre sur le même pied d'égalité le traître et l'honnête, le paresseux et l'actif, l'intelligent et le stupide. Mais il a voulu égaliser entre les traîtres dans le châtiment, entre les honnêtes dans la récompense, entre les paresseux dans l'état et entre les laborieux dans le bénéficit et les moyens de progrès (Muhammad al-Ghazàli)[2].

Le second aspect c'est l'égalité vis-à-vis de la loi, et dans les droits généraux. L'Islam a édicté de traiter tous les hommes sur le même pied d'égalité devant la loi, dans les droits et les devoirs sans distinction aucune entre un assortissant et un prince, ou entre un noir et un blanc. Les enseignements de l'Islam ne se sont pas restreints au stade théorique, ils sont passés à l'application effective, le meilleur exemple se résumant dans l'histoire du fils de 'Amru ibn Al'As qui avait frappé un Egyptien du peuple sous le Khalifat de 'Umar ibn Al-Khattàb. L'homme jura d'exposer ses griefs au commandeur des croyants. Le fils de 'Amru lui dit : "Allez, je suis le fils des nobles". Lorsque l'homme eut raconté son histoire à 'Umar, il prononça sa célèbre phrase : "Quand avez-vous réduit les gens en esclaves alors que leurs mères les ont engendrés libres"[1].

L'Islam égalise entre l'homme et la femme dans les droits et les devoirs, dans l'enseignement, dans les droit civils et dans la propriété... Néanmoins, l'Islam ne différencie entre l'homme et la femme que lorsque le cas et l'intérêt l'exigent, à savoir en ce qui concerne cinq points : les charges économiques, l'héritage, la tutelle de l'homme sur la femme, le témoignage, et le divorce.

"Pourtant, cette distinction entre les deux sexes concernant les coûts de subsistance et les relations de la société, ne les dépasse pas aux obligations du dogme, aux hautes moralités et aux exigences de l'esprit... Allah s'adresse sans distinction à l'homme et à la femme dans le Coran en ce qui concerne ces affaires"[2].

Ni le Coran, ni le hadith ne sont sévères envers la femme. Il est évident que le Paradis n'est pas l'apanage de l'homme. Chaque espèce humaine reçoit le prix de ses actes. Si l'Enfer sera rempli de femmes, ceci sera dû à leurs actes puisque personne ne sera lésé. Allah le Suprême a dit : "Les croyants et les croyantes sont amis les uns des autres. Ils ordonnent ce qui est convenable, ils interdisent ce qui est blâmable; ils s'acquittent de la prière, ils font l'aumône et ils obéissent à Allah et à son prophète. Voilà ceux auquels Allah fera bientôt miséricorde. Allah a promis aux croyants et aux croyantes des jardins..."[2].

---

2) Ahmad 'Abd al-Djawad al-Dumi — Al-Islam Menhadj wa Suluk, (L'Islam méthode et conduite)-op. cit. p. 135.

قال/عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

2) 'Abbas Mahmud al-Akkad — 'Al-Falsafa al-Kur'aniyya — (La Philosophie coranique) — op. cit. — p. 48.

« على أن هذه التفرقة بين الجنسين لا تتعدى تكاليف المعيشة وعلاقات المجتمع ، الى تكاليف العقيدة وفضائل الأخلاق ومطالب الروح .. لأن المرأة تخاطب فى القرآن الكريم كما يخاطب الرجل فى هذه الأمور » .

1) IX - l'Immunité le sens des versts,

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ..... ﴾ (سورة التوبة)

L'Islam et les droits de l'homme

par Omayma Gamal

IV. *Le droit d'égalité :* **Le principe de l'égalité en Islam revient au monothéisme. Les musulmans ne s'assujettissent ni à une autorité, ni à une personne puisque Allah a crée les êtres humains égaux dans leur servitude à Lui. Les êtres humains sont de la même famille, ils remontent à un seul père et une seule mère sans considération aucune pour la race et la nationalité.**

Allah indique dans le Coran l'origine de l'égalité entre toutes les personnes en ce qui concerne la nature humaine. Il dit le Suprême : "O vous les hommes ! Nous vous avons crées d'un mâle et d'une femelle. Nous vous avons constitués en peuples et en tribus pour que vous vous connaissiez entre vous. Le plus noble d'entre vous auprès d'Allah, est le plus pieux d'entre vous"(1) Allah refuse que la division des hommes en peuples, en tribus et en groupes, soit le prétexte de la rivalité entre les individus — ainsi ont déclaré quelques philosphies modernes — Mais, Allah considère cette distinction comme une raison pour se connaître et se rencontrer et non une raison de dispute et de divergence"(2).

Les aspects de l'égalité remontent à trois catégories : la première étant l'égalité humaine commune, évidente dans le sermon du pélerinage d'adieu lorsque le Prophète — à lui bénédiction et salut — a dit : "O gens ! votre Allah est unique, votre père est unique, vous retournez tous à Adam et Adam est crée de sable; le plus noble d'entre vous auprès d'Allah est le plus pieux. L'arabe n'a aucun mérite sur le non-arabe, ni le noir sur le blanc, si ce n'est de leur degré de piété"(1). Il est remarquable que la piété désigne la seule distinction entre les hommes.

---

1) XLIX — Les Appartements privés — le sens du Verset 13

سورة الحجرات : آية ١٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

2) Dr. Muhammad Al-Bahiy — Al-Iman (La foi) · op. cit. · p. 71

« ينفى (الله) أن يكون اختلاف الناس الى شعوب وقبائل ومجموعات مبرر للمفاضلة بين الأفراد ، كما قد تنادى به بعض الفلسفات المعاصرة ، بل ينظر الى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف واللقاء وليس للتخاصم والتنافر . » .

1) CF. ibn Hisham

« أيها الناس ، ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب .. وأكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » .

REVUE AL-AZHAR

Safar 1413
Volume 65 — Partie II

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

design and purpose of the Creator, the Fashioner.

The ethical aspect of Islamic doctrines teaches that nature was created as a theater for mankind, a field in which to grow, prosper, and enjoy Divine bounties, and in doing so to prove the ethical worth and values of humanity. The principle of this incumbent responsibility is Tawhid. Nature and its orderly patterns of creation are Divine property, and mankind is granted his tenure therein by Divine trust and to an end defined by Divine Will. The right of this tenure is an independent act granted to individual at birth. It is neither vicarious nor hereditary, and therefore does not entitle any individual to preempt or claim the right of others to the tenure. At death, every individual returns the trust to Allah; the Sovereign Benefactor, when the balance of judgement is instated by Him, the Equitable Judge.

All creation is at the disposal of human discretion and autonomous self determination, as the only arbiter instrument of intervention; accordingly, mankind bears the ministry of responsibility. Cheating, coercion, monopoly, hoarding, exploitation, egotism, unchastity, are all deeds unworthy of the vicegerent of Allah on earth. Extravagance, wasteful ostentatious consumption are incompatible with Islamic culture. Islamic doctrines demand that mankind should search, understand the orderly patterns, designs and purpose of nature; those which constitute the mechanisms of sciences, and also those which provide the enchanting refined sublime beauty of creation. The fact that nature is the actualization of Divine plan, design and will, characterizes it with a halo of dignity and respect. Human behavior and conduct with nature should be a way of life, a modus vivendi of intelligent loving emotions and delicate sentiments of conservation, which should attune to Divine design and purpose.

Excerpts from the writings of
The Late Ismail Raji Al-Faruqi
Professor of Islamic Studies
Temple University, U.S.A.

therefore, perceived through "Tawhid" is readily attainable and suitable for scientific observation and analysis. For the Muslim scientist, the advances in scientific knowledge are milestone along the path of rationalistic syllogism which begins with "La illaha illa Allah", the statement of Tawhid.

The orderly patterns of nature are not merely the material order of causes and effects, the orders of space and time and other phenomenal manifestations that are evident to human understanding. Nature is also an infinite realm of ends where everything fulfills a purpose and therefore contributes to the integral equilibrium balance of all. From the inanimate small pebble in the valley, the tiny plankton in the ocean waters, the virus and micro-organisms in the intestine of a house fly, to the pontifical structure of igneous mountains, the giant timber forests, the elephants, whales, the oceans, the clouds, the galaxies, and the infinite universe, everything in existence, by its genesis and growth, its life and death, fulfills a defined purpose assigned to it by the Creator; a purpose which is necessary for all others. All creations are interdependent and the whole creation continues in perfect harmony existing between its constituent parts. Mankind has been aware of this intricate interdependent balance of nature through his cognitive thought, finding himself part of it as any other creature. Each element of creation, its genesis and its death is a nexus in the infinite complex interdependence of actions and reactions of the elements of nature. Our knowledge of the intricate sciences of nature, although very meager as compared to reality, yet they are enough for the conceptive human mind to visualize nature as a wholesome system.

The teleology of creation presents a sublime superb spectacle the size and comprehensiveness of the macrocosm, the delicate minuteness of the microcosm, the intricate complexity of the mechanisms of balance are indeed overwhelmingly fascinating. The human mind is literally humbled by the work of the Creator, as perceived by those who have the mind to know; in loving admiration, value appreciation, and recognition of Truth. Nature as designed for an ultimate purpose of Divine Will, is indeed absorbingly enchanting and resplendent, precisely on account of its teleologic. Design and purpose in perfection are manifestly reflected to those with eyes to vision the glorious efficacy and supreme architecture of the

Divine initiative in nature, the immutable laws with which the Creator has endowed nature. The whole universe is in reality the unfolding and perpetual manifestation of Transcendent Will, rather than to occult forces of theurgy. The rational sequence of this understanding, is that all the causal forces operative in any event, are optimally organized to constitute a continuous matrix whose substrate elements are causally, and hence empirically, related to each other. Divine power operates the elements of nature through precise patterns makes them accessible to investigation and discovery. This formulate the foundation of scientific observation, and therefore knowledge. Scientific research into the realms of nature, is no more than the exploration of the patterns constituting the causal linkages of the substrate elements of the causal processes of nature.

Secular scientists of the West refuted belief in the Creator, and separated Divinity from nature, out of their antagonistic hatred for the Christian Church and the false magisterial it had imposed for itself on all knowledge including nature. Scientific knowledge, however, prospered, and the scientists succeeded in removing the Church magisterial from the science of nature; which was the initiation of secularization phenomena that became popular in western societies. Twentieth century philosophers of science exposed the existence of true relation between cause and effect, to conform precisely with the patterns of nature. In consequence, scientists grew more humble, and several of them returned to the arena of religion, and to belief in the Creator. The orderly patterns of nature exploded Einstein's relatively, and-Heisenberg uncertainty principle.

For Mulsim, Allah is the cause of all the orderly patterns, the cosmos is precisely maintained, not an entropy of chaos, these orderly patterns are discovered by observation and experiment. The faculties of intellect and rational thought have been given to mankind through Divine Power. Mankind is expected to fulfill Divine purpose by utilizing these faculties to unfold the patterns of Allah in nature. By this conceptualization, Islam is not a hindrance to science; Islam in reality especially its fundamental precept of "Tawhid" is the condition of science. The Muslim has the absolute conviction that Allah is the ultimate cause, the only Agent, and by His will and benevolent action, everything in creation comes into existence. Nature,

TAWHID, THE PRINCIPLE OF METAPHYSICS

By: Ismail Raji Al - Faruqi

Contrary to the other philosophic doctrines of Christian, Jewish or Hindu schools of thought regarding the creation of nature; the Islamic epistemology considers the creation of nature as a perfect orderly design to fulfill a final purpose, at the disposal of mankind to cultivate nature's resources. The integrate wholesomeness of orderliness, purposiveness, and the human effort to cultivate, characterizes and defines the dimensions of the Islamic uniform teleologic concept of nature. Mankind was created to be the vicegerent of the Creator on earth, with incumbent ordinances to gain knowledge and enlightenment to exploit and utilize nature's multitudes of resources, and to unfold the secrets and wonders of creation.

The belief in the fundamental dictum of Tawhid that there is no god but Allah (La illaha illa Allah), is to hold the justificative premise that Allah (God) is the Transcendent Creator who gave everything its design, its purpose, and its being. He is the ultimate Cause of every event, and the final End of all that is. He is the First, and He is the Last; He has the precedence over all else, and he is the ultimate end to Whom all else shall return for final disposal of their destiny. The acceptance of this premise in freedom and conviction, and with conscious understanding of its content; means to accept and realize that everything that surrounds us, whether things or events, all that takes place in the natural, social and physical fields, is through Divine action, and the discharge of Divine causal efficacious ontic power, and the fulfillment of one or other of His purposes. This concept means that the Transcendent Creator is the ultimate Agent Who predestines events to His Will, through other causes or agents. Humans are not creators, they can neither give nor take away, though they act as agents of such giving or taking away. Such understanding becomes an inseparable realization to mankind, living under its shadow. When mankind recognizes Divine action in every event, he will follow the

described, in a manner of supplication, worshipful entreating prayer. The beseech for guidance defines the path of Divine grace; and rejects the path of indignation and apathetic desultory.

These are gleams of understanding from the opening Surat of the Holy Quran, rightly called the essence of the Book. It gives mankind the tuition and the knowledge of Divine attributes, of the nature of the intimate relationship of man and Divine Deity. The spiritual aspirations of the intelligent mind under Divine sovereignty. The human request for guidance, the yearning for Divine grace, providence, and support.

rational that obedience in worship is subjected to the Supreme Bounteous Sustainer, whose support and help, all humanity needs. Human requirements to sustain life are infinite, the foremost is knowledge and enlightenment. The proclamation of this statement provides the human mind with distinct clarity of emancipation and confident freedom; becoming cognizant of the belief that obedience in worship and request for all support, are directed to the One Supreme Divine Being - Sovereign of the Day of Judgement, the Merciful and Compassionate.

"Guide us to the Straight Path". This request for guidance is sequential to the acknowledgement and affirmation of the axioms and precepts that conform with fact and veracity of the absolute truth - that Allah is the exclusive sustainer, supporter, maintains of the whole integrated universal existence. Only to Whom workshop devotion, veneration, praise, prayer and supplication, are offered with genuine resolute self ascertained conviction. This request is a supplication, are offered with genuine resolute self ascertained conviction. This request is a supplication for the entreating appeal for Divine Guidance to the straight path of felicity, contentment and gratification. Human enlightenment and knowledge received from the transcendent light of Divine Omniscience will guide the intelligent ration mind to comprehend, and use this knowledge as a faculty to gain recognition of the Divine Deity. This cognizance of guidance is the fundamental organizer of the kinetics of human existence within the infinite patterns of universal creation, directed to the Transcendent Guidance.

"The path of those on whom Thou have bestowed Thy grace; those on whom Thy indignation has not befallen, and those who have not strayed". This verse is a continuation for the request, for guidance, and a definition of the path. The purport is expressive of the guidance requested, in reference to Divine grace and providence specified as the true elements of guidance. Divine grace, and the infinite Divine attributes and providence are the ultimate dimensions mankind - can request for guidance from the ubiquitous, eternal supreme sovereignty of the Creator, the Merciful, the Compassionate. True guidance is the path to prosperity, enlightenment, knowledge and emancipation. The exact specifications and qualifications of the guided path are precisely

inner emotion within the heart, mind and soul, confessing to the doctrine that the Creator is the exclusive sustainer of the universe. The genesis and evolution of these patterns of understanding will ultimately materialize into a status of harmony and resonance with Divine Will and Omniscience of Creation. The identification and cognizance of such cardinal thought patterns will autonomously determine human conscience, intentions, conduct and actions. They also process human liberation, emancipation, and enlightenment from confusion, mental vacancy, inner distortion and self renunciation.

"The Merciful, The Compassionate". These appellations of the Creator, are repeated again in the Sura to indicate and ascertain significance, emphasis, imperativeness, and supremacy of meaning as essential of belief. The identification of the import of "Mercy and Compassion" is significant in the repetition before and after "Praise be to Allah". Within the infinite dimensions of Divine Mercy and Compassion, is the unique creation of mankind, endowed with intelligent thought, given the faculty of discrimination and recognition.

"Sovereign of the Day of Judgement". This specifies the profound reality of the Day of Judgement, which is a central core of credence. This reality is authoritative that enables mankind the freedom from the chains of mundane materialistic life. Life on earth is finite, and life of the hereafter is eternal. Divine rewards is delivered in both lifes. The true inner ascertain of the "Day of Judgement" lifes. The true inner ascertain of the Day of Judgement" and the remembrance of carnal death, frees mankind from the slavery of the selfs, the ego, and the demands of lust and greed. The confession that Divine Power shall preside as the Sovereign Judge on the day of judgement, entails the absolute certainty of the most precise perfection of ideal judgement; clothed with the Divine attributes of mercy and compassion.

"Thee alone we worship. And Thee Alone we seek help". This verse indicates the concrete precision of the exact relationship of mankind with the Supreme Divine Being. It is a manifestation of an absolute undirectional affiliation that establishes the two fundamental needs of humanity; the need for worship and the need for support. Both requirements are in reality intimately associated. It is

indicative display of belief, beseech for support and guidance to the light of Divine grace that enlightens the minds and hearts of the righteous.

"In the name of Allah, the Merciful, the Compassionate". The commencement with the untranslatable name [Allah] as the supreme unique distinguished designation of the Divine Transcendent Being, is specific for the Arabic language of the Holy Quran. It is the synonym of God or Deity; however, it is the name which carries the infinite attributes of Divine power and omniscience. This conforms with the Islamic concept that Allah has been given in the text of the Holy Quran ninety nine different appellations and designations which indicate the perpetual infinity of Divine providence. This commencement brings the individual into union with the Divine grace, and will. The appellations "Merciful" and "Compassionate" in this syntax of the verse, provide identity and exactness to the Divine quality. The meanings embrace all the connotations, implications, indications, and dimensions of mercy, compassion, consummation, clemency, remittance, bounty, exonerence, and beneficence. They also offer with definite certainty the qualities of forbearance, benignancy and sanctification. Such providences in their infinite dimensions, are only associated with the Supreme Divine Transcendent Being - Allah, the unique name, of Absolute qualities.

"Praise be to Allah, Sustainer of the whole universe". This provides the connotation of the fluency of inner emotion in the heart in devotion exaltation, reverence and worship; confessing to the certainty that Allah is the exclusive sustainer, maintainer and supporter of the whole universal existence. This pinnacle of certainty is the essence of belief. All elements of creation without exception repeat the "Praise be to Allah", in their own specific unique manner. The Unity of universal sustenance designates the orderly organization of belief, and the concise relationship between the creation and the Creator. From hence, the development of intelligent credence defines the incumbent gratitude of praise, laudation and glorification to the Divine subsistence and vigilance over the entire universal creation. The repetition of this phrase at times of prosperity and adversity institutes in the psychic inner faculties of the self, a milieu of peace, confident acceptance and credulous gratification. This becomes an article of belief; fluency of

Glimpses From The Qur'anic Milieu

The Preamble

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The substance of the Holy Quran is infinite in meaning, scope, and dimensions; no man can embrace knowledge of the whole. The massive encyclopaedic literature of the Qur'anic sciences from early Islamic times to the present, although superbly rich and useful, are, however, insufficient and unable to master the infinite dominion of Qur'anic knowledge. Research into deeper meanings and latent implications of the Qur'anic words and connotations will continue to reveal the inherent glory, eminence, magnificence, and copious fecundity of the sanctified Book of sacred quality. The prelude of the Holy Book is Surat Al-Fatiha which is rightly placed as a preamble overture for the Qur'anic text, assembles in comprehensive taciturn words, the exact relation of mankind to the Supreme Divine Being. The meanings of the Arabic text of Surat Al-Fatiha (1, verses 1 - 7), to the best present knowledge of understanding will read **"In the name of Allah, the Merciful, the Compassionate. Praise be to Allah, Sustainer of the whole universe. The Merciful, the Compassionate. Sovereign on the day of Judgement. Thee alone we worship, and Thee alone we seek help. Guide us to the straight path. The path of those on whom Thou have bestowed Thy grace; those on whom Thy indignation has not befallen, and those who have not strayed".**

This prefatory chapter (Surat) is made of seven verses of simple classified expressions. This Surat is repeated seventeen times during the performance of the five daily "Salat" ritual prayers. The infinite dimensions of the meanings of the verses eventually works into the consciousness as they are repeated. These meanings portray all the faculties and conceptualizations of Muslim Theism. Prayer is the heart of credence, and the manifestation of submission and conviction. These prayers in the words and actions of prostration performed are the summit of credence. In praise, and in devotion to the Creator, prayers are offered as an

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part II

Safar, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.Glimpses From The Qur'anic Milieu.

The Preamble

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid, The Principle of Metaphysics.

By : Ismail Raji Al-Faruqi.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر ـ بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩٠
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ربيع الأول ١٤١٣ هـ
سبتمبر ١٩٩٢ م
الجزء الثالث
السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

أرض السهول البيضاء

ولنبدأ فى قصة الإسلام والمسلمين على أيدى الشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى من جذورها الأولى منذ « بداية التخدير » لإجراء « عملية بتر » شاء الله ألا تكون ، فما أراد الله ـ تعالى ـ للإسلام فى هذه الديار أن يُطفأ ، بَلْ أراد أن يتم نوره .

إننا يمكن ـ ونحن موقنون بصحة حَدْسِنا ـ أن نستثنى شيئاً واحداً من روسيا القيصرية ، أحبه ـ بعمق ـ هؤلاء الشيوعيون ، وكرهوا ما عداه ، وليس ذلك الشىء إلا البغض العميق للإسلام والمسلمين .

فهذا البغض عَمِلَ له ـ بإخلاص ـ قياصرة روسيا ، وأسلموه إلى من هو أشد إخلاصاً منهم .. لينين وشركاه من بعده .

فضيلة الشيخ طلعت بن صفا تاج الدين مفتى سيبريا والقسم الأوربى

السيد أحمد سليمان
مفتى جمهورية داغستان

بدأت الثورة الشيوعية أمرها على جُرُف هار غير مستقرة القدم ولا شامخة الرأس ، وفى أوائل هذه الثورة ، وعلى التحديد « فى ١٥ ديسبمر ١٩١٧ م أذاع لينين منشوره الذى حمل معه توقيع ستالين يخاطب به شعوب روسيا ، وهاكم نصه الذى يهمنا ؛ ويخص المسلمين فيه ببعض النداء :

« أديانكم وعاداتكم ، ومعاهدكم العلمية والقومية مصونة عن كل اعتداء ، نظموا حياتكم القومية تنظيماً يستند إلى أسس الحرية والاستقلال ، وهذا من حقكم الشرعى .

اعتقدوا أن البلاشفة يدافعون عنكم ، وعن حقوق الشعوب التى تعيش فى روسيا كلها .

اعملوا على الانقلاب ، وحبذوا الثورة ، وساعدوا حكومة البلاشفة .

أيها الرفاق !!

إننا برفع علمنا هذا إنما نعلن للشعوب المستعبدة فى روسيا شعار الحرية والاستقلال .

أيها المسلمون ! نحن ننتظر منكم معاونتكم المادية والأدبية »[1].

وكان المنشور عملية التخدير التى أتت ثمارها فعلًا فقد استسلم لها شعوب روسيا إلا من عصم الله ــ تعالى ــ حتى لقد عملت بعض الجمهوريات الإسلامية على نيل استقلالها ، فقد سبق هذا المنشور منشور شيوعى هام بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩١٧م حوى الكثير عن الحقوق السياسية للشعوب الروسية ، وفى مقدمتها :

(ا) منح حق المساواة لجميع من يعيش فى روسيا .

(ب) تقرير الأقوام لمصائرهم بأنفسهم ... حتى الاعتراف بحقوق من يرغب فى إقامة دولة

(١) ، (٢) راجع للزعيم جعفر سيد أحمد قريمر ــ الثورة الروسية وانظر ليوسف ولى شاه أورالكيراى ــ كارثة القرم الإسلامية ص : ٦٠ ، ٦١ .

مستقلة بالانفصال عن روسيا البلشفية انفصالًا كاملًا كما جاء ذلك مؤكداً فى المادة السابعة عشرة من دستور الاتحاد السوفيتى[٢].

وما إن أتت عملية التخدير ثمارها ، وتمت ـ فى الأقوام ـ خديعتها حتى نقض لينين وعوده ، وأغار على «جمهورية القرم الإسلامية» الناشئة ثلاث مرات متتالية فى السنوات : ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠م. ونجح فى إخضاع الجمهورية فى هجومه الثالث على الرغم من إعلان تلك الجمهورية استقلالها ، وتشكيل حكومتها الرسمية ، واعتراف بعض الدول بها ، وتبادلها و «بولونيا» السفراء .

وكان ـ طبيعيا ـ ألا تتوقف الثورات داخل القرم فتوالت تقض مضاجع موسكو حتى عام (١٩٤٦) الذى شهد القضاءَ التام على مقاومة القرميين ، ثم نَفْىَ شعبهم بأسره إلى مجاهل سيبيريا .

وسجلت هذه المآسى فى البداية كل من صحيفتى (أزفستيا) و (برافدا) الشيوعيتين ، الأولى فى نسختها الصادرة فى ١٩٢٢/٧/١٥م والأخيرة فى نسختها الصادرة يوم ١٩٢٨/٩/٨م .

● ●

هذه المقدمة تعطينا ـ بين يدى موضوعنا هذا ـ حقائق عدة فمنها نعلم :

١ ـ أن القضاء على النشاط الدينى الإسلامى لم يتم فى بلاد الاتحاد السوفيتى مرة واحدة .

٢ ـ وأن المقاومة ظلت قائمة ، وبجوارها علماء جاهدوا فيها وعَلَّمُوا من أجيالهم ما استطاعوا بَثَّهُ من علوم الإسلام ، وصحيح أنهم استشهدوا ـ فى النهاية ـ أمام أدوات الدمار التى لم يتوفر للمسلمين مثلها مدداً ولا عدداً ، لكنهم تركوا روحاً تقاوم ، وتحفظ من دينها ما أمكنها حفظه ، وبذلك ظلت للإسلام جذوة ملتهبة تحت الرماد الكثيف الذى خَلَّفَتْهُ تلك الغارات المستأصلة للإسلام والمسلمين .

٣ ـ ومن الحق ـ الذى لا ينكره إلا مكابر ينوء بسياسة خاصة ـ أن (صوفية موجبة) ظلت تؤدى دورها فى «تثبيت العقيدة» و «إشعال العزيمة» بسرية حصيفة أبقت للإسلام كياناً لم يكن فى الإمكان بقاؤه فى هذا المجتمع إلا بمثل روافد الصوفية هذه ، فلم يكن فى الإمكان استحداث دراسة ، أو مدرسة ، أو مُدَرِّس ، والدولة ترصد كل صغيرة وكبيرة للمسلمين ، وتجند حتى الأطفال الأبرياء لفتنة ذويهم .

٤ ـ ولم ينس مسلمو هذه البقاع أبطال المقاومة من الرعيل الذى تصدى لهذه الفتن ، فأطلعونا على أخبارهم ، وأرونا صورهم ، كما أطلقوا هذه الأسماء العزيزة على بعض منشآتهم .

إسماعيل بوستان
إمام فى القوقاز

ثم كانت النتيجة ـ فى النهاية :

١ ـ إبادة تامة لأكثرية ساحقة من المؤمنين ، فى شتى هذه الديار ، ولقد انتقم الله ـ تعالى ـ لهم وهو عزيز ذو انتقام فى وقت كانت ـ فيه ـ روسيا الاتحادية فى أشد حاجة إلى الرجال ، وكم أود أن تتاح فرصة لهذا الحديث يوماً ما .

٢ ـ بقيت قلة قليلة جداً من علماء هذه البلاد ، رأينا منهم العلامة أحمد زكى الذى تجاوز سنه التسعين فى جلسة جمعنا به فيها فضيلة المفتى الشيخ طلعت مفتى سيبيريا والقسم الأوروبى لروسيا الاتحادية .

ثم أولئك القلة من الرجال والنساء الذين تقدم بهم السن ، ورأوا فى شبابهم تحطيم المآذن وإسقاط الأهلة عنها ، ثم دارت دورة الفلك فرأوا المآذن ترتفع وفوقها تتربع الأهلة .. رأوا المشهدين ، وبينهما ما شاء الله من سنين ولعلهم لم يروا دموعهم السخينة والهلال ينزل ببطء شديد ؛ ليأخذ مكانه فى القمة من المئذنة .

●●●

هذا الجيل الأخير ـ وحده ـ هو الذى عاش شبابه الأول على الإسلام دِيناً وتَدَيُّناً ، وهو هو الذى قهره البلاشفة ، وأبادوا منه ما استطاعوا ، فاضطر أن يعبد الله خفية ، ولم يستطع أن يلقن أبناءه تعليماً إسلامياً إلا فى القليل النادر جداً سواء فى (الأُسَـر) أو فى تعاليم (الدِّين) .. لقد كانت الأزمة عصيبة ؛ فلم تتيسر للأبناء معرفة ذات قيمة بدينهم ...

وانتهى الذهاب إلى المسجد ، واختفى الإمام .. ودَرَسَ الشريعة ..
ونشأت أجيال لا تعرف عن الدين شيئاً ، وإن رَوَتْ أن آباءها مسلمون .

وعج المجتمع بالفودكا ، ومدارس الرقص ، وانتشرت الفاحشة حتى ارتكبت داخل المساجد التى تحولت إلى مؤسسات مختلفة كالمسارح ومدارس الرقص ، وتعمد البلاشفة أن يقيموا المراحيض فى نفس مكان (القِبْلَة) من المسجد(١) ورأى الوفد الأزهرى ذلك بجمهورية (أوفا) .

وحلّت مناهج التعليم الشيوعية كتعليم أساسى لابد منه .. إلى يومنا هذا .. فليس متوقعاً أن يتغير كل شىء بين يوم وليلة .

حتى إذا كان « جورباتشوف » وانحل عقد « الاتحاد السوفيتى » إذا بالمجتمع كله داخل هذه الأراضى يواجه فراغاً دينياً رهيباً ، وإذا الفراغ بحر لجىّ يصطاد فيه حتى دعاة البوذية ووجد كل الدعاة ـ ما عدا المسلمون ـ إمكانات مادية باهظة مذهلة لا يجد المسلمون فتات فتاتها .

فإذا علمت أن الأغلبية الساحقة فى هذه البلاد مسلمون .

وعلمت ـ بجانب ذلك ـ حقيقة واضحة ـ تبين لك أن الطفل المسلم من مواليد (١٩٢٥م) فما تلاها لا يعرف شيئاً عن دينه إلا فى نادر النادر أدركت كم يحتاج هذا المجتمع إلى إمكانات وإلى دعاة .

والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة ـ إزاء هذا الوضع ـ هو :

هل هذا الفراغ مصحوب برغبة فى تحصيل الدين ثم ممارسته تَدَيُّناً ، أم هو الفراغ الذى ارتاحت الأجيال إلى لهوه وخمره وجنسه ؟

نقول :

إن المجتمع الروسى ـ أو مجتمع الاتحاد السوفيتى ـ مجتمع معذب إجمالًا ، ولايزال تلاحقه آثار الاضطهاد ، وقد ترتاح ـ جداً ـ إلى مجتمع البلاشفة الفئة التى لاتزال تعيش وقد أغرقها ذَهَبُه وخمره ونساؤه .. فأما الشعب .. فلا .

إن ثمة جماهير تطلب المعرفة الدينية ، وتكتب إلى أصحاب الفضيلة مفتى البلاد تطلب معرفة العقيدة الإسلامية ، وصلواتها وأوامرها ونواهيها .. حتى من الشباب الروس نفسه .

ولم نضع أقدامنا فى قرية أو مدينة زرناها إلا وجدنا رغبة صادقة فى التماس الدين والعمل لله ، ووجدنا هؤلاء الذين لا يملكون يقتطعون من أقواتهم ليبنوا المسجد والمدرسة الإسلامية بجواره .

ووجدنا هذا المجتمع يقيم (إماماً) فيمن يتوسم فيه معرفته بالدين .

ثم وجدناهم فى فزع أكبر :

(١) يلاحظ أن الوضع يتكرر الآن : أشد شهوة وانتقاما من مسلمى البوسنة والهرسك ، والمسلمون قادرون على فعل أكثر من شىء ، وهم لا يفعلون .. ينتظرون أن يقوم الغرب بتجنيد جيش لمدافعة الصرب .. يا له من تفكير !!!

فى الميدان الأحمر بقلب موسكو وقد خلا الحوض من جثة لينين المحنطة

فقد أحاط بهم الدعاة لكل ملة .

واستأثر هؤلاء الدعاة بأوقات طويلة ومتتالية من ساعات إرسال التلفزيون .

وليس لدى المسلمين دعاة يمكن أن يتوفروا فى كل صقع على الدعوة من طريق التليفزيون ، إذ يكلف الإرسال فى الدقيقة الواحدة (٢٠٠٠) ألفى روبل إذا فرضنا انها توفرت بأيدى المسلمين ، وجدوا بناء المسجد والمدرسة أشد حاجة إليه من الإرسال التليفزيونى .

ففى الوقت الذى يلتمس فيه المسلمون بناء المسجد والمدرسة من قوتهم ، تتوالى المعونات الخارجية من العالم الغربى لنصارى هذا المجتمع بكثافة مذهلة .

لقد كانت الدفعة الأولى ، أو الثانية من ألمانيا لهؤلاء القوم من دينهم (٤٠٠٠٠٠٠٠٠) أربعمائة مليون روبل ، فبناء المعبد أو الكنيسة لا يرهق النصارى بشىء كبناء المدرسة والمسجد للمسلمين .

وهنا محل الفزع ، فقد قلنا :

إن ثَمَّةَ فراغاً دينياً ، وإن هذا الفراغ يُشْغَل السؤال عنه الجانب الآخر بالأموال الطائلة والدعوة الدينية التى لن تخلو من بث التشكيك فى الإسلام ، بينما فى الجانب الآخر من المجتمع مسلمون كثير لا يعرفون عن دينهم شيئا .. ، فالمسلمون فى حاجة أولية إلى المال .. وإلى الدعوة الواعية المثقفة المدركة إدراكاً علمياً فقهياً بالإسلام .. وإذا لم يتم ذلك بأسرع وقت تعرض الإسلام والمسلمون لغزو عقائدى مدمر ..

ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد ...

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

محمد صلى الله عليه وسلم

الرسول القدوة

بقلم فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر

فى ذكرى مولد رسول الله محمد ﷺ

نستذكر قول الله فى شأنه فى القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝ ﴾ **[الأحزاب]** .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ **[التوبه]** .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ ﴾ **[النساء]** .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

[ال عمران] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾
[الأنبياء] .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾ **القلم** .

فى ذكرى مولد الرسول نذكر بكتاب الله الذى أنزل عليه والذى قال الله فى شأنه :
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ ﴾
[الإسراء] .

فى ذكرى مولد الرسول ينبغى أن نقتدى به فى خلقه ، وفى إيمانه وعبادته وفى حبه لله وللمؤمنين امتثالًا لقول ربنا : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب] .

ينبغى أن نقتدى برسول الله ــ ﷺ ــ فى سياسة الدين وسياسة الدنيا .

كيف واجه الصعاب ، وتغلب عليها ، وكيف صابر وثابر حتى بلغ سالته ، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد إلى أمة واحدة تنتسب إلى الإسلام ، وتؤمن به ، وتقيم أوامره ، وتجتنب ما نهى الله عنه ، فأقام دولة وأحيا أمة فى زمن قصير ــ ثلاثة وعشرين عاماً ــ لم ييأس ولم يبتئس بما ووجهت به دعوته من نفور قومه بل وايذاءهم وحربهم إياه ، وإنما فكر وقدر لكل أمر عدته وعتاده ، كان حكيماً فى دعوته ، حليماً فى إرشاده وهدايته ، يعتمد على الإقناع فى الردع عن المعاصى ، وكان الزجر عنها الوسيلة الأخيرة عند الإصرار عليها . جاءه أحد شباب المسلمين يستأذنه فى الزنا فماذا أجابه ؟

هل سبه وشتمه ، أو صفعه وقذفه لا . لم يكن هذا خلقه ولا طريقه وإنما كانت خطته تلك التى وضعها الله فى قوله :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

[النحل] .

لقد دعا الشاب إلى الجلوس بجواره ؛ ليحميه من ثورة من حوله ، ممن استمعوا إلى قوله . ثم حاوره : أترضى الزنا لأمك ؟ فقال الشاب : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم . أترضاه لأختك ؟ فقال : لا . فقال الرسول : وكذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم . ومازال الرسول يعرض عليه قرابته من النساء ويقول له أترضى لهن الزنا ؟ وهو يقول : لا . حتى أقنعه بأن ما طلبه إثم كبير فى حق المجتمع وكما لا يرضاه لنساء أسرته فإن أحدا من الناس لا يرضاه كذلك لنسائه . وانصرف الشاب تائباً عما

نوى راغباً فى العفة مؤمناً بأن عِرْض الناس عرضه .

فى ذكرى مولد الرسول - ﷺ - نذكر كيف عالج وواجه عسر المال ، وضيق الحال وارتفاع الأسعار ، هل كانت المواجهة بمزيد من السرف والإسراف والإنفـــاق والإتـــلاف والاستدانة ؟ لا ، إنه - ﷺ - واجه العسر بتـــدبير موارده ، وبالوقـــوف عنـــد المقدور عليه ، دون المزيد مما فى أيدى الناس : فقال : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » . متبعا ما أوصى به القرآن :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء]

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء] .

نذكر فى ميلاد الرسول - ﷺ - كيف كان حريصاً على العلم والتعليم ، حيث جعله تبعة ومسئولية ، ولم يجعل العلم من الكماليات ، فأوجب على العالم أن ينشر علمه وأن ييسره لغيره فقال - ﷺ - : « ويل للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه » فلولا أن السعى بالعلم إلى مستحقيه من الواجبات ما كان الويل للعالم أن ترك التعليم ، فالمؤاخذة إنما تكون على ترك الواجب لا على إهمال التطوع .

ومن هنا كانت تبعة تربية الأولاد فى كل جوانب الحياة تقع أولا على الآباء ذلك قول الرسول - ﷺ - :

« حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيباً »(١) . وقوله : « ألزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »(٢) .

فبذل الجهد للتربية قصداً إلى إشباع الجوانب النفسية لدى الأولاد ونمائها حتى يشبوا على المودة وحسن المعاشرة ، والقدوة الحسنة فى التعامل أمر محمود بل مفروض ، وأولى من الإنصراف عن هذه المهمة إلى جمع المال والممتلكات وتكديسها تركة زائلة إذا لم يحسن الأولاد استثمارها والانتفاع بها .

ذلك توجيه رسول الله - ﷺ - فى قوله : « ما نحل (أعطى) والد ولداً أفضل من أدب حسن »(٣).

وهذا هو الرسول - ﷺ - يعلم ابن زوجته أم سلمة .

وقد كان فى حجره وربيباً له حين جلس يؤاكله « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك »(٤) .

هكذا كان معلماً للسلوك والآداب فى كل شىء ..

وليست تبعة تربية الأولاد مقصورة على الآباء ، فقد أوضح الرسول - ﷺ - هذه التبعة ، بل التبعات بوجه عام فى قوله - ﷺ - : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته »(٥) .

لابد أن نعى هذه التبعات وأن نحملها عمليا ،

---

(١) رواه البيهقى عن أبى رافع .
(٢) رواه ابن ماجة عن ابن عباس .
(٣) رواه الترمذى والحاكم .
(٤) البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأحمد .
(٥) رواه البخارى عن ابن عمر . والطبرانى عن أنس بن مالك وغيرهما .

وإلا فالنذر التى أطلت علينا خطيرة ، تهدد مجتمعنا بالتحلل والانحلال وموات الروابط الأسرية التى عنى الإسلام بتوثيقها وحث على الاستمساك بها .

لابد أن يحمل كلٌّ التبعة فى موقعه ، الآباء ، والأمهات ، والمدرسة ، والأطباء ، ورجال الدعوة والمهندسون ، كل الناس .

إن تقويم الفرد المسلم وتأكيد انتمائه للإسلام إيماناً وعملاً ، وترسيخ القدوة برسول الله - ﷺ - أمر حتم حتى تستقيم للأمة الحياة ، ويتأتى هذا بالاهتمام بالتربية الدينية وتقويم السلوك والممارسة ، واعتبار ذلك واجباً فى : الأسرة ، وفى المدرسة ، وفى الشارع ، ولا ننسى الحرص على إعداد المعلم على السلوك والقدوة الحسنة مؤمناً بواجباته ، حريصاً على أدائها .

فى ذكرى مولد الرسول : نذكر أن من آداب الإسلام الحرص على ألا تشيع الفاحشة ، كل الفواحش : فاحشة القول ، فاحشة الفعل ، فاحشة النقل ، كل ما كان به التأثر وفيه التأثير على المجتمع كل ما كان مؤذياً للشعور أو مدارسة للجريمة أليس هذا هو مقتضى قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

أليس هذا وعيداً لأولئك الذين يشيعون وينشرون ما يقع من جرائم خلقية وغيرها بإذاعة تفاصيلها ونشرها على الملأ وما دروا أنهم يفتتحون بذلك مدارس للجريمة وطرق ارتكابها .

فى ذكرى مولد الرسول - ﷺ - أنصح وسائل الإعلام وعلى الأخص الصحف والمجلات التى يتداولها ويتناولها كل الناس من له حصانة وحماية ذاتية ومن ينساق وراء ما يقرأ ، أن يكفوا عن نشر الحوادث والجرائم الخلقية والجنائية بتفصيلاتها وإجراءات ارتكابها ووسائلها وأن يستبدلوا بها موضوعات إرشادية للأفراد والمجتمع ؛ تنقذ الجميع من التردى فى المهالك والإضرار بأنفسهم ومجتمعاتهم فوق عصيانهم لربهم وجحودهم نعمه التى لا تعد ولا تحصى .

إنها نصيحة يفرضها قول صاحب الذكرى - ﷺ - : «الدين النصيحة : قلنا لمن يا رسول الله : قال : - ﷺ - ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[٦]».

نعم : إن من يقرأ الصحف والمجلات فى هذه الأيام الأخيرة ، وتتبعها لتفصيلات بعض الحوادث ومتابعتها لها قد يستقر فى نفسه أن المجتمع المصرى قد انفكت أواصره وانعدم فيه الوفاء والإخلاص ، وماتت فى أفراده وأسره تعاليم الإسلام وانفلت من كل الآداب والقيم ، وذلك أمر يشيع اليأس فى نفوس المصلحين والمربين ، ويشجع على التسيب والانفلات من القيم .

أكرر النصح لوسائل الإعلام أن تُعْنى بنشر وإذاعة أخبار المصلحين والمجدين ، والناجحين فى أعمالهم من طلاب وتجار وعلماء فى كل فروع العلم والعمل لتكون القدوة فيهم حسنة ونافعة للناس جميعاً فى الدين واالدنيا ، وحفزا لغيرهم على الالتزام بالفضائل .

إن حصائد الأقلام كحصائد الألسنة مؤاخذ عليها من الله ومن الناس ولابد من وقفة مع النفس نصحح بها مسار حياتنا بكل شجاعة وأقدام ،

(٦) رواه البخارى ومسلم عن تميم الدارى .

وألا نسىء إلى الحرية بالفهم الخاطىء ، أو نظن انها الإثارة ، وإنكار الإحسان وطمس القدوة الحسنة فى المجتمع .

إن صاحب الذكرى ـ ﷺ ـ قال : « .. وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش والمتفحش »(٧).

ثم لنسمع قول الله : ﴿ **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول** ﴾ ذلك لأن إظهار الفاحش من القول أو الفعل فاحشة أخرى ومن أجل هذا قال صاحب الذكرى ـ ﷺ ـ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عليه »(٨) ..

ويبين الرسول ـ ﷺ ـ ضرر إظهار الخطيئة والإعلان عنها فى قوله : « الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا بصاحبها وإن ظهرت ــ فلم تغير ــ ضرت العامة »(٩).

فى ذكرى مولد الرسول ـ ﷺ ـ ينبغى أن نأخذ أنفسنا بسنته فى أمور الدين والدنيا ، فيقتدى به الحاكم فى مسئولياته ، والعامل فى عمله أياً كان نوعه . فلقد كان يتفقد أحوال الناس ، ويعيش واقعهم ، ينصح المخطىء ، ويشجع المحسن ، ويدعو إلى العمل الدينى والدنيوى إخلاصا لله وقياماً للواجب ، وينزل إلى الأسواق ، فيرشد الناس إلى الأمانة وينهاهم عن الخداع والغش فى المعاملات .

ها هو : ـ ﷺ ـ يمر بالسوق فيجد كومة من الطعام فيضع يده فى داخلها فتخرج عليها بلل من ماء ، فيقول ما هذا يا صاحب الطعام ، فيرد التاجر : أصابه المطر يا رسول الله ، فيقول الرسول ناصحاً موجهاً : فهلا جعلت ذلك ظاهراً يراه الناس : من غشنا فليس منا(١٠).

وهاهو يسير بين نفر من أصحابه ، فيروا رجلًا له نشاطه وقوته وإقباله على عمله ، فأبدوا إعجابهم به وقالوا : لو كان جلد هذا وقوته فى سبيل الله فقال الرسول : « إن كان خرج يسعى لرزق ولده صغارا فهو فى سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » (١١).

ألا يدلنا هذا القول الكريم على أن العمل عبادة ، العمل الطيب المباح الذى يكسب به العامل رزقاً طيباً ينفع به نفسه ويرفع شأن أمته .

فى ذكرى ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ نذكر أنه كان يعلم الناس أن يسألوا عن المفيد في حياتهم ودينهم فهاهو رجل يسأله متى الساعة « يوم القيامة » فيقول له : ماذا أعددت لها(١٢) ؟ .

جواب يوجه إلى العمل وإلى إحسانه لينال مثوبة ربه ، ويصرف عن الاسترسال فى التساؤل عن أمر استأثر الله بعلمه ، فلا محل لاضاعة الوقت والجهد فى البحث عنه .

ولقد أثر عن الإمام مالك قوله :

طلب العلم حسن جميل ، ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى فالزمه .

---

(٧) أحمد ، والحميدى ، وابن عساكر ، وابن حبان ، والحاكم .
(٨) البخارى ، ومسلم وغيرهما .
(٩) الديلمى عن أبى هريرة .
(١٠) مسلم ، وأحمد ، والطبرانى ، وعن ابن عباس .
(١١) فى الصحيح .
(١٢) البخارى .

فى ذكرى رسول الله - ﷺ - نذكر إنه حذر من علم لا ينفع ومن كسب حرام ، فقد ثبت أنه استعاذ من علم لا ينفع ، وهانحن فى هذا العصر قد استبحنا الكثير من الحرمات بإطلاق أسماء واستعمال أساليب حتى وقعنا فى نطاق قول الرسول - ﷺ - :

لا تذهب الليالى والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها »(١٣). وقوله : « يأتى على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلا آكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره »(١٤) .

ها نحن قد استبحنا الخمر وغيرها مما حرم الله ، فجاءت المحن والأمراض بل وجاءت موجات من مسميات لسموم تسربت إلى بلاد المسلمين لتهلك النسل ، وتشيع الخلل والانحلال ، وتقعد عن العمل داعية إلى الكسل والتراخى ، وتبعث على الإجرام ونشر الجريمة ، وها نحن نكافحها بالندوات والخطب دون أن نأخذ أنفسنا باستئصال الأصل وتجريم أم الخبائث والمنكرات (الخمر) ونترك الحانات والبارات مفتحة الأبواب ليل نهار ، وهكذا نوقد النار ثم نحاول إخمادها ، فتلهبها الريح العاتية التى لا تبقى ولا تذر ، وقد قيل قديماً الوقاية خير من العلاج .

فى ذكرى مولد الرسول - ﷺ - ينبغى أن نستمع إلى قوله :

« لكل شىء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » وحين سأله أحد أصحابه : كيف يزداد عقلًا ، ويزداد من ربه قرباً قال : « اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائضه سبحانه تكن عاقلًا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل فى آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز »(١٥) .

فى ذكرى مولد رسول الله - ﷺ - يجب أن تأخذ أمة الإسلام فى نفسها بكتاب الله وسنة رسوله فقد قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بها كتاب الله وسنتى »(١٦) وألا تأخذ ببعض الكتاب ونعرض عن بعض فإن هذه الأمة لا تصلح إلا بما صلح بها أولها القرآن والسنة »(٤).

فاستمسكوا بالذى هو خير لتكونوا فى المكان والمكانة اللائقة بكم وبدينكم بين أمم الأرض ، ولا تكونوا عالة على غيركم فى علم وعمل ، وجدُّوا واجتهدوا ، واصبروا وصابروا وثابروا ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً لعلكم تفلحون » .

فى ذكرى مولد رسول الله - ﷺ - أهنىء الأمة الإسلامية وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء المسلمين وأذكر بأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وليكن رسول الله القدوة فى الحكم والحكمة وجمع الكلمة والمؤاخاة بين المؤمنين وأتلو قول الله :

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

---

(١٣) ابن ماجه عن أبى أمامة .

(١٤) ابو داود ، وابن ماجه ، وابن عدى فى الكامل .

(١٥) إتحاف السادة المتقين .

(١٦) رواه الإمام مالك وغيره .

الفتاوى

فى حكم ما يعطى من المحامين والمتقاضين للعاملين
بالمحاكم وغيرها من المصالح الحكومية تيسيرا لقضاء الأعمال

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعـــد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من السيد :

حسن عبد الحافظ عطا الله المحامى . قال فيه :

أنه يعمل بالمحاماة وأنه متدين وقد صادفه فى هذا العمل منذ البدء فيه وحتى الآن أمر لم يجد له حلا ، ذلك أن العرف جرى بين السادة المحامين والسادسة الموظفين على التعامل بالـــرشوة ويعطونها أى اسم ، وبالرغم من أن الموظف قد يقوم بالعمل القانونى المطلوب سليما دون خلل لكنه يطلب بلسان الحال أو المقال أتعابه أو الدمغة أو المواصلات .

وهكذا فهل فى التعامل على هذا الوجه إثم ؟ مع العلم بأنه إذا لم يدفع المحامى للموظف قد يواجه بإجراءات الروتين التى قد تضطره للتعامل مع أكثر من موظف ، ويزداد الأمر عسراً وتعقيداً.

وانتهى إلى طلب الإفادة عن حكم المال الذى يدفعه للموظف نظير تيسيره أعماله بوصفه محامياً يعمل لحساب الغير ، أو لمصلحة ذاتية وهل يدخل ما يدفعه من مال هذا الوجه تحت التأثيم .

والجـــواب

١ ـ الرشـــوة لغـــة :

جاء فى لسان العرب وفى المعجم الوسيط : أن الرشوة الجُعْل ، ومايعطى لقضاء مصلحة ، وجمعها رُشا ورِشا .

وفى المصباح المنير : الرشوة ـ بالكسر : مايعطيه الشخص للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله على مايريده .

ويقـــال : راشاه ، حابـــاه ، وصانعـــه ، وظاهره .

وارتشى أخذ الرشوة ، وارتشى منه رشوة أى أخذها .

وترشاه : لاينه ، كما يُصانع الحاكم بالرشوة .

واسترشى : طلب رشوة .

والراشى : من يعطى الذى يعينه على الباطل .

والمرتشى : الآخذ .

والرائش : الوسيط الذى يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص من ذاك .

وقد تسمى الرشوة : البرطيل ، وجمعه براطيل .

قال المرتضى الزبيدى : واختلفوا فى البرطيل بمعنى الرشوة ، هل هو عربى أو لا ؟

وفى المثل البراطيل تنصر الأباطيل(١) .

---

(١) (أ) التعريفات ط دار الكتاب العربى ، والرهونى على الزرقانى جـ ٧ ص ٢٩٤ ط بولاق ، والباجورى على ابن القاسم جـ ٢ ص ٣٤٣ ط مصطفى البابى .

وقد جاء فى القاموس المحيط فى باب اللام فصل الباء (البرطل) ـ كقنفذ وأردن : قلنسوة ، أو البرطلة : المظلة الضيقة .

(ب) والبرطيل : بالكسر ـ حجر أو حديد طويل صُلب خلقه ، ينقر به الرحى والمعول والرشوة وجمعه براطيل .

وبرطل جعل بازاء حوضه برطيلا وفلانا رشاه ، فتبرطل فارتشى . .

وفى كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدى الحنفى فى هذا الموضع : تعليقا على قول القاموس (... والبرطلة المظلة الضيقة) عن الليث ووقع فى التكملة والتهذيب (الصيفية) وهو الصواب.

وقال ابن دريد : فأما البرطلة فكلام نبطى ليس من كلام العرب .

ثم قال :.واختلفوا فى (البرطيل) بمعنى الرشوة ، فظاهر سياق المصنف أنه عربى .

فعلى هذا : فتح بائه من لغة العامة لفقد فعليل .

وقال أبو العلاء المعرى : إنه غير معروف فى كلام العرب ، وكأنه أخذ من البرطيل بمعنى الحجر المستطيل ، كأن الرشوة حجر رمى به .

قال المناوى : أخذ من البرطيل بمعنى المعول لأنه يخرج به ما استتر فكذلك الرشوة .

وقد ذكره الشهاب فى شفاء العليل وأشار إليه فى العناية (جمعه (براطيل) يقال ألقمه البرطيل أى الرشوة ؛ والبراطيل تنصر الأباطيل . وفى المعجم الكبير فى حرف الباء :

برطل الحوض جعل بازائه برطيلا ، وفلانا رشاه وتبرطل الرجل : ارتشى وقيل : (معرب برتله فى الفارسية) الرشوة يقال : ألقمه البرطيل .

والرشوة فى الاصطلاح : ما يعطى لإبطال حق ، أو لاحقاق باطل[٢] .

وهـذا التعريـف الاصطلاحـــى أخص من التعريف اللغوى ، حيث قيد بما أعطى لإحقاق الباطل ، أو إبطال الحق .

ألفاظ ذات صلة بهذا المعنى :

٢ ـ المصانعة :

أن تصنع لغيرك شيئا ليصنع لك آخر مقابله ، وكناية عن الرشوة وفى المثل : من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة[٣] .

٣ ـ السُّحت (بضم السين) :

أصله من السَّحت ـ بفتح السين ـ وهـو الاهلاك والاستئصال ، والسُّحت : الحرام الذى لايحل كسبه ، لأنه يَسْحت البركة أى يُذهبها . وسميت الرشوة سحتًا[٤] ، وقد سار بعض الفقهاء على ذلك[٥] .

لكن السحت أعم من الرشوة ، لأن السحت كل حرام لايحل كسبه .

٤ ـ الهديــة :

ما أتحفت به غيرك ، أو ما بعثت به للرجل على سبيل الإكرام ، والجمع هدايا وهداوى ـ وهى لغة أهل المدينة .

يقال أهديت له وإليه ، وفى التنزيل ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾[٦] .

قال الراغب : والهدية مختصة باللطف ، الذى يهدى بعضنا إلى بعض .

والمهدى : الطبق الذى يهدى عليه .

والمهداء : من يُكْثِر اهداء الهدية[٧] .

وفى كشاف القناع : الرشوة هى ما يعطى بعد الطلب والهدية قبله[٨] .

٥ ـ الهبــة :

فى اللغة العطية بلا عوض[٩] .

قال ابن الأثير : العطية الخالية عن الأعواض والأغراض ، فإذا كثرت سمى صاحبها وهابا[١٠] .

واتَّهبت الهبة : قبلتها ، واستوهبتُها : سألتها ، وتواهبوا : وهب بعضهم البعض[١١] .

واصطلاحا : إذا أطلقت هى التبرع بماله حال الحياة بلا عوض ، وقد تكون بعوض فتسمى هبة الثواب[١٢] .

والصلة بين الرشوة والهبة ، أن فى كل منهما ايصالا للنفع إلى الغير وان كان عدم العوض ظاهرا فى الهبة ، إلا أنه فى الرشوة ينتظر النفع ، وهو عوض .

---

(٢) تاج العروس ، والمعجم الوسيط ، وحاشية الطحطاوى على الدر جـ٣ ص١٧٧ .
(٣) لسان العرب ، والمصباح ، والمعجم الوسيط .
(٤) النهاية جـ٢ ص٣٤٥ ، والمفردات ص٢٢٥ ، والمصباح .
(٥) المقنع جـ٣ ص٦١١ ط السلفية .
(٦) من الآية رقم ٣٥ من سورة النمل .
(٧) لسان العرب ، والمصباح ، والمعجم الوسيط ، والمفردات ص ٥٤١ .
(٨) كشاف القناع جـ ٢ ص ٢٧٨ .
(٩) المصباح المعرب ط دار الكتاب العربى .
(١٠) النهاية جـ ٥ ص ٢٣١ .
(١١) المراجع السابقة .
(١٢) نيل المآرب جـ ٢ ص ٩ ، وابن عابديـن جـ ٤ ص ٥٠٨ ، والمغنى جـ ٥ ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ص ٣٧٣ .

٦ ـ الصـــدقة :

ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة ، لكن الصدقة فى الأصل تقال للمُتَطوَّع به ، والزكاة للواجب ، وقد يُسمى الواجب صدقة ، إذا تحرى صاحبها الصدق فى فعله[١٣] .

قال ابن قدامة : الهبة والصدقة والهدية والعطية معانيها متقاربة ، وكلها تمليك فى الحياة بغير عوض ، واسم العطية شامل لجميعهـــا[١٤] .

والفرق بين الرشوة والصدقة : أن الصدقة تُدْفع طلبا لوجه الله تعالى ، فى حين أن الرشوة تدفع لنيل غرض دنيوى عاجل .

٧ ـ أحكام الرشـوة :

الرشوة فى الحكم ، ورشوة المسئول عن عمل حرام بلا خلاف ، وهى من الكبائر قال الله تعـــالى:﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾[١٥]

قال الحسن وسعيد بن جبير : هو الرشوة .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١٦] .

وروى عبد الله بن عَمْرو قال : (لعن رسول الله ـ ﷺ ـ الراشى والمرتشى) وفى رواية زيادة (والرائش)[١٧] .

ويحرم طلب الرشوة وبذلها وقبولها كما يحرم عمل الوسيط بين الراشى والمرتشى[١٨] غير أنه يجوز للانسان ـ عند الجمهور ـ أن يدفع رشوة للحصول على حق أو لدفع ظلم أو ضرر ، ويكون الاثم على المرتشى دون الراشى[١٩] .

قال أبو الليث السمرقندى : لا بأس أن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة[٢٠]، وفى حاشية الرهونى أن بعض العلماء قال : إذا عجزت عن إقامة الحجة الشرعية فاستعنت على ذلك بوال يحكم بغير الحجة الشرعية أثم دونك ، إن كان ذلك زوجة يستباح فرجها ، بل يجب ذلك عليك ، لأن مفسدة الوالى أخف من مفسدة الزنا والغصب ، وكذلك استعانتك بالأجناد يأثمون ولا تأثم ، وكذلك فى غصب الدابة وغيرها ، وحجة ذلك أن الصادر من المُعَيَّن عصيان لا مفسدة فيه ، والجحد والغصب عصيان ومـــفسدة ، وقـــد جوز الشارع الاستعانـــة بالمفسدة ـ لا من جهة أنها مفسدة ـ على درء مفسدة أعظم منها ، كفداء الأسير فإن أخذ الكفار لمالنا حرام عليهم ، وفيه مفسدة اضاعة المال ، فما لا مفسدة فيه أولى أن يجوز .

---

(١٣) المفردات ص ٢٧٨ ، والتعريفات ص ١٧٤ .
(١٤) المغنى لابن قدامه ج ٥ ص ٦٤٩ .
(١٥) من الاية رقم ٤٢ من سورة المائدة .
(١٦) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .
(١٧) أخرجه الترمذى جـ ٣ ص ٦١٤ ط الحلبى وقال : (حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد جـ ٥ ص ٢٧٩ ـ ط الميمنية من حديث ثوبان وفيها زيادة ، والرائش .

(١٨) المغنـــى جـ ٩ ص ٧٨ ، كشاف القنـــاع جـ ٦ ص ٣١٦ ، الزواجر جـ ٢ ص ١٨٨ ، الكبائـــر للذهبـــى ص ١٤٢ ، نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ ونيل الأوطار جـ ٨ ص ٢٧٧ ، ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٣ ، مواهب الجليل جـ ٦ ص ١٢٠ ، المحلى جـ ٩ ص ١٣١ ، ١٥٧ .
(١٩) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ ، نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ ، القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ ، ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٤ ، الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ والمحلى جـ ٩ ص ١٥٧ ، مطالب أولى النهى جـ ٦ ص ٤٧٩ .
(٢٠) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ .

فإن كان الحق يسيرا نحو كسرة وتمرة ، حرمت الاستعانة على تحصيله بغير حجة شرعية ، لأن الحكم بغير ما أمر الله به أمر عظيم لا يباح باليسير[٢١] .

واستدلوا من الأثر بما ورد عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه كان بالحبشة فرشا بدينارين ، حتى خُلّى سبيله . وقال : إن الاثم على القابض دون الدافع[٢٢] .

وعن عطاء والحسن : لا بأس بأن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم[٢٣] .

٨ ـ أقسام الرشوة :

قسم الحنفية الرشوة إلى أربعة :

(أ) الرشوة على تقليد القضاء والامارة وهى حرام على الآخذ والمعطى .

(ب) ارتشاء القاضى ليحكم ، وهو كذلك حرام على الآخذ والمعطى ، ولو كان القضاء بحق ، لأنه واجب عليه .

(جـ) أخذ المال ليسوى أمره عند السلطان ، دفعا للضرر أو جلبا للنفع ، وهو حرام على الآخذ فقط .

(د) إعطاء إنسان غير موظف عند القاضى أو الحاكم مالا ليقوم بتحصيل حقه له ، فإنه يحل دفع ذلك وأخذه ، لأنه وان كانت معاونة الانسان للآخر بدون مال واجبة ، فأخذ المال مقابل المعاونة لم يكن إلا بمثابة أجرة[٢٤] .

٩ ـ حكم الرشوة بالنسبة للمرتشى :

(أ) الامام والولاة :

قال ابن حبيب : لم يختلف العلماء فى كراهية الهدية إلى السلطان الأكبر ، وإلى القضاة والعمال وجباة الأموال ـ ويقصد بالكراهية الحرمة[٢٥] .

وهذا قول مالك ومَنْ قبله مِنْ أهل العلم والسنة .

وكان النبى ـ ﷺ ـ يقبل الهدية[٢٦] وهذا من خواصه والنبى ـ ﷺ ـ معصوم مما يُتّقى على غيره منها ، ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له : كان النبى ـ ﷺ ـ يقبلها ، فقال : كانت له هدية ، وهى لنا رشوة ، لأنه كان يتقرب إليه لنبوته لا لولايته ، ونحن يتقرب بها الينا لولايتنا[٢٧] .

(ب) العمال :

وحكم الرشوة إلى العمال (الولاة) كحكم الرشوة إلى الامام ـ كما مر فى كلام ابن حبيب ـ لما ورد عن النبى ـ ﷺ ـ: (هدايا الأمراء غُلُول)[٢٨] .

---

(٢١) حاشية الرهونى جـ ٧ ص ٣١٣ .

(٢٢) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٤ .

(٢٣) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٢٤) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٣ ، والبحر الرائق جـ ٦ ص ٢٨٥ ، ودرر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٦ ، وشرح أدب القاضى للخصاف جـ ٢ ص ٢٥ .

(٢٥) القرطبى جـ ٢ ص ٣٤٠ ، والحطاب جـ ٦ ص ١٢٠ .

(٢٦) حديث (كان يقبل الهدية) أخرجه البخارى ـ الفتح جـ ٥ ص ٢٠٣ ـ (ط السلفية) وأخرجه مسلم جـ ٢ ص ٧٥٥ ـ ط الحلبى ـ من حديث أنس وعائشة .

(٢٧) تبصرة الحكام على هامش فتح العلى المالك جـ ١ ص ٣٠ .

(٢٨) أخرجه أحمد جـ ٥ ص ٤٢٤ ط الميمنية من حديث أبى حميد الساعدى وضعف اسناده ابن حجر فى التلخيص جـ ٤ ص ١٨٩ ط شركة الطباعة الفنية ـ ولكن له شواهد من أحاديث صحابة آخرين يتقوى بها ، ذكر بعضها ابن حجر .

وللحديث ابن اللتبية(٢٩) : عن أبى حميد الساعدى قال استعمل رسول الله ـ ﷺ ـ رجلا من الأسد يقال له ابن اللتبية قال عمرو وابن أبى عمر على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا لى أهدى لى قال فقام رسول الله ـ ﷺ ـ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا والذى نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى أبطيه ثم قال اللهم هل بلغت مرتين) .

قال الصدر الشهيد :

وإنما كان كذلك ، لأن تعزز الأمير ومنعته بالجند وبالمسلمين لا بنفسه فكانت الهدية لجماعة المسلمين بمنزلة الغنيمة ، فإذا استبد به كان ذلك منه خيانة ، بخلاف هدايا رسول الله ـ ﷺ ـ لأن تعززه ومنعته كانت بنفسه لا بالمسلمين ، فصارت الهدية له لا للمسلمين(٣٠) .

(جـ) القاضى :

والرشون إلى القاضى حرام بالإجماع(٣١) .

قال الجصاص : ولا خلاف فى تحريم الرشا على الأحكام ، لأنه من السحت الذى حرمه الله فى كتابه ، واتفقت الأمة عليه ، وهى محرمة على الراشى والمرتشى(٣٢) .

قال فى كشاف القناع(٣٣) : ويحرم قبوله هدية واستعارته من غيره كالهدية ، لأن المنافع كالأعيان ، ومثله مالو ختن ولده ونحوه فأهدى له ولو قلنا إنها للولد ، لأن ذلك وسيلة إلى الرشوة ، فإن تصدق عليه فالأولى أنه كالهدية وفى الفنون له أخذ الصدقة(٣٤) .

وعند الشافعية(٣٥) :

إن أخذ المال ـ رشوة ـ ليُحِق به الباطل أو يُبطِل الحق ، فأما إذا كان مظلوما فبذل لمن يتوسط له عند السلطان فى خلاصه وستره فليس ذلك بإرشاء حرام بل جعالة مباحة حكاه القاضى الحسين فى باب الربا من تعليقه عن القفال ونقله النووى فى فتاويه مقتصرا عليه لكن فى المنهاج للحليمى لا يحل لأحد أن يأخذ من أحد مالا على دفع ظلم عنه أو على رد مال له فى يده وإن جاز للمظلوم وصاحب المال إذا علم أنه لا يندفع الظلم عنه أو لا يصل إلى ماله (إلا بشىء) يرضخه أو يعطيه وهذا كالأسير أو المحبوس بغير حق إذا لم يطلق إلا بشىء فله اعطاؤه ويحرم على الآخذ (الأخذ) .

(د) المفتى :

يحرم على المفتى قبول رشوة من أحد ليفتيه بما يريد ، وله قبول هدية(٣٦) .

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٢ ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣٠) شرح أدب القاضى جـ ٢ ص ٤٤ ، وكشاف القناع جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٣١) فتاوى قاضى خان جـ ٢ ص ٣٦٣ ، والرهونى جـ ٧ ص ٣١٠ ، ونهاية المحتاج جـ ٧ ص ٢٤٢ ، كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٦ .

(٣٢) الجصاص جـ ٢ ص ٤٣٣ ط دار الفكر ببيروت .

(٣٣) جـ ٦ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣٤) درر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٨ ، وشرح أدب القاضى للخصاف جـ ٢ ص ٣٣ ، ٦٤ ، وأدب القضاء للماوردى .

(٣٥) المنثور فى القواعد للزركشى جـ ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ط وزارة الأوقاف بالكويت .

(٣٦) الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ ، والروضة جـ ١١ ص ١١١ ، وأسنى المطالب جـ ٤ ص ٢٨٤ ، وكشاف القناع جـ ٦ ص ٣٠١ .

قال ابن عرفة : قال بعض المتأخرين : ما أهدى للمفتي ، وان كان ينشط للفتيا أهدى له أم لا ، فلا بأس ، وإن كان إنما ينشط إذا أهدى له فلا يأخذها . وهذا مالم تكن خصومة ، والأحسن أن لا يقبل الهدية من صاحب الفتيا ، وهو قول ابن عيشون وكان يجعل ذلك رشوة(٣٧) .

(هـ) المدرس :

إن أهدى إليه تحبباً وتودداً لعلمه وصلاحه فلا بأس بقبوله وان أهدى اليه ليقوم بواجبه فالأولى عدم الأخذ(٣٨) .

(و) الشاهد :

ويحرم علي الشاهد أخذ الرشوة وإذا أخذها سقطت عدالته(٣٩) .

(ل) الحـــاج :

لايلزم الحج مع الخفارة(٤٠) وان كانت يسيرة ، لأنها رشوة عند الحنفية وجمهور الحنابلة ، وقال مجد الدين بن تيمية وحفيده تقى الدين ، وابن قدامة : يلزمه الحج ولو كان يدفع خفارة ان كانت يسيرة .

أما الشافعية فلهم تفصيل فى المسألة ، قال النووى :

ويكره بذل المال للرَّصديين لأنهم يحرصون على التعرض للناس بسبب ذلك ، ولو وجدوا من يخفرهم بأجرة ويغلب على الظن أمنهم به ، ففى لزوم استئجاره وجهان . قال الامام : أصحهما لزومه ، لأنه من أهب الطريق كالراحلة .

ومـــذهب المالكيـــة قريب من مذهب الشافعية(٤١) .

(م) صاحب الأرض الخراجية :

يجوز لصاحب الأرض الخراجية أن يرشو العامل القابض لخراجه ويهدى له لدفع ظلم فى خراجه لأنه يتوصل بذلك إلى كف اليد العادية عنه ولايجوز أن يرشوه أو يهديه ليدع عنه خراجاً ، لأنه يتوصل إلى إبطال حق(٤٢) .

(ى) القاضـــى :

مذهب جمهور الفقهاء أنه يحرم على القاضى أن يرشو لتحصيل القضاء ومن تقبل القضاء بقبالة (عوض) وأعطى عليه الـــرشوة فولايتـــه باطلة(٤٣) .

وقال النووى ــ رحمه الله : لو بذل مالا ليتولى القضاء ، فقد أطلق ابن القاص وآخرون انه حرام وقضاؤه مردود(٤٤) .

وقال ابن عابدين نقلا عن ابن نجيم فى البحر الرائق :

---

(٣٧) الحطاب جـ ٦ ص ١٢١ .

(٣٨) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣١١ ، ونهاية المحتاج جـ ٨ ص ٢٤٣ .

(٣٩) تبصرة الحكام لابن فرحون ــ بهامش فتح العلى جـ ١ ص ١٩٧ ، والحطاب جـ ٦ ص ١٢١ ، ١٧٥ ، والمهذب جـ ٢ ص ٣٣٠ ، والمغنى لابن قدامة جـ ٩ ص ٤٠ ، ١٦٠ .

(٤٠) الخفارة مثلثة الخاء : اسم لجعل الخفير والخفير هو الحارس والحامى (المطلع ص ١٦٢ ، وكشاف القناع جـ ٢ ص ٣٩١ .

(٤١) كشاف القناع جـ ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، وابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٦ ، والروضة جـ ٣ ص ١٠ ، والدسوق جـ ٢ ص ٦ .

(٤٢) مطالب أولى النهى جـ ٢ ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

(٤٣) الحطاب جـ ٦ ص ١٠٢ ، والجمل على المنهج جـ ٥ ص ٣٣٧ ، وتحقيق القضية ص ١٧٥ ، وابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٤ ، والزواجر جـ ١ ص ١٥٨ .

(٤٤) الروضة جـ ١١ ص ٩٤ .

ولم أر حكم ما إذا تعين عليه القضاء ولم يول إلا بمال هل يحل بذله ؟

وينبغي أن يحل بذله للمال كما يحل طلب القضاء .

ثم قال ابن عابدين : إذا تعين على شخص تولى القضاء يخرج عن عهدة الوجوب بسؤالهم أن يولوه ، فإذا منعه السلطان أثم بالمنع لأنه منع الأولى وولى غيره ، فيكون قد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين وإذا منعه لم يبق واجبا عليه فلا يحل له دفع الرشوة(٤٥) .

وقال الحنابلة : يحرم بذل المال فى ذلك أى فى نصبه قاضيا ويحرم أخذ المال على تولية القضاء(٤٦) .

١٠ ـ حكم القاضى :

اختلف العلماء فى صحة حكم القاضى المرتشى ، فمذهب جمهور الفقهاء أنه لا ينفذ قضاؤه ، وكذلك لا ينفذ قضاؤه إذا تولى القضاء برشوة(٤٧) ولكن لبعض الحنفية تفصيل فى حكم القاضى المرتشى :

قال منلاخسرو فى بيان مذهب الحنفية : إذا حكم القاضى بالرشوة سواء كان حكمه قبل أخذه الرشوة أو بعد أخذ الرشوة ففى ذلك اختلاف على ثلاثة أقوال :

١ ـ فعلى قول : أن حكم القاضى صحيح إذا كان موافقا للمسألة الشرعية ، سواء فى الدعوى التى ارتشى فيها أو التى لم يرتش فيها ، وبأخذ الرشوة لا يبطل الحكم لأن حاصل أخذ الرشوة فسق القاضى ، وبما أن فسق القاضى لا يوجب انعزاله فولاية القاضى باقية ، وإذا كان قضاؤه بحق يلزم نفاذ قضائه .

٢ ـ وعلى قول ثان : لا ينفذ حكم القاضى فى الدعوى التى ارتشى فيها ، قال قاضيخان : إن القاضى لو أخذ رشوة وحكم فحكمه غير نافذ ، ولو كان حكمه بحق ، لأن القاضى فى هذه الصورة يكون قد استؤجر للحكم ، والاستئجار للحكم باطل ، لأن القضاء واجب على القاضى .

٣ ـ وعلى قول ثالث : أنه لا ينفذ حكم القاضى المرتشى فى جميع الدعاوى التى حكم فيها . وهذا قول الخصاف والطحاوى(٤٨) .

١١ ـ انعزال القاضى :

ذهب الشافعية ـ فى المعتمد ـ والحنابلة وأبو حنيفة والخصاف والطحاوى من الحنفية وابن القصار من المالكية إلى أن الحاكم ينعزل بفسقه ومن ذلك قبوله الرشوة .

قال أبو حنيفة : إذا ارتشى الحاكم انعزل فى الوقت وان لم يُعزل ، وبطل كل حكم حكم به بعد ذلك(٤٩) .

ومذهب الآخرين أنه لا ينعزل بذلك ، بل ينعزل بعزل الذى ولاه(٥٠) .

---

(٤٥) ابن عابدين جـ ٤ ص ٣٠٦ .

(٤٦) كشاف القناع جـ ٦ ص ٢٨٨ .

(٤٧) البحر الرائق جـ ٦ ص ٢٨٤ ، وقاضى خان جـ ٢ ص ٤٥٠ ، والزرقانى جـ ٧ ص ٨٢٦ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٢٤ ، وللزواجر جـ ١ ص ١٥٩ ، والمغنى جـ ٩ ص ٤٠ .

(٤٨) درر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٧ .

(٤٩) القرطبى جـ ٦ ص ١٨٣ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٧٨ ، ومغنى المحتاج جـ ٤ ص ٣٨١ ، ومطالب أولى النهى جـ ٦ ص ٤٦٨ .

(٥٠) قاضى خان جـ ٢ ص ٣٦٢ ، وابن فرحون جـ ١ ص ٧٨ ، وأدب القضاء لابن أبى الدنيا ص ٢٤ .

هل يعزر على الرشوة ؟

هذه الجريمة ليس فيها عقوبة مقدرة فيكون فيها التعزير المفوض للقاضى أو لولى الأمر .

مآل المال المأخوذ :

ان قبل الرشوة أو الهدية حيث حرم القبول وجب ردها إلى صاحبها ، كمقبوض بعقد فاسد ، وقيل تؤخذ لبيت المال لخبر ابن اللتبية .

وقال ابن تيمية فيمن تاب عن أخذ مال بغير حق :

ان علم صاحبه دفعه إليه ، وإلا دفعه فى مصالح المسلمين(٥١) .

هـــذا :

والموظف الذى تسند إليه الدولة عملا من الأعمال وتوليه إياه هو أجير عند الدولة تم التعاقد بينه وبينها على أن يقوم بالعمل الذى أسند اليه فى مقابل الأجر الذى حددته الدولة لهذا العمل ورضى هو به حين وقع باختياره ورضاه على تسلم أعمال وظيفته والتزامه بأدائها فى مقابل الأجر الذى يتقاضاه فى كل شهر ويسمى راتبا ، أيا كانت درجة هذا الموظف ونوع عمله مادامت الدولة قد كفلت مرتبه .

ومن ثم :

فإنه لايحل للموظف أن يقصر فى أداء العمل الذى أسند إليه أو يعطله أو يطلب من أصحاب الحقوق فى هذا العمل أن يعطوه شيئا من المال أو يقدموا اليه خدمة أو منفعة من أجل أن ينجز لهم عملهم ، كما يحرم عليه أن يعطل مصالحهم وأن يلجئهم بوسيلة أو بأخرى إلى تقديم مايريده منهم ، فإن ذلك من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« لايحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفسه »(٥٢) .

وما يأخذ الموظف من أصحاب المصالح فى مقابل إنجاز مصالحهم التى هى من أعباء وأعمال وظيفته ـ هو من قبيل الرشوة التى لعن الله أصحابها على لسان رسوله ـ ﷺ ـ فى قوله :

« لعن الله الراشى والمرتشى والرائش »(٥٣) أى الواسطة بينهما .

ولاشك فى أن هذا النوع من الموظفين ظالم يجب الأخذ على يديه وردعه عن ظلمه ، وهو خائن فى عمله ، آكل أموال الناس بالباطل .

ففى الحديث الشريف قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »(٥٤) أى خيانة ، قد يقال : ان الراتب الذى تعطيه الدولة للموظف لا يكفى ضرورات حياته وهو مضطر إلى أن يأخذ الرشوة لشدة حاجته إليها .

وهذا القول من تزيين الشيطان أعمال الإثم وتقديم المبررات لارتكاب المحرمات ، فإن الذى يستبرىء لدينه وعرضه ويخاف حساب الله وعقابه يستطيع أن يبحث عن عمل يعمله فى أوقات فراغه

(٥١) كشاف القناع جـ ٦ ص ٣١٧ ، ودرر الحكام جـ ٤ ص ٥٣٧ .

(٥٢) رواه الدارقطنى ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ٣١٦ .

(٥٣) رواه أحمد ـ نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٦٧ .

(٥٤) رواه أبو داود ـ المرجع السابق جـ ٤ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .

ويبذل فيه جهدا يتكسب به ما يحقق له كفايته أو يزيد ، وكثير من الناس يفعلون ذلك ويأكلون الحلال ولا يرضون أن ينزلقوا إلى مهاوى المحرمات .

هذا ما يتصل بأصحاب الوظائف وما يحل لهم وما يحرم عليهم : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة »[55] .

أما صاحب الحق والمصلحة إذا ابتلى بظالم من هؤلاء الذين لا ينجزون المصالح إلا إذا دفع أصحابها لهم ما يريدون ، فإن عليه أولا : أن يقاوم هذا الظلم ، وأن يسلك كل سبيل يمنع هؤلاء الظالمين ويردهم إلى طريق الحق والعدل ، فيرفع أمرهم إلى رؤسائهم ، ويكشف وسائلهم لابتزاز الأموال من الناس بغير الحق ، ولا حرج على صاحب الحق فى مقاومة من يحرمه حقه ، بل إن ذلك واجب عليه قدر استطاعته ولا إثم عليه فيما يصيب هذا الظالم من جزاء أو عقوبة أو فصل من عمله ، فإن ذلك طريق يقطع دابر الشر ويعيد الناس إلى الاستقامة فى أعمالهم وتصرفاتهم .

فان سلك صاحب الحق هذا السبيل ، ولم يجد من يعينه وينصره ويساعده على منع الظلم عنه والوصول إلى حقه ، فهو مضطر لاستخلاص حقه من هذا الظالم بما يدفعه من مال مادام قد عجز عن إنجاز مصلحته بغير هذا الطريق ، ولا يكون ــ والحال هذه ــ راشيا يستحق اللعن ، فهو مظلوم يدفع الظلم عن نفسه بوسيلة لم يستطع سواها ، والاثم كله واقع على هذا الموظف الظالم الذى أرغمه على سلوك هذا السبيل .

وقد قال الفقهاء : إن الراشى إن طلب باطلاً وقع تحت اللعن ، وان طلب بذلك حقا مجمعا عليه جاز[56] .

هذا بشرط ألا يطلب ماليس من حقه فان ذلك حرام نهى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[57]

لما كان ذلك :

وكان البادى من مدونات هذا السؤال أن صاحبه يتعامل ــ بوصفه محاميا ــ مع العاملين بالمحاكم ، وان هؤلاء يطالبونه ــ وغيره ــ بلسان الحال أو المقال بمال يدفعه لتيسير أمور موكليه ، كان هذا الذى يدفعه رشوة لامراء فى تكييفها على هذا الوجه وبمقتضى تلك النصوص .

فإذا كان هذا ــ واقعا على نحو ماورد بالسؤال ــ لم يأثم إذا قدّم إلى الموظف مايطلبه لقضاء أو تيسير عمله ، بشرط أن يكون العمل أو الاجراء الذى يبْتغيه حقا ، أو وسيلة إلى الحق ، ويكون الاثم ــ حينئذ ــ على الآخذ أى الموظف ، أما إذا كان ما يبتغيه ليس من الحق ــ وهو لا شك يقدر دعوى الموكل ويدرك مدى صدقه وأحقيته ــ كان آثما ، لأنه يطلب ماليس حقا لموكله ويستعين على هذا بالرشوة .

وهذا كله بعد بذل الجهد فى الوصول إلى الحق المبتغى دون الوقوع فى الرشوة على نحو ماسبق .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

---

(٥٥) من الآية رقم ٤٢ من سورة الانفال .

(٥٦) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٦٨ .

(٥٧) الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة .

الإمام الأكبر في ندوة علماء الدين والدراسات السكانية

شهد هذا العقد تغيرات جذرية فى نظم الحكم والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وانهارت نظم ظلت عقوداً من الزمن تدعو إلى قيمها وترغم الناس عليها ، ولم تلبث أن تلاشت بعد أن فشلت فيما كانت تدعو إليه ، وتبين للقائمين عليها أنهم كانوا يعيشون وهماً وخيالاتٍ ، كما أن النظام القائم فى الجانب الآخر من العالم ليس هو النظام الأمثل فإنه يحمل عوامل ضعفه وانهياره ، وقد تنبه بعض الباحثين فى تلك البلاد إلى المستقبل المظلم الذى ينتظر أجيالهم لو استمروا فى طريقهم فقام بعض الباحثين فى أمريكا واليابان ينبهون إلى ذلك ، ويحذرون من المستقبل ، ومن ثم أصبح العالم الإسلامى مطالباً بالأخذ بزمام المبادرة وتقديم النموذج الأمثل .

ولكن ... كيف ؟

إنه فى اطار المحاولات المبذولة من علماء الأمة نظمت جامعة الأزهر ندوة باسم «علماء الدين والدراسات السكانية» فى الفترة ١٨/ — ١٩٩٢/٧/٢١ .

وكانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى هذه الندوة من أبرز وثائقها حيث أكد فضيلته على رسوخ الوحدة الإسلامية التى تجمع أمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» .. فلا فواصل سياسية ولا جغرافية ، وإذا كانت السياسة قررت أن تقيم حدوداً بين شعوب الأمة الإسلامية ، فإن القرآن قد جمعها حين قال : ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ . وحين قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١) .

قال فضيلته : فنحن أمة الإسلام نلتقى على هذا المبدأ ونتدارس أمورنا عليه ، لا ننظر إلى أقلية فى مكان وأكثرية فى آخر ، بل ننظر إلى أننا أمة واحدة نتسابق إلى اغاثة الملهوف وإعانة الضعيف والمنبوذ من المسلمين أولا ، ثم من غيرهم ثانياً تبعا لمقتضى الحال .

وإذا كانت السياسة قد قالت بأن تتفرق الأمة إلى دول وإمارات ، فإننا — بما جمعنا عليه الإسلام — لن نتفرق أبدا — إن شاء الله — فبيننا كتاب الله — عز وجل — وسنة نبيه الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — وأمامنا القبلة التى نولى جميعا وجوهنا شطرها خمس مرات يومياً .

إنا لدينا أسس الإسلام نلتقى عليها لا فرق فيها بين عربى وغير عربى أو بين مشرق ، أو مغربى ، كلنا نلتقى على الأصول الإسلامية الغراء ، فنحن أمة واحدة لأن ديننا واحد : عقيدة وشريعة .

ثم توجه فضيلته إلى العلماء والباحثين المشاركين فى أعمال المؤتمر فقال : «أنتم — أيها المؤتمرون — مدعوون إلى أن تدرسوا الموضوعات التى ستعرض على حضراتكم دراسة علمية ، كل ينظر إليها من واقع تخصصه ، فى نطاق ما أفاء الله به عليه من علم ، ثم تلتقون — وأنتم جميعاً من المسلمين ، ومن فقائها وعلمائها — على رأى تخرجون به على الناس تنصحونهم وترشدونهم ..

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

(سورة التوبة)

تطوير الإصلاحات

وأكد فضيلة الإمام الأكبر فى ختام كلمته أمام أعضاء المؤتمر على أهمية تطوير (الدراسات الديمغرافية)(٢) لتلتقى مع اتجاهات الإسلام فى جمع الأمة لا بالإصلاحات العلمية فحسب ، وإنما يجب أن تتطور هذه الإصلاحات إلى ما يلتقى مع أسس الإسلام ، وأتمنى أن تتدارسوا بروح العلم والفقه مجتمعين لا متفرقين وأن تقولوا للناس حسنا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

---

(١) صحيح رواه أكثر من إمام .

(٢)...------السكانية .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

فى الآية السابقة تحذير من الفتن العامة التى إذا وقعت لاتصيب الظالم وحده ، ولكنها تأخذ المفسدين وغيرْ المفسدين ، هذه الفتن تحدث إذا أقر الناس المنكر ورضوه ، فاذا هم أقلعوا عنه وحاربوه فقد حاربوا الفتنة التى توشك أن تستأصلهم ، وفى هذه الآيات تذكير بما ناله

المسلمون من خير ومن عزة وأمان بسبب ما هداهم إليه القرآن من حسن الاستقامة ونكران الضلال ، وفيها تذكير بأن أسباب الفتن كامنة فى النفوس يثيرها حب الدنيا ومباهجها ، والآيات فى بدايتها تذكر المسلمين بمالقوا من عنت بمكة اذ تقول :

«اذكروا أيها المسلمون ماكنتم عليه من قلة وضعف بمكة وماكنتم تعانونه من أعدائكم منذ أعلنتم إسلامكم إنه إن كانت الهجرة إلى المدينة ، من ضعف وقلة وذلة وهوان» وكيف كان المشركون يقتلون من يقتلون ويعذبون من يعذبون ، وكيف كانوا يستولون على أموالكم ويخرجونكم من دياركم ، ثم بسبب هذا القرآن : وجدتم مأوى لدى الأنصار ، وأيدكم الله بنصره يوم بدر ، فقتلتم عتاة المشركين ، واتسعت لكم أبواب الرزق ذلك لتشكروا نعمة الله على الإسلام مفتاح كل هذا الخير .

والخطاب بهذا الوجة موجه للمهاجرين الذين نعموا بهذا الخير ، ولكنه أولى أن يكون موجها للمؤمنين جميعا فى عهد نزول السورة ويندرج فيه المهاجرون اندراجا أوليا .

كان العرب فى همجية الجاهلية يتخطف القوى منهم الضعيف ، وليس الأمن فى حياتهم مستقرا ، وهم يخافون ويتوقعون أن يتخطفهم الفرس او الرومان او الصابئة والمجوس ... فكلهم عدو لهم طامع فيهم لضعفهم وقلتهم وكثرة اختلافاتهم . قال قتادة السدوسى : كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا ، من عاش منهم عاش شقيا ، ومن مات منهم رُدّىَ فى النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، والله مانعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم ، حتى جاء الله بالإسلام ، فمكن به فى البلاد ، ووسع به فى الرزق وجعل أهله ملوكا على رقاب الناس . وبالإسلام أعطى الله مارأيتم فاشكروا الله على نعمه قادر بكم منعم يحب الشكر وأهلُ الشكر فى مزيد .

ففى هذه الآية ثلاث نعم بارزة يَصْبو إليها كل قلب ، ويتمناها كل فرد وكل أمة ، وهى الإيواء بعد التشرد والاضطراب ، والنصر بعد الذلة والهوان وسعة الرزق بعد الفاقة ومعاناة الجوع وعند الله مزيد أى مزيد وثواب الآخرة خير وأبقى ومن شكر الله زاده من نعمه

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾

ومعنى يتخطفكم الناس ينتهبونكم ويختلسونكم بسرعة ، وذلك لضعفهم وعدم قدرتهم على المقاومة ، والخطف هو الاختلاس بسرعة ، يقال خَطِفَ يَخطِفُ ـ وخَطِفَ يخْطِف . من باب علم وضرب ، وأينما قلبت الكلمة فى القرآن وجدتها على هذا النحو ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

فهو لاقرار له لسرعة اختطافه ، وفى وصف الشياطين المسترقة للسمع قال سبحانه :

﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) ﴾ سورة الصافات

وكان العرب قبل الإسلام فى خارج أرض الحرم عرضة لهذا الاختطاف من فتاك العرب ومن الأمم التى حولهم ، ولكن كان الحرم مكانا آمنا ،

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ سورة العنكبوت

قال الشيخ رشيد رضا فى مناره : «ومن العبر فى هذه الآيات أنها حجج تاريخية اجتماعية على كون الإسلام إصلاحا ، أورث ويورث من اهتدى به سعادة الدنيا ، قبل الآخرة» — وهذا حق واضح لأننا نمشى مع تاريخ المسلمين لندرس أسباب عزتهم ونصرهم وأسباب تأخرهم وضعفهم ، فنجد قيامهم بشعائر الإسلام ومبادئه وعدم تهاونهم بتعاليمه وقوانينه وراء هذا التفوق ، فالأمانة والصدق وحب الخير للآخرين ، وتعاون الأفراد والجماعات .. وما إلى هذه المبادىء هى سر تفوق الأمم ، وهى ما جاء به الإسلام ، وما أحيى به أضعاف أمة وأعَزَّ به اهون أقوام وأذلهم .

وهذه النهضة التى لم تكن متوقعة ، والعزة التى قلبت كيان العالم خليقة أن تبعث فى قلوب المسلمين شكر الله على ما أفاءه عليهم بسبب الإسلام ، ولايكون هذا الشكر الا بالاستقامة على قوانين الإسلام واحياء ما اندثر أو أهمل منها بسبب تفريط المسلمين فى هذه النعمة الكبرى .

فى الزمن السابق حَرِصْنَا على القرآن ومبادىء الإسلام ، فأخذنا من الأمم التى سبقتنا فى الحضارة أثمن مالديها من العلوم والمعارف والمظاهر الحضارية التى يقرها الإسلام ، فتفوقنا عليهم وملكناهم ، وفى الأيام الحاضره أهملنا القرآن وجرينا وراء الغرب فسهل علينا أن ننقل عنه رذائله وقذارات مجتمعاته ، وعز علينا ان نأخذ منه — ونحن فى حصانة الدين — علمه وتفوقه الفكرى ، فليس فى هذا شكر لله ، ولكنه جحد لنعمائه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ .

وأنتم تعلمون أن الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد سرا — وهى والنفاق شىء واحد إلا أن الخيانة تقال عن العهد والأمانة ، والنفاق يقال عن الدين فبينهما عموم وخصوص وجهى ، ويقال : خان فلان فلانا وخان أمانته ، ويلحظ فيه دائما معنى السرية والخفية ، ومن ذلك **«يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ»** ، **«وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ»** ، ويقال : رجل خائن وخائنة ، كرجل داهية ونابغة .

ومعنى لاتخونوا الله والرسول ، لاتُخفوا مخالفتهما ، وخيانة الرسول خيانة لله ، ولذا جاء العطف بينهما بدون إعادة الفعل ، وذكر ثانيا عند ذكر الأمانة : والأمانات ههنا هى الأعمال التى إئتمن الله عليها العباد ، وهى الفرائض المقررة فى الإسلام من العبادات والمعاملات وجميع الشئون الاجتماعية وخيانتها نقضها والعمل بغيرها مما يخالفها . وفى مأثورات التفسير : لاتخونوهما بترك السنة وارتكاب المعصية ، وليس بعيدا عن الأول ، وقيل لاتظهروا له من الحق مايرضاه ويقبله ثم تخالفوه فى السر إلى غيره مما لايرضاه .

وجاءت أقوال عديدة فى سبب نزول هذه الآية ، نزلت فى شأن أبى لبابة حين بعثه النبى — ﷺ — إلى بنى قريظة ليفاوضهم فاستشاروه فيما عسى أن يفعل بهم ، فأشار بيده إلى عنقه ، أى أنه الذبح ، وفطن لخطئه فى الحال ، وقال : خنت الله ورسوله ثم ربط نفسه بسارية فى المسجد وحلف ألا يذوق طعاما ولاشرابا ، وظل على ذلك تسعة أيام بلغ فيها الجهد ، وقصصه معروف لاأرى داعيا لاعادته .

وقيل نزلت فى شأن أبى سفيان بن حرب إذ خرج مرة من مكة — وكان لايخرج إلا لتدبير

مكيدة للمسلمين ، فأعلم الله سبحانه نبيه أنه بمكان كذا ، وأخبر النبى ـــ ﷺ ـــ أصحابه بمكانه ، وقال : اخرجو إليه واكتموا الأمر ، وكان بين الحاضرين رجل من المنافقين فكتب إلى أبى سفيان : ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم قال الامام ابن كثير هذا حديث غريب جدا ، وفى سنده وسياقه نظر : وهذا الحديث لم يذكر متى كان خروج أبى سفيان ، ولاماذا فعل بعد أن قيل له ماقيل .

وقيل ان الآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة إذ أرسل إلى المشركين بمكة يخبرهم بقدوم جيش المسلمين إليهم ، وقصته أيضا معروفة . وقد عفا عنه رسول الله ـــ ﷺ ـــ لأنه ممن شهد بدرا ، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم .

وقيل غير ذلك أيضا . وقد تكون هذه الأسباب كلها صحيحة ، ولكن نص الآية لايكون مرتبطا بسبب نزولها ، فهى تنهى عن خيانة الله والرسول وخيانة الأمانات فى أى وقت وعلى أى وضع وقد كانت هذه صفة المنافقين وحالهم إذ يتسمعون مايسمعون منه ويفشون أسراره ، ويتحدثون بها فيما بينهم ، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم .

وعلى أى حال خيانة الله بمخالفة شرعه ، سواء بتعطيل فرائضة او تعدى حدوده وارتكاب ماحرمه سبحانه ، وتلك التعاليم إنما جاءتنا عن نبيه ـــ ﷺ ـــ فالرغبة عما جاء به خيانة لله الموحى بها وخيانة للنبى متلقى الوحى من الله ، وخيانة الأمانات فيما بين بعض الناس وبعض ، وبين الناس وبين حكامهم ، وهذا يقع كثيرا فى حالات الغفلة او التأويلات الشاذة البعيدة التى يحل بعض الناس بها الحرام ويحرم الحلال ، ونقض العهود والمواثيق من الخيانة ، وإفشاء السر الذى يؤتمن عليه الشخص خيانة ، والنميمة خيانة ... وهكذا ، وكلها مندرجة فى خيانة الله والرسول ، ونبه عليها بالنص لأهميتها والتحذير من الوقوع فيها ، وحقوق العباد كثيرا ماتنتهك ويحسبها الناس أمرا هينا وهى عند الله إثم كبير ، وفى الحديث الشريف : لاإيمان لمن لاأمانة له ، ولادين لمن عهد له[1] ، وآية المنافق أنه إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان[2] .

والأمانة صفة عامة شاملة تعنى القيام على حدود الله ـــ تعالى ـــ وعدم التفريط فى شىء منها ، وسواء فيها الماديات والمعنويات ، فمن ائتمن أحدا على مال كمن أئتمنه على سر ، أومن اعترف له بذنب ارتكبهَ ، فعلى المؤتمن أداء المال وحفظ السر خشية من الله الذى أمر بذلك إذ قال :

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ البقرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (ســورة النساء)

وتذييل الآية بجملة ﴿وأنتم تعلمون﴾ ـــ يعنى أنتم تعلمون تحريم الله هذه الخيانة ووصاته بأداء الأمانة ، فلا يغلبنكم الشيطان فيستهويكم حتى يوقعكم فى حدود الله وأنتم تعلمون حرمة مايغريكم بارتكابه .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبرانى .

(٢) حديث فى الصحيح .

قبس من أنوار النبوة
مع الرسول القدوة

فضيلة الشيخ : على حامد عبدالرحيم

عن كعب بن عجره قال : جلسنا يوماً أمام بيوت رسول الله ﷺ فى المسجد فى رهط منا معاشر الأنصار ، ورهط من المهاجرين ورهط من بنى هاشم فاختصمنا فى رسول الله ﷺ : أينا أولى به وأحب إليه ؛ قلنا نحن معاشر الأنصار : آمنا به . واتبعناه وقاتلنا معه وكتيبته فى نحر عدوه ، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه .

وقال إخواننا المهاجرون : نحن الذين هاجرنا إلى الله ورسوله : فارقنا العشائر والأهلين والأموال ، وقد حضرنا ما حضرتم ، وشهدنا ما شهدتم ، فنحن أولى الناس برسول الله وأحبهم إليه .

وقال إخواننا من بنى هاشم : نحن عشيرة رسول الله ﷺ : قد حضرنا الذى حضرتم وشهدنا الذى شهدتم فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه فخرج إلينا رسول الله ﷺ فأقبل علينا فقال : « إنكم لتقولوا شيئاً ، فقلنا مثل مقالتنا فقال للأنصار : « صدقتم من يرد هذا عليكم ؟» وأخبرناه بما قال إخواننا المهاجرون . فقال : « صدقوا وبروا . من يرد هذا عليهم ؟ » . ثم قال : « ألا أقضى بينكم ؟ » .

قلنا : بلى . بأبينا وأمنا ، أنت يا رسول الله .

فقال : «أما أنتم يا معشر الأنصار فإنما أنا أخوكم» .

فقالوا : الله أكبر . ذهبنا به ورب الكعبة .

«وأما أنتم معشر المهاجرين فإنما أنا منكم» .

فقالوا : الله أكبر . ذهبنا به ورب الكعبة .

«وأما أنتم بنو هاشم فأنتم منى وإلى» .

فقمنا وكلنا راض مغتبط برسول الله ﷺ

رواه الطبرانى .

لم تعرف البشرية فى تاريخها المديد ، من كان كشخص محمد صلى الله - ﷺ - بهر الدنيا بسيرته ، وملأ التاريخ بعظمته ، وعَطَّر الكون بأريج أخلاقه وشمائله ، ولفت أنظار الدنيا إلى آثاره الخالدة ، فى حياة الإنسانية ونهضتها فلقد كان ﷺ : مصدر خير ، وينبوع رحمة ، أعطاه الله من الخير والفضل ما لم يعط لأحد قبله ولا بعده ، ومنحه خصوصيات فى نفسه وفى أمته ، وفى كتابه وشريعته ، وميزه بالكمال فى الخلق ، والعموم فى الرسالة . فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ وقال - جل شأنه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

أرسله الله بالدين الخالد ، ختم به الرسالات ، والديانات ، وهو بسماحته واتساعه صالح لكل زمان ومكان ، وقد وضع آداباً بالسلوك ، وقواعد للذوق السليم لم تصل إليه المدنيات الحديثة ، رغم دعواها العريضة بأنها جاءت بما يصلح أمر الناس .

وإن التاريخ الصدوق يقرر أن نهضة الغرب لم تقم إلا على دعائم من تراثنا الدينى والفكرى ، وجاء ذلك صراحة على لِسانى : «جونسون» و«نيكسون» من رؤساء الولايات المتحدة ، كما جاء على لسان غيرهما ، إذ هو أمر لا سبيل إلى نكرانه .

إن دين الإسلام الذى أرسل الله به محمداً - صلى الله عليه وسلم - أكمل دين يجمع بين الدنيا والآخرة ، وبين الروح والجسد ، ويوفق بين مقتضيات الحياة وأوامر الله حتى تسير الحياة إلى غايتها فى تواؤم وانسجام مما يهيىء للمسلم أن يعيش فى جميع البيئات ، وفى جميع الأوقات بروح الإسلام السهلة السمحة ، وأن يعاشر كل الناس بالمعروف والإحسان وأن يسع كل الناس بأخلاقه كما كان رسول الله - ﷺ - .

كذلك أخرج البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبدالله ابن عمرو بن العاص ، فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ ، قال : والله إنه لموصوف فى التوراه ببعض صفته فى القرآن : «يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً .

ويزيد ابن اسحاق فى روايته : ولا صخاب فى الأسواق ، ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا ، أسدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة مقولته والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلاله وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأكثر به بعد

القلة وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء مشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل منه خير أمة أخرجت للناس » .

لقد غير منهج رسول الله ﷺ ، معالم الإنسانية تغييراً شاملا فى كل مجالاتها ونواحيها ، كما يقول الله ــ سبحانه ــ فى كتابه العزيز الذى أرسله به : قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

إن المجتمع الذى أقامه رسول الله ﷺ : على العدالة والأخوة والمساواة والتعاون ، والصلة بالله رب العالمين ، كان له أطيب الثمار . والصلة برب العالمين تتطلب الاستعانة بالله ؛ للنهوض بأعباء هذه الحياة ، وتخطى عقباتها :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ [محمد : ٧] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦] .

ويوم يحدث انصراف عن الله ولو بظن الاستغناء بالكثرة عن مدده وعونه يكلهم الله إلى أنفسهم فتكون المحسنة .

قال تعالى :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ [التوبة]

بهذا الأساس المتين والصلة القوية بالله أقام الرسول الكريم مجتمع الخير ثم دور الأخوة الإسلامية التى ترتفع عن نطاق المصلحة وتسمو فوق حدود المادة ، بعيداً عن العصبية والقبلية ، إنها علاقة جديدة أنشأها الإسلام بين أتباع محمد ــ ﷺ ــ جعلت لهذه الأخوة حقوقاً لابد من أدائها ، ليست عاطفة مجردة أو فكرة عابرة بل تنظيم عملى للمجتمع الجديد يربط بين أفراده برباط وثيق .

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

[الحشر : ٩، ١٠] .

لقد ألف الله بينهم بالإيمان الذى يجمع القلوب ، ويوحد الصفوف ، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

هذا هو المجتمع الإسلامى الذى تربى وتتلمذ على يد معلم الإنسانية وهادى البشرية مما حدا بهم إلى أن يلوذ كل منهم برسول الله ، ويسعى إلى القرب منه ، فهو الرسول الرحمة المهداة ، والقدوة المجتباه ، وهم ــ مع ذلك ــ إخوة متحابون ليس بينهم فى ذلك ضغن ولا إثارة فياله من رسول كريم .

ومبلــغ العلـم فيه أنـه بشـــر
وأنــه خيــر خلــق الله كلهـــم

مع الرحمة فى مولد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم

د . مبروك عطية أحمد أبوزيد

وذرفت العين دمعة رثاء ، اختلطت بكلمة وداع لمن لاذنب لها سوى أنها أنثى ، فقد حملها أبوها وسعى بها إلى الخلاء ، وفى الطريق الرملى ، جعلها تمشى إلى جواره ، فأمسكت بيده ، وأخذت أناملها الصغيرة تسبح فى حبات العرق التى سالت من أصابعه الغليظة ، وطفقت تغنى برغم اللظى الذى أحرق قدميها الضعيفتين ، وهى لا تدرى أنَّ نشيد الطفولة أغنية الوداع ، وأنَّ الأبوة خلت من كل معانيها ، ولم يبق منها غير اللفظ الباهت ، وياله من لفظ مرعب ، كان حقه أن ينشر الدفء والرحمة فى كل مكان هى فيهَ ، وفجأة رفعها بغلظة ، ووضعها فوق صخرة ، سرعان مانزلت ، وأخذت تتمسح بثيابه نهرها ، وصرخ فى وجهها البرىء ، وأعادها من جديد فوق نار الصخرة ، ثم عاد ليحفر لها قبرها ، والتقطتها يده الآثمة ، ولم تنس قبل أن تصبح نسيا منسيًّا أن تمسح الرمال من لحيته التى نبتت فوق صلد الوجه الكافر ، بينما لم يتذكر هو أن يلقى بنظرة الوداع على وجهها الناعم ، ليتعلم درساً

* مدرس اللغويات بجامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

من دروس الرحمة ، ينفعه ولو بعد حين ، كما لم يتذكر أن يوجه لها كلمة ، تذكره بها وهى فى غياهب الرمس الحزين ، صرخت ، صرخت ، وصرخت وأسمع صوتها السماء والأرض ، بيد أنّ صوتها لم يسمع أباها ، الذى دفنها وعاد واحداً من الذين وصفهم ربنا ــ تعالى ــ بقوله :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ **البقرة : ١٨**

وسكن فؤادها ، ونام هنيئاً جسدُها إلى أجل مسمّى عنده :

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾

التكوير :

● ومن أجل هذا وغيره كان مولده ــ ﷺ ــ رحمةً للعالمين وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ الانبياء : ١٠٧

ومن أجل هذا وغيره ، كانت سيرته ــ ﷺ ــ سيرة الرحمة فى أجل صورها ، تلك الرحمة التى تصنع الحياة ، وتبنى الأمم ، فلا شدّة الاّ على الذين لايريدون رحمة الله ، فهم لايستحقون الحياة ،

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ **الفتح : ٢٩**

ولما كانت النفوس خصوصاً المؤمنة تتطلع إلى رحمة الرحمن الرحيم ــ جل وعلا ــ وتأمل فيها ، وتعتبرها غاية الفوز ، ومبلغ الأمل ، أرشدها نبى الرحمة إلى الطريق ، وعرّفها لها ، فقال عليه صلاة ربى وسلامه : «مَنْ لاَ يَرْحَم لاَ يُرْحَمُ»(١) ، وما أشد حرصه ــ عليه الصلاة والسلام ــ على تبيين رحمة الله بعباده ، لينطلقوا فى ضوئها رحماء فيما بينهم ، ففى باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته يروى البخارى عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه :

«قدم على النبى ــ ﷺ ــ سَبْىٌ ، فإذا امرأة من السبى قد تحلب ثديها ، تسقى إذا وجدت صبيا فى السبى أخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال لنا النبى ــ ﷺ : أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لاوهى تقدر على أن لا تطرحه ، فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها» .

وما من قارىء أوسامع لهذا الحديث إلا هتفت أعماقه : الله الله ، وماهذا الهتاف إلا فيض مشاعر سالت على قلبه ، ودفعات من الراحة والسكينة أظلت روحه ، وهدّأت من روعه ، فقد وجد نفسه بحق كما أخبره المعصوم ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى موضع مَنْ يستحق الرحمة ، إذ أنه ولد صغير ، لاحول له ولاقوة ، وإذا كان شوقى قد جعل الرحمة محصورة فى الأب والأم حيث قال :

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

وكان أمير الشعراء ذكيّاً لقوله « فى الدنيا » ، فإن الله ــ كما ورد فى الحديث أرحم من الأب والأم ، وفى الحديث إشارة طيبة ، هى أنّ المؤمن يستمد الرحمة من خالقه عز وجل ، والرحمة خير دافع يحفزه إلى أن يتعامل باللين ، ويمسى جوهر هذا الدين ، فلا يخدعه بريق عصره ، ولايجرفه تيار الحياة المادية نحو القسوة والغلظة ، فينسى كلمة الرحمة فضلاً عن معناها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وتمتد الرحمة فى أحاديثه — ﷺ — إلى غير الإنسان ، فهذا حديث أبى هريرة — رضى الله عنه — كما رواه البخارى ؛ يقول — ﷺ : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله — وإنّ لنا فى البهائم أجراً ، فقال : فى كل ذات كبد رطبة أجر »

وإذا كان الأمر كذلك فما بالك بالرحمة بالإنسان ، بنيان الله ، الذى خلقه فسوّاه ، فعدله ، فى أى صورة ماشاء ركبه ، والمؤمن أولى الناس بالرحمة بأخيه ، فقد شهد كلاهما بأن لاإله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله وقد رسم الهادى البشير صورة المؤمنين واضحة المعالم ، بينة الأطراف والمقاصد ، فى الحديث الذى رواه النعمان بن بشير حيث قال عليه الصلاة والسلام : «ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً ، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »(١)

وانظر أيها القارىء إلى تقديم التراحم على التواد والتعاطف لتجد أن الرحمة نهر جار فياض ، تتفرع عنه كل قنوات البر والخير وفى صيغة « التفاعل » فى الألفاظ الثلاثة الندية ، لتستوحى معنى المشاركة ، والجهاد المشترك من قبل كل من الراحم والمرحوم والوادّ والمودود ، والعاطف والمعطوف عليه ، فالراحم مرحوم والمرحوم راحم ، فذلك التفاعل الذى تتميز به الخليّة المؤمنة التى خلت من العناصر الخاملة ، التى تسترحم ولاترحم ، وتستودّ ولاتود وتستعطف ولاتعطف ، وإنما الجميع فى جهاد ، وعلى كلمة سواء ، يجاهدون أنفسهم ، لتسلم سرائرهم ، وتطهر ضمائرهم ، ويكونوا كما علمهم رسولهم — ﷺ — «لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »(٢) .

وما أرى هذا الحديث إلّا نتيجة للحديث الأول ، الذى جعل فيه الرسول الكريم — ﷺ — المؤمنين جسداً واحداً ، إذا مرة اشتكى ذلك الجسد عضواً من أعضائه أصابه خلل ، أو ألم به مرض ، فقد الجسد كله توازنه فما أن صرخ الجسد بشكواه حتى تداعى سائره بالسهر والحمى استجابة ومشاركة فألم الجزء ألم الكل ، ونداء الجزء يصل إلى أعماق الكل ، وإذا كان هذا شأن الجسد بحكم ترابطه ، واتحاد أوردته وشرايينه ، وتحكم المخ والأعصاب فيه فإنه ايضاً شأن المؤمنين بالله بحكم ترابطهم برباط واحد هو الإيمان واتحادهم واشتراكهم جميعاً فى الرحمة والمودة والعطف ، فتلكم شرايين المؤمنين التى تغذى حياتهم بأنفع غذاء وأسلمه لأرواحهم وأجسادهم معاً ، وإذا كان الجسد الواحد تضمه وحدة المكان الواحد ، فإنّ المؤمنين — وإن تنازعتهم الأمكنة ، تضمهم وحدة الشعور الواحد فإذا التقوا فعلى الأساس الذى رسمه دينهم ، وإذا افترقوا فعلى ذمة الله ، وبركة رسول الله — ﷺ — يتواصون بالحق ، ويتواصون بالصبر وهم ملتقون وإن تفرقوا ، فكيف يتباغضون ، أو يتحاسدون ، أو

---

(١) البخارى كتاب الآدب .

(٢) البخارى كتاب الأدب، ومسلم كتاب البر .

يتدابرون ؟ يعطى أحدهم لأخيه دبره ، ولا يلقاه بالوجه الطلق والابتسام الذى يمسح عن الوجوه عناء الحياة ، ومكابدة الآلام ، ولعلمه ـــ ﷺ ـــ بأن النفوس يعتريها بعض الألم ، ويصيبها بعض السوء أعدّ لها عليه الصلاة والسلام « غرفة إنعاش » تمكث فيها مدّة أقصاها ثلاث ليال ، فى هذه الليالى تسهر مع الذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين فتحاسب نفسها ، فتلوم قبل أن تلام ، وتحاسب نفسها قبل أن تحاسب وتؤثر أن تكون فيها الخيرية ، فتبدأ بالسلام قبل انقضاء الثلاث ، وتنتصر على عطب الشيطان ، وتربـــو فوق الأنانية ، ورحم الله أم المؤمنين عائشة ورضى عنها فقد نذرت يوما ألاّ تكلم ابن الزبير ، فلما طال ذلك عليه كلّم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قائلاً لهما : أنشدكما بالله لما أدخلتمانى على عائشة ، فإنها لايحل لها أن تنذر قطيعتى ، فأقبل به المسور وعبد الرحمن حتى استأذنا عليها ، فقالا : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، أندخل ؟ قالت عائشة : ادخلوا ، قالوا : كلنا ؟ قالت : نعم ، ادخلوا كلكم ولا تعلم أنّ معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة ، وطفق يناشدها ويبكى ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلاّ ما كلمته ، وقبلت منه ، ويقولان : إن النبى ـــ ﷺ ـــ نهى عمّا قد علمت من الهجرة ، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكى ، وتقول : إنى نذرت والنذر شديد ، فلم يزالا بها حتى كلمته ، وأعتقت فى نذرها ذلك أربعين رقبة ، قال البخارى وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكى حتى تبلّ دموعها خمارها ولم يغفل القرآن الكريم أثر الرحمة فى تغيير السلوك وعلاج مشكلات النفس ، وما أعظم قول ربنا عز وجل : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت : ٣٤

يقول العلامة أبو السعود فى تفسير الآية الكريمة : « بيان لنتيجة الدفع المأمور به ، أى فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق »(١)

أجل ، فإن قطرة واحدة من نهر الرحمة لقادرة على بل الصدى ، وجلاء الصدأ ، لكن بحار الغلظة وسياطر العذاب تغمر الدنيا بألوان الكراهية والتمادى فى الباطل ، وتزرع فى النفوس الألم ، فلا تجنى البشرية إلا الهون والهوان ، والذل والخسران .

وعلينا ـــ معشر المسلمين ـــ ونحن نحتفل بذكرى ميلاد نبينا ، وحبيبنا وقرة أعيننا محمد بن عبد الله ـــ ﷺ ـــ أن نستعيد مع الذكرى السيرة العطرة ، والذكريات الطيبة ، التى من أجلها أرسله الله ، لينشر رحمة الله فى الأرض ، ويبشر بها المؤمنين ، يوم لا ينفع مال ولابنون إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم ، سلم من آفات الشرك والوثنية ، وسكنته الرحمة والعفو ، والتسامح ، فكظم الغيظ وأظهر البشاشة والرضا ، وعفا عن الناس ، فحلت الرحمة محل القسوة ، واستبدل الانتقام بالعفو وصلى الله وسلم على خير مولود رحم الصغير ودَلَّله ، وأشفق على الضعيف وأعانه ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٤٧/٥ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الانعام/٨٢)

طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها

٢

بقلم لواء ا.ح.د. فوزى محمد طايل

كان تصورنا لطريق الخروج بالأمة من محنتها ــ كما بسطنا له فى المقال الأول ــ أنه طريق مزدوج يتمثل فى : « نهضة ثقافية » ، و « استجلاء لإرداة الأمة » ودفعها إلى ذروتها ، كى يغير القوم ما بأنفسهم فيغير الله تعالى ما بهم من غم ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

ولازلنا نعرض لجوهر « النهضة الثقافية » ، وحجر الزاوية فيها ... ألا وهو منظومة القيم الإسلامية العليا . وبعد « العلم » و « الإيمان » يأتى ثالث هاتين القيمتين العُلْيَيْن :

٣ ــ العمل :

فلا تكاد تجد لفظ « الإيمان » مذكوراً فى كتاب الله تعالى إلا وهو مقترن « بالعمل الصالح » ، ففى الكثير من الآيات نجد قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ . وفى آيات أخرى نجد ما يدل أيضاً على التلازم الحتمى بين « العمل »

و «الإيمان» . ولا غرو «فصالح العمل» هو المظهر الخارجى «لصدق الإيمان» .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٩] .

قد يقول البعض .. ما جئت بجديد ! «فالعمل» قيمة عليا عند كل الأمم المتقدمة .. حتى الملحد منها والمشرك .. والرد على هذا يسير .. فجوهر وفكرة العمل وفلسفته فى الإسلام تختلف اختلافاً جذرياً عن المقابل لها فى النظم الوضعية فى المجتمعات «النصرانية العلمانية» ، وفى المجتمعات الملحدة والمشركة .

فالعمل فى كل هذه النظم (أمر مادى) بحت ، وهو لا يعدو أحد عناصر الإنتاج الأربعة فى النظام الرأسمالى(*) ، وتتركز فيه كل قيمة الإنتاج فى النظام الشيوعى . فالنظرة الفلسفية لهؤلاء وأولئك ــ مع تفاوتها ــ تكاد تتفق على أن العمل مجرد قيمة اقتصادية ، وأن التلازم حتمى بين كمية ونوع العمل وبين قدر العائد المادى ، وإنه لا ارتباط بين العمل من جانب وبين علاقة الإنسان بربه من جانب آخر . فالعامل لا يبتغى من وراء عمله إلا الكسب المادى ، وهو يتقن عمله ابتغاء التفوق ورغبة فى المزيد من الكسب وخشية العقاب الدنيوى إن هو أهمل .

ولقد نعى القرآن الكريم على مثل هذا المسلك ، فقال الله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

[الكهف: ١٠٣ ــ ١٠٥] .

ولئن كان العمل فى الإسلام يعد الوسيلة الرئيسية لطلب الرزق ، وطلب المعيشة ، إلا أنه يعدّ بمثابة «عبادة» ؛ فهو طاعة وامتثال لأمر الله تبارك وتعالى ، وتحقيقاً لغايته من خلق الإنسان . فلقد خلق الله تعالى الإنسان لإعمار الأرض ، وهذا لا يكون إلا من خلال «العمل الصالح» . كما أنه أمر المؤمنين بالعمل فقال جل شأنه :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وجعل جزاء العمل فى الآخرة فضلًا عن الجزاء الدنيوى فقال جل شأنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] .

ولما كان «العمل فى حد ذاته طريقاً لمرضاة الله ، والامتثال لأوامره ، وإعمار الأرض ، فلا يجوز أن يختلط بمعصية ، أو يسلك صاحبه طريقاً محرماً ، كأخذ ربا أو قصد غش ، أو أكل لأموال الناس بالباطل ، بل يجب أن يراعى فيه الحلال والأمانة والإتقان .

وليعلم الإنسان أن الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب ، وإنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . فعمل المؤمن يجب أن يكون خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ، فلقد اختص الله تعالى نفسه

(*) عناصر الإنتاج فى النظام الرأسمالى هى : رأس المال ، والعمل ، والأرض ، والتنظيم .. وهم يفرقون بين العائد المادى الناتج عن كل من هذه العناصر .

برزق العباد ، ولم يجعل ذلك موكولًا لكائن من كان فقال جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

[فاطر : ٣] . فلا ارتباط بين نوع العمل وكيفه وبين رزق الله للعبد .

وكما يرتبط العمل بالإيمان فإنه يرتبط بالعلم ، والكفاءة ، والقدرة على أدائه ، والأمانة فى القيام به . ومهما صغر العمل أو كان كبيراً ، يدوياً أو ذهنياً ، فإن الإسلام يوجب حسن الاختيار ؛ فقد ضرب الله تعالى لنا مثلين فيما حدث لنبيين من أنبيائه المكرمين عليهما السلام : أولهما كان وزيراً ، والثانى كان أجيراً .

فعندما نجح يوسف عليه السلام فى الاختبار ، وأحسن التخطيط وإعطاء المشورة ، فنجحت الخطة « الاستراتيجية » لادارة الاقتصاد المصرى طوال خمسة عشر عاماً ، على أساس علمى راقٍ (سورة يوسف / ٤٣ — ٤٩) ، قرر الملك أن يستعمله ، فاختار يوسفُ — عليه السلام — « وزارة الخزانة » إذ وجد لديه العلم ، وفى نفسه الكفاءة لأداء هذا العمل . قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾

[يوسف : ٥٤ — ٥٥] .

أما موسى عليه السلام فقد أثبت كفاءة بدنية ، وأمانة تتناسبان مع العمل اليدوى المطلوب (سورة القصص : ٢٢ — ٢٥) ، فكان الترشيح للعمل ثم إبرام عقد العمل ، الذى تضمن : نوعه ، ومدته ، وشروطه ، والأجر . قال الله تعالى :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

[القصص : ٢٦ — ٢٨] .

وتوضح لنا سورة القصص أن العقد كان عقداً أرضائياً ، لا سخرة فيه ، ولا إذعان ، فلقد ترك موسى — عليه السلام — العمل بمجرد انقضاء أجل العقد ، وذهب يضرب فى الأرض ..

هذا ولقد جعل الإسلام للاحتراف والعمل اليدوى مكانة عالية — فقال الله تعالى :

﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[يس : ٣٥] . وقال رسول الله — ﷺ — فيما « رواه البخارى » : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود — عليه السلام — كان يأكل من عمل يده » . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قول رسول الله — ﷺ : « كان زكريا عليه السلام نجاراً » .

ولئن كان « التقدم التقنى » (التكنولوجى) قد صار عاملًا حاسماً فى دعم قوة أية أمة واستعدادها ، وتقدمها وتفوقها على غيرها ، ولئن كان أحد أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية يكمن فى تخلفها « التقنى » ، فليكن معلوماً أن التقدم فى هذا المجال لا يكون إلا من خلال « العمل » ، والعمل وحده ، فالمعرفة الفنية (Know How)

التى هى جوهر «التقدم التقنى» تجد تربتها الخصبة فى عقل الإنسان ويديه ، أى فى مهارته فى مجال التطبيق العملى للعلم ، وبذل أقصى الجهد فى البحث العلمى العملى من أجل التطوير وتلبية احتياجات المجتمع وزيادة إعمار الأرض .

ولقد أدركت الأمم التى سبقتنا أن سر تفوقها يكمن فى «تقدمها التقنى» ، فكان قرار «الدول الصناعية الكبرى»(*) فى مؤتمر «لندن» (١٧ يوليو ١٩٩١م) ، احتكار «التكنولوجيا» ومنع تسربها إلى من هم سواها .. وبهذا فقط يمكنهم الحفاظ على تفوقهم .. هكذا يظنون !

إن ديننا الذى يجعل من «العلم» و «العمل» قيمتين عُلْيَيَيْن ، والذى يأمرنا بالبحث العلمى إلى أبعد الحدود ، ليوجب على المسلمين بناء «قدرتهم التقنية» ، التى تعد الأساس الذى لابد منه «لإعداد القوة» فى كل المجالات : الاقتصادية والعسكرية ، بل والسياسية والاجتماعية أيضاً ـ ولايكون هذا إلا من خلال المزج بين العلم والعمل ، وتطبيق النظريات العلمية لتفى بمتطلبات الحياة واعداد ما استطعنا من قوة .

إن الإسلام لم يعتبر «العمل» مجرد قيمة نظرية ، بل نظمه ، وبين لنا كيفية الاستفادة منه وترقيته ، واعداد الصالحين لأداء كل أنواع العمل النافع اليدوى والذهنى . فلئن كان العمل فرض عين على البالغ القادر عليه ، فإن مختلف الأعمال من صناعة وزراعة وطب وهندسة وغيرها تعد فرضاً كفائياً تأثم الأمة إن لم تخرج من بينها من يقوم به من خلال التعليم والتدريب والتشجيع والترغيب وغير ذلك .

ولعل من أكبر الآثام التى ترتكبها أمتنا الإسلامية فى وقتنا الحالى ، بسبب تقصير أبنائها ، أننا نستورد غذاءنا ، وحاجتنا المصنعة ، والسلاح الذى ندافع به عن ديننا وأعراضنا وقيمنا وأنفسنا ، من أمم غيرنا فماذا نتوقع إلا أن نقهر فى مجتمعاتنا ، وتقيد إرادتنا ، ويقصر تمسكنا بشرعية الله ومنهاج حياتنا الإسلامى ، ويرى الآخرون فى الإنسان المسلم كائناً مستهلكاً غير منتج ، فيطالبوننا بالحد من النسل ، والنسل مقصد من مقاصد الشرع .. وليس هذا إلا نتيجة لإهمال «العمل» كقيمة ، وكجزء من منهاج حياة المسلم .

لئن كان الله تعالى قد جعل الصلاة معياراً لضبط حياة المسلم اليومية فقال جل شأنه :
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء : ١٠٣] فإن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قد سن لنا أن يبدأ العمل فور انتهاء أول صلاة مفروضة فى النهار فقال : «إذا صليتم الفجر فلا تناموا عن طلب أرزاقكم» (الطبرانى) . وقال : «باكروا فى طلب الرزق والحوائج فإن الغدوَّ بركة ونجاح» (الطبرانى والبزار) ، وما هذه السنة إلا تفسير أمين لقول الحق تبارك وتعالى :
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ [الفرقان : ٤٧] . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ : ١١] .

وعلى هذا فتأخير بداية العمل فى بعض المجتمعات الإسلامية لا يطابق منهاج الإسلام فى تنظيم العمل ، فهو يهدر ساعات من النهار جعلها الله تعالى مخصصة للسعى والإنتاج ، كما إنه يعد

(*) هى أمريكا وكندا واليابان وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وايطاليا .

نوعاً من التنازل عن البركة التى وعد رسول الله ـــ ﷺ ـــ متبعى سنته بها .

بل أكثر من هذا ، فإن الله تعالى لم يجعل يوم الجمعة على المسلمين كيوم السبت عند اليهود . فلا تعطيل للعمل إلا من ساعة النداء للصلاة حتى تمامها .. ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[الجمعة : ١٠] .

ولقد أقام الإسلام توازنات دقيقة عادلة فى علاقات العمل لعل أهمها ما يلى :

أ ـــ يعد العمل شطر عوامل الإنتاج ، فإذا قامت شركة بين طرفين قدم أحدهما رأس المال وقدم الآخر العمل كان الربح بينهما مناصفة ما لم يتفق على غير ذلك ، فإن اختلفا أوْ لم يشترطا ، أو كان هناك غبن وقع على أحد الطرفين من جراء العقد أعاد القاضى التوازن للعلاقة بإرجاعها إلى قاعدتها العامة .

ب ـــ وكما أن العامل مطالب باتقان العمل وبذل أقصى الجهد لزيادة الإنتاج وتحسين نوعيته ، والحفاظ على ما تحت يده من مال ، والحفاظ على أسرار العمل ، فإن من حقه ألا يكلف بما لا يطيق، وإلا كان على صاحب العمل إعانته بزيادة أجره ، إن أراد ، أو بتعيين معاونين له يساعدونه فى أداء عمله . كما أن من حقه الحصول على الراحة التى تمكنه من أداء واجباته نحو ربه ، ونحو أهله ، ونحو نفسه بالترويح عنها وإراحة بدنه كى يستعيد نشاطه ويجدد طاقته .

ولعل أهم حقوق العامل التى أوجبها الشرع هى الأجر العادل الذى يفى بمأكله ، ومشربه ، وسكنه ، ووسيلة انتقاله .. كل هذا بحسب العرف الذى يحدده الزمان ، والمكان ، وطبيعة العمل ، والمستوى الاجتماعى للعامل .

ويكون المرجع فى تحديد الأجر إلى عقد العمل « فالمسلمّون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالًا » ، فإن حدث غبن فعلى القضاء رفعه وإعادة الأمور إلى نصابها .

جـ ـــ وإذا كانت إمكانات العامل لا تمكنه من الإلتحاق بعمل يوفر له الأجر الذى يكفى إحتياجه ، أو لم يكن العرف يقضى لمثل هذا العامل بالأجر الكافى وقع عبء استكمال الأجر على المجتمع الذى يعمل العامل على إعماره وإعلاء شأنه وتوفير احتياجاته ، فيأخذ العامل الإعانة المالية المكملة للأجر المناسب لمثله كى يفى باحتياجاته ، ويكون ذلك من بيت مال المسلمين .

د ـــ وإذا كان العمل فرض عين تعود نتائجه على العامل وعلى المجتمع فى آن واحد ، فإن على كل قادر أن يسعى ليجد العمل المناسب لقدراته الذهنية والبدنية والعلمية ، فإن لم يستطع وقع على المجتمع عبء إتاحة فرصة العمل هذه له ، وإلا وقع على بيت مال المسلمين إعانته ، يكفل له حد الكفاية حتى يلتحق بالعمل المناسب .

ومن ناحية أخرى لا يجوز لقادر على العمل أن يسأل الناس ويتكففهم . « فيأتى يوم القيامة والمسألة نكتة فى وجهه »(*) . قال رسول الله ـــ

(*) بعض حديث طويل لرسول الله ـــ ﷺ ـــ رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم جميعا .

ﷺ ـــ : «إن الله يحب العبد المحترف ، ومن كدّ على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل» (رواه أحمد) . وعنه إنه قال : «لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة لحم» (متفق عليه ـــ عن ابن عمر رضى الله عنهما) .. فالبطالة سبــة فى جبين المجتمــع الإسلامى ، وسؤال القادر على العمل منهى عنه ، وعار على من يهدر كرامته ويقوم به . ألا ترى معى أن الله تعالى وصف كرام الناس الذين قُدر عليهم رزقهم وهم عاجزون عن العمل بقوله : ﴿ .. لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

هـ ـــ ومن الأمور الحديثة التى لم تعرف فى عصور الإسلام الأولى تكوين النقابات التى تضم كل منها أصحاب المهنـة الواحـدة . وفى هذه النقابات مصلحة أكيدة من حيث كونها تعاون على البر والتقـــوى ؛ إذ أنها تعلى من شأن «العمـل» ، وترتقـى بالمهنـة وبتـدريب أهلهـا وتطلعهم على كل ما هو جديد ، وتيسر لغير العامل عملًا ، وتكفل من عجز منهم عن العمل لكبر فى السن أو عاهة أصابته .. الخ ..

ولا نشك فى أن قليلا من إضافة إسلامية سوف تمحو عنها سلبيات ، وتجعل منها نقابات رفيعة المستوى فى كل مجتمع .

و ـــ لئن كان البيت هو محل رعاية المرأة ، وهى مسئولة فيه عن رعايتها ، فإن الإسلام لم يمنع المرأة العمل إذ هى اضطرت إليه ولم يكن يخدش حياءها ، أو يجرح كرامتها ، ما التزمت بشرع الله فى لبسها وتعاملها مع الآخرين ، وما لم تقصر فى حق زوجها وأولادها ، لأنهم أولى بالرعاية .. ويشترط فى هذه الحالات رضاء ولى أمرها .

وفى بعض الأحيان يكون عمل المرأة فرضاً كفائياً يتحتم على عدد كافٍ من النسوة القيام به ، كضرورة توفير المدرسات لمدارس البنـــات ، والطبيبات لعلاج النساء ، فلا يطلع الرجال على عوراتهن ، واللاتى يقمن بتفتيش بنات جنسهن فى ثغور البلاد وغيرها .. إلى غير ذلك من أمور توجب عمل المرأة دون غيرها ..

ولا ضير فيما وراء ذلك ما اتسق والشرع الحنيف .. قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

[النحل : ٩٧] .

ومع ذلك فقد اشترطت الذكورة فى بعض الأعمال كإمامة الدولة ، وإمارة الجند وما شابه ذلك ، لعموم حكم قوامة الرجل على المرأة .

إن إعمار الأرض تكليف كلفه الله تعالى لمن استخلفه فى الأرض دون سائر مخلوقاته ، وهو تكليف فيه إعمال للعقل ، وللارادة الإنسانية فيه دور ، لذا كان أجر الله تبارك وتعالى مقابل حسن الأداء كبيراً فقال جل شأنه :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

[النور : ٥٥].

(يتبع ـــ ٣)

الجهاد باللسان في عصر النبوة

للواء ا. ح محمد جمال الدين محفوظ

• عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(١) كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل »(٢) .

من ذلك يتضح أن الجهاد باللسان واحد من أساليب جهاد الأعداء ، وأنه واجب وجوب الجهاد بالنفس والمال ولا يقل عنهما أهمية وأثرا ..

• ثم يقرر الرسول – ﷺ – بالإضافة إلى ذلك – أن الجهاد باللسان قد يكون « أشد أثرا » على الأعداء من القتال بالسلاح .

---

(١) الحديث : رواه أحمد والنسائى وصححه غيرهما .

(٢) كنز العمال حـ٢ ص١١٧ وعزاه إلى أحمد والبيهقى فى السنن .

فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : « اهجوا قريشا فإنه (أى الهجاء) أشد عليها من رشق النبل »(٣) .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لعبد الله بن رواحة : « بين يدى رسول الله وفى حرم الله تقول الشعر ؟ » فقال رسول الله ـــ ﷺ ـــ: « خل عنه يا عمر ، فلهـــى (أى القصيـدة) أسرع فيهم من نضح النبـل » وفى رواية : « خل عنه ياعمر ، فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل »(٤) .

● والجهاد باللسان يكون بإقامة الحجة على الأعداء ، ودعائهم إلى الله تعالى ، ورفع الأصوات عند اللقاء ، وبزجرهم ترويعا لهم ، وتجريدهم من إرادة القتال ، وغير ذلك مما يعرف اليوم بالحرب النفسية ونحوها من كل ما فيه نكاية للعدوّ ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾(٥) .

● والحق أن العلم العسكرى وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير فى المعركة ، وتساهم فى تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر فى الأرواح والمعدات وفى أقل وقت ، ومن أجل ذلك يؤكد العسكريون أنها قد تكون أشد أثرا من القتال بالسلاح ، وذلك لأنه إذا كان القتال بالسلاح يقتل الأنفس ويدمر المعدات ، فإن الحرب النفسية تجرد المقاتل من أغلى ما يملك وهى الروح المعنوية وإرادة القتـال ، ولذلك أصبحت الحرب النفسية فى أغلب الأحوال « تسبق » الحرب بالسلاح ، وأصبح كل قائد يسعى إلى تدمير الروح المعنوية لخصمه قبل أن يبدأ القتال .

يقول « روميل » : « إن القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

يقول الجنرال « ديجول » : « لكى تنتصر دولة ما فى حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال ، وتظـل هذه الحرب تسانـد هذه القـوات حتـى تنتهى من مهمتها » .

● وقد حفل عصر النبوة بعدة صور للجهاد باللسان نذكر منها ما يلى :

أولًا : الشعر :

● كان يقف إلى جوار رسول الله ـــ ﷺ ـــ ثلاثة من شعراء المدينة ينافحـون عنـه ، هم : حسان بن ثابتٍ ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وقد أثر عنـه ـــ ﷺ ـــ أنـه قال : « أمـرت عبـد الله بن رواحـة فقـال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان فشفى واستشفى » ، وكانت مهمة أولئك الشعراء لا تقتصر على هجاء الأعداء أو دعوتهم إلى الله بل كانت تشمل أيضا الرد على ما يقوله شعراء المشركين من أمثال : أبى سفيـان بن الحارث ، وعبـد الله بن الزِّبَعْرَى ، وضرار بن الخطـــاب وغيرهم(٦) .

(٣) الحديث : رواه مسلم والبيهقى فى السنن .

(٤) كنز العمال حـ ٢ ص ١١٨ والحديث فى الترمذى رقم ٢٨٤٧ والنسائى فى الحجج وحلة الأولياء .

(٥) الآية الكريمة : ١٢٠ من سورة التوبة .

(٦) أسد الغابة حـ ٢ ص ٥ باب الحاء والسين .

● وكان الرسول ـ ﷺ ـ ينصب لحسان بن ثابت منبرا فى المسجد ، يقوم عليه قائما ، يفاخر عنه ـ ﷺ ـ ورسول الله يقول : « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله ﷺ » وقد سمى حسان بشاعر رسول الله ـ ﷺ ـ وكان يُكنى « أبا الحسام » لمناضلته عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ[٧] ، وعن سعيد بن المُسَيَّب قال : مر عمر فى المسجد وحسان يُنْشِد فقال : كنت أُنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال : أَنْشُدُكَ بالله ، أسمعتَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقول : أجب عنى ، اللهم أيده بروح القُـدُس ؟ قال : نعم »[٨] .

وعـن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : استأذن حسان النبى ـ ﷺ ـ فى هجاء المشركين ، قال : كيف بنَسَبى ؟ فقال حسان : لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين[٩] .

● ومن المهام التى استخدم فيها الشعر نذكر مايلى :

١ ـ الرد على هجاء المشركين

قال حسان ردا على هجاء أبى سفيان بن الحارث للرسول ـ ﷺ ـ يوم « أحد » :

هجـوتَ محمـدا فأجـبتُ عنـه
وعنـد الله فى ذاك الجزاء
فمـن يهجـو رسولَ الله منكـم
ويمدحـه ويـنصره سواء
وجبريـل رسول الله فينـا
وروح القـدس ليس له كفـاء[١٠]

وقال شاعر المشركين عبدالله بن الزبعرى يوم « أحد » :

أبلغـن حسان عنـى آيـة
فقريض الشعر يشفـى ذا الغُلـل
(الغلل : جمع غُلة ، وهى حرارة العطش)
كم قتلنـا من كريم سيـد
ماجـد الجدَّيـن مقـدم بطـل
فقتلنـا الضِّعـف من أشرافهـم
وعَدَلنـا مَيْـلَ « بدر » فاعتـدل
لا ألـوم النـفس إلا أننـا
لو كررنـا لفعلنـا المفتعـل
بسيـوف الهنـد تعلـو هامهـم
عَلَـلًا تعلوهـم بعـد نَهَـل
(عللا بعد نهل : بمعنى الضرب بعد الضرب)

فأجابه حسان بن ثابت قال :

ذهـبت يابـن الزبعـرى وقعـةٌ
كان منـا الـفضل فيها لو عَدَل
ولقـد نلتم ونلنـا منكـم
وكـذلك الحرب أحيانـا دول
نضع الأسيـاف فى أكتافكـم
حيث نهوى عَلَـلًا بعـد نَهَـل
وعلونـا يوم « بدر » بالتُّقـى
وقتلنـا كل جحجـاح رِفَـل
(الجحجاح : السيد .. والرفل بكسر الراء وفتح الفاء : الذى يجر ثوبه خُيَلاء) .
وتركنـا فى قريش عورة
يوم « بدر » وأحـاديث المثـل

---
(٧) نفسه ، والحديث اخرجه الترمذى برقم ٢٨٤٦ والحاكم فى المستدرك ٣٤٨٧ .
(٨) الحديث : رواه الشيخان .
(٩) الحديث : رواه الشيخان .
(١٠) الحديث : رواه مسلم .

٢ ـ تعبير المشركين بالجبن

كذلك استخدام الشعر فى إحداث الضغط النفسى والحرب النفسية لتثبيط عزائم المشركين ومن ذلك تعبيرهم بالجبن والفرار من المعركة ، ففى غزوة « الخندق » عبرت مفرزة من فرسان قريش الخندق فى منطقة ضيقة فيه فتصدى لهم المسلمون فقتلوا بعضهم ومنهم عمرو بن عبد وُد ، وعادت بقية الفرسان هاربة .

قال ابن إسحق : وألقى عكرمة بن أبى جهل ـ وكان ضمن الفرسان ـ رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت :(١١)

فرَّ وألقـــــى لنـــــا رمحه
لعـــلك عكـــرمَ لم تفعـــل
وولـيت تعـدو كَعَـدْو الظـليم
ما إن تجور عن المعـــــدل
ولم تلـق ظهـــرك مستـــأنسا
كأن قفـــاك قفـــا فُرعُـــل

(الظليم ذكر النعام ـ والفرعل بضم الفاء والعين : صغير الضباع)

٣ ـ الشعر فى الدعوة إلى الإسلام

● وبعد فتح « مكة » قدمت على رسول الله ـ ﷺ ـ وفود العرب ، فلما قدم وفد بنى تميم قالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن عليه الصلاة والسلام لخطيبهم عطارد بن حاجب ، فلما فرغ من خطبته ، ندب عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس بن الشماس فأجاب الرجل فى خطبته ، ثم قام شاعرهم الزِّبرقان بن بدر فقال :

أتينـاك كيمـا يعلـم النـاس فضلنـا
إذا احتفلـوا عنـد احـتضار المواسم
بأنـا فروع النـاس فى كل موطـن
وأن ليس فى أرض الحجـاز كدارم

(دارم : من بنى تميم)

وأنّـا نذود المُعْلـمين إذا انتخـوا
ونضرب رأس الأصيـد المتفاقـم
وأن لنـــا المربـــاع فى كل غارة
نغير بنجـد أو بأرض الأعاجـم

(المعلمون : الذين يُعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يُعرفون بها ـ وانتخوا : من النخوة وهو التكبر والإعجاب ـ والأصيد المتفاقم : أى المتكبر المتعاظم ـ والمرباع : أخذ الربع من الغنيمة)

● فأمر الرسول ـ ﷺ ـ حسان بن ثابت أن يرد عليه فقال :

هل المجد إلا السؤدد العود والندى
وجـاه الملـوك واحتمال العظـائم
نصرنـا وآوينـا النبـى محمـدا
على أنـف راض من مَعَـدَّ وراغـم
نصرنـــاه لما حل وسط ديارنـــا
بأسيافنـــا من كل باغ وظـــالم
جعلنـا بنينـا دونــه وبناتنــا
وطبنـــا له نفسا بفــىء المغـــانم
ونحن ولدنـــا من قريش عظيمهـــا
ولدنـــا بنـــى الخير من آل هاشم
بنـى دارم لا تفخـروا إن فخـركم
يعود وبـالا عنـد ذكـر المكـارم
هَبِـلتم علينـــا تفخـــرون وأنت
لنـــا خَوَل ما بين ظئـــر وخـــادم

---

(١١) ابن هشام : السيرة النبوية القسم الثانى (حـ٣ ، ٤) ص٢٢٦ .

(هبلتم : فقدتم وثكلتم ــ والظئر : التى ترضع ولد غيرها)

فإن كنتم جئتم لحقـــن دمائكــــم
وأموالكـم أن تقسموا فى المقـــاسم
فلا تجعلـــوا لله ندا وأسلمـــوا
ولا تلـبسوا زيـا كزى الأعاجـم

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس وهو من أشراف بنى تميم : « وأبى .. إن هذا الرجل لمؤتى له (أى لموفق له) ، لخطيبه (يقصد ثابت بن قيس) أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى (وأعلى) من أصواتنا .. » ، فلما فرغ القوم ، أسلموا وجوَّزهم رسول الله ــ ﷺ ــ فأحسن جوائزهم[١٢] .

ثانيا : الشعارات والهتافات

● وهى من صور الجهاد باللسان التى اتخذها المسلمون لتحقيق عدة أهداف كالتعـارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو فى الظلام ، ومنها إثارة انفعالات الشجاعة والحماسة فى نفوسهم مع ترويع العدو وبث الخوف فى قلبه .

● ومن أمثلة هذه الشعارات : « أَحَدٌ أحد » فى غزوة « بدر » ، و« أمت أمت » فى غزوة « أحد » ، و« ياخيل الله اركبى » فى غزوة « ذى قرد » ، و« حم لا ينصرون » فى غزوتى « الخندق » و« بنى قريظة »[١٣] .

● هذا إلى جانب التكبير الذى كان شعار كل مسلم : « الله أكبر » ، عن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : « صبحَّ النبى ــ ﷺ ــ خيبر وقد خرجوا بالمساحى[١٤] على أعناقهم ، فلما رأوه قالوا : هذا محمد والخميس ، فلجأوا إلى الحصن ، فرفع النبى ــ ﷺ ــ يديه وقال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »[١٥] .

ثالثا : التفريق بين العدو وحلفائه

● فى غزوة « الخندق » تجمعت قوى قريش ، والقبائل العربية الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين ، وحدث أن جاء نُعَيم بن مسعود الغطفانى (وكانت غطفان من القبائل التى انضمت إلى قريش فى التجمع المذكور) إلى رسول الله ــ ﷺ ــ وأخبره أنه أسلم ولا يعلم قومُه ، وطلب منه أن يأمره بما شاء ، فقال الرسول ــ ﷺ ــ: « إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

● فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها فى الوقيعة بين المتحالفين وفى إزالة الثقة فيما بينهم ، فقد ذهب نعيم إلى يهود بنى قريظة ــ وكان لهم نديما فى الجاهلية ــ فقال لهم : « قد عرفتم ودى إياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، به أموالكم وأبنـاؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وإن قريشا وغطفان إن رأوا نهزة (أى فرصة) وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلَّوْا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا . » قالت بنو قريظة : أشرت بالنصح ، ولست عندنا بمتهم .

---

(١٢) المرجع السابق ص٥٦٧

(١٣) المرجع السابق ص٢٢٤ ، ٧١٠ .

(١٤) المساحى : جمع مِسْحاة وهى المجرفة من الحديد التى يُسْحَى بها .

(١٥) الحديث : رواه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد .

● ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : « بلغنى أن قريظة ندموا (أى ندموا على نقضهم العهد مع النبى) ، وقد أرسلوا إلى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ؟ فأجابهم أن نعم .. فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا .. » وجاء نعيم غطفان فقال لهم : « أنتم أهلى وعشيرتى .. » وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

● أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فى ليلة سبت وطلبوا منهن الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذرت بأنها لا تقاتل يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأى هجوم .. قالت قريش وغطفان : « لقد صدق نعيم » ورفضوا طلب قريظة بإعطائها رهائن ، فقالت قريظة : « لقد صدق نعيم »(١٦) وهكذا كانت دعوة نعيم البارعة سببا فى تفرق جمع الأعداء .

رابعا : الحرب النفسية المضادة

● ومن صور الجهاد باللسان الرد على الحرب النفسية المعادية على النحو الذى يوقع الرهبة فى قلوب الأعداء ، ومن أمثلة ذلك أنه بعد غزوة « بدر » شعر اليهود بالخطر الداهم عليهم من قوة المسلمين وازدياد هيبتهم ، فأخذوا يكيدون للمسلمين ويشككون فى مبادىء دينهم وفى قيمة انتصارهم ، وجعلوا يتغامزون ويأتمرون بهم حتى فكروا أكثر من مرة فى اغتيال الرسول ـــ ﷺ ـــ

ولقد جعلت هذه المواقف الخبيثة من جانب اليهود وتصرفاتهم الملتوية الرسول ـــ ﷺ ـــ يحذر جانبهم ويتخذ المواقف الحاسمة معهم ، فأرسل إليهم فى أسلوب حازم تحذيرا قويا حتى يعودوا إلى رشدهم يقول فيه : « يامعشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم » .. فى هذه الرسالة الدعوة إلى الإيمان والصدق فى القول وفيها التحذير الشديد لمخالفة عهدهم معه ، والجزاء المنتظر لكل مخالف للدين الحق ، وهى تنطوى على التأثير النفسى الذى يلقى فى قلوبهم الرعب .

● وفى غزوة « الخندق » كتب أبو سفيان إلى الرسول ـــ ﷺ ـــ يقول : « باسمك اللهم ، فإنى أحلف باللات والعزى : لقد سرتُ إليك فى جمع وأنا أريد ألا أعود إليك أبدا حتى أستأصلكم ، فرأيتك كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق ، (وعند الواقدى : وجعلت مضايق وخنادق فليت شعرى من علمك هذا ؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم « أحد ») ولك منى يوم كيوم « أحد » تُبقَر فيه النساء . » وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجُشَمِىّ ، فقرأه على النبى ـــ ﷺ ـــ أبى بن كعب ، وكتب رسول الله ـــ ﷺ ـــ: « أما بعد ، فقد أتانى كتابك ، وقديما غرك بالله الغرور ، وأما ما ذكرت من أنك سرت إلينا (فى جمعكم) وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسِرُ فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل ، حتى أذكرك ، باسفيه بنى غالب »(١٧) .

---

(١٦) ابن هشام : المرجع السابق ص٢٢٩ .

(١٧) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد حـ٤ ص٥٥١ ـــ ٥٥٢ وانظر أيضا الواقدى ص٤٩٢ .

نساء مؤمنات

فى ميادين الشرف وساحات الجهاد

للأستاذ جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله كما علَّمَنا أن نحمد ، والصلاة والسلام على خير الخلق سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعدُ .

فإن ميدان الجهاد فى سبيل الله ـ سبحانه ـ هو محك الإيمان وأمارة التقوى ، فإذا ما دقت طبول الحرب ونادى المنادى : « يا خيل الله اركبى » ، وإذا ما حَمِىَ الوطيس واشتد البأس واحمرّت الحَدَق ظهرت حرارة الإيمان ، ونضحت على الوجوه سمات الإحسان ، خرجت أُسْدُ الله تزأر ، وليوث العقيدة تعدو ، فلا ترى إلا رجالًا ربّاهم محمد ـ ﷺ ـ قد قَلّموا أظافر الظلم ، وأخرسوا ألسنة الظالمين ، وحطموا أُتُون الطغيان .

وفى هذه السطور القليلة نبرز دور أولئك النسوة العفائف اللواتى سطّر التاريخ لهن مواقف شريفة ، نجلّى بها الغبار عن هذه الحقيقة التى غابت عن أذهان الناس اليوم شبابا وشيبا ، أو حاول أعداء الإسلام أن يجعلوها حبيسة كليمة فى زوايا النسيان ؛ أو رهن هوامش التاريخ . الأدهى أن المرأة المسلمة فى العصر الأغرّ عرفت ميدان الجهاد ، وأدركت حظها من شرف الاستشهاد وجلال الشهادة واستنشقت غبار المعارك واستنطقت رمال الصحراء .

ويمكن أن تقسم مراحل جهاد المرأة إلى مراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة ما قبل المعركة (وهى مرحلة الإعداد والتجهيز) .

(*) الكاتب : مدرس مساعد بقسم النحو/ كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

الثانية : مرحلة المعركة ذاتها حيث الضرب والطعن والنزال .

الثالثة : مرحلة ما بعد المعركة حيث المواساة والترضى .

● ● ●

أما المرحلة الأولى وهى مرحلة الإعداد والتجهيز ، وبناء (ترسانة) من المؤمنين الموحِّدين فقد طالعتنا السيرة المباركة أن المؤمنات قد آثرن الله ورسوله على ما سواهما ، وقد تمثل ذلك فى أمرين : الهجرة ، والبيعة وما أحاط بهما من تبعات استعدادًا ليوم نزال قريب ، وتهلُّ طلائع الهجرة ، فهذه زوج أبى سلمة الفارس المغوار الذى لا يُشَقّ له غبار ، لما أجمع زوجها على الخروج قال له أصهاره : هذه نفسك غلبْتَنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ، وأخذوا منه زوجته ، فغضب آل أبى سلمة لرَجُلِهِمْ ،

وقالوا : لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا ، وتجاذبوا الغُلام بينهم فخلعوا يده وذهبوا

به ، وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة ، فكانت أم سلمة بعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداه .. بالأبطح تبكى حتى تُمْسِى نحو سنةٍ ، فرقَّ لها أحد ذويها ، وقال ألا تخرجون من هذه المسكينة ؟ فَرَّقتم بينها وبين زوجها وولدها ، فقالوا لها : الحقى بزوجك إن شئت ، فاسترجعت ابنها من عَصَبَتِهِ ، وهاجرت إلى المدينة .

يالَهَا من مؤمنة غُرِس الإيمان فى سويداء قَلبها ، وارتكزت مشاعر الحب والولاء لله ورسوله فى حبات فؤادها فلا يهنأ لها بال حتى تتذوق حلاوة الجهاد ، ولذة الخطو فى سبيل الله ، فتقطع الفيافى وتعدّ حصباء الرمال وتكثر التسآل عن محلة محمد ــ ﷺ ، وتلحق بإخوانها فى العقيدة .

روى ابن سعد ــ فى طبقاته ــ عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : لما صدر السبعون من عند رسول الله ــ ﷺ ــ طابت نفسُه فقد جعل الله له منعةً وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وتعبَّثوا بهم ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى فشكا ذلك أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ واستأذنوه فى الهجرة ، فقال : قد أُخْبِرتُ بدار هجرتكم وهى يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها .

فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسَوْن ويخرجون ويخفون ذلك . فكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ أبو سلمة بن عبدالأسد ، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته بنت أبى حشمة ، فهى أول ظعينة قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسولُ الله ــ ﷺ ــ أرسالا فنزلوا على الأنصار فى دورهم فآووهم ونصروهم وآسَوْهم .

هذه رواية توضح أيضا كيف سايرت المرأة

الرجل فى الهجرة جنبا إلى جنب فى مرحلة الإعداد والتجهيز وفى تكوين جيش الإسلام الذى تصدى فيما بعد لمارد الكفر ، وكان العقبة الكؤود والصخرة التى تحطمت عليها ادرانُ الشرك وأعمدة الوثنية .

حتى إن بعض الروايات لتصف جهاد المرأة ومساندتها لحظة بلحظة فى هذه الفترة المحسوبة الحرجة فهى تشترك فى إعداد الرواحل التى امتطاها الأخْيَران « محمد ﷺ ــ ورفيقه الصِّدِّيق » حيث جهزتاهما أحسن جهاز وتعهدتاهما بالرعاية أربعة أشهر كوامل ، تِلكماهما : عائشة وأسماء أُكْرُومَتَا الْحَيَّيْن ، بل

تعدّى الأمر إلى أن شَقّت أسماء نطاقها شقين حيث اقتضت الضرورة ذلك على ما يَرْوى البخاريُّ .. فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها وربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين .

بل إن أسماء تلك ظلت على هذه الخدمة فى تهيئة الزاد وايصاله إلى الغار ثلاث ليال سويا ، تأتى مع الليل وهى فى أشهر الحمل ، فلتنظر : امرأة مهيضة الجناح تخترق جنح الليل البهيم وتشق غياهب الصحارى تحمل فى بطنها جنيناً وفوق رأسها زاداً تتكفأ فوق هضبة ، وتُقْذَف فوقها الرمال وتغوص قدماها بين طيات الأرض ويؤزها دوُّى الليل والوحدة كم بذلت تلك المرأة الحَصان ، وكم عانت من اغتيال نفس أو فتك حيوان هصور أو لدغ هامة أو ضياع الطريق .. إنها تضع رقابة الله بين عينيها ينطوى قلبها على أمل فى الله كبير .

كذلك هاجرت أم حبيبة بنت أبى سفيان مع زوجها إلى الحبشة الذى ارتد بعد ذلك وهلك وبقيت وحدها، هذه المرأة الكريمة كان أبوها زعيم مكة وصاحب القول فيها ، فتركته وآثرت الجهاد والهجرة إلى الله على البقاء فى كنفه .. وهو على الكفر ، ومن ثم كافأها رسول الله ــ ﷺ ــ بأن جعلها أمًّا لجميع المؤمنين فتزوجها إعزازًا لها ورفعا لقدرها ولم يتركها لمن يخدش حياءها أو يمسها بنت شفة . ويدلنا أيضا على كثرة من هاجرن مجاهدات فى سبيل الله للإعداد والتجهيز واضعات أرواحَهن على راحاتهن رخيصة فى سبيل سلعة الله الغالية ــ أن المسلمين عقيب صلح الحديبية أبوا أن يردوا النسوة المهاجرات بدينهن إلى أوليائهن ، وكانت وجهة نظرهم فى ذلك أن المعاهدة التى ابْرِمَتْ كانت تخص الرجال فقط أو خشية أن يضعف النسوة أمام ألوان الإهانة وصنوف العذاب والتصفية الجسدية وهو أمر محتمل ، فأقر القرآن الكريم رأى المسلمين وأيده شريطة أن يدفعوا لأزواجهن ما يعوضهم للزواج بأخريات إذا ظلوا على كفرهم ، يقول تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ
مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم
مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ
ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة الممتحنة

كما تمثل جهادهن فى أمر آخر هو بيعتهن لرسول الله ــ ﷺ ــ إذ أنه بعد أن استقرت الأوضاع بالمدينة نوعاً ما جاءت النسوة مجاهدات مبايعات ينضممن إلى ركب الإيمان ومواكب التوحيد ، يَضعْنَ حجرًا فى صرح الدولة المسلمة الناشئة ، فيبايعن النبى ــ ﷺ ــ ثانى يوم الفتح على (جبل الصفا) بعد ما فرغ من بيعة الرجال فى بيعة العقبة الأولى على ما يرويه البخارى ومسلم . وهكذا فى هذه المرحلة رأينا النساء ، وقد شاركن بقسط كبير فى الجهاد والإعداد وتمثل فى هجرتهن والتخطيط لهذه الهجرة ثم مبايعتهن لرسول الله ــ ﷺ ــ وبذلك كَثَّرْنَ سواد المسلمين وأسهمن فى وضع أساسات هذه الدولة (العقيدية[١]) التى تدين لسلطان الله وحده .

● ● ●

(١) العقيدية .

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة المعركة ذاتها واشتداد البأس فقد طالعتنا السيرة بصور كريمة لجهاد المرأة اتخذت ألوانا متعددة تبدأ :

بحث الأبناء والأزواج على التنافس فى ميدان الاستشهاد .

إلى السفر فى الغزوات إعفافا لأزواجهن وعونًا لهم .

إلى الاشتراك فى مناولة السهام والحراب وتضميد جراح الجند وغزل الشعر وصنع الطعام .

إلى حمل السلاح وامتشاق الخناجر والرماح والسيوف ، مما يمكن معه أن نقسمه إلى كتائب للخدمات الطبية ، وخطوط الإمداد ، وإذاعات لبث الحماس ورفع معنويات الجند ، وكتائب لتعزيز المواقع الحربية مما اقتضى أن يُسْهِم لهم رسول الله — ﷺ — كالرجال حتى إنه — ﷺ — دعا لهن بالبركة عندما جئن يعرضن الدخول بالسلاح والمشاركة فى النزال والطعن ، ونعطى هنا صورًا لمثل هذا التعاون الحميد الذى صدر عن نسوة كرائم .

ففى غزوة بنى المصطلق التى رواها البخارى ومسلم وابن إسحاق وابن هشام ، أدت النساء المسلمات الدور الكريم فى السفر مع أزواجهن فى الغزوات وهن على خير حشمة وعفة فَثَبَّتْ أقدام الرجال .

قسم آخر من النساء أظهرن طاقاتهن فى المعركة فكن كتيبة طبية فى المؤخرة حيث اسعاف الجرحى وتضميد الجراحات ، ففى غزوة خيبر حيث لقاء هؤلاء الشرذمة القليلين اليهود أذن رسول الله — ﷺ — لمن تطوعن من النساء أن يخرجن معه حتى إن الرسول — ﷺ — أعطاهن من الفيء الذى أفاءه الله عليه ، يروى ابن إسحاق يقول :

« شهد خيبر مع رسول الله — ﷺ — نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن رسول الله — ﷺ — (أعطاهن يسيرًا) ولم يضرب لهن بسهم ، غير أن هناك رواية الإمام أحمد تبرز هذه المهام التى أنيطت بالمرأة من مناولة السهام وسقى السَّوِيق (طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير يسوغ أكله) ومداواة الجرحى وغير ذلك — يروى الإمام أحمد فى مسنده عن حشرج بن زيادة عن جدته أم أبيه قالت : خرجنا مع رسول الله — ﷺ — فى غزاة خيبر وأنا سادسة ست نسوة ، قالت : فبلغ النبى — ﷺ — أن معه نساءً ، فأرسل إلينا فدعانا ، قالت : فرأينا فى وجهه الغضب ، قال : ما أخرجكن ؟ وبأمر مَنْ خرجتن ؟ قلنا : نناول السهام ونسقى السويق ومعنا دواء للجرحى ونغزل الشعر فنعين به فى سبيل الله . قال : فانصرفن ، قالت جدة حشرج : فلما فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهامًا كسهام الرجال فقلت : يا جدة : ما الذى أخرج لكن ؟ قالت : تمرًا .

على أن ابن كثير يرى أن الرسول — ﷺ — قد أعطاهن من التمرات كالرجال فقط ولكنه لم يسهم لهن فى الأرض نفسها كالرجال .

وهذه الرواية لابد من وقفة معها حيث إنها تثبت أولًا غضب رسول الله ثم تثبت آخرًا رضا رسول الله الذى تمثل فى الاسهام للنساء كما أسهم للرجال ، فلماذا غضب إذن ؟ إنه — ﷺ — لم يعرف بخروج النساء ، فاستدعاهن وسألهن سؤالين ما السبب فى إخراجكن ؟ ومن أمركن بالخروج ؟ أى أنه أراد أن يتحقق من الدوافع الحقيقية التى حملتهن على الخروج فى سبيل الله واللاتى أجبن عنها تفصيلا ، وتدخل تحت قدرة النساء وطاقتهن ، حتى لا يأخذن أمرًا يصعب عليهن تنفيذه ، أى يأتى ذلك فى إطار مناقشة القائد

بشأن توضيح المهام المنوطة بكل فرد حتى لا يختل الصف وتذهب ريحه ، ثم أمر آخر وهو أن خروجهن لم يكن من دخيلة أنفسهن ؛لأن الشرع يجعل الرجل قوامًا حتى لا ينفلت زمام الأمر فلما رشد الرسول وجهة هؤلاء النسوة ووقف على حقيقة الأمر وعلم الأمة المجاهدة التى تحمل الراية من بعدُ قال لهن : انصرفن يعنى لا غبار عليكن بل انصرفن مأمورات سدد الله خطاكن فيها ومن ثم رأينا رضاه المتمثل بعد ذلك فى الاسهام لهن ومماثلتهم بالمجاهدين من الرجال بعدما أطلعته على البرنامج القتالى الذى يُجِدنه وهو أنهن سيعملن كخطوط إمداد وكتيبة للخدمات الطبية وكتيبة تعزيز وتزويد بالأسلحة .

بل إن بعض النسوة فى هذه الغزاة أيضا قد استأذن رسول الله ﷺ ـ وأوضحن له منذ اللحظة الأولى المهام اللاتى يُحْسِنّها وتدخل تحت مقدورهن فرضى بذلك ودعا لهن بالبركة وتسديد الخُطا ، يروى أبو داود وأحمد وابن هشام أن نسوة من بنى غفار قلن : يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك فى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ نداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : « على بركة الله » .

كذلك تبرز رواية ابن إسحاق فى غزوة الخندق حث النساء لأبنائهن على الدخول فى القتال حيث كن يشتركن مع أولادهن فى الغزوة الواحدة ، وكذلك فى التمريض والتداوى ـ يروى ابن إسحاق أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب فمر سعد وعليه درع مقلصة خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرقل بها ، ويقول :

ليت قليلًا يشهد الهيجا حمل
لا بأس بالموت إذا حان الأجل !

فقالت له أمه : الحق يابنى فقد ـ والله ـ أخرت .

قالت عائشة : فقلت لها ياأم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى .

قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه فرمى سعد بن معاذ بسهم قطع منه الأكحل (وريد فى وسط الذراع) .. فنُقِل سعد إلى خيمة بالمسجد ، لتقوم على تمريضه إحدى المؤمنات الماهرات .

وفى هذه الغزوة كان يهودى قد خرج يطوف بحصن للمسلمين فنزلت إليه صفية بنت عبد المطلب فقتلته ، ولا غرو فهى أخت حمزة أسد الله وسيد الشهداء فى الجنة .

ويبدو أن غزوة خيبر هذه قد استجمع الإسلام لها كل إمكاناته ، واشتركت فيها المرأة بدور كبير وبألوان مختلفة ، فيروى ابن هشام انه فى هذه الغزوة خرج يهودى من حصون اليهود يدعى « مرحب » فنادى فى المسلمين : من يبارز ؟ وهو ينشد .

قد علمت خيبر أنى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرَّبُ
أطعن أحيانًا ، وحينا أُضْرَب
إذا الليوث أقبلت تُحَّربُ

فقيل : فتك به علىٌّ بن أبى طالب ، وقيل : بل قتله محمد بن مسلمة ، وكان محمود بن مسلمة أخوه قد أُلقِيَت عليه فى أثناء الحصار رحى فصرعتْه ، فثأر محمد له بقتل مرحب ، وبرز بعد مقتل مرحب أخوه ياسر فتصدى له الزبير ، وكانت صفية أم الزبير من بين النسوة اللاتى

خرجن مع الجيش معاونات فى قتال بنى إسرائيل ، فخشيت على ابنها أن يُقتل ، فقال لها النبى – ﷺ – : « بل ابنك يقتله إن شاء الله » ، فصرع الزبير ياسرًا .

وأبرز من ذلك إن المرأة فى غزوة حنين رفعت الخنجر ولمع السيف فى يديها إذ برزت وكأنها عشيقة السيف فى ذات الله ، وقد رأى منهن رسول الله – ﷺ – ما قُرت به عينه ، ورضى قلبه ، فروى الإمام أحمد فى مسنده فى غزوة « حنين » أن أبا طلحة – وهو من فرسان المسلمين المعدودين – لقى « أم سليم » ومعها خنجر ، فقال لها : ما هذا ؟ قالت : إن دنا منى بعض المشركين أبعج بطنه (أشقها فأخرج أحشاءه) ، فقال أبو طلحة لرسول الله – ﷺ – أما تسمع ما تقول أم سليم ؟ فضحك النبى ﷺ ، فقالت أم سليم : يارسول الله ، اقتل من بعدها من الطلقاء الذين انهزموا بك ! فقال : إن الله قد كفى وأحسن ياأم سليم .

ففى هذه المرحلة الثانية – كما رأينا – ظهر دور المرأة جليا .. فلم تكن المرأة سلبية جامدة مكتوفة الأيدى ، وإنما شاركت مشاركة ايجابية بلغت ذروتها فى ميدان الوغى وغبار المعارك حيث سنابك الخيل وصيحات الرجال .

كذلك برز دور المرأة فى الجهاد فى المرحلة الثالثة بعد أن وضعت الحروب أوزارها حيث تَفَقُّد النتائج والمواساة والترضى لم تظهر جزعًا أو يأسًا على قدر الله ولكن كان الرضى بالقضاء والفرحة بلقاء الله قد اكتحلت بها أعينهن .

فقد ورد أن الخنساء – رضى الله عنها – قد قتل أبناؤها الثلاثة شهداء على تراب المعركة ، وعندما زُفّ إليها نبأ استشهادهم واحدًا إثر أخيه ، ما كان منها إلا أن استحضرت مخ فؤادها مستمطرة فيوضات السماء ، يلهج قلبها قبل لسانها بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ثم قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأسأل الله أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .

وهذه أم خلّاد التى خلّد التاريخ ذكرها يموت ولدها فى ساحة القتال فيذهب القوم يعلمونها فغابت طويلا حتى تنتقب وتلبس ثيابها السابقة فاندهش القوم وغابوا فى تيه العجب ، إذ كيف ينتظرن حتى ترتدى هذه الثياب بما فيها من النقاب ، فردت قائلة : لئن رُزِئت فى ولدى فلن أُرْزَأ حيائى » .

أم تلك المرأة الأنصارية ذات القلب الكبير والعقل القدير – على مايروى البيهقى وابن إسحاق – : قد قتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد فقالت : لما أُخْبِرَتْ بذلك : ما فعل رسول الله – ﷺ – ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيرًا هو بحمد الله كما تحبين ، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله . أى كل مصيبة بعد سلامتك هينة ، فكان كل أملها فى الحياة أن ترى رسول الله – ﷺ – بارئًا لم تصبه شوكة .

تلك مُثُل خلّدهن التاريخ فى ميدان الشرف وساحات الوغى إذ عَلِمْن أنه لا يجتمع غبار الحروب ودخان جهنم ، وأبرزن ألوانا من البطولة المتفردة ظلت مدفونة تحت جدار التاريخ الإسلامى القائم إلى يوم القيامة ، ولا زالت وسائل إيضاح لكل ذى عينين .

فرحم الله نساء المؤمنين كفاء ما قدَّمْن من جهاد فى ميادين الشرف وساحات الجهاد وجعلن خير مُثُل لنساء اليوم يستلهمن طاقاتهن وتضحياتهن . فإن المرأة المسلمة مدرسة لو أُحْسِن إعدادها ، ويالها من طاقة لو أحسن استغلالها .

"إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً"

ويا ويل مثيري الفتن

للشيخ
أحمد بن محمد طاحون

الإسلام يدعونا إلى التساند ، والتآزر ، والتناصح ، والتعاون على جلب المنفعة ، ودفع المضرة ، والمؤاخاة بين أهل الإسلام أساس لاينبغى لنا التفريط فيه ، أو التهاون بشأنه ، فنحن أمة واحدة ، والمؤمنون إخوة . يحب كل منهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها .

والمعاونة على تحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة لكل الناس أمر يوجبه الدين على كل فرد ، فالمؤمن هو : من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، والمسلم : من كف عن الناس شر نفسه ، وسلم المسلمون من لسانه ويده ، وبهذه التربية العالية ، يعيش أهل الإسلام فى جو من الوئام والتعاطف والبر مما يجعلهم أهلاً للمكانة التى بينها كتاب الله عز وجل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١)

وفى قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢) .

وإن أوساط الناس هم : أعدلهم ، وأعقلهم ، وأنفعهم ، ومن سماتهم الشجاعة فى غير تهور ولا استخذاء ، والنجدة من غير بطش ولا عدوان ، والرحمة من غير ضعف ولا تخاذل ، والإحسان من غير افراط ولا تفريط ، ومن غير من ولارياء ، إن الأمة الوسط : هى الأمة التى تضع الأمور فى مواضعها الصحيحة ، وتصون الحقوق ، وتحفظ الحرمات ، ولا تهدر الكرامات ، وفيها يعيش الناس آمنين فى بيوتهم ، مطمئنين إلى عدالة الأقوياء منهم ، يؤدى كل واحد واجبه ، وينال حقوقه ، ويسعى بجهده للبناء والعمارة ، كل فيما يسر له .

وقد بصر الإسلام أهله بكل مايجنبهم أسباب الهلكة ، ودعاهم إلى الاحتماء من كل مايؤديهم إلى التنازع والفشل ، ويدفع بهم إلى الشرور وتفريق

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) البقرة : ١٤٣ .

القلوب ، وأسلم طريق أن يعتصموا دوما بطاعة الله ورسوله ، وأن يبادروا إلى رأب كل صدع ، وسد كل باب للتنازع والخلاف مما يفتح عليهم مسالك العداوة والبغضاء ، ويضعف شوكتهم ، ولنسمع الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾(٣) .

نهانا الله عن التنازع لأن ذلك يؤدى إلى إضعاف الأمة ، وذهاب ريحها : «وتذهب ريحكم» أى : تذهب قوتكم ودلولتكم ، وأطلق على الدولة ريح لشبهها بها فى نفوذ الأمر وتمشيه ، تقول العرب : هبت رياح فلان : إذا دالت له الدولة ، وجرى أمره على مايرغب ويريد ، وتقول : ذهبت رياحه إذا ولت عنه ، وأدبر أمره .

وقد حذر الرسول ـ ﷺ ـ أمته من أن يصيروا جماعات متنابذة ، وأهواء مختلفة ، ينازع بعضهم بعضا ، ويسفك بعضهم دم بعض فقال : «لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» وإن الذى يحمل السلاح من المسلمين على إخوانه فإنه ليس على طريقة نبينا محمد ـ ﷺ ـ وليس من حزبه المفلحين ، وفى الحديث الذى رواه أبو موسى وابن عمر : «من حمل علينا السلاح فليس منا» أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .

ياويل من يخوف المسلمين ويدفعهم إلى هجر وطنهم .

وياويل من يروع المسلمين ، ويدفعهم إلى هجر أوطانهم وبيوتهم ، ويشتت شملهم ، ويثير الخوف فى نفوسهم ، ولا يؤمن على أموالهم ولا على أعراضهم ، ويؤجج نار الفتنة ، ويقوده هواه ، ويشبع مطامعه ، ويستخدم القوة فى غير موضعها ، والله عز وجل يقول من سورة البقرة :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

أى : المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به ، ويروعه ويبدد أمته ويشتت شمله أشد على النفس من القتل ، يقول صاحب الكشاف فى التعليق على الآية الكريمة : جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن يتمنى عندها الموت ، ومنه قول القائل :

لقتل بحد السيف أهون موقعا

على النفس من قتل بحد فراق

● وفى تعليق البيضاوى يقول :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

أى : المحنة التى يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل ، لدوام تعبها وتألم النفس ، هذا بعض ما جاء فى معنى كون الفتنة أشد من القتل .

فى معنى الفتنة :

والفتنة : جمعها فتن ، وهى المحنة والشدة والعذاب وكل مكروه وآئل إليه : كالكفر ، والإثم ، والفضيحة ، والفجور ، والمصيبة وغيرها من المكروهات .

فإن كانت الفتنة من الله فهى على وجه الحكمة ، وإن كانت الفتنة من الإنسان بغير أمر الله فهى مذمومة ، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة ، كما فى قوله تعالى :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾

(٣) الأنفال : ٤٦ .

وأصلها من الفتن — بفتح أوله وسكون ثانيه — وهو كما قال الراغب : إدخال الذهب فى النار لتظهر جودته من رداءته ، يقال : فتن المعدن فتنا وفتونا : صهره فى النار ليختبره ، ويقال : فتنته النار : صهرته ، وقد استخدمت الفتنة فى معنى الابتلاء كما فى قوله تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٤)

وهذا على مقتضى الحكمة ليجزى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته ، كما استخدمت فى الإخراج من الوطن والديار ، وفى الحروب ، وفى تعذيب المرء ليحول عن رأيه ودينه ، وفى الشدائد ، وفى الاضطراب وبلبلة الأفكار ، وفى العذاب ، وفى الضلال ونحو ذلك مما يشتد وقعه على النفوس ويشق على الناس تحمله . وقد جاء فى الحكمة : إن كنت من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن .

التحذير من الخروج على الجماعة :

قد حذر الإسلام من الخروج على الجماعة ، وحث على لزوم الصف الواحد ، لأن الخروج على الجماعة من الفتن العامة الجالبة للشر الكثير مما يجب على المسلم أن يتجنبه ، إذ الضرر الذى يلحق جماعة المسلمين إثمه عظيم ، وعاقبته وخيمة ، وعلى الفرد أن يكون عونا على استتباب الأمر ووحدة الكلمة ، وتوجيه القوى نحو خير الأمة وأمنها وسلامتها وصيانتها من كل أسباب الفتن والهلكة .

تصوير الفتن بالظلام الشديد :

ومن معجزات الإسلام ما أشار إليه الرسول — ﷺ — من نشوء الفتن لأسباب متعددة مردها حب الدنيا ، وغلبة الأهواء والنزعات المريضة الشاذة ، ومما ورد من الآثار فى ذلك :

«وستكون فتن كقطع الليل المظلم» من حديث رواه على .

و«إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم» من حديث رواه أبو موسى وأخرجه أبو داود والترمذى .

وفى هذا التصوير تفظيع لأمر هذه الفتن التى تحير الناس ، وتقسو على نفوسهم ، فهى كطوائف الليل الشديدة الظلمة ، فيها الحيرة واضطراب النفس والفكر ، ومن حديث أبى حذيفة عند مسلم : «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً» أى : أن القلوب تحيط بها الفتن حتى تكون فيها كالمحصور والمحبوس ، يقال : حصره القوم ، إذا أحاطوا به وضيقوا عليه و«عوداً عوداً» أى مرة بعد مرة . فمن نجا منها وسلم له دينه وعرضه واستقامة مسلكه وفكره كان من السعداء ، ومن وقع فيها وشارك أرباب الهوى ، وفتنته الشبهات ، وأضلته الشهوات فياويله وياطول حسرته .

تنبيه الأمة لوقايتها :

ومن تحذيرات الرسول الحبيب — ﷺ — وتنبيهاته لأمته ليلزموا الجادة ، ويستقيموا على الصراط المستقيم ، ويقفوا لأرباب الفتن بالمرصاد ، حتى لا يتفرق الأمر ، وينتشر البغى والظلم ، ويتمادى أرباب الأهواء فى عتوهم : قوله فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم

---

(٤) الأنبياء : ٣٥ — أى : لأجل إظهار شكركم وصبركم ، نعاملكم معاملة المختبر بما تحبون ، وما تكرهون و«فتنة» مصدر مؤكد لـ «نبلوكم» من غير لفظة والمراد بها : الاختبار والابتلاء .

والترمذى : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم » .

وعند مسلم وأبى داود والنسائى من رواية عرفجة : « ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة ، وهى جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان ، وفى رواية : فاقتلوه » .

والهنات : جمع هنة وهى الخصلة من الشر دون الخير ، وجاء من حديث رواه معاوية ـ عند أبى داود ـ : « سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » .

والتجارى : من الجرى ، وهو الوقوع فى الأهواء الفاسدة والتداعى فيها على التشبيه بجرى الفرس .

والكلب ـ بفتح وسطه ـ داء معروف يعرض للكلب ، إذا عض إنساناً عرضت له أعراض رديئة فاسدة قاتلة ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى به هلك .

وفى هذا حث على الوقوف أمام أرباب الفتن والأهواء لدرء شرورهم وحماية الأمة منهم ، والمبادرة إلى حصر الشر والقضاء عليه قبل استفحاله لأن الهوى مرض قاتل ، وسم ناقع ، وداء يسرى إذا لم يوقف .

وقد أشار الرسول ـ ﷺ ـ فى بعض الأحاديث أنها « ستكون فتن » جمع فتنة والتعبير بالجمع يدل على فظاعة الأمر من ناحية وعلى حصول ذلك على فترات ، وفى تنبيه الأمة إلى ذلك ما يجعلها على بينة من أمرها ، فلا يخدعهم أرباب الأهواء ، والمضلون ، والعابثون ، والساعون فى الأرض بالفساد ونهب الأموال ، والعدوان على الأنفس والحرمات . وفى الحديث الذى أخرجه البخارى ورواه أبو هريرة :

« ستكون فتن : القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرّف لها تستشرفه ، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذبه » وفيه التحذير من الفتنة ، والحث على اجتناب مشاركة مثيريها وصانعيها فى أعمالهم ، إذ الواجب كف المبطلين ، ودحض شوكتهم ، وحماية الأمة من شرورهم ، ولا ينبغى لنا مساندتهم أو إظهار الميل لهم على حساب الحق ومصالح الأمة الإسلامية .

وقد مثل الرسول ـ ﷺ ـ طبقات المباشرين للفتنة فى أطوارها كلها ، وحسب أدوارهم فيها ، وبين أنهم درجات ، بعضهم فى ذلك أشد من بعض ، مثلهم بالقاعد ، والقائم ، والماشى ، والساعى الذى هو المدبر للفتنة والمهيىء لأسبابها ، ويليه الماشى الذى يحافظ على قيام أسبابها ، ثم القائم وهو المباشر لها المنفذ لأعمالها ، ثم القاعد أى : الذى يكون مع النظارة وله ميل نحوها ، ولا يشارك بفعل ، فتلك مراتبهم فى الشر والعياذ بالله . كما جاء ذم من لا يقع منه شىء ولكنه يرضى عن الفتنة فى رواية عند الاسماعيلى قال : « النائم فيها خير من اليقظان » وذم ـ أيضاً من يعلم بتفاصيلها ، ويتجنبها مع رضاه عنها كما عند أبى داود « والمضطجع فيها خير من الجالس فمن أراد سلامة دينه ونفسه فإنه لا يقبل الفتنة ولا يرضى عنها » .

وقد حث الرسول الحبيب ـ ﷺ ـ على اجتناب أسباب الفتنة وكراهة مثيريها ومدبريها وقوله : « من تشرف لها تستشرفه » أى : من تطلع لها جعلته مشرفاً على الهلاك ، فمن وجد منها ملجأ فليعتصم به سائلاً الله أن ينجى منها العباد .

ولولا الفتن ما علا على بنيان أمتنا بنيان ، وما استطال عليها قاصٍ ولا دانٍ .

فضيلة الذكر

محمد زين العابدين محمد العزازى

الذكر هو العمدة فى الطريق إلى الله عز وجل ، فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام ذكره ، وهو مأمور به وثابت بالأدلة الكثيرة ، يقول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [آية : ١٥٢]. يقول القرطبى فى تفسير هذه الآية أمر وجوابه ، وفيه معنى المجازاة فلذلك جزم ، وأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له ، وسُمِّىَ الذكرُ باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذكر القلبي غير إنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللسانى صار هو السابق للفهم .

ومعنى الآية : اذكرونى بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة ، قاله سعيد بن جبير وقال أيضاً الذكر طاعة الله فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن . قال السُّدِّى : ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله عز وجل لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمته ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب .

وقال ذو النون المصرى رحمه الله : من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شىء وحفظ الله عليه كل شىء . وكان له عوضاً عن كل شىء .

والأحاديث فى فضل الذكر وثوابه كثيرة خرجها الأئمة ، وروى ابن ماجة عن عبدالله بن بُسر أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأنبئنى منها بشىء أتشبث به .. قال : « لايزال لسانك رطباً من ذكر الله عز وجل » وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه » رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة . وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع . ثم تضرب به حتى ينقطع «رواه الطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن . وقال ﷺ : « من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل » رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس ، وهو عند الترمذى بلفظ « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

وقال ﷺ : « قال الله عز وجل : من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » رواه البيهقى فى الشعب والبزار فى المسند .

وفى كتاب « جامع الأصول فى الأولياء » أن الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالروح . فبالأول يتوصل إلى الثانى وبالثانى يتوصل إلى الثالث الذى هو الغاية القصوى وذكر اللسان مع غفلة القلب يسمى ذكر العادة وهو ذكر العوام ، وذكر باللسان مع حضور القلب يسمى ذكر العبادة ، وهو ذكر الخواص ، وذكر بجميع الجوارح والأعضاء ، ويسمى ذكر المحبة والمعرفة . وهو ذكر خواص الخواص . وقيل ذكر الله بالقلب سيف الخواص ، وذكره باللسان سيف العوام . وكان الشبلى رحمه الله يقول :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة
وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى
شهدتك موجودا بكل مكانى
فخاطبت موجودا بغير تكلم
ولاحظت معلوما بغير عيانى

ومن خصائص الذكر أن الله تعالى جعل فى مقابلته الذكر منه لقوله سبحانه : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فنجد أنه عز وجل لم يجعل ذكره لنا فى مقابلة شىء من العبادات غيره ، وهو أيضا من خصائص هذه الأمة ، ففى الخبر أن جبريل عليه

السلام قال لرسول الله ﷺ . إن الله يقول : أعطيت أمتك ما لم أعط أمة من الأمم فقال ما ذاك يا جبريل ؟ قال قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ .

والذكر الخفى لقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾
[آية ٢٠٥ من سورة الأعراف] .

ذلك لأنه يكون أخلص لله وأبعد عن الرياء وأكثر فائدة ، وأفيد ثمرة بالتجربة وأقوم وأسعد أجراً وذخراً وأتم درجة وأقرب زلفى وأكمل مقاماً وأذكى طهارة وأسرع نجاة وأسبغ رضا وأجزل معرفة وأبلغ وصلا . ولقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : « الذكر الذى لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا » أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن عائشة .

ومن خصائص الذكر أيضاً معية الله للعبد . فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : يقول الله عز وجل . أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى . إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعاً وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » ذكره الغزالى فى الإحياء .

وقال متفق عليه ومعناه . من جاهد نفسه قليلا فى خدمتى تقربت إليه برحمتى .

ويسرت عليه كثيراً من الطاعات بحلاوة ورغبة ورزقته لذة مناجاتى وحلاوة الأنس بذكرى . ومن فوائد الذكر .ان الذاكر يكون فى ظل الله تعالى يوم القيامة لأنه من جملة السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . ومنها نزول السكينة لقوله عليه الصلاة والسلام « مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملائكة ويذكرهم الله على عرشه » أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ومنها رفع درجات الذاكر لقوله عليه الصلاة والسلام « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم . قالوا وماذاك يا رسول الله ؟ قال ذكر الله عز وجل دائما » الحديث رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصحيح استاده من حديث أبى الدرداء قال القشيرى سمعت أبا على الدقاق رحمه الله يقول : الذكر منشور الولاية ومن سلب الذكر فقد عزل » وقال بعض الصالحين إذا أراد الله أن يوالى عبداً من عباده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب قربه ثم رفعه إلى مجالس الانس ثم اجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب ثم أدخله دار الفردانية فصار فى حفظه سبحانه من دعاوى نفسه ورعونات طبعه فعند ذلك تصبح له الولاية ويكون الحق وليه على التحقيق . ومنها انه سبب لطمأنينة القلب .. قال تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ قال ثابت البنانى رحمة الله تعالى : إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال : إذا ذكرته ، ومنها . انه يذهب القسوة من القلب . قال الحكيم الترمذى رحمه الله تعالى . ذكر الله يرطب القلب ويلينه . فإذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسا ويبس وامتنعت

الأعضاء عن الطاعة ومنها الفوز بمجالسة الحق تبارك وتعالى لقوله سبحانه فى الحديث القدسى : ﴿ أنا جليس من ذكرنى ﴾ وهذا أيضا من خصائصه فإنه تعالى لم يجعل نفسه جليسا لعبده فى شىء من الطاعات غير الذكر وخص مجالسة معنوية كما لا يخفى فوائد الذكر كثيرة لا تنحصر لأن الذاكر جليس الله تعالى وهل يعلم أحد ما يمنح الجليس جليسه .

لذا نجد أن المولى سبحانه وتعالى أمر به فى جملة من الآيات لما له من فضل عظيم وما فيه من خير عميم . فقال عز وجل : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [آية ١٠٣ من النساء] . وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آية ١٩١ من سورة آل عمران]. وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [آية ٢٠٥ من الأعراف] . وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [آية ٢٤ من سورة الكهف] .

وبالجملة . فالذكر أشرف العبادات وأفضلها وأعظمها من حيث تصفية القلوب وتحليتها وتزكية النفوس وتكميلها لأن العابدين لو اشتغلوا بجميع العبادات فى جميع أوقات الليل والنهار قلما تحصل لهم تصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم . وأما الذاكرون فلما اشتغلوا بذكر الله على الدوام يحصل لهم كثير من الأسرار . ذلك لأن الذكر عمل جامع لأحوال القلوب .

وأسرار القرب من مقامات اليقين ، ومشاهد الشهود . وهو حصن الله الأعظم ومن دخله كان آمناً من الآفات الظاهرة والباطنة .

أما الأحاديث فى فضل الذكر فكثيرة . ذكرنا بعضها ومنها ما رواه الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه ﷺ أنه قال :

« إن لله عز وجل ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى . أى شىء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك . فيقول الله تبارك وتعالى . وهل رأونى ؟

فيقولون لا . فيقول جل جلاله كيف لو رأونى . فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً فيقول لهم . من أى شىء يتعوذون .

فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها . فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل : وأى شىء يطلبون ؟ فيقولون الجنة . فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا . فيقول تعالى : فكيف لو رأوها : فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً . فيقول جل جلاله . إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم . فيقولون كان فيهم فلان لم يرد إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل . هم القوم لا يشقى جليسهم » .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ألسنتنا وقلوبنا رطبة ومطمئنة بذكره فى جميع أحوالنا إنه على كل شىء قدير وهو مولانا ونعم النصير .

الإسلام والمسلمون فى جمهوريات حوض نهر الفولجا «فى الاتحاد السوفيتى سابقا»

-٥-

للأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى (*)

١ ـ جمهورية باشكيريا : وتقع جنوب جبال أورال وتبلغ مساحتها ١٤٣,٦٠٠ كم مربع وتتوافر فيها الموارد الزراعية والمعدنية على حد سواء حيث خصوبة التربة ووفرة المياه كما يوجد بها الحديد والنحاس والنيكل والذهب والفضة . ويعود الباشكير فى أصولهم الأولى إلى العنصر التركى ويتكلمون لغة تمت بصلة إلى التركية ولكنهم اليوم يعرفون الروسية أيضاً .

وقد تم احتلال الروس لهذه المنطقة عام ٩٦٥هـ/١٥٥٧م فى عهد ايفيان الرهيب كما أسلفنا . وقام الباشكير بعدة ثورات ضد الحكم الروسى لكنها كانت تخمد بوحشية وكان أشهرها التى أطلقت عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣م . ومع هذا لم تفقد البلاد صبغتها الإسلامية حتى عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م إذ كانت تضم ١٠٠٠ مسجد و٦٢٢٠ مدرسة إسلامية[1] .

(*) أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر .

(١) البلدان الإسلامية ص ٧٣٦ .

وشارك الباشكير مشاركة فعالة فى النهضة العلمية والثقافية التى شهدها تتار الفولجا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل العشرين . وظهر منهم كثير من الكتاب والأدباء .

كما ظهر منهم كثير من الزعماء الذين كانوا ينادون أولا بالمساواة فى الحقوق مع الروس واعطاء الحريات الدينية والثقافية الكاملة وحق انشاء المدارس الخاصة بهم ووضع مناهجهـا الإسلامية كما كانوا يطالبون بمحاكمهم الشرعية .

وقد تطورت الدعوة بعد عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إلى ايجاد دولة إسلامية لجميع مسلمى الامبراطورية الروسية تكون لها ارتباطات بدولة روسيا .

وفى ثورة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م وقف البشكير أولا مع قوات روسيا البيضاء وأقاموا دولتهم بزعامة زكى والدى طوقان وحاربوا القوات البلشفية ولكن سرعان ما تبين لهم أن الأمير كوتشاى يرفض أن يعطى المسلمين أى نوع من الحريات الدينية والسياسية ، بينما كان لينين ينادى بالحريات الكاملة للمسلمين وبحقهم فى انشاء دولة مستقلة ـــ خداعاً وتضليلًا .

ولذا تحول زكى طوقان إلى صفــوف البولشفيك ووقع معاهدة مع لينين يتعهد فيها لينين بتأييد الدولة الإسلامية . ولكن سرعان ما غدر لينين بالمسلمين .. وفر زكى طوقان مع أعضاء حكومته إلى مناطق الثورة فى التركستان .

ومنذ عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م تحولت بشكيريا إلى جمهورية سوفيتية .. ومنذ ذلك الحين واجهت حرباً سافرة ضد الإسلام كما واجهته بقية المناطق . وكما يواجهه الآن المسلمون فى بورما وفى البوسنة والهرسك .

ويبلغ سكانها الآن قرابة خمسة ملايين ، ونسبة المسلمين بينهم تبلغ ٥٥ ٪ وذلك نتيجة لحركة الإبادة والتهجير والاستيطان الروسى ، وعاصمتها مدينة (أوفا) .

٢ ـــ جمهورية تتاريا :

وتقع غرب جمهورية بشكيريا فى شمال المجرى الأوسط لنهر الفولجا حيث تلتقى روافد هذا النهر ومساحتها ٦٨,٠٠٠ كيلو متر مربع وهى منطقة زراعية خصبة وقد حباها الله أيضا ثروة بترولية هائلة تنافس باكو الشهيرة مما جعلهم يطلقون عليها اسم باكو الجديدة .

ويبلغ عدد سكانها ٤,٥ مليون نسمة تربو نسبة المسلمين بينهم على ٦٥ ٪ وهم فى الأصل من أفراد القبيلة الذهبية وقد احتل الروس هذه المنطقة فى عهد ايفيان الرهيب . الذى أجلى سكان العاصمة (قازان) جميعاً ثم اضطر الروس لاعادتهم لتوقى تأثيرهم على القبائل التى مروا عليها أثناء رحيلهم إذ نشروا الإسلام بينهم ، على أن بقاءهم فى مدينتهم كان له أثره أيضا فى اسلام الداخلين إليها نظراً لما يبدو من تعاونهم الذى يؤثر فى كل من يراه وكان سكان قازان يرسلون أبناءهم إلى مدينة بخارى ليتلقوا العلوم الإسلامية فيها واستمر ذلك حتى سقطت بخارى فى أيدى الروس عام ١٠٣٢هـ/ ١٨٨٤م . وكانت قازان مركزا

لجامعة اسلامية ومطابع تخصصت فى طباعة المصاحف والكتب الدينية .

تتاريا والحكم الشيوعى :

وقد تابع الحكم الشيوعى السياسة القيصرية فى محاربة الإسلام فعلى أثر انشاء جمهورية تتارية سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م. حول ٧٠٠ مسجد إلى اصطبلات للخيول ، وقد كان فى قازان اثنا عشر مسجدا كبيرا زال معظمها من الوجود .. ولا تتوافر المعلومات الآن عن التتار مثل غيرهم من المسلمين الذين يعيشون تحت وطأة الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتي . (سابقا) وغيره .

٣ ــ جمهورية الجوفاش :

وتقع غرب جمهورية تتاريا بين نهر الفولجا الذى يجرى على حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذى يجرى من الجنوب إلى الشمال قريبا من حدودها الغربية . ومساحتها ١٨,٣٠٠ كيلومتر مربع وهى منطقة سهول تتخللها بعض التلال . وقد احتلها الروس عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م فى عهد ايفيان الرهيب أيضاً .

وقد ضغط الروس على أهلها ليتحولوا إلى المسيحية فتحولوا ظاهرياً إليها وحينا أظهروا إسلامهم فى عهد كاترين اشتد الضغط عليهم ولكنهم صمدوا وبقوا على إسلامهم رغم التنكيل بهم .

وعندما أعلنت الحرية الدينية عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م . أظهروا اسلامهم فى صورة جماعية أذهلت المراقبين وفاقت كل تصور إذ تحول أكثر من مليون شخص فى وقت واحد إلى الإسلام وقد أنشئت جمهوريتهم عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م .

وأصبحت عاصمتهم شبوقسار التى تقع فى شمال البلاد قريبا من نهر الفولجا .. ويسكنها ما يقرب من مليونى نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بين مجموع السكان حوالى ٥٨ ٪ .

وحالهم تحت الحكم الشيوعى والقيصرى كحال اخوانهم . محمر الحنبات .

٤ ــ جمهورية موردوف :

وتقع فى الجنوب الغربى من جمهوريه الجوفاش وهى أكثر المناطق الإسلامية امتداداً نحو الغرب وتشمل السفوح الشمالية لتلال بينزا .

وهى جمهورية صغيرة إذ تبلغ مساحتها ٢٥,٠٠٠ كيلو متر مربع .

ويزيد عدد سكانها عن المليون والربع مليون ، ونسبة المسلمين بينهم حوالى ٥٥ ٪ . قد احتلها الروس يوم احتلوا تتاريا والجوفاش فى عهد ايفيان . منذ ذلك الوقت فصاعداً توالى اضطهاد المسلمين وطردهم من بلادهم واحلال الروس محلهم . وقد تأسست جمهورية موردوف فى ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م وعاصمتها (سارانسك) .

٥ ــ جمهورية أومورت :

وتقع شمالى تتاريا ، وتشمل هضاب الأورال الغربية وتنبع منها بعض الأنهار التى ترفد نهر الفولجا ومساحتها ٤٢,١٠٠ كم مربع ويقدر عدد سكانها بمليون نسمة وقد كانوا من القبائل الوثنية مثل قبيلة الفن وقبيلة الفويتاك ، فلما حدث

الاحتكاك بينهم وبين التتار والبشكير الذين أجبرهم ايفيان الرهيب على الهجرة والتجوال كان من نتيجة هذا الاحتكاك أن تحول هؤلاء إلى الإسلام .

وجن جنون القياصرة لاسلام الادمورت ورفضوا أن يعترفوا لهم بذلك حتى فى عهد كاترين التى اشتهرت بتسامحها الدينى ولم يسمح لهم باقامة المساجد فكانوا يصلون فى بيوتهم .

وقد احتلها الروس عام ٩٦٨هـ/١٥٦٠م وحاولت فصل سكانها عن جيرانهم المسلمين وتابعها على ذلك الحكم الشيوعى ولكن برغم كل الحواجز تحقق اتصال سكان تلك البلاد بالمسلمين وتـــوالى الدخـــول فى الإســـلام فى عـام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م . وأقيـمت جمهـــوريتهم وعاصمتها ايجنسك وتصل نسبة المسلمين إلى ٦٠ ٪ من مجموع السكان .

٦ ــ جمهورية مارى :

وتقـع شمالى جمهوريتـى تتاريـا والجوفـاش واحتلها الروس فى عهد ايفيان وهى منطقة سهلية يمر نهر الفولجا من جنوبها ترفده فيها بعض الأنهار .

ويسكنها حوالى مليون نسمة ويتكلمون لغة خاصة بهم ونسبة المسلمين نحو ٥٢ ٪ وقـد واجهـوا الاضطهـاد والقهـــر حينما أظهـــروا اسلامهم ، واشتد الضغط أكثر من لينين حينما استتب له الأمر وقد أقامت لهم السلطات الروسية جمهورية خاصة بهم سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .

٧ ــ جمهورية شكالوف (أورنبرج) :

أورنّبرج منطقة عرفت باسم عاصمتها التى تقع على نهر أورال ، وهى مدينة ذات ماض اسلامى عظيم وترجع شهرتها إلى صناعة الكتب الدينية ولا سيما تاريخ التتار .

وقد أراد الروس باقامة هذه الجمهورية فى المنطقة الفصل بين مسلمى تركستان ومسلمى حوض الفولجا وقد غيروا اسم العاصمة فأضحت (شكالوف) وبالتالى أطلق هذا الاسم على البلاد كلها .. وتبلغ مساحة المنطقة ما يقـرب من ٨٥,٠٠٠كم مربع ، وهى تشتهر بثروتها الزراعية وبخاصة فى السهول وجبال أورال غنية بثروتها المعدنية .

وتقدر نسبة المسلمين إلى مجموع السكان فى البـلاد بنحـو ٥٣ ٪ ومـن مدنها المشهـــورة (أدرسك) بالإضافـة إلى العاصمـة شكالـوف (أدنبرج) وكلتا المدينتين تقعان على نهر ايـران نفسه ــ كما يمر بهما خط حديدى واحد .

والجدير بالذكر أن هذه الجمهوريات ليس لها من سلطات الجمهورية إلا الاسم وأما الواقع فهى بلديـات ومحافظـات لتنـظيم الشئـون الداخليـة والبلديات . وحتى هذه تخضع خضوعاً تاماً لأوامر الحزب الشيوعى[٢] . الذى ذهب إلى غير رجعة ..

ترى ... ما هو واجب المسلمين الآن وكيف يعود إليهم مجدهم وعزهم ؟

ألا أن الطريـق واضح .. والسبيـل معبـد ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

(٢) المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ص ١١٧ .

الإسلام والعالم والمسلمون

للباحثة : أسماء أبو بكر محمد(*)

إن التأمل فى ذاتيتنا الثقافية والبحث عما فيها من قيم إنسانية رفيعة أمر هام وحيوى يتطلبه منا العصر الذى نحياه بكل ظروفه وكل « مستجداته » .

لقد رفع الإسلام الحنيف من شأن الفرد اجتماعياً وعقلياً وروحياً ، وهو ارتفاع من شأنه أن يسمو بإنسانيته ؛ إذ حَرَّرَهُ من الشرك وعبادة القوى الطبيعية ، وأسقط عن كاهلِهِ نير الخرافات والشعوذات والأباطيل التى تعوقه عن المسيرة المثمرة ، وبدلًا من أن يشعر أنه مسخر لعوامل الطبيعة تتقاذفه ، كما تحب وتهوى به كما تريد ــ جعلها مسخرة له ، ذلولًا بين يديه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان ٢٠] .

ودعا الإسلام الإنسان فى كل زمان ، ومكان إلى أن يستخدم لمعرفة قوانين الطبيعة المحيطة به عقله وإمكاناته جميعاً ، كما أعده لحياة عقلية وروحية سامية ، وهيأه لحياة اجتماعية صالحة ، تقــوم ــ أساساً ــ على الخير والبر والحب والتعاون ، تعاون الرجل مع المرأة فى الأسرة الصالحة ، وتعاون الرجل مع أخيه ، وجاره ، وزميله فى المجتمع الرشيد الناضج .

(*) الكاتبة بدار الوثائق المصرية .

والقرآن الكريم ــ وحده ــ هو الذى قرر سمو الإنسان وفضله على سائر مخلوقات العالم المنظور . خلقه فى أحسن تقويم ، سَوِىَّ القوام ، كريم الصورة ، ووهبه من الخواص الذهنية ما يحول به كل عنصر من عناصر الطبيعة إلى خدمته ، وإلى صالحه ــ قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ .

[٧٠/ الإسراء] .

ويذكر القرآن الكريم فى أكثر من موضع أن الإنسان خليفة الله فى الأرض : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

[٣٠ / البقرة]

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

[١٤ / يونس]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾

[١٦٥ / الأنعام]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾

[٣٩ / فاطر]

فالانسان خليفة المولى ــ عز وجل ــ فى أرضه ، خلقه ليسودها وليعمرها ، ويرتفع بمستوى حياته فيها .

● ● ●

ولكى يؤدى الإنسان هذه المهمة المنوطة به ، ولكى يكون ــ فعلًا ــ خليفة الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى الأرض ليعمرها ويرتفع بشأنها ــ كان لابد أن يكون (حراً) .

(حراً) ــ فى ذاته ــ لا سلطان لإنسان عليه فى بدنه ، أو عقله فإذا ما خسر الإنسان الحرية ــ فى أى منهما ــ فهو الذى أسلم ــ بيديه ــ حقه ، وهو الذى استبدل الذل بالحرية ، و (الإمعة) بالرشد فصار إمعة ذليلًا .

ومن هنا قاوم الإسلام الرق الذى كان منتشراً بكل المجتمعات .

يمثل شكلًا اقتصادياً فى (مال) المجتمع .

ووظيفة حيوية فى خدمته .

وطبقية واضحة فى تركيبه .

وعالج الإسلام ذلك ، فشرع الوسائل التى تقلصه وتقضى عليه دون حقد أو تخريب ، وله فى ذلك وسائل :

عامة : فبيد الإمام أن يعفو عن الأسرى ــ من حرب شرعية ــ فلا يكون أحدهم رفيعاً وكذا فعل رسول الله ﷺ يوم الفتح ــ إذ قال ــ لأهل مكة : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وخاصة : ينجو بها أفراد المسلمين من إثم أخطاء قد عرفت بالكفارات إلى جانب ما أتاح من حرية عن طريق (المكاتبة) و(التدبير) وغيرهما .

وإنما كان ذلك من الإسلام حرصاً على حرية الناس .

وإذا كانت قضية الرق اتخذت للتشويش على الاسلام ، فحسبنا هنا أن نقول : إنما يستخدم أمرها بعيداً عن الدراسة الواعية والإنصاف .:.

ومتى كان الراغب فى التشهير الحاقد على الإسلام يبتغى نشر الحق ووضعه فى نصابه ..؟!!

ولقد يذكرنا هذا التشهير بما عليه المسلمون اليوم حيث يقول أعداء الإسلام .

لقد انتشر الإسلام بحد السيف .

وهاهم المسلمون اليوم : حالهم معروف ، ووضعهم ملموس .. والاسلام ينتشر .. فأية حرب تلك التى أدخلت الاسلام «اليابان» .. وأية حرب تلك التى دفعته إلى «جنوب افريقيا» .. أو إلى «البرازيل» .. أين هو السيف الذى فعل ..؟! أين السيف الذى حمل يابانيين أو ماليزيين على الاسلام ..؟

لكنهم يعمهون .. يحقدون .. عاجزون ..

والإسلام يسير ، يمضى وحده — حتى لف الأرض .. فهو موجود حيث حللت .. ثم هو الأسرع طلباً للسلام .. قال تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

[٦١ / الأنفال]

وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[٢٠٨ / البقرة]

وهذه تحية الإسلام : (السلام عليكم) ..

● ● ●

ثم هذه الحروب ضد المسلمين ..

هل المسلمون فى (الفلبين) قاموا بالاعتداء على مواطنيهم فاستحقوا حرباً منظمة ضدهم ؟!

وهل المسلمون فى (بلغاريا) أشعلوا حرباً فى مجتمعهم ؟!

وهل نسينا حملات المسئولين فى بلغاريا ضدهم : تجويعاً ، وقتلاً ، وتشريداً ، ومحواً لأسمائهم الإسلامية ؟!

وهل المسلمون أشعلوا الحرب فى البوسنه والهرسك ؟!

ألا لعنة الله على الظالمين ..

إن الإسلام دين السلام ، يريد أن ترفرف ألوية السلام على البشرية جمعاء ، فيظلها الحب والطمأنينة والأمان .. لقد أوجب الإسلام — على المسلمين — إذا اضطروا لخوض حرب :

«ألا يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة» و «ألا يفسدوا نباتاً» و يمحقوا عقيدة ، أو يعذبوا علماءها .. وهذا عهد رسول الله — ﷺ — لأهل نجران : ألا تمس كنائسهم أو معابدهم ، وأن تترك لهم الحرية فى معتقداتهم وعباداتهم .

وهذا أبو بكر ، وهذا عمر — رضى الله عنهما — عهودهما محفوظة فى تاريخنا الإسلامى[1] . هذا عهد عمر لأهل بيت المقدس فيه : إنه أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ..

وبعد :

فهذا عدل الإسلام ، وهذه شرعته ، وتلك حريته . لكل من عاشوا فى ظله مسلمين وغير مسلمين ، حفاظاً وخيراً لوحدة النوع الإنسانى .

وحدة يعمها العدل والأمن والرخاء والسلام .

والله تعالى ولى التوفيق ....

---

(١) راجع فى العهود :

انظر أمر نجران : البلاذرى — فتوح البلدان ٧٥ وما بعدها ، وتابع نجران بتاريخ الطبرى وابن الأثير . ب — د. محمد حميد الله — مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة .

الفتـــاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

السؤال من السيد/ ت.حـ.ف :

هل يجوز للدائن أن يشترط زيادة الدين مقابل منح المدين أجلًا للسداد أو مقابل هذا الأجل المتفق وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأنه لا يجوز شرعاً زيادة الدين مقابل منح المدين أجلًا للسداد أو مقابل الأجل المتفق عليه لأن هذا يعتبر رباً بل هو أشد أنواع الربا وهو المعروف بربا النسيئة المشهور فى الجاهلية وقد حرمه الله ..

والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد/ د.جـ.ف :

هل يصح شرعاً أن يبيع الأب لابنه ويستأجر منه ، ويبيع الابن لوالده ويستأجر منه ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه لا مانع شرعاً من أن يبيع الأب لابنه ويستأجر منه ، كما إنه لا مانع شرعاً من أن يبيع الابن لوالده أو يستأجر منه متى توفرت شروط البيع الصحيحة والإجازة . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد/ د.ع.خ :

متى يكون للبطاطس نصاب ؟

وما هذا النصاب ؟

وكيف يمكن اخراج الزكاة ؟

وهل تخرج زكاتها بعد خصم المصاريف والتكاليف ؟

الجــواب :

فى مذهب الإمام أبى حنيفة يزكى الخارج من الأرض مثل الحنطة والشعير والأرز وأصناف الحبوب والبقول والرياحين والورد وقصب السكر والبطيخ والقثاء والخيار والباذنجان والتمر والعنب وتقاس البطاطس على ما سبق ذكره مثل الباذنجان وعند أبى حنيفة لا يشترط فى زكاة الخارج من الأرض حول ولا نصاب وتجب الزكاة فى جميع الخارج بدون أن تخصم النفقات وتخرج زكاة الخضر عند قطعها أو اخراجها من الأرض ومقدار الزكاة العشر إن سقيت الأرض بالراحة ونصف العشر إن سقيت بالآلات ويخرج العشر أو نصفه من الثمن إن باعه ومن القيمة إن لم يبعه .. وعند المذاهب الثلاثة فيشترطون فى زكاة الزروع والثمار أن تكون مما يقتات ويدخر ويبلغ نصابا وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعا .

وعليه فالبطاطس فيها زكاة عند أبى حنيفة ولا زكاة فيها عند الجمهور ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال إذا الحال كما ذكر والله أعلم .

السؤال من السيد/ أ.س. أنور على :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ــ إنى أملك ½ كيلو جرام من الذهب . فهل تجب فيه الزكاة ؟ وما مقدارها ؟

ــ زوجة بعد بضع أعوام من زواجها تكره زوجها وتطلب الطلاق ولكن زوجها لا يوافق هل يحق لتلك الزوجة أن تطلب الطلاق من زوجها ؟

الجــواب :

١ ــ نصف الكيلو من الذهب تجب فيه الزكاة متى حال عليه الحول . وهو يفى بنصاب الذهب ويزيد .

٢ ــ على الزوجة أن ترد على الزوج ما أخذته منه لأجل الزواج ، وتبرئه بحيث لا يكون لها عليه مؤجل صداق ولا متعة ولا نفقة ولا أى شىء .. والعصمة بيد الزوج وحيث فركته وكرهت الحياة معه فخير له أن يطلقها على هذا الأساس .

والله أعلم

السؤال من السيد/ س.ع :

توفى رجل عن زوجتين ، أم ، ثلاثة ذكور ، بنتين وترك المتوفى بعض العقارات والأملاك وعليه بعض الديون قيمة أقساط على الأراضى . فقام الابن الأكبر بدفع الأقساط التى كانت على والده . فمن يرث وما نصيبه وهل يحق للابن الأكبر الذى دفع الأقساط أن يأخذها اليوم بزيادة أم يأخذ ما دفعه فقط وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .. أما بعد فنفيد بأن كل ما تركه المتوفى من عقارات وأملاك تعد تركة يخرج منها الدين أولا والباق يكون للزوجتين الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث يقسم بينهما بالتساوى ولأمه السدس فرضا لوجود الفرع الوارث أيضا والباق لأولاده الثلاثة الذكور والبنتين الأحياء تعصما يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

أما الدين الذى دفعه الابن الذى كان على والده نتيجة أقساط فإنه يحق للابن أخذ ما دفعه . دون زيادة فإذا طالب بزيادة عن الدين الذى دفعه فإن هذه الزيادة تكون ربا شرعاً والربا محرم بالكتاب والسنة والله تعالى أعلم ..

السؤال مقدم من السيد/ م.ع.ع :

توفى عن زوجة وأولاد من زوجتين . توفيت إحدى الزوجتين قبل وفاة زوجها . فهل لأولادها حق فى المطالبة بنصيب لأمهم التى توفيت قبل زوجها . ومن يرث وما نصيبهم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن الزوجة التى توفيت قبل وفاة زوجها لا ميراث لها فيه ، وليس من حق أولادها المطالبة لها بأى نصيب .

وتوزع تركة المتوفى على النحو الآتى :

للزوجة الموجودة على قيد الحياة وقت وفاة زوجها الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباق للأولاد من الزوجتين تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. هذا اذا كان الحال كما ذكر فى السؤال .. والله أعلم .

العلوم الكونية

- الإنسان ومشكلات التلوّث البيئى
- الأشعة فوق البنفسجية
- مرض الايدز
- أخبار العلم والتقنية

الإنسان ومشكلات التلوث البيئى

أ.د. أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(1) .

« صدق الله العظيم »

تحدثنا فى العدد السابق عن مؤتمر « قمة الأرض » الذى شهدته المدينة البرازيلية « ريو دى جانيرو » على مدى أسبوعين من شهر يونيو الماضى للنظر فى مشكلات تلوث البيئة وأخطارها التى تنذر بكوارث كبرى وتهدد سلامة الإنسان وحياته . وقدمنا فى هذا الاطار تعريفاً علمياً لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا لمشكلتىْ التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى بشىء من التفصيل ، ونواصل الموضوع فى هذا المقال بالحديث عن التلوث الكيميائى وآثاره الضارة التى تصيب الحرث والنسل .

٣ ـ التلوث الكيميائى :

يطلق اسم التلوث الكيميائى على التلوث البيئى الذى تسببه العناصر والمواد الكيميائية إذا لم يحسن استخدامها بالقدر المطلوب فى مكانها وزمانها المناسبين ، أو إذا ألقيت فى المجارى المائية مع المخلفات والنفايات الصناعية . ويشمل هذا النوع من الملوّثات بعض المواد الكيميائية التى يتم تصنيعها لأغراض خاصة ، بالاضافة إلى الفلزات الثقيلة ، والمنظفات الصناعية ، والمبيدات والأسمدة الزراعية الكيميائية ، والغازات المتصاعدة من المصانع والبراكين والطائرات ، والبترول ومشتقاته ، والعناصر المشعَّة الناتجة عن التفجيرات النووية ومنشآت انتاج الطاقة ، وقد ظهرت الآثار الضارة لهذا النوع من التلوث بوضوح منذ أواسط القرن الحالى نتيجة أخذ كثير من الدول بأساليب التقنية الحديثة فى كل مجال ، وخاصة فى مجال الصناعات الكيميائية التى لم تفلح أساليب الوقاية فى منع آثارها الضارة أن تمتد لتشمل البر والبحر والجو والغذاء والدواء ، فلم يسلم منها إنسان أو حيوان أو نبات يحيا على كوكب الأرض .

(أ) التلوث بالمبيدات :

ولتوضيح بعض جوانب المشكلات البيئة الناتجة عن الملوثات الكيميائية نذكر على سبيل المثال آثار الاستخدام المفرط لمبيدات الآفات التى

(١) سورة الروم : ٤١ .

ينتسب أغلبها إلى مجموعة المركّبات العضوية المحتوية على الهالوجين ، وفى مقدمتها مركّب د.د.ت (D.D.T) الذى بدأ استعماله خلال الحرب العالمية الثانية كمبيد حشرى شديد الفعالية ولا يزال من أكثر المبيدات شهرة وانتشاراً فى كثير من البلاد حتى الآن[٢] . فقد أصبحت أخطار تراكم هذه المبيدات فى البيئة معروفة ومؤكدة بالنسبة للإنسان والحيوانات ، سواء عن طريق تأثيرها السام مباشرة أو عن طريق تركيزها فى السلاسل الغذائية (Food Chains) ، خاصة وأن هذه المبيدات تتميز بشدة ثباتها ، ويبقى أثرها فى البيئة زمناً طويلًا بعد استعمالها ، ومن الأمثلة على ذلك ما أثبتته التجارب المعملية من وجود بقايا ليست قليلة من مبيد د.د.ت. ومن مركبات الكلور أو الفوسفور العضوية فى قشرة الجزر وفى نخالة القمح وغيرهما من المحاصيل الزراعية التى سبق رشّها بكميات كبيرة من هذه المبيدات ، وهى تصل إلى الإنسان مباشرة أو بطريقة غير مباشرة عبر الحيوانات التى يأكل لحومها ويشرب ألبانها .

ولا تعمل هذه المبيدات كملوثات للتربة فقط ، ولكنها تنتشر فى كل مكان مع دورة الهواء والماء ، وتنتقل آثارها إلى أماكن نائية لم تستعمل أبداً فيها ، على غرار ما تم من اكتشاف وجود آثار من مركب د.د.ت. فى الجليد المغطى للقارة القطبية الجنوبية ، ويقال أن هناك نسبة ما من هذا المبيد فى جسم كل إنسان على سطح الأرض ، كما تبيّن أن لبن ثدى بعض الأمهات يحتوى على تركيز طفيف من هذا المبيد ، واتضح من التجارب العديدة التى أجريت على حيوانات التجارب أن التعرض لتركيز زائد من هذا المبيد يؤدى إلى عدة أمراض مثل حدوث بعض الاضطرابات فى وظائف المعدة والكبد ، وفقدان الذاكرة ، وبعض مظاهر التبلّد والخمول ، وقد يؤدى أيضاً إلى تدمير العناصر الوراثية فى الخلايا وتكوين أجنّة مشوّهة .

(ب) التلوث بالأسمدة الزراعية :

تستخدم الزراعة الحديثة كميات متزايدة من الأسمدة الكيميائية التى تحتوى على مركبات النترات والفوسفات لتعويض التربة عن العناصر الغذائية التى يستهلكها النبات . وكثيراً ما يلجأ المزارعون إلى استخدام الأسمدة ، لا سيما الآزوتية منها ، بكميات أكبر من اللازم بهدف الحصول على أعلى مردود ممكن من المحاصيل ، إلا أنه من الثابت علمياً أن المردود يصبح ثابتاً بعد كمية معينة من الأسمدة ، والباقى يظل مصدراً للتلوث فى التربة ، حيث تأخذه مياه الأمطار معها إلى المياه الجوفية والبحيرات ، أو تمتصه بعض أنواع النباتات وتختزنه فى أنسجتها . وإذا كان الإسراف فى استخدام هذه المخصبات الزراعية لا مبرر له من الناحية الاقتصادية أيضاً ، فإنه فضلًا عن ذلك يؤدى إلى الإضرار بعناصر البيئة المحيطة بالتربة وينعكس مباشرة على نمو النبات وتركيب الثمار .

فقد أدى استخدام كميات كبيرة من

---

(٢) الإسم العلمى لمركب د.د.ت. هو « بارا ــ ثنائى كلورو ثنائى فينيل ثلاثى كلورلاو إيثان » أو (P- Dichloro Diphenyl Trichloro- Ethan) D.D.T. وهناك مبيدات أخرى تحتوى على الكلور ، مثل اللندان (Lindane) والكلوردان (Chlordane) وغيرهما مما يستخدم فى كثير من الدول لمكافحة الآفات الزراعية .

الفوسفات فى أحد الحقول إلى ترسيب آثار فلز النحاس الضئيلة فى التربة ، وترتب على ذلك أن ثمار الطماطم التى نمت فى هذا الحقل جاءت خالية من الصبغة الحمراء المميزة لها ، وأصبح لونها مائلا إلى الصفرة . كما لوحظ أن استعمال كميات كبيرة من الأسمدة «البوتاسية» يؤدى إلى نقص فى المنجنيز ، ويعتقد أن اخلال التـوازن بين البوتاسيوم والمنجنيز من بين مسببات مرض السرطان . ولوحظ أيضاً أن احتواء النباتات للفيتامين ب٢ (B_2) والبقوليات للحموضة الأمينية الأساسية يتناقص بسبب الإسراف فى اضافة الأسمدة الأزوتية للتربة . ومن المعروف أن «النترات» إذا ما وصلت إلى جسم الإنسان أو الحيوان فى طعام أو شراب فإنها تُختزل إلى «النتريت» فى جسم الإنسان أو الحيوان تُغيِّر من طبيعة الدم إلى حدٍّ ما وتمنعه من القيام بوظيفته الرئيسية الخاصة بنقل الأكسجين من الرئتين إلى جميع خلايا الجسم[٣].

(جـ) التلوث بالفلزات الثقيلة :

من المعروف أن الفلزات الثقيلة مثل الزئبق والرصاص والزرنيخ والكادميوم تمثل مجموعة من المواد الكيميائية التى تتصف بثباتها النسبى وتأثيرها السَّامّ وقدرتها على التراكم فى الأنسجة الحيَّة . والتلوث بهذه الفلزات تسببه بعض المنشآت الصناعية التى تلقى بمخلفاتها مع مياه الصرف الصناعى إلى مياه الأنهار والبحيرات ، كما تسببه بعض المبيدات الفطرية الحاوية على الزئبق والمستخدمة فى مكافحة الآفات الزراعية . وقد لوحظ كذلك أن المنشآت الصناعية التى تستخدم طرائق التحليل الكهربائى ، وتوجد فى خلاياها الكهربائية أقطاب من الزئبق ، مثل المصانع التى تنتج غاز الكلور وهيدروكسيد الصوديوم ، تحتوى مخلّفاتها على قدر ضئيل من فلز الزئبق التى يتسرب من خلايا التحليل الكهربائى إلى مياه الصرف .

وتكمن خطورة هذا النوع من الملوثات على حيـاة الإنسان فى إنها تحدث تأثيراتها الضارة بتركيزات ضئيلة جداً . فقد حددت هيئة الصحة العالمية الحد الأقصى لكمية الزئبق التى قد تدخل جسم الإنسان بما لا يزيد عن ٠,٣ ميلليجرام فى الأسبوع . لكن التحاليل الدقيقة التى أجريت على مياه بعض البحيرات فى أماكن مختلفة من العالم أثبتت أنها تحتوى على تركيزات عالية من فلز الزئبق ، واتضح أن بعض الكائنات الحية ـــ مثل الأسماك ـــ التى تعيش فى مثل هذه البيئة الملوثة تقوم بتركيز هذا الفلز الذى تلتقطه مع غذائها فى جسمها على هيئة مركب عضوى يعرف باسم «ثنائى فنيل الزئبق» . ومثل هذه الأسماك لا تصلح بأى حال للاستهلاك الآدمى مهما كانت ضآلة كمية الفلزات الثقيلة الموجودة فى المياه ، ذلك لأن عملية التسلسل الغذائى التى تحدثنا عنها سالفاً تأخذ مجراها الطبيعى أثناء دورة الغذاء الطبيعية من النبات والمواد العالقة إلى القشريات ، ومنها إلى الأسماك والطيور ، وأخيراً إلى الإنسان .

(٣) يتكون «أيون النترات» من ذرة نيتروجين وثلاث ذرات أكسجين ، وهو يحتاج إلى قدر من الطاقة لكى يتحول تحت ظروف خاصة إلى «أيون النتريت» المكون من ذرة نيتروجين وذرتين أكسجين والذى يتميز بنشاط كيميائى ملحوظ وقدرة على التفاعل والاتحاد بكثير من المواد .

ولم تسلم المناطق القطبية من التأثر بهذا النوع من الملوثات رغم بعدها الشاسع عن المناطق الصناعية التى تنتجها ، ودل على هذا وجود نسبة ملحوظة من فلز الزئبق فى أجسام كل من الدب القطبى وطائر البنجوين ، ولم يجد العلماء تفسيراً لهذه الظاهرة الغريبة إلا على أساس سلسلة الغذاء التى تبدأ بامتصاص الطحالب لفلز الزئبق من الماء ، وتمر بالقشريات التى تتغذى على هذه الطحالب ، ثم بالأسماك التى تتغذى على هذه القشريات ، وتنتهى بحيوانات الدب القطبى أو طيور البنجوين التى تتغذى بهذه الأسماك الملوثة ، ويصحب كل حلقة من حلقات هذه السلسلة زيادة فى تركيز الزئبق تبلغ حد الخطر فى أجسام الحيوانات التى تقع فى نهاية سلسلة الغذاء .

ويتسبب التسمّم بالفلزات الثقيلة فى حدوث أمراض معروفة ذات أعراض مميزة ، ففى حالات التسمم الخفيفة بالزئبق يشعر المريض بصداع ودوار ويعتريه إحساس عام بالتعب والارهاق ، أما حالات التسمم الشديدة فتؤدى إلى تلف الكلى وحدوث اضطرابات شديدة فى الجهاز الهضمى ، ثم ينتهى الأمر بحدوث الوفاة ، ويعرف مرض التسمم الزئبقى باسم « ميناماتا » (Minamata) . والتلوث بالكادميوم يؤدى إلى تلف الكبد وارتفاع ضغط الدم ، بينما يؤدى الزرنيخ إلى حالة من التسمم العام الذى يفضى إلى الوفاة .

(د) ملوِّثات كيميائية أخرى :

هناك مجموعات أخرى من المواد الكيميائية التى تسبب تلوثاً شديداً للبيئة وتبقى آثارها الضارة قائمة لفترات طويلة . فالمنظفات الصناعية الثابتة التى تحتوى فى تركيبها على مادة « الفوسفات » تعمل على زيادة نسبة مركبات « الفوسفور » فى المجارى المائية وتعجِّل بوصولها إلى حالة التشبع الغذائى وتحولها إلى مستنقعات .

ومركبات « ثنائى الفنيل عديدة الكلور » **(Polychlorinates Biphnyls)** المعروفة باسم « بى.سى.بى. » (P.C.B) التى يصنعها الخبراء على رأس قائمة المواد السامة التى توجد بالمخلفات الصناعية فى الدول المتقدمة كانت تستعمل منذ عام ١٩٢٩ فى صناعة المحوّلات والمكثفات الكهربائية بسبب قدرتها العالية على العزل الكهربى وتحمّلها للحرارة العالية ، ثم استعملت بعد ذلك كمواد ملونة فى صناعة اللدائن ، وكمواد مضادة للفطريات فى صناعة الطلاء ، وكمواد مخففة فى صناعة بعض المبيدات الحشرية ، وفى أغراض التغليف وصناعة بعض المنظفات الصناعية . ومادة « بولى فاينيل كلوريد » (Poly Vinyl Chloride) المعروفة باسم « بى.ڤى.سى » (P.V.C.) ، التى يتم تصنيعها بكميات كبيرة تصل إلى نحو عشرة ملايين طن فى العام وتستخدم فى صناعة كثير من الأدوات المنزلية وبعض أجزاء صناعة الأغذية والعبوات ، وتحتوى دائماً على نسبة ضئيلة من « كلوريد الفاينيل » السام . ومركبات الدايوكسين (Dioxine) ، التى تتكون أثناء تصنيع بعض مبيدات الأعشاب ، وقد تتكون كنواتج ثانوية فى عمليات تصنيع بعض المواد المطهِّرة ، تعتبر من

أخطر المواد الملوثة للبيئة ومن أشدها خطراً ، وتبلغ سرعة مفعولها السام حدًّا مشابهاً لغازات الأعصاب ، ووجد أنها قد تؤدى فى بعض حالات التلوث الخفيف إلى بعض الالتهابات الجلدية ، وقد تؤدى إلى اصابة بعض الأنسجة الرخوة بأورام خبيثة ، وقد تحدث الوفاة .

وهناك مركبات «كلورو فلوريد الكربون» التى أثبتت أجهزة الأرصاد الحديثة مسئوليتها ولو جزئيا ، عن تدمير طبقة الأوزون فى الغلاف الجوى . فهذه المركبات التى تم تحضيرها لأول مرة فى عام ١٩٢٨م . تستخدم فى عمليات التبريد بواسطة الثلاجات ومكيفات الهواء ، وفى عمليات دفع الهواء الجوى لتنظيف القطع الألكترونية ، وفى صناعات مرذاذات (بخّاخات) الغازات والأبخرة المضغوطة فى وعــاء كما هى الحال فى بعض زجاجات العطور وعبّوات «الايـــروسول» وغيرها .

كما أن هذه المركبات لاتزال لها تطبيقات واسعة فى عمل الاسفنج الصناعى وأوعية التعبئة والتغليف المصنوعة من «البوليستيرين» لحفظ الأطعمة . ومما شجّع على استخدام هذه المركبات اعتبارها من الكيميائيات الصناعية المثالية لأنها غير سامّة وغير قابلة للاشتعال ولها درجة ثبات كبيرة . لكن التجارب العلمية أثبتت أخيراً أن خمول هذه المواد هو السبب الرئيسى فى خطورتها بالنسبة لتآكل طبقة الأوزون ، حيث انها تبقى سليمة ومتماسكة لمدة تتراوح بين خمسين ومائة عام حتى تصل ببطء إلى منطقة أعلى تركيز لغاز الأوزون ، على ارتفاع حوالى ثلاثين كيلومترا فوق سطح الأرض ، وتصبح عندئذ عرضة للأشعة فوق البنفسجية التى تحطم جزيئاتها المستقرة بطريقة خاصة وتحولها إلى أشكال أكثر فعالية مثل غاز الكلور وغاز أول أكسيد الكلور اللذين يقومان بدور الوسيط فى عملية استنزاف الأوزون . وقد أظهرت الحسابات أن كل ذرة كلور تنطلق في هذه العملية تساعد على إفناء مائة ألف جزىء من الأوزون .

وهناك تفاعلات كيميائية أخرى تتم فى الغلاف الجوى بسبب وجود المواد والغازات الملوثة التى تنفثها المصانع وآلات الاحتراق بكميات كبيرة وينتج عنها زيادة نسبة الحموضة فيما يتكون فى الجو من سحاب وضباب وثلج وَبَرَدْ ، ثم يسقط بعد ذلك فى أماكن متفرقة من العالم على هيئة أمطار ورواسب حمضية تهدد كل مظاهر الحياة فى النظم البيئية المكوِّنة لغلاف الأرض الحيوى .

إن هذه الأمثلة ، وغيرها كثير جداً ، تدلّنا على طبيعة الحرب التى شنّها الإنسان على نفسه دون أن يدرى فى غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية ، فهى حرب ضد الحياة على كوكب الأرض ، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذى يسعى جاهداً لأن يكسبها !! وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٤) .

(٤) سورة يونس : ٤٤ .

الأشعة فوق البنفسجية

للأستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن سلامة*

تقع الأشعة فوق البنفسجية فى مرتبة الطيف الكهرومغناطيسى بعد نهاية الأشعة البنفسجية عند طرف الضوء المرئى ، وتعتبر الشمس ، المصدر الطبيعى لهذه الأشعة ، حيث تعتبر الشمس جسما أسودا مثاليا شديد السخونة لدرجة الإحمرار ، ويشع إشعاعات ذات مدى واسع من الأطوال الموجية . إن المدى الواسع والشدة النسبية المرتفعة للأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس تعتبر نتيجة لكل من ارتفاع درجة الحرارة وكبر حجم الشمس ذاتها لذا فإن الشدة النسبية لهذه الأشعة إذا وصلت إلى سطح الأرض فإنها من المحتمل أن تكون قاتلة لجميع الكائنات الحية التى تعيش عليها . وقد تجلت قدرة الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ فى إحاطة كوكب الأرض بغلاف واق هو الغلاف الجوى حماية لهذا الكوكب .

وقد وجد أن الشدة النسبية ــ لكل من الأشعة البنفسجية والإشعاع المرئى ــ التى تصل إلى الأرض تعتمد إلى حد كبير على مقدار ما يحتجزه الغلاف الجوى من هذه الإشعاعات نتيجة للامتصاص أو التشتت . وقد وجد أنه تحت أطوال موجية تصل إلى (٣٢٠ نانوميتر)[١] ، فإن شدة الأشعة فوق البنفسجية تنخفض بدرجة كبيرة نتيجة لامتصاص غاز الأوزون لها فى طبقة «الأستراتوسفير» ، وبالتالى فإنه لا يوجد إشعاعات ذات أطوال موجية أقل من (٢٨٨ نانوميتر) يمكن أن تصل من الفضاء الخارجى إلى سطح الأرض . ومن ثم فإن التأثيرات البيولوجية للإشعاع الشمسى الذى يصل إلى سطح الأرض ينحصر فقط فى الأطوال الموجية الموجودة فى نهاية الطيف الشمسى ، وتشتمل على نسبة من الطاقة الشمسية لا تزيد عن ١,٥٪ .

والأشعة فوق البنفسجية لا توجد فى إشعاع الشمس المباشر فقط ولكن تصل إلى سطح الأرض أيضا نتيجة لتشتت هذه الاشعة فى طبقات الغلاف الجوى .

إن العوامل الرئيسية التى تؤثر على الأشعة فوق البنفسجية فى المدى ٢٩٠ ــ ٣٢٠ نانوميتر والتى يمكن أن تصل إلى سطح الأرض تعتمد إلى حد كبير على زاوية ميل الشمس بالنسبة لسطح الأرض ،بالإضافة إلى اختلاف فصول السنة ، إضافة إلى ذلك فإن تزايد كمية السحب والأبخرة والغازات الموجودة فى الغلاف الجوى يمكن أن تؤدى دورا رئيسيا فى كمية الأشعة فوق البنفسجية التى تصل إلى سطح الأرض .

ويمكن تقسيم مراتب طيف الأشعة البنفسجية (٢٠٠ ــ ٤٠٠ نانوميتر) إلى المناطق التالية والتى تسبب كل منها تأثيرات بيولوجية محددة :

* رئيس قسم التنظيمات النووية والطوارىء الإشعاعية بالمركز القومى للأمان النووى والرقابة الإشعاعية بهيئة الطاقة النووية .

● أشعة فوق بنفسجية (ا) UV-A (٣٢٠ — ٤٠٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى طويل وتعرف باسم الإشعاع الأسود .

● أشعة فوق بنفسجية (ب) (UV -B) (٢٨٠ — ٣٢٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى متوسط وتعرف باسم الإشعاع الشمسى الحارق .

● أشعة فوق بنفسجية (ج) (UV -C) (٢٠٠ — ٢٨٠ نانوميتر) وهى ذات طول موجى قصير .

اما عن الأطوال الموجية التى تقع فى مدى أقل من (٢٠٠ نانوميتر) فان آثارها البيولوجية معدومة حيث إن الإشعاعات فى هذا المدى تمتص سريعا فى الهواء .

ومن المعروف أن الأوزون المتكون فى طبقة « الأستراتوسفير » ينتج عن طريق التفاعل الكيميائى الضوئى بتأثير الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس عند أطوال موجية تقل كثيرا عن (٢٤٢ نانوميتر) . ويوجد الأوزون فى طبقة (الأستراتوسفير) بتركيزات تمثل حالة الاتزان الديناميكى بين كمية ما ينتج منه وكمية ما يتحلل ، ومن المعروف أنه توجد تغيرات يومية وفصلية لتركيز الأوزون فى الغلاف الجوى ، ويبلغ متوسط معدل الإنتاج للغاز حوالى (٤٠٠ طن) فى الثانية ، وقد لوحظ أن المواد المتطايرة والخاملة كيميائيا والموجودة فى طبقات الغلاف الجوى يمكن أن تصل إلى طبقة الأوزون من فوق سطح الأرض من خلال أية أنشطة بيئية للإنسان .

وقد بدا أن هناك اهتماما بالمركبات (الهالوجنية) المحتوية على (الفلور) ، والكربون ، حيث إن التفاعلات الكيميائية الضوئية تنتج الكلور أو (الأيونات الحرة) التى تتفاعل بدورها بشدة مع الأوزون مما يؤدى إلى انخفاض تركيز غاز الأوزون إلى قيم منخفضة ، إضافة إلى ذلك فقد وجد أن (أكاسيد النيتروجين) المنطلقة من آلات الاحتراق الداخلى يمكن ان تؤدى دورا فى الإقلال من تركيز غاز الأوزون ، وهذا سوف يؤثر بالتالى على الأشعة فوق البنفسجية ب (UV-B) التى تصل إلى سطح الأرض ، والتى بدورها سوف تعمل على إحداث تأثيرات ضارة على أنواع الحياة الموجودة على سطح الأرض .

اما عن التأثيرات البيولوجية للأشعة فوق البنفسجية فقد أثبتت الدراسات والقياسات التى تم إجراؤها أن الأشعة فوق البنفسجية الموجودة فى الإشعاع الشمسى هى السبب الأساسى للالتهابات الجلدية التى تحدث نتيجة التعرض لأشعة الشمس ، وتكون الشدة العظمى للأشعة فوق البنفسجية يوميا ما بين الساعة ١٠ صباحا و ٢ بعد الظهر ، وحوالى (نسبة ٨٠٪) من هذه الجرعة ما بين الساعة ٩ صباحا والساعة الثالثة بعد الظهر .

وقد وجد أن أقصر طول موجى أمكن قياسه فى الإشعاع الشمسى فى وقت الظهيرة بالقرب من خط الأستواء حوالى (٢٩٠ نانوميتر) ، ولأغراض الدراسات العلمية فإن المصادر الصناعية التى يمكن أن نحصل منها على الأشعة فوق البنفسجية يمكن تضيمها إلى : أقواس التفريغ الغازية وأقواس الكربون ولمبات الكوارتز الهالوجنية ، وآلات لحام المعادن باللهب (الأوكسى استلينى) .

ومما هو جدير بالذكر أن أى مصدر للأشعة

فوق البنفسجية يبعث بإشعاعات ذات أطوال موجية أقل من (٢٦٠ نانوميتر) سوف يصاحبه انبعاث غاز الأوزون الذى يجب إزالته باستمرار لتجنب أى آثار ضارة صحيا ، وتستخدم المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجيـــة فى مجال التطبيقات الصناعية ، ونتيجة لخصائص بعض أجزاء من طيف هذه الأشعة فى قتل الجراثيم فإنها تستخدم فى أغراض التعقيم فى المستشفيات والمعامل البيولوجية والمدارس ، إضافة إلى ذلك تستخدم الأشعة فوق البنفسجية على مدى واسع لأغراض العلاج الطبى مثل : معالجة القصور فى (فيتامين د) ، وعلاج الأمراض الجلدية ، كما تستخدم ــ أيضا ــ فى مجال صناعة مستحضرات التجميل ، كما يتم تسويق المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجية كمنتجات استهلاكية .

ويمكن الحصول على هذه الأشعة صناعيا بتسخين أى مادة إلى درجات حرارة تزيد عن (٢٥٠٠ درجة) مطلقة .

إن التأثيرات الصحية للأشعة فوق البنفسجية تتمثل فى أن عدم التعرض لفترات طويلة لهذه الأشعة يمكن أن يسبب أضرارا للإنسان ومن أهمها :

نقص تكوين (فيتامين د) عن طريق تحويل مادة « هيدروكليسترول » الموجودة فى طبقات الجلد ويؤدى القصور فى التكوين الطبيعى لهذا الفيتامين إلى تسوس الأسنان ولين العظام عند الأطفال ، كما أنه يؤدى ـ أيضا ـ إلى القصور فى عمليات البناء لكل من عناصر الفوسفور والكالسيوم اللازمة لنمو العظام مما يؤدى بالتالى إلى انخفاض قدرات الجهاز المناعى للجسم مما يجعله عرضة للإصابة بكثير من الأمراض دون مقاومة فعالة .

وفى مجال الحياة العملية فقد وجد أنه يمكن رفع كفاءة نسبة التعرض للأشعة فوق البنفسجية [(ب) « UV-B »] بإدخال تطور على نظم الهندسة المعمارية للمبانى من جهة زيادة المساحات المغطاة بالنوافذ الزجاجية المجهزة بنوعية من الزجاج تسمح بمرور نسبة كبيرة من هذه الأشعة .

إضافة إلى ذلك يتم تصميم حمامات السباحة المقفلة بحيث تكون الحوائط والأسقف مصنوعة من الزجاج حتى تسمح لأشعة الشمس بالمرور ، وبالتالى لمرور أكبر نسبة من الأشعـــة فوق البنفسجية مما يساعد على الإقلال من الحالات المرضية الناجمة عن نقص التعرض لهذه الأشعة .

ويعتبر (اللوح الفوتوغراف) من الكواشف الكيميائية لهذه الأشعة ، كما يمكن استخدام بعض المواد الكيميائية مثـــل مخلـــوط من حامض « الأوكساليك » و « اسيتات اليورنيل » ذى الخصائص الفيزيائية التى تعطى تغيرا محسوسا خلال التعرض للأشعة فوق البنفسجية كنوع آخر من الكواشف لهذه الأشعة . وتعتبر هذه طرق بدائية وغير دقيقة .

كذلك يوجد نوع آخر من الكواشف الفيزيائية لهذه الأشعة يعرف باسم (الكواشف الحرارية المترية) وتعتمد فكرتها على الإحساس بالتأثير الحرارى للأشعة .

كذلك يوجد نوع آخر من الكواشف يسمى (الكواشف الكهروضوئية) وتعتمد فكرتها على تغير حساسية هذه الكواشف مع تغير الطول الموجى للإشعاع الساقط عليها ، ويعتبر هذا النوع من الكواشف أكثر دقة وحساسية من أجهزة القياس الحرارى المترى .

وإذا نظرنا إلى التأثيرات البيولوجية للأشعة فوق البنفسجية فإننا نجد أنه فى خلال الأطوال الموجية فى المدى [١ج «UV-C¹»] من الطيف يمكن أن تحدث تأثيرات ضارة ، ولكنها ليست خطيرة على الجلد والعين بينما نجد أن الأطوال الموجيــــة التـــــى تقـــــع فى المدى [١ب «UV-B¹»]ذات تأثير خطير على الكائنـــــات الحية ، وقد اكدت الدراسات أنه من الضرورى توفير وسائل الحماية من الأشعة ذات الأطوال الموجية [١ب «UV-B¹»] .

وبالمقارنة فان ما يعرف عن التـــأثيرات البيولوجية للأطوال الموجية من الأشعة [١أ «UV-A¹»] ليس بالكثير ، لكن وجد أن الأشعة [١أ «UV-A»] لا تحدث بمفردها أية تأثيرات بيولوجية ضارة ولكنه فى حال توافر مواد كيميائية معينة فإنه يمكن لهذه الأشعة أن تحدث تأثيرات ضوئية بالإضافة إلى حدوث حساسية نتيجة لتعرض الأنسجة للضوء .

إن التأثيرات الحادة والمزمنة للأشعة فوق البنفسجية يمكن أن تحدث فى كل من الجلد والعين ، كذلك فإن تأثيرات هذه الأشعة على الجلد يتمثل فى اختراق الأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية القصيرة لطبقات الجلد فى جسم الانسان ، وينحصر الاختراق فى طبقة الجلد السطحية للأطوال الموجية القصيرة ، ويكون الاختراق أعمق عند أطوال بموجية أطول وفى المناطق الخالية من الأجسام الملونة .

إن التأثيرات البيولوجية الحادة لهذه الأشعة ــ إنْ كانت شديدة بدرجة كافية ــ تتمثل فى إحداث حروق يمكن أن تؤدى إلى إتلاف الطبقة السطحية للجلد . إن التأثيرات المزمنة للأشعة فوق البنفسجية يمكن ان تؤدى إلى حروق من الدرجة الأولى أو الثانية ويمكـــن أن تؤدى ــ كذلك ــ إلى حدوث (أورام الجلـــــد السرطانية) وقد أثبتت الدراسات أن احتمالات الإصابة بسرطان الجلد يمكن أن تحدث أكثر بالنسبة للأفراد ذوى البشرة الشقراء بصفة خاصة فقد اكتشف أن هناك علاقة وثيقة من تناقص تركيز الأوزون والإصابة بسرطان الجلد حيث إن تنـــاقص تركيـــز هذا الغـــاز فى طبقـــة (الأستراتوسفير) يساعد على وصول كمية أكبر من الأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية [(ب) UV-B] إلى سطح الارض مما يسبب أنواعا من سرطانات الجلد ، بما فى ذلك ما يسمى بالورم الاسود [ميلانوما] الذى يؤدى إلى الموت فى الغالب ، ويشير برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة إلى ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الجلد على مستوى العالم [بنسبة ٢٦٪] لو انخفضت طبقة الأوزون بأكملها بنسبة ١٠٪ .

وقد دلت الدراسات على أن مقاومة الجسم تجاه بعض الكيماويات بما فيها الموادُ السرطانية تعتمد إلى حد كبير على درجة تعرض الجسم للأشعة فوق البنفسجية .

إن للجلد خاصية ميكانيكية طبيعية تعمل على حمايته أثناء التعرض لهذه الأشعة وتعتمد هذه الخاصية على زيادة إفراز الجلد لصبغة (الملاين) بالإضافة إلى ازدياد سمك الطبقة السطحية للجلد .

إن التغيرات الحادثة على سطح الجلد نتيجة التعرض لهذه الأشعة لا تعتمد فقط على الجرعة الممتصة لهذه الأشعة ، ولكن يعتمد إلى حد كبير

على التاريخ الوراثى للشخص المتعرض خاصة ، وعلى مدى تقبل الجلد للتلون بالصبغة .

أما عن التأثيرات الحادة لهذه الأشعة على العين فإن ذلك يتمثل فى حدوث التهابات فى القزحية والقرنية وهذه ــ فى حد ذاتها ــ تعتبر تأثيرات عكسية بينما نجد التأثيرات المزمنة لهذه الأشعة على العين تتمثل فى سرطان الملتحمة بالإضافة إلى الكتاراكت « عتامة عدسات العين » مما يؤدى إلى الإصابة بالعمى .

وثمة خطورة من هذه الأشعة تتمثل فى التهديد الذى يتعرض له غذاء الإنسان فقد وجد أن الجرعات الزائدة من الأشعة فوق البنفسجية (ب) UV-B من الممكن أن تؤدى إلى نقص غلة محاصيل الغذاء الرئيسى ، كما أن الأشعة فوق البنفسجية يمكن أن تتغلغل لمسافة طويلة فى أعماق المحيطات حيث تقتل « الفيتوبلانكتون » وهى نباتات أحادية الخلية و « الكريل » وهى حيوانات صغيرة مثل الجمبرى وبالتالى يتعرض الإنسان لفقد مصدر رئيسى لغذائه .

إن التعرض المهنى من المصادر الصناعية للأشعة فوق البنفسجية يحدث من المصادر التى تنتج هذه الاشعة كناتج ثانوى أو من المصادر التى صنعت خصيصا لتوليد هذه الأشعة بغرض استخدام خواصها .

إن كمية التعرض للأشعة فوق البنفسجية تعتمد ــ أساسا ــ على التركيب الطبيعى والشدة الإشعاعية ، والمسافة بين المصدر والحاجز الوقائى ، ولا يمكن بالعين المجردة تحديد متى تكون الحماية من هذه الأشعة مطلوبة حيث إن هذه الأشعة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وبخصوص معايير الأمان المطلوبة والحد الأدنى لحماية الصحة من الأشعة فوق البنفسجية ، فإن ايجاد خاصية تتعلق بمعرفة كل من الحد الأقصى والحد الأدنى لمستوى التعرض لكل من الأشعة فوق البنفسجية الناتجة من مصادر طبيعية أو مصادر صناعية يمثل صعوبة بالغة نتيجة للعوامل الآتية :

١ ــ التغير فى كل من التأثيرات الحادة والمزمنة للأشعة فوق البنفسجية ذات الأطوال الموجية المختلفة .

٢ ــ الاختلاف الواضح فى التركيب الطبقى للضوء الصناعى من مصادر مختلفة وعلى وجه الخصوص من ضوء الشمس على ارتفاعات مختلفة .

٣ ــ الاختلاف الكبير فى حساسية الجلد للأشعة فوق البنفسجية نتيجة لأسباب وراثية وبيئية بالإضافة إلى تغير الحساسية فى نفس الشخص فى أوقات مختلفة .

٤ ــ صعوبة التمييز بين جرعة الأشعة فوق البنفسجية اللازمة للحفاظ على صحة جيدة ، والجرعة المنخفضة التى يمكن أن ينتج عنها إصابات خطيرة .

ومن جهة التعرض للأشعة فوق البنفسجية فى ضوء الشمس ، فانه يمكن لمعظم الناس أن يتحملوا التعرض لأشعة الشمس لفترة تصل إلى ساعات عديدة ، فقط بعد فترة من التأقلم يلزم خلالها أن لا يزيد زمن التعرض عما يكافىء أربع أضعاف قيمة الجرعة الدنيا اللازمة لحدوث احمرار للجلد خلال اليوم ، وبدون أية وقاية (إن الجرعة الدنيا تحدث ــ فى أخف صورها ــ إحمرارا فى الجلد يمكن أن يحدث خلال فترة وتتراوح بين ساعة واحدة إلى ٦ ساعات بعد التعرض للأشعة فوق البنفسجية .

مرض الإيدز

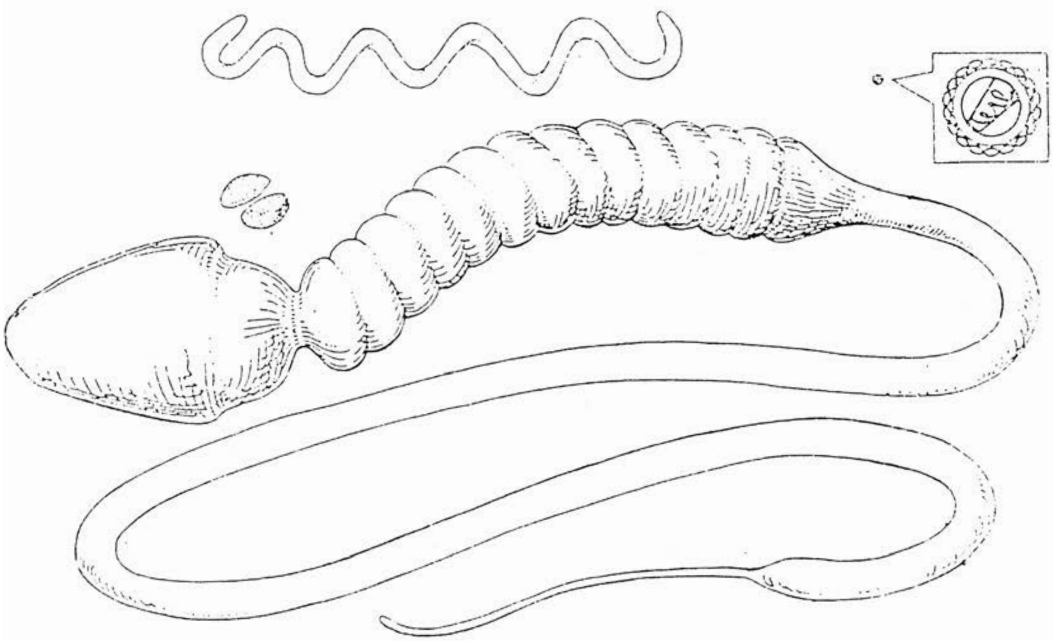

للدكتور/ أحمد رجاء عبد الحميد

هو مرض حديث مميت وهـــذه الكلمـــة « الايدز » اختصار لجملة تعنى : « مرض نقص المناعـة المكتسبـــة » Acquired Immune Deficieng Syndrme وهو يؤدى إلى إصابة الجهاز المناعى للجسم ، مما يؤدى إلى عدم قدرته على العمل بنفس الكفاءة السابقة على وجوده ، مما يجعل الشخص المصاب معرضا للإصابة بكثير من العدوى التى لا تصيب الشخص السليم ، وحاليا ينتشر بسرعة كبيرة فى بعض أنحاء العالم .

ينشأ هذا المرض عن (فيروس) يدعـــى (HIV) أو « الفيروس » المسبب لفقدان المناعة فى الإنسان . هذا الفيروس يهاجم الخلايـــا الليمفاوية (ت) (T_4) التى من وظائفها مهاجمة الميكروبات والتخلص منها . وعندما يهاجم الفيروس هذه الخلايا الليمفاوية يتكاثر بها مما يؤدى إلى قلة نسبتها فى الدم فتضعف مناعة المصاب ضد الأمراض المختلفة وهو ككل الفيروسات يتكاثر فقط فى الخلايا الحية المصابة ولكنه يختلف عن الفيروسات الأخرى فى أنه يفرز أنزيم خاص (Neverre Transcriptaze) يسمح بطبع المعلومات الجينية .

أعراض الإصابة :

قد يكمن المرض عدة سنوات بدون ظهور أية أعراض ، ثم تبدأ فى الظهور . وحيث إن (مرض الايدز) عبارة عن نقص المناعة مما يؤدى إلى الاصابة بمجموعة أمراض فكذلك أعراضه تختلف باختلاف نوع العدوى ولكن أشهرها ما يلى :

١ ـ ارتفاع مستمر فى درجة الحرارة .

٢ ـ تقرحات وطفح جلدى .

٣ ـ إسهال شديد لمدة أكثر من شهر مما يؤدى إلى هزال شديد (ولذلك يطلق عليه مرض (Slim) وتعنى النقص الشديد فى الوزن فى أوساط (إفريقيا) .

٤ ـ تضخم عام فى الغدد الليمفاوية .

٥ ـ إلتهاب مستمر بالزور والحلق .

٦ ـ نزلات شعبية حادة ومتكررة والتهاب رئوى حاد .

٧ ـ سرطان فى الجلد (يسمى سرطان كابوسى) .

٨ ـ التهابات فى شبكة العين قد تؤدى إلى الإصابة بالعمى .

٩ ـ اضطرابات فى وظائف المخ ، وكذلك التهابات فى الغشاء السحائى للمخ .

كيفية العدوى :

عن طريق سوائل الجسم (مثل الدم ، المنى ، لبن الأم المصابة ، أنسجة المخ ، السائل المحيط بالمخ والنخاع الشوكى ، اللعاب .

١ ـ الشذوذ الجنسى ؛ وذلك لأن الغشاء المبطن للشرج والمستقيم رقيق جدا يسهل تمزقه بسهولة مما يؤدى إلى سرعة انتقال العدوى .

٢ ـ عن طريق الحقن الوريدى بـ (حقن) غير معقمة وهذا يحدث كثيرا فى حالات تعاطى المخدر عن طريق الحقن فى حالات إدمان المخدرات .

٣ ـ عن طريق الجنس العادى (وهذا النوع أكثر ما ينتشر فى إفريقيا) .

٤ ـ عن طريق نقل الدم الملوث وبخاصة فى أمراض الدم التى تحتاج إلى نقل الدم باستمرار مثل (مرض سيولة الدم) .

٥ ـ الأطفال حديثى الولادة من أم مصابة بالايدز .

٦ ـ وأخيرا : توجد نسبة حوالى ٢٪ غير معروف مصدر الاصابة فيها .

التشخيص :

نظرا لكمون المرض فى الجسم عدة سنوات قبل ظهور الأعــراض فإن أحسن وسيلــة للتشخيص ـ عند الاشتباه ـ هى اختبار الدم ، لاكتشاف وجود الأجسام المصابة . وهذا يجرى خاصة قبل إجراء عمليات نقل الدم ، وتوجد عدة اختبارات منها : اختبار « الأليزا » وهذا الاختبار يعتمد على تغييرات اللون لتوضيح وجود الأجسام المضادة عند التعرض لبعض الكيماويات .

كذلك يوجد اختبار « وسترن بلوت » الذى يظهر الأجسام المصابة ببروتين الفيروس .

وعادة إذا كانت نتيجة اختبـار « الأليـزا » إيجابية ؛ فإننا نلجأ إلى اختبار « وسترن بلوت » للتأكد ، فإذا أجريت هذه الاختبارات ـ قبل ستة شهور من الاصابة ـ وكانت النتيجة سلبية ، يجب أن تعاد ثانية حيث إن الأجسام المصابة تحتاج من شهر إلى ستة شهور للظهور بعد الإصابة .

وحين تظهر الأعراض فإن التشخيص يسهل من الأعراض بالاضافة إلى اختبـارات الـدم . ومجموع الأعراض فى شخص عمره أقل من ٦٠ سنة ، ولا يتعاطى أية أدوية منشطة لجهاز المناعة مثل أدوية الكورتيزون تسهل عملية التشخيص .

طرق الوقاية :

١ ـ التمسك بما جاء فى الشريعة الاسلامية الغراء من تحريم الزنا واللواط وإتيان المرأة فى الدبر وكذلك تحريم المخدرات .

٢ ـ اختبار الدم قبل إعطائه للمحتاج ، وعدم التبرع بالدم عند الشك فى الإصابة .

٣ ـ منع الحمل والولادة لمن ثبت إصابتها بالايدز هى أو زوجها .

٤ ـ استعمال الواقى « الذكرى أو الأنثوى » (العازل) فى حالة الشك فى الإصابة .

٥ ـ هناك أبحاث تجرى لإنتاج مصل يعطى لبعض المتعرضين للإصابة مثل الأطباء الذين يعنون بمثل هؤلاء المرضى لكنه ـ حتى يومنا هذا ـ لم يثبت نجاحه .

العــلاج :

لا يوجد فى الوقت الحالى علاج فعال ؛ لكن توجد بعض المحاولات لإنتاج مثل هذا العلاج .

أولا : علاج الأعراض :

مثل المضادات الحيوية واسعة المدى وقابضات الاسهــال ومضادات الفطريــات ومضادات الطفيليات .

ثانيا : تقوية الجهاز المناعى باستخدام بعض الأدوية مثل الأنترفيرون .

ثالثا : أدويــة مضادة للــفيروس مثــل « زيدوفيوديــن » أو « أزيدوتيميديــن » أو « الربنيارين » .

لكن هذه الأدوية أعراضها الجانبية كثيرة كما أن فاعليتها قليلة ؛ ولذلك فإنه كما أشار فضيلة الامام الأكبر فإن الوقاية باتباع التعاليم الإسلامية التى تمنع :

العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج .

وتحرم اللواط .

تلك هى الطريق الوحيد والأكيد للحد من إنتشار هذا المرض .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد *

مصدر جديد للطاقة من صخور القمر

أثبت المعهد القومى اليابانى لعلم الاندماج النووى امكانية استخدام صخور القمر كمصدر للطاقة للبشر على الأرض تستمر لعدة قرون . كما انه سيمكن استخراج غاز «هليوم — ٣» من صخور القمر والهيدروجين من ماء البحر وبادماجهما تحت درجات حرارة فائقة سيمكن توليد طاقة هائلة ورخيصة دون اشعاع نووى ضار .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

اكتشاف مخزن لأشعة « جاما » بالفضاء

اكتشف علماء وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » ثلاثة أجرام سماوية تبعث بموجات بالغة القوة من أشعة « جاما » وتبعد عن الأرض بمسافة تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ مليار سنة ضوئية . وهذه الأجرام تبعث بفيض غير عادى من أشعة « جاما » تقدر طاقته الكلية بما بين ١٠ إلى ١٠٠ مليون ضعف أشعة « جاما » المنبعثة من مجرة درب التبانة ، وترجع أهمية أشعة « جاما » إلى انها توضح التفاعلات النووية التى تحدث فى الأجرام السماوية .

أشعة « الليزر » لعلاج سرطان الثدى

اكتشف العلماء البريطانيون أسلوباً جديداً لعلاج سرطان الثدى باستخدام أشعة « الليزر » دون الحاجة إلى اجراء عملية جراحية . ويعتمد الأسلوب الجديد على ازالة الأورام السرطانية بالليزر بحيث تموت موتاً طبيعياً ويمتصها الجسم كأى نسيج ميت . المعروف أن سرطان الثدى هو السبب الأول فى وفاة النساء فى بريطانيا حيث يصيب امرأة واحدة من بين كل اثنتى عشرة سيدة بريطانية يتراوح عمرها ما بين الخامسة والثلاثين والرابعة والخمسين .

جهاز « كمبيوتر » فى حجم ممحاة القلم

عرضت إحدى شركات « الكمبيوتر » الأمريكية مؤخرا شريحة لا يتجاوز حجمها حجم ممحاة القلم وهذه الشريحة يتم تخزين المعلومات بها وهى تضم مليوناً و٧٠٠ ألف « ترانزستور » وتستطيع تخزين ٤٠٠ مليون معلومة فى الثانية . هذه الشريحة الصغيرة لها نفس قدرة الأجيال السابقة من مكونات الكمبيوترات العملاقة التى تماثلها فى الحجم آلاف المرات .

جهاز للكشف عن التلوث الغذائى عن طريق الشم

نجح علماء استراليا فى انتاج جهاز للشم الصناعى تفوق قدرته حاسة الشم القوية عند الحيوان ، ويستطيع الجهاز الجديد كشف أى تلوث غذائى مهما كان حجمه ، كما يستطيع رصد مليارات الذرات الكيماوية والعضوية فى أى محصول أو طعام .

خطورة الافراط فى تناول « الهمبورجر » على صحة الأطفال

أصدرت إحدى الجمعيات الأمريكية لرعاية الطفولة بياناً ذكرت فيه أن جيل الأطفال الحالى سيعانى من أمراض القلب والسمنة المفرطة وانسداد الشرايين بسبب الافراط فى تناول « الهمبورجر » . وقد أوصت اللجنة بالاعتدال فى تناول هذه الأطعمة لما تحتوى عليه من زيادة فى نسبة الدسم والدهون .

اكتشاف جديد للقضاء على مرض « الربو »

تمكن فريق من الأطباء البريطانيين من فصل « الجين » الذى يسبب مرض « الربو » وهو ما وصفه العلماء بأنه اكتشاف هام سيؤدى إلى القضاء على هذا المرض القاتل خلال السنوات القادمة . وهذا الاكتشاف الذى توصل إليه الأطباء فى مستشفى « تشرشل » فى « اكسفورد » سوف يتيح فرصة لتطوير أدوية علاج الربو والقضاء عليه .

خلية وقود فائقة القدرة

ابتكر فريق بحثى فى احدى الجامعات اليابانية أقوى خلية وقود فى العالم وهى تتكون من « الكترودين » يفصل بينهم فيلم « الكترولبت » بسمك ٥ ميكرون يتفاعل خلاله الأكسجين والهيدروجين لاطلاق طاقة كهربائية هائلة . وتنتج هذه الخلية ١٩ وات من الكهرباء لكل سنتيمتر مربع ، وهى تحول الطاقة مباشرة إلى كهرباء خلال تفاعل كيميائى ، وهى أكثر فاعلية من مولدات أخرى للطاقة الكهربائية .

عسل النحل لعلاج قرحة المعدة

معظم القرح التى تصيب المعدة والأمعاء تأتى نتيجة للاصابة بنوع من البكتريا ، وقد أثبتت أحدث التجارب التى أجريت فى احدى جامعات نيوزيلندا أن تناول عسل النحل يوقف انتشار البكتريا التى تتسبب فى العديد من اصابات تقرح المعدة ، بل ويقضى عليها تماماً ويمنع حدوث اصابات جديدة ، كما أن العسل يغذى من ناحية أخرى الأنسجة المحيطة بالتقرح ، لذلك يؤدى إلى التئام الجرح سريعاً .

برنامج جديد لعلاج أجهزة « الكمبيوتر » من الفيروسات المدمرة

نجح خبراء « الكمبيوتر » فى تطوير برنامج جديد للقضاء على « الفيروسات » المدمرة التى تصيب أجهزة « الكمبيوتر » المعروف منها وغير المعروف ويتولى اصلاح البرامج التى أصابها « الفيروس » المدمر حتى تصبح صالحة للاستخدام ، كما إنه يقوم بتنبيه المستخدم عند ادخال أى قرص إلى « الكمبيوتر » إذا كان القرص مصاباً « بالفيروس » وذلك بإظهار رسالة تنبيه أو اصدار أى صوت . ووسيلة الوقاية تتم عن طريق فحص أى قرص يتم ادخاله إلى « الكمبيوتر » وعن طريق فحص القرص الثابت داخل « الكمبيوتر » باستمرار .

جهاز لقياس الاشعاعات المنبعثة من التليفزيون

ابتكر العلماء جهازاً يدوياً جديداً سهل الاستعمال يستطيع قياس الاشعاعات الكهرومغناطيسية المنبعثة من التليفزيون أو شاشات « الكمبيوتر » أو محطات الطاقة الكهربائية أو أى اشعاعات أخرى قد يكون لها أثر سىء على الصحة . ويتم تشغيل الجهاز بواسطة بطارية صغيرة ويستطيع تسجيل اشعاعات المجال الكهرومغناطيسى بدقة كبيرة وعلى مدى واسع للقياس ، وبواسطته يمكن للانسان تحديد المناطق الآمنة من اشعاعات التليفزيون الصادرة وبذلك يبتعد عن الخطر .

من أعلام الأزهر

فضيلة الشيخ/ عبدالجليل حسن سالم الديب

نشأته وحياته : فى العاشر من فبراير سنة ألف وتسعمائة وتسعة وأربعين ، ولد فى قرية «حصة أكوة» مركز «كفر الزيات» غربية ، فى أسرة يحفظ أفرادها ـــ جيلا بعد جيل ـــ القرآن الكريم ، ويعظمون شعائر الله ، ويحتفلون بالليالى ذات النفحات ، أرسله والده الشيخ حسن إلى كتاب القرية وإلى المدرسة الإبتدائية فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ عبدالعليم الخنيزى أبو فايد والشيخ شحاته أبو عرايس والشيخ محمد صالح ، وبعد اتمام الدراسة الإبتدائية التحق بمعهد طنطا الإعدادى الأحمدى عام ١٩٦١/١٩٦٢م ، وحصل على الشهادة الإعدادية الأزهرية عام ١٩٦٥م (نظام السنوات الأربع) .

وكان من شيوخه : الشيخ محمد أبو سعيد والشيخ عبدالجواد مسعود ، والشيخ سعد الخولى ، والشيخ محمود سالم الخطيب .

وحوّله عمه الشيخ/ على عيسى الديب بعد حصوله على الإعدادية الأزهرية إلى مدرسة الرافعى الثانوية بطنطا ، التى كان يعمل بها مدرساً أول للغة العربية ، فدرس بالرافعى السنة الأولى الثانوية ، ثم عمل عمه الشيخ على الديب وكيلًا لمدرسة طنطا الثانوية ونقل ابن أخيه ليقيم بجواره المرحلة الثانوية العامة بالقسم العلمى عام ١٩٦٨م ، وفى عام ١٩٦٨/١٩٦٩م الدراسى التحق بمدرسة أخرى ثانوية بطنطا لتحسين المجموع ، وفى عام ١٩٦٩/١٩٧٠م التحق بكلية علوم طنطا حيث درس بها عامين : الفرقة الأولى والثانية بقسم العلوم البيولوجية ، نجح فى الفرقة الأولى بتقدير عام «جيد» لكنه رسب فى الفرقة الثانية ، فحوّل أوراقه إلى كلية الألسن جامعة عين شمس ، سنة ١٩٧١/١٩٧٢م ، حيث أتم دراستها بقسم «اللغة الروسية» بتقدير «ممتاز مع مرتبة الشرف» ، وترتيب الأول على الكلية طوال دراسته ، وظهر نبوغه بها ، فحصل على «الميدالية

الذهبية » فى الشعر على مستوى صحافة المعاهد العليا ، و « الميدالية الذهبية » فى التفوق الدراسى فى احتفال « اليوبيل الفضى » لجامعة عين شمس من السيد/ وزير التعليم الدكتور : مصطفى كمال حلمى ، وشهادة تقدير .

وفى عام ١٩٧٥ م ، كلف فى الثامن عشر من أكتوبر معيداً بكلية الألسن بقسم اللغة الروسية وفى ١٩٧٥/١١/٣م تقدم إلى الخدمة الإلزامية بالقوات المسلحة ، حيث أدى الخدمة العسكرية بسلاح الحرب الإلكترونية مترجماً فورياً وتحريرياً ، ترجم خلالها تراكات من « كتالوجات » تشغيل وصيانة الأجهزة الإلكترونية السوفيتية ، وأنهى الخدمة بدرجة قدوة حسنة ، وكان خطاط الوحدة ، وله دَوْرٌ بارز فى التوجيه المعنوى للجنود ، وسُرِّحَ فى ١٩٧٧/١/١م . وفى عام ١٩٧٦م حصل على السنة التمهيدية للماجستير فى اللغة الروسية والأدب الروسى بامتياز والتحق بدبلوم الترجمة الفورية والتحريرية المعادل للماجستير بكلية الألسن عام ١٩٧٦م/ ١٩٧٧م ، حيث أنهى الفرقة الأولى بتقدير ممتاز ، وقبل إتمام ماجستير الترجمة الفورية والتحريرية بكلية الألسن أوفد فى منحة دراسية إلى الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر عام ١٩٧٨م ، لدراسة الدبلوم السوفيتى و « الكانديدات » فى الأدب الروسى .

وفى يونيه عام ١٩٧٩م حصل على الدبلوم السوفيتى فى اللغة الروسية والأدب الروسى ، وناقش رسالة الماجستير الروسى فى موضوع : « شعر الحرية عند الكساندر يوشكين ومحمود سامى البارودى » بتقدير ممتاز ، وحصل عليه من كلية الآداب بجامعة روسيا البيضاء ، لكن هذا الدبلوم السوفيتى (الماجستير) لا يعادل « الماجستير » المصرية فى القانون المصرى ، ويعلم السوفيت هذا ، لذلك يتساهلون فى منحه ، ويتوقفون ويتريثون فى منح الكانديدات (لأنها تعادل الدكتوراه فى مصر) ، فلا يحصل عليها إلّا من يطمئنون لكسب وُدّه ، واستقطابه ، وعدّه ، فى عداد الشيوعيين ، بفحص تقريرات الشيوعيين العرب المسلطين عليه ، ومراقبته فى الذوبان فى بوتقة الشيوعية وعَدَم الاعتصام بالشريعة الإسلامية ، وبكتابته فى رسالة الكانديدات ما يروج للشيوعية وأفكار لينين وماركس وانجلز ، ولو كانت الرسالة فى الرياضيات البحتة ، لابد أن يصدّرها بمقدمة لفكرهم ، وكانت رسالة الشيخ/ عبدالجليل الديب لنيل درجة الكانديدات فى الأدب الروسى بعنوان : « القصة القصيرة عند أنطون تشيخوف ومحمود تيمور » .

ولما لم يجد الروس منفذاً يتسللون منه إلى الشيخ/ عبدالجليل الديب فى سرعة تحصنه بالزواج من ابنة خاله الحافظة للقرآن ، كما حفظه والدها وجدها وأعمامها ، وبتفوقه فى دراسة تخصصه ، وكذلك فى الفلسفة الماركسية اللينينية دون أن يلمسوا لهذه الفلسفة أثراً فى زحزحة فكره الدينى وسلوكه الشرعى ، طلبوا منه أن يكتب فى رسالة الكانديدات « هجوماً على الأزهر الشريف » ، منتهزين إمكان الحديث عن الأزهر ، الذى لا يغفل دوره فى الفكر والثقافة فى مصر والمنطقة العربية والبلاد الإسلامية ، يكتب ما يريدون فى الباب الأول الخاص بنشأة القصة القصيرة ، لهذا أتوا إليه بنص من كتابات المستشرقين السوفييت عن الحياة الفكرية والثقافية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين ، مؤداه :

«إن الأزهر بتخلفه وتحجره وجموده أعاق الفكر والثقافة بوجه عام ، وهذا آخر ظهور القصة القصيرة ، (والرواية) ، حتى أخذها المصريون مباشرة عن طريق التأثر بكتابات الأدباء الأوربيين ، من أمثال موباسان فى فرنسا ، وتأثر محمود تيمور بانطون تشيخوف فى روسيا» . وهنا آن للشيخ أن يقول كلمته ، وألّا تأخذه فى الله لومة لائم ، ويقرر الحقيقة التى لا يستطيع مخلوق أن يهيل عليها التراب ، وإلا عميت عيناه بغباره ، فقال : «إن الأزهر منارة الإسلام ، وقلعة العلم وقبلته ، ومشعل الحضارة والفكر والنهضة والإصلاح منذ ألف عام ، ولولاه لساد ظلام دامس فى المنطقة ، بل فى العالم كله» .

فتوقفت دراسة الشيخ ، وزيد فى اضطهاده على الصعيدين الدراسى والمعيشى ، فعلى الصعيد الدراسى ألغى موضوع الكانديدات ، بعد ما جمع مادته العلمية ، وكتب ثلث الرسالة ، ونشر مقالة عنها فى جريدة الجامعة ، وطلبوا منه للتعجيز كتابة بحث فى القرن السابع عشر وآخر فى القرن الثامن عشر وأداء امتحان التخصص فى القرن التاسع عشر ، فإذا انتهى من كل هذا يحق له عندئذ كتابة رسالة كانديدات روسية صرفة لا مقارنة فيها بالأدب العربى ، بينما يكتفون بتحديد ثلاثين عاماً فى القرن الذى فيه الشاعر أو الكاتب كمادة تخصص لغيره من زملائه الدارسين للغة الروسية والأدب الروسى ، ولا بأس بعد ذلك أن يكتب الكانديدات فى قصة قوامها ثلاث صفحات ، كرسالة عبدالسلام المنسى «بنت الكابتن» للشاعر الروسى يوشكين ، التى حصل بها على الكانديدات المعادلة للدكتوراه ، وكتب الشيخ عبدالجليل أبحاث الأدب التى طلبوها ، ولكن دون جدوى . ومن جهة المعيشة يحرض الروس الشيوعيين العرب على المبعوثين العرب الجدد لتصنيفهم فى جداول الحزب ومخابرات الـ K.G.B ، من التقريرات التى يكتبوها عنهم ، ومن نتائج محاورات الفلاسفة السوفييت أساتذة وتلامذة معهم ، ومن استجاباتهم وردود أفعالهم مع العنصر النسائى لمخابراتهم المسلّط لسبيهم ، وتلبيسهم «الرواسة» ، فمن يستجيب لصالحهم جرّوه بناصيته وقدميه جندياً لنشر الشيوعية فى العالم ، ومن يأبى يشنون عليه حملاتهم المحمومة البادئة بالشيوعيين العرب ، فالشيوعيين الروس ، ولا ينجو من قبضتهم إلا من يجعل الله له مخرجاً ، وقد فتح الله سبحانه وتعالى للشيخ عبدالجليل مخرجاً ، وجعل له من همه فرجاً ، بحمده وعونه ، وتوفيقه له ، حيث أعطاهم الشيخ مفاتيح سكنه وترك لهم مدخراته من الأثاث والكتب ، والأدوات المنزلية ، وكل ما يملك ، وعشّمهم بالسفر إلى وطنه مصر لمدة شهر واحد ، يعود بعدها ، لاستكمال دراسته ، وصدّقوه ، لما وجدوه يرحل هو وزوجته بطولهما ، مع ترك كل ما اشترياه خلفهما ، كما فعل صهيب الرومى ، رضى الله عنه ، وما أن وضع الشيخ قدمه فى مصر حتى قطع المنحة الدراسية بالاتحاد السوفيتى ، وقدم استقالته من وظيفة معيد بكلية الألسن بالقسم الروسى ، تخلصاً من كل ما هو روسى فى ١٩٨٢/٤/٢٥م .

وبدأ فضيلته فدرس للثانوية الأزهرية نظام السنوات الأربع فى عام ١٩٨٢م ـــ ١٩٨٣م الدراسى ، وحصل عليها فى امتحان يونيــة ١٩٨٣م ، ثم التحق فى نفس العام بكلية أصول الدين والدعوة الاسلامية بطنطا ، حيث أتم

دراستها بقسم التفسير والحديث بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف فى يونية ١٩٨٧م ، وكان ترتيبه الأول فى السنوات الأربع على مستوى الكلية ، وَكُلِّفَ معيداً بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم فى أول أغسطس ١٩٨٨م ، وكان من شيوخه الأجلاء فى مرحلة الليسانس ا.د. القصبى زلط ، ا.د. جودة المهدى ، ا.د. عبدالعزيز عبيد ، ا.د. إبراهيم سلامة ، ا.د. عبدالله الشاذلى ، ا.د. مروان شاهين ، د. بسيونى الكومى ، د. عثمان زرد ، د. حسن شداد ، د. شكرى الأخضر .

والتحق فى العام الدراسى ١٩٨٧/١٩٨٨م لدراسات العليا بالكلية ، بشعبة التفسير وعلوم القرآن الكريم ، حيث أتم السنتين التمهيديتين للماجستير بتقدير عام ممتاز ، وجيد جداً ، ويقوم الآن بكتابة رسالة الماجستير فى موضوع : « ترجمة معانى القرآن الكريم للمستشرق الإنجليزى جورج سيل » .

(دراسة نقدية) :

بإشراف ا.د. عبدالجليل شلبى (مشرف أصلى) ، ا.د. جودة المهدى (مشرف مشارك) . وقد شاء العزيز العليم ، بتقديره الحكيم ، أن يعود الشيخ عبدالجليل فى مارس ١٩٩٢م ، بعد تفكك الإتحاد السوفيتى إلى دول الكومنولث ، وانتصار الإسلام ، فيوفده فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ضمن وفد الأزهر الشريف فى زيارة سبع جمهوريات إسلامية بداخل روسيا الإتحادية ، وإلى طشقند بجمهورية أوزبكستان ، ليسهم بدوره ودراسته فى إفادة المسلمين المتعطشين لإعادة مجد الإسلام بهذه البلاد ، ليمدهم الأزهر الشريف بالأئمة والمدرسين ، وليستقبل منهم الطلاب المبعوثين ، وليدخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

هكذا ، بعد أن خرج الشيخ عبدالجليل من هذه البلاد خائفاً يترقب ، يردّه الله إلى معاد ، منتصراً ، فاتحاً ، بعد أن يسيخ — سبحانه — الأرض ويمهدها تحت أقدام الشيوعية ، ويقطع عن الشيوعيين أسباب السماء ، ويدوّى صوت القرآن والسنة والشريعة الإسلامية الغراء بهذه البلاد ، مهد البخارى والزمخشرى ، والترمذى والنسائى وابن سينا ، والنسفى ، والفارابى وابن ماجه ، ويعتلى الشيخ منبر مسجد نجم الدين القانوق « بجمهورية قاباردينا بلقار » بروسيا الإتحادية ، لخطبة الجمعة فى الثانى من رمضان سنة ١٤١٢هـ ، الموافق السّادس منَ مارس سنة ١٩٩٢م ، بمدينة كازبرون[1] الثالثة بعد أن ظل هذا المسجد سبعين عاماً موصداً ، ولم يهدم كغيره ، وفتح منذ سنتين ، وإمام المسجد/ الشيخ عامر سعيد (سورى الأصل) ، خطب الشيخ/ عبدالجليل الجمعة باللغتين العربية والروسية ، ولسان الحال والمقال يصدحان معاً :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]

[صدق الله العظيم]

---

(١) انظر افتتاحية مجلة الأزهر عدد المحرم ١٤١٣هـ

(٢) التوبة — ٣٢ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

البطنة وقولهم فيها

قالوا : البطنة تذهب الفطنة .

وقال مسلمة بن عبد الملك لملك الروم : ما تعدون الأحمق فيكم ؟ قال : الذى يملأ بطنه من كل ما وجد .

رأى أبو الأسود الدؤلى رجلاً يلقم لقماً منكراً .

فقال له : كيف اسمك ؟ قال : لقمان . قال : صدق الذى سماك .

رأى أعرابى رجلاً سميناً ، فقال له : أرى عليك قطيفة من نسيج أضراسك .

الســـــرور

قيل لضرار بن عمرو : ما السرور ؟ قال : إقامة الحجة وإدحاضُ الشبهة .

وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : إحياء السنة وإماتة البدعة .

وقيـــل لآخر : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة واستنباط الدقيقة .

* * *

الحمية وقولهم فيها

قيل لبقراط : مالك تُقل الأكل جداً ؟ قال : إنى إنما آكل لأحيا ، وغيرى يحيا ليأكل !

وقالوا : احذروا إدخال اللحم على اللحم ، فإنه ربما قتل السباع فى القفر .

وأكثر العلل كلها إنما يتولد من فضول الطعام .

دخل النبى ﷺ على علىٍّ رضى الله عنه وهو عليل وبيده عنقود عنب ، فنزعه من يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ، فإن الله يطعمهم ويسقيهم .

وقد أجمعت الأطباء على أن رأس الداء كله إدخال الطعام على الطعام .

السُّــؤدد

وقيل لقيس بن عاصم : بم سودك قومك ؟ قال : بكف الأذى ، وبذل الندى ونصر المولى .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا . قال : كذبت ! لو كنت كذلك لم تقله .

نظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير ، فقال : إنى أظن أن هذا الغلام سيسود قومه ، فسمعته أمه هند ، فقالت : ثكلته إذاً إن لم يسد إلا قومه .

صفة الحلم وما يصلح له

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى : رأيته قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أُتى برجل مكتوف ورجل مقتول ؛ فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ؛ ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يا ابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك .

ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوارِ أخاك ، وحُل كتافَ ابن عمك ، وسُق إلى أمه مائة ناقةٍ دية ابنها فإنها غريبة .

ثلاثـــة بثلاثـــة

قال معاوية يوماً : أيها الناس إن الله فضل قريشاً بثلاث فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فنحن عشيرته

وقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ فنحن قومه .

وقال :

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ ونحن قريش .

فأجابه رجل من الأنصار فقال :

على رِسْلِك يا معاوية ، فإن الله يقول :

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ ﴾ وأنتم قومه .

وقال : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ وأنتم قومه .

وقال رسول الله ﷺ :

« يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا » وأنتم قومه .

ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك .

الجـواب القاطـع

قال الحجاج لامرأة من الخوارج. :

والله لأعدنكم عدًّا ؛ ولأحصدنكم حصداً .

قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ؛ فأين قوة المخلوق من الخالق ؟

وأتى بامرأة أخرى من الخوارج .

فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ، قالوا : عاجلها القتل يا أيها الأمير قالت الخارجية ، لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج ، قال لها ومن صاحبي ؟ قالت فرعون . استشارهم فى موسىٰ فقالوا : ارجه وأخاه .

من جمال الكناية

من أحسن الكناية :

١ ـ الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره :

قال الله : ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ : هو كناية عن الجماع .

وقال تعالى فى المسيح وأمه عليهما السلام :

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ : هو كناية عن قضاء الحاجة .

وقال :

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ : هى كناية عن الفروج .

البلاغـة وصـفتها

قال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطىء ، وتصيب فلا تخطىء . ثم قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . قال قد أقلتك ، قال أن لا تبطىء ولا تخطىء .

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ ، والخط ، والاشارة والدلالة .

« نباهة »

أراد عميد إحدى الجامعات أن يهدى إلى صديق له نسخة من كتابه الجديد ؛ فكلف ناشر الكتاب إرسال تلك النسخة ، فأرسل الناشر نسختين لا نسخة واحدة ، وبعد حين قابل العميد صديقه وسأله هل جاءك كتابى الجديد ؟

فأجابه : نعم ؛ وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول ، وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثانى !!

« أوحش المواطن »

قال ابن عيينة : أوحش ما يكون ابن آدم فى ثلاث مواطن : يوم ولادته ؛ ويوم موته ، ويوم بعثه .

لذلك قال الله فى حق يحيى ــ عليه السلام ــ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا

« سادة التابعين »

اختلف فى أفضل التابعين ــ رضى الله عنهم ــ فقال النووى فى شرح مسلم : « أويس القرنى » وقال الامام أحمد وغيره : أفضل التابعين « سعيد ابن المسيب » .

وفى الإرشاد عن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين « سعيد بن المسيب » قيل : فعلقمة والأسود ؟ فقال : « سعيد » و « علقمة » و « الأسود » .

وعن الإمام أحمد : لا أعلم فى التابعين مثل : « أبى عثمان الهندى » ؛ و « قيس بن أبى حازم » وعنه ــ أيضا : أفضلهم « قيس » و « أبو عثمان » و « علقمة » و « مسروق » .

وعن عبد الله بن حنيف الزاهد ؛ قال : أهل المدينة يقولون : أفضل التابعين « ابن المسيب » .

وأهل الكوفة يقولون : « أويس القرنى » وأهل البصرة يقولون : « الحسن البصرى » قال السيوطى فى « شرح التقريب » واستحسن ابن الصلاح ما قال ابن حنيف .

« دعاء »

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به
سواك عند حدوث الحادث العمم

تصـــويب

سقط فى ص ١٧٩ من عدد صفر ١٤١٣ هـ كلمة « مالك » من قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ .... ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾ .

كيف بنى محمد الأمة الإسلامية

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

إعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

على توالى الزمان تظل شخصية نبى الإسلام ، محمد عليه الصلاة والسلام — زاداً لطالبى القيادة الرشيدة ومدداً لمن أراد أن يبنى دولة على الحق ، والحق لا يزول ، وسيظل — ﷺ — نبراساً يهتدى به كل من رام الصلاح والفلاح ، فإنه — عليه الصلاة والسلام — مدرسة فى القيادة والريادة والتنظيم . والتخطيط والتفكير والتدبير الذى يحمل عناصر النجاح فإن عناية الله دائماً معه تسدد خطاه وتبارك مسعاه .

فحرى بنا — نحن المسلمين — أن نأخذ العبرة كلما أهلت علينا ذكرى مولده الكريم :

فقد أصبحنا فى أمس الحاجة إلى الأخذ بتعاليمه فى هذا الزمان الذى أصبحت فيه المحن تطحن المسلمين والخطوب ليست تلوح ، بل هى تمطر علينا منذرة متوعدة ما لم نرجع إلى أصول ديننا الحنيف .

قال الأستاذ رحمه الله ...

أكان يدور بخلد أحد يعرف سكان جزيرة العرب فى القرن السادس للميلاد ، أن هذه الجزيرة ستحكم الدنيا يوما من الأيام ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هؤلاء الشراذم والأوزاع ، سيحاربون دولة الأكاسرة ودولة القياصرة ، فيرثون ملكهم وأرضهم وديارهم ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه القبائل العربية وهى متحاربة متنابذة يجمع الله بينها ، ووحد رأيها ، ويؤلف بين قلوبها ، حتى تصير كتلة واحدة تأخذ مكانها فى الوجود ، رغم العقبات والنكبات والسدود والحوائل ؟

أكان يدور بخلد أحد أن هذه العقائد الفاسدة ، والنحل الباطلة ، وعبادة الأوثان والأصنام ، والخضوع للعرافين والكهان ، تطهر منها نفوسهم ، وتحل محلها عقائد صحيحة ونحل حقه عليها جلال الحسن ونور العلم ؟

نعم إن ذلك قد كان ، وفى أقل من قرن من الزمان . وكان على يد محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى . وهذه هى العجيبة الأخرى ، فهل كان يدور بخلد أحد أن هذا اليتيم الذى فقد أبويه ، وخرج إلى هذه الدنيا دون معين يعينه ، ولا ناصر ينصره ، لم يتعلم العلم ولم تثقفه جامعة ، يقوم بهذا العمل العظيم ويأتى بهذا الأمر الجسيم ؟

هذه حكمة الله وهذا قضاؤه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته : يعلم من يصلح لها من الناس ، ويعلم من تكون فيهم من البشر . فليس كل أحد يصلح لها ، وليست كل أمة تكون فيها الرسالة ، تقوم بأعبائها .

ويجب على مصر وهى فى مستهل عهد جديد ، تبحث فيه عن أسباب النهوض لتنهض ، وعن أسباب العزة لتعز ، وأسباب القوة لتقوى ، يجب عليها أن تدرس تاريخ صاحب الدعوة الإسلامية ، وماذا فعل بالأمة العربية ؟ إننا إذا درسنا هذا الدرس وجدنا أسباب نهوض الأمة العربية كثيرة ، أهمها أن محمداً هداه الله إلى أن يغرس فى قلوبهم الإيمان ، ويزينه فى قلوبهم وآمنوا بالله وبأنبيائه ورسله وباليوم الآخر الذى يجزى فيه المرء بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فوصل حياتهم الأخرى بحياتهم الدنيا ، وجعلها امتداداً لها .

وأى امرىء لا يستمسك بعمل الخير ليجزى به خيراً ، ولا يبتعد عن الشر لئلا يجزى به شراً ؟ وأى امرىء يعمل الخير وينأى عن الشر ، لا يحب أن يتعجل الجزاء عليه ، ويجتاز القنطرة التى تحجزه عن الخير الكثير الذى ينتظره ؟ وهذه القنطرة هى الموت .

وبذلك ربى فيهم الضمير الدينى الذى يدفع إلى عمل الخير ويبعد عن عمل الشر ، وباعد بينهم وبين حب الحياة وكراهية الموت ، فكانت اللبنات التى تتكون منها الأمة ، لبنات قوية متينة .

ثم رأى أن الأمة العربية أمة أكلها التعصب القبلى والحروب الداخلية ، فقد كانت كل قبيلة

تعادى الأخرى ، وكانت تقوم الحرب بينهما ، وتأكلهما أكلًا ، وتستمر السنين الطوال ، فوَّحد بينها ، وألف بين قلوبها ، وأبدلهم من هذه العصبية الضيقة ، عصبية أوسع ليست للدم والجنس ، وإنما هى للحق والخير ، وهى عصبية الإسلام .

وبذلك كوَّنهم مجتمعاً قوياً يثبت للحدثان ولا يصدعه الزمان ، ثم رباهم تربية قوَّت نفوسهم ، وأدخلت فيهم العزة والكرامة ، فأراهم حق حقيقة أنفسهم ، وهى إنهم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وإنهم مخلصو البشرية ومنقذو الإنسانية .

فلا عجب بعد ذلك أن تنساب هذه الأمة — الفتية ، القوية ، المتحابة ، المخلصة ، المتعاونة — على العالم القديم لتخلصه مما هو فيه من ظلم واستبداد ، وتبدله بحكامه الغاشمين حكاماً عدولًا ، يعدلون فى الرعية ويقسمون بالسوية .

ماذا يقف فى سبيلها ؟ إنها مؤمنة متحابة متعاونة ، إنها تبغى رضا الله وفى تخليص العالم رضاه ، وهى قد وهبها الله النور ، وطلب منها أن تنير الطريق للمدلجين .

إنها كانت تحارب وهى مقدرة أن تفوز بإحدى الحسنيين : الغلبة والنصر ، أو الشهادة والأجر ، وكانت تتربص بأعدائها أن يصيبهم الله بعذاب من عنده أو بأيديهم .

إنها كانت تؤمن أنها تقوم بأعظم عمل وتؤدى أجل رسالة فى الوجود ، وهى هداية الحيارى من البشر ، ونشر الفضيلة ، ومبادىء الخير والحق .

أما آن لنا أن نستفيد من هدى الرسول فى تربية أمتنا ؟..

إن أول ما يجب علينا ، اقتداء نبى الإسلام أن نغرس الدين ونقوى اليقين فى نفوس الناشئين ، وذلك بتعميم التعليم الدينى الحق فى المدارس ، وإقامة الشعائر الدينية فيها .

وينبغى أن يلاحظ إنه ربما يعمم التعليم الدينى ولا يأتى بالأثر المطلوب ، لأنه لا يلقى بطريقة تستولى على القلوب ، ولا يعطى لدروسه الإجلال الواجب ، فليتنبه إلى هذا .

ثانيها إنه يجب أن تزول أسباب التفرقة والخلاف ، وأن يعتنى بالأخوة الإسلامية فتغرس فى القلوب ، ويعنى بها أكثر مما يعنى بأشياء أخرى أقل منها أثراً .

ثالثها أن نربى أمتنا على الشعور بالكرامة والعزة ، بنشر الصفحات الناصعة من تاريخ رجالنا فى العلم والحرب والأخلاق ، وأن يلغى هذا البرنامج الذى كان يهدف إلى إضعاف نفسية الأمة ، والإيمان بالأمم الأخرى .

وإنى أرجو إذ أخذ بهذا الإصلاح ، أن تعيد الأمة مجدها ، وتقطع هذه الحلقات الصدئة ، وتتصل بذلك السلسلة الذهبية من آبائنا الغر الميامين .

الشعر و الشعراء

من أخلاق محمد ﷺ

اذهبوا فأنتم الطلقاء

للشاعر/ عبد العليم القبانى

يوم أغر ومهرجان مشرق   ضاحٍ عليه من الجلالة رونق
الأرض فيه والسماء ازدانتا   بأجل ما يهب الربيع ويغدق
واهتزت الصحراء فهى خميلة   تهفو لرؤيتها القلوب وتخفق
يومُ النبوة لو شهدت جلاله   لَدَرَتْ عِيونُ الشعر كيف تنسق
والجاهلية فى التراب مَهَانة   ترنو إلى أَلَقِ السيوف وتَفْرق
وجنودها بالقاع بين مصفدٍ   ثَرِب الرداء ومطلقٍ يتملق
حتى إذا ضاق الرجاء وزلزلت   ألباب قوم واستبيح المغلق
وبدا الفضاء لهم كأن صفاءه   جدران سجن تَشْمَخِرّ وتطبق
طلع الرسول فَثُبِّتَتْ أبصارهم   لا تستبين سواه فيما ترمق
وتعلقت أسماعهم بحديثه   فالحكم كل الحكم فيما ينطق
وإذا الرسول يطل من عليائه   ويقول - والمهج الخواشع تخفق -

« ماذا ترون اليوم أنى فاعلٌ   بِكُمْ » وكلهم أسير موثق
قالوا : الكريم ابن الكريم أجلَّ من   أن يستبد به الخصام فيحنق
« قال اذهبوا جمعا » فإنَّ صفاته   تأبى مؤاخذة السفيه وتسمق

باب الرسول صلى الله عليه وسلم

الدكتور/ مختار الوكيل

يا أيها المضنى المعنى العليل ... قد دان ما رمت ونلت القبول
مذ حُمْتُ بالشعر على بابه ... والشعر مطواع لقلبى ذَلول
ومذ قبست النور من وحيه ... نوّر قلبى ، واستبان السبيل

* * *

يا أيها المختار من هاشم ... خير البرايا من أضاء السبيل
يا أيها المختار يا نعمة ... أحيا بها المولى موات العقول
جئت وعهد الشرك فى عنفه ... والظلم يطغى بين شعب جهول
فى البيت أصنام أطافوا بها ... يرجون جدواها بطرف كليل
وفى فيافى البيد ، فى مَهْمَهٍ ... قفر ، عواء الريح جنّ تصول
سودٌ وحمرٌ فى الدياجى بدت ... تلك الغرابيب العوالى تَهول
فى الْمَهْمَهِ القفر الذى تنثنى ... أسد الشرى عنه بقلب ذليل
الباسط الفتاح فى لطفه ... ألقى به النور فغنى الهديل
نور سراج الله يا سيدى ... أنت فأنعم بالحبيب الدليل
نورك والقرآن فى أمة ... أعزها الرحمن بعد الخمول

* * *

يا رحمة الرحمن ، يا دعوة ... روحية مقبولة للخليل
إنى هنا أنشد شعرى وما ... أنشد إلا نفحة فى المثول
فاقبله إنى ها هنا واقف ... بالباب كى أمدح طه الرسول

يا رحمة العالمين

شعر/ عمر بهاء الدين الأميرى

إشـــراق حـــبّك فى قلبـــى له طـرَبٌ كأنمـــا خفـــق قلبـــى منـــه ترديـــد
وفى خلايـــا كيـــان العقـــل منك ســـنىً والعقـــل كـلُّ كيـــان العقـــل تمجيـــد
يـا خاتـــم الأنبيـــاء الحـــق ، يـا مـــدداً غـــاث البرايـــا ، ووحى الله تســـديد
يقيـــم للـــكون بالقـــرآن شـــرع هـــدىً كالأزر للجـــذر والإســـلام توكيـــد
ديـــن مـن الله لا يـــرضى ســـواه ولا تبـــديل فى أسّـــه فالأصـــل توحيد
يـا « مصـــطفى » واصـــطفاء الله مَنْـزِلَةٌ فـــوق الزمـــان لها فى الحمـــد تأبيـــد
يـــا مـــن بعزتـــه فى الله متضـــعـــاً للنـــاس خـــرت له من أوْجِهَـــا الصِيَد
إليـــك يـــا رحمـــة للعـــالمين ، ويـــا عيـدَ الوجـــود الذى ما مثله عيـــد
إليـــك فى يـــوم ذكـــراك الـــذى نَضَـــرت من يمن طلعتـــه فى مَحْلهـــا البيـــد
وكـــان منطلـــق الخيـــر الـــذى اقتـــدح النهـــج الأغـــرّ ، فتوطيـــد وتجديـــد
إليـــك يـا قـــدر الله العليـــم ويـــا أمـــراً حـــكيماً ، ولله المقاليـــد
أزجـــى مشـــاعر روحٍ صـــغت وهجتها ـ شـــعراً له فى ضـــمير الدهـــر تغريـــد
ومـــن فيوضـــك ما زالتْ وما بـــرحت تغـــذى النفـــوس وتســـتوحى الأناشـــيد

* * *

أصـــداؤها فى الســـماوات العلى نغـــمٌ كأنـــه مـــن هيـــام الوجـــد تنهيـــد
ومـــن يَصُـــغْ لك شـــعر الروح كـان لـه مـن ســـر روحـــك تأيـــد وتخليـــد

رسول السماء

فوزى عطوى ـ بيروت

مُلْهِمَ الخير للنفوس الأبية ... ورسولَ السلام بين البرية
أيَّ ذكرى تفجر الوحى شعراً ... فيغنى مدائحاً ... نبوية ؟
يوم جئت الوجود مات وجود ... وثنىّ ، وشرعة وثنية
يوم جئت الوجود غاب ظلام ... وتهادت أشعة سرمدية
تبعث الهدى فى ضمير البرايا ... توقظ النور فى العصور الدجية
يوم جئت الوجود ، أطلعت شعبا ... عبقريا لأمة عبقرية

* * *

يا يتيماً على هداه سرينا ... فاهتدينا لخالق البشرية
يعجز الشعر عن مديح نبى ... لقَّن الناس حكمة علوية
مُبْدِعَ العلم ما تعلمت حرفاً ... أنت علمت أمة جاهلية
فإذا الكون منصت لحديث ... نبوىٍّ وآية قدسية
وإذا البيت والربى والبوادى ... رانيات إلى السماء تقية
وإذا الناس ، بعد عهد جهول ... تذكر الله بكرة وعشية

* * *

يا رسول السماء بين البرية ... ألْهِمِ الخير للنفوس الأبية
ضَمِّدِ الْجُرْحَ فى قلوب الثكالى ... واجعل الحب فى الأنام وصية
وَحِّدِ الشمل فى بلاد تغنت ... وتباهت بالعزة القومية
يوم ذكراك ، امنح العرب قلباً ... أخويا ، ووحدة أخوية

اللغة والنقد والأدب

- الغزو الثقافي
- الشعر الخالد

الغزو الثقافي

إستهدف اللغة العربية بضراوة

د. توفيق محمد شاهين(*)

إن معظم ما حل بالمسلمين حديثاً وحالياً : من طعن فى دينهم ، وتهجم على لغتهم ومعتقداتهم .. إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى الاستشراق والماركسية ، والوضعية المادية .

ويرجع بالتالى إلى عدد من أبناء جلدتنا : من الناطقين باسمهم ، ونيابة عنهم ، عن قصد ، أو سوء فهم .. وهم على كل ليسوا بالقليل بين الكتاب والمفكرين .

والعالم الاسلامى بعامة فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر .. تلقى الاعتداء الصليبى المتوالى ..

فعرف ضعف المسلمين فى مجتمعهم .. كما لمس مكامن الثروة فى بلادهم .. فحركت أطماعه بجانب أحقاده .. كما لمس بالتالى قوة العقيدة فى نفوس المسلمين .

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر — مدير المركز الإسلامى — أتوا — كندا .

ولم يضيع الغرب وقته سدى .. فعمل على اضعاف المسلمين ، وتفكك المجتمع الاسلامى ، للسيطرة عليهم ، وقهرهم ، وفرض التخلف عليهم وبعد ذلك يسيطر على مقدراتهم ومقرراتهم الاقتصادية ، ويوجههم سياسياً ، وثقافياً ، واجتماعياً كما يهوى .. حتى بعد الاستقلال الصورى أو الجزئى .. وطالت محاولات وضغوط الاعتداءات ، حتى إلى ما قبل القرن العشرين .

واستفاد الغرب من هذا الاحتكاك دينياً وثقافياً .. وخسرنا نحن : استفاد دينياً من التوحيد فى الإسلام ، وبشرية الرسول ، ورفض التثليث ورفض عصمة البابا ، ورفض كثير من معتقدات المسيحية ، كما ظهر فى اصلاحات (لوثر) و (كالفن) فى القرن السادس عشر الميلادى .

كما استفاد الغرب من الاحتكاك فى المعرفة القائمة على الملاحظة والتجربة ، وتكوين معايير جديدة للحياة الإنسانية .

● ● ●

وحاول المستشرقون أن يضعوا فى نفوس المسلمين أن المسيحية دين التقدم والرقى وأن الإسلام دين التخلف والبدائية .. واستشهدوا بتفوقهم المادى فى مجال الصناعة والتكنولوجيا وتخلف المسلمين فيهما بسبب تمسكهم بإسلامهم . وعمل الغرب جهده على اضعاف مادة التوجيه الإسلامى فى نفوس المسلمين .

● ● ●

وأطل القرن العشرين وسط هذه الاضطرابات فى التوجيه والشد والجذب .. فتحدد فى التفكير الإسلامى اتجاهات :

الأول : حركة التغيير فى الفكر الإسلامى : بتقليد المستشرقين والاستشراق الغربى ، وأن واجب المسلمين اتباع الغربيين ، والتخلى عن دينهم وتوجيهه ؛ لأنه مادة غير صالحة التوجيه واستمر دفع هذه الحركة قويا حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. وكان هذا الدفع بوحى من الكنيسة الكاثوليكية بخاصة .. تعويضاً عن الهزائم الصليبية فى اغتصاب بيت المقدس ، وحرصاً على مذهب الكثلكة ، والانتقاص من تعاليم الإسلام وقيمه .

وقامت الدراسة فى الغرب على هذا الأساس فى صورة : كتب ، وتبادل ثقافى ، ومنح دراسىٍّ للطلاب ..

ومنح للدرجات والألقاب العلمية زوراً وبهتاناً ؛ لتصدر التوجيه بعدئذ فى عالمنا الإسلامى .. ومن أبرز أقطاب هذه الحركة المناوئة للإسلام — على نحو ما ذكر الدكتور محمد البهى رحمه الله —: السير أحمد خان بالهند ، وميرزا غلام أحمد فى الهند أيضا .. ومن بعدهما : من سار على الدرب ، بتوسع أو جنوح ، مثل : طه حسين ، وسلامة موسى ، ولويس عوض فى مصر وسعيد عقل فى لبنان ، وزميله أنيس فريحة .. ومعهم الشيخ على عبدالرازق .. الخ .

وانحصرت وسائلهم فى : إبراز الخلافات المذهبية ، وتهييج الشعوبية ، وتشويه مبادىء الإسلام ، وتفسيرها تفسيرا خاطئا .

وثانى الاتجاهين : هو حركة تجديد المفاهيم الإسلامية ، وتنقيتها مما شابها ، وعرضها عرضاً سليماً ، إعادة للمسلمين فى وحدتهم وتماسكهم ، ودفعاً للاستشراق ، وداعياً للحفاظ على الشخصية الإسلامية ، وتجلية المفاهيم الإسلامية ، والنهوض بالعربية وعاء القرآن الكريم والسنة النبوية ، واستمرارية توجيه القرآن والسنة فى حياة المسلمين .

ويمثل ذلك الاتجاه :

● السيد جمال الدين الأفغانى العظيم .. الذى يحاول الأوغاد الافتراء عليه ، وتشويه سمعته وسيرته ..

● والإمام محمد عبده المصلح الكبير ، الذى يحاول التافهون التقليل من قيمته ، وإهالة التراب أو الغبار على سيرته .

● والفيلسوف الشاعر : محمد اقبال ..

● ومن بعدهم قام تلامذتهم بالرسالة : يدافعون عن الإسلام ، ويعيدون عرض قيمه على أسس قويمة وسديدة ..

ومن تلامذتهم :

الشيخ المراغى ، والشيخ عبدالمجيد سليم ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ، والشيخ محمود شلتوت ، والدكتور محمد البهى .. رحمهم الله تعالى أجمعين .

وواجبنا فى عصر النهضة والاستقلال : أن نهب أفراداً وجماعات .. نناوىء الاتجاه الأول ، ونناصر الاتجاه الثانى .. بما استطعنا من قوة .. وإنا لواصلون إلى ما نريد بفضل الله الذى وعد بحفظ الذكر .. واستحفظ غيرنا على كتبه .. فما قاموا وما قدروا .. وما ذلك على الله بعزيز ، وعلينا بكثير .. متى صنحت الهمم والعزائم وخلصت النيات .

● ● ●

وفى عصر النهضة قامت بحوث الاستشراق ــ كذلك ــ فى اللغة العربية والأدب .. وتوفرت لهم الإمكانات المادية والأدبية والتقنية .. وبما عرفوا من لغات أعانت على دقة الفهم وفك الرموز ، وعقد المقارنات ، وتحقيق المخطوطات .. وكانت فى أعمالهم : إثم كبير ومنافع للناس ..

وضح كثير منهم عن قصد وسوء طوية ، أو عن جهل جنح بهم عن الطريق السوىّ .. ولا نلومهم بقدر ما نعتب على تقصير علمائنا مهما ضؤلت وضعفت وسائلهم .. فقد عانى أسلافهم الحرمان ، وشظف العيش .. وما قعد بهم ذلك عن خدمة الإسلام والعربية ، مما سيظل مفخرة للأجيال الإسلامية والإنسانية الرشيدة أزماناً وآماداً .

ونحن نعلم أن اللغة ــ أى لغة ــ مقوم رئيسى من مقومات وجود الأمة واستمرارية هويتها ، وأى خطر يهددها .. هو ــ فى الواقع ــ خطر يتهدد شخصية الأمة فى مسارها التاريخى والاجتماعى والحضارى ، وشتى المجالات الحياتية .. فلا عجب أن يتعقبها المستعمر الغاصب ، بهجمات شرسة ، وضربات متوالية .

فما بالنا إذا تميزت لغة أمة بعينها بمميزات : جعلتها لغة الوحى ، ووعاء التنزيل ، وواصلة جماعة ، وأبلغ كلام ، وأعلاه طبقة ، وأسماه بلاغة ، وأسمعه فصاحة ، وأفرعه بيانا ، وأبرعه افتناناً .

تلك ميزات العربية ونزيد : بأنها تجمع بين الحسية والمثالية ، التى هى امتداد وتسامٍ للواقعية ، وانسجام وتوازن واتساق ؛ لسعة مدرجها الصوتى ، واعتدال توزيع حروفها عليه .

ووفت العربية بمطالب الحياة والأحياء : بدت حين بادوا ، وحضرت حين حضروا ، وغنيت بألفاظ إسلامية ، مكنت لها أن تصبح لغة الدين والعلم والثقافة والحضارة والحِكم .. ونهضت بالعبء العظيم بما وهبها الله من خصائص النمو والحياة .

سحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً .. تناول النابغين من أهلها وأبناء جلدتها الأصلاء .. بل كادت أن تصبح لغة دولية .. كما يقول الشيخ محمد كرد على ، وعلى نحو ما يحكى المستشرق « رينان » .

من أغرب ماوقع فى تاريخ البشر ، وصعب حلُّ سرِّه انتشار اللغة العربية : فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، ثمّ ظهرت فجأة لغةً كاملة ، سلسة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حدّ ، ليست لها طفولة ولا شيخوخة .. بل ظهرت لأول أمرها مستحكمة .. الأمر الذى حدا بحافظ ابراهيم أن يقول فيها :

وَسِعْتُ كِتَابَ اللهِ لفظاً وغايةً
وما ضِقْتُ عَنْ آيٍ بهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيْقُ اليَومَ عَنْ وَصْفِ آلةٍ
وَتَنْسِيقِ آيَاتٍ لمخْتَرَعَاتِ

● فلا عجب إن كانت اللغة العربية هدف الاستعمار الثقافى ، وأساس الغزو اللغوى ، بسبب اهمال أبناء الوطن للغتهم : جهلًا ، أو كسلًا ، أو لأنهم تربوا فى حضن المستعمر ، أو بسبب الدفع القوى من المستعمر لفرض لغته وتمكينها من السيادة .. وبالتالى العمل على التقليل من أهمية اللغة الوطنية لوطن ما .

● وتحيفت الحتوف السود اللغة العربية ، بسبب الغزو الثقافى ، والحقد الأعمى ؛ لأنها الرابطة والواصلة ، ولغة القرآن ووعاء الوحى :

ــ فكانت الدعوة إلى الأدب الشعبى ، والشعر النبطى أو الزجل ، والمأثورات (الفولكلورية) .. وعرفت طريقها إلى الصحف وسائر وسائل الاعلام ، والكُتاب .

وطغى ذلك على الفصحى ، وأصبح خطراً قوياً مدّمراً .. ومازال مستمراً فى عنفوانه ينبىء عن استمرارية .. ويكاد يوحى لغيرنا بأننا أمة تعيش بدون لغة مرعية أصيلة موحدة ..

وهذا يوحى بأن علينا أن نغذ السير فى سبيل الإنقاذ ، وأن نشجع على الفصحى بكل الوسائل والمغريات .

ــ ووصموا العربية الفصحى بالصعوبة ... حتى كاد ذلك يرسخ فى أذهان العرب وغيرهم .. ومن ثم نادوا باستبدال العامة بالفصحى ..

وهم واهمون فى ذلك .. فما صعوبة العربية فى قواعدها ــ مثلا ــ بأشد من صعوبة اللغات الأخرى كالإنجليزية والألمانية وغيرهما .. لو كانوا منصفين .

وقد سمعنا فى مؤتمرنا هذا فصحاء بلغاء من غير العربية حين شدوا بالعربية معربين فى لسان عربى مبين ، وفى استشهاد قرآنى ونبوى خَلَبَ لبّ السامعين .

وماذا يصنع المفترون على العربية حين يعرفون أبجدية الصين واليابان ؟! وكل المطلوب إذن جد

وعزيمة ، وفرض إرادة ، وتشجيع مغرٍ ، كما صنع اليهود فى اغتصاب فلسطين المحتلة ، وشروط الهجرة إليها بلسان عبرى ماهر .

ورحم الله زمانا كنا نبرع فيه ونمهر بنطق العربية وحفظ الكثير من أدبياتها فى مدارسنا الابتدائية .

● والأمر الغريب اليوم أن أبناء العالم العربى المحدثين يكونون ضعفاء عندما يتعلمون قواعد العربية .. أما أبناء غير العرب فيحسنون تعلمها وفهمها ونطقها على نفس المنهج ، وحسبنا مدرسة ندوة العلماء بالهند .. فهم يحسنون العربية أحسن من أبنائنا فى الجامعات .. والسبب هو نجابة واجتهاد الطلاب غير العرب فى الغـــالب ، وإخلاص المدرسين .

● ودعا إلى « العامية » أناس مشبوهون ، مثل : سلامة موسى ، و (ولكوكس) ، وخاضا حرباً لا هوادة فيها على الفصحى لغة القرآن والمسلمين ..

وكان الهم الكبير الذى يشغل بال السير (ولكوكس) بل يقلقه ـ كما عبر سلامة موسى ـ هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها . فهو (ولكوكس) يرغب فى أن نهجرها ، ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا . وحمل لواء الدعوة أحمد لطفى السيد ولكنه رجع عن ذلك .

كما حمل الدعوة إلى العامية ـ أيضا ـ سعيد عقل بلبنان ، ولويس عوض بمصر .. دعوة إلى هجر لغة الدين ، ودعوا إلى التأليف بها .. وإن كان لويس عوض لا يؤلف بها ، لإدراكه أنها ليست لغة علم ، وإنما الدعوة شَرَك يقع فيه البلهاء .. وألف سعيد عقل بالعامية وكُتب لتآليفه البوار والخسار .

ويرى سلامة موسى وولكوكس أن العامية ليست ذات صلة بالعربية .. وإنما هى من بقايا لغة الهكسوس فى مصر منذ أكثر من ٥٠٠٠ آلاف سنة .

● والحرب على العربية لا تنتهى :

فهى لغة لا تصلح للحضارة لضيقها .. وهذه فرية ؛ لأن فى قاموس : لسان العرب وحده أكثر من مائة وعشرين ألف مادة .. هى بمثابة رديف صالح .. يؤكد أن للعربية سعة تسع المعارف والفنون والآداب .. وتزيد .. وقد وسعت فى القديم الحضارات والثقافات والعلوم المختلفة .. وأمدت غيرها بآلاف الكلمات .. واستمدت ما تحتاجه حسب قانون اللغات .. وترجمت ـ أخذاً ورداً ـ آلاف الكتب والمراجع .. وحتى نهض بها غير العرب تأليفاً وترجمة .. وحسبنا كتاب سيبوبة الخالد وجهود النحاة وسدنة اللغة فى هذا الصدد .

فلو لم تكن لغة حضارة لما وسعت ذلك .

ولو كانت صعبة لكان من حقهم مخاصمة اللغة الصينية والروسية وغيرهما .

ولكنها دعاوى باطلة من مناوئين مثل :

ـ ولهم سيتا ، وكارل فلرس الألمانيين سنة ١٨١٨م .

ـ ووليم ولكوكس الإنجليزى ، المولود بالهند سنة ١٨٥٢م .

ـ وسلامة موسى القبطى .

● ونادوا باستعمال الحرف اللاتينى بدلا من العربى فى لغتنا العربية ، على غرار ما صنعت تركيا بعد ثورة أتاتورك .

وقد ساءنى تماماً وساء غيرى قيامهم بطبع القرآن بالحرف اللاتينى وقصدوا من وراء ذلك

قبر تراثنا العظيم ، وقطع صلتنا وصلة الأجيال القادمة به

ولأن العربية لغة القرآن ؛ فإن الحرب عليها لا ، ولن تنتهى .

وقاد هذه الحملة ولهم سبيتا الألمانى .. وتلقفها سلامة موسى ، وسعيد عقل .. وقاد الحملة أيضا عبدالعزيز فهمى باشا المصرى المسلم للأسف معهم .. ودعا إلى استعمال الحرف اللاتينى بدلا من العربى فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٤٤م ولكن المجلس لم يوافقه على رأيه ..

وكان من أشد المعارضين له الأستاذ الكبير العقاد ـ رحمه الله ـ وظاهره كثير من العلماء خارج المجمع .. فماتت تلك الدعوة فى مهدها والحمد لله فى مصر .. وبقيت صارخة قوية عند سعيد عقل وأحزابه ..

وكذلك هاجم عباس محمود العقاد ترشيح سلامة موسى لعضوية المجمع اللغوى ، وقال : هل تختاره عضواً ليهاجم الفصحى فى المجمع ويناقض قانونه .. وانتصر العقاد ـــ رحمه الله .

● ومن الدعاوى الباطلة والافتراءات على اللغة العربية : القول بإلغاء الإعراب . وقد جرى بعض الكتاب فى هذا المضمار وخبَّ فى هذه الفتنة ووضع .. ولكن سعيهم ضل وخاب .. كما ضل وخاب سعى الدعاة إلى العامية ووجوب التأليف بها بدلا من الفصحى ، فلهم أن يشكروا الله تعالى على خيبة مسعاهم ، ولنا أن نحمد الله سبحانه على انتصار ما رأيناه وارتآه المخلصون الغيورون ونجاح مسعاهم ..

والتخفيف أو التخلص من الإعراب للفصحى مشكلة كبرى ، وزيف يراد به القضاء على الفصحى كالدعوات السابقة ؛ لأن العربية الفصحى بحُكم نظامها وقواعدها يتوقف فهمها أحيانا على معرفة الإعراب والإحاطة بمعناه فهماً كاملًا .. ولتصديق ذلك نتخيل هذا المثال ونعيشه ـــ كما ساق الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار ، لأحد المنكرين أو المطالبين بإلغاء الإعراب ـــ بأن يخلى الآية الكريمة التالية من الشكل ، ثم يحاول نطقها ، وهى قوله تعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٣] . يقول الأستاذ العطار.. فبهت صاحب دعوى وجوب نبذ الإعراب ، وتخلية الإعراب منه .. كما جاء فى مقدمة صحاح الجوهرى ، تصحيح الأستاذ عطار : وحسبنا فى هذا الجانب ما قاله الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله :

«عندنا وعند أنصار الفصحى أجمعين : أن مسألة القواعد قد فرغ منها فى عصرنا ، فلا يجوز لنا أن نلغيها ، ولا أن نستحدث بديلًا يناقضها . وكل ما يجوز لنا أن نتوسع فى تطبيقها ، وأن نقيس عليها ما يماثلها ، وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها ، لأن لغتنا ـــ خاصة ـــ لا تبقى بغير الإعراب ، ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التى لا إعراب فيها ولا اشتقاق ؛ لأن قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات ، غير قوام اللغة التى تختلف بالحركة فى كل موقع من مواقع الحروف ، ولا سيما الحروف التى يقع عليها الإعراب ، فليست أواخر الكلمات وحدها هى التى تتغير معانيها بالحركة ، بل تتغير معنى الكلمة بالحركة فى أول الكلمة ووسطها حتى تتبدل من

المعلوم إلى المجهول ، ومن الفاعلية إلى المفعولية ، ومن التكلم إلى الخطاب ، ومن التخفيف إلى التشديد بلفظ ومعناه .

ونحسب أننا لم نستخف بالحركة ودلالتها القوية فى اللغة العربية إلا بعد شيوع الكتابة ، وشيوع الظن بأن الحركة ناقلة ؛ لأنها لا تثبت مع الحروف ، ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت فى أول العهد بالكتابة وهى ما هى بين القيمة الجوهرية فى معانى الأصول والمشتقات .

فالحركات فى الكلمة أصيلة أصالة حروفها ، ولكن هذه الدعوة ــ فى بند الإعراب ــ خطرة لأنه ربّ حركة فى الإعراب أو فى بناء الكلمة تغير المعنى من النقيض إلى النقيض : فلم يفهم الأعرابى القحّ معنى الجملة وظنها لم تتم فى قراءة القارىء : ﴿**إن الله برىء من المشركين ورسوله**﴾ بجر اللام ، فاستنكر ذلك العربى ؛ لأن معنى الجملة ــ والعياذ بالله ــ أن الله برىء من رسوله .. والقراءة الصحيحة هى بضم اللام فى (ورسوله) .

وقال انسان آخر : أشهد أن محمداً رسول الله ــ بفتح لام رسول ، فقال سامعه حينها وقف عند هذا : صنع ماذا ؟. ولو ادعى عليك مدع بمال ، فقلت : ما له عندى بفتح اللام ، تكون قد نفيت دعواه ، وإن ضممت هذه اللام تكون قد أقررت به .

● ولاسقاط تراثنا الثقافى والحضارى وتمزق أمة الإسلام كانت الدعوة إلى نصرة العامية ؛ فقد أصر أعداء العربية الألداء على الدأب فى محاولة النيل من لغة القرآن والسنة وهم للذكرى : وليم ولكوكس الإنجليزى ، وسبيتا الألمانى ، وسلامة موسى ولويس عوض ــ القبطيان المصريان ــ وسعيد عقل ، وأنيس فريحة ــ المارونيان اللبنانيان ــ ومعهم ميشال طرّاد هاجموا العربية فى كل مكان وزمان ، وبكل ما أوتوا من قوة ، وما أيدوا به من دفع قوى مادى وأدبى .. فراحوا يكيلون التهم للعربية فى عنف وإصرار ، واتهاما بالازدواجية والانفصام : أى العربية الفصحى للقلم والكتاب ، والأخرى الدارجة العامية التى يتخاطب بها كل العرب فيما بينهم .

وقد اتخذ بعض الكتاب والمفكرين هذه الفرية حجة لمعاداة كل ما هو عربى .

يقول سلامة موسى فى كتابه : « البلاغة العصرية » :

يجب ألا يكون للمجتمع لغتان ، إحداهما كلامية أى عامية ، والأخرى مكتوبة : أى فصحى ، كما هى حالنا فى مصر .

ويقول أنيس فريحة فى كتابه : « نحو عربية ميسرة » :

تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية فى أربعة أمور : وجود لغتين مختلفتين .. أى عامية وفصحى .. إلخ .

ويقول ولهلم سبيتا الألمانى فى كتابه : (قواعد اللغة العامية فى مصر) .. « كل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف ــ إلى حد كبير ــ كيف تتأثر كل نواحى النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول سعيد عقل ، فى صحيفة « النهار البيروتية » :

« نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيابين ، إن ناموس الإفصاح يقضى بأن يحل لسان النطق

محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هذا الذى حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ، ولقن العرب كيف إبلاغ التحفة فيه...» . الخ .

هذه مقتطفات مما يقول هؤلاء ، مع أنهم لا يتحدثون ولا يكتبون إلا بالفصحى ، دلالة على أنهم لا يؤمنون بالعامية والدارجة .. وأغروا بذلك كثرة من الكتاب باعتناق قولهم .

● وليس العرب وحدهم بدعاً فى التخاطب بالعامة والفصحى ، فكل أمم الأرض تعرف ذلك . وكما هو قانون اللغات .. ومن الممكن تقريب العامة والفصحى بترقيتها .. لأن الدعوة إلى العامة لها خطرها ؛ لتعددها ، وكثرتها ، وشيوع الأمية بين ربوع العالمين : العربى والإسلامى .. والعاميات غير مفهومة فى نطاق الوطن الواحد فما بالنا بالوطن العربى كله مثلاً !!

وقد شهد كثير من المترجمين والمنصفين مثل الأستاذ عباس صالح وغيره ، أن لكل شعوب الأرض لغة تخاطب عادية وأخرى للكتابة والخاصة والأدب والدرس .

فدعوى الازدواجية أو الانفصام اللغوى دعوة خطرة يجب أن تقاوم ، وترقّى العامية فى نفس الوقت .

فحركات الإعراب أصيلة فى العربيـــة ، ولا يمكن فهم العربية ولا نطقها بعد الحركات ، ومعنى هذا إنه يستحيل تجريدها دون حركات الأحرف التى تتكون منها الكلمة . وما يأتى فى أواخر الكلمات من حركات ، فهى تغير المعنى تماماً كما أسلفنا .

فالحمد لله الذى أخفت وأخرس صوت قاسم أمين وسلامة موسى ، فى هذا الصدد : يقول سلامة موسى فى مقال منشور بمجلة الهلال سنة ١٩٢٧م :

(وقد اقترح ــ أى قاسم أمين ــ أن يلغى الإعراب فتسكن أواخر الكلمات) . وفاتهم أن الإعراب ضرورى ، وأن الغـــاءه قضاء على الفصحى ، وتمزيق للوحد العربية وجماعة المسلمين ، وقطع لنا عن ماضينا وتراثنا الخالد .. والتعثر التام فى فهمه ، فاللبس قائم ومتربص للظهور حين تلغى حركات الإعراب .

والغريب أيضا : أن سلامة موسى ، وقاسم أمين ، لم يأخذا بإلغاء الحركات والإعراب فى تآليفهما ؛ لأنهما لا يؤمنان بما يقولان ، أو يعرفان سلفاً بأنهما على باطل لا حقّ .. ومعنى هذا أنهما كانا أول الكافرين بدعوتهم ، وذلك برهان على فساد تلك الدعوة واستحالة تطبيقها ، كما ذكر الأستاذ عطار ، حين سمع سلامة موسى يخطب بالفصحى والحركات والإعراب أكثر من مرة فى مصر والقاهرة .

فالدعوة بأن العامة لا تحسن الإعراب .. لا يقتضينا أن نقضى على الإعراب ، وإنما واجبنا أن نغذ السير فى تعليم العربية ونشرها على أسس سليمة .. والترغيب فى ذلك ، وخدمة هذا الجانب حتى تحيا العربية بحياة هؤلاء والإرتقاء بمستواهم الثقافى وتدريس القرآن وحفظه ، وشرح الحديث الشريف ، والأدب العربى الراق كفيل ــ بلا شك ــ بالارتقاء بالفصحى .. والمحافظة على حركات الإعراب كفطرة وسليقة فى العربية ، والتمرس والتمرن على ذلك كفيل برفع المستوى بكل المستويات البشرية والثقافية المختلفة .. نقول ذلك حتى لا تتحول العربية الفصحى إلى رصيد العامية والدارجة ..

وحتى لا تسقط معجزة القرآن الكريم فى الفصاحة والبلاغة .. وهو محفوظ ــ بفضل الله وحفظه ــ بوعد الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ .

فالحركات قوامُ العربيـــة ، والإعـــراب عمودها .. فمن ترك إعرابها فقد أعان وساعد على هدمها .. فالحمد لله الذى أمات هذه الدعوة فى مهدها ، وأخرس أصحابها .. ووجد من يعارض الدعوة إن بدت ثانياً من المساكين ، والغافلين ، والجاهلين :

وإن عـادت العقـرب عدنـا لهـا
بالنعـل والنعـل لهـا حاضـــرة

فالأعداء للعرب والمسلمين يحاولون « تضييع » التراث العربى والإسلامى لمآرب سياسيـــة واقتصادية ، وأن الهجمة على اللغة العربية (بالدعوة إلى العاميات ــ لا إلى عامية واحدة) وكذلك الهجمة على الأدب العربى (بالشعر الحديث ــ وعلى آداب الأمم العربية) والهجمة على الفن (بالفن المشوه ــ كالذى نراه فى الرسم التشكيلى وما دونه) والهجمة على الأخلاق ، والهجمة على الدين بمختلف الدعاوى .

فاللغة العربية الواضحة السليمة هى رباط الأمة الإسلامية ، والأدب الجيد ، والخلق النبيل ، والفن الجميل السامى مطلوب الإنسانية الرشيدة .

● ● ●

وبعد :

فالأمل الذى نرجوه ويراود أحلامنا .. هو إيقاظ الوعى بتفكير أكاديمى توجيهى محايد ، وأيديولوجية ، لا هى بالشرقية الإلحادية المادية ، ولا بالغربية الصليبية المتعصبة . وإنما بالرجوع إلى توجيه القيم الأصيلة فى تراثنا الثقافى والروحى والحضارى . أساسها الإسلام الأصيل نفسه فى النظرة إلى الحياة والسلوك .. وترابط الأفراد ، والصلات الإنسانية .

وهذا ما ارتبطت به شخصية الشعوب الإسلامية فى وجودها واستمرارها ، حين تسود « الأيديولوجية » الإسلامية ، وتصبح الرائد الوحيد فى التفكير والتوجيه والمسار . وبذلك يقوى فى الشعوب الإسلامية دافع الحرص على الاستقلال ، وينمى فيها شخصيتها وذاتيتها ؛ لأنها ستبحث من جديد عن مصادر الأصالة فى قيامها وشخصيتها ، واعادة تقديرها من جديد .

والمصدر هو القيم الإسلامية ، الذى ارتبطت به فى الوجود والاستمرار .

وإن صح العزم سيصبح الأمل ثقة وحقيقة .

ويسألونك متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً بفضل الله تعالى ، متى صح العزم ، واتحدت القوى ، وذللت الصعاب ..

وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم ..

والله ولى التوفيق ....

« إن أريد إلَّا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب » .

لمزيد من الفائدة فى هذا الجانب نرجو الرجوع إلى :

١ ــ الفكر الإسلامى وصلته بالإستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ، رحمه الله تعالى .
٢ ــ الاستشراق والمستشرقون وموقفهم : للدكتور محمد البهى ، رحمه الله تعالى .
٣ ــ قضايا ومشكلات لغوية ــ للأديب العالمى : أحمد عبدالغفور عطار .

الشعر الخالد والشعر المضاد

بقلم : الاستاذ/
احمد مصطفى حافظ

أصبح الشاعر اليوم مُطالبا بأن يكون ذا ثقافة واسعة عميقة ، بعد أن أُزيلت الحواجز بين ثقفات الشعوب فى العالم بأسره ، بفضل الترجمة وحب الْفَوْق ، ثم وسائل المواصلات السريعة .

والشعر العمودى لم ينته دوره كما يردد البعض ساخرين ، ولكنه ــ لكى يكون أقدر على أداء رسالته ــ يتعين أن يضيف ولا يكرر ، ويستحدث لغة موائمة ، بعيدة عن التقليد والمباشرة ، واجترار المفردات اللغوية التراثية ، الموغلة فى القدم ، كما يتعين ألا يستخدم ذات الصور والأساليب التى استخدمها الشاعر القديم ، بنقل (كليشيهاتها) الجاهزة .

فالشعر كائن حى متطور ، لا يقبل الجمود أو التحجر عند أسلوب أدبى معين ، بل ينبغى أن (يتأقلم) مع طبيعة العصر اوحضارته أوكما يقول ابن رشيق فى (العمدة) : « قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد ، فيحسن فى وقت مالا يحسن فى آخر ، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل بلد غيره .. ونجد الشعراء الحذّاق تقابل فى كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا تخرج من حُسْن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة »(١) .

وقد عرَّف كولريدج Coleridge الشعر فقال :

The best words in the best order

« أحسن الكلمات فى أحسن نظام »

وليس الشعر الحر ، أو شعر (التفعلية) بمعنى أدق ، هو النظام الأمثل لصياغة الشعر العربى الحديث ، بما يتفق ومقتضيات الحياة الجديدة وتطوراتها ، ونستطيع أن نقول نفس الشىء بالنسبة للشعر المرسل ، الذى يدعو إلى التحرر من القافية ، وكان الزهاوى قد دعا إليه عام ١٩٢٧ وقدم النموذج الذى يدلل به على وجهة نظره تلك بقصيدة طويلة عدد أبياتها مائة بيت وبيت ، ونشرها بالهلال فى ذات العام بعنوان (بعد ألف عام) ، واستهلها بقوله :

كأنى من قبرى انبعث وقد مضى ... علىَّ من الأعوام فى جوْفه ألْفُ
فألفيت أن الأرض قد حال وجهها ... بصنع الأُلى كانوا عليها يعيشون

وقال الزهاوى فى تقديمه لهذه القصيدة ، إنها « من الشعر المرسل الذى استحدثته فى الشعر العربى ، مطلقا إياه من قيد القوافى ، ذلك القيد الثقيل الذى تبرم به الشاعر ، وحبَّبْته الأُلفة إلى السمع » .

وبعد الزهاوى ، قدَّم الأستاذ محمد فريد أبو حديد ــ رحمه الله ــ فى الرسالة عام ١٩٣٣ ترجمة

---

(١) أنظر (العمدة) لابن رشيق القيروانى ــ باب القدماء والمحدثين ص ٩٣ .

بالشعر المرسل لخطبة أنطونيو فى مسرحية (يوليوس قيصر) لشكسبير ، وأتبعها بنظم مسرحية ـــ من الشعر المرسل ـ مقتل سيدنا عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ومن نفس الشعر نظم ـ رحمه الله ـــ «خسرو وشيرين» و «زهراب ورستم» .

وعلى ذلك سار على نفس النهج فى مجال الشعر المرسل ، من قبل ومن بعد ، كوكبة من كبار شعرائنا ، نذكر منهم : السيد توفيق البكرى فى قصيدته « ذات القوافى » والدكتور أحمد زكى أبو شادى فى ترجمته لرواية «ممنون» لفوليتر و «ترنيمة آتون» لبريستد . وعبد الرحمن شكرى بالنماذج التى نشرها فى «الجريدة» .

وقد حاولوا جميعا أن يخضعوا الشعر العربى للشعر الأوروبى فى العروض ، كما يقول الزيات[١] ، ثم فترت الدعوة وخشع الدعاة ، واستمسكت القافية على عرك النقد وشدة التطور .

وكذلك الشأن بالنسبة لرواد الشعر الجديد ، أو الشعر الحر كما يسمونه ، فقد اعترفت الشاعرة الراحلة (نازك الملائكة) ـــ التى كثيرا مايثور الخلاف بين الباحثين حول ريادتها للشعر الحر بنظمها لقصيدة الكوليرا فى الأربعينات ، أم أن الريادة للشاعر بدر شاكر السياب ، بعد نشره لقصيدته (المطر) فى نفس الفترة الزمنية ـــ نقول : اعترفت نازك بأن «تيار الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد ، وسيرجع الشعراء إلى الأوزان الشطرية بعد أن خاضوا فى الخروج عليها والأستهانة بها ... وليس معنى هذا أن الشعر الحر سيموت ، وإنما سيبقى قائما ... يستعمله الشاعر لبعض أغراضه ، دون أن يتعصب له ، ويترك الأوزان العربية الجميلة»[٣]

وحسب دعاة الشعر الحر ، قول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه ، عن امتياز وتفرد العربية بالوزن والقافية دون سائر اللغات ، قولها بكتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) : «.. وقد سيطر هذا الطابع العربى المميز على الشعر فى العالم ، وطغى على الطابع الإغريقى واللاتينى والجرمانى .. وبرغم أن اللغات الجرمانية ، خاصة الألمانية ، يصعب استخدامها فى القافية ، فقد اتخذت الطابع العربى طابعا لها ، ونبذت الأصول الإغريقية ، حتى صارت غريبة علينا اليوم ...»[٤] .

وقد سبق لكاتب هذه السطور أن قدَّم تعريفا لماهية الشعر ، منذ أكثر من أربعين عاما ، فقال ـــ بمقال له نشرته (الرسالة) فى حينه : «الشعر تعبير ذاتى ممتاز ، مثل شاذة القاعدة والقانون تعبير غير مطَّرد ، عارض غير مستديم» وقد يعترض معترض على ذاتية الشعر ، فيقول : إن ذاتية الشعر ليست ذاتية خالصة ، فإن فيها طرفا من الموضوعية ... فكَوْن الشعر خاصا ، لا يمنعه أن يأخذ صفة العموم ، بوصفه تعبيرا .. والتعبير خروج من الذاتية إلى الموضوعية .. وعلى قدر اقتدار الشاعر على أن يضمِّن شعره جانبى الذاتية والموضوعية ، تكون عبقريته»

ثم انتقلت ، بعد ذلك ، إلى الحديث عن الوزن والقافية ، بقولى : «والشعر يحمل فى طبيعته الذاتية قُوَى تأثيرية ، يحتاج إليها تصوير الحياة من وجهة نظر الشاعر .. فوزن القصيدة ـــ وهو

---

(٢) أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى رجب ١٣٨١ هـ ـــ ديسمبر ١٩٦١ م م ص ٧٨٥ .

(٣) شجرة القمر لنازك الملائكة ص ١٦ ـــ ١٧ .

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ـــ ترجمة يضون ودسوق ص ٥٨ .

صميمه مدى الجو النفسى لأعماق الشاعر ، حين الخلْق الفنى ـــ لم تُسلك فيه الألفاظ عبثا .. ليست القافية مجرد لفظة ولكنها .. لمحة تِكَرٌ على وحدة الموضوع »[٥]

● ● ●

وإذا أمْعنَّا النظر اليوم ، فيما آل إليه الأمر ، بعد مرور مايقرب من نصف القرن من الزمان ، وعلى ظهور ماسمى : بالشعر الحر ، نلاحظ ـــ بتجرُّد تام ، وبدون أدنى تحامل ـــ أن معظم شُداته الذين خلفوا الرواد الأول ، قد أصبحوا ينظمون الشعر الحر ، بلا تفعلية أوقافية ، مقتصرين على إيقاع بعض المقاطع فحسب ! ... لأنهم عزفوا عن دراسة العروض الدراسة الوافية اللازمة ، واكتفوا بتقليد نماذج الرواد ، دون أن يُعانوا معاناتهم ، ويتعمقوا تعمقهم فى التثقُّف والاطلاع على ذخائر التراث ، وسبر أغوار العربية والوقوف على أسرارها ودقائقها .

وكثيرا ما نسأل شباب الشعراء الجدد (الأحرار) ـــ وعددهم يفوق الحصر ! ـــ نسألهم عن البحر الذى ينظمون فيه (تفعيلاتهم) المفترضة ، فلا نظفر منهم بطائل ، بل إن كثيرا منهم قد تحرروا أيضا من (قواعد) اللغة ، وأصبحوا لايميزون بين النصب والجر والرفع ، وكأن هذه الأمور ليست بذات بال !

وقد سبق أن اختلفنا مع الدكتور أحمد هيكل ، حين قال بمقدمة ديوانه : (أصداء الناى) : « .. على أن مخالفة القاعدة العروضية لايخرج تلك القاعدة ، قاعدة جمالية ، شأنها أن تتطور وتتغير من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى آخر .. وقد حدث هذا التطور والتغير فعلا فى شعرنا القديم ، كما يشهد بذلك العصر العباسى ، وكما يشهد به أيضا الإقليم الأندلسى »

وقلنا فى الرد على الدكتور هيكل إنه ربما يعنى بذلك ما استحدثت من فنون : القُوما ، والسلسلة ، والدوبيت والموشح وكان كان والمواليا وغيرها .. وقلنا : إننا كنا نود أن يوضح الدكتور هيكل وجهة نظرة هذه بالاستشهاد وضرب الأمثلة ، للتدليل على أن التطور والتغيير ، فى شعرنا القديم ، وفى أشعار العصر العباسى والأندلسى ، كان مغايرا أو مخالفا للقاعدة العروضية الخليلية .. وهناك فارق دقيق بين التجديد والتطوير ، وبين : المخالفة التى ذكرها الدكتور هيكل .. فإن الأوزان التى أحدثها المولدون ، مثلا ، يتبين بالدراسة أنهم استنبطوا من عكس دوائر البحور الخليلية ، كما هو الشأن فى بحر المستطيل :

مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن

بدلا من تفاعيل الطويل :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وكذلك الأمر بالنسبة لبحر الممتد ، والمتئد ، والمنسرد ، والمطرد إلخ ... كما أن إضافة الأندلسى التى تتمثل فى الموشحات والأزجال وغيرها ، لم تخرج عن دائرة الأوزان ، التى استنبطها واستخراجها ـــ ولم يخترعها ـــ الخليل بن أحمد ، لأنها كانت كامنة فى تضاعيف الشعر العربى ، وهَدَتْه دقة الملاحظة والموهبة إلى إدراكها ، وتصنيفها ، وتسميتها ، وتحديدها ...[٦] .

● ● ●

(٥) أنظر عدد مجلة الرسالة الصادر فى ٢١ من مايو ١٩٥١ م .

(٦) أنظر كتابنا (شعراء ودواوين) ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠ م ص ٥٦ .

ولله العقاد ، حينما حسم هذا الأمر بنبوءته التى قال فيها : «ظهر فى عصرنا الحديث من دعاة التجديد من يعون إلى إلغاء القافية ونظم الشعر مرسلا أومطلقا على الطريقة الأوربية ، ولكنها دعوة لم يكتب لها النجاح ، ولانظنها جديرة بالنجاح فى المستقبل ، لأن أعاريض الشعر العربى تستلزم القافية ، من حيث لا تلزم الأعاريض الأوربية ...»(٧) .

وقوله : «أشرنا إلى كلام الجاحظ من انفراد اللغة العربية بالعروض ، فعقّبنا عليه بأنه كلام علم وحق ، لا يبعث عليه مجرد الفخر والعصبية»(٨) ثم قوله السديد العميق : «إنما الوزن المقسم بالأسباب والأوتاد والتفاعيل والبحور ، خاصَّة عربية نادرة المثال فى لغات العالم ، وكذلك القافية التى تصاحب هذه الأوزان ومرجع ذلك إلى أسباب خاصة لم تتكرر فى غير العربية الأولى ، أهمها سببان : هما : الغناء المفرد ، وبناء اللغة نفسها على الأوزان»(٨) .

واخيرا ، وليس آخرا ، فقد طالعتنا جريدة الأهرام منذ أيام قلائل ، بمقال نفيس للدكتور صلاح عيد ، تحت عنوان : (التركيب الدورى للكون والشعر) يقول فيه : «الشعر الحديث بالمفهوم المعروف الآن فَقَدَ جمهوره ، لأنه فَقَد صلته بالكون .. لقد فَقَد الحركة التوافقية النغمية والدلالية فى كل بيت .. فقد تيار المعنى الذى هو حركة ذاهبة راجعة فى كل بيت .. فالتيار — سواء كان كهربائيا أم دلاليا — لا يسرى إلا بين قطبين ، الشعر الحديث فقد القطبين ، حين حطّم الشطرين ، وكل شىء فى هذا الوجود مكون من شطرين ، أوشقين ، أونصفين .. أنا وأنت والخلية الحية ونواة الذرة ، وأصغر شىء حى ، وأكثر شىء حى .. السمكة السابحة فى الماء ، وأى نبات وأى صوان مكون من شطرين ، تسرى بينهما دورة .. وهذا المصباح الكهربى الذى أكتب هذه الكلمات فى ضوئه ، لا وجود له ولضوئه ، بدون الشقين والقطبين ، لأنه لا وجود للحركة الكهربية والنور ، ولحياتنا العصرية كلها ، بدونهما .. ولهذا ، فالشعر المرقد فقد النور وفقد الحياة ، حين تحطم قُطباه ، وتحطم شطراه إلخ ...(١٠) ومهما يكن من أمر ، فإن الزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض وصدق الأستاذ الكبير المرحوم مصطفى عبداللطيف السحرتى ، الذى كان كثيرا ما يردد قوله حينما كنت أُطْلعه — كطَلِبِهِ — على أحدث الدواوين الشعرية ، فى العربية والإنجليزية :

الشعر ماعاش دهرا بعد قائله   وسار يجرى على الأفواه كالمَثَل

كما يقول الزهاوى فى حين ترقد فى مثواها الأخير آلاف القصائد .. وعلى ولاء الزمن يحيا القصيد الفنى ، ويجتاز القرون .. وإن اختفى فى جيل ، لَمعَ فى جيل آخر ... كالبدر فى السماء ، إذا حجبته سحابة دكناء ، مايلبث أن يعود — بعد انقشاعها — باهر الضياء ...

---

(٧) أنظر كتاب العقاد (دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعية) ص ٤٢ .

(٨) أنظر كتاب العقاد (اللغة الشاعرة) ص ٤ — ٥ .

(٩) المصدر نفسه ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(١٠) عدد الأهرام الصادر فى يوم ٩/٥/١٩٩٢ م .

الإمام والخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم مجلة الأزهر ــ مستعينة بالله تعالى ، مسترشدة بهدى رسول الله ــ ﷺ ــ للإخوة الأئمة العلماء والخطباء نماذج أركان خطب أربع تسد مطلب الشهر العربى كله لمن شاء أن يستهدى بها .

ولا نشك أن أصحاب الفضيلة العلماء الخطباء ــ أمام كل نموذج منها ــ يستطيعون أن يعدوا خطبة قيمة وكان بودنا أن ندون الخطبة كاملة لكن ذلك فوق طاقة صفحات المجلة ، لذا اقتضت خطة النشر :

أن يقوم أعلام أئمة متخصصون فى ميدان الدعوة الى الله ــ تعالى ــ باختيار الخطب ، وتقديم أركانها مستوفاة فى أربعة نماذج لكل جمعة خطبة .

وإنا لنضرع الى الله ــ تعالى ــ أن يسدد خطانا فيجد الاخوة الفضلاء حاجتهم ، أو بعضها ، فيما نقدمه؛ وإن محرر الباب ــ من جانبه أيضا ــ سوف يلبى طلب من يكتب اليه منهم فى خطبة معينة أو أكثر ، ــ وفى الحق إن هذا الباب سوف ينجح عند نجاحه .. بهذا التعاون من الاخوة الخطباء عندما يكتبون بما يريدون ، حتى لا يكون هذا الباب مجرد تكرار تقليدى ينتهى الى السأم فالوأد .

والله نسأل أن يفتح للباب فتحا مؤزرا بهذا التعاون بين الخطباء والمحررين المتخصصين فيظهر ــ فى المجتمع ــ خطبة لها روعة العلم وهداه .

والله ولى التوفيق

أهمية الخطابة فى الدعوة الاسلامية

بقلـــم : عبد المنصف محمود عبد الفتاح
المدير العام للدعوة والاعلام بالازهر سابقا

فرض الله تبارك وتعالى : على المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها أن يجتمعوا كل أسبوع مرة فى المسجد الجامع : يوم الجمعة ، ثم يلقى عليهم الخطيب أو الواعظ خطبة تتعلق بشأن من الشئون الدينية أو الدنيوية ، أو تكون علاجا لمرض من الأمراض الخلقية أو الاجتماعية أو تصحيحا لبعض المفاهيم التى انحرف بها بعض ذوى الأهواء عن غرضها السامى النبيل ، وإجتماع هذا شأنه جدير حقا بأن يكون فرصة ثمينة لتغذية العقول ، وتنوير الأفكار وتحريك الأذهان ، وغرس الأخلاق الكريمة ، وبث روح الفضيلة فى نفوس المستمعين ، وبالتالى فهو خير وسيلة لحفز الهمم وتوليد الإرادات الصالحة ، والعقائد السليمة ، والأفكار الصحيحة .

كيفية تحضير الخطبة :

١ ــ معرفة أحوال المخاطبين وتحديد الهدف من الخطبة .

٢ ــ جمع الادلة الشرعية : من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة .

٣ ــ ترتيب عناصر الخطبة ، ودليل كل منها ..

٤ ــ الواقعية ، بحيث يكــون الموضوع : مناسبا للزمان والمكان وحال السامعين .

٥ ــ الوحدة بحيث يكون موضوع الخطب مستوعبا لكل جوانبها .

٦ ــ اختيار الأسلوب السهل الواضح .. والموضوعات الجديدة الحية التى لها صلة بالظروف القائمة وأن يعالج موضوع الساعة ببيان ما فيه من خير ، وحث الناس عليه ؛ أو ما فيه من شر ، وتحذير الناس منه ، دون إثارة الشعور ، أو إحداث لفتنة .

٧ ــ اختيار العبارات المؤثرة المفهومة .

٨ ــ الاستعانة بالأمثلة والقصة ، مع الاحتراز عن القصص الإسرائيلى الذى يتعارض مع القرآن والسنة ..

٩ ــ مخاطبة العقل والعاطفة معا .

١٠ ــ براعــة الاستهلال ، لجذب انتبــاه السامعين .

١١ ـ إثارة العواطف والمشاعر بمعالجة الأحداث التى تهم المسلمين ، وبأسلوب مبسط جزل ، لا تعقيد ولا تعمق فيه .

١٢ ـ النبرات القوية ، عند ذكر المواقف الهامة .

١٣ ـ عدم المضى فى أثناء الخطبة على وتيرة واحدة ، كانخفاض الصوت أو ارتفاعه .

١٤ ـ تلخيص أهم نقاط الموضوع ، ولو فى الخطبة الثانية ، بحيث ينصرف الناس وقد عرفوا ما طلب الخطيب منهم عن طريق النصح والتوجيه .

من أدب الخطيب :

١ ـ القدوة الحسنة والأسوة الصالحة بحيث يطابق فعله قوله .

٢ ـ مراعاة الإخلاص والبعد عن الرياء .

٣ ـ الحكمة : فى الوعظ ، والبعد عن التعنيف ما امكن ، وعدم الاستخفاف بالمستمعين أو التهكم بهم ، ازدراء لشأنهم وسوء تصرفاتهم .

٤ ـ عدم تجريح الأشخاص أو الهيئات بالاسم .

٥ ـ كثرة القراءة والمطالعة والحفظ بالنسبة للنصوص والاختلاط بالعلماء الدعاة للاستفادة منهم .

٦ ـ الاختلاط بمختلف طبقات الناس ، لاكتساب محبتهم والتعرف على مشاكلهم وطرق علاجها ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

٧ ـ عدم التهيب : من الحاضرين ، مهما كانت مكانتهم ومستوياتهم .

٨ ـ الجمع بين الخوف والرجاء ، وعدم إشاعة روح اليأس .

٩ ـ تجنب الأخطاء فى الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية وكذا الأخطاء اللغوية .

١٠ ـ عدم الإطالة أو الاسترسال : فى الخطبة خشية الملل .

١١ ـ عدم الاعتماد على النقول الضعيفة ، وتجنب المسائل الخلافية قدر الاستطاعة .

١٢ ـ مخاطبة الناس بما يمكنهم تنفيذه والقيام به أو بما يمكنهم تفاديه والبعد عنه .

١٣ ـ عدم الخروج عن الموضوع إلا بالقدر الذى يتطلبه حال المستمعين .

١٤ ـ الشجاعة الأدبية ، والنقد الهادف النزيه .

١٥ ـ تفهم العلوم المدنية وتحويلها إلى شراب سائغ مختلف ألوانه وعرضها فى أسلوب مشوق لتوضيح بعض ما تضمنته تعاليم الإسلام .

١٦ ـ محاولة التجديد المتواصل فى العلوم الدينية والتعمق فيها قدر الإمكان .

١٧ ـ أن تكون العظة نابعة من القلب ، ليكون لها تأثيرها فى النفوس .

١٨ ـ القدرة على تشخيص الداء ووصف العلاج المناسب على أن يكون الترغيب والترهيب كالعقاقير تختلف باختلاف الأشخاص وأدوائها ، والمجتمعات وظروفها .

١٩ ـ إجادة فن الإثارة ، وتهيج المشاعر والأحاسيس ، لشد انتباه السامعين وتأثرهم بالخطبة .

٢٠ ـ أن يكون مثل الخطيب كالطبيب الجراح يقوم بتخدير المريض ، قبل إجراء العملية الجراحية ، بمعنى أن يكون حليما رفيقا بالذى يأمره أو ينهاه ..

من وحي ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ـ الكتب السابقة بشرت بمحمد صلوات الله وسلامه عليه .

الرسالة المحمدية عامة وشاملة جاءت للعالمين جميعا لا فرق بين جنس وآخر وتضمنت الوحدة فى الإنسانية والكمال فى الدين وكان لابد لها من مقدمات ومبشرات ليستعد العالم كله لقبولها .

والناظر فى النصوص التاريخية التى تحدثت عن فترة ما قبل الرسالة وأثنائها يجد واضحا أنه سيُبعث نبى هو الخاتم وكانوا يرتقبون ظهوره حتى إن بعض علمائهم قد أعلنَ إسلامه بمجرد رؤيته للنبى محمد صلوات الله وسلامه عليه .

٢ ـ (ا) فمن هؤلاء ـ سلمان الفارسى الذى تنقل من عالم الى عالم فى النصرانية حتى دله آخرهم أن يترقب نبيا كاد أن يبعث من أرض العرب وكان هذا سببا لمجيئه من فارس مسقط رأسه الى أرض العرب وإقامته بها ..

(ب) ومن ذلك تلك القصة التى رواها البخارى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى سفيان عندما استدعاه هرقل فى بلاد الشام إذ يقول فى آخرها « وقد كنت أعلم أنه خارج نبى ولم أكن أظن أنه منكم » .

(جـ) وكذلك عبد الله بن سلام وكان حبرا عالما قال لما سمعت برسول الله — ﷺ — عرفت صفته واسمه وزمانه حتى قدم رسول الله — ﷺ — المدينة وعلمت بقدومه كبرت فقالت : عمتى خَيبك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت فقلت : يا عمه هو والله أخو موسى بعث بما بعث به . ثم خرجت الى رسول الله — ﷺ — فأسلمت ثم رجعت الى أهل بيتى فذكرت أوصافه صلوات الله عليه وما كان من نعته فى الكتب السابقة فأسلموا وغير هؤلاء كثير .

٣ — النصوص القرآنية ذكرت أن الكتب السماوية السابقة قد بشرت بمحمد — ﷺ — قال سبحانه : وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)

سورة الصف

— وفى سورة الاعراف جاء قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ... ﴾ .

وفى سورة البقرة قوله عز وجل :

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٨٩)

٤ — نصوص من الكتب السابقة — جاء فى الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا:

« (١٧) قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا. (١٨) أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » .

فقوله اجعل كلامى فى فمه هو إشارة إلى أن هذا النبى ينزل عليه الكتاب وإلى انه سيكون مثيلا حافظا للكلام وهذا صادق على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الدلالات على رسالة — ﷺ — مما يؤخذ من هذا النص .

٥ — سأل الشيخ عبد الوهاب النجار العالم المؤرخ الدكتور (كارلو تليتو) المستشرق الايطالى عن كلمة (بيركليتوس) الواردة فى الانجيل فاجاب بقوله — إن القسس يقولون هذه الكلمة معناها المعزى فقال إنى أسأل الدكتور — كارلوتليتو — الحاصل على الدكتوراه فى أداب اللغة اليونانية ولست أسأل قسيسا فقال إن معناها (الذى له حمد كثير) فسأله ايضا هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد فى اللغة العربية فقال نعم وهذا ما جاء فى القرآن الكريم على لسان المسيح فى قوله — ومبشرا برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد ..(قصص الانبياء للنجار) .

٦ — اسمه ﷺ يدل على صدق نبوته .

لقد ورد فى الكتب السابقة التى نزلت على موسى وعيسى عليهما السلام أنه المحمود كثيرا فجاء أسمه مشتملا على الحمد فهو محمود حتى فى السماء والارض وهو أفضل الحامدين فهو أحمد وأكثرهم حمداً فهو محمد .

فسلام الله عليك يا رسول الله فى يوم مولدك وصلاة وسلاما عليك فى الأولين والآخرين وصلاة وسلاما عليك الى يوم الدين .

محمد صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة

لفضيلة الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ــ اقترنت ولادة الرسول ــ ﷺ ــ بإرهاصات وبشريات تدل كلها على هذا الحدث العظيم الذى ملأ الدنيا سعادة ونورا وأخذ بأيدى البشرية المعذبة الى بر السلامة والأمان وإخرجها من الظلمات الى النور فتصدع إيوان كسرى إيذانا بإنهاء عهد البطش والجبروت وانطفأت نار فارس إشارة الى انتهاء عهد العبادة الزائفة والسجود لغير الله الواحد القهار وغاضت مياه بحيرة ساوى إعلاما بإن الله وحده هو الذى يجرى الخير والنعم على عباده وتنكست الأصنام والأوثان إيذانا بأن العزة والمجد لله جميعا .

٢ ــ ما تدل عليه هذه الإرهاصات : والناظر بعين الفكر والتأمل يدرك ما اراده الله سبحانه لهذا الكون من انسجام وتجاوب بين الكائنات كلها حتى ينتظم الكل فى طاعة المولى سبحانه تقديسا وتسبيحا .

« إن كل من فى السموات والأرض الا اتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آية يوم القيامة فردا » . مريم ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥

٣ ــ مولده ونشأته صلوات الله وسلامه عليه قالت أمه السيدة آمنة بنت وهب لقد رأيت كأن نورا خرج منى أضاء ما بين المشرقين فكان إيذانا بمولده صلوات الله وسلامه عليه ولقد انعقد الإجماع ممن شاهدوا رسول الله ــ ﷺ ــ أن لا مثيل له فى الجمال والكمال مما يوحى بثقة مطلقة فى ذاته واتحدت الأقوال فى وصفه صلوات الله وسلامه عليه أنه فاق الخلق جميعا فى خَلْق وفى خُلق وَعن جابر ابن سمرة رضى الله عنه قال « رأيت النبى ــ ﷺ ــ فى ليلة أضحيان ــ أى مقمرة مسفرة ــ فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان أحسن فى عينى من القمر » وقال على رضى الله عنه كان رسول الله ــ ﷺ ــ ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم ــ أبيض ضخم الهامة ــ أى الرأس ــ أغر أبلج . أهدب الأشفَار ــ أى طويل شعر العين أسوده كأن العرق فى وجهه كاللؤلؤ ــ لم أر قبله ولا بعده مثله ــ ونشأ ــ ﷺ ــ على كريم الخلال وحميد الصفات فعن ابن عمر قال : ما

رأيت أشجع ولا أجدر ولا أضوأ من رسول الله ــ ﷺ ــ وقد تولاه ربه وآواه من يتم وهداه من ضلالة وأغناه من فقر وكان المثل الأعلى فى كل صفة من الصفات الحميدة مما لا يدع مجالا لدارس صفة واحدة منها الا أن يسلم بأن صاحبها رسول الله حقا .

٤ ــ عظمة محمد ــ ﷺ ــ فى صغره ــ كان صلوات الله وسلامه عليه عظيم الروح زكى القلب راجح العقل دقيق الملاحظة ، قوى الذاكرة ، نبيل العواطف ، ودودا كريما طيب النفس عالى الهمة تبدو عليه علامات النجابة ، وغير ذلك من الصفات التى تؤهله لما أعده الله له من تحمل الرسالة العامة الشاملة التقى وهو فى رحلته مع عمه أبى طالب الى الشام وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره المبارك ، بالراهب بحيرة الذى جعل يتفقده ورأى فيه من أمارات النبوة فنصح عمه ومن كان معه ألا يوغلوا به فى بلاد الشام خوفا عليه من اليهود أن يعرفوا فيه هذه العلامات فينالوه بالأذى .

٥ ــ عصمته وطهارته منذ طفولته ــ لقد عزف صلوات الله وسلامه عليه منذ صباه عن جميع النقائض التى تردى فيها قومه وظهر بمظهر الكمال والرجولة وطهارة الروح وأمانة النفس فدعاه أهل مكة جميعا بالأمين وأصبحت الأمانة من اخص صفاته وصرفه هذا الخلق عن التفكير فى شهوات الإنسان الدنيا وارتفع فى أعماله وتصرفاته عن كل ما يمس هذا اللقب الذى عرف به بين أهل مكة وذويه ــ كان صلوات الله وسلامه عليه يرعى غنما مع زميل له فحدثته نفسه يوما أن يلهو كما يلهو الشباب فأفضى الى زميله ذات مساء أنه يود أن يهبط مكة يلهو بها لهو الشباب وطلب منه أن يقوم على حراسة الغنم ولكنه ما إن بلغ أعلى مكة حتى استرعى انتباهه عرس زواج فوقف عنده فما لبث طويلا حتى غلبه النوم وضرب الله على حواسه فلم ير ولم يسمع شيئا . ونزل مكة ليلة أخرى لهذا الغرض فكان نصيبه كالمرة الاولى نوم عميق وما استيقظ إلا من حرارة الشمس .. وماذا تفعل المغريات مهما بلغ حجمها بقلب امتلأ صفاء ونقاء وطهرا وعفافا .. ونفس كلها تفكير وتأمل فى آيات الكون وعجائبه وما خلق الله من شىء ، ظل صلوات الله وسلامه عليه قبل البعثة وبعدها محفوفا بعناية الله ورعايته ، زاهدا فى كل المغريات ، لا تستهويه زخارف الدنيا ، ولا تفتنه متع الحياة ، وصدق فيه قول القائل :

خلقت براء من كل عيب
كأنما خلقت كما تشاء .

٦ ــ شهادة لها وزنها ــ رأى خصومه وأعداؤه صلوات الله وسلامه عليه منهجه فى الحياة وسلوكه فى هذا الوجود فانبهروا بما كان عليه من الكمال والجمال مما جعلهم يسجلون بعض ما كان يتمتع به صلوات الله وسلامه عليه من الصدق المطلق اذا تحدث واذا وعد أو عاهد أو جدّ أو داعب أو أخبر أو تنبأ مع التزامه الكامل بما يدعو اليه مع تبليغه المستمر وعدم المبالاة بسخط الناس أو تعذيبهم أو الكيد له مع رجحان فى الرأى ونزاهة فى الحكم فرضوا به حكما وقت أن احتدم الخلاف بهم وكادت الحرب يشتعل أوارها عندما تنافسوا فى رفع الحجر الأسود مكانه عند تجديد بناء الكعبة المشرفة ولكن هو رسول الله المؤيد بروح من الله وفضل منه فصلاة وسلاما عليه كل وقت وحين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم وبطولته

بقلم : فضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الاستشهادات :

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

المائدة : ١٥ ، ١٦ .

الكاتب : المدير العام للدعوة والاعلام بالازهر سابقا .

٢ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ : أَحْسَنَ النَّاس ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاس وَلَقدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَة ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الَّصْوت فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله ـ ﷺ ـ رَاجِعًا وَقْد سَبَقَهُمْ إِلَى الَّصْوِت ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبى طَلْحَةَ عُرْيٍ ، فى عُنُقِه السَّيفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : كَمْ تُرَاعُوا .. كَمْ تُرَاعُوا ، قَالَ : وَجْدنَاهُ بَحْراً ، أَوْراِنَّهُ لَبَحْرٌ قَالَ : وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ » أخرجه مسلم فى صحيحه .

٣ ـ وعن على كرم الله وجهه أنه قال .. كُنَّا إِذَا احْمَّر الْبَأْسُ ، وَلَقِىَ الْقَوْمُ : الْقَوْمَ : اتَّقَيْنَا برسول الله ـ ﷺ ـ ، فَمَا يَكُنُ أَحَدُ : أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ » أخرجه الإمام احمد فى مسنده .

العنـــاصر :

١ ـ كان ميلاد النبى ـ ﷺ ـ : أعظم حدث فى التاريخ .

٢ ـ حال الأمم قبل مولده الشريف .

٣ ـ كان النبى ـ ﷺ ـ : المثل الأعلى : فى الشجاعة والبطولة .

٤ ـ كان فى معاركه كلها : يمتاز بصفات القيادة العليا .

٥ ـ كان يعلم أصحابه : آداب الحرب وآداب الانتصار .

البحث العلمى :

١ ـ كان مولده ـ ﷺ ـ : اكبر حدث فى التاريخ وإيذانا بفجر جديد : أشرقت شمس صاحبه على الإنسانية ، فكشفت عنها غيوم الجهل ، وظلمات الأوهام ، وأطلقت القلوب والعقول : من قيود الخرافات ، وفاسد التقاليد ..

٢ ـ كانت الأمم قبل مولده الشريف : فى تناحر وتخاصم ، كل امة تريد التغلب على أختها ، طلبا للسيادة حتى عم الفساد ، وانتشرت الفوضى ، وغلب على الناس : الغدر والفجور والظلم والجور ، يعتدى قويهم على ضعيفهم ويسفك بعضهم دماء بعض أما العقائد فكانت عندهم سيئة للغاية .

٣ ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ : المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة والبطولة الفائقة ، ومن شجاعته : انه كان يتقدم الصفوف ، حتى يكون أقرب المقاتلين من الأعداء ..

٤ ـ كان فى معاركه كلها يمتاز بصفات القيادة العليا ، فضلا عما كان يمازجها : من الرحمة التى لا تعرفها القيادات العسكرية الأخرى ، نلمس ذلك فى موقفه من الأسرى بعد المعركة ..

٥ ـ كان رسول الله ـ ﷺ ـ : يعلم المقاتلين : آداب الحرب ، وأنها قتال المقاتلين دون المدنيين ودون إسراف أو تمثيـــل .. وآداب الانتصار ، فكان يطلب إليهم : ألا ينتهكوا الأعراض ، ولا ينتهبوا الأموال ولا يستبيحوا : حرمات المعابد والمقدسات ..

الرحمة وثمارها

بقلم
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

العناصر :

١ ـ معنى الرحمة وبيان مدلولها .
٢ ـ الرحمة : صفة من صفات الله تعالى .
٣ ـ الرحمة : آثارها وثمارها .
٤ ـ قلب المؤمن مفعم بالرحمة لكل كائن حي .
٥ ـ القسوة : ليست من طباع المؤمنين .

الاستشهادات :

١ـ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٢٨﴾ التوبة

٢ ـ « ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .. » الفتح : ٢٩ .

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسعَةً وَتِسْعِين جُزْءًا وأنزل فى الأرض جزءا وَاحِدا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَراحَمُ الْخَلَائقُ ، وَحَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا ، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ » أخرجه البخارى ..

٤ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ : لَا يَرْحَمُه الله ، وَمنْ لَا يَغْفر لَا يَغْفر لَهُ » رواه البخارى ..

٥ ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إنَ أبَعَد النَّاس مِنِ الله تَعالى : القاسى الْقِلْبَ » رواه الترمذى .

البحث العلمى :

١ ـ الرحمة خلق : يدل على نبل الطبع ، وسمو الروح ، وصفاء النفس ، ونقاء المعدن ، وعلو الهمة فى الانسان تجعله يرق لآلام الناس ويسعى لازالتها ، ويتألم لأخطائهم ، فيتمنى لهم الهدى ، وديننا الحنيف : أمر بالتراحم ، وجعله من دلائل الايمان الكامل ، فالمسلم يلقى الناس وفى وجهه إشراق وانبساط وفى قلبه : حب وعطف وفى معاملته لين ويسر ، فهو يخفف عنهم ويتعاون معهم .

٢ ـ الرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق : صنعة المولى تعالى ، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء : أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة ، قال الله تعالى :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف ١٥٦

٣ ـ إن من آثار الرحمة وثمارها : البر والاحسان فالرحيم : هو البار بوالديه ، البار بأولاده ، البار بأقاربه ، البار بإخوانه ، البار بجيرانه ، البار بالناس جميعا ، يقوم لكل هؤلاء بالحقوق الواجبة عليه ..

٤ ـ المفروض فى المؤمن : أن تكون دائرة رحمته أوسع ، فهو يبدى بشاشة ، ويُظهر مودته ورحمته ، لعامة من يلقى ؛ لكى يكون جديرا برحمة الله ، والجزاء من جنس العمل ..

٥ ـ إن الرحمة تجعل المسلم رهف الحس ، رقيق المشاعر ، وتباعد بينه وبين غيره من الكائنات التى تعج بها الحياة ، لأن تبلد الحس : يهوى بالإنسان إلى منزلة الحيوان ، ويسلبه أفضل ما فيه ، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة لا إلى منزلة البهائم ، بل إلى منزلة الجمادات التى لا حس فيها ولا حركة ..

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا الإمام شيخ الإسلام

أبي يحيى زكريا الأنصاري

تحقيق فضيلة الشيخ
ابراهيم عطوه عوض

« باب السكت قبل الهمز وغيره »

اختلف عن حمزة فى السكت على الساكن قبل الهمز على مذاهب فعنه ـ من طَرِيقَيْه ـ السكت على اليـــاء من (شىء) كيـف وقـع ، وعلى لام التعريـــف نحو « الأرض » و « الإيمان » ، وعنه أيضاً ذلك من طريق خلف فقط ، وعنه ـ من طريقيه ـ السكت على ذلك ، وعلى الساكن المنفصل غير حرف المد نحو « قد أفلح » و « متاع إلى حين » و « خَلَوْا إلى » و « ابْنَىْ آدم » ، وعنه ذلك من طريق خلف فقط وعنه من طريقيه ذلك فى المنفصل . كما ذكروا فى المتصل ما لم يكن حرف مد نحو « القرآن » و « الظمآن » و « مسئولا » و « المرء » ، وعنه ـ من طريقيه ـ السكت على ذلك وعلى حرف المد فمنهم من خصه بالمنفصل نحو « بما أنزل إليه » وفى أنفسكم « وقالوا آمنا » ، ومنهم من أجراه فى ـ المتصل أيضاً نحو « أولئك » و « جيىء » و « من سوءٍ » وعنه ـ من طريقيه ـ ترك السكت مطلقاً ـ وعنه المد فى (شىء) كيف وقع . والمراد به التوسط .

ثم المراد به عند الجمهور السكت وهو الظاهر ، وعند غيرهم هما معاً كما ذكر ذلك الأصل فى باب المد والقصر والاختيار عن حمزة السكت فى غير حرف المد .

وروى السكت أيضاً عن ابن ذكوان فقيل : مطلقاً ، وقيل : فى ـ المنفصل ـ «ولام التعريف ـ وشىء ـ وشيئاً» وقال قائله : إنه دون سكت حمزة .

وروى السكت أيضاً عن حفص فى غير حرف المد .

وروى مثله عن أدريس عن خلف فى اختياره .

وروى السكت أيضاً عن رُوَيْس دون سكت حمزة . وقرأ أبو جعفر ـ بخلاف عنه ـ بالسكت على الحروف المعجمة التى فى فواتح السور بـ(الٓمٓ ـ الٓمٓ ـ الٓر ـ طسٓمٓ ـ حمٓ ـ قٓ)واختلف عن حفص فى السكت على أربع كلم : ألف (عوجا) فى الكهف ، وألف (مرقدنا) فى يٓس ، ونون (مَنْ راق)[1] ولام (بل[2] ران) والباقون بالدرج فى ذلك كله بلا سكت ، والسكت على الساكن لا يتأتى إلا حالة وصله بما بعده ، فإن وقف عليه امتنع السكت ، وكذا لو كان ما بعده همز متطرف ووقف عليه لأجل الساكنين .

بابُ وقف حَمزة وهشام على الهمز

وهو بالنسبة إلى حمزة ، إما ساكن أو متحرك ، والساكن إما متطرف أو متوسط ، والمتطرف إما لازم أو عارض فى الوقف ، واللازم يأتى ما قبله مفتوحا نحو (اقرأ) و (مكسورا) نحو (نبى) ولم يأت فى القرآن قبله مضموم .

والعارض يأتى قبله الحركات الثلاث نحو «إن امرء» و«من شاطىء» و«بدأ» .

والمتوسط إما متوسط بنفسه أو بغيره ، والمتوسط بنفسه يأتى قبله الحركات الثلاث نحو «مؤمن ـ وبئر ـ وكأس» .

والمتوسط بغيره إما بحرف نحو «فَأْوُوا» أو بكلمة نحو «وقال ائتونى» و«الملك ائتونى» و «الذى اؤتمن» وتخفيف ذلك إبداله بحركة ما قبله إن ضما فواو أو كسر فياء أو فتحاً فألف .

واختلفوا فى كسر الهاء وضمها فى «أنبئهم ونبئهم» إذا وُقف الإبدال ، والجمهور على الضم .

والمتحرك يأتى ما قبله ساكن ومتحرك ، وكل منهما إما متطرف أو متوسط ، والمتطرف الساكن ما قبله يكون ألفاً وياء وواواً زائدتين وغير ذلك . فالألف نحو «جاء ـ والسفهاء ـ ومن الماء ـ من يشاء» وتخفيفه بإبداله ألفا من جنس ما قبله ، وتجتمع ألفان فيجوز حذف إحداهما للساكنين ، فإن قدر حذف الأولى قُصرت أو الثانية جاز المد والقصر ، ويجوز إبقاؤهما للوقف مع المد طويلًا ، وأجاز بعضهم التوسط ، واليا والواو الزائدتان نحو «النسيىء ـ وبرىء ـ وقروء» ولا رابع لها

(١) فى القيامة .

(٢) فى المطففين .

وتخفيفه بإبداله من جنس الزائد وإدغام الزائد فيه ، وإن كان الساكن غير ذلك نحو « دِفْء ـ ومِلْء » من كل ساكن صحيح ونحو (المسيىء ـ لتنوء ـ ومن سوء) مما هو حرف من أصلى ، ونحو « وقَوْمَ سَوْءٍ » مما هو حرف لين ، وتخفيفه لنقل حركة الهمزة إلى الساكن . ثم حذف الهمزة كما ـ مر ، وأجرى بعضهم الياء والواو ، الأصليين مجرى الزائدين فأخذ فيهما بالإدغام أيضاً .

والمتطرف المتحرك ما قبله هو الساكن العارض المتطرف ، وتقدم حكم تخفيفه ، وسيأتى حكم تخفيفه كغيره بالروم وباتباع الرسم .

والمتوسط الساكن ما قبله : إما متوسط بنفسه أو بغيره أيضاً ، والمتوسط بنفسه يأتى الساكن قبله أيضاً ألفاً وياء زائدة ، ولم يأت منه فى القرآن (واوٌ) زائدة ويأتى غير ذلك ، فالألف نحو « أولياؤه ـ وجاءوا » وتخفيفه بين بين ، والياء الزائدة نحو « خطيئة ـ وهنيئاً » وتخفيفه بالإرغام كما مر فى المتطرف وغير ذلك من الساكن يأتى أيضاً صحيحاً [ويكون] ياء وواواً أصليتين ، حرف مد وغيره ، نحو « مَسْئولا ـ وسيئت ـ استيئس ـ والسُّوآى » وتخفيفه أيضاً بالنقل كما مر فى المتطرف ، ويجوز فى الياء والواو الأصليتين الإدغام أيضاً كما مر فى المتطرف .

والمتوسط بغيره يأتى الساكن قبله متصلًا به رسماً ومنفصلًا عنه ، فالمتصل يكون (ياء) حرف النداء نحو « ياآدم ـ ويا أيها » ـ و (ها) التنبيه نحو « هؤلاء ـ وهاأنتم » و (لام) التعريف نحو « الأرض ـ والآخرة » وتخفيفه بالتسهيل بين بين بعد الألف ، وبالنقل بعد لام التعريف . هذا مذهب الجمهور ، وآخرون على التحقيق إجراء له مجرى المبتدأ .

والمنفصل رسماً يأتى الساكن قبله صحيحاً وحرف لين وحرف مدّ ، فالصحيح نحو « من آمن قد أفلح » وحرف اللين نحو « خلوا إلى ـ وابنى آدم » ، واختلفوا أيضاً فى تسهيله وتخفيفه فالأكثر على تسهيله بالنقل ، واستثنوا منه ميم الجمع نحو ـ « عليكم أنفسكم » ، والباقون بالتحقيق ، وحرف المد يأتى ألفا وياء وواواً ، فالألف نحو « بما أنزل » ، والياء والواو نحو « ظالمى أنفسهم ـ وتاركوا ءالهتنا » . فبعضهم ممن خفف الهمز بعد الساكن الصحيح بالنقل خففه فى هذا أيضاً فجعله بين بين بعد الألف ، ونقل حركته أو أدغم بعد الياء والواو .

والمتوسط المتحرك الذى قبله متحرك : إما متوسط بنفسه أو بغيره أيضاً ، فالمتوسط بنفسه همزته مفتوحة ومكسورة ومضمومة ، وما قبلها مضموم ومكسور ومفتوح فيصير تسع صور :

الأولى : نحو « مؤجلًا ـ وفؤاد » .
الثانية : نحو « مئة وفئة » .
الثالثة : نحو « شنئان وسَأَلَهُم » .
الرابعة : نحو « سُئِلَ ـ وسُئِلُوا » .
الخامسة : نحو « إلى بارئِكم ـ وخاسئِين » .
السادسة : نحو « يطمئِن ـ وبئِس » .
السابعة : نحو « برءُوسكم ـ ورءوس » .
الثامنة : نحو « يستهزئون ـ وأنبئونى » .
التاسعة : نحو « رءوف ـ ويدرءون » .

وتخفيف الهمزة فى الصورة الأولى بإبدالها واواً ، وفى الثانى بإبدالها ياء ، وفى السبع الباقية بين بين .

وأجاز بعضهم إبدالها أيضاً فى الثالثة ألفاً ، وبعضهم فى الرابعة واواً ، وفى الثامنة ياء بحركة ما قبلها .

والمتوسط بغيره أيضاً إما متصل رسماً أو منفصل ، فالمتصل يكون بدخول حرف من حروف المعانى عليه كحرف العطف — وحرف لام الابتداء وهمزة الاستفهام ، وهو الذى يقال له : المتوسط بزائِد ، وتأتى فيه مفتوحة ومكسورة ومضمومة وما قبلها مفتوح ومكسور فيصير ست صور :

الأولى : نحو « بأنّه — وبأيكم » .

الثانية : نحو « فَأْذَن — أفأمن » .

الثالثة : نحو « لَبِإمَامٍ — وبإيمان » .

الرابعة : نحو « فإنهم — فأما » .

الخامسة : نحو « لِأُولَاهم — ولِأُخْراهم » .

السادسة : نحو « فأوارى — أؤلقى » . فتتبدل فى الصورة الأولى ياء وتُسَهَّل بين بين فى الصورة الباقية عند الجمهور .

والمنفصل من المتوسط بغيره يكون أيضاً متحركاً بالحركات الثلاث وما قبلها كذلك مثل ما مر أوّلا .

الأولى : نحو « فيه آيات ، ويوسف أيها » .

الثانية : نحو « فيه آيات — ومن ذرية آدم » .

الثالثة : نحو « أفتطمعون أن — قال أبوهم » .

الرابعة : نحو « يرفع إبراهيم — ومنه إلا » .

الخامسة : نحو « من بعد إكراههن — ويا قوم إنكم » .

السادسة : نحو « غير إخراج — وقال إنى » .

السابعة : نحو « الجنة أزلفت — والحجارة أعدت » .

الثامنة : نحو « من كل أمة — وفى الأرض أمماً » .

التاسعة : نحو « كان أمة — ومنهن أمهاتكم » .

هذا كتخفيف المتوسط بنفسه ، ويأتى فيه ما مر ثَمَّ .

فصـــل

كان حمزة يتبع فى الوقف على الهمزة إذا خففه — ولو وسطا — خَطَّ المصحف العثمانى المجمع على اتباعه ، بشرط أن يصح وجهه فى العربية ، وسنده عند القُرَّاء وإن كان ما خالفه أقيس ، وهذا هو المسمى عندهم بالتخفيف الرسمى ، ولا يظهر فائدته إلا فيما خالف فيه الرسم القياسى ؟ فيجوز الوقف بالرسمى بياء مشددة فى « أثاثاً وريًّا » .

وبواو مشددة فى « تُوِّى — وتُوِّيه » ، وكذا عند بعضهم فى « رؤيّا »[1] .

وبألف فى « النشأة » .

وبواو فيما رسم بها نحو « هزؤا — وكفؤا — ويعبئوا — وأتوكؤ — ويتفيؤا — ويُنَشَّؤُا » .

وبياء فيما رسم بها نحو « مؤيلا — ونبأى المرسلين — ومن ءاناىءِ الليل — ومن تلقاءى » .

وبواو واحدة مع ضم ما قبلها فيما رسم بالحذف نحو — « يستهزؤن — ومتكئون — وقل استهزؤا » .

---

(١) فى التقريب : وكذلك يجوز عند بعضهم (رُيًّا) فى المضموم الراء حيث وقع .

وبياء واحدة فيما رسم بالحذف نحو « خاسئين ــ وخاطئين ــ ومستهزئين » . وكل ذلك له وجه فى العربية ، وصح السند به .

وأطلق بعض المتأخرين ــ التخفيف الرسمى ؛ فأجاز الوقف بالألف على كل ما كتب بها ، وبالياء على كل ما كتب بها ، وبالواو على كل ما كتب بها ، وبالحذف على ما كتب به من غير نظر إلى صحته لغة ولا سنداً ، فأجازوا ذلك فى نحو « سالت[٢] ــ وكأنه ــ وأخاه ــ وهيا[٣] » ونحو « إسرائيل ــ والملائكة » ونحو « شركاؤكم ــ وشفعاؤنا ــ وهؤلاء[٤] ــ فادَّارَأتم ــ امتلأت ــ واشمأزت » وهذا مردود ، بل لا يجوز التلاوة به لمخالفته اللغة وعدم صحة سنده .

وجميع ما مر فى الباب من تخفيف الهمز مختص بحمزة كما مرت الإشارة إليه ، ويشاركه فى المتطرف منه هشام . فاختلف عنه من طريق الحلوانى فى الوقف عليه ، والجمهور على أنه يسهله كتسهيل حمزة .

فصل

يجوز الروم والإشمام بالحركة فيما لم تبدل الهمزة المتطرفة فيه حرف مد ، وذلك فيما نقل إليه حركة الهمزة نحو « المرء ــ ودفء ــ وسوء وشيء » وفيما أدغم نحو « قروء وبرىء وشىء وسوء » عند المدغم وفيما أبدل واواً أو ياء على التخفيف الرسمى نحو « الملؤ ــ والضعفاء ــ ومن نَبَىءِ ــ وَرأيتَائِى » وفيما أبدل كذلك على مذهب الأخفش ، نحو « لؤلؤ ــ وبيدى » إذ المبدل حرف مد فلا يدخله روم ولا إشمام نحو « اقْرَأْ ــ ونَبِّىءْ ــ ويَبْدَأ ــ وَإِنِ امْرُءٌ ــ ومن شاطىء » ؛ لأن هذه الحروف لا أصل لها فى الحركة .

ويجوز عند الأقل من القُرَّاء بالتسهيل بين بين فى الهمز المتطرف إذا وقع بعد متحرك أو ألف إذا كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة فى نحو « يبدأ ينشىءُ[٥] ــ واللؤلؤ ــ وشاطىء ــ ولؤلؤ ــ وعن النبأ ــ والسماء » . تنزيلًا للنطق ببعض الحركة منزلة النطق بكلها ، أما الأكثر فمنع ذلك فيما ذكر ، وأجازه بعضهم فيما صورت فيه الهمزة واواً أو ياء ومنعه فى غيره .

﴿ بابُ الإدغَام الصَّغير ﴾

وهو ما كان الحرف الأول فيه ساكناً . وهو جائز وواجب وممتنع ، هى مبينة فى علم التصريف وبعض كتب القراآت . واقتصر بعض القراء ــ ومنهم الأصل ــ على الجائز وهو ما اختلفوا فيه وينحصر فى ستة[١] فصول : إذْ ــ وقد ــ وتاء التأنيث ــ وهل وبل ــ وحروف قربت مخارجها ــ والنون الساكنة والتنوين .

فصل

« ذال إذ » اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف :

التاء والجيم والدال والصاد والسين والزاى ، نحو : « إذ تبرأ ــ إذ جعل ــ إذ دخلت ــ إذ صرفنا ــ إذ سمعتموه ــ إذ زين ــ وإذ زاغت » .

أدغمها فيهن ــ أبو عمرو وهشام ، وأظهرها عندها المدنيان وابن كثير وعاصم ويعقوب ،

(٢) فى التقريب : نحو (سألت ــ سألت) .

(٣) كذا فى التقريب (وهىء ــ ويهىء) .

(٤) فى التقريب : « وهؤلاء إن » .

(٥) كذا وفى التقريب « ونبىء » .

(١) عبارة التقريب : وينحصر فى فصول ، وفى هذا التلخيص قال : ستة فصول ، لأن (هل وبل) يعتبران معا فصلا واحدًا .

وأدغمها فى التاء والدال فقط حمزة وخلف ، وفى غير الجيم الكسائى وخلاد ـ وبخلاف عنه ـ فى « وإذا زاغت » .

وعن رويس إدغامها فى التاء والصاد ، وقيل : فى الزاى ، وقيل فى الجيم وأظهرها ابن زكوان فى غير الدال ، واختلف عنه فى الدال .

فصـــل ـ « دال قد »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف : الجيم والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والظاء نحو : « لقد جاءكم ـ ولقد ذرأنا ـ ولقد زينا ـ قد سألها ـ قد شغفها ـ ولقد صرفنا ـ قد ضلوا ـ فقد ظلم » .

أدغمها فيهن أبوعمرو والأخوان وخلـــف وهشام ـ بخلاف عنه ـ فى « لقد ظلمك » فى صٓ ، وأدغمها ابن زكوان فى الذال والظاء والضاد ، واختلف عنه فى الزاى والشين وأدغمها ورش فى الضاد والظاء وأظهرها الباقون ، وعن رويس إدغامها فى الجيم وعن روح إدغامها فى الضاد والظاء .

فصـــل ـ « تاء التأنيث »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف : الثاء والجيم والزاى والسين والصاد والظاء نحو : « بعدت ثمود ـ نضجت جلودهـــم ـ خبت زدناهم ـ أنبتت سبع ـ لهدمت صوامع ـ كانت ظالمة » .

أدغمها فيهن أبوعمرو والأخوان ، وأدغمها ورش من طريق الأزرق فى الظاء فقط ، وأظهرها خلف فى الثاء فى (حروف سجز) ، وفى الصاد ، وفى لهدمت صوامع ، وأظهرها ابن زكوان عند (حروف سجز) واختلف عنه فى الثاء ، وفى « أنبتت سبع » .

قال الشاطبى : وجبت قال الاصل : ولا نعرف عنه خلافا فى إظهارها ، وأظهرها الباقون عند الأحرف الستة ، وعن رويس الإدغام فى الجيم والسين والظاء من هذا الطريق ، وعن روح الإدغام فى الظاء فقط .

فصـــل ـ « لام هل وبل »

اختلفوا فى إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف : التاء والثاء والزاى والسين والضاد والطاء والظاء والنون .

تختص هل بالثاء ، و « بل » بالزاى والسين والضاد والطاء والظاء ، ويشتركان فى التاء والنون ، وذلك نحو « هل تنقمون ـ وبل تأتيهم ـ وهل ثوب ـ وبل زين ـ بل سولت ـ بل ضلوا ـ بل طبع ـ بل ظننتم ـ بل تتبع ـ وهل نحن » .

أدغمها فيهن الكسائى ووافقه حمزة فى التاء والثاء والسين واختلف عنه من طريقيه فى (بل طبع) وخصَّ الشاطبى الخلاف بخلاد ، والمشهور عن حمزة من طريقيه الإظهار ، وأظهرها هشام عند الضاد والنون ، واختلف عنه فى الستة الباقية والجمهور على الإدغام ، واستثنى أكثرهم عنه « هل يستوى » فى الرعد ، وأظهرها الباقون عند الأحرف الثمانية إلا أبا عمرو فإنه يدغم « هل ترى » فى الملك والحاقة .

فصـــل ـ « حروف قربت مخارجها »

وهى سبعة عشر حرفا :

أولها : الباء الساكنة عند الفاء فى خمسة مواضع :

أو يغلب « فَسوف ـ وإن تعجب فَعجب ـ إذهب فَمن ـ فاذهب فإن ـ ومن لم يتب فَأولئك » .

أدغمها فيهن أبو عمرو ـ والكسائى واختلف عن هشام وخلاد .

ثانيها : الباء فى الميم من « يعذب مَّن » فى ـ البقرة أدغمها أبو عمرو والكسائى وخلف ، واختلف عن ابن كثير وحمزة وقالون وأظهرها الباقون .

ثالثها : الباء فى « اركب ، » فى هود أدغمها البصريان والكسائى واختلف عن نافع وابن كثير وعاصم وخلاد وأظهرها الباقون .

رابعها : الفاء فى « نخسف بّهم » فى سَبَأ أدغمها الكسائى وأظهرها الباقون .

خامسها : الراء الساكنة عند اللام نحو « نغفر لكم ـ واصبر لحكم » أدغمها أبو عمرو بخلاف عن الدورى عند بعضهم وأظهرها الباقون .

سادسها : اللام الساكنة فى الذال فى « من يفعل ذلك » حيث وقع أدغمها أبو الحارث وأظهرها الباقون .

سابعها : الثاء فى الذال فى « يلهث[1] ذلك » أظهرها المدنيان وابن كثير وعاصم وهشام بخلاف عنهم ، وأدغمها الباقون قال الأصيل : (وهو المختار عندى للجميع للتجانس) .

ثامنها : الدال فى الثاء فى « من يرد ثواب » حيث وقع أدغمها أبو عمرو وابن عامر والإخوة وأظهرها الباقون .

تاسعها : الذال فى التاء فى « إتخذتم ـ وأخذتم » وما جاء فى لفظة أظهرها ابن كثير وحفص ، واختلف عن رويس ، وأدغمها الباقون .

عاشرها : الذال فى التاء أيضا فى « فنبذتها » فى (طه) أدغمها أبوعمرو والإخوة وهشام بخلاف عنه ، وأظهرها الباقون ، وعن ابن زكوان إدغامها .

حادى عشرها : الذال فى التاء أيضا فى « عذت » فى غافر والدخان ـ أدغمها الأبوان والأخوة ، واختلف عن هشام أيضا ، وأظهرها الباقون .

ثانى عشرها : الثاء فى التاء فى « لبثتم ولبثت » كيف جاء أدغمها الأبوان وابن عامر والأخوان وأظهرها الباقون وعن رويس إظهارها فى حرفى (المؤمنين) خاصة .

ثالث عشرها : الثاء فى التاء أيضا فى ـ (أورثتموها) فى الأعراف والزخرف ، أدغمها أبوعمرو والأخوان وابن عامر وخلف ـ بخلاف عنهما ـ وأظهرها الباقون .

رابع عشرها : الدال فى الذال من « كهيعص ذكر » أدغمها أبو عمرو وابن عامر والأخوة وأظهرها الباقون .

خامس عشرها : النون فى الواو من « يسٓ والقرآن » أدغمها الكسائى ويعقوب وخلف وهشام ، واختلف عن نافع وعاصم والبزى وابن زكوان ، وأظهرها الباقون .

---

(١) فى الأعراف .

سادس عشرها : النون فى الواو أيضا من « ن والقلم » والخلاف فيه كالخلاف فيما قبله إلا أنه اختلف فيه عن رويس وحده وعن عاصم والبزى وابن زكوان ولم يختلف فيه عن قالون بالإظهار كالباقين .

سابع عشرها : النون[1] فى الميم من « طسم » أظهرها حمزة وأبو جعفر وأدغمها الباقون ، وأبو جعفر وأدغمها الباقون ، وأبو جعفر على أصله فى السكت اللازم منه الإظهار فى سائر حروف النوانح .

فصـــل

« أحكام النون الساكنة والتنوين »

النون الساكنة تأتى فى وسط الكلمة وآخرها ، وفى الاسم والفعل والحرف ، والتنوين لا يأتى إلا فى آخر الإسم ، ولهما أربعة أحكام: اظهار وإدغام وقلب وإخفاء .

فالإظهار لجميع القراء عند حروف الحلق ، وهى ستة أحرف : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، نحو : « يَنْأَوْن ــ من آمن ــ كل آمن ــ وأنهار ــ من هادٍ ــ وجرف هار ــ أنعمت ــ من عمل ــ عذاب عظيم ــ وانحر ــ من حكيم حميد ــ فسينغضون ــ من غل ــ إلـہٍ غيره ـــ قوم والمنخنقة ـــ من خير ـــ قوم ـــ خصمون » إلا أن أبا جعفر اختص بالإخفاء عند ــ الغين والخاء ، واستثنى بعضهم له من ذلك « فسينغضون ـــ وإن يكن غنيا ــ والمنخنقة » .

وعن قالون : الإخفاء عند الغين والخاء كأبى جعفر من غير استثناء شىء .

والإدغام للجميع أيضا فى ستة أحرف ، جمعها (يرملون) منها اللام والراء بلا غُنَّة عند الجمهور نحو : « فإن لم تفعلوا ــ هدى للمتقين ــ من ربهم ــ ثمرة رزقا » وذهب كثير إلى بقاء الغنة فيهما ، والأربعة الباقية ــ وهى : الياء والواو والميم والنون ــ بغنة ، نحو : « من يقول ــ وبرق يجعلون ــ ورعد وبرق ــ من والٍ ــ مثلا ما ــ عن نفس ــ حطة نغفر لكم » .

وخلف عن حمزة يدغم النون ــ والتنوين فى الياء والواو بلا غُنَّة ، ووافقه فى الياء الدروى عن الكسائى ، وكذا قنبل من طريق .

وأجمعوا على إظهار النون عند الواو والياء إذا اجتمعا فى كلمة واحدة ، نحو : « صنوان ــ وقنوان ــ والدنيا ــ وبنيان » .

والقلب عند الباء فقط نحو « أنبئهم ــ ومن بعد ــ وصم بكم بقلب النون والتنوين فى ذلك ميما خالصة فَتُخْفَى بغنة .

والإخفاء عند باقى الحروف ، وهى خمسة عشر : التاء والثاء والجيم والدال والذال والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف[2] نحو « كنتم ــ ومن تاب ــ جنات تجرى ــ والأنثى ــ من ثمرة ــ قولا ثقيلا ــ أنجيتنا ــ أن جعل ــ خلقا جديدا ــ أندادا ــ أن دَعَوْا ــ كأسا دهاقا ــ ءأنذرتهم ــ ومن ذهب ــ وكيلا ذرية ــ تنزيل ــ من زوال ــ صعيدا زلقا ــ الإنسان ــ من سوء ــ رجلا سالما ــ أنشره إن شاء ــ غفـــور شكـــور ــ الأنصار ــ أن صدوكم ــ جمالات صفر ــ منضود ــ من ضل ــ وكلا ضربنا ــ المقنطرة ــ من طين ــ

(١) فى التقريب : النون عند الميم .... الخ .

صعيداً طيبا – ينظرون – من ظهير – ظلا ظليلا – فانفلق – من فضله – خالداً فيها – انقلبوا – من قرار – سميع قريب – المنكر – من كتاب – كتاب كريم » .

والإخفاء حالة بين الإظهار والإدغام ولابد من الغنة معه .

باب الفتح والامالة وبين اللفظين

أمال الإخوة كل ألف منقلبة عن ياء ، سواء كانت فى اسم أم فعل :

فالاسم نحو « الهدى والهوى – والعمى – والربا – ومأوى – وموسى – ويحيى – وعيسى » .

والفعل نحو : « أبى – وأتى – وسعى – ويرضى – واشترى » .

وتعرف ذوات الياء من الاسم بالتثنية ، ومن الفعل برده إليك[1] ؛ فتقول – فى ذلك : « هديان – وهويان – وعميان » وفى الواو من صفا وشفا وسنا وعصا : « صفوان – وشفوان – وسنوان – وعصوان » وتقول – فى الفعل : أبيتُ – وأتيتُ – وسعيت – وارتضيت – واشتريت » وفى الواو من وعاودنا وعفا وخلا وعلا : دعوتُ ودنوت وعفوت وخلوت ، فإن زاد الواوى على ثلاثة أحرف صار بتلك الزيادة يائيا ، نحو : « ترضى وتدعى وتتلى وابتلى واستعلى وأوفى وأزكى وأعلى » ، وكذا أمالوا كل ألف تأنيث أتت على فعلى مثلث الفاء نحو : « طُوبى – وبُشرى – وذكرى – وإحدى – ومَوتى – ومَرضى » ، كذا أمالوا ما أتى منها على فُعالى بضم الفاء وفتحها نحو : « أسارى – وسكارى ونصارى » وكذا أمالوا ما رسم فى المصحف بالياء نحو : « متى – وبلى – ويا أسفى – ويا ويلتى – ويا حسرتى – وأنى للاستفهام نحو : أنى شئتم ، واستثنى من ذلك : « حتى – وإلى – وعلى – ولدى – وما زكى » فلا تمال ، وكذا أمالوا من الواو ما كان – مكسور الأول أو مضمومةٌ وهو : « الربا – والضحى – والقوى – والعلى » .

ومما أمالوه رءوس الآى من إحدى عشرة سور أتت على نسق : « طه ، والنجم ، والمعارج ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعلق » .

واختص الكسائى مما مر بإمالة – « أحيا » حيث وقع ، إذا لم يُنْسَق[2] كأحياكم أو نسق بغير الواو نحو : « فأحيا به » فإن نسق بها ، وهو « أمات – وأحيا » فاتفق مع حمزة وخلف على إمالته ، عن حمزة أجرى (يحيى) مجرى (أحيا) ففتحه إذا لم ينسق بواو وهو (ولا يحيى) فى طه وسبح ، واختص أيضا بإمالة (خطايا) حيث وقع ، وبإمالة (مرضات) كيف جاء ، وبإمالة (حق تقاته) فى آل عمران (وقد هدان) فى الإنعام ، (ومن عصانى) فى إبراهيم و (أنسانيه) فى الكهف و (أتانى الكتاب) و (أوصانى – بالصلاة) فى مريم ، و (أتانى الله) فى النمل و (محياهم) فى الجاثية ، و (دحاها) فى النازعات و (تلاها) و (طحاها) فى الشمس و (سجى) فى الضحى .

---

(١) أى بإسناد الفعل إليك كما تقول : رأيت ...

(٢) أى بالواو .

واتفق الكسائى وخلف على إمالة (الرؤيا) المعرف باللام فى يوسف والإسراء والصافات والفتح ، واختص الكسائى أيضا بإمالة رؤيا معا فى يوسف ، واختلف عنه فى (رؤياك) فيها ، فأماله الدروى عنه ، وفتحه أبوالحارث ، واختلف فيها عن ادريس .

واختص الدروى عن الكسائى بإمالة (هداى) فى البقرة وطه و (مثواى) فى يوسف و (محياى) فى الأنعام » وآذانهم – وآذاننا – وطغيانهم – وسارعوا – ويسارعون – ونسارع » حيث وقع و « بارئكم » فى البقرة و « الجوار » فى الشورى والرحمن والتكوير و (كمشكاة) فى النور و (رؤياك) فى يوسف كما مر .

واختلف عنه فى (البارى) فى الحشر وفى (أوارى) فى المائدة ، و (يوارى) فيها وفى الأعراف ، و (لا تُمَارِ) فى الكهف .

وأمال – الدروى عن الكسائى عن طريق فَتْحَةَ عين فعَالى من « النصارى – ونصارى – وأسارى – وكسالى – و اليتامى – ويتامى – وسكارى » لأجل إمالة الألف بعدها ، وهى لأجل إمالة اللام بعدها ، وهى لأجل ألف التأنيث ، والباقون على أصولهم المتقدمة وأمال حمزة وخلف الراء من (قراء الجمعان) .

فصل

ووافقهم أبو عَمرو على إمالة ما فيه راء بعدها ألف بأى وزن كان ، نحو : « ذكرى – وبشرى – وأسرى – وأراه – واشترى – والنصارى – وسكارى – وأدراك – وأدراكم »

واختلف عنه فى « يا بشرى » فى يوسف فعنه الفتح والإمالة بين بين ، والإمالة المحضة ، والفتح أصح ، والإمالة أقيس .

واختلف فى هذا الرائى كله عن ابن زكوان ، وروى عن هشام إمالة (أدرى) فقط ، ووافق شعبة على إمالة و (لا أدراكم به) فى يونس فقط ، واختلف عنه فى غيره ، وفى (بشراى) فى يوسف ، ووافقهم حفص على إمالة (مجراها) فى هود ، ولم يُمِلْ فى القرآن غيره ، واختلف عن ورش فى جميع ما ذكرنا من الراءىّ ، فرواه عنه الأزرق بين بين ، والأصبهانى بالفتح ، واختلف عن الأزرق فى (أراكهم) فى الأنفال .

فصل

ووافقت بعضهم على الإمالة فى إحدى عشرة كلمة وهى : (بلى) ووافقهم على إمالتها ورش من طريق الأصبهانى وشعبة بخلاف عنه ، و(مزجاة) فى يوسف و (أتى أمر الله) أول النحل ، و (فتلقاه منشورا) فى سبحان أمالها – ابن زكوان بخلاف عنه و (أعمى) فى موضعى سبحان و (من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) وافقهم على إمالتها شعبة وعلى إمالة الأول البصريان ، وعن روح فتحه ، وعن شعبة إمالة (أعمى) موضعى طه (يوم القيامة أعمى) (رب لم حشرتنى أعمى) و (سوى) فى طه ، و (سدى) فى القيامة وافق على إمالتها وقفا شعبة ، بخلاف عنه و (أناه) فى الأحزاب وافق على إمالته هشام عن طريق الحلوانى ، وعن ابن وردان إمالته بين بين و (نأى) فى سبحان وفصلت ، ووافق على إمالته شعبة بخلاف عنه ،

فروى عنه إمالته فيهما ، وإمالته فى الأول فقط ، والفتح فيهما ، وعن السوسى الإمالة فيهما ، واختلف المميلون فى إمالة النون : فأمالها مع الهمزة ـ الكسائى وخلف لنفسه ، وعن حمزة واختلف عن شعبة فى حرف سبحان ، فروى عنه ـ إمالتها معها وفتحها ، و (رأى) ويأتى بعده متحرك وساكن ، فالمتحرك إما ظاهر أو مضمر فالظاهر نحو : « رأى كوكبا ـ رأى قميصه » فأمال الراء تبعا للهمزة الإخوة ، واختلف عن شعبة فعنه موافقتهم فى (رأى كوكبا) دون غيره ، وعنه إمالتهما فى الجميع وفتحهما كذلك وفح الراء وإمالة الهمزة فله أربعة أوجه ، ووافق على إمالتها فى الجميع ابن زكوان ، وعنه فتحهما وفتح الراء وإمالة الهمزة ، واختلف عن هشام : فعنه من طريق الحلوانى فتحهما ـ ومن طريق الداجونى إمالتهما وعن قالون إمالتهما وأمال أبو عمرو الهمزة فقط ، وعن السوسى إمالة الراءأيضا . والمضمر نحو : (رآك ـ ورآه ـ ورآها) والخلاف كالخلاف فيما قبله إلا أن الوجه الأول عن شعبة ، ثم لا يأتى هنا .

واختلف عن ابن زكوان فعنه ـ إمالتهما وفتحهما وإمالة الهمزة فقط ، وأمالهما ورش من طريق الأزرق بين بين من كل ذلك ، سواء كان بعده ظاهر أم مضمر ، والساكن نحو (رأى القمر) امال الراء منه ، وفتح الهمزة حمزة وخلف وشعبة ، وعنه إمالة الهمزة أيضا ، وعن السوسى إمالتهما معا والباقون بفتحهما ؛ فإن وقف عليه عاد كل إلى أصله فيما كان بعده متحرك .

فصل

وأمال ورش من طريق الأزرق جميع ما مر من رءوس آى السور الإحدى عشرة ، كإمالة (الراء) المتقدم سواء كانت رءوس الآى وَاوِيَّةً كالضحى وسجى ، أم يائية كالهدى ويخشى ، واختلف عنه فيما كان من رءوس الآى بلفظ (ها) ، وذلك فى سورة النازعات والشمس نحو : « بناها ـ وضحاها ـ وسواها ـ ودحاها » ، واتفقوا على إمالة ما كان منه نحو : « ذكراها ، وعن الأزرق فتح جميع رءوس الآى ما لم يكن رائيا وعنه الفتح والإمالة بين بين مما كان يائيا ولم يكن رأس آية بأى وزن كان ، نحو : « هدى ـ والزنا ـ وأسفى ـ وخطايا ـ وتقاته ـ ومتى ـ وَأنَّى ـ ونأى ـ ويرضى ـ وبلى ـ واليتامى » واتفقوا عنه على فتح « مرضاة ـ وكمشكاة ـ والربا وكلاهما ، وعن قالون[1] إمالة ذلك كله بين بين .

فصل

وأمال أبو عمرو غير ما مر من الراء و (أعمى) الأول فى الإسراء و (رأى) ، وجميع رءوس الآى من السور المتقدمة اليائى والواوى بين بين وكذا جميع ألفات التأنيث من (فعلى) كيف أتت ، والملحق بها وهو « موسى ـ وعيسى ـ ويحيى » على خلاف بينهم وكذا ألف فعالى وفعالى عند بعضهم ، واختلف عنه فى « أفى ـ ويا ويلتى ـ ويا حسرتى ـ ويا أسفى ـ وبلى ـ ومتى ـ وعيسى » ، وعن الدورى من طريق إمالة الدنيا محضة حيث وقعت .

(١) ماذكر لقالون من وجه الامالة من الانفرادات التى لا يقرأ بها .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـــاء العـــالم الإســلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

دعم التعاون

بين الأزهر ومسلمى الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السيد الان ناداريس سفير الهند بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله بمصر .

أكد فضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء على أن وضع المسلمين فى الهند يشغل كل مسلم .

وقد شكر فضيلته الحكومة الهندية على ماتقوم به فى سبيل حماية مساجد المسلمين وحقوقهم ، وطالب فضيلته بالمزيد من الجهد لمنح المسلمين كافة حقوقهم المشروعة ومنع العدوان عليهم .

وقد أكد السيد السفير أن حكومته معنية بالمحافظة على مساجد المسلمين وحقوقهم وأنها تدخلت لحماية المسجد البابرى وغيره .

كما أكد على أن الحكومة الهندية حريصة على توثيق العلاقات الثقافية مع الأزهر مشيراً إلى استعداد الجامعة الإسلامية هناك للتعاون مع الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس قطاع الانتاج بالتليفزيون المصرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ ممدوح الليثى رئيس قطاع الانتاج بالتليفزيون المصرى .

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر وفضيلة مدير عام البحوث والنشر بمجمع البحوث الإسلامية تم خلال اللقاء بحث عدة موضوعات فى مجال انتاج التليفزيون للافلام والمسلسلات الدينية وكيفية حصول جهات الانتاج المختلفة على موافقات الأزهر الشريف عند تنفيذ تلك الأعمال بدء من كتابة القصة والسيناريو والحوار وانتهاء بعرضها على الشاشة .

وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهاته لإدارة البحوث والنشر بحضور جلسات عمل عاجلة لحل المشاكل المتعلقة ببعض الأعمال .

كما أصدر فضيلته توجيهات بإمداد قطاع الإنتاج باتحاد الاذاعة والتليفزيون بالفتاوى الصادرة من لجنة الفتوى بالأزهر أولا بأول حتى تكون تحت نظر جهات الإنتاج المختلفة ولكى تكون على دراية مسبقة بالشخصيات الإسلامية المسموح بظهورها على الشاشة وغير المسموح بظهورها .

الإمام الأكبر يفتتح فرع الجامعة الأزهرية بتفهنا الأشراف

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر المرحلة الأولى لفرع جامعة الأزهر بقرية تفهنا الأشراف بمركز ميت غمر ـ محافظة الدقهلية ـ وذلك فى حفل كبير حضره السيد اللواء مصطفى كامل محافظ الدقهلية وفضيلة الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسيد طاهر قنديل رئيس مركز ميت غمر والقيادات الدينية والسياسية والشعبية بالمحافظة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة جامعة دعا فيها المنظمات الدولية بضرورة التدخل السريع لوقف المذابح فى البوسنة والهرسك وتقديم كافة المساعدات المادية والمعنوية للمسلمين هناك لمواجهة الاعتداءات الشرسة ضدهم من قوات الصرب .

كما قام فضيلته بافتتاح مصنع المركزات الخاص بفرع جامعة الأزهر ووضع حجر الأساس للمرحلة الثانية لفرع الجامعة بتفهنا الأشراف .

إيفاد (٦٣٠) مدرسا أزهريا للدول الإسلامية والعربية ومختلف دول العالم

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حركة الاعارات لمدرسى الأزهر إلى الدول العربية والإسلامية ومختلف دول العالم للعام الدراسى ١٩٩٣/٩٢م .

تم ايفاد (٣٦٠) مدرسا ومدرسة إلى (٣٧) دولة عربية إسلامية وأجنبية وذلك لتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية والمواد الثقافية .

وقد شملت الحركة دول غينيا كوناكرى ـ سيراليون ـ النيجير ـ نيجيريا ـ الجابون ـ ليما ـ بورندى ـ تنزانيا ـ جامبيا ـ كينيا ـ أندونيسيا ـ أوغندا ـ مالى ـ المالديف ـ مالاوى ـ ساحل العاج ـ السنغال ـ مدغشقر ـ بوكينا فاسو ـ توجو ـ الفلبين ـ بنجلاديش .. كما شملت الحركة دول السعودية وسلطنة عمان والامارات العربية وقطر ودول الكومنولث والمراكز الاسلامية فى توليدو وهيوستن والنمسا وبولندا .

أنباء العالم الإسلامى

إعـداد : مجدى عبد الحميد بشير

الإمام الأكبر وأعمال هيئة الإغاثة

من توصيات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والأغاثة فى ختام اجتماعات أعمال هيئة الرئاسة الرابع عشر للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أعلن شيخ الأزهر أن المجلس قرر إنشاء هيئة للإصلاح بين المسلمين فى القضايا الراهنة .. كما استعرضت الهيئة التأسيسية ما تقوم به المنظمات الأعضاء من إرسال مبعوثى الدعـوة وإنشاء المدارس والكليات فى البلاد المختلفة .. كما تقرر وضع مناهج دراسية بقصد حصر الخلاف المذهبى والفكرى والحفاظ على وحدة المسلمين والهوية الإسلامية ، وذلك بالتعاون والتنسيق المستمر بين كل المنظمات الاسلامية ومعاونة مسلمى دول الكومنولث وإعادة تعمير أفغانستان ، وتحقيق الحياة المستقرة لتلك الشعوب التى تحملت مرارة الكفاح والحرمان .

ســـرايفو

قال رئيس المشيخة الإسلامية للبوسنـــة والهرسك أن مأساة المسلمين هناك هى بكل المقاييس مأساة العصر نظرا لأستشراء القتل وانتشار الخراب والتدمير والتشريد واغتصاب الأراضى ورضخ رءوس الأطفال بين الأحجار ، والاعتداء على الحرمات حيث استشهد خمسون ألف شهيد ، وشرد أكثر مليون ونصف إنسان كما دمر أكثر من نصف مساجد الجمهورية التى يبلغ تعدادها ألف وخمسمائة مسجد معظمها مساجد تاريخية هذا ، وقد دمر جميع المساجد فى مدينة موستر والعاصمة سراييفو .

إتفاقية ثقافية

تم توقيع اتفاقية ثقافية بين جامعة الأزهر والمعهد العالى للدراسات الإسلامية بسلطنة بروناى ، وقعها عن الجامعة دكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس الجامعة وعن المعهد دكتور يحيى بن ابراهيم نائب وزير الشئون الدينية بسلطنة بروناى .. ورئيس المعهد المذكور .

تقضى الاتفاقية بمعادلة الدرجات العلمية بين الجامعة والمعهد وتبادل الزيارات بين هيئات التدريس فى البلدين الشقيقين .

مسابقة إجبارية للخطباء بمصر

قررت وزارة الأوقاف إجراء مسابقـــات إجبارية بين خطباء المساجد لرفع مستواهم فى المجالات العلمية والدينية فى شهر أغسطس .

والمعروف أن هناك جهودا تبذل لتدريب الأئمة والدعاة لزيادة انتفاع الناس بما يلقون من خطب ومواعظ ودروس تحفل بها منابر الجمع والأعياد الإسلامية .

اليـــونان

استقبل المسلمون فى اليونان بفرح غامر قرار الحكومة اليونانية بسحب مرسومها القاضى بمصادرة الأراضى الزراعية التى يملكها المسلمون فى « تراقيا » الغربية .

وقال الدكتور صادق أحمد النائب المستقل المسلم فى البرلمان اليونانى تعليقا على هذا القرار : إن المسلمين فى اليونان سيواصلون المطالبة بحقوقهم من خلال القنوات الشرعية وأنهم سيحصلون عليها فى النهاية .

ملاحظة :

مسلمو اليونان ندر من مسلمى العالم من اهتم بشأنهم وما يتعرضون له من كيد ومضايقات نسأل الله ــ سبحانه ــ أن يحفظهم على خير حال .

أى شىء هذا الذى يمنع الاعتراف بتلك الدول

طالب دكتور إبراهيم رجوفا رئيس إقليم كوسوفو دول العالم عموما والمسلمين خصوصا أن تعترف باستقلال دولة كوسوفو المسلمة على غرار اعتراف دول العالم بجمهورية البوسنة.

والهرسك .. كما طالب بإخراج القوات الصربية من بلاده ، والحيلولة دون ما يمكن أن يقع من مذابح هناك .

والمعروف أن كوسوفو والسنجق هى من الأقاليم الداخلة فى الخطة الصربية لتحويل جزر البلقان وألبانيا إلى ما يسمى بدولة صربيا الكبرى .

معسكر أبى بكر الصديق

ألقى الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الاعلام الأسبق كلمة فى افتتاح معسكر أبى بكر الصديق فى الاسكندرية الذى يحضره جموع من شباب العالم الاسلامى حث فيها جموع الشباب أن يحرصوا على دينهم ومجتمعاتهم الاسلامية وضرورة العمل الجاد الذى يطالبنا به ديننا الحنيف لتستعيد الأمة سابق مجدها وازدهارها بين شتى الأمم وطالبهم بضرورة الاحتراز من التيارات الوافدة مهيبا بالشباب أن يلتزموا الرفق والبعد عن التعصب وأن يعرضوا الدين فى إطار من الحكمة والموعظة الحسنة .

أول بنك أندونيسى إسلامى

افتتح فى « جاكارتا » عاصمة أندونيسيا أول بنك أندونيسى يتعامل طبقا للشريعة الاسلامية فى المعاملات المالية والاقتصادية تنفيذا لمقترحات مجلس العلماء المسلمين الأندونيسى .

يقدر رأس مال البنك بستمائة مليار روبية أندونيسية قيمة السهم الواحد ألف روبية ، ولا يزال البنك يفتح أبوابه أمام مسلمى أندونيسيا للاكتتاب فى رأس مال البنك .

أول مؤتمر للمسلمين فى جنوب شرق آسيا

عقد المؤتمر الأول لمسلمى جنوب شرق آسيا فى الفترة من ٢١ حتى ٧/٢٥ فى مدينة « كولا ترنجانوا » بماليزيا ، وكان موضوع المؤتمر « دور العلماء فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين » وأعلن وكيل الوزارة فى مكتب رئيس الوزراء الماليزى أن سبعين عالما من ماليزيا وأندونيسيا وبروناى وسنغافورة قد شاركوا فى المؤتمر الذى استمر أربعة أيام ، وقدم فيه العلماء أربع ورقات عالجت المشاكل التى تواجه المسلمين فى بلادهم بسبب التغيرات السريعة فى العالم ، وبسبب ما يدعى النظام العالمى الجديد الذى يهدف اساسا الى تحقيق اختلال توازن القوى جاهدا فى احتواء ما يمكن أن يكون للمسلمين من دور ريادى إضافة إلى هضم حقوقهم الواضحة .

هل هى خطوة على الطريق الصحيح .. ؟

صرح متحدث باسم ما يدعى مجلس الهندوس العالمى فى الهند بأن المتطوعين الهندوس توقفوا عن العمل فى انشاء معبد بالقرب من المسجد البابرى المتنازع عليه فى مدينة « آيادويا » بولاية « أوتار برادش » وزعم المتحدث أن العمال الهندوس — كما نقل عن راديو لندن — سيبنون معبدا أصغر فى أرض مجاورة للمكان محل النزاع . وكان ذلك المجلس قد وافق على وقف العمل فى انشاء المعبد استجابة لنداء وجهه رئيس الوزراء الهندى مؤكدا أن رئيس الوزراء قد وافق على تكليف لجنة تحقيق فيما اذا كان أصل البناء المقام فى المكان معبدا أم مسجدا .. ومما يذكر أن المحكمة الابتدائية

أصدرت حكما بأحقية المسلمين فى المكان مما دفع الهندوس لرفع الأمر إلى المحكمة العليا التى لم تبت فى الأمر بعد .

هذا وقد قتل ألف شخص على الأقل من المسلمين والهندوس بسبب العنف الطائفى الناشىء عن ذلك النزاع طيلة العامين السابقين .

« جامعة إسلامية مفتوحة فى فرنسا »

يفتتح الاتحاد الوطنى لمسلمى فرنسا فى سبتمبر الحالى جامعة إسلامية مسؤولة عن تخريج كوادر للجامعات الإسلامية العاملة فى فرنسا . هذا وسيكون نظام الدراسة فيها على غرار الجامعات المفتوحة بمعنى أنها تتضمن حلقات دراسية تعقد خلال الاجازات الأسبوعية فى المساجد .

والجدير بالذكر أن الجامعة الجديدة مستقلة تماما عن المعهد الأوربى للعلوم الإنسانية الذى افتتح مؤخرا فى فرنسا بناء على مبادرة من اتحاد المنظمات الاسلامية فى فرنسا .

نسأل الله أن تكون النوايا فى كل إسلامية طيبة ، وأن يكون العمل خالصا لوجه الله .

البـــــــرازيل

وصل إلى البرازيل فضيلة الشيخ محمد صيام إمام وخطيب المسجد الأقصى بالقدس وقد استقبلته الجالية الإسلامية هناك بالترحيب .

وفى الجامع المركزى فى « سان باولو » ألقى فضيلته أمام جمع من المسلمين خطبة عن الانتفاضة واستمراريتها برغم الظروف الصعبة التى تواجهها .

هذا ويقام سوق خيرى اسلامى كبير بجده لصالح صندوق القدس التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى كما صرح بذلك نبيل معروف الامين المساعد لشئون القدس وفلسطين .

وتقوم الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى بالتنسيق مع وزارة التجارة والصرافة التجارية والصناعية بجدة واللجان الشعبية لافتتاح السوق فى الفترة من ٢ إلى ٧ يناير المقبل وذلك لمساعدة مجاهدى فلسطين فى كفاحهم المشرف .

الاسلام فى الحياة اليومية

نظمت رابطة الجمعيات الاسلامية الملتقى الأول للشباب بشرق فرنسا بالتعاون مع جمعية الجالية المسلمة بمدينة « ديجون » بفرنسا .

حضر الملتقى اكثر من مائتى شاب من ثلاث عشره جمعية اسلامية وكان شعار المنتدى الذى عقد بمسجد الخير هو « الاسلام فى الحياة اليومية » .

وتناول المحاضرون فى كلماتهم عديدا من الموضوعات التى تهم الاسلام ونشئه الصاعد ، وأهمها الحياة اليومية للشباب المسلم والمعجزات العلمية فى القرآن الكريم .

هذا وقد وزعت الجوائز على الفائزين فى المسابقة القرآنية التى نظمها المؤتمرون .

الادارة فى الاسلام

تعقد فى ايران خلال العام الحالى ندوة حول الادارة فى الاسلام يشارك فيها خمسة وثلاثون دولة اسلامية .

صرح بذلك محمود زاده مدير المؤتمرات والعلاقات الدولية التابع لمركز التأهيل الاداري الحكومي بايران .

وقال سيادته : ان الهدف من الندوة المزمع عقدها التعريف بالنظم فى الدول الاسلامية . وستقام هذه الندوة بالتعاون مع البنك الاسلامى للتنمية ومركز التأهيل الادارى بطهران ويحضرها مفكرون اسلاميون من دول إسلامية فى افريقيا وآسيا والشرقين الأوسط والأدنى .

لا تموتن إلا وأنتم مسلمون

عقدت رابطة الشباب المسلم فى كندا بعض المنتديات فى يوليو الماضى تحت عنوان الى الاسلام من جديد وتحت ظلال الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

حضر هذه المنتديات العلماء والمفكرون فى مدن أمريكا وكندا .

الخطة المطلوبة لبناء المجتمع الاسلامى

وجّه الاتحاد الاسلامى لشمال امريكا الدعوة الى كافة المنظمات والمراكز الاسلامية فى أمريكا للمشاركة فى المؤتمر السنوى التاسع والعشرين الذى يعقد فى الفترة من الثالث وحتى السابع من سبتمبر الحالى فى مدينة « كانساس » بولاية « ميزورى » تحت شعار « كيفية تحديد الخطة المطلوبة علميا وعمليا لبناء المجتمع الاسلامى فى هذه البلاد » ويشارك فيه كثير من أبناء الجاليات والشخصيات الاسلامية البارزة فى أمريكا وكندا .

القضاء على الأمية

سيتم القضاء على الأمية تماما فى « ماليزيا » بحلول عام ألفين — إن شاء الله — وذلك طبقا لخطة تقوم بها السلطات الماليزية لتعليم مواطنيها القراءة والكتابة وتأهيلهم التأهيل اللازم .

صرح بذلك لوكالة الأنباء الاسلامية « إينا » السيد نائب رئيس وزراء ماليزيا/عبد الغفار بن بابه مشيراً إلى ما تحقق منذ بدء محاربة الأمية فى الستينات من إنجازات شملت ٨٠٪ من المواطنين تعلموا القراءة والكتابة ومعرفة الحروف .

ويجدر بالذكر أنه عقد فى ١٤ ، ١٥ من المحرم الماضى مؤتمر دولى فى مركز اللغات « بجامعة ملايا » « بكوالا لمبور » دار النقاش خلاله حول تعليم القراءة والكتابة وشارك فيه خمسة وثلاثون خبيرا وباحثا من الداخل والخارج ونظمته جمعية تشجيع القراءة بماليزيا .

معهد جديد للتفاهم

افتتح المعهد الاسلامى للتفاهم بـ « كوالالمبور » تحت رعاية رئيس وزراء ماليزيا ولفيف من الشخصيات البارزة وذلك بمناسبة انعقاد مؤتمر استقبال القرن الحادى والعشرين والذى نظمته ماليزيا بالتعاون مع المعهد .

وذكر رئيس مجلس المعهد أن من أهم واجباته خدمة مصالح المسلمين فى ماليزيا والتأكيد على أن الاسلام دين سلام ومحبة وأن رسالته عالمية صالحة لكل مكان وزمان ملائمة لكل شعوب الارض .

الفهـــــــــرس

الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية : أرض السهول البيضاء
للدكتور على أحمد الخطيب ٢٨٩
● مع الامام الأكبر
الرسول القدوة لفضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر . ٢٩٦
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى ٣١٤
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ٣١٨
● مع الرحمة فى مولد نبى الرحمة
د. مبروك عظيم أحمد أبو زيد ٣٢١
● طريق للخروج بالأمة وتحقيق أمنها
بقلم لواء ا. ح. د. فوزى محمد طايل ٣٢٥
● الجهاد باللسان فى عصر النبوة
للواء ا. ح. محمد جمال الدين محفوظ ٣٣١
● نساء مؤمنات فى ميادين الشرف وساحات الجهاد
للأستاذ جمال عبدالعزيز أحمد ٣٣٧
● ياويل مثيرى الفتن
للشيخ أحمدين محمد طاحون ٣٤٣
● فضيلة الذكر
للأستاذ محمد زين العابدين محمد العزازى ٣٤٧
● الإسلام والمسلمون فى جمهوريات حوض نهر الفولجا
للأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوى ٣٥١
● الإسلام والعالم والمسلمون
للباحثة : أسماء أبو بكر محمد ٣٥٥
● الفتــاوى
اعداد الأستاذ : عبدالمنعم فوده ٣٥٨

العلوم الكونية

● الإنسان ومشكلات التلوث البيئى
ا. د. أحمد فؤاد باشا ٣٦١
● الأشعة فوق البنفسجية
للأستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن سلامة ٣٦٦
● مرض الايدز
للدكتور أحمد رجاء عبدالحميد ٣٧١
● الجديد فى العلم والتقنية
اعداد د. : نجوى السيد أحمد ٣٧٤
● من أعلام الأزهر
فضيلة الشيخ عبدالجليل حسن الديب ٣٧٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبدالحفظ محمد عبدالحليم ٣٨١

● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
كيف بنى محمد الأمة الإسلامية ؟
اعداد الأستاذ عبدالفتاح حسن الزيات ٣٨٥

الشعر والشعراء

● اذهبوا فأنتم الطلقاء
للشاعر عبدالعليم القبانى ٣٨٩
● باب الرسول ﷺ
للدكتور مختار الوكيل ٣٩٠
● يا رحمة العالمين
الشاعر عمر بهاء الدين الأميرى ٣٩١
● رسول السماء
فوزى عطوى ٣٩٢

اللغة والنقد والأدب

● الغزو الثقافى
د. توفيق محمد شاهين ٣٩٤
● الشعر الخالد والشعر المضاد
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٤٠٣
● أهمية الخطابة فى الدعوة الإسلامية
بقلم الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ٤٠٩
● من وحى ميلاد الرسول
بقلم الشيخ عبدالمعبود الجمل ٤١١
● محمد صلوات الله وسلامه قبل البعثة ٤١٣
● شجاعة النبى وبطولته ..
فضيلة الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ٤١٥
● الرحمة وثمارها ٤١٧
● تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٣)
تحقيق الشيخ ابراهيم عطوة عوض ٤١٩

أنباء وآراء

● أنباء مكتب فضيلة الامام الأكبر
للأستاذ مصطفى عبدالمجيد ٤٣١
● أنباء العالم الإسلامى
اعداد مجدى عبدالحميد بشير ٤٣٣

القسم الفرنسى

● المقالة الثانية : ليلى محمد ٤٤٠
● المقالة الأولى : أميمة أحمد جمال ٤٤٢

القسم الانجليزى

● المقالة الثانية : سيد مصطفى مصطفى ٤٤٩
● المقالة الأولى : دكتور أنسى مصطفى النجار ٤٥٤

Explication de ce Hádith

Le prophète — paix soit sur lui — a expliqué à Mo'az : que, pour atteindre le Bonheur et le Salut, il faut s'acquitter des obligations prescrites, de même qu'il faut rendre à Allah un culte pur sans rien lui associer : "Adore Allah sans rien lui associer, accomplis la prière, acquittes — toi de l'aumône légale, jeûne le mois de Ramadan, accomplis le pélérinage."

Le Messager à lui paix soit sur lui — a ainsi mentionné trois portes du Salut : le jeûne, l'aumône et la prière nocturne.

1 — Le jeûne est une préservation :
Au jeûne une préservation car il protège celui qui l'accomplit des péchés dans ce monde et le protège du châtiment d'Allah le Jour du Jugement Dernier.
D'ailleurs c'est Allah seul qui retsibue le croyant pour son jeûne.
Rappelons le Hadith qui dit : "Le jeûne m'appartient, c'est par moi qu'il est rétribué."

2 — L'aumône éteint les péchés comme l'eau étouffe le feu :
L'aumône est un bienfait qui délivre autrui du malheur, et dont la récompense revient à celui qui la fait. Citons, à ce propos la parole divine :
[Les bonnes actions dissipent les mauvaises.
Ceci est un rappel pour ceux qui se souviennent][1]

3 — La prière au sein de la nuit : (Al Tahagud)
Ceux qui prient en pleine nuit dissimulent aux gens les prières qu'ils consacrent à leur Seigneur.

C'est pourquoi Allah — Gloire à lui — leur réserve une rétribution spéciale. C'est la récompense majeure désignée par le verset suivant :

(Nul ne sait ce que Je leur réserve en fait de joie comme récompense de leurs actions)[2]

Le prophète — paix soit sur lui — indique ensuite à Mo'az ce qui est capital i.e. ce qui vient eu premier lieu, aopthéose :

1 — L'Islam est capital tout comme la tête qui dirige le corps : l'Islam doit être pour le musulman, le guide de toutes ses actions vers le Bien

2 — La prière est son pilier :
La prière est le pilier fondamental de l'Islam : elle éloigne le croyant de la turpitude, l'encourage à se parer des vertus, l'habitue à l'obéissance à son Seigneur et la sincérite dans ses paroles et ses actions. La prière est - avant tout - une invocation d'Allah.

3 — Le Jihad est son aopthéose :
Le Jihad est le bouclier qui sauvegarde la religion et protège l'Etat. Ceux qui s'en chargent sont ceux qui ont atteint le sommet de la foi parfaite.
Le "mujahed" est celui qui, pour L'amour d'Allah sacrifie sa vie avec l'espoir de mériter le paradis.

Le Prophète — lui paix soit sur lui — a dit également à Mo'az" Veux — tu que je t'indique l'essence de tout cela?", Mo'az a répondu alors : "ô !, Messager d'Allah !", Le prophète a montré sa langue en disant :

"Garde — toi de cela"; Par ce geste le prophète a voulu insister sur le danger des paroles que nous pronoçons. Il lui recommande de retenir sa langue pour ne point prononcer de vains propos qui risquent de lui attirer le châtiment divin.

Nous citons à ce propos le Hadith le prophète a dit :
"Celui qui croit en Allah et au Jour Dernier, qu'il prononce les bonnes paroles ou qu'il garde le silence."

Leila Mahmoud Hefnawy

(1) D. Masson : Essai d'interprétation du Coran inimitable.

(2) Denise Masson, op.cit.

Les Portes du Bien
présenté par :
Leila Mahmoud Hefnawy

Mo'az ben Djabal — qu'Allah soit satisfait de lui — a rapporté : "J ai dit :

— Ô Messager d'Allah ! renseigne — moi sur ce qui me mènera au Paradis et m'éloignera de l'Enfer.

— Le Prophète — paix soit sur lui — a dit :

"Tu demandes là une chose très difficile mais qui est pourtant facil pour celui à qui Allah-Gloire à Lui — a rendu aisée : adore Allah sans rien lui associer, accomplis la prière, acquittes — toi de l'aumône légale, jeûne le mois de Ramadan, accomplis le pélerinage. Puis le prophète paix soit sur lui a ajouté : "Veux — tu que je te guide vers les portes du Bien? — le jeûne est un bouclier, l'aumône efface les péchés comme l'eau éteint le feu, et je te recommande la prière au sein de la nuit."

Puis Il a récité les versets suivants :

"Ils s'arrachent de leurs lits,
pour invoquer leur seigneur
avec crainte et espoir.
Ils dépensent en aumônes une partie des biens
que nous leur avons accordés.
Nul ne sait ce que je leur réserve en fait de joie
comme récompense de leurs actions" (1)

Il a ensuite ajouté :

"Veux — tu que je te renseigne sur ce qui est capital à revoir, son pilier et son apothéose?"

J'ai répondu :

"Oui, ô Messager d'Allah.

"Il a dit : "l'Islam est la capital, la prière est son pilier, le djhad est son apothéose."

Le prophète m'a demandé ensuite :

— "Veux — tu que je t'indique l'essence de tout cela?

J'ai répondu :

— ô oui, Messager d'Allah.

Il a désigné alors sa langue en disant :

— "Garde — toi de cela."

J'ai dit : — ô ! Messager d'Allah ! Serons nous punis pour les paroles que nous prononçons?

— Le Messager a répondu :

"Rien ne précipite les gens dans l'enfer que les conséquences facheuses de leurs paroles."

عن معاذ بن جبل ــ رضى الله عنه ــ قال : قلت : يارسول الله : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى من النار . قال : «لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : «ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّةٌ ، والصدقةُ تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ يعملون [السجدة : ١٦] . ثم قال : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه» . قلت : بلى يا رسول الله . قال : «رأس الأمر الإسلام . وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد» . ثم قال : «ألا أخبرك بملاك ذلك ؟ ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه قال : «كُفَّ عليك هذا» قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ! وهل يَكُبُّ الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟» .

رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

نقلا عن كتاب رياض الصالحين ــ بيروت

Le Prophère — à lui bénédiction et salut — était envoyé pour parachever les hautes moralités par sa conduite et sa "Sira". Il dit : "je n'ai été envoyé que pour parachever les hautes moralités"(1).

Un de ses vertus est qu'il est doué de miséricorde. Allah Tout Puissant dit. "Nous t'avons seulement envoyé comme une miséricorde pour les mondes"(2). Le Prophéte — à lui bénédiction et salut — était miséricordieux envers tout ce qui l'entoure : les hommes, aussi bien musulmans que non musulmans les animaux et les plantes. N'est ce pas lui qui a dit : "Allah ne sera Miséricordieux qu'envers celui qui a été miséricordieux envers les autres créatures"(3).

La miséricorde du Prophète — à lui bénédiction et salut a compris également les enfants et les orphelins. Al Bukhari — qu' Allah soit satisfait de lui — a rapporté que le prophète — à lui bénédiction et salut — a dit : Quiconque prend soin dees veuves et des, "Pauvres est dans le voie d'Allah"(1).

Les hadiths du Prophète — à lui bénédiction et salut — incitent à prendre soin des orphelins, par exemple, il dit : "Au Paradis, le tuteur d'un orphelin et moi-même serons comme les doigts de la main" et il a fait un "V" avec l'index et le majeur"(2).

Il invite également les hommes à être miséricordieux envers les vieillards. It dit — à lui bénédiction et salut — "Il n'est pas un jeune homme qui n'honore un vieillard à cause de son âge auquel Allah ne destine, sur ses vieux jours, qu' un l'honorera pour la même raison"(1).

Quant à la miséicorde envers les animaux, il ne faut pas les frapper, ni les tourmenter et les affamer. Une femme fut punie à cause d'un chat qu'elle emprisonna et laissa mourir de faim.

En ce qui concerne les plantes, il a interdit aux musulmans de couper les arbres fruitiers, et les a incité à cultiver laterre pour profiter des dons d'Allah. Le Prophète — à lui bénédiction et salut — n'a jamais vu une plante dans le désert sans s'inclner pour l'embrasser, en disant : je rends lougange à Allah pour cette grâce.

Qu' Allah purifie nos coeurs et nous guide dans droit chemin tracé par le Prophète — à lui bénédiction et salut.

Qu' Allah nous guide à suivre la Sunna et qu' Il répande sur Muhammad Sa Grâce et sa Miséricorde.

OMAYMA GAMAL

---

(١) قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

(٢) سورة الأنبياء ـ آية ١٠٧ . ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

(٣) قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن » .

(١) قال رسول الله ﷺ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله » .

(٢) قال ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى .

(١) قال رسول الله ﷺ : « ماأكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه » .

Muhammad

LE PROPHÊTE DE LA MISERICORDE

PAR OMAYMA GAMAL

Le mois de Rabià Al Awal célèbre la commé-moration de la naissance du dernier des Prophètes : Muhammad ibn Abd Allah Ibn Abd Al Muttalib — à lui bénédiction et salut — qui est descendant d'Ibrahim à lui bénédiction et salut.

Rappelons toutefois que la naissance du Prophéte — à lui bénédiction et salut — peut-être commé morée par des cérémonies à caractère religieux qui permette au musulman de renouveler son pacte d'obéissance envers Allah et l'incite à revivifier sa pratique de la Sunna. Allah Tout Puissant dit dans le Coran : "Nous t'avons envoyé à le totalité des hommes, comme annonciateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur".(1)

A l'encontre des autres messagers qui ont été envoyés à leurs tribus respectives, Muhammad fut envoyé par Allah à l'humanité toute entière. Pour cette raison, le Prophète — à lui bénédiction et salut — est le sceau des envoyés et des prophètes, à qui Allah a révété Son Livre et a pris la charge de le garder, assurant ainsi cet universalisme de temps et de lieu. Le Tout Puissant dit : "Nous a vons fait descendre le Rappel; nous en sommes les gardiens"(1).

Pour communiquer Son Message à l'humanité, Allah a envoyé un homme en vue de faire sortir les humains des ténèbres de l'infidélité à la lumière de la croyance, du mal au bien, de la misère au bonheur, de l'injustice de l'homme à la justice de l'Islam. Ce fut Muhammad — à lui bénédiction et salut — qui transmit le message d'Allah dans sa forme compléte et dernière. Il dit — à lui bénédiction et salut : "Ma parabole ressemble à celle de tous les prophètes qui m'ont précédé, à une construction qui aurait été faite belle par un homme mais où la place d'une brique serait restée vide. Des spectateurs en feraient le tour, admirant la beauté de la construction, excepté pour la place vide de la brique. c'est moi qui ai bouché cette place. La construction devint compléte par ma présence, je suis l'anneau terminant la chaîne des messagers"(1).

Allah a... voulu enseigner aux hommes la bonne conduite. Il leur a envoyé pour cela un modèle en la personne de Muhammad qui représente l'homme complet. Allah l'affirme par le sens ce verset du coran : "vous avez, dans le Prophète d'Allah, un bel exemple"(1). Le Tout Puissant qualifie Muhammad en disant : tu es d'un caractère élevé(2).

Ce caractère englobe tous les bons caractères cités dans le Coran comme l'a affirmé son épouse Aïcha : "Sa morale se concordait, avec le Coran"(3).

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ . ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ .

(٢) سورة الحجر : آية ٩ . ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(١) قال رسول الله ـ ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وجمله إلا موضع لَبِنَة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا هذه اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » .

(١) سورة الأحزاب ـ آية ٢١ . ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

(٢) سورة القلم ـ آية ٣ . ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .

(٣) قالت السيدة عائشة رضى الله عنها عن الرسول ﷺ : « كان خلقه القرآن » .

Bref aperçu sur l'assemblage du Coran de INES AMER suite du mois SAFAR

4. Les récits des prophètes et des communautés antérieures sont évoqués pour servir d'exemple et de leçon aux générations futures.
5. Les sourates mecquoises se caractérisent par la concision du style, car les Mecquois étaient des orateurs éloquents. Ainsi, ce style bref et concis des sourates convenait parfaitement à la communauté pour laquelle elles furent révélées.
6. Toutes les sourates où apparaissent les thèmes suivants sont considérées comme mecquoises :
   - Celles où il y a une prosternation (à l'exception de la sourate "le Pèlerinage").
   - Celles oú figure le terme « كلا » non, jamais.
   - Celles qui commencent par une ou pluiseurs lettres isolées (à l'exception des sourates "la Famille de 'Imran', La "Vache" et le "Tonnerre").
   - Celles qui mentionnent le récit d'Adam et d'Iblis (à l'exception de la sourate "la Vache").
   - Celles où figure l'expression : يا أيها الناس ô vous les hommes (à l'exception de la Sourate : "Le Pèlerinage").

B) Particularités des sourates médinoises

1. Les sourates médinoises renferment la législation établie en vue de régler la vie des croyants (voir les sourates no. II, IV et V qui forment près d'un dixième de la totalité du Coran).
2. Elles invitent les gens des Ecritures à embrasser l'Islam, en dénonçant les erreurs qu'ils ont insérées dans leurs Livres sacrés.
3. Les sourates médinoises se caractérisent par l'amplification et la redondance des versets, parce que les sujets traités sont plus amples et demandent un long développement.
4. Enfin, toutes les sourates où les thèmes suivants apparaîssent, sont considérées comme médinoises :
   - Un ordre de combattre les polythéistes.
   - La perfidie et le mensonge des hypocrites, (à l'exception de la sourate "l'Araignée").

Il est à remarquer que certaines sourates sont entièrement médinoises (ex : sourate "La Famille de 'Imran") ou mecquoises (ex : sourate "Celui qui est revêtu d'un manteau"). Cependant, il y a des sourates où sont insérés un ou plusieurs versets médinois (ex : Sourate Al'Araf), comme il existe des sourates médinoises où sont insérés plusieurs versets mecquois (ex : sourate "Le Pèlerinage). Dans ce cas on signale la catégorie à laquelle la sourate appartient d'après, sa partie liminaire si cette dernière a été révélée avant, l'émigration on l'inscrit comme mecquois, par contre si elle a été révélée après, on l'inscrit come médinoise, puis l'on cite les versets qui ne font pas partie à cette dénomination..

Inès Abdel Fattah Amer

REVUE AL-AZHAR

RABEI AWAL 1413
Volume 65 — Partie III

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

harmonious and conforming with the Divine injunctions of the moral code for mankind.

These principles constitute the kernel of "Tawhid" as the essentials of religious understanding. They are also the core of all revelations taught by Prophets and Apostles since the dawn of history. These principles are built in the matrix of the very fabric of human nature, by Divine design for an ultimate purpose, constituting an unerring innate natural religion. An inborn natural conscience, upon which accumulates all human knowledge acquired or revealed, for whose implementation, mankind will ultimately be judged.

time, experience, creation, and everything that came into being. The two orders of Creator and creature are absolutely separate, impossible that one may be united with, infused, confused with, diffused into, or transformed into the other. The relation between the two orders of reality is intelligent in nature. Its point of reference is the human faculty of understanding, as the organ and repository of knowledge, functions of memory, imagination, reasoning, observation, intuition, apprehension, and all such functions. This understanding is a divine gift to mankind, which is potent enough to understand Divine Will, when expressed in words of revelation, and expressed as the Divine patterns of the laws of nature.

The creation of the universal cosmos is teleological; meaning that a final purpose exists in the design of creation. Everything is created with a proper measure in perfection in order to fulfill a certain universal purpose. The cosmos is an optimally justified creation, not a chaos of entropy, in which the Divine Will and patterns of nature are realized and expressed. Human action is the only instance where Divine Will is actualized by deliberate free voluntary behaviour of the individual. For this reason, mankind was endowed by the faculty of understanding and rational thought in order to comprehend the doctrinal injunctions of the Divine moral codes precisely expressed in the Divine revelations. It is this aspect of human deliberate voluntary freedom of behaviour as regards the Divine injuctions of the moral code, that subjects mankind to Divine judgement, with ultimate reward or punishment. This specific particular of Divine creation is also teleological; being designed by Divine Will in this manner, in order to serve a Divine purpose.

The teleological nature of creation, demands the realization of the purpose in the space and time process between the beginning of creation and the Day of Judgement. The realization of purpose falls in the province of mankind, for which he has been assigned its abligation "Taklif". Mankind is therefore committed with the realization of Divine objective of creation, in his capacity as vicegerent. This necessitates genuine effort to change himself, his fellows, his society; to subject nature and environment to be malleable, transformable in order to embody the human patterns, in order to realize the design purpose of creation. This is achieved when the physical, psychic, moral, and spiritual faculties of mankind are

mankind, all moral values sink to the ground. The term "Salvation" has no equivalent in the religious vocobulary of Islam; there is no original sin to be saved from. Islam uses the term "falah" meaning religious felicity, which consists of the fulfillment of the Divine imperative. Mankind can hope for Divine mercy and forgiveness, but should not count on it when refraining from doing the Divine will whether out of ignorance, passiveness, or blatant defiance. The verdict of his trial is what he himself makes it to be. The scale of Divine justice is that of the most absolute precise perfection of balance.

Through this understanding Islamic religious experience has a great impact, and marked consequences on world history. For the true Muslim, nothing was worthier than to hurl himself onto the stage of history to affect the realization of the Divine Will and Code that was revealed to the Prophet of Islam Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and was communicated to Muslims. For that achievement, the Muslim was prepared to pay the maximum price, that of laying down his life. True to its content, he regarded his stage as consisting of the whole world. His concept of Islam was not conceived as a monolithic society in which Islam alone predominates. It included Jews, Christians, and Sabeans by Quranic authority. The maxim remained the same, that the "Divine Word of Allah is supreme"; and that everybody recognizes that supremacy. But such recognition must be free, the deliberate dicision of every person. That is why to enter into the pax Islamica never meant conversion into Islam, but meant the entry into a peaceful relationship wherein ideas are free to move, and men are free to practice rational thought without compulsion.

Traditionally and simply expressed, "Tawhid" is the conviction and witnessing that "there is no god but Allah". This statement of the utmost limits of brevity carries the greatest and richest meanings in the whole of Islam. All the diversity, wealth, culture, history, learning wisdom and civilization of Islam is compressed in this most concise sentence - " La illaha illa Allah". Tawhid is the universal reality and truth in time and space, of human life, destiny and death. This reality is of two orders, the first is Allah, the Creator, the Elernal, the Transcendent; absolutely unique, without partners or associates. The secand order is that of space

freedom of the agent. In all creation includig human constitution, Divine will is realized as the natural law, the inalterable permanent patterns which are implanted in creation and cause it to function as it does. This natural law cannot be violated by nature. The absolute total fulfillment of the natural law and patterns, is all that nature is capable of doing. Mankind who boldly accepted the trust of the Divine Moral Code, is capable of doing as well as of not doing the Divine moral Code by virtue of his freedom, which is the prerequisite for the accomplishment of moral action by mankind. The Divine Moral Code is more conditioned than the elemental patterns of the natural law; they are the higher part of Divine Will, which necessitated the creation of mankind, his acceptance of the "Amanah", and his appointment as the vicegerent of Divinity on earth.

Mankind shares the necessary natural causations in his vegetative animal life and physical presence as a creature among all other creatures on earth. However, as the being through whom the Amanah of the Divine Moral Code can be realized, mankind stands among all creation without equal. He is the Divine speciality a genuine "Khalifat", or vicegerent of Allah on earth. The Divine Moral Code was revealed to mankind by several disclosures, taking into consideration the changes in space and time, all to the purpose of keeping within man's reach, a ready knowledge of moral imperatives. Equally, man is endowed with senses, reason, perception, intuition, and all perfections necessary to discover the Divine Will, which is encoded not only in the natural patterns of creation, but equally imbedded in human feelings and relations. Whereas the first half takes the exercise of the disciplines of natural sciences to discover; the second half takes the exercise of moral sense and disciplines of ethics and values. Therefore knowledge of the Divine Will is possible by rational reasoning, and certain by Revelation; once perceived, the implementation of its content is a matter of human consciousness. The apprehension of value, the suffering of its moving appeal and determinative power is itself the knowledge of it, and should be the driving instrument for its realization.

At the service of mankind are the malleability of nature, and the availability of the revelations; the fulfillment of his vocation as vicegerent of Allah on earth is the only condition Islam recognizes for human salvation. Without the initiative effort of

Tawhid : The Essence of Religious Experience.

Excerpets from the Writings of Dr. Ismail Raji Al - Farouqi

Compiled and Presented

by

Saad Moustafa Moustafa M.D.

The quintessence of religious experience in Islamic faith is the "Shahadah", the confession that "There is no god but Allah" - "La illaha illa Allah". Allah meaning "God" occupies the central position in the place, time, action, thought, and conciousness of every Muslim at all times. For the Muslim, Allah with his infinite appellations and attributes is indeed a sublime magnificent obsession. This confession precipitates and affirms the ultimate finalistic axiom of the uniqueness of the supreme Divine Being - Allah. This uniqueness and absolute transcendence are precisely engraved in the Islamic concept, which holds as axiomatic principle that no man or being may claim any relation to the Divine Being which any other cannot claim. That no man is one iota nearer to Allah than any other; that all creation is creaturely standing on this side of the line dividing the transcendent from the natural.

The relevance of the unicity of the Creator as it stands at the core of Islamic religious experience holds that Allah's will is imperative and guides the lives of all creation. Allah created the world and created mankind as the vicegerent to do his will; knowing that mankind would do evil through his prerogative as a free being. However, for anyone to fulfill and act on the Divine Will, when it is in his ability to do otherwise; is to accomplish a higher and more worthy portion of the Divine Will. The angels within this framework of understanding, are excluded precisely because they have no freeaom to violate the divine imperative. Mankind accepted the Trust (Divine Will) "Al-Amanah", which all other creatiuon refused to accept, because they are not cognizant of, and cannot realize the Divine Moral Code which demands

towards the practical approachs to the understanding of theistic doctrines. These approachs must be considered on the part of the individual by a genuine paradigm of deliberative thought.

The belief and assurance of the "Hereafter" is the ultimate purpose of exitance, that links the wordly life with the Hereafter; the beginning with the end, and the deeds with the outcome. The belief in the "Hereafter" is the reality that liberates mankind from the finite confinement of worldly life, to the infinite perpetual expance of the life beyond. This belief formulates a value of human life, a value that regulates and controls all human psychic patterns and actions into the harmony that connects human wholesomeness with the divine milieu. Within that interface, the human horizons of perception widen to accomodate the cognitive realization of belief in the unseen with its infinite dimensions. This status of qualification establishes the guidance from the Transcendent Divine Light, that will guide mankind to felicity and gracious life. The Quranic verse quotes "Those are on guidance from their Lord, and it is those who will attain felicity.";

Spending from what Allah has provided, is fundamentally a confession that all possessions are bounties from Allah by Divine Will to human individuals; and that mankind is in reality a responsible heir to whatever fortune is granted to him by Divine Will. Divine bounties are numerous in the form of physical bounties as wealth; intangible bounties as knowledge, influence, rank, birth, and all opportunities derived from that; or spiritual bounties as insight, intelligence, patience and love. It is encumbent on every Muslim to utilize these bounties in humble moderation, and to contribute part of these bounties to the well-being of others. This establishes an identity of human belonging, fraternity, and fidelity. Such practice purifies the soul from egotistic tendencies of selfishness and parsimony; it formulates a popular tendency of social benevolence rather than social dispute and competitive confrontations. Such an environment of social benevolence is the most practical process of social security stability and justice. Spending according to the Quranic verse entails the practice of the Zakah, benevolence, and everything given as an act of charity, altruism, philanthrogy for human benefits. The aphorism inherent in the words of the Quranic verse, advances the function of giving as a trait of social philanthropy, before the doctrine of "Zakat" was instituted in the Islamic Jurisprudence. The institution of organized monetary system in Islam are specifically optimized and highly organized by Quranic ordinances. The maximization of these ordinances in the Holy Quran is unparalleled in any other religious doctrines.

"And who believe in what has been sent down to you, and what was sent down before you; and has assurance of the Hereafter." This are the qulities of the Muslim Ummah at its fundamental roots. The ultimum heir of all Divine beliefs, and the guardian of all true beliefs and faiths to mankind from the dawn of creation to the end of time. For every Muslim, this is an injunctional ordinance in the Holy Quran, in order to justify and institute the feelings and understanding the precepts of the unity of humankind, unity of belief, unity of prophethood, and the unity of the Divine Supreme Transcendence. This understanding snould purify the mind from unwarranted bias and prejudice of religious militancy; and should establish a milieu of ecumenic comprehension. The development of such belief values becomes the essence for human enlightenment

Book - The Holy Quran, that lighten his path.

"Who believe in the Unseen, are steadfast in prayer and spend out of what we have provided for them."

The qualifications of the Righteous are indicated in three main specifications; belief in the Unseen, prayers, and provide to others from Divine Bounty. The belief in the Unseen is in reality, the threshold which the human conceptualization surpasses to the rank of understanding and conceiving the existence of realms and domains other than the materialistic dimensions of the limited human perceptions. The belief in the Unseen is an expansion of human cognizance, realization, comprehension, and knowledge of the true reality of the infiniteness of cosmic creation and what is beyond that in the continuum of space and time. What is beyond the cosmos is profoundly esoteric, ubiquitous and boundless. The belief in the Unseen saves human intelligence and rational thought to exploit only within the finite dimensions of human mental function; and does not on its own principle try to encompass the infinite domain of the Unseen within a system of finite dimensions. The belief in the Unseen makes humankind understand that true knowledge is meaningful only in conjungtion with Divine Wisdom, and that rational thought is a noble faculty only in so far as it leads to intellection. This designates mankind to establish a distinction between the physical dimensions of creation, and the ubiquitous realms of the what is beyond in the continuum of space and time. The former lies within human scope of cognizance and finite comprehension; the latter is the infinite domain of Transcendent Divine Will, which the human mind believes and accepts as the Unseen.

The performance of prayers "Salat" is an act of worship on the part of mankind to the One Creator, exclusive to the Supreme Divine Being, and not addressed to any other. The continuous practice of prayers, links human existance with the Divine Omniscience, to attain purpose of human life, to gain strength and confidence from Divine support. The mental and psychological strength gained becomes cardinal to establish a balanced personality trait and culture; which will attain divine qualities of wisdon, knowledge, refinement of conduct and feelings. The performance of prayers "Salat" optimizes the link between mankind and the Creator.

the most accepted is that these letters have a mystic standing to signify that the words of the Holy Quran are made of similar letters as these. A challenge to mankind to compose from these letters words that have the same profound substance as the Holy Quran. The unique substance of the Quran is of the same quality as the uniqueness of all creation. It is the Divine will of creation, the grand mirale of life. The Quran is the Record of all times, and contains truths that unfold themselves gradually to humanity during perpetual space and time. As human mental potentials grow, so will human understanding and conceptualization. The mystic aspect of these letters does not contradict faith, the mind is not required to believe against the dictates of rational thought. The more elabarate significance of these letters will be understood with more precision according to the spiritual and mental development of mankind. It is required the we draw upon our faith, but not required to contradict our rationality. The Holy Quran is read with acceptance that Divine Will secretely dwells in its letters.

"This is the Book contains no doubt, is guidance for the righteous". The Holy Quran is the only scriptural text whose authenticity is perfectly genuine. The precise preservation of the Book from the time of its revelation to the Day of Judgement has been ordained by Divine Will. The whole contents, the substance, the subject matters, the sciences, and the dimensions; all indicate that it is the Book in which there is no doubt, constituting the principles of all the other scriptures, all the enlightenment for mankind. Because of such characteristics, the Holy Quran is the guidance in its substance, in its words, in its verity, and in its purpose. This guidance is inherent in the quintessence of the impeccable perfection of the sacred Book whose syllables and words bear no doubt. The guidance in the substance of the Quran reveals itself to those who restrain their conduct, guard their tongues, free their heart from evil, and pursue nghteousness, these are the righteous. Only true hearts of virtue can extract guidance inherent in the Holy Quran. This righteousness is the rank of conscience the transparency of feelings, perpetual caution and apprehension of Divine Transcendence. Piety is the path of righteousness, to travel a road of thorns, and watch your footstep. The thorns on the path of life are carnal impulsiveness, human greed, fears and superstitions, and thorns of so many types and varieties scattered on the road of life. The individual seeking righteousness finds the guidance in the words of the

Glimpses From The Quranic Milieu.

The Guidance

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The substance of the Holy Quran is polymorphic, addressing all aspects of cosmic creation, and all matters related to the life and death of mankind. The Quranic text does not teach the intricate splendors of nature; these are left to the progressive genesis of the human mind to unfold the infinite mysteries of creation. By observation, experimentation, association, rational thinking, and the attainment of scientific wisdom; mankind develops the fundamentals of knowledge and cognitive thought of understanding the wonderous patterns of nature. However, the Holy Quran prescribes the doctrinal injunctive ordinances in a very manifest manner, to become incumbent on every Muslin to adhere to and comply with these ordinances in a strict manner, this is the jurisprudence of "Taklif", the legal science of obligated committment to the theistic injunctions. The glimpses from the Quranic Milieu are personal responses to some verses of the Holy Quran whose inherent lights of meanings and expressive connotations touch the inner cords of the psychic comprehension of mankind.

In Surat ("Al - Baqarah", 2, verses 1 - 5); **("A.L.M. This is the Book contains no doubt, is guidance for the righteous. Who believe in the Unseen, are steadfast in prayer, and spend out of what we have provided for them. And who believe in what has been sent down to you, and what was sent down before you; and have assurance of the Hereafter. Those are on guidance from their Lord and it is those who will attain felicity".**

"A.L.M." The opening verse of Surat Al-Baqarah consists of these three letters. Other letters also come at the begining of other Suras of the Haly Quran. Several postulated interpretations have been given to the meanings of these letters,

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part III

Rabie Al Awal, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.Glimpses From The Qur'anic Milieu.

The Guidance

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid, The Principle of Religions Experience.

By : Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ربيع الآخر ١٤١٣ هـ
أكتوبر ١٩٩٢م
الجزء الرابع
السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

شئون وشجون بالأرض البيضاء

وهى بيضاء بمسلميها الذين يعمرونها بالإيمان ، وسيشع لألاء بياضها ما عَضَدَ مسلميها إخوةٌ مسلمون ، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأولئك - إن فعلوا - فآثروهم فى محنتهم ، وآزروهم فى حاجتهم ، وأبصروا كيدا يحيط بهم أجمعين ... لكانوا إخوة حقا على تمام الايمان .

لواؤهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وصراطهم ﴿ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .

إنه ما من شعب مسلم فى أَمْنٍ من مكر أعداء الله ، ولاهو فى حِصْـن من التربص له ، وليس له من مظلة تحميه إلا من عمل يجمع أمر المسلمين ، وإن بأيديهم أكثر من عمل لو كانوا يريدون .

طرحتُ ـ فى مقال ربيع الأول ـ جانب الفراغ الدينى الرهيب بالأرض البيضاء ، أرض الاتحاد السوفيتى السابق ، وهو فراغ لايعانيه إلا المسلمون وحدهم ، يعانونه معاناة مريض تعالت سِنُّهُ ، ونشطت أدْوَاؤُه ، وفرغت يداه ؛ فإذا هو لا طاقة فيه تثير حماس المقاومة ، ولا قابلية منه لدواء ، فساءت ظنونه إلا من رحمة الله ... ثم إلا من مسلمين يدركون أنهم جسد واحد ...

وعلى الجانب الآخر مَنْ رأى فى هذا الفراغ صيدا ثمينا يصول فيه ويجول طلبا لشتى المكاسب ، وفتًّا لقوة كادت تبعث ... وحيث لم يتغير كل شىء تماما فإن الأرض خصبة لكل ما يخطر على البال :

فلا زالت تماثيل « لينين » تشغل ـ داخل الجمهوريات ـ أكثرَ من ميدان ، وإن اختفت ـ أو كادت ـ من « موسكو » .

وحيث لازال الحكام ـ فى أكثر البقاع ـ هم هم نفس حكام الأمس الذين رَضِيَتْ « موسكو » عنهم لإيمانها بإخلاصهم ، لما نالوا من استحقاق فريد من كل ترشيح تدريجى بدأ من قاعدة الحزب إلى قمته ، إلى جانب تقارير « K.G.B. » عنهم .

وفى حديث مع واحد من نائبى « المُفْتين » وكان صريحا للغاية قال : « .... رؤساء الجمهوريات الاسلامية حاليا أعلنوا أنهم يَرَوْنَ (الموديل التركى) أفضل الموديلات » ..

يعنى نظام حكم « أتاتورك » .

وعودة بنا إلى عدة سطور من افتتاحية ربيع الآخر فى العام الماضى ١٤١٢ هـ ، وفى ص ٣٧٢ مع حديث لنائب الرئيس « يلتسين » أذيع فى القناة الأولى للتليفزيون الإيطالى فى برنامج خاص

عقب فشل انقلاب الثمانية ضد « جورباتشوف » قال « أوجينى أبرازموف » نائب « يلتسين » :

« إن جمهوريات البلطيق الأوربية يجب أن تستقل استقلالا تاما » ؛ لأن ذلك فى رأيه « يخدم الديمقراطية والحرية » .

فأما عن الشعوب الإسلامية ، وهى الأكثرية الساحقة ـ فى بلاده ـ فقال : « إن تلك الشعوب معتادة على النظام التسلطى الأسياوى الذى لا يتلاءم مع الديمقراطية والحرية ، وفى تلك الجمهوريات سيتم ـ أى فى زعمه ـ اتحاد (المافيا الحزبية الشيوعية) و (الأصولية الإسلامية) وذلك خطر على الديمقراطية ، وبالتالى لا يجب السماح لتلك الجمهوريات بالحصول على حريتها .. اهـ .

ويعنى ذلك ـ دون استنتاج لشدة وضوحه ـ أن المسلمين لن يسمح لهم بوحدة فى الأرض البيضاء فضلا عن « حكومة » تجمعهم ، أو حرية يتمتعون بها وإلى هذا الحدّ نجد « نتيجة » متفقاً عليها من كل أعداء الإسلام .

وإذا كان « المضمون السياسى » لن يسمح بوحدة بين المسلمين ـ حسب حديث « أبرازموف » ، ويمكرون ويمكر الله ـ فسعيا منهم ـ أيضا ـ إلى واقع يضع « أسفين » قائما بين المسلمين ، نجد على الساحة حربين :

إحداهما شرقية ، والأخرى غربية ، واحدة فى « أذربيجان » ، وأخرى فى « البوسنة والهرسك » كلتاهما ضد المسلمين ، حربان هما فى الواقع حرب واحدة ليس يفصل بينهما إلا غِرّ ، نسأل الله ـ تعالى ـ ألا نكونه ؛ فالهدف منهما واحد ، وسواؤهما واحد، وهما ـ معا ـ اختبار ... لكن لواقع المسلمين أجمعين ، ثماره الأولى رصد رد الفعل عند المسلمين .

● وتمتد المعاناة إلى الأفراد فتحوطهم بشباكها ؛ وتضيق عليهم فسحة الأمل لحياة أفضل ؛ فالأسعار ترتفع منطلقة دون عائق ، والبطاقات انتهى العمل بها ، وكانت تسمح بقدر غير يسير

من الأسعار المعتدلة ، وبعد أن كان سعر « كيلو » اللحم الواحد « روبل ونصف » ارتفع إلى خمسين روبل فى الريف ، وإلى أكثر فى بعض المدن . كذا حُدِّثنا ...

و « الروبل » نفسه على ساحة « الاتحاد السوفيتى » السابق أصبح ــ بدوره ــ معرضا لأكثر من احتمال ، وألغى العمل به فعلا فى بعض الجمهوريات .

ولدى بعض العمال شعور بالخوف من مستقبل الاقتصاد الرأسمالى ، يصحبه ــ فى ذلك الخوف ــ ما سبق له من عمل رَكَن إليه عن ضرورة .

ولا تقف المشكلة عند هذا القدر من المعاناة ، فهناك مساكن الـ « أُوبْ جى جيت » التى يسكنها العمال حيث لكل أسرة غرفة واحدة فقط ، ولكل عشر غرف دورة مياه واحدة مستقلة .

وفى النهاية من كلمتى عن الأرض البيضاء أقول :

ثلاث اجتمعن لـ « جورباتشوف » لو اجتمعن للينين لفعل ما فعله جورباتشوف ــ كراهية للاسلام ووحدة المسلمين ــ :

« واحدة حربية ، والثانية سياسية ، والثالثة نازلة سماوية » ... فكان ما كان .

والله عز وجل ــ فعال لما يريد .

د. على أحمد الخطيب

مولد المختار محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك
بقاعة الإمام محمد عبده جامعة الأزهر
الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٣هـ

• • •

● الرئيس يدعو القادة الأفغان ، وقادة الصومال إلى نبذ الخلاف والتعاون من أجل وحدة إسلامية .

● و يطالب بتوفير الحماية لمسلمى البوسنه والهرسك*

(*) أعدها للنشر بالمجلة : الأستاذ أحمد تقى الدين

فى الإحتفال بذكرى المولد النبوى أكد الرئيس محمد حسنى مبارك على القيم الخالدة التى جاء بها سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ... قيم الحرية والمساواة ، والديمقراطية والعدالـــة ، والأخوة والسلام .

جاء فى كلمة سيادته :

إنه لو أدرك العالم بإنصاف ما جاء به محمد ـ صلوات الله عليه ـ وما قدمه برسالته السماوية وقدوته المثالية ، لاحتفل معنا بذكرى مولد هذا الرسول الكريم ، الذى جاء بأعظم خير للبشرية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، والذى تعد قيم رسالته أساسا راسخا لحضارة الإنسان ، وقاعدة صلبة لارتقائه .

الحرية تدعو العقل لرفض ما لا منطق له

وتحدث السيد الرئيس عن الحرية كقيمة إسلامية خالدة فقال عنها :

هى الحرية الشاملة الكاملة ، التى تحرر الإنسان ذاتا ، حيث ولد الناس أحرارا ، وحيث كرم الله بنى آدم وسخر لهم كل شىء ، بل أمر ملائكته فى أول الخليقة أن يسجدوا لآدم أبى البشر ، وهى الحرية التى تحرر الإنسان عقلا ، فتدعو هذا العقل إلى النظر والتأمل ، والتماس الليل واستنباط الحجة ، وتحثه على رفض مالا منطق له ، ولا حجية فيه .

ثم هى الحرية التى تحرر الإنسان روحا ، حيث لا سلطان على أحد إلا لله ، ولا عبودية ولا خضوع مطلقا إلا لذاته العلية ، ولا نفع ولا ضرر إلا بمشيئته وإرادته .

وأخيرا هى الحرية التى تحرر الإنسان عقيدة ، حيث لا إكراه فى الدين ، ولا فرض لمعتقدات بالقوة ، أيا كان مصدرها .. ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

وهى فى النهاية الحرية المسئولة التى لا يتجاوز أثرها الإنسان إلى غيره ولا يتضرر منها سواه ولكن تخضع لضوابط دينية وأخلاقية وسلوكية بدونها تكون الفوضى ويعم الضرر ؛ لأن الحرية آخر الأمر غير الفوضى ، والفارق الواضح هو هذه الضوابط التى هى بمثابة ضفاف نهر الحريات الدافق ، والتى لولاها لا يكون إلا طوفان الغرق والخراب والدمار .

كذلك أكد السيد الرئيس على أهمية المساواة قائلا : هى النظر إلى البشر باعتبارهم جميعا سلالة أب واحد هو آدم ، وآدم من تراب ، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا تميز بالأعراق ولا بالألوان ولا الطبقات ، وانما يتميز الإنسان ويفضل غيره بقدر تقواه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والتقوى هى مراقبة الله والتزام تعاليمه فى اجتناب الشر وفعل الخير ، ومن أفضل الخير نفع الناس وتعمير الكون ، وما أصدق قول الرسول الكريم : « خير الناس أنفعهم للناس » .

الديمقراطية .. والبعد عن الاستبداد

وعرض مبارك فى خطابه إلى تناول واحدة من أهم قضايا الرأى وهى الديمقراطية والعدالة .

فقال سيادته : وأمـــا الديمقراطيـــة ـ أو الشورى ـ فهى فى جوهرها سيادة رأى الجماعة والسير وفق ما يرتضيه المجموع ، والبعد عن كل

سلوك يعنى الفردية والاستبداد والتسلط .. وما أروع أمر الله لنبيه ــ وهو الرسول الموحى اليه ــ بأن يشاور فى الأمر ولا يستبد برأى .

وأما العدالة ، فهى تحرى الإنصاف إلى أبعد حدود التحرى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ .. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ .. فالناس جميعا سواء أمام القانون ، وهم سواء أمام القاضى .. وما أروع قول عمر ــ رضى الله عنه ــ فى وصيته لأبى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء : « آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

وتحدث سيادته عن الأخوة والسلام فقال :

الإخوة هى اعتبار المسلمين أسرة واحدة كبيرة « فالمسلم أخوالمسلم لا يظلمه ولا يسلمه » .. « ومثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وأما السلام ، فهو تأمين حياة الناس من الحرب ، وهو تحريم دم الغير ، وتجريم إزهاق الروح إلا بالحق ، لقصاص أو جهاد من أجل الدفاع عن النفس ، أو نحو ذلك ، أما ماعدا هذا ، فقد قرر الله ــ سبحانه ــ أن ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ .. كما قرر الرسول ــ صلوات الله عليه ــ إن حرمة دماء الآخرين كحرمة البيت الحرام فى الشهر الحرام ، ويستوى فى حرمة الدم هذه غير المسلمين ، ماداموا لم يعتدوا ولم يتآمروا ولم ينقضوا عهدا ، فالقتال ــ وهو الاستثناء ــ مشروط برد العدوان ﴿ وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا .... ﴾ بل إن حسن المعاملة والسلوك الحميد مع غير المسلمين أمر مطلوب من المسلمين ، وذلك قول المولى جل شأنه :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

ثم يقول سيادته :

هذه هى أهم القيم التى اشرقت بها دعوة محمد على العرب ، فحولت تفرقهم إلى وحدة ، وضعفهم إلى قوة ، وقبليتهم المتخلفة الى دولة متحضرة .. وهى نفس القيم التى أضاءت بها دعوة محمد ما حول بلاد العرب من أقطار ، فأخرجتها من الظلمات الى إلنور ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الصراع والقتال إلى الأخوة والسلام .. وانضوت معظم هذه الاقطار ــ تحت لواء الإسلام ــ واستظلت بالراية المحمدية ، مكونة مع بقية البلاد الإسلامية والعربية أرض الإسلام الكبرى . التى امتدت من حدود الصين شرقا ، إلى المحيط الأطلسى غربا ، ومن حوض البحر المتوسط شمالا ، إلى أواسط إفريقيا جنوبا ، وبذلك انتشر نور الهداية الإسلامية فى شتى أرجاء المعمورة .

المادية ألحقت بالأمة الإسلامية شرورا كثيرة :

ثم عمد السيد الرئيس إلى شرح وتفصيل عوامل ضعف الأمة وتشتتها بعد عز ومنعة فقال :

« وفى رحاب تلك النهضة الإسلامية الكبرى ، التى قامت على دعائم من القيم الرفيعة ، قامت أعظم حضارة عرفتها البشرية ، تلك الحضارة التى تألقت فيها عواصم عديدة فى المشرق والمغرب ، وأصبحت تلك العواصم تزخر بالعلماء المقتدرين ، والمفكرين المبرزين ، والأدباء الموهوبين ، والفنانين المبدعين .. وعلى انتاج هؤلاء وثمرات عقولهم وحصاد ابداعاتهم ، عاشت الحضارة الإنسانية عصرا من أزهى عصورها ، نجح فى التوفيق بين القديم والحديث ، والجمع بين الموروث والمستحدث ؛ وصولا إلى عصر النهضة ، الذى نهل من معين الحضارة الإسلامية ، فى عهودها الزاهرة ، وأستفاد من انجازاتها وإبداعاتها فى شتى فروع العلم والمعرفة . وهكذا حققت رسالة محمد – صلوات الله عليه – ظاهرة تواصل الحضارات ، ومهدت لظهور الحضارة الحديثة ، التى اشرقت طلائعها منذ عصر النهضة ثم بدأت المادية تطغى على القيم الروحية ، وسادت العالم موجة من الاطماع والصراعات المدمرة ، فانتشرت الحروب ، واستحكمت الخلافات المذهبية والأيديولوجية ، ولحقت بالأمة الإسلامية شرور كثيرة نتيجة هذه الأوضاع المتردية ، فوقع كثير من أقطارها فى براثن الإستعمار ، واستنزف كثير من خيرها بعوامل الاستغلال ، وساعد على هذا ما منى به أبناء الأمة – مع هذه المحنة – من تفرق وتمزق ، ومن ضعف وتخلف ، ومن تفريط فى جوهر الدين الصحيح ، وتشبث بقشور لا تدفع إلى التقدم ولا تعين على النهوض ، وكانت النتيجة أن صار معظم الدول الإسلامية فى عداد الدول الضعيفة المغلوبة ، التى عانت من الإستعمار العسكرى والاستغلال الإقتصادى كذلك صارت أكثرية بلاد المسلمين تعانى من التخلف العلمى والانغلاق الفكرى والحضارى وتلك أوضاع لا تليق بالأمة الإسلامية ورسالتها ، وهى – بيقين – أوضاع لا علاقة لها بالإسلام وطبيعته وتعاليمه .

بل إنها غريبة عن قيم الإسلام ومبادئه ، انها عوامل الفرقة المنافية لقيمة الوحدة الإسلامية ، وعوامل القبلية المنافية لتعاليم الأخوة الإسلامية ، وعوامل الصراع المنافية لروح السلام الإسلامية ، وعوامل الأنانية المنافية لمبادىء الجماعة الإسلامية ، وقد أضيف إلى ذلك كله – بكل أسف – عامل آخر لا يقل خطرا عن كل تلك الشرور المدمرة ، وهو عامل اللامبالاة التى تتنافى مع مبدأ التكافل ، وتتعارض مع روح الأخوة ، التى تحض على مؤازرة الأخ لأخيه ، وتلزم الشقيق أن يقف إلى جانب شقيقه فى أوقات المحن والشدائد .

أفغانستان – الصومال – البوسنه

ويواصل الرئيس حديثه قائلا : إن نظرة إلى خريطة العالم الإسلامى اليوم ، لتصيب أى غيور على دينه وعقيدته بالأسى العميق ، ودون تدخل فى شئون الأشقاء أو قصد إلى الإساءة إلى أن نقول من منطق الأخوة الحميمة ما يلى :

إن مما يحز فى النفس ان نرى فى أفغانستان

صراعا على السلطة له طابع مذهبى ، وهو صراع محزن بين الذين جاهدوا من أجل استقلال بلادهم وتحرير أرضهم ، وحين ظفروا بهذا الاستقلال وحققوا هذا التحرير تحول نضالهم الذى كان ضد عدوهم إلى صراع بينهم وبين أنفسهم ، والنتيجة هى ضياع الاستقرار وفقد ثمرة الجهاد وسقوط العديد من القتلى وإراقة دماء المسلمين بأيدى المسلمين .

كذلك يوجع القلب أن نرى فى الصومال صراعا على الحكم له طابع قبلى وهو حرب أهلية بكل المعايير وصراع مؤلم بين وطنيين تحررت بلادهم من سيطرة الأجنبى وأصبح تراب أرضهم أمانة بين أيديهم لكى يعملوا لخير شعبهم .. ولكنهم - بكل أسف - تركوا كل شيء وتفرغوا للصراع على الحكم ، والنتيجة هى توقف الحياة وشبح المجاعة ، وتفشى الأمراض ثم موت الآلاف كل يوم ، وانتظار الملايين لدورهم فى الموت جوعا أو مرضا إن أخطأهم السلاح الطائش .

كذلك يمزق الوجدان أن نرى فى البلقان صراعا عرقيا ، أصاب منه المسلمين شر كثير ، ومازال القتل والتجويع والتخريب ، وكل ألوان الأذى تنزل بالملايين من أبناء البوسنة والهرسك ، الذين هم إخوتنا فى الإنسانية والدين ، وتلك أوضاع لا نقبلها ولا يمكن أن نتسامح ازاءها ، ولذلك فاننا لا ندخر جهدا للعمل مع شركائنا فى الأسرة الدولية على تغييرها بكافة الوسائل المتاحة وتوفير الحماية لأولئك الذين يتعرضون لحرب إبادة بربرية لم نشهد لها مثيلا فى النصف الثانى من القرن العشرين .

وأخيرا يثير أشد القلق على مستقبل الأمة ، ان نرى فى أكثر من بلد إسلامى رؤوس الفتنة تطل من جحورها ، منتهزة الفرصة لتخنق روح الحرية ولتغرس أنيابها المسمومة فى بناء الوحدة الوطنية ، وتروع المواطنين وترهبهم للقضاء على الأمن والأمان ، كل هذا باسم الثورة الإسلامية ، والمحزن بحق أن هذه العناصر تتستر بستار الدين ، وتدعى أنها ترتكب هذا الجرم باسم الإسلام ، بينما الاسلام وكل دين برىء من هذا التآمر اللعين ، فالاسلام لا يعرف الارهاب والاثم ، ولا يقر العدوان والقهر ، ولا يبيح تسلل الفتنة المضللة للعدوان والفتك فى الظلام ، لأن الإسلام رحمة وأخوة فلا قسوة فيه ولا عداء ، ولا ظلم ولا افتراء .

والاسلام تقدم وبناء فلا هدم فيه ولا تفويض ، والاسلام حب واخاء فلا عداوة فيه ولا بغضاء ، والاسلام مصارحة ومكاشفة فلا مؤامرة فيه ولا فرض لرأى ، والاسلام حياة وسلام ، لأنه رسالة واهب الحياة ، الذى اختار من اسمائه الحسنى اسم السلام .

البعد عن تعاليم الله وراء هذه المظاهر السلبية

ويُرْجع السيد الرئيس هذه المظاهر السلبية - على حد تعبيره إلى « سبب البعد عن تعاليم الله .. فتلك التعاليم لا تعرف الصراع المذهبى ، ولا الصراع القبلى ، ولا الصراع العنصرى ، ولا تعرف كذلك ، اللامبالاة » ولا « الأنانية » ، ولا « الإرهاب ، والعدوان » .

ويضيف سيادته قوله :

إننى أدعو ـ مخلصا وملحا ـ فى هذه المناسبة الكريمة إلى إصلاح أوضاع أمتنا العزيزة وتصحيح صورتها على خريطة العالم ، وذلك بالتمسك بجوهر الدين وروحه ، والتشبث بمبادئه فعلا لا قولا .

إننى ـ دون التدخل فى شئون أحد ، ومن منطلق الأخوة الحميمة ـ أدعو قادة أفغانستان إلى نبذ الصراعات المذهبية ، والاعتصام بحبل الله والتمسك بالوحدة الإسلامية .

كما أننى ـ دون تدخل فى شئون الغير ، بل من منطلق الأخوة الحميمة ـ أدعو حكام الصومال إلى طرح الصراعات القبلية والتشبث بروح الوحدة الإسلامية .

كما أننى ـ من منطلق الحرص على أمتنا ، وعلى أن تعيش آمنة مستقرة تنعم بالتقدم والأزدهار ـ ادعو كل الحركات والجماعات الرافعة لراية الإسلام ، إلى التخلى عن نزعات الفتنة العقيدية ونبذ الارهاب إلى غير رجعة ، والكف عن محاولات فرض الرأى على جماعة المسلمين والتحلى بروح الوحدة الإسلامية الحقة التى لا بغضاء فيها ولا عداء ولا قهر ولا إملاء .

وأخيرا ـ ودون أى تعصب دينى ، بل من منطلق انسانى وحضارى ـ أدعو أن تتجه الجهود للعمل على مساعدة الأخوة المسلمين فى البلقان لإنقاذهم من حملات التشريد والتجويع حتى يتجاوزوا هذه المحنة العاتية ويعودوا إلى ديارهم التى طردوا منها بالحديد والنار .

وفى نهاية خطابه قال السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية :

إن كل هذه العوارض المؤلمة لم تكن لتحدث لأمتنا الإسلامية ، لو أنها تمسكت بالوحدة بين أبنائها أجمعين ، وابتعدت عن الغلو والشطط ، وأخذت بأسباب العلم والتقدم ، ولكن التفكك والضعف والتوقف والتخلف ، والجمود والتحجر ، هى التى أسلمت إلى هذا الهوان ، وسببت كل هذا الضياع والخسران .. فلتكن هذه المناسبة الكريمة فرصة لمراجعة النفس ، وتصحيح الخطأ وتصويب المسيرة ، ولنأخذ أنفسنا ـ جادين ـ بمبادىء محمد ـ صلوات الله عليه ـ ولننفذ ـ صادقين ـ تعاليم الله القويمة ، ونبنى على أسس قيمة الإنسانية الحضارية الحكيمة .. ولنتجه فى عزم ويقين إلى التفوق بالوحدة ، والتحلى بروح الإسلام الحقة الدافعة إلى التآزر والتعاون والتكافل والمنطلقة من الشعور الإيمانى الصادق بأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .

إننى أدعو من هذا المنبر الجليل ـ منبر الأزهر الشريف ـ وفى هذه المناسبة الكريمة مناسبة ذكرى ميلاد رسول ديننا الحنيف ـ ﷺ ـ إلى العودة إلى تعاليم الإسلام الحقه ومبادئه القويمة ، والتمسك بقيمه الرفيعة ، التى تحض على التسامح والتضامن ، وتعلى قيمة الإخاء الإنسانى ، وتصون كرامة الإنسان ، وترفض الشقاق والتنابذ ، وتنهى عن الفتنة والوقيعة ، وتحرم الاقتتال وإزهاق الروح وإهدار الممتلكات وتجرم عدوان المسلم على المسلم وغير المسلم على السواء ، فقد كانت تلك القيم هى الصخرة الصلبة التى صانت الإسلام والمسلمين عبر القرون ، والقاعدة الراسخة التى قامت عليها الصحوة الإسلامية فى كل العصور .

مع
الإمام الأكبر

من خصـــائصـــه صلى الله عليه وســلم فى القرآن

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جـاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

فى الاحتفـــال بمولـــد الـــرسول
عليـــه الصـــلاة والســـلام

فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى من حادثة الفيل الموافق شهر إبريل سنة ٥٧١ من الميلاد كانت ولادة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وبكل مشاعر الحب والتوقير والإجلال لهذا الرسول الكريم الذى اصطفاه ربه واختصه بميزات وخصائص تتجلى بها منزلته عند الله وقدره فوق كل الأقدار نحتفى بهذه الذكرى .

لقد أسبغ عليه شمائل كان وسيكون بها النبى المصطفى المقدم بين خلق الله قاطبة فسبحان الله القائل فى سورة البقرة :

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .

وهذه الخصائص وتلك الميزات التى تفرد بها ليست قصصا من خيال وإنما سجلها القرآن : « ومن أصدق من الله حديثا » .

ففى سورة الحجر قول الله سبحانـــه :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

حيث تحمل هذه الآية قسم الله سبحانه وتعالى بحياة الرسول ﷺ ، بينما كل الناس يقسمون بالله سبحانه وتعالى .

ـ تفسير هذا ـ والله أعلم : ـ
إن الله يقول لنبيه المصطفى ﷺ :

وحياتك يا محمد إن قومك من قريش لفى سكرتهم يعمهون أى : لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون .

وقسم الله سبحانه بواحد من خلقه إبراز لقدره وأهميته بين المخلوقات وقد جاءت هذه الأقسام فى القرآن فى مواضع كثيرة مثل ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ ، ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ .

والقسم بحياة الرسول ﷺ : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) تشريف وتكريم للرسول ﷺ وإعلام لقومه بقدره عند ربه .

ولم يرد مثل هذا بالنسبة لغيره من الرسل ، وهو مع هذا تسرية عن نفسه الشريفة وإيناس له عن صدود قومه الذين غلبت عليهم شقوتهم .

وميزة أخرى جاءت فى قول الله تعالى فى سورة الفتح : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

حيث أفادت هذه الآية أن بيعة رسول الله ﷺ ، هى بيعة لله ، فقد نصت الآية على أن : يد الله فوق ايدى المتبايعين ؛ فأى تكريم يعلو هذا ؟!

والآية فى سورة التوبة : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ جاءت عتابا من الله الرحمن الرحيم العفو الغفور للرسول محمد ﷺ مسبوقا بالعفو .

ويتضح هذا المعنى وذلك الامتياز إذا افترضنا أن المعنى لهذه الآية ـ والله أعلم ـ أن الله جل وعلا يقول : يا محمد : لأى شىء أو لأى سبب أو معنى أذنت لأولئك الذين قعدوا عن الخروج معك فى غزوة العسرة ـ تبوك ـ وكان ينبغى لك ألا تأذن لهم حتى يتبين صدقهم من كذبهم ، وهم لو لم تأذن لهم قاعدون عن الخروج معك وهذا النهى الذى تضمنه الاستفهام : « لم أذنت لهم » لا يكون إلا مما يقع فى المستقبل ، لأن النهى عما وقع محال فقول الله : « لم أذنت » قد مضى فلا يصلح أن يكون محل النهى ، ولكن صلح أن يكون ما وقع ومضى موضع عتاب ، ولا يصلح العتاب على المستقبل أى على ما لم يقع بعد .

فالميزة والتكريم فى هذه الآية : أن الله عز وجل قدم العفو عن رسوله محمد ﷺ حيث وقره ورفع مقامه بالدعاء له . كما تقول للكريم : عفا الله عنك ما صنعت .

ومما اختص به رسوله محمداً : ﷺ أن الله قد أحل له ولأمته ما كان حراما على غيره . ذلك ـ والله أعلم ـ قول الله تعالى فى سورة الأعراف :

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ . . . . ـ (١٥٧)

ومعنى الإصر : الثقل والمشقة ، لأن الإصر يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحركة لثقله .

(.. ويضع عنهم إصرهم) فقد كانت توبة بنى إسرائيل كالسامرى وغيره : قتل بعضهم بعضا كما أخبرنا بهذا قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ... ﴾ كان هذا حين عبد بنو إسرائيل العجل وهم يعلمون أنه باطل ولم ينكروا على أنفسهم هذه العبادة فابتلاهم الله بقتل بعضهم بعضا .

ثم كانت الميزة لرسول الله محمد ﷺ قول الله سبحانه له ولأمته فى سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ أى لا تحملنا ثقلا ومشقة أو عقوبة وذنبا يشق علينا حمله .

فالنبى محمد ﷺ ميزه الله بملة الإسلام الحنيفية السمحاء وهى التى ليس فيها إصر ولا كلفة ولا مشقة .

ومعنى الحنيفية أى الملة التى مالت عن سائر الأديان كلها فكانت متميزة بخصائص استقامت عليها ، وجاءت رحمة الله تحف أمة الإسلام حيث عاملها بالرفق والسماح فقال الله فى سورة التغابن : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ وفى سورة الحج : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وجاء فى القران فى أكثر من موضع ﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ .

ومن فضل الله على أمة الإسلام أن الرسول والرسالة وصفا بالرحمة فقال الله فى شأنه فى ختام سورة التوبة : بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وفى سورة آل عمران : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ وفى سورة الأنبياء :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

ومن لمحات القرآن الكريم فى تبيان خصائص رسول الله ﷺ ودلائل بلوغه أعلى مراتب الكمال فى النبوة والرسالة : ما استظهره العلماء من المقارنة بين آيتين إحداهما : تحكى قول سيدنا موسى عليه السلام فى سورة الشعراء قال : ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ حيث قدم اسمه على اسم ربه فامتحنت أمته بعبادة العجل وبالتيه وغيرهما .

فى حين أن رسول الله محمداً ﷺ قدم اسم ربه على اسمه حين قال لأبى بكر ـ رضى الله عنه ـ وهما فى الغار فى الطريق إلى الهجرة « لا تحزن إن الله معنا » .

ومن ثم عصمت أمة الإسلام عن الشرك وأنزلت السكينة فى قلوبهم .

ومن خصائصه ﷺ : أن الله شرفه بذكر اسمه معه فيما منح عباده من نعم فقال فى سورة التوبة :

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ حيث جعله الله مغنيا لعباده .

وكان اقتران اسم الله سبحانه واسم رسوله محمد ﷺ في القرآن في مواضع ، منها قول الله في سورة النساء : ﴿ ..... أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ وفيها : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ . وفيها ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .

ففي هذه الآيات وغيرها جمع بين اسم الله واسم رسول الله محمد ﷺ بواو العطف التي تفيد المشاركة ولا يجوز هذا في حق أحد غير الرسول ﷺ لحديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان » .

« رواه أحمد وأبو داود وغيرهما » .

وفقة هذا الحديث أن المشيئة إرادة الله تعالى عز وجل كما جاء في سورة الإنسان : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ .

حيث أعلم الله الناس جميعا أن المشيئة له دون خلقه .

وفي القرآن دعوة إلى حب الله باتباع رسالة هذا النبي الكريم ذلك قول الله سبحانه في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وفي سورة النساء جعلت معصية الرسول معصية لله ذلك قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

وفي شأن العزة قول الله في سورة المنافقون : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ . وفي شأن الولاية قول الله سبحانه في سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ .

وفي الإجابة قول الله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

وأسبغ الله على رسوله ﷺ من أوصافه : فقال في سورة الحديد : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفي شأن الرسول ﷺ في سورة التوبة ﴿ .. حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ والرأفة أشد الرحمة وأبلغها وتأتي الرأفة لدفع الشدائد والمكاره ، والرحمة الخير والنعمة ، وفي القرآن قول الله سبحانه في سورة يونس :
وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ .

وقد جعل القرآن الكريم : إرضاء الله سبحانه وإرضاء الرسول واحدا . فقال في سورة التوبة : يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

هذا قليل من كثير مما جاء في القرآن الكريم من ميزات وخصائص لرسول الله محمد ﷺ نستذكرها في هذا الاحتفال بذكرى مولده الشريف لعل الذكرى تنفع المؤمنين ، ونستذكر مع كل ذلك ومن قبله ومن بعده مهمة الرسول والرسالة لنتخذ هديه خلقا وطريقا نسلكه حتى نستبين الرشد من الغي .

ذلك قول الله سبحانه في سورة الأحزاب المعبر عن مهمة الرسول وحدود الرسالة :
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا

مهام محددة وجزاء مرتقب بخير كثير للمؤمنين متى تلبسهم هذا الوصف فضلا من الله وإحسانا .

وبالله التوفيق ..

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ
وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

نهت الآية السابقة عن خيانة الله وخيانة الرسول وخيانة الأمانة وهذه الآية تَذْكُر أهم الأسباب التى تحمل على الخيانة المنهى عنها ، وهى الأموال والأولاد ، فالإنسان حريص على أولاده حِرصَه على نفسه ، وأحيانا أكثر من نفسه ، ولهذا الحرص الشديد قد يرتكب المحرم ويرتكب الخيانة ، من أجلهم .

والإنسان حريص أيضا على المال محب لجمعه حتى لو كان له واديان من ذهب تمنى الثالث ، والمال وسيلة الإنسان لشئون حياته وتدبير معيشته ولحسن مظهره بين الناس ؛ وليدفع به المكاره عن نفسه وذويه ؛ ولينال به بين الناس احتراما ومهابة ، فالناس يقدرون الأثرياء حتى ولو كانوا لا ينالون من ثرائهم شيئا ، كما يزدرون الفُقراء حتى ولو كانوا لا يسألونهم شيئا ، ومن كان ذا مال وبنين كان له بين قومه وبين البعيدين عنه احترام وتقدير ، وقد استكثر العرب على رسول الله ـ ﷺ ـ أن يوحى إليه ، وهو ليس بذى مال ولا بنين : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ـ يعنون الوليد بن المغيرة ، وكان كما قال القرآن عنه ذا مال وبنين ، أو عروة بن مسعود الثقفى ، وكان له جَاهُهُ وثراؤه فى الطائف .

والحرص على المال وحب الأولاد مما يثبط عن كثير من الأعمال الصالحة ، خصوصا الصدقة والجهاد ، ومما يصد عن السخاء ويغرى بالبخل ، وكانت العرب تقول عن الولد إنه مَبخَلة مجبنة ؛ لأن محب المال يبخل به ليبقيه لعقبه ، ويقعد عن الجهاد خوفا من الموت واشفاقا على أولاده من اليتم ، وكان القعدة من الخوارج يفعلون ذلك .

وأكثر من هذا ان كان العرب يئدون بناتهم خوفا من الفقر وقلة المال ، سواء كانت الفاقة واقعة بهم أو يخشى وقوعها ، وقد جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ كما جاء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ .

والأولاد بطبيعة الحال أعز على النفس وأثمن من المال ، والناس يريدون المال لأنفسهم ولأولادهم فهو وسيلة لا غاية تقوم عليه الحياة وتربية الأولاد ، ولهذا يقدم فى الكلام عليهم ، لا لأهميته ، ولكن للترتيب الطبيعى وللترق من الأدنى إلى الأعلى ـ كما فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وكما فى قوله أيضا : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ـ فتقديم المال لهذا .

والرغبة فى المال تقل وتضعف لأسباب عارضة ، قد يكون من أبرزها وأقواها زُهدُ الإنسان فى حطام الدنيا ، والرغبة فيما عند الله من ثواب الآخرة ، ونحن نقرأ الكثيرَ الكثيرَ عن الزهاد والعازفين عن مباهج الحياة ، والمترفعين عن عطايا الحكام ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل وداود الظاهرى ، وبشر الحافى وابن السماك ... وغيرهم مثلا للإنسانية وللعفة والزهد ، وإمامُ المتصدِّقين المؤثرين لآخرتهم على دنياهم الصديق أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ إذ كان يتصدق بكل مايملك ، ولما سأله رسول الله ـ ﷺ ـ عما أبقى لأولاده ، وقد أخرج لله كل ماله ـ يوم تبوك : « ماذا أبقيت لأولادك » ؟ ـ قال : « أبقيت لهم الله ورسوله » .وكلما قلت رغبة الإنسان فى الدنيا هان عليه إنفاق المال ، وعندما يدرك الانسان الكبرُ ، ويشعر بدنو أجله يفتر عن جمع المال وتحصيلة ، وتقل رغبته فى الاستكثار منه ، مما يدل على أن منزلة المال فى النفس دون منزلة الأولاد ؛ لأن شغفه بالأولاد لا ينقطع ولا يفتر ، والولد قطعة من جسم والديه .

ومهما يكن من شىء فإنَّا ندرك من هذا كله أن الأموال والأولاد فتنة بسببها يخون الشخص أمانة الله .

والفتنة فى الأصل عَرْض الذهب على النار لتظهر جودته من رداءته ـ وهى كالفَتْن ـ مصدر الفعل فَتَنَ ـ كضرب ، ومن العرض على النار والاختبار تولدت المعانى الأخرى ، كالابتلاء والايقاع فيما يسبب العذاب .

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ ﴾ أى : عذابكم ، أو عاقبة ضلالكم ، ومنه : « إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ » أى عذبوهم وأحرقوهم ، وقول الجَدِّ بن قَيْس لرسول الله ـ ﷺ ـ يوم تبوك : « إئذن لى ولا تفتنى ، يعنى ائذن لى فى التخلف عن الحرب ولا توقعنى فيما يسبب العذاب ، ولهذا ردّ الله قوله فقال : ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ أى ماوقعوا بتخلفهم هذا إلّا فى العذاب .

ولأنها تستعمل فى معنى العذاب ومايسببه جاءت بمعنى الإضلال والصرف عن الحق ، ومن ذلك : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ فهى فى الايتين بمعنى يصرفونك ويُعمُّون عليك الحق .

ومعانى الفتنة الكثيرة ترد إلى معناها الأصلى .

والآية : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نعنى أن المال والأولاد مما يفتن الشخص ويضلله بسبب مايوقظ فى نفسه من المطامع وحب الدنيا وزينتها ، كما قال ـ سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾

بعد أن حذرت الآية من خيانة أمانة الدِّين بيَّنت السبب الذى يحمل على الخيانة ، والأموال والأولاد ـ مهما كان لهؤلاء أو أولئك من أثر فى نعيم الإنسان فى الدنيا ـ فان ماعند الله فى الدار الآخرة من ثواب أعظم وأنفع وأبقى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

والآية عامة المعنى والحكم ، فهى تنبيه وإيقاظ للمؤمنين ، وتحذير من وقوعهم فى فتنة المال والأولاد ، وبعض المفسرين يذكر أنها نزلت فى شأن أبى لبابة ، وكان مواليا ليهود بنى قريظة ، وقد سألوه عما عسى أن يحكم به سعد بن معاذ الأنصارى عليهم ، وقد حَكَّمهُ رسول الله ـ ﷺ ـ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ليفهمهم أن سعدا سيحكم بذبحهم ، وأدرك أبو لبابة فى الحال خيانة فأسرع بالتوبة والاعتذار إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وربط نفسه بسارية المسجد ، وامتنع عن الطعام والشراب سبعة أيام حتى خرَّ مغشيا عليه ، ولما قيل له : لقد تاب الله عليك ، قال : لا أحل نفسى حتى يحلنى رسول الله ، فحله ـ ﷺ ـ فرأى من تمام توبته أن يترك داره التى ارتكب الإثم وهو ساكن بها ، وأن ينخلع من ماله كله صدقة لله ولكن رسول الله ـ قال له يكفيك الثلث .

وقيل : نزلت الآية فى شأن عثمان بن عفان وقتله ، وهو قول المغيرة ، وهو مستبعد جدا ، وإن جاء فى بعض كتب التفسير القيمة ، وهذا وذاك لا يمنع عموم الآية . ومخاطبتها المؤمنين فى كل زمان وكل مكان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ .

هذه وصية أخيرة للمؤمنين ، فسياق الآيات كان حديثا عن غزوة بدر ثم جَرَّ الحديث إلى الأمر

بطاعة الله ورسوله ، والنهى عن خيانتهما ، وهنا وصية بالتقوى وتبشير بحسن عاقبتها .

وكلمة التقوى مأخوذة من الوقاية ، وهى تعنى وقاية المؤمنين أنفسهم من غضب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعذابه ، وهى أصل لكل أعمال الخير التى تصدر من المؤمن المتقى ، وكل عمل يعمله الشخص سلبا أو إيجابا ـ خوفا من عقوبة رب العالمين أو رجاء لثوابه فهو عبادة يثاب عليها ، وهى ـ أيضا ـ تربية للنفس وتعويد لها على عمل الخير .

والفرقان هنا نتيجة وثمرة للتقوى ، وهو صيغة مبالغة تدل على الفرق وهى أبلغ من الفرق ، وتستعمل فى الفرق بين الحق والباطل ، وسمى يوم بدر يوم الفرقان ؛ لأن الله فرق فيه بين باطل المشركين وحق الاسلام ، ويسمى كلام الله كله فرقانا لذلك ، فهو يفرق بين الحق والباطل فى الاعتقاد ، وبين الصدق والكذب فى المقال ، وبين الصالح والطالح فى الأعمال ، وفى الذكر الحكيم :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ وفيه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ وسميت التوراة ـ ايضاً ـ بالفرقان ؛ لأنها كلام الله ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

وبجمل النصيحة والوصية هنا للمؤمنين ، أنهم إذا التزموا بشريعة الله ، فاجتنبوا ما نهى عنه وأطاعوه فيما أمر به ، بث الله فى قلوبهم شعورا يميزون به بين الطيب والخبيث ، والضار والنافع ، وهذا الشعور ينبثق تلقائيا فى نفس العباد ، وعليه فسر بعض المفسرين قول الله تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

وهذا لايمنع أن يكون النور هو التشريع الالهى ، فهو نور للناس فى حياتهم . ويهدى الله لنوره من يشاء . أما هذا الشعور الباطنى فغير منكور ، ولكنه حالة يشعر بها الأتقياء العباد .

ويورد المفسرون أقوالا أخرى فى معنى الفرقان غير النور والهداية التى تكون فى القلوب ـ قيل : هو النصر للمسلمين الذى يفرق به بين الحق والباطل والمحقين والمبطلين ، وقيل : هو النجاة فى الدارين ، وقيل : المخرج من الشبهات ـ وليس هذا بعيدا عن القول الأول ، وقيل : هو الظهور الذى يشهر أمر المؤمنين وينشر ذكرهم .

وكل هذه المعانى محتملة ، وكلها تحمل معنى الفرق والفصل .

ومعنى يكفر عنكم سيئاتكم : يسترها فى الدنيا ، ومادة « كفر » تستعمل فى الستر والاخفاء كما قالوا : الليل كافر ، والزراع كافر ؛ لأن الزراع يخفى البذر تحت التراب ، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ بالتجاوز عنها فى الآخرة وفسرت السيئات بالصغائر والذنوب بالكبائر ، وعلى كلا القولين لا تكرار .

وذيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تثبيتا وتعليلا لهذا الذى ذكر من النور والغفران ، فذلك فضل الله وليس واجبا عليه وهو ذو أفضال كثيرة غير هذا .

فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم

للأستاذ/ الدكتور
محمد أحمد الغمراوى

الآيات القرآنية الكونية هى لاشك مدار إثبات وجود الله سبحانه ووحدانيته ، ومظهر كثير من صفاته العلية التى لا نهاية لكمالها ، كالقدرة والعظمة والرحمة . ودلالتها على ذلك كله قطعية برهانية .

ويقصد بالآيات الكونية ، الآيات القرآنية المتعلقة بالكون المشهود عند الإنسان من حيث هو روح وعقل واختيار ، أما البدن من حيث خلقه ، وسنن الله فيه ، فداخل فى الكون . والنفس أيضاً خلقها الله ، وله سبحانه فى خلقها وفى سلوكها سنن ، بل ولم ينزل الله كتابه بما فيه آيات كونية ، وغير كونية ، إلا من أجل هداية النفس الإنسانية إلى بارئها سبحانه . لكن العرف جرى فى فهم الآيات الكونية القرآنية أنها لآيات المتعلقة بغير نفس الإنسان .

والآيات القرآنية الكونية لها مكانة خاصة فى الدعوة إلى الله فى هذا العصر ، عصر العلوم الكونية التى كشف الإنسان بها ما كشف من أسرار الفطرة ، فطرة الكون ، فبلغ من القوة المادية ما بلغ ، وإن لم يرع فى إستثمارها واستغلالها ما شرع الله له .

والقوة إذا انطلقت من قيود الشرع الإلهى ، أنصبت مكارهها وويلاتها على الإنسان نفسه ، كما رأينا فى الحربين العالميتين التى كانت أخراهما شراً من أولاهما أضعافاً مضاعفة ، والتى لم يخرج العالم منها إلى سلم ، ولكن إلى هدنة استمرت ربع قرن زادت فيه القوى التى أطلقها العالم زيادة مخيفة يقف العالم بها اليوم على حافة الهاوية .

وقد كفر الغرب بدينه وكتبه المقدسة ، لما رآها لا تتفق مع ماوصل إليه العلم من حقائق الكون ، فرآها مثلا توزع أطوار خلق الكون على أيام الأسبوع ، قبل أن يكون لتلك الأيام وجود ، ثم تزعم أن الخالق ـــ سبحانه وتعالى ـــ تعب فاستراح فى سابع يوم . لكن الآيات الكونية فى القرآن ليس فيها شىء مما أضل الغرب عن دينه .

صحيح أن فيها أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، وهو التعبير القرآنى الوحيد الذى قد يشتبه على القارىء العادى فى الغرب وفى الشرق فيظن هذه الأيام الستة هى الأيام التى يعرف ، كما هى عند أهل الكتاب . وهذا مثل من المزالق التى على الناظر فى آيات القرآن الكونية أن يحذر الإنزلاق فيها فيفهم من الآى أول معنى يتبادر إلى ذهنه بحكم الفكر السائد فى البيئة ، أو حكم النقص فى العلم ، أو حكم الجهل باللغة التى نزل بها القرآن الكريم . فاليوم عند الناس هو يوم

الأسبوع لكن هذا إن هو إلا أحد معانى اليوم فى اللغة العربية . فأيام الغرب فى حروبها مثلا كان بعضها يطول إلى أيام ، ومع ذلك كان يطلق عليه لفظ اليوم بالإفراد ، مثل يوم (فيف الريح) ، الذى يقول ابن الأثير فى تاريخه : إنه كان بنى عامر وبنى الحرث بن كعب ، وأنهم التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيام فى مكان يقال له (فيف الريح) .

على أن اليوم وإن كان أطلق فى القرآن الكريم على اليوم العادى ، مثل يوم الجمعة ، وبمعنى اليوم عند العرب فى حروبها مثل يومى بدر وحنين ، فقد أطلق فيه على الحقبة من الزمن يتجاوز طولها كل ما كان يمكن أن يخطر ببال إنسان أن يطلق عليه لفظ يوم ، كما فى قوله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١) ﴾

فعلى الناظر إذن فى آيات الخلق فى القرآن الكريم أن يتذكر أن أيام خلق الكون ليست كالأيام عند الناس وأن يختار لكل منها عند تخصيصها ، كما فى آيات سورة فصلت ، معنى يتناسب مع الحقيقة التى قام عليها البرهان عند أهلها من العلماء .

والتعبير القرآنى بستة أيام عن الأحقاب الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض فى أطوار ستة فصلتها الآيات (٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) من سورة فصلت ، هو مثل من إعجاز الآية القرانية فى الأسلوب والمعنى معاً .

أما المعنى فالكلام عنه يطول ولا يقدر مداه إلا المتخصصون فى الفلك من ناحية ، والجيولوجيون — علماء طبقات الأرض — والجغرافيون ، من ناحية أخرى . لكن نكتفى منه بما يبين الأطوار الستة التى عبر عن أحقابها بالأيام الستة فقوله تعالى فى آية (٩) :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾

إشارة إلى طورى الإنفصال من الشمس ثم الإنطفاء حتى التكثف وتجمد القشرة بالبرودة وقوله تعالى فى آية (١٠) :

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ سورة فصلت

إشارة إلى طور خلق الجبال بنوعيها الأساسيين : مايتكون منها بتقبض القشرة فى أواخر التجمد واستمرار البرودة بالتشعع ، وهذا بدلالة جمع الطورين الأولين ، والطورين الأخيرين معاً ، فى قوله تعالى :

﴿ فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾

إشارة إلى الاتصال والتدخل بين آخر الطور الثانى ، وأول الطور الثالث طور خلق النوع الأول النارى من الجبال . ثم تشير الآية الكريمة إلى خلق النوع الثانى الرسوبى على شواطىء البحار بقوله تعالى (من فوقها) وهذا يستتبع خلق الأنهار والتغيرات التى تمكنها من حمل ماترسبه على شواطىء البحار . وهذا الاستنباط

---

(١) سورة المعارج آية ٤

نفسيراً لقوله تعالى : ﴿ مِن فَوْقِهَا ﴾ ضرورى ، وإلا لصارت الكلمتان لغوا يتنزه كلام الله عنه ، يؤيده بعد ذلك قوله تعالى (وبارك فيها) إذ لا بركة بلا ماء ولاأنهار . فهذا طور أو يوم طويل المدى الله أعلم بطوله متداخل فى الطور الذى بعده ، طور إعداد الأرض للحياه الذى دلت عليه الآية الكريمة بقوله تعالى :
﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾

فأطوار الخلق أو أيامه متداخل بعضها فى بعض بعد أن انفصلت قطعة الشمس التى صارت الأرض بعد . ومن إعجاز المعنى والأسلوب معاً الدلالة على تداخل الطورين الأولين بقوله تعالى : ﴿ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ .

وعلى تداخل الثانى والثالث والرابع ــ أواخر الثانى فى أوائل الثالث ، وأواخر الثالث فى أوائل الرابع ـ كل هذا دل عليه قوله تعالى : ﴿**فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**﴾ . بضم اليومين أو الطورين الأولين إلى اليومين أو الطورين الأخيرين . فهذا إعجاز علمى وبلاغى معاً . إذا ليس هناك أعجب من هذه الحقائق العلمية المتعلقة بخلق الأرض قد عبر عنها بأوجز أسلوب فى تيسير للفهم على من يتذكر ، فى منطق تفكيره وتفسيزه ، أن ليس فى القرآن حركة ولا حرف إلا لمغزى كما سبق إلى ذلك الفخر الرازى حين قال أثناء تفسيره قصة لوط فى سورة العنكبوت : «ما من حرف ولا حركة فى القرآن إلا وفيه فائدة ثم إن العقول البشرية يدرك بعضها ، ولا تصل إلى أكثرها ، وما أوتى من العلم إلا قليلاً» .

لكن هناك فى التعبير عن الأطوار وأحقابها بالأيام إعجاز آخر ، نفسانى له أهميته ، فى تحقيق الهداية ، التى أنزل من أجلها القرآن ، ألا وهو صلاحية التعبير لأن يفهمه أهل الكتاب على الوجه الذى لا يعرفون غيره ، فلا يكذبوا القرآن ، فيقف تكذيبهم حائلا دون دخول أحد منهم فى الدعوة ، وعائقاً لغيرهم من مشركى العرب الذين يثقون بعلم أهل الكتاب . والله وحده هو القادر على أن يخاطب عباده فى أسلوب يعبر عن الحقيقة الكونية لمن علمها ولا يصدم معتقد من جهلها .

وهذا تشريع عملى من الله أن تكون الدعوة إلى الله على وجه لا يكون فيه ما يصد الناس عن الدخول فى دين الله . وهو المبدأ الذى عبر عنه الرسول ــ ﷺ ــ بقوله «خاطبوا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»(*) ومن هنا كان قبوله ــ ﷺ ــ جواب الجارية حين سألها أين الله ياجارية ؟ قالت : فى السماء فقال لوليها : «هى مؤمنة»(١) . ومن هنا أيضا تبسمه ــ عليه الصلاة والسلام ــ لقول الحبر الذى جاءه وقال ــ فيما روى البخارى(٢) عن عبدالله بن مسعود ــ رضى الله عنه : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على

* فى جمع الجوامع : «حدثوا الناس بما تعرفون ، أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله» رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن علىّ مرفوعاً ، وهو فى البخارى موقوف .

(١) صحيح البخارى

(٢) الجزء السادس ، كتاب التفسير ، سورة الزمر .

إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع فيقول : أنا الملك» . يقول ابن مسعود : «فضحك النبى ــ ﷺ ــ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(١)

«والخطأ فى كلام الحبر واضح فان الأرضين تشمل طبعاً كل ماعليها من شجر وماء وثرى وخلائق ، لكن الرسول - « ــ لم يبين للحبر خطأه فينفر وينفر من وراءه ، وإنما تلطف بعد أن تبسم ، فتلا عليه الآية الكريمة التى يدل التى يدل صدرها :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

على أن ماقال الحبر هو دون مايليق بجلال الله ، وصحح سائرها قول الحبر فلم يذكر ثرى ولا شجر ، ولا ماء ، ولا شيئاً مما يغنى عنه ذكر الأرض . وواضح أن أداة التعريف فى (**وَالأَرْضُ**) للجنس بدلالة : (**جَمِيعاً**) . تشمل الأرضين السبع التى نصت عليها آخر آية فى سورة الطلاق . والله أعلم بمراده بقوله :

﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾

فإن أحداث يوم القيامة غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه . لكن شتان بين التعبير عن القهر والسلطان فى الآية الكريمة وفى كلام الحبر الذى ذكر فيه ماعند أهل الكتاب . أما ضحك النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فهو تأديب للمسلمين فى مثل هذا ، حتى لا يجادلوا أهل الكتاب فى موضوعه ، وإقرار لما تضمنه خبر الحبر من دلالة على قدرة الله سبحانه ، لا لما فيه من تفصيل .

وللحقيقة الكونية يخاف على الناس منها الفتنة لو صورحوا بها فيكنى عنها فى القرآن الكريم أمثلة أخرى غير مثل خلق السموات والأرض فى ستة أيام نذكر بعضها توكيداً وتوضيحاً .

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾(١)

بعد قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾(٢)

يدل فى ظاهره على أن فى السموات أقماراً غير قمرنا، ولايحتاج فى فهم هذا من الآية الكريمة إلا إلى اعتبار (ال) فى القمر للجنس . واحتمال ذلك موجود يدل عليه ، أو يشير إليه ضمير الجمع فى (فيهن) . وليس هذا ببعيد فالكلام كلام الله ، ولعله سبحانه يلفت عباده بهذه القرينة إلى آية من آياته فى الخلق بلفظة تحتمل وجهين : وجه معهود يدل على قمر الأرض حين تكون «ال» للعهد ، ووجه غير معهود ولا معروف ينبىء بحقيقة كونية كمجهولة لو أن المفسرين انتبهوا إليه حين تكون (ال) للجنس لسبقوا العلم إلى تلك الحقيقة ولو على سبيل

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر

(١) الآية ١٦ من سورة نوح .
(٢) الآية ١٥ من سورة نوح .

الجواز . لكنهم شغلوا بالوجه الدال على القمر المعهود ، وفاتهم التنبؤ عن طريق القرآن بالحقيقة المجهولة ، حتى جاء « جاليليو » فى القرن السابع عشر ، واخترع منظاره المقرب واكتشف به أربعة أقمار للمشترى ، وتحسنت المراقب بعده فاكتشفوا خمسة أقمار أخرى للمشترى ، وتسعة أو عشرة لزحل ، وإثنين للمريخ ، وأربعة لأورانوس ، وواحد لنبتون . أما عطارد والزهرة وبلوتو فلا قمر لها . لكن هذه الأقمار إنما هى فى مجموعتنا الشمسية ولاشك أن الأرضين الست الأخرى التى نضت عليها آية سورة الطلاق ، هى فى مجموعات شمسية أخرى يرجح طبق ظاهر آية سورة نوح أن يكون فى كل منها قمر على الأقل قمر لكل أرض والترجيح هو فقط للاحتياط فى الاستنباط وإلا فقد عودتنا الآيات الكونية القرآنية أن يكون ظاهرها مطابقاً للواقع حرفياً .

وعلى أى حال فقد ثبت بالكشف عن أقمار مجموعتنا الشمسية بطلان تفسير الآية الكريمة فى سورة نوح على أساس أن ليس هناك إلا قمر واحد هو قمرنا ، فيتخلص من دلالة ضمير الجمع فى (فيهن) بالقول بأن السموات بعضهن داخل بعض تبعاً لنظرية فلاسفة اليونان وإذن فوجود القمر فى إحداها يصدق على وجوده فى مجموعها كالدرة الواحدة تكون فى علبة داخل علبة داخل علبة فيصدق عليها أنها فى العلب الثلاث .

ومثل آخر قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾(٣)

فى سورة الرحمن أولوه نفس التأويل إلى مايعرفون من وجود اللؤلؤ فى أحد البحرين فى الخليج العربى فقالوا إن مايصدق على أحدهما يصدق على مجموعهما وأهملوا احتمال أن يوجد اللؤلؤ أيضاً فى النهر من ملتقى البحرين فى بعض الأقطار فيكون إخباراً عن حقيقة اللؤلؤ النهرى الذى تذكره بعض دوائر المعارف مثل دائرة معارف هتشنسن .

المصورة والذى لم يكن يعرفه العرب حول الخليج . ولايزال هناك احتمال ثالث يجيزه التعبير القرآنى وعلى علماء المسلمين المشتغلين بعلوم البحار أن يبحثوه وهو أن يكون فى بقاع الأرض مايتكون اللؤلؤ عندها فى كل من البحرين . أما المعنى الرابع الذى يفيده التعبير القرآنى عن الاستقصاء فهو أن يكون اللؤلؤ فى تكونه محتاجاً ولو إلى إثارات من بعض الأملاح التى يحملها ماء النهر إلى البحر فيتكون اللؤلؤ إذن من أملاح البحرين جميعاً . فهذا مثل أخص من المثل قبله ، إذ يبدو أن العبارة فيه قد جاءت بما يتفق مع ما كان العرب يعرفونه عن اللؤلؤ فى محيطهم ، ولو حدثتهم عن لؤلؤ الماء العذب فى بعض الأنهار لاستبعدوه واستنكروه ، أما الاحتمالان الأخيرانَ فمحتاجان للتحقق منهما إلى بحث واستقراء فيما يبدو .

---

(٣) الآية ٢٢ من سورة الرحمن .

لكن هناك من هذا القبيل مثل يتعلق بسؤال كثر ترديده فى عصر الفضاء هذا ، وهو هل هناك خارج هذه الأرض حياة ؟ ذلك المثل هو قوله تعالى سورة الشورى :

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾(١) .

فقوله تعالى : ﴿**وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾

أولة المفسرون نفس التأويل : (فيهما) أى فى مجموعهما ، إذ هم لا يعرفون دواب إلا فى هذه الأرض ، وفاتهم أن يتذكروا أن فى السماء ست أرضين أخرى ، أخبرهم الله بها فى السبع المذكورة فى آية آخر سورة الطلاق

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا)(٢) فيمكن إذن أن يكون فى بعضها حياة ودواب وتصدق آية الشورى إذن على الطرفين كليهما المتحدث عنهما . لكن علم الله أن احتمال أن يكون فى السماء حياة ودواب سيكشف عنه العلم بإذن الله ، فى عصر آت وسيلهج به الناس ، كما يلهجون الآن بحياة فى بعض الكواكب يظنونها أرقى فى العلم حتى من الحياة على الأرض فى عصر العلم هذا ، فأنزل فى سورة النحل — وسورة النحل نزل بها الوحى بعد سورة الشورى — ما حقه أن يذهب بتأويل المفسرين الذى يقف بمعنى آيات الله عند حد ما يعلمون ، لا عندما يحتوى الآى من معنى ، ولو كان إنباء بما لا يعرفه الإنسان . ففصل سبحانه فى آية النحل ما أجمل فى سورة الشورى وذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾(١)

فهنا ذكر الإسم الموصول مرتين ، لا مرة كما فى آية الشورى . مرة متعلقة بالسماء ومرة متعلقة بالأرض ليذهب سبحانه بكل شك فى أن قوله : ﴿**مِنْ دَابَّةٍ**﴾ بيان لما فى السماء ولما فى الأرض ، ويكون ذكر الملائكة بعد ذلك فيمن يسجد ، مانعاً من تأويل دواب السماء بالملائكة عند من لا يدركون أن الملائكة لا يليق بهم أن يعبر عنهم بالدواب فالآية الكريمة إذن تنبىء البشرية بما تجهله إلى الآن وإن حدثت نفسها به فى هذا العصر ، عصر علوم الفضاء .

فمهما يكتشف عصر الفضاء هذا من حياة فى الكواكب **فهو إنما يحقق معجزة علمية للقرآن** تتجدد بها الحجة وتزداد الأدلة بها دليلا على أن القرآن من عند الله ، **فلا يحتاج العلم إلى الإيمان بالقرآن بعد توفيق الله إلا إلى نفر من المسلمين** يحسنون عرض معنى مثل هذه الآيات القرآنية على العلماء والمثقفين فى أقطار المسلمين وغير المسلمين .

« **للبحث بقية** »

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة الشورى

(٢) الآية رقم ١٢ من سورة الطلاق

(١) الآية ٤٩ من سورة النحل

قبس من أنوار النبوة

وسطية الإسلام

فضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم

قال رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله بن عمرو ، إن لكل عامل شِرَّةً ، ولكل شِرَّة فَتْرَةٌ ، فمن كانت فترته إلى سُنَّةٍ أفلح ، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر » .

« رواه الطبرانى والبيهقى وغيرهما »

الشِّـرَّةُ فى الحديث : النشاط والرغبة والقوة .

الفترة فى الحديث : من الفتور وهو السكون بعد الحدة ، واللين بعد الشدة والضعف بعد القوة .

أفلح : الفلاح هو الفوز والنجاة .

سنة : السنة عند إطلاقها يراد بها ما أمر الله به النبى ﷺ ، وما نهى عنه ، وما ندب إليه من قول أو فعل مما لم ينطق به القرآن الكريم .

بِدْعة : البدعة : هى إيراد قول أو عمل ، فإن كان موافقا لعموم ما أمر الله به وحض عليه رسول الله فهو بدعة حسنة وبدعة هُدًى ، وإن كان فى خلاف ما أمر الله ورسوله فهو بدعة سيئة وبدعة ضلال .

جاء هذا الحديث بروايات عدة .. كما فى جامع الأحاديث للسيوطى .

١ ـ رواه البزار : عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال النبى ـ ﷺ ـ : إن لكل عمل شِرَّةً ، والشرة إلى الفترة ، فمن كانت فترته

إلى سنن فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل به .

٢ ـ ورواه ابن حبان عن ابن عمر رضى الله عنهما :
« قال النبى ﷺ : إن لكل عمل شِرَّةً ، وإن لكل شرة فترة ، فمن كانت شِرَّتُه إلى سنتى فقد أفلح ، ومن كانت شرتُهُ الى غير ذلك فقد هلك » .

٣ ـ ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه :
« قال النبى ـ ﷺ ـ إن لهذا القرآن شِرَّةً ، ثم للناس عنه فترة ، فمن كانت فترته للقسط والسنة فنعما هو ، ومن كانت فترته إلى الإعراض فأولئك هم بور » هلكى .

سئل عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فقيل له : إن العرب تقول :

حب التناهى شطط .. خير الأمور الوسط .

هل هذا موجود فى القرآن ـ كما جاء فى « الاتقـــان » عن الماوردى عن الحسين بن الفضل ـ قال ابن عباس : نعم .. فى أربعة مواضع :

فى قوله تعالى فى وصف بقرة قوم موسى :
﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ .

لقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل ، كثير العلم ، كثير العبادة ، كثير التلاوة للقرآن ، مجتهدًا فى عمل الطاعات « يصفه أبو نعيم ـ فى كتابه الحلية ـ بأنه القوى الخاشع ، والقارىء المتواضع . صاحب الصيام والقيام .. كان بالحقائق قائلا ، وعن الأباطيل مائلا ، يعانق العمل ، ويفارق الجدل يطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ويطيِّب الكلام .. »

وكان لشدة إفراطه فى التمسك بألوان العبادة يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النساء .

وكان يقول : لأصومن النهار ، ولأقومن الليل ما عشتُ ، فيقول له النبى ﷺ : حسبك أن تصوم من كل جمعة ثلاثة أيام فلما أراد التغليظ على نفسه قال له الرسول ﷺ : « إن لعينك عليك حقا ، وإن لضيفك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا » .

وحينما أراد أن يقرأ القرآن كله فى ليلة واحدة قال له النبى ﷺ : « إنى أخشى أن يطول عليك الزمان ، وأن تمل قراءته ، اقرأه فى شهر » فقال : يارسول الله دعنى أستمتع من قوتى ومن شبابى ، فقال له النبى ﷺ : اقرأه فى عشرين ، فقال : يارسول الله ، دعنى استمتع من قوتى ومن شبابى فقال النبى : اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك » رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

وروى البخارى بسنده عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ، قال : أنكحنى أبى امرأة ذات حسب ، فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول : نعم الرجل من رجل ، لم يطأ لنا فراشا ،

ولم يكشف لنا كنفا ــ سترا ــ منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكره للنبى ﷺ . فقال ألقنى به ، فلقيته بعد ، فقال : « كيف تصوم » ؟ قال : كل يوم . قال : كيف تختم ؟ قال : كل ليلة . قال : « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن فى كل شهر » قال قلت : إنى أطيق أكثر من ذلك قال : « صم ثلاثة أيام فى الجمعة » قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : أفطر يومين وصم يوما . قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : « صم أفضل الصوم صوم داود . صيام يوم وإفطار يوم . واقرأ القرآن فى كل سبع ليال مرة ، فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ . وذلك أنه لما تقدمت به السن عجز عن المتابعة فقال : فأدركنى الكبر والضعف حتى وددت أنى غرمت مالى وأهلى وأنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ .

لقد وجه النبى الكريم أمته فى شخص عبد الله بن عمرو ــ رضى الله عنه ــ عندما أعرض عن زوجته وأقبل على العبادة : فقال له : أتصوم النهار ، وتقوم الليل ؟

قال : « نعم ، فقال الرسول ﷺ : لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأمس النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

إن النبى ﷺ ينصح للأمة بأن يترفقوا بأنفسهم فى التزام التكاليف بهدف الوصول إلى الغاية العليا ، فليس ذلك فى مقدور وطوق أكثر النــاس . ولهذا نجده ﷺ يقــول ــ كما فى الصحيحين : أحب الأعمال إلى الله أَدْوَمُها وإن قلّ » وذلك أن المجهد نفسه ــ غالبا ــ ما يقع فى التقصير والملل .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق . فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

إن التوسط والاعتدال مع الدوام والاستمرار ، أفضل بكثير من النشاط الذى يعقبه الإهمال الفتور .

قال ابن القيم ــ فى كتابه مدارج السالكين ــ مبينا خطر الإسراف ، ومرشدا إلى الاقتصاد والاعتدال .

« إن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره فإن رأى فيه داعية للبدعة ، وإعراضا عن كمال الانقياد إلى السنة ، أخرجه عن الاعتصام بها ، وإن رأى فيه حرصا على السنة ، وشدة طلب لها ، لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها ، فيأمره بالاجتهاد والجور على النفس ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلا :

إن هذا خير وطاعة ، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل فلا تفتر مع أهل الفتور ، ولا تنم مع أهل النوم ، فلا يزال يحثه ويحرضه حتى يخرجه عن الاقتصاد فيها فيخرج عن حدها ، كما أن الأول خارج عن هذا الحد ، فكذا هذا الآخر خارج عن الحد الآخر » .

فكلا الأمرين خروج عن السنة إلى البدعة ، لكن هذا إلى بدعة التفريط والإضاعة والآخر إلى بدعة المجاوزة والإسراف فكل الخير فى اجتهاد باقتصاد ، وإخلاص مقرون بالاتباع .

اللهم إنا نسألك صدق الإيمان واستقامة الأعمال . واجعلنا ممن يهتدون بهدى نبى الإسلام ، وأحسن لنا العاقبة والختام .

من أخبار كعب الأحبار فى كتاب
(خير البشر بخير البشر)
لابن ظفر الحموى

للأستاذ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

ابن ظفر الحموى هو الإمام حجة الدين أبو عبدالله محمد بن أبى محمد بن ظفر الصقلى الحموى .

ولد فى « صقلية » سنة ٥٠٠ هـ ، ونشأ فى « مكة المكرمة » ومنها ارتحل إلى « مصر » و « أفريقية » ثم استقر به المقام فى « حماه » ، وبها وافته منيته سنة ٥٦٥ هـ ، واليها نسب .

وقد بلغ فى حياته منزلة علمية عظيمة ، وصادف قبولا كثيرا من أهل العلم ، وترك ثروة علمية واسعة مباركة .. منها : « التفسير الكبير للقرآن الكريم » ، و « ينبوع الحياة » ـ تفسيرا يضار ـ ومنها : كتاب « خَيْرُ البِشَرِ بخيرِ البشر » ويتناول البشريات التى تقدمت بين يدى النبى ـ ﷺ ـ وأخبرت بمقدمه ، وبشرت بمولده وبعثه .

وهو كتاب كان مخطوطا وأعاننا الله ـ تعالى ـ على تحقيقه وطبعه بمؤسسة الأهـــرام سنـــة ١٤١٠ هـ .

ونقدم منه للقراء فى هذه المناسبة الجليلة ، مناسبة مولده ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعض ما جاء على لسان كعب الأحبار عنه .

وكعب الأحبار هو ابن مانع ، وكنيته أبو إسحاق ، وأصله من « حِمْيَر » من « آل ذى رُعَيْن » ، كان على دين اليهود ، ثم أسلم وقدم المدينة أيام عمر ـ رضى الله عنه ـ ثم خرج إلى الشام ، وسكن حمص حتى توفى بها سنة ٣٢ هـ فى خلافة عثمان ـ رضى الله عنه ـ وذكر قصة إسلامه ابن سعد فى طبقاته الكبرى جـ ٧ ص ١٥٦ .

ما رواه عبدالله بن عمر عنه :

روى عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى كعب الأحبار من بلاده باليمن ، فقال له : إن فلانا ـ الحبر اليهودى ـ أرسلنى إليك برسالة .

قال كعب : هاتها .

قال الرجل : إنه يقول لك : ألم تكن فينا سيداً شريفا مطاعاً ، فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة أحمد ؟

فقال له كعب : أتراك راجعاً؟

قال : نعم .

قال : فإن رجعت إليه ، فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك : وقل له : يقول لك كعب : أسألك بالذى ألقى الألواح إلى « موسى بن عمران » فيها علم كل شيء ، ألست تجد فى كتاب الله أن أمة أحمد ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله ، وثلث يحاسبون حسابا عسيرا ثم يدخلون الجنة ؟ فإنه سيقول لك : نعم ، فقل له : يقول لك كعب : اجعلنى فى أى الأثلاث شئت . – خير البشر ص ٥٦ – .

وإننا لنجد هذا الخبر ملتقيا مع قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ . فاطر – ٣٢ – ٣٥ .

وقد علق الإمام القرطبى على هذه الآيات – فى تفسيره – بقوله : وكان الله تعالى – لما أعطى أمة محمد – ﷺ – القرآن وهو قد تضمن معانى الكتب المنزلة ، فكأنه ورَّث أمة محمد – ﷺ – الكتاب الذى كان فى الأمم قبلنا – ثم قص هذه القصة :

قال أبو ثابت : دخل رجل المسجد فقال : اللهم ارحم غربتى ، وآنس وحدتى ، ويسر لى جليسا صالحا ، فقال أبو الدرداء : لئن كنت صادقا فَلَأنا أسعد بذلك منك ، سمعت النبى – ﷺ – يقول : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » قال : فيجيء هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ويوبخ ويقرع ، ثم يدخل الجنة ، فهم الذين قالوا : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » – تفسير القرطبى جـ٨ صـ٥٤٣٣ ط دار الشعب .

ويصدق ذلك أيضا قولـــه – ﷺ – : « سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » وأخرجه ابن مردويه والبيهقى فى البعث ، وابن النجار عن أنس . وهو فى الجامع الصغير للسيوطى برقم (٤٦١١٤) ورمز له بالحسن ، وفى جمع الجوامع برقم (١٤٥٤٢) .

مقالة كعب لعمر :

قال ابن ظفر : ومنه ماروى أن عمر – رضى الله عنه – قال لكعب : يا كعب ، أدركت النبى – ﷺ – وقد علمت أن موسى بن عمران تمنى أن يكون فى أيامه ، فلم تسلم على يده ، ثم أدركت أبا بكر – وهو خير منى – فلم تسلم على يده ، ثم أسلمت على أيامى فلم ؟

قال : لا تعجل على يا أمير المؤمنين ، فإنى كنت أتثبت حتى أنظر كيف الأمر ، فوجدته كالذى فى التوراة .

قال عمر : وكيف هو فى التوراة ؟

قال : رأيت فى التوراة أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يظهر من جبال فاران من منابت القرظ من الوادى المقدس ، فيظهر التوحيد والحق ، ثم ينتقل إلى « طيبة » ، فتكون حروبه وأيامه بها ، ثم يقبض فيها ويدفن بها .

وفاران هى مكة ، ومنابت القرظ : شجر السَّلَم .

قال عمر : فم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى بعده الشيخ الصالح .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يموت متبعا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى من بعده القرن الحديد — ويروى صدع من حديد — والصدع : الفتى من الرجال ، وهو ما يفيد معنى القرن .

فقال عمر : وادفراه[1] . ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يقتل شهيدا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى صاحب الحياء والكرم .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال : ثم يقتل مظلوما .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يلى صاحب الحجة البيضاء ، والعدل والسواء ، صاحب الشرف التام والعلم الجم .

قال عمر : هو أبوحسن ، ثم ماذا ؟

قال كعب : ثم يموت شهيدا سعيدا .

قال عمر : ثم ماذا ؟

قال : ثم ينتقل الأمر إلى الشام .

قال عمر : حسبك يا كعب ..

— خير البشر ص٥٧ — .

وشرح ابن طفر كلمة « الدفر » فقال : الدفر — بالدال المهملة — الفتن — والحديد دَفِر ، وإنما قال قال عمر : وادفراه ، تواضعا ، أعرض عن ذكر محاسن الحديد وشدة بأسه ، وذكر نَتْنَهُ ، وقول من قال : إنه أراد واذلاه ليس بصحيح ولا يأوى إلى حجة ولا شبهة ، وما هذا مما يقلد فيه تأويله بغير حجة .

وصف لأمة محمد :

وروى عطاء بن يسار وأبو صالح السمان عن كعب الأحبار أنه قال : أجد فى التوراة :

أحمد عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، أُمَّتُهُ الحمادون ، يحمدون الله على كل حال ، ويسبحونه فى كل منزل ، ويكبرونه فى كل شرف ، يأتزرون على أوساطهم ، ويغسلون أطرافهم ، وهم رعاة الشمس ، وداعيهم إلى الصلاة ينادى فى جو السماء ، وصفُّهم فى القتال وصفَّهم فى الصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أسد بالنهار ، لهم بالليل دوىٌّ كدوى النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم من الأرض ، مولده بمكة ، ومهاجره طابة ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا . — خير البشر ص ٨٢ — .

(١) وادفراه : واذلاه — قال ابن الاعرابى : الدفر : الذل ، وبه فسر قول عمر — رضى الله عنه — كأنه رأى نفسه غير جدير بولاية الأمر — لسان العرب مادة دفر — وسيأتى تعليق ابن ظفر على هذه الكلمة .

وقد أكد القرطبى فى تفسيره هذا الخبر عند تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ .. ﴾ ـ الاعراف ١٥٧ ـ .

وذكر ما رواه البخارى بسند متصل إلى عبدالله بن عمرو بن العاص ـ ثم قال : قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك ـ يعنى عما قاله عبدالله بن عمرو ـ فما اختلفا حرفا ، إلا أن كعبا قال بلغته : قلوبا غَلوفاً وآذانا صموماً وأعينا عموما . قال الطبرى : هى لغة حميرية . ـ تفسير القرطبـــى جـ ٤ ص٢٧٣٥ ط دار الشعب ـ .

ومعنى قوله رعاة الشمس : أى يعرفون أوقات الصلاة بحركة الظل .

مناظرة فى مجلس معاوية :

وأقام كعب الأحبار فى الشام بعد وفاة عمر ، وكان معاوية أميرا عليها ، وكان يقربه ، فقال له يوما : دلنى على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه ، فذكر له رجلا من اليهود باليمن ، فأشخص إليه . فجمع معاوية بينهما .

فقال له كعب : أسألك بالذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل بأن موسى نظر فى التوراة ، فقال : يارب إنى أجد أمة مرحومة هى خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالكتاب الأول ، ويؤمنون بالكتاب الآخر ، يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم يارب أمتى ، قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم أجد ذلك .

ثم قال كعب للحبر : انشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : يارب أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبَّر الله ، وإذا هبط وادياً حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، يتطهرون من الجنابة كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، حيث كانوا فلهم مسجد ، غرٌّ محجلون من الوضوء ، فاجعلهم أمتى .. قال : هم أمة أحمد ؟

فقال الحبر : نعم أجد ذلك .

ثم قال كعب : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : إنى أجد أمة إذا همَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا عملها أضعفت بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فإذا هَّم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة مثلها ، فأجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد ؟

فقال الحبر : نعم أجد ذلك .

قال كعب : أنشدك الله الذى فرق البحر لموسى ، أتجد فى كتاب الله المنزل ، أن موسى نظر فى التوراة ، فقال : رب إنى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم فى بطونهم ويؤجرون عليها ، فأجعلهم أمتى . قال : هم أمة أحمد ؟

قال الحبر : نعم ، أجد ذلك . ـ خير البشر بخير البشر ص٦٣ ـ .

وقد اتفقت بعض أجزاء هذا الخبر مع الحديث الصحيح الذى أخرجه أحمد فى مسنده عن أبى

ذر ، والطبرانى فى الكبير عن النبى - ﷺ - : « أعطيت خمسا لم يُعطهن أحد قبلى ، ولا أقوله فخراً ، بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب ، فَرَعَبَ العدو منى مسيرة شهر ، وقيل : سل تعط ، فاختبأت دعوتى لأمتى » - « الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور » للمناوى جـ ١ صـ ٦١ - .

وعلق ابن ظفر على كلام كعب الأحبار فقال :

قوله : يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم ، يعنى يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل ، وجاء فى حديث غير هذا مما هو منسوب إلى كتب الله السالفة : يأكلون قرابينهم .. المراد بهذا اللفظ الضحايا ، وما يؤكل من الهدايا .

فهذا وشبهه من صريح ذكر النبى - ﷺ - وهو الذى كتمه أهل الكتابين ، وأما الذى أيدوه وأثبتوه وترجموه فهو المحرف .. - خير البشر صـ ٦٥ - .

بشـرى كونيـة :

ومن البشريات الكونية التى تبعث على التفاؤل فى مستقبل الأيام ما ذكره ابن ظفر فى كتابه مرويا عن وهب بن منبه(٢) قال : قرأت فى بعض الكتب القديمة : قال موسى : سبحانك وتقدست أسماؤك ، لقد كرمت هذا النبى وشرفته .

قال الله - عز وجل - : « يا موسى ، إنى أنتقم من عدوه فى الدنيا والآخرة ، وأظهر دعوته على كل دعوة ، وسلطانه على كل سلطان ، وأنصره ومن اتبعه على البر والبحر ، وأخرج لهم من كنوز الأرض ، وأذل من خالفه .

« يا موسى بالعدل زينته ، وللقسط أخرجته ، وعزتى لأستنقذن به أمما من النار ، فتحت الدنيا بإبراهيم - عليه السلام - وختمتها بمحمد - ﷺ - مثل كتابه الذى يجىء به - فاعقلوه يا بنى إسرائيل - مثل السقاء المملوء لبنا ، يُمْخَض فيخرج زبدا ، بكتابه أختم الكتب ، وبشريعته أختم الشرائع ، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل شريعته فهو من الله برىء ، أجعل أمته يبنون فى مشارق الأرض ومغاربها مساجد إذا ذكر إسمى فيها ذكر ذلك النبى معى ، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول » .

- خير البشر صـ ٦٧ - .

مثل هذا الخبر الذى يتطابق مع قوله تعالى - ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ - **الفتح ٢٨** - .

يجب أن يثير فى نفوس المسلمين دوافع الغيرة على دينهم والنصرة لنبيهم ، ويبعث فيهم الحمية ليعودوا إلى حمى الشرع الحكيم ومبادئه القويمة ومثله العليا ، وبذلك يتحقق وعد الله لهم بالنصر ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ - **الحج ٤٠** - .

---

(٢) وهب بن منبه ، وكعب الأحبار كلاهما مُوَثَّق لدى رجال الحديث .. انظر تقريب التهذيب ١٣٥/٢ ، ٣٣٩ بتحقيق د . عبدالوهاب عبداللطيف طبع دار الكتاب العربى بمصر .

الاجتهاد فى الإسلام من خلال قواعده الأصولية العلمية ومقاصد الشريعة الإسلامية

بقلم د. محمد معروف الدواليبى

«مكان الاجتهاد فى الإسلام وفى الشرائع الوضعية» :

١ ـ الاجتهاد هو المصدر الرابع من مصادر الشريعة الإسلامية بعد «الكتاب» و «السنة» و «الإجماع» كما هو معروف . ويعبر عنه أيضاً باسم «القياس» أو «العقل» أو «الرأى» باعتبار أن كلا من هذه الثلاثة ما هو إلا أداة من أدوات الاجتهاد .

٢ ـ وإذا كان كولد زيهر (Goldziher) المستشرق الألمانى الكبير قد أعجب كل الإعجاب من كون «الاجماع» الاجتهادى أصلًا من أصول الشريعة الإسلامية ومصادرها . وعبر عنه فقال : «إنه ينبوع القوة التى تجعل الإسلام يتحرك ويتقدم بكل حرية»(١). فإنه يجد بلاشك فى المصدر الرابع وهو الاجتهاد : أنه «العقل الساهر على نمو الشريعة وازدهارها ، والذى يطرد العقم من قواعدها وتهمة الجمود فى طبيعتها» ـ وذلك لما كان الاجتهاد على اختلاف مذاهبه فى الشريعة الإسلامية :

ـ من رصيد علمى جبار لا مثيل له فى تاريخ فكرة الحق ومحتويات مكتباته العلمية العالمية .

ـ ومن آراء فقهية مصلحية سامية لا عهد للأمم الحية بمثلها فى تاريخ الإنسانية .

ـ ومن مذاهب تتحكم فيها أولًا وآخراً قواعد العلم والمصلحة الزمنية الشرعية ضمن مبادىء الحق والعدل والإنصاف ، من غير تمييز فيها ما بين إنسان وإنسان ، مهما اختلفت الأجناس والأعراق والأديان .

وذلك كله مما قد تفرد به «الاجتهاد الإسلامى» وجعل الشريعة الإسلامية تستجيب دوماً ، وفى كل الأحوال للحاجات الإنسانية المتطورة مع الأزمان .

٣ ـ هذا ولا تستبين أهمية «الاجتهاد» فى الإسلام ، واعتباره مصدراً أساسياً من مصادر الشريعة الإسلامية ، وتفوقها به على غيرها من الشرائع وخاصة الشرائع الوضعية القديمة والحديثة المتطورة ـ إلا باستعراض وجيز جداً لموقف هذه الشرائع من «الاجتهاد» .

٤ ـ أما «الاجتهاد» عند الرومان فلم يكن معروفاً فى العهد الملكى بل كانت الشريعة سراً من أسرار الكهنة ورجال الدين ، ولم يصبح مصدراً من مصادر الحقوق إلا فى حقبة صغيرة من الزمن ، وذلك فى عهد الجمهورية الذى نشأ بعد انهيار النظام الملكى ، ولكن عهد الإمبراطورية لم يلبث أن حل محل العهد الجمهورى ، وأخذ القياصرة فيه بتضييق نطاق الاجتهاد شيئاً فشيئاً إلى أن حصروه بأنفسهم ، وقضوا بذلك عليه نهائياً ، ولم يبق منه وخاصة منذ تقنين جوستنيان إلا ما كان من باب «الشرح للنص القانونى والحمل

(*) البحث خلاصة عن رسالة الكاتب فى الدكتوراه والكاتب . رئيس وزراء سوريا الأسبق .

عليه» مما قد أصبح أساساً جرت عليه «الطريقة التقليدية» فى الحقوق الحديثة فى القرن التاسع عشر .

٥ ـ غير أن علماء الحقوق الحديثة قد أخذوا فى مطلع القرن العشرين يشعرون بفساد «الطريقة التقليدية» التى درج عليها علماء القانون حتى أواخر العصر التاسع عشر ، والتى كانوا يعتبرون بموجبها «الحقوق المكتوبة» أى القوانين ، هى وحدها المصدر الأول للكشف عن كل حكم حقوقى ضرورى لحاجات الحياة الاجتماعية . وهكذا فقد قال أصحاب «الطريق التقليدية» حول مدوّنة نابليون وما تبعها من القوانين : «أن التشريع الرسمى يكفينا وحده للكشف عن جميع الأحكام الحقوقية الضرورية لحاجات الحياة الاجتماعية»[٢]. وكان من أبطال هذه الطريقة التقليدية عميد كلية الحقوق فى باريس الأستاذ بلوندو (Blondo) حيث صرح فى مذكراته إلى مجمع العلوم الأخلاقية والسياسية سنة ١٨٤١م بأن المصدر الوحيد فى الوقت الحاضر للأحكام الحقوقية إنما هو القانون[٣] .

٦ ـ ولذلك فهنالك اليوم إجماع على أن «القوانين» أو ما يسمونه باسم «الحقوق المكتوبة» هى وحدها المصدر الأول والآخر للكشف عن كل حكم حقوق ضرورى لحاجات الأمة الاجتماعية . وبناء على هذا ، فقد أقصى من مصادر الحكم ما سموه باسم «المصادر غير الصحيحة» وقد عدّوا فى مقدمتها «الاجتهاد» وحس العدالة وفكرة المصلحة العامة[٤].

ونرى من كل ما تقدم إنه ليس فى هذه الشرائع قديمها وحديثها ، من اجتهاد غير نوع منه ، وهو «تفسير القانون» أو ما يعبر عنه بكلمة : انتر بريتاسيون Interpretarion ، وحرم على المفسرين كل اجتهاد يتجاوز حدود «التفسير للقانون» . وهذا ما جعل من هذه الشرائع شرائع زمنية غير قابلة للاستمرار ، وعرضة للتغيير والتبديل فى أصولها على الدوام .

٧ ـ أما الشريعة الإسلامية فإن «**الاجتهاد**» فيها :

ـ **قد اعتبر أولًا** : من جملة مصادر الشريعة «الصحيحة» إلى جانب نصوص القرآن الكريم والأحكام النبوية ، وذلك كلما سكتت نصوص هذين المصدرين أو غمضت[١] .

ـ **كما إنه ثانياً** لم يقتصر «الاجتهاد» على «تفسير النصوص» فقط فى حالة غموضها ، بل عمل عمله الصحيح أيضاً فى حالة «سكوتها» .

ـ **وثالثاً** فقد أبدع المجتهدون فى «الاجتهاد» وميزوا فى الجملة ما بين ثلاثة أنواع منه ، ووضعوا لكل نوع «**قواعده العلمية المنطقية**» ليميزوا بها ما بين «الآراء المقبولة» واجتهاداً ، و«الأهواء المرفوضة» علماء وقضاء ، كما سنشير إليه فيما بعد ، وهذا مما قد عجز عنه الفقه الوضعى الحديث رغماً عن محاولاته المتكررة لوضع قواعد للتفسير والاجتهاد مما قد عجزوا عنه حتى اليوم كما سنراه أيضا فيما بعد .

وفوق ذلك فقد رفعت الشريعة الإسلامية من «مكان الاجتهاد» فى القبول والاعتبار ، وحضت

---

(١) أى ـ أو لم يتضح المراد منها أمام الباحث .

عليه بكل قوة فقالت : «للمجتهد أجـران إذا أصاب وأجر إذا أخطأ ، وفى هذا منتهى التقديس لحرية الـــرأى والاجتهاد كمصدر صحيـــح للشريعـة ، فى الـوقت الـذى حرّمت الشرائع الوضعية القـديمة والحديثـة أن يكـون الاجتهاد مصدراً من مصادرها .

أنواع الاجتهاد وقواعده الإسلامية :

٨ ـ من المعلوم أن التشريع وليد الحاجة ، ومقيس عليها ، فما قام تشريع فى أمة ولا نشر فيها قانون ، إلا وقد قام فى البلاد قبلها حاجة تدعو إليهما فيأتى التشريع عندئذ ويصاغ القانون على قدر تلك الحاجة .

غير أن «الحاجة الداعية» نفسها قد يطرأ عليها بعض الطوارىء ما بين عشية وضحاها فتتنوع وقائعها ، وتختلف فيها الملاحظات ما بين واقعة وأخرى بصورة يصبح معها النص القانـونى ـ المصوغ من قبل على قدر الحاجة منهما بالنسبة لما وقع فيما بعد من أنواع فى تلك الحاجة ، أو «غير واف» ولا كاف بالنسبة لما جدّ من «ملاحظات» فى تلك الوقائع الجديدة .

٩ ـ وأن الأمم فى القـــــــديم والحديث ما استطاعت ، ولن تستطيع النجاة فى شرائعها وقوانـينها من هاتين الحالـــتين : «الإبهام» فى النصوص ، أو «عدم الكفاية فيها» بالنسبة لما سيجدّ من وقائع . ولقـد جاء فى الموسوعـة الفرنسية الكبرى للعلـوم والآداب والفنـون(٥) : «إن القوانين التى تضع الأحكام العامة لا تستطيع فى الحقيقة أن تتصور جميع الفرضيات الخاصة قبل وقوعها ، وأن القوانين قد تكون :

ـ أحياناً ساكتة تجاه هذه الفرضيات .

ـ وأحياناً لا تتناولها إلا بصورة غير كافية .

ـ وأحياناً قد يكون النص غامضاً أو مبهماً .

ويجب فى جميع هذه الأحوال أن يجبر النقص بالبيان والتفسير ..

١٠ ـ ثم تتابع الموسوعة الفرنسية وتقول : «إن قواعد البيان والتفسير ترتبط بالفلسفة أكثر منها بالحقـوق الخاصة .. وعندمـا أريـد وضع القانون المدنى الفرنسى كان من المنتظر فى بادىء الأمر أن تجمع هذه القواعد فى فصل فى مطلع القانون . غير أن هذا الـفصل قد حذف من القانون لدى وضع صيغته النهائية» .

ثم تابعت الموسوعة الفرنسية فقالت : «وهذا ما جعل القاضى يفسر القانون حين الاقتضاء تبعا لمواهبه المسلكية تحت مراقبة محكمة التمييز» .. ثم لم تلبث الموسوعة أن أعلنت مخاوفها من هذا التفسير الذى يقوم به القضاة ـ بما فيهم قضاة محكمة التمييز ـ دون أن يعتمدوا فيه على قاعدة ، أو أن يقيسوه بمعيار ، فقالت : «ومن هنا يفهم كم هى خطرة هذه السلطة من التفسير ، ولذلك كان الفقهاء الرومان يقولون : «إن أحسن القوانين هو القانون الذى يترك أقل ما يمكن من الحرية لأهواء القضاة» .

١١ ـ فماذا كان وضع النصوص الأصليـة أولًا فى الشريعة الإسلامية من كتاب وسنة ، تجاه هذه الحاجات الإنسانية المتجددة وغير المتناهية ؟

ثم ماذا كان وضع رجال الفقه فى الإسلام أمام هذه الضرورة الملحة على وجـــوب الأخـــذ

بالاجتهاد ، وأمام تلك الأخطار المحدقة بالقضاة والمجتهدين ؟

هنا تتجلى :

أولا : معجزة «النصوص القرآنية التشريعية» وتوجيهاتها الأساسية فى ذلك .

ثانياً : إبداع «السنة النبوية» فى البيان ، شرحاً ، وايضاحاً ، وتطبيقاً .

ثالثاً : إيجاب النصوص القرآنية علينا اتخاذ «المسلك النبوى» فى ذلك البيان «أسوة حسنة» فيما يجدّ من وقائع ليس فيها نصوص من كتاب ولا سنة ، وذلك بالاجتهاد المأذون به ، والمأجور عليه ، بعيداً عن الجهل بالشريعة أو الأهواء المعطلة لها .

رابعاً : عبقرية رجال الفكر الإسلامى والفقه فيه بوضع «القواعد العلمية» التى اتخذت معايير مسبقة توزن بها آراء المجتهدين ، وتدفع أخطار المتطفلين ، وتحد من أهواء القضاة ، مما قد عجزت عن الوصول إليه عباقرة رجال الشرائع القديمة والحديثة اليوم كما أشرنا إليها .

١٢ ــ أما «المعجزة القرآنية» فى النصوص التشريعية الإسلامية وفى توجيهاتها فقد كانت فى كفاية هذه النصوص الخالدة ، وفى ايجازها ، وشمولها على قلتها ، حتى قال فيها الغزالى وغيره إنها لم تتجاوز خمسمائة آية من أصل آيات القرآن البالغة (٦٣٤٢) بل ردّها بعضهم إلى مائة وخمسين آية[٦] . ولذلك كان أكثر ما ورد فى القرآن من أحكام إنما هو أحكام كلية ، وقواعد عامة كما جاهر بذلك الإمام الشاطبى فى «الموافقات»[٧] ، وذلك كله مما لا يقبل التبديل ولا التغيير علماً وعقلًا ، ولا يجوز المساس به عملًا بقواعد الحق والعدل ، ومما تجب مراعاته فى القضاء ، ويجب الاعتماد عليه فى الاجتهاد ، ومما يمكن إجماله أيضاً وردّه إلى آيتين فقط من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١ سورة النحل: ٩٠ ــ ٩١) .

١٣ ــ وأن هذا «الطابع الكلى العام لآيات الأحكام هو الذى جعل القرآن فى كثير من آياته محتاجاً إلى بيان النبى عليه الصلاة والسلام ورأيه ، وقد قال الله تعالى فى ذلك لنبيه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (النحل : ٤٤) . وقال أيضاً : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ (النساء : ١٠٤) . ولهذا جاءت السنة النبوية إلى جانب القرآن وفيها بسط لمختصره ، وتفصيل لمجمله وبيان لمشكله[٨] .

١٤ ــ هذا وأن ذلك البيان والرأى النبويين إنما كان للمسلمين مدرسة لهم فيها يتعلمون ، وبهداها «يتفكرون» كيف يصنعون ، وذلك فى كل ما يجدّ لهم من وقائع ليس فيها كتاب ولا سنة ، كما أشار إلى ذلك النص القرآنى الأول حين قال : ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ ثم تابع قائلًا : ﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ أى يعلمون بالاجتهاد بياناً لشريعة الله حينما لا يكون هناك نص فيما يريدون . وأن الأذن بالاجتهاد ، بل الأمر به

حينذاك ، مجمع عليه لدى كافـــة المذاهب الإسلامية ، ومشجّع عليه ، ومأجور به ، لا محرّم عليهم كما جاهرت به الشرائع الوضعية .

١٥ ــ وهنا لم يلبث رجال الفكر الإسلامى من علماء الشريعة أن لبّوا نداء القرآن وعرفوا بإذن من القرآن نفسه كيف يفكرون ويجتهدون ، فى كل جديد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة به يحكمون .. هذا وقد أدركوا بسرعة ، مثل غيرهم اليوم من رجال القانون ، خطر كل تفسير واجتهاد إن لم يكن هنالك « قواعد علمية يخضعون إليها ، وموازين يعتمدون عليها ، دعماً للحق ، وحداً للأهواء » .. ولكنهم وبفضل الطابع الكلى العام لآيات الأحكام فى القرآن ، وما انتزعوا منها من روح للشريعة بها يهتدون ، وقالوا فيها : أينما كانت المصلحة فثم شرع الله ، وإن لم ينزل بها الوحى ولا قال بها الرسول .. وكذلك بفضل البيان والسلوك النبوى فيه وما انتزعوا منه من قبس به يستنيرون ، لم تلبث عبقرية رجال الفقه الإسلامى أن برزت حيث غاضت عبقريـــة الآخرين من رجال القانون ، وإن أقاموا عندئذ قواعدهم فى الاجتهاد ، ومحصوها تمحيصاً ، وبنوها على أصول أجمعوا عليها تقريباً إجماعاً ، حتى أصبحت منار لهم إذا نظروا ، ومعيارهم إذا وزنوا ، وجمعوا كل ذلك فى علم ابتكروه ابتكاراً من غير سابق له ، وسموه بحق : « علم أصول الفقه » وإن شئت فقل : « علم أصول الحقوق ».

١٦ ــ وكانت العبقرية لديهم أنهم ، فى مجمل القضايا التى تعرض عليهم مما ليس فيه نص من كتاب أو سنة ، قد استطاعوا بسرعة أن يردوا أبحاثهم فيه إلى قسمين أساسيين هما :

أولًا : قسم يتعلق « بتحديد معنى النص المتعلق فيه البحث » من النصوص القرآنية ، أو النبوية ، وذلك من أجل معرفة ما إذا كان هذا النص فى استطاعته أن يتناول فى حكمه تلك القضية الحديثة المعروضة . وهذا هو الفرع الأول من الاجتهاد الذى نسميه « بالبيان والتفسير » أو « الاجتهاد البيانى » .

ثانياً : قسم آخر يتعلق « باستنباط العلل المناسبة » ، وبتحديد روح الشريعة مما يستنبط من روح الأحكام المنصوص عليها ، ويقدمون لنا فى ذلك مبدءاً من مبادىء العدل ، وأصلًا من أصول التشريع يساعدنا على حل القضايا الجديدة المعروضة والتى ليس فيها نص خاص . وإن هذا القسم الثانى من الاجتهاد إما أن يكون :

(أ) عن طريق «الحمل على النصوص» القرآنية والنبوية بطريقة «القياس» ويمكن أن نطلق عليه اسم : «الاجتهاد القياسى» .

(ب) أو عن طريق « الرأى الاستصلاحى » وفقاً لمبدأ المصلحة الشرعية المطلقة ، ويمكن أن نطلق عليه عندئـــذ اسم «الاجتهاد الاستصلاحى» .

وتبعا لهذه الأنواع الثلاثة بتفصيلها ، فقد أبدع العلماء فى وضع القواعد العلمية لكل نوع منها ، مما سنشير إليها فيما يلى بكل إيجازه .

١٧ ــ أما النوع الأول من القواعد فهو ذلك القسم المتعلق « بقواعد البيان للنصوص »، وهو قاصر على مباحث الألفاظ البالغة ستة عشر

مبحثاً ، وفى مقدمتها مبحثاً «الخاص والعام» من النص ، بالإضافة إلى أربعة مباحث تتعلق «بمعانى الألفاظ» ومنها : «المعنى الموقوف عليه بالعبارة ، والمعنى الموقوف عليه بالإشارة» مما قد أبدع العلماء فى قواعدها على اختلاف مذاهبهم كقول بعضهم : النص الخاص حجة قطعية ، والنص العام حجة ظنية .

١٨ ــ وأما النوع الثانى من القواعد فهو ذلك القسم الخاص «بقواعد الحمل» على النصوص عن طريق «القياس» ، أو ما نسميه باسم .. «الاجتهاد القياسى» وذلك كقولهم بالاجماع : «إن القياس على النص والحمل عليه هو الحاق أمر بآخر فى الحكم الشرعى لاتحاد بينهما فى العلة» ، وقولهم : «إن القياس الذى يعتمد على علة منصوص عليها فى النصوص الشرعية حجة عند الجميع» ، وقولهم : «إن القياس الذى يعتمد على علة غير منصوص عليها هو حجة فقط عند مثبتى القياس . وأما نفاة القياس فقد ذهبوا إلى أنه ليس بحجة .. إلى آخر ما هنالك من القواعد الكثيرة ، والبحوث الفلسفية التى تعتبر من أعظم مباحث المعرفة القانونية التى انفرد بها فقه الشريعة القانونية فى الإسلام .

١٩ ــ وأما النوع الثالث من القواعد فهو ذلك القسم الخاص «بقواعد الاستصلاح» ، أو ما نسميه باسم «الاجتهاد الاستصلاحى» ، وذلك فيما يتعلق «بالعمل بالرأى» فى «المصالح المرسلة» ، أى الرأى المبنى على «فكرة المصلحة» لحماية المصالح الجديدة التى لم يرد فى الشريعة نص خاص يشهد لنوعها بالاعتبار . وأن هذا النوع من الاجتهاد ، وما قد أبدع فيه العلماء من وضع قواعد له إزالة لفكرة الغموض فى المصلحة ، وتحديداً لما هو معتبر منها ، قد كان من أعظم أنواع الاجتهاد أثراً فى حيوية الشريعة الإسلامية .

٢٠ ــ ومن هذه القواعد ما قد أخذ به الغزالى الشافعى خلافاً لإمامه فى الأخذ بالمصالح المرسلة حيث قال : «أما المصلحة فهى فى الأصل عبارة عن جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، ولسنا نعنى ذلك .. لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ثم قال : «ومقصود الشرع من الخلق خمسة ، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ، ونفسهم ، وعقلهم ، ونسلهم ، ومالهم . وإن كل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وإن كل ما يفوت هذه الأصول هو مفسدة ، وأن دفعها عندئذ مصلحة ...» .

٢١ ــ هذا ، وكان المالكية والحنابلة من أكثر المذاهب الإسلامية انطلاقاً فى المصالح المرسلة ، ولم يقيدوا أنفسهم بشىء مما قيد به نفسه البعض الآخر مثل الشافعى ، الذى قيد نفسه هنا بالقياس ، وكذلك لم يقيدوا أنفسهم بشىء من الأوصاف التى قيد بها الغزالى نفسه حين اشترط فى المصلحة أن تكون «ضرورية» أى ليست مما يمكن الاستغناء عنها ، وأن تكون «قطعية» أى ليست ظنية غير مقطوع بها ، وأن تكون «كلية» أى مصلحة عامة لا جزئية خاصة .

٢٢ ــ هذا وقد أبدع العلامة شمس الدين أبو

عبدالله محمد بن قيم الجوزية فى تأييد هذا النوع من الاجتهاد كما جاء فى مطلع كتابه «الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية» حيث قال: «السياسة ما كان فعلًا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول، ولا نزل به الوحى».. وما أبدع أيضاً قول ابن قيم الجوزية فى المقام كما جاء فى مطلع الجزء الثالث من كتابه أعلام المؤقعين حيث قال: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، فى المعاش والمعاد، وهى عدل كلها: ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، وإن كل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل، ويبقى الجامع لكل ذلك قول ابن القيم أيضاً فى كتاب «زاد المعاد» تحت عنوان حكم الرسول فى بيع الرجل ما ليس عنده حيث قال: «الشرائع مبناها مصالح العباد، وعدم الحجر عليهم فيما لابد لهم منهم، ولا تتم مصالحهم فى معاشهم إلا به».

٢٣ ـ هذا وعلى ضوء «فكرة المصلحة» هذه، التى أحيطت بما أحيطت به من قواعد حيوية خالدة، جعل المجتهدون من الشريعة الإسلامية كما أرادها لهم الله: شريعة خالدة محتوية على عنصرى «الحيوية والأبدية» التى لا تغفل عن المصالح الجديدة التى تحيط بالإنسان، والتى لا تقصر عن مطالب الأزمان». وهذا أيضاً ما قد شهد به المنصفون فى «مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامى العالمى» الذى كنت اشتركت فيه، والذى عقد فى ضيافة جامعة باريس لعام ١٩٥١م، وبدعوة من «مؤسسة الحقوق الدولية المقارنة» فى لاهاى حيث جاء فى فقرة من قرار المؤتمر النهائى قوله: «إن مبادىء الشريعة الإسلامية لها قيمة لا شك فيها، وإن تعدد المذاهب فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات الحقوقية، وعلى أصول وأساليب هى مناط الإعجاب، وذلك مما يسمح لهذه الشريعة أن تلبى جميع الحاجات التى تقتضيها مطالب الحياة الحديثة».. وبهذه الفقرة الطيبة أنهى كلمتى هذه آملًا بأن يجد فيها القراء الكرام ما بها يفتخرون.

المصـــادر

(١) كولد زيهر Le Dogme et loidel, Islam النص الفرنسى، طبع باريس ١٩٢٠م. الصفحة ٤٦.

(٢) المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدواليبى، الطبعة الخامسة سنة ١٩٦٥م، بيروت مطابع دار العلم للملايين، الصفحة ٢٣٨.

(٣) نفس المرجع أعلاه، الصفحة ٣٥٠.

(٤) نفس المرجع أعلاه، الصفحة ٣٤٧.

(٥) انظر: La Grande Encyclopèdie die des Sciences, des Letters, et des Arts Art. Interorètaion T.XX,pp. 903- 904.

(٦) التراتيب الادارية، الشيخ عبد الحى الكتانى، الجزء الثانى الصفحة ١٧٩. طبع دار احياء التراث العربى ـ بيروت.

(٧) الشاطبى ـ الجزء الثالث الصفحات ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ـ المطبعة الرحمانية ـ طبعة أولى، مصر.

(٨) المصدر السابق: الشاطبى الجزء الرابع، الصفحة ١٢.

الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف

للواء ا.ح. محمد جمال الدين محفوظ

(١)

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

(التوبة ٢٥ ـ ٢٧)

أسباب الغزوة[١] :.

● فى غزوة « فتح مكة » فى رمضان سنة ثمان للهجرة استسلمت قريش الخصم الرئيسى للإسلام والمسلمين ، وارتفعت راية الإسلام فوق شبه الجزيرة العربية ، ولم يبق على الشرك إلا بعض القبائل كقبيلتى : « هوازن » و « ثقيف » اللتين كانتا تسكنان فى الجهات الواقعة فى الجنوب الشرقى من مكة .

● وقد رأت هذه القبائل فى دخول المسلمين « مكة » بعد الفتح خطرا يهددها فى ديارها وعقيدتها ، فقررت أن تقوم بغزو المسلمين قبل أن

(١) وتسمى أيضا « غزوة هوازن » ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ـ ﷺ ـ ، كما تسمى أيضا « غزوة أوطاس » باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة .. و « حنين » واد إلى جنب ذى المجاز قريب من « الطائف » بينه وبين « مكة » بضعة عشر ميلا .

يقوم المسلمون بغزوها ، وأخذت تحتشد فى منطقة « الطائف » التى تبعد عن مكة حوالى ١٢٠ كيلومترا بقيادة مالك بن عوف ، ولكن انتشار الإسلام فى تلك القبائل جعل الكثيرين من أفرادها وفخوذها يتخلفون عن هذا التحشد .

● قال أئمة المغازى : لما فتح رسول الله - ﷺ - « مكة » مشت أشراف « هوازن » و« ثقيف » بعضها إلى بعض ، وأشفقوا أن يغزوهم رسول الله - ﷺ - وقالوا : قد فرغ لنا فلا ناهية له دوننا ، والرأى أن نغزوه ، فحشدوا وبغوا وقالوا : والله إن محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فأجمعوا أمركم ، فسيروا فى الناس وسيروا إليه قبل أن يسير إليكم ، فأجمعت « هوازن » أمرها ، وجَمَعَها مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة النَّصرى - وأسلم بعد ذلك - وهو يوم « حنين » ابن ثلاثين سنة ، فاجتمع إليه مع « هوازن » « ثقيف » كلها ونصر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل .

قال محمد بن عمر : لا يبلغون مائة ، ولم يشهدها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من « هوازن » كعب ولا كلاب ، مشى فيها ابن أبى براء فنهاها عن الحضور وقال : والله لو ناوأ محمدا مَنْ بين المشرق والمغرب لظهر عليهم(٢) .

● وقرر مالك بن عوف أن يسوق مع المقاتلين نساءهم وأموالهم ، وقد اعترض على ذلك دُرَيْدُ بن الصِّمَّة وهو شيخ كبير فى بنى جُشَم وفارس مُجَرِّب ، فقال له مالك بن عوف : أردتُ أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله فيقاتل عنهم ، فقال دريد : وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك ، فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، فكان جواب مالك : والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لَتطيعنَّنى يا معشر « هوازن » أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى فاضطرت « هوازن » إلى إطاعة مالك .

● كانت خطة مالك بن عوف تتلخص باحتلال قمم وادى « حنين » و« مضيق الوادى » ، فإذا دخلت قوات المسلمين فى الوادى ، باغتهم المشركون بالرمى عليهم بالنبال من كل جانب لتحطيم صفوفهم ، ثم القيام بالهجوم لإجبارهم على الانسحاب ، وأكمل المشركون احتلال هضاب الوادى ومضايقه قبل دخول المسلمين إليه ، وكمنوا فى مواضعهم المستورة انتظارا لجيش المسلمين .

تجهيز المسلمين :

● لما سمع الرسول - ﷺ - بتحشد « هوازن » و« ثقيف » بعث إليهم عبدالله بن أبى حدرد وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمهم ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله - ﷺ - ، وسمع مالك (مالك بن عوف) وأمْرِ « هوازن »

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى : « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » جـ٥ ص٤٥٩ .

ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبره الخبر .

● فقرر الرسول القائد ـ ﷺ ـ مهاجمة هذه القبائل ليجهض تدابيرها للعدوان ويحتفظ بالمبادأة فى يد المسلمين ، وبدأ بإنجاز الاستعدادات الضرورية للحركة ، وقد بلغه ـ ﷺ ـ أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا فأرسل إليه ـ وهو يؤمئذ مشرك ـ فقال : يا أبا أمية ، أَعِرْنَا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا ، فقال صفوان : أَغَصْباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكنيها من السلاح (٣) .

● وقد بلغت قوة جيش المسلمين اثنى عشر ألف مقاتل : ألفان من أهل مكة ، وعشرة آلاف من المسلمين الذين حضروا الفتح حتى قال قائل وهو ينظر إلى هذا الجيش الضخم : « لن نُغلب اليوم من قِلَّة » .

● واستعمل رسول الله ـ ﷺ ـ عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميرا على من تخلف عنه من الناس ثم مضى على وجهه يريد لقاء « هوازن » ، وقدَّم خالد بن الوليد فى بنى سُليم وأهل « مكة » كمقدمةٍ للجيش ، وجعل ميمنة وميسرة وقلبا كان رسول الله ـ ﷺ ـ فيه (٤) .

سير المعركة فى شوال عام ٨ هـ :

● دخلت قوات المسلمين « وادى حنين » فجرا وكان واديا أجوف منحدرا ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا فيه كأنهم يسيرون إلى هاوية ، فلما استقرت أكثر قوات المسلمين فى الوادى ، رماهم المشركون بوابل من سهامهم ، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمى ، لأن الظلام كان سائدا وقتذاك ، ولأن مواضع المشركين كانت مخفية تماما ، فانسحبت مقدمة المسلمين وجرفت أمامها قوات المسلمين الأخرى ، فانقلب انسحاب المسلمين إلى هزيمة .

● قال ابن اسحق عن جابر بن عبدالله قال : لما استقبلنا « وادى حنين » انحدرنا فى واد من أودية « تِهامة » أجوف (أى متسع) حَطُوط (منحدر) إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عَماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضائقه وقد أجمعوا وتهيؤا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يلوى أحد على أحد (٥) .

هجوم المسلمين المقابل :

● ثبت الرسول القائد ـ ﷺ ـ فى مكانه ، وثبت معه عشرة من أهل بيته ومن المهاجرين (٦)

(٣) « ابن هشام » : السيرة النبوية ، القسم الثانى (جـ٣

(٤) ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ والعارية والعارة : ما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك ، يقال : كل عارة مستردة .

(٥) « ابن هشام » : المرجع السابق ص ٤٤٢ .

(٦) هم : من المهاجرين : أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب ، ومن أهل بيته : على بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب ، وأبوسفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد ، قتل يومئذ (ابن هشام : القسم الثانى ٤٤٣) .

وأخذ عليه الصلاة والسلام ينادى الناس إذ يمرون به منهزمين : « أين أيها الناس ؟ هلموا إلىّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله » فلا يرد عليه أحد .

● عند ذاك أمر الرسول ـ ﷺ ـ عمه العباس ـ وكان جهير الصوت ـ أن ينادى : « يا معشر الأنصار ، يا أصحابَ السَّمُرَة ، يا أصحاب سورة البقرة » ، وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت أصداؤه فى جنبات الوادى ، وسمع النداء المهاجرون والأنصار ، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت ، فرمى أكثرهم درعه ، وترك بعيره ، وأخذ معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة .

● واجتمع حول الرسول ـ ﷺ ـ نحو مائة مسلم وهم يصيحون : لبيك .. لبيك فاستقبل الرسول ـ ﷺ ـ بهم المشركين ، وصمدوا فى مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين ، وكان النهار قد طلع والمشركون قد تركوا مواضعهم ، فلا يحتاج المسلمون إلا إلى الصمود لإيقاع بعض الخسائر بالمشركين لكى تتزعزع معنوياتهم وينسحبوا من الميدان ، ولولا صمود هذا العدد القليل من المسلمين ومشاغلتهم المشركين لكانت خسائر المسلمين فى تلك المعركة كبيرة جدا .

● وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد ، وهناك بدأوا بالهجوم المقابل على المشركين ، وعندما رأت « هوازن » و « ثقيف » أن المقاومة لا تجديهم نفعا ، وأنهم لا يستطيعون من هجوم المسلمين ، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، ولم يكن للمشركين ساقة (مؤخرة) لحماية الانسحاب فانقلب انسحابهم إلى هزيمة .

مطاردة المشركين :

● انسحبت أكثر « ثقيف » باتجاه « الطائف » ، وكان معهم مالك بن عوف ، وانسحبت « هوازن » والقبائل الأخرى باتجاه « أوطاس » ونخلة [٧] .

● وقام المسلمون بالمطاردة ، وأعلن النبىّ ـ ﷺ ـ أن من قتل مشركا فله سلبه ، ووصلت مطاردة المسلمين إلى أوطاس ، فأوقعوا بهوازن هناك خسائر فادحة فى الأرواح ، كما وصلوا إلى نخلة فأوقعوا بالمنسحبين إلى هناك خسائر فادحة أيضا ، كما استسلم كثير من المشركين أسرى ، ولما عاد حديثو العهد بالإسلام من هزيمتهم رأوا الكثيرين من المشركين أسرى مصفدين بالأغلال .

حصار الطائف :

● وصل بعض المسلمين بمطاردتهم إلى « الطائف » [٨] التى التجأ المنهزمون من المشركين إليها وكانت مدينة محصنة ذات أسوار وحصون قوية ولها أبواب تغلق عليها ، وبها كثير من الأعناب والنخيل والفاكهة .

● وتجمعت أرتال المسلمين التى طاردت

(٧) نخلة : واد من « الحجاز » بينه وبين « مكة » مسيرة ليلتين (حوالى ٩٠ كيلومترا) .

(٨) قيل سميت بذلك ؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ طاف بها حين نقلها من الشام إلى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه ـ الصلاة والسلام ـ : أى أنه أن الله يرزقهم أى أهل « مكة » من الثمرات .

المنسحبين إلى « أوطاس » و « نخلة » ـ بعد إنجاز واجبا منها ـ برتل المسلمين الذى طارد « ثقيفا » باتجاه « الطائف » ، لإجبار « ثقيف » على الاستسلام ، إلا أن ثقيفا سددت نبالها على المسلمين الذين كانوا قريبين من الحصون ، فأوقعوا فيهم بعض الخسائر ، فنقل الرسول ـ ﷺ ـ المسلمين بعيدا عن مرمى النبل حيث استقروا هناك ، وفكر المسلمون فى وسيلة يستطيعون بها إجبار الطائف على الاستسلام ، فأشار سلمان الفارسى بقذف حصونها بالمنجنيق وبمهاجمة تلك الحصون بالدبابات الخشبية .

● رمى المسلمون « الطائف » بالمنجنيق وتقرب بعضهم بحماية الدبابات إلى سور « الطائف » ليخرقوه ، ولكن أهل « الطائف » استطاعوا إحباط هذا الهجوم ، إذ أحموا قطعا من الحديد بالنار ، حتى إذا انصهرت ألقوها على الدبابات الخشبية فحرقتها ، فانسحب المسلمون المحتمون بها من تحتها لئلا يحترقوا ، فرمتهم ثقيف بالنبل بعد انكشافهم من حماية الدبابات .

● أعلن الرسول ـ ﷺ ـ أنه سيعتق كل عبد يأتيه من « الطائف » ، ففر إليه حوالى عشرين من عبيد أهلها ، فلما أسلم أهل الطائف فيما بعد تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال الرسول ـ ﷺ ـ : لا ، أولئك : « عتقاء الله » .

● وقد عرف ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أولئك العبيد وقت حصاره « للطائف » أن المواد الغذائية كثيرة جدا لدى « ثقيف » ، لذلك آثر أن يرفع الحصار بعد أن استمر حوالى شهر ، تاركا أمر استسلام « ثقيف » إلى الزمن خاصة وأن الكثيرين من رجالها اعتنقوا الإسلام .

خسائر الطرفين :

● **المسلمون :**

كانت خسائرهم ستة عشر شهيدا منهم أربعة فى « حنين » والباقون فى حصار « الطائف » وإن كانت كتب السيرة لم تحص جميع القتلى ، هذا عدا الجرحى .

● **المشركون :**

كانت خسائرهم فى الأرواح كبيرة جدا ، أما خسائرهم فى الأموال فكانت فادحة ، إذ كانت أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف نسمة من السبى(٩) .

توزيع الغنائم :

● خرج رسول الله ـ ﷺ ـ حين انصرف عن « الطائف » حتى نزل « الجعرانة » فيمن معه من الناس حيث أمَرَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالغنائم أن تجمع ، ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَغُلّ (أى يخون فى الغنيمة) .

● وروى الحاكم بسند صحيح عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ ، قال : أخذ رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حنين وَبَرة من بعير ، ثم قال : « يا أيها الناس ، إنه لا يحل لى مما أفاء الله عليكم

---

(٩) « سبيل الهدى والرشاد » : جـ ٥ ص ٤٩٨ .

قدر هذه إلا الخُمْس ، والخمس مردود عليكم ، فأدُّوا الخيط والمَخِيط ، وإياكم والغلول فإنه عار على أهله يوم القيامة » .

وفى « الجعرانة » جاء وفد من « هوازن » مسلما وسألوا الرسولّ ـ ﷺ ـ أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم ، فخيرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم ، فاختاروا أبناءهم ونساءهم ، قال ابن اسحاق : « إن وفد « هوازن » أتوا رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا ، منَّ الله عليك ... فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب الينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله ـ ﷺ ـ بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : وأما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ .

فقال الأقرع بن حابس : أما أنا « وبنو تميم » ، فلا .

وقال عيينة بن حصن : أما أنا « وبنو فَزَارة » فلا ، وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا « وبنو سليم » فلا ، فقالت « بنو سليم » : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ـ ﷺ ـ قال : يقول عباس بن مرداس « لبنى سليم » : « وَهَّنْتُمُونى (أى أضعفتمونى) فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان سِتُّ فرائض من أول سبى أصيبه ، فرُدُّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم »(١٠) وهكذا رد المسلمون كافة السبايا إلى « هوازن » .

أما عن بقية الغنائم من النعم والمتاع فقد قسمها رسول الله ـ ﷺ ـ فجعل للمؤلفة قلوبهم النصيب الأوفى منها ، أما المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار فقد كان نصيبهم لا يذكر لحكمة أرادها ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما سيرد بيانه .

العودة إلى المدينة :

وبعد غيبة شهرين وستة عشر يوما عن المدينة(١١) عاد رسول الله ـ ﷺ ـ إليها بعد أن زالت آخر مقاومة كبيرة كانت العرب تستطيع توجيهها ضد الإسلام وأقبلت بعد ذلك وفود القبائل تعلن دخولها فى الإسلام وخضوعها للدولة الإسلامية .

« للبحث بقيــة »

---

(١٠) « ابن هشام » : المرجع السابق ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ .

(١١) « سبل الهدى والرشاد » : جـ٥ ص٥٩١ .

أثـر تغير قيمة النقود
فى
الحقــوق والالتــزامات

للأستاذ الدكتور: على أحمد السالوس *

يشير هذا البحث فى بدايته إلى أحكام الصرف فى الفقه الإسلامى ، وإلى أنها تنطبق على النقود فى كل عصر . ثم يبين أن ما نراه من تغير قيمة النقود فى عصرنا لم يكن بهذا القدر فى عصر النقود السلعية ، حيث كنا نرى الاستقرار النسبى . ويذكر من السنة المطهرة ما يثبت أن الدَّين يؤدى بمثله لا بقيمته ، وأن أجر العامل يجب أن يتغير تبعاً لتغير قيمة النقود ، حيث إنه مرتبط بتمام الكفاية . ويذكر البحث بالتفصيل أثر تغير قيمة النقود عند الفقهاء .

ثم نأتى بعد هذا إلى نتائج الدراسة ، وفى الختام ذكرت أربعة عشر ملحظاً ، وبينت أن الدعوة إلى رد الدين بقيمته لا بمثله لا يخالف النص والإجماع فحسب ، بل يترتب عليه كثير من المحاذير . ثم ألحقت بالبحث نص فتاوى صدرت فى الموضوع .

* الأستاذ بجامعة قطر .

الحمد لله ، حمداً طيباً ، طاهراً ، مباركاً فيه ، كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، نحمده سبحانه وتعالى ، ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونسأله عز وجل أن يجنبنا الزلل فى القول والعمل ، ونصلى ونسلم على رسوله المصطفى خير البشر ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

كانت البشرية فى مهدها تسير على نظام المقايضة فى التعامل ، فعانت الكثير لما لهذا النظام من عيوب . ثم اهتدى الانسان ـ بفضل الله تعالى ـ إلى استخدام النقود . والنقود تعرف تعريفاً وظيفياً لا وصفياً ، فهى : أى شىء يكون مقياساً للقيمة ، ووسيلة للتبادل ، ويحظى بالقبول العام .

وتعددت الأشياء التى استخدمها الإنسان فى النقود إلى أن اهتدى إلى استخدام الذهب والفضة ، فلم ينافسها أى شىء آخر لما لكل منهما من خصائص مميزة ، من حيث البقاء دون تلف ، والتجزئة إلى قطع ، وعدم التغير بالاستعمال ، أو التخزين .. إلخ .

وعندما بعث الرسول ـ ﷺ ـ كانت النقود التى يتعامل بها الناس هى الدنانير الذهبية ، والدراهم الفضية . فشرع الرسول الكريم من الأحكام ما ينظم تعامل المسلمين بهذين المعدنين : الذهب والفضة ، وهذه الأحكام التى تعرف فى الفقه الإسلامى بأحكام الصرف ، والأحاديث الشريفة التى تبينها كثيرة مشهورة .

منها ما رواه عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ، عن الرسول ـ ﷺ ـ إنه قال : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد »(١) .

وما رواه أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ، عن الرسول ـ ﷺ ـ أنه قال : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلًا بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثل بمثل ، ولا تشفوا بعضها على بعض ، ولا تبيعوا منهما غائباً بناجز »(٢) .

وما رواه أبو بكرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن الفضة بالفضة والذهب بالذهب إلا سواء بسواء ، وأمرنا أن نشترى الفضة بالذهب كيف شئنا ، ونشترى الذهب بالفضة كيف شئنا »(٣) .

وما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء »(٤) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « الدينار بالدينار لا فضل بينهما ، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما »(٥) .

وهذه بعض الأحاديث الشريفة التى تبين أحكام الصرف ، ويؤخذ منها أن الصرف كى يتم صحيحاً بغير ربا يشترط ما يأتى :

---

(١) أخرجه مسلم
(٢) متفق عليه .
(٣) أخرجه الشيخان .
(٤) متفق عليه و«هاء وهاء» أى خذ وهات؟؟
(٥) أخرجه مسلم .

أولًا : التماثل بغير زيادة أو نقصان عند تبادل ذهب بذهب ، ومثله دينار بدينار ، أو تبادل فضة بفضة ، ومثلها درهم بدرهم .

ويسقط هذا الشرط إذا كان بيع الذهب أو الدينار ، بالفضة أو الدرهم . وبيع الفضة أو الدرهم ، بالذهب أو الدينار .

ثانياً : القبض فى المجلس قبل الافتراق ، فلا يباع غائب بحاضر ، ولا يتأخر القبض ، وإنما هاء وهاء ، ويداً بيد .

فإذا افترق المتصارفان قبل أن يتقابضا فالصرف فاسد بغير خلاف .

وأحكام الصرف واضحة كل الوضوح ، وتطبيقها فى عصر التشريع كان سهلًا ميسراً ، وظل الأمر كذلك مادامت نقود عصر التشريع قائمة ، ثم تطورت النقود على مر العصور حتى وصلت إلى ما نراه فى عصرنا ، فبرزت مشكلات فى التطبيق ، بعضها أمكن حله بسهولة ، مثل تعدد الأجناس : فاعتبر تعدد الأجناس بتعدد جهات الإصدار ، بمعنى أن الورق النقدى المصرى جنس ، والسعودى جنس ، والقطرى جنس ، وهكذا .

ولعل أبرز المشكلات ما يتصل بالقبض فى المجلس ، حيث يتعذر التقابض فى كثير من الحالات ، وهنا يمكن أن يقوم مقام القبض الفعلى للنقد الوسائل العصرية المختلفة : كالحوالة والشيك ، و(التلكس) ، وكل ما يعد فى العرف قبضاً ، كما قامت السفتجة قديماً مقام القبض . ولكن لا يجوز تأخير القبض أو ما يقوم مقامه . ولذلك نجد أسواق النقد العالمية تعلن عن سعر الصرف الحال ، وسعر الصرف المؤجل ، وتجعل المؤجل بزيادة ترتبط بسعر الفائدة ، أى الربا .

والحديث عن هذا الموضوع يطول كثيراً ، وقد انتهيت من دراسته فى كتاب عنوانه «النقود واستبدال العملات» .

المبحث الأول

الاستقرار النسبى للنقود السلعية

فى عصر التشريع كان الغالب فى سعر الصرف الدينار بعشرة دراهم ، ولذا كان نصاب الزكاة عشرين دينار أو مائتى درهم . وبالبحث فى النصاب ، ووزن كل من الدينار والدرهم ، نجد أن قيمة الذهب كانت سبعة أضعاف قيمة الفضة . ومع أن الذهب والفضة يتميزان بالاستقرار النسبى غير أن العلاقة بينهما لم تظل ثابتة ، فتغير سعر الصرف من وقت لآخر ، بل وجدنا ــ فى عصرنا ــ الفضة تهبط إلى ما يقرب من واحد فى المائة (١ ٪) من قيمة الذهب .

كما أن العلاقة بينهما وبين باقى الأشياء لم تظل ثابتة ، مثال هذا عندما غلت الإبل فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فزاد مقدار الدية من النقدين .

إن هذه الزيادة تعنى أن النقود انخفضت قيمتها بالنسبة للإبل ، ولكن الأمر لم يكن قاصراً على الإبل ، فغيرها قد يرتفع ثمنه وقد ينخفض ، وارتفاع الثمن يعنى انخفاض قيمة النقود ، وانخفاض ثمن السلع يعنى ارتفاع النقود .

غير أن الزيادة أو النقصان لم تكن بالصورة التى شهدها عصرنا ، عصر النقود الورقية ، وعلى الأخص بعد التخلى عن الغطاء الذهبى ، ولجوء بعض الدول أو اضطرارها إلى خفض قيمة ورقها النقدى .

والغلاء الفاحش الذى ساد عصرنا لم يكن

سائداً فى الدول الاسلامية من قبل لالتزامها بمنهج الإسلام أو بها منه . فالاقتصاد الإسلامى يعنى زيادة الانتاج ، وعدالة التوزيع ، وترشيد الاستهلاك . والإسلام يمنع الوسائل التى تؤدى إلى غلاء الأسعار كما هو معلوم لمن يدرس البيوع المنهى عنها ، وينهى عن ظلم المسلمين بكسر سكتهم وإفساد أموالهم .

جاء فى البيان والتحصيل (٦/٤٧٤) ما يأتى :

قال محمد بن رشد : «الدنانير التى قطعها من الفساد فى الأرض هى الدنانير القائمة التى تجوز عدداً بغير وزن ، فإذا قطعت فردت ناقصة غش بها الناس فكان ذلك من الفساد فى الأرض . وقد جاء فى تفسير قوله-عز وجل- ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾إنهم أرادوا بذلك قطع الدنانير والدراهم لأنه كان نهاهم عن ذلك ، وقيل إنهم أرادوا بذلك تراضيهم فيما بينهم بالربا الذى كان نهاهم عنه ، وقيل إنهم أرادوا بذلك منعهم للزكاة ، وأولى ما قيل فى ذلك أنهم أرادوا بذلك جمع ذلك . وأما قطع الدنانير المقطوعة فليس قطعها من الفساد فى الأرض ، وإنما هو مكروه» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«ينبغى للسلطان أن يضرب لهم فلوساً تكون بقيمة العدل فى معاملاتهم ، من غير ظلم لهم . ولا يتجر ذو السلطان فى الفلوس أصلا ، بأن يشترى نحاساً فيضربه فيتجر فيه ، ولا بأن يحرم عليهم الفلوس التى بأيديهم ، ويضرب لهم غيرها ، بل يضرب ما يضرب بقيمته من غير ربح فيه ، للمصلحة العامة ، ويعطى أجرة الصناع من بيت المال ، فإن التجارة فيها باب عظيم من أبواب ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، فإنه إذا حرم المعاملة بها حتى صارت عرضاً ، وضرب لهم فلوساً أخرى : أفسدها ما عندهم من الأموال بنقص أسعارها ، فيظلمهم فيها ، وظلمهم فيها بصرفها بأغلى سعرها .

وأيضاً فإذا اختلفت مقادير الفلوس : صارت ذريعة إلى أن الظلمة يأخذون صغاراً فيصرفونها ، وينقلونها إلى بلد آخر ، ويخرجون صغارها ، فتفسد أموال الناس ، وفى السنن عن النبى ﷺ «أنه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم ، إلا من بأس» فإذا كانت مستوية المقدار بسعر النحاس ، ولم يشتر ولى الأمر النحاس ، والفلوس الكاسدة ليضربها فلوساً ، ويتجر بذلك : حصل بها المقصود من الثمنية»(٦) .

وقال ابن القيم :

فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات ، والثمن هو المعيار الذى به يعرف تقويم الأموال ، فيجب أن يكون محدوداً مضبوطاً لا يرتفع ، ولا ينخفض ، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات ، بل الجميع سلع ، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة ، وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة ، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الأشياء ، ويستمر على حالة واحدة ، ولا يقوم هو بغيره ، إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض ، فتفسد معاملات الناس ،

(٦) الفتاوى جـ ٢٩ ص ٤٦٩ .

ويقع الخلف ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم ، والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمناً واحداً لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الأشياء ، ولا تقوم هى بغيرها لصلح أمر الناس ، فلو أبيح ربا الفضل فى الدراهم والدنانير مثل أن يعطى صحاحاً ، ويأخذ مكسرة أو خفافاً ويأخذ ثقالًا أكثر منها ، لصارت متجراً . أو جر ذلك إلى ربا النسيئة فيها . ولابد . فالأثمان لا تقصد لأعيانها . بل يقصد التوصل بها إلى السلع . فإذا صارت فى أنفسها سلعة تقصد لأعيانها فسد أمر الناس . وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات(٧) .

وفى المعيار المعرب لأبى العباس الونشريسى (جـ٦ ص٤٠٧) تحت عنوان :

(ما يجب على الوالى أن يفعله إزاء مرتكبى التزوير فى النقود) نجد ما يأتى :

«ولا يغفل النظر إن ظهر فى سوقهم دراهم مبهرجة مخلوطة بالنحاس ، بأن يشتد فيها ويبحث عمن أحدثها ، فإذا ظفر به أناله من شدة العقوبة ، وأمر أن يطاف به الأسواق لينكله ويشرد به من خلفه لعلهم يتقون عظيم ما نزل به من العقوبة ويحبسه بعد ، على قدر ما يرى ، ويأمر أوثق من يجد بتعاهد ذلك من السوق ، حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم ، ويحرزوا نقودهم . فإن هذا أفضل ما يحوط رعيته فيه ويعمهم نفعه فى دينهم ودنياهم ، ويرتجى لهم الزلفى عند ربهم والقربة إليه إن شاء الله المكيال والميزان . والأمداد والأقفزة والأرطال والأواقى» .

المبحث الثانى

بيان السنة المطهرة

مما يعد أصلًا فى موضوعنا ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم(٨) عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال : «أتيت النبى ـ ﷺ ـ فقلت : إنى أبيع الإبل بالنقيع ، فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم ، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير ؟ فقال : لا بأس أن تأخذ بسعر يومها ما لم تفترقا وبينكما شىء» .

وفى لفظ بعضهم : «أبيع بالدنانير وآخذ مكانها الورق ، وأبيع بالورق وآخذ مكانها الدنانير» .

فابن عمر كان يبيع الإبل بالدنانير أو بالدراهم ، وقد يقبض الثمن فى الحال ، وقد يبيع بيعاً آجلًا ، وعند قبض الثمن ربما لايجد مع المشترى بالدنانير إلا دراهم ، وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه إلا دنانير ، أفيأخذ قيمة الثمن يوم ثبوت الدين أم يوم الأداء ؟

مثلًا إذا باع بمائة دينار ، وكان سعر الصرف : الدينار بعشرة دراهم ، أى أن له ما

---

(٧) أعلام الموقعين ١٣٢/٢ .

(٨) وصححه على شريط مسلم ، ووافقه الذهبى (٤٤/٢) . وبين الشيخ أحمد شاكر صحته مرفوعا وموقوفا (أنظر المسند ٥٠/٧ ــ رواية ٤٨٨٣) . والشيخ الألبانى ضعفه مرفوعا وقوى وقفه (إرواء الغليل ١٧٣/٥) ولكن تضعيفه ليس بحجة ؛ لأنه يعنى تضعيف من احتج به الإمام مسلم ، ولايتسع المجال هنا للمزيد .

وأنظر فى فقه الحديث على سبيل المثال : مشكل الأثار للطحاوى ٩٥/٢ : ٩٧ ، وفتاوى ابن تيمية ٥١٩/٢٩ ، وأعلام الموقعين لابن القيم ٤٠٨/٤ .

قيمته ألف درهم ، وتغير سعر الصرف يوم الأداء فأصبح الدينار مثلًا بأحد عشر درهماً ، أفيأخذ الألف أم ألفاً ومائة ؟ وإذا أصبح بتسعة دراهم فقط ، أفيأخذ تسعمائة درهم يمكن صرفها بمائة دينار يوم الأداء ، أم يأخذ ألف درهم قيمة مائة الدينار يوم البيع ؟

بين الرسول - ﷺ - أن العبرة بسعر الصرف يوم الأداء .. وابن عمر ، الذى عرف الحكم من الرسول الكريم - سأله بكر بن عبدالله المزنى ومسروق العجلى عن كرى لهما ، له عليهما دراهم وليس معهما إلا دنانير ، فقال ابن عمر : أعطوه بسعر السوق .

فهذا الحديث الشريف يعتبر أصلًا فى أن الدين يؤدى بمثله لا بقيمته ، حيث يؤدى عند تعذر المثل بما يقوم مقامه ، وهو سعر الصرف يوم الأداء ، يوم الأداء لا يوم ثبوت الدين .

ومن السنة المطهرة مايبين أن الأموال الربوية ينظر فيها إلى المثل قدرا ، ولاعبرة بالقيمة ؛ ويوضح هذا الحديث تمر خيبر المشهور ، حيث قيل للرسول ﷺ : «إنا نبتاع الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة» ، فقال ﷺ : «لا تفعل وفى رواية : إنه عين الربا - بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا» .

ومما يعد أصلا فى موضوعنا كذلك مارواه أبو داود فى سننه عن المستورد بن شداد ، قال : سمعت النبى - ﷺ - يقول : «من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا» . وما رواه أحمد فى مسنده عن المستورد أيضا ، قال :

من ولى لنا عملا فلم يكن له زوجة فليتزوج ، أو خادم فليتخذ خادما ، أو مسكن فليتخذ مسكنا ، أو دابة فليتخذ دابة»[(٩)] .

قال الخطابى فى معالم السنن : هذا يتأول على وجهين :

أحدهما : أنه إنما أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التى هى أجرة مثله .

والوجه الآخر : أن للعامل السكنى والخدمة ، فإن لم يكن له مسكن ولا خادم استؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله ، ويكترى له مسكن يسكنه مدة مقامة فى عمله» .

وفى عون المعبود (١٦١/٨) جاء فى شرح الحديث :

«يحل له أن يأخذ مما فى تصرفه من مال بيت المال قدر مهر زوجة ونفقتها وكسوتها ، وكذلك ما لابد منه من غير إسراف وتنعم» . وذكر بعد هذا قول الخطابى .

يؤخذ من هذا الحديث الشريف أن أجر العامل مرتبط بتوفير تمام الكفاية ، ومعنى هذا أن الأجر يجب أن يتغير تبعا لتغير قيمة العملة ، وهذا يختلف عن الالتزام بالدين كما بينه حديث ابن عمر .

---

(٩)أنظر كتاب الخراج والفىء والإمارة فى سننه - باب فى أرزاق العمال . وأنظر مسند أحمد ٢٢٩/٤ - ٢٣٠

والحديث سكت عنه هو والمنذرى ، ولكن السيوطى - مع تساهله فى التصحيح - ذكره فى الجامع الصغير .

من كنوز التراث

مَنَحُ المِدَح .. لابن سيد الناس

بقـلم
الدكتور: رشدى محمد إبراهيم

● فى تراثنا ـ وما أكثر ما فيه ، وما أجله ـ كنوز مخبأة ، ودرر لم تُفتّح الأصداف عنها ، ويواقيت نادرة علاها ركام النسيان حينا والإهمال حينا آخر ، حتى إذا قيض الله تعالى لها المنقب الدءوب ، والغواص الذى لا يخشى الهلكة ، أسلست قيادها فى يده ، وخرجت من لجة النسيان تبهر وتسحر ببريق إبداعها ، وجلال بهائها .. ومازالت كنوز تراثنا زاخرة بكل ما يأسر ويسحر ..

ومن بين يواقيت تراثنا النادرة كتاب « مِنَح المِدَح ، أو شعراء الصحابة ممن مدح الرسول ﷺ أَوْ رَثَاه » لابن سيد الناس ، وقد قام بتقديمه وتحقيقه الباحثة « عفت وصال حمزة » وصدر فى دمشق الفيحاء .

● والحق أن جهد المحققة فى إخراج الكتاب جهد علمى متميز ، يشهد بذلك أن هذه هى المرة الأولى التى يطبع فيها الكتاب من مخطوطة هى الوحيدة فى العالم جمعت مع مخطوطة « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » للمؤلف فى مجلد واحد تحت رقم (١٩٥١/٣) فى (مكتبة شهيد على) التى ضُمت مع غيرهـا من المكتبـات فى « استامبول » إلى (مكتبة السليمانية) . هذا إلى جانب ما أثبتته المحققة فى هوامش الكتاب من تفسير لبعض ما غمض ، أو توثيق لواقعة من مصدر آخر ، أو ترجمة لأحد الأعلام ، أو تتميم ناقص ، أو تعديل معوج ، أو رواية لأبيات غير التى فى متن الكتاب ، ناهيك عن الفهرسة العلمية التى شملت الأعلام والأبيات الشعرية والأماكن واللغويات والمصادر والمراجع والموضوعات ..

فماذا عن المؤلف والكتاب .. ؟

● **مؤلف الكتاب هو فتح الدين اليعمرى الأندلسى المعروف بابن سيد الناس ، واسمه : « محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس » ، يقول عنه ابن شاكر الكتبى : « الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث ، فتح الدين أبوالفتح ابن الفقيه أبى عمرو ابن الحافظ أبى بكر اليعمرى ، كان حافظا بارعا أديبا بليغا مترسلا ، حسن المحاورة لطيف العبارة ، فصيح الألفاظ ، كامل الأدوات ، لا تمل محاضرته ، كريم الأخلاق ، زائد الحياء ، حسن الشكل والعمة ، وهو من بيت رياسة وعلم . سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدّث وأجاز »[١] .**

● وأصله من أشبيلية بالأندلس ، وولد فى « القاهرة » سنة ٦٧١ هـ ، وأقام فى « دمشق » ثم عاد إلى القاهـرة ، ودرس فى « المدرسة الظاهرية » ، وغيرها ، وكانت وفاته سنة ٧٣٤ هـ[٢] .

وقد كتب المؤلف ترجمته بخط يده فى كتابه « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » الذى حققته ـ أيضا ـ المحققة عفت وصال حمزة .. ونقلت عنه فى تقديمها لكتاب « منح المدح » قوله :

« ومولدى فى رابع عشر ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وست مِئَةٍ بالقاهرة ، وفى هذه السنة أجاز لى الشيخ المسند « نجيب الدين أبوالفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحرانى » ، وكان أبى ـ رحمه الله ـ يخبرنى أنه كتّانى ،

(١) فوات الوفيات : ٢٨٧/٣ ـ محمد بن شاكر الكتبى / تحقيق د/ إحسان عباس دار الثقافة بيروت .

(٢) يراجع : جرجى زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » : ١٦٨/٣ ، د. عمر فروخ « تاريخ الأدب العربى » . ٧٤٨/٣ .

وأجلسنى فى حجره ، وكان يسأله عنى بعد ذلك وأجاز لى بعدُ جماعة » .

ثم ذكر ابن سيد الناس أسماء بعض شيوخه الذين تلقى عليهم ، ومنهم : « شمس الدين ابن عبدالواحد المقدسى » ، و « القسطلانى » ، و « الطبرزدى » وغيرهم بمصر والشام والاسكندرية ثم يقول : « وأجاز لى جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس يطول ذكرهم ، وحبذا ـ أيدك الله ـ اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية ، وإيثارك أن تكون مع الفرقة الناجية ، لا الفرقة الثاوية »(٣) .

● ولابن سيد الناس مؤلفات عديدة : منها « عيون الأثر فى غزوات سيد ربيعة ومضر » و « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » و « المقامات العلية فى الكرامات الجلية » و « شرح جامع الترمذى» وله رسائل بينه وبين « صلاح الدين الصفدى » هذا بالاضافة إلى أشعاره التى تغلب عليها الفنون الوجدانية(٤)

● ● ●

● لقد عاش ابن سيد الناس فى الفترة التى أعقبت سقوط بغداد ـ قاعدة الملك وعاصمة الخلافة ـ على يد التتار ، وهى الفترة التى عرفت بعصر المماليك أو العصر المغولى .. حيث تركت النكبة التى مُنى بها العرب والمسلمون آثارها على الحياة الأدبية والعلمية ، بعد تخريب مئات المكتبات وإتلاف الآلاف من الكتب .

ولئن كانت الحياة الأدبية منيت بشىء من الضعف ، فطغى التصنع على الإبداع ، فإن الحياة العلمية شهدت لونا من الازدهار فى مجال ظهور « الموسوعات العلمية » فى اللغة والدين وغيرهما .. فتحركت همم العلماء المصنفين لدرء خطر الضياع الذى تهدد علوم اللغة والدين على يد التتار ، وبرع النظامون فى نظم العلوم ووضع الشروح لهذه المنظومات ، ومن هذا القبيل كتاب « منح المدح » لابن سيد الناس .

● وكتاب « منح المدح » كتاب أراد مؤلفه أن يستقصى اسماء صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ الذين كانت لهم أشعار فى مدح الرسول ـ ﷺ ـ أو رثائه ، وقد نظم مادته فى قصيدة بلغت مائة وستة عشر بيتا .. بدأها بالوقوف على الأطلال والغزل ، ثم مدح الرسول ـ ﷺ ـ ثم ذكر أسماء من مدحه ـ ﷺ ـ أو رثاه من الصحابة والصحابيات .. وقد استلهمها المؤلف بقوله :

دمنٌ ألمّ بها فعاج مسلّما
وبكى على أطلالها ، أقوت ، دما
وترنمت نغماته بغرامه
فأجابه عنها الصدى مترنما

وبعد أن مدح النبىَّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخذ فى ذكر مادحيه من أصحابه ، ومن ذلك قوله :

واذكر أخا الإحسان حسان الذى
ما زال عنه منافحا من يمّما
قال النبى له : « أجب عنى » فما
ينفك يرمى بالأهاجى من رمى

(٣) منح المدح : ١٦

(٤) د. عمر فروخ « تاريخ الأدب العربى : ٧٤٨/٣ .

يجزيهم بالهجـــر هجـــرا مثلـــه
ومتى رموا سهما رماهم أسهما
وقرينـه كعب بن مالك الـــذى
ما زال يرقى فى المعالى سلّمـــا
وكذلك ابن رواحة المهدى له
من مدحه الدر النفيس منظما[٥]

● ● ●

● والمؤلف يعرض لنا فكرة كتابه ومنهجه فيه ، فيقول فى مقدمته : « ثم عرض لى بعد ذلك معنى لم اسبق – فيما علمت – إليه ، ولا دل أحد يقدمنى عليه ، من ذكر مادحيه من الصحابة نجوم المهتدين ، ورجوم المعتدين ، لتكون لنا بهم القدوة ، وفيهم – رضى الله عنهم – الأسوة ، فنظمت فى ذلك قصيدة سالكة تلك المسالك ، ذاكرة من الصحابة كثيرا مما هنالك ، وأتبعتها من البينة ما يتلو نهج إحسانها ، ويجلو على الأبصار رواء ، حُسانها ، ويجلو ما ينميه من يمن كعبها ، ويرويــه من إحسان حَسّانها ، تبركا بتـــلك الشرائِع ، ومحبة تلحق العاصى بالطائِع ، وتوردنا ما صفا الصفوٰان تلك المشارع .. مرتبا أسماء من وقع ذكره فيها على حروف المعجم ، ليكون ايسر لمحاولها ، وأقرب على تناولها واقتصرت على القليل من الكثير ، ولم أورد من أشعار مكثريهم إلا النزر اليسير وكذلك ما ذكرته من الأخبار لم يجنح فى ذلك كله إلا إلى الاختصار »[٦] .

وقد التزم المؤلف بالمنهج الذى ذكره ، وقيد نفسه به ، وقد لاحظت مُحَقِّقَةُ الكتاب أمورا مهمة بعد وقوفها أمام مقدمة المؤلف منها :[٧]

١ – أن المؤلف لم ينظر إلى الأغراض الشعرية لدى الشعراء الذين ترجم لهم ، ما عدا مدائحهم ومراثيهم للرسول – ﷺ – .
٢ – أنه لم يفرق بين المدائح والمراثى ؛ لأن فيهما جميعا مدحا لرسول الله – ﷺ – .
٣ – اقتصر المؤلف فى اختياراته على القليل من الكثير ، وكان يكتفى فى كثير من القصائد بذكر جزء منها ، ولا سيما مدائح الشعراء المكثرين الكبار مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك .
٤ – لم يستقص المؤلف جميع القصائد التى قيلت فى مدح الرسول – ﷺ – واكتفى بمدائح الصحابة ، ومن أسلم من الشعراء ، فلم يذكر مثلا مدحة الأعشى للنبى – ﷺ – ولم يذكرِ أبا عزة عمرو بن عبدالله بن أهيب ، ولا أشعار أبى طالب كما لم يذكر أخبارهم .
٥ – ولم يذكر الشعر الذى قاله المشركون فى وصف جيش المسلمين وبيان منزلة النبى – ﷺ – فيهم .
٦ – كما أنه لم يستقص جميع النساء اللواتى مدحن الرسول – ﷺ – .

هذه الملاحظات التى أبدتها المحققة ، تجعلنا على يقين بأن المؤلف التزم فى كتابه بالمنهج الذى اختطه ، وبالفكرة التى بنى الكتاب عليها ،

(٥) منح المدح : ابن سيد الناس/ تحقيق عفت وصال حمزة/ دار الفكر – بدمشق .

(٦) منح المدح : ٣٠ .
(٧) منح المدح : ١٨ بتصرف .

يضاف إلى ذلك أن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ ، وهو من رجال الحديث عنى فى كثير من تراجم كتابه بإيراد السند المتصل ما بينه وبين صاحب الترجمة ، كما أنه تطبيقا لفكرته فى جمع أسماء من مدحوا الرسول ـ ﷺ ـ كان يترجم لبعضهم ، ولا يذكر له شيئا من الشعر كما فعل فى ترجمته لـ « فرات بن حيان » التى بدأها بذكر السند فقال :

« قرأت على أبى عبدالله بن ساعد : أخبركم يوسف بن خليل ، أنا ابن أبى زيد ، ثنا محمود الصيرفى ، ثنا ابن فادشاه ، ثنا الطبرانى ، ثنا على بن عبدالعزيز ، ثنا أبو همام الدلال ، ثنا سفيان الثورى عن أبى إسحاق عن جارية بن مضرب عن الفرات بن حيان ، وكان رسول الله قد أمر بقتله ، وكان عينا لأبى سفيان وحليفا ، فمر على حليف له من الأنصار فقال : إنى مسلم ، فقال رجل منهم : يا رسول الله يقول إنى مسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « ان فيكم رجالا نكلهم إلى ايمانهم منهم الفرات بن حيان »(٨) .

وفى ختام ترجمته للفرات يقول : « ذكره أبو عبدالله المرزبانى فيمن مدح رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يذكر له شيئا » .

● وقد بلغت تراجم الرجال فى « منح المدح » نحو مائة وثمانين ترجمة ، أما تراجم النساء فهى اثنتا عشرة ترجمة ، وجميعها مرتبة على حروف المعجم ترتيبا يعتمد على الحرف الأول فقط .. ولا شك فى أن الكتاب زاخر بالأشعار التى قيلت فى مدح الرسول ـ ﷺ ـ وفى رثائه ، فقد جمع كثيرا مما هو مبثوث فى كتب السيرة والمغازى والتاريخ ، وما حوته كتب الرجال مثل الإصابة والاستيعاب .. ويبقى كتاب « منح المدح » متفردا فى بابه ، جديدا ـ على قدمه ـ فى موضوعه ..

وهو يقدم للمكتبة الأدبية زادا طيبا لم يتوافر من قبل تحت يدى دارسى المدائح النبوية وبخاصة فى عصر صدر الإسلام ، أو دارسى شعر المخضرمين ، ويبقى جهد « ابن سيد الناس » قائما بين الناس علامة على طول باعه وعلو كعبه ، كما يبقى جهد المحققة شاهد عدل على أن الذين يحسنون الغوص فى بحار تراثنا الزاخرة يستطيعون أن يستخرجوا منها أروع اللآلىء وأغلاها ..

هذا والله من وراء القصد ..

د . رشدى محمد ابراهيم

وبعد :

فقد كنا نود ـ وهذا ما يقتضيه الموضوع ـ تعريفا أبسط وأعمق بالباحثة المحققة السيدة « عفت وصال حمزة » فإن القارىء ـ لهذا الموضوع ـ شاعر ـ لا محالة ـ بحاجة إلى تمام المعرفة بها : ويبدو أن بعد الشقة حال بين الكاتب وتقديم تعريف شامل بالمحققة والمجلة على استعداد أن تقدم هذا التعريف اذا تفضل سيادته بالحديث عنها ..

مجلة الأزهر

---

(٨) منح المدح : ٢٢٤ .

مسجد (الرياض) فى لامو

للدكتور/ عبدالله نجيب محمد

كانت بداية تأسيس هذا المسجد سنة ١٣١٠هـ فى مدينة « لامو »، مركز الدراسات الاسلامية فى كينيا، ويقوم هذا المسجد بدور بالغ الأهمية فى نشر الإسلام، والتعليم الإسلامى عموما، كما أنه يحتل مركزا عظيما بين المساجد التاريخية، ذلك؛ لأنه أول مسجد قام بإيواء وإعاشة المبتعثين من مختلف جماعات شرق إفريقية وغيرها من البلاد[١]، فقد كان يَفِدُ عليه الطلاب والمبعوثون من « بوروندى » و« جزر القمر » و« موزمبيق » و« الصومال »؛ علاوة على المناطق الداخلية من كينيا ذاتها.

يعتبر هذا المسجد المدرسة الأم للمساجد والمدارس الكينية على الإطلاق، وهو أقدم المساجد فى « كينيا »؛ بل فى شرق إفريقيا كله، ويفخر المسلمون فى هذا البلد بهذا المسجد، ويعتبرونه بمثابة الجامعة الإسلامية.

وهو يقع على بعد مئات الأميال فى أغوار شرق أفريقيا. وكأنه قلعة إسلامية، تعلوه المنارة التى يدعو من فوقها الداعون إلى الإسلام والتوحيد.

---

(١) راجع كتاب الرياض: ص ٢٠

وإلى « الحبيب صالح بن علوى » و« الحبيب منصب أبى بكر الحسينى » يرجع الفضل فى تأسيس هذا المسجد وازدهاره ، وقد بُنى على قطعة أرض كبيرة مليئة بالأشجار السامقة ، وكان فى بدايته مجرد كوخ صغير للصلاة ، يتدارس حوله العلماء ، ويعلمون الناس القرآن وعلوم الدين ، ثم بنى بالأخشاب والطين والسعف ، ووضعت به جرة ماء كبيرة للوضوء ، وإلى جواره بنى كوخ آخر بالجريد والسعف ، كان يستخدم للسكن والإعاشة .

كان « الحبيب صالح » يؤم الناس فى الصلاة بمسجد « شيخ البلاد » عندما كان يسكن فى « لانغون » احدى ضواحى « لامى » ثم بعد مدة استقر عزمه على بناء مسجد الرياض بالحجارة ، وقد تم له ذلك بالفعل فى عام ١٣١٠ هـ وزين تدريجيا بالنقوش والآيات القرآنية ؛ أما فناء المسجد وقبته الفخمة ، فقد بناهما « الحبيب السيد عيدروس بن الحبيب صالح » عام ١٣٦٦ هـ ، والذى قيل فى حقه :

عيدروس العلا حليف الوفا والـ	جـود يعطى الموجود لم يخش فقرًا
قام فينا من بعد والده القطـ	ـب ابن علوى لينشر الهدى نشرًا
فازدهى مسجد الرياض على التقـ	ـوى كما أسسوه بل زاد فخـرًا

وقد أهدى العلامة الكبير « السيد أحمد بن أبى بكر بن سميط » للحبيب صالح أبياتا يهنئه فيها على إتمام البناء سنة ١٣١٩ هـ[٢] يقول فيها :

حلت به وبأهلــــه	نفحـــات قطب ناصح
غوث الــورى الحبشى على	المكرمــات المانح
سهــلت عمارتــه به	من سِــرِّ « طه » الفاتـــح
وبـــه حماه الله من	عين الحسود الكــاشح
نرجــو القبــول لمن بنــى	ولمن أتى بمصالح
ولزائــر من كــل غــادٍ	فى حماه ورائـــح
يامعشر الصلحـــاء دو	نكمـــو ريــاض الصالح
فيها ارتعــوا واصغــوا إلى	قول البليـــغ الشارح
فلقـــد أجـــاد مؤرخـــا	حسن الريــاض لصالح

(١٣١٩ هـ)

سبب التسمية :

وسمى المسجد بهذا الاسم تيمنا واقتداء بالمسجد المبارك المعروف بهذا الاسم بحضرموت ، والذى أسسه العارف بالله « الحبيب على بن محمد الحبشى » الصديق الروحى « للحبيب صالح بن علوى جمل الليل » .

---

(٢) الرياض ص ٢١ ، ٢٢ .

والمقصود بالرياض « رياض العلوم »[٣] اقتباسا من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ القائل : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : يا رسول الله . وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر . وفى رواية حلق العلم[٤] كذلك لأن هذا المسجد كان مركز العلوم . وأول معهد متكامل لنشر الثقافة الاسلامية على السواحل وفى شرق أفريقية ، ومنه تفرعت المعاهد والمدارس والزوايا ، وتخرج العلماء والقضاة والشعراء الذين كرسوا جل أعمارهم فى نشر الدعوة الإسلامية والإفتاء والوعظ والإرشاد كما كان منهم النابهون الذين أخرجوا لنا عددا من مؤلفاتهم باللغة العربية والسواحيلية .

وأبواب المسجد منذ تم تأسيسه لم تغلق يوما واحدا ، بل هى مفتوحة لكل من يريد أن يتفقه فى الدين ، كما أن المسجد يوفر لهم ما يمكنهم من السكنى والمعيشة .

مؤسس المسجد :

ومؤسس المسجد ـ كما سبق ذكره ـ هو « الحبيب صالح بن على جمل الليل » وهو الإمام العارف بالله الحبيب صالح بن علوى بن عبد الله بن حسن بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هرون ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن الشيخ محمد الشهير بجمل الليل . وهو ينتمى نسبا إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ولد بسنغان الانجيزيجة (جزر القمر) سنة (١٢٦١ هـ) وأمه مريم بنت على الملقبة .. « موانا ميجوانى » .. من قبيلة « أنىَّ رجب » إحدى قبائل جزر القمر . قدم جده السادس هارون من حضرموت في القرن العاشر الهجرى واستوطن « باتى » إحدى القرى التى كانت معمورة بالسلطة والعلم فى السواحل[٥] .. ، ثم هاجر جده الرابع الامام الحبيب عبد الله بن أحمد إلى إنجيزيجة (جزر القمر) فوافته المنية وهو فى سفينة الهجرة وكان فى رفقة ولده أحمد .

وصل ولدُه الحبيب أحمد إلى « إكونى » جزر القمر ، وتزوج هناك وأنجب ، وأمضى عمره داعيا إلى الله ومرشدا ، أما والد الحبيب صالح السيد علوى بن عبد الله » فقد عاش عمرا مديدا يعلم القرآن والفقه والعلم وتوفى سنة ١٣١١ هـ وخلف أولادا أشهرهم الحبيب صالح .

جاء الحبيب صالح إلى « لامو » أول مرة وعمره حوالى ١٨ سنة . ومكث فى « لامو » مدة سنة ، ثم رجع إلى « انجيزجة » وشُغِلَ بكتاب الله والذكر ومطالعة الكتب ، وعاش مع عمه « السيد على بن عبد الله جمل الليل » الذى قدم إلى « لامو » فى سنة ١٢٧٤ هـ ولحقة الحبيب صالح فالتقى بعلماء « لامو » ومنهم العلامة « الحبيب منصب أبو بكر بن عبد الرحمن الحسينى » ، والعلامة « الشيخ على بن محمد المعاوى » والعلامة « السيد علوى بن أبى بكر الشاطرى » والشيخ العلامة « أبو بكر المعاوى » والسيد « أَهْدَل بن أبى بكر الأهدل » وغيرهم ، وتلقى عنهم فنون العلم والمعرفة .

---

(٣) الرياض ص ٢٣

(٤) رواه الامام أحمد فى مسنده .

(٥) مخطوط الأستاذ محمد الشريف سعيد البيض .

وكان بين « الحبيب صالح بن علوى » وبين « الحبيب على بن محمد الحبشى الحضرمى صداقة متينة مع أنهما لم يلتقيا أبدا ، ولكن كتاب على بن محمد الحبشى « سمط الدر » قد ذاع فى شرق إفريقية على يد الحبيب صالح ، وكما أن مسجد الرياض بحضرموت مكتوب فيه هذه الأبيات

هذا الريـــاض وهـــذه أنهاره ... تجرى فيشرب عذبها عمـــاره
نالَ المقيم به نهايـــة قصده ... وكـــذاك نال مرادهـــم زواره

فإن نفس الأبيات مكتوبة ـ أيضاً ـ بمسجد الرياض بمدينة « لامو » .

كان الحبيب صالح » رجلا ورعاً ، كثير التفكير فى آلاء الله ونعمائه يؤثر العزلة والانفراد ، يجالس الناس بجسده ، ويباينهم بقلبه ، كما كان غزير العلم ، فصيح اللسان بالعربية ، وكان معجبا بهمزية البوصيرى يدرسها فى المسجد لتلاميذه . ومن أمثلة ورعه أنه كان يصوم رمضان ويفطر بما يجد : تمرة وكسرة من خبز وكوب ماء وكثيرا ما كان يتسحر بالماء فقط . ومازال بيته حتى الآن مفروشا بوسائد من ليف ، وسريره بالحبال وعليه حصير ، وكان يصلى على الخشب فى بيته حتى قال العلامة « الحبيب عمر بن أحمد بن سميط » حينما زار « لامو » وقعد فى هذا المكان :

وفى أكناف « لامو » لى حبـيب ... تمكـــن حبـــه بين الجوانح
وفى صحن الرياض لطيف معنى ... دموعـــى لا تزال له سوافـــح
لعلى أن أمس بحر وجهـــى ... مكـــان مسه قدم لصالح

وتوفى « الحبيب صالح » يوم السبت ٢ محرم سنة ١٣٥٤ هـ بعد عمر طويل مشهود له بطول الباع فى سباق الخير والجهاد فى سبيل الله ، ودفن بجوار عمه وشيخه « السيد على بن عبد الله جمل الليل » فى « لامو » وقبره يزار على مدار السنة ، وكان له من العمر ٨٥ سنة ، رحمه الله رحمة واسعة .

وقد أنجب الحبيب صالح عددا من الأولاد والبنات ، وكانوا خير خلف لخير سلف . ومنهم مشهورون ومشهورات بالعلم والدعوة إلى الاسلام ، وعلى رأسهم « السيد أحمد البدوى والحبيب عيدروس » ، وفاطمة (الملقبة شنغازمتون) .

ومن تلامذته : ولداه العلامةالإمام « السيد أحمد البدوى » « والحبيب عيدروس » ، ومن غيرهم الشيخ عبد الله بن محمد باكثير وأولاده ، والعلامة « الشيخ محمد بن على المعاوى » الشاعر البليغ(٦) والعلامة الشيخ سالم جمعان القصيرى » والعلامة « الشيخ على بن حسن القمرى » و « الشيخ عبد اللطيف بن عثمان القمرى » وغيرهم ، ممن كان لهم أبلغ الأثر فى ازدهار الثقافة الإسلامية فى البلاد من بعد شيخهم ، رحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم خير الجزاء عما قدموا لبلادهم وللمسلمين فى هذه الأصقاع من علم ومعرفة بالإسلام الحنيف .

---

(٦) ولد سنة ١٣٠٨ هـ وتوفى سنة ١٣٨٠ هـ وكان شاعرا بارعا ومتعلقاً بشيخه كثيرا .

الفتـــــاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

الحلف بالقرآن أو بآية منه يمين

من السيدة / أسماء ـــ ع ـــ م

سؤال :

هل الحلف بالقرآن العظيم كالحلف بالله تعالى بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا ؟ .... أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

إطلعنا على هذا السؤال :

ونفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعى وأحمد وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أوبآية منه أو بكلام الله يمين .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين .

قال ابن قدامة ـــ من الحنابلة فى المغنى مانصه : «وجملته أن الحلف بالقرآن أوبآية منه أو بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها . وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعى وأبو عبيدة وعامة أهل العلم .

وقال أبو حنيفة وأصحابه ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال : لا يعهد اليمين به ، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين به كما لو قال : وجلال الله وعظمته . وقولهم : هو مخلوق قلنا : هذا كلام المعتزلة وإنما الخلاف مع الفقهاء .

وقد روى عن ابن عمر أن النبى ـــ ﷺ ـــ قال : «القرآن كلام الله غير مخلوق» .

وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ . أى غير مخلوق الخ ما قال ..

وقد علل شمس الأئمة السرخسى كون الحلف بالقرآن ليس يمينا بأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن فقد جاء فى المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته «أنه اذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون مُولياً ، لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر فى الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفا لا يكون يميناً .

وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا : القرآن كلام الله تعالى والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يمينا ولكنا نقول : كلام الله تعالى صفة ولكن الحلف به غير متعارف . فكان هذا بمنزلة قوله : «وعلم الله» . وكذلك اختار صاحب الهداية فى تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب يمين على مذهب متقدمى الحنفية أنه غير متعارف ومن أجل ذلك ذهب صاحب «فتح القدير» الى أنه يمين لأن العرف الآن الحلف بالقرآن وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية أيضا للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقرآن والحلف باسم من أسمائه تعالى وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم ...

الاختلاف فى انقضاء العدة بالحيض

سؤال من السيد / ع ـــ جـ ـــ م

كنت متزوجا بإمرأة وطلقتها ثلاثا ، وهذه المرأة أخت من الرضاع وأريد أن أتزوج أخت مطلقتى من الرضاع وقد اختلفت مع مطلقتى فى انقضاء عدتها مع العلم بأن مطلقتى من ذوات الحيض .

فما الحل ؟

أفيدونا افادكم الله ...

الجواب :

إطلعنا على هذا السؤال . ونفيد : أنه قال فى شرح الدر قبل (فصل فى الحداد) ما نصه « كذبته فى مدة تحتمله لم تسقط نفقتها وله نكاح أختها عملا بخبريهما بقدر الامكان » ا هـ فى رد المختار ما نصه « وفى فتح القدير إذا قال الزوج : أخبرتنى بأن عدتها قد انقضت فان كانت فى مدة لا تنقضى فى مثلها لا يقبل قوله ولا قولها الا أن تبين ما هو محتمل من اسقاط سقط متبين الخلق فحينئذ يقبل قولها . ولو كان فى مدة تحتمله فكذبته لم تسقط نفقتها وله أن يتزوج بأختها لأنه أمر دينى يقبل قوله فيه ، ا هـ .

فالحاصل أن يعمل بخبريهما بقدر الامكان : بخبره فيما هو حقه وحق الشرع ، وبخبرها فى حقها من وجوب النفقة والسكنى .

مـــــيراث

السؤال من السيد / صديق على متولى

توفى رجل عن زوجة ، أخت شقيقة ، بنات أخ شقيق ، بنت أخ لأم / فمن يرث وما نصيبه .

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد : بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أويحجبها والباقى ردا عليها ولاشيء لبنات الأخ الشقيق ولا لبنت الأخ لأم لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم ..

السؤال من السيد / محمد ابراهيم محمد

توفيت امرأة سنة ١٩٩١ م عن ابن ، بنتين ، أولاد ابن ذكور واناث من زوجات / فمن يرث ما نصيبه

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلة وصحبة أجمعين أما بعد فنفيد : بأن تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى قبل أمه بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا تكون الجدة قد أعطتهم شيئا حال حياتها بدون عوض فتقسم التركة ثلاثة أجزاء جزء منها وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ...

العلوم الكونية

- أسس المنهج القرآنى .
- المشاكل الطبية النسائية .
- الجديد فى العلم والتقنية .

أسس المنهج القرآنى في بحث العلوم الطبيعية (*)

تأليف : ا.منتصر محمود مجاهد

عرض وتحليل : ا.د. أحمد فؤاد باشا

كثيرا ما يبدى أصحاب النزعة « العَلْمانيّة » عدم ارتياحهم للربط بين العلم والإسلام ، وهم يجدون مثلهم الأعلى فى حضارة الغرب المادية التى روَّجت الإعتقاد بأن الإنفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون « علمانيا » . لقد أدى هذا الإعتقاد الخاطىء فى بلاد المسلمين إلى حالة من الركود العلمى شُلَّت فى ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار ، ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج الإسلامى الرشيد فى توجيه العلوم ومقتنياتها ، فمثل هذا المنهج الربانى المتكامل هو الأقدر على تحقيق مستقبل أفضل للإنسانية ، تراعى فيه مصلحة الإنسان فى كل مكان وزمان ، بغض النظر عن فوارق اللون والجنس والعقيدة . وليس هناك من شك فى أن مثل هذا التصحيح الإسلامى لواقع الفكر الإنسانى المعاصر سوف يكون له أجل الأثر فى تصحيح وجهة العلوم وتقنياتها لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا ما درسوا الإسلام فى حقائقه ، واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ يكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقَّة بوصفه بحثا موضوعيا نزيها عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله ــ سبحانه وتعالى ــ على هدى وبصيرة .

فى ضوء هذه المعانى الإيمانية والحضارية يمكن أن نقدر قيمة موضوع الرسالة الجامعية التى نحن بصددها عندما نتناول بالدراسة والتحليل « أسس المنهج القرآنى فى بحث العلوم الطبيعية » .

تحتوى الرسالة على مقدمة وستة فصول وخاتمة ، وتستند إلى ١٨٧ مرجعاً عربياً وأجنبياً ، وتقع فى ٢٥٧ صفحة .

توضح المقدمة أهمية موضوع الرسالة من حيث أنها تحاول الاقتراب من كتاب الله الجامع الذى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ، وتتدبر منهجية ما يحويه من أمور كلِّية تتعلَّق بالحث على تحصيل العلم النافع وممارسة التفكير العلمى السليم ؛ من

• رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من قسم الدراسات الفلسفية بكلية البنات جامعة عين شمس بتقدير ممتاز بناء على توصية لجنة المناقشة المكونة من : ا.د. سهير فضل الله أبووافية ، و ا.د. منصور حسب النبى ، و ا.د. سهام النويهى ، و ا.د. أحمد فؤاد باشا .

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

أجل التعرف على حقائق السنن الكونية وكشف أسرار الوجود فى إطار مجموعة من الثوابت والمتغيرات التى تصف النسق العام لهذا المنهج الإسلامى .

وجاء الفصلان الأول والثانى بمثابة مدخل عام لتوضيح أهمية الخطاب القرآنى فى تكوين العقلية العلمية الإسلامية وتوجيهها نحو ضالتها وإعدادها لانجاز أعمال بنائية فى الفكر والحضارة . وقد أحسن الباحث استخلاص الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التى تستثير ملكات الإنسان الادراكية ، وتحذر من عوائق التفكير العلمى السليم ، وترشد إلى مقومات الاستدلال بمناهج علمية مناسبة ، والحق أن موضوع هذين الفصلين جدير بأن يعالج فى دراسة أو دراسات مستقلة تعمّق وتدعم الإتجاه الداعى إلى صياغة نظرية عامة حول « فقه » العلم فى الإسلام وبلورة نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى ، ذلك أن الأصل فى معنى لفظ « العلم » عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء ، وهو معنى مطلق غير مقيد بتخصيص معين ، أما تصنيف العلوم إلى نقلية وعقلية ، أو نظرية وتجريدية ، أو شرعية وطبيعية وإنسانية ، أو غير ذلك ، فهو تصنيف يضفى صفات تعبّر عن موضوعات العلم أو مصادره أو الطرائق التى يحصل بها بحسب تناسبها وقرب بعضها من بعض ، والعلوم التى يحث الإسلام على تحصيلها والاستفادة منها تشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح الموصول بالله الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ، ويمكّن ذلك الإنسان من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى هذا أن يكون العلم دينيا أو دنيويا ، مادام أنه فى خدمة رسالة الإسلام ، ولصالح الحياة والإنسان ، وإطلاق لفظ العلم جاء فى قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] ، كما ورد تحديد العلم النافع فى دعائه عليه الصلاة والسلام : « **اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يُسمع** »[3] ، ومقياس النفع هنا ليس ذلك المعيار الفردى الذى نراه فى الفلسفة « البراجمانية » ، وخاصة عند « وليم جيمس » ، وإنما هو صالح مجموع الأمة الإسلامية وإقامة أمر الدين الإسلامى ، فمصلحة الأمة وقيام أمر الدين صنوان لا ينفصلان .

وتأكيد هذا المعنى الإسلامى للعلم نورده هنا لإظهار مدى القصور فى المفهوم الشائع ، والمفروض علينا ، عن العلم فى مختلف الفلسفات الوضعية عندما يقصد به ـ فقط ـ الإعتماد على الملاحظة والتجربة بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطّراد الظواهر المادية التى يحاول الإنسان دراستها ، وغالبا ما ينصرف الذهن حينئذ بصورة كلية إلى ما يعرف باسم « العلم الطبيعى » Natural Science . ذلك أن العلم من المنظور الإسلامى يكون شاملًا لقسمين رئيسيين من العلوم الجزئية هما :

(١) العلوم التى لا يمكن للمسلم إلا أن يتلقاها

(٢) سورة طه : ٢٠

(٣) رواه مسلم وأبوداود والترمذى والنسائى .

من مصدر ربانى ، وهى العلوم المتعلقة بالعقيدة والقيم والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ونظام المجتمع .

والمصدر الرئيسى لهذه العلوم هو ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهَّرة .

(ب) علوم البحث فى ظواهر الكون والحياة ، وهى التى يظهرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أيدى من يشاء من عباده عن طريق البحث المنهجى السليم فى عالم الشهادة(٤) ؛ فيهتدى الإنسان إلى هذه العلوم بمداركه البشرية التى أنعم الله بها عليه ليبصر طريق المعرفة الصائبة ويفتح مغاليق الحضارة ، على أن تظل هذه العلوم الكونية فى عالم الشهادة دنيوية بعلاقاتها مع الأشياء ، وتعبّديّة فى نفس الوقت لصلتها بالخالق الواحد ـ جل وعلا .

فى ضوء هذا المعنى الشمولى للعلم الإسلامى الذى ينبغى على الأمة الإسلامية أن تحصّله ، وأن تعلّمه أبناءها ، لا تجد مبررا لما يتردد أحيانا فى مجال الحديث عن العلم من تفرقة بين ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية . ذلك أن « الفروض العينية » فى الاصطلاحات الشرعية تعنى أنها واجبة على كل فرد بعينه ، له مثوبتها إن قام بها ، وعليه عقوبتها إن تركها أو فرَّط فيها ، كما أن معنى « الكفائية » فى المواضعات الفقهية ما أثيب عليها فاعلها ، ولم يعاقب عليها تاركها ، بشرط أن يوجد فى الأمة الإسلامية من هو قائم بها ، سادٌّ مسدٌّ غيره فيها . أما إن لم يوجد من يقوم بها فإن التبعة عامة ، والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة المتأهلين لها بخلوّهم من الموانع وسلامتهم من العوائق(٥) ، فالواجبات الكفائية تتطلب من الدولة أن توفر العدد الكافى من المؤهلين للنهوض بها كأحسن ما يكون الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة ، وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار الشخص المناسب ويتحدد الجهد المطلوب ، أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين ، وعلى من كلّف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه(٦) . وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين ، فإنها تكون قد قصَّرت فى أداء الأمانة أيّما تقصير ، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تُلقى بأيديها إلى التهلكة .

وتأسيساً على هذا التصور الإسلامى لمعنى العلم ومكانته يكون البحث العلمى مرتبطا دائما بإرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ التى تكفل لنا استمرارية السنن الكونية ؛ لنراقبها وندركها وننتفع بها فى حياتنا ، بعد أن نقف على طبيعة علاقاتها ونستدل بها على قدرة الخالق ووحدانيته ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٧) . وهذا من شأنه أن يجعل الطريق مفتوحا دائما أمام

---

(٤) راجع فى ذلك : عبد الحليم الجندى ، القرآن والمنهج العلمى المعاصر ، دار المعارف ١٩٨٤ .

(٥) الشيخ أبوبكر جابر الجزائرى ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ـ المقدمة بتاريخ ١٤٠٣هـ .

(٦) الشيخ محمد الغزالى ، مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية ، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣م .

(٧) سورة فصلت : ٥٣ .

تجدد العلم وتطوره ، على أن تظل العلاقة بين إرادة الله واطراد سننه واضحة جليّة ، يفسر بها المؤمنون كل مالا يقوى العقل البشرى على استيعابه من قضايا الغيب والمعجزات التى أخبر بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى قرآنه الكريم أو جاءت على لسان نبيه الأمى العربى الصادق الأمين .

هذه بعض تصوراتنا حول ما ندعو إليه وأسميناه « بفقه » العلم فى الإسلام انطلاقا من تعاليم القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين ﷺ ، وانعتاقا من المصطلحات الوافدة التى تتعارض مع عقيدتنا وتشل عقولنا .(٨)

وإذا انتقلنا الآن إلى الفصل الثالث من الرسالة التى بين أيدينا نجد أن الباحث قد اهتم بمعالجة المنهج التجريبى عند علماء المسلمين وأثره على علماء الغرب ، وفصل الحديث حول سبق علماء أصول الفقه إلى استخدام المنهج الاستقرائى عندما تعرضوا لقضية تعليل الأحكام الشرعية وأوضحوا الشروط المختلفة للعلّة ومسالكها ، ثم اختار « البتانى » فى علم الفلك والحسن بن الهيثم فى علم الفيزياء وجابر ابن حيان فى علم الكيمياء ؛ ليوضح من خلال مناهجهم البحثية ممارستهم للمنهج التجريبى واستيعابهم لأصوله وقواعده ، وإذا كان الباحث قد وفق فى اختيار هذه النماذج المنهجية إلا أنه كان بحاجة إلى أمثلة توضيحية من واقع التراث العلمى الإسلامى لتوضيح مقدرة العقلية الإسلامية على الاستدلال الذى يصنع المعرفة على أساس منهجى سليم يتفق وطبيعة موضوع البحث ، ويعتمد على حسن استخدام الحواس والعقل معا ، حيث تكمن الميزة الأساسية للمنهج الإسلامى فى أنه عقل تجريبى فى آن واحد .

وعرض الفصل الرابع لأهم مشكلات الاستقراء عند علماء المسلمين (جابر والبتانى وابن الهيثم والغزالى) وعلماء الغرب (مل وهيوم وبول موى) ، بعد أن قدم شرحا مقبولا لفكرة السببية فى القرآن الكريم ، واستعان الباحث بنصوص تراثية للإمام الغزالى توضح موقفه من مبدأ الاستقراء المتمثل فى أن عمومية الحكم بالجزئى على الكل دون استقراء جميع الجزئيات لا يورث يقينا وإنما يحرك ظنا وربما يقنع اقناعا يسبق الاعتقاد إلى قبوله ويستمر عليه . وعقد مقارنة تحليلية بين هذا الموقف وموقف « كارل بوبر » الذى يعتبر أن مبدأ الاستقراء زائد عن الحاجة وأنه يفضى حتما إلى « اللا إتساقات » المنطقية .

وقد وجد الباحث فى تراثنا الإسلامى مادة وفيرة ساعدته على إبراز الجوانب العقلانية فى الفكر الإسلامى ومقارنتها بنظريات فلسفة العلم المعاصرة .

واهتم الفصل الخامس بمعالجة قضية المنهج العلمى المعاصر وبيان عناصره والأسباب التى أدت إلى الأخذ به فى موضوعات الفيزياء الحديثة والمعاصرة التى تقتضى نوعا من الفروض الصورية القائمة على قوانين علمية سبق التوصل إليها على أساس من الخبرة الحسية والملاحظة والتجربة ، وحاول الباحث أن يفرق بينه وبين الفرض الاستقرائى ، كما عرض لبعض تعاريف الفرض وشروطه وناقشها فى ضوء آراءٍ لابن الهيثم

(٨) راجع مؤلفنا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م ، ودراستنا : « نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية ، مجلة المسلم المعاصر ، ع٥٤ (١٩٨٩ م) .

و « كارل بوبر » و « توماس كون » ، ثم عرض بعد ذلك لقضية اختبار النظريات العلمية والتثبت من صدقها .

وأخيراً يأتى الفصل السادس من الرسالة ليعرض موضوع الحركة فى الكون كمثال لتطور بعض النظريات العلمية فى ضوء القرآن الكريم ، فبين كيف تبلورت فى عصر الحضارة الإسلامية أسس علم الميكانيكا الذى كان مرتبطا عند الإغريق بالنظريات الفلسفية ، فأدى استخدام المنهج التجريبى ـ لأول مرة فى تاريخ العلم ـ إلى تحديد الكثير من المصطلحات والمفاهيم الميكانيكية ووصف حركة الأجسام وأنواعها ، وخصص الباحث جزءاً من هذا الفصل لموضوع الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والأدلة القرآنية على كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وكذا دوران الشمس وكواكبها حول مركز المجرة .

واستشهد بدراساتٍ معاصرة فى هذا المجال لحساب سرعة الضوء باعتبارها الحد الأقصى للسرعة الكونية كما فهمها من بعض معانى آيات القرآن الكريم . وهذه القضايا وثيقة الصلة بالمنهج القرآنى وإشاراته إلى الحقائق الكونية المتفقة مع نتائج البحث العلمى السليم ، لكن الضوابط المنهجية للبحث فيها كانت بحاجة إلى المزيد من الإيضاح والتدقيق .

ثم جاءت الخاتمة بعد ذلك فى أربع صفحات لتشير إلى أهم نتائج البحث التى سبق أن أوضحناها ، وتوصى بضرورة تصحيح تاريخ العلم وإعادة النظر فى الترجمات القديمة من أجل إبراز الدور الحقيقى لعلماء المسلمين فى إرساء قواعد المنهجية العلمية ودفع حركة التقدم العلمى والازدهار الحضارى .

ويؤخذ على الرسالة عموماً فى صورتها الحالية عدة ملاحظات نوجز أهمها فيما يلى :

١ ـ تصرف الباحث فى بعض النقول بما يؤدى أحيانا إلى الابتعاد عن المعنى المقصود فى النص المنقول من المصدر الأصلى ، على نحو ما نجد فى صفحة ٦ عن نص مقتبس من كتاب « التفكير فريضة إسلامية » للعقاد ، وفى صفحة ١٧٠ عن نص مقتبس من كتاب « فلسفة العلوم بنظرة إسلامية » لصاحب هذا التحليل .

٢ ـ الاقتصار على المصدر القرآنى فى توصيف المنهج العلمى وتحديد المقصود الأصلى والغرض الحقيقى للعلم فى الإسلام ، وهذه نقطة ضعف جوهرية كان بالإمكان تفاديها بالرجوع إلى السنة النبوية المطهرة وأمهات الكتب التراثية لإثراء الصياغة وتعميق المناقشة .

٣ ـ كثرة الأخطاء المطبعية واللغوية فى الرسالة بصورة عامة .

لكن هذه الملاحظات لا يمكن أن تقلل من قيمة الرسالة ومن الجهد الكبير الذى بذل فى اعدادها ، وهى بلا شك تقدم رؤى جديدة على طريق الانعتاق من النماذج الوضعية الوافدة الجاثمة على عقولنا والمبددة لجزء كبير من طاقتنا .

هذا .. وبالله التوفيق ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من تاريخ أرض القرآن

قوم عـــاد

للدكتور ـ عبدالعزيز عزت عبدالجليل(*)

لقد عنى القرآن الكريم بذكر أحوال الأمم السابقة ، وقص علينا ما كان من أمرها ، وكيف كان عاقبة كفرها بالله ومن أهم الأقوام والقبائل فى تاريخ أرض القرآن : عاد وثمود وسبأ وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع وأصحاب الحجر وغيرهم .

وحين نتناول الحديث عن «عاد» و«أرض عاد» ينبغى أن نضع ـ ابتداء ـ المُسَلَّمَات التالية :

١ ـ أن «عاداً» قوم هود هم عَادٌ الأولى ، وهم (عَادٌ) الذين أَبَادَ اللهُ ـ تعالى ـ كافرهم ، فلم يبق منهم نَسْلًا ، وهم المقصودون فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠] . وأنجى جميع من آمن منهم بالنبى «هود» ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . قال ـ تعالى ـ عنه وعنهم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود : ٥٨] .

٢ ـ ثم طال بمؤمنيهم العهد ، وتناسلوا ، وشيئاً بعد شىء من قرون طويلة وقع الأحفاد فى الوثنية من جديد .

٣ ـ (أرض عاد) أجمع المؤرخون المسلمون على أنها بجنوب الجزيرة العربية ، ونظر د. جواد علىّ إلى اللفظ أى : (الأحقاف) من حيث اللغة ، كما استند إلى ما أورده بطليموس فجعلهم من سكان منطقة (حِسْمَى) فى أعالى الحجاز وذلك مخالف للكشوف الحديثة .

«عاد الأولى» :

والحديث عن قوم عاد ، وعاد ـ فى الحقيقة ـ مرادف للأمم السامية السابقة القديمة ، و«لفظ عاد» لا يوجد له معنى فى اللغة العربية[1] ، ولكننا إذا رجعنا إلى أصله فى اللغة العبرية التى تعتبر من أقدم اللغات السامية وجدنا أن لفظ **(7y)** عاد معناه المرفوع ، والشهور ، وكذلك (معنى إِرَم)**(ﮯ177)** ورشم ، وتعدى أثر ذلك إلى اللغة العربية فصار معنى إِرَم : «جبلى» أى مرتفع والعلامة أى الشىء الظاهر .

وقد جاء لفظ عاد فى التوراة اسماً مذكراً ففى «أخبار الأيام الأول» سفر ٧ النص رقم ٢١ و٢٢ ما يأتى :

"وبنو أفرايم شوتالح وبرد ابنه وتحت ابنه وألعادا ابنه وتحت ابنه ٢١ وزاباد ابنه وشوتالح ابنه وعزر وألعاد وقتلهم رجال جت المولودون في الأرض لأنهم نزلوا ليأخذوا ماشيتهم .

(*) الكاتب : مدير عام الشئون الفنية بمكتب الإمام الأكبر .

(١) أى ـ فيما عدا معنى الفعل : وهو الرجوع والارتداد ، وزياداته ، ومشتقاته . انظر الوسيط .

كما ورد (لفظ عاد) للمؤنث فى مواضع مختلفة ففى سفر التكوين إصحاح ٣٦ النص رقم (٩) « وَهَذِهِ مَوَالِيدُ عِيسُو أَبِى أَدُومَ فِى جَبَلِ سَعِيرِ ، هَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِى عِيسُو أَلِيعَازُ بن (عَدَا) امْرَأَة عِيسُو...»

وفى البداية والنهاية للإمام ابن كثير المجلد الأول ص ١١٠ عن قابيل بن آدم وما عوقب به لقتله هابيل :ـ والذى رأيته فى (الكتاب) الذى بأيدى أهل الكتاب ـ الذين يزعمون أنه التوراة : أن الله عز وجل ـ أجله وأنظره ـ وأنه سكن فى (أرض نود) فى شرق عدن وهم يسمونه «قنين» وإنه وُلِدَ له (خنوخ) ولخنوخ (عندر) ولعندر (محوايل) ولمحوايل (منوشيل) ولمنوشيل (لامك) وتزوج هذا امرأتين ـ عادا وأصلا ـ فولدت عادا ولدا اسمه (ايل) وهو أول من سكن القباب واقتنى المال .

ومن هذا يتضح أن (لفظ عاد) قد استعمل اسما مذكراً ومؤنثاً فى العهود القديمة .

وقد ذكر المؤرخون العرب أقولًا فى (حقيقة عاد) فالإمام ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية يقول : هود ـ عليه السلام ـ هو هود بن عبدالله بن رياح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إرَم بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ذكره ابن جرير ، وكان من قبيلة يقال لها : عاد بن عوص بن سام بن نوح ـ عليه السلام .

منطقة الأحقاف :

كانت قبيلة المبعوث فيهم هود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ تقيم بـ«الأحقاف» وهى جبال الرمل الواقعة فى شمال (حضرموت) وفى شمالها (الرُّبعُ الخالى) وفى شرقها «عُمان» بأرض تطل على البحر يقال لها : «السجر» واسمُ وَادِيهِمْ (مغيث) وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾[1] أى (عاد إرم) وهى عاد الأولى التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها : ﴿ وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾[2] وأما عاد الثانية فمتأخرة .

و«عاد الأولى» عَبَدَةِ الأصنام بعد الطوفان ، قيل : كانت أصنامهم ثلاثة (صدا وصمودا وهرد) فبعث الله فيهم أخاهم هودا ـ عليه السلام ـ ودعاهم إلى الله كما قال ـ تعالى ـ بعد ذكر قوم نوح ـ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾[3] وعلى كل حال فإن قبائل عاد التى عاشت قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف سنة تنتسب إلى من أطلق عليه هذا الإسم .

وتفيد المصادر التاريخية أن عادا حكمت مصر وبابل قبل المسيح بألفى سنة . وإذا صح هذا فهم من النسل الذى نجا أصْلُهُ المؤمن ، وعرفوا فى مصر باسم الهكسوس وفى «أنوار توفيق» فى أخبار مصر جـ ٨ ص ٥٠ طبع مصر ١٢٥٨هـ ودولتهم تسمى الهكسوس واشتهروا بالتواريخ باسم (الملوك الرعاة) وفى كتب

---

(١) الفجر ٦ ، ٧ .
(٢) النجم ٥٠ .
(٣) الأعراف ـ ٦٥ ـ هود ٥٠ .

التواريخ الإسلامية يقال لهم العمالقة .

ويقول العلامة ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فى تاريخه عن الأمم السامية الأولى فمنهم : العماليق ، أمم تفرقوا فى البلدان ، ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ويقول المؤرخ ابن خلدون فى كتاب العبر حـ ٢ ص ٢٥٩ : إن قوم عاد والعمالقة ملكوا العراق يقال : إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنوحام .

ويذهب المؤرخ اليعقوبى إلى القول - عن قوم عاد : «فلما ملكوا النساء طمع فيهم العمالقة ملوك الشام ، فغزاهم ملك العمالقة ، وهو يومئذ «الوليد بن دومع» وطىء البلاد فرضوا أن يملكوه عليهم ، فأقام دهراً طويلًا ، ثم ملك بعده ملك آخر من العمالقة ، يقال له : الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف .

وفى (معجم البلدان) لياقوت الحموى : «وقيل : إن فراعنة مصر كانوا من العماليق وكان منهم فرعون إبراهيم ، وفرعون يوسف ، وفرعون موسى» .

وفى رواية للطبرى - وإنه مَلَّكَ على مصر أخاه (سنان بن علوان) وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن .

ويقول ابن خلدون : إن بعض ملوك القبط استنصر ملك العمالقة لِعَهْدِهِ فجاء معه وملك مصر .

إن قصة عاد فى القرآن الكريم قد أورد المفسرون فيها آراء متعددة منها : ما هو خيالى كأولئك الذين ذهبوا إلى أن المقصود من (إرم) أنها كانت حديقة عجيبة التكوين قوالبها ذهب وفضة ، بناها الملك (شداد بن عاد) ليضاهى بها قصور الجنة وغير ذلك مما قيل عن إرم ذات العماد الواردة فى قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ .

لقد بلغت عاد من القوة والعظمة والتفوق السياسى ما يضيق به المقام عن ذكره هنا حتى قالوا - عن أنفسهم : ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾(١) - وكيف لا والقرآن الكريم يحكى فى شأنهم ما بلغوه فى مقام البنيان « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ » ولكن الله - تعالى - أهلكهم لما كذبوا هوداً بريح صرصر عاتية ؛ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾(٣) .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٤) وهى عاقبة كل من يخرج على منهج الله تعالى فى كل زمان ومكان وعلينا أن نقرأ ونتدبر آيات الله فى شأن عاد فى سورة الأعراف والشعراء والأحقاف والفجر وحم والسجدة وغير ذلك .

وصدق الله العظيم - لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ..

(١) فصلت - ١٥ .
(٢) الشعراء ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٣) الحاقة ١ - ٨ .
(٤) هود - ١٠٢

المشـاكل الطبية النسائية

د. أحمد رجاء عبدالحميد

فى هذه الحلقات سوف نقوم بتبسيط كل المشاكل الطبية التى تواجه المرأة المسلمة بلغة سهلة ولكنها دقيقة علمياً ، وسوف نبدأ بشرح مبسط لفسيولوجيا وتشريح جسم المرأة ، ثم نقوم بشرح مشكلات الدورة الشهرية والنزيف ، ويتلوها المشاكل البولية والأمراض التناسلية ثم الحمل والولادة ثم شرح لوسائل المباعدة بين الحمل والحمل حتى يتسنى للمرأة إرضاع طفلها والحفاظ على صحتها .

الجهاز التناسلى للمرأة

يتكون الجهاز التناسلى للمرأة من :

أ ـ المبيضين لتكوين البَيْضَـة مرة واحـدة شهريا .

ب ـ قناتى (فالوب) (البوقين) لحمل البييضة إلى الرحم .

جـ ـ الرحم لاستقبال البَيْضَـة الملقحـة ، وحمايتها طوال مدة الحمل ، بما فى ذلك التغذية والأكسجين وخلافه

د ـ المهبل : وهو المجرى الـذى يؤدى إلى الرحم ، ويستقبل الحيوانات المنوية التى يقذفها العضو الذكرى .

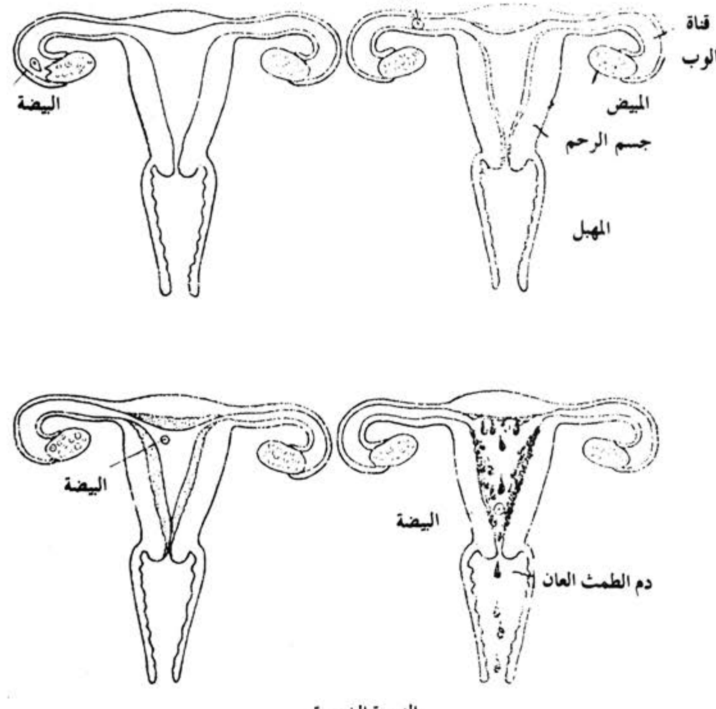

الدورة الشهرية

الدورة الشهرية

تتراوح مدتها ما بين واحد وعشرين يوماً إلى خمسة وثلاثين يوماً من اليوم الأول للدورة إلى اليوم الأول للدورة التالية ، وأقل أو أكثر من ذلك تعتبر غير طبيعية ولابد من استشارة طبية .

تحت تأثير الهرمونات(*) التى يفرزها المبيضان تنمو بطانة الرحم ، وفى حالة عدم حدوث حمل نجد أن هذا الغشاء يتساقط مع نزول الدم ، ويحدث (الطمث ـ الحيض الذى تتراوح مدته ـ عادة ـــ من ثلاثة إلى خمسة أيام وقد يمتد أكثر أو أقل من ذلك بقليل ، وكمية الدم الذى تفقده السيدة يتراوح بين (٥٠) إلى (١٠٠) سم٣ ، تتكون هذه الكمية من دم ومخاط وقطع صغيرة من الغشاء المبطن لجدار الرحم وبعض خلايا جدار المهبل ، وعادة لا يحتوى الدم على قطع متخثرة (متجلطة) إلا فى حالة حدوث نزف وذلك لوجود (أنزيمات) فى الغشاء المبطن للرحم تمنع تجلط دم الطمث .

بعد نهاية حدوث الطمث يكون الغشاء المبطن للرحم ليس به إلا (الطبقة القاعدية)فقط ، ونتيجة لإفراز (هرمون الأستروجين) تنمو الطبقة السطحية من خلايا الطبقة القاعدية ، وتسمى هذه المرحلة (مرحلة النمو) وعندما يحدث (التبييض) وتتحول الحويصلة إلى الجسم الأصفر تجد الدم قد صار يحتوى على (هرمون البروجيستيرون) بالإضافة إلى (الاستروجين) وتحت تأثير (البروجيستيرون) يزيد نمو الطبقة السطحية للغشاء المبطن للرحم ، وتنمو الغدد المخاطية به ، وتتخزن مادة (الجليكوجين) فى خلاياه .

كل هذا استعداد لاستقبال البييضة الملقحة وتغذيتها فى حالة حدوث حمل ، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة (النمو الإفراوى) .

وعند ضمور الجسم الأصفر وانخفاض مستوى (هرمونى : الاستروجين والبروجيستيرون) عن مستوى معين تنقبض على الأوعية الدموية المغذية للطبقة السطحية للغشاء المبطن للرحم وتتساقط فى تجويف الرحم مع نزول دم وتخرج هذه الخلايا المتحللة مع الدم إلى الخارج مكونة دم الطمث وبذلك تنتهى دورة وتبدأ دورة جديدة .

كيف يتم الحمل :

يبدأ تَكَوُّن الجنين بخلية واحدة ، نصفها من الرجل ، والنصف الثانى من المرأة كما يلى :

١ ـ أثناء الجماع تخرج الحيوانات المنوية من خصية الرجل فتمر عن طريق العضو الذكرى إلى أعلى المهبل قريبا من فتحة عنق الرحم ، ومن هنا تعتمد الحيوانات المنوية على حركة ذيلها لتمر بتجويف عنق الرحم ، ثم الرحم حتى تصل إلى قناة المبيض (قناة فالوب) .

٢ ـ إذا حدث والتقى حيوان منوى واحد بَيْضَـة يتحد الاثنان ويكونان البَيْضَـة الملقحة التى تتجه إلى تجويف الرحم وهذه هى البداية الحقيقية للحمل .

٣ ـ تصل البَيْضَة الملقحة إلى الرحم لتنغمد فى جداره الداخلى ، وتبدأ فى النمو على هيئة الجنين ، وخلال الأشهر التسعة للحمل يعتمد الجنين فى نموه وغذائه وتنفسه على علاقته بالأم عن طريق المشيمة (الخلاص) .

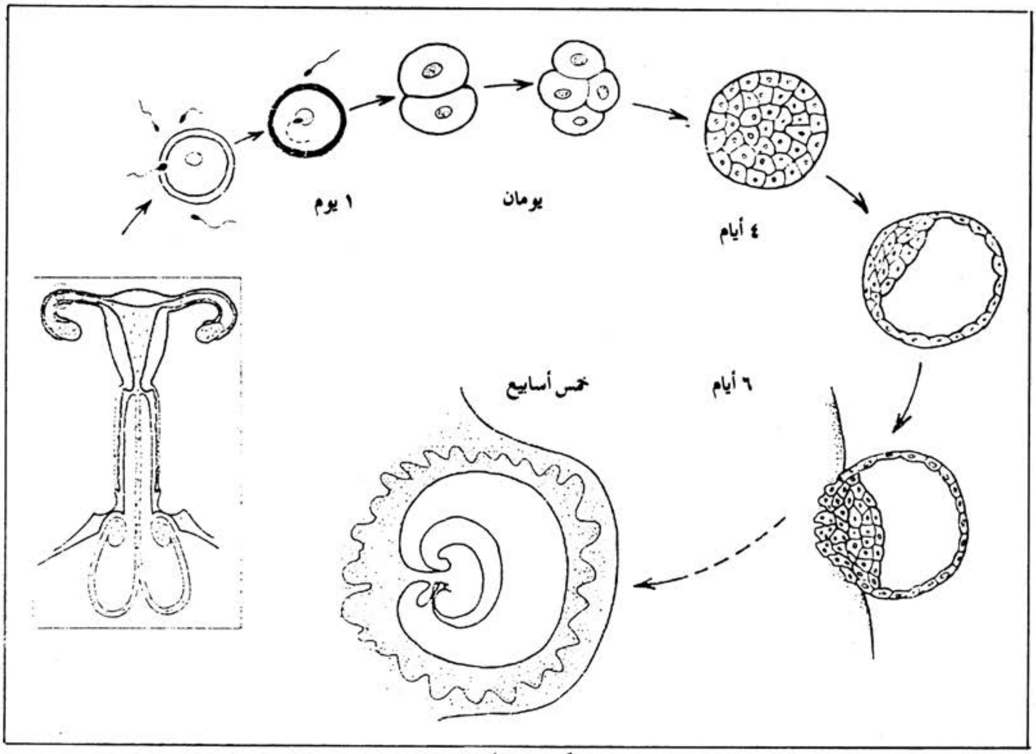

كيف يتم الحمل

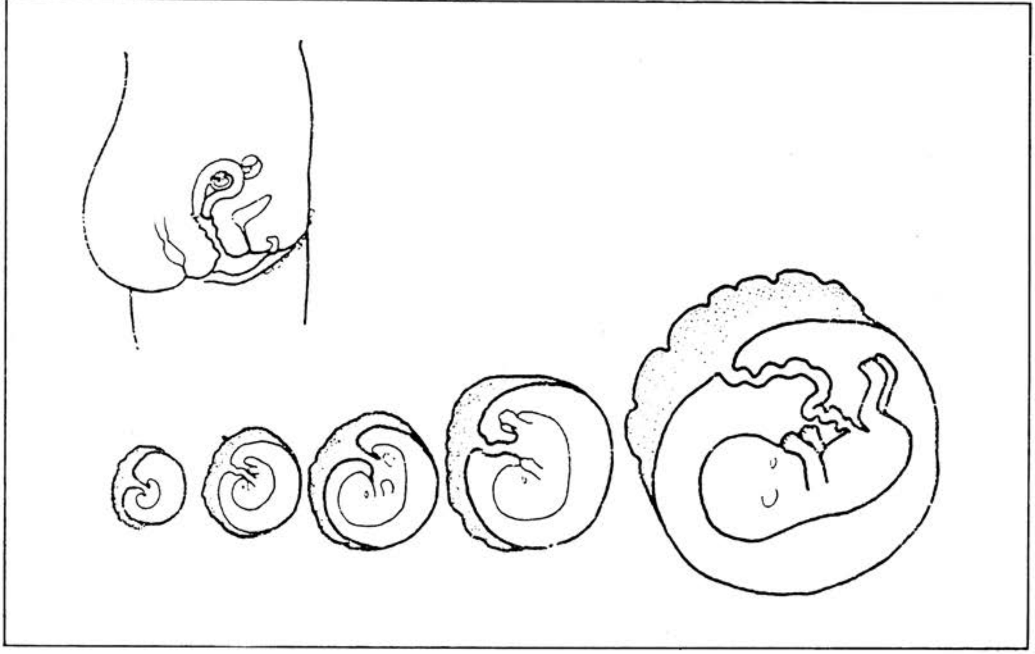

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د . نجوى السيد أحمد

دواء جديد لمواجهة نقص الأكسجين

نجح العلماء الأوكرانيون فى التوصل لانتاج دواء جديد يرفع من قدرة الجسم البشرى على تحمل ظروف نقص الأكسجين أو التسمم الناتج عن الاختناق بالغازات . وأوضح متحدث باسم أكاديمية العلوم بأوكرانيا أن الدواء الجديد حقق نتائج طبية فى علاج الأمراض المهنية بالنسبة للعاملين فى المناجم وصناعة الحديد والصلب .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

سيارة جديدة تتحكم فى القيادة

ساعد التقدم التكنولوجى مصممى السيارات على تصميم سيارات تحتوى على جميع وسائل الراحة والأمان والرفاهية . فالسيارة الحديثة والتى تسمى « بالسيارة الكمبيوتر » بها حاسبات الكترونية دقيقة تشرف على توفير الأمان لقائد السيارة وتقوم بتشغيل معدات جديدة بكل دقة وبسرعة فائقة ، كما إنها مجهزة برادار فى مقدمتها يقوم بتحذير السائق عن طريق الكمبيوتر الموجود أمامه فى لوحة القيادة بأنه على وشك الاصطدام بعائق أمامه كما يقوم بتنبيه السائق عند اقتراب سيارة أخرى منه ، والسيارة مجهزة أيضا بأجهزة استشعار تكتشف المطبات والحفر بالطريق وتتفاداها «أتوماتيكيا» بدون أى تقليل من سرعتها أو الاصطدام بسيارة أخرى .

جهاز لتسجيل بصمة العين

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية جهازا لتسجيل بصمة العين حيث ثبت إنه لا يمكن أن تتشابه بصمة عينين أبداً ، وبنظر الشخص فى عدسة الجهاز لمدة ثانية واحدة ونصف الثانية تؤخذ بصمته . ويمكن استخدام هذه الطريقة الحديثة للتعرف على مرتكبى الجرائم .

إنتاج أكبر مرآة فى العالم

على ضفاف نهر «الراين» بباريس ، يجرى الآن إنتاج أكبر مرآة فى العالم على مساحة من الأرض تبلغ ٢٤٠٠ متر مربع ، حيث يصب ٤٥ طنا من الزجاج المصهور على نوع من القرص الدوّار بسرعة ٦ دورات تقريباً فى الدقيقة . بهذه الطريقة تتخذ المادة الزجاجية الخام شكل القرص المحدب ، ثم يعالج الزجاج بطبقات رقيقة جدا من الألمونيوم حيث يشكل سطح المرآة .

جهاز لإيقاظ العاملين فى مهن شاقة

ابتكرت شركة يابانية جهازا لايقاظ من يعملون فى مهن شاقة ويغالبهم النعاس أثناء العمل . وتتلخص فكرة الجهاز فى إنه مكون من خاتم يوضع حول أصبع السبابة ومتصل بجهاز تنبيه يوضع حول المعصم ، ويقوم جهاز التنبيه بإصدار ذبذبات مزعجة لايقاظ النائم إذا لم يتحرك أصبعه لفترة محددة . وكانت شركات السكك الحديدية اليابانية تستخدم وسائل متنوعة لاستمرار استيقاظ سائقى القطارات من بينها الموسيقى ونفاذ رائحة منبهة من خلال أجهزة التكييف .

آلة جديدة لإنتاج قوالب الشمع

أنتجت شركة بريطانية آلة متطورة تستطيع بسرعة وبدقة إنتاج عدد كبير من قوالب الشمع التى تستخدم فى صناعة تيجان الضروس والجسور والاسطوانات التى تستخدم بدورها فى علاج الأسنان وتستطيع الآلة الجديدة إنتاج ١٢ قالباً متماثلا خلال ثوان معدودة بمستوى عال من الدقة .

توليد الطاقة الكهربائية من أمواج البحر

فى اليابان تجرى دراسات للاستفادة من أمواج البحر لتوليد الكهرباء حيث تعمل الأمواج على دفع الهواء داخل وخارج أجهزة حديثة فيدير توربينات هوائية ومولدات لإنتاج الكهرباء . وتعتبر هذه الطريقة من الطرق الحديثة لإنتاج الكهرباء الرخيصة والنظيفة والتى لا تتسبب فى تلوث البيئة ، كما إنها تؤدى إلى تهدئة هذه الأمواج مما يتيح الاستفادة من المياه الساحلية فى تربية وصيد الأسماك .

جهاز لتشخيص بعض أمراض الكبد والكلى

ابتكر معهد « بانيل » للأبحاث العلمية فى نيويورك جهازاً جديداً يساعد على تشخيص بعض أمراض الكبد والكلى فى دقائق معدودة عن طريق تحليل التنفس . فقد أثبتت الأبحاث وجود كيماويات معينة فى الجهاز التنفسى للمصابين بهذه الأمراض يمكن للجهاز الجديد قياسها وتقديم النتيجة للطبيب فى دقائق معدودة .

أحدث التجارب فى مجال علاج الأورام السرطانية

تجرى حاليا فى الولايات المتحدة تجربة جديدة قد تحدث ثورة فى مجال علاج الأورام السرطانية وذلك عن طريق حقن إحدى « الجينات » الوراثية فى الورم السرطانى مباشرة لتحفيز الجهاز المناعى لمقاومة السرطان . ويقول العلماء فى جامعة « ميتشجان » الأمريكية إنهم سيقومون بحقن مادة (دى. إن. إيه. DNA) فى الأورام السرطانية لإعادة تدريب الجسم على مكافحة المرض بنفسه أى لدفع الجهاز المناعى للتعرف على جسم غريب لم يكن يعرفه من قبل ، وجاءت نتائج التجارب التى تجرى على الحيوانات مشجعة تماما ..

بروتين طبيعى للتخلص من الجلطة الدموية

قامت مجموعة من العلماء الأمريكيين بتطوير بروتين طبيعى يحلل جلطات الدم مما يجعله أكثر كفاءة فى علاج نوبات القلب وجلطات المخ ، ويستخدمه الأطباء فى علاج الحالات الخطرة التى تنشأ نتيجة لجلطات الدم التى تسد الشرايين . وقد ثبت أن البروتين المطوّر أنقذ كثيراً من الناس خلال بضع ساعات من ظهور أول أعراض الاصابة بنوبة القلب .

إنتاج أنواع من « البلاستيك » المقاوم للصدمات

تم التوصل إلى إنتاج خليط من المواد المكثفة والبلاستيكية الجديدة ، تتنوع مجالات استخدامها وفقاً لتعداد المواد المكونة لها وإمكان مزجها وشحنها وتقويتها من أجل تحسين خصائصها . ومن المجالات التى تستخدم فيها ، صناعة السيارات والأجهزة المنزلية ، بالإضافة إلى أن هناك مكثفا يتم تصنيعه من مادة على شكل بودرة مسامية تستطيع امتصاص كميات كبيرة من البلاستيك يمكن استخدامه فى معالجة النفايات وعدم التلوث .

اللغة والنقد والأدب

عرض ونقد للأستاذ الدكتور

السيد تقى الدين

هذا هو عنوان كتاب الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالغنى شامة والكتاب مجموعة من الأحاديث الإذاعية فى الموضوعات التى يحرص المسلم على معرفة أحكامها حتى تكون طاعته لله قائمة على أساس سليم ، وقد بدأها المؤلف ببيان أحكام الطهارة والصلاة ؛ لأن الصلاة عماد الدين ومن أقامها أقام الدين . كذلك وضَّح المؤلف الأحكام الرئيسية التى تتعلق بالزكاة والصيام والحج حتى يعرف المسلم الطريق الصحيح لتأدية أركان دينه الخمسة فيطمئن قلبه وتهدأ نفسه ، ثم بيَّن المؤلف أحكام الزواج والطلاق ؛ لأنهما كما يقول المؤلف يأتيان فى المرتبة الثانية بعد الأركان الخمسة ، إذ كلاهما أحد الأنظمة الثلاثة - الأسرة والاقتصاد والحكمة التى يقوم عليها بناء المجتمع المسلم فلو قامت الحياة الزوجية على أسس إسلامية لاستقامت الحياة بصلاح أفراد المجتمع الذين نشئوا فى ظل الأسرة الإسلامية ، ولا شك أن ذلك ينعكس على جميع مجالات الحياة وأنشطتها .

ولقد حاول المؤلف جاهداً - كما يقول - أن يلخص آراء الفقهاء فى هذه الأحاديث بأسلوب عصرى بحيث يمكن ترجمته إلى اللغات الأجنبية المتعددة ؛ لأن إذاعة القاهرة أتاحت فى برامجها الأجنبية المساحة الكافية لبث هذه الأحاديث عبر الأثير إلى مسامع المسلمين فى قارتى أفريقيا وآسيا بلغاتهم المحلية والرسمية فقدمت بذلك خدمة جليلة فى مجال الثقافة الدينية .

ولا أستطيع أن أخفى إعجابى الكبير بالكتاب ، ولا بصاحب الكتاب لأن العالم الآن - إن فى الشرق وإن فى الغرب - يموج بتيارات ومذاهب متعددة بعد انهيار الشيوعية ، والعالم الآن يبحث عن طريق الهداية ويحتاج إلى الداعية المستنير البصير بأمور دينه القادر على توصيل الدعوة إلى الناس فى مشارق الأرض ومغاربها باللغة التى يفهمونها ويستطيبونها ، وحين يوجد هذا الداعية ، ويؤدى رسالته على الوجه الأكمل فإنى أحسب أن الله سيهدى على يديه الكثير ليس فى مصر أو فى البلاد العربية والإسلامية وحسب ، ولكن فى تلك الأقطار التى تعانى من فقدان عقيدة التوحيد وضياع القيم الروحية والانغماس فى حمأة المادية ؛ لأن هذا الداعية سيقدم الإسلام على أنه مادة وروح ، دين ودنيا ، عقيدة وشريعة ، عبادة وقيادة . وأحسب أن الزميل الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالغنى شامة من أولئك الدعاة الأفذاذ .

وإذا كان الزميل الفاضل قد ذكر فى مقدمة كتابه أن الإنسان يميل بفطرته إلى الاعتقاد فى قوة أعلى منه تسيطر على مجريات أموره فى هذه الحياة فيخضع لها خضوعاً كليا ، وينفذ أوامرها إرضاء لها . إذا كان الأمر كذلك فقد كنت أود أن يشتمل الكتاب على فصل عن رسالة التوحيد ودورها فى الحياة الدنيا والآخرة ذلك أن المنطلق فى الإسلام من هذه الزاوية .

هذا وقد أشار الزميل الفاضل إلى طبيعة الحياة فى العصور القديمة وأثرها على بقاء شعلة النشاط فى مجال الدين متوهجة ، وأن أساليب السعى على الرزق لم تمنع الناس من ارتياد مجالس الفقهاء والدارسين ، وأنه كان من اليسير على المسلم أن يصل إلى حكم يرتضيه نفسيا ويطمئن إلى سلامته دينيا ، إذ كان العلماء من كل مذهب على استعداد للرد على أسئلة الناس وإن استغرق ذلك وقتا طويلا ، لأنهم لم يكونوا فى عجلة من أمرهم فلم تضغط عليهم الحياة لتدفعهم إلى الإسراع فى كل شىء .

أما طبيعة الحياة فى القرن العشرين الميلادى فلم تعد تهيىء للإنسان الاستقرار الذى يمكنه من التفقه فى دينه أو يعطيه من الوقت ما ينفقه فى حلقات الدروس الدينية .... كذلك لم يعد للعالم الوقت الكافى ليبحث بحثا متأنيا أو ليعلم الناس ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فى هذه الحياة .

ولا شك أن طبيعة العصر وروحه لهما تأثير كبير فى الحركة الثقافية ، إلا أن الأزمة ليست فى طبيعة العصر وروحه فإن فى العصر الحديث مزايا كثيرة لم تكن فى العصر القديم ، فأجهزة الثقافة وأساليبها فى العصر الحديث بشرت الثقافة بألوانها المختلفة كما يسرت إذاعتها ونشرها فى شتى البقاع وفرضت على المبدعين أنماطاً من التأليف لم تكن من قبل .

إن الأزمة هى أزمة الضمير الحديث كان هذا الضمير فى الماضى مستقراً مستنيراً ينظر بنور الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(١) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾(٢) .

أما فى العصر الحديث فقد تعرَّض الضمير الإنسانى لهزات عنيفة منذ الثورة الصناعية وثورة فرنسا على يد نابليون وثورة تركيا على يد كمال أتاتورك وثورة روسيا عام ١٩١٧ إلى غير ذلك من الثورات التى عمدت إلى جوهر الدين لتحطيمه وزلزلت عينه فى بعض القلوب فأصابت ضمائر الناس فى الصميم ، ومع ذلك فقد خمدت هذه الثورات وبقى الدين لأنه

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(٣) .

وإذا كنت تحرص على أن يصل صوت الإسلام من القاهرة المعزية إلى شتى الأرجاء ، ولا سيما تلك التى لم تشرف بعد بالإسلام أو تلك التى تتخبط فى جاهلية القرن العشرين ، فإننى معك فى هذا ولكننى لست معك حين تزعم أن المسلم لم يعد يحتاج إلى الانتقال إلى الأماكن التى تلقى فيها الدروس الدينية .

إن أهم الأماكن التى تلقى فيها الدروس الدينية هى المساجد ولا غنى لمسلم عن أن يؤم هذه الأماكن ؛ لأنها الأنهار التى يتطهر فيها المسلم ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

(١) الرعد/ ٢٨ .
(٢) الفتح/ ٤ .
(٣) الروم .

ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾

ولأمر ما ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾

إن المساجد هى أماكن الدروس الدينية الأولى ولا غنى للمسلم عن زيارتها للعبادة والعلم على الرغم من التقدم العلمى وظهور أجهزة الثقافة الحديثة ، فمن المسجد نبعت طهارة الإسلام ونقاؤه وكم كنتَ موفقا كل التوفيق حين عدلت عن عنوان صوت الإسلام من القاهرة .. إلى .. الإسلام طهارة ونقاء .. لأن ما يعالج فى هذا الكتاب يدور حول طهارة البدن وما يحيط به ونقاء الروح وما يتعلق بها ، ومما لا شك فيه أن محور التعاليم الإسلامية يهدف إلى تحقيق العنصرين ؛ لأنهما أساس الحياة الإسلامية .

ولقد وجدتنى مضطراً إلى أن أجعل عنوان مقالى هذا الذى أنقد فيه كتابك هو نفسه عنوان الكتاب . إن هذا العنوان كبير كبر الإسلام نفسه ، وما دام الأمر كذلك فقد كنت أود أن يجيب المؤلف على سؤال بالغ الأهمية مطروح على الساحة السياسية الشعبية وهو :

ما دور الدين فى الحياة ؟

فالمتدينون يرون أن الدين هو الحياة بينما يرى فريق آخر أن وظيفة الدين فى المجتمعات الحديثة هو دور هامشى محدود يقتصر على العبادة ومكارم الأخلاق ويرفضون أى تدخل من الدين لتنظيم شئون المجتمع وضرورة فصل الدين عن الدولة كنت أتمنى أن تثار هذه القضية فى كتاب عنوانه « الإسلام طهارة ونقاء » وكيف يتسنى للدعاة أن يؤدوا رسالتهم بالأساليب العصرية التى تصل إلى العقول والقلوب بشكل قوى الإقناع لا يحتمل أى لبس أو تأويل يغلق كل الأبواب والمنافذ أمام بعض الفئات الضالة المضللة التى تعمل جاهدة لتشويه وجه ديننا الحنيف الذى يدعو إلى الحب والمودة والسلام ... دين اليسر لا العسر الذى لا يستهدف فى كل أوامره ونواهيه غير خير الإنسان وصالح البشرية جمعاء .

حقا إن للتمسك بأركان الإسلام التى ركز عليها مؤلف الكتاب فوائد دنيوية لا حصر لها ، وليست مجرد فوائد ينالها المرء فى الآخرة إذا صلح عمله وحرص على طهارة نفسه وبدنه وتصرفاته ، فالصلاة تكفل النظافة المستمرة والزكاة تقضى على البخل والصوم يقضى على النفاق .

لقد قرأت هذا الكتاب « الإسلام طهارة ونقاء » فى الوقت الذى قرأت فيه كتابا آخر هو .. « الإسلام فى حياتنا الحديثة » للأستاذ محمد عبدالقدوس والكتابان يكمل أحدهما الآخر فما أهمله عبدالقدوس بينه الدكتور شامة وما أهمله الدكتور شامة أوضحه الأستاذ محمد عبدالقدوس .

هذا وبالله التوفيق ..

رسالة ماجستير من جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية

الشاعر الوجدانى
محمد عبد المنعم إبراهيم

عرض وتقديم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

لا نعرف بين شعرائنا المعاصرين ، والسابقين ، شاعرا اتخذ من (القمر) موضوعا لديوان كامل مثل هذا الشاعر .. الذى أصدر ديوانه الذى يحمل عنوان : « وانشق القمر » عام ١٩٧٩ ، مشتملا على العديد من القصائد العامرة بمعشوقه : القمر ، بفنية وإبداع ؛ لأن القمر كان شغله الشاغل ، ليل نهار .

وقد انفعل غاية الانفعال لدى نبأ صعود أول إنسان إلى القمر ، وتمنى ، فيما بينه وبين نفسه ، لو أنه كان هو نفسه أول الصاعدين إلى القمر ! ..

وقد ظل يتابع أنباء هذا الحدث الكونى العظيم ، أولا بأول ، لدرجة أنه ظل حتى الثالثة صباحا (بتوقيت القاهرة) مترقبا أخبار « سفينة الفضاءْ » ، وهى تهبط على سطح القمر .. ولم ينم ليلته تلك ، حتى أَلَمَّ ، بشغف كبير ، بتفاصيل الحديث الذى دار بين أول رائد فضاء أمريكى : « أرمسترونج » وبين المحطة الأرضية بقاعدة الانطلاق ، فقال بتلقائية وانبهار :

دبَّتْ حياةٌ فى القمرْ ! ، فلقد غزاه بنو البشرْ !
الحقُّ إن الساعة اقْتربتْ .. قد انشق القمر !!

وحينما علم أن العمل على سطح القمر لا يستدعى جهدا ولا نصبا ، وأن الوزن الذى كان يبلغ (١٢٤) رطلا على الأرض ، أصبح يوازى (٢٠) رطلا فقط ، بفعل الجاذبية القمرية ، قال يخاطب القمر ، فى قصيدته : (القيد المنكسر) :

حَمَلْتَ إلى الورى النور اللطيفا
وطولَ الليل .. كنت لنا المضيفا
سيلقى الناس فيك هدى ورشـدا
ويصبـح سعيهم سعيــا خفيفــا

ثم يناجى القمر ، بالقسم الثانى من ديوانه بست قصائد ، تحمل عنوان : « أغنيات السلام » يستهل أولاها : (نفحة السلام) بقوله :

هل فى ربوعك نفحـــة لسلام
فالأرض قد شقيت بشر خصام
الإنس فيها يُخزنـــون قنابـــلا
لِلَّهْوِ .. أم للحرب والإجرام !

ويستطرد فيقول :

يا ليت (نُوحاً) يحتوينا .. مثلما
صنع السفين ، بسابق الأيـــام
أين المفر ، فلا شراعٌ مُسْعِفٌ
أبدا ... ولا جوف المحيط بحام
لَهْفِى على بيت يظَلِّـل أهلـه
فيحَوِّلون بنـــاءَه .. لحُطام !

وحينما اطلع على ما نشر بالصحف فى الرابع من أغسطس سنة ١٩٦٩ ، أن مخزون الأسلحة النووية يكفى لقتل سكان العالم .. عدة مرات ! حتى إن نصيب الفرد من هذا المخزون يوازى مائة طن (تي . إنْ . تي) لكل رجل وامرأة وطفل ! .. قال :

يا فرحتى ! فأنا الغنى .. قنابلا
ومدافعا ، ووسائلا لِحمــــامِ
سأموت ، ثم أموت ، ثم أموت آ
لافاً من المرات ، عَبْرَ ، ظلام !
لو خصَّصُوا للفرد طنا واحدا
للقُوت ، لَاسْتَغْنَى مدى الأيام

ثم يقول فى النهاية للقمر :

هل فى ربوعك فرصـة لســلام
فالأرض قد عُدَّتْ .. لشرِّ ضِرامِ

***

وقد نوقشت فى (محمد عبد المنعم ابراهيم .. شاعرا) مؤخرا رسالة الماجستير المقدمة من الباحث الأستاذ حسين عبد المعطى حسين عبد الوهاب ، بكلية اللغة العربية بالأزهر بالقاهرة ، فى اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٩٢ .. وحصل الباحث المذكور على تقدير لجنة المناقشة ، بعد الجهد الكبير الذى بذله فى تجميع مادة الدراسة ، بنفاذ بصيرة ، ودقة تحليل وموازنة ، فمنحته اللجنة درجة (الامتياز) عن جدارة واستحقاق .. وقد أتيح لى مشاهدة الأستاذ الباحث

حسين عبد المعطى ، عن كثب ، أثناء إعداده لهذه الرسالة ، وهو يتنقل فى كل مكان ومجال ، بصبر ودأب .. بل وشرفنى شخصيا عدة مرات بالزيارة فى منزلى ، لسؤالى ومناقشتى لساعات طوال ، فى كل ما يتعلق بالصديق الصدوق محمد عبد المنعم ابراهيم ـ رحمه الله ـ وذكرياتى الغالية عن أيامنا معا ، وتعرف رأيى المستفيض فى مؤلفاته فى شتى الأجناس الأدبية من قصص : (قصيرة وطويلة) ، ومسرحيات فكاهية واجتماعية وتاريخية ، ودراسات أدبية ، وإبداع شعرى[1] ، ومجلات أدبية متخصصة أصدرها على نفقته الخاصة ، وتولى رياسة تحريرها لسنوات عديدة ، وحشد للكتابة فيها صفوة من أهل الفكر والرأى والأدب ، منهم : الشيخ حسن القاياتى،والشيخ محمد نجيب المطيعى ومحمد سليم سالم،ومحمد كامل الإبراشى،والأساتذة : د. منصور فهمى ، ود. سليمان عزمى ود. أحمد فخرى،ود. مصطفى الديوانى والأساتذة :

سامى محمد ، ومحمد سعيد لطفى ، وطه عبد الباقى سرور ، ومحمود حسن إسماعيل،والسيد شعبان والصاوى شعلان،وعبده بدوى وأبو مدين الشافعى،وإسماعيل الأزهرى،وأنور أحمد،وعبد الله شمس الدين ، وإيليا أبو ماضى،وسيد بدير،وعبده بدوى،ومحمد نجيب المطيعى وغيرهم .

* * *

وكان مما أثلج صدر المرحوم محمد عبد المنعم إبراهيم أن فوجىء بمجيء الأستاذ الباحث حسين عبد المعطى ، قبيل وفاته بشهور قلائل ، وهو يطرق عليه بابه ـ على غير معرفة سابقة ـ مستأذنا فى التعرف عليه ، وملتمسا معاونته فى إعداد رسالة الماجستير عن شاعريته ، بسرد المعلومات الكافية عن حياته وأدبه ومؤلفاته ، ومن سبق لهم الكتابة عنه .

وقد استقبله ـ رحمه الله ـ بفرحة غامرة ، واستبشر خيراً ـ خاصة وأنه كان قد تجاوز سن الثمانين ـ وآثر الاعتكاف فى منزله بمنيل الروضة ، متفرغا لعبادة ربه ، والاستعداد ليوم المعاد ، مُردِّدا قوله :

بعد التطواف ، يطيب لنا	أن نهدأ بعـــد الإعصار
نغدو فى صفـو عُلْـوِىّ	أزلىٍّ .. من تَقْوى البارى
مالى من زاد مُدَّخَـر	يُنْجِينى .. فى عُقْبى الدار
لكـنَّ بعيْنـى كم يهمـى	فيضٌ من دمـع هدرار
وخُشوعى الأسىَّ لإخباتى	أُزْجيهِ لجـاهِ الغفـار

(١) وكم نتمنى على ورثة المرحوم الشاعر الكبير محمد عبدالمنعم إبراهيم أن يعملوا على إعادة نشر مجموعاته الشعرية فى طبعة جديدة جيِّدة ، تليق بذكرى ومكانة الشاعر ، ليعمَّ النفع بها ..

وقد كنت من القلائل المقربين منه فى سنوات عمره الست الأخيرة ، بعد أن أصفانى مودته ، وحرصت على لقائه يوميا تقريبا بمنزله ، حيث كنا نتناقل شجون الأحاديث الأدبية ، بعد أن توطدت عُرى الصداقة بيننا .. وعلمت منه أنه كان يمتلك دارا للنشر تسمى بـ : (دار العلمين) ، قامت بنشر بعض أعمال (حافظ رمضان ، مثل كتابه (أبو الهول قال لى) ، كما نشرت كتاب (التفسير) لأمين الخولى)و (صلاح الدين الأيوبى) للدكتور عبد اللطيف حمزه ، و (التأمينات الاجتماعية) لعبد الحميد حمدى ، ثم آثر الاشتغال بالصحافة ، فأصدر مجلات :

١ ــ (الجامعة الإسلامية) عام ١٩٤٢ واستمرت ١٨ شهرا .
٢ ــ (الدعابة) عام ١٩٤٥ واستمرت عامين كاملين .
٣ ــ (الأمانة) عام ١٩٤٦ واستمرت فى الصدور ثلاث سنوات .
٤ ــ وربة البيت عام ١٩٥٢ لفترة عام ونصف العام .

كما أنه كان من بين مَنْ فكروا ــ أثناء فترة دراسته الجامعية بكليتى : الحقوق والآداب ــ فى إنشاء جمعية (الشبان المسلمين) وأنشئت بالفعل برياسة الشيخ محمد الخضر حسين ، (شيخ الأزهر) بعد ذلك ، ثم تولى رياستها الدكتور عبد الحميد سعيد ، الذى نفى إلى أوربا ، ثم اللواء صالح حرب ، والدكتور ابراهيم الطحاوى على الترتيب ، بعد ذلك .

وأسس بعد ذلك ، مع غيره ، جامعة أدباء العروبة برياسة المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة ، الذى كان وزيرا للمواصلات سنة ١٩٤٩ .

وكان الشاعر محمد عبد المنعم إبراهيم وكيلا لهذه الجامعة ، التى ضمت الشعراء : ابراهيم ناجى ، وأحمد رامى ، ومحمود غنيم ، وعبد الله شمس الدين وخالد الجرنوسى وغيرهم .

ومما يذكر أن الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم كان رئيسا للجنة الدفاع عن الأمير عبد الكريم الخطابى فى المنفى ووضع كتابا عنه ، وعن كفاحه ، بالاشتراك مع الأستاذ عبد الوارث الصوفى .

* * *

والحدث الهام الذى ذكره لى الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم ، ــ رحمه الله ــ فيما يختص ببداية نظمه للشعر ، هو قيام شاعر كبير يسمى : (كيشار السعدى) ، بزيارة عائلة محمد عبدالمنعم ابراهيم فى منزلها وكان كيشار إذا جاءه هاتف الشعر ، أوْقَد الشموع لمقدمه[1] .. وكان (السعدى) يؤيد (عدلى يكن) ضد : (سعد زغلول) .. وابتدأالسعدى يقول :

إذا الليل جَنَّ ذكرنا العُهُودا ذكرنا المحبةَ .. بَلْه العهــودْ

(١) اى لمقدم الشعر ـ احتفاءً به

ثم توقف (السعدى) عن إنشاد بيت تال لهذا البيت ، فقال شاعرنا ـــ الفتى الناشيء فى ذلك الوقت .. محمد عبد المنعم ابراهيم ـــ متحديا .

سأكمل أنا هذه القصيدة ، على البديهة ، مثلك فابتسم (السعدى) ، وقال : لا بأس .. قُلْ ! فقال شاعرنا مُكَمِّلا ، ومعارضا من نفس البحر والقافية .

وصِرْتُ لسعدٍ صديقا وَدُودًا

وأمــا لعِــدلى .. فخصم لدود !

وهنا ران على الجميع فى قاعة المنزل صمْتٌ رهيب ثقيل ، وتوقع الجميع أن يحيق بشاعرنا أذى شديد ، نظرا لمكانة الرجل وجبروته ، ومنزلته عند عدلى يكن .

ولكنه ـــ بعد أن صمت السعدى قليلا ـــ نظر لشاعرنا مؤنبا ، وقال :

عندما تكبر ، ستفهم الأمور على حقيقتها ، يا بنى .. ومنذ ذلك الحين ، مضى شاعرنا محمد عبد المنعم إبراهيم قُدُماً ، فى تحليقه فى سماء الشعر ، إلى الأعالى ، إلى السّدّة التى استوى عليها القمر ! ذلك الذى :

أضاء بنـــــوره الكـــــون الفسيحـــــا
وعـــــاصر أحمدا ورأى المسيحـــــا
تعلـــــق بالسمـــــاء وبالمعـــــالى
ولم يسكـــــن وهِـــــادا أو سفوحـــــا

كما يقول شاعرنا :

* * *

والباحث الأستاذ حسين عبد المعطى يقرر لنا فى معرض تقديمه لرسالة الماجستير ، أن السبب الذى دعاه لاختيار شخصية الشاعر محمد عبد المنعم ابراهيم لهذه الدراسة ، إنما يعود لشيوع الروح الدينية الإسلامية فى كثير من الأغراض التى تناولها الشاعر .. ولأنه لم يكن منعزلا عن قضايا أمته وهمومها واهتماماتها ، ورغم ذلك لم ينل حظه من الذيوع والانتشار ، الذى هو جدير به ، والذى ناله كثير سواه ، ممن هُمْ أقل منه علما وأدبا .. ومن ثم حرص على اختياره ـــ كشاعر ـــ موضوعا لدراسته ؛ ليضعه فى المكان اللائق به ، بين نظرائه ومعاصريه ..

وقد عرض الباحث فى الفصل الأول من دراسته لعصر الشاعر ، والأحداث السياسية ، والظواهر الاجتماعية والأدبية التى عايشها الشاعر ، وكان لها صدى فى شعره .

كما تحدث فى الباب الثانى عن فنون شعره ، وخاصة الشعر الإسلامى الذى احتل مكانا بارزا من مجموع قصائده .

كما تحدث بعد ذلك فى سائر أبواب الرسالة عن فنون شعره الأخرى وخاصة (الوصف الذى ينم عن رهافة حسه ونبل مشاعره ، ومثاليته العالية الرفيعة) .

كما انتهى الباحث ، خلال قراءته المتأنية لنتاج محمد عبد المنعم ابراهيم ، الشعرى ، إلى عُمْق إيمان الشاعر بالله تعالى ، ورضاه بقضائه وقدره ، الذى يتجلى فى قوله :

حنانـــيك ربى ما عصيــتك عامـــدا
ولا اخترت ـ يوما ـ أن أرىَ لك عاصيا
فإن جئت خيرا .. جَنْتُـــه منك مِنَّـــةً
وإن جئت شرا .. ما تعمدت .. جانيا
قضاؤك أمْضَى من قضائى وَعزْمتـــى
فرُحماك أوْلَـــى بى ، ولطـــفكَ شاملى
وأرجـــوك ربـــا ، لا أرَجِّـــيك قاضيـــا

كما أبان الباحث أن الشاعر ـ فى شعره الإسلامى ـ ربط بين مديحه للنبى ـ ﷺ ـ وهموم أمته ، مثلما فعل ذلك (شوقى) فى همزيته المحمدية .

وأشار الباحث إلى تغلغل حب مصر والعروبة فى فؤاد الشاعر ، وأشاد بتنويهه ببعض الزعماء والقادة الأبطال فى العديد من قصائده الوطنية .

وصفوة القول أننا نتمنى على الأستاذ الباحث حسين عبد المعطى حسين عبد الوهاب ، أن يعمل جاهدا على نشر رسالته تلك ؛ ليعم النفع بها ، وتكون كلبنة راسخة فى صرح نهضتنا الأدبية المعاصرة ، وآية من آيات الوفاء لشعرائنا الأفذاذ ، الذين بذلوا كل طاقاتهم الإبداعية ، لإنارة الطريق أمام الشادين والمتذوقين ، سواء بسواء .. ورحم الله العقاد حين قال :

الشعر ألْسنَتــهُ تُفْضى الحيـــاةُ بها
إلى الحيـاة .. بما يطويـــه كتمَـــانُ
لولا القريض لكانت ـ وهى فاتنة
خرساء ليس لها بالقـــول تبيـــان
ما دام فى الكون ركن للحياة يُرىَ
ففى صحائفه ، للشعر .. ديوان ..

من روائـــع الماضى بمجلة الأزهـــر

سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين

لفضيلة الامام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين
شيخ الأزهر الأسبق

اعداد وتقديم
الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

يحيط بالإسلام وبالمسلمين ـ فى هذه الفترة ـ الكثير من الدعاوى الباطلة ، والأراجيف الحاقدة .

يتزعمها حاقدون أو كارهون للإسلام ، ولأتباعه حين يطلع علينا من يزعم ، أو يفترى الكذب : أن الاسلام يقف من غير المسلمين موقف العداء .

والإسلام دين السماحة ، والمبادىء السامية التى تحرم الظلم والغدر ، وتحتم الوفاء بالعهد .

ويوحب لأهل الذمة حقوقا علينا ؛ لأنهم فى جوارنا وفى ذمة الله ـ تعالى ـ وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام .

وفى بيان سماحة الإسلام يقول المرحوم فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق.

وقد سأله مندوب الأهرام :

عما يتعلق بالأجانب المقيمين فى مصر ، وما حكم الشريعة الإسلامية فى معاملتهم وكيف ينظر إليهم الإسلام ؟ وبماذا يأمرنا به نحوهم !

قال فضيلته :

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد ، تتفق فى أصولها وروحها وغاياتها ، وإن اختلفت فى صورها ومظاهرها وتطورها .

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذى عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً ، فقال عز وجل فى أواخر سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية فى ديانات الله ورسالاته كلها ، كان من أولى نتائجها أن لا ينظر المسلمون إلى شىء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداء ، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم ، فإذا ذكروا أحداً منهم قالوا ـ مثلا : « سيدنا إبراهيم عليه السلام » و « سيدنا موسى الكليم عليه السلام » و « سيدنا عيسى المسيح عليه السلام » . يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان ؛ لأن كتابهم الحكيم طالبهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ .

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين فى العالم أعلن هذا المبدأ ، وهذا فى سورة البقرة أيضاً : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ . بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها فى أى بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان بها فى الحجاز ، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامى . فكل مسلم يخرج عليها ، أو يعمل بما ينافيها ، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام .

والقرآن يسمى المنتسبين إلى التوراة والإنجيل (أهل الكتاب) ومع تسامحه العجيب الذى لم يسبق له مثيل مع بنى الإنسان جميعاً ؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى ، ومعاملة أكرم . ومن ذلك قول الله ـ عز وجل ـ فى سورة العنكبوت : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

وغير المسلمين فى نظر الإسلام ثلاثة أصناف : محاربون ، ومعاهدون ، وأهل ذمة .

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه أن يدفعهم المسلمون إذا هاجموا ، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، وأن يقوِّموا اعوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف وفى ذلك يقول الله سبحانه فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ (أى يقاتلهم المعتدون) **بأنهم ظلموا** (أى فى حالة ظلم عدوهم لهم) **وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ . ويقول فى سورة البقرة : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

ثم إن القتال لا يكون فى سبيل الله إلا إذا التزم فيه المسلمون مرضاة الله ، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة وإيثار الحق على الباطل ، والخير على الشر فى جميع التصرفات ،

وهذا هو سبيل الله ، وما خالفه فليس من سبيل الله ، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً .

وإن تفصيل التشريع الإسلامى فى القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمتحاربين ، يدل على أنه قرر المبادىء الإنسانية السامية فى ميادين القتال وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدى الله ، فضلا عما ينالهم فى الدنيا من الخزى إذا خالفوا هذه المبادىء العليا . ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين فى ذلك ، فضلا عن الرحمة والرفق فى تطبيق هذه المبادىء منذ أربعة عشر قرناً .

ومن الرفق الذى أقام الإسلام عليه سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال : كالرهبان ، والفلاحين ، والنساء ، والأطفال ، والشيخ الهرم ، والأجير ، والمعتوه ، والأعمى ، والمصاب بالزمانة ، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزمن ولو كان من ذوى الرأى والتدبير فى الحرب .

ولو أردنا الإفاضة فى تفاصيل مبادىء الإنسانية العليا فى أحكام الإسلام الحربية لأحتجنا إلى تأليف كتاب ؛ لأنه لا يتسع له مقال فى الصحف .

أما المعاهدون ، وهم الذين انعقد بينهم وبين المسلمين عهد على السلم ، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملا ، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين .

وقد وصى النبى ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة ، فقال : « من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » .

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد ، فلا يجوز لهم أن يعاجلوهم بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التى كانت بين الفريقين . وهذا هو معنى قول الله ـ عز وجل ـ فى سورة الأنفال :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ . ومن تمام ذلك قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة التوبة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ . ثم قوله بعد ذلك :

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

وأكثر الأحكام التى يعامل بها المعاهدون فى بلاد المسلمين مبنية ـ بعد الوفاء بالعهد ـ على مبدأ المقابلة بالمثل . فنعامل رعايا كل فريق من الذين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به ورعايانا إذا دخلوا بلادهم ، ويوصى الإسلام بنيه بأن يرتبطوا بهم فى بلادنا برباط الألفة والعطف والتعاون ، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة فى الإسلام ، فلفظ « الذمة » معناه ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته .

وقد ورد فى الحديث النبوى : « من قدف ذمياً ، حد يوم القيامة بسياط من نار » . وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه ـ وهو من كبار أئمة الحديث الشريف وحفاظ السنة النبوية ـ عن عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، أن النبى ﷺ قال : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائده الأعظم فى جيش الفتح المصرى وواليه الأول على وادى النيل وهو أبو عبدالله عمرو بن العاص السهمى ، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول : « احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصما ؛ فإنه من خاصمه خصمه ، ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيت المقدس عند فتحها فقال إنه « أعطاهم الأمان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسائر ملتهم ، لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها (أى أوقافها وصدقاتها) ولا من صلبهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد نص الفقهاء عند استنباطهم الأحكام التشريعية من حديث « لا يبيع رجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته » فقالوا ، « البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم . والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم كلاهما حرام » .

وفى أداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا إلى الرفق بهم ، واحتمال الأذى فى جوارهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذيتهم .

وقال الشهاب القرافى ـ وهو من كبار أئمة التشريع فى الإسلام ـ فى كتابه الشهير (بالفروق) : « إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا ؛ لأنهم فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله ـ تعالى ـ ، وذمة رسوله ﷺ ، ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، وذمة دين الإسلام » .

وقال الإمام ابن حزم فى مراتب الإجماع : « إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه (أى يقصدون من كان فى ذمة الإسلام) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وبعد فإن المسلمين قد استناروا بسماحة بدينهم ، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ، ممن لا يكيدون لهم كيدا ، ولا يظاهرون عليهم عدوا ، وأرشدهم إلى أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعاون على المصالح الوطنية المشتركة ، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم والعياذ بالله .

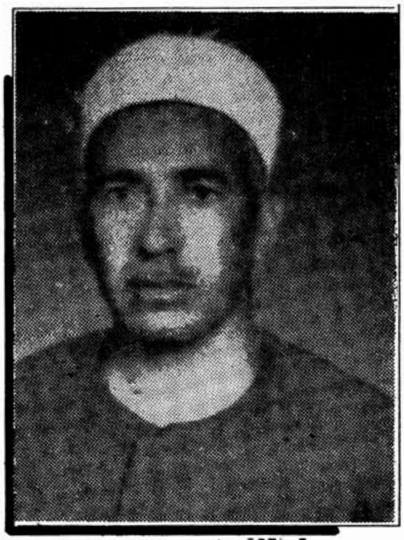

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ/ أبو الحمد أحمد موسى

للأستاذ/على أحمد عبدالمجيد

كان رجلًا من رجال العلم والدين ، من رجال الأزهر العاملين عاش طوال عمره بعيداً عن دائرة الأضواء ، بعيداً عن وسائل الإعلام ؛ لم تكن له فى الصحف والمجلات مقالات كان يعمــل فى صمت ، ولم يسع إلى منصب يجذبه سلطانه ، وينهنه منه ضياؤه ، كان قانعاً ، بما فيه راضياً بما أوتيه فضَّل الدرس والمحاضرة ، وآثر أن يبقى بين مريديه من طلاب العلم والمعرفة ينهلون من علمه وينتهجون منهجه عملًا بقول رسول الله ﷺ : سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره : من علم علماً ، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلًا ، أو بنى مسجداً ، أو وَرَّثَ مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له » .

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ/ أبو الحمد أحمد موسى ـ رحمه الله ـ فى قرية الخلافية (نجع الجبالى) مركز جرجا ـ محافظة سوهاج فى ١٩١١/١١/١٦ وحفظ القرآن الكريم وأتم حفظه وهو طفلٌ صغير ، ثم التحق بمعهد « جرجا » الدينى فمعهد ، أسيوط بجامعة الأزهر ، وواصل تعليمه حتى نال شهادة العالمية (الدكتوراه) مع تخصص المادة سنة ١٩٤٧ عن رسالة : (عوارض الأهلية المكتسبة وأثرها فى الأحكام) ثم عين مدرسا بمعهد « سوهاج » ثم معهد « جرجا » ثم « كلية » الشريعة والقانون « بجامعة الأزهر » ثم أستاذاً مساعداً فأستاذاً لمادة «الفقه المقارن» ثم رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية بكلية البنات الإسلامية ـ جامعة الأزهر .

كان ـ رحمه الله ـ خير سفير لبلاده لأكثر من عشرين عاماً فى الجامعات العربية ، أستاذاً « بجامعة » الإمام محمد بن سعود » بالرياض سنتى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ . ثم أستاذاً « بجامعة دمشق » سنة ١٩٦٠ ثم أستاذاً « بكلية الشريعة بعمان » ـ الأردن من عام ١٩٦٤ حتى عام ١٩٦٨ ، وتخرج على يديه أول دفعة من هذه الكلية ، وأخيراً أستاذاً « بجامعة الملك عبدالعزيز » بمكة المكرمة من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٨٠ ، وحتى بعد بلوغه سن التقاعد سنة ١٩٧٦ ظل يعطى بلا كلل ، ويحاضر بلا ملل ، كان صدى عمله يشيع الثناء عليه ، ورنين الثناء عليه نغم يشدنا إليه ، فهو موضع تقدير دائم ، أينما حل يُذَكِّرُ به غزير علمه ودماثة خلقه ؛ وإشراقة وجهه ؛ وطرافة حديثه ، وبرغم حله وترحاله ، وكثافة عمله نجد له أكثر من مؤلف يدل جميعه على اهتمامه بطلابه وغرس علوم الدين الحنيف فيهم ومن هذه المؤلفات :

١ ـ « النظم الإسلامية » كتابان سنــة ١٩٦٢ .

٢ ـ كتاب «الفقه الإسلامى » بالاشتراك مع الدكتور عبدالله محمد عبدالنبى سنة ١٩٦٤ .

٣ ـ محاضرات فى الأحوال الشخصيــة : (الطلاق الوصية ، الوقف ، الميراث ، الفقه المقارن) سنة ١٩٦٦ .

٤ ـ (أحكــام الأحــوال الشخصيــة) ١٩٧٠ .

٥ ـ شارك فى كتاب (الفقه الإسلامى) (تنظيم الأسرة) سنة ١٩٧١ .

٦ ـ شارك أيضاً فى تأليف كتاب (الفقـه الإسلامى) (نظام الإسلام فى العلاقات الدولية) سنة ١٩٧٢ .

٧ ـ كتاب (الجرائم والعقوبات فى الشريعة الإسلامية) بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور . محمود العكازى والدكتور منصور أبو المعاطى سنة ١٩٧٥ .

٨ ـ محاضرات (فى مصطلح الحديث)، تاريخ تطور تدوين الحديث ، التعريف بأهم الرواه من الصحابة ، شرح العديد من أحاديث صحيح البخارى .

٩ ـ تفسير سور «ق» و«البقـــــرة» و«التوبة» .

١٠ ـ (مقدمـــة فى الفقــه الإسلامـــى) سنة ١٩٦٦ .

وكان رحمه الله ـ بَرًّا بالأزهر ، فقد أوصى بمكتبته الخاصة وهى تحوى أمهات الكتب لفرع جامعة الأزهر المزمع إنشاؤها بمدينة «جرجـا» وهى أمانة فى عنق أبنائه بمنزله «بحدائق حلوان» .

قال عنه الكاتب الإسلامى الأستاذ/ السيد حسن قرون ـ رحمه الله ـ يتحدث عن شىء عن ملامح شخصيته بجريدة الأخبار فى عددها الصادر فى ١٩٨٧/٥/٣ .

« مازالت أراه ساعياً نحو مكانه فى الأزهر خَطْوُهُ لمس ، وكلامه همس ، وإشراقه الإيمان ، تحبوه هالة على وجهه فهو من عباد الرحمن » .

ـ رحم الله ـ شيخنا الدكتور/ أبو الحمد أحمد موسى وأجزل ثوابه .

دفن ـ رحمه الله ـ فى بلدته «الخلافية» من أعمال (جرجا) (سوهاج) يوم الخميس الموافق ١٩٨٦/٧/٢٤ عن عمر يناهز الخمسة والسبعين عاماً .

وبعد :

«نشكر للكاتب تلك الكلمة ـ فى أستاذه ـ فضيلة الدكتور أبى الحمد ـ رحمه الله ـ حيث ذكَّرنى بزميل عزيز هو فضيلة الأستاذ الدكتور أبو الحمد ـ الذى عملت معه أثناء عملى «بمعهد جرجا» بقسميه : الابتدائى والثانوى فى النهاية من الخمسينات ؛ حين جئتُ وبعض الزملاء من أقصى شمال البلاد لنعمل «بجرجـا» ، فكـان ـ رحمه الله ـ هو وبعض زملائه من أمثال : الأستـاذ الشيخ جابر منصور مغربى ، والشيخ تاج الدين عاكف والأستاذ جبريل حجى ؛ كُلٌّ كان ينسينا بعد الدار ، ويبدلنا بمسرى الشوق صبا الأخوة الخالصة ، والنصيحة النافعة .

رحم الله ـ شيخنا الجليل ، وجعل الأزهر الشريف بابا يحمل من ريح الجنة ما يتنسم منه كل مسلم مخلص محموم القلب ، عِطْرَ العلم وذكاء المعرفة .

إنه ـ سبحانه ـ سميع قريب ، وله الحمد على كل حال .

« الخطيب »

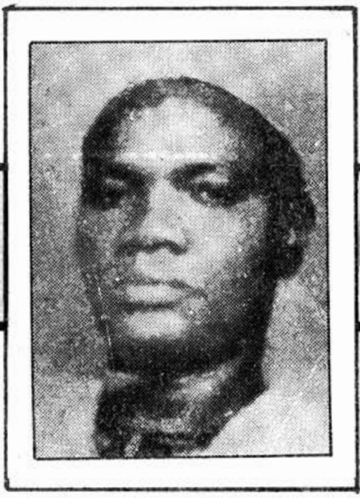

علم من أعلام نيجيريا

الحاج آدم عبدالله الألورى
صاحب مركز
التعليم العربى الإسلامى باجيجى

آدم بن عبد الله الباقى بن حبيب الله بن عبد الله .

جَدُّهُ :

حبيب الله نزل إلى « الورن » من « أويولى » بصحبة (آتِبا) لأنه من حاشية الافن ممن يسمَون أصحاب السرج .

نزل جده أولًا فى دار إمام (إيدابى) ، ثم تحول إلى « أومده » مع القائد « أولومدى » وبنيا « مسجد أومداً » ، فكان أول إمام فيه وذلك حوالى حوالى سنة ١٨٧٠ ، وكان جده يُعَلّمُ الصبيان القرآن الكريم وعليه تخرج كبار أهَل الناحية قبل تقدمه فى السن .

ولما كبر فى العمر جعل « الإمام كورنج » نائبا له ؛ لأنه هو — أيضا — مهاجر من « أسين » إلى «ألورن» ، وهو الذى أطلق على عالمنا اسم آدم تبركا بجده من أمه حليمة بنت « الفا آدم » (الانامو) الذى اشتهر بالصلاح والتقوى فى عهده ، والذى قرأ عليه الشيخ « سارومى » القرآن ومبادىء العلم قبل انتقاله إلى البوصيرى ، وكذلك قرأ الشيخ « موسى أتيرى » بربوة ليلى وغيرهم .

والده :

كان والده كثير الترحال ، أخذ العلم عن والده وعن أخيه « إلياس » ، ثم خرج إلى الداهومى (بنين حاليا) « بلاد برغو » و « دندى » وتلقى بها العلوم ، ثم استقر به القرار فى بلدة (واسا) بالقرب من « زوغو » عاصمة بلاد « دندى » وتولى بها أمامة البلد ، وتزوج بنت رئيس البلد وهى أم عالمنا ، وهناك ولد وترعرع إلى أن رجعوا إلى « الورن » سيرا على الأقدام

حوالى سنة ١٩٢٩ م ثم تتلمذ والـده للشيـخ « مالك الاهـــوسا » والشيـــخ « هاسمى آيريكيهويو » بعد رجوعه إلى الورن .

رحلته مع العلم :

قام والده ـــ رحمه الله ـــ بتربيتـه ، وكان يأخـذه إلى كبـار العلمـاء ويسألهم الدعـاء له بالبركة ، أخـذه فى « الداهومـى » إلى الشيـخ الحسن أكبر تلاميذ عمر صاحب تُوبيع الزهد فدعا له بالبركة ، وأخذه إلى الحاج محمد وزير بدّا ودعا له كذلك ، وهكذا إلى كبار علماء الورن بذلك الوقت ، كما كان يأخذه إلى كل اجتماع دينى وحفلة دينية .

ثم أرسله إلى الشيخ صالح ابن شيخة للتعليم ولازمه ثلاث سنين ، ثم أشار له صالح بالاستزادة من أخيه الحاج عمر الأبجى فى لاجوس ثم ساقه الله إلى الشيخ آدم نماجى ثم إلى كثير من العرب المتجولين ، وكان ينـاقش أقرانـه وأصحابـــه ويناظرهم فى المباحث العلمية لإظهار الحق حتى عرفوه بالجدلى وصاروا يخشون لقاءه ومناقشته فى المسائل العلمية والفلسفية .

وقد تحصل على كثير من الفنـون بالمجهـود الشخصى والمطالعة واستفاد كثيرا من التأليف والتعليم .

وأحب علم التـاريخ كوالـده وتأثـر بكبـار الواعظين فى بلده بالحاج وزير بدّا ، وبآدم نماجى فى الكتابة ، ثم بالسيوطى وابن خلدون والغزالى فى البحوث .

وعندما بدأ عالمنا العمل لم يبدأ فيه تعسفا ولا تخبطا بل عزم على الاقتباس المباشر من معين العلم ومنبع العرفان فخرج من بلاده إلى بلاد العربان وإلى قبلة العلوم وكعبة الطلاب ، مصر الاسلام والعربية ، قصدها للتحويل من المنهج التقليدى القديم فى بلاده الى المنهج الحديث فى الأزهر ولما نزل القاهرة مكث فيها اربعة أشهر يتجول بين الازهر وعلماء مصر والمنظمات الإسلامية .

وفى الازهر : ادركه فى دور الانتقال من النظام القديم إلى النظام الحديث الذى بدأ به الإمـام المراغى والإمام الظواهرى إلى أن أكمله الأمام المراغى فى مشيخته الأخيرة حيث كان هناك ما يسمونه القسم العام وما يسمونه بقسم النظام والقسم العام يعطى احدى الشهادتين للطالب . الشهادة العالمية المصرية لمن ينجح فى اثنى عشر علما والشهادة الأهلية لمن ينجح فى أحد عشر علما لا غير ، وهناك ما يسمونه عالمية الغرباء وليس فى كل ذلك تدريس العلوم الحديثة .. أما قسم النظام فيعطى الطـالب النـاجـح الشهـادة الابتدائية ثم الثانوية ثم العالية من إحدى الكليات الثلاثة حينذاك وهى : كلية الشريعـة وأصول الدين واللغة العربية وبعدها أقسام التخصص التى تمنح شهادة الاستاذية .

ولما نزل عالمنا فى الأزهـر خيروه بين هذه الأقسام فطلب منهاج قسم النظام وفى حدود طاقته وما يحتاج إليه بلده فى ذاك الوقت غير أنه ينقصه حينـذاك العلـوم الحديثـة كالطبيعـة والجغرافيـا والهندسة والكيمياء وقواعد الصحة ونحوها .

وأخيرا طلب من الأزهر إجازة للتعليم فى بلاده على منهج الأزهر فكان ما كانوا يسمونه امتحان الاستماع الذى اسفر عن اجازة الاستماع وصورتها كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله فقد استمعنا للشيخ آدم عبد الله الألورى من نيجيريا دروسا فى علوم :

التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والتجويد والأخلاق والمنطق والبحث والمناظرة والتوحيد والنحو والصرف وعلوم البلاغة والعروض والقافية ووقفنا على مبلغ علمه بها وقدرنا فهمه وقدرته على إفهام غيره هذه العلوم وأيصال حقائقها إلى أذهانهم وانتهى بنا الرأى إلى أنه من حيث المقدرة على الفهم والتأدية يعلو مستواه قليلا عن مستوى السنة الثالثة من القسم الثانوى فى الدراسة الازهرية ويمكن أن نجيزه فى ضوء هذه المعلومات بالتدريس فى بلاده فى العلوم المذكورة والله ولى التوفيق

٢٩ رجب سنة ١٣٦٥هـ ٢٩ يونية سنة ١٩٤٦م

حضرتا الشيخين ش.ن يحيى الأستاذ بكلية اللغة العربية وعثمان مريزق الاستاذ بكلية الشريعة وهما الموقعان على هذه الشهادة من علماء الجامع الأزهر الشريف

٢٩ رجب سنة ١٣٦٥هـ

٢٩ يونية سنة ١٩٤٦م

شيخ الجامع الازهر

مصطفى عبد الرازق

رحلته مع العمل وجهوده بالدعوه :

لما رجع الحاج آدم من رحلته الشرفية سنة ١٩٤٧م . وكانت نفسه متوقدة وَثَّابة إلى إيقاظ الوعى الإسلامى من آثار ما شعر به من مصر والحجاز والسودان العربى وانطبع بذاكرته وقامت للعمل نيته ونهضت همته إلى توحيد صفوف العلماء علما منه أن إصلاح الأمة يتم بصلاح العلماء والأمراء ، ولكن الجهود كلها ذهبت أدراج الرياح لذلك لم يجد بدا من اصلاح النشىء الجديد حتى يكونوا أجيالا يؤمنون برسالة الإسلام ويحملونها على أكتافهم . فحاول التعاون مع جماعة أنصار الدين فى لاجوس . وكانت كبرى الجمعيات الإسلامية التى تعنى بالتعليم الإسلامى حينذاك ولكن اتجاههم الإنكليزى لم يمكنهم من التوسع فى المنهج العربى الذى لازمهم أربع سنوات على غير جدوى ، لذلك رجع إلى نفسه وعزم على إنشاء مركز التعليم العربى الإسلامى فى (أبيكوتا) مستعينا ببعض تلاميذه وأصدقائه من جماعة أنصار الدين — فرع أبيكوتا .

مركز التعليم العربى الإسلامى :

(افتتح هذا المركز وبُدِئ فيه بالعمل فى عام ١٣٧١هـ الموافق ١٩٥٢م فى منزل مستأجر بمساعدة جماعة أنصار الدين — فرع أبيكوتا — وكان عدد الطلاب — ابتداء — ستة أفراد فقط .

ثم صار العدد يزداد بعون الله ولما ضاقت أرض أيكوتا برحبها على بناء خاص للمركز غير مستأجر كالسابق نقلوه إلى مدينة اغيغى ١٩٧٣ م .

وفى فترة عشرة أعوام بلغ عدذ الذين تخرجوا من المركز خمسمائة طالب والتحق به نحو ألف فى المركز الرئيسى وما تفرع منه .

الكتب المقررة :

كان المركز يعتمد على مقررات الأزهر القديمة وكان يستوردها من مكاتب مصر ثم أنشأ المركز مطبعة صغيرة لطبع منشورات مدرسية وبعض كتب أخرى حتى بلغ ما نشرته المطبعة حتى الآن نحوا من أربعين كتابا .

المدرسون :

استعان المركز بقليل من المدرسين الوطنيين وغير الوطنيين ثم استغنى عنهم واستعاض بهم خريجوا المركز الذين تدربوا على التدريس بأسلوب يفهمه الطلاب وعلى طريقة تناسب مداركهم وبيئاتهم .

الوعظ والإرشاد :

فقد بدأوا به فى الساحات العامة حسب المعتاد فى البلاد ولما بُنى المسجد سنة ١٩٥٨ م . أصبحت خطبة الجمعة معينا فياضا للوعظ الأسبوعى ويحضره الآن ما يزيد على أربعة آلاف شخص كل جمعة .

الحفلات :

مثل أيام رمضان ولياليه ، وليلة المولد النبوى الشريف ، ويومى العيد ، فكان يحضرها نحو عشرين الفا من رجال ونساء .

الموارد :

كان اعتمادهم الأكبر على اشتراكات آباء الطلاب وتبرعات المحسنين ثم الزكاوات السنوية والمساعدات .

الخريجين :

تخرج من هذا المركز حتى الآن نحو عشرة آلاف عالم منتشرين فى جميع أقطار غرب أفريقيا لنشر دعوة الإسلام واللغة العربية .

المنح والبعثات :

سهلت السفارة المصرية فى نيجيريا سبيل الحصول على المنحة الأزهرية لعدد من أبناء نيجيريا وعلى إيفاد المبعوثين الأزهريين للتدريس فى نيجيريا حتى بلغ عدد المبعوثين نحو خمسين مبعوثا حاليا وبلغ عدد المتخرجين من الأزهر نحو ثلاثمائة يقومون الآن بمختلف الوظائف المدنية الدينية والإجتماعية والثقافية . واستمرت الصلات طوال هذه السنين بين الأزهر والمركز ولما أرسل الأزهر مبعوثين إلى معاهد ومراكز فى نيجيريا كان من بينها هذا المركز ، وفى عام ١٩٧٥ م عين الازهر مدير المركز ليكون عضوا فى مجمع البحوث الإسلامية وأخيرا منح الرئيس حسنى مبارك وساما من الطبقة الأولى فى العلوم والفنون لمدير المركز .

لم يكن مركز التعليم العربى الإسلامى هو الانجاز الوحيد لعالمنا الحاج آدم بن عبد الله ، فإن

له العديد من الإنجازات وكان ذلك المركز هو أهمها بدون شك تليه فى الأهمية محاولاته وجهوده الجادة فى **ربط الجنوب مع الشمال** :

فقد عمل الكثير من الأعمال بعد أن نشر الكثير من الأقوال فى تحقيق الوحدة بين الجهتين فقد قام بالعديد من المحاولات والجهود فى هذا الشأن من قبل .

أولا :

انشاؤه لهـذا المركز سنة ١٥٩٢م .

ثانيا :

فى عام ١٩٥٨ م تعاون مع الهوساويين فى إنشاء جمعية شباب الإسلام برئاسة الحاج صالح عزبا فكـان من آثارهـا صحـوة هوسا بإنشاء المدارس فى اغيغى وشاغامو وغيرها .

ثالثا :

سنة ٢٩٦٢ م جمع عشرين إماما من بلاد يوربا الى مدينة ألورن باعتبارها مدخلا للشمال والجنوب وهناك انشأوا رابطة الأئمة والعلماء ثم نقلت الى أبادن وبنوا هناك مقرها .

رابعا :

عندما عُين من قبل الورن عضوا فى لجنـة الشئون الدينية للشمال عام ١٩٦٣ م عمل على إدخال علماء الجنوب فى اللجنة عن طرف السفير الأردنى فصار الشيخ الرفاعى والشيخ سنوسى من أبادن من الأعضاء .

خامسا :

اشترك فى اللجنة السباعية استعدادا للمؤتمر العام الذى عزم على عقده الزعيم احمد بللو فى فبراير ١٩٦٦م . فسبقته المنية فى يناير ١٩٦٦م .

سادسا :

تعاون مع الزعيم اسحاق رابح الكنوى فى ربط الشمال بالجنوب على جامعة الشعوب ١٩٨٢ م ، كان من آثارها دعوة شيخ الأزهر والأمير فيصل السعودى إلى نيجيريا عام ١٩٨٣ م .

سابعا :

فى الانتخاب عام ١٩٥٩ م وقف إلى جانب إخوانه الشماليين قاسى من أجل ذلك ما لا يحصى من الاضطهادات التى ألجأته إلى ترك داره فى اغيغى والى نزوله فى لاغوس عام ١٩٦٦ م .

ولم يتحمل عالمنا كل هذا فى سبيل نصرة الحق وفى طريق الدعوة إلى الله إلا لاعتقاده الشديد وإيمانه الراسخ فى انها أمانة فى أعناقنا يجب أن نؤديها بإخلاص لله ولرسوله ولدينه ، لا رغبة فى الجاه ولا طمعا فى المال ولا بإيعاذ من جماعة أو منظمة أو حكومة من داخل أو خارج .

فقد قال رحمه الله : إننـا اعتقدنـا أن نشر الاسلام ونشر لغة القرآن ليست بضاعة تعرض فى الاسواق الدولية لمن يشتريها بثمن قليل او ضئيل فقد تحملناها بدافع الإيمان ورجاء الاجر والثواب من الله .

رحمه الله وجزاه خيراً عن كل ما قدم للإسلام والمسلمين .

طرائف و مواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« ابن عبـاس »

قال ابن أبى مليكه : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصح الناس ، فإذا تكلم فأعرب الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ، وما رأيت أكثر صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس . ـ رضى الله عنه ـ .

« حـق النعمـة »

أن تحسن لباسها ، وتنسبها إلى ولّيها ، وتذكر ما تناسى عندك منها .

« أصـعدت الغرف »

قال رجل من العرب : رأيت البارحة الجنة فى منامى ، فرأيت جميع ما فيها من القصور . فقلت :

فقلت : لمن هذه ؟ ، فقيل لى : للعرب . قال له رجل من الموالى : أصعدت الغرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

« عنـد الموت »

قال زائر للإمام الشافعى : دخلت عليه أعوده فى مرض موته .

فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبدالله ؟ .

قال : أصبحت من الدنيا راحلا ، ولإخوانى

مفارقا ، ولكأس المنية شاربا ، ولا أدرى إلى الجنة تسير روحى فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها ثم أنشد يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عَفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما

« إنكم لا تدرون »

قال بعض الحكماء لبنيه : لا تعادوا أحدا وإن ظننتم أنه لا يضركم ، ولا تزهدوا فى صداقة أحد وإن ظننتم أنه لا ينفعكم ؛ فإنكم لا تدرون متى تخافون عداوة العدو ولا متى ترجون صداقة الصديق ؟ .

« من الحكم »

● من سَها عقله فسد عيشه ، ومن فسد عيشه كان الموت راحته .

● خير الخير أعجله .

● قد ينمو القليل فيكثر ، ويضمحل الكثير فيذهب .

● رب كلمة هى عند الناس فصيحة ، وهى عند الله فضيحة .

● قد أَمِنَ الْحِرْمَان ، من سأل الرحمن .

● اللئيم ملوم بِكُلِّ لسان ، والكريم مكرم فى كل مكان .

● رب صدقة من بين فَكَّيك ، خير من صدقة من بين كَفَّيْك .

« نَعَمْ مُثمِرَةٌ ولَا مُرِيحَةٌ »

لزم بعض الحكماء باب بعض ملوك العجم دَهْرا فلم يصل إليه ، فتلطف للحاجب فى إيصال رقعة ففعل ، وكان فيها أربعة أسطر :

الأول : « الأمل والضرورة أقدمانى عليك .. »

والثانى : « والعُدْمُ لا يكون معه صبر على المطالبة » .

والثالث : « الانصراف بلا فائدة شماتة الأعداء » .

والرابع : « فإما (نَعَمْ) مثمرةٌ ، وإما (لا) مريحة » .

فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها .

« المعادلة الصعبة »

نريد ألا نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

« دار التواء »

كان سفيان الثورى يقول : الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ودار تَرَح لا دار فرح ، من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء .

« دعاء »

اللهم لا شرف إلا بالفعال ، ولا فعال إلا بمال ، فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

الشعر
و
الشعراء

يا رحمة الرحمن

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

سعدت بك الدنيا وزاد سناها ... لما حملت إلى القلوب هداها
وزهت أسارير الحياة محبة ... وتخففت من شجوها وشجاها
واخضر قلب الأرض حين تنسمت ... آى الهدى وتشربت تقواها
وعلا نداء الحق فوق ربوعها ... متألقا مترقرقا ... تيّاها
الله أكبر أشرقت وتدفقت ... عطرا يضوعِ أنفسا وجباها
غمر الوجود فليس فيه كائن ... إلّا تنسم عطرها وشذاها
البيد والفلوات أشرق وجهها ... والشمس سبّح ضوؤها وضحاها
والراسيات تشامخت وتطاولت ... تسمو إلى رب العلا نجواها

عانقتَ أنسام الحياة مُدَثَّرًا ... بحنان « آمنةٍ » وظل رضاها
حتى إذا رحلت بريعان الصبا ... والنفس يثقلها عميق أساها
واجهت أعباء الحياة مجهزا ... بأجل ما تسمو به دنياها
نفس مطهرة تفيض وضاءة ... سبحان مَنْ بِجَلَالِهِ زَكّاها
قلب بحب الخير ينبض والتقى ... ضم القلوب بحبه ورعاها
خطْوٌ على النهج القويم مسدد ... ما حاد عن درب الهدى أو تاها
صِدْقٌ إذا اختلف الرواة فأنت فى ... صدق الرواية واليقين فتاها

عزم وإصرار ورأى صائب — وطويـــة بيضاء ... ما أنقاهـــا
ما خنت عهـــدا أو نقضت وثيقـــة — أو قلت فحشا أو جفـوت غُلاهـــا
قد حكمـــوك غداة طال خلافهـــم — والحرب توشك أن تدور رحاهـــا
فجمـــعت أبنـــاء العمومـــة وحـــدة — وحقـــنت بالـــرأى السديـــد دماهـــا
زكّـــاك ربك بالفضائـــل كلّهـــا — لعـــظيم فضلك ... لانرى أشباهـــا

فى كل عام خلـــوة تلقـــى بها — جوع الصحـــارى فى هجير لظاهـــا
يَظْمَـــا لأنـــوار الهدايـــة رَمْلُهـــا — يشتـــاق للشدو الرطـيب حصاهـــا
ضجت وضج النـــاس فى فلـــواتها — من طول ما حمل العنـــاءَ ثراهـــا
ويحار فكـــرُك فى الوجـــود ومابـــه — من أبـدع الأكـــوان ؟ من سوّاهـــا ؟
من رب هذا الكـــون ؟ مَنْ مَلَكُوتُـــهُ — هذى الحيـــاة بأرضهـــا وسماهـــا ؟
هذى الحيـــاة بنجمهـــا وفضاهـــا — هذى الحيـــاة بعمقهـــا ومداهـــا ؟

حتـــى إذا شاء الكـــريم تدفـــقت — آيـــات ربك فى بديـــع لغاهـــا
وأضاء قلب الغـــار فيض هدايـــة — شملت مشارف مكـــةٍ وفضاهـــا
نور يتيـــه به « حِرَاءُ » على المدى — ما مثلـــه غار زهـــا أو تاهـــا
« جبريـل » ضمك ضمـــة فَتَشَـــرَّبَتْ — بالنـــور نفسُك واستنـــار حجاهـــا
إقـــرأ « مُحَمـــدُ » فالنفـــوس عليلـــة — ولأنت بلسم جرحهـــا وشفاهـــا
إقـــرأ فإنك قد بُعِـــثْتَ مُعَلِّمًـــا — لتلقـــن الدنيـــا صحيـــح هداهـــا
إقـــرأ وفـــاض النـــور يغسل قلبها — ويزيـــل عنها جهلهـــا ودجاهـــا

يا رحمة الـــرحمن أىّ بليّـــة — نزلت بنـــا أرزاؤهـــا وأذاهـــا
كنـــا حداة العـــالمين تقدمـــا — نحتـــل من قمـــم الحيـــاة ذراهـــا
واليـــوم تنكرنـــا السفـــوح مهانـــة — ويضج من كبواتنـــا أدناهـــا
المسلمـــون تَغَيَّـــروا فتقهقـــروا — فقـــدوا الهوّيـــة رفعـــة وبَهَاهـــا
أعداؤهـــم ملكـــوا زمـــام أمورهـــم — ملكـــوا النفـــوس وخيرهـــا وقواهـــا
الأرض والإنسان طوع يمينهم — نشروا الـــفساد وكمّمـــوا الأفواهـــا
رخص الـــدم الغـــالى وهـــانت أمـــة — أحكـــمت بالنهج القـــويم عراهـــا

يا رحمة الـــرحمن هل من نفحـــة — نصحـــو على أضوائهـــا وسناهـــا
ونعيـــد للإسلام سابـــق مجده — ونعيـــد للدنيـــا بديـــع رؤاهـــا

طفلان فى محراب مسجد

للشاعر : مصطفى أحمد الدردير

جَلَسَا لدى المحراب مؤتلقان   يتساقيان مَثَانِى القرآنِ
طفلان : صَحْوُ الطهر فى وَجْهَيْهِما   متقاطرٌ وبشَاشَة الرضوانِ
هل قد أَحَسَّا مايدورُ بِلَيْلِنَا   فتسارعا خوفاً إلى الرحمنِ ؟!
أَمْ أَثْقَلتْ قلبيهما ـ رغم البرا   ءَةِ والطفولةِ ـ صخرةُ الأحزانِ
وهمومُ عصرٍ باتَ يخنُقُ أهلَهُ   وعلَى الرقابِ التفَّ كالثعبانِ
أَمْ شاهَدَا شبحاً وراءهما وقد   نزلا رحابَ الله يحتميان
أقبلتُ نحوهما أمُدُّ يَدى بفا   كهةٍ ، وقلبى مُتْرَعٌ بحنانِ
فتناولاها فى حياءٍ ظاهرٍ   وبمنطقٍ من مَرْمَرٍ شكرانى
ماتقرآنِ ؟ : « العادياتُ » ـ بها بكلِّ   براءةِ الأطفال قد طعنانى ..
لله دَرُّكما : وأينَ العاديا   تُ ، وعَدْوُهَا ، ومواكبُ الفرسانِ
لله دَرُّكما : فلا ضَبْحٌ ، ولا   قَدْحٌ ، ولا نَقْعٌ بذى الأوطانِ
أَوَ تَدريانِ ـ رَشِدتما ـ تاريخَ هـ   ـذا المسجد المملوء بالإحسانِ
استخبرا ـ إن شئتما ـ جدرانه   تُخْبِرْكما أحجارُها ببيانِ
استخبراها إنها تاريخنا   متحدِّثا فينا بغير لسانِ
عَمَّنْ قَضَوْا فى اللهِ من أسلافِنا   متتابعين على هدى الإيمانِ
إنى أراهم هاهنا فى المنبر الـ   ـوضَّاء والمحراب ، والأركانِ
وأحُسُّهم فى كلِّ شىءٍ حَوْلنا   فى السقفِ ، والأبواب ، والجدرانِ
فى كلِّ زاويةٍ بدا عبقٌ يصَا   فِحُنى وزهرٌ مُشْرِقُ الألوانِ
وأكاد أُبْصِرُهُمْ هنا مَحْنيَّةً   أصلابُهُمْ بالآىِ فى تحنانِ
وأكاد أسمع فى الظلام بكاءَهم   فى الساجدين مخافة الديَّان
ونظرْتُ للطفلين كان كلاهما   يَرْنو لصاحبه .. ويبتسمانِ
لكننى أبصرتُ فجراً قادماً   ببراءةِ نطقت به العينانِ

من لى بمعتصم

للشاعر : محمد صابر عاشور

وطنى فديتك مُزّقت أرحام ... وازدادت الطعنات والآلام
وأتى من « الصّرب » الْغَوِىّ حجافل ... للشرّ يستشرى بها الإجرام
فى «الْبُسْنِ» عاثُوا واستطال فسادهم ... وتوالت النكبات وهى غرام
والمسلمون كأنهم لم يسمعوا ... هذا الصريخ تسوقه الأعلام

من لىَ بمعتصمٍ يجيب ألا اسلمى ... يَابُسْنَ .. إنى صادق وهمام
لبّيك إنى قد أتيتك فاسلمى ... من غادر ألقت به الأيّام
ستريه أنّا فى الخطوب أئمة ... ترعى الحقوق فتصدق الأحلام
وعلى وفاء الحقّ إنا أمّة ... ليست تخاف إذا بدت « الغمام »
منا شهيد الحقّ يدخل جَنّةً ... طابت مغانيها وطاب مقام
يحيا بجنّته فيلقى فوزه ... عند الإله فيعظم الإكرام

من لى بمعتصم يردُّ المعتدى ... عن نهجه فيبارك الإسلام ؟؟
من لم يذد فى الحق ليس بمسلم ... ولو انتمى فالدين ليس يضام
هو شرعة لله تدعو للعلا ... لا تستقيم بجنبها الأوهام

دأب الشريعة أن تؤيّد عادلا ... لا ظالما تشقى به الأحكام
أو غادراً ظن الحياة خديعة ... فتقطعت من خبثه الأرحام
الدِّين دين الله ليس براشدٍ ... من حاد عنه فما له إسلام

---

* الشاعر : المدير الأسبق للتعليم الأزهرى بالاسكندرية

وأذن الفجر

للشاعر ناصر محمد عطية

وحْدى جَلَسْتُ مَعِى القِرْطاسُ والقَلمُ — واللَّيلُ دَاعَبَ مَنْ حَوْلى .. أظَلَّهَمُ
نامَ الجميعُ قُبَيْلَ الفَجْرِ لَاصَخَبٌ — وَلَاضَجيجٌ وَلَاهَمْسٌ وَلَاكَلِمُ
طواهم اللَّيل أغْفَوْا فى مَضَاجِعِهمْ — وأسْلَمُوا للكرى طَوْعًا عُيونَهُم
مَعَ الخيالِ مَعَ الأحْلامِ قَدْ نَسَجُوا — عَلَى الرِّمَالِ قُصُورًا لم تكنْ لَهُم

واللَّيلُ بَحْرٌ عَميقٌ وَاسِعٌ لَجِبٌ — تَغيبُ فِى جَوْفِه الأسْرارُ تَنْبَهِمُ
وتحت أسْتاره أو تحت قُبَّتِهِ — العابدُ المُتَّقِى والمَارِدُ الأثِمُ
هَذا سَعيدٌ وهذا ضاعَ مَوْطنُه — وذَا شقِىٌّ وَذَا فِى الصَيْد مُتَّهَمُ
وذَا خَلِىٌّ ينامُ اللَّيل فى دَعةٍ — وذَا شجِىٌّ كَوَاهُ السُّهْدُ وَالألَمُ
غرائِبٌ وأعاجيبٌ وأقْضيةٌ — تدورُ مِنّ حَولِها الدنيا وتَصطدم
وكيف تَهْدَأُ دُنيانا وقد ذُبحتْ — فيها المبادئُ واغْتيلتْ بها الذِّمَمُ
سألتُ نفسى ومَاذا بَعدُ مَاانْتَفَضتْ — وَلمْ تُجِبْ ، لم تَقُلْ لَا لَا ، وَلَا نَعَمُ

وأذَّن الفَجْـرُ بَينـــا كُنتُ مُنتَـــفِضًا ... فَهزَّنى الصَّـوتُ لَبّى فى يدى القَلَـــم
«الله أكبــرُ» شقّ الليـــلَ فازتعـــدتْ ... مِنَّى الفــرائصُ واختــلَّت بى القَــدَمُ
« اللهُ أكبــرُ » شَـدَّتنــى إلى زَمَــــنٍ ... يَومَ التقَى وتآخى العُــرْبُ والعَجَـــمُ
وَيَــوم نادى « بلال » فوق كعبتنــــا ... فاهتـــزَّت الأرضُ والوديــانُ والقِمَـــمُ
« بلال » أذَّنَ فاهتـــزت بِصَيحتـــــه ... جبــالُ مكــة والصحـــراءُ والحَـــرَمُ
وَأنْصَتَ الكـونُ لمَّـا صاح منطِلقًـــا : ... «الله أكبــرُ» لاشَـــرِيكَ ولاصَنَـــمُ

يأيُّها المُصْطفــى الْمُخْتَـــارُ مَعْـــذِرَةً ... مِنك المَعَـــانى ومِنِّـــى الشوق يلتهم
يا شرقُ ، أيــن الألى كانــوا عباقـــرةً ... يُرَفــرِفُ الـــنَّصر والإيمانُ فَوْقَهُـــم
سَادوا وقادوا الورى واجتاح موكبُهُمْ ... مَعَاقِــلَ الشَّـــرك لم تَثْـبُتْ أمَامَهُـــمُ
أيْن الذين إذا ما البَغْــىُ حَاصَرهـــم ... كانــوا الشمـوسَ تَدور الليـــلَ تَنتقــمُ
« الله أكبر » كانت فى حناجرهــــــم ... أنشودة الخلد ... يارَبَّاهُ ... أيْنَ هُمُـو؟
بِهـــا تنـــادَوْا فدَاسُـــوا كلَّ طاغيـــة ... الفـــرس والـــروم هزُّوا الأرض تحتهم

ياعُرْبنَــــــا وقفــــــةً لله خالصةً ... واجمعُــوا أمْــرَكم بالله واعْتَصِمُـــــوا
وأعلنوهـــــا تهزّ الأرْضَ دَاويـــــةً ... إنَّ العُروبــة لنْ يُطـوَى لَهــا عَلَـــمُ
ونحن مَهْمـــا ترامت بيننــــا فتــــنٌ ... فالـــدَّار تَجْمَعُنـــا والدِّيـــنُ والرَّحِـــمُ
يضمنـــــا الشرقُ والآلام تربطنــــــا ... إنـا لدى الروع صف واحـــد وَفَـــمُ

هَلْ تشرقُ الشَّمس فوق القُدس ثانيةً ... أيَسْطـعُ البَــدر فى حيفــا ويَرْتَسِـــمُ
يارب رحماك فالأخطـــــار محدقـــــة ... والمخلصون بهذا الشرق قد سئمــــــوا
فابعثْ بنورك رَبِّى ضمّ اليومَ موكبنا ... وَاشْـفِ الجراح فبعد النـزف تَلْتَئِـــمُ
فابعثْ بِجُندِك وارْمِ البَغى كن معنـــا ... حتـــى نعُـــود ونخشى بأسَنـــا الأمـــمُ

الإمام
و
الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدم مجلة الأزهر ــ مستعينة بالله تعالى ، مسترشدة بهدى رسول الله ــ ﷺ ــ للإخوة الأئمة العلماء والخطباء نماذج أركان خطب أربع تسد مطلب الشهر العربى كله لمن شاء أن يستهدى بها .

ولا نشك أن أصحاب الفضيلة العلماء الخطباء ــ أمام كل نموذج منها ــ يستطيعون أن يعدوا خطبة قيمة وكان بودنا أن ندون الخطبة كاملة لكن ذلك فوق طاقة صفحات المجلة ، لذا اقتضت خطة النشر :

أن يقوم أعلام أئمة متخصصون فى ميدان الدعوة الى الله ــ تعالى ــ باختيار الخطب ، وتقديم أركانها مستوفاة فى أربعة نماذج لكل جمعة خطبة .

وإنا لنضرع الى الله ــ تعالى ــ أن يسدد خطانا فيجد الاخوة الفضلاء حاجتهم ، أو بعضها ، فيما نقدمه،وإن محرر الباب ــ من جانبه أيضا ــ سوف يلبى طلب من يكتب اليه منهم فى خطبة معينة أو أكثر ، ــ وفى الحق إن هذا الباب سوف ينجح عند نجاحه .. بهذا التعاون من الاخوة الخطباء عندما يكتبون بما يريدون ، حتى لا يكون هذا الباب مجرد تكرار تقليدى ينتهى الى السأم فالوأد .

والله نسأل أن يفتح للباب فتحا مؤزرا بهذا التعاون بين الخطباء والمحررين المتخصصين فيظهر ــ فى المجتمع ــ خطبة لها روعة العلم وهداه .

والله ولى التوفيق

حسن المعاشرة بين الزوجين

بقلم الشيخ : عبد المنصف عبد الفتاح

الخطبة .. النموذج

العناصر :

١ ـ الأسرة : تعتبر لبنة من لبنات الأمة : التى تتكون من مجموعة من الأسر ، يرتبط بعضها ببعض تمام الارتباط ..

٢ ـ المودة والرحمة بين الزوجين : أساس السعادة المنزلية ...

٣ ـ مراعاة كل من الزوجين للحقوق الواجبة عليه نحو صاحبه .. يوطد دعائم الأسرة ..

٤ ـ الصبر على ما قد يكون : فى خلق الآخر من انحراف ، مع العمل على مدذواته برفق ولين ..

٥ ـ الثمرات التى يجنيها الزوجان : من حسن العشرة .

الاستشهادات :

١ ـ « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم)

٢ ـ « وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا »

النساء : ١٩ .

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « أَكْمَلُ الْمُؤمِنِينَ إيمَاناً أحْسنُهُمْ خُلقاً وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذى وابن حبان ..

٤ ـ عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله : « مَاحَقُّ زَوْجَة أَحَدنا عليه ؟ قال : أنْ تُطعِمها إذا طَعمت وَتكسُوهَا إذَا اكتسيت وَلَا تَضربْ الْوَجْه وَلَا تُقَبِّحْ ، وَلَا تَهْجُرْ إلا في المبيت » رواه أبو داود ..

٥ ـ عن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : لَوْ أَمَرْتُ أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لَأمَرْتُ الْمرْأة أنْ تَسْجُد لِزَوْجَها ، مْن عظم حَقِّه عَليها ، وَلَاتَجدُ امْرأةُ حَلَاوَةَ الْأيمَانِ : حَتى تُؤَدِّىَ حَقَّ زَوْجَها ، وَلَوْ سَأَلَهاَ نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ » رواه الحاكم .

١ ـ **جعل الله تعالى** : صلاح الأمة فى صلاح الأسرة ، فالأمة المكونة من أسر صالحة ذات أخلاق عالية ، وعلاقات طيبة : أمة راقية ، جدير بالمكانة السامية والكلمة النافذة .

٢ ـ **تكوين الأسر** : إنما يكون بالمحافظة على سلامة الحياة الزوجية التى يجد الإنسان فى ظلها الوارف السكنية القلبية ، والتى يتبادل الزوجان فى بهوها الفسيح روح المودة والرحمة .

٣ ـ **حسن العشرة** : لا يتحقق إلا بمراعاة كل من الزوجين حق صاحبه ، وإخلاصه فى القيام بواجبه ..

٤ ـ **إذا كان بأحد الزوجين** : ضعف تصرف أو سوء خلق : فعلى الآخر أن يكون رحب الصدر ، وأن يعامله برفق .

٥ ـ **حسن المعاملة بين الزوجين** : مجلبة خير كثير ، ومدرأة شر كثير : ففى حسن العشرة : السرور والرحمة ، وفيه التعاون على شئون الحياة ، وحسن الصلة بالله .

الإحسان إلى الجار

بقلم الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح

الخطبة .. النموذج

العناصر :

١ ـ **الإسلام يدعو إلى** : تنمية الروابط الاجتماعية بين الناس ، ومن أهمها : علاقة الجار بأخيه الجار ..

٢ ـ **الدين الإسلامى** : أحاط رابطة الجوار بما يحفظ بقاءها ، ويصون حقوقها ..

٣ ـ **حق الجار** : على أخيه الجار ..

٤ ـ **الإساءة الى الجار** : برهان على ضعف الإيمان ..

٥ ـ **ثمرة الإحسان إلى الجيران ..**

الاستشهادات :

١ ـ « وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ » النساء : ٣٦ .

٢ ـ عن أبي صالح رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيوم الآخر فَلْيُحسِنْ إلى جَارِهِ » أخرجه مسلم ..

٣ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « خَيْرُ الْأصحَابِ عِنْد الله : خَيْرهُمُ لِصَاحبه ، وَخَيْرُ الْجيرانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » رواه الترمذى .

٤ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « مَنْ كَاَن يُؤمن بالله وَالْيَوم الآخر : فلا يُؤْذِ جَاره » رواه البخارى .

٥ ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « مَا آمن بالله مَن بَات شَبْعَان وَجَاره جائع إلى جنبه وَهو يَعْلَمُ » رواه الطبرانى ..

البحث العلمى :

١ ـ يهدف الإسلام فى تعاليمه الدينية الى تنمية الروابط الاجتماعية التى تربط الناس بعضهم ببعض ومن أعظمها : فى نظر الدين : علاقة الجار بأخيه الجار ، فالجوار أمر لا يستغنى عنه بنو الانسان ..

٢ ـ أحاط الاسلام : رابطة الجوار : بما يحفظ بقاءها ، ويصون حقوقها ، ويرفع قدرها ، ويعلى منزلتها : فأمر بالإحسان إلى الجوار ، والمحافظة عليه وصون كرامته وستر عورته ، وعدم إهانته .

٣ ـ إن من الاحسان الى الجار : أن يراعى الانسان : ماله وماعليه من حقوق ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ « الجيران ثلاثة : فجار له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان : حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق واحد : حق الجوار : وهو المشرك من اهل الكتاب » .

٤ ـ أقسم النبى ـ ﷺ ـ بالله ثلاثا : بأن من أساء إلى جاره فهو عارٍ من الإيمان عن ابى شريح رضى الله عنه قال : قال النبى ـ ﷺ ـ : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » وفى رواية أخرى قيل : « وما بوائقه ؟ قال : غشمه وظلمه وشره » .

٥ ـ لو أحسن كل منا الى جاره : لوجدنا البلد على تعدد أسرة : أسرة واحدة يسودها الأمن والطمأنينة ، ويرفرف عليها : علم السعادة والمسرة ، فتجتمع القلوب على المحبة والصفاء ..

من وحى الإيمان

لفضيلة الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ــ الايمان بالله من أهم أركان الاسلام :

من أهم الأركان التى بنى عليها الاسلام واقيمت دعائمه الإيمان بالله سبحانه : فالإنسان به يكون راضى النفس مطمئن القلب فهو يحقق له الأمل والرجاء كما أنه يخشى هيمنة ربه ويرهب عقابه فهو دائما بين الخوف والرجاء يرجو رحمة ربه التى وسعت كل شىء ويخاف عذابه لأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين .

٢ ــ معنى الايمان ومتعلقاته : الايمان بالله معناه التصديق الجازم بوجوده سبحانه وبكل صفة من صفاته التى وصف نفسه بها من صفات الجمال والجلال مع تنزيهه عن جميع الصفات التى لا تليق به سبحانه والتصديق بكل الكتب التى أنزلها على من أرسله من الرسل وبملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره مع اطمئنان القلب والعقل والعزم والتفكير فى ملكوت السموات والارض .

٣ ــ الأدلة والبراهين : كل ما فى الكون ينادى بوجوده سبحانته ويهتف بوحدانيته ويشهد بعظمته وهيمنته فهو قيوم السموات والأرض لا إله غيره ولا رب سواه فالناظر بعين العقل والتأمل فى هذا الكون وما طبع عليه من نظام دقيق وما اشتمل عليه من خصائص يعلم أنها محكمة بقوانين مضبوطه شرحت الكثير منها العلوم الحديثة من طبيعة وكيمياء ونبات وحيوان وقد اثبت الانسان

بعلمه الذى وصل اليه بعقله الذى منحه الله إياه وتوصّل به إلى معرفة بعض اسرار هذا الكون أن الله موجود وهو الفاعل المختار أبرزه من العدم بقدرته وابدعه بحكمته وسيره بمشيئته فالعالم العلوى يسوده انسجام تام يقول عز من قائل
وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

(ســـورة يس) ٣٧ ـــ ٤٠ ـ بينما نرى اختلافا وتباينا فى العالم السفلى الذى جعله الله سبحانه ذلولا ومسخر العمل للانسان وانتاجه يقول سبحانه ـ « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ـــ الملك ـــ ١٥

ويقول : « وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ـــ الرعد ٤

ومن هذين النظامين المتقابلين العلوى والسفلى يوقن المتأمل فيهما بوجود اله قادر أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فهو المهيمن على تلك الأجرام الهائلة والأفلاك المتعددة وجعلها تجرى بهذه القوة التى لا تحد متمركزه على دعائم القدرة الألهية فلا تحيد ولا يعتريها خلل ولا فساد رأفة بخلقه سبحانه وعناية بملكه وملكوته « إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ فاطر ٤١ .

٤ ـ ثمرة الايمان : والإيمان إذا وقر فى القلب وصدقه العمل باستجابة الجوارح لما يدعو اليه كان سببا فى سعادة صاحبه وأمنه وأمانة فى الدنيا والآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين ـــ فليس مؤمنا من صدق بقلبه ونطق بلسانه وعاث فى الأرض فسادا ولم يلتزم حدود الله فلم يعلمها أو علمها ولم يعمل بها وتاه فى أودية الشك والريب وابتعد عن صراط الله المستقيم وصدق الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » رواه الطبرانى .

وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قوله « إن الفتن تكثر إذا تفقه الناس لغير الدين وتعلموا لغير العلم والتمسوا الدنيا بعمل الآخره .

فالإيمان الحق هو صمام الأمان فى الدنيا للفرد والجماعة وفى الآخره يوم يجمعنا ربنا ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وهو الحصن المنيع من الوقوع فيما يبغض الله عز وجل ويهدم المجتمع ويقوض بنيانه ، قال سبحانه وتعالى : ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » سورة الأنعام ـــ ٨٢

الإسلام دين الله

بقلم الشيخ : عبد المعبود الجمل

١ ـ المقدمة ـ اركانه وقواعده :

الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه لعباده منذ خلق البشرية الأولى تتجلى قواعده وأركانه واضحة فى كل رسالة سماوية منذ أن بعث الله سبحانه أول الأنبياء آدم عليه السلام من توحيد الخالق عز وجل وإقامته للصلاة وأمساك وصوم عن شهوتى البطن والفرج فى أيام معدودات وزكاة للمال تطهيرا لصاحبه ومرضاة للرب المنعم سبحانه وحج مع القصد الخالص الى بيت الله الحرام تذكرا بمهبط الرسالة وليشهد القاصدون منافع لهم .. قال سبحانه : إن الدين عند الله الإسلام » وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه .

٢ ـ الرسول محمد ـ ﷺ ـ خاتم الانبياء والمرسلين جاء الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه على فترة من الرسل فأكمل الله به الرسالة واتم به النعمة ورضى بالاسلام دينا له ولجميع الرسل قبله ولأمته من بعده وجعلها خير أمة اخرجت للناس .. قال سبحانه « شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (سورة الشورى)

وقال « ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ » المائدة ٣ .

٣ ـ ما كان عليه الناس قبل بعثته صلوات الله وسلامه عليه .

ختم الله سبحانه الرسالات ببعثة رسول الله محمد ـ ﷺ ـ فجاءت رسالة عامة وشاملة تحمل بين جوانبها البقاء والخلود بعد انحراف أضاع

هيبة الانسان وكرامته بسبب ضعف العقيدة الحقة وانزوائها من نفوس الكثيرين الذين جنحوا الى عبادة الشجر والحجر وجعلوا لله اندادا وابناء تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا مع ما كان يختلج فى صدورهم إن للكون ربا أو جده وأبدعه — ولئن وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ » الزخرف ٩ ولكن كما قال سبحانه « أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

الحج ٤٦ .

٤ — منهجه صلوات الله وسلامه فى تبليغ الدعوة .

قام رسول الله — ﷺ — بعرض دعوته على العالم كله بنفسه تارة وبرسله وكتبه تارة اخرى فعرضها عرضا كله السهولة والبساطة بالأدلة العقلية والمنطق الصحيح لافتا الانظار الى ملكوت السموات والارض وموجها العقول إلى التفكير فى أيات الله ومنها نظرهم الى ما جبلوا عليه من الشعور بالتدين والاحساس النفسى بأن وراء هذا العالم المادى قدرة قادرة على كل شىء وعلما محيطا بالكون كله فلا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء وبهذا الأسلوب السمح الواضح بلغ صلوات الله وسلامه عليه رسالة ربه مترسما قوله سبحانه . ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

النحل ١٢٥ .

٥ — موقف المعاندين — ورغم ما سار عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى تبليغ الرسالة من السهولة والحكمة قوبل بأشد ما يكون من العنف والعنت وصار المعاندون يشددون عليه فآذوه فى نفسه وفى كل عزيز لديه ثم اغروه بما يرجوه أى أنسان من مال ومنصب ولكنه رفض كل هذا مستمسكا بما اوحى إليه وقال قولته المشهورة « لن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك دونه » .

٦ — النتيجة — وكان جصاد صبره ومصابرته صلوات الله وسلامه عليه نجاح وفلاح وانتشر الاسلام فى جميع الأفاق ونقل الأمة التى غرقت فى الوثنية والشرك إلى اذقانها إلى التوحيد الخالص والايمان الصادق والعقيدة الطاهرة وجعل من أصحابها صلوات الله وسلامه عليه وأتباعه قادة العالم فى الإصلاح وأئمه فى الخير فكانوا كالشمس فى الدنيا نورا وضياء والروح للجسد حياة ونماء والعافية للناس بذلا وعطاء .

قال عز من قائل — « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ سورة ال عمران ١١٠ .

وقال « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا البقرة — ١٤٣. فليكن لنا فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة فى الدعوة الى الله سبحانه — اعتقادا ويقينا وسماحة ورحمة وحكمة وحلما .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

٤

فصـــل

وإذا أتت ألف بعدها (راء) متطرفة مجرورة نحو « الدار والغار ـ » ـ والأبكار والأبصار » فأمالها أبو عمرو والدُّورى عن الكسائى ، واختلف عن ابن ذكوان ؛ فعنه الفتح والإمالة ، وعنه إمالة ، « حمارِكِ ـ والحمار » فقط ، وعنه فتح « حمارك » وإمالة « الحمار » فقط ، وعنه فتح « الأبصار » فقط حيث وقع . وأمال ورش ـ من طريق الأزرق ـ جميع ذلك بين بين ، وروى مثله عن حمزة وقالون[1] .

وخرج عن هذا الفصل سبعة أحرف وهى :

« الجار » فى موضعى النساء ؛ فاختص بإمالتهِ االدورى عن الكسائى ، وفتحه الباقون ، وعن ورش ـ من طريق الأزرق ـ إمالته بين بين .

و « الغار » فى التوبة ، فاختلف فيه عن الدورى عن الكسائى ، والباقون على أصولهم ، وعن قالون وخلاد إمالته بين بين .

و « هار » فى التوبة فاتفق على إمالته أبو عمرو والكسائى وشعبة ، واختلف عن قالون وابن ذكوان ـ وأماله ورش ـ من طريق الأزرق ـ بين بين على أصله ، والباقون بالفتح ، وعن حمزة من طريق خلف ، وعن خلف من طريق إدريس إمالتـــه ، ورويت عن حمزة ـ أيضا ـ من طريقيهِ ،

و « القهار » حيث وقع و « البوار » فى إبراهيم ؛ فاختلف فيهما عن حمزة : فعنه الفتحَ وعنه الإمالة بين بين ، وقيل : محضة ، وعن خلف من طريق إدريس الإمالة محضه ، والباقون على أصولهم

و « جبارين » فى المائدة والشعراء ؛ فاختص بإمالته الكسائى ـ من طريق الدورى ، واختلف فيه عن ورش ـ من طريق الأزرق ـ فقيل : بفتحه ، وقيل : بإمالته بين بين ، وفتحه الباقون

و « أنصارى » فى آل عمران والصف ، فاختـــص بإمالتـــه ـ أيضا ـ الـــكسائى من طريق ـــالدُّورى ـ وفتحها الباقون .

فإن وقعت الراء المتطرفة مكـــررة نحو « الأبرار ـ والأشرار ـ والقرار » فأمال الألف

---

(١) هذه الرواية عن حمزة وقالون من الانفرادات التى لم يقرأ بها .... المحقق .

فيه أبو عمرو والكسائى وخلف وابن ذكوان ـ من طريق الصورى وعنه من طريق غيره إمالتها بين بين ، وكذا أمالها ورش طريق الأزرق ـ واختلف عن حمزة : فعنه ـ من طريقيه ـ إمالتها فحضة ، وعنه كذلك إمالتها بين بين ، وعنه ـ من طريق خلف ـ إمالتها محضة ، ومن طريق خلاد فتحها ، والباقون بفتحها ، وعن هشام وابن وردان إمالتها .

فصـــل

ـ وأمال حمزة ألف (عين) الفعل من عشرة أفعـال : « زاد ـ وشاء ـ وجـاء ـ وخاب ـ وران ـ وخاف ـ وزاغ ـ وطاب ـ وضاق ـ وحـاق » حيث وقعـن نحو : « فزادهم ـ وزادوهم ـ وزادتهم ـ وجاءتهم ـ وجادا ، إلا (زاغت) فقط ؛ فأجمعوا على استثنائه ، لكن رُوى عن خلاد إمالته ، ووافقه الكسائى وخلف وشعبة فى (بل ران) وخلف وابن زكوان فى (شاء ـ وجاء) وابن ذكوان فى « فزادهم » الأولى فى البقرة ، واختلف عنه فى باقى القرآن ، وكذا فى (خاب) واختلف عن هشام فى (شاء ـ وجاء ـ وزاد) فأمالها ـ من طريق الداجونى وفتحها من طريق الحلوانى ، واختلف عنه من طريق الداجونى فى (خاب) .

فصـــل

(فى إمالة حروف بأعيانها غير ما مر) .

وهى « التوراة » ، فأمالها أبو عمرو والكسائى وخلف وابن ذكوان وورش ـ من طريق الأصبهانى ـ واختلف عن حمزة : فعنه الإمالة محضة، وعنه الإمالة بين بين ، واختلف عن قالون ، فعنه : الإمالة بين بين ، وعنه الفتح ، وأمالها ورش ـ من طريق الأزرق ـ بين بين ، وفتحها الباقون .

و « الكافرين » المجرور والمنصوب منكرا أو معرفا أماله أبو عمرو والدُّورِى عن الكسائى ورديس ، ووافقهم روح فى « إنها كانت من قوم كافرين » فى النمل ، واختلف فى إمالته عن ابن ذكوان ، وأماله بين بين ورش ـ من طريق الأزرق ، وقنبل ـ من طريق[1] ، والباقون بالفتح ، وكذا ورش من طريق الأزرق ، وعن الدُّورِى عن الكسائى إمالة « أول كافر به » و « الناس » المجرور ، أمالَهُ الدورى عن أبى عمرو بخلاف عنه ، والباقون بالفتح .

« وضعافا » أماله حمزة من طريق خلف لنفسه ، وعن حمزة ، واختلف فى إمالته عن خلاد ، وروى عن خلف ـ من طريق إدريس ـ الفتح ، وبه قرأ الباقون .

و « المحراب » المجرور فى آل عمران ومريم أماله ابن ذكوان ،واختلف فى إمالته عنه فى المنصوب فى آل عمران ـ أيضاً ـ وفى (صٓ) .

و « عمران » فى آل عمران ـ والتحريم
و « الإكرام » فى موضعى الرحمن .
و « إكراههن » فى النور .
و « الحواريين » فى المائدة والصف .

---

(٢) ليس هذا الوجه المنسوب لخلاد وقالون من المتواتر ... المحقق .

(١) لم يعز الطريق إلى صاحبه .. فلينظر فى المطولات ... المحقق .

و « للشاربين » فى النحل والصافات والقتال أمالهن ابن ذكوان بخلاف عنه ، وفتحهن الباقون .

و « ومشارب » فى يّس ، أماله ابن عامر بخلاف عنه ، وفتحه الباقون .

و « آنية » فى الغاشية .

و « عابدون » الحرفان[٢] و « عابد » فى الكافرون أمالهن هشام من طريق الحلوانى وفتحهن من طريق الداجونى وبه قرأ الباقون .

فصـــل

فى إمالة أحرف الهجائى فى فواتح السور .

وهى خمسة « الر » أول يونس والخمسة بعدها : أمالها محضة أبو عمرو وابن عامر والإخوة وشعبة ، وبين بين ، وعن قالون ـ أيضا ـ امالتها محضة ، وفتحها الباقون .

و « الهاء » من فاتحة مريم وطه : أمالها من فاتحة مريم : أبو عمرو والكسائى وشعبة ، واختلف عن نافع : فعنه الإمالة بين بين ، وعنه الفتح ، وبه قرأ الباقون ، وأمالها من فاتحة طه : أبو عمرو والإخوة وشعبة ، واختلف عن قالون وورش : فعنهما الإمالة بين بين ، وعنهما الفتح ، وعن ورش الإمالة محضة ، والباقون بالفتح ؛

و « الياء » أمالها من أول مريم : ابن عامر والإخوة وشعبة وهشام ، بخلاف عنه ، واختلف عن قالون وورش : فأمالها عنهما بين بين من أمال (الهاء) وفتحها عنهما من فتح ، واختلف فى إمالتها عن أبى عَمْرو ـ من طريقيه ـ والمشهور عنه فتحها ، وأمالها من أول يّس : الإخوة وشعبة وروح ، وعن حمزة إمالتها بين بين ، واختلف عن نافع : فعنه الفتح ، وهو المشهور عنه . وعنه الإمالة بين بين ، وعن روح الفتح وبه قرأ الياقون .

و « الطاء » من طه و « الطواسين » أمالها من طه : الإخوة وشعبة ، وفتحها الباقون ، وعن قالون إمالتها بين بين ، وأمالها من (الطواسين) الإخوة وشعبة ، وفتحها الباقون وعن نافع أمالها بين بين .

و « الحاء » من الحواميم : أمالها محضة الإخوة وابن ذكوان بخلاف عنه ، وشعبة وبين بين ، وورش من طريق الأزرق ؛ واختلف عن أبى عَمرو : فعنه أمالها بين بين ، وعنه فتحها ، وبه قرأ الباقون ، وعن أبى جعفر إمالة (الهاء ـ والياء ـ والطاء) من فاتحة مريم وطه والطواسين ويّس بين بين .

فصـــل

كل ما أميل لأجل (كسرة متطرفة بعد ألف) كالدار والحمار والناس والمحراب فالوقف عليه[١] ، ولو بالسكون ، كذلك لعروض الوقف ، وكذا لو أدغم نحو (الأبرار ربنا) (الفجار لفى) ، وقد اختلف عن السوسى فى ذلك ، وعن بعضهم إمالته بين بين ففيه ثلاثة أوجه .

وإذا وقع بعد (ألف مماله) ساكنٌ ، وسقطت لأجله امتنعت الإمالة لسقوط الألف ، سواء كان الساكن تنوينا أم غيره ، فإن زال الساكن ـ بالوقف عادت الإمالة بنوعيها لمن هى له ، فالتنوين يلحق الاسم مرفوعا نحو (هدى للمتقين ،

---

(٢) الكلمتان بسورة (الكافرون) ... المحقق .

(١) خبر المبتدأ ... المحقق .

ومجرورا نحو (فى قرى محصنة) ومنصوبا نحو (قرى ظاهـرة) وغير التنويـــن نحو (موسى الكتاب) و (جنا الجنتين) و (ذكرى الدار) وحكى فى الوقف على المنون الفتح بتقدير (أن تكون) الألف بدلا من التنوين) وحكى ذلك فى الوقف على المنون المنصوب فقط ولا اعتداد بشىء من ذلك .

واختلف عن السوسى فى إمالة (الراء) الواقعة قبل ساكن غير تنوين وصلا نحو (القرى التى) و (وذكرى الدار) و (نرى الله) .

باب مذهب الكسائى فى إمالة ما قبل هاء التأنيث وقفا

ويأتى على ثلاثة أقسام :

الأول : متفق على إمالته عنه بلا تفصيل ، وهو خمسة عشر حرفا : الباء ـ والتاء ـ والثـاء ـ والجيم ـ والدال ـ والذال ـ والزاى ـ والسين ـ والشين ـ والفاء ـ واللام ـ والميم ـ والنون ـ والـواو ـ واليـاء[٢] : نحو (حبـة ـ والميتـــة ـ وثلاثة ـ وليجة ـ وبلدة ـ ولذة ـ وأعـزة ـ والخامسة ـ والفـاحشة ـ وخليفـة ـ وليلـة ـ ورحمة ـ وسنة ـ وقسوة ـ وخشية .

الثانى : يوقف عليه بالفتح ، وذلك عشرة أحرف : الألف والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والـغين والقـاف .. نحو « الصلاة ـ ولوّاحة ـ والصاخة ـ وخالصة ـ وروضة ـ وبسطـة ـ وغلظـــة ـ وسبعـــة ـ وصبغة ـ وطاقة » .

ويلحق بنحو الصلاة » : هيهات ـ واللات ـ ولات » ونحوه مما يأتى فى (باب الوقف) على (مرسوم الخط) .

وأما التوراة ـ وتقاة ـ ومرضاة » ونحوه فليس من هذا الباب ؛ بل من باب الإمالة تمال ألفُهُ فى الحالين كما مر .

الثالث : فيه تفصيل : فيمال فى حال ، ويفتح فى الأخرى ، وذلك أربعة أحرف : الهمزة والواو والكاف والهاء[١] ؛ فإن كان(قبلُ)[٢] كل منها (ياء) ساكنة ، أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن أُمِليت ، وإلا فتحت . وهـذا مذهب الجمهور عنه ، وذهب غيرهم إلى إمالتها مطلقا ، فالهمزة بعد الياء (كهيئة) وبعد الكسرة نحو (مائة) وبعد غير ذلك نحو (امرأة ـ وبراءة) والراء بعد الياء ، نحو : (كبيرة) وبعد الكسرة المتصلة نحو (الآخرة) وبعـد المنفصلـــة نحو (عِبْرَة) وبعد غير ذلك نحو (الحسرة) واستثنى جماعة (فطرة) فى الروم ، ففتحوها لأجل كون الفاصل حرف إستعلاء وإطباق ، والجمهور على عدم الاستثنـاء ، وذهب بعضهـم إلى إجـراء الهمزة ، والهاء مجرى الأحرف العشرة المتقدمة فلم يميلوهما مطلقا لكونهما من أحرف الحلق .

وذهب آخرون إلى إطلاق إمالة جميع الحروف من القسم الثانى والثالث كالأول ، ولم يستثنوا شيئا غير الألف ـ كما مر ـ وشذ من أجاز الإمالة فيمـــا قبـــل (هاء السكت) أيضاً ، نحو : (كتابيه ـ وحسابيه) .

وذهب بعضهم إلى أن حمزة ـ من طريقيه وقيل : من طريق خلف ـ كالكسائى فى إمالة ما ذكر وروى فى ذلك أقوال غريبة .

---

(٢) فى التقريب : يجمعها قولك : (فَجَثتْ زَيْنَبُ لِذَوْدِ شَمْسٍ) .

(١) فى التقريب : يجمعها (أُكْهَر) .
(٢) عن التقريب ص ٦٩ .

﴿ بابُ مذاهبهم فى الراءات ﴾

(الراء) إما مفتوحة أو مضمونة أو مكسورة أو ساكنة ، وتفخيمها - مفتوحة ومضمومة - مجمع عليه ، إلا ما يأتى عن ورش - من طريق الأزرق . فأما المفتوحة فإنه يرققها إذا كانت بعد (ياء ساكنة) أو كسرة ، وهى مع كل منهما فى كلمة ، سواء كانت وسطا أم آخرا نحو « خيرات - وصغيرة - وكبيرة - والخير - والطير - وكبائر - وبصائر - وليغفر - وخسر - وحاضرا » وذلك بشرطين :

أحدهما : أن لا يكون بعد الراء المتوسطة حرف استعلاء ؛ فإن كان وهو فى (صراط) كيف جاء و (فراق) فى الكهف والقيامة فلا خلاف فى تفخيمها .

الثانى : أن لا تقع الراء مكررة ؛ فإن وقعت مكررة وذلك فى « ضرار - وفرار - والفرار » فلا خلاف فى تفخيمها أيضاً ، وكذا يرققها - ولو حال بينهما وبين الكسرة ساكن نحو (إكراه) و (عبره) و (وزارا) بشرط أن لا يكون الساكن (صادا - أو طاء - أو قافا) نحو (إصرا - وقطرا - ووقرا) وأن يكون بعد الراء حرف إستعلاء ، وذلك فى (إعراضا - وإعراضهم - [و] فى الإشراق) على ما يأتى ، وأن لا يتكرر الراء فى ذلك « مدرارا - وإسرارا[٣] وأن لا تكون الكلمة أعجمية وذلك فى : « إبراهيم - وعمران - وإسرائيل » واختلف الرواة عنه فى المنون من ذلك ، فى كلمات معينة ، فالمنون نحو « شاكرا - وسامرا - وخضرا - ومنتصرا - وقواريرا - وذكرا - وصهرا » فمنهم من رققه مطلقا ، ومنهم من فخم مطلقا ، ومنهم من فصل : ففخم ما كان مفصولا بساكن صحيح نحو « ذِكْرا - وسترا - وصهرا » ورقق فى غيره ، ومن هؤلاء من استثنى من ذلك صهرا فرققه .

ثم اختلف المفصلون : فمنهم من رقق ذلك فى الحالين ، سواء كان بعد (ياء) أم كسرة مجاورة . « كثيرا - وشاكرا » ومنهم من رققه وقفا وفخمة وصلا .

والكلمات المعينة « إرم - وسراعا - ذراعا - وذراعيه - وافتراءً على - وافْتراء عليه - ومراءا - وساحران - وتنتصران - وطَهّـرَا - وعشيرتكم - وحيران - ووزرك وذكرك - ووز أخرى وإجرامى - وحذركم - ولعبرة - وكِبْرَهُ والإشراق - وحصرت صدورهم وبِشَرَرٍ » فكل منها مختلف فى تفخيمه وترقيقه .

وأما الراء المضمومة ؛ فالجمهور على أنه يرققها أيضاً إذا كانت بَعْدَ ياء ساكنة أو مكسورة سواء كانت الراء وسطا أم آخرا ، منونة أو غير مئوية ، نحو : « سيروا - وكافرون » وكذا لو فصل بينهما وبين الكسرة ساكن نحو : « ذكركم - وعشرون » .

وأما الراء المكسورة فلا خلاف فى ترقيقها سواء كانت كسرتها لازمة أم عارضة فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، نحو : « رزق - وفارض - وبالزبر وبشر الذين » .

---

(٣) عبارة التقريب : وأن لا يتكرر الراء وذلك فى (مدراراً - وإسراراً) ... ألخ .

وأما الراء الساكنة ؛ فإن كان قبلها ضم أو فتح فلا خلاف فى تفخيمها ، نحو : « القرآن ــ وبرق » وورد عن بعضهم ترقيقها فى « قرية ــ قمريم ــ والمرء » ، والصواب خلافه . .

وإن وقعت الساكنة بعد كسر ؛ فإن كانت الكسرة عارضة فلا خلاف أيضا فى تفخيمها نحو « أم ارتابوا ــ وَلِمَنْ ارْتَضَى » أو لازمة ؛ فلا خلاف فى ترقيقها نحو « فرعون ــ ومرية » إلا إن وقـع بعدهـا حرف استعـلاء متصلا نحو « قرطاس ــ وفرقة » فلا خلاف فى تفخيمها ، نعم روى ترقيقها فى (فِرْقٍ) فى الشعراء لأجل كسرة القاف فإن انفصل حرف الاستعلاء فلا اعتباربة نحو « فاصبر صبرا ــ وأنذر قومك » .

فصـــل

إذا وقف على الراء المقطوفة بالسكون أو بالإشمام ؛ فإن كان قبلها كسرة ، أو ساكن بعد كسرة ، أو ياء ساكنة ، أو ألف مماله ، أو راء مرققة رققت فى ذلك كله ، نحو : « بُعْثِرَ ــ والشعر ــ وخبر ــ وفى الدار » عند من أمال ، و « بشرر » عند من رقق ، وإن كان قبلها غير ذلك فخمت ؛ سواء كانت مكسورة وصلا أم لا ، نحو : و « الْحِجْر ــ ولا وَزَر ــ وكبر والتفجر ــ والفجر » وقيل : يجوز ترقيـق المكسورة فى ذلك ــ وإن وقف عليها بـ (الرَّومْ) عوملت معاملة الوصل .

﴿ بابُ اللامَات ﴾

غلّظ ورش ــ من طريق الأزرق ــ اللام المفتوحة ــ ولو مشددة ــ إذا وقعت بعد صاد أو طاء أو ظاء سواء كانت هذه الثلاثة ساكنة أو مفتوحة مشددة أم مخففة ــ نحو : « الصلاة ــ وصلـح ــ ويـوصل ــ وصلى ــ ويصلى ــ والطلاق ــ ومطلع ــ والمطلقات ــ وظلم ــ وظللنا ــ ومن أظلم » .

وخصّ بعضهـم (التغليـظ) بالصاد ، واختلفوا عنه فيما إذا وقع بعد اللام ألف تمال ، نحو : « صلى[1] ــ ويصلاها » فمنهم من غلظ ، ومنهم من رقق ، ومنهم من فَصَّل : فرقق فى رءوس آى السور الإحدى عشرة للتناسب ، وغلظ فى غيرها للوجوب والذى وقع من ذلك رأس الآية « ولا صلى » فى القيامة ، و « فصلى » فى الأعلى ، و « إذا صلى » فى الفلق وهو الأرجح فى الشاطبية .

والذى وقع منه غير رأس آية (مصلى) فى البقرة حالة الوقف ، و (يصلى النار) فى سبح ، و (يصلاها) فى الإسراء والليل و (يصلى) فى الانشقاق و (تصلى) فى الغاشية و (سيصلى) فى تبت .

واختلفوا أيضا فيما إذا حال بينهما ألف وهو (فصالا ــ ويَصَّالَحا وطال) وفى الوقف على المتطرفة نحو : « أن يوصل ــ وفيصل الخطاب ــ

(١) « مصلى » أدق ... المحقق .

وظل وجهه ـ ويظل » وفى تغليظ لام (صلصال) مع كونها ساكنة لوقوعها بين صادين .

فصل

أجمعوا على تغليظ اللام من اسم (الله) تعالى إذا كان بعد فتح ، أو ضم نحو « شهد الله ـ ورسل الله ـ وقالوا اللهم » ، واتفقوا على الترقيق بعد كسرة نحو « بسم الله ـ والحمد لله ـ وأجد الله » .

وإن ابتدى به فخم لفتح همزته .

واختلف فيما بعد الممال فى رواية السوسى فى « نرى الله ـ وسيرى الله » بخلاف ما إذا كان بعد مرقق فتفخم إجماعاً نحو « أفغير الله ـ ولذكر الله فى رواية ورش من طريق الأزرق .

﴿ بابُ الوقف عَلى أواخِر الكَلم ﴾

الأصل فى الوقف السكون ، ويجوز بالروم ، والإشمام لكل القراء .

والروم : الإتيان ببعض الحركة ، ويكون فى المرفوع والمضموم والمجرور والمكسور نحو « الله الصمد ـ ومن قبلُ ومن بعدُ ـ وبسم الله ـ وهؤلاء » ونحو « دفء ـ ومن شىء » إن وقف بالهمز أو النقل .

والاشمام : الإشارة بضم الشفتين بعد سكون الحرف ، ويكون فى المرفوع والمضموم فقط ولا يَجُوزَانِ فى منصوب ولا مفتوح ، نحو « أن الله ـ ولا ريب ـ وأن يضرب ـ وضرب » ويمتنعان فى الهاء المبدلة من تاء التأنيث نحو « الجنة ـ الملائكة ـ وَلَعِبْرة » ، وفى ميم الجمع نحو « عليهم ـ وإليهم ـ ومنهم » فى قراءة من قرأ بالصلة . وفى المتحرك بحركة عارضة بنقل أو غيره ، نحو : « وانحرِانَّ ـ ومنِ اسْتبرق ـ قم الليل ـ وأنذر الناس ـ اشتروا الضلالة ـ قل ادعوا » ، واختلف فى هاء الضمير ، فمنهم من جوزهما[1] فيها مطلقا ، ومنهم من منعهما فيها مطلقا ، والمختار منعهما فيها إذا كان قبلها ضم ، أو واو ساكنة ، أو كسر ، أو ياء ساكنة نحو « يعلمه ـ وليرضَوْه ـ وبه ـ وفيه » وجوازهما إذا خلت من ذلك ، نحو : « منه ـ وعنه ـ واجتباه وهداه ـ ولن تخلف ـ وأرجه ـ ويتقه فى قراءة من همز وسكن القاف .

(يُتْبَع)

---

(١) أى الروم والإشمام ... المحقق .

أنباء

وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبــاء العـــالم الإســلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

الرئيس مبارك يشهد احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

فى ليلة ميمونة مباركة احتفلت مصر بذكرى المولد النبوى الشريف .

شهد الاحتفال الذى أقيم بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر الرئيس محمد حسنى مبارك وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والأستاذ الدكتور عاطف صدق رئيس مجلس الوزراء والدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف وكبار رجال الدولة ولفيف من علماء الازهر والأوقاف .

وقد تم فى هذا الاحتفال تكريم أربعة عشر عالما وكاتبا فى السيرة النبوية المطهرة من مصر ومختلف دول العالم ، كما تم تكريم شباب مصر والعالم الإسلامى .

وفى كلمة جامعة أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الاحتفال الحقيقى بذكرى ميلاد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إنما يكون بالعمل بسنته والتمسك بأخلاقه ـ ﷺ ـ .

وفى ختام الحفل القى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة دعا فيها إلى إصلاح أوضاع الأمة الاسلامية وتصحيح صورتها على خريطة العالم ، كما حث سيادته المجاهدين الأفغان على نبذ الصراعات المذهبية وعلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بالوحدة الإسلامية .

الإمام الأكبر يشهد افتتاح مؤتمر الجمعيات النوعية بدمياط

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الازهر افتتاح مؤتمر اتحاد الجمعيات النوعية الدينية والثقافية والاجتماعية الذى نظمه الاتحاد النوعى التابع لوزارة الشئون الاجتماعية .

كما شهد افتتاح المؤتمر السيد المستشار عبد الرحيم نافع محافظ دمياط وعلماء الازهر بالمحافظة ولفيف من رواد العمل الاجتماعى .

وقد أكد فضيلة الامام الاكبر فى الكلمة التى القاها أمام المؤتمر على دور الشباب وضرورة رعايته اجتماعيا وحمايته من التشرد والانحراف ، كما طالب فضيلته بالتصدى للمتسللين من خارج الوطن الهادفين الى النيل من وحدته .

وفى ختام كلمته حمل فضيلته العلمـــاء والمفكرين وأساتذة الجامعات مسئولية توعية الشباب وتوجيههم مشيرا الى الدور الإيجابى الذى تلعبه المؤسسات الصحفية والإعلامية فى توعية الشباب وارشاده .

بحث اوضاع المسلمين بالبلقان مع القيادات الإسلامية هناك

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت الموافق ١٤ ربيع الاول ١٤١٣هـ ١٢ سبتـــــمبر ١٩٩٢م السيد/أحمد صالح جولاكوفينش رئيس المشيخة الإسلامية ومفتى البوسنه والهرسك والسيد/ شوق عمرو رئيس المشيخة الاسلامية فى كرواتيا وسلوفانيا والسيد/ ياسر الزيات ممثل المشيخة الإسلامية فى مقدونيا .

تناول اللقاء التطورات الجارية فى البوسنه والهرسك والجمهوريات الإسلامية الواقعة على أرض الاتحاد اليوجوسلافى سابقا وما يحتاجونه من مواد اغاثة وادوية وملابس وقد جدد فضيلة الإمام الأكبر دعوته للمسلمين شعوبا وحكومات لمساندة مسلمى البوسنه والهرسك ، كما دعا فضيلته مجددا الى وقف المذابح التى يتعرض المسلمون لها هناك على يد الصرب .

ويستقبل سفير الكويت بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ عبد الرازق الكندرى سفير دولة الكويت بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله بالقاهرة وعودته الى بلاده .

أعرب السيد السفير خلال اللقاء عن شكره على حسن التعاون الذى لاقاه من جانب الأزهر الشريف طوال فترة عمله سفيرا لبلاده فى القاهرة مشيرا الى الدور الذى يطلع به الأزهر الشريف لخدمة الاسلام والمسلمين فى مجال نشر الدعوة الإسلامية .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

كليات جديدة بجامعة الأزهر

تفتتح بجامعة الأزهر فى العام الجامعى الجديد كلية للدراسات القرآنية بـ «طنطا» وأخرى للصيدلة «طالبات» بمدينة نصر كما يفتتح قسمان للدراسات الاسلامية باللغة الفرنسية والألمانية .

أعلن ذلك رئيس جامعة الأزهر أثناء لقائه الخميس ١٩٩٢/٨/٢٠ بسفراء ماليزيا وأندونيسيا وسلطنة «بروناى» والفلبين .. أضاف فضيلته أن الأزهر — جامعا وجامعة — مستمران فى دعم العالم الاسلامى ونشر الدراسات الإسلامية واللغوية إلى جانب العلوم الحديثة ، كذلك تم تعديل الخطط الدراسية ، لتطوير المعهد الاسلامي ببروناى وزيادة مدة الدراسة به إلى أربع سنوات ، وأنشئت ثلاث كليات هى : الشريعة ، وأصول الدين ، واللغة العربية ؛ لتكون نواة لجامعة إسلامية فى المستقبل واختتم تصريحه موضحا أنه تقرر أن يلتحق طلاب الثانوية الأزهرية «شعبة علوم» بقسم التخطيط العمرانى لكلية الهندسة بعد أن كان ذلك القسم مقصورا على طلاب شعبة الرياضيات فقط .

القاهرة

كانت لجنة إعلامية إسلامية تتابع تنفيذ مشروع إنتاج البرنامج التليفزيونى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها قد اجتمعت فى القاهرة يوم السبت ٣ صفر الماضى .

تابعت اللجنة إعداد الجدول الزمنى لمراحل إنتاج البرنامج المذكور وقد تبرع الملك فهد بن عبدالعزيز بمبلغ (٨٠٠) ألف دولار ؛ لدعم هذا المشروع الإسلامى الهادف .

دستور إسلامى لجمهورية «الشيشان»

أكدّ الرئيس الشيشانى الجنرال داوودايف موسى] سَعْى بلاده إلى وضع دستور إسلامى متكامل بعد كسر القيد وتحرير الشيشان من التسلط الشيوعى والهيمنة المركسية مؤكداً أنه لايمكن أن يكون هناك دستور فى العالم أفضل من شريعة الله .

وقال : إن الشيوعية سعت جاهدة ؛ لمحو كل ما يمُت للإسلام بصلة حتى فى داخل نفس كل مسلم، وذلك بتحويل المساجد إلى مصانع والمآذن إلى مداخن ، وأكد أن الشيشان تقف قلبا وقالبا إلى جانب مسلمى البوسنة والهرسك حتى تستعيد أراضيها السليبة .

رابطـــة للأطبـــاء المســـلمين فى جمهوريـــة الشيشـــان

التقى الدكتور مانع الجهنى الأمين العام لرابطة الشباب الاسلامى برئيس رابطة الأطباء المسلمين فى «جمهوريـــة الشيشان» الدكتـــور إسلام حليموف .

ذكر د. حليموف أن من أهم أسباب إنشاء تلك الرابطة : نشر الوعى الإسلامى والتعاون مع الجمعيات الإسلامية في الداخل والخارج عن طريق الزيارات واللقاءات ودور الخدمات الطبية في نشر الإسلام بين الناس .

أول مركز إسلامى فى الأكوادور

يُفتتح قريباً أول مركز إسلامى في (الأكوادور) ؛ ليكون ملتقى للمسلمين يدارسون فيه دينهم ويقيمون شعائرهم وتنشر فيه الثقافة الإسلامية والخدمات الإجتماعية .

يقام المركز تحت إشراف جمعية خالد بن الوليد الإسلامية التى إفتتحت مؤخراً فى (كيتو) العاصمة وسيحتفل بهذه المناسبة بحضور شخصيات إسلامية بارزة .

المغـــرب

أصدرت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب البحوث التى ألقيت فى إطار الدورة الأولى للجامعة الصيفية فى ثلاث مجلدات ضخمة ضمت نصوص البحوث والمناقشات التى أعقبت تلك الدورة وكانت الوزارة قد نظمت دورتين

للجامعة الصيفية فى (الدار البيضاء) فى العامين الماضيين شارك فيهما علماء ومفكرون ودعاة من كل أنحاء العالم .

الإقتصاد الإسلامى بين المفهوم والممارسة

نظمت شعبة «الدراسات الإسلامية» بكلية آداب «تطوان» بالمغرب بالتعاون مع «الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في الإقتصاد الإسلامى» ندوة حول الإقتصاد الإسلامى بين المفهوم والممارسة ، شارك فيها عدد من علماء الإقتصاد الإسلامى .

إتخذت عدة توصيات منها : تشجيع تدريس مادة الإقتصاد الإسلامى ومادة المصارف الإسلامية كما طالبت الشعبة بتشجيع تأسيس المصارف الإسلامية فى كل أنحاء العالم .

حفظة القرآن الكريم بولاية بيهار

تم مؤخراً تخريج دفعة جديدة من حفظة كتاب الله من المدرسة الرحمانية بولاية بيهار الهندية تمهيدا لاستكمال دراستهم في جامعة ندوة العلماء التى تُعَد المدرسة الرحمانية أحد فروعها .

وهدف المدرسة هو تنشئة وتربية جيل من أبناء المسلمين والعناية بتحفظيهم القرآن الكريم وذلك حتى المرحلة الثانوية .

كما تم وضع حجر الأساس لمبنى سكن الطلاب الذى يحتوى على قسم مستقل لتحفيظ القرآن الكريم بالمدرسة .

«مسلمو ليباك» بأندونيسيا

أعلن زعيم إحدى قبائل أندونيسيا بـ «ليباك» بجاوا الغربية إسلامه مع تسعة وثمانين شخصاً من أبناء عشيرته ، وذلك بعد لقائه المتعدد بدعاة مسلمين تلقى على إيديهم تعاليم الإسلام ودراسة عقيدته .

القرآن الكريم بين جنود ماليزيا

يُعد الجندى محمد نجم الدين إلياس الذى يبلغ السابعة والثلاثين من أوائل الجنود الماليزين الذين يحفظون القرآن الكريم كاملًا .

فقد تخرج في معهد تحفيظ القرآن الكريم والقراءات التابعة للمركز الاسلامى الماليزي

والذى إلتحق به قبل ثلاث سنوات ، حفظ خلالها القرآن الكريم بأجزائه الثلاثين وحصل على دبلوم المركز فى الحفظ والقراءات . هذا ، وتشجع القوات المسلحة الماليزية أفرادها على حفظ كتاب الله ومن ثم أنشأت لهذا الغرض مراكز للشئون الدينية لتعليم الجنود المسلمين أحكام الدين والعقيدة والشريعة واللغة العربية وتأهيل بعض الجنود المتفوقين علميا ؛ ليكونوا أئمة لزملائهم .. كما تنظم مسابقة سنوية في حفظ وتلاوة القرآن تقدم فيها جوائز مجزية للفائزين .

الإسلام فى الولايات المتحدة

يواصل مسلمو الولايات المتحدة نشاطهم السلمى الأمين فى الدعوة السمحة للإسلام ، وقد وفقوا فى نشر الدعوة بعدد من الجامعات حتى صار لبعضهم مراكز مرموقة ، خاصة في بعض الولايات .

فى الولايات المتحدة — حاليا — خمس وثلاثون مدرسة إسلامية منتظمة تعنى برامجها بتدريس الدين وأحكامه خاصة يومى الإجازة الأسبوعية : السبت والأحد .

آخر ما أفتتح من تلك المدارس مدرسة ملحقة بمسجد «نعمان» في «بافلو» بولاية «نيويورك» .

جمعية أهل الحديث

إفتتحت فى لندن الجلسة الأولى لمؤتمر جمعية أهل الحديث في دورتها السادسة عشر بحضور كثير من العلماء الذين أكدوا أهمية تعليم مبادىء الدين الإسلامي الحنيف لأبناء الجاليات الإسلامية بانجلترا وعلى ضرورة نشر العربية بينهم وبين من يرغب في تعلمها من غيرهم .

حول التضليل الإعلامى

نظم المسجد الجامع في «تورنتو» ندوة تصدى فيها للتضليل الغربى ضد الإسلام والمسلمين والعرب خاصة وعرض في الندوة شريط مصور لوجوه هذا الخداع والتضليل بيانا لمختلف أساليبه وبخاصة ردا على سلسلة من المقالات المغرضة التى صيغت لتشويه الإسلام وطمس حقيقته .

وتقوم رابطة إسلامية بـ «كندا» بإعداد كتاب لتفنيد هذه الدعايات .

من ناحية أخرى حذر الداعية السنغالى «بابلوب بشير» من نشاط حركات التنصير التى تجوب أفريقيا بأسماء مختلفة ظاهرها الرحمة وباطنها سوء المصير وخصوصا في السنغال الذى يعتبر البوابة العربية لأفريقيا .

الفهـــــرس

الموضوع — الصفحة

- الإفتتاحية : شئون وشجون بالأرض البيضاء
للدكتور على أحمد الخطيب ٤٥٧
- مولد المختار عليه أفضل الصلاة والسلام
للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك ٤٦١
- مع الإمام الأكبر : من خصائصه ـ ﷺ ـ فى القرآن
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٤٦٨
- مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور/عبد الجليل شلبى ٤٧٢
- فى تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم
للأستاذ الدكتور/محمد أحمد الغمراوى ٤٧٦
- قبس من أنوار النبوة
للشيخ/على حامد عبدالرحيم ٤٨٢
- من أخبار كعب الأحبار (لابن ظفر الحموى)
للأستاذ/عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ٤٨٥
- الإجتهاد فى الإسلام من خلال قواعده الأصولية العلمية ومقاصد الشريعة الإسلامية
للدكتور/محمد معروف الدواليبى ٤٩٠
- الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف (١)
للواء ا.ح/محمد جمال الدين محفوظ ٤٩٧
- أثر تغير قيمة النقود فى (الحقوق والواجبات)
للأستاذ الدكتور/على أحمد السالوس ٥٠٣
- من كنوز التراث (لابن سيد الناس)
بقلم الدكتور/رشدى محمد إبراهيم ٥٠٩
- مسجد الرياض فى لامو
للدكتور / عبدالله نجيب محمد ٥١٤
- الفتاوى
إعداد الأستاذ / عبدالمنعم فودة ٥١٨

العلوم الكونية

- أسس المنهج القرآنى فى بحوث العلوم الطبيعية
عرض وتحليل ا.د/أحمد فؤاد باشا ٥٢١
- من تاريخ أرض القرآن (قوم عاد)
للدكتور / عبدالعزيز عزت عبدالجليل ٥٢٦
- المشاكل الطبية النسائية
د . أحمد رجاء عبدالحميد ٥٢٩
- الجديد فى العلم والتقنية
اعداد : د . نجوى السيد أحمد ٥٣٢

اللغة والنقد والأدب

- الإسلام طهارة ونقاء
عرض ونقد الأستاذ الدكتور/السيد تقى الدين .. ٥٣٦
- رسالة ماجستير من جامعة الأزهر عن (الشاعر الوجدانى)
عرض وتقديم الأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ٥٤٠
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر (سماحة الإسلام)
لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق
إعداد وتقديم الأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات . ٥٤٦
- من أعلام الأزهر
فضيلة الأستاذ/أبوالحمد أحمد موسى
للأستاذ/على أحمد عبدالمجيد ٥٥٠
- من أعلام نيجيريا
الحاج آدم عبدالله الألورى ٥٥٣
- طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٥٥٨

الشعر والشعراء

- يا رحمة الرحمن
للشاعر / رشاد محمد يوسف ٥٦١
- طفلان فى محراب مسجد
للشاعر / مصطفى أحمد الدردير ٥٦٣
- من لى بمعتصم
للشاعر / محمد صابر عاشور ٥٦٤
- وأذن الفجر
للشاعر / ناصر محمد عطية ٥٦٥

الإمام والخطيب

- حسن المعاشرة بين الزوجين
بقلم الشيخ / عبدالمنصف عبدالفتاح ٥٦٩
- الإحسان إلى الجار
للشيخ عبدالمنصف عبدالفتاح ٥٧١
- من وحى الإيمان
لفضيلة الشيخ / عبدالمعبود الجمل ٥٧٣
- الإسلام دين الله
بقلم الشيخ / عبدالمعبود الجمل ٥٧٥
- تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٤)
تحقيق الشيخ / إبراهيم عطوة عوض .... ٥٧٧ .

أنباء وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد ٥٨٥
- أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير ٥٨٧

القسم الفرنسى

- المقالة الثانية للدكتورة / زينب لبيب ٥٩٣
- المقالة الأولى : أميمة أحمد جمال الدين ٥٩٦

القسم الانجليزى

- المقالة الثانية : سعد مصطفى مصطفى ٦٠١
- المقالة الأولى : د . أنس مصطفى النجار ٦٠٦

Donc, pour que l'Islam soit valable il faut, non seulement croire et confesser qu'il n'y a d'autre dieu qu'Allah, mais aussi prier pour Son Prophète. A part cette fois obligatoire, il est recommandé de prononcer cette formule chaque fois que le nom du Prophète (à lui bénédiction et salut) est cité et de le faire autant que possible car ce n'est qu'un genre de culte. Ceci est affirmé par les versets pré-cites et par un nombre de hadiths qui assurent la valeur que tient cette formule. On rapporte, par exemple, les paroles suivantes proférées par le Prophète (à lui bénédiction et salut).

> "Si vous priez une fois pour moi, Allah vous accordera Sa miséricorde en la décuplant"(1).
>
> et :
>
> "Le Jour du Jugement Dernier, j'intercèderai en faveur de ceux qui auront prié pour moi"(2).

Ainsi, Allah (le Tout Puissant) détermine à Ses fidàles la noble place accordée à Son Messager afin qu'ils lui rendent le respect et la soumission qu'il mérite puisque la foi ne s'achève que par la croyance en Allah (le Tout Puissant) et par la prière pour Son Prophète (à lui bénédiction et salut).

Comme nous venons de voir, la prière tient une place particulière en religion. C'est par elle que le fidèle s'adresse directement à Allah (le Tout Puissant) et elle constitue le deuxième pilier de l'Islam. Un hadith affirme que le Jour du Jugement Dernier le fidèle devra rendre compte d'elle :

> "La première chose dont l'homme devra rendre compte le Jour du Jugement Dernier c'est la prière. Si elle est valable, toutes ses oeuvres le seront mais si elle est défectueuse, toutes ses oeuvres le seront"(1).
>
> D'autre part, la récitation du Qorân et la prière pour le Prophète (à lui bénédiction et salut) sont aussi des liens spirituels qui unissent le fidèle à son Créateur.

Dr. Zenab LABIB

« من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا »

1. Hadith rapporté par Attirmidhy. (Traduction personnelle) EL SABOUNI : Tafsir Ayât El Ahkâm, op.cit., T2 p. 356.

« إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة »

2. Hadith raporté par El Bokhâri. (Traduction Personnelle) Idem., T2 p. 356.

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فان صلحت صلح سائر اعماله وإن فسدت فسد سائر أعماله »

1. Hadith rapporté par Ibn Qartt.
EL SAYED SABEQ : Fiqh El Sounna, op. cit., T1 p. 78. (Traduction personnelle)

LA PRIERE POUR LE PROPHETE

Dr. Zenab Labib

L'Islam reconnait que la foi est basée sur l'acceptation d'une croyance et à l'adhésion à celle-ci. Notre confession de foi traduit notre croyance en Allah, en Ses Anges, en Ses prophètes, en Ses Livres révélés ainsi qu'au Jugement Dernier.

Or le Prophète Mohammad à lui bénédiction et salut tient chez les Muslmans une place sublime et privilégiée puisqu'il jouit de cette même dignité auprès du Seigneur (le Tout Puissant) et auprès de Ses anges. L'étude des versets suivants le prouve et invite tout musulman à prier pour lui en le glorifiant.

> Sourate Les Factions, le sens des verset 56 - 58
> (Oui, Allah et Ses anges bénissent le Prophète*. Ô, vous les croyants ! Priez pour lui et appelez sur lui le salut ● Oui, Allah maudit en ce monde et dans l'autre ceux qui offensent Allah et Son Prophète. Il leur prépare un châtiment ignominieux ● Ceux qui offensent injustement les croyants et les croyantes se chargent d'une infamie et d'un péché notoire)(1).

Les nobles versets précédents nontrent que le terme "prière" revient en son sens littéral d'invocation et d'imploration. Allah nous ordonne de bénir Son Elu Préféré, Son Prophète. Donc, c'est un devoir qui incombe à tout croyant de glorifier dans ce monde le Messager d'Allah (à lui bénédiction et salut), en soutenant sa mission, en sauvegardant sa législation, en invoquant la miséricorde divine à son sujet et en implorant le décuplement de sa rétribution auprès du Seigneur.

Allah et Ses anges prient pour le Prophète, la prière d'Allah (le Tout puissant) est Sa Miséricorde, celle des anges est une demande de l'absoudre, mais quand elle vient d'un fidèle elle revêt la forme d'une glorification. Nous le faisons à plusieurs reprises dans notre prière quotidienne. En récitant la confession de foi nous disons :

Allah ! Bénis, toi. Mohammad).

Cette formule signifie qi'Allah (le Tout Puissant) sait mieux que tous ce qui convient à Son Messager et que les fidèles n'ont jamais atteint le degré qui s'impose... pour cette raison, ils chargent Allah, Lui-même, de glorifier Son Prophète et de lui accorder Sa Miséricorde.

قال تعالى :

(1) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ سورة الأحزاب ، ان الله وملائكته يصلون على النبي

* « Dans ce verset où Allah (le Tout Puissant) affirme Ses bénédictions pour le Prophète, notons l'emploi du présent de l'indicatif pour exprimer que ces bénédictions se renouvellent sans cesse.

Allah n'est pas ancrée dans le coeur. C'est pourquoi, le prophète-à lui bénédiction et salut- a rapporté " Quiconque dit sincèrement qu'il n'y a point de divinité qu'Allah, entrera au Paradis. On l'a interrogé : comment être sincère ? Le prophète a répliqué : "que cette attestatioin vous empêche de commettre toutes interdictions"(3). Donc la foi est la sincérité, autrement dit qu'on obéisse aux commandements d'Allah, sans discussion, puisqu'on croit en Liu, Législateur Sage, légifèrant pour le bien de l'humanité.

"Le monthéïsme est' le principe et l'essence de l'Islam, mais ce n'est pas une simple parole, un simple mot qui n'a pas de base dans le coeur et la conscience.

Si l'attestation de l'homme n'emplit pas sa conscience et n'envahit pas son coeur, il n'est' plus un croyant pur".(1)

Ayant compris la signification de cette simple attestation, les infidèles ne l'ont pas prononcée afin de ne pas satisfaire à ses engagements.

Ainsi, la profession de foi n'est une attestation que si le coeur se joint à langue.

D'autre part, qu'est-ce qui constitue la foi ? Est-ce la profession de la Shahâda par la langue ? Est-ce un assentiment fondé sur la science ? Est-ce une disposition du coeur ? Est-ce une adhésion confirmée par des oeuvres ?.

La foi est la confession par la langue, l'assentiment du coeur et l'oeuvre des membres.

Dans l'interprétation de l'oeuvre de Muslim, l'imam Al-Nawaui dit : "Le serviteur est à la hauteur du commandement des croyants et mérite l'éloge s'il répond à ces conditions : l'assentiment du coeur, la confession de la langue et l'oeuvre des membres [....]. De même, s'il croit en Allah et en Ses envoyés — à eux bénédiction et salut-sans s'acquitter des obligations rituelles, il ne sera pas croyant"(1).

Il est évident que la foi est une parole et une action, une profession de foi et un culte. Ce culte s'accroît et décroît et par conséquent la foi s'accroît et décroît.

A cet effet, l'imam Al-Tabari dit" la foi — un mot qui renferme la croyance en Allah, en Ses livres et en Ses envoyés, et l'affirmation de cette croyance par l'oeuvre"(2). Le prophète-à lui bénédiction et salut — nous a dit que la foi est constituée par soixante et quelques branches, la première étant de professer qu'il n'y a de divinité qu'Allah et le dernier étant d'écarter un obstacle du chemin. La pudeur est également une des branches de la foi (à suivre).

Dr. Omayma Gamal.

---

(3) raooirté par Al-Tabarani.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة. قيل: وما أخلاصها؟

قال : أن تحجزه عن محارم الله ". رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

(1) 'Abd Al-Halim Mahmud — Fatawi — op. cit — v. 2 — pà 492.

(1) 'Abd al-Halim Mahmud — Al-Iman (la foi) — Le Caire — Dar al Kitab al-'Arabi — p 10.

فالمعنى الذى يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو اتيانه بهذه الأمور الثلاثة :

التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، والعمل بالجوارح [..........] .... وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنا بالإطلاق .

(٢) يقول الطبرى : « الايمان ــ كلمة جامعة الاقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق الاقرار بالفعل » أ . هـ .

Il faudrait remarquer que l'Islam n'est jamais une religion fermée. Muhammad n'a jamais recommandé aux croyants de rompre les relations avec les parents impies; il a répondu affirmativement à Asma' bint Abi Bakr lorsqu'elle est venue demander auprès du, Prophète-à lui bénédiction et salut-si elle pouvait maintenir des liens avec sa mère incroyante. Allah - Tout Puissant — dit à ce propos : "Allah ne vous interdit pas d'etre bons et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus à cause de votre foi et qui ne vous expulsent pas de vos maisons, Allah aime ceux qui sont équitables".[2] Al-Kurtubi dit que le sens "d'être bons et équitables" signifie que les musulmans donnent aux polythéïstes une portion de leurs biens comme une manière de bonne liaison, ce terme ne donne pas le sens de la justice puisque cette dernière est une devoir pour celui combat ou qui ne combat pas[3].

Quant à Ibrahim, il a promis à son père de lui demander pardon auprès d'Allah s'il croit en Lui, mais lorsque son père est mort incroyant, Ibrahim désavoua sa promesse. (sourate l'Immunité la sens du verset 114).

L'incroyant, ennemi d'Allah, a préféré l'égarement et le châtiment à l'adoration d'Allah Unique à qui il aurait voué un culte pur. Ibn Al-Anbari (mort en 308H.) a précísé que le sens philologique de l'Islam est "de rendre un culte et un dogme purs à Allah tout Puissant"[1].

Le trait caractéristique de l'Islam est le monothéisme-la croyance en Allah Unique - qui est le principe et l'essence de l'Islam. Le monothéisme est la profession de foi :

"Il n'y a point de divinité qu'Allah, et Muhammad est Son Envoyé." Cette attestation de l'Unité divine proclamée à l'humanité par la mission du Prophète Muhammad comporte une évidence accessible à l'homme moderne qui, pour être musulman, n'a pas besoin de souscrire à sa raison"[2].

Pour être musulman, il faut prononcer la formule de la profession de foi qui différencie le croyant de l'incroyant. Le croyant confie ses affaires à Allah Tout Puissant : une confiance positive contraire au fatalisme négatif.

Bien sûr "il n'y a donc rien de plus simple". "Mais peut-on penser que la simple profession d'islâm" par la langue, sans-la foi dans le coeur, est une condition suffisante ?

La profession de foi consiste à proclamer par la bouche et croire par le coeur. En effet, n'est pas croyant celui qui prononce la profession de foi par la langue, alors que la foi en

---

(2) LX — L'Epreuve le sens du verset 8

سورة الممتحنة ــ آية : ٨

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » .

(3) Al-Kurtubi — Al-Djami' Li Ahkam al-Kur'an — le Caire — Dar al-Kitab al-Arabi liltiba'a wa-1-Nashr — 20 volumes — 1967 — volume 18 — p. 59.

(1) "Abd Al-Halim Mahmud — Fatawi — Tome 2 — le Caire — Dar al-Ma'arif — 1982 — p 487.

يقول ابن الانبارى (المتوفى سنة ٣٠٨ من الهجرة) فى المعنى اللغوى للكلمة فالإسلام معناه : اخلاص الدين والعقيدة لله تعالى .

(2) Roger du Pasquier — Découverte de l'Islam — op. cit — p 17.

DEFINIR L'ISLAM

par Dr. Omayma Gamal

Pour répondre à cette question d'une manière toute simple, il faut tout d'abord définir le sens même de cette notion.

L'Islam sur le plan du dogme, est le fait d'adhérer et de s'en remettre à Allah Unique. Pour certains, l'Islam se traduit par soumission, ce qui connote une idée de domination coercitive. Il est évident toutefois que l'Islam est une acceptation réfléchie et une relation immédiate d'amour entre le Seigneur et la créature. L'Islam s'adresse à l'homme afin de lui tracer la voie du bonheur dans le monde ici-bas et dans la vie dernière.

Tel est' l'humanisme de l'Islam qui ramène l'homme à l'unité, idée centrale de cette religion proclamant ainsi la coopération et la solidarité entre les hommes. "L'homme de cet "âge de conflits", qui est toujours plus incapable de vivre en bonne harmonie avec ses semblables [1] n'arrive plus à trouver la paix intérieure dans ce monde.".

D'autre part, l'Islam, étymologiquement, est la tranquilité et la paix, il s'oppose donc à la guerre et lance toujours l'appel à la paix. "Islam vient du verbe "Salm" ou "Salama", qui exprime le repos, le temps de relâche après un devoir accompli. Le substantif verbal signifie : paix, protection, délivrance.(2).

Signifiant le fait de s'en remetter à Allah, l'Islam exprime la Révélation Universelle. Il n'y a pas "un Islam arabe, un Islam noir, persan, turc, indien, indonésien, chinois". D'ailleurs, l'Islam est la religion éternelle puisque le Seigneur est éternel.

Lorsque l'homme envisage soit le sens législatif de l'Islam, soit le sens philologique, il conclut que ce mot n'indique pas une personne déterminée, un peuple donné.

La religion qui indique une personne un peuple ou s'apparente à eux, est déterminée par un temps et un lieu. or, l'Islam n'indique ni un temps qui le délimite, ni un lieu qui le restreint.

Etant d'essence intemporelle, l'Islam est la récapitulation de toutes les révélations précédentes. Il n'est pas venu pour détruire les autres religions divines mais il a été révélé pour les accomplir. L'Islam donc n'est pas né de la prédication de Muhammad". Ibrahim a prêché l'Islam aux hommes de même tous les envoyés et les prophètes.

C'est une religion universelle.

---

(1) Roger du Pasquier — Découverte de l'Islam — Institut islamique de Genéve — Editions des Troits Continents — 1976 - p 87.

(2) Mouhamadou Makhtar Thiam — l'Islam et les pratiques cultuelles — le Caire — Dar Al-Kitab allubnani — 53.

REVUE AL-AZHAR

RABEI-EL AKHAR 1413
Volume 65 — Partie IV

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

fulfillment of its content and requirements. This content necessitated the interference in the process of history, the lives and habits of people, their beliefs traditions and concepts; to bring about the desired transformation. After an illustrious career of prophetship, leadership on all fronts of human life; from the most personal to the financial, social, political, judicial, and military strategy; the Prophet unified the tribes of the Arab Peninsula into a theosocial allegiance of belief, and mobilized that for the dramatic interference in world history. The Prophet died while Muslim warriors assembled outside the gates of Al-Madinah ready to march to bring Islam to the world outside.

Caught by the Prophet's vision and his personal zeal, the early Muslims plunged headlong into the arenas of history to bring about a radical transformation, changing the internal constitution of individuals and of nations, their cultures and beliefs, the patterns of their daily life, their knowledge, their science and civilizations. changes in whole societies, maps, contours, skylines of villages, cities and whole empires. The task conceived by the understanding Muslim is global, the nature of which is ethical and religious. It was history recording a new world order that sought to establish justice, and ethical values. Ideas are free for rational thought where morals prevail, where mankind can summon himself in perpetual continuity through the pace and process of history to the Unity of Divine Transcendence, to Truth, Value and Reality.

actualization of Divine Will; or a reference of "tarhib" i.e. threat of punishment, also suffering for misconduct and unethical intent or action. These contrasting facts of reference are a continuous tradition through the space and time in history since the dawn of creation, to the last syllable of recorded time.

In Islam, the affairs of this world acquire a significance of utmost gravity and seriousness. History is very crucial, since the Muslim considers himself basically responsible for history, he is confident that what Allah disposes history to be at the end, is the direct consequence of the Muslim's conduct in history, on the personal, individual, communal and societal level. For the Muslim, history is the theater, the material, the test, the substance, and the very purpose of creation. It follows, that Islam defines its adherent as one who is existentially serious, ethical, lives to values, committed, and who ponders in creation, and exclaims "Praise to be Allah, for you have not created all this in vain"; who interferes with the process of history to actualize a transformation with an Islamic imprint. Tawhid, therefore, enables the Muslim to visualize himself as the vortex of history because he is the only creature who can achieve the fulfillment of the Divine Will in history.

This is the perspective that explains the conduct of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), and his companions, and also the early generations of Muslims. They acted with distinctive clarity to transform men and history the plenum of value of Divine Will. It was this reality of religious experience which caused the Prophet to reply his uncle's plea to give up disturbing the status quo of the Quraysh by the introduction of Islam, by these famous words "O my uncle, if I were given the sun in my right hand and the moon in my left, that I relinquish this task before Allah gives it victory, or I perish in the process, I shall not accept". Rather than to surrender passively to his enemies and make of himself another sacrificial lamb; Muhammad emigrated to Al-Madinah and soon established an Islamic society and gave it its constitution. His prophetship consisted of the receipt of the Holy Message, the conveyance of the Message, and the

and time. Indeed, even the rituals of worship themselves acquire a historical social dimension in Islam.

The quintessence and understanding of Tawhid, commits man to an ethic of action, which justifies a balance by which worth and unworth are measured by the degree of success the moral individual achievements for himself and around him. This includes also the ethic of intent where the same measurement is made by the level of personal values affecting the individual's moral state alone. Both are complementary indeed, Islam demands the fulfillment of the requirement of the ethic of intent as prerequisite for the fulfillment of the ethic of action.

Acquiescence and obedient submission to the Transcendent Supreme Being brings the individual into a state of commitment. This involves the subjection of life, energy, knowledge and all human faculties and functions for the actualization and realization of Divine Will in the space and time of history in the perpetual generations of committed Muslims. Monastic isolationist existence is undesired except for the exercise of self discipline and self mastery. Even then, if the exercise is not conductive to achieving greater success in the actualization of Divine Will, it is doomed as an unnecessary egocentrism; for the purpose in that case would be self-transformation as an end in itself, and not as a preparation for world transformation through the pace of history.

The Holy Quran justified creation, and described it as that in which mankind is to undertake and establish his ministry by excellence in the deed, which result in felicity, and which is the purpose of Creation. Eventually, filling this world in space and time of history with values is in reality the whole business of religion. The eschatology of the Muslim religion was born complete in the Holy Quran, conceived as a moral climax of human life on earth; a climax consisting of rewards and punishment. Every page of the Holy Quran contains either a reference to "targhib" - i.e. a promise of reward in this life or the hereafter for the ethic of intent or action, and an effort for the

Tawhid: The Principle of History

(Excerpts from the Writings of Ismail Raji Al-Faruqi)

Compiled and Presented

By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The unique qualities of the Muslim Theism are inherent in their social dimensions; because Islam defines religion very precisely as the very business of life, the very process of history, and the very matter that remains through space and time. It is the creation and gift of the Transcendent Supreme Being. The scepter of Islamic belief, the throbbing heart of Islamic faith, is the conviction that there is no god but Allah" (La illaha illa Allah). This makes the Islamic Theism the very business of life, and the very process of history; and declares that piety and righteous values constitute the backbone of religion. Therefore, Islam visions its teachings and doctrines relevant to all space and time, and seeks to determine all history, all creation in space and time including all mankind. Islam wants humans to pursue what is of nature to eat and drink, to comfort in family and friendship, to develop sciences, to learn and associate, to understand the patterns of nature and to fulfill the will of Allah. To do all these things righteously, makes mankind qualify for the mission of Khalifah or vicegerent of Allah on earth.

Islamic doctrines regard these aforementioned goals, the natural objectives of all humanity, the fundamental human rights; and therefore seeks to preserve them. On this platform of human social order, the Islamic theistic doctrines become perpetual through human history. The felicity of the humankind is the ultimate goals of Islam in space and time, and the relevance of Islamic doctrines to that is definitive. Only a small section of Islamic law deals with rituals of worship and strictly personal ethics; the larger part of Islamic law deals with social order with a historical perspective of the Ummah in space

domain of Divine knowledge unrevealed to mankind. No human can compel Transcendent Light to descend upon him; and yet at some given moment a man suddenly becomes conscious of a particular perception of a Divine spread, and unique resonance and a diffuse radiance affecting all elements of sensations, feelings, thoughts, visions, powers and greater dimensions of consciousness and perceptive cognizance of Divine knowledge and Munificent splendor; then the curtain falls, and silence reigns, and human perception stops at its limits, and cannot go beyond.

"His Seat (of Throne) extends far over the heavens and earth". The expression Seat (of Throne) implies power, knowledge, and authority; and the extent of heavens and earth implies the entirety of cosmic universal existence. This indicates that the entire infinite cosmic universal creation is reigned by the Divine Transcendent Sovereignty, Cognizance Majestical Bounteous Embracing Puissant Omniscience of the Creator, Allah. For there is no god but Allah (La illaha illa Allah). The Divine attributes of Allah imply supreme compelling masterful guardian powers of august omnipotence, that feel no fatigue or burden in the preservation of Transcendent Omniscient Providence over the heavens and earth. Allah is The Sublime and The Supreme; because nothing is as elevated or transcending salient as Him; He is beyond conception by the mind, His supremacy is eternal, all prevailing in knowledge, mercy, justice and omnipotence.

Mankind is therefore in need to institute intense and continual supplication in words of utterance and in worship to beg for the fundamental gift to perceive the Divine Light. "Allah, you are everywhere, lift up the veil before our eyes, Provide Light to our hearts and minds, enlighten our path, and make your Light reveal obscurities, grant us knowledge and intellect, give us patience and sustenance, bestow upon us firm faith, and enduring grace.

Sovereign Providence except through Divine permission. This concept of Islamic conceptualization preserves the perfect distinction of divinity without the least possible error of misunderstanding - without the least possibility of even minimal transformation; their natures are absolutely different to mix; Divinity is divine Transcendence, and creation is mortal substance. However, the associative relationship between Divinity and humankind is that of compassionate consummate guidance, supreme clemency, embracing bounty, equitable justice, omniscient sanctuary, and merciful sovereignty. Islamic doctrinal teachings institute and proliferate these meanings into the minds and hearts of Muslims to become a maxim of Faith, by which credence becomes pure of any uncertainties of thought.

"He knows what lies before them and what is behind them, and they embrace nothing of His knowledge except whatever He may wish," The distinct statement continues to expand on The Divine Quality of Allah. It defines with exactness and precision that Divine Knowledge is absolute and thorough, the hidden and the obvious, microscopic and macroscopic, beginning and end, cause and effect, encompassing the entirety of space and time. It is therefore the Divine prerogative to extend His knowledge to whom He wishes, when He wishes. Through Divine Providence, mankind was ordained to gain knowledge in order to execute the status of vicegerency on earth. This knowledge is granted to mankind as Divine bounty by Divine permission in continuity of increasing growth. This knowledge reveals the phenomena of nature, the latent powers of the cosmos, the multiple disciplines of universal patterns, the ultrastructure of matter and living organisms, and the teleological design and purpose of creation. This knowledge and what is yet to come that will be granted to mankind by Divine permission and Divine Will, forms an infinitesimal amount of the Divine knowledge. There will always be the knowledge beyond, that is far removed and curtained to human perceptive cognizance; knowledge that will remain only in the domain of Divine Providence, unrevealed to mankind. The mystery of life and death, the inherent secret of the moment to come, the conundrum enigma of what is beyond the universe, the unknown realms of the spirit and soul; are all within the

dominion over all creation and the immutable knowledge of Allah in its totality and detail in the infinite expanse of space and time, is indeed a Reality of such pontifical greatness that is beyond perception by the finite dimensions of human understanding. The infinite numbers of atoms and molecules, of grains of sand and drops of water, of cells and biological life, of stars, suns, moons and constellations, in this vast colossal cosmic creation, are all ordained by Divine Law, Transcendent Providence, Omniscient Domination, and Absolute Teleology. These supreme functions contradict and abolish the property slumber or sleep. The realization of such fundamental understanding establishes a psychological matrix of a self integrated quiescent tranquility; the Divine kingdom of Allah reigns with impeccable justice and Equity.

"To Him belong all things in the heaves and on Earth", indicates total ownership of property without partner or associate, an unconditional sovereign possession. Allah, the One Owner, the One Transcendent, the One Creator, the One Supreme, the One Verity. The nullifies any associate ownership, possession or property rights; and establishes the true sound understanding that mankind is merely and only the vicegerent of Allah within the framework of Absolute Divine ownership. The establishment of this understanding in the human conscience and psychic patterns provides the precise relationship between Divine Ownership, and human vicegerency. The dominion of each function becomes clear; and mankind should restrict the uncontrolled pursuit of materialistic abundance; and resort to elegant sufficiency and moderation in the demands of life without avarice or self indulgence. The organization of ownership through vicegerency is well defined by the Islamic law of jurisprudence, "The Shariah" which controls and regulated human actions by well defined theistic injunctions.

"Who can intercede in his presence except as He permits", is another quality of Sovereign Providence which distinguishes Divine Quality of The Creator as distinct from creation. The phrase institutes the exalted illustrious aura of The Divine Milieu, and places emphasis on the fact that nobody can intervene, mediate, or negotiate the Transcendent

can translate its glorious meanings, or reproduce the rhythm and dimensions of its words. Even in the original Arabic text, the meanings extend to far greater ramification of understanding Divine Transcendent Sovereignty, Omniscience, Munificence, and Consummate Knowledge that are inherent in the Quranic text. The verse starts by the absolute axiomatic dictum that there is no god but Allah indicating with resolute certainty and absolute verity the Reality of Divine Oness. "La illaha illa Allah" is the quintessence of "Tawhid"upon which the whole structure of Islamic theism is based. From this foundation of belief emerges the total submission and obedience to Divine Doctrines, Divine Will, and Divine injunctions. From this foundation of belief materializes the conscience ethical patterns and values of human intentions and actions.

The Omniscient, the Dominating are appellations and attributes of the Supreme Being - Allah; designating infinite power of perception and ratiocination, with absolute self subsistence. Nothing is conceived to exist or to last except through this Will. His ruling is autonomous His Omniscience is eternal without beginning and without end, expanding beyond all dimensions of space and time. He is the Immutable Deity Who has no partner, The Absolute One from eternity to infinity. Nothing is like Him in His Unique Verity, His Divinity or His Dispensations of Providence. The attribute of Dominating "Qaiyum" includes the understanding of self subsisting and also the idea of keeping up and maintaining all existence. He is the source and perpetual support of all derived forms of life and existence; commanding superior and uppermost to all other powers or influence. This means that the total conscious life and existence of mankind are coherently associated with the Transcendent Omniscient Dominion and Divine Will. Consequently, it is incumbent on every human to live in conformity with the Divine design and purpose of human life, drawing from it values and rational balance of thought.

No slumber can seize Him or sleep; is a verification of His omniscient domination over all creation. The supreme reality of Divine Omnipresence is absolutely without transient slumber or sleep. The

Glimpses From the Quranic Milieu

Ayat - ul - Kursi

(The Verse of the Throne)

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.)

The Milieu of the Holy Quran expands to encompass the visions of the infinite cosmic existence; the realities of these visions extend far beyond its apparent dimensions. The reality of human life is a brief gleam of time between two eternities that extend into innumerable myriads of ramifications into the realms of the unknown. Death is not the end of the journey, but a phase on the path of existence. Within this infinite cosmic expanse, everything is precisely quantified with utmost exactness to conform with the teleological pattern of creation - the design for purpose. The dominion of faith within the inner psychic self of mankind brings about a realization of the infinite cosmic existence, and a cognizance of the visions that renders the milieu of the Holy Quran an expanding panorama that captures the human faculty of thought. Mankind is the only creature that is capable of understanding and implementing Divine Will to promote to higher orders of existence in this life, and in the hereafter. Glimpses from the Quranic Milieu are lanterns of light that guide the human mind onto the path of Reality and External Truth.

In Surat (Al-Baqara, 2, verse, 255); **"Allah, there is no god but He, The Omniscient, The Dominating; no slumber can seize Him nor sleep. To Him belong all things in the heavens and on earth. Who can intercede in His Presence except as He permits. He knows what lies before them and what is behind them; while they embrace nothing of His Knowledge except whatever He may wish. His Seat (of Throne) extends for over the heavens and earth; He feels no fatigue or overburden in preserving them. He is The Sublime The Supreme".**

This is the famous "Ayat - ul - Kursi", (the verse of the Throne). Who

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part IV

Rabie Al Akher, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.Glimpses From The Qur'anic Milieu.

Ayat ul Kursi

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid, The Principle of Religions Experience.

By : Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Sirry*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

عصر يوم عسير

ذاك يوم الإثنين الخامس عشر من ربيع الآخر من عامنا هذا ١٤١٣ هـ - ١٢ / ١٠ / ١٩٩٢ م

يوم فر فيه المؤمنون ، وهم فى صلاة العصر ، مأخوذين بالزلزال يطلبون النجاه ، وحولهم حيطان تقعْقَع ، وفوقهم سقوف تَرنَّح ، وتحتهم درجات تَذَبْذب .

وأين المفرّ ؟. إنه لا شىء غير الفرار ، فروّا بلا وعى ، انطلقوا مع أقدامهم دون هدف ، وفى الشارع ظنوا أنفسهم آمنين وهيهات ؛ كم من شارع شَقَّهُ زلزال ، فانشطر عن نفسه ، وابتلع ما فوقه ، فهو يجلجل فى بطنه إلى الأبد .

لكن .. هو الفرار ..

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر فى مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

جمادى الأولى ١٤١٣ هـ
نوفمبر ١٩٩٢ م
الجزء الخامس
السنة الخامسة والستون

ما فكر أحدنا فيما ترك ... فى المسجد ، أو فى المنزل ، أو فى المكتب أو فى المصنع .. نسى ما له ، وما عليه ، حتى حقده نساه .. كان من الممكن أن يساعد مريضاً ، أو يحمل عجوزا ، أو يطلب لنفسه عونا هو فى حاجة إليه ..!!

لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، كُلٌّ نسى إلا الفرار .

إن أحدا لم يفقد إنسانيته فى (ثوانى) الزلـزال التـى إجتـثت من المصريين كل أحاسيسهم ... أفكارهم ... آمالهم . ولم تُبْق لهم إلا (الهلع) الذى أسلم أقدامهم للريح .

حتى المرأة التى تستغرق زينتها ساعات تمضى إلى زيارة تستوعب دقائق أسرعت ـ إلى الشارع ـ أمام هلع سلب اللب وأزال الثبات ، ثم تنبهت خَفِرَةً خجلة على وضع بدت به أمام الناس ، فإذا هى والناس ، على نمط واحد وحال نسأل الله ـ تعالى ـ ألا تعود !!

لقد دهشت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ من وصف رسول الله ﷺ للحشر يوم يخرجون من الأجداث سراعا حُفاة عُرَاةً غُرْلا ، فقالت :

يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟

قال ـ عليه الصلاة والسلام : لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه(١) .

وفى الشارع تبين الناس الكوارث ، وجَرَتْ تُحَدِّثُ أخبارَها ، واسَّاقط عن القلوب صَدَأُ دُنياها بكل ما فيه من أمل وغرور ، فإذا الناس ـ جميعا ـ قد تَرَبَّع على قلوبهم ـ للحظة ـ إيمانٌ فريد :

صادق فى عمقه ، مخلص فى استسلامه ، موقن بعجزه ، مقر بقدرة ربه .. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين .

وسالت ذنوبنا تكشف عن نفسها ؛ بل ، وتحمد الله ، أن الزلزلة لم تأخذها قبل أن تَفُضَّ حسابها ، وما يُفَضُّ هذا الحساب إلا بإذن ربك ورحمة من هداه :

ألم يظلم بعضنا بعضا ، وتعالى بعضنا على بعض ، وَأَبَادَ بعضُنا حقوق النـاس ، بل أموالهم .. ونَهَرَ اليتيم ، وضرب المسكين .. واحتقر البائس وأساء إلى المريض ؟! إى .. والله .. كُلٌّ حَدَث ، بلا إنسانية ، ولا خوف من حساب .

فهل من توبة .. رحماك اللهم ... اللهم تُبْ علينا لنتوب ، فرحمتك وسعت كل شىء ، وهذا ظننا فيك ، وما أحسنه من ظن يلتقى بعفوك وصفحك وجميل جزائك ، وأنت القائل .

أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى(٢) .

د. على أحمد الخطيب

(١) مسند أحمد ٦/ ٩٠
(٢) مسند أحمد ٢/ ٤٤٥

مع
الإمام الأكبر

تعريف الوفاة

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق

اعداد الاستاذ/ عمر البسطويسى

عرض بحث « تعريف الوفاة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على لجنة البحوث الفقهية الدورة رقم ٢٨ محضر رقم ١٠ بتاريخ الثلاثاء ١٥ من ذى الحجة ١٤١٢هـ الموافق ١٦ من يونيو ١٩٩٢م وبعد المداولة : اعتمدت اللجنة البحث المقدم عن الموضوع وعرض البحث أيضاً على مجلس مجمع البحوث الإسلامية محضر رقم ١٠ دورة رقم ٢٨ الرقم العام ٢٠٤ بتاريخ الخميس ٢٤ من ذى الحجة ١٤١٢هـ الموافق ٢٥ من يونيو ١٩٩٢م ووافق مجلس مجمع البحوث الإسلامية على قرار لجنة البحوث الفقهية على الوجه المدون بمحضر جلستها المرقوم .

وقد أرسل البحث إلى رؤساء الجهات المعنية فى الدولة الواردة فى الكشف التالى :

الإسم	الرقم
١ ـ الأستاذ الدكتور / أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب	٧٧٧ / ص
٢ ـ الأستاذ الدكتور / حمدى السيد نقيب الأطبـــاء	٧٧٨ / ص
٣ ـ الأستاذ الدكتور / مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى	٧٧٩ / ص
٤ ـ الأستاذ الدكتور / محمد راغب دويدار وزير الصحة	٧٨٠ / ص
٥ ـ الأستاذ الدكتور / نبيل البلقينى عميد معهد الأورام	٧٨١ / ص
٦ ـ الأستاذ الدكتور / عاصف صدقى رئيس مجلس الوزراء	٧٨٢ / ص
٧ ـ الأستاذ المستشار / رجاء العـــربى النـــائب العـــام	٧٨٣ / ص
٨ ـ الأستاذ المستشار / فاروق سيف النصر وزير العـــدل	٧٨٤ / ص

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب شيخ الأزهر كتاب من السيد الأستاذ الدكتور نبيل البلقينى عميد معهد الأورام القومى ـ ونصه :

نرجو من سيادتكم التفضل ببحث تعريف الوفاة ، خصوصًا أن المخ هو العضو المهيمن على الجسم كله بجميع أعضائه ، ولم يحدث أن توفى مخ مريض واستعاد حياته .

وتعريف الوفاة فى القانون المصرى هو : توقف القلب عن النبض ، ومن المعروف علميًا أن القلب يمكنه التوقف عن الانقباض ودفع الدم لباقى الجسم ويستطيع الأطباء إرجاع المريض إلى الحياة بوضع قلب صناعى له لحين استبدال القلب بقلب آخر من مريض توفى مخه وتوقف عن القيام بواجباته .

وتعريف الوفاة بتوقف المخ تمامًا وتلفه يساعد على إجراء عمليات زراعة الأعضاء من كبد وكلى وقلب من ذلك المريض إلى آخرين فى أمس الحاجة لتلك الزراعة .

وقد دأبت الحكومة المصرية على إرسال المرضى المحتاجين لزراعة الكبد إلى الخارج ، وذلك لعدم استطاعة الجراحين المصريين إجراء تلك الجراحة لأن القانون يحتم توقف القلب تمامًا قبل اعتبار المريض متوفيًا ، وفى هذه الحالة تموت أعضاء الجسم فى خلال دقائق معدودة ولا يمكن نقلها لمريض آخر .

ومما هو معروف أن كل حالة زراعة كبد يتم إرسالها إلى الخارج تكلف الخزانة المصرية حوالى نصف مليون دولار ، ومتوقع فى حالة إجراء نفس الجراحة فى مصر أن لا تزيد التكلفة عن ٨٠ ألف جنيه مصرى .

ومعهد الأورام القومى مستعد لإرسال الدكتور مدحت خفاجى أستاذ الجراحة بالمعهد لجلسة استماع لمناقشة الموضوع فى مجمع البحوث الإسلامية .

ويستفاد من هذا الكتاب ما يأتى :

١ ـ القانون المصرى يعرف الوفاة بأنها : توقف القلب عن النبض ، وفى هذه الحالة تموت

أعضاء الجسم خلال دقائق معدودة ولا يمكن نقلها لمريض آخر .

٢ ـ بينما تعريف الوفاة بأنها : توقف المخ وتلفه تمامًا يساعد على إجراء عمليات زراعة الأعضاء من كبد وكلى وقلب من ذلك المريض إلى آخرين فى أمس الحاجة إلى تلك الزراعة .

٣ ـ ان تعريف الوفاة بأنها توقف المخ وتلفه يعطى الجراح فرصة انتزاع الأعضاء المطلوبة من الجسم قبل أن تموت ، وبذلك تكون صالحة للانتفاع بها .

٤ ـ بينما تعريف الوفاة بأنها : توقف القلب عن النبض ـ كما فى القانون المصرى ـ لا يعطى للجراح فرصة الاستفادة بأعضاء الجسم ونقلها إلى مريض آخر ، لأن الأعضاء تموت خلال دقائق معدودة .

٥ ـ يسعى المعهد إلى تعريف الوفاة بأنها توقف المخ وتلفه حتى يعطى للجراحين فرصة انتزاع الأعضاء من الجسم قبل أن يتوقف القلب عن النبض وبالتالى قبل أن تموت الأعضاء وتصبح غير صالحة لنقلها وزرعها لمريض آخر .

والجـــواب

١ ـ إنه قد جاء تعريف الموت والحياة فى كتب اللغة العربية بما يأتى :

ففى المعجم الوسيط :

(مات الحى موتًا : فارقته الحياة . ومات الشىء همد وسكن ـ يقال : ماتت الريح ، سكنت . والنار : بردت)[١] .

وفى مختار الصحاح :

(والموت ضد الحياة ، والحياة ضد الموت . والحى ضد الميت)[٢] .

وفى لسان العرب :

(الموت من خلق الله تعالى . قال الأزهرى ـ وقال غيره : الموت ضد الحياة)[٣] .

(الحياة نقيض الموت ، والحى من كل شىء نقيض الميت . والجمع أحياء ، والحى من النبات ما كان طريًا يهتز)[٤] .

وفى قول الله تعالى :

(وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)[٥] أى أسباب الموت ، إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة .

٢ ـ وذكر الفقهاء أن الفعل المفضى إلى الموت يسمى قتلًا .

وتعريف القتل عندهم : فعل محرم شرعًا يحدث من العباد وتزول به الحياة . والقطع لغة : إبانة بعض أجزاء الجسم من بعض فصلا .

وفى الاصطلاح : القطع فعل محرم شرعًا يحدث من العباد اعتداء على بنية الإنسان بإبانة بعض أجزائه فصلا .. والإعتداء على النفس وما دونها جناية يعاقب فاعلها المتعمد بالقصاص .

٣ ـ للموت مقدمات متدرجة حسبما جاء فى القرآن الكريم :

---

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٢٦ .
(٢) مختار الصحاح ص ١٦٦ ، ٦٣٩ .
(٣) لسان العرب جـ ٢ ص ٣٩٦ .
(٤) المرجع السابق جـ ١٨ ص ٣٩٦ .
(٥) من الآية ١٧ من سورة ابراهيم .

(أ) غشية الموت : وقد جاءت فى قول الله تعالى :

﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾(٦)

وهى حالة يشخص فيها البصر ولا يتحرك .

(ب) حضور الموت : وهى ساعة الغرغرة التى لا تقبل فيها التوبة . لقول الله تعالى :

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ... ﴾(٧)

وقد فسر الرسول ﷺ هذه الحالة بقوله : (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)(٨) .

(جـ) سكرة الموت : غمرته وشدته وهى ساعة الإحتضار والمعاناة لنزع الروح من البدن . قال الله تعالى عنها :

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(٩) .

وقد أوضح هذه الحالة حديث السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة ــ أو إناء ــ فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح به وجهه يقول : (لا إله إلا الله . إن للموت لسكرات ، ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده) أخرجه البخارى . فهذه الحال هى التى يعقبها الموت مباشرة . وعلامته سكون الأعضاء وهمودها .

يؤكد هذا ما يلى :

(أ) أمر الله عباده ألا يأكلوا من الذبيحة أو يقطعوا شيئًا من أعضائها قبل أن تموت بالذبح وتهمد حركتها . فقال تعالى :

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا ... ﴾(١٠) .

قال ابن عباس ومجاهد : وجبت جنوبها ، يعنى ماتت بالذبح .

فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتى تموت بالذبح وتبرد حركتها .

فإذا قطع شىء منها قبل ذلك فهو ميتة لقوله ــ ﷺ ــ :

(ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة)(١١) .

ونهى رسول الله ــ ﷺ ــ عن التعجل بالسلخ أو قطع أجزائها قبل أن تهمد وتبرد فقال :

(لا تتعجلوا النفوس قبل أن تزهق)(١٢) .

(ب) إذا كان الله تعالى قد أمر بعدم قطع شىء من البهيمة قبل أن تموت تمامًا وتبرد حركتها ، ونهى رسوله ــ ﷺ ــ أن يتعجل موتها فتسلخ أو تقطع قبل أن تهمد وتبرد ، فأولى بذلك الإنسان الذى كرمه الله حيًا وميتًا .

---

(٦) من الآية ٢٠ من سورة محمد .

(٧) من الآية ١٨ من سورة النساء .

(٨) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ــ رياض الصالحين للنووى ص ١٥ .

(٩) الآية ١٩ من سورة ق .

(١٠) من الآية ٣٦ من سورة الحج .

(١١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٦٩ فى تفسير الآية ٣٦ من سورة الحج وقال : رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه .

(١٢) المرجع السابق وقال : قد جاء فى حديث مرفوع رواه الثورى فى جامعه .

فلا يجوز بحال أن يُتعجل موته ، وتبقر بطنه لتأخذ كليته أو قلبه أو كبده قبل أن يموت تمامًا ويبرد .

(جـ) الله وحده هو المحيى المميت ، وهو وحده الذى يقدر الآجال ، وهو الذى خلق الموت والحياة :

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾(١٣) ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾(١٤) ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾(١٥) .

فالموت من فعل الله وخلقه ، وليس من فعل سبب من الأسباب ، فقد يوجد السبب ويتخلف الموت لأن قضاء الله لم يحن بعد . قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾(١٦)

أى ما كان الموت حاصلًا لنفس من النفوس مطلقًا لأى سبب من الأسباب إلا بمشيئة الله وأمره ، وإذنه فهو ــ سبحانه ــ الذى كتب لكل نفس عمرها كتابًا مؤقتًا أى معلومًا هذه عقيدة المسلم .

ولما كان الموت هو فقد الجسم الإنسانى كل مظاهر الحياة ، أى أنه سلب الحياة وانتهاؤها من الجسم الحى وتوقف الحس والحركة . ويتم الموت بمفارقة الروح الجسد ، والروح تفارق الجسد بعد انتهاء الأجل المحدد لها من الله ــ تبارك وتعالى ــ سواء بسبب ظاهر كالمرض والقتل ، أم بغير سبب ظاهر كموت الفجأة والسكتة .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾(١٧) .

ويقول جل شأنه :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾(١٨)

ويقول سبحانه :

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(١٩) .

والموت الذى تنبنى عليه الأحكام الشرعية من : إرث وقصاص ودية وبينونة وانتهاء العقود وغير ذلك من الأحكام ، لا يتحقق إلا بمفارقة الروح الجسد ، وبهذه المفارقة تتوقف جميع أجهزة الجسد وتنتهى مظاهر الحياة من تنفس ونبض وتماسك عضلات وغير ذلك .

ومن علامات تمام الموت : شخوص البصر أى انفتاح الجفون وثبات حبة العين إلى أعلى ، لأن البصر يتبع الروح عند خروجها . وقد أخبر بذلك رسول الله ــ ﷺ ــ أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ :

---

(١٣) الآية ٤٤ من سورة النجم .
(١٤) الآية ٨١ من سورة الشعراء .
(١٥) الآية ٢٣ من سورة الحجر .
(١٦) من الآية ١٤٥ من سورة آل عمران .
(١٧) الآية ٣٤ من سورة الأعراف .
(١٨) من الآية ٩٣ من سورة الأنعام .
(١٩) الآية ٦١ من سورة الأنعام .

(إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر . فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيرًا فإنه يُؤَمَّن على ما قال أهل الميت) .

وقد جرت عبارات الفقهاء فى علامات انتهاء الحياة بالإنسان وفيما يجب عمله للمحتضر على النحو التالى :

تنتهى حياة الإنسان بنزع الروح أى بالموت . وأمارات الموت معروفة ورد بعضها فى حديث أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : (ان الروح إذا قبض تبعه البصر)[٢٠] .

قال الزركشى : وشخوص البصر هو الحالة التى يشاهد فيها الميت ملك الموت ، وهذه الحالة هى التى لا تقبل فيها التوبة[٢١] . قال الله تعالى :

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾[٢٢] .

ونقيض الموت الحياة المستمرة : وهى تلك التى تبقى إلى انقضاء الأجل بموت أو قتل .

والحياة المستقرة تكون بوجود الروح فى الجسد ومعها الحركة الاختيارية والإدراك دون الحركة الاضطرارية .

وفى المغنى لابن قدامة فى باب الجنائز :

وإن اشتبه أمر الميت اعُتبِر بظهور أمارات الموت من استرخاء رجليه ، وانفصال كفيه ، وميل آنفه ، وامتداد جلدة وجهه ، وانخساف صدغيه ، وان مات فجأة كالمصعوق أو خائفًا من حرب أو سبع أو تردى من جبل إنْتُظِرَ به هذه العلامات حتى يُتَيقَّن موته[٢٣] .

وفى المجموع شرح المهذب للنووى :

وذكر الشافعى والأصحاب للموت علامات وهى : أن تسترخى قدماه ، وينفصل زنداه ، ويميل أنفه ، وتمتد جلدة وجهه ـ زاد الأصحاب ـ وأن ينخسف صدغاه ، وزاد جماعة منهم : وتتقلص خصيتاه مع تدلى الجلدة . فإذا ظهر هذا علم موته فيبادر حينئذ إلى تجهيزه . قال الشافعى فأما إذا مات مصعوقًا أو غريقًا أو حريقًا أو خاف من حرب أو سبع أو تردى من جبل أو فى بئر فمات فإنه لا يبادر به حتى يتحقق موته[٢٤] .

وفى حاشية رد المحتار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنويرُ الأبصار : والموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة وقيل عدمية وعلامته استرخاء قدميه ، واعوجاج منخره ، وانخساف صدغيه[٢٥] .

وفى شرح الخرشى على مختصر خليل :

والموت كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيوانى عنهما ، ولا يجتمعان فيه ، وعلامات الموت أربع : انقطاع نفسه ، وإحداد بصره وانفراج شفتيه فلا ينطبقان : وسقوط قدميه فلا ينتصبان ، ومن علامات البشرى للميت : أن

---

(٢٠) من حديث أخرجه مسلم ـ صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢١) المنثور فى القواعد للزركشى جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٢٢) من الآية ١٨ من سورة النساء .

(٢٣) جـ ٢ ص ٣٠٨ .

(٢٤) جـ ٥ ص ١٢٥ .

(٢٥) جـ ٢ ص ٢٠١ .

يصفر وجهه ، ويعرق جبينه ، وتذرف عيناه دموعًا ومن علامات السوء : أن تحمر عيناه وتربد شفتاه ويغط كغطيط البكر(٢٦) .

وفى كتاب شرح النيل وشفاء العليل : ويعتبر خروج روحه بسكون (عرق) متحرك بين كعبيه وعرقوبه وبالسكون بعد الحركة وببرودة جسده وتغير لونه وانقطاع نفسه وموت حامل بميزان معلق على سرتها فما تحركت كفه حية ان تُيقن حملها(٢٧) .

وفى كتاب البحر الزخار :

ولا يُدفن حتى تظهر فيه العلامات وهى : استرخاء القدمين ، وميل الأنف ، وانخلاع الكف وانخساف الصدغ ، وإمتداد جلدة الوجه ، ويُتأنى فى الغريق ونحوه ، وبعد التيقن يعجل التجهيز(٢٨) .

وفى كتاب فوائد الناصرية فى فقه الإمامية :

وَعدَّ جملة من العلماء أمارات : استرخاء قدميه وانخلاع كفيه من ذراعيه ، وانخساف صدغيه ، وميل أنفه ، وانخلاع جلدة وجهه ، وتقلص أنثييه إلى فوق مع تدلى الجلدة ، وزوال الثوب عن بياض العين وسوادها(٢٩) .

وقتل النفس الإنسانية ـ بغير حق ـ محرم ، وجرح الإنسان ، أو قطع عضو منه ـ بغير حق ـ محرم كذلك بنص القرآن الكريم .

ففى سورة النساء قول الله تعالى :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٣٠)

وفى سورة الأنعام قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(٣١) .

وفى سورة الإسراء قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾(٣٢) .

وقول الله سبحانه فى سورة المائدة :

﴿ ...مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٣٣) .

لما كان ذلك :

كان قتل المرحمة ليس من الحق ، بل من المحرم قطعًا بهذه النصوص وغيرها ، كقتل المريض بمرض استعصى طبه على الأطباء وعلى الدواء ، ويعانى من مرضه آلامًا قاسية ، حيث لا يباح قتله لإراحته من تلك الآلام .

ولا يباح كذلك القتل أو القطع من جسد إنسان مازال على قيد الحياة يتردد فى صدره نفسه

---

(٢٦) جـ ٢ ص ١١٣ ، ١٢٢ : يغط كغطيط البكر : أى يتردد نفسه صاعداً إلى حلقة حتى يسمعه من حوله كغطيط الجمل أى صوته .

(٢٧) جـ ٢ ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ـ من كتب الفقه الأباضى .

(٢٨) جـ ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩) جـ ١ ص ١٢٧ ـ زوال الثوب عن بياض العين وسوادها : أى زوال الجفن وهو شق البصر .

(٣٠) الآية ٩٣ .

(٣١) من الآية ١٥١ .

(٣٢) الآية ٣٣ .

(٣٣) من الآية ٣٢ .

أو فى عروقه نبض قلبه .

فقد روى ابن ماجه بسند حسن عن البراء قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)[٣٤] .

وروى الترمذى بسند حسن عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأكبهم الله فى النار)[٣٥] .

وروى البيهقى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قول رسول الله ـ ﷺ ـ :

(من أعان على دم إمرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله)[٣٦] .

وفى قتل الذمى جاءت الأحاديث الشريفة مصرحة بوجوب النار لمن قتله . فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ :

(من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا)[٣٧] .

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى هذا الحديث :

إن المراد بهذا النص ـ وإن كان عاما ـ التخصيص بزمان ما لتعاضد الأدلة العقلية والنقلية على أن : من مات مسلمًا وكان من أهل الكبائر فهو محكوم بإسلامه غير مخلد فى النار ومآله الجنة ولو عذب قبل ذلك .

وهذا لأن القتل هدم لما أقامه الله وسواه ، وسلب لحياة المجنى عليه ، واعتداء على أهله الذين يعتزون بوجوده وينتفعون به حيث يحرمون العون بفقده ، ويستوى فى هذا التحريم ـ كما سلف ـ قتل المسلم وغير المسلم .

وليس من القتل أو القطع بحق أن يكون هذا قصدًا لإحياء نفس أخرى لأن الحق الذى تزهق به النفوس أو القطع لأحد أعضاء الإنسان الذى مازال فيه عرق ينبض ، لا يكون إلا بسبب شرعى على مثال ما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الجماعة :

(لا يحل دم إمرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٣٨] . أى المرتد عن دينه .

ومن ثم : لا يجوز الإقدام على إزهاق روح إنسان معصوم الدم على التأبيد ، وبه حياة مستقرة ولو كانت بعض الظواهر تشير إلى عدم استمرارها أو ميئوسًا من بقائها والشفاء مما ألم بها ، سواء بقصد تخليصه من آلام وقسوة المرض أو لأخذ بعض أعضائه لعلاج إنسان آخر .

إذ قتل الرحمة ـ كما سلف ـ محرم فى الإسلام ، كما أنه (لا يزال الضرر بالضرر) .

---

(٣٤) الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ ٣ ص ٢٩٣

(٣٥) المرجع السابق ص ٢٩٤ ، الجامع الصحيح للترمذى جـ ٤ ص ١١ .

(٣٦) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٣٧) المرجع السابق ص ٢٩٨ ونيل الأوطار للشوكانى جـ ٧ ص ١٢ .

(٣٨) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكانى جـ ٧ ص ٥ ، الجامع الصحيح للترمذى جـ ٤ ص ١٢ .

هذا :

والقتل ينسب إلى السبب الأقوى فى ازهاق الروح ، لأنه يقطع رابطة السببية لما سبقه من أسباب .

فمن شق بطن إنسان ، وقطع حشوته ، وأصبح المصاب ـ ملاق الموت ـ لا محالة بسبب جراحه ، ولكن بقيت فيه حياة ، فجاء آخر وفصل رأسه عن جسده ، فإن القتل ينسب لهذا الأخير ، ويكون الأول مسئولًا عن الجراح فقط ، لأن فعل الأخير هو الذى تبعه الموت ، وقَطَع رابطة السببية بين الفعل الأول وبين الموت .

ومن ثم كان قطع أى عضو من إنسان قد بدت عليه أمارات الموت دون أن يموت فعلًا قتلًا بغير حق إذا مات إثر هذا القطع أو مجرد الجرح .

لما كان ذلك :

وكان موت الإنسان ـ كما جرى بيانه فى كتب الفقه الإسلامى على النحو السالف : هو زوال الحياة ، ومن علامته :

إشخاص البصر واسترخاء القدمين واعوجاج الأنف وانخساف الصدغين ، وامتداد جلدة الوجه ، فتخلو من الإنكماش ، وأكدت هذا بعض الأحاديث الشريفة .

كان اعتبار الإنسان ميتًا إنما يكون متى زالت عن جسده ظواهر الحياة ، وبدت تلك العلامات الجسدية القاطعة فى حدوث الموت .

وليس ـ مع هذا ـ ما يمنع من استعمال أدوات طبية للتحقق من موت الجهاز العصبى ، غير أن موت الجهاز العصبى ليس وحده آية الموت ، بمعنى زوال الحياة بل إن استمرار التنفس وعمل القلب والنبض كل أولئك دليل استقرار الحياة فى هذا الجسد أو استمرارها ، وإن دلت الأجهزة الطبية على فقدان الجهاز العصبى ـ المخ ـ لخواصه الوظيفية ، إذ الإنسان لا يعتبر ميتًا بتوقف الحياة فى بعض أجزائه ، بل يعتبر كذلك ـ أى ميتاً ـ وتترتب آثار الوفاة متى تحقق موته كلية فلا يبقى فى الجسد حياة ، لأن الموت زوال الحياة .

ومن ثم يمتنع ويحرم ـ شرعًا ـ تعذيب المريض المحتضر باستعمال أية أدوات أو أدوية متى بان للطبيب أن هذا كله لا جدوى منه ، وأن الحياة فى سبيل التوقف .

ويمتنع ويحرم ـ شرعًا كذلك ـ قطع أى جزء من جسد إنسان بوصفه ميتًا إلا بظهور تلك العلامات التى تقطع بزوال الحياة باعتبار ان الموت هو زوال الحياة بخروج الروح من الجسد ، وعندئذ تنعدم كل مظاهر الحياة وتتوقف كافة أجهزة الجسد ـ الظاهرة والباطنة ـ عن العمل .

وبهذا :

يعتبر قتلًا لهذه النفس ـ كذلك ـ قطع أى جزء من جسد المريض المحتضر قبل التيقن من موته ـ بتلك العلامات الشرعية ـ كما يعتبر جرحًا عمدًا إن كان ماقطع من هذا الجسد غير قاتل ، كالعين ، والأذن والغدد غير المؤثرة والعضلات .

أما قطع كبد أو قلب أو رئة فهو قتل متى توقفت الحياة أثره .

أما ما جاء بكتاب السيد الأستاذ الدكتور عميد معهد الأورام :

من أن المخ هو العضو المهيمن على الجسم كله

بجميع أعضائه ، ولم يحدث أن توفى مخ مريض واستعاد حياته .

فإنه وإن كان الطب الحديث قد ذهب إلى ذلك ــ بمعنى أن معيار الموت الحقيقى للإنسان ــ بهذا الاعتبار ــ يمكن التحقق منه بثبوت موت خلايا المخ عن طريق جهاز رسم المخ الكهربائى الذى يؤكد توقف هذه الخلايا عن طريق إرسال أو استقبال أى ذبذبات كهربائية ، فمتى توقف هذا الجهاز عن اعطاء أية إشارات لأكثر من ٢٤ ساعة ، فإن ذلك يعنى بالدليل القاطع ــ فى نظر هذا الاتجاه ــ موت خلايا المخ واستحالة عودتها للحياة ، حتى ولو ظلت خلايا القلب حية بفضل استخدام وسائل الإنعاش الصناعية فإنه يبدو أن هذا لم يصل ــ بعد ــ إلى مرتبة الحقيقة العلمية المستقرة .

فقد تحدث الأستاذ الدكتور أحمد شوق أبو خطوة بكلية حقوق المنصورة فى كتابه : القانون الجنائى والطب الحديث ــ دراسة تحليلية مقارنة لمشروعية نقل وزرع الأعضاء البشرية ــ تحت عنوان :

(نحو معيار جديد للوفاة : موت خلايا المخ) .

قال فى ص ١٧٥ :

... هذا وقد استقر رأى الأطباء فى الوقت الحاضر على أن موت خلايا المخ الذى يؤدى إلى توقف عمل المراكز العصبية العليا التى تتحكم فى وظائف الجسم ، هو الحد الفاصل بين الحياة والموت[٣٩] .

فالشخص الذى ماتت خلايا مخه بصورة نهائية يدخل فى حالة الغيبوبة النهائية . ولتحديد هذه الحالة يجب توافر شرطين أساسيين هما[٤٠] :

أولًا :

ملاحظة الإشارات أو العلامات الأساسية ويمكن تلخيصها فى الآتى :

١ ــ الانعدام التام للوعى .

٢ ــ انعدام الانعكاسات الحدقية .

٣ ــ انعدام الحركات العضلية اللاشعورية خاصة التنفس .

٤ ــ انعدام أى أثر لنشاط المخ فى جهاز رسم المخ الكهربائى .

ثانياً :

استمرار هذه الإشارات أو العلامات خلال فترة كافية .

ثم قال فى ص ١٧٧ ــ ١٧٩ :

« .. وقد أكدت الجمعية الدولية فى اجتماعها الثانى والعشرين الذى عقد فى مدينة سيدنى باستراليا[٤١] عام ١٩٦٨م بأن المصلحة

---

(٣٩) انظر فى ذلك :

Hamburger (J.): Progrès de la Mèdecine et responsabilitè du medecin, IIe congrès international de morale mèdicale, paris mai 1966, T.I.,P. 298 citè par Savatier: Op. Cit, No I7, p.92.

(٤٠) أنظر :

Vedrienne (p.) et Vincent (V.): Aspects médico-juridiques de coma depassè, le journal de Médecine de Lyon, 20 juin 1965, p.I2I6 cité par Charaf El Dine: Op. cit,IIo. 725,p.562.

(٤١) إعلان سيدنى السابق الإشارة إليه .

الإكلينيكية التى ينبغى أن يراعيها الطبيب فى عمله ، لا تكمن فى المحافظة على الخلايا المنعزلة ، وإنما فى المحافظة على الشخص .

فمسألة تحديد موت الخلايا والأعضاء أقل أهمية من مسألة التأكد من أن حالة المخ أصبحت غير قابلة للإصلاح .

فموت خلايا المخ يعنى موت الإنسان نفسه .

كما أعلن المؤتمر العلمى(٤٢) الذى انعقد فى جنيف فى ١٣ ، ١٤ يونيه ١٩٦٨ أن معيار تحديد الموت يتمثل فى الانعدام التام والنهائى لوظائف المخ(٤٣) ويستند هذا المعيار أساساً على :

١ ـ الإسترخاء التام للعضلات .

٢ ـ التوقف التلقائى للتنفس .

٣ ـ عدم إعطاء جهاز رسم المخ الكهربائى لأى إشارة .

غير أن هذا المعيار ليس حاسماً فى حالة الأطفال المصابين بغيبوبة أو الأشخاص الذين فى حالة تسمم خطير وغامض أو فى حالة انخفاض درجة حرارة الجسم إلى ما دون المعدل الطبيعى .

(مدى صلاحية معيار رسم المخ الكهربائى كأساس للتحقق من حدوث الوفاة) :

إذا كان الطب الحديث قد استقر على أن موت خلايا المخ هو معيار الموت الحقيقى للإنسان إلا أنه يجب تجنب الإعتماد على جهاز رسم المخ ، كوسيلة وحيدة ـ للتحقق من حدوث هذا الموت فتوقف هذا الجهاز لا يعنى بالضرورة التوقف النهائى لوظائف المراكز العصبية التى تتحكم فى الجسم .

ولذا ذهب أحد الأطباء (الأستاذ جرونيه)(٤٤) إلى أن جهاز رسم المخ الكهربائى لا يصلح بمفرده كوسيلة للتحقق من حدوث الموت ، فهو لا يعكس من المخ إلا النشاط القريب للمراكز العصبية ، ولكنه لا يعطى معلومات كافية عن نشاط المراكز العصبية العميقة ، كما أنه يحتمل ألا يعطى أى إشارات لمدة محدودة مع أن المراكز العصبية العميقة تكون دائماً فى حالة حياة .

هذا بالإضافة إلى أنه توجد حالات عضوية وبيولوجية ـ لا سيما درجة الحرارة ـ تؤثر على تسجيل جهاز رسم المخ الكهربائى .

ولذلك فمن الضرورى للتحقق من حدوث الموت التأكد من عدم إمكانية إعادة الشخص إلى حياته الإنسانية الطبيعية مدة محددة .

ففى بعض الحالات الإستثنائية مثل حالات التسمم الغامض وانخفاض درجة حرارة الجسم إلى دون معدل الحرارة الطبيعية ، فإن جهاز رسم المخ الكهربائى الذى لم يعط أى إشارات ـ يستطيع ملاحظة هذه الحالات دون أن يعنى ذلك موت المخ .

---

(٤٢) أنظر :

Press medicale 29 juin 1968-1390 cité in Fourgoux et Py: Op. cit., p.86.

(٤٣) أنظر فى ذات المعنى :

Le rapport de la comission des questions sociales et de la santé, du conseil de l'europe (Doc. 3735, 27 Janvier 1976, Nos. 8et ss).

(٤٤) cité in Coste-Floret: Op. cit., p. 798.

أنظر أيضا : أعمال المؤتمر العربى الأول للتخدير والعناية المركزة الذى عقد فى مدينة عمان بالأردن فى أكتوبر ١٩٨٥ ومن الموضوعات التى تناولها المؤتمر تحديد معيار لموت الإنسان على أساس علمى .

ومن هذا المنطلق يقترح البعض ضرورة الانتظار مدة تتراوح بين ٢٤ ساعة و٧٢ ساعة بين عدم إعطاء الجهاز لأية إشارات وبين إعلان الوفاة رسمياً ، مع مراعاة الإستعانة بالوسائل الأخرى الإكلينيكية للتحقق من الوفاة مثل الاسترخاء التام للعضلات ، والإنعدام التام لرد فعل الجسم ، وانخفاض الضغط الشريانى ، وانعدام التنفس التلقائى[٤٥] . اهـ .

ولما كان المستفاد من هذا أن جهاز رسم المخ الكهربائى لا يصلح بمفرده كوسيلة للتحقق من حدوث الموت كان هذا أمراً جديراً بالنظر والاعتبار حتى لا يعتد به وحده .

وكان اقتراح البعض من أهل العلم بالطب ضرورة الانتظار مدة تتراوح بين ٢٤ ، ٧٢ ساعة بين عدم إعطاء هذا الجهاز أية إشارات وبين إعلان الوفاة رسمياً ، مع مراعاة الاستعانة بالوسائل الأخرى الإكلينيكية للتحقق من الوفاة مثل :

الاسترخاء التام للعضلات .

والانعدام التام لرد فعل الجسم .

وانخفاض الضغط الشريانى .

وانعدام التنفس التلقائى .

كان هذا الذى تقرر من قبل هؤلاء مؤيدا – قطعاً – لما قرره فقهاء المسلمين من ضرورة ظهور تلك العلامات الجسدية المؤكدة لموت الإنسان ، الأمر الذى يعتبر إجماعاً يحرم تجاوزه شرعاً .

وكان القول بكفاية جهاز رسم المخ المشار إليه فى السؤال ، وتوقفه كاف فى القطع بموت الإنسان أمراً غير مستقر علمياً ، ولا ينهض أن يكون حقيقة علمية فلا يعتد به .

أما عن جواز نقل الأعضاء البشرية أو عدم جواز هذا شرعاً :

فقد سبق لمجلس مجمع البحوث الإسلامية الموقر أن وافق فى الدورة الحادية والعشرين لعام ١٤٠٤هـ – ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م – ١٩٨٥م فى الجلسة رقم ١٦١ بتاريخ ٦ ربيع أول ١٤٠٥هـ – ٢٩ نوفمبر ١٩٨٤م على بحث فقهى شرعى فى هذا قدمه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نشر أصله فى المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية الصادرة عن دار الإفتاء المصرية – طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م من ص ٣٧٠١ حتى ص ٣٧١٥ .

ومن ثم وأخذاً بهذا القرار فإنه لا محل لمعاودة الجدل فى جواز نقل جزء من آدمى حى أو ميت لآدمى حى آخر على سبيل العلاج والدواء ، ويعتبر ذلك القرار حاسماً ومرجحاً لجواز ذلك بالشروط المقررة فى ذلك البحث وغيره مما وجه إليه الفقهاء .

وتأكيداً لهذا القرار :

يتقرر أن الشرع يأذن بنقل جزء من جسم المعطى إلى جسم المريض المتلقى إذا كانت المصلحة المترتبة على ذلك أعظم من المحافظة على حق الله فى الجسم المأخوذ منه .

يشير إلى هذا ما جاء فى تفسير القرطبى[٤٦] .

---

(٤٥) أنظر :

Doll: La discipline.. op. cit., p.208– Savatier (J.): Et in hora mortis op. cit., D. 1968, p.91.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن جـ ٢ ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

أن المسلم إذا تعين عليه رد رمق مهجة المسلم ، وتوجه الفرض فى ذلك بأن لا يكون هناك غيره ، قضى عليه بترميق (سد رمق) تلك المهجة الآدمية ، وكان الممنوع منه مآله من ذلك محاربة من منعه ومقاتلته ، وإن أتى ذلك على نفسه ، وذلك عند أهل العلم إذا لم يكن هناك إلا واحد لا غير ، فحينئذ يتعين الفرض .

فإن كانوا كثيراً أو جماعة وعدداً ، كان ذلك عليهم فرضاً على الكفاية ، والماء فى ذلك وغيره مما يرد نفس المسلم ويمسكها سواء .

إلا أنهم إختلفوا فى وجوب قيمة ذلك الشىء الذى ردت به مهجته ، ورمق به نفسه ، فأوجبها موجبون ، وأباها آخرون ، وفى مذهبنا القولان جميعاً .

ولا خلاف بين أهل العلم متأخريهم ومتقدميهم ، فى وجوب رد مهجة المسلم عند خوف الذهاب والتلف ، بالشىء اليسير الذى لا مضرة منه على صاحبه وفيه البلغة .

ولقد رأى الشرع الحنيف أن إنقاذ نفس واحدة يعد بمنزلة إحياء للناس جميعاً ، وقوله سبحانه : ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٤٧) .

يفيد أن من يقوم بإنقاذ الإنسان ، إنما يحفظ مصلحة اجتماعية(٤٨) .

وتطبيقاً لذلك ، فإنه إذا كان إعطاء الإنسان عضوا من أعضائه لإنسان آخر مريض يترتب عليه إنقاذه من الهلاك ، دون أن يترتب على ذلك هلاك المعطى أو الإضرار به ضرراً بليغاً . فإنه يعد عملاً مميزاً للتضامن الإنسانى ومعبراً عن معانى الرحمة والمودة ومتفقاً مع الكرامة الإنسانية ، وجديراً فى النهاية بإجازة الشرع .

هذا بالنسبة لتضحية الإنسان ببعض أجزائه إنقاذاً للمريض المضطر .

أما بالنسبة للاستقطاع من جثث الموتى ـ حيث تتنازع مصالح الأحياء مع مصالح الموتى أو أهلهم فإن إباحته تستند إلى القواعد التى تسوغ تشريح الجثث نفسها .

ولعل من بين تلك الأغراض التى تسوغ شرعية التشريح الاستفادة من أجزاء الجثة فى إنقاذ حياة إنسان أو صحته . حيث تقود قواعد الترجيح بين المفاسد والمصالح إلى أن تجعل من التشريح أمراً مباحاً ، لأن مصلحة المحافظة على حياة إنسان أو صحته أعظم من الناحية الإجتماعية ، من المفسدة المترتبة على المساس بالجثة(٤٩) .

وهكذا فإنه فى حالة الضرورة ، حين يتعين إستقطاع جزء من الجثة علاجاً وحيداً للمريض ، تعلو مصلحة هذا الأخير على المصلحة التى يحفظها مبدأ حرمة الموتى .

ويجوز من ثم إستقطاع هذا الجزء من الجثة لوضعه فى جسم المريض إذا توافرت عدة شروط حين تصبح المصلحة المترتبة على العملية مصلحة اجتماعية جديرة بالرعاية .

(٤٧) من الآية ٣٢ من سورة المائدة .

(٤٨) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٤٩ طبع القاهرة ١٩٥٤ م .

(٤٩) كشف الأسرار لعبد العزيز النجارى ٤/١٥٠٧ ـ ونهاية المحتاج للرملى جـ٢ ص ٢٢ .

لذلك أجاز متأخرو الشافعية استخدام عظام الموتى فى جبر عظم الحى المنكسر إذا لم يمكن جبره بغيره[٥٠] .

أما بالنسبة للمريض المتلقى للعضو ، فإنه يجوز شرعاً وضع مثل هذا العضو فى جسمه رعاية لمصلحته فى سلامة نفسه وجسمه .

فإن قيل «إن أعضاء الإنسان من المحرمات لكرامته ، قلنا : إنه يجوز التداوى بالمحرم فى حالة الضرورة ، إبقاء للحياة وحفظاً للصحة ، كما يجوز التغذى بالمحرمات فى حالات الاضطرار .

فالشرع أجاز ترك الواجب وفعل المحرم ، لوجود اضطرار مرضى[٥١] .

كما أنَّه رفع الحرج عن المريض ، أيا كان مصدره[٥٢] الأمر الذى يسمح بالتداوى بالمحرمات .

وإذا كان حكم الاضطرار فى الإباحة حكماً عاماً يسرى على جميع المحرمات ، فإنه يسرى أيضاً على الانتفاع بأجزاء الآدمى لأن الحكم الشرعى العام أو المطلق ، لا يجوز تخصيصه أو تقييده بدون نص مخصص أو مقيد .

ولا يوجد نص خاص يمنع من التداوى بأجزاء الإنسان ، حياً أو ميتاً عند الضرورة . ومن ثم :

كان تعريف الموت ـ على الوجه الذى صرحت به كتب اللغة والفقه بعلاماته الظاهرة الباترة ، وهو ما أشار إليه القانون المدنى المصرى فى المادة ٢٩ ـ هو الواجب الالتزام به .

ويحرم ـ شرعاً ـ ويمتنع ـ قانوناً ـ التعرض للمحتضر بقطع أى جزء قاتل من جسده ، قبل انتهاء حياته بظهور علامات الموت سالفة الذكر فإذا وقع هذا من أى إنسان على المحتضر قبل استظهار وقوع الموت به بتلك العلامات كان قاتلًا إذا انتهت الحياة أو بقيتها بهذا القطع ووجب محاكمته جنائياً .

وما جاء فى كتاب معهد الأورام القومى ، من أن الآخذ بمعيار الموت الوارد به يخفض تكاليف استبدال الكبد للمرضى ، لا يعتبر مبرراً للإقدام على هذا القتل أو الجرح المحرم شرعاً ، وينبغى الإعراض عنه إعمالًا للقواعد الشرعية التى تقرر :

أنه : لايزال الضرر بالضرر ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح . وتبعاً لهذا : فلا يجوز شرعاً : قتل إنسان حياته مستقرة أو مستمرة لإحياء إنسان آخر .

وقد استظهر هذا وأيده أهل الاختصاص فى تلك المؤتمرات العلمية ، وثبت طبياً وعلمياً أن جهاز رسم المخ لا يصلح ـ وحده ـ دليلًا نقرر به وفاة الإنسان المريض ، بل لابد ـ مع استخدامه ـ من ظهور تلك العلامات الجسدية وعلى الوجه الذى قرره الفقه الإسلامى مستمداً من السنة النبوية الشريفة .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق
ومقرر لجنة البحوث الفقهية
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

---

(٥٠) تقرير الشربينى على التحفة لابن حجر جـ ١ ص ٧٧ ـ نهاية المحتاج للرملى جـ٢ ص٢١ ، ٢٢ .

(٥١)وهذا يستفاد من الآية ٤٣ من سورة النساء والآية ٦ من سورة المائدة (التيمم) ، والآية ١٩٦ (حلق الرأس فى الإحرام) ، والآية ١٨٥ الفطر فى رمضان وكلاهما من سورة البقرة .

(٥٢) الآية ١٧ سورة الفتح ، والآية ٢٠ من سورة المزمل .

مع سورة الأنفال

لفضيلة الدكتور/عبدالجليل شلبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

فى الآيات السابقة جاء تذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ أنجاهم من كيد أعدائهم ، ومَنَحهُم النَّصرَ والقوة بعد أن كانوا ضعافا بمكة يخشون أن يتخطفهم أعداؤهم .

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وفى هـذه الآيـة تذكيـر النبى – ﷺ – بنعمـة خاصة بشخصه إذا ائتمـرت قريش ودبرت حيلة لقتله فنجاه الله – القديـر – من كيدهم . وساغ إدراج هذه النعمة الخاصة مع النعـم السابقـة للمؤمـنين عامـة ؛ لأن نجاتـه – ﷺ – نعمة وغنم كبير للمسلمين جميعًا .

وتقدير الكلام اذكر وقت تدبير القوم لك هذا التدبير – وهى إما من الذكر (بضم الذال) بمعنى التذكير واحضار الشىء فى الذاكرة ، وإما من الذكر (بكسر الذال) وهو اشمل من الذكر فى النفس والذكر باللسان أى اذكره لمن هم فى عهدك من المؤمنين والكافرين جميعًا ؛ لأنه حجة على صدق الدعوة الإسلامية ، وصدق صاحبها عليه الصلاة والسلام – وهو ذكر ترويه الأجيال بعد ذلك .

والمكر هو التدبير الخفى لإيصال شىء مكروه إلى الممكور به من حيث لا يشعر ولا يحتسب حتى يفجؤه هذا المكروه ، ووقاية الشخص الممكور به مما دبر له ، وإحباط كيد الماكر تسمى مكـرًا أيضًا ، لأن مُدّبرَ المكيدة أو الشىء المكروه يفاجأ باحباط كيده وإبطال ما دبر . وجمهور المفسرين على أن اسنَـادَ المكـر إلى الله إنما هو من باب المشاكلة ، وجعلوا منه « وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » ولكن المكر من حيث هو تدبير خفى يطلق على تدبير الشر والخير جميعًا .

وقال الراغب فى مفرداته : « المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ، وذلك ضربان ، مكر محمود ، وذلك أن تجرى بذلك فعل (شىء) جميل ، وعلى ذلك : ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ . و (مكـر) مذموم وهو أن يتحرى به فعلَ قبيـح . قال : « وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ... »

وقد يسند المكر لله بدون احتمال مشاكلـه كقوله : أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

لما فتح الله على المسلمين ، ومنحهم النصر يوم بدر ، وبه أفسد تدبير الملأ من قريش ، ذكّرَ نبيه بهذه النعمة فهذا مما يوجب شكره سبحانه عن بينة وبصيرة .

وأما قوله تعالى : ﴿ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ فالاثبات هو من الثبات والثبوت . وهو ضد الزوال والحركة ، يقال : ثبت فى مكانه أى استقر ولم يتزحزح ، وثبت على رأيه تمسك به ولم يغيره ، ومنه يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ، – وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا » ومنه ايضا اثبت نظريته بالحجة ، وثبتت عليه الجريمة ، وثبت أقدامنا ، أى أقرها على الحق . وأينما قلبت عبارات التثبيت والثبات تجدها على هذا المعنى .

ومعنى يثبتوك فى الآية : يشدّونك بالوثاق ويربطونك بالقيد حتى لا تتزحزح من مكانك ، أو يحبسونك فى مكان معين فلا تستطيع مفارقته .

ويقال : ضرب فلانا حتى أثبته فلا حراك به ولا براح ، أى قتله فلا قدرة له بعد على الحركة ، ومعنى الثّبات والاستقرار ظاهـر فى العبـارة ، ومعنى الاماتة غير مناسب هناك ، لأنه بعد الفعل جملة « أو يقتلوك » – ولا فائدة من هذا التكرار ، وأما الاخراج فهو النفى من الوطن من مكة .

وقصة هذا المكر والتدبير معروفة متداولة فى كتب التفسير والسير ، وخلاصتها أن قريشا لما رأت اتباع محمد – ﷺ – قد تزايدوا ، وخشيت كثرتهم ، فكروا فى أمر يخلصهم منه ؛ فاجتمعوا فى

دار الندوة ، وهى دار قصى التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور وتداول الرأى فى الأمور ذات الأهمية ، وقد عرضت لهم آراء فى ذلك ، فقال أبو البخترى بن هشام ، نحبسه ونقيده بالحديد ، وندعه حتى يأتيه حينه ويموت كما مات الشعراء من قبله ، ولكنهم رأوا ان هذا ليس برأى جيد ؛ لأن أتباعه قد يجتمعون لاخراجه ويشنون حربا على القرشين ، وقال أبو الأسود بن ربيعة نخرجه من أرضنا وننفيه من مكة ، ولا نبالى بعد ذلك ما يكون منه ، ولكنه كان رأيا فطيرا أيضا ، فقد ذكروا بلاغة الرسول ـ ﷺ ـ وحلاوة لسانه وطلاوة القرآن الذى جاء به ، وأنه خليق أن يستهوى قلوب سامعيه ، فيبايعوه ثم يقودهم لحرب ضد قريش ، وأخيرا اقترح أبو جهل أن يختار شبان من قبائل شتى ، يحمل كل واحد منهم سيفًا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل ولا يسع بنى هاشم بعد إلا قبول ديته ، إذ لا طاقة لهم بحرب أربعين قبيلة ، واستراحوا لهذا الرأى .

الذين لا يميلون إلى ذكر الخوارق الكثيرة من متأخرى الباحثين يكتفون بمثل هذا العرض ، ولكن كتب النسيرة والتفسير تذكر أن إبليس جاء فى صورة شيخ نجدى ، وأنه كان يتولى توجيه الكلام فى دار الندوة ، وأنه هو الذى فَنّد الرّأيين الأولين وأقر الثالث . ونحن لا نستبعد ظهور الشيطان فى صورة رجل ، ولا نكفر الذين ينفون روايته ، وعلى كل حال كان مكرا وكيدا أبطله الله سبحانه ، ففى الليلة المحددة لهجومهم عليه ، أفلت ـ ﷺ ـ وبات على بن أبى طالب على فراشه وتسجى بثوبه فى قصص معروف .

ويذكر المفسرون والمؤرخون أن الله ـ سبحانه ـ أوحى إليه بواسطة جبريل بما بيتوا له فأَخَذَ حِذْره، وهذا واضح جدا ، فما كان الله ليذر نبيه الذى أرسله للناس كافة ليفعل به أعداؤه ما يريدون ، ثم ان الوحى أمر ثابت لا جدال فيه .

وهناك رأى آخر ، وهو أن هذا التدبير لابد قد تسرب إلى النبى ، وجَمْعُ أربعين شابا واختيارهم لم يكن ليتم فى ليلة أو ليال قليلة العدد ، فهذا الزمن خليق أن تتسرب فيه فكرة قيلت على ملأ فى دار الندوة .

ومرة ثانية لا نكفر الذين يكلون الأمر إلى فطنة النبى ـ ﷺ ـ وذكائه . فإخبار جبريل إياه فى هذا الوقت لم يأت صريحا فى القرآن . وإنما جاء « ...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ » .. وكان من مكره أن نجى نبيه بهذه الطريقة . طريقة إفْلاته ومبيت عَلِيّ على فراشه .

ثم ذكر سبحانه صورة من صور مكابراتهم وجحدهم ، ومحاولاتهم الحط من القرآن الكريم ، وهم على علم ببلاغته وإعجازه ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ .... ﴾

وجمهور المفسرين على أن صاحب هذا القول هو النضر بن الحرث من بنى عبدالدار ، وكان بينه وبين رسول الله ـ ﷺ ـ قرابة . وكان يختلف إلى ديار فارس فيسمع ما يتحدثون به عن أبطالهم وذوى المكانة فى تاريخهم مثل رستم واسفنديار وأبطالهم الآخرين ، وكان قد خالط اليهود والنصارى وسمع قصص التوراه والانجيل ، وكان يحدث بها ، وكان من الصادّين عن سبيل الله ، وغرضه من هذا أن يوهم الناس أن ما جاء فى

القران من أخبار الأنبياء مع أممهم ، إنما هى أقاصيص متداولة من قبل ، وكان يقول للناس ان محمدا يحدثكم عن عاد وثمود وأنا أحدثكم عن رستم واسفنديار ... واشترى جاريتين مغنيتين تغنيان الناس بأخبار الماضين ، وقد قتل صبرا يوم بدر .

ولا يعنى قوله : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » أنه يحاكى القرآن فى بلاغته واعجازه ولم يثبت عنه أنه حاول ذلك ، وأعداء الإسلام لم يكونوا يجحدون اعجاز القرآن ولاصدق رسول الله ـ ولكنها الأحقاد تملى عليهم مكابرته ، وقد قال الله فيهم ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ، وجاء فى النضر : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وحديثه لما ينته بعد فى هذه الآيات .

وقصدوا بأساطير الأولين قصصهم التى سطرت فى كتبهم ، وهى جمع لأسطورة كأرجوحة وأراجيح وأكذوبة وأكاذيب ، ويقال فى مفردها : أسطار وأسطير وأسطور ، وتؤنث كلها بالتاء ، وهى الأحاديث التى لا نظام لها ، وأصل السطر الصف من الشىء كالكتاب والشجر .

وقولهم : « قد سمعنا » يعنون به أنهم سمعوا مثل هذه الأقاصيص من قبل وشاعت هذه القالة فكرروها من غير إصغاء للقرآن ونأمل فى آياته ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أى نقلها له من كتبهم اشخاص يملونها عليه ، ومعروف أن القرآن تحداهم أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة ، ومع عجزهم عن محاكاته ظلوا معاندين ولله فى خلقه شئون .

خطأ مطبعى

وقع فى طبع لسان العرب ـ دار المعارف خطأ فى صـ ٣٢٩٩ مادة « غمض » أواخر النهر الأوسط . ذكر الآية الكريمة : ﴿ ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ﴾ جعل تغمضوا (تغمضول) فليصحح .

التطبيــق الجغرافى

للأستاذ الدكتور : محمد متولى

بين يدى هذا البحث للأستاذ الدكتور محمد متولى ـ عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ـ رحمه الله ـ تجد مجلة الأزهر حقا عليها أن تضع بين يدى القارىء رسالة سيادته الرقيقة إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وهى توضح صلته بالبحث ، وسبب إقدامه عليه ، كما يعلن البحث ـ فى ذاته ـ عن مجهود الباحث ـ رحمه الله ـ حتى انتهى إلى ما انتهى إليه .

وهذه صورة خطابه :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فتجدون فى الصفحات المرافقة اجتهادا من أحد العاملين فى ميدان علم الجغرافيا فى سبيل الإجابة عن سؤال جغرافى كان أستاذنا الجليل الدكتور عبدالرحمن تاج رحمه الله فقد وجهه إلىّ أرجو التفضل بقراءته عسى أن تجدوا فيه حلا لما عجز المفسرون عن توضيحه . وإذا رأيتم فيه ما يفيد قارىء القرآن الكريم أرجو التفضل بتوجيهه إلى من ينشره من المجلات أو دور النشر .

ولفضيلتكم عميق الشكر وعظيم التقدير .

محمد متولى

سابقا : عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة

أمين المجلس الأعلى للجامعات

محافظ المنوفية

حاليا : أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب جامعة القاهرة

لما جاء فى قوله تعالى :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ »

موضوع هذا المقال هو اجتهاد فى سبيل الإجابة عن سؤال جغرافى وجه إلى منذ أعوام ووقفت منه وقتئذ موقف العاجز الحائر .

وجهه إلى عالم جليل من علماء الإسلام هو الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن تاج وكان وقتئذ إمامًا للأزهر الشريف .

سألنى فضيلته عن البحرين اللذين تشير إليهما الآيات القرآنية الكريمة التالية[1] :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

طلب فضيلته أن احدد له جغرافيًا موقع هذين البحرين . وأن أعين له مكان التقائهما وموقع البرزخ الذى يفصل بينهما فلا يبغى أحدهما على الآخر .

وأدرك أستاذنا أن سؤاله كان مفاجأة فأمهلنى فى الرد عليه ، والواقع أن الدهشة عقدت لسانى إذ كيف يوجه إلى أسئلة من هذا النوع أستاذ جليل من أئمة العلماء المسلمين يلم بدون شك بكل ما كتبه المفسرون فى هذا الشأن .

ولم أستطع وقتئذ أن أتورط فيما ليس لى علم به فآثرت أن أنتفع بالرخصة التى منحنى إياها وهى إرجاء الرد على أسئلته إلى حين .

وحتى أصل إلى جواب شاف عن هذه الأسئلة كان طبيعياً أن أرجع أولًا إلى القرآن الكريم حتى ألم بالآيات الكريمة التى عرضت لذكر البحرين ،

(١) القرآن الكريم سورة الرحمن الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

ثم أرجع بعد ذلك إلى كتب المفسرين حتى أتعرف على آرائهم فى تفسير ما جاء فى تلك الآيات ثم إلى ما كتبه المفسرون الذين تصدوا للتعليق على هذه الظاهرة المعجزة .

وفى ضوء أولئك جميعًا أحاول التطبيق الجغرافى لما جاء فى تلك الآيات الكريمة .

أولًا : ما جاء فى القرآن الكريم ـ وردت الآيات التى تعرضت لظاهرة البحرين فى أربع سور قرآنية هى : الرحمن ، والفرقان ، والنمل ، وفاطر .

ففى سورة الرحمن جرت الآيات الكريمة على النحو الآتى[1] : مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

وفى سورة الفرقان جرت الآيات على النحو الآتى[2] :

وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

وفى سورة النمل وردت الآيات كما يأتى[3] :

« أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ » .

وفى سورة فاطر جرت الآيات على النحو الآتى[4] :

« وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا » .

والصورة التى ترسمها الآيات الكريمة على هذا النحو واضحة كل الوضوح ومعالمها الرئيسية تتمثل فيما يلى :

١ ـ هناك بحران أجراهما الله سبحانه وتعالى أحدهما عذب فرات والثانى ملح أجاج .

٢ ـ والماء فى هذين البحرين يلتقى ولكنه لا يمتزج أو يختلط لوجود برزخ حاجز بينهما .

٣ ـ ومن البحرين معا يستخرج اللؤلؤ والمرجان .

الصورة فى وضوحها تعبر عن إعجاز إذ كيف يلتقى الماء العذب والماء الملح دون أن يختلطا أو يمتزجا فيظل العذب عذبًا والملح ملحًا .

ومن أجل هذا فإنه سبحانه وتعالى بعد أن يصور هذه المعجزة فى آياته الكريمة يوجه تقريعه إلى المكذبين بها بقوله :

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

وتتكرر فى سورة الرحمن صور عديدة من نعم الله على عباده ومن معجزاته فى خلق الكون الذى نعيش فيه . وعقب كل صورة منها يوجه سبحانه وتعالى تقريعه إلى أولئك الذين يجحدون نعمه أو ينكرون معجزاته من الإنس والجن بقوله : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

وقد وردت آية « فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » فى سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة[1] وكل منها

(١) القرآن الكريم سورة الرحمن الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢
(٢) القرآن الكريم سورة الفرقان
(٣) القرآن الكريم سورة النمل الآية ٦١
(٤) القرآن الكريم سورة فاطر الآية ١٢
(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : المنتخب فى تفسير القرآن : ص ٧٩١ ، القاهرة ١٩٦٨ .

تأتى بعد نعمة من نعم الله على عباده أو معجزة من معجزاته .

وقد بدأت السورة بعد ذكر الرحمن ـ جل وعلا ـ بذكر أعظم نعمة أسبغها على عباده وهى تعليمهم القرآن الكريم ثم جرت الآيات واحدة بعد أخرى تعرض آلاء الله ومعجزاته فى صورة توضح عظمة خالقها ـ جل شأنه ـ وتبرز قدرته وسلطانه على الإنس والجن .

ومن النعم والمعجزات التى ورد ذكرها فى سورة الرحمن :

ـ أنه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلمه البيان .

ـ وأنه خلق الشمس والقمر وأجراهما فى بروجهما بحساب وتقدير .

ـ وأنه خلق السماء ورفعها من غير عمد .

ـ وأنه بسط الأرض ومهدها للخلائق .

ـ وأنه خلق الفاكهة وأنبت النخيل .

ـ وأنه رب المشرقين ورب المغربين .

ـ وأنه أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان دون أن يبغى أحدهما على الآخر .

كل أولئك آيات بينات ومعجزات كبرى يشاهدها الناس ويرونها رأى العين وإذن فلا سبيل إلى إنكارها ، لأنها تقع تحت حسهم وأبصارهم . ومن بينها بطبيعة الحال معجزة التقاء ماء البحرين العذب والملح دون أن يختلط أحدهما بالآخر فيبقى العذب عذبًا والملح ملحًا .

ثانيًا : أقوال المفسرين :

بعد أن عرضنا لذكر الآيات القرانية الكريمة التى وردت فيها إشارة إلى البحرين نأتى إلى ما جاء فى أقوال المفسرين فى هذا الشأن مركزين بصفة خاصة على أمور ثلاثة هى :

ـ ما قيل عن (البحرين) وعن التقاء مَاءَيهِما .

ـ ما قيل عن (البرزخ) الذى يفصل الماء العذب عن الماء الملح ، ويحول دون اختلاطهما وامتزاجهما .

ـ ما قيل عما يخرج من البحرين من لؤلؤ ومرجان .

ولن يكون فى وسعنا فى هذا المقال القصير أن نعرض فى تفصيل لأقوال المفسرين جميعًا كل على حدة ولذلك فإنا نعالجها معا فى إيجاز :

١ ـ ما قيل عن البحرين :

كان المفسرون فى غاية الوضوح فى تفسيرهم لطبيعة البحرين فجميعهم متفقون على : أن أحدهما بحر عذب ، والثانى بحر ملح وليس ذلك بالأمر الغريب فنصوص الآيات الكريمة صريحة فى ذلك ، إذ تتضمن أن أحد البحرين عذب فرات والثانى ملح أجاج .

والجغرافيون يتجاوزون من غير شك حدود اللغة عندما يقصرون معنى لفظ البحر على البحر الملح دون البحر العذب . ولفظ البحر فى الآيات الكريمة ورد على إطلاقه بحيث يشمل الملح والعذب على السواء .

ولم يرد فى أقوال المفسرين تحديد واضح

للبحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة وإن كان البعض منهم ــ وهم قلة ــ قد تعرضوا فى تفسيرهم لتحديدهما ولكن فى غير تأكيد فعندما يذكرونهما يقولون « قيل بحر كذا وقيل بحر كذا » هكذا بصيغة المبنى للمجهول ، وقليل القليل من المفسرين هم الذين ينسبون القول إلى قائله :

ففى التفسير الكبير للإمام محمد الرازى فخر الدين[1] وفى تفسير القرطبى[2] وفى فتح البيان لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى[3] ورد ما يأتى عن تحديد البحرين :

قيل بحر المشرق وبحر المغرب .

قيل بحر اللؤلؤ وبحر المرجان .

وقيل بحر الروم وبحر الهند .

هكذا بصيغة المبنى للمجهول .

وفى حالات ثلاث فقط نسبوا القول إلى قائله فيما يتعلق بتحديد البحرين فيذكرون ما يأتى :

قال الحسن وقتادة أنهما بحر فارس وبحر الروم .

وقال ابن عباس إنهما بحر السماء وبحر الأرض .

وقال ابن جريج إنهما البحر المالح والأنهار العذبة .

والبحار على هذا النحو الذى وردت به فى أقوال المفسرين غير محددة تحديدًا دقيقًا إلا فى موقع واحد هو ما قيل من أن البحرين المقصودين هما بحر فارس وبحر الروم وهما بحران ماؤهما ملح على حين أن المقصود أن يكون الماء فى أحدهما عذبًا وفى الآخر ملحًا .

فمثلا : ما هو بحر المشرق وأين يوجد .

وما هو بحر المغرب وأين يوجد .

وأين يلتقى البحران .

ثم : ما هو بحر اللؤلؤ وبحار اللؤلؤ كثيرة .

وما هو بحر المرجان وبحار المرجان كثيرة .

وأين يلتقى البحران .

ثم : ما هو البحر المالح الذى يقصده ابن جريج .

وأى الأنهار العذبة يعنى ؟

٢ ــ ما قيل عن البرزخ :

جاءت أقوال المفسرين عن معنى البرزخ واضحة أيضًا . فهم يجمعون على أنه حاجز يفصل بين ماء البحرين . إلا أنهم عندما يعرضون لطبيعة هذا الحاجز تتجه آراؤهم اتجاهين مختلفين :

ــ فبعضهم يرى أنه حاجز من الأرض اليابسة .

ــ ويرى البعض الآخر أنه حاجز غير مرئى يفصل بين الماء العذب والماء الملح بقدرة الله سبحانه وتعالى .

ومن الفريق الأول الحسن وقتادة[1] فهما يريان أن أرض الحجاز هى البرزخ الذى يفصل بين ماء البحرين المقصودين وهما فى نظرهما بحر فارس وبحر الروم .

ومن هذا الفريق أيضًا العالم عبد الجليل عيسى[2] فهو يذكر فى تيسير التفسير ما يأتى :

---

(١) الإمام محمد الرازى فخر الدين ــ مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير . جـ ٨ ص ١٠٣ ، مصر ١٣٠٨ هـ .

(٢) القرطبى جـ ٨ . مطابع الشعب القاهرة .

(٣) أبو الطيب صديق بن حسن القنوجى البخارى ــ فتح البيان ــ جـ ٩ ص ١٧٤ ، وما بعدها .

(١) المراجع السابقة .

(٢) عبد الجليل عيسى : تيسير التفسير ، ص ٧٠٩ ، القاهرة ١٩٥٨ .

« جعل بين البحرين حاجزًا من الأرض فلا يختلطان » .

ومن الفريق الثانى العلامة أبو السعود[1] الذى يذكر ما يأتى :

« أرسل الله البحر المالح والبحر العذب يتجاوران وتتماس سطوحهما ولا فصل بينهما فى مرأى العين » .

ومنه أيضًا أبو الطيب صديق بن حسن البخارى[2] إذ يقول فى فتح البيان : « أرسل البحرين يتجاوران ويتماسان على وجه الأرض ولا فصل بينهما على مرأى العين » .

ومنه أيضًا هيئة العلماء[3] التى ألفها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر فهم يذكرون ما يأتى فى المنتخب فى تفسير القرآن الكريم .

« أرسل الله البحرين العذب والملح يتجاوران وتتماس سطوحهما وبينهما حاجز من قدرة الله لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان » .

٣ ـ ما قيل عما جاء فى قوله تعالى : « لا يبغيان »

تتجه آراء المفسرين فى هذا المعنى اتجاهين مختلفين أيضًا :

ـ فبعضهم يرى أن البحرين لا يبغى أحدهما على الآخر فيمتزج به .

ـ ويرى بعضهم الآخر أن البحرين لا يبغيان على الأرض المجاورة فيغرقانها .

ففى المعنى الأول يقول العلامة أبو السعود[4] « لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة » .

ويقول أبو الطيب صديق بن حسن البخارى[5] : « لا يبغى أحدهما على الآخر بأن يدخل ويختلط به » .

وتقول هيئة العلماء التى ألفها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر :

« لا يطغى أحدهما على الآخر فيمتزجان » .

ويقول مجاهد وقتادة[1] : « لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه » .

ويقول سيد قطب فى ظلال القرآن : « إن جميع الأنهار العذبة تقريبًا تصب فى البحار المالحة إلا أنها لا تغير طبيعة البحار ولا تبغى عليها » . كما يذكر أن مستوى سطوح الأنهار أعلى فى العادة من مستوى سطح البحر . ومن ثم فإن البحر لا يبغى على الأنهار التى تصب فيه ولا يغمر مجاريها بمائه الملح فيحولها عن طبيعتها وبينهما دائمًا هذا البرزخ من صنع الله فلا يبغيان » .

وفى المعنى الثانى يقول العلامة أبو السعود[2] : « لا يتجاوزان حديهما بإغراق ما بينهما » .

ويقول قتادة[3] : « لا يبغيان على الناس فيغرقانهم فجعل بينهما وبين الناس يابسا » .

ويقول الرازى فخر الدين[4] : « لا يبغيان على

---

(١) أبو السعود : فى هامش جـ ٨ من مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير للرازى ، ص ٢٦ .

(٢) أبو الطيب صديق بن حسن البخارى : فتح البيان ، جـ ٩ ، ص ١٧٤ .

(٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، ص ٧٩١ .

(٤) سبق ذكره .

(٥) سبق ذكره .

(١) سبق ذكره .

(٢) سبق ذكره .

(٣) سبق ذكره .

(٤) سبق ذكره .

الأرض ولا يغطيانها فتكون الأرض بارزة يتخذها الإنسان مكانًا » .

٤ ـ ما قيل عن اللؤلؤ والمرجان :

يفرق أغلب المفسرين بين اللؤلؤ والمرجان ويعدونهما نوعين مختلفين من منتجات البحار فاللؤلؤ فى نظرهم هو الدر والمرجان هو الخرز الأحمر . إلا أن بعض المفسرين يرون رأيًا آخر :

فابن عباس مثلًا يرى أن المرجان هو كبار اللؤلؤ أما اللؤلؤ فهو صغاره .

ويرى الضحاك وقتادة عكس ذلك فاللؤلؤ عندهما هو كباره والمرجان صغاره .

والمفسرون متفقون على أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من الماء الملح . إلا أن بعضهم توقف عند قوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » أى من البحرين الملح والعذب فنراهم يقولون : إنهما ـ وإن كانا يستخرجان من الماء الملح ـ فمن المحتمل أن يستخرجا من الماء العذب كذلك . بل لقد ذهب بعضهم إلى إنهما يستخرجان فعلًا من الماء العذب فلقد قال الأخفش سعيد فى ذلك : « زعم قوم أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب » .

وقال بعضهم إنهما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ويخرج من الآخر المرجان .

وقال ابن عباس[١] : « إنهما بحر السماء ويقصد بذلك الأنهار العذبة التى تستمد ماءها من الأمطار ، وبحر الأرض ويقصد بذلك البحار والمحيطات فإذا وقع ماء السماء فى صدف البحر فإنه يصير لؤلؤاً وبذا يصبح خارجًا منه » .

وعن الطبرى قال الثعلبى[٢] : « ولقد ذكر أن نواة كانت فى جوف صدفة فأصابت القطرة (ويقصد قطرة المطر) بعض النواة ولم تصب البعض فكانت حيث أصابت القطرة من النواة لؤلؤة وسائرها نواة » .

وقيل : « إن العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح » ولذلك قيل : أنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقى فيه العذب والملح .

هذا هو موجز ما ورد من آراء المفسرين خاصا بما تتضمنه الآيات الكريمة التى تشير إلى البحرين ، وهى كما نرى لا تعطى تحديدًا مقنعًا للبحرين كما أنها تتضمن الكثير من المعلومات الخاطئة وسنعود إلى ذلك بعد قليل فى سياق عرضنا للتطبيق الجغرافى لما تنص عليه الآيات الكريمة .

ثالثًا : أقوال المستشرقين :

لم يضف المستشرقون جديدًا إلى ما قاله المفسرون وقد عرض كراتشكوفسكى فى مقدمة كتابه « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » آراء ثلاثة منهم هم : بارتولد وفنسنك ومجيك وهى فى جملتها ترديد لما قاله المفسرون :

فالبحران المقصودان فى نظرهم هما :

١ ـ البحر المتوسط (بحر الروم) والمحيط الهندى بخليجه الذى يتمثل فى البحر الأحمر (بحر الهند) وهم فى هذا يرددون ما جاء فى تفسير الرازى والقرطبى والبخارى .

٢ ـ المحيط السماوى (بحار السماء) والمحيط

(١) القرطبى سبق ذكره .

(٢) نفس المصدر .

الأرضى (بحار الأرض) وهم فى هذا يرددون ما قاله ابن عباس .

٣ ـ نهر الفرات والخليج الفارسى .

وهذا تحديد جديد جاء به المستشرق بارتولد ولم يرد فى أقوال المفسرين وهو تحديد منقوضٌ ، فعلى الرغم من أن أحد البحرين عذب وهو نهر الفرات والآخر ملح وهو الخليج الفارسى ، فإن بارتولد يرى أن البرزخ الذى يفصل بين الماءين يحتل المواقع الضحلة التى تعترض مجرى الفرات قبل أن يصب فى الخليج الفارسى وهذا مخالف لما تنص عليه الآيات الكريمة من أن البرزخ المقصود يقوم بين الماءين العذب والملح .

أما كراتشكوفسكى نفسه فإنه يقف من ظاهرة البحرين موقف الحائر فيقول : « لعل النظرية القائلة بوجود بحرين تكاد تكون أعسر مشكلة فى الأدب العربى على الاطلاق » ثم يقول : « ومما يزيد فى اللبس أن الآيات (الألفاظ التى تشير إليها تحصل طابع الغموض فى عدد من المواضع » .

ثم يعود فيقول : « إنه من العبث البحث عن تفسير لها فى واقع الأحوال بالأرض .

وعلقت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) على ما قاله كراتشكوفسكى وكان طبيعيًا أن تنكر دعواه بالغموض الذى يكتنف الآيات القرآنية التى تشير إلى وجود البحرين .

فبعد أن استعرضت الآيات الكريمة التى تشير إلى ظاهرة البحرين كما وردت فى القرآن الكريم قالت[1] : « ليس صحيحًا أن ألفاظ القرآن عن البحرين تحمل فى أى موضع منها طابع الغموض اللهم إلا عند من لا يجدون ذوق العربية وحسن البيان القرآنى »[2] .

ثم تقول : « نحن العرب نتلو الآيات فلا نجد فيها لبسا ولا غموضا ولا نقول فى هذا الآيات بنظرية جغرافية معقدة أو غير معقدة وإنما سياقها جميعا فى مقام الاستدلال لقدرة الله واللفت إلى آياتها فى الكون والحياة » .

ونحن لا نتفق مع الأستاذة بنت الشاطىء فيما اتجهت إليه من أن الغموض الذى عناه كراتشكوفسكى غموض لغوى حتى تدحضه بقولها : « إننا نحن العرب نقرأ الآيات فلا نرى فيها غموضا وأنه ليس صحيحا أن ألفاظ القرآن عن البحرين تحمل فى أى موضع منها طابع الغموض إلا عند من لا يجدون ذوق العربية وحسن البيان القرآنى » .

أما الغموض الذى عناه كراتشكوفسكى فهو ـ فيما نرى ـ غموض فى التطبيق الجغرافى حيث يقول : « إنه من العبث البحث فى تفسير للآيات القرآنية فى واقع الأحوال بالأرض » .

وكنا نأمل من أستاذتنا الجليلة وقد حباها الله بالتفقه فى آيات القرآن الكريم والخبرة فى تفسيرها

( ) .... وحتى هؤلاء الذين يفقدون حس العربية وذوق بيانها لابد أنهم يدركون أن لفظ (البحرين) يعنى ـ بالضرورة ـ مثنى (بحر) ، وأن الآيات بشأن البحرين تكررت إقامتها بعذوبة أحدهما ، وملوحة الآخر . وإلى هنا أدى اللفظ معناه والمراد منه بكل وضوح ، فأما أن يطلب إلى اللفظ تحديد مكانه أيضا ؛ فهذا هو الشطط بعينه ، لاسيما والمكان غير محصور فى منطقة واحدة ، بل هو مناط معجزة تتحقق فى أكثر من مكان ، وكان أولى بـ (كراتشوفسكى) أن يكتفى بإعلان عجزه عن الوصول إلى (الظاهرة) لا أن يلقى على لفظ (البحرين) مهمة ليست له . وعملا ليس من طبيعة اللفظ ، فإن الغموض إنما يأتى من تركيب الجملة لا من معنى المفرد .

(١) كتاب « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » كراتشكوفسكى ص ٨٨٣ ، ٨٨٤ .

ألا تكتفى بالالتجاء إلى اللغة لكى تدحض ادعاء كراتشكوفسكى من أن الغموض يكتنف الآيات الكريمة التى تشير إلى ظاهرة البحرين اللذين يلتقيان فلا يبغى الماء فى أحدهما على الماء فى الآخر ، وأن تسعى إلى تحديد هذين البحرين كما سعى أستاذنا الدكتور عبد الرحمن تاج ، بل وننكر عليها ما قالته من أنه « لا وجه لتحديد البحرين بهندى وفارسى أو بالأبيض والأحمر فالبيان القرآنى لم يتعلق بشىء من هذا التحديد الذى لا يتصل بمهمته فى بيان القدرة الالهية فى البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان ، وفى البحرين لا يستويان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .

وتعجب كل العجب من قول كهذا ، لأن المعجزة الإلهية فى التقاء البحرين دون أن يمتزج ماؤهما فيظل العذب عذبا والملح ملحا لا تؤتى أثرها فى إقناع الناس بعظمة الخالق ـ جل وعلا ـ إلا إذا رأوا رأى العين هذين البحرين وهما يلتقيان فلا يبغيان ولا يتأتى ذلك بطبيعة الحال إلا بتحديد البحرين ومعرفة مكانهما على وجه الأرض .

ثالثا : أقوال المستشرقين :

التطبيـق الجغـرافى

فى سبيل التطبيق الجغرافى لما جاء فى الآيات الكريمة نعود إلى أقوال المفسرين عن البحرين وعن طبيعة مياههما وعن البرزخ الذى يفصل بين الماءين وعن طبيعة اللؤلؤ والمرجان الذى يخرج منهما حتى تتضح أمامنا الصورة كاملة وفى ضوئها نتبين معالم الطريق التى ينبغى أن نسلكها بتفسير تلك الظاهرة المعجزة .

ونبدأ بما قيل عن البحرين وما جاء عن الحسن وقتادة فى هذا الشأن .

لقد روى عنهما الرازى والقرطبى ـ كما ذكرنا من قبل ـ أنهما يريان أن البحرين المقصودين هما بحر فارس وبحر الروم وأن الحاجز الذى يفصل ماءيهما هو أرض الحجاز .

وبحر فارس كما هو معروف هو البحر الذى يسمى حاليا (الخليج العربى) وهو بحر ملح . أما بحر الروم فهو البحر الذى يعرف حاليا بالبحر المتوسط وهو بحر ملح أيضا .

فهل يتوافر فى هذين البحرين ما يؤيد أنهما فعلا البحران اللذان تشير إليهما الآيات القرآنية الكريمة .

إنهما أولا بحران مالحان ، وما تتضمنه الآيات الكريمة أن أحدهما عذب والآخر ملح .

ثم أن الماء فيهما لا يلتقى لأن فاصلا أرضيا واسعا يفصل أحدهما عن الآخر .

وبناء على ذلك فإن البحرين كليهما لا يمكن اعتبارهما البحرين المنشودين .

وما يقال عن بحر فارس وبحر الروم ينطبق تماما على ما قيل : من أن البحرين المقصودين هما بحر الروم وبحر الهند فالبحران كلاهما ماؤهما ملح وما تتضمنه الآيات الكريمة أن يكون أحدهما عذبا والآخر ملحا .

أما ما نسب إلى ابن عباس من أن البحرين هما بحر السماء وبحر الأرض فالمقصود ببحر السماء هو الأمطار التى تتزود منها الأنهار بالماء وهى بحار عذبة ، وأن المقصود ببحر الأرض هو البحار المالحة ، والمعروف أن بحار السماء عديدة وكذلك بحار الأرض ولم يحدد ابن عباس أى هذه البحار هو المقصود .

ومثل هذا القول ينطبق تماما على ما نسب إلى ابن جريج من أن البحرين هما البحر المالح والأنهار العذبة فالبحار المالحة عديدة وكذلك الأنهار العذبة ولم يحدد ابن جريج أيها يعنى .

نخلص مما سبق إلى أن ما ورد فى أقوال المفسرين خاصا بتحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة ليس فيه الوضوح الشافى ومن ثم فإن الحاجة مازالت تدعو إلى مزيد من التحديد والإيضاح .

وربما كان هذا هو ما دعا العالم الجليل الدكتور / عبدالرحمن تاج إمام الأزهر الشريف إلى أن يوجه إلى سؤاله الذى عرضته فى أول هذا المقال .

وهو أيضا ما دعا مستشرقا كبيرا مثل كراتشكوفسكى إلى أن يقول أن الآيات القرآنية التى تشير إلى البحرين يكتنفها الغموض .

ـ هذا فيما يتعلق بالبحرين أما عن البرزخ الذى يفصل بين الماءين العذب والملح فقد أشرنا من قبل إلى أن بعض المفسرين يرون أنه حاجز من الأرض اليابسة تراه العين وأن البعض الآخر يرى أنه حاجز غير مرئى من قدرة الله سبحانه وتعالى .

فإذا أخذنا بوجهة النظر الأولى واعتبرنا أن الحاجز الذى يفصل بين ماءى البحرين برزخ من الأرض اليابسة فلن يكون هناك التقاء بين البحرين لأن الحاجز الأرضى يفصل بينهما .

ثم ما هو الإعجاز فى أن يكون الفاصل بين الماءين أرضا يابسة . إن الفصل هنا يكون أمرا طبيعيا ، والصورة التى ترسمها الآيات الكريمة كما أشرنا من قبل صورة فيها إعجاز تتجلى فيه قدرة الخالق وعظمته وإلا فكيف تفسر مجيء آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » بعد تلك الصورة مباشرة .

الأمر إذن أنه من غير المعقول أن يكون البرزخ الحاجز أرضا يابسة ولابد أن يكون برزخا مائيا تتجلى فيه قدرة الخالق جل وعلا وتظهر عظمته سبحانه وتعالى :

والحاجز المائى المعجزة الذى يفصل بين الماء العذب والماء الملح ويحول دون امتزاجهما واختلاطهما لا يكون أمر ممكنا إلا فى حالة واحدة هى التى يلتقى فيها الماءان جنبا إلى جنب شريطة أن يتحرك أحدهما بجوار الآخر حركة سريعة جدا يندفع فيها الماء اندفاعا قويا لا يسمح للماءين بالاختلاط .

وربما يكون أظهر مثال نسوقه لتوضيح فكرة الحاجز المائى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح عندما يلتقيان ويحول دون امتزاجهما هو التقاء ماء نهر النيل العذب عند مصب فرع دمياط بماء البحر المتوسط الملح فى وقت الفيضان السنوى لنهر النيل .

فمياه فرع دمياط فى وقت الفيضان تكون سمراء اللون بسبب ما تحمله من طمى ويكون تدفقها فى النهر سريعا وقويا حتى إذا بلغت المصب والتقت بمياه البحر المتوسط الصافية اللون فإنها بسبب تدفقها السريع تشق طريقها وسط مياه البحر المتوسط دون أن تختلط بها ويكون بين الماءين برزخ مائى غير مرئى يحول دون امتزاجهما ويرى سكان مدينة رأس البر الواقعة عند مصب فرع دمياط الماءين .

أما عن قوله تعالى : « لا يبغيان » واختلاف وجهة نظر المفسرين فى معناها فإننا إذ نؤمن بأن (البرزخ) الذى يفصل بين ماء البحرين العذب

والملح لا يمكن أن يكون أرضًا يابسة حتى يتحقق الإعجاز الذى يتضمنه التقاء الماءين الملح والعذب دون أن يمتزجا أو يختلطا فلن تكون بنا حاجة إلى أن نفسر المعنى المقصود من قولــه تعـــالى « لا يبغيان » بأنه إغراق الأرض المجاورة وعندئذ يكون المعنى البديهى هو ألا يمتزج الماء فى أحد البحرين بالماء فى البحر الآخر به .

أما ما يتعلق باللؤلؤ والمرجان فالمعروف علميًا أنهما يختلفان فى طبيعتهما وتكوينهما فاللؤلؤ مادة صدفيـة ينتجهـا نوع معـروف من الأصداف البحرية والمرجان مادة جيرية ينتجها نوع معروف كذلك من الأحياء البحرية المجهرية (أى الدقيقة جدًا) ومن ثم فلا يمكن الأخذ بوجهة النظر القائلة بأن اللؤلؤ هو كباره والمرجان صغاره أو القائلة بعكس ذلك من أن اللؤلؤ هو صغاره والمرجان كباره .

والمعروف علميًا كذلك أنه يشترط لإنتاج اللؤلؤ والمرجان أن يكون إنتاجهما فى بحر ملح شريطة أن يكون ماؤه دافئًا ورائقًا وأن تكون أعماقه ضحلة .

وبناء على ذلك فلا سبيل لأن نأخذ بالرأى القائل بأن الماء العذب-أو قطرات المطر لها أية علاقة بتكوين اللؤلؤ أو المرجان أو إنتاجهما .

وقبل أن نشرع فى التطبيق الجغرافى لما جاء فى الآيات الكريمة ينبغى ـ بادىء ذى بدء ـ أن نحدد الصفات والمعالم التى ينبغى توافرها فى الصورة التى ترسمها الآيات حتى يكون التطبيق متلائمًا مع الصورة تمامًا .

وفى ضوء الآيات الكريمة التى جاءت فى السور القرآنية الأربع يمكن تحديد معالم الصورة على النحو الآتى :

١ ـ ينبغى أن يكون هنـاك بحران محددان أحدهما عذب والآخر ملح .

٢ ـ وينبغى أن يلتقى ماء البحر العذب بماء البحر الملح .

٣ ـ وينبغى ألا يختلط الماء العذب بالماء الملح رغم التقائهما أى ينبغى أن يظل الماء العذب عذبًا والماء الملح ملحًا .

٤ ـ وينبغى أن يكون هناك حاجز غير أرضى يفصل بين الماء العذب والماء الملح .

٥ ـ وينبغى أن يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحرين معًا .

هذه هى المعالم التى ينبغى أن تكون موضع الاعتبار عندما نسعى إلى تحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة .

وثمة اعتبار آخر ينبغى أن يكون فى المقام الأول هو أن الصورة التى تواجهنا إنما هى معجزة من معجـزات الخالـق ـ جل وعـلا ـ ومعجزاتــه ـ سبحانه وتعالى ـ تكون دائمًا من الجلاء والوضوح بحيث يراها الناس رأى العين حتى يكون لها أثرها فى نفوسهم فيؤمنون بقدرة الخالق وعظمته .

وإذن فينبغى أن تكون الصورة التى ترسمها تلك الآيات صورة ظاهرة وجلية لكل الناس حتى يدركوا عظم الإعجاز فيها .

وحتى نصل إلى الغرض المنشود فى تحديد البحرين اللذين تشير إليهما الآيات الكريمة لابد من إجراء عرض شامل لبحار العالم وأنهاره جميعًا لنرى أيها تنطبق عليه معالم الصورة التى سبقت الإشارة إليها .

ولكن البحار والأنهار منـتشرة فى جهـات الأرض جميعًا وهـى من الـكثرة بحيث يتعـذر

حصرها حصرًا دقيقًا وهذا من شأنه أن يزيد من صعوبة تحديد البحرين المنشودين .

إلا أننا لو بدأنا بتطبيق بعض المعالم والصفات المانعة التى ينبغى توافرها فى هذين البحرين فقد يساعدنا ذلك على إبعاد البحار التى لا تتوافر فيها تلك المعالم والصفات وإسقاطها من بحثنا وعندئذ يضيق النطاق الذى نبحث فى إطاره وبذا نبلغ الهدف فى يسر وسهولة .

وأول الشروط والصفات المانعة التى نبدأ بتطبيقها شرط وجود اللؤلؤ والمرجان وقد سبقت الإشارة إلى أن اللؤلؤ والمرجان هما نتاج لأنواع معينة من الأحياء البحرية التى لا تعيش إلا فى المياه المالحة الدافئة . وهذا يؤدى بنا إلى أن نسقط من بحثنا جميع البحار والأنهار التى تقع خارج نطاق الجهات الحارة والدافئة ونعنى بذلك البحار والأنهار الواقعة فى المناطق الباردة والمعتدلة .

ومن بين البحار الدافئة التى يتوافر فيها اللؤلؤ والمرجان فى العالم البحار التى تحيط بالجزيرة العربية كالبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربى وكذلك البحار المجاورة للهند والملايو وأندونيسيا واستراليا وهذه البحار جميعًا مالحة وتصب فيها أنهار عذبة أى أن مياهها تلتقى بعضها ببعض .

ـ إذن ما هى الاحتمالات لتحديد البحرين المنشودين من بين هذه البحار ؟

ـ الاحتمال الأول : كان أول احتمال فكرت فيه هو الخليج العربى كبحر ملح وشط العرب كبحر عذب :

ففى هذين البحرين يتوافر الماء العذب والماء الملح .

وفيهما يلتقى الماء العذب والماء الملح .

ومنهما يستخرج اللؤلؤ والمرجان .

ولم يبق أمامى إلا الحاجز غير الأرضى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح ويحول دون امتزاجهما . حتى تكتمل معالم الصورة .

والذى نعرفه أن مياه شط العرب وهى مياه عذبة يستمدها من نهرى دجلة والفرات تكون أكثر ارتفاعًا فى مستواها من مياه الخليج العربى فى أثناء فترة الجزر فتتدفق مياه شط العرب فى الخليج وتطرد أمامها مياه الخليج .

أما فى أثناء فترة المد فإن مياه الخليج العربى المالحة يعلو مستواها عن مياه شط العرب العذبة فتندفع مياه الخليج المالحة فى مجرى شط العرب وتطرد أمامها مياه شط العرب العذبة . وهكذا تتكرر هذه الظاهرة فى كل مد وفى كل جزر (أى مرتين فى كل ٢٤ ساعة) .

فهل تدفق المياه على هذا النحو من القوة والشدة بحيث يتكون الحاجز المائى بين الماءين ويمنع اختلاطهما ؟ كنت أؤمن بذلك فى أول الأمر . إلا أن الدراسة أثبتت أن حركة مياه الخليج فى أثناء توغلها فى مجرى شط العرب فى أثناء المد وكذا حركة مياه شط العرب فى أثناء تدفقها فى الخليج العربى فى أثناء الجزر حركة بطيئة ولا تساعد على تكوين الحاجز المائى الذى يفصل بين الماءين ويمنع اختلاطهما .

فالماء هنا يختلط فعلًا ويمتزج الماء الملح بالماء العذب ومن ثم فلا يمكن اعتبار شط العرب العذب والخليج العربى الملح البحرين المنشودين .

الاحتمال الثانى :

كانت فكرة البرزخ المائى الذى يفصل بين الماءين العذب والملح تسيطر على تفكيرى وأنا

أبحث فى الاحتمال الثانى ولذلك فكرت فى نهر النيل كبحر عذب والبحر المتوسط كبحر ملح .

فعند مصب فرع دمياط وهو أحد فروع النيل فى البحر المتوسط فى وقت الفيضان يكون ماء النيل جياشًا وغزيرًا ويندفع فى مياه البحر المتوسط بعنف وقوة بحيث يتكون البرزخ المائى الحاجز الذى يمنع امتزاج الماءين أحدهما بالآخر[1] .

وهنا يتوافر الماء العذب والملح .

وهنا يلتقى الماءان العذب والملح .

وهنا لا تمتزج مياه النيل بمياه البحر المتوسط بسبب البرزخ الحاجز الذى يتكون نتيجة لاندفاع مياه النيل بقوة فى مياه البحر المتوسط .

إلا أنه مع ذلك لا يوجد اللؤلؤ أو المرجان . وإذن فلا يمكن اعتبار هذين البحرين المنشودين .

وإذن فقد فشل الاحتمال الثانى كما فشل الاحتمال الأول من قبل .. أحدهما لعدم وجود اللؤلؤ والمرجان ، وهو شرط أساسى والآخر لعدم وجود الحاجز غير الأرضى الذى يحول دون امتزاج الماءين العذب والملح وهو شرط أساسى كذلك .

ــ ووقفت جهودى فى الاهتداء إلى البحرين المنشودين عند هذا الحد وكاد اليأس يسيطر علىّ لولا أن قيض الله لى فرصة العمل فى منطقة الخليج العربى واتجاهى نحو التفكير فى إخراج مؤلف جغرافى عن هذا الخليج .

وكان طبيعيًا وأنا أعد لهذا المؤلف أن أدرس ــ بين ما أدرس ــ أهمية الخليج العربى كموطن لإنتاج اللؤلؤ الذى ظل لفترة طويلة عماد الحياة الاقتصادية ومصدر الرخاء لبلاد الخليج . وبينما كنت أدرس عمليات الغوص على اللؤلؤ التى كان يمارسها السكان فى مواطن إنتاجه فى الخليج وبصفة خاصة فى القطاع المائى الذى يواجه إقليم الإحساء فى العربية السعودية صادفت أمرًا عجبًا .

فالمعروف أن الغوص على اللؤلؤ فى مواطن إنتاجه فى الخليج العربى كان له موسمان ، وأن الموسم الأعظم منهما كان فى الصيف وقت أن تكون المياه دافئة بحيث تتحملها أجسام الغواصين لفترة طويلة .

والمعروف أن الغواصين فى هذا الموسم كانوا يخرجون إلى مواطن الصيد فى أعداد كبيرة كانت تصل أحيانًا إلى نحو (٧٠) ألفًا وكانوا يخرجون فى أساطيل من سفن الصيد كانت تضم ما يقرب من (٤٥٠٠) سفينة . وكانوا يخرجون من بلاد الخليج جميعًا من الكويت والعربية السعودية والبحرين وقطر وإمارات الخليج[1] وكذلك من إيران .

والمعروف أنهم كانوا يقضون فى أعمال الغوص نحواً من ثلاثة شهور وأنهم كانوا يحملون معهم فى سفنهم مؤن الطعام والماء العذب . ولكن طول المدة التى كانوا يقضونها فى البحر كان يستنفد ما صحبوه معهم من مؤن .

أما مؤن الطعام فكانوا يعوضونها بما تحمله إليهم سفن التجار التى كانت تزورهم فى مواطن الصيد بين وقت وآخر .

وأما الماء العذب فإن الغواصين وياللعجب الشديد كانوا يحصلون عليه من جوف الماء الملح فى الخليج . وكان الحصول على هذا الماء العذب من وسط الماء الملح أمرًا عجيبًا حقًا وكان أمرًا ميسورًا

(١) انظر الخريطة رقم (١) .

(١) اتحدت هذه الإمارات فيما بعد وكونت « دولة الإمارات العربية المتحدة » .

فى الوقت نفسه . كان الغواصون إذا فرغت قراب الماء العذب التى كانوا يحملونها معهم فوق ظهور السفن يغوصون بها فى ماء الخليج الملح بعد أن يحكموا إغلاق أفواهها حتى إذا بلغوا القاع أو اقتربوا منه والأعماق هنا قليلة تتراوح بين ١٥ مترًا و ٢٠ مترًا وجدوا عيونا يتدفق منها الماء العذب ويندفع إلى أعلى اندفاعًا قويًا وسط الماء بحيث تساعد هذه القوة فى الاندفاع على تكوين البرزخ المعجزة بين الماء العذب المتدفق من العيون وبين الماء الملح فى الخليج ويمنع امتزاجهما واختلاطهما . وعندئذ يوجه الغواصون أفواه القراب نحو المياه العذبة المتدفقة من العيون إلى أن تمتلىء القراب بالماء العذب وبعد ذلك يحكمون إغلاقها ثم يصعدون بها إلى سفنهم ويرتوون بها .

وهذه العيون من الماء الجوفى العذب منتشرة فى قاع الخليج العربى حول جزر البحرين ويعرف الغواصون مواقعها كما يعرف سكان جزر البحرين ٢٣ موقعًا من المواقع التى تنبثق منها العيون وتعرف لديهم بالكوكبات والماء يتدفق منها دون انقطاع .

وهى تستمد الماء الجوفى من نفس المصدر الذى يغذى العيون فى جزر البحرين نفسها وفى منطقة الهفوف ومنطقة القطيف فى العربية السعودية وهو ماء غزير .

وإذن فنحن هنا أمام ظاهرة جغرافية هامة. بل أمام معجزة كبرى من معجزات الخالق جل وعلا تدل على قدرته وعظمته وهى ظاهرة موجودة فى الجزيرة العربية وعلى مرأى من العرب وهم أول من نزل عليهم القرآن الكريم وهى ظاهرة تتوافر فيها كل معالم الصورة التى ترسمها الآيات الكريمة .

- ففيها يتوافر بحران أحدهما ملح أجاج هو الخليج العربى والآخر عذب فرات هو مجموعة (الكوكبات) التى يتدفق منها الماء العذب من جوف الأرض .

- وفيها يلتقى الماء العذب والماء الملح .

- وفيها يتوافر البرزخ المائى نتيجة لشدة انبثاق مياه العيون وقوة اندفاعها وهو حاجز لا يجعل أحد الماءين يبغى على الآخر ويمتزج .

- ومنها يستخرج اللؤلؤ والمرجان بل إنها تعتبر أهم موطن لاستخراجهما فى العالم .

وبعد ألا يمكن اعتبار هذين البحرين هما البحران المنشودان اللذان عناهما القرآن الكريم حيث تجرى آياته تقول :

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

« يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ » .

« فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

وهل يمكن اعتبار اسم البحرين الذى يطلق حاليًا على مجموعة جزر البحرين والذى كان يطلق وقت نزول القرآن الكريم على مجموعة الجزر وعلى إقليم الإحساء فى شرق الجزيرة العربية ألا يمكن اعتبار هذا الاسم مشتقًا من وجود هذين البحرين العظيمين العذب والملح .

وأخيرًا هل يمكن أن يكون ذلك إجابة شافية عن السؤال الذى وجهه إلىّ العالم الجليل الدكتور / عبدالرحمن تاج إمام الأزهر الشريف . ويكون فى نفس الوقت كاشفًا للغموض الذى ظن كراتشكوفسكى وجوده فى الآيات القرآنية الكريمة .

أرجو أن يكون ذلك والله ولى التوفيق .

الدمام
الخليج العربي
المحرق
البحرين
العربية السعودية
خليج سلوى
قطر

قبس من أنوار النبوة

المساواة فى الإسلام

فضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فى أوسط أيام التشريق (وفى رواية يوم عرفه) خطبة الوداع فقال : أيها الناس : إن ربكم واحد . وإن أباكم واحد . ألا لا فضل لعربى على عجمى . ولا عجمى على عربى .ولا لأحمر على أسود . ولا لأسمر على أحمر إلا بالتقوى . إن أكرمكم عند الله اتقاكم .

« رواه البيهقى »

٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى ، ألا إنى قد جعلت نسبًا ، وجعلتم نسبا . فجعلت أكرمكم أتقاكم . فأبيتم إلا أن تقولوا : فلان ابن فلان ، خير من فلان ابن فلان . فاليوم أرفع نَسَبِى وأضع نسبكم . أين المتقون ؟! » ..

رواه الطبرانى ـ والبيهقى ـ .

جاء الإسلام وركائزه الأولى التى يقوم عليها بناؤه ، ويعتمد عليها أساسه ؛ هى : (العدل ، والمساواة) .

١ ـ إقامة الحق والعدل ؛ فبالعدل قامت السموات والأرض ، وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، قال ـ عز من قائل ـ :
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
سورة الحديد ٢٥

والعدل الذى أوجبه الله تعالى ، هو العدل الذى ينتظم جميع جوانب الحياة :

فعدل فى الحكم : « وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .. » سورة النساء/٥٨ .

وعدل فى الشهادة :وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ .. » البقرة/٢٨٣ .
وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ .. سورة الطلاق/٢

ولا يحابى قريباً لقرابته : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ سورة النساء ١٣٥

وعدل عند كتابة الوثائق : « وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ » البقرة/٢٨٢ .

عدل لا يظلم عدوا لعداوته (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .. المائدة/٨ .

٢ ـ وركيزته الثانية : المساواة بين الناس فيما يلى :

ـ فى أصل الخليقة والنشأة ، قال تعالى :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ
أول سورة النساء .

ـ وفى إباحة التمتع بالنعم الحلال ؛ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) البقرة ١٦٨ .

وفى طرح الرسالة الإسلامية فهى للناس أجمعين : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ..) سورة الأعراف/١٥٨ .

وفى التكاليف الإيمانية وقبول العمل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ..) البقرة/٢١ .

وفى الاحتياج الى الله والافتقار إليه :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ..) فاطر/١٥ .

وفى الجزاء والمصير (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) الزلزله/٦ .

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
النحل/٩٧ .

وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ
البقرة/٢٢٨

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾) الروم/٢١

وفى ظل المساواة يتمتع رعايا الدولة من غير المسلمين بكامل حقوقهم على مبدأ تعامل واحد هو قوله تعالى : (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ..) التوبة/٧ .

ويترتب على استقامتهم الود لهم ، قال تعالى :
(لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾) الممتحنه/٨

لقد حرص الإسلام كل الحرص على تقرير المساواة ، فقرر أن الناس سواسية كأسنان المشط ، كما قدمنا شيئا من صوره .

وعاب على بنى اسرائيل تفرقتهم فى تطبيق القانون بين شريف ووضيع .

وقد أثارت سرقة المرأة المخزومية ، جوهر الاسلام فى هذه القضية فوضح بيانه فيها ..

لقد سرقت فاطمة المخزومية ، وهى من صميم قريش . فاهتم القرشيون لذلك .. فقال النبى — ﷺ — عندما تشفع أسامة بن زيد لها :

« أتشفع فى حد من حدود الله ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذى نفس محمدٍ بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .. رواه البخارى ومسلم .

هذه المبادىء واضحة صريحة فى كتاب الله وسنة رسوله — ﷺ — كما قررها الصديق أبو بكر — رضى الله عنه — فى أول خطبة له عندما ولى الخلافة ، حيث قال : « أيها الناس ، إنى وليت عليكم ولست بخيركم . أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم .

ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

وكتب عمر — رضى الله عنه — الى عماله ومنهم أبو موسى الأشعرى فقال فى أحكام القضاء : « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك (أى سو بين المتخاصمين فى جميع الأمور) حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك) .

ويقول — فى وصيته للخليفة بعده : (اجعل الناس عندك سواء ، لا تبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم ، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله) .

وعمر — رضى الله عنه — أول من سارع الى تطبيق المساواة فى قضية جبلة بن الأيهم الشهيرة فقد كانت الدولة الرومانية تحرض من كان تحت حمايتها من الأمراء الغساسينة العرب على غزو الجزيرة العربية للقضاء على الدولة الإسلامية فى مهدها : فلما بدا للأمير الغسانى (جبلة بن الأيهم) أن ينضم إلى أبناء قومه ويتخلى عن ملكه فى ظل الدولة الرومانية ؛ وسر — عمر رضى الله عنه — ، وسر المسلمون بذلك ؛ واعتبروه كسبا كبيرا للإسلام .

وكتب إلى جبلة أن اقدم ، ولك مالنا وعليك ماعلينا .. فقدم جبلة الى أرض الحجاز فى خمسمائة فارس عليهم ثياب من الوشى المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط جدته (مارية) .. فلم يبق بالمدينة رجل ولا امرأة ولا صبى إلا خرج ينظر إلى الموكب الفخم الذى لا عهد له بمثله وكان فتحا عظيما للإسلام بغير عناء .

وحضر جبلة موسم الحج ، وخرج يطوف بالكعبة ، فوطىء إزاره رجل من بنى فزارة ؛ فحله ، وكبر الأمر على جبلة ، فلطم الفزارى فهشم أنفه وذهب الفزارى إلى الخليفة يقدم مظلمته .. فبعث الخليفة عمر إلى جبله يسأله : ما دعاك يا جبله أن لطمت أخاك فهشمت أنفه ؟

فاستمع الأمير إلى السؤال وهو يعجب ، وقال : إنه قد وطىء إزارى فى طوافى فحله ، وإنى قد ترفقت به ، ولولا حرمة البيت لأخذت الذى فيه عيناه .

ولم يقم عمر وزنا لمكانة جبلة ولا لغضبه ، ولا لما يفيده الإسلام من انضوائه هو وقومه تحت لوائه ، وقال له : إنك قد اقررت فإما أن ترضيه وإلا اقدته منك ، فقال جبلة فى دهشة : تقيده منى وأنا ملكٌ ، وهو سوقة ؟!

فقال عمر : إن الاسلام قد سوى بينكما . فقال جبلة : إنى رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية ، فما زاد عمر أن قال : هو كذلك . فقال جبلة : إذن أتنصر . فقال عمر : إذن أضرب عنقك .

ولولا أن دُبر لجبلة وسائل الهرب من المدينة لنفذ عمر ما توعده به * .

ولقد أقاد عمر – رضى الله – عنه من ابن عمرو بن العاص لأحد المصريين .

قال انس بن مالك – رضى الله عنه – فيما جاء فى سيرة عمر بن الخطاب (لابن الجوزى) : كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إذ جاءه رجل من أهل مصر . فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك ! قال ومالك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل . فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو بن العاص فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى فعرفته ، فقلت فرسى ورب الكعبة .. فقام إلىَّ يضربنى بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ! قال : فو الله ما زاد عمر على أنه قال له اجلس ، ثم كتب الى عمرو « إذا جاءك كتابى هذا فأقبل ومعك ابنك محمد »

قال : فدعا عمرو ابنه فقال : أأحدثت حدثا ، أجنيت جناية ؟ قال لا ، قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟ قال : فغدا على عمر ، قال أنس بن مالك : فو الله إنا عِند عمر إذ نحن بعمرو وقد أقبل فى إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت ، هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه فقال : أين المصرى ؟ فقال : ها أنا ذا ! قال دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين ، قال : فضربه حتى أثخنه ، ثم قال عمر : أجِلْها على صلعة عمرو ، فو الله ما ضربك الا بفضل سلطانه .. فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ، قال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه .

أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ! ثم التفت إلى المصرى فقال : « انصرف راشدا ، فإذا رابك ريب فاكتب إلى » .

من هنا نعلم أن للمساواة فى الإسلام ميدانا نجده محددا فى المجتمع الإسلامى أقامه القرآن الكريم والسنة المطهرة على أساس من الحق والعدل والاحسان . واحاطه بفيض من البر والمواساة والفضل (﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾) البقرة ٢٣٧ . دون ان تمس هذه المساواة بدرجات الفضل الذى خلقه الله فى عباده .

وبعد : فليس الاسلام دينا يقتصر على العبادة ، ولكنه شامل لحاجات البشر فى دينهم ودنياهم فامتاز بعقيدته كما تميز بشريعته .. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

* د / على عبد الواحد : المساواة فى الإسلام

من حضارة الإسلام

رحلة جواز السفر في العصر الإسلامى

بقلم الدكتور مجاهد توفيق الجندى *

تمهيد :

لا نستطيع أن نحدد بالدقة الكاملة هوية أو شخصية « أول جواز سفر » ولكننا نستطيع ـ ظنًّا وحَسْب ما تمدنا به المصادر ـ أن نعرف شيئا يسيرا عَمّا يسمى قديما أو فى الجاهلية بـ « الإذن بدخول البلد » ، وهى أنباء تخبرنا بوجود شىء له صلة بجواز السفر يوم ذاك ، كما ذكر ذلك الهمدانى فى كتابه « الإكليل »[1] .

ولما كان تسرب الغرباء ـ من جواسيس ولصوص وقطاع طرق وغيرهم ـ خلسة إلى مملكة أو ولاية أو بلدة ما من البلاد ، وتغلغلهم فى أنحائها ، واستقصاؤهم خباياها ، وكشفهم عن أسرارها ـ مما يهدد أمنها وسلامتها ويعرضها للخطر ـ إن حالا أو مآلا ـ وكم من دولة ابتليت بهذا البلاء ، فذهبت ضحيّة هذا الأمر فى العصور القديمة والحديثة .

* أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية الأم بالقاهرة .

(١) حـ٨ صـ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ طبعة الأب « أنستاس مارى الكرملى » بغداد سنة ١٩٣١ م .

لذلك تنبهت ــ إلى أضرار مثل هذا الدخول غير المشروع ــ كل الحكومات الواعية المتحضرة قديما وحديثا ، فعمدت إلى اتخاذ ما يسمى بـ « الجواز » أو « ورقة الطريق » يحمله من يدخل بلدا أجنبيا ، أو يجتاز حدود دولة إلى حدود دولة أخرى لدخولها ، سواء فى مهمة رسمية من قبل دولة ، أو فى مهمة غير رسمية كالعمل والسياحة وغير ذلك من شئون السفر .

والأمر جار اليوم على ذلك فى جميع بلدان العالم مع الاختلاف فى شدة الحذر واليقظة .

و « الجواز » فى اللغة هو صك المسافر ، جمعه أجوزة ، يقال : خذوا أجوزتكم أى صكوك المسافرين لئلا يتعرض لكم[٢] .

متى اتخذ الجواز فى بلاد المشرق :

من سياق الروايات التاريخية يظهر لنا أن جواز السفر لم يكن متخذًا فى المائة الثانية للهجرة فى ديار المشرق ، ولم يكن موجودا قبل ذلك ــ على مبلغ علمنا المتواضع ــ إلا ما يسمى « الإذن بدخول البلد » كما أشرنا إلى ذلك فى بداية البحث .

وأفصح ما ينبؤنا فى هذا الشأن ما أورده أبو الفرج الأصفهانى فى ترجمة الشاعر الكوفى « المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربى » من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت شهرته فى العباسية أكثر « .. قال : حدثنى المؤمل قال : قدمت على المهدى ــ وهو بالرىّ وهو إذ ذاك ولىّ عهد ــ فامتدحته بأبيات ، فأمر لى بعشرين ألف درهم ، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبى جعفر المنصور ــ وهو بمدينة السلام ــ يخبره أن الأمير المهدى أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب إليه يعزله ويلومه ويقول له : إنما ينبغى أن تعطى بعد أن يقيم ببابك سنة : أربعة آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهدى أن يوجه إليه بالشاعر ، فطلب ولم يقدر عليه ، وكتب إلى أبى جعفر ، أنه قد توجه إلى مدينة السلام ، فأجلس قائدا من قواده على جسر النهران ، وأمره أن يتصفح الناس رجلا رجلا ، فجعل لا يمر به قافلة إلا تصفح من فيها . ومرت به القافلة التى فيها المؤمل ، فتصفحهم ، فلما سأله من أنت ؟ قال : المؤمل بن أميل المحاربى الشاعر ، أحد زوار الأمير المهدى ، فقال : إياك طلبت . قال المؤمل : فكاد قلبى أن يتصدع خوفا من أبى جعفر ، فقبض علىّ وأسلمنى إلى الربيع ، فأدخلنى إلى أبى جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذى أخذ من المهدى عشرين ألفا قد ظفرنا به ، فقال : أدخلوه إلىّ ، فأدخلت إليه ..[١] » ونحن نرى فى هذا الخبر عسر الطريقة وصعوبتها فى الوقوف على الشخص المراد أو المطلوب فلو كان أمر جواز السفر جاريا ومعروفا فى ذلك الوقت لما اضطروا إلى هذا العمل الشاق المضنى .

جواز السفر الداخلى بديار مصر :

فى أول العصر الإسلامى بمصر ، اتخذ المسلمون نظاما دقيقا لجواز السفر المتخذ للانتقال الداخلى من مدينة إلى أخرى ، للحيطة ضد تجسس الرومان .

وقد وقفنا على جوازين داخليين مصريين ، كتبا بالعربية على ورق البردى حملا تاريخا يرتقى إلى أوائل المائة الثانية للهجرة ، كتبهما بعض عمال

(٢) تاج العروس ، وأساس البلاغة فى مادة (ج و ز) .

(١) الأغانى (طبع دى ساسى) حـ١٩ صـ١٤٧ .

الأمير عبيد الله بن الحبحاب حين إمارته على مصر .

والجواز الأول منهما تعرض لعوامل التلف والبلى الكثيرة فأصيب بالخروم التى اعتورته ، غير أن المستشرق « جروهمان » فى كتابه « أوراق البردى العربية »[٢] توصل بالبحث والتحليل والمقارنة والاستنتاج إلى تكميل وملء بعض ما ذهب من ألفاظ النص الأصلى . وهذا هو نصّ الجواز بحسب قراءة « جروهمان »[٣] له وعدد سطوره اثنا عشر سطرا .

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ــ هذا كتب من فلان بن فلان عامل الأمير عبيد الله بن الحبحاب على أعلا
٣ ــ أشمون لشنودة بن
٤ ــ مداهرة القمر ؟ من أهل مدينة أشمون
٥ ــ أنى أذنت لك عطب ماس الصمد
٦ ــ لوفا جزيته ومعيشته وأجلته خمسة أشهر
٧ ــ من مستهل شعبان سنة ثلث ومئة إلى انسلخ
٨ ــ ذى الحجة من سنة ثلث مئة وطع
٩ ــ د فمن لقيه بعد الأجل الذى أجّلته
١٠ ــ فليسده إلى مدينة والسلم على من اتبع الهدى
١١ ــ وكتب سعيد فى شعبان سنة ثلاث ومئة .
الله و .

أما الجواز الثانى فكان تلفه أقل من سالفه ، ولعل ما يميز هذا الجواز عن سالفه العلامات المميزة والفارقة فى جسم حامل هذا الجواز ، وهذا نصه أيضا نقلا عن « جروهمان » :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم .
٢ ــ هذا كتاب من عبد الله بن عبيد الله عامل .
٣ ــ الأمير عبيد الله الحبحاب على أعلا أشمون .
٤ ــ لقسطنطين ببسطلس شاب أبط بخده أثر وبعنقه خالين .
٥ ــ سبط من أهل بسقنون باهة من أعلى أشمون أنى .
٦ ــ أذنت له أن يعمل بأسفَل أشمون لوفا جزيته .
٧ ــ والتماس معيشته وأجلته شهرين من مستهل ذى الحجة .
٨ ــ إلى إنسلخ المحرم سنة ست عشرة ومائة فمن لقيه .
٩ ــ من عمّال الأمير أو غيرهم فلا يتعرض له فى ذلك .
١٠ ــ من الأجل إلّا بخَيْر والسلام على من اتبع الهدى .
١١ ــ وكتب طليق فى مستهل ذى الحجة تمام سنة .
١٢ ــ اثنتى عشرة ومائة .
الله و
عبد الله .

جواز السفر فى عهد أحمد بن طولون :

بلغ آل طولون مبلغا عظيما فى العناية بهذا الأمر ، حيث لا يجوز للرجل أن يخرج من مصر على عهدهم إلا بجواز[٢] .

---

(٢) حـ٣ صـ١٢٣ ط القاهرة سنة ١٩٣٨ م .
(٣) انظر صورته فى الملحق .
(١) نفس المرجع صـ١٢٠ ــ ١٢١ .

(٢) ابن سعيد : المغرب فى حلىّ المغرب (طبعة فولرز ، برلين سنة ١٨٩٤ م صـ٥٢ .

وقد روى لنا « أبو محمد عبد الله بن محمد المدينى البلوى » فى كتابه « سيرة أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور » والمتــوفى سنــة ٢٧٠ هـ(٣) قال البلـــوى : « ..فراسله(٤) فى أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم ذلك أحمد بن طولون منه ، ليريح قلبه منه ومن دالته عليه فكتب له الجواز »(١) .

وقال البلوى فى موطن آخر من كتابه : « وأنفذ (أحمد بن طولون) معه(٢) من يشيعه وكتب له جوازا وكتبا إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها بتلقيه وتشييعه وخدمته .. »(٣) .

وفى نبأ آخر يخبرنا البلوى : « فلما علم عيسى « بن يارجوخ » أنه (أى أحمد بن طولون) قد علم بمقالاته فيه سأله أن يطلقه إلى طرسوس خوفا منه ، وحياء من خطئه عليه ففعل ووصله بمال جزيل ، وكتب له جوازا .. »(٤) .

جواز السفر كان يتضمن صفة الشخص وهيئته لئلا يشتبه به أو يتخذ لغير أهله :

قد يظن بعض الباحثين منا ـ أن جواز السفر الحالى وما يتضمنه من صفة حامله وهيئته بالصورة أحيانا والبصمة معها أحيانا والأوراق الكثيرة التى تستخدم فى عمل الجواز ـ ان هذه الأمور من مبتكرات العصور الحديثة ومستنبطات المدنية الحاضرة ، والحقيقة أن ذلك كان يتم بعناية الأقدمين وهو يدل دلالة قاطعة لامعة على حضارتهم ورقيهم فى هذا المضمار .

فمن أطرف ما ذكره البلوى فى سيرة ابن طولون من أخبار جواز السفر وصفته قوله : « وحدَّث » « العجيفى » وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلا من التجار يعرف بالستر والسلامة ابتاع خادما (أى اشتراه) مما بيع من تركة وكيل أحمد بن طولون ـ الذى قُبض عليه ، والمعروف « بابن مفضل » بمائتى دينار ، وأنه أخذ جوازا وخرج بالغلام إلى الشام ، يؤمل فى بيعه هناك ربحًا ، فلما بلغ « العريش » ، وكان بها والى يعرف « بحبيب المعرفى » قد نصَّبـــه « أحمد بن طولون » ليتأمل مايرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى الفسطاط ، فقرأ الجواز ، وقال : قد كان يجب أن يحكى فى هذا الجواز حلية هذا الخادم . فقال الرجل : أنا اشتريته من الواسطى ، فقال : لست أطلقه إلا بعد الاستئمار فيه (أى بعد المشاورة) وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، فكتب إليه يأمره بإشخاصه إليه ، فأشخص التاجر والغلام . فلما وافى وأدخل مع الغلام إليه ، قال له : من أين لك هذا الخادم ؟ قال : ابتعته من الواسطى . كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل . فقال له : أين كنت عازما به ؟ قال : استقرى به البلدان حتى أجد فيه ما أؤمّله

(٣) ألف البلوى هذا الكتاب فى الثلث الثانى من المائة الرابعة للهجرة ، وقد حققه وعنى بضبطه الاستاذ محمد كرد على (طبع دمشق سنة ١٩٣٩) .

(٤) المقصود بالكلام موسى بن طولون حينما راسل أخاه أحمد ابن طولون .

(١) سيرة ابن طولون صـ٤٢ .

(٢) أى مع « القطان الطالقانى » ، الذى بعث به الموفق العباسى إلى القاهرة ، ليتجسس له أخبار ابن طولون .

(٣) سيرة ابن طولون صـ١٣٨ .

(٤) أى ماقاله عيسى بن يارجوخ فى تقبيح أحمد بن طولون : سيرة ابن طولون صـ١٥٤ .

من الرُّبح . فقال : اكتبوا له جوازا وخلّوا فيه الخادم وأطلقوا سبيله »[٥] .

جواز السفر فى بلاد الشام والأطراف :

جاء فى سيرة الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ) أنه كان عاقلا شهما ظاهر الجبروت ، ولى والدنيا خراب والثغور مهملة ، فقام قياما مرضيا حتى عمرت مملكته وكثرت الأموال ، وضبطت الثغور ، وذلك من خلال اهتمامه بـ (أُجْوِزة السفر) فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

حكى القاضى المحسِّن التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، قال : « حدثنى أبى عن أبى محمد بن حمدون[١] قال : كنت بحضرة المعتضد ليلة .... إذ جاءه كتاب فقرأه .... وتنغص به واستدعى عبيد الله بم سليمان[٢] فأحضر للوقت وقد كاد يتلف ، وظن أنه قد قبض عليه ، فرمى بالكتاب إليه ، فإذا هو كتاب صاحب خبر السِّر « بقزوين » إليه يقول : إن رجلا من الدَّيْلم وجد بقزوين وقد دخلها متنكرا . فقال لعبيد الله ، أكتب الساعة إلى (صاحبى الحرب والخراج) وأقم قيامتهما وتهددهما عنى بالقتل ، لم تمّ هذا ؟ وَتَشَدَّدْ فى الإنكار ، وطالبهما بتحصيل الرّجل وَلَوْمِنْ تخوم (حدود) الديلم ، وأعلمهما أن دمهما مرتهن به حتى يَحْضَرا به ، وارسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفًا أحد ولا يخرج إلّا بجواز ، حتى لا تتم حيلة لأحد من الدّيْلم فى الدخول سرًّا ، وأن يزيدا فى الحرس والتيقظ ، إذا أنفذنا الناس إليهم ، وأفْرِط فى التأكيد . فقال عبيد الله : السمع والطاعة ، أمضى إلى دارى وأكتب . فقال : لا ، إجلِسْ بمكانك وأكتب بخطك وأعْرِضْ علىّ !! قال : فأجلسه وعقله ذاهل ، فكتب ذلك وعرض عليه ، فلما ارتضاه دعا بخريطة[٣] إلى حضرته فجعلت الكتب فيها وأنفذها (أرسلها) ، وقال لعبيد الله : أنفذ معها من يأتيك بخبر وصولها إلى النهروان ، وسيرها عنه ، وانْصَرِفْ . فنهض عبيد الله ، ودعا المعتضد إلى مجلس .... وكأنه قد لحقه تعب عظيم ، فأستلقى ساعة ثم عاد .... فقلت له يا أمير المؤمنين تأذن فى الكلام ؟ فقال : نعم . فقلت : كُنْتَ على سرورٍ طيّب ، فورد خبرٌ قد كان يجوز أن تأمر فيه غداً بما

---

(٥) سيرة ابن طولون صـ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١) كان جليساً للمعتضد بالله وخاصته ، وممن يأنس به فى خلواته ورحلاته .

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، وزير المعتمد والمعتضد ، قال ابن الطقطقى (الفخرى فى الآداب السلطانية صـ٣٠١ ، صـ٣٠٢ طبعة أهلورت) : « كان عبيد الله من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب ، وكان بارعا فى صناعته حاذقا ماهراً لبيبا جليلا مات سنة ٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين » وقال فى مواطن أخرى (الفخرى صـ٢٩٢ ـ ٢٩٦) : « كان بنو وهب من رؤساء الناس وحذاقهم وفضلائهم وكرمائهم . وكانت دولتهم ناضرة وأيامهم مشرقة ، والأدب فى زمانهم قائم المواسم ، والكرم واضح المعالم ، وكانوا نصارى ثم أسلموا وخدموا فى الدواوين حتى آلت بهم الحال إلى ما آلت » .

(٣) خريطة : جمعها خرائط وهى (على مافى معاجم اللغة [مادة خَ رَ طَ]) : «وعاء من أدم وغيْره يشرج على مافيه . وقد أخرط الخريطة إذا أشرجها . وقال الليث فى كتاب العين : الخريطة مثل الكيس مَشْرَجُ ، من أدم (جلد) أوخرق [أوليف هندى أوخيش] ويتخذ ماشبه به لكتب العمال فيبعث بها» . والمكلف أمر الخرائط ، يسمى «صاحب الخريطة» كما كان للخرائط ديوان خاص يسمى «ديوان الخرائط» وكانت الخرائط فى بعض الأحيان تربط بالمناطق وتشد على الأوساط . وكانت تحلق بحلقات وتنفذ إلى أصحابها ، ومن أصناف الخرائط : خرائط السّكر ، وخرائط المال ، وخرائط الموكب وخرائط خرسانية وخرائط بندارية ، وخرائط سود ، وخرائط صفر وغيرها .

أمرت به الساعة ، فضيقت صدرك وقطعت شربك ونغصت على نفسك ، وروّعت وزيرك وأطرت عقول عياله وأصحابه باستدعائه فى هذا الوقت المنكر حتى أمرته بهذا الذى لو أخرته إلى غد لكان جائزا . فقال : يا ابن حمدون ليست من مسائلك ، ولكنا أذنا لك فى الكلام . إن الدَّيْلَم شر أمة فى الدنيا وأتمهم مكرًا وأشدهم بأسا وأقواهم قلوبا ، ووالله لقد طار عقلى فزعا على الدولة من أن يتطرق إليهم دخول « قزوين » سترًا ، فيجتمع فيها منهم عدة يوقعون بمن فيها ويهلكونها ، وهى الثغر بيننا وبينهم ، فيطول ارتجاعها منهم ، ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك أمر عظيم يكون سببا لبطلان الدولة ، وتخيّلت أنى إن أمسك عن التدبير ساعة أن يفوت ، وأنهم يجيئون على قزويـــن . ووالله لو ملكوها لنبغوا على من تحت سريرى هذا ، واحتووا على دار المملكة ، فما هنأنى الشرب ولا طابت نفسى بمضى ساعة من زمانى فارغة من تدبير عليهم فعملتُ ما رأيت »[1] .

ومن أخبار جواز السفر فى تلك الديار أيضا أن السلطان « عضد الدولة البويهى » (المتوفى سنة ٣٧٢ هـ) أحدث واخترع لأول مرة نظام مراقبة الأبواب فى عاصمة بلاده « مدينة شيراز » ، حتى قال المقدسى البشارى فى حقها « ... ومَانِعَ الخارج منـــه إلّا بجواز ، وحـــبس الداخــل والمجتاز .. »[2]

العملة والمتاع التى مع المسافر وتوضع فى جوازه الآن بدعة قديمة :

درج الحال على عسر الطريقة التى يستدلون بها على الشخص المطلوب حتى النصف الأول من المائة الثالثة للهجرة . وذلك أن أحد الرَّحَّالين[3] المسلمين عجب من وجود (أجوزة السفر) فى بلاد الصين ، واعتبره شيئا جديدا غريبا لا عهد له به[4] .

فمما رواه فى هذا الشأن أن « من أراد سفرا من بعضها إلى بعض (أى من مدينة فى الصين إلى مدينة أخرى) ، أخذ كتابين من الملك ومن الخصى ، أما كتاب الملك فللطريق باسم الرجل واسم من معه ، وكم عمره وعمر من معه ، ومن أى قبيلة هو . وجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم ، لابد أن ينتموا إلى شىء يعرفون به .

وأما الكتاب الخصىّ فبالمال وما معه من المتاع ، وذلك لأن فى طريقهم مشايخ ينظـــرون فى الكتابين ، فإذا ورد عليهم الكاتب كتبوا : ورد علينا فلان بن فلان الفلانى فى يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا ومعه كذا ، لئلا يذهب من مال الرجل ولا من متاعه شىء ضياعا . فمتى ما ذهب منه شىء أو مات ، علم كيف ذهب ، ورُد عليه أو على ورثته من بعده[5] .

---

(١) نشوار المحاضرة (حـ١ صـ١٥٤ ـ ١٥٥

(٢) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (طبعة دى خوية فى ليدن) صـ٤٢٩ .

(٣) سليمان التاجر ، وأبى زيد السيرافى : (من أبناء المائة الثالثة للهجرة) سلسلة التواريخ (حـ٢ صـ٤٢ ـ ٤٣ طبعة رينو باريس سنة ١٨١١ م) .

(٤) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى حـ٢ صـ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٥) سلسلة التواريخ تصنيف سليمان التاجر ، وأبى زيد السيرافى (حـ٢ صـ٤٢ ، ٤٣) .

الصيغة التى يكتب بها جواز السفر :

فى معرض حديث القلقشندى[1] عن المكاتبات فى عصره شرح ذلك حيث قال فى أوراق الجواز[2] : « وهى المعبر عنه فى زماننا بـ (أوراق الطريق) قال فى (التثقيف)[3] تكون ورقة الطريق فى ثلاثة أوصال فى قطع العادة[4] يكتب فى أعلاها سطر واحد ، صورته : (ورقة طريق على يد فلان بن فلان الفلانى) لا غير ، ثم يخلى بيت العلامة تقدير شبر ، ويكتب فى بقية ذلك الوصل قبل الوصل الثانى بأربعة أصابع مطبوقة بغير بسملة : « رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى فى الملكى الفلانى ـ أعلاه الله تعالى وشرَّفه ، وأنفذه وصرَّفه ـ أن يمكَّن فلان الفلانى » . وتذكر ألقابه إن كان أميرا أو متعمِّما كبيرًا ، أو ممن له قدر ، أو له ألقاب معهودة أو غير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال « من التوجه إلى جهة قصده والعود ، ويحمل على فرس واحد أو أكثر من خيل البريد المنصور من مركز إلى مركز على العادة متوجها وعائدا » فان كان متميز المقدار كتب : « ويعامل بالاكرام والاحترام والرعاية الوافرة الأقسام ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ، من غير عُدُولٍ عنه بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه » .

قال : وما تقدم من كتابة أنه يمكَّن من التوجه والعود ، هو فيما إذا كان عائدا ، ورسم بتمكينه من العود ، وإلا فيكتب :

« أن يمكَّن من التوجه إلى جهة قصده » فإن كان قد حضر إلى الأبواب وهو عائد ، فالأحسن أن يكتب فيه « أن يمكَّن من العود إلى جهة قصده » .

وكذا « ويعامل بالإكرام والاحترام » لا يكتب إلا لأمير ، أو ذى قدر كبير . فان كان غيره ، كتب بدله « مع الوصية به ورعايته » ونحو ذلك .

وان رسم له بنفقة ، كتب بعد ذكر خيل البريد : « ويصرف له من النفقة فى كل يوم كذا وكذا درهما(*) خلا الأماكن المرسوم بإبطالها . وذلك أن بالطرقات أماكن لا يصرف فيها شىء

---

(١) نسبة إلى قلقشندة إحدى قرى القليوبية (التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان صـ١٢) كان القلقشندى من أعلام العلماء فى العصر المملوكى الجركسى سنة ٨٢١ هـ وكانت له حلقة كبيرة بالجامع الأزهر ، من مؤلفاته : ضوء الصبح المسفر ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ١٤ جزءاً ، وغيره من المؤلفات التى ملأت مكتبات العالم ومازال بعضها مخطوطا إلى الآن بمكتبة الأزهر ودار الكتب المصرية (الباحث) .

(٢) وصفه للجواز يمثل ما كان جاريا فى عصر المماليك بمصر والشام .

(٣) تقى الدين عبد الرحمن بن محمد بن يوسف .. الشافعى المصرى المولد الحلبى الأصل ناظر الجيوش ، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٦ هـ ـ ١٣٢٥م كان والده قاض وجده قاض أيضا ، مات المحبى سنة ٧٨٦ هـ ـ ١٣٨٤ م له مؤلفات كثيرة منها هذا الكتاب : « تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف تحدث فيه عن المصطلحات التى ينبغى أن تكتب فى المراسلات لكل الدول المجاورة لمصر ، والألقاب والرتب المصطلح عليها فى عصره وغير ذلك ، وكان الكتاب مخطوط لم ير النور إلى أن قام زميلنا الدكتور عبد الرحمن أمين صادق أبوراس بتحقيقه للحصول به على رسالة الماجستير من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م والرسالة بمكتبة الكلية فى ٣٥٥ صفحة .

(٤) قطع العادة : وهو القطع الصغير ، وفى هذا القطع تكتب عامة المكاتبات ، مما يكتب به لأرباب السيوف والأقلام على اختلاف مقاماتهم وتباين مراتبهم فى الرفعة والضعة . (القلقشندى : صبح الأعشى حـ٢ صـ٤٧٦ ، حـ٦ صـ١٩١ .

الآن ، فيُحتاجُ إلى أن تستثنى ، وكانت قبل ذلك تعيَّن وهى : بلبيس(٥) وطفيس(٦) وإربد(٧) وغيرها ، ثم كثرت عن التعداد ، فصار يكتب كذلك .

تنوع الأجوزة :

ثم قال : ومما يُنَبَّهُ عليه هو أن صاحب ورقة الطريق إن كان من مماليك النواب أو رسل أحد من أكابر البلاد ، ذَكَرَ فيه بعد ذكر ما يليق به من الألقاب : « فلان مملوك فلان أو رسول فلان » . وتذكر ألقاب مخدومه التى كوتب بها اختصارا . وألّا تذكر نعوته وعلى يد من رسم بنفيه ، كتب : « أن يمكن الأمير فلان الدين من التوجه صحبة فلان البريدى بالأبواب الشريفة أو أحد النقباء بالباب الشريف ليوصله إلى المكان الفلانى ، ويحمل على كذا وكذا فرساً من خيل البريد المنصور » إن كان قد رسم له بشىء من خيل البريد « ويحمل البريدى على كذا من خيل البريد المنصور » أو « ويحمل النقيب على فرس واحد من خيل الكراء (المؤجرة) من ولاية إلى ولاية على العادة فى ذلك ، ويمكَّنُ البريدى إن كان بريديًّا ، أو النقيب إن كان نقيبًا من العودة إلى الباب الشريف » . ثم يكمل بنسبة ما تقدم . وإذا فرغ من صورته كتب بعد ذلك (إن شاء الله تعالى) . ثم التاريخ والمستند على العادة » . ثم يواصل القلقشندى حديثه .

عن اعتماد الجواز أو ختمه أو إمضائه ومن يقوم بذلك ؟ :

فيقول : « قال فى (التثقيف) : والمستند فى أوراق الطريق أحد ثلاث أمور : إمّا خط كاتب السر(١) وهو الغالي ، أو رسالة (الدوادار)(٢) وهو كثير أيضا ، أو إشارة (نائب السلطان)(٣)

(٥) بلبيس : « بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهملة : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان حـ١ صـ٧١٢ طبعة وستنفلد) ، (التحفة السنية صـ١٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٤ م) .

(٦) طفيس : من نواحى الأعمال الشرقية بمصر (التحفة السنية ـ ط بولاق سنة ١٨٩٨ م) .

(٧) أربد : « بفتح ثم سكون والباء الموحدة ، إحدى قرى الأردن قرب طبرية » : (معجم البلدان حـ١ صـ١٨٤) .

* وهو يشبه إلى حد كبير ما يطلق عليه اليوم بدل السفر والمبيت والاعاشة (الباحث) .

(١) كاتب السر : أفاض القلقشندى فى الكلام على هذه الرتبة (صبح الاعشى حـ١ صـ١٠١ ـ ١١٠ ، حـ٥ صـ٤٦٤ ، حـ١١ صـ٢٩٤ ـ ٣١٦ ، حـ١٢ صـ١٨٨ ـ ١٩٠ . فما قاله : « كاتب السر وهو صاحب ديوان الانشاء ، ووظيفته قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتعريف المراسيم ورودا وصدورا (الوارد والصادر) والجلوس لقراءة القصص بدار العدل » (عرض البوستة ومظالم الناس مثلا) ، (وحسن الباشا : الفنون والوظائف حـ٢ صـ٩٢٢ ـ ٩٢٥) « أما رفعة محله وشرف قدره ، فأرفع محل وأشرف قدر ، يكاد ألّا يكون عند الملك أخص منه ، ولا ألزم لمجالسته ، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك فى كل زمن ، مقدما لديهم على كل ماعداه ، يلقون إليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ، ويطلعونه على مالم يطلع عليه أخصّ الأخصاء من الوزراء والأهل والولد وناهيك (كافيك) برتبة هذا محلها » .

(٢) الدوادار : قال القلقشندى بصدد هذه الرتبة (صبح الأعشى حـ٥ صـ٤٦٢ ، أيضا حـ٤ صـ١٩) « هو لقب على الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما ، ويتولى أمرها مع ما ينضم إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال ، وهو مركب من لفظين ، أحدهما عربى وهو الدواة ، والمراد التى يكتب منها ، والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك ويكون المعنى (ممسك الدواة) » راجع أيضا (د. حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية حـ٢ صـ٥١٩ ـ ٥٣٦ ط دار النهضة العربية سنة ١٩٦٦ م .

(٣) نائب السلطان : عرفه القلقشندى بقوله (صبح الأعشى حـ٥ صـ٤٥٣ ، حـ٤ صـ١٦ ـ ١٨) : « هو لقب على القائم مقام السلطان فى عامة أموره أو غالبها ... ويطلق هذا اللقب فى العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها فى قرب أو بعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يوصف فى عرف الكتاب بالكافل ؛ فيقال (النائب الكافل) وفى حالة الاضافة (كافل الممالك الاسلامية ...) . راجع أيضا (د. حسن الباشا : الفنون والوظائف حـ٣ صـ١٢٣٠ ـ ١٢٥٨ .

ان كان ثَمَّ نائب وهو نادر ، فان كان بخط كاتب السِّـر ، كتب على الهامش من الجانب الأيمن سطر واحد يكون آخره يقابل السطر الأول الذى هو رسم بالأمر الشريف . وهو « حسب المرسوم الشريف » وكذا إن كان بإشارة النائب ، كتب سطران على الهامش المذكور ، آخرهما أيضا يقابل أول السطر الأول « بالإشارة العالية » .

قال : وفى هاتين لا يُكتَبُ فى ذيلهما بعد التاريخ سوى الحسبلة لا غير .

وان كان برسالة الدوادار ، كتب على الهامش « حسب المرسوم الشريف » فقط ، وكتب تحت التاريخ سطران هما « رسالةُ المجلس العالى الأميرىّ الفلانىّ فلان الدوادار المنصورى أدام الله تعالى نعمته » .

ثم الحسبلة[1] (أى حسبنا الله ونعم الوكيل

متولى الجواز :[2]

لم نقف إلا على خبر شخص واحد ممن تولى أمر الجواز فى بغداد ، ذكره ابن السَّاعى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى جملة من الأعيان الذين تُوُفُّوا سنة ٦٠٣ للهجرة . قال : « يوسف ابن القايني حاجب السور ، متولى الجواز ، توفى فى عاشر المحرم وكان مشكورا »[3] .

جواز السفر كان سببا فى السكينة والهدوء ورباطة الجأش أمام التتار :

كانت سنة سبعمائة للهجرة مملوءة ومشحونة بالأحداث العظام الجسام ذلك أن التتار اتجهوا إلى الشام ومصر بقصد الاستيلاء على هذه البلاد ، وبهمجيتهم وخشونتهم ووحشيتهم هلكوا الأخضر واليابس ، وقتلوا الآمنين ، وروّعوا الناس حتى قضى عليهم السلطان (قطز) ونائبه (الظاهر بيبرس البندقدارى) فى معركة « عين جالوت » .

« ففى مستهل صفر [من هذه السنة] ، وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك ، وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألبابهم ، وشرع الناس فى الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة فبلغت الحمارة إلى مصر خمسمائة ، وبيع الجمل بألف ، والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والغالات بأرخص الأثمان . وجلس الشيخ « تقى الدين بن تيمية » فى ثانى صفر بمجلسه فى الجامع وحرض الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك ونهى عن الإسراع فى الفرار ، ورغَّب فى إنفاق الأموال فى الذب عن المسلمين وبلادهم

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا حـ٧ صـ٢٣١ ـ ٢٣٣ ، حـ٦ صـ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .
نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية (الطبعة الأميرية) وزارة الثقافة والارشاد القومى : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (د.ت) .

(٢) وهو يشبه الآن مثلا : رئيس وحدة أو قسم الجوازات والجنسية بوزارة الداخلية .

(٣) الجامع المختصر حـ٩ صـ٢٠٧ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، بغداد سنة ١٩٣٤ م .

وأموالهم ، وأنَّ ما ينفق على أجرة الهرب إذا أنفق فى سبيل الله كان خيراً ، وأوجب جهاد التتر حتما فى هذه الكرَّة ، وتابع مجالسه فى ذلك ، ونودى فى البلاد . لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة ، فتوقـف النـاس عن السير وسكـن جأشهم ... »(١) .

وبعـد !!

فهذه صورة جلية تعطينا ـ بأجلى بيان ـ لمحة موجزة عن فرع من فروع الحضارة الإسلامية العريقة والدوحة المباركة الوارفة الظلال ، وهو (نظام جواز المرور) أو (جواز السفر) أو (بطاقة الطريق) ، فى تلك العصور القديمة ، فبعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية ، ودخول الاسلام إلى بلاد الفرس والروم والبربـر والأفارقة وغيرها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وحيث كانت هناك دول أخرى مجاورة لم تدخل الاسلام ، وكانت تكيد للمسلمين للقضاء عليهم ، كالديلم والترك والفرس وغيرهم ، وأرسلوا بالطبع جواسيسهم وعيونهم ليتحسسوا نبض وثغرات الدولة الاسلامية إن قوة أو ضعفا ...

ومن ثم فطن أجدادنا إلى كل ما يحاك من مؤامرات من شأنها زعزعة الاستقرار والأمن فى الدولة الإسلامية ، أو إثارة الفتن والقلاقل والاشاعات الخارجية ، وكذلك ضبط الأشخاص الذين يوسمون بالخطورة كقطاع الطرق واللصوص والمتآمرين على منشآت الدولة ومصالحها العامة من الخطرين والانتهازيين .

فطن أجدادنا إلى عمل جواز السفر يحددون فيه صفة الشخص وما يحمله من نقود وأمتعة ، فى صورة مبسطة سهلة ، تدل على مدى رقيهم وتقدمهم بصورة أذهلت العالم .

هذه صورة مشرقة من حضارة الاسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان ، نسيناها أو تناسيناها ، فأردت فى هذه العجالة أن أذكر بها على صفحات مجلة الأزهر الغراء .

والله ولى التوفيق ،،،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية (جـ ١٤ صـ ١٤) طبع مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ .

صورة جواز سفر من العصر التركى

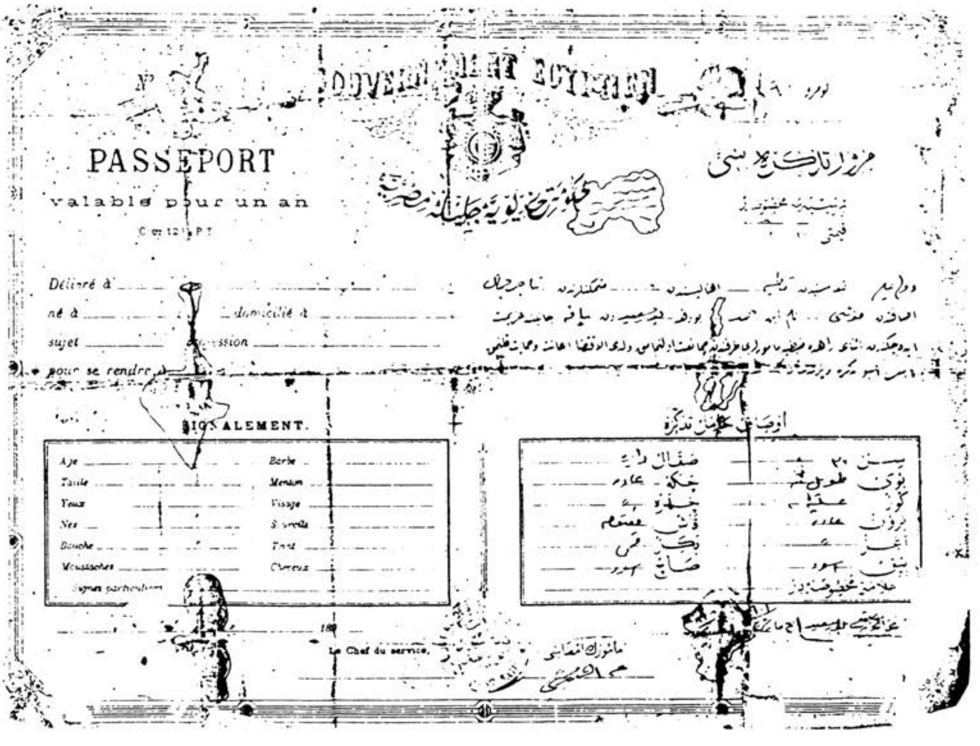
GOUVERNEMENT EGYPTIEN
PASSEPORT
valable pour un an
Délivré à
né à
domicilié à
sujet
pour se rendre
SIGNALEMENT.
Age
Taille
Yeux
Nez
Bouche
Moustaches
Signes particuliers
Barbe
Menton
Visage
Sourcils
Teint
Cheveux
Le Chef du service,

صورة جواز سفر من العصر التركى بمصر باسم / موسى بن أحمد ، وفيه أوصافه صدر برقم ١٩٠ قسم جوازات بورسعيد فى ٢ مارس سنة ١٩٠١ . وكانت مهنة صاحب الجواز (تاجر جمال) ويلاحظ فى هذا الجواز أن به رسم للقارات التى يحق لحامل الجواز السفر إليها وهى قارات : آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، وقد كتب باللغة التركية والعربية والفرنسية صدر من حكومتى خديوية جليلة مصرية ، كما يلاحظ أيضا أن قيمة هذا الجواز هى ١٢ جنيها و ٢٠ مليما (٤ . مجهد) .

الدروس المستفادة من غـــزوة حنين وحصـــار الطائف

٢

للواء ا.ح. محمد جمال الدين محفوظ

الدروس المستفادة :

أولا : العواقب الوخيمة للغرور بالقوة :

● في يوم حنين تلاقى الجمعان : فئة كثيرة تقاتل فى سبيل الله ، وفئة قليلة تقاتل فى سبيل الطاغوت ، ومن عجب أن الفئة الكثيرة المؤمنة يتخلى عنها أول الأمر نصر الله وتأييده ، فتغلبها الفئة القليلة الكافرة ! .. فكيف ينتصر الباطل القليل على الحق الكثير ، وللحق دائما قوته ومضاؤه ؟

● لقد عرف المسلمون فى يوم حنين أن الايمان هو أعظم شىء توزن به الرجال وتدرك على أساسه الآمال ، وأن كثرة العدد فى ميادين الحروب لا تغنى فتيلا إن لم تؤسس على العقيدة والايمان ، وأن الغرور هو الداء الوبيل الذى يورد أصحابه موارد الهلكه ، وينزل بهم الى مهاوى الدمار ، وان الله يؤيد الحق بجنوده فيصدع به الباطل ، ويدمغه فإذا هو زاهق .

● روى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن الربيع بن أنس قال : قال رجل يوم حنين : « لن نُغلب من قِلَّة » ، فشق ذلك على رسول الله — ﷺ — وكانت الهزيمة .. وروى ابن المنذر عن الحسن قال : لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا : « الآن نقاتل حين اجتمعنا » ؛ فكره رسول الله — ﷺ — ما قالوا مما أعجبهم من كثرتهم ، فالتقوا فهزموا حتى ما يقوم أحد على أحد .. وروى أبو الشيخ والحاكم — وصححه — وابن مردويه والبزار عن أنس رضى الله عنه قال : لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم : « اليوم والله نقاتل » ، ولفظُ

البزار : فقال غلام من الأنصار يوم حنين : « لن نغلب اليوم من قلة » ، فما هو إلا أن لقينا عدونا فانهزم القوم وولوا مدبرين .

● فالمسلمون حين اغتروا بكثرتهم يوم حنين حاقت بهم الهزيمة ، فلما نزعوا ثوب الغرور واعتمدوا على الله ولجأوا إلى قوته ، جعل الله لهم مع العسر يسرا ، وبدلَّ هزيمتهم نصرا .

● ولقد أوضح الله عز وجل ذلك فى محكم كتابه فقال : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ (مثل بدر وقريظة) وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (فرجعوا إلى النبى لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا) وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا (ملائكة) وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ (بالقتل والأسر) وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ (منهم بالاسلام) وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ (التوبة ٢٥ — ٢٧) .

ثانيا : ترك الحذر يعرض الجيش لخطر المفاجأة :

● إن وقوع الجيش فى كمين وهو متقدم فى واد دليل على إهمال إجراءات الاستطلاع التكتيكية التى على كل جيش أن يجريها كلما اقترب من مواقع عدوه بمفارز يدفعها للاستطلاع قبل أن تقترب القوة الرئيسية .

● وربما كان ذلك — فى حنين — بسبب الاغترار بالقوة ، الذى يغرى بترك الحذر ، والاستهانة بالعدو ، مما عرض الجيش للمفاجأة وعواقبها فإن معنى المفاجأة هو « أن يواجه الجيش موقفا لا يكون مستعدا له وذلك أمر يوقع الجيش فى الارتباك الشديد والفوضى فى الفكر والسلوك ، ويؤثر تأثيرا ضارا على التوازن النفسى للمقاتلين وقد يؤدى إلى الهزيمة .

● ولقد عنى الاسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر لحرمان العدو من المفاجأة ، ولوقاية المسلمين من آثارها المدمرة ، قال تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ (النساء ٧١) .. ثم هل هناك أدل على ذلك من أنه يأمر المسلمين باتخاذ الحيطة والحذر والاستعداد للقتال حتى فى الصلاة (صلاة الخوف) التى يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه ؟ ، كما أنه يجسد عواقب الغفلة والأضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون من جرائها : وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً (النساء ١٠٢) .

● وقد جرت سنة الرسول — ﷺ — على استطلاع أحوال اعدائه والحصول على كافة المعلومات عن نواياهم وحركاتهم وتدابيرهم بكل الوسائل من عيون وأرصاد ومغارز للاستطلاع ، كما أنه كان يقوم بنفسه بالاستطلاع فى كثير من الأحيان .

● ثم إن الاسلام يربط برباط وثيق بين القوة وبين المرابطة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ليقرر أن المرابطة وما تنطوى عليه من معانى اليقظة والحذر والاستعداد من الضرورات الحيوية لأمن المسلمين وسلامتهم وأنه لا قيمة للقوة مهما بلغت إذا لم تتمكن من منع العدو من مفاجأتها ، وإذا لم تملك القدرة على الحركة السريعة لرد العدوان .

ثالثا : ضعفاء العقيدة خطر كبير على الجيش :

● فى غزوة حنين ضم جيش المسلمين ألفين من أهل مكة ومنهم البعض ممن دخلوا الاسلام ظاهرا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم ، مما كان له عواقبه الوخيمة فقد انكشف أمرهم حينما تفرق الجيش فى بداية المعركة .

● لقد لمس المسلمون كيف كان هؤلاء أضرَّ عليهم من الأعداء ، ومثل هؤلاء الناس من طلاب المنفعة العاجلة يلتمسونها حيثما كانت ونذكر فيما يلى بعض الأمثلة :

(١) قال ابن اسحاق عن الحارث بن مالك : خرجنا مع رسول الله ــ ﷺ ــ إلى حنين ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، وكانت كفار قريش ومَن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقن أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ــ ﷺ ــ سِدْرة خضراء عظيمة (شجرة نبق) ، فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ : الله أكبر ! قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجعل لنا إلَهْا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » إنها السُّنن ، لتركبُن سَنن مَنْ كان قبلكم(١) .

(٢) وذكر كثير من أهل المغازى : أن المسلمين لما نزلوا وادى حنين تقدمهم كثير ممن لا خبرة لهم بالحرب ، وغالبهم من شبان أهل مكة ، فخرجت عليهم الكتائب من كل جهة ، فحملوا حملة رجل واحد والمسلمون غارون ، فرَّ من فر(٢) .

(٣) وأظهر أبو سفيان (وكان قد أسلم يوم الفتح) وغيره شماتته بالمسلمين ، قال ابن اسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله ــ ﷺ ــ من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغن (العداوة) فقال أبو سفيان بن حرب : « لا تنتهى هزيمتهم دون البحر » ، وإن الأزلام لَمَعَهُ فى كنانته (أى أنه كان يحمل الأزلام معه) ، وصرخ جبلة بن الحنبل (قال ابن هشام : كَلْدة بن الحنبل) وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك فى المدة التى جعل له رسول الله ــ ﷺ ــ : « ألا بطل السِّحر اليوم » فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يُربَّنى (أى يكون رباً لى أى مالكا علىّ) رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن ! .

(٤) ثم بلغ ضعف العقيدة حد أن يحاول بعضهم اغتيال رسول الله ــ ﷺ ــ فقد روى ابن اسحاق أن شيبة بن عثمان بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار قال : قلتُ اليومَ أدرك ثأرى (من محمد) وكان أبوه قُتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمدا ، قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى (٣) .

---

(١)ابن هشام : السيرة النبوية . القسم الثانى (ح٣ ، ٤) ص ٤٤٢ .

(٢) الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ح ٥ ص ٤٧١ .

(٣)ابن هشام : المرجع السابق ص ٤٤٤ .

● والاسلام ينبه المسلمين ويحذرهم من دعاة التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم ويوضح لهم أنه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون ، وهذا شأنهم فى كل عصر ، ومن ذلك ما أورده القرآن عن أولئك المنافقين الذين دعوا المسلمين — عندما أمر الرسول القائد — ﷺ — بالاعداد لغزوة تبوك — الى أن يتخلفوا عنه ولا ينفروا فى الحر ، فجاءت الآية الشريفة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول — ﷺ — ألا يستعين بهم فى غزوة أخرى ، قال تعالى :

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ (ســورة التوبة) ٨١ — ٨٣) فالقران هنا لا يكشف محاولات تثبيط العزائم ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة « تطــهير الجيش » من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه وعلى الإرادة القتالية لرجاله .

رابعاً — ثبات القائد فى أحرج مواقف المعركة :

● لقد ضرب الرسول القائد — ﷺ — أعظم المثل فى ثبات القائد وشجاعته وتوازنه النفسى إزاء المواقف الشديدة والحرجة فى المعركة ، فلقد واجه موقفا فى مستهل المعركة يتصدع له قلب أشجع الشجعان لكنه ثبت مع عشرة من أصحابه من جيش قوامه اثنا عشر الفا ، وسيطر على أعصابه واحتفظ بتوازنه النفسى حتى أعاد تنظيم جيشه وقاتل أعداءه قتالا شديدا حتى هزمهم ، وقلب بذلك ميزان المعركة ، فعاد أصحابه الذين تركوه ، ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد .

● ومن المفيد أن نتناول ما فعله الرسول — ﷺ — فى ذلك الموقف المحرج ببعض التأمل والتحليل حيث نجد ما يلى :

(١) روى ابن سعد وابن أبى شيبة والبخارى وابن مردويه والبيهقى من طُرُق عن أبى إسحاق السُّبَيْعى قال : جاء رجل من قيس إلى البراء بن عازب رضى الله عنهما فقال : أكنتم ولَّيتم ؟ وفى رواية : أوليتَ ؟ وفى أخرى : أوليتم مع رسول الله — ﷺ — ؟ وفى اخرى : أفررتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟ فقال : أشهد على رسول الله — ﷺ — أنه ما ولى وفى رواية : لا والله ما ولى رسول الله — ﷺ — يوم حنين دُبُرَه .

(٢) فى قوله — ﷺ — حين رأى الجيش ينفض من حوله : « أنا النبى لا كذب » إشارة الى صفة النبوة يستحيل معها الكَذب ، وهذا قول له مغزاه وأثره فى استعادة معنويات الجيش ، وكأنه — ﷺ — قال : لأنا النبى ، والنبى لا يكذب ، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا مُتَيَقِّن أن الذى وعدنى به الله من النصر حق ، فلا يجوز علىَّ الفرار ، وقيل معنى قوله (لاكذب) أى أنا النبى حقا لا كذب فى ذلك .

(٣) أمر الرسول — ﷺ — العباس أن ينادى : يا أصحاب السمرة ، يا أصحاب سورة البقرة ، وهو نداء ينطوى على مغزى كبير فى

إعادة الثقة واستنهاض الهمم وبعث الإرادة القتالية فى نفوس رجال الجيش :

« يا أصحاب السَّمُرةً : تشير إلى أصحاب بيعة الحديبية عام ست للهجرة لأنهم بايعوا الرسول — ﷺ — تحت الشجرة وكانت سَمُرة (وهى ضرب من شجر الطلح) .

و « يا أصحاب سورة البقرة » : تشير إلى ما فى هذه السورة من آياتٍ تقوى العزم وتثبت الفؤاد وتحصن على الوفاء بالعهد مثل قوله تعالى : « كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ » « وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » .. «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ » (٤) .

(٤) فى إشهاره — ﷺ — نفسه الكريمة فى الحرب غاية الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ، كما أنه — ﷺ — كان يتقدم على بغلته ركضا نحو الأعداء حتى خشى العباس وأخذ بلجام البغلة يكُفُّها ألا تسرع .

● والرسول — ﷺ — يقرر بذلك مبدأ من أهم مبادىء القيادة العسكرية هو أن الكفاءة الحقيقية للقائد تتجلى فى اتخاذ القرارات السليمة والتصرف السريع الحاسم فى الظروف الحرجة أو المواقف الفاصلة . فإن المقدرة على عمل تقدير سريع للموقف والوصول إلى قرار سليم وحاسم من المزايا العسكرية التى يتمناها كل قائد ناجح ، لأن القائد المتردد لا يتوقف ضرره عند حد الفشل فى مواجهة الموقف بإصدار القرار السليم فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان ، بل يمتد إلى مرءوسيه فيشيع فيهم التردد وعدم الحسم وفقد الثقة .

● وقد ربط المُشير مونتجمرى القيادة فى المواقف الفاصلة بالشجاعة والاقدام فقال : « أهم الصفات التى تجعل من الشخص قائدا — وأكثرها حيوية — القدرة على اتخاذ قرارات صحيحة مع الشجاعة فى تنفيذ القرارات ، ولابد أن يتحلى القائد بصفة الاقدام فى إنجاز الأمور مع الحزم والتصميم وهى الصفات التى تمكنه من الصمود عندما تتأرجح الأمور أو الأحداث بين كفتى ميزان ، أى فى اللحظات الحرجة والمواقف الفاصلة التى تصبح فيها نتيجة الحرب فى الميزان .(٥)

خامسا : الانضباط وإرادة القتال :

● وقد كان لثبات القائد وتوازنه النفسى انعكاسه على المقاتلين بحيث نجحت عملية اعادة التنظيم والسيطرة على الموقف والقيام بالهجوم المقابل ، فقد اتسم سلوك المقاتلين بسرعة الاستجابة لنداء الرسول — ﷺ — مع الانضباط الشديد والروح المعنوية العالية حتى لقد كان الواحد منهم — بسبب الزحام واختلاط الحابل بالنابل — يرمى درعه ويترك بعيره لكى يصل إلى مصدر الصوت بسرعة .

● وترصَّد على بن أبى طالب ورجل من الأنصار لصاحب راية هوازن الذى كان يتقدمهم على جمل أحمر ويطعن المسلمين برمحه فقتلاه .

● وأخرج مسلم من حديث أنس أن أم سُلَيم زوج أبى طلحه ، اتخذت خنجرا يوم حنين وقالت

(٤)سبل الهدى والرشاد : ح ٥ ص ٥٢٨ .

(٥)فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ح ١ ص٢٦ تعريب فتحى عبد الله النمر .

للنبى ـــ ﷺ ـــ : « اتخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه » .

● ومن مظاهر الانضباط أن عقيل بن أبى طالب دخل على زوجته بعد المعركة وقبل توزيع الغنائم فسألته : ماذا أصبت من غنائمهم ؟ فقال : هذه الإبرة ، تخيطين بها ثيابك ، فدفعها اليها ، ثم خرج فسمع منادى الرسول ـــ ﷺ ـــ يقول : من أصاب شيئا من المغنم فليرده ، فرجع عقيل إلى امرأته وقال : والله ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت منك ، فأخذها فألقاها فى المغانم .

سادسا : مثل رفيع للقيادة الرشيدة :

● إن الأسلوب الذى اتبعه الرسول ـــ ﷺ ـــ فى رد سبايا هوازن إليهم يستحق التأمل ، لأنه رفيع للقيادة الرشيدة ، فلقد رأى عليه الصلاة والسلام أن يرد إلى هوازن سباياها استجابة لرجائهم وتأليفا لقلوبهم ، لكنه لم يستأثر بالقرار الذى « يتعين » على المسلمين أن ينفذوه ، لأن الأمر يتعلق بحق من حقوقهم ينبغى مشاوراتهم فيه بأسلوب الإقناع لا الإرغام ، من أجل ذلك فقد طلب من وفد هوازن أن يعرضوا الأمر على المسلمين بعد صلاة الظهر حيث أعلن موافقته فيما يخصه إذ قال : « أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم » ، وترك الأمر بعد ذلك للمسلمين ، فوافق المهاجرون والأنصار ، وأعلنت بعض القبائل تمسكها بحقها ، وهنا نجد الرسول ـــ ﷺ ـــ يعلن لهم أن من تمسك بحقه من السبى فله بكل إنسان ستُّ فرائض من أول سبى يصيبه ، أى أنه يعطى بكل إنسان ستة أسهم من أول غنيمة يصيبها ، وهو تعويض مُجز دون شك ، وهكذا رد المسلمون كافة السبايا إلى هوازن .

سابعا : سياسة الرسول فى تأليف القلوب :

● طلب رسول الله ـــ ﷺ ـــ من وفد هوازن أن يخبروا مالك بن عوف وهو بالطائف مع ثقيف أنه إن أتى الرسول ـــ ﷺ ـــ مسلما رد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل ، فلم يتردد مالك أن أسرج فرسه فى سرٍّ من ثقيف حتى لا يحبسوه ، وفرَّ به إلى الرسول ـــ ﷺ ـــ فأعلن إسلامه وأخذ ماله وأهله ومائة من الإبل ، وقد استعمله ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ويغير على سرحهم حتى ضيَّق عليهم حتى اضطروا الى اللجوء إلى الرسول ـــ ﷺ ـــ وإعلان إسلامهم .

● وعند توزيع الغنائم خص عليه الصلاة والسلام المؤلفة قلوبهم بالنصيب الأوفى ، فكان نصيب أبى سفيان بن حرب مائة بعير وأربعين أوقية من الفضة ، وكان نصيب كل من ولديه معاوية ويزيد مثل ذلك ، وهكذا بالنسبة لزعماء القبائل الأخرى فمنهم من أعطاه مائة بعير ومنهم من أعطاه خمسين . وقد اقتضت حكمة الله أن تقسم الغنائم على من لم يتمكن الإيمان من قلبه من الطبع البشرى من محبة المال ، لكى تطمئن قلوبهم وتتحول اتجاهاتهم ، حتى أصبح محمد ـــ ﷺ ـــ أحب الناس إليهم ، وأصبح الإسلام دينهم الوحيد .. أما المسلمون الأوائل ، فقد رأى عليه الصلاة والسلام ألا يعطيهم من الغنائم لأن إيمانهم أقوى من أن تؤثر عليه الماديات ، روى البخارى عن عمرو بن تَغْلِب قال : أعطى رسول الله ـــ ﷺ ـــ قوما

ومنع آخرين ، فكأنهم عتبوا عليه فقال : « إنى أعطى أقواما أخاف هلعهم وجزعهم ، وأكِل أقواما إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » ، قال عمرو : فما أحببت أن لى بكلمة رسول الله ـــ ﷺ ـــ حُمْرُ النَّعَمَ .

● وعلى أثر تقسيم الغنائم ساد بين الأنصار لغط شديد ، فجمعهم الرسول ـــ ﷺ ـــ فقال : « يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتنى عنكم ؟ ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم ، وأعداء فألف بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، الله ورسوله أمَنُّ وأفضل .

قال الرسول ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : وما نقول يا رسول الله وماذا نجيبك ؟ للمَنُّ لله ورسوله ، قال : والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصُدِّقْتُم : جئتنا طريدا فآويناك وعائلا فاسيناك ، وخائفا فآمناك ، ومخذولا فنصرناك ، ومُكَذَّبا فصدَّقناك .. أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لَعَاعة(٦) من الدنيا تألفتُ بها قوما أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الاسلام ، أفلا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله الى رحالكم ؟ فو الذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكتُ شعب الأنصار ، ولولا أنها الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار .. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله ورسوله حظا وقسما .

ثامنا : بعث بعض المسلمين لتعلم صنعة المنجنيق :

● قال بن اسحاق : « ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمة ، كانا بُجرَش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبُور .. (٧) .. وهذا دليل على عناية الرسول ـــ ﷺ ـــ بدعم قوة الجيش وملاحقة عصره ، فلم يكن جيش الاسلام يملك شيئا من أسلحة الحصار ودك الحصون والأسوار .

● ولا تعارض بين ذلك وبين استخدامه ـــ ﷺ ـــ المنجنيق والدبابة فى حصار الطائف ، لأنه قد سبق أن حصل المسلمون عليها من أحد حصون خيبر خلال غزوة خيبر فى المحرم سنة سبع للهجرة وهموا باستخدامه عند محاصرة حصن آخر مما أدى إلى تسليم أهله ، وقد ذكر ذلك ابن خلدون فقال : « روى أن الرسول ـــ ﷺ ـــ همَّ بنصب المنجنيق على خيبر فلما أيقنوا الهلكة سألوه الصلح »(٨) .

● كذلك كان لبنى دَوْس (إحدى القبائل المقيمة بأسفل مكة) علم بالرماية بالمنجنيق وبمهاجمة الحصون فى حماية الدبابات وكان أحد رؤسائها الطُّفَيْل بن عمرو قد صحب الرسول ـــ ﷺ ـــ منذ غزا خيبر ، وكان معه عند حصار الطائف فأوفده النبى ـــ ﷺ ـــ إلى قومه يستنصرهم ، فجاء بطائفة منهم ومعهم أدواتهم ، فبلغوا الطائف بعد أربعة أيام من حصار المسلمين إياها(٩) .

---

(٦) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .
(٧) ابن هشام : المرجع السابق ص ٤٧٨ .
(٨) تاريخ ابن خلدون : ج ٢ ص ٢٤١ .
(٩) محمد حسين هيكل : حياة محمد ص ٥٢٠ ـــ ٥٢١ .

أثر تغير قيمة النقود في الحقوق والالتزامات

– ٢ –

للأستاذ الدكتور علي السالوس

المبحث الثالث
أثر تغير القيمة عند الفقهاء

بعد الحديث عن بيان السنة المطهرة نأتي إلى الفقه الإسلامي لنرى ماذا قال السادة الفقهاء . والقول عند الحنفية يطول ذكره ، وعلى الأخص بعد رسالة ابن عابدين في النقود ، ولهذا أبدأ بغيرهم ثم أنتهي إليهم .

المطلب الأول
أقوال المالكية

في المدونة الكبرى (٢٥/٤) يذكر ابن وهب قول الإمام مالك : « كل شيء أعطيته إلى أجل فرد إليك مثله وزيادة فهو ربا » . ويقول بعد هذا : وأخبرني حنظلة بن أبي سفيان ، عن طاوس بنحو ذلك . وأخبرني عقبة بن نافع ، عن خالد بن يزيد ، أن عطاء بين أبي رباح كان يقول بنحو ذلك أيضا .

وفي البيان والتحصيل (٦٢٩/٦) لابن رشد (الجد) نجد ما يأتي :

عن مالك في رجل قال لرجل : ادفع إلى هذا نصف دينار فلندفع إليه به دراهم ، قال ابن القاسم : ليس عليه إلا عدة الدراهم التي دفع يومئذ لأنه نصف دينار ، وليس عليه أن يخرج دينارا فيصرفه وإنما الاختلاف إذا أمره بقضاء دينار تام ، قال سحنون : قال ابن القاسم يزيد إذا كان المأمور إنما يدفع إليه الدراهم ، وأما إذا كان إنما دفع إليه دينارا فصرفه فله نصف دينار بالغا ما بلغ .

قال محمد بن رشد : كذا وقع في هذه المسألة ، قال ابن القاسم : وليس له ألا عدة دراهم التي دفع وصوابه : قال مالك ، فإن المسألة في قوله بدليل تفسير ابن القاسم بقوله : ويريد إذا كان المأمور إنما دفع إليه الدراهم . (٤٢٩/٦) .

وفي البيان والتحصيل أيضا (٤٨٧/٦ – ٤٨٨) :

وسألته (أي مالك) عمن له على رجل عشرة دراهم مكتوب عليه من صرف عشرين بدينار أو خمسة دراهم من صرف عشرة دراهم بدينار ، فقال : أرئ أن يعطيه نصف دينار ما بلغ كان أقل من ذلك أو أكثر إذا كانت تلك العشرة دراهم أو الخمسة المكتوبة عليه من بيع باعه إياه ، فأما إن كانت من سلف أسلفه فلا يأخذ منه إلا مثل ما أعطاه .

فقيل له : أرأيت إن باعه ثوبا بثلاثة دراهم ولا يسمى له – صرف كذا وكذا – والصرف يومئذ تسعة دراهم بدينار .

قال : إذا لم يقل من صرف كذا وكذا أخذ بالدراهم الكبار ثلاثة دراهم ، وإنما قال بثلاثة دراهم من صرف كذا وكذا بدينار فذلك جزء من الدينار ارتفع الصرف أو خفض ، وقد كان بيع من بيوع أهل مصر يبيعون الثياب بكذا وكذا درهما من صرف كذا وكذا دينار ، فيسألون عن ذلك كثيرا فهو كذا .

قال محمد بن رشد : هذا كما ذكر ، وهو مما لا اختلاف فيه أنه إذا باع كذا وكذا درهما ولم يقل من صرف كذا كلفه عدد الدراهم التى سمى ارتفع الصرف أو اتضع ، وإذا لم يسمها إلا ليبين بها الجزء الذى أراد البيع به من الدينار ، فله ذلك الجزء ، وكذلك لو إذا قال : أبيعك بنصف دينار من ضرب وعشرين درهما بدينار ، فإنما له عشرة دراهم إذا لم يسم نصف الدينار إلا ليتبين به دراهم التى أراد البيع بها عن الدينار (٤٨٧/٦ ـ ٤٨٨) .

وقال الدردير :

وإن بطلت معاملة من دنانير أو دراهم أو فلوس ترتبت لشخص على غيره من قرض أو بيع وتغير التعامل بها بزيادة أو نقص (فالمثل) أى فالواجب قضاء المثل على من ترتبت فى ذمته إن كانت موجودة فى بلد المعاملة (وإن عدمت) فى بلد المعاملة وان وجدت فى غيرها (فالقيمة يوم الحكم) أى تعتبر يوم الحكم بأن يدفع له قيمتها عرضا أو يقوم العرض بعين من المتجددة ، ويتصدق بما يغش به الناس ، أدبا للغاش فجاز للحاكم كالمكتسب أن يتصدق به على الفقراء[1] .

وقال أيضا :

(ورد) المقترض على المقرض (مثله) قدرا وصفة (أو) رد (عينه إن لم يتغير) فى ذاته عنده ولا يضر بغير تغير السوق فإن تغير تعين رد مثله (وجاز أفضل) أى رد أفضل مما اقترضه صفة لأنه من قضاء إذا كان بلا شرط ، وإلا منع الأفضل ، والعادة كالشرط ، ويتعين رد مثله[2] .

وقال الصاوى فى شرحه لقول الدردير :

(قوله : أى فالواجب قضاء المثل) أى ولو كان مائة بدرهم ثم صارت ألف بدرهم أو بالعكس ، وكذا لو كان الريال حين العقد بتسعين ثم صار بمائة وسبعين وبالعكس ، وكذا إذا كان المحبوب بمائة وعشرين ثم صار بمائتين أو بالعكس ، وهكذا . قوله : (فالقيمة يوم الحكم) وهو متأخر عن يوم انعدامها وعن يوم الاستحقاق ، والظاهر أن طلبها بمنزلة التحاكم ، وحينئذ فتعتبر القيمة يوم طلبها . وظاهره ولو حصلت مماطلة من المدين حتى عدمت تلك الفلوس ، وبه قال بعضهم . وقال بعضهم : هذا مقيد بما إذا لم يكن من المدين مطل ، وإلا كان لربها الأحظ من أخذ القيمة أو مما آل إليه الأمر من السكة الجديدة الزائدة عن القديمة ، وهذا هو الأظهر لظلم المدين بمطلة ، قال الأجهورى : كمن عليه طعام امتنع ربه من أخذه حتى غلا فليس لربه إلا قيمة يوم امتناعه وتبين ظلمه[3] .

وفى المعيار المعرب تحت عنوان : « الحكم إذا بدلت سكة التعامل بأخرى » يقول المؤلف :

---

(١) الشرح الصغير مع بلغة السالك ٢٣/٢ .

(٢) المرجع السابق ١٠٦/٢ .

(٣) بلغة السالك ٢٣/٢ .

وسئل عن رجل باع سلعة بالناقص المتقدم بالحلول فتأخر الثمن إلى أن تحول الصرف وكان ذلك على جهة ، فأيهما يقضى له ؟ وعن رجل آخر باع بالدراهم المفلسة فتأخر الثمن إلى أن تبدل ، فأيهما يقضى له ؟

فأجاب : لا يجب للبائع قبل المشترى إلا ما انعقد البيع فى وقته لئلا يظلم المشترى بإلزامه ما لم يدخل عليه فى عقده ، فإن وجد المشترى ذلك قضاه إياه . وإن لم يوجد رجع إلى القيمة ذهبا لتعذره .

ومن باع بالدراهم المفلسة الوازنة فليس له غيرها ، إلا أن يتطوع المشترى ، بدفع وازنة غير مفلسة بعد المفلسة فضلا منه(٤) .

وتحت عنوان : « ما الحكم فيمن أقرض غيره مالا من سكة ألغى التعامل بها » ؟ قال صاحب المعيار :

سئل ابن الحاج عمن عليه دراهم فقطعت تلك السكة ؟

فأجاب : أخبرنى بعض أصحابنا أن أبا جابر فقيه أشبيلية قال : نزلت هذه المسألة بقرطبة أيام نظرى فيها فى الأحكام ، ومحمد بن عتاب حى ومن معه من الفقهاء فانقطعت سكة ابن مهور بدخول ابن عباد سكة أخرى .

أفتى الفقهاء أنه ليس لصاحب الدين إلا السكة القديمة . وأفتى ابن عتاب بأن يرجع فى ذلك من قيمة السكة المقطوعة من الذهب ، ويأخذ صاحب الدين القيمة من الذهب .

قال : وأرسل إلىّ ابن عتاب فنهضت إليه فذكر المسألة ، وقال لى : الصواب فيها فتواى ، فاحكم بها ولا تخالفها ، أو نحو هذا من الكلام .

وكان أبومحمد بن دحون ـ رحمه الله ـ يفتى بالقيمة يوم القرض ويقول : إنما أعطاها على العوض ، فله العوض ، أخبرنى به الشيخ أبوعبدالله بن فرج عنه . وكان الفقيه أبوعمر بن عبدالبر يفتى فيمن أكترى دارا أو حمامًا بدراهم ، موصوفة جارية بين الناس حين العقد ، ثم غيرت دراهم تلك البلد إلى أفضل منها ، أنه يلزم المكترى النقد الثانى الجارى حين القضاء ، دون النقد الجارى حين العقد .

وقد نزل هذا ببلنسية حين غيرت دراهم السكة التى كان ضربها القيسى وبلغت ستة دنانير بمثقال ، ونقلت إلى سكة أخرى كان صرفها ثلاثة دفاتر للمثقال ، فالتزم ابن عبدالبر السكة الأخيرة . وكانت حجته فى ذلك ، أن السلطان منع من إجرائها وحرم التعامل بها ، وهو خطأ من الفتوى .

وأفتى أبو الوليد الباجى أنه لا يلزمه إلا السكة الجارية حين العقد(٥) .

ومن أقوال المالكية السابقة نرى ما يأتى :

١ ـ القرض يرد بمثله فى كل شىء ، والزيادة على المثل من الربا .

٢ ـ تغير السعر لا يؤثر فى وجوب رد القرض بمثله قدرا وصفة ، وكذلك الدين الناشىء عن البيع ، وإن كان التغير فاحشا ، كعشرة أضعاف مثلا .

٣ ـ يجوز الانفاق وقت عقد البيع على عملة

---

(٤) الكتاب المذكور ٤٦١/٦ ـ ٤٦٢ ، والمسئول هو أبو سعيد ابن لب .

(٥) المرجع السابق ١٦٣/٦ ـ ١٦٤ .

بسعر الصرف حينئذ ، ولكن لا يجوز هذا فى القرض .

٤ ـ إبطال التعامل بالدنانير أو الدراهم أو الفلوس لا يمنع وجوب رد المثل مادامت موجودة فى بلد المعاملة . فإن عدمت يلجأ إلى القيمة يوم المطالبة عند التحاكم ، وذلك لتعذر المثل .

وفسر الصاوى هذا بقولـــه : « وظاهره : ولو حصلت مماطلة من المدين حتى عدمت تلك الفلوس ، وبه قال بعضهم ، وقال بعضهم : هذا مقيد بما إذا لم يكن من المدين مطل ، وإلا كان لربها الأحظ من أخذ القيمة أو مما آل إليه الأمر من السكة الجديدة الزائدة عن القديمة ، وهذا هو الأظهر لظلم المدين بمطله » .

وأفتى ابن عتاب بأن صاحب الدين يأخذ قيمة السكة المقطوعة من الذهب ، وأفتى ابن عبد البر بأخذ السكة الأخيرة .

٥ ـ يمكن أن تكون القيمة مقدرة بغير الذهب والفضة . وقال سحنون : « القيمة لا تكون إلا بالذهب والورق » . (راجع البيان والتحصيل ٢١٤/٧) .

المطلب الثانى
أقــوال الشــافعية

قال الإمام الشافعى فى كتاب الأم (٢٨/٣) .

« ومن سلف فلوسا أو دراهم أو باع بها ، ثم أبطلها السلطان فليس له إلا مثل فلوسه أو دراهمه التى أسلف أو باع بها . ومن أسلف رجلا دراهم على أنها بدينار أو بنصف دينار فليس عليه إلا مثل دراهمه وليس له عليه دينار ولا نصف دينار ، وإن استسلفه نصف دينار فأعطاه دينارا فقال : خذ لنفسك نصفه وبع لى نصفه بدراهم ففعل ذلك كان له عليه نصف دينار ذهب ، ولو كان قال له بعه بدراهم ثم خذ لنفسك نصفه وردّ علىّ نصفه كانت له عليه دراهم لأنه حينئذ إنما أسلفه دراهم لا نصف دينار » .

وقال الشيرازى فى المهذب :

ويجب على المستقرض رد المثل فيما له مثل ، لأن مقتضى القرض رد المثل ، ولهذا يقال : الدنيا قروض ومكافأة فوجب أن يرد المثل ، وفيما لا مثل له وجهان (أحدهما) يجب عليه القيمة لأن ما ضمن بالمثل إذا كان له مثل ضمن بالقيمة إذا لم يكن له رد مثل : كالمتلفات . (والثانى) يجب عليه مثله فى الخلقة والصورة(٦) .

وقال أيضا : ماله مثل إذا عدم وجبت قيمته .

قال الشيخ أبوحامد : إنما وجب عليه دفع القيمة يوم المطالبة(٧) .

وقال الصيمرى : ولا يجوز قرض الدراهم المزيفة ، ولا الزرنيخية ، ولا المحمول عليها ، ولو

(٦) المجموع شرح المهذب ١٨٥/١٢ .

(٧) المرجع السابق ١٨٧/١٢ .

تعامل بها الناس ، فلو أقرضه دراهم أو دنانير ثم حرمت لم يكن له إلا ما أقرض ، وقيل : قيمتها يوم حرمت ، ولا يصح القرض إلا فى مال معلوم ، فإن أقرضه دراهم غير معلومة الوزن أو طعاما ، غير معلوم الكيل لم يصح لأنه إذا لم يعلم قدر ذلك لم يمكنه القضاء(٨) .

وقال النووى :

ولو أقرضه نقدا ، فأبطل السلطان المعاملة به ، فليس له إلا النقد الذى أقرضه(٩) .

وقال ابن حجر الهيثمى :

ويرد وجوبا حيث لا استبدال المثل فى المثل ، ولو نقدا أبطله السلطان ، لأنه أقرب إلى حقه ، وفى المتقوم ، ويأتى ضابطهما فى الغصب برد المثل صورة(١٠) .

وفى شرح إلشزوانى لما سبق قال :

(قوله : ولو نقدا أبطله السلطان) فشمل ذلك ما عمت به البلوى فى زمننا فى الديار المصرية من إقراض الفلوس الجدد ثم إبطالها . وإخراج غيرها وإن لم تكن نقدا(١١) .

وأقوال الشافعية والإمام واضحة لا تحتاج إلى مزيد بيان .

المطلب الثالث
أقوال الحنابلة

قال ابن قدامة فى المغنى ـ(٣٥٦/٤ : ٣٥٨) :

وإن كانت الدراهم يتعامل بها عددا فاستقرض عددا رد عددا ، وإن استقرض وزنا رد وزنا ، وهذا قول الحسن وابن سيرين والأوزاعى ، واستقرض أيوب من حماد بن زيد دراهم بمكة عددا وأعطاه بالبصرة عددا ، لأنه وفاه مثل ما اقترض فيما يتعامل به الناس . فأشبه مالو كانوا يتعاملون بها وزنا فرد وزنا .

ويجب رد المثل فى المكيل والموزون ، لا نعلم فيه خلافا ، قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم عن أن من أسلف سلفا مما يجوز أن يسلف فرد عليه مثله ان ذلك جائز ، وأن للمسلف أخذ ذلك ، ولأن المكيل والموزون يضمن فى الغصب والإتلاف بمثله فكذا ههنا ، فأما غير المكيل والموزون ففيه وجهان (احدهما) يجب رد قيمته يوم القرض لأنه لا مثل له فيضمنه بقيمته كحال الإتلاف والغصب (الثانى) يجب رد مثله لأن النبى ﷺ استسلف من رجل بكرا فرد مثله . ويخالف الإتلاف ، فإنه لا مسامحة فيه ، فوجبت القيمة لأنها أحصر ، والقرض أسهل . ولهذا جازت النسيئة فيه فيما فيه الربا . ويعتبر مثل صفاته تقريبا ، فإن حقيقة المثل إنما توجد فى المكيل والموزون ، فإن تعذر المثل فعليه قيمته يوم تعذر المثل ، لأن القيمة ثبتت فى ذمته حينئذ ، وإذا قلنا تجب القيمة وجبت حين القرض لأنها حينئذ ثبتت فى ذمته .

وقال فى موضع آخر (٣٦٤/٤ : ٣٦٥) :

ولو أقرضه تسعين دينارا بمائة عددا والوزن واحد وكانت لا تنفق فى مكان إلا بالوزن جاز ،

---

(٨) المرجع نفسه ١٨١/١٢ .

(٩) روضة الطالبين ٣٧/٤ .

(١٠) تحفة المحتاج مع حاشية الشروانى ٤٤/٥ .

(١١) حاشية الشروانى ٤٤/٥ .

وإن كانت تنفق برءوسها فلا ، وذلك لأنها إذا كانت تنفق فى مكان برءوسها كان ذلك زيادة ، لأن التسعين فى المائة تقوم مقام التسعين التى أقرضه إياها ويستفضل عشرة ، ولا يجوز اشتراط الزيادة ، وإذا كانت لا تنفق إلا بالوزن فلا زيادة فيها وإن كثر عددها .

ثم قال : المستقرض برد المثل فى المثليات سواء رخص سعره أو غلا ، أو كان بحاله ، ولو كان ما أقرضه موجودا بعينه فرده من غير غيب يحدث فيه لزم قبوله سواء تغير سعره أو لم يتغير ، وإن حدث به عيب لم يلزمه قبوله ، وإن كان القرض فلوسا أو مكسرة فحرمها السلطان وتركت المعاملة بها كان للمقرض قيمتها ولم يلزمه قبولها سواء كانت قائمة فى يده أو استهلكها ، لأنها تعيبت فى ملكه ، نص عليه أحمد فى الدراهم المكسرة ، وقال : يقومها كم تساوى يوم أخذها ثم يعطيه ، وسواء نقصت قيمتها قليلا أو كثيرا . قال القاضى : هذا إذا اتفق الناس على تركها ، فأما إن تعاملوا بها مع تحريم السلطان لها لزمه أخذها ، وقال مالك والليث ابن سعد ، والشافعى : ليس له إلا مثل ما أقرضه ، لأن ذلك ليس بعيب حدث فجرى مجرى نقص سعرها ، ولنا أن تحريم السلطان لها منع إنفاقها وأبطل ماليتها فأشبه كسرها أوتلف أجزائها ، وأما رخص السعر فلا يمنع ردها سواء كان كثيرا مثل إن كانت عشرة بدانق فصارت عشرين بدانق ، أو قليلا ، لأنه لم يحدث فيها شىء إنما تغير السعر ، فأشبه الحنطة إذا رخصت أو غلت[١٢] .

وما ذكره ابن قدامة يوضح المذهب ، ويغنى عما جاء فى كثير من كتب الحنابلة ، وأضيف هنا ثلاث مواد جاءت فى مجلة الأحكام الشرعية ، وهى فى الفقه الحنبلى :

مادة (٧٤٨)

لا يلزم المقترض رد عين مال المقرض ولو كان باقيا ، لكن لو رد المثلى بعينه من غير أن يتعيب لزم المقرض قبوله ولو تغير السعر ، أما المتقوم إذا رده بعينه لا يلزمه قبوله وإن لم يتغير سعره .

مادة (٧٤٩)

المكيلات والموزونات يجب رد مثلها ، فإن أعوز لزم رد قيمته يوم الإعواز ، وكذلك الفلوس والأوراق النقدية . أما غير ذلك فيجب رد القيمة ، فالجوهر ونحوه مما تختلف قيمته كثيرا تلزم قيمته يوم القبض .

مادة (٧٥٠)

إذا كان القرض فلوسا أو دراهم مكسرة أو أوراقا نقدية فغلت أو رخصت أو كسدت ولم تحرم المعاملة بها وجب رد مثلها ، أما إذا حرم السلطان التعامل بها فتجب قيمتها يوم القرض ويلزمه الدفع من غير جنسها إن جرى فيها ربا الفضل ، وكذا الحكم فى سائر الديون وفى ثمن لم يقبض وفى أجرة وعوض خلع وعتق ومتلف وثمن مقبوض لزم البائع رده .

(١٢) المغنى ٣٦٥/٤ ، وانظر الشرح الكبير ٣٥٨/٤ ، ومطالب أولى النهى ٢٤١/٣ : ٢٤٣ ، المبدع ٢٠٧/٤ .

لامو

مركز الدراسات الإسلامية فى كينيا

د. عبدالله نجيب محمد

السواحل : أقاليم شرق افريقية تسمى السواحل ، أما الظهير من الأقاليم الداخلية فيسميه السكان « برانيه » والمنطقة من « براوة » و « مرق » إلى « مقديشيو » عاصمة الصومال فتسمى « بنادر » ومنطقة « كلوة » وما تحتها إلى « سفالة » فى موزمبيق ، وما بعد جزر القمر فيسمونها « بوكين »[١] .

ويمتد الساحل على المحيط الهندى فى الشرق الافريقى من أرض « ويبى » إلى « أنجيزيجة » (جزر القمر) وما جاورها جنوبا ، وهذه المنطقة مشهورة بغناها ، واتصالها بما جاورها من البلدان والاقاليم من أقدم الأزمنة قبل الإسلام ، ويقال : إن بعض السفن الأشورية ، وكذلك الفراعنة والرومان قد وصلوا إليها وتعاملوا مع أهلها[٢]

ووصل إلى الساحل أيضا طوائف من العرب قبل الإسلام وبعده ، ومن العائلات المشهورة التى هاجرت إلى الساحل أوائل القرن العاشر الهجرى ، واستوطنوا مدينة لامو : آل الأهدِل ، الذين يرجع إليهم الفضل فى نشر الإسلام فى المنطقة ، ووصل بعضهم إلى « أوغندة » وكذلك لجأ إلى الساحل آل « جمل الليل باهرون ، وباحسن » ، الذين استوطنوا مدينة « باتى » ثم انتقلوا إلى « انجيزيجة » (جزر القمر) ونزلوا فى « أكونى » ثم عادوا إلى « لامو » و « زنجبار » وآل العمودى[٣] الذين استوطنوا « طاقة » (Takwa)

---

(١) طى المراحل فى تاريخ الساحل : محمد بن الشريف سعيد ص ٤ مخطوط بلامو .

(٢) طى المراحل فى تاريخ الساحل : محمد بن الشريف سعيد ص ٥

(٣) يوجد فى « طاقة » (Takwa) قبر الشيخ أحمد العمودى المتوفى عام (١٠٩٤ هـ) .

و « مانزا » و « شيلا » و « مالیندی » و « زنجبار » ثم جاء آل الشيخ أبى بكر بن سالم آل الحسینی ، وآل أحمد فاستوطنوا فى باتى أيضاً ، وانتقل بعضهم إلى جزر القمر وأقام بعضهم فى لامو وزنجبار .

وإلى هذه الطوائف من العرب يرجع الفضل فى نشر الإسلام وازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية فى هذه البلاد ، وقد تمكن عرب « عمان » من حكم مناطق واسعة من الجزر والسواحل فى شرق افريقيا ، ثم وفد البرتغاليون فانتزعوا البلاد من أيديهم عام ١٥٠٣م ، ثم استردها العمانيون من البرتغاليين فى نهاية القرن السابع عشر[١] وطردوهم من « كلوة » و « ممباسا » .

وانتشر بها الإسلام ـ غالباً ـ على المذهب الشافعى . كما انتشرت اللغة العربية وآدابها تدريجياً فى عامة مدن الساحل . خاصة فى القرن الخامس عشر للميلاد ، حيث ظهر العلماء والدعاة وترتب على ذلك دخول عدد كبير من الأهـــالى فى الإسلام ، وازدهار اللغة السواحيلية التى هى لغة « بانتويـة » الأصل ، ممتزجـة بكلمـات عربيـة لا حصر لها ، وامتدادهـا كلغـــة تخاطب من الصومـال شمالًا مروراً بكينيـا وتنزانيـا والجزر المتاخمة وأوغندا وجزر القمر وزائير إلى موزمبيق .

كينيا :

سميت جمهورية « كينيا » بهذا الإسم فى أوائل القرن الحالى نسبة إلى جبل « كينيا » القريب من « نانيـــوك »[٢] وتبلـــغ مساحتها حوالى ٥٨٢ ألف كم ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٥ مليون نسمة ، ويمثل المسلمون حوالى ٣٠ ٪ من جملة هذا العدد ، وسكان كينيا خليط من مختلف القبائل الافريقية والعرب والصوماليين والهنود ، وعندما استولى الإنجليز على المنطقة ، قسموا « كينيا » إلى مستعمرة ومحمية ، فالحزام الساحلى الذى استوطنه العرب ، وحكموه مدة لا تقل عن عشرة قرون ، كان « محمية » بريطانية ، وما عداه « مستعمرة » ثم تنازل السيد « جمشير » عن الحزام الساحلى للرئيس « جومو كينياتـا » زعيم كينيـا ومحررها عام ١٩٦٠م .

وتنتشر فى كينيـــا العديـــد من المدارس والجمعيات الخيرية الإسلامية ولكنها لا تقـارن عدداً وكفاءة بالمدارس النصرانية ، كما أن عدداً من اليهود استوطنوا هذه الدولـة ، وحصلـوا على الجنسية الكينية ، ولهم نشاط متعـدد وأمـلاك ومصانـع كبيرة منها مصانـع للنسيـج والـورق وغيرها ، كما أن المركـز الماسونى فى « نيروبى » معروف ومشهور .

« لامو أو آمو » :

تقع هذه المدينة على ساحل المحيط الهندى ، فى شمال كينيا ، على بعد ٦٢٥ كم من « نيروبى » العاصمة ، وهى جزيرة تجمع ثلاث قرى هى « متنـدون » و « كبنغـــان » من جهتها الغربيـــة و « شيلا » من جهتها الجنوبية .

(١) حاضر العالم الإسلامى : شكيب أرسلان . ص ٢٣٦ جـ ٤ القاهرة ١٣٥٢ هـ .

(٢) طى المراحل : ص٣

ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر ألف نسمة[١] وجميع سكانها مسلمون إلا القليل الذين استوطنوها أخيراً من موظفى الحكومة ، وتبلغ مساحة الجزيرة أربعة أميال مربعة ، وتقع على خط عرض ٢,٣٠ جنوب خط الاستواء ، وعلى خط الطول ٤١ شرق جرينيتش ، وبين لامو ومكة المكرمة ٢٢,٣٠ درجة عرضاً ، ويقعان على خط طول واحد .

ولامو مدينة عريقة تشبه إلى حد كبير المدن القديمة فى شبه الجزيرة العربية ، مما يدل على علاقتها التاريخية بالبلاد العربية كما أن شوارعها ضيقة لا يتجاوز أوسع شوارعها ثلاثة أمتار بينما أغلب الشوارع أقل من مترين ، وتتلاصق أكثر بيوتها . ومناخها معتدل بين البرودة والحرارة ، وتكثر بها أشجار النارجيل والأبنة ، وهما من الصادرات الرئيسية ، التى يعتمد عليها الأهالى فى معيشتهم ، ويشتغل ٧٠ ٪ من سكانها بالتجارة والزراعة و١٠ ٪ بالرعى وتربية الماشية والأغنام ، كما أن صيد السمك يعتبر من أهم منتجات هذه البلد ، الذى يسد حاجة سكانها الغذائية .

أسست مدينة « لامو » قبل الإسلام ، ومازالت بها بعض الآثار المصرية مثل : كراسى من الأبنوس ومن الجلد والخشب ، تشبه كل الشبه مثيلاتها فى المتاحف المصرية ، كذلك توجد بها بعض الآثار الإسلامية[٢] ويقال : أن المصريين الفراعنة هم الذين أطلقوا عليها هذا الإسم ، وهو إسم لإحدى القرى المصرية القديمة[٣] ، وكان المصريون يأتون إليها لجلب البضائع من سن الفيل والأرياش وغيرها ، ولكن معظم المؤرخين والجغرافيين يعتقدون أن اسمها الأصلى « قنبلو » **(Quinbulu)** بينما يعتبر أهلها بأن الإسم الأصلى لها هو « كيونديو » (Kiwando)[٤] . وقيل : إن إسم « آمو » ينسب إلى « آم » بن زيد الذى جاء من شمال الجزيرة العربية ، وقال آخرون : إن بعض العرب أطلق عليها إسم « لامو » نسبته إلى « اللامى » وهى عائلة كبيرة مازالت موجودة فى هذه المدينة .

وفى لامو وحدها الآن ٢٢ مسجداً أقدمها مسجد « الوالى سيف »[٥] ثم مسجد « الساحل » الذى بنى سنة ٧٧٢ هـ[٦] ، وتذكر بعض المصادر أن بعض العرب من أهل الشام هاجروا إلى الساحل فى صدر الاسلام ، وعمروا « هيداب » فى جزيرة « لامو »[٧]

الإسلام فى لامو :

كانت هجرة بعض صحابة الرسول الكريم من المسلمين إلى الحبشة عام ٦١٥م (القرن السابع الميلادى) ، وهذه هى بداية انتشار الإسلام فى شرق افريقيا عامة ، ثم إن « كينيا » تجاور الحبشة (أثيوبيا) جنوبا وربما تسرب الإسلام إليها منذ ذلك العهد الباكر ، وكان عدد الصحابة فى كلا

---

(١) احصاء حكومى سنة ١٩٧١ م .
(٢) مخطوط للأستاذ السيد أحمد أحمد البدوى .
(٣) الرياض بين ماضيه وحاضره : صالح محمد على البدوى ص٧ ط : ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
(٤) المرجع السابق ص ٧ .
(٥) ليس البناء الحالى هو الأصلى ، بل بنى على قواعد المسجد الأصلى .
(٦) مخطوط بملكه الأستاذ حارث بن صالح .
(٧) جهنة الأخبار ص٨٧ .

الهجرتين الأولى والثانية ١٥ رجلًا و١٥ امرأة ، وربما قام هؤلاء بالدعوة إلى الإسلام فى تلك البلاد ، كما أن من المحتمل أن يكون نجاشىُّ الحبشة آنذاك قد دخل فى الإسلام ، ومما يقال فى هذا الشأن أن الرسول الكريم ـ ﷺ ـ صلى عليه صلاة الغائب[(١)] وليس من المستبعد أيضاً أن يكون بعض رجاله قد أسلموا ، وعملوا على نشر الإسلام . تقول أهالى تلك البلاد بأن الإسلام قد دخل إلى هذه المناطق فى القرن السابع الميلادى بطريق ما ، ليس مستبعداً .

وعلى أى حال فإن الإسلام قد دخل إلى منطقة الساحل فى عهد الخليفة الأمــوى الخامس « عبدالملك بن مروان » قبل سنة ٨٢هـ ، ويقال : إن الحجاج بن يوسف الثقفى ، أجلى جماعة من العمانيين عن وطنهم ، ومن بينهم أولاد « الجلندا » سعيد وسليمان ، فهاجرا إلى الساحل فنزل « سعيد » لامو ، ونزل « سليمان » ممباسا ، ثم انتقل إلى « زنجبار »[(٢)] .

ويقال : إن المسلمين الأوائل الذين وفدوا إلى الساحل ، جاءوا من الجنوب الغربى فى القرن الثامن الميلادى ، وجاء على أثرهم فى القرن التالى مسلمون من « شيراز »[(٣)] ويحتمل أن يكون هؤلاء اللاجئون الذين وفدوا من الجنوب العربى فى القرن الثامن الميلادى ، قد هاجروا على أثر مقتل إمامهم « زيد بن على » المقتول عام ١٢٢هـ ، فهم إذا من الزيدية ، ومما يؤكد هجرة المسلمين منذ ذلك العهد الباكر ما ورد فى كتاب « الساحل » **(Quest)** الذى يقول : إن الحفريات فى جزيرة « ماندا » تشير إلى أنه فى القرن التاسع الميلادى ، كان هناك أناس أثرياء متأثرون بالثقافة الفارسية ، يستوردون الخزف الصينى عن طريق الهند . ومما هو جدير بالذكر أن العالم الأثرى **D. Mark Horten** أثبت فى أبحاثه فى مدينة « شنغا » بالقرب من مدينة « باتى » بأن الإسلام ترعرع هناك ما بين القرن الثامن والتاسع الميلادى[(٤)] .

لامو : مركز الدراسات الدينية :

لم تنقطع ـ بالطبع ـ صلات المهاجرين العرب إلى لامو بالبلاد العربية تماماً ، وقد ظلت العلاقات الفردية للزيارة أو الحج إلى بيت الله الحرام ، وأحياناً طلب العلم ، ويذكر من أسماء هؤلاء الذين درسوا فى مكة المكرمة من أهل لامو « الشيخ فيصل بن على السلامى » والسيد عبدالرحمن أحمد ، وله ألَّف السيد أبو بكر شطا (الدرر البهية) والسيد أبو بكر عبدالرحمن الحسينى (مونى منصب) وغيرهم[(٥)] .

كذلك ، كان التجار من العرب يفدون إلى الساحل خاصة من عمان وحضرموت متاجرين وزائرين ، وقد أنجبت « لامو » كثيراً من حفظة القرآن الكريم ، حتى لقد اجتمع بمسجد الروضة أحد مساجد لامو ٦٠ حافظاً للقرآن الكريم ، بل إن بعض الشرفاء من آل الشيخ أبى بكر بن سالم آل الحسينى كانوا يحفظون القرآن الكريم ، ويتوارثون

---

(١) الرياض ص٩

(٢) طى المراحل ص١٤ .

(٣) راجع : الاسلام فى شرق افريقية : G. Partinder ترجمة حارث بن صالح ص٩٥ . وشيراز مدينة فى جنوب ايران وللشيرازيين دور سياسى بالغ الأهمية فى شرق افريقيا عموما .

(٤) Quest p. 33 .

(٥) مخطوط الأستاذ/حارث بن صالح .

تعليمه وحفظه كابرًا عن كابر فى بيوتهم ، وقد استمرت مسيرة الدعوة تزدهر شيئاً فشيئاً حتى بلغت الأوج فى القرن الثالث عشر الهجرى على أيدى العلويين [1] وغيرهم ؛ كذلك كان للحضارمة الذين أطلق عليهم السكان اسم الـ« واشحيرى » أى « الشحريون » نسبة إلى منطقة الشحر فى جنوب حضرموت أثراً بالغاً فى لامو من الناحيتين السياسية والاقتصادية كما لعبوا دوراً بالغ الأهمية فى نشر الثقافة الإسلامية ، وقاموا بتدريس الدين وعلومه ، وأنشأوا المدارس الدينية ، حتى تمكنوا من تحويل معظم سكان الساحل من المذهب « الأباضى » [2] إلى المذهب السنى على مذهب الإمام الشافعى الذى مازال سائداً حتى الآن [3] ومن آثارهم المكتوبة كتاب « سمط الدر » للعارف بالله الحبيب على بن محمد الحبشى الذى جاء إلى « لامو » فى وقت متأخر من حضرموت ، واشتهر هذا الكتاب فى كل المناطق ، واشتهرت أيضاً كتب المدائح النبوية ، ومنها : مولد « البرزنجى » النونى والباقى [4] .

انتشر العلم وكثر العلماء فى « لامو » فكان منهم العلويون القادمون من حضرموت ومن اليمن ، والحضارمة من بنى « اللامى » و« آل العمودى » و« آل المعادى » و« آل مونى مكو » وغيرهم ، وعلى أيدى هؤلاء بدأ نظام المدارس فى « لامو » قبل مائة عام تقريباً ؛ حيث لم يكن يوجد قبل ذلك إلا الكتاتيب القائمة على تحفيظ القرآن الكريم ، والحلقات العلمية فى بعض المساجد .

والحقيقة أن أول من بدأ ذلك هو : الحبيب صالح بن علوى جمل الليل سنة ١٢٨٧هـ عندما هاجر من جزر القمر إلى مدينة « لامو » ثم أسس رباطاً للعلم [5] .

هذا ، وقد تولى القضاء عدد كبير من رجال العلم العباقرة ، وممن كان لهم أثر صالح فى انتشار المعرفة بكتاب الله وعلوم الفقه ، وقد عَدَّد صاحب الرياض من قضاة لامو وعلمائها ١٤ قاضياً آخرهم الشيخ محمد شيخ الوائلى (القائم الآن) ومن علمائهم ٣٠ عالماً آخرهم الشيخ العلامة عبدالله بن على المعادى الذى توفى فى ١٣ رجب سنة ١٤٠٢هـ ، ومن العلماء البارزين أيضا : السيد أبو بكر بن السيد عبدالرحمن الحسينى (مونى منصب) الذى ولد فى « لامو » سنة ١٢٤٣هـ ، وأخذ العلم من علمائها ، وتلقى فى مكة المكرمة عن العلامة السيد أحمد زينى دحلان وغيره . وله مؤلفات عديدة منها « تفسير الهمزية » و« تفسير البردة » و« تبارك ذو العلا » و« أهل الكسا » و« تفسير الدرر البهية » .. وكلها باللغة السواحيلية [6] .

واستمرت لامو تقوم بدورها كمركز إسلامى نشيط إلى عهد قريب ، ولكنها فى العهد الحاضر ، قد تخلت عن دورها القيادى لظروف كثيرة ، والأمل كل الأمل أن تسترد هذه المدينة العريقة دورها ، وأن يتولى إحياءها ــ كمركز للدراسات الإسلامية ــ أبناؤها ، وأبناء المسلمين من ذوى اليسار فى العالم العربى .. والله الموفق ..

---

(١) المدخل إلى تاريخ الاسلام ١٧٦ .

(٢) وهو فرع من مذاهب الشراة (الخوارج) .

(٣) الرياض ص ١١ المدخل إلى تاريخ الاسلام ١٧٦ .

(٤) مخطوط الأستاذ حارث .

(٥) الرياض ١٣ .

(٦) الرياض ١٧ .

سالم مولى أبى حذيفة

إمام مسجد قباء

للأستاذ الدكتور / عبدالعزيز غنيم

كان المسلمون فى عهد النبى عليه الصلاة والسلام والراشدين المهديين من بعده سواسية ، لاتفاضل بينهم إلا على أساس الإخلاص لله والخوف منه والاستقامة على نهجه . ولهذا كان لقراء القرآن الكريم فى هذا المجتمع المنزلة الأولى والمكانة العالية . فهم السادة والقادة وهم الزادة والرادة ، لاتسند الأمور إلا إليهم . ولاتعقد المجالس إلا بهم ، ولا يلتمس التوجيه إلا منهم ، ولاترجى الكفاية والكفاءة إلا فيهم . غير أن هؤلاء الحفاظ لم يكونوا سواء . وإنما كانت تتفاوت أقدارهم وتتفاضل منازلهم . فالذين كانوا يحفظون الكثير من القرآن أفضل من الذين لايحفظون إلا القليل . والذين كانوا يتقنون السورة والسورتين أعظم من الذين لا يتقنون إلا الآية أو الآيتين . وهكذا أما الذين كانوا يحفظون القرآن كله . فهؤلاء هم الشموس البازغة والأطواد الشامخة ، ومن لايدرك أوجهم إلا من أراد الله لهم الكرامة . وكتب لهم السعادة ورضى عنهم فى الدنيا والآخرة .

وقد كان الحافظون لكتاب الله ـ تعالى ـ فى عهد النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والراشدين من خلفائه ـ قليلين ـ وكان على رأسهم أربعة نفر[١] هم : عبدالله بن مسعود . وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة هكذا سماهم رسول الله ـ ﷺ وهكذا رتبهم ، وهو الخبير بأقدار أصحابه العليم بمناقبهم ومراتبهم . وقد سجلت المصادر التى بين يدى لمعا من سيرة القارىء الزاهد . سالم مولى أبى حذيفة وصوراً من حياته الزاخرة بالأعمال الصالحة والجهاد المثمر فى سبيل نصرة الحق وإعلاء لواء الدين .

وخلاصة ماجاء فيها . أن اسم هذا الرجل العظيم هو سالم بن معقل[٢] وأن أصله قد كان فارسياً أو أعجمياً ، وأن المدينة التى ارتحل منها إلى بلاد العرب هو (اصطخر)[٣] أو (كرمد)[٤] وأنه كان عبداً مملوكاً لامرأة من أهل المدينة المنورة اسمها ثُبَيْتة وقيل بل ليلى ـ أو سلمى ـ أو عمره ـ أو بثينة أو فاطمة ابنة يُعار[٥] ومهما كان اسمها فإنها كانت زوجة لرجل من أهل مكة هو أبو حذيفة : هُشيم[١] بن عتبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . وقد شاء الله ألا يطول بقاء سالم فى حياة الرق فقد اعتقته سيدته ثبيته ، وهو طفل وجعلت إليه اختيار وليه[٢] . ويظهر أن العلائق قد كانت على مايرام بين سالم وأبى حذيفة . فقد اوى إليه وجعل ولاءه له ، وقد أبى الرجل إلا أن يبادله حباً بحب وودا بود فبتناه . وأضافه إلى نسبه ، وأعلن أنه ولده ، فكان الناس يدعونه سالم بن أبى حذيفة غير أن هذا التبنى[٣] لم يعش إلا يسيرا فقد نزل تحريمه فى قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[٤] فنُسب هؤلاء الأدعياء كل إلى أبيه إذا كان معروفاً وإلى مواليه إذا لم يكن كذلك . فقالوا : زيد بن حارثة وكان يدعى زيد بن محمد ﷺ وقالوا : سالم من الصالحين[٥] ، لأنه لم يكن يعرف له أب .

وقد ذكر الحافظ بن حجر فى الإصابة[٦] : أن سالماً كان من السابقين الأولين ، ومعنى هذا أنه أسلم قديماً تماماً ، كما أسلم مولاه : هُشيم[٧] بن عتبة . واتفق الرواة . على أنه كان يعد فى المهاجرين من أجل مولاه أبى حذيفة . وكان يعد فى الأنصار من أجل مولاته ثبيته بنت يعار فهو مهاجرى أنصارى[٨] . وقد نما سالم وترعرع فى بيت مولاه هُشيم حتى بلغ مبلغ الرجال ، وكان يدخل على سهلة بنت سهيل بن عمرو . وكانت زوجاً لأبى حذيفة . فكان يكره ذلك ويتضايق

---

(١) ابن حجر الاصابة ـ جـ ٢ ص ٧ ، ط/ دار الفكر ـ بيروت

(٢) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ ج ٢ ص ٧٠ ـ ط/ دار الفكر ـ بيروت

(٣) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ ج ٣ ص ٨٥ ط/ دار بيروت للطباعة والنشر

(٤) ابن عبدالبر ـ الاستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٥) الاستيعاب ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧١ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٥ ، الاصابة مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٦

(١) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٤

(٢) الطبقات الكبرى ـ ج ٣ ص ٨٦

(٣) الاستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧١

(٤) سورة الأحزاب ـ آية ٤ ـ ٥

(٥) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٧

(٦) الأصابة ـ جـ ٢ ص ٦

(٧) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٤

(٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٥ ـ ٨٦

منه ، فجاءت سهلة إلى النبى ـ صلوات الله عليه وقالت : يارسول الله . إن سالماً كان لنا ولدا، وإنه قد بلغ مبلغ الرجال . وإنه يدخل على وأنا فضل ـ وقد رأيت الكراهية فى وجه أبى حذيفة ، فقال لها ـ صلوات الله وسلامه عليه : أرضعيه[٩] خمسا يدخل عليك . فقالت : سهله كيف أرضعه وقد نبتت لحيته فقال لها أنا أعرف ذلك فأرضعته فكان يدخل عليها ـ رضى الله عنه . وقد أُولع سالم منذ إسلامه بالقرآن ، فكان يحفظ كل ما نزل منه ، ويكثر من تلاوته . وكان ذا صوت شجى وحس طرى وقراءة هادئة ناعمة تخلب المشاعر وتجذب العواطف وتطرب الأنفس والأفئدة وتصرف السامع إليه مهما كان العمل الذى يؤديه «احتبست عائشة[١٠] عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فسألها : ماحبسك . قالت : سمعت قارئاً يقرأ فَذَكَرَتْ من حسن قراءته ، فأخذ رداءه وخرج فإذا هو سالم مولى أبى حذيفة فقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك» .

وفى رواية أُخرى[١] قالت : «سمع النبى ﷺ ـ سالماً مولى أبى حذيفة يقرأ من الليل فقال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله» .

ومن أجل هذا التمكن فى الحفظ وهذا الاتقان فى التلاوة كان عمر وغيره من المهاجرين إذا سافروا[٢] قدَّموا سالماً فأمهم فى الصلاة ، ولما أذن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة نزل فريق منهم بالعصبة[٣] وهى على كثب من قباء فكان سالم يؤمهم فى الصلاة ، وفيهم أبوبكر وعمر وأبو سلمة بن عبد الأحد وغيرهم من ذوى المكانة والمنزلة وماذاك إلا لما امتاز به من إتقان الحفظ وجودة القراءة .

ويقول الرواة :

إن النبى ﷺ آخى بين سالم وأبى عبيدة بن الجراح .

وفى رواية أنه آخى بينه وبين أبى بكر[٤] . وإن دل هذا على شىء فإنه يدل على ماكان للرجل من المنزلة فى نفس النبى ﷺ إذ أنه قد أختار له الأمين أو الصديق أو هما معاً ليكون أخوين له ، هذا بالنسبة للمهاجرين وبالنسبة للأنصار فإنه ﷺ قد آخى بينه وبين معاذ بن ماعض[٥] .

هذا ولم يقتصر نشاط سالم على حفظ القرآن وقراءته وحسب ، وأنما كان له قدمه الراسخة فى القتال تحت راية النبى ﷺ وخلف لواء خليفته أبو بكر فقد سجل الرواة . أنه شهد بدراً[٦] ، وأبلى فيها البلاء الحسن وأنه خاض معارك اليمامة ، وكان صاحب لواء المهاجرين فآنس تخاذلاً من البعض فقال[٧] : بئس حامل القرآن أنا إن فررت ، وقاتل حتى قطعت يمينه فتناول اللواء بشماله ، وقاتل

---

(٩) الأصابة جـ ٢ ص ٧ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٦

(١٠) الاصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧

(١) الأصابة ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧

(٢) الأستيعاب ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٣) الطبقات الكبرى ـ مرجع سبق ذكره ـ جـ ٣ ص ٨٧ ـ ٨٨

(٤) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨

(٥) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٦) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٠

(٧) الاصابة ـ جـ ٢ ص ٧

حتى قطعت فتناوله بعضدديه حتى صرع . فلما أحاط به أقرانه قال : أين أبو حذيفة : قالوا : قتل الآن : قال : فادفنونى إلى جانبه . وجاء فى رواية أخرى أنه[٨] حفر لنفسه حفرة ، ونزل فيها حتى لا يفر وراح يقاتل حتى استشهد . وقد شاء الله أن يجمع بينه وبين مولاه فى الآخرة كما جمع بينهما فى الدنيا . فقد ذكر الراوة . أنهم رأوا رأس كل منهما بين رجلى[٩] الآخر . ولأن الرجل لم يكن له عقب ، فإنه قسم ماله أثلاثاً[١٠] . وجعل منها ثلثاً فى سبيل الله وثلثاً فى الرقاب وثلثاً لمواليه .

وجاء فى إحدى الروايات أن سالماً لما مات أرسل عمر تركته إلى ثبيته بنت يعار فأبت أن تأخذها وقالت : إنى أعتقته سائبة[١] لوجه الله فوضعها عمر فى بيت المال .

وفى رواية ثانية[٢] أنه باعها فبلغت مائتى درهم فأعطاها أمه .

وسواء أصحت هذه الرواية أم سابقتها فإنها تدل على أن الرجل قد كان زهداً فى الدنيا مقبلاً على الآخرة مؤثراً ما عند الله على متع هذه الحياة .

وقد تسأل : وهل كان له نشاط فى ميدان السياسة .

والجواب : أن المصادر التى بين يدى لم تذكر أنه قد تقلد منصباً أو باشر وظيفة ، وأنما كان من رهبان الليل وفرسان النهار .

ويبدو لى أن الرجل قد كان ذا مواهب سياسية قوية ، وأنه لو تقلد ولاية أو تولى إمارة لكان أهلاً لأداء الدور الذى أسند إليه . والدليل على هذا أن عمر ـ رضى الله عنه ـ لما طعن وطلب منه بعض المسلمين أن يستخلف . قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خيرٌ منى وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ منى ولو كان أبوة عبيدة حياً لاستخلفته . ولو كان سالم مولى أبى حذيفة[٣] حياً لاستخلفته وفى رواية أخرى . لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما شاورت[٤] ومعنى هذا أن سالماً قد كان أهلاً لهذا المنصب الخطير . وأنه كان لديه الاستعداد لحمله والاضطلاع به . ولاشك فى أن عمر لا يمكن أن يقول هذه المقاله فى رجل لا يؤهله استعداده الفطرى والتطبيقى لحمل هذه الأمانة التى لا يؤديها كما يجب إلا أولوا العزم من الرجال .

ونعود إلى سالم مولى أبى حذيفة ونذكر أنه قد لقى ربه فى حومة الوغى مقبلاً غير مدبر مقدماً غير محجم حتى أنتاشته السيوف ومزقت جسده السهام والرماح وكان ذلك فى السنة الثانية عشرة[٥] من هجرة النبى ﷺ وفى خلافة صاحبه وخليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه . فرحم الله سالماً وأجزل له الأجر على جهاده فى سبيل الحق وبعثه وهو يحمل راية القرآن يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

(٨) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(٩) الأستيعاب ـ جـ ٢ ص ٧٢ ، الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(١٠) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٦
(١) الأصابة ـ جـ ٢ ص ٧ ، ٨
(٢) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨
(٣) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ جـ ٥ ص ٣٤ ط / دار الفكر ـ بيروت
(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ جـ ٦ ص ٣٣٦ ـ ط ذ دار المعارف بيروت
(٥) الطبقات الكبرى ـ جـ ٣ ص ٨٨ . وذكره الحافظ بن كثير بين المتوفين فى السنة الحادية عشرة وهو الأصح عندى حيث إن حرب اليمامة قد كانت فيها . والله أعلم .

مع ابن ظفر وبشارات النبوة

٢

بقلم : عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

قدمنا قبل ذلك حديثا عن أخبار كعب الأحبار التى رواها ابن ظفر فى كتابه « خير البشر بخير البشر » حول التبشير بمبعث النبى ـ ﷺ ـ وما روته الكتب السماوية السابقة فى ذلك(١) .

ونضيف إلى ما تقدم ـ فى حديثنا هذا ـ ما ذكره ابن ظفر ـ رحمه الله ـ من البشارات الواردة على ألسنة أحبار أهل الكتاب الذين أسلموا وحسن إسلامهم ، مما وعوه من دراساتهم للكتب التى قرأوها وحفظوها ، فكانت أخبارها دافعة لهم إلى التصديق برسالة النبى الخاتم ـ ﷺ ـ .

(١) عدد ربيع الآخر ص٤٨٥ .

ما رواه وهب بن منبه :

روى وهب بن منبه[٢] قال : قرأت فى بعض كتب الله المنزلة على نبى من بنى اسرائيل : « أن قم فى قومك وقل : يا سماء اسمعى ، ويا أرض أنصتى ، لأن الله يريد أن يقص شأن بنى اسرائيل ، إنى ربيتهم بنعمتى ، وأثرتهم بكرامتى ، واخترتهم لنفسى ، وإنى وجدت بنى إسرائيل كالغنم الشاردة التى لا راعى لها ، فرددت شاردتها ، وجمعت ضالتها ، وداويت مريضها ، وجبرت كسيرها ، وحفظت سمينها ، فلما فعلت ذلك بها بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضا ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل لهؤلاء القوم الظالمين ، إنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حتما ، وجعلت له أجلا مؤجلا لابد منه ، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتمته ؟ فى أى زمان يكون ذلك ؟ فإنى مظهره على الدين كله ، فليخبروك متى يكون هذا ؟ ومن القيم به ؟ ومن أعوانه وأنصاره إن كانوا يعلمون ؟ فإنى باعث بذلك رسولا من الأميين ، ليس بغظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا قوال بالهجر والخنا ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة على لسانه ، والتقوى ضميره ، والحكمة منطقه ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والإسلام ملته ، أرفع به من الوضيعة ، وأغنى به من العَيْلَةَ ، وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة ، وأجعل أمته خير الأمم إيمانا بى ، وتوحيدا وإخلاصا لما جاء به رسولى . الهمهم التسبيح والتحميد والتمجيد لى فى مساجدهم وصلواتهم ومتقلبهم ومثواهم ، يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتى ، يقاتلون فى سبيلى صفوفا ، ويصلون لى قياما وركوعا وسجودا ، يكبرونى على كل شرف ، رهبان الليل ، أسد النهار ، ذلك فضلى على من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم » ـ خير البشر صـ٥٣ ، صـ٥٤ ـ .

ما رواه الواقدى، عن ثعلبة :

وذكر ابن ظفر ما رواه الواقدى عن ثعلبة بن أبى مالك[٣] عن أبيه ، أن عمر ـ رضى الله عنه ـ

(٢) وهب بن منبه تابعى جليل ، يكنى أبا عبدالله ، قال وهب : قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس وفى أيدى الناس ، وعشرون منها لا يعلمها إلا قليل ، وجدت فيها كلها : أن من أضاف إلى نفسه شيئا كفر . توفى وهب بصنعاء اليمن سنة عشر ومائة .

وقال الذهبى : مات سنة ١١٤ هـ .

ـ الطبقات الكبرى حـ٥ صـ٣٩٥ ـ دول الاسلام للذهبى حـ١ صـ٧٩ .

(٣) أبو مالك هو عبدالله بن سام ، ويكنى أبا ثعلبة بابنه ، أصله من كندة اليمن ، كان على دين يهود ، فلما قدم المدينة حالف بنى قريظة فقيل له : القرظى ، وثعلبة ابنه من التابعين بالمدينة روى عن عمر وعثمان ، وكان يكنى أبا جعفر وأبا يحيى ، كان إمام بنى قريظة حتى مات ، وكان كبيرا قليل الحديث ـ راجع الطبقات الكبرى لابن سعد حـ٥ صـ٥٧ ـ أسد الغابة ـ ترجمة ثعلبة رقم ٦١٣ حـ١ صـ٢٩٢ وترجمة أبى مالك حـ٦ صـ٢٧٣ برقم ٦٢١٣ .

سأل أبا مالك ــ وهو أبو ثعلبة وكان من أحبائه ــ فقال له : أخبرنى بصفة النبى ــ ﷺ ــ عندكم فى التوراة .

فقال له : إن صفته فى توراة هارون [أى نسخته من توراة موسى عليهما السلام] ، « أحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وهو آخر الأنبياء ، وهو النبى العربى يأتى بدين إبراهيم « الحنيفية » يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، فى عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، وليس بالقصير ولا بالطويل ، يلبس الشملة ، ويجتزىء بالبلغة ، لا يبالى من لقى من الناس ، معه صلاة لو كانت فى قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان ، ولو كانت فى عاد ما أهلكوا بالريح ، ولو كانت فى ثمود ما أهلكوا بالصيحة ، مولده بمكة ، ومنشؤه وبدء نبوته بها ، ودار هجرته يثرب . بين لابَتَــىْ مَرَّةٍ ونخل وسبخة ، وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ المكتوب ، وهو الحمَّاد يحمد الله على كل شدة ورخاء ، سلطانه بالشام ، وصاحبه من الملائكة جبريل ، يلقى من قومه أذىً شديدا ثم يُدَال عليهم .. معه قوم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله ، صدورهم أناجيلهم ، قربانهم دماؤهم ، ليوث النهار رهبان الليل ، يرعب عدوه مسيرة شهر ، يباشر القتال بنفسه حتى يُجْرح ويُكْلَم ، لا شرطة معه ولا حرس ، الله يحرسه » ــ خير البشر صـ ٥٩ ، صـ ٦٠ .

بين هرقل وعلماء النصارى :

وذكر ابن ظفر ما رواه الواقدى ــ أيضا ــ حول الحوار الدائر بين هرقل وعلماء النصارى الذين كانوا يترددون بين بلاطــى هرقــل والنجاشى .. قال :

كان هرقل يبعث إلى النجاشى بشمامستة فيقرءون عليه الإنجيل وغيره .. وكان النجاشى من أعلم الناس بكتب الله فى عصره ، فإذا تعلموا ما يريدونه رجعوا إلى هرقل ، وبعث غيرهم للقراءة على النجاشى .

وإن قيصر قال يوما لعلماء دينه : هل هنا أحد ممن قرأ على النجاشى ؟

قالوا : نعم ، عشرة من العلماء الشمامسة .

فأحضرهم ، ثم سألهم عن أعلمهم ، فأشاروا إلى أحدهم ، فخلا به ، ثم قال له : ألا تخبرنى عن النجاشى ؟

قال : بلى ، أيها الملك ، أنا آخر من قفل من عنده ، بعد مقام أربعة أعوام ، وقد عرفت أمره جُلَّه ، فعن أى شىء يسألنى الملك من أمره ؟

فقال له قيصر : هل سمعته يذكر هذا العربى الذى يقول إنه نبى ؟

قال : نعم ، إنه وضع الإنجيل أمامه ، وليس عنده غيرى فقرأ : أحمد العربى ، يركب البعير ، ويتجزى باليسير ، يخرج من مكة إلى يثرب ، وهو خير الأنبياء ، يقوم فيما بين عيسى والساعة ، فمن أدركه واتبعه رشد ، ومن خالفه هلك .

ورأيته يعلم ابنه هذا ، وحضرت أصحاب

محمد يتكلمون عنده ، فخاطبه إبن عم محمد(٤) خطابا أبكاه حتى بل لحيته بدموعه ، ثم قال : أشهد أنه النبى العربى الذى بَشر به المسيح ، وهو خير الأنبياء .

فقال قيصر : صدق النجاشى ، ولولا أنى أُضِنُّ بملكى ولا يتابعنى الروم إن خالفت دينهم لأظهرت تصديقه ، وسيظهر دينه على منتهى الحف والحافر .

ثم قال للشماس : على أى دين أنت ؟

قال : لولا أنى أكره خلاف الملك لاتبعت محمدا .

فقال له قيصر : لا تخفنى ، وأكتم أمرك عن الروم ، وتوجه إلى حيث شئت أو أقم .

فقال الشماس : إنى أريد اللحاق به .

قال : أذهب .

فذهب ـ الشماس ـ متوجها إلى النبى ـ ﷺ ـ فلما كان بالبلقاء اغتاله قوم ، وبلغ ذلك قيصر ، فأرسل إلى عامله بالبلقاء : أن اطلب الذين قتلوا عبدى فاقتلهم به .. فظفر بهم فصلبهم ثم قتلهم . ـ خير البشر صـ٧٤ ، صـ٧٥ ـ .

سبب إسلام بعض بنى قريظة :

قال ابن ظفر : وروى أبو البخترى عن بعض بنى قريظة أنه قال لجلسائه : أتدرون ما سبب إسلام ثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سعية وأسيد بن عبد(٥) ؟

قالوا : لا ..

قال : قدم علينا رجل من يهود الشام يقال له : الهيَّبان ، فحَلَّ بين ظهرانينا ، فما رأينا رجلا لا يصلى الخمس كان أفضل منه ، وكنا إذا قحطنا سألناه أنِ يستسقى لنا ، فيأمرنا بإخراج صدقة فنخرجها ، ثم يظهر بنا إلى ظاهر حرتنا ، فيستسقى لنا ، فما يبرح مجلسه حتى يطلع السحاب وتسقى .

فلما حضرته الوفاة قال : يا معشر اليهود ، ما تظنون الذى أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع ؟

فقلنا .. أنت أعلم .

فقال : إنما قدمت هذا البلد لأنى كنت أنتظر خروج نبى قد أظل زمانه ، فلا يسبقكم إليه أحد ، يا معشر اليهود إنه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرية والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

---

(٤) جاء فى أسد الغابة : ثعلبة بن سعية القرظى ، وأسيد بن سعية القرظى وقيل : أسد بن سعية القرظى ، وأسيد بن عبد ، وقيل : أسد بن عبيد القرظى ، أسلم ثلاثتهم فى الليلة التى نزلت فى غدها بنو قريظة على حك[illegible] بن معاذ، فمنعوا دماءهم وأموالهم ، وحين أسلموا ق[illegible]ود : ما آمن بمحمد إلا بعض شرارنا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ ـ أسد الغابة ٢٨٧/١ .

(٥) يشير إلى المحاورة التى جرت فى مجلس النجاشى بين جعفر ابن أبى طالب وبينه حين وجهت قريش عمرو بن العاص لرد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة ـ راجع سيرة ابن هشام حـ١ صـ٣٥٨ ط التحرير ت محيى الدين عبد الحميد .

قال : فلما بعث النبى ـ ﷺ ـ قال هؤلاء النفر ـ وكانوا شبابا ـ : يا بنى قريظة إن هذا لهو النبى الذى عهد إلينا الهيبان ما عهد .

فقالوا : لا ، ليس هو .. فنزل هؤلاء النفر فأسلمـوا ، فأحـرزوا دماءهـم وأمـوالهم وأهليهم[٦] . خير البشر صـ٧٨ ، صـ٧٩ .

ما رواه حسان بن ثابت :

وروى حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال : والله إنى لعلى أطمـى[٧] « فارع » فى السحر ، إذ سمعت صوتا لم أسمع قط أنفذ منه ، وإذا صوت يهودى على اطم من أطام اليهود معه شعلة من نار ، فاجتمع الناس إليه ، وأنكروا صراخه ، قالوا : ما بالك ؟ ويلك .

قال حسان : فسمعته يقول : هذا كوكب أحمر قد طلع ، وهو كوكب لا يطلع إلا بالنبوة ، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد .

قال حسان : فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما أتى به ـ قال : وكان أبوقيس أحد بنى النجار قد ترهب ولبس المسوح ، فقيل له : يا أبا قيس ، انظر فيما قال هذا اليهودى .

فقال : صدق ، إن انتظار أحمد هذا هو الذى صنع بى ما صنع ، ولعلى أن أدركه فأومن به ـ فلما بلغه ظهور النبى ـ ﷺ ـ آمن به وهو فى المدينة ، وقد نالت السن من أبى قيس .. ـ خير البشر صـ٨١ ، صـ٨٢ .

وقد ترجم ابن الأثير فى كتابه « أسد الغابة جـ٦ صـ٢٥٦ ـ لأبى قيس هذا فقال عنه : هو صِرْمَةَ ـ بكسر الصاد وسكون الراء ـ بن أبى أنس بن مالك من بنى النجار ـ وتغلب عليه كنيته أبو قيس ـ كان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وهمَّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا ، لا يدخل عليه فيه طامس ولا جنب ، وقال : اعبد رب ابراهيم .

فلما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة أسلم فحسن إسلامه وهو شيخ كبير ، وكان قوالًا بالحق معظما لله فى الجاهلية ، وكان يقول فى الجاهلية أشعارا حسانا يعظم الله فيها ـ ويدعو فيها إلى الحكمة والموعظة الحسنة ـ ومن ذلك قوله :

يقـول أبوقـيس وأصبـح ناصحـا
ألا ما استطعتم من وصاتى فافعلوا

أوصيكـم بالله والبر والتقـى
وأعراضكـم ، والبـرُّ بالله أول

فإن قومكـم سادوا فلا تحسدوهـم
وإن كنتم أهـل الريـاسة فاعدلـوا

وإن نزلت إحدى الدواهى بقومكم
فأنفسكـم دون العشيرة فاجعلـوا

وإن أنتم أملـقتم فتعففـوا
وإن كان فضل الخير فيكم فافضلوا

واستطرد ابن ظفر إلى ذكر أخبار مستفيضة فى ذلك قبل أن يتحدث عن لون آخر من ألوان البشارات التى جاءت على ألسنة الكهان ، وما جاء على ألسنة الجان .. ولعل الفرصة تسنح ـ إن شاء الله ـ إلى تقديم طرف من ذلك ، والله ولى التوفيق .

---

(٦) ذكر البيهقى هذا الخبر فى دلائل النبوة عن ابن اسحاق ، إلا أنه قال : ابن الهيِّبان . جـ٢ صـ٨٠ .

(٧) الاطم ـ بضمتين : الحصد .

الفتـــاوى

اعداد : الاستاذ عبد المنعم حافظ فوده

سؤال : من ع ــ ح ــ ف

أرجو إفادتى عن حكم الدين فى زواج المحلل للمطلقة ثلاثا ، هل هو حلال أو حرام ؟ لأن بعض الناس يمنعونه ويقولون إنه حرام ، ولفضيلتكم جزيل الشكر .

الجواب : من فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الافتاء بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن زواج المطلقة ثلاثا لتحليلها لزوجها الأول أمر مشروع ثابت بالقرآن والسنة والاجماع ، وما روى عنه من أحاديث تنفر منه فالمراد به ما لا تتوافر فيه الشروط المشروعة ، وهى أن يكون الزواج بالمطلقة بعد انتهاء عدتها من المطلق ، وأن يكون العقد صحيحا مستوفيا للأركان والشروط المـ فى كل زواج ، وأن يتم الدخول بها دخولا شرعيا باللقاء الجنسى ، ولا يكتفى فيه بالخلوة الصحيحة ، وأن يطلقها الزوج طلاقا صحيحا دون إكراه ، وأن تنتهى عدتها منه .

ولا يضر اتفاق المطلق والمطلقة والمحلل على أن هذا الزواج هو للتحليل ما دام لم يشترط فى عقد الزواج على ما رآه أبو حنيفه والشافعى فى أحد قوليه ، بل اشترط فى العقد صح الزواج وحلت للزوج الأول بعد طلاقها على رأى أبى حنيفه ، والعمل فى مصر عليه ، لأنه الراجح فى المذهب والله تعالى أعلم .

*****

سؤال :ــ من رواد مسجد الايمان بالعجوزة يسألون :ــ

ما حكم صلاة ركعتين قبل صلاة المغرب ، أى بعد الأذان وقبل الإقامة ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/محمود عبد المتجلى خليفة عضو لجنة الإفتاء بالأزهر :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فنفيد بأن صلاة الركعتين بعد أذان المغرب وقبل صلاة الفريضة جائزة ومشروعة لقول النبى ــ ﷺ ــ بين كل أذانين صلاة .. بين كل أذانين صلاة . بين كل أذانين صلاة لمن شاء .

وثبت فى الأحاديث الصحيحة عن بعض أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ قال : كنا إذا أذن للمغرب نبتدر السوارى للصلاة فمنا من يصلى ومنا من لم يصل ، فلا يعيب القاعد على المصلى ، ولا المصلى على القاعد .

لهذا ننصح بالتقرب الى الله ــ تعالى ــ بصلاة هاتين الركعتين قبل صلاة المغرب ويجوز لمن دخل المسجد بعد الأذان أن يصلى تحية المسجد قبل أن يجلس وينوى معهـا نيـة سنـة المغـرب ، والله ــ تعالى ــ أعلم .

*****

السؤال من السيد/أ ــ ع

توفيت امرأة سنة ١٩٩٢ م عن أربعة أبناء ، وأربعة بنات ، أولاد بنت متوفاة قبلها فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/عبد المنعم القصاص عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأن فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل أمها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م وبشرط ألا تكون الجدة قد أعطتهم شيئا حال حياتها بدون عوض يساوى نصيب أصلهم فتقسم التركة ثلاثة عشر جزءا منها جزء واحد وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والباق وهو اثنى عشر جزءا هو الميراث للأبناء الأربعة والبنات الأربعة الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ،،،،،،

*****

سؤال من : ث ــ م ــ ج

ما حكم الشرع فى زكاة الأموال ، وكيفية إخراجها وما المقدار ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ الدكتور/عبد المنعم القصاص عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأنه إذا بلغ المال النصاب الشرعى وهو ٨٤/٤ جرام ذهب مضروبة فى سعر يوم إخراجها على أن يكون ٢/٥٪ أى ما يعادل ٢٥ جنيه على

كل ألف جنيه بشرط أن يكون قد حال عليه الحول أى سنة قمرية والله — تعالى — أعلم .

*****

الصيام بمناسبة المولد النبوى

السؤال من السيد/أ — ع — ف

يقول : ما اليوم الذى نصومه بمناسبة المولد النبوى الشريف .

وهل اذا صادف يوم جمعة يكون صومه حلالا ؟

الجواب : من فضيلة الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله — أما بعد ، فإن صيام التطوع مندوب « لايخص زمانا ولا مكانا ، ما دام بعيدا عن الأيام التى يحرم صيامها : وهى العيدان ، وأيام التشريق ، ويوم الشك على اختلاف للعلماء فيه ، والتى يكره صيامها يوم الجمعة وحده ويوم السبت وحده .

وهناك بعض الأيام يستحب الصيام فيها : كأيام شهر المحرم ، والأشهر الحرم ، وعرفه وعاشوراء ، ويوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع ، والثلاثة البيض من كل شهر ، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، وستة من شهر شوال ، وكثير من شهر شعبان كما كان يفعل النبى — ﷺ — .

وليس من هذه الأيام يوم ذكرى مولد النبى — ﷺ — الذى اعتاد الناس ان يحتفلوا بها فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، فلا يندب صومه بهذا العنوان وهذه الصفة ، وذلك لأمرين :

أولهما : أن هذا اليوم لم يتفق على أنه يوم ميلاده — ﷺ — ، فقد قيل : انه ولد يوم التاسع من شهر ربيع الأول ، وقيل غير ذلك .

وثانيهما : أن هذا اليوم قد يصادف يوما يكره إفراده بالصيام كيوم الجمعة فقد صح فى البخارى ومسلم النهى عنه بقوله — ﷺ — « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة ، إلا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده » .

هذا بخصوص صوم يوم الميلاد النبوى فى كل عام أما صيام يوم الأثنين من كل أسبوع فكان يحرص عليه النبى — ﷺ — لأمرين .

أولهما : أنه قال : إن الأعمال تعرض على الله فيه وفى يوم الخميس ، وهو يحب أن يعرض عمله وهو صائم ، كما رواه الترمذى وحسنه .

وثانيهما : أنه هو اليوم الذى ولد فيه وبعث فيه كما صح فى رواية مسلم — فكان يصومه أيضا شكرا لله على نعمة الولادة والرسالة .

فمن أراد أن يشكر الله على نعمة ولادة النبى — ﷺ — ورسالته فليشكره بأية طاعة تكون بصلاة أو صدقة أو صيام ، ونحوها ، وليس لذلك يوم معين فى السنة ، وإن كان يوم الأثنين من كل أسبوع أفضل ، للاتباع على الأقل .

فالخلاصة أن يوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول ليس فيه عبادة خاصة بهذه المناسبة ، وليس للصوم فيه فضل على الصوم فى أى يوم آخر ، والعبادة أساسها الاتباع ، وحب الرسول — ﷺ — يكون باتباع ما جاء به كما قال « من أحبنى فليستن بسنتى » .

الشيخ عبدالله النديم
خطيب الثورة العرابية

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

كان الشيخ عبدالله النديم خلال حياته فى النصف الثانى من القرن الماضى الميلادى لسان الأمة المصرية المدافع وقلبها النابض بالحماس والحرية وهب نفسه لوطنه مصر وقدم حياته رخيصة دفاعا عن الإسلام ، وآلى على نفسه ـ منذ نشأته حتى مماته ـ أن يقاوم أعداء بلاده ويُجَاهد المعتدين على حريتها واستقلالها لا تضعف له قناة ولا تلين له عزيمة ولا يضعف منه ساعد ، أو يتحطم له قلم .

وصفه السيد جمال الدين الأفغانى بقوله : (ما رأيت طول حياتى مثل النديم فى توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الألفاظ وضعا محكما إزاء معانيها إذا خطب أو كتب[١] .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالله النديم فى مدينة الإسكندرية خلال النصف الأول من القرن الماضى الميلادى من أسرة شريفة النسب ينتهى نسبها إلى الإمام الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهما ـ وكان أبوه الشيخ مصباح بن إبراهيم يعمل نجارا ، ثم عمل بصناعة الخبز ، ولما نشأ النديم ودرج مدارج الصبا تعلم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم فى أحد مكاتب المدينة[٢]

(١) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى تأليف الشيخ أحمد الإسكندرى وآخرين الجزء الثانى طبعة سنة ١٩٣٦ م .

(٢) المرجع السابق .

فى الأزهر – معهد الاسكندرية الدينى :

كان معهد الاسكندرية الدينى يشغل فى ذلك الزمان (جامع الشيخ ابراهيم باشا) فى تلك المدينة فانتظم فيه الشيخ عبدالله النديم ضمن طلبة العلم حيث درس العلوم الدينية وكذا العلوم اللغوية والعقلية ، وكانت أمنية والده أن يراه معلم كتاب أو إمام مسجد أو واعظ مجلس .

لكن النديم انصرف إلى الأدب والشعر وممارسة الخطابة والكتابة ، وجعل همه مناظرة الأدباء ومطارحة الشعراء من أمثال : محمود سامى البارودى ، ومحمود صفوت الساعاتى ، وابراهيم اللقانى ، والشيخ على أبو النصر ، والشيخ أحمد وهبى(٣) .

العيش والعلم :

لما ألحت عليه الحاجة فى طلب الرزق تعلم فن الإشارات البرقية ، حتى إذا أجادها وأربى فيها على الإتقان ، التحق بإحدى الوظائف الحكومية بمكتب تلغراف بنها ، ثم نقل بعدُ إلى وظيفة من وظائفها بمدينة القاهرة ، ولم تمنعه الوظيفة من مذاكرة العلم ومراجعة رفاقه فى مسائله فى أوقات الفراغ(٤) .

فى الأزهر الشريف بالقاهرة :

استغل الشيخ عبدالله النديم فرصة نقله إلى القاهرة فيمم نحو الأزهر الشريف حيث انضم إلى مجالس العلم فيه قاصدا الاستزادة من العلوم الشرعية واللسانية ومستكملا ما فاته من المطالب العقلية والنقلية ، ومستدركا كل ذلك بالمذاكرة مع صديقه وابن بلدته الشيخ حمزة فتح الله ، ولقد لبثا طوال حياتهما أخوين مخلصين ، لم تفرق بين روحيهما الأيام ، وان فرقت بين طريقتهما أحداث السياسة(٥) .

فصله من وظيفته الحكومية وعمله بالتجارة :

لما انشغل الشيخ عبدالله النديم بطلب العلم انعكس ذلك على وظيفته الحكومية مما أدى إلى فصله من الخدمة فى أعمال البرقيات فاحترف التجارة فى مدينة المنصورة ، لكن أفلس فلم يخرج منها ولا برأس المال وسبب ذلك أنه كان كريما مع المتعاملين معه إلى حد الإتلاف .

وبعد جولات عدة فى طول البلاد وعرضها عاد إلى الإسكندرية أواخر حكم والى البلاد الخديوى اسماعيل(٦) .

تأليف الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية :

جد الشيخ عبدالله النديم فى تأليف تلك الجمعية الخيرية ، وتم له ما أراد ، وتسارع أعيان الإسكندرية وسراتها إلى معونتها والاشتراك فيها ، وكان هدف هذه الجمعية تربية النشء وتعليمهم وطبعهم على مكارم الأخلاق .

وسارت الجمعية فى سبيلها شوطا كبيرا وغذاها حاكم البلاد – وقتئذ الخديوى توفيق بماله ورعايته ، كما أجرت عليها نظارة المعارف مالا

---

(٣) مقال بعنوان الأديب الثائر عبدالله النديم بقلم الأستاذ حسين السكرى نشر بمجلة منبر الإسلام ذى الحجة سنة ١٣٨٨ هـ فبراير سنة ١٩٦٩م .

(٤) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .
(٥) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .
(٦) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

سنويا غير قليل ، ولكن سعت الوشايات ضد الشيخ النديم ففصلْ من تلك الجمعية فصلا[٧] .

التدخل الأجنبى والخطابة السياسية :

سيطر الأجانب على كل شبر فى شئون مصر فى أواخر عهد الخديوى اسماعيل حتى أصبحت شئون الدولة جميعها تحت رحمتهم ورهن إشارتهم ، زاعمين أنهم يقصدون تنظيم اقتصاد البلاد ، والحصول على فوائد ديونهم المالية التى اقترضها الخديوى المشار إليه ؛ ففشا الغضب بين الناس ، واشتد غليان المصريين فتحركت الملكات الكامنة فى نفوس أعلام الأدب وأمراء البيان وأولهم : الشيخ عبدالله النديم ، فقد كان أبعدهم صيتا وأكثرهم شهرة ، حتى سماه المؤرخون : « لسان الأمة ، وخطيب الثـــورة » وكان من هؤلاء الخطباء : الأستاذ الإمام محمد عبده ، وإبراهيم اللقانى ، وحسن الشمسى ، وأحمد سمير ، وأديب إسحق ، وكان النديم يقدمهم فى أغلب الحفلات ويعلق بعد ذلك عليهم بكلماته وخطبه .

فكانت تلك بادرة ظهور الخطابة السياسية فى ذلك العصر ، وقد حاكاها كثير من المتأدبين ، واقتدى بهم وسار على منوالهم بعض الوعاظ والمدرسين ؛ فعقدوا لذلك المجامع الأسبوعية والمحافل الموسمية يتناولون فيها كل ألوان الخطابة السياسية والاجتماعية ، ويتمـــرسون فنـــونها ويسلكون دروبها ومع ذلك لم يبلغ واحد منهم ما بلغه الشيخ عبدالله النديم أو يصل إلى ما وصل إليه من الإبداع واستواء القول وإذا خطب خلب وإذا جادل عزّ وغلب[٨] .

النديم والصحافة :

طرق الشيخ عبدالله النديم باب الكتابة فى الصحف ليشد خواطر الغاضبين ، ويوقظ النفوس الغافية ويستنهض الهمم الخاملة ، وقد رأى بثاقب فكره أن ينشر أفكاره بطريقته الخاصة ؛ فأصدر جريدة أسماها : (التنكيت والتبكيت) فى ٦ يونيه عام ١٨٨١م أى فى قمة أحداث الثورة العرابية لتكون لسان الإصلاح الإجتماعى والإصلاح الخلقى فى البلاد ؛ لذلك كان يحررها باللغتين العربية والعامية كى تكون صحيفة الخاصة والعامة على السواء .

فيقسم مقاله فى الصفحة إلى قسمين :

القسم الأول : (تنكيت) على المجتمع فى عيب من عيوبه ويكون باللغة العامية .

والقسم الثانى : من الصحيفة ويكتبه باللغة العربية السليمة ويتجه فيه إلى الطبقة المثقفة المستنيرة ، ويسلك فى سبيل ذلك بعض الطرق الأدبية الممتازة مثل طريقة الرمز فى الكتابة ويسمى ـ هذا القسم ـ التبكيت .

ولاشك أن هذه طريقة من طرق الإصلاح الإجتماعى فى غاية البراعة فوق أنها تحتاج من محررها إلى أقصى ما يمكن من الذكاء والمهارة[٩] .

مساندة النديم للثورة العرابية :

لما قامت الثورة العرابية ، واندلع لهيبها تطلع إليه العرابيون فساندهم ، وشَدَّ من أزرهم ثم طلب منه الزعيم أحمد عرابى أن يغير اسم صحيفته فأسماها الطائف ، وأخذ يكتب فيها أروع المقالات التى كانت منارة تهدى الوطنيين ، ونارًا تحرق أعداء

(٧) كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

(٨) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

(٩) مجلة الهلال يناير سنة ١٩٩١م مقال يوم صدر الهلال عام ١٨٩٢م شهريات أغسطس عام ١٨٩٢ م بلا حذف أو تغيير .

البلاد كما كانت أفسح ميدان للثائرين الوطنيين من حملة الأقلام .

فسطع نجم النديم وارتفع صيته وانتشرت جريدته حتى ضجت منه ومن الصحيفة كبريات الصحف الانجليزية كالتيمس والديلى نيوز .

وفى ذلك يقول المرحوم أحمد شفيق باشا ـ فى مذكراته السياسية : (كان عبدالله النديم يستثير الشعور دون حيطة أو تبصر ، وكان قلمه فى جريدة الطائف شعلة من نار ولسانه فى خطبه حربا عوانا على أعداء الثورة)(١٠) .

ما بعد فشل الثورة :

لما خبت تلك الثورة وقبض على من قبض من أعلامها اختفى الشيخ عبدالله النديم ولزم التنكر داخل البلاد عشر سنين حتى لا ينفذ عليه الحكم الذى صدر ضده بالنفى من مصر ، ولما لم تتمكن السلطات والإنجليز من القبض عليه رصدوا مكافأة قدرها ألف جنيه ذهبا لمن يدلهم عليه بعد أن أعيتهم فى ذلك كل الحيل .

فوشى به بعض الجواسيس من صنائع الإنجليز فقبض عليه فى أكتوبر سنة ١٨٩١ م وحبس أياما على أن يترك البلاد إلى حيث يشاء فاختار (مدينة يافا) فى فلسطين مقاما له ، ثم اضطرت السلطات الحاكمة فى مصر تحت ضغط الرأى العام إلى السماح بعودته للبلاد فعاد إليها سنة ١٨٩٢ م أشد صلابة وأقوى عزيمة حيث استأنف جهاده فى مجلة جديدة أسماها (الأستاذ)(١١) .

النديم بين « الأستاذ » والنفى :

كانت مجلة الأستاذ التى أنشأها النديم بالقاهرة مجلة علمية أدبية يدس فيها المغامز ضد الحكومة ، وسلطات الاحتلال أحيانا ، وأحيانا أخرى كانت تغلى فتصب جام الغضب على الإنجليز فعلا صيتها وتخطفها الناس فأغلقتها الحكومة وأعادوا نفيه سنة ١٨٩٣ م إلى مدينة يافا(١٢) .

السلطان والنديم :

ترك الشيخ عبدالله النديم (مدينة يافا) وتوجه إلى الآستانة بناء على طلب السلطان عبدالحميد ، فنال خطوة لديه إذ عينه مفتشا للمطبوعات ، وقد التقى هناك بأخيه فى الكفاح السيد جمال الدين الأفغانى فرحب به غاية الترحيب وخفف عنه ما نزل به أعظم التخفيف وهش له وبش فى وجهه ثم لازمه ملازمة الظل حتى الرمق الأخير من حياته(١٣) .

وفاته :

وهناك فى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية توفى الشيخ عبدالله النديم فى أكتوبر عام ١٨٩٦م وتزاحم الناس يومئذ أشد الزحام فى وداعه إلى مقره الأخير على ضفاف البسفور فى موكب مهيب يليق بما كان له من نبالة الشأن وعلو الهمة وأصالة النفس وثبات الجنان وشجاعة الرأى وإخلاص وتفان فى حب الإسلام والوطن .

---

(١٠) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

(١١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام تأليف الأستاذ محمد كمال السيد سلسلة البحوث الإسلامية صدر فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر طبعة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م الهيئة العامة للمطابع الأميرية .

(١٢) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق وكتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى المرجع السابق .

(١٣) مجلة منبر الإسلام المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

فقيدنا الأستاذ السيد قرون

بقلم : الأستاذ خليفة عبدالرحيم محمود التونسى

هذه رسالة يَخُطُّها تلميذ من تلاميذ الأستاذ حسن قرون التونسى رحمه الله ، وهو عاتب على نفسه ومليم لها أن يكون حظه من الكتابة عن علم من أعلام الأزهر ـ فى آخر الناعين وعاتب على نفسه لأنه من طينة البلدة التى ولد بها « قرون » وأيًما كان الأمر فقرون من الأعلام لا يحتاج إلى التعريف من رجل مثلى .

قلت : إنه من أبناء بلدتى تونس بمحافظة سوهاج .. التى كان يحرص كل الحرص على المجىء إليها فى آخر كل عام ـ فهو يحب طينتها ويعتز بها وخاصة حينما أطلق عليها بعض مجاوريها ومما حولها من البلاد آنذاك « تونس بلد ٱلْعُلَّام » ولذا كان الشيخ قرون يلقى على النشء بعضا من دُعَابَاتِهِ فى شأن بلدته وتسميتها بهذا الاسم ـ قال : زعموا أن رجلا فى الزمن القديم عربى الأصل كان نازحا

من تونس الغربية فرارا بدينه من الظلم الذى فُرض عليه ـ فاخترق حدود ليبيا ومنها إلى مصر ـ ومازال يمشى على قدميه حتى وصل إلى هذه البقعة من الأرض ليحط رحاله ـ وهاله أن لا يكون له سَندُ يؤهله للمِكْثِ والاستيطان فَكان يحمل معه خاتما من الخشب أوْدَعَهُ فى صفيحة شأن عمال الطرق وذكر فيه نسبه إلى تونس « قرطاجنة » وكان يسعفه من الأدلة دليلا كالشمس لا يختلف عليه اثنان ولا تتناطح فيه عنزان ، كان الرجل النازح يقول هذه الأرض البسيطة ما بَسطت والواسعة ما وسعت ـ هى بلاد الله ـ وأنها قطعة من بلادى الأصل فأنا أشم ريحها وعبيرها ، وكان يقول للأفراد الذين استوطنوها قبله هى بلدتى وأصلى وهى مقامى ومكثى .

وإن أردتم إيضاحا أكثر فَلِمَ سُمِّيتْ البلدة القريبة منكم من ناحية الغرب (بجزيرة شندويل) ؟ ألا يُعطى هذا البيان أحقية لى فى هذه الأرض ـ تقول خريطة العالم العربى : إن تونس قريبة من الجزائر ـ وهذه تونس الصعيد ملاصقة لجزيرة شندويل ـ فلم تنكرون على حقى ؟ وتشبث الرجل بأدلته وفى النهاية سلموا له بالأرض قائلين : لتكن مشيئة الله ، تونس ـ .

وذكرت ذلك لأبين وفاء « قرون » لبلدته وزيارته لأهلها الأحياء منهم والأموات .. ولقد أحسن صنعا ـ ليسير الناس على دربه ، وليتذكر أهل الريف قراهم وهم بالمدينة وليتخففوا من الزحام وليريحوا أعصابهم المكدودة طول العام وليتنفسوا هواء جديدا يغرى بالعودة إليه من حين إلى حين .

وتظل حكاية بلدتنا وتسميتها عند قرون ـ قرون هذا الذى لم أحظ بالجلوس إليه إلا بمجلسين أو ثلاثة على وجه الدقة .

وفى جلسة ممتعة من هذه الجلسات كان حديث والحديث ذو شجون حَلَا للأستاذ قرون أن يسأل عن شخصى الذى يضحك من الأعماق لنكاته ودعابته ـ وكان رحمه الله بارعا فهو يمد الخيوط بينه وبين سامعيه ـ فقال : أظن الطالب فى الأزهر ، ومِمَّن قرأ لابن مالك فى ألفيته .

كلامنا لفظ مفيد كاستقم
واسم وفعل ثم حرف الكَلم

قلت نعم ـ هو ذاك ـ فقال : أعانك الله .

فسمعت الأستاذ محمد خليفة التونسى ـ يهمس إليه فى الكلام ؛ كى أتحاشى ما أسمع .. فكان مما سمعته : إنه طالب بالسنة الرابعة من القسم الثانوى بالأزهر ، وتعثر مرتين فى تلك السنة فهو بائس ـ ومع بؤسه فهو عجيب ـ فقال الرجل « اقرون » : وكيف ذلك ..

قال : إنه سيء الحظ هذا وقعت فى يده صورة على مساحة كبيرة من الطول كانت توزعها شركات (البيبسى كولا) كنوع من الدعاية فاستهواه جمال الفتاة المصورة فجاء بهذا الذى تسمع :

احْكُمِى الدنيا بسلطان الجمال
وإهزُمِينا دُونَ قَتلٍ أو قتال
نحن أسرى الحرب لا أسرى النزال
آه ما أضعفنا فى كل حال
نغلب الوحش ويسبينا الغزال

وما إن سمع قرون هذه الألفاظ حتى عقب عليه بقوله :

يا شيخ خليفة غَنِّ وَرَجِّعْ إن الذى لا يطربه غَرَدُك لأصم ـ لا تحزن على رسوب أبدا ـ فشر المصيبة أنْ لَا تُصابِ .

الحق أن السيد حسن قرون كان ذا دعابة بارعة وكان ذكيا وأخلاقيا معا ـ ناهيك عما عَبَّه من بطون الكتب وما شيده فى الليالى الطوال حتى أصبح الأديب الشاعر والناقد الفذ كما كان فى الملاحم فارس الحلبة ـ لا يهاب فى الحق كبيرا ـ ولا يجامل صديقا ـ فالكل فى حق لديه سواء .

كان العقاد فى قمته وكان قرون فى أوج شبابه طالبا بكلية اللغة العربية كانت له مع العملاق محاورات ومساجلات تخرج العقاد عن طوره فيهاجم قرونا لا هجوم أستاذ لتلميذه وإنما هجوم قرن لقرنه وَندٍّ لِندٍّ الأمر الذى جعل الدكتور زكى مبارك يشيد بقرون وقد أنزل العقاد من عليائه ـ فيجىء إليه ويقول ممازحا ـ يا عقاد لقد نطحَكَ قرون فيرد العقاد قائلا :

كناطِحٍ صخـــرة يومـــاً ليـــوهنها
فلـم يضرهـا وأوهـى قرنـه الوعـل

هذه مسلمات لا جدال فيها ولا شك
ومن الذى ينطح العقاد ؟ إنها
مسلمات لا تغيب عن ذهن قرون
ولكنها الجرأة والشجاعة التى
اتسم بها قرون منذ نشأته فهو لا يهاب عقادا ، ولا يجامل صديقا ولا يخشى عدوا ـ ولذا كان العقاد يفخر بقرون كأديب من الأدباء وعالم من جهابذة العلماء فهى شهادة من عظيم لعظيم رحم الله الجميع .

أخى القارىء عزاؤنا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾ .

سورة العلق ـ آية : ٨

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ ﴾ .

سورة النجم ـ آية : ٤٢

هذه مشيئة القدر ومن ذا يرد القدر ـ لا فكاك ولا مهرب فالكل إلى الله راجع .

أخى القارىء إننى أشكر فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى والأستاذ الفاضل عبدالحفيظ فرغلى فهما أول من نعيا صديقهما قرون ـ كما لا أنسى الأستاذ أحمد مصطفى حافظ حين أطلعنا على وقوف قرون بالروضة الشريفة متمثلا بتلك الأبيات يناجى فيها النبى ـ ﷺ ـ :

يا خاتم الـــرسل إنى جئت معتـــذرا
والعفـــو عنـــدك بشرى تدفـــع الضر
فمـذ عقلت وشوق فالـــق كبـــدى
واليـــــوم يهدأ شوق ظل مُستَعـــــرا
لقـد توانيتُ عن ركب المنى زمنـــا
وهـا أنـا ذا أُبـارى الركب معتمـــرا

هذه بشرى وبشرى ـ علو فى البداية وعلو فى النهاية ـ إننا نسأل الله الكريم أن يسكنك فى جنات النعيم جزاء ما كَتَبْتَ وجزاء ما شيدت ، وفى النهاية جزاء ما عقلت فاعتمرت وإنا لله وإنا إليه راجعون .

طرائف و مواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« القرآن »

حبل الله الممدود ، وعهده المعهود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ومحجته الوسطى .

وهو الواضح ، سبيله الراشد دليله ، الذى من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنه ضل وهوى .

حجة الله وعهده ، ووعيده ووعده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، ويَتَنَبَّه الساهى ويتذكر اللّاهى ، بشير الثواب ، ونذير العقاب وشفاء الصدور ، وجلاء الأمور .

من فضائله : أنه يقرأ دائمًا ويكتب ويملى ولا يُمَلّ .

« عاقبة الظلم »

قال كعب لأبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : فى التوارة من يظلم يخرب بيته .

فقال أبو هريرة : وذلك فى كتاب الله ـ تعالى ـ « فَتِلْكَ بُيُوتهم خَاوِيةٌ بمَا ظلموُا » .

« قالوا ... »

● اتقوا الله فيمن لا ناصر له إلا الله .

● إياك ومعصية الله ـ تعالى ـ فإنه ما عصى الله كريم ، ولا آثر على الله غير الله إلا لئيم .

● إن من البلاء أن يكون الرأى عند من يملكه لا من يبصره .

● ما ملاقات لبؤة سليت أشبالها بأصعب من لقاء جاهل راضٍ عن نفسه .

● ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك .

● النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام .

« بيت ضَلَّ عنه »

دخل النابغة على النعمان بن المنذر فأنشده :

تَخِفّ الأرض إن فقدتك يومًا
وتبقى - ما بقيت بها - ثقيلًا

فنظر إليه النعمان مغضبًا ، وكان كعب بن زهير الشاعر حاضرًا ، فقال : أصلح الله الملك إن مع هذا بيتا ضل عنه وهو :

لأنك موضع القسطاس منها
فتمنع جانبيْها أن يميلا

فضحك النعمان وسرى عنه .

« صيحة بصير »

كل شبر فى ربا « البوسنة » ملتاع الجفون
أترى قد مات فى الأرض ضمير المسلمين
يرقبون المشهد الدامى وما تبكى العيون
يرقبون المشهد الدامى سكارى ناعمين
حسبهم بث بيانات بعزم مستكين
ماتت النخوة فيهم وانتهى العهد الأمين

« رشاد يوسف »

« علامة حسن الخلق »

قال السيوطى - رحمه الله - : علامة حسن الخلق عشرة أشياء :

قلة الخلاف .
وحسن الإنصاف .
وترك طلب العثرات .
وتحسين ما يبدو من السيئات .
والتماس المعذرة .
واحتمال الأذى .
والرجوع بالملامة على النفس .
والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره .
ولطافة الوجه للكبير والصغير .
ولطف الكلام لمن هو دونه وفوقه .

« إنه لكما قلت »

قال الأعمش ، قال لى محارب بن دثار :

وليت القضاء فبكى أهلى ، وعُزلت عنه فبكوا ، فما أدرى مم ذاك ؟

فقلت له : وليت القضاء فكرهته ، وجزعت منه فبكى أهلك ، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك فقال : إنه لكما قلت .

« ما تشتهى ؟ »

قال سَلم بن قتيبة للشعبى :

ما تشتهى ؟

قال : أعز مفقود ، وأهون موجود .

قال : يا غلام « أسقه ماء » .

« حقا »

إذا تم أمــر دنـــا نقصه
توقـع زوالا إذا قيـل تَمّ

« دعـاء »

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع ، اللهم أجعل خير عملى ما قارب أجلى .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المسلمون فى مفترق الطرق

لصاحب الفضيلة:

الشيخ عبد الحميد المسلوت

اعداد وتقديم الأستاذ/عبد الفتاح حسين الزيات

أمة الاسلام فى « الإسلام » ينبغى أن تكون وحدة واحدة لا تتجزأ ولا يجوز أن تترك ليصيبها العطب أو يعدو عليها الزمن ولا سبيل الى صيانة هذه الأمة الا بتحصينها وذلك بأن يقوم كل فرد فيها حاكما ومحكوما بعمله حتى يظل الترابط قائما ، والتراحم موجودا والأواصر باقية .

نعم إن نظرة على واقع أمة الإسلام فى عالم اليوم تدعونا الى التمسك بتعاليمه وقيمه لنستعيد أمجاده

ولا ننساها فنكون من الذين « نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ[1] » « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ »[2] .

قال الأستاذ رحمه الله :

تسرع الأمم الحية ، وتخف الشعوب الناهضة الى التماس العبرة واقتباس العظة مما تسوقه الأحداث المطيفة وتتمخض عنه الأيام من وقائع ومفاجآت ، لتقف فى معترك الحياة قوية الجانب منيعة البنيان خفاقة العلم ، كاملة الهيبة ، لا يتمكن منها عدو ، ولا يتحكم فيها دخيل ولا يبسط عليها ظالم يد الظلم ، ولا يمد إليها سيف البغى والعدوان .

والأمة التى تمر بها الخطوب وتحل بساحتها المحن ، فلا تثير من حفيظتها ، ولا توقظ من غفوتها ، ولا تلهب من غيرتها وحماستها ، هى أمة متبلدة الحس ، فاترة النفس لا تستحق البقاء لأن منطق الوجود يحتم عليها أن تشعر وأن تنفعل بما يجرى حولها من الظواهر .

هكذا علمنا التاريخ ، وقص علينا الزمن . فالأمة تعز وتسود وتبقى وتخلد بمقدار ما يتغلغل فيها من مضاء العزم وذكاء القلب ونقاء الفطرة ، وما يسرى فى دمها من شجاعة ويوجهها من إيمان بالله واستعصام بالفضائل .

فإذا ضعف فيها الإيمان وتزلزلت الثقة وتحللت الرجولة ونال منها الخمول وألقت عن كاهلها العبء واستسلمت للماضى تعيش على أطيافه وتتغنى بأطلاله وتسبح مع خياله ، سكن فى نفسها معنى الهزيمة ، وربض فى حياتها روح الذل ، ولازمها دائما مظهر الضعف والاستسلام ، فتوارت فى زحمة الحياة ، وتخلفت عن ركب الوجود ، وأصبحت هدفا لكل رام وغرضا لكل صائد .

ولقد أنذر الرسول الأكرم ـــ صلوات الله عليه ـــ المسلمين بهذه الحالة حين قال « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » . مسند الإمام أحمد .

إن للمسلمين فى ماضيهم المجيد عبرة أى عبرة ، ولهم كذلك مثل عليا تروع الناس بجلالها وجمالها .

لقد كانت لهم دولة قامت على الخلق وتحصنت بالعدالة وسادت فى ربوعها الحرية والإخاء والمساواة وأشرق عليها نور العطف والتراحم فكان المسلم على قلب أخيه المسلم : يفرح لفرحه ، ويأسى لأساه ، ويدبر له فيما ينوبه من مهام العيش ومشاكل الحياة ، إذا مرض عاده ، وإن افتقر عاد عليه ، وإن غاب سأل عنه ، وإن مات تبع جنازته وتعهد أسرته ، وإن زاغ عن الحق أذكره به وحمله عليه ، وإن تحرف عن الهداية بصره بالسبيل القصد وسدده على النهج الواضح .

وكان لهم ولاة ورعاة يستشعرون فى أعماقهم خوف الله فيما ولاهم ، ويتمثلون رقابته فيما عهد

١ ـ الحشر ١٩ .
٢ ـ الرعد ١١ .

إليهم من أمانة ، ويلوح لهم دائما دستور عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسأل عنه آل الخطاب » .

كانت للمسلمين دولة قامت على الأمانة والعفة ، فلا يطمع حاكم ولا محكوم فيما ليس من حقه أن يأخذه ، وكانت عفتهم فى هذا مضرب المثل ، حتى ليروى أنه قد أتى عمر ابن الخطاب بتاج كسرى عقب فتح فارس ، فاستعظم الناس قيمته لما كان يحوى من جواهر . وجعل عمر ينظر إليه متعجبا . ثم قال : والله إن قوما أدوا إلينا مثل هذا لأمناء فالتفت اليه على بن أبى طالب وقال : يا أمير المؤمنين ، إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

كان أسلافنا رضى الله عنهم يوقنون أن أساس عزة المسلمين هى قول الحق تبارك شأنه:« إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ » ، وبهذا الشراء أو بهذه العقيدة انطلقوا يحملون الراية ويخوضون المعامع ، لا يحرصون على دنيا ولا يلتفتون إلى حياة ، وبهذا دكوا المعاقل واقتحموا الحصون وثلوا العروش وصرعوا التيجان ، وتغلبوا على خصوم أقوياء أشداء وامتلكوا أرضهم وديارهم ،وقفوا فى ساحاتهم يرددون قول رب العالمين : « كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ »(١) .

فلما بدل المسلمون ما بهم ونسوا الخلال والآداب التى ملكوا بها الدنيا ، والتعاليم التى بهروا بها العالم ، لما نسوا سماحة دينهم ورسالة نبيهم والشمائل التى يجب أن يتحلى بها جندى الإسلام ، لما نسوا التقى والورع وحرصوا على الشهوات والمطامع ، وتسرب الدخيل إلى صفوفهم فأشاع فيها الخصام والفرقة ، وتمكن العدو منعهم فألقى بينهم العداوة والبغضاء ، وتركهم شيعا وأحزابا ، يلعن بعضهم بعضا ، وينشر بعضهم سيئات بعض وهكذا تقسمتهم المحن وانتاشتهم الغوائل وأصبحوا غرضا للزمان يرميهم بنبله ويقذفهم بسهامه .

لماذا يتصايح المسلمون الآن بالشكوى ويجأرون بالأنين ؟ لماذا يقفون فى المعترك الدولى يتلقون لطمة إثر لطمة ، ويستقبلون عدوانا بعد عدوان ويستصرخون خصومهم أن ينجدوهم فلا يرون منهم نجدة ويتلفتون الى اعدائهم أن يعينوهم فلا يحسون منهم من عون أو نصير ؟ لماذا ضعف المسلمون وغلبوا على أمرهم وملكوا زمامهم ومواردهم ومصاير أمورهم لمن لا يحس فى قلبه رحمة لهم ، ولا تتردد فى فؤاده عاطفة من الاحترام والحب نحوهم ؟

ليس لذلك من سبب إلا ضعف الإيمان وانحلال العزم وفتور النفس والاغترار بالدنيا والبعد عن الله .

ليس لذلك من سبب إلا أنا تعودنا أن نقول فنحسن القول ، فإذا اتجهنا الى العمل خارت قوانا وتفككت أوصالنا وشاع فينا التخاذل والنكوص !

---

(١) سورة الدخان ٢٥ ــ ٢٩

هؤلاء إخواننا فى الدين يلقون ألوانا مضنية من الاعنات والإرهاق ، فماذا صنعنا لهم وماذا قدمنا من أجلهم ؟ هؤلاء إخواننا فى فلسطين يسامون الخسف ويلقون الذل والهوان والعسف ، يسفك العدو دماءهم ويمزق أشلاءهم ويهتك حرماتهم ، ويقف فى الميدان الدولى وقد تلطخ وجهه بجريمته فما يندى له جبين من الخجل ، وما يخفت له صوت من الحياء .

ها هى ذى قراهم تدمر وأرزاقهم تسلب وقادتهم وزعماؤهم يقتلون ويسجنون ، وشبانهم يتساقطون صرعى تحت وابل الرصاص المنهمر من الأيدى الغادرة المجنونة ، فماذا صنعنا لهم مما يعين به الأخ اخاه ويسعد الجار جاره ؟!

إن العقلية الاستعمارية لم تعتبر بما مر عليها من عظات الحياة وعبر الأحداث وضربات القدر . لقد كانت بالأمس تستصرخ الدنيا وتستنجد العالم ليعينها على عدو أذلها وعبث بمقوماتها ومقدساتها ، وكانت تصور الظلم ومآسيه بصورة تقشعر لها الجلود ويشيب منها الولدان ، فما بالها لم تنفض عنها بعد غبار الهزيمة والعار ، تحاول أن تمثل دور الظالم الطاغية الذى يستمتع بمنظر الدماء المسفوحة ، والاعراض المفضوحة ، والجلود الممزقة .

إنه لا ينبغى أن نخاطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمى ولا الأمن الدولى ولا القوانين التى يحتمون بها ويدعون أنهم حاملو لوائها ، لأن هذه الكلمات لا وزن لها فى نفوسهم ولا تقدير لها فى مجتمعاتهم ، ولا ينبغى أن نخاطبهم باسم العاطفة الإنسانية والرحمة البشرية التى تسكن كل قلب وتسرى فى كل نفس ، فقد صفرت قلوبهم من العاطفة وخلت نفوسهم من الرحمة ، وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة .

فهؤلاء الذين تمردوا على إنسانيتهم وثاروا على بشريتهم ، ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العاوية ، لا يجدى لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه الى الشعور والإحساس .

إنما منطقهم الذى يفهمونه واللغة التى تفزعهم وترهبهم هى لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التى لا تضعف ولا تلين .

لقد هب المسلمون فى كل مكان وتيقظوا لأساليب الاستعمار ودسائسه ومكايده التى يدبرها فى كل مكان ، ولن يغضوا عيونهم بعد اليوم عن القذى ، ولن يطووا صدورهم على الهوان . وعندما تنطلق الصيحة من أقصى الشرق فسيتردد صداها فى أقصى الغرب .

فلنقف على اقدامنا نستمد القوة من صدورنا وإيماننا ، ولنلتمس الحلول من وحى تفكيرنا وعقولنا ، وليكن شعارنا دائما فى كفاحنا وجهادنا ، قول الله تبارك وتعالى :

« وأعدوا لهم ما استعطتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

بهذا نأخذ فى الحياة وضعنا الكريم الذى ننشده ، ومكاننا اللائق الذى نصبوا إليه . ونستطيع أن نفخر حقا بأننا مسلمون تجرى فى دمائنا العزة الاسلامية ، وتملكنا الفضائل الدينية الكريمة والله الهادى إلى سواء السبيل .

الإمـــام والخطيب

تقدم مجلة الأزهر ـ بعون من الله تعالى ـ وباسترشاد من هدى رسول الله ﷺ ، للإخوة الأئمة والخطباء نماذج لأركان خطب الجمعة تسد مطالب الشهر العربى ، لمن أراد أن يسترشد بها .

وإن أصحاب الفضيلة الخطباء ـ أمام كل أنموذج منها ـ يمكنهم أن يعدوا منه خطبة وافية بالغرض المنشود .

ولما كان للخطبة منزلتها الرفيعة ، وأثرها الفعال فى تقدم الأمم وحضارتها ورقتها ـ خاصة خطبة الجمعة ـ حيث تنطلق الدعوة إلى الله من مراكز الإشعاع الروحى والأخلاق ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ ﴾ . سورة النور

ومن أجل النهوض بخطبة الجمعة اقتضت خطة النشر بمجلة الأزهر أن يقوم أعلام متخصصون فى مجال الدعوة إلى الله ، باختيار بعض الخطب وتقديم أركانها وعناصرها مستوفاة .

راجين من الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الإخوة الخطباء فى أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ـ وأن يجدوا فيما نقدم حاجتهم أو بعضها وإن محرر هذا الباب ـ من جانبه ـ سوف يلبى طلب من يكتب إليه فى خطبة معينة ، أو فيما يراه مما يحقق النهضة بخطبة الجمعة .

والله نسأل أن يفتح بهذا الباب فتحا مؤزرا بالتعاون مع العلماء والخطباء والمحررين المتخصصين حتى يظهر فى المجتمع ـ خطبة لها فائدة العلم وروعته وهداه .

والله ولى التوفيق ..

مكانة العلم فى الإسلام

بقـلم :
فضيلة الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح
المدير العام للدعوة والاعلام بالأزهر سابقا

النموذج :

الاستشهادات :

(١) ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾

المجادلة : ١١

(٢) ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

الزمر : ٩

(٣) ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

العنكبوت : ٤٣

(٤) ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فاطر : ٢٨

(١) « عن أبى واقد الليثى قال : « بَيْنَمَا رسول الله ﷺ : جَالِسٌ فِى الْمَسجِدِ ، إذ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفرٍ ، فَأقْبَلَ اثْنَانِ : إلى رسول الله ﷺ : فَرَأى أحَدُهُمَا : فُرْجَةً فى الحلقة : فَجَلَسَ ، وَجَلَسَ الآخرْ خَلْفَهُمْ ، وَأمَا الثَّالِثُ ، فَذَهَبَ مُدْبِراً ، فَلَمَّا فَرَغَ رسول الله ﷺ ، قَال : ألَا أُخبِرُكُمْ عَن النَّفر الثَّلاثَة ؟ أمَّا أحَدُهُمْ : فَآوَى إلَى الله ، فَآوَاهُ الله ، وَأمَّا الآخَرُ ، فَاسْتَحيَا الله تَعَالَى مِنْهُ ، وَأمَّا الآخَرُ : فَأعْرَضَ ، فَأعْرَضَ الله تَعَالَى عَنْهُ » .

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

(٢) عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّين » .

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

(٣) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فِى طَلَب الْعِلْم : فَهُوَ فِى سَبيل الله حَتَّى يَرْجِعَ » .

رواه الترمذى

العناصــر :

(١) العلم مشعل : ينير الطريق : إلى مجد الأمة ، ويرشدها إلى مكان عزتها وكرامتها ..

(٢) للعلماء فى الإسلام منزلة كبيرة ومكانة سامية .

(٣) الإسلام : يرغب فى البحوث العقلية ، والمجهودات الفكرية ، والمحاولات العلمية والعملية ..

(٤) الإسلام : دين متطور : ينادى بالعلم والثقافة ، وفهم الواقع ، والاستفادة من خبرات وتجارب كل فرد ..

البحث العلمى :

(١) لقد اقترن العلم بالنور والضياء ، كما اقترن بالكمال والبقاء ، وقد خطت البشرية فى حياتها خطوات واسعة ، كان العلم مقياسا لكل خطوة تخطوها ، وعلى كذا كان العلم فى تطوره : تسجيلا لتطور الإنسانية نحو الرقى والحضارة .

(٢) الإسلام : يدعو الى الثقافة الثائرة على المواريث الباطلة ، والعادات المنحرفة ، والمفاهيم الخاطئة ، فهو يعلم الناس من جهالة ، ويهديهم من ضلالة ، ويرشدهم من غواية ، ويخرجهم من الظلمات الى النور .

(٣) لقد كان الإسلام ثورة ثقافية : زلزلت القيم والأفكار التى كانت سائدة ، وحطمتها لتقيم مكانها قيما وأفكارا : من نوع جديد ، تحترم الإنسان ، وتحترم عقله ، وخبرته ، وتجاربه : فى كل نافع مفيد .

(٤) سار المسلمون الأوائل على هذا الطريق : الذى رسمه لهم الإسلام ، درسوا واجتهدوا ، فَسَارُوا وتقدموا ، وأنشأوا حضارات رائعة : أثرت فى حياة الإنسانية كلها .. ولم يفتهم أن يستقبلوا كل أنواع المعرفة ، ويتصلوا بجميع المدنيات ، ويأخذوا منها بحظ وافر ويفعلوا بها ما تفعل النحل بالزهور . فتحولها إلى شراب سائغ ، مختلف ألوانه ، بما يحقق الخير للبشرية .

الرشوة وعواقبها الوخيمة

بقــلم
فضيلة الشيخ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

النمـوذج :

الاستشـهادات :

(١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ .

النساء : ٢٩

(٢) ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾

البقرة : ١٨٨

(٣) ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

المائدة : ٦٣

(١) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه قال : « لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ : الرَّاشِي وَالْمُرتَشِي » .

رواه أبوداود والترمذى وقال حديث حسن صحيح

(٢) عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه : عن النبى ﷺ قال : « الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي : فى النَّارِ » .

رواه الطبرانى ورواته ثقات

(٣) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « لَعَنَ رسول الله ﷺ : الرَّاشِي وَالْمُرتَشِي فِي الْحُكْم » .
رواه الترمذى وحسَّنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وزاد : « وَالرَّائِش : يَعْنِي الذى يَسْعَى بَيْنَهُمَا » .

(٤) عن ثوبان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لَعَنَ اللهُ الرَّاشِي وَالْمُرتَشِي ، وَالرَّائِشَ : يَعْنِي الَّذى يَمْشِي بَيْنَهُمَا » .

رواه احمد والحافظ البزار والطبرانى

العناصـــر :

(١) الرشوة : داء دفين ، ومرض خبيث : تغلغل فى مصالحنا ، واقترن بحاجاتنا ، ولازمنا فى أعمالنا .

(٢) حرم الإسلام الرشوة ، لأنها أكل لأموال الناس بالباطل .

(٣) الهدايا التى يقدمها المرءوس لرئيسه فى العمل : رشوة مُقَنَّعَةٌ .

(٤) الرشوة : طبقات من الظلم : بعضها أشد من بعض .

(٥) الإسلام يتوعد المرتشين بسوء المنقلب .
(٦) العلاج الأمثل لمكافحة الرشوة .

البحـث العلـمى :

(١) الرشوة إثم كبير ، وظلم كثير ، وسحت حرام ، واختلاس للأموال بالباطل .
(٢) قبيح بنا : أن نتقدم بالرشوة : إلى من بيده إنجاز أعمالنا ، ونحاول أن نستميله لأخذها ، فنجنى عليه شرَّ جناية ، ونُعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها . ونُعلمهُ الطمع والجشع ، وفى هذا إفساد لنفسه وتخريب لأمته ، وبيعٌ لضميره بدراهم معدودة .
(٣) الهدية التى تقدم من العامل لرئيسه : تعتبر رشوة .
عن أبى حميد الساعدى « هَدَايَا الْعُمَّال سُحْتٌ » رواه أحمد .
(٤) إن الوعظ وحده : لا يكافح الرشوة ، وإنما الذى يكافحها : هو الخوف من الله : ومراقبة الديان : الذى سيحاسب كل إنسان عن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وإلا فإن فى القانون ردعاً لأولئك الذين لا ضمائر لهم !!

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

فضيلة الشيخ : عبدالمعبود الجمل

العزة فضيلة بين رزيلتين الكبر والذلة وهى من أسمى الفضائل التى يتحلى بها المرء يواجه بها سلطان المستكبرين وعتو المتعالين وقوة المتجبرين وزهو المتفاخرين فمن تمسك بإيمانه ووثق فى نفسه وتمكن من علمه كان سيدا مطاعا ونبتا كريما فى مجتمعه استمد مكانته من فيض الهى بعيد عن الإثم والعدوان وأبواب السلاطين وأعتاب الحكام ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ سورة فاطر : ١٠

روافد العزة. من الروافد التى تبنى عزة النفس وتقويها الإيمان الصادق بالله عز وجل فهو وحده المتصرف فى الكون.ما قدره سوف يكون ولو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوا الإنسان بشيء لم يكتبه الله له لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يكتبه عليه لم يضروه إلا بشيء كتبه الله عليه كل هذا سبق به الكتاب وطويت به الصحف وجفت الأقلام وعلى ذلك فلا يمد يده إلا إلى ربه ولا يلجأ إلى غيره فإذا أصابته حسنة فمن الله وحده وإن أصابته سيئة فلا كاشف لها إلا هو عز وجل سأل جبريل عليه السلام نبى الله وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما دفعه المتجنين إلى النار ألك حاجة يا إبراهيم فرد عليه بقوة المؤمن وعزة النفس أما اليك فلا وروى عبدالله بن مسعود أن النبى ﷺ قال : « **لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يأتك الله به** » .

العلم والمعرفة وبذل ما عند المرء من معرفة إلى الناس مع التزامه بما يفرضه عليه العلم من قيم سامية واخلاق فاضله فالعلماء ورثة الأنبياء وليس هناك من رتبة أعلى من رتبة النبوة وليس هناك من درجة أعظم من درجة الوارثين لهذه المرتبة ـ طلب الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك أبا حازم العالم العامل أن يقابله فى مجلسه فلما حضر عنده سأله عما يريد معرفته فأجابه أبو حازم بقوة المؤمن وعزة العالم دون مجاملة فى الحق ولا مداهنة فى الدين ولا مراوبة فى الشريعة فأعجب به الخليفة وقال له يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك فقال أعوذ بالله فقال له الخليفة ولم ذاك ياأبا حازم فقال أخشى أن أركن شيئا قليلا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات . فقال له سليمان أرفع الينا حوائجك فقال له أبو حازم هل تنجينى من النار وتدخلنى الجنة .. فقال له الخليفة ليس ذلك لى فقال له أبوحازم فمالى إليك حاجة غيرها وهكذا يكون العلماء أخلاقا وعزة بما ورثوه من علم بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه فهو القائل : « **من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظم الله تعالى** » وقال أبو الأسود ـ ليس شىء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك .

التواضع ـ والعزة ليست غرورا وعميا وتكبرا وفخرا وإنما هى ارتفاع عن الدنايا وسمو بالنفس عن سفاسف الأمور وصغارها وهى فى معناها وحقيقتها لا تتنافى مع فضيلة التواضع وإنما يكمل إحداهما الأخرى ارتفاع دون كبر وتواضع دون منقصه ومزلة فلا يتيه المرء بعلمه وعبادته ولا يستصغر شأن الآخرين ازدراء بهم واستصغارا لشأنهم فأعز الرجال من تواضع من رفعه وزهد عن قدره وأنصف عن قوة .

والقناعة والرضا وقناعة الإنسان بما ساقه الله من رزق مهما كان كمه وكيفه مع الشعور بالاستغناء عن الغير يحقق معنى العزة والكرامة فمن الناس من يملك القناطير المقنطرة من الأموال والمتاع ومع ذلك فهو فقير ذليل يمد يده إلى الغير معنوياته محطمة وروحه من الطمع معذبة وفى الحديث « **ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس** » متفق عليه وهذا إمامنا الشافعى رضى الله عنه يقول معبرا عن قوة يقينه بربه وعزة نفسه الأبية :

همتى همة الملوك ونفسى
نفسى حر ترى المذلة كفرا
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى
فلماذا أهاب زيدا وعمرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا

فكم من فقير عزيز النفس عالى الهمة لا يمد يده من قلة ولا يسأل من حاجة يستوى عنده بتر الأرض وترابها فرزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره والله بعدله وفضله جعل الفرج فى اليقين . والرضا وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط وبيده وحده مقاليد السموات والأرض .

هذا أهم ما يحقق العزة للمرء فى حياته الدنيا ويحقق له السعادة والفوز فى الآخرة فهل من مدكر .

حجة الله على العالمين

فضيلة الشيخ : عبدالمعبود الجمل

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يخلق الناس على طبقات فمنهم من هو أهل للاصلاح والإصلاح أفاض عليهم اسرارا ربانية وعلوما إلهية أمكنهم بها أن يقوموا المعوج ويصلحوا الفاسد ويهدوا الحائر ويكونوا سببا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الغى إلى الهدى والرشد ومن الجهالة إلى نور المعرفة والعلم هؤلاء هم الذين اصطفاهم الله سبحانه للرسالة والنبوة حتى لا يكون للناس على الله حجة . وقد فرض الله سبحانه على العباد طاعتهم واتباع هديهم وجعل لمن انقاد لهم وسار على طريقتهم القبول والرضا والسعادة فى الدنيا والآخرة وجعل لمن خالفهم وناوأهم للعن الطرد من رحمته والبؤس والشقاء والحيرة فى أمرهم يقول عز من قائل ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء : ١٦٥ ، وقال سبحانه متوعدا من خالفه وعصاه : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ سورة طه : ١٢٣ـ١٢٤ـ ١٢٥ ــ ١٢٦ .

وكان رسول الله ومصطفاه من خلقه محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه أعظم النبيين والمرسلين شأنا وأسماهم قدرا فهو رسول

الله إلى الناس كافة بعث لكل أبيض وأسود وهو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو النبى الأمى شرح الله صدره ورفع ذكره ووضع عنه وزره وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه وأدبه فأحسن تأديبه وقال فى شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وأخرج به الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد فأتم الله به النعمة وأكمل به مكارم الأخلاق .. قال صلوات الله وسلامه عليه :
« مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس ينظرون ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة – يعنى لو وضعت هذه اللبنة مكانها ولم ينقصها البناء لكان تاما وعجيبا – فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله – وكان قومه خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله – محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .

ولقد كان بعثة ﷺ يتضمن بعثتين .. الأول يؤخذ من قوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ سورة الجمعة : ٢ .

والثانى يؤخذ من قوله تعالى :
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾
سورة آل عمران : ١١٠ ، ومن قوله تعالى :
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ (سورة آل عمران)

وقوله ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
سورة التوبة : ١٢٢ ، وقال ﷺ :
« فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »
وقال : « **رحم الله امرءا سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع فرسول الله ﷺ أقام دينا وشيد ملة على هدى من الله وعلم منه – وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** .

وعلى نهج رسول الله ﷺ القويم عمل اتباعه فى كل زمان ومكان على تمكين هذا الدين الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده فى نفوسهم أولا ثم فى نفوس غيرهم من البشر وسيظل هذا الدين محفوفا بعناية الله ورعاية ظاهرا على الأديان كلها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ولو كره الكافرون .

فعلى كل عالم بأمور دينه أن يعلم الجاهل ما استطاع امتدادا للرسالة المحمدية مترسما نهج رسوله الأمين صلوات الله وسلامه عليه وكما أمره ربه فى قوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

وبهذا نكون أمة متعاونة يسودها الحب والإخاء والألفة والإستقرار فقد كان صلوات الله وسلامه عليه بالمؤمنين رءوفا رحيما – ومن هنا ينتشر الشعاع الإسلامى والنور المحمدى الذى جاء لهداية البشر ويقوم على حل مشاكلهم وتنظيم مجتمعاتهم ويحقق لهم التقدم والسعادة فى الدنيا والآخرة .

الإسلام في ألمانيا

بقلم الدكتور زكى صارى طوبراق(*)

(*) كاتب المقال : د. زكى صارى طوبراق تركى من مواليد (كوزلق) من (ديار بكر) عام ١٩٥٨م . درس القرآن الكريم على يدى والدته ونال الثانوية عام ١٩٧٨م ، ثم تخرج فى جامعة مرمرة (كلية الإلهيات) عام ١٩٨٣م ، ونـال الماجستير عام ١٩٨٥م عن « صفة التكوين عند أبى المعين النسفى » وكانت أطروحته للدكتوراه « المسيخ الدجال من منظار العقيـدة الإسلامية » .

تمتاز ألمانيا بنظامها الشديد التطبيق . ترى هذا النظام الدقيق فى كل شىء : من مواعيد المواصلات إلى مواعيد العمل فى المصانع والمستشفيات .. وكل شىء . وما قاله الأستاذ جمال بدوى رئيس تحرير جريدة الوفد ليس مبالغة فى الأمر : « أينما توجهت فى أنحاء ألمانيا لابد أن يسيطر عليك إحساس بأنك تتحرك فى معسكر عمل .. كل من فيه يؤدى واجبه فى جدية وانضباط .. القانون محترم .. والوقت مقدس .. والعمل واجب . كل هذا تراه فى عيون الناس . وتلمسه فى السواعد المفتولة ، والأقدام التى تدق الأرض فى ثقة وثبات » . الخطوات النسائية لاتقل خشونة عن خطوات الرجال . أنت فى حضرة شعب جاد جدا يضع كل شىء فى مكانه الصحيح . العمل له وقت مقدس لايجوز العبث به ، واللهو له أيام الآحاد فى المزارع والجبال وعلى شواطىء البحر .

بهذا السبب صارت ألمانيا أقوى دولة فى أوروبا الغربية عسكريا و(تكنولوجيا) ، وكثيرٌ من الألمان يعدّون أنفسهم شرقيين أى يعتقدون بأن أصلهم جاء من الشرق من (كرمان) البلد الواقع فى إيران حاليا ، وعلاقاتهم بالإسلام قديمة .

يروى أنَّ أوَّل علاقة ألمانيا بالإسلام كانت فى عهد (هارون الرشيد) ، حيث قام العاهل الألمانى (شارلمان) بإرسال وفد عام ٧٩٧ ميلادية إلى الخليفة العباسى هارون الرشيد ؛ لكى يرجوه حماية الحجاج النصارى الذين يقصدون الديار المقدسة ، والموافقة على إنشاء علاقات دبلوماسية بين بغداد و(آخن) ، ولبى الخليفة هارون الرشيد رجاء الإمبراطور الألمانى بعد أن قام فى نفس الوقت بإرسال عدد كثير من الهدايا إليه ، كان من جملتها عقود اللؤلؤ والعطور والأقمشة الحريرية وساعة دقّاقة(١) .

وإذا أمعنا النظر فى التاريخ جملة نرى أن هناك عوامل سلبية تمنع انتشار الإسلام فى العالم عامة ، وفى القارة الأوروبية خاصة برغم أن تلك العوامل بدأت تزول وتتقهقر ، وستزول تماما ـ إن شاء الله ـ وبدأ اعتناق الدين الإسلامى أكثر بكثير مما كان عليه فى الماضى .

ونلخص أسباب هذا المنع ـ نقلا عن العلامة النورسى ـ فى أمور :

قلة الثقافة العالمية عند أكثر الغربيين حتى لتكاد تكون معدومة فصاروا على جهل مطبق بالإسلام .

وبذلك تأخروا فى اللحاق بركب المعرفة الخالصة فأبعدهم ذلك حضاريا عن المستوى الرفيع للثقافة العالمية .

وتعصبهم المقيت لعقيدتهم .

وهذه موانع بدأت تخف شيئا ما بينما نجد عاملين آخرين لهما تأثير ممتد :

(أ) تحكم القسيسين .

(ب) وسيطرة الزعماء الرومانيين على أفكار الناس وأذهانهم ، وتقليد القسس تقليدا أعْمَى .

هذان المانعان بدورهما آخذان فى الزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشرى إلى البحث عن الحقائق(٢) .

---

(١) جابر عمر ـ بريد الشرق . سنة ١٩٦٤م . بون ص١٧

(٢) راجع الخطبة الشامية ، تأليف بديع الزمان سعيد النورسى ، ص٣٩ ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

ومن تلك العوامل ـ أيضا ـ خوف الكنيسة من انتصار المسلمين ـ وخصوصا ـ بعد أن وصل الجيش العثمانى إلى (النمسا) ودق أبواب (ڤيينا) . تدل على ذلك هذه الدعوات الحارة التى حفرها أهل النمسا على مدخل كنيستهم الكبرى فى ڤيينا والتى يقولون فيها : « اللهم احمنا من ثلاث : فيضان نهر الطونة ، وانتشار الحرائق ، وانتصار الترك » .

وكان أهل أوروبا يعنون بالترك جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم على اعتبار أن قيادة هؤلاء كانت مركزة فى أيد تركية .

ومن هنا كان الاهتمام بلغات العالم الإسلامى فى بداية الأمر ؛ ولأسباب سياسية خالصة ناتجة عن توغل الأتراك حاملى لواء الإسلام وقتذاك فى قلب القارة الأوروبية .

بدأ الغربيون تعلم اللغات الشرقية فى جامعة باريس عام ١٥٣٧م ، بعد ما رجع « ويلهلم بوستل » الذى بعثه ملك فرنسا (فرنسوا الأول) على نفقتـــــه الخاصة إلى (مصر) ، ثم إلى (استانبول) حيث تعلم اللغة العربية والتركية والعبرانية . وتلك كانت بداية الاستشراق بأوروبا ثور ألمانيا وكما كان الاستشراق أيضا لأسباب سياسية ، كذلك كان انطلاقا من أغراض دينية تبشيرية . فالذين تعلموا اللغة العربية جعلوها وسيلة لنشر النصرانية فى الشرق(٣) .

ومع مضى الزمن وتقدم الفكر والعقل وانتشار رجال الفكر فى أوروبا وفى ألمانيا خاصة ، تحول الاستشراق من وسيلة تمهيدية إلى غاية قائمة بذاتها ، وأصبح الاستشراق فى ألمانيا مادة علمية مستقلة(٤) ربما استطاعت ألمانيا به فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد أن تخرج بدراستها للعلوم العربية والإسلامية من ظلمة العواطف الدينية المتعصبة إلى نور الدراسة الموضوعية المتفتحة ، وأسهم بعض الباحثين بجهودٍ فى الدراسات العربية والإسلامية عن طريق التدريس والكتابة ونشر النصوص ، وذلك كان بقيادة المستشرق الألمانى « يوهان يعقوب رايسكى » (Reiske) وقدم كل من « فلوجل » (Flügel) وفلايشر (Fleischer) لدارسى اللغة العربية من الأوروبيين خدمات تذكر وتشكر . ومن تلك الخدمات : نشر « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » ، ونشر كتاب « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون » ؛ وكتاب « الفهرست » لابن النديم .

القرآن الكريم فى أوروبا

بدأ انتشار القرآن الكريم فى أوروبا بشكل غير متوقع . ومن الطريف أن رجال الدين فى أوروبا حاربوا القرآن الكريم فى القرن السادس عشر عن طريق الترجمة الخاطئة قصدًا ، وعن طريق إطلاق الشائعات بأن من يطبعه أو يحاول طبعه فإنه يلاقى الموت قبل أجله الطبيعى ؛ وبرغم هذا فقد انتشرت الترجمات للمعانى القرآنية باللغة الألمانية انتشارا هائلا . وقد أشار الدكتور محمد حميدالله فى مقالته تحت عنوان « الألمان فى خدمة القرآن » إلى أن الترجمات (للمعانى) القرآنية باللغة الألمانية

(٣) مجلة اللسان العربى جزء ٣ ص٣٠٧ .

(٤) الإسلام والمسلمون فى ألمانيا ، الشيخ طه الولى ، ص٧٥ ، بيروت ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م .

تصل إلى حوالى اثنتين وأربعين ترجمة ، أولها تبدأ فى السنة ١٦٥٩م ، وَكَتَبَ قائمة مفصلة لهذه الترجمات ، ولا شك أن انتشار هذا العدد من الترجمات فى دولة أوروبية لا يعتبر سهلا يسيرا .

وبرغم معارضة بعض رجال الدين لهذه الترجمات ـ فى البداية ـ إلا أننى شاهدت بعض علماء الدين فى ألمانيا ، أثناء زيارتى لهذا البلد فى فبراير عام ١٩٩٢م ، يؤيدون انتشار المساجد ويقولون : خذوا أولادنا وربُّوهم تربية إسلامية حقة ، فليكونوا مسلمين بدل أن يكونوا ملحدين . ويجدر بالذكر أن نسبة الملحدين فى المجتمع الألمانى الحالى يتجاوز الخمسين فى المائة ، والكنيسةُ عجزت عن اجتذاب هؤلاء الملحدين الذين لا يدينون بأى دين بينما نجد عددا غير قليل منهم قد اعتنقوا الإسلام ؛ لأنهم وجدوا فيه ما ينير عقولهم وقلوبهم من : علم ، وفكر ، وعقل ، وإيمان .

لقد التقيت ببعض العلماء الألمان المهتمين بالإسلام دينا أثناء عودتى من (فيينا) ومرورى على « نورنبرج » ومن هؤلاء العلماء البروفيسور د. « لينمان » (J. Leinemann) يسر الله لى أن أزوره فى منزله ، وكان المترجم السيد « جمال الدين » وهو عامل تركى متزوج من ألمانية مسلمة ، وهى التى جعلت من زوجها إنسانا يمارس أمْرَ الإسلام بعد أن كان غير مهتم به ، وهذا ما حكاه لى جمال الدين المترجم نفسه وكان معى أثناء زيارتى للدكتور لينمان بعض الأساتذة المسلمين كان « د. لينمان » يزور بعض المساجد مع تلاميذه ، ويقرأ القرآن الكريم ويوصى بقراءته . وكتب مقالة قيمة حول ضرورة فهم القرآن الكريم ، وكان حوارنا طويلا مثمرا ومفيدا ، أرجو أن ييسر الله لى نشره فى المستقبل القريب ، إن شاء الله ، وقد أهدانى كتابا ألفه هو حول « الأيام والأعياد المباركة » عند المسلمين ورأيت أنه يهتم بالثقافة الإسلامية اهتماما بالغا . وزوجته الكريمة ، كذلك ، تستشهد بالحديث النبوى حول تربية البنات ، وتقول : إنها رَبَّت ثلاث بنات ، ومن ربى ثلاث بنات وأحسن تربيتهن دخل الجنة أو كما قال رسول الله ـ ﷺ ـ وكان احترامها عميقا للحديث النبوى الشريف .

انتشار اللغة العربية :

بعض المستشرقين الألمان يحبون اللغة العربية حبا شديدا ، ومن هؤلاء الأستاذة الدكتورة « آن مارى شِيمَّل » (Anne Marie Schimmel) التى ترى أن اللغة العربية غنية بالموسيقى وتطرب الأذن حتى يخيل إلى سامعها أنها لغة الفردوس . ولعلها تقصد ـ بذلك ـ حلاوة جَرْسِ اللغة العربية ولطافتها وتأثيرها فى النفوس .

والدكتورة « شيمل » تعلمت اللغة العربية ولم تكن بعدُ قد تجاوزت ربيعها الخامس عشر .

والأستاذة الدكتورة « أورسولا شپولار » (Ursula Spuler) تهتم اهتماما بالغا بلغات الشعوب الإسلامية ، وخاصة اللغة العربية ، وكتابها الأخير الذى ألفته كان بعنوان « محمد رسول الله » وكان لهذا الكتاب تأثيرا واسع النطاق فى ألمانيا .

وكثيرا من الجمعيات الإسلامية والألمانية تنظم دورات للغة العربية فى الجامعات ، وفى المساجد ، وفى مراكز الجمعيات ، وخصوصا فى موسم الصيف إذ يداوم بعض الشباب والأطفال على

ارتياد المساجد ؛ لتعلم القرآن الكريم وحفظه ، ولتعليم اللغة العربية للجاليات الإسلامية ، نرى أن لرياسة الشئون الدينية التركية ، نشاطا بارزا فى جميع مدن ألمانيا .

وسائل الإعلام :

ومن المؤسف أننى لاحظت قلةً فى وسائل الإعلام العربى الإسلامى من الصحف والمجلات المنشورة باللغة الألمانية . وهناك صحف ومجلات تركية تطبع فى ألمانيا ، فالصحف والمجلات ذات الطابع الإسلامى قليلة للغاية حتى باللغة التركية . لقد سألت صحفيا ألمانيا عن عدد المجلات والصحف الألمانية التى تنشر فى ألمانيا باللغة الألمانية ، فأجابنى بأنها تجاوز ثلاث آلاف صحيفة ومجلة .

هناك مجلة إسلامية متواضعة تصدرها الجمعية الإسلامية فى « شتوتجارت » (Stuttgart) تحت إشراف المهندس على دمير وزوجته الألمانية المسلمة ، وقد زرت مقر المجلة أثناء زيارتى « لشتوتجارت » . وتحدثوا لى بأن للمجلة رد فعل إيجابى جدا . والدليل على ذلك كثرة المتصلين هاتفيا بمقر المجلة واستفسارهم عن الإسلام .

المساجد فى ألمانيا :

يقال إن : أول مسجد فى ألمانيا بنى قبل قرنٍ ونصف قرن ، بناه أمير ألمانى تزوج من فتاة تركية واعتنق الإسلام ؛ إذ لا يجيز هذا الدين لغير المسلم أن يقترن بالمسلمة (٥) وإكراما من الأمير لزوجته ألحق بقصره مسجدا فخما فى مدينة « شويزنجن » (Schwetzingen) بالقرب من مدينة « توبنجن » (Tübingen) ثم بنيت المساجد فى بقية المدن الألمانية بحسب الحاجة إليها . ولقد أحصى « الشيخ طه الولى » ــ الذى زار ألمانيا فى الستينات ــ المساجد هناك وقال : إنها سبعت . ولو قلت : إن هذا العدد وصل اليوم إلى خمسمائة مسجد فلعلى لا أكون مبالغا بعد ما رأيت فى (كولونيا) وحدها أربعين مسجدا . ويضاف إلى هذا العدد كل يوم مساجد جديدة من قِبَل الجاليات الإسلامية هناك .

عدد المسلمين الألمان :

إننا لا نملك المعلومات الكافية حول عدد المسلمين الألمان ، إلا أننا نستطيع أن نقول ما قاله رئيس جمعية المسلمين الألمان الدكتور سالم عبدالله ــ وهو مسلم من أصل ألمانى : إن عدد المسلمين الألمان يزداد كل يوم ، وللجاليات الإسلامية دور بارز فى إدخال عديد من الألمان فى الدين الإسلامى . وهؤلاء المسلمون يحتاجون إلى توجيه ورعاية من العالم الإسلامى .

مستقبل الإسلام فى ألمانيا

وحول هذا الموضوع أود أن أشير إلى كلمة قالها أحد علماء الإسلام فى بداية هذا القرن الذى نحن على وشك انتهائه فقد كان الشيخ « محمد بخيت » مفتى الديار المصرية [٦] يزور استانبول

---

(٥) انظر سورة الممتحنة ، ١٠

(٦) وهو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعى الحنفى ، مفتى الديار المصرية ومن كبار فقهائها . ولد فى بلدة المطيعة التابعة لمحافظة أسيوط من صعيد مصر . عين مفتيا للديار المصرية سنة ١٣٣٣ هـ إلى ١٣٣٩ هـ وله كتب قيمة . منها كتاب القول المفيد على وسيلة العبيد فى علم التوحيد وتوفى ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٥٤ هـ . أنظر (الأعلام : لخير الدين الزركلى ٦/٢٧٤) .

عاصمة الخلافة الإسلامية : أوائل هذا القرن أى قبل تسعين سنة تقريبا ، وصلى فى مسجد « آيا صوفيا » ، وبعد انتهاء الصلاة طلب بعض العلماء من فضيلة الشيخ أن يناظر عالما زائرا لـ (استانبول) حيث ألزم هذا العالم الذى جاء من شرق الدولة العثمانية ، وهو « سعيد النورسى » الذى سماه العلماء : « بديع الزمان » وكان الشيخ سعيد قد اتخذ له غرفة متواضعة مسكنا فى أحد أحياء (استانبول) وكتب على بابها عبارة لفتت نظر الجميع وهى : « هنا يجاب عن كل سؤال ، ولكن المجيب لا يَسْأل » وحقا كان يجيب عن الأسئلة بإحاطة تامة وبإجابات شافية ، ولاشك أن العلماء قد حكوا حكاية هذا العالم لفضيلة الشيخ محمد بخيت ، وقد التقى فضيلة الشيخ مع هذا العالم الشهير فى مقهى قرب « جامع آيا صوفيا » وسأله سؤالا كان القصد منه معرفة مدى بُعْد رؤية هذا العالم للمستقبل . فسأله عن رأيه فى الدولة العثمانية وأوروبا . فأجابه النورسى قائلا : « إن الدولة العثمانية حبلى بدولة أوروبية وستلد يوما مًا ، وإن أوروبا حبلى بدولة إسلامية وستلد يوما ما » وكان هذا الجواب مثيرا لإعجاب الشيخ محمد بخيت ، فقال : كُنت أفكر هكذا ، ولكننى ما استطعت أن أعبر عن هذه الحقيقة بهذا الإيجاز ولا يمكن المناظرة مع مثل هذا الشباب .

نعم إن الشق الأول من الجواب ـ فعلا ـ حدث ؛ بحيث أن الدولة العثمانية ولدت (تركيا) حديثة . ولكن الشق الثانى فى طريقه للحدوث وبوجه أخص فى ألمانيا ، حيث ينتشر الإسلام انتشارا يثير انتباه العلماء والمفكرين .

لقد نشرت صحيفة « الزمان » الصادرة فى تركيا فى عددها ١٢/٤/١٩٩٢ خبرا عن انتشار الإسلام فى أوروبا ، والخبر يفيد أنه فى غضون شهر واحد قد أسلم ثمانية وخمسون ألف ومائة وخمسة وثلاثون شخصا ، قسم منهم كانوا ملحدين قبل أن يعتنقوا الإسلام . وهذه قائمة بهؤلاء المهتدين الذين اعتنقوا الإسلام حسب عقائدهم وأسباب اختيارهم الإسلام دينا نشرت بنفس الصحيفة ، ونفس التاريخ .

فى الاعتقاد : ٧٢٪ مؤمن بدين ، ١٨٪ ملحد .

النوع : ٦١٪ ذكر ، ٣٩٪ أنثى .

المذهب : ٦٤٪ كاثوليك ، ١٨٪ بروتستان ، ١٨٪ ملحد .

سبب تأثرهم بالإسلام : ٣٠٪ قرأوا تاريخ الإسلام ، ٣٢٪ قرأوا رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسى ، ٣٨٪ قرأوا الأحاديث النبوية وكتب جلال الدين الرومى والامام الغزالى .

سبب اختيارهم الإسلام دينا : ٧٤٪ الاطمئنان الروحى إلى هذا الدين لموافقته العقل والقلب .

الثقافة الخاصة والاطلاع : ٨٩٪ دراسة حياة محمد ﷺ النموذجية خلقا وممارسة .

علاقاتهم بالقرآن : ٨١٪ قرأوا ترجمة معانى القرآن الكريم بلغاتهم ، ١١٪ قرأوا القرآن الكريم بالأصل العربى ، ٨٪ اختلطوا بالمسلمين وسمعوا شيئا من شرح للقرآن الكريم .

وهذا من الدلائل المبشرة بالخير والمستقبل المشرق للإسلام فى أوروبا .

وقبل ثلاثة أشهر زرتُ بعض الدول الأوروبية وقضيت فيها شهرا كاملا ، زرت خلاله المساجد

والجاليات الإسلامية ، وكل ما رأيته كان يبشر بالخير لقد وجدت فى (كولونيا) وحدها أكثر من أربعين مسجدا تقام فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمس ، ولاحظت أن فى القرى ـ كذلك ـ مساجد فقد زرت قرية من (قرى ماينز) هى « جوستاف سبورج » (Gustovsburg) وعلى الرغم من أنها قرية صغيرة فقد رأيت فيها مسجدا تقام فيه الصلوات ولقد صليت فى هذا المسجد وخطبتُ فيه خطبة الجمعة عدة مرات مع العلم أن أحد العمال الأتراك فى ألمانيا ـ يسمى « زكريا هوشكور » ـ قد اشترى العمارة التى فيها هذا المسجد قبل أربع سنوات بثلثمائة ألف مارك ألمانى ، وجعل الدور الأرضى منها مسجدا كله . ويقول ـ حينما يحكى لى هذه القصة : « الحمد لله هذا من فضل ربى » وجعل هو والمسلمون للمسجد مجلس إدارة يرأسه الأستاذ سليمان آجيكجوز يساعده الأستاذ « عمر تاشجى » وينظمون ندوات علمية للرجال والنساء .

إن المسلمين الأتراك فى ألمانيا جعلوا هذه البلدة شبه إسلامية ؛ فأى مسلم يزور هذه البلدة لا يجد صعوبة فى أداء العبادة وتجهيز الطعام ؛ لأن هؤلاء العمال المسلمين كما أنشأوا مساجد أنشئوا محلات للجزارة والفواكه والخبز ومحلات تجارية لأغراض أخرى ، ولو زرت (كولونيا) أو (ميونيخ) أو (ماينيز) حتى بلجيكا أو هولندا فإنك لا تحس بغربة .

لقد التقيت بنخبة من هؤلاء العمّال حكوا لى حكايات تعجبت منها كثيرا . حكوا لى إن إدارة المصنع عينت عاملا تركيا كجزار لقطع لحوم الخنزير ، ولكن هذا العامل رفض هذه المهمة ، وقال : هذا مخالف لعقيدتى ولدينى ؛ ولهذا أرفض هذا العمل ، وقد وافقت الإدارة على طلبه وعينته فى وظيفة أخرى ، ثم بحثوا عن حقيقة رفض هذا العامل لهذا العمل : أيكرههُ لصعوبته ، أم لأمر دينه ؟ وقال ـ لى أحد العمال فى ميونخ واسمه : « محمد أوزطوغرى » : كان يصلى الصلوات الخمس فى المصنع ، وكانت له سجادة صغيرة يفرشها وقت موعد الصلاة ، ثم قال : وكان مدير المصنع يعرفنى جيدا فما اعترض علىّ مرة واحدة فلما ذهبت لقضاء العطلة السنوية فى تركيا ثم رجعت بعد شهر وجدت المدير قد عمل لى مسجدا صغيرا وجميلا جدا ، وقال لى : هذه مفاجأة أعددتها لك .

وبعـد :

فإن للجاليات المسلمة فى ألمانيا نشاطـا ملموسا .

حدثنى مدير شركة آسيا فى (كولونيا) الأستاذ « زكى شوقلى » عن نشرهم الكتب الدينية الإسلامية باللغة الألمانية فى جميع أنحاء ألمانيا ، وتوزيعهم على الألمان والأتراك وكثيرٌ من الألمان يعتنقون الإسلام بعد قراءتهم لهذه الكتب .

ولقد تعرفت على مسلم ألمانى يعمل ضابطا فى القوات المسلحة الألمانية اسمه « آدم » اعتنق الإسلام هو وأهله وله ابن وبنت قال لى : إننا فى أشد الحاجة إلى معرفة الله قبل كل شىء ، فرسالة الأئمة فى المساجد أن يعلموا الناس التوحيد ومعرفة الله ، ونحتاج إلى كتب من هذا النوع . وأشار إلى كتاب كان معه يسمى « **مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه** » من تأليف العلامة بديع الزمان مترجم إلى اللغة الألمانية .

العلوم الكونية

أ. د أحمد فؤاد باشا

الإنسان ومشكلات التلوث النووى

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[١]

إن التدهور الخطير الذى آلت إليه البيئة هو الذى دفع لعقد مؤتمر القمة العالمى المعنى بالأرض فى المدينة البرازيلية «ريو دى جانيرو» فى شهر يونيو الماضى . وقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن التحديات الخطيرة التى تواجه الإنسان فى هذا الشأن ، فقدمنا تعريفا علميا لعلم البيئة ومفهوم التلوث البيئى ، ثم عرضنا بشىء من التفصيل لمشكلات التلوث الحرارى والتلوث الكهرومغناطيسى والتلوث الكيميائى[٢] . ونواصل الموضوع فى هذا المقال بالحديث عن التلوث النووى وآثاره الضارة التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض .

النشاط الإشعاعى للمادة :

تتألف الذرة من نواة ثقيلة نسبيًّا ، تدور حولها ، وعلى مدارات مختلفة «الكترونات» خفيفة ذات شحنة كهربية سالبة تجذبها نحو النواة . والنواة مؤلفة بصورة رئيسية من «بروتونات» موجبة الشحنة «ونيوترونات» متعادلة كهربياً تربط بينها قوى نووية هائلة . وأهم مايميز ذرات المواد المختلفة عددان : أحدهما عدد البروتونات فى النواة ويدعى «العدد الذرى» والآخر هو عدد النيوترونيات والبروتونات معاً فى النواة ويسمى «العدد الكتلى» . أما العامل الأهم فى الذرة هو وجود طاقة ربط هائلة فى النواة تمثل الفرق بين كتلتها من جهة وبين مجموع كتل البروتونات والنيوترونات التى تؤلفها .

ويقال لمادة ماأنها «مشعة» إذا كانت ذراتها تنحل ببطء عن طريق التخلص من جزء من نواتها . وقد كان «هنرى بيكريل» أول من أكتشف النشاط الإشعاعى لعنصر «اليورانيوم» عام ١٨٩٦ م عندما وجد أنه يبعث إشعاعات تؤثر على الأفلام والألواح الفوتوغرافية الحساسة . ونجح بعد ذلك بعامين كل من «مارى» و«بيير» كورى فى فصل عنصرين مشعين جديدين كيميائيا وهما «البولونيوم» و«الراديوم» . ومنذ ذلك الحين تبين أن كل العناصر التى يزيد عددها الذرى عن ٨٣ تعتبر إلى حد مامشعة .

وبالإضافة إلى وجود هذا النوع من النشاط الإشعاعى الطبيعى ، تمكن الإنسان من التعرف على كميات وفيرة من نوى ذرات غير مستقرة عن طريق التفاعلات النووية المختلفة . ويبتعث نوى الذرات المشعة اشعاعات «ألفا» و«بيتا» و«جاما» المعروفة . كما يحدث أن تكون الإشعاعات النووية على هيئة نيوترونات تنطلق عندما تكون نواة الذرة

(١) سورة الروم : ٤١

(٢) مجلة الأزهر ، الجزءان الثانى والثالث ، عددا صفر وربيع الأول ١٤١٣ هـ/ أغسطس وسبتمبر ١٩٩٢ م .

غير مستقرة لارتفاع نسبة عدد النيوترونات إلى عدد البروتونات بها عن النسبة اللازمة لاستقرارها . وقد تنتج إشعاعات النيوترونات فى أحوال أخرى نتيجة الانشطار النووى لنوى ذرات العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم . واليوم أصبحت تقنية إنتاج المواد المشعة على درجة كبيرة من التقدم .

ويتصف أغلب المواد المشعة بأن نشاطها الإشعاعى يستمر لفترة طويلة من الزمن ، وتقاس مدة هذا النشاط بالزمن الذى يستغرقه نصف كمية المادة فى الانحلال ويعرف « بعمر النصف » Half Life فإذا كان لدينا مثلا جرام واحد من عنصر مشع عمر نصفه ألف سنة ، فإنه يحتاج إلى ألف سنة كى يتحول إلى نصف جرام ، ويستغرق الف سنة أخرى كى يتحول إلى رُبْع جرام ، وهكذا . وهناك من العناصر المشعة مايبلغ عمر نصفها عُمرَ الكرة الأرضية ، مثل « اليورانيوم ٢٣٨ » ومنها مايستغرق عمره النصفى عدة ساعات ، ومنها مايستغرق دون ذلك بكثير .

وتجدر الإشارة إلى أن استخدامات الطاقة والإشعاعات النووية فى الأغراض السلمية قد شملت مختلف مجالات الحياة الطبية والزراعية والصناعية والعلمية . لكن أثار هذه الاشعاعات التدميرية لم يعرفها الإنسان إلا فى أعقاب إلقاء القنبلتين النوويتين على مدينتى « هيروشيما » و« نجازاكى » فى اليابان عام ١٩٤٥ م ، وماتبع ذلك من سباق بين بعض الدول الكبرى فى إجراء التجارب والتفجيرات النووية بهدف زيادة القدرة التدميرية لأسلحتها النووية .

أنواع التلوث النووى وآثاره :

(أ) تجارب التفجيرات النووية :

أدى تزايد التفجيرات النووية إلى انتشار كميات كبيرة من الغبار المشع المحمل بنواتج الإنشطار فى أجواء المناطق التى تجرى بها هذه التفجيرات ، وحملت الرياح بعض هذا الغبار ليتساقط فوق كثير من الأماكن المحيطة بمناطق التجارب النووية . ولا تعتبر التجارب النووية التى تجرى تحت سطح الأرض شيئاً آمنا ، فهناك دائما احتمال لتسرب بعض الإشاعات النووية إلى المياه الجوفية ، وقد تحملها معها هذه المياه إلى الأنهار والبحيرات وتسبب تلوثها بالإشعاع . ويتسبب الانفجار النووى الذى تعادل قوته مليون طن من الديناميت فى إنتاج قدر كبير من الغبار النووى الذى يحتوى على بعض النظائر المشعة مثل الكربون ـ ١٤ والسيزيوم ـ ١٣٧ والاسترنشيوم ـ ٩٠ وغيرها ، وهى مواد يستمر نشاطها الإشعاعى مدة طويلة ، وتتساقط على سطح الأرض فى كثير من المناطق وتلوث الهواء والماء والغذاء والتربة ، كما أنها تدخل فى سلسلة الغذاء ، فتنتقل من النبات إلى الحشرات ومنها إلى الطيور والحيوان ، ثم إلى الإنسان .

(ب) محطات القوى النووية

سعت دول كثيرة إلى إقامة محطات لتوليد الكهرباء تعمل بالطاقة النووية بدلاً من المحطات الحرارية التى تعمل بالوقود التقليدى مثل الفحم والبترول والغاز الطبيعى . وبالرغم من أهمية هذه المحطات التى تتزايد الحاجة إليها مع تزايد توقعات نضوب مصادر الطاقة التقليدية خلال العقود

القليلة القادمة ، فإنها تشكل خطراً كبيراً على البيئة لما ينتج عنها من نفايات نووية ضارة يصعب التخلص منها ، أو مايقع لمفاعلاتها النووية من حوادث قد تؤدى إلى تسرب الإشعاعـــات النووية . ويعتبر انفجار المفاعل النووى فى محطة القوى المقامة « بتشرنوبيل » فى أوكرانيا (من دول اتحاد الكومنولث حاليا) خير شاهد على خطورة هذا النوع من الإنشاءات النووية . فقد دفع الانفجار الذى حدث عام ١٩٨٦ م بكميات كبيرة من النواتج المشعة التى كونت سحابة هائلة من الغاز والغبار المشع انتشرت فوق مكان الحادث وحملتها الرياح إلى كثير من دول أوروبا وأثارت انزعاجاً شديداً فى مختلف أنحاء العالم وتسببت فى تلوث المزارع ومختلف المحاصيل .

أما المخلفات والنفايات النووية الناتجة عن المفاعلات النووية ومختلف الأنشطة العسكرية فإنها تحتوى على كثير من النظائر الثقيلة التى يستمر نشاطها الإشعاعى لفترات زمنية طويلة ، ودفنها فى باطن الأرض قد يؤدى بعد فترة إلى تلوث المياة الجوفية لهذا فإن التخلص منها يمثل مشكلة كبرى بالنسبة لكثير من الدول .

وقد حاولت بعض الدول الغربية استخدام الصحراء الكبرى فى شمال إفريقيا لدفن مخلفاتها المشعة ، ولكن الدول المحيطة بهذه الصحراء ، ومنها جمهورية مصر العربية ، اعترضت بشدة على ذلك خوفا من تلوث المنطقة بالإشعاعات النووية وخوفاً من وصول بعض هذه المواد المشعة إلى المياه الجوفية التى تقع تحت أراضى كل من مصر وليبيا ، وتم القضاء على هذه الفكرة فى مهدها[٣] .

(جـ) التلوث بواسطة المواد المشعة :

تزداد خطورة المواد المشعة عندما تصل إلى التربة ، سواء نتيجة التفجيرات الذرية التى تجرى فى الجو قريباً من سطح الأرض عن طريق التساقط الذرى من جهة ، أو نتيجة دفن المخلفات المشعة لاستخدامات الذرة فى المجالات المختلفة من جهة أخرى فتذوب هذه المواد فى التربة ويمتصها النبات مع غيرها من العناصر اللازمة عن طريق جذوره وتتراكم فى جسمه ، أو قد يحدث تلوث مباشر للنبات بالمواد المشعة الساقطة على أوراقه وثماره والتلوث الذى يصل إلى الإنسان من هذه النباتات يكون بنسبة حوالى عشرين بالمائة عن طريق التربة وثمانية بالمائة عن طريق التلوث المباشر للنبات .

آثار التلوث النووى على الإنسان :

تختلف آثار الإشعاع باختلاف مصدره وشدته وطول المدة التى يؤثر خلالها على الإنسان . ولايجب الاستهانة بتأثيرات الأشعة النووية الضعيفة مهما قلت شدتها ، فاستمرار التعرض لها يمكن أن يؤدى على المدى الطويل إلى أضرار بالغة قد تفضى إلى الوفاة . ويتعـــرض الإنسان لمثـــل هذه الاشعاعات كثيرا فى حياته اليومية ، خاصة إذا كان الأمر يتطلب علاجاً باستعمال الأشعة

(٣) د. أحمد مدحت إسلام ، التلوث مشكلة العصر ، سلسلة عالم المعرفة (١٥٢) ، الكـــويت ، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م ، ص١٨٩ .

السينية ـ مثلا ـ أو أشعة جاما فى التشخيص أو فى العلاج .

كذلك يتعرض الإنسان ليلاً ونهاراً للأشعة الكونية القادمة من أعماق الفضاء ويتعرض للإشعاعات المختلفة بعض العاملين فى المفاعلات النووية ، وفى صناعة النظائر المشعة ، وفى مجال الأبحاث النووية والإشعاعية ، وفى صناعة الساعات المضيئة وبعض الأجهزة المماثلة لها ، كما يتعرض للإشعاعات الشديدة بعض العاملين فى المناجم التى تستخرج منها خامات بعض العناصر المشعة مثل الراديوم واليورانيوم وكل هذه المجالات تجعل الإنسان عرضة للاصابة بأمراض مختلفة ، وقد يتعرض للإصابة بالسرطان .

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن تركيز النواتج المشعة فى جسم الإنسان لم يصل بعد إلى حد الخطر فى الوقت الحالى على المستوى العالمى[٤] ، إلا أنه بالقرب من مناطق التفجير النووى فإن التركيز يصبح خطيراً ، لاسيما عند الأطفال الذين يقل عمرهم عن أربع سنوات والذين يخزنون عنصر «السترونشيوم» المشع بسرعة أكثر من الكبار . ذلك أن «السترونشيوم ـ ٩٠» الناتج عن التفجيرات الذرية يلوث التربة ويتصرف فيها مثل الكالسيوم ، فيمتصه النبات ويتراكم فيه ويصل إلى الإنسان والحيوان عن طريق الغذاء ، وفى جسم الإنسان يحتك بشكل مباشر مع النسيج المولد للدم ويشكل خطراً على الإنسان والحيوانات الفقارية . وقد أوضحت الأبحاث الجارية فى هذا المجال أن «السترونشيوم» يدخل فى عظام الأطفال خلال فترة نموهم ويجعلهم عرضة للإصابة بالسرطان . ويتوقع الباحثون أن ازدياد نسبة «السترونشيوم» بحوالى ١٠ إلى ١٠٠ ضعف عما هى عليه الآن يمكن أن يؤدى إلى تأثيرات بالغة السوء فى الجنس البشرى .

على أن هناك نوعاً من التلوث النووى يعتبره العلماء ذا أهمية خاصة ، لأنه إذا حدث سيكون الأخير ولاشك فى تاريخ الحياة الإنسانية ويطلقون عليه اسم «الشتاء النووى» . فاستخدام الأسلحة النووية المختلفة من شأنه أن يملأ أعالى الغلاف الجوى بسحب من الجسيمات العالقة المعتمة التى تعجل بادخال كوكب الأرض فى عصر جليدى .

وأمام كل هذه الأخطار يحاول الإنسان ، عن طريق البحث العلمى المتواصل ، أن يرفع من قدرته على التحكم فى استخدامات الطاقة النووية والسيطرة عليها لكن التزايد المستمر فى معدلات التلوث النووى ، واحتمالات وقوع الحوادث والانفجارات فى محطات القوى النووية مهما بلغت درجة الحرص والعناية ، أصبحت من الظواهر التى تنذر بأسوأ العواقب وتهدد جميع عناصر البيئة ، بما فيها حياة الإنسان .

---

(٤) يقاس الإشعاع الممتص بوحدة تسمى «الريم» Rem ، وهى الحروف الأولى للكلمات الأجنبية Roentgen Equivalent Man ، وتكافىء جرعة مقدارها «رونتجن» واحد من الأشعة السينية . ويقدر الحد الأقصى للإشعاع النووى الذى يتعرض له الإنسان فى اليوم بنحو ٥ ريم .

النزيف المهبلى

للدكتور / أحمد رجاء عبدالحميد

إجهاض محتم

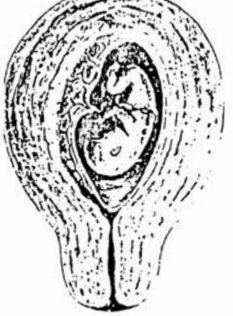

إجهاض منذر

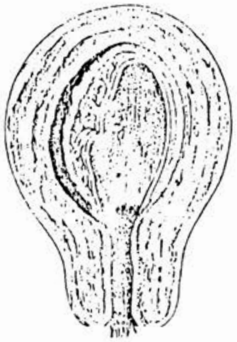

إجهاض غير كامل

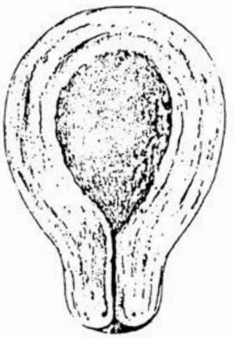

إجهاض كامل

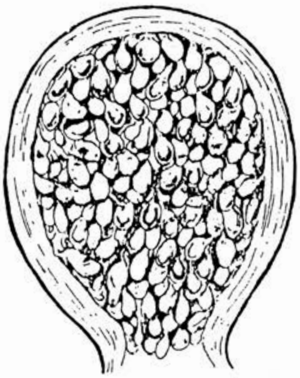

حمل حويصلى

النزيف المهبلى : دم ينزل من المرأة فى غير ميعاد الدورة ، أو أثناءها ، أو إذا زادت كمية الدم المفقودة عن المعتاد ، أو زيادة أيام الدورة عن الأيام المعتادة .

ويمكن تقسيم النزف حسب المراحل العُمْرية إلى الآتى :

١ ــ النزف فى الطفلة حديثة الولادة . ويكون سبب هذه الحالة هو أن كمية من الهرمونات قد دخلت جسم المولودة خلال وجودها داخل رحم الأم ، وحين انسحاب هذه الهرمونات من جسم المولودة تؤدى إلى نزول بعض الدماء ، وقد تكون مصحوبة بتضخم فى ثدى الطفلة ، وهذه الحالة طبيعية ، ولا يوجد أضرار منها ولا داعى لأن تسبب قلقاً للأم .

٢ ــ نزيف فى مرحلة الطفولة المبكرة :

فى هذه الحالة ينبغى أن لا نهمل فى الكشف عن سبب النزيف ؛ فقد يكون مصدره سبباً عضوياً آخر مثل جرح بالمهبل نتيجة لآلة حادة أو جسم غريب ، أو تمزق فى المهبل . وغشاء البكارة .

= وقد يحدث النزيف بسبب البلوغ المبكر ومع البلوغ تظهر العلامات الأنثوية الثانوية مثل تضخم الثدى ، وظهور شعر العانة .

= أو إذا ابتلعت الطفلة حبوباً هرمونية مثل حبوب منع الحمل عن طريق الخطأ (ولذلك ينصح بوضع مثل هذه الأقراص فى مكان بعيد عن تناول يد الأطفال) .

= أو بسبب إدخال جسم غريب فى فتحة المهبل مما يؤدى إلى حدوث التهابات شديدة ، واحتمال حدوث نزف قد يصحبه إفراز صديدى كريه الرائحة .

= أو الإصابة بالأورام : والأورام ليس لها سبب محدود ، ولا سن محددة هذه الحالة نادرة جدا

مرحلة البلوغ :

قد يحدث نزف فى الدورات الشهرية الأولى بسبب اضطرابات هرمونية ، واختلال فى نشاط المبيض . فإذا تكررت هذه الحالة فينصح بعمل موجات فوق الصوتية للرحم والمتعلقات ؛ فقد يكون هناك سبب عضوى . وبسبب وجود غشاء البكارة فإنه يستحيل الفحص المهبلى ، ولكن يمكن الفحص عن طريق فتحة الشرج ، وياستعمال مخدر عام .

المرأة فى سن الإخصاب :

فى هذه الحالة يجب التفريق بين النزيف المصاحب للحمل ، والنزيف بدون حمل .

أولاً : النزيف الرحمى المصاحب للحمل

١ ــ النزيف الرحمى فى وجود حمل مبكر

أسبابه : ١ ــ الإجهاض . ٢ ــ الحمل الحويصلى .

٣ ــ الحمل خارج الرحم .

ونبدأ بتفصيل كل سبب على حدة

١ ــ الإجهاض : يوجد نوعان من الإجهاض :

الاجهاض التلقائى والاجهاض المفتعل

والاجهاض المفتعل : هو كذلك نوعان :

(أ) الإجهاض العلاجى : كأن يرى الطبيب خطراً على حياة الأم من الحمل فينصح بالتخلص منه ، وعلى هذا يقوم بإجراء عملية جراحية : « توسيع وتفريغ » لمحتويات الرحم أو إعطاء أدوية « مثل مادة البروستاجلاندين » أو بعملية شفط

للجنين إذا كان فى مراحله الأولى بواسطة جهاز خاص .

(ب) الإجهاض غير العلاجى ، أو الإجهاض الغير شرعى ، وهذا النوع قد جَرَّمه القانون ، وقد تفتعله السيدة بنفسها بإدخال مادة غريبة فى رحمها ، أو بشرب مواد كيماوية أو أدوية سامة تضر بصحتها وجنينها ، وكذلك قد يقوم آخرون بهذه العملية مثل (قابلة) أو مساعدة صحية ، أو حتى طبيب وقد أجرينا بحثا فى هذا الموضوع ، ووجدنا أن هناك ثلاثاً وعشرين طريقة لافتعال هذا الإجهاض ، منها ستة طرق قد تؤدى إلى الوفاة ، وهذا الإجهاض له مضار كثيرة سنذكرها فى حينها .

الإجهاض التلقائى : ونسبته تتراوح بين (١٠ ــ إلى أقل من ٤٠٪) من كل حمل ، ولكن حيث أنه توجد بعض الحالات من الحمل غير معروفة فنستطيع أن نقول : إن نسبته تتراوح ما بين (١٠ ــ ١٢٪) فى كل حمل .

الأسباب : السبب المعتاد للإجهاض فى الشهور الأولى هو : موت الجنين ، ومن الممكن أن يكون هناك واحدٌ من الأسباب الآتية :

١ ــ عيوب وراثية خلقية فى الجنين .

٢ ــ عدم مناسبة بيئة الرحم للحمل .

٣ ــ كبر عمر البويضة قبل الإخصاب .

٤ ــ بعض الأدوية والإصابة بالفيروسات .

٥ ــ أسباب فى الأم مثل : العدوى الحادة ، واضطرابات الأعضاء الإخصابية ــ عيوب فى عنق الرحم ، وبعض الاضطرابات فى الغدد الصماء .

الأنواع الإكلينيكية :

١ ــ **الإجهاض المنذر** : وهو نزف الرحم خلال الفترة الأولى من الحمل ــ مع أو بدون انقباضات فى الرحم ــ ويكون الدم طازجاً لونه أحمر ، ويستحسن فى هذه الحالة عمل الموجات فوق الصوتية للتأكد من حالة الجنين .

٢ ــ **الإجهاض المحتم** : وفى هذه الحالة يكون هناك نزف أكثر ، وتقلصات مع زيادة فى فتح عنق الرحم ، وفى هذه الحالة تحتاج السيدة إلى عملية تفريغ و(كحت) .

٣ ــ **إجهاض كامل** : فى هذه الحالة يمر الجنين مع الغشاء والمشيمة كلها ، ويكون النزف أقل .

٤ ــ **الإجهاض غير الكامل** : وفى هذه الحالة تمر أجزاء من الحمل ، وتبقى أجزاء ، ويكون تشخيص هذه الحالة جيداً باستخدام جهاز الموجات فوق الصوتية .

٥ ــ **الإجهاض المنسى** : وفى هذه الحالة يموت الجنين داخل الرحم ، وغالباً ما يكون السبب غير معروف ، وتشخص عند الإحساس بذهاب أعراض الحمل ، وعدم كبر الرحم ، واختبار الحمل السالب ، والموجات فوق الصوتية .

٦ ــ **الإجهاض المتكرر** : حين يحدث إجهاض ثلاث مرات أو أكثر فى هذه الحالة غالباً ما يكون السبب فى عنق الرحم ، أو ورماً بالرحم ، أو عيوباً وراثية .

٧ ــ **الإجهاض المتعفن** : حين تحدث عدوى لأى من الأنواع السابقة .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد :
د. نجوى السيد أحمد

انتاج نوع جديد من السكر

اكتشف الباحثون فى فنلندا نوعاً جديداً من السكر يقاوم البكتريا بحيث لاتتمكن من تخميره كما لا يتسبب استعماله فى اصابة الأسنان بالتسوس . وقد أشار الباحثون إلى أنه يمكن استخدام السكر الجديد فى صناعة الحلوى للأطفال .

٥ باحثة بالمركز القومى للبحوث

اختراع جهاز
« تليسكوب » جديد

توصلت شركة يابانية إلى اختراع جهاز « تليسكوب » جديد يطلق عليه « تليسكوب راديو » ، يمكنه رصد الأشياء فى الفضاء بدقة خارقة ، ويزن الجهاز الجديد ٣٥ كيلو جراما وطوله ٧٠ سنتيمترا وقطره ٢٦ سنتيمترا . ويتميز الجهاز الجديد باستهلاكه المنخفض للطاقة وخفة وزنه ودقته .

الطحالب تقلل من إرتفاع
درجة حرارة الغلاف الجوى

اكتشف علماء ألمان متخصصون فى العلوم البحرية أن الطحالب أحادية الخلية يمكن أن تقلل من ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوى للأرض الناجم عن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون حيث تتبع ١٥٢ عالما على متن سفينة الأبحاث تدفق الغاز فى المحيط وتبين أن الطحالب تمتص هذا الغاز من الماء ؛ لأنها تحتاجه للنمو وبالتالى تخفض من مستواه فى الغلاف الجوى .

جهاز لفحص الألوان

نجحت شركة بريطانية فى ابتكار جهاز جديد يحمل باليد لاختبار درجات الألوان فى الأنسجة وهو مالا يمكن ملاحظته بالـــعين المجردة ، ويستخدم الجهاز الجديد ايضا فى فحص جودة اللون فى الأزياء واكتشاف غير الصالح منها .

وقود جديد
للآلات الزراعية

بدأ مصنع متخصص فى صناعة وقود الآلات الزراعية بفرنسا فى انتاج ٢٠ الف طن من وقود جديد مستخرج من النبات ويستعمل للآلات الزراعية التى تستهلك عادة وقود الديزل . ويؤكد الخبراء أن الوقود الجديد يلائم جميع المحركات التى تعمل بالديزل وهو خليط من الكحول وزيت عباد الشمس أو الشلجم (زيت اللفت) ، كما يعتبر وقوداً غير ملوث .

وعاء للطهى
من ورق الكرتون

تمكنت إحدى الشركات البريطانية المتخصصة فى صناعة الأدوات والأجهزة الخاصة بالمطابخ وإعداد الطعام من صنع وعاء من مواد اساسها الكرتون يسمح بتسخين الطعام إلى الدرجة المطلوبة . وقد صنع هذا الوعاء خصيصا لأفران « الميكروويف » ويضم غطاؤه نوعاً من أنواع « الكمبيوتر » يجعله يفتح آليا بعد تسخين الطعام .

أول طبلة أذن صناعية في العالم

تعتزم وزارة الصحة اليابانية التصريح باستخدام أول طبلة أذن صناعية فى العالم لإعادة السمع لمن تهتكت أذانهم . وتؤدى طبلة الأذن الصناعية نفس مهام الطبلة الطبيعية عن طريق تجميع الصوت بواسطة ميكروفون ثم ترسل الإشارات الاليكترونية إلى جهاز استقبال . وتزن الطبلة ٢٠ جراما ، وتحتاج إلى عملية جراحية لزرعها .

الطاقة الشمسية لتشغيل تكييف السيارة

صممت إحدى الشركات اليابانية جهازاً جديداً لتهوية وتبريد السيارة بالطاقة الشمسية ، يتم تثبيته فى السقف المتحرك للسيارة . الجهاز الجديد يتكون من خلايا من مادة السليكون التى تعمل بالطاقة الشمسية وهى تغذى جهاز التبريد الداخلى للسيارة صيفا ويشحن بطارية السيارة شتاء .

رسوم متحركة بالليزر

انتجت شركة بريطانية جهازاً يعمل بالليزر يستخدم فى الحفلات الموسيقية وغيرها من الأحداث والمناسبات الكبيرة لعرض الرسوم البيانية والرسوم المتحركة ويمكن التحكم فى الجهاز عن طريق برنامج « كمبيوتر » .

أسنان صناعية جديدة بالمغناطيس

ابتكرت شركة يابانية طريقة جديدة لتثبيت الأسنان الصناعية فى الفم عن طريق استخدام المغناطيس . وتعتمد الطريقة الجديدة على تثبيت قطعة من المعدن غير القابل للصدأ فى أعلى الفم على أن تجذب إليها الأسنان الصناعية بالمغناطيس .

استخدام السيارات الكهربائية

قررت ولاية كاليفورنيا الأمريكية بدء استخدام السيارات الكهربائية على نطاق واسع بدلاً من السيارة العادية وذلك حماية للبيئة من التلوث الناتج عن عادم السيارات .

فول الصويا لطباعة الصحف

ذكر باحثون أمريكيون أن استخدام فول الصويا فى طباعة الصحف افضل من الحبر العادى من عدة نواحى . فقد دلت الأبحاث على أن حبر فول الصويا يخرج صوراً أكثر إشراقاً وظهوراً كما أنه أسهل وأنظف عند استخدامه .

اللغة والنقد والأدب

دورات أدبية عالمية

بقلم : الأستاذ محمد عبدالوهاب جنيدى(*)

عُرِفَتْ (الكلاسيكية) ـ كمذهب أدبى أوربى ـ فى أعقاب عصر النهضة ، الذى كان يُعَدُّ بمثابة حركة إحياء للآداب الاتباعية : الإغريقية والرومانية القديمة .

وكان دور الشاعر الانجليزى (جون درايون) ، يماثل دور (البارودى) فى حركة البعث التى قادها فى مصر ، فى مستهل القرن الحالى ، فى إحيائه للتراث الشعرى العربى ، مستمدا زاده ومنهله من العصور الأدبية الزاهرة : الجاهلى ، والأموى ، والعباسى ، كما تدل على ذلك : (مختاراته) ..

● ● ●

وقوام الكلاسيكية هو الالتزام بالأسس والقواعد الموروثة ، المستقاة من سمات ونماذج القدماء الشامخة التى اجتازت القرون ، وبقيت على مدى الدهر(١) .

إلا أن الكلاسيكية التى بلغت فى انجلترا شأوها البعيد على يد كل من جون درايون (١٦٣١ ـ ١٧٠٠) ، والكسندر بوب (١٦٥٨ ـ ١٧٤٤) ، ما لبثت أن أخذت فى الأفول والانحسار ، بعد زهاء قرن ونصف القرن ، من الانتشار والازدهار ، وأخلت الساحة لمذهب جديد يحمل اسم « الرومانتيكية » ، وهو يتميز بروح جديدة لا تعترف بالأسس التقليدية ، والقواعد الراسخة المتعارف عليها فى الكلاسيكية ، التى تحبذ الاحتذاء والاقتداء بالآثار الأدبية الراقية المشهورة ، واتخاذها المثال الذى يقاس عليه وتنسج على منواله بل انطلقت الرومانسية مع الأخيلة الهائمة مع نسمات الأصائل وضوء القمر وشقشقة الطيور وخرير الجداول ، وفراشات الربيع غارقة فى أمواج الرقة الحالمة وهى إن طفت ، لا تطفو الا على متن أقحوانة أرجة مسَّها النسيم العليل ، فتمايلت طربا وأرسلت بشذاها كرسائل شوق رقيقة إلى القلوب .

تلك هى « الرومانسية » أو (الرومانتيكية) ، تعبير حار متدفّق ، يترجم عن أحاسيس ومشاعر وجدانية محتدمة ، ويصدر عن خلجات القلوب وإطلاق العنان للخيال الجامح ، الذى لا يقف عند حد ، كما اتفق الشعراء : وليم بليك ، وكوليريدج ، وجون كيتس ، ولورد بايرون ،

(*) مدير إدارة شركة بدر الدين للبترول .

(١) الكلاسيكية : نسبة إلى (كلاش ــ la classe) التى تعنى فصلا دراسيا ، فالكلمة تشير إلى قواعد ونظم سيطرت على ما سمى بالأدب الكلاييكى ، كما تسيطر نظم الفصل الدراسى على قواعد العمل داخله ، فصار بالأدب الكلاسيكى ، كما تسيطر نظم الفصل الدراسى على قواعد العمل داخله ، فصار للأدب الكلاسيكى ــ فى جملته ــ نظما التزمها الأدباء الكلاسيك ــ وهى هى بعينها التى ثار عليها وتحقق منها الأدباء الرومانسيك ... الخطيب .. أنظر الكلاسيكية للدكتور الغنيمى هلال ـ رحمه الله ـ ..

وتسييلى ، ووردسورث ، وغيرهم ، وتأثر بهم شعراء (مدرسة أبوللو) العرب ، وبخاصة المصريين ، بريادة الدكتور أحمد زكى أبوشادى ، ولا يشك فى أنها أثرت جانبا من شعرنا العربى المعاصر وإن كان لبعض شعرائها سلبيات ليست من حسنات الفن ، ولا هى من قيمه .

ونجد لدى الناقد الفرنسى (لوميتر) فصل الخطاب فى احتفاله بالنص الأدبى الرائع من حيث هو بعيدا عن المدرسة الأدبية أيا كانت ، وهذا نصه عن الانجليزية :

(Let us love the books which please us and cease to trouble our selves a bout cla ssifca tiom and schools of littrea ture).

« دعنا نحب الكتب التى تُبهجنا ، ولا نسترسل فى إرهاق أنفسنا ، بتصنيف المدارس الأدبية . » .

وقد سعدنا بالبحوث الممتعة التى نُشرت بمجلة الأزهر الغراء ، التى تحمل عنوان : (نحو دراسة مقارنة لمدرسة الديوان) .

ودارت حول مدى تأثر مدرسة الديوان بشعراء الرومانتيكية ، وإبداعهم فى حقلىْ : الشعر والنقد ..

وكم نود أن تمتد آفاق البحث بعد ذلك ، إلى مدرسة (أبوللو) الشعرية .

على أن الأدبين : العربى والإنجليزى قد شهدا تحولات وتطورات جذرية بعيدة المدى فى مسيرة الشعر ، منذ بدء الحرب العالمية الأولى فالثانية مما أدى إلى اهتزاز عرش الرومانتيكية كثيرا ، وعلى أثر ذلك ، فقدت بريقها ولمعانها ، وقل إغراقها فى الخيال الى حد بعيد ، وتخففت من الامتزاج التام بالطبيعة ، وفقدت الكثير من الأنصار والمتعاطفين ، وخاصة بعد أن امتلأت الساحة الأدبية بالمذاهب الأدبية الجديدة الوافدة ، كالواقعية والطبيعية والسريالية ، والانطباعية والرمزية والصورية وغيرها .

وبالنسبة للمذهب الأخير (الصورية) نذكر أن أول من أطلق هذا المُسمَّى : صُورى IMAGIST الشاعر الأمريكى (إزراباوند) ويعنى به : « الشعر الخالص الصافى » .

ثم يلى ذلك الشعراء المتميزون عالميا : كالشاعر الناقد : هربرت ريد و د . هـ . لورنس ، و ت س اليوت والأخير هو صاحب مقولة (المعادل الموضوعى) فى التعبير الأدبى ، والشعر ــ فى اعتقاده ــ ليس إطلاقا للعاطفة ، وإنما هو فرار منها ، وليس هو التعبير عن الذات (أو الشخصية) كما يعتقد الرومانتيكيون ، وإنما هو الفرار من هذه الذات .

وقد قامت شهرة إليوت الواسعة ، بعد نشر قصيدته المشهورة (الأرض الخراب) حوالى سنة ١٩٢٢ م ، وأحدث نشرها حينئذ دويا فى المحيط الأدبى ، فقد كانت هذه القصيدة بمثابة رثاء كونى بليغ للبشرية ، اثر ما شهدت وعانت من أهوال الحرب العالمية الأولى .

وصفوة القول ، إننا نطمح بعد هذا العرض الموجز السريع إلى استكمال حلقات الدراسات الأدبية المقارنة .

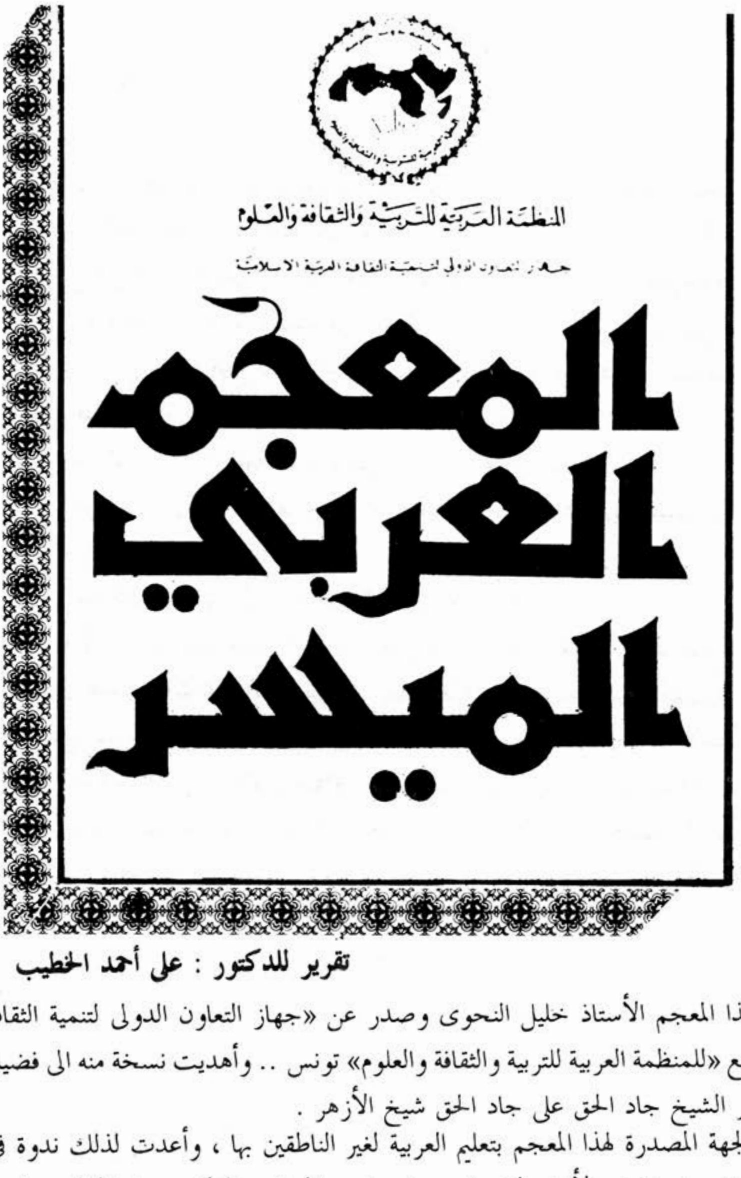

تقرير للدكتور : على أحمد الخطيب

وضع هذا المعجم الأستاذ خليل النحوى وصدر عن «جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية» التابع «للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» تونس .. وأهديت نسخة منه الى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

تعنى الجهة المصدرة لهذا المعجم بتعليم العربية لغير الناطقين بها ، وأعدت لذلك ندوة فى سبتمبر ١٩٩١ حضرها عن الأزهر الشريف ـ بدعوة من الجهاز ـ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر وكان مقر الندوة (تونس) العاصمة .

يقع المعجم المذكور فى (٥٥٨) صفحة ، قطع ١٠سم × ٥ر١٧سم .

يعتبر المعجم جيدا جدا للطالب العربى المحصل للدراسة الثانوية عن وعى وفهم تامين .

يضع المعجم بعض الكلمات فى مكانها من الترتيب الألفبائى ، ويشير بجانب الكلمة إلى

موطنها الأصلى ، فمثلا وضع كلمة (اصطفى) فى باب الهمزة وكتب بجوارها (أنظر : ص.ف.ى .

● فى المعجم جهد مشكور ، لاسيما فيما وضعه من جمل قصيرة ملحقة بالمادة تبين مدار استعمالاتها ويعتبر انتفاع الطالب العربى — بالشرط سالف الذكر — أكثر من انتفاع متعلم العربية من غير الناطقين بها ، فان هذا الأخير ينتقع بهذا المعجم إذا قطع شوطا فى (علم الصرف العربى) يمكنه من تجريد الكلمة من الزوائد ليدركها فى بابها ، قال واضع المعجم :

.. يتعين على مراجع المعجم أولًا : أن يرد الكلمة الى جذرها ، وذلك بتجريدها من الزوائد الصرفية المكونة عادة من حروف (سألتمونيها)... الخ

لذا نقول : ان الكلمة الواردة ص (٥) فى التقديم القائلة :

«أردناه أن يكون مرجعا ميسرا يمد طلاب العربية ومتعلميها بالقسط الأوفر من المفردات الحية..»الخ

هذه الكلمة تشير الى واقع نفع الطالب العربى فعلا .

وكم نود أن يقوم جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية بتنفيذ مقترح «المعجم الثنائى» الذى قدمت بشأنه بحوث حضرتُ بعض مؤتمراتها بالرياض بـ «مكتب التربية العربى لدول الخليج — نائبا عن «شعبة تعليم العربية لغير الناطقين بها» التابعة للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ولست أشك أنه لو كان بجانب هذا المعجم القيم (معجم ثنائى) يعنى بتقديم الكلمة العربية فى اطار كل استعمالاتها ، أو معظمها فى جمل مفيدة مرصودا أمامها ترجمة بلغة الطالب لتمرس طالب العربية من غير الناطقين بها على الأساليب العربى وتذوق جمالها . وهذا ماشاهدناه فى معجم صغير باسم (Vocsabulair) فرنسى — عربى لمتعلمى الفرنسية عنى المعجم المذكور بهذه الطريقة ، فكل صفحاته نهران ، نهر أيسر للكلمة الفرنسية فى جملها المختلفة التى يستعملها الفرنسيون ، وأمام كل منها مباشرة الجملة العربية ، وهذا مثال منه للفعل (ذهب) فى استعمالاته المختلفة فى الفرنسية .

العبارة مترجمة

ذهب	Aller
يذهب الأطفال الى المدرسة	Les erfarts vont àl'école
هذا الطريق يؤدى الى المزرعة	Ce chemin va à la ferma
كيف حالك ؟	Camment allez—vous

ساءت أُمُورُه	Ses affaires vont mal
هذا الملبس يناسب الرجل	Co vétemert lui va bien
القطار على وشك الرحيل	Le trair va partit
ماذا أنت فاعل ؟	Qu'est —ce que vous allez faire
إذهب ... الخ	Va—t'en!

وهذه المعانى جميعا تؤدى ــ فى الفرنسية ــ باستخدام الفعل (ذهب) .

وهذا ماينبغى أن نقدمه لطالب اللغة العربية من غير الناطقين بها فنعد له (معجما ثنائيا) يعتمد أساسا على الكلمة العربية :

(أ) مرتبة ترتيبها المعجمى الأصلى

(ب) داخل جملة مفيدة

(جـ) ثم جمل عدة تحوى استخدام هذه الكلمة ، ففى الفعل (ذهب) نقدم له لغتنا هكذا .

● ذهب .. يذهب .. ذهابا وذهوبا — العبارة مترجمة إلى لغة الطالب

ذهب الأطفال الى المدرسة (مَشْوْا)

لا تخدعْه لتذْهب بماله (لتأكل حقه)

ذهب إلى قول أبى حنيفة (عمل بقوله)

ذَهَبَ عقله (جُن)

ذَهَبَ للقاء ربه (مات)

ذَهَبَ علىَّ السؤالُ عن فلان (نسيتُ)

ذهب فى الأرض .. الخ (أبْعَدَ)، ثم ننتقل إلى المضعف والمشتقات .. كلٌ فى جمل مفيدة حتى النهاية ، أى أننا نعنى بمادة الكلمة واستخداماتها العربية (جميعا) وأمام كل عبارة منها ترجمة إلى لغة الطالب ، شرقية كانت أم غربية ، ذلك أن أعسر ما يقابل المتعلم للغة هوالمعانى التى تدور بها الكلمة ، حتى إنه ليبعد جدا أن نجد كلمة معينة ليس لها إلا معنى واحدا ، فان للمجاز فى كل لغة دوره الذى يثريها ، ويغنيها جمالا وبهاء فضلا عن «المشترك» وغيره .

وإن فى اهتمام «جهاز التعاون الدولى لتنمية الثقافة العربية» لأملا يسيرَ الْجَنَى فى تحقيق هذا الهدف فينتفع طالب العربية من غير الناطقين بها نفعا يعطى المزيد من تنمية الثقافة العربية ببلدان العالم .

الشعر و الشعراء

رحم الله مصر ولَطُفَ قضاؤه فى زلزالها ، وإن طوَّفْنا بحوادث الزلازل لأدركنا رحمة الله :

شوقى وزلزال طوكيو

قف (بطوكيو) وطُف على (يوكاهامه) … وسَل القريتَين كيف القيامة
دنت الساعة التى أُنذر الناس … وحلَّت أشراطها والعلامة
قف تأمل مصارع القوم وانظر … هل ترى من ديار عاد دعامة
خُسفت بالمساكن الأرض خسفاً … وطوى أهلُها بساط الاقامة
طوَّفت بالمدينتين المنايا وأدار … الردى على القوم جامه
لا ترى العينُ منهما أين جالت … غير نقض أو رمة أو حطامه
حازهم من مراجل الأرض قبر … فى مدى الظن عمقه ألف قامة
تحسب الميت فى نواحيه يُعيى … نفخة الصور أن تلم عظامه
أصبحوا فى ذرا الحياة وأمسوا … ذهبت ريحهم وشالوا نعامه
ثِقْ بما شئت من زمانك إلا … صحبة العيش أو جوار السلامة

دولـة الشرق وهـى فى ذروة العـــز تحار العيـــــون فيها فخامـــــة
خانها الجيش وهــــو فى البر درع والأساطيـلُ وهـى فى البحــر لامــة
لو تأمـــــلتها عشيــــــة جاشت خلتها فى يد الـــقضاء حمامـــــة
رجّهـــــا رجّـــــة أكـــــبت على قرنيـــه (بـــوذا) وزلـــزلت أقدامــه
استعذنـــا بالله من ذلك السيـــــــــل الـــذى يكسح البـــلاد أمامـــه
من رأى جلمـــــداً يَهُبُّ هبوبـــــاً وحميمـــا يسِّـــــحُ سحَّ الغمامــــة؟
ودخانـــا يَلُـــفُّ جُنحـــاً بجنــــح لا ترى فيـــــه معصميها اليمامـــــة
وهـــزيما كما عوى الـــذئبُ فى كل مكــــــان وزمجر الضرغامـــــة

* * *

أتت الأرض والسمـــــاء بطوفـــــا ن يُنسّى طوفــــان نوح وعامـــــه
فترى البحر جُنَّ حتى أجاز الـــــبر واحتـــل موجـــه أعلامـــــه
مُزبـــدا ثائـــر اللجـــاج كجـــيش قوض العـــاصف الهبـــوب خيامـــه
فُلْكُ نوح تعـــوذ منــــه بنـــــوح لورأتـــــه وتستــــجير زمامـــــه
قد تخيـــــلتهم متابيـــــل سحــــــر من قراع القضاء صرعـــى مُدامـــه
وتخيـــــــلتُ من تخلّـــــــف منهم ظن ليـــل القيـــام ذاك ، فنامـــــه
أبراكيــــــــــنُ تلك أم نزوات من جراح قديمة مُلْتَامـــــــــــة
تجد الأرض راحـــــــة حيث سالت راحـــة الجسم من وراء الحجامـــة
مالها لا تضج مما أقـــــــــلّت من فسادٍ وحُمِّـــلت من ظلامـــــة
كلمــــا لُبِّست بأهــــل زمــــان شهـــدت من زمـــانهم آثامـــــه
استــــووا بالأذى ضُرّا وبــــالشـــر ولوعـــاً وبالدمـــاء نهامـــــة
لبست هذه الحيــــــاة علينـــــا عالم الشر وحشَـــــه وأنامــــــه
ذاك من مؤنساتـــــه الظفـــــــر والناب وهذا سلاحه الصمصامـــة
سرّه من أسامــــــة البـــــــطش والفـــتك فسمَّـــى وليـــده بأسامـــة
لؤمت منهمـــا الطبـــاع ولكـــــن ولـــــدُ العـــــاصيين شرٌّ لآمة !

حافظ وزلزال مِسِّينا جنوبى إيطاليا
سنة ١٩٠٨م

نبِّئانى إن كُنْتُما تَعْلَمان … ما دَهَى الكَوْن أيها الفرقدان
غضب الله أم تمرَّدت الأرض … فأنحت على بنى الانسان
ليس هذا سبحان رَبِّى … ولاذاك ولكن طبيعة الأكوان
غليان فى الأرض نفَّس عنه … ثوران فى البحر و(البركان)
رَبِّ ، أين المفرُّ والبحر والبر … على الكيد للورى عاملان ؟
كنتُ أخشى البحار والموتُ فيها … راصد غفلةً من الرُّبان
سابح تحتنا ، مُطلٌّ علينا … حائم حولنا ، مُناء مُدانى
فإذا الأرض والبحار سواء … فى خلاق كلاهما غادران
ما (لمسِّين)؟ عوجلت فى صباها … ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها … حين تمت آياتها آيتان
خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت … قُضى الأمر كله فى ثوانى
وأتى أمرها فأضحت كأن لم … تك بالأمس زينة البلدان
ليتها أمهلتْ فتقضى حقوقا … من وداع اللدات والجيران !
لمحة يسعد الصديقان فيها … باجتماع ويلتقى العاشقان
بَغَتِ الأرض والجبال عليها … وطغى البحر أيما طُغيان
تلك تغلى حقداً عليها فتنشق … انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجما وقذفا … بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردا عليها … جيش موج نائى الجناحين دانى
فهنا الموت أسود اللون جون … وهنا الموت أحمر اللون قانى
جنَّد الماء والثرى لهلاك … الخلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتيا فأمدته … بجيش من الصواعق ثانى
فاستحال النجاءُ واستحكم اليأس … وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غلَّه من نفوس … لا تباليه فى مجال الطعان

أين ((ردجو))؟ وأيـــن ما كان فيها؟ من مغـــانٍ مأهولـــة وغـــوانى
عوجـــلت مثـــل أختها ودهاهـــا ما دهاهـــا من ذلك الثـــوران
رُب طفل قد ساخ فى باطـــنِ الأر ضِ ينادى: أمى ! أبى ! أدركانى !
وفتـاة هيفـاء تشوى على الجمـــر تعـــانى من حَرِّهِ ما تعـــانى
وأب ذاهـــل الى النـــار يمشى مستميتـا تمتـد منـــه اليـــدان
باحثـــا عن بناتـــه وبنيـــه مسرع الخطـــو مستـــطير الجنـــان
تأكل النـــار منــــه لا هو ناجٍ من لظاهـا ولا اللظـى عنـه وانى
غصت الأرض أتخم البحـــــر مما طويـــــاه من هذه الأبـــــدان
وشكـا الحوت للـــنسور شكـــاة رددتها الـــــنسور للحيتـــــان
أسرفـا فى الجسوم نقـــراً ونهشا ثم باتـا من كظـــة يشكـــوان
لا رعى الله ساكـن القمـم الشم ولا حاط ساكـــن القيعـــــان
قد أغـارا على أكـــفٍّ براهـــا بارى الكائنـــــات للاتقـــــان
كيـــف لم يرحما أناملهـــا الغـــر ولم يَرْفُقَـا بتـلك البنــــان ؟
لهف نفسى وألـــــف لهف عليها من أكُـفٍ كانت صنـاع الزمـان
مولعـات بصيـــد كل جميـــل ناصبـــات حبائـــل الألـــوان
حافـرات فى الصخـــر أو ناقشات شائـــدات روائـــع البنيـــان
منطقــــــات لسان كل جمادٍ مُفْحِمَـــاتٍ سواجـــع الأفنـــان
ملهمـات من دقـة الصنـع مالا يلهـم الشعـر من دقيـق المعـانى
من تماثيـل كالنجـوم الـــدرارى يهرم الدهـر وهـى فى عنفـــوان
عَجَبٌ صُنعهـا ! وأعـــجبُ منـــه صُنعـــه ! تلك قدرة الـــرحمن
إيـــه مسين آنسى اليـــوم بيـــــى فقـد أوحشت بذاك المكـــان
آنسى الـدرة التـى كانت الحليـة فى تاج دولـــــة (الرومــــان)
غالها قبـــلك الزمـــان اغتيـــالا وهـى تلهـو فى غبطـة وأمـان
جاءهـا الأمـر والسراة عكـــوف فى الملاهـى على غنـاء القيـــان
بين صب مدلـــهٍ وطـــــروب وخليع فى اللهـو مرخـى العنـان
فانطووا كانطـواء أهـــلك بالأمس وزالت بشاشة العمــــــران
أنت (مسين) لن تزولى كما زالت ولكـن أمسيت رهـن الأوان

إنّ إيطاليا بنوها بناة ... فاطمئني مادام فى الحى بانى
فسلام عليك يوم توليت ... بما فيك من مغانٍ حسان !
وسلام عليك يوم تعودين ... كما كنت جنة الطليان !
وسلام من كل حى على الأرض ... على كل هالك فيك فانى !
وسلام على الألى أكل الذئب ... وناشت جوارح العقبان !
وسلام على أمرئ جاد بالدمع ... وثنى بالأصفر الرنان !
ذاك حق الانسان عند بنى الانسان ... لم أدعكم إلى إحسان
فاكتبوا فى سماء (ردجو) و(مسـ ... ـينا) و(كالبريا) بكل لسان
ها هنا مصرع الصناعة والتصـ ... ـوير والحذق والحجا والأغانى

ستون ثانية زلزال القاهرة

للشاعر: رشاد يوسف

ستون ثانية ياقوم ما الخبر ؟
الأرض ما بالها والدور والبشر ؟
الأرض من تحتهم ساخت وفوقهم
ديارهم هُدِمَت ما بعدها أثر
ومات من مات والأنقاض مدفنة
ومن نجا فمصير مثقل عَسِرُ
وللضحايا أنين فى مسامعه
وما تفارقه الأحداث والصور

* * *

أهزة تفزع الدنيا وترعبها
أرجة فى خطاها يكمن الخطرُ
فجاءة ليس غير الله يعلمها
وليس يفلت من أقدارها حَذِرُ

* * *

يارب عفوك فالأخطار محدقة
وليس غيرك للأخطار يُدَّخرُ
أنت اللطيف بنا فى كل نازلة
إن الكوارث لا تبقى ولا تذر

قطع غيار بشرية

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

شَنِّف الآذان وَاسْمَعْ   أعجب الأخبار .. تَتْرى
زفَّ للمحزون ذى العاها   تِ والأموال .. بُشرى
أحْرزَ الإنسان مختا   لًا على «المحذور[1]».. نصرا
فأحلَّ اليوم فعلا   من قريب .. كان نكْرا
واغْتدَى الإخْلال والإبدال .. فى الإنسان يجرى

★ ★ ★

صار للأعضاء سوق   فيه تُشْرَى .. أو .. تُباعْ
كلية معروضة فيه   وعَيْن .. أو ذراع
كى يطول العمر والإنسان يغريه ابتداع
سلعة فى العصر راجت   ليس ترضاها الطباع
لا تسل من أين جاءت   ذاك سِرٌّ .. لا يذاع

★ ★ ★

مُبْدع الإنسانِ منذ المبْدء .. أعْلاهُ ، وكَرَّمْ
فى حياة ، أو ممات   صانه جسما .. وحرَّم
كيف ساغ العقل تَرْميمًا ، لجسْمٍ قد تهدَّم
من سليم فى حياة   أو لسرٍّ الله أسلم
إن ذا إعصارُ شَرٍّ   فى حياة الناس .. دَمْدَمْ[2]

---

* كتب الشاعر هذه القصيدة إحساسا منه بما تولد عن (استبدال الأعضاء) فى الانسان من عصابات الاجرام التى تفننت فى السطو على أعضائه وبيعها للمرضى الأغنياء ثم مالبث أن كتب الدكتور مصطفى محمود فى الموضوع بصحيفة الأهرام صباح السبت ٢١ من ربيع الأول ١٤١٣هـ ١٩ /٩ /١٩٩٢م مثيرا للقضية وما نالت من حقوق الفقراء البائسين الذين ذهبوا ضحية هذه العصابات .

(١) يعنى بـ (المحذور) ما كان للميت من (حرمة) تبددت قيمتها .

(٢) الأبيات من ملحمة للشاعر تبلغ أكثر من ألف وخمسمائة بيت ، مؤلفة من خماسيات تتضمن نظرات الشاعر وآراه وأحكامه ، ونقده فى مختلف شئون الأدب والحياة

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

المنسوب إلى سيدنا شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري

٥

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

﴿ باب الوقـــف على مرسوم الخط ﴾ *

أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية فيما تدعو الحاجة إليه ، أو اختباراً ، واضطراراً ، وأنه يوقف على الكلمة على وقف رسمها فى الهجاء ـ إبدالا وحذفاً وإثباتاً وقطعا ووصلا ـ إلا أنه ورد عنهم اختلاف فى أشياء معينة تنحصر فى خمسة أقسام .

الأول : الإبدال فوقف ابن كثير والبصريان والكسائى بالهاء على كل ما كتب بالتاء من هاءات التأنيث نحو (رحمت) فى المواضع السبعة ، و (امْرأت) ، كذلك ما كتب ، و (نعمت) فى الأحد عشر موضعا ، و (سنت) فى المواضع

* قام الإمام الحُصرى :
وَقِـــفْ عنـــد إتمام الكَـــلامِ بموافقَـــا
لِمُصْحَفِنَـــا المَتْلُـــوّ فى البَـــرّ والبحـــرِ

الخمسة ، و (لعنت) معا ، و (معصيت) كذلك ، و (كلــمت ربك الحسنـــى) فى الأعراف ، و (بقيت الله) و (قرت عين) و (فطرت الله) و (شجرت الزقوم) و (جنت نعيم) و (ابنت عمران) . والباقون بالتاء على الرسم ، وكذا الحكم فيما اختلف فى إفراده وجمعه نحو (كلمت ربك) فى الأنعام وغيرها كما سيأتى و (آيات للسائلين) و (غيابت الجب) وغيرها مما يأتى فى الفرش : فمن قرأه بالإفراد فى الوقف على أصله المذكور ، ومن قرأه بالجمع وقف عليه بالتاء كسائر الجموع .

واختلفو أيضا فى ست كلمات أُخَر : (يا أبت) فى يوسف ومريم والقصص والصافات ، وقف عليه بالهاء الابنان وأبو جعفر ويعقوب ، و (هيهات) فى موضعى « المؤمنون » وقف عليه بالهاء الكسائى والبزى ، واختلف عن قنبل ، ووقف الباقون بالتاء ، و (مرضات) فى موضعى البقرة وفى النساء والتحريم ، و (لات حين) فى « صٓ و (اللات) فى النجم ، و (ذات بهجة) فى النمل ، وقف الكسائى على هذه الأربعة بالهاء ، والباقون بالتاء فى الكلمات الست على الرسم .

الثانى : الإثبات : وذلك فى (هاء السكت) وفى (حرف العلة المحذوف للساكن) .

أما هاء السكت فوقف بها يعقوب والبزى بخلاف عنهما فى « عم ـ وفيم ـ وبم ـ ولم ـ وثَمَّ » ويُعقوب فى « هو ـ وهى » كيف وقعا ، واختلفُ عنه فى الوقف بها على (النون المشددة من ضمير الإنـــاث) نحو « هن ـ ولهن ـ ومثلهن ـ وأيديهن ـ وأرجلهـن » وفى المشدد المبنى نحو « علـــىّ ـ وإلـــىّ ـ وبيـــدىّ ـ ومصرخىّ ـ ولدىّ » وروى عنه الوقف بها على النون المفتوحة ، نحو « العالمين ـ والمفلحون » وعلى « إياىّ » قال أصل : وقياسه (مثواى) ونحوه .

قلت : «وما لقياس فى القراءة[1] مدخل».

واختلف عن رويس فى « ويلتى ـ وأسفى ـ وحسرتى وثم ـ بفتح الثاء ، ووقف الباقون على ذلك كله بغيرها على الرسم .

وأجمعوا على الوقف بهاء السكت فى سبع كلمات اتباعا للرسم ، واختلفوا فى إثباتها وصلا ، وهى : « يتسنه » فى البقرة ـ حذفها فى الوصل الإخوة ويعقوب و (اقتده) فى الأنعام كذلك إلا أن ابن عامر كسرها وصْلا ، واختلف عن ابن ذكوان فى إشباع كسرها و (كتابيه وحسابيه) فى موضعى الحاقة ، حذف الهاء منهما يعقوب و (ماليـــه وسلطانيـــه) فيها أيضا و (ماهيه) فى القارعة حذف الياء من الثلاثة حمزة ويعقوب . وأمـــا (حرف العلـــة المحذوف للساكن) فوقف ابن كثير على ما حذف للتنوين بالياء فى موضعى الرعد والزمر وفى غافر ، و (واق) فى موضعى الرعد وغافر و (وال) فى الرعد ، و (باق) فى النحل ، وعن قنبل أنه يقف بالياء فى (فاق) فى الرحمن ، و (راق) فى القيامة ، وعنه أيضا أنه يقف فى سائر الباب نحو

(١) صدر بيت للإمام الشاطبى فى قصيدته اللامية فى السبع ... المحقق .

(غواش – وموص – وتراض – وحام) وعن ورش – من طريق الأزرق – أنه يقف بالياء فى (قاض – وباغ) حيث وقعا ، وعن يعقوب بإثبات الياء فى جميع الباب ، ووقف يعقوب على (ما حذف لغير تنوين) بالياء فى أحد عشر حرفا فى سبعة عشر موضعا : (ومن يؤت الحكمة) فى البقرة على قراءته[1] ، (وسوف يؤتى الله) فى النساء (واخشون اليوم) فى المائدة ، و (يقض الحق) فى الأنعام و (ننجى المؤمنين) فى يونس ، و (بالواد المقدس) فى طه والنازعات ، و (واد النمل) فيها[2] و (الواد الأيمن) فى القصص و (لهاد الذين آمنوا) فى الحج ، و (بهاد العُمْى) ، و (يُرِدْنِ الرحمن) فى يس ، و (صال الجحيم) فى الصافات ، و (يناد المناد) فى ق ، و (تغن النذر) فى القمر و (الجوار المنشآت) فى الرحمن ، و (الجوار الكنس) فى التكوير .

وأما (يا عباد الذين آمنوا) أول الزمر فلا خلاف فى حذفها عنه ، إلا ما شذ عنه من طريق رويس من إثباتها ، ووافقه الكسائى على (بهاد العمى) فى الروم ، وعلى (واد النمل) بخلاف عنه ، وزاد بعضهم عنه (الواد المقدس) و (الواد الأيمن) ، واختلف عن حمزة فى (بهادى العمى) فى الروم على قراءته ، ووافقه ابن كثير على (ينادى المنادى) فى « ق » بخلاف عنه ، وعن ورش – من طريق الأزرق – الوقف بالياء فى (صال الجحيم) ، والباقون فى ذلك بغير « ياء » موافقة للرسم ، وعن يعقوب وقنبل أنهما يقفان بالواو فيما حُذِفَتْ منه للساكن ، وهو (ويدع الإنسان) فى سبحان و (يمح الله الباطل) فى الشورى ، و (يوم يدع الداع) فى القمر ، و (سندع الزبانية) فى العلق .

ووقف البصريان والكسائى بالألف على (أَيُّهَ المؤمنون) فى النور و (أَيُّهَ الساحر) فى الزخرف و (أَيُّهَ الثقلان) فى الرحمن – والباقون بغير ألف اتباعا للرسم ، وضم ابن عامر الهاء على الإتباع للياء .

الثالث : الحذف وهو فى (وكأين) فقط حيث وقع . وقف عليه بالياء البصريان والباقون بالنون .

الرابع : وصل المقطوع ، وهو فى (أياما) فى آخر « سبحان » وقف على « أيا » دون « ما » الأخوان ورويس على ما نص عليه بعضهم والأصح جوازا لوقف على كل منهما اتباعا للرسم ، و (مال) فى النساء والكهف والفرقان والمعارج وقف أبو عمرو – فى قول الجمهور – على مادون اللام ، ونقل ذلك عن يعقوب عن الكسائى بخلاف عنه ، والباقون على اللام دون (ما) على ما صرح به بعضهم ، والأصح جواز الوقف على « ما » للجميع ؛ لأنها كلمة برأسها ، وأما الوقف على اللام فمحتمل لانفصالها خطا .

الخامس : قطع الموصول وهو (ألا يسجدوا) فى النمل كما يأتى فى سورتها ، و (ويكأن) و (ويكأنه) فى القصص . وقف الكسائى فيهما بالياء ، وعن أبى عمرو بالكاف ، وأكثر المحققين لم يذكروا فى ذلك شيئا فيوقف عندهم على الكلمتين ، وبِأَسْرِهما[3] لاتصالهما رسما بالإجماع ، وهذا هو الأولى بالصواب .

---

(١) أى قراءة يعقوب ... المحقق .

(٢) أى فى النمل ، لا (النازعات) كما قد يتبادر إلى الذهن .

(٣) أى برمتها ...

باب مذاهبهم فى ياءات الإضافة

(الياء) من ذلك ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف نحو « نفسى - وفَطَرَنِى - وإنّى » فهى كهاء الضمير وَكَافِهِ ؛ فلذلك لم يكن « لاما » من الفعل قط ، ومن ثم عُدَّ فتح « يا » (إن أدرى أقريب) شاذا ، والمختلف فيه من هذه الياءات « مائتان وتسعون ياء » ، وعند المكسورة ثنتان وخمسون ، وعند المضمومة عشر ، وعند همزة الوصل المتصلة باللام أربع عشرة ، وعند الهمزة المفردة سبع ، والباق وهو ثلاثون عند غير ذلك .

أما ما كان عند الهمزة المفتوحة ففتح منه البزى وورش من طريق الأزرق « ياء » (أوزعنى أن) فى النمل والأحقاف ، وروى ذلك عن قالون أيضا ، وفتح ابن كثير « ياءَيْن » (فاذكرونى أذكركم) فى البقرة و (أدعونى استجب لكم) فى غافر ، وفتح هو والأصبهانى (ذرونى أقتل) فى غافر .

وفتح المدنيان وابن كثير أربعا : (حشرتنى أعمى) فى طه و (ليحْزِننى أن) فى يوسف و (تأمرونّى أعبد) فى الزمر و (أتعداننى أن) فى الأحقاف .

وفتح المدنيان وأبو عمرو ثمانيا : (اجعل لى آية) فى آل عمران ومريم و (ضيفى أليس) فى هود ، و (إنى أرانى) فى موضعى يوسف ، و (يأذن لى أبى) فيها ، و (من دونى أولياء) فى الكهف ، و (يسر لى أمرى) فى طه .

وفتح هؤلاء والبزى أربعا : (ولكنى أراكم) فى هود والأحقاف و (إنى أراكم) فى هود ، و (من تحتى أفلا) فى الزخرف ، وعن قنبل أيضا فتح (تحتى أفلا) وفتح المدنيان (يَاءَى) (سبيلى أدعو) فى يوسف ، و (ليبلونى أأشكر) فى النمل ، وفتح معهما البزى (فطرنى أفلا) فى هود ، وروى ذلك عن قنبل أيضا وفتح المدنيان وابن كثير وأبو عمرو باق الياءات ، وهى خمس وسبعون ياء إلا أنه اختلف عن ابن كثير منها فى « ياء » (عِنْدِى أَوَ لَمْ) فى القصص ، ووافقهم ابن عامر وحفص على فتح (معى) فى التوبة والملك ، وابن عامر وحده على فتح (لعلى) حيث وقع ، وعن ابن ذكوان إسكانها فى موضعى القصص ، وعن هشام إسكانها فى طه ، ووافقهم أيضا - بخلاف عن هشام - على فتح (أرهطى أعز) فى هود ، ووافقهم أيضا بخلاف عن ابن ذكوان على فتح (مالى أدعوكم) فى غافر ، وأجمعوا على إسكان (أربع ياءات) غير ذلك (أنظرنى) فى الأعراف ، (ولا تفتنى أَلَا) فى التوبة ، (وترحمنى أكن) فى هود (فاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ) فى مريم .

وأما التى عند الهمزة المكسورة ففتح منها أبو جعفر ونافع بخلاف عنه (إِخْوَتِى) الياء فى يوسف ، وفتح المدنيان وابن عامر (ورسلى) فى المجادلة وفتح المدنيان منها ثمانيا : (أنصارى إلى) فى آل عمران والصف ، و (بعبادى إنكم) فى الشعراء (وستجدنى إن شاء الله) فى الكهف والقصص والصافات و (بناتى إنْ) فى الحجر و (لعنتى إلى) فى ص ، وفتح المدنيان وأبو عمرو باقى ياءات هذا الباب ، وهو ثلاث وأربعون « ياء » إلا أنه اختلف عن قالون فى (ربى إنَّ) فى فصلت ، ووافقهم ، الابْنَان على فتح يَاءَىْ (آبائى إبراهيم) فى يوسف و (دعائى إِلَّا) فى نوح .

ووافقهم ابن عامر وحفص على فتح عشر

ياءات « وأمّى إلهين » فى المائدة ، وأجرى إلا » فى يونس وموضعى هود وخمسة مواضع فى الشعراء وموضع سبأ ، ووافقهم ابن عامر ـ وحده ـ على فتح يَاءَيْن « توفيقى إلا » فى هود « وحزنى إلى الله » فى يوسف ، ووافقهم حفص وحده فى « يَدِىَ إليك » فى المائدة ، وأجمعوا على إسكان تسع ياءات : « أنظرنى إلى » فى الأعـــراف و « فأنظرنى إلى » فى الحجر وفى صٓ و « تدعوننى إليه » فى يوسف ، و « يصدقنى إنّى » فى القصص ، و « تدعوننى إلى » و « تدعوننى إليه » فى غافر و « ذريتى إنى » فى الأحقاف و « أخرْتنى إلى » فى « المنافقون .

وأما التى عند الهمزة المضمومةففتحها المدنيان إلا أنه اختلف عن أبى جعفر فى « أنِّى أُوفِى » فى يوسف ، وأجمعوا على إسكان يَاءَىْ : « بعهدى أوف » فى البقرة ، و « آتونى أُفْــرِغ » فى الكهف .

وأما التى عند (همزة الوصل المتصلة باللام) فسكنها حمزة ، وافقه حفص فى « عهـــدى الظالمين » فى البقرة ، وابن عامر فى « آياتى الذين » فى الأعراف وابن عامر والكسائى وروح فى « قل لعبادى الذين آمنوا » فى إبراهيم ، والبصريان والكسائى وخلف فى « يا عبادى الذين آمنوا » فى العنكبوت ، و « والذين أسرفوا » فى الزمر ، وعن رويس إسكان « عبادى الشكور » فى سبأ .

وأما التى عند همزة الوصل المجردة ففتح منها ابن كثير وبو عمرو ، فى « اصطفيتك » فى الأعراف ، و « أخى شدد » فى طه ، وفتح أبو عمرو « يا ليتنى اتخذت » فى الفرقان والمدنيان وابن كثير وأبو عمرو « لنـــفسى اذهب » و « ذكرى أذهبا » فى طه والمدنيان وأبو عمرو والبزى وروح « قومى اتخذوا » فى الفرقان والمدنيان والبصريان وابن كثير وشعبة « بعدى اسمه » فى الصف ، وعن روح إسكانها وأما التى عند غير ذلك : ففتح منها هشام وحفص « بيتى للطائفين » فى البقرة والحج و و « بيتى مؤمنا » فى نوح ، ووافقهما فى البقرة والحج المدنيان وفتح ورش « بى لعلهم » فى البقرة و « لى فاعتزلون » فى الدخان والمدنيان وابن عامر وحفص و « وجهى لله » فى آل عمران و « وجهى للذى » فى الأنعام ، وابن عامر « صراطى مستقيما » فى الأنعام و « أرضى واسعة » فى العنكبوت والمدنيان و « ومماتى لله » وحفص أربع عشرة : « معى تسع » ـ « معى بنى إسرائيل » فى الأعراف و « معى عدوا » فى التوبة ، و « معى صبرا » ثلاثة فى الكهف و « معى » فى الأنبياء و « إن معى ربى » و « من معى من المؤمنين » فى الشعراء ، و « معى ردءا » فى القصص ، و « لى خمس » « لى عليك » فى إبراهيم و « لى فيها » فى طه و « لى نعجةُ » و « ما كان لى من علم » فى صٓ و « لى دين » فى الكافرون ، ووافقه ورش فى « معى من المؤمنين » والأزرق عن ورش فى و « لى فيها » ، وهشام بخلاف عنه فى « ولى نعجةُ » ونافع وهشام والبزى بخلاف عنه فى « ولى دِين » ، وفتح ابن كثير « ورائى وكانت » فى مريم و « شركائى قالوا » فى فصلت ، وابن كثير وعاصم والكسائى « مالى لا أرى » فى النمل ، واختلف فيها عن هشام وابن وردان ، وشذ فتحها عن ابن ذكوان ، وسكن حمزة ويعقوب وخلف وهشام بخلاف عنه « مالى لا أعبد » فى يٓس ، رأبو جعفر ونافع بخلاف عن الأزرق و « محياى »

فى الأنعام ، وروى الخلاف عن ابن وردان أيضا وتتمه الثلاثين من ياءات هذا الباب « يا عبادى لا خوف » فى الزخرف ، فقد اختلفوا فى حذفها وإثباتها وفتحها وإسكانها ، وسنذكر ذلك فى آخر سورتها .

وأجمعوا على (فتح كل ياء وقعت بعد ساكن ألف كان أو غيرها) نحو « عصاى وإياى – ورؤياى – ومثواى – وبيدىّ – وعلىّ – وإلىّ » لأجل الجمع بين الساكنين ، ولم يختلفوا فى غير « محياى » كما مرت الإشارة إليه .

بابُ مذاهبهم فى الزوائد

وهى الياءات المحذوفة رَسْماً واختلف فى إثباتها وحذفها وصلًا ، أو فى الحالين ، وجملتها مائة وإحدى وعشرون جاء منها : خمس وثلاثون فى حشو الآى ، والباقى – وهى ست وثمانون – فى رءوس الآى ، ولمثبتى هذه الياءات أصول ، فالمدنيان وأبو عَمرو والأخوان يثبتون ما أثبتوه فيها وصلا لا وقفا ، وابن كثير ويعقوب يثبتان فى الحالين ، وابن عامر وعاصم وخلف يحذفون فيهما ، وربما خرج بعضهم فى بعض عن أصله كما يأتى بيانه .

أما الواقع حشو الآى فأثبت المدنيان وابن كثير والبصريان منه مع واحدة من رءوس الآى إحدى عشرة ياء : « يوم يأت » فى هود و « أخرتنِ » فى الإسراء و « يهدين ، وَكنا نبغ وتُعَلِّمَنِ ويُؤْتِينَ » فى الكهف ، و « الا تتبعن » فى طه و « الجوار » فى الشورى و « المناد » فى قَ و « إلى الداع » فى القمر « وإذا يسر » فى الفجر وهى فقط من رءوس الآى . ووافقهم الكسائى فى « يأت ، ونبغ » وهم على أصولهم إلا أن أبا جعفر فتح الياء « من تتبعن » وصلا وأثبتها وقفا ، وأثبت المدنيان وابن كثير والبصريان وحمزة « أتمدوننى بمال » فى النمل على أصولهم إلا حمزة ، فإنه خالف أصله فأثبتها فى الحالين ، وتقدم اتفاقه مع يعقوب على إدغام النون فى آخر باب الإدغام الكبير . وأثبت ابن كثير والبصريان وأبوجعفر ونافع – بخلاف عن ورش – « إن تَرَنِ » فى الكهف ، « واتبعون أهدكم » فى غافر على أصولهم ، وأثبت ابن كثير والبصريان وأبوجعفر وورش « والباد » فى الحج ، وأثبت ابن كثير والبصريان وورش « كالجواب » فى سبأ ، وروى ذلك عن ابن وردان ، وأثبت البصريان وأبوجعفر وورش والبزى « يدع الداع إلى » فى القمر ، وأثبت هؤلاء – غير البزى – « الداع إذا دعان » فى البقرة ، واختلف عن قالون فيهما : فقيل الحذف فيهما ، وقيل الإثبات فيهما ، وقيل الحذف « فى الداع » والإثبات فى « دعان » وقيل العكس ، وأثبت المدنيان والبصريان « فهو المهتد » فى الإسراء والكهف ، وأثبت البصريان وأبوجعفر وورش « تسئلن » فى هود ، وروى ذلك عن قالون ، وأثبت البصريان وأبوجعفر ثمانيا : « واتقون يا أولى الألباب » فى

(١) المحقق ليظهر معنى الكلام ، فإنه غير موجود فى المخطوط ما بين القوسين .

(٢) فى الفجر .

البقرة « وخافون إن » فى التقريب وخافونى فى آل عمران ، « واخشون ولا » فى المائدة « وقد هدان » فى الأنعام ، « وثم كيدون » فى الأعراف ، « ولا تخزون » فى هود ، « وبما أشركتمونى » فى إبراهيم ، « واتبعون » فى الزخرف ، وروى ذلك عن قنبل فى « واتبعون » ، ووافقهم هشام بخلاف عنه فى « كيدون » وما نقل عن قنبل من أنه يثبت هذه الياءات الثمان قال الدانى : إنه غلط ، واختلف عن رويس فى « ياعباد » من « ياعباد فاتقون » ، وأحسب أن إثباتها عنده لأجل مجاورتها « فاتقون » لثبوتها على أصله ، واختلف عن قنبل فى يَاءَيْن : « نرفع ونلعب ، ويقف ويصبر » فى يوسف . وبقى من هذا الفصل ثلاث كلمات ، وقع بعد الياء فيهن ساكن . وهى « أتان الله » فى النمل أثبت أبوعمرو وحفص ورويس وحذفها الباقون وصلا للساكن ، وأثبتها فى الوقف يعقوب وقنبل ، واختلف فى إثباتها وحذفها عن أبى عمرو وقالون وحفص ، ووقف الباقون بالحذف « وإن يردن الرحمن » فى يسٓ : أثبت أبوجعفر الياء فيها مفتوحة وصلا ، واتفق مع يعقوب على إثباتها وقفا ، والباقون بالحذف فى الحالين . و« فبشر عباد الذين » فى الزمر أثبت السوسى فيها الياء مفتوحة وصلا ، بخلاف عنه ، ثم اختلف المثبتون عنه فأثبتها منهم فى الوقت أيضا الجمهور ، وحذفها الآخرون فيه ، والباقون بالحذف فى الحالين .

وأما الياءات المحذوفة من رءوس الآى ــ ومنها « يسر » ــ وإن تقدمت استطرادا ــ فأثبتها يعقوب فى الحالين على أصله ، ووافقه غيره فى ست عشرة كلمة « وتقبل دعائى » فى إبراهيم ــ وافقه وصلا الأبوان وحمزة وورش ، ووافقه فى الحالين البزى ، واختلف عن قنبل : فعنه حذفها فى الحالين ، وعنه إثباتها وصلا وحذفها وقفا ، وحذفها الباقون فى الحالين « والتلاق ، والتناد » فى غافر ، فوافقه وصلا ورش وابن وردان ، فى الحالين ابن كثير ، وعن قالون الحذف والإثبات وقفا . « واكرمن ، وأهانن » فى الفجر . فوافقه على الإثبات وصلا المدنيان ، وفى الحالين البزى .

واختلف عن أبى عمرو ، فالجمهور عنه على التخيير بين الحذف والإثبات ، والآخرون على الحذف و« بالواد » فى الفجر أيضاوافقه وصلا ورش ، وفى الحالين ابن كثير ، واختلف عن قنبل وقفا و« المتعال » فى الرعد فوافقه فى الحالين ابن كثير ، وعن قنبل حذفها فيهما ، والصحيح الأول ، « ووعيد » فى إبراهيم وموضعى « قٓ » و « نكير » فى الحج وسبأ وفاطر والملك ــ « ونُذُير » فى الستة فى القمر ، « وإن يكذبون » فى القصص ، « ولا ينقذون » فى يسٓ ، و« لَتُرْدِين » فى الصافات ، و« إن ترجمون ، فاعتزلون » فى الدخان و« نذير » فى المُلك ؛ فوافقه على الإثبات فى التسع فى هذه المواضع ورش ، واختص يعقوب بما بقى من الياءات فى رءوس الآى وهى ستون ياء ستأتى مفصلة مع غيرها آخر كل سورة ، وأما « تسألنى » فى الكهف فسيأتى ذكرها لابن ذكوان فى موضعها ، فإنها ليست من هذا الباب لثبوتها رسماً ..

الألقاب الإسلامية
في التاريخ والوثائق والآثار

تأليف

دكتور حسن الباشا

عرض وتقديم الاستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

لم تحظ الألقاب الإسلامية حتى الآن بدراسة خاصة وافية على الرغم من عظم شأنها ، إذ أنها تفيد أساسا فى تفهم بعض النظم والاتجاهات غير المعروفة . ثم هى تبرز بوضوح فى المؤلفات التاريخية ومعظمها يعنى بالملوك وحروبهم . وتوضح الألقاب أيضا ميول الحكام وموظفيهم وما يسيطر عليهم من نزعات ، بل إنها فى كثير من الأحيان تشير إلى برامج حكوماتهم .

وتصبح الألقاب الفخرية ذات أهمية قصوى إذا درست نشأتها وتطورها على مدى الزمن فى ضوء ما يحيط بها من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية ، وما تقدمها أو لحق بها من ظروف تاريخية عامة . وهى ـ من هذه الزاوية ـ مصدر من المصادر المادية فى دراسة التاريخ الإسلامى .

ومن هنا يكتسب مؤلف الدكتور حسن الباشا أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة وعنوانه « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » أهميته .

انتظمت الدراسة فى ثمان وسبعين وخمسمائة صفحة بما فيها صفحات المراجع والفهارس ، وقسمها المؤلف إلى مقدمة وقسمين رئيسيين : فى المقدمة عمد المؤلف إلى شرح المعنى اللغوى

للقب مؤكدا على اختلاف المعنى اللغوى فى هذا الصدد عن المدلول الشائع : فأصل اللقب فى اللغة النّبَز ، وهو ما يخاطب به الإنسان من ذكر عيوبه ، وما يجب ستره ؛ وقد ورد فى القرآن الكريم بهذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ﴾ .

ثم أجيز استعمال اللقب فى موضوع النعت الحسن ، وأكثر من استعماله بهذا المعنى حتى اصطلح على مدلوله على التشريف والمدح[1] .

على أن الكتاب فى عصر المماليك قد اصطلحوا فيما بينهم على مدلول خاص للقب ، وفرقوا بينه وبين ما سموه بالنعت : فسموا صفات المدح التى ترد بصيغة الإفراد ، أى التى تتكون من لفظ واحد مثل الفاضل ، والشيخ ، والعالى ونحو ذلك ، ألقابا وصفات ترد فى صورة التركيب ، أى التى تتكون من أكثر من لفظ واحد مثل (مَوْلى أمير المؤمنين) ، و (نصير الإسلام والمسلمين) ، و (عضد الملـوك والسلاطين) ، ونحو ذلك نعوتا .

والنعت فى اللغة : الصفة ، وكان يطلق على ما يختاره الإنسان ويزيد فى إجلاله ، وهو بهذا المعنى عكس اللقب بمعناه الأول . غير أنه استعمل أيضا فى الذم ، وعلى هذا اتفق مع اللقب فى جواز استعماله للمدح أو للذم .

وأخيرا غلب فى العرف استعمال كلا من النعت واللقب لصفات المدح والتكريم .

وفى هذه الدراسة قصد المؤلف بالألقاب : ما يطلق من الصفات رسميا على سبيل التشريف ؛ وبهذا يقتصر فيه على الألقاب الفخرية الرسمية ، ويخرج من نطاقه الألقاب الشعبية التى لم تمنح لأصحابها بطريق رسمى ، وكذلك أسماء الوظائف إن لم يكن لها مدلول فخرى .

أما القسم الأول من الدراسة فقد خصصه المؤلف لدراسات تمهيدية قصد من ورائها شرح نظم الألقاب وتطورها فى التاريخ الإسلامى وعقد لهذا القسم أربعة فصول .

ولما كانت الألقاب مرتبطة ارتباطا وثيقا بالديوان المختص بالمكاتبات الرسمية ، أى (ديوان الإنشاء) : ذلك الديوان الذى عُنى منذ نشأته بالألقاب لصلتها بالمكاتبات والمراسيم ، فعمل على تصنيفها ، ووضع الأسس المنظمة لها ، فقد رأى الباحث أن يكون الفصل الأول فى بحثه عن هذا الديوان ، وأثره فى تنظيم مصطلح المكاتبات من مراسيم وألقاب .

وبما أن أهم الوسائل لتنظيم مصطلح الكتابة وإقراره كانت تنحصر فى محاولة قادة الرأى بين الكُتاب وضع الدساتير المقررة لقواعد العرف السائد بينهم ، والمبينة لآرائهم فيه : وذلك بتصنيفهم كتبا فى معالم الكتابة ، وصناعة الإنشاء ، والتعريف بالمراسيم . لذلك اعتبر الباحث دراسة هذه الكتب وتحليلها بمثابة عرض عام لمراسيم المكاتبات فى العصور المختلفة وبيان للدور الذى قام به الكتاب فى تكوين هذا المصطلح على مدى الزمن . ولذا خصص المؤلف الفصل الثانى لدراسة بعض الدساتير الرئيسية التى كان لها شأن فى تنظيم الألقاب خاصة والمراسيم عامة . وفى هذا الفصل اعتمد الباحث على كتب ثلاثة راعى فى اختيارها أن تكون ممثلة للمراحل المختلفة من عصر الأيوبيين والمماليك وهى :

ـ معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث .
ـ التعريف بالمصطلح الشريف لشهاب الدين ابن فضل الله العمرى .
ـ صبـــح الأعشى فى صناعـــــة الإنشا للقلقشندى .

وفى الفصل الثالث استعرض المؤلف نشأة الألقاب الفخرية المتعلقة بأصحاب الوظائف مع دراسة صلتها بالظواهر الاجتماعية والسياسية المحيطة بها ، والمميزات الخاصة بالعصور التاريخيــة المختلفة .

وخصص الفصل الرابع لدراسة نظم الألقاب وتطورها ، مع العناية ببحث موضوع منح الألقاب الفخرية ، وبتفصيل أنظمة الألقاب المعقدة فى عصر المماليك .

أما القسم الثانى من الكتاب فقوامه معجم مفصل للألقاب الفخرية التى ظهرت فى الإسلام .

قام المؤلف بدراسة الألقاب من ناحية معناها اللغوى ، وأصلها ومناسبة ظهورها وتطورها واستعمالها فى الكتابات الأثرية ، وعلى النقود وفى الوثائق ، وناقش آراء واضعى الدساتير بصددها عارضا للظروف السياسية والاجتماعية والدينية التى أثرت فيها ، مشيرا إلى ما يمكن أن تلقيه من ضوء على المسائل التاريخية المختلفة .

ويؤكد مؤلفنا على أن دراسة الألقاب يلزمها الرجوع إلى أنواع مختلفة من المصادر التى يتألف عمودها الفقرى من الكتابات الأثرية ، ونقوش العملة ، والوثائق الرسمية ، وكتب الإنشاء والمراسيم ، وكتب التاريخ والأدب .

ويرجع الدكتور حسن الباشا أهمية الكتابات الأثرية إلى أنها كانت تُؤلف صيغتها فى ديوان الإنشاء ، ولذا تعتبر من هذه الوجهة ذات صبغة رسمية . ولكن يلاحظ أنها كانت تتحكم فيها المساحات المطلوب تغطيتها ، ونوع الأثر الذى ستوضع عليه .

كذلك ينبه المؤلف على أهمية نقوش النقود حيث هى أهم مصادر الألقاب من الناحية الرسمية ؛ ولكن من المعروف أن الألقاب التى ترد على النقود قليلة بالنسبة لمثيلاتها فى المصادر الأخرى ، فضلا عن أنها تقتصر على ألقاب الحكام . إذ لم يكن يسمح لغيرهم بضرب النقود . ومن جهة أخرى ؛ فإن النقود عرضة للتزييف ولأحداث الزمان من تآكل وضياع ، مثلها فى ذلك مثل التحف الأثرية ، ومن هنا ظلت دائما فى حاجة إلى الايضاحات من المراجع الأدبيـــة والتاريخية المختلفة .

وتناول المؤلف دور الوثائق الرسمية فى دراسة الألقاب حيث إن الألقاب التى ترد فى نسخ المكاتبات والمعاهدات السياسية تعتبر ذات صفة رسمية . وقد ورد كثير من الوثائق فى كتب المصطلح ، وتشمل الدساتير التى وضعها أساطين الكتاب لتنظيم العمل بديوان الإنشاء ، فدرسوا فيها مصطلح الكتابة وقوانين الألقاب ، لذا كانت هذه الكتب ضرورية لتوضيح القواعد المتبعة فى كل عصر فى ترتيب الألقاب وأوضاعها فى أجزاء المكاتبات على اختلافها .

يقول المؤلف : « كان يقصد من منح الألقاب الفخرية أمور مختلفة منها : تكريم صاحب اللقب ، أو تثبيته فى وظيفته ، أو إقرار حقه ، أو الإشادة بفضائله ، أو كسب رضاه ، أو إعلان ولائه ، أو تعويضه عن سلطة مسلوبة أو إشباع غروره ، أو تغطية ضعفه . أما من حيث الأصل اللغوى ؛ فإن

معظم الألقاب عربية الأصل ، وكثيرا من ألفاظ هذه الألقاب قد وردت فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف » ..

ألقاب غير عربية

ولكن بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية ودخل فى الإسلام أجناس أخرى غير عربية ، ظهرت ألقاب كثيرة ذات أصول غير عربية . وكان أغلب هذه الألقاب فارسى الأصل أو تركيا مثل « شاه » وهو لفظ فارسى بمعنى ملك وسيد ، وكان يطلق على ملوك الفرس أو من تشبه بهم . وقد تضاف إليه ألفاظ أخرى فيقال : « شاه أرض » ، أو « ملك أرض » ، أو « شاه جهان » أى ملك العالم ، أو « شاه ديار بكر » أو « شاه الدنيا والدين » . ومن الذين أطلق عليهم لقب شاه : أبو الفتح موسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب وجاء ذلك على نقش بتاريخ ٦٢٥ هـ على اسطرلاب من سورية .

ومن الألقاب الفارسية التى دخلت الإسلام كذلك لقب « شاهنشاه » وهو مختص بملك الملوك عند الفرس تمييزا له عن لقب « شاه » ودخل هذا الإسم فى الإسلام كلقب فخرى عصر الدولة العباسية ، وذلك تبعا لعادة خلفائها فى اتخاذ كثير من التقاليد الفارسية . وخوطب الملك العادل من قبل الخليفة الناصر العباسى سنة ٦٠١ هـ بلقب « شاهنشاه ملك الملوك » .

كذلك لقب « شهريار » وهو لفظ فارسى تعنى أكبر ملوك العصر ، أو كبير المدينة ، أو الشمس ، وأطلق لقب « شهريار الأعظم » على « أبى الفوارس أيبك السلطانى » ، ولقب « شهريار توران » على أبى الفتح مودود بن محمود بن محمد بن قرا أرسلان .

ومن الألقاب التركية المستخدمة فى العصور الإسلامية لقب « خاقان » وكان يطلق على ملك الأتراك وأصله « قان قان » أو « قا القان » أو « قان القانات » وعندما دخل هذا اللقب حياة المسلمين أطلق على رؤساء القبائل التركية ، ووصل إلى مصر فى عصر المماليك فأطلق على السلطان الأشرف قايتباى .

ودخل لقب « الخاتون » وهو لفظ تركى معناه « السيدة » العالم الإسلامى عن طريق الأتراك واستعمل للتعبير عن « الحريم » وكان يرد مع الاسم فيقوم فى هذه الحال مقام لقب « سيدة » للاشارة إلى الجليلات من النساء خصوصا أميرات الأسر الحاكمة .

دلالات الألقاب

أما من حيث دلالات الألقاب فيلاحظ أن بعضها كان يفيد الملكية مثل : « ملك العراقين والمصرين » لقلاوون .

وبعضها يشير إلى مزايا المُلقب مثل : « المجاهد فى سبيل الله » لنور الدين .

وبعضها يرمز إلى حادثة معينة مثل : « الآمر ببيعة الخليفتين » لبيبرس .

وبعضها يرتبط بوظيفة خاصة مثل : « الصاحب » للوزير المدنى فى العصر الأيوبى .

ويرى المؤلف أن بعض هذه الألقاب لم يكن يفيد المدلول الظاهر مثل لقب « القاضى » الذى لم يكن يشير فى أواخر العصر الفاطمى وعصر المماليك إلى أن الملقب به من القضاة ؛ بل كان لقبا

عاما للكتـاب والعلمـاء والموظـفين المدنـيين ، وكذلك لم يكن لقب « حاج » يشترط فيمن يلقب به من عصر المماليك أن يكون قد أدى فعلا فريضة الحج ، وذلك على عكس لقب « الحاجة » .

ويلاحظ الدكتور الباشا أن بعض الألقاب كان يرمز إلى مبادىء عامة ، ومن ذلك ألقاب الخلفاء العبـاسيين والفاطمـيين . فمثـلا إطـلاق لقب « خليفة الله فى الأرض » على الخليفة العباسى كان يرمز إلى تصور العباسيين للخلافة على أنها خلافة عن الله فى حكم الناس ، بعد أن كانت فى صدر الإسلام خلافة عن النبى ﷺ .

وكان بعض الألقاب يتصل بحوادث عامة لها خطورتها فى تاريخ الإسلام ، منها مثلا : الحروب الصليبية ، التى كانت سببا فى ظهور أنواع مختلفة من الألقاب التى شاعت فى الشرق الأدنى فى القرن السادس الهجرى ، حين استفحل خطر الصليبيين فى الشام واتجهت مطامعهم شطر مصر لضعف الخلافة الفاطمية التى عجزت عن أن تحمى نفسها بعد أن قصرت فى الدفاع عن الأراضى المقدسة .

ألقاب تربوية

وعمد نور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى إلى تغيير نظام الحكم فى مصر وإنشاء حكومة قوية تستطيع صد هجمات الصليبيين ، وكان سلاحها الفعال إحياء روح الجهاد فى الشعب عن طريق توجيهه إلى الفضائل الإسلامية الأولى . وكان لهذا الاتجاه المزدوج صداه فى ألقـاب ذلك العصر فظهرت الألقاب التربوية مثل : « العبد الفقير إلى رحمة الله ، الخاضع لهيبته ، المعتصم بقوته » ، و « القائم بأوامر الدين » ، و « منصف المظلومين من الظـالمين » ، و « كهـف الفقـراء » ، و « بمقوى الضعفاء ، وذخر الأرامل والمحتاجين ، وبانى المدارس والمساجد » ... الخ .

ألقاب الكفاح فى سبيل الله

كما شاعت ألقاب الكفاح والقتال فى سبيل الله ومنها : « أمير المجاهدين » و « كنـز الغـزاة والمجاهدين » و « المرابط » و « المثابر » و « حافظ الثغور » و « حامى الثغور » .

ويتناول المؤلف نوعا آخر من الألقاب الفخرية لإلقاء الضوء من زاوية جديدة على بعض المشاكل التاريخية . ومن أمثلة هذا النوع الألقاب التى ترمز إلى صلة بين الخليفة والسلطان « مولى أمير المؤمنين » فى العصر العباسى الأول و « قيم خليفة الله » فى أواخر عصر المماليك مما يظهر بوضوح ماهية الصلة بين الخليفة والسلطان فى العصور المختلفة وتدهور قيمة الخلافة على مدى الزمن .

وهناك اعتبـارات كان لها دورهـا فى نشأة الألقاب ؛ إذ لوحظ أن الظروف المتشابهة كانت تخلق ألقابا متشابهة ، وبعض الألقاب كان على صلة بالمكان الذى ظهر فيه ، ومن ذلك مثلا ظهور ألقاب « يمين الدولة » و « يمين المملكة » و « يمين خليفة الله » فى (غزنة) و (دلهى) اللتين تقعان فى يمين العالم الإسلامى .

ألقاب العلماء

وكانت هناك ألقاب خاصة بالعلماء كلقب « الفاضل » الذى أطلق على الوزير أبى عامر محمد

ابن عامر بن ذروة الجبرى وجد فى نص جنائزى سنة ٤٧٧ هـ مكتوبا على لوح من الرخام فى أسبانيا ، كما نعت به القاضى عبدالرحيم البيسانى الكاتب المشهور فى أواخر العصر الفاطمى وأوائل العصر الأيوبى ، وكان أحيانا يضاف إلى ياء النسب . ومن ألقاب العلماء كذلك لقب « اللبيب » أى العاقل ، ولقب « المحقق » بمعنى المتقصى للحقيقة ، ولقب « اللوذعى » بمعنى الذكى القلب ، ولقب « المدقق » وهو الذى يمعن النظر فى المسائل ويناقشها بدقة .

كذلك كانت بعض الألقاب تنتقل ـ إذا ما لاءمتها الظروف الاجتماعية ـ على طور الطرق التجارية ، فمثلا لقب « الاسكندر » الذى يرمز إلى القوة واتساع النفوذ ظهر فى (دلهى) سنة ٦٠٢ هـ ، وفى (سمرقند) سنة ٦١٠ هـ ، وفى (أغادير) سنة ٦٣٥ هـ ، وفى (كارا) سنة ٦٦٤ هـ ، وفى (مصر) فى القرن الثامن الهجرى .

وأخيرا يلاحظ المؤلف أن قيمة اللقب أخذت فى الإضمحلال تدريجيا ، ويتمثل ذلك بصفة خاصة فى الألقاب التى عاشت مدة طويلة مثل الألقاب المضافة إلى « الدين » ، وألقاب الكناية المكانية كـ « الجناب » ، و « المقر » و « الحضرة » .

تعقيب :

وبعد فالدراسة تعد واحدة من أهم الدراسات العربية التى ناقشت بعمق وإسهاب وأسلوب (أكاديمى) متميز موضوع « الألقاب » والتى تعد من الموضوعات التى أهملها الكثيرين من باحثينا كما هو الحال فى أغلب القضايا العلمية المتعلقة بتاريخ الحضارة الإسلامية ، ذلك الإهمال الذى فتح الباب على مصراعيه أمام المستشرقين لدراسة تاريخ وحضارة أمتنا من وجهة نظرهم ووفقا لمنطلقاتهم الفكرية بل وفرضها على باحثينا ومثقفينا كحقائق مسلمة غير قابلة للنقاش ، ونأمل فى القريب العاجل أن يهتم باحثينا ومثقفينا وهم على درجة كبيرة من العلم والوعى بسد هذا النقص الخطير .

ولكن لنا على المؤلف ملاحظة تتعلق بعنوان بحثه « الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار » ففى مقدمة البحث وبالتحديد فى الفقرة الأخيرة ص ١ يقول « أما فى كتابنا هذا فنعنى بالألقاب ما يطلق من الصفات رسميا على سبيل التشريف ؛ وبهذا يُقتصر فيه على الألقاب الفخرية الرسمية ، ويخرج من نطاقه الألقاب الشعبية التى لم تمنح لأصحابها بطريق رسمى ، وكذلك أسماء الوظائف » .. فى حين أن العنوان كما هو واضح عام بالألقاب الإسلامية كلها دونما تخصيص ، وكان من الممكن تدارك هذا الأمر عن طريق تناول الألقاب الشعبية وأسماء الوظائف فى مقدمة البحث بشكل مختصر ولو فى فصل واحد وذلك تعميما للفائدة ، أو لإدخال نوع من التحديد على العنوان ؛ إلا أن تلك الملاحظة لا تقلل بحال من قيمة هذا البحث الفريد .

ولكم نود ـ والباحث على إلمام دقيق بجغرافية بحثه ـ إن صح التعبير ـ لو عرج إلى (علاقة الأدب بهذه الألقاب) على مر العصور كما فعل فى بحثه ، إذا لظفرت المكتبة العربية الأدبية بِسَدّ لما أوجده الباحث من فراغ كان طبيعيا أن يتلمسه القارىء بعد استيعابه لهذا المجهود الفريد للألقاب .

أنباء وآراء

- أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
- أنبـــاء العـــالم الإســلامـــى

أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد

الإمام الأكبر يستقبل نائب وزير العدل الكينى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ أوكوباسو نائب وزير العدل الكينى والوفد المرافق لسيادته، صباح الإثنين ٨ ربيع الآخر ١٤١٣هـ ٥ أكتوبر ١٩٩٢م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث طلب وزارة العدل الكينية مساهمة الأزهر الشريف فى إعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية، وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، للعمل به فى كينيا بالنسبة للمسلمين هناك، وذلك بناء على طلبهم .

وقد أعلن نائب وزير العدل الكينى أن الرئيس الكينى دانيال أراب موى سيوافق على العمل بهذا القانون بعد إصداره بمعاونة الأزهر الشريف .

وقد ناقش فضيلة الإمام الأكبر مع أعضاء الوفد تفاصيل المشروع والوقوف على ما هو واقع فعلا بالنسبة لأحوال المسلمين فى كينيا، وطلب فضيلته إيضاحا حول سبل التقاضى هناك .

وأكد فضيلته على أن علماء الأزهر الشريف سيبذلون قصارى جهدهم لتقديم المشورة والمعاونة فى وضع مشروع هذا القانون بالتنسيق مع الجهات المعنية .

ويستقبل وفد القضاء الباكستانى

واستقبل فضيلته وفد القضاء الباكستانى الممثل لأكاديمية الشريعة بالجامعة الإسلامية الباكستانية، صباح الإثنين ٨ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ٥ أكتوبر ١٩٩٢ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

ودار الحديث حول نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى العالم .

وأوضح فضيلة الإمام للوفد مدى ارتباط الشريعة الإسلامية بالقضاء واحتوائها لكافة أحكام العبادات والمعاملات ونظم الأسرة وواجبات وحقوق الأفراد مؤكدا على أهمية مبدأ الشورى كسبيل لوحدة الأمة الإسلامية .

قبول الطلاب الوافدين من دول الكومنولث

وافق فضيلة الإمام الأكبر على قبول كافة الطلاب الوافدين من دول الكومنولث الإسلامية للدراسة بالأزهر الشريف بقسم الدراسات الخاصة .

وأعلن فضيلته : أنه تقرر قبول أوراق مائة طالب من هذه الجمهوريات ، ويجرى بحث قبول خمسمائة طالب آخرين لنفس الدراسة .

الإمام الأكبر يفتتح كلية اللغة العربية بإيتاى البارود

افتتح فضيلة الإمام الأكبر المبنى الجديد لكلية اللغة العربية بمدينة إيتاى البارود بمحافظة البحيرة .

وحضر الافتتاح مع فضيلته : فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسيد المستشار صلاح الدين عطية محافظ البحيرة .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن تربية الأبناء على القيم الإسلامية الصحيحة مسئولية الأسرة والمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام .

وقد أعلن فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر أنه سيتم قريبا افتتاح المكتبة الإسلامية المركزية للجامعة ، كما سيتم افتتاح عدة كليات جديدة بالجامعة بتكلفة إجمالية قدرها مائة مليون جنيه .

الإمام الأكبر يعتمد نتيجة الدور الثانى لمعهد البعوث الإسلامية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتيجة إمتحان الدور الثانى للشهادتين الإعدادية والثانوية بمعهد البعوث الإسلامية .

بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الإعدادية ٨٧ ٪

كما بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الثانوية ٨٧,٨ ٪

أخبار العالم الإسلامى

تقديم الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير

البوسنه والهرسك

اتخذ مجلس الأمن قرارًا بعدم أحقية أو أهلية جمهوريتى : صربيا والجبل الأسود ـ وهما ما تبقى من يوغسلافيا الشيوعية ـ فى احتلال مقعد يوغسلافيا بالمنظمة العالمية ، ووافق على القرار اثنتا عشرة دولة ، وامتنعت ثلاث دول من التصويت ، كما طالبهما القرار بالتقدم بطلب جديد لنيل عضوية الأمم المتحدة ، وهو ما تكافح الدول الإسلامية للحيلولة دون حدوثه خصوصًا بعد الاعتراف الدولى الذى نَالتْه جمهورية البوسنه والهرسك .

القيادة الإسلامية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية

شكل المسلمون فى أمريكا فريق عمل أطلقوا عليه اسم (القيادة الإسلامية الوطنية للولايات المتحدة الأمريكية) وذلك بهدف الضغط على الحكومة الأمريكية للتدخل عسكريًا لصالح المسلمين فى البوسنة والهرسك . وإيقاف اعتداءات الصرب وانتهاكاتهم لأبسط حقوق الإنسان فى قلب أوربا ، والتدخل العسكرى أمر طالما عزف عنه البيت الأبيض بحجج لا تغيب عن بال مسلم .

هذا ويتألف الفريق القيادى المذكور من كوكبة من الدعاة المسلمين فى أمريكا .

والجدير بالذكر أن الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة قامت فى أوائل أكتوبر ١٩٩٢

بحملة إعلامية قوية لمناصرة مسلمى البوسنه والهرسك الذين يتعرضون للابادة ، كما قامت مجموعة من المراكز الإسلامية فى واشنطن وما جاورها بالدعوة لصلاة الجمعة فى الميدان المقابل للبيت الأبيض ، وتنظيم مسيرات شعبية لذات الغرض أى للدعوة التى لاقت نجاحًا شعبيًا منقطع النظير لمساندة البوسنه والهرسك .

موسكو

تلقى المركز الإسلامى بموسكو دعمًا ماديًا وعينيًا لصيانة وإصلاح شىء من المساجد فى الاتحاد السوفيتى البائد ، كما أهدى إليه مجموعة من المصاحف وترجمات المصاحف لمعانى القرآن الكريم بالعربية والروسية إلى جانب مطبوعات إسلامية أخرى ومساعدات للأسر السوفيتية التى اعتنقت الإسلام .

جزر ميسو فالا

أثنى محمد حبيب سلطان نائب رئيس منظمة تحرير جزر (ميسو فالا) الواقعة جنوب الفلبين ، على الجهود التى تبذلها رابطة العالم الإسلامى لخدمة المسلمين ، وأشار إلى اهتمام الرابطة بشئون المجاهدين فى جنوب الفلبين عامة ، وفى جزر ميسو فالا خصوصاً ، وقال : إن المجاهدين التابعين للمنظمة المذكورة قرروا خوض الانتخابات النيابية فى الفلبين . مشيرًا إلى أن عدداً من علماء المسلمين قد تم ترشيحهم لعضوية (البرلمان) وبين سيادته أن اشتراك العلماء فى تلك الانتخابات يعد من أقوى الوسائل وأفضلها لاستمرارية الدعوة والمطالبة بحقوق مسلمى جزر ميسو فالا

مدريد

أوصى المشاركون فى الملتقى الإسلامى السنوى الثانى عشر الذى اختتم أعماله فى مدريد بضرورة العمل على إنشاء معهد خاص بدراسة مشكلات الأسرة المسلمة فى الغرب وأسبانيا بهدف تحليلها ووضع الحلول الملائمة لها ، وذلك للحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق نمو شخصيتها فى الغرب .

شارك فى الملتقى الذى نظمته الجمعية الإسلامية بأسبانيا عدد من القائمين على شئون مسلمى أوربا وعلماء بعض الدول العربية والإسلامية .

الرعاية الطبية فى التسعينات

عقد فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٣ المؤتمر العلمى الرابع بكلية طب الأزهر تحت عنوان « الرعاية الطبية فى التسعينات » وناقش أحدث ما وصل إليه العلم فى مختلف فروع الطب وذلك للارتفاع بمستوى الرعاية الصحية .

شارك فى المؤتمر كوكبة من أساتذة الطب يمثلون الجامعات المصرية ووزارة الصحة والقوات المسلحة والتأمين الصحى .

لأول مرة

بدأت فى الأسبوع الأخير من سبتمبر الماضى ولأول مرة الدراسة المنتظمة فى (معهد العلوم العربية والإسلامية) فى أمريكا . ويدرس المعهد مناهج الشريعة لمدة أربع سنوات كذلك بدأت الدراسة لأول مرة أيضا فى الأول من أكتوبر ١٩٩٢ فى الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية فى فرنسا ، وهى الكلية التى أنشئت لإعداد

كوادر من الأئمة والخطباء والدعاة من أبناء أوربا للنهوض بالدعوة والخطابة فى المساجد والمراكز الإسلامية ، وتشمل الكلية أقسامًا للشريعة الإسلامية وأصول الدين واللغة العربية .

رابطة الجامعات الإسلامية

تنظم رابطة (الجامعات الإسلامية) خلال أكتوبر ٩٢ مؤتمرين إسلاميين ، ويعقد المؤتمر الأول بالتعاون مع جامعة الزقازيق بعنوان (الإسلام وتحديات العصر) ويحمل المؤتمر الثانى عنوان (الأندلس : الدرس والتاريخ) وذلك بالتعاون مع جامعة عين شمس ، كلتا الجامعتين مصرية .

أبو ظبى

قام وفد من مسلمى روسيا وجمهوريات آسيا الوسطى بزيارة لدولة الإمارات العربية بدعوة من جمعية دار البر .

ويبحث الوفد خلال الزيارة سبل المساهمة فى تمويل وتنفيذ عدد من المشروعات الخيرية والإسلامية هناك ومن أهمها إقامة ثمانين مسجدًا ، وخمسين مدرسة وعشرين معهدًا إسلاميًا وعشرة مراكز إسلامية وطبع ثلثمائة ألف كتاب لتعليم الصلاة ومثلها لتلاميذ المرحلة الابتدائية وكفالة الدارسين والدعاة وتأمين الاحتياجات الأخرى المطلوبة .

تركيا

عقدت فى استانبول بتركيا اجتماعات الدورة الثانية للجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بمنظمة المؤتمر الإسلامى برياسة (تورجوت أوزال) رئيس تركيا ورئيس اللجنة ، وتم فى هذه الدورة استعراض الموضوعات التى تناقشها اللجنة ، وسبل دعم التعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الأعضاء .

الفلبين

قررت هيئة الإغاثة بجدة إنشاء ٩ مدارس فى بعض المناطق التى اعتنق أهلها الإسلام بالفلبين ، جاء ذلك فى تقرير صادر عن الهيئة .

وأضاف التقرير أن هيئة الإغاثة تنوى إنشاء مدارس قرب قواعد جبهة تحرير مورو الإسلامية إلى جانب إنشاء ثلاث معاهد إسلامية ، كما أنه من المزمع زيادة المنح الدراسية لأبناء الفلبين المسلمين بثلاثين منحة مع توفير منح إضافية فى الدراسات العليا (التخصص والعالمية) وذلك فى جميع التخصصات العلمية لإعداد كوادر إسلامية مؤهلة .

باكستان

المشروع الإسلامى بين النظرية والتطبيق

عقد فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ ربيع الأول ١٤١٣ الماضى المؤتمر الثانى لاتحاد الطلبة المسلمين فى باكستان ، وناقش المؤتمرون (المشروع الإسلامى بين النظرية والتطبيق) والفروق الجوهرية بين الديمقراطية والشورى فى الإسلام ، ومنهجية التفكير والعمل الإسلامى ، وقضايا أخرى .

شهد المؤتمر عدد من المهتمين بالدراسات الإسلامية فى داخل باكستان وخارجها .

الفهـــــــــرس

الموضوع — الصفحة

● الافتتاحية : عصر يوم عسير
للدكتور على أحمد الخطيب ٦٠٩
● مع الإمام الأكبر
تعريف الوفاة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦١٢
● التطبيق الجغرافى (مرج البحرين يلتقيان)
للأستاذ الدكتور محمد متولى ٦٣٠
● قبس من أنوار النبوة (المساواة فى الإسلام)
للشيخ / على حامد عبدالرحيم ٦٤٥
● من حضارة الإسلام (رحلة جواز السفر فى العصر الإسلامى) للدكتور مجاهد توفيق الجندى ٦٤٩
● الدروس المستفادة من غزوة حنين (٢)
للواء. ا. ح. محمد جمال الدين.............. ٦٦٠
● اثر تغير قيمة النقود فى الحقوق والالتزامات (٢)
للأستاذ الدكتور على السالوس ٦٦٧
● لامو (مركز الدراسات الاسلامية فى كينيا)
د. عبدالله نجيب محمد ٦٧٣
● سالم مولى أبى حذيفة (إمام مسجد قباء)
للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم ٦٧٨
● مع ابن ظفر وبشارات النبوة (٢)
بقلم الأستاذ عبدالحفيظ فرغلى على القرنى ٦٨٢
● الفتاوى
إعداد : الأستاذ : عبدالمنعم حافظ فودة ٦٨٧
● من أعلام الأزهر
ـ خطيب الثورة العرابية :
(الشيخ عبدالله النديم)
للمستشار : محمد عزت الطهطاوى ٦٩٠
ـ (فقدينا الأستاذ السيد قرون)
بقلم الأستاذ خليفة عبدالرحيم التونسى . ٦٩٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ٦٩٧
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر (المسلمون فى مفترق الطرق)
لصاحب الفضيلة الشيخ عبدالحميد المسلوت
إعداد وتقديم الأستاذ/عبدالفتاح حسين الزيات.............................. ٦٩٩
● الإمام والخطيب
ـ (مكانة العلم فى الإسلام) و (الرشوة وعواقبها الوخيمة) للشيخ عبدالمنصف محمود ٧٠٤
ـ (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) و (حجة الله على العالمين) للشيخ عبدالمعبود الجمل ... ٧٠٨
● الإسلام فى المانيا
بقلم الدكتور زكى صارى طوبراق ٧١٢

العلوم الكونية

● الإنسان ومشكلات التلوث النووى
ا. د أحمد فؤاد باشا ٧٢٠
● النزيف المهبلى
للدكتور أحمد رجاء عبدالحميد ٧٢٤
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د نجوى السيد أحمد ٧٢٧

اللغة والنقد والأدب

● دورات أدبية عالمية
بقلم الأستاذ محمد عبدالوهاب جنيدى .. ٧٣١
● المعجم العربى الميسر
بقلم الدكتور : على أحمد الخطيب ٧٣٣

الشعر والشعراء

● شوقى وزلزال طوكيو ٧٣٧
● حافظ وزلزال مسينا جنوبى إيطاليا ٧٣٩
● ستون ثانية زلزال القاهرة
للشاعر : رشاد يوسف ٧٤١
● قطع غيار بشرية
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ٧٤٢
● تخليص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٥)
تحقيق فضيلة الشيخ إبراهيم عطوه عوض . ٧٤٣
● الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار
عرض وتقديم : أحمد السيد تقى الدين ... ٧٥٠

أنباء وآراء

● أنباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر
للأستاذ / مصطفى عبدالمجيد ٧٥٧
● أخبار العالم الإسلامى
تقديم الأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير .. ٧٥٩

القسم الفرنسى

● المقالة الثانية
د. أميمة جمال ٧٦٩
● المقالة الأولى
د. رقية جبر ٧٦٩

القسم الإنجليزى

● المقالة الثانية
د. سعد مصطفى مصطفى ٧٧٧
● المقالة الأولى
د. أنس مصطفى النجار ٧٨٢

Il est donc remarquable que le fait de commettre une grande faute n'excommunie pas de l'Islam et que les grands pêcheurs restent musulmans mais désobéissants. Ces désobéissances sont soumises aux peines convenables soit par les peines légales, soit les "Ta'zirate" qui restent à l'appréciation du juge.

L'Islam représente le dernier des messages divins révélés par Allah aux envoyés : Moïse, Jésus et Muhammad sceau desprophètes.

Pourquoi n'y a-il-pas mis fin tout de suite, en envoyant sans attendre le Prophète définitif ?

L'humanité a suivi des étapes, et progresse conformément à la pratique graduelle d'Allah. Le Tout Puissant dit : "... Il vous a crées par phases successives"(1).

Les messages célestes vont de pair avec ces phases. Atteignant la raison parfaite, l'homme est accédé au sommet de ces phases. Le message musulman est révélé avec le miracle de la raison, celui du Coran, la Parole même d'Allah.

Dr. OMAYMA GAMAL

---

(1) LXXI — Noé — le sens du verset : 14

(١) سورة نوح : آية ١٤ .
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

"Les grandes fautes" ont les désobéissances aux prescriptions données par Allah comme obligatoires, et qui dès lors sont ou peuvent être punies, sur terre d'abord, dans l'Au-délà ensuite."(2)

Pourtant lorsque Allah dit : "Allah pardonne tous les péchés". Ces paroles ne comportent pas le "shirk", c'est-à-dire le fait de donner à Allah des associés. "Le "shirk" inclut non seulement le polythéisme, mais aussi le dualisme et le polythéisme"(1). En effet le "shirk" ne fait pas partie des péchés car le péché est le fait de désobéir aux commandements d'Allah. On peut conclure que le shirk vient à la tête de la liste des "grandes fautes". En réalité, le shirk est le seul péché irrémissible, en voici la preuve : "Allah ne pardonne pas qu'on Lui associe quoi que ce soit, Il pardonne à qui I veut des péchés moins graves que celui-ci. Celui qui assossie quoi que ce soit à Allah, commet un crime immense"(2).

Assurément, la condition foncière pour obtenir le pardon d'Allah consiste à se repentir. C'est pourquoi, nous remarquons qu'Allah a fait suivre le verset 53 de la sourate "Les Groupes" (Dis : O mes serviteurs vous qui avez commis des excès à votre propre détriment, ne désespérez pas de la miséricorde d'Allah. Allah pardonne tous les péchés) par ce verset : "Revenez vers votre Seigneur! Soumettez-vous à Lui avant que le châtiment ne vous atteigne, car ensuite, vous ne seriez pas secourus" (3).

L'envoyé de Allah-à lui bénédiction et salut dit : "Suivez la faute par une oeuvre bonne qui l'efface, et traitez les gens avec bonne éthique"(1). Un autre hadith met l'accent également sur la joie d'Allah face à celui qui se repentit. Néanmoins, le repentir ne suspend pas les peines prescrites par les-quelles les grands pêcheurs sont chatiés ici-bas.

---

(2) Louis Gardet — L'Islam religion et communaté — paris — Desclée de Brouwer — 1978 — p. 145.

(1) Jacques Jomier — Pour connaître l'Islam — op. cit. — (extrait d'une communication de al-Hajj UNNS jah, à une conférence islamo-chrétienne à Freetown, Sierra, Leone, en 1986) (traduit de l'anglais) — p. 49.

(2) IV -- les Femmes le sens du verset 48

سورة النساء آية ٤٨ .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(3) XXXIX — Les Groupes le sens du verset 53 — 54

سورة الزمر آية ٥٣ ـ ٥٤ .

قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

(1) Raporté par Al-tirmidhi.

قال رسول الله ﷺ :

« اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » .

salut -- a vu Ibrahim dans le Paradis et autour de lui les enfants. On a interrogé le Prophète. Et les enfants des polythéistes ?(1). Il a répliqué : "Et les enfants des polythéistes sont au Paradis." On n'est chargé que par la puberté. Il faut donner au pubère polythéïste la liberté de choisir la vraie religion qui convient avec sa fitra et non pas le contraindre à une religion quelconque. L'Islam a donné la liberté de choix à l'humanité.

Disponsant ainsi de la liberté de choix, l'homme a accepté de porter le dépôt de la foi : "Oui, nous avons proposé le dépôt de la foi aux cieux, à la terre et aux montagnes. Ceux-ci ont refusé de s'en charger, ils en ont été effrayés. Seul l'homme s'en est chargé, mais il est injuste et ignorant(2).

Mai pourquoi l'homme a-t-il accepté de porter ce dépôt ?

Ayant fait de l'homme son vicaire sur la terre, Allah lui a confié ce dépôt qui aura lieu tant qu'on a le choix de faire ou de ne pas faire. Le verset ci-dessus signifie que les cieux, la terre et les montagnes ont refusé d'avoir le libre choix et ont préféré d'être assujettis à la volonté d'Allah. La raison en est qu'ils ont été tous effrayés des conséquences de ce choix qui pourrait les mener à désobéir aux commandements d'Allah.

A l'opposé de ce refus, l'homme a osé se charger de cette responsibilité qui lui confère la liberté de choix entre le bien et le mal, entre la vérité et l'erreur etc.

D'une certaine manière, croyant être capable de plaire à Allah et d'éviter ce qui pourrait le mettre en colère, l'homme n'a pas pris en considération la tentation de Satan, les plaisirs de la vie et la faiblesse de l'âme humaine. C'est ainsi qu'il est devenu injuste envers lui même. "Ignorant" veut dire qu'il a ignoré la vérité d'Allah. La plupart des savants ont signalé que le dépôt donc inclut toutes les fonctions de la religion.l Le dépôt donc — selon Al-Kurtubi — repose sur les obligations qu'Allah a confiées à l'homme."(1)

Enfin, entre la foi et l'infidélité n'y avait-il pas un état intermédiaire, une "demeure entre les deux demeures", et pouvait-on rester musulman quand on avait commis de fautes graves ? Ou fallait-il excommunier les grands pêcheurs ?

Certes, en transgressant les interdictions d'Allah, l'homme devient pêcheur. Le seul fait de désobéir n'excommunie pas de l'Islam. Celui qui meurt musulman, croyant, monothéiste, aura pour conséquence inéluctable le Paradis, sans rester éternellement en Enfer qu'elles que soient les fautes commises, à condition qu'il ne les considère point licites.

La faute grave regroupe toute désobéissance nécéssitant une peine prescrite dans ce monde tel que le meurtre, l'adultère et le vol. Elle est également ce qu'Allah, le Très haut, et le phrophète — à lui bénédiction et salut — ont interdit dans le Coran et la Sunna.

---

(1) Rapporté par Al-Bukhari

حين رأى الرسول ﷺ إبراهيم عليه السلام فى الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين » أى فى الجنة » .

(2) XXXIII — Les Factions-le sens du verset 72

(٢) سورة الأحزاب : آية ٧٢ .

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

(1) Al-Kurtubi — Al-Djami 'Li Akham Al-Kuran — op. cit. — volume 14 — p. 255.

Les causes de l'égarement résident dans la déviation, la corruption dans la terre, l'infidélité, la consommation des péchés, et l'abondon des instructions de l'Islam. Telles sont les causes qui ont égaré les gens parce qu'ils ont préféré l'aveuglement à la bonne conduite.

Par contre, Allah dirige ceux qui lui obéissent et qui croient en Lui : cela signifie que la bonne direction consiste à vaincre les difficultés pour se mettre dans la voie droite. Allah Tout Puissant dit : "Allah dirige le coeur de celui qui croit en Lui".(1)

Celui qui a préféré la bonne conduite, qui a suivi le chemin d'Allah, obtient du Tout Puissant un secours qui l'aide à parvenir à sa fin.

Lorsqu'il s'agit de la bonne direction, il faut que le coeur soit pur de tout polythéïsme et toute déviation afin de parvenir à la voie droite. On découvre cette voie droite par entremise de la réflexion sur la création des cieux et de la terre suivant l'exemple d'Ibrahim. "Je tourne mon visage, comme un vrai croyant, vers celui qui a créé les cieux et la terre. Je ne suis pas au nombre des polythéistes"(2) Ibrahim a découvert la Vérité selon la nature qu'Allah a donné aux hommes en les créant (fitra).

Cette fitra est citée dans le hadith authentique : Selon Abu Hurayra — qu'Allah soit satisfait de lui — le Prophète — à lui bénédiction et salut-a rapporté "Chaque nouveau né vient au monde selon la fitra. Ce sont ses parents qui le rendent juif, chrétien et mazdéen"(1) Ce hadith signifie que chaque enfant est né en ayant une intuition à recevoir l'Islam. Celui dont les parents sont musulmans, reste musulman. Mais si la création selon la fitra signifie qu'Allah crée tous les hommes musulmans, comment les parents peuvent-ils changer une telle création ?

"Le fait de rendre un être humain juif ou chrétien est un caractère survenu à l'homme par acquisition de ses parents exactement comme la mutilation qui atteint la brebis bien qu'elle naisse sans défaut"(3). Ce fait est démontré par la législation musulmane qui stipule que les enfants impubères des polythéistes qui meurent, entreront au Paradis puisqu'ils sont considérés musulmans. Quand l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et

---

(1) LXIV -- La Duperie Réciproque-le sens du verset 11

(١) سورة التغابن آية ١١ .
وَمَن يُؤْمِن بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ

(2) VI -- les Troupeaux -- le sens du verset 79

(٢) سورة الأنعام آية ٧٩ .
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

(1) Rapporté par Muslim

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ... » :

(3) Al-Shaykh 'Abd Al-Aziz Djawish -- Al Islam Din al-Fitra wal-Huriyya -- Le Caire -- Dar al-Hilal — 1952 — p. 15.

"Si l'homme était privé de sa volonté, il n'y aurait aucun sens aux prescriptions d'Allah car charger les hommes en les privant de leur liberté de choix est au paroxysme de l'injustice dont Allah est exempt."[2]

De toute façon, la contradiction se trouve résolue si l'on parvient à saisir que l'homme n'est pas libre dans les affaires qu'il ne peut régler. C'est évidement le cas du tressaillement de la main ou celui du mouvement de l'appareil digestif. Mais il en va tout autrement quand il s'agit du domaine de la pensée. "La volonté et le décret d'Allah se divisent en une volonté de décret qui ne dépend ni du fait de charger les hommes, ni de les recompenser, ni de les châtier (...), et en une volonté légitime religieuse qui confie à l'homme sa charge, sa récompense et son châtiment[1]. Les hommes donc sont libres de choisir à leur gré l'obéissance ou la désobéissance, autrement dit de choisir la récompense ou le châtiment. Néanmoins, comment comprendre cette liberté à la lumière du verset qui souligne qu'Allah égare qui Il veut; et guide qui Il veut. Il dit : "Il égare qui Il veut, Il dirige qui Il veut"[2] C'est un verset général. Il faut comprendre le général par le particulier qui l'éclaire.

Ce verset résume tous les versets qui traitent de la bonne direction, nous trouvons dans d'autres versets : "Allah ne dirige pas les incrédules"[1]. "Allah ne dirige pas les pervers"[2]. Allah ne dirige pas le peuple injuste"[3]. "Allah ne dirige pas le menteur ni celui qui est profondément incrédule"[4].

Il est remarquable qu'Allah ne dirige pas tous ceux qui ont préféré l'égarement à la voie droite.

---

(2) Al-Sayyid Sabik — Al-'Akaid al-Islamiyya (les dogmes musulmans) -- Le Cairo — Dar Al-Kutub al-Haditha -- 1976 -- p. 102.

« إذا كان الإنسان مسلوب الارادة ، لما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد ، لأن تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذى يتنزه عنه الله » .

(1) Abu Bakr Djabir al-Djazairi — 'Akidat al-Mu'min (le dogme du croyant) — Le Cairo — Maktabat al-Kuliyat al-Azhariyya -- 1977 — P. 447

إن إرادة الله ومشيئته تنقسم إلى إرادة كونية قدرية ، وهى تلك التى لا يناط بها تمليف الانسان ، ولا اثباته ولا معاقبته (......) ، وإلى إرادة شرعية دينية وهى التى أناط الله تعالى بها تكليف الانسان ، وثوابه أو عقابه » .

(2) XVI -- les Abeilles -- verset 93.

(٢) سورة النحل آية ٩٣ .

يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ

(1) Les Abeilles le sens du verset 107

(١) سورة النحل آية ١٠٧ .

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

(2) V -- La Table Servie le sens du verset 108

(٢) سورة المائدة آية ١٠٨ .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

(3) II -- La Vache le sens du verset 258

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨ .

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

(4) XXXIX -- Les Groupes le sens du verset 3

(٤) سورة الزمر آية ٣ .

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

pas deux attributs ou plus du même genre, tel que deux puissances, ou deux volontés. Quant à l'unité des actions, elle signifie que les actes des gens ne ressemblents pas aux Siens."[2]

Il est à noter que l'omniscience divine ne se répercute pas sur le choix du serviteur, celui-ci choisit à sa guise, mais son vouloir va de pair avec le décret et la volonté d'Allah.

Le propre de l'homme, à la différence de toutes les créatures, est la pensée par laquelle il peut choisir entre les diverses alternatives. Il a donc une liberté absolue d'accomplir ou de ne pas accomplir les commandements d'Allah. Le Coran affirme ce sentiment inné, il signale la liberté de la volonté humaine : "Dis la Vérité émane de votre Seigneur. Que celui qui le veut croie donc et que celui qui le veut soit incrédule."[1] Mais, l'homme est responsable de ce qu'il fait, chaque homme ne commet le mal qu'à son propre détriment. Nul ne portera le fardeau d'un autre.

Mais cette responsabilité "était-elle prédéterminée dans la volonté d'Allah, ou dépendait-elle du libre arbitre des hommes"?

Allah a décrété les choses conformément à Son omniscience qui prédomine la science humaine incomplète. Si les estimations humaines ont été valables dans certains cas à cause des indications données, celles du Très haut demeurent perpétuellement en vigueur.

Les infidèles ont argué que la fatalité et le décret divin sont la cause de leur incroyance; qu'Allah a fixé d'avance le destin de chacun d'eux, c'est-à-dire qu'ils n'auraient pas de véritable choix, et que leurs actions leur seraient imposées.

Allah a refuté leur prétexte : "Bientôt, les polythéistes diront : "si Allah l'avait voulu, nous et nos pères, nous n'aurions pas été polythéistes, et nous n'aurions rien déclaré illicite"[2] Ont-ils communiqué ce qui a été décrété sur la plaque conservée ? l'argumentation par la prédestination et l'omniscience d'Allah est le prétexte des incroyants et de ceux qui suivent leurs passions.

---

(1) Dr. Sayyid 'Abd al-Tawab 'Abd al-Hadi — Al Akida wa Mashakiliha — (le dogme et ses problèmes) — le Caire -- Matba'at Al-Fadjr al-Djadid — 1981 — p. 163

« وإذا كان المتكلمون يرون أن لله ذاتا وصفات وأفعالا ، وهو متصف بالوحدة فى كل هذه الأنحاء ، فما معنى الوحدة فى كل ؟
إن الوحدة فى الذات معناها : أن الله تعالى ليست ذاته مركبة الأجزاء . وليست هناك ذات أو ذوات أخرى تشبه ذاته تعالى .
والوحدة فى الصفات معناها : أنه تعالى ليس له صفتان فأكثر من نوع واحد كقدرتين ، وإرادتين مثلا وليس لغيره تعالى صفة تشبه صفته تعالى .
أما الوحدة فى الأفعال فمعناها : أنه ليس لغيره فعل يشبه فعله » .

(1) XVIII -- la Caverne le sens du verset 29.

(١) سورة الكهف آية ٢٩ .
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ

(2) VI -- Les Troupeaux-le sens du verset 148

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .
سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ

Qu'est-ce que l'Islam

Par Dr. OMAYMA GAMAL

On a souvent cité le fameux hadith de l'ange Djbril lorsqu'il est venu s'informer auprès de l'Envoyé d'Allah — à lui bénédiction et Salut — à propos de la foi. L'envoyé d'Allah — à lui bénédiction et salut a répliqué que la foi est de "Croire en Allah, en Ses anges, en Ses livres, en Ses envoyés, au jour du jugement dernier et à la fatalité bonne ou mauvaise"(1).

Nous n'examinerons pas les divers points de la réponse du Prophète à l'ange Djbril. Nous aborderons, uniquement, le sixième pilier de l'Iman qui a été longuement discuté. Ce dernier pilier de foi consiste à croire au décret divin pour le bien et le mal, le doux et l'amer, c'est à dire de croire que tout a été décidé par Allah, que tout vient de lui en un certain sens. C'est une manière de s'en remettre entièrement à la Providence divine".(2)

"Mais si l'action est ainsi au centre de la morale coranique, comment comprendre ce qu'impose la foi dans ce qui est déterminé en bien et en mal ?"

La fatalité représente la Toute Puissance du Clément. Dans la langue, elle est l'état décrété pour la chose, alors qu'étymologiquement, elle est l'omniscience d'Allah et Sa volonté -- (Gloire à Lui) -- de créer les choses dans l'éternité de tel et tel caractère."(2)

La foi en la prédestination (Al Kada'et al-Kadar) vient indubitablement compléter la croyance en Allah. Puisque la croyance au "Kada" et au "Kadar" repose sur la croyance aux attributs d'Allah tels que : l'omniscience, la toute puissance et la volonté. "Pourtant, les attributs d'Allah ont posé un grave problème aux théologiens. Comment accorder leur pluralité avec l'Unité divine ?"

Le Dr. Sayyid 'Abd Al-Tawab dit : "Si les théologiens pensent qu'Allah possède un être, des attributs et des actes, en même temps qu'Il est caractérisé par l'Unité en ce qui concerne tous ces aspects, que signifie alors l'unité de chacun ? l'unité de l'être signifie qu'Allah n'est pas un être composé de parties. Qu'il n'y a pas un être ou d'autres êtres ressemblant à l'être divin. L'Unité des attributs dénote qu'Allah Tout Puissant ne possède

---

(1) Rapporté par les cinq imams.

قال رسول الله ﷺ :

« الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره » .

(2) Jacques Jamier - Pour connaître l'Islam -- paris -- Cerf -- 1988 -- p. 58.

(2) Wahbi Sulayman Al-Albani -- Arkan a-Iman (les piliers de la foi) -- Beyrouth -- Mu'assasat al-Risala -- 1984 -- p. 303.

« القدر فى الاصطلاح بمعنى علم الله تعالى وارادته سبحانه للأشياء فى الأزل حين توجد أن توجد على صفة كذا وكذا » .

Abou Horaira a dit :- "C'était un homme de taille moyenne, mai il était plutôt grand".

Mohammad (paix soit sur lui) avait les épaules larges, de grand pieds, de grandes mains, de longs bras et il n'était pas très charnu, ses doigts étaient épais. Ses bras, ses épaules et son buste étaient couverts de poils.

Le signe de la prophétie : le messager d'Allah (paix soit sur lui) se distinguait par un grain de beauté, aussi grand qu'un oeuf de pigeon, logé entre les deux épaules, plutôt du côté de l'épaule gauche.

Si l'on veut tracer un portrait d'ensemble du prophète (paix soit sur lui), selon Ibrahim Ebn Mohammad (un des fils de Ali). C'était un homme peu corpulent, de taille moyenne, aux cheveux ondulés, au visage plutôt rond et au teint clair, légèrement rosé. Les extrémités de ses os, ses doigts et ses orteils étaient puissants lors-qu'il se retournait, tout son corps changeait de direction. Il avait les yeux très noirs, les cils longs et marchait avec assurance . Lorsqu'on le voyait pour la première fois, il inspirait une crainte respectueuse. Toutefois ceux qui le connaissaient de près ne pouvaient que l'aimer.

Le rouge et le vert étaient parmi les couleurs préférées. Lorsqu'il portait l'une de ces deux couleurs, le prophète (paix soit sur lui) était particulièrement beau, mais d'une beauté virile.

Selon Anas (qu'Allah soit satisfait de lui), le messager d'Allah (paix soit sur lui) avait un teint si lumineux que ses gouttes de sueur ressemblaient à des perles, lorsqu'il (paix soit sur lui) marchait il s'inclinait légèrement. Anas dit qu'il n'a jamais touché de soie plus douce que la paume de la main de messager d'Allah (paix soit sur lui), ni senti du nuc ni d'ambre plus parfumé que l'odeur qui se dégageait de son corps.

Que la bénédiction et le salut soient sur toi O Mohammad (paix soit sur lui) le dernier des prophètes d'Allah.

par Dr. Rokeya Gabr

Le portrait du prophète comme l'ont décrit ses contemporains

par Dr. Rokeya Gabr

Voici le portrait du prophète (paix soit sur lui) tel que l'a présenté Al Baïhaqi dans son ouvrage : les signes de la prophétie et le comportement du porteur du message.

Un homme a demandé à El Baraâ : "Est-ce que le visage du messager d'Allah (paix soit sur lui) était tranchant comme une épée?"

— Non, répondit-il mais il était très beau

Ali Ebn Abi Taleb a dit également :

— "Son visage était plutôt Rond".

Tous sont d'accord pour dire que le prophète (paix soit sur lui) Avait un visage beau et agréable.

Anas Ebn-Malek a dit qu'il avait le teint clair et, selon Ali Ebn Abi Taleb, son visage était légèrement teinté de rose. De plus, les parties du corps du prophète (paix soit sur lui) non ex posées à l'air et au soleil, étaient blanches.

Tous ont affirmé qu'il (paix soit sur lui) avait de grands yeux, que ses pupilles étaient foncées, que le blanc de ses yeux était veiné de rouge et que les cils étaient particulièrement abondants.

Gaber-Ebn-Samra a dit : "Quand je le regardais (paix soit sur lui) je lui disais : "Tes yeux sont très sombres et pourtant ils ne sont point noircis de Kôhl".

Le prophète (paix soit sur lui) avait un front large, des sourcils fins et écartés il y avait même entre eux un espace où apparaissait une veine lorsqu'il se mettait en colère. Les joues étaient lisses et son nez long.

Ali Ebn Abi Taleb a dit : "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait une grasse tête et une grande barbe." On a dit également que sa barbe était fournie et qu'elle était belle.

El Hassan-Ebn-Ali a ajouté que le prophète (paix soit sur lui) avait une forte mâchoire et une moustache. On a dit également qu'il avait une belle bouche.

Ebn-Abbass a rapporté qu'il y avait dans la bouche du messager d'Allah (paix soit sur lui), un écart, un espace entre les deux incicives, si bien qu'on apercevait comme une lumière entre ses dents dès qu'il parlait.

Les cheveux du messager d'Allah (paix soit sur lui) étaient noirs, ondulés et retombaient sur ses épaules. Après la mission, il les coiffait en les laissant tomber librement, plus tard, il fit une raie.

Selon Om Hani, il avait des mèches qu'il coiffait parfois en quatre nattes sur les deux côtés de son tête.

Anas-Ebn-Malek a nié que le prophète (paix soit sur lui) ait jamais utilisé le henné. A sa mort, le messager d'Allah n'avait que vingt cheveux blancs sur la tête et dans sa barbe;en fait la couleur rouge de ses cheveux était due à l'effet du parfum qu'il utilisait.

Selon la description de Ali-Ebn Abou Taleb, la taille du messager d'Allah (paix soit sur lui) n'était pas très grande, toutefois, elle dépassait la moyenne.

REVUE
AL-AZHAR

GOMADI AL AWAL 1413
Volume 65 — Partie V

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

third alternative or middle ground between moral ethical values, responsibility, and peace; and that where these are denied and disrupted; between lawfulness and lawlessness. Moral lethargy, devaluation of virtue, injustice, aggression, crime, hunger, ignorance and abnormal human practices are downright criminal, defiance of Divine purpose and Will. The ethical principles constitutive of Islamic humanism are not denied of any human being even though he may belong to another faith, to another culture, civilization, age, or involvement in history. The universalism of Islam transcends all human distinctions, reaching to the original state of nature in which every man is born "The fitrah".

Islam certainly assigns privileges to knowledge and wisdom, to piety, virtue, righteousness, and good works. Such privileges remain true only as long as the adherent is wiser, more pious, more righteous, and self exerting. It follows from the essence of religious experience in Islam that Allah placed mankind in a world which is to be the theater for action in service. A complete ontological fitness of man and cosmos is a necessary consequence of divine arrangement and providence. The cosmos is in reality innocent and good, created precisely with unique ethical values; the evil and malignant is not in it, but in its abuse by mankind. The immoral use of the world, the unethical practices and exploitations are the villain that must be denied and combated. Islam orders its adherents to cultivate heir faculties; to understand themselves, nature, and the world in which they live; to satisfy their life needs; to realize balance and harmony in society and to express coherence to moral ethical values of Islamic cultural doctrines.

necessary that it be regulated by public law - the Islamic Shariah. Islam therefore declares this ethical action as a necessary concomitant of Faith.

Islamic actionalism therefore demands that the human individual transcends from himself to what is other than himself; and this in fact is a religious duty incumbent upon every Muslim. This is the concept of the "Ummah", by mankind actionalism become collective in a milieu of moral freedom, willed to actualize Divine Will and purpose. This necessitates practice, invitation, culture, and eduction, to become engaged in it, and bring about voluntarily and consciously the real actualization of the desired ethical values. Since the realization of the Divine Will is infinite, relevant to all activities, and to all persons at all times and places; if follows that the society of Islam, the "Ummah" is perpetually stirring to convince and actualize ethical values in freedom. The members of this "Ummah" constitute a threefold consensus : in the mind and vision, in the intention and will, and in the realization and action. It is the fraternity of believers under the Divine Law of Shariah. It is the School of the mind, and a gymnasium of the heart to discipline, culture, and cultivate its members that the Law of Allah is sovereign, and that the Divine Will and pattern is supreme. The members of the Ummah are free volunteers for life, perpetually mobilized to bring about the actualization of moral ethical values of the absolute truth on earth. This originates from the fact that the creation of human existence was not in vain or sport, but a real serious matter for cause and purpose. The Muslim's life is precarious with constant awareness of Divine Presence; visualizing himself as the cosmic medium between the Creator and creation.

The universalism of the Islamic Theism is absolute without exception; where the whole of mankind is object and subject to moral ethical striving, involved - in its and their own transformation. There is no

faith; the existence of the Divine Being is the existence of truth, righteousness, moral values. Such claim of understanding consists in the positive disturbance of space and to the ultimate end of actualizing the Divine pattern. Faith and all the attendant faculties by which values and their ramifications are understood and recognized, and their materials are selected and assigned; all this are only preparations for the process of concretization of the realm of morals and values. Spirituality itself as a human function is nothing unless it is concretized and actualized in the inner psychic domain of every women and man. At birth, every human stands on the threshold of ethicality, the zero point of ethical dimension. Through the true understanding of the concept of "Tawhid", the Muslim conceives the Divine imperatives of ethical moral values, and it is this ethical affirmativeness that provides the Muslim with confidence, and animated perceptive wisdom of activism.

Jesus Christ (upon whom be peace) was sent as a prophet to Bani Israel (the Jews) in order to promote the personalist ethic of intention. Jesus taught the principle that the moral character of an act is a function exclusively of its accompanying and motivating intent. This sublime effort was oriented towards the internal radical self - transformation of the person to cleanse and purify the spring of all actions. Islam acknowledged the revelation of Jesus, confirmed its ethical insights, and institutionalized the good intentions. Notwithstanding this, Islam went beyond the ethic of intention to the ethic of action. Values, and moral standards of ethics must not remain the object of human intention alone, they must become actual; and mankind is the instrument meant to actualize them in freedom and to justify Divine Will and Pattern revealed in the Holy Quran. Mankind must bring the universal latent tendencies to full realization. The extant of success is the criterion of "Falah" or ethical felicity. This action is publicly altruistic, visible and measurable by external means; and therefore it is

critical and inevitable norms. The Divine Will provides mankind with theater and materials for his actions to be efficacious. Therefore the avenues of science, knowledge and technology are wide open without any separation or alienation from the realm of moral and esthetic values. Fact and value are here synthesized as one datum proceeding from Divine Providence and fulfilling Divine Will. The entire cosmos, under this understanding becomes animated and energized. Every atom moves by Divine Agency, Divine dependency, for a cause and value that is Divine Providence. This is the basic understanding of the Islamic doctrine of "Tawhid" which is the platform of Islamic ethics that begins with the identification and recognition of the purpose of human creation, which is the realization of the plenum of values as the fundamental purposefulness of human life. The ethical moral functions in human psychic physiology are the higher imperatives of divine will; the imperatives of lesser order are matters such as food, shelter, sex ... etc. The original human vocation of human covenant with Allah lies in the moral realm where fulfillment of the Divine Will takes place only in freedom, under the real possibility of man's capacity to do otherwise than he ought. It is in this sense that mankind is the vicegerent of Allah on earth. Only mankind can realize the ethical higher values, and only mankind can have as his objective the realization of the whole realm in its totality.

Islam regards all humans alike without distinction, the higher among them are the higher in righteousness, knowledge, and capacity for responsibility. All humans are endowed with the humanistic faculties, which are knowledge of the Divine Will, moral values, the capacity to fulfill or not to fulfill the Divine imperatives, and the responsibility for his deeds. Mankind stands under an imperative of an ought-to-do, and his worth is a function of his fulfillment or otherwise of the imperative. Islam asserts innocence, and felicity as exact function of human deeds. The moral values of the Muslim originate from his

Tawhid : The Principle of Ethics

Excerpts from the writings of Ismail Raji Al - Farouqi

Compiled and Presented

By

Saad Moustafa Moustafa, M.D.

Tawhid affirms that mankind was created in the best form to worship and serve according to Divine Will and Purpose. In justification to such, obedience to Divine ordinances and the fulfillment of Divine injunctions and doctrines, become the ultimate purpose of human existence. The Divine Trust is the ethical part of the Divine Will, whose very nature requires that it is realized in freedom of action, which mankind is the only creature capable of doing, without the elemental necessity of the natural law. It is the exercise of human freedom regarding the obedience of Divine Commandments that makes the fulfillment of the command a moral action.

Mankind has been endowed with senses of rational reason, understanding and objective thought, in order to perform a cosmic function of supreme importance, which is the objective for a human moral ethical endeavor. From this standpoint, mankind has become obligated with responsibility "Taklif", becoming responsible for all that takes place in the universe, which formulates the basis of humanity, its meaning and content. Humanism of mankind in its most basic reality springs from the fountain of Tawhid, respecting humankind in terms of his virtues, and therefore rendering humanism as life affirmative and moral.

The Islamic doctrine combines ethics and religion as one institution of truth according to the scale of absolute justice subject to the rational,

Lord, do not overburden us with more than we can tolerate. Pardon us, forgive us, and grant us mercy, you are our Protector, and so support us against disbelieving folk. The meaning flows with imploring beseechment to attain the ability to conceive the path of enlightenment and to follow without weakness or failure the road to felicity. To err is human, and therefore in demand for continual perpetual pardon and forgiveness from Allah, The Creator, The Merciful, The Puissant; He alone grants Mercy to humans. He alone is the supporter and protector of his subjects against disbelieving folk who elude them into wrong. The believers must remain invulnerable to the alluring wrong actions of the disbelievers by remaining always in the strength of belief and faith by supplicating to Allah for strength, guidance, support, and protection.

reproach. Such manifestations will establish the strong bond between creature and Creator; and will constantly keep the individual within the light and guidance of the Divine Milieu. Within this bond between Creator and creature, the precise fact still remains, that Allah will accept from each soul just as its ability can provide, and mankind supplicates further for the fulfillment of that promise.

Further supplication continues to include the whole Ummah of Islam as followers and adherents to the doctrines of Faith. Our Lord, do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. This offers a plea from the Muslim Ummah ,that Divine Providence does not impose burdens of punishment upon them, as has been imposed on others that have evaded the teachings of their Holy scriptures, those who had become immoral and transgressors, those who had severed the bond with Allah, those who had disobeyed the light and guidance, those who had worshipped other deities of falseness and paganism. In this supplication, it is inherent that the Muslim Ummah pleads to remain in the Light and Guidance of the Divine Providence; to remain in the arena of Tawhid "La illaha illa Allah, Muhammad Rasul Allah"; the Shehadah of the Muslim Ummah "there is no god save Allah; and Muhammad is the Messenger of Allah". This is the key statement of Islam, the confession of commitment, and the maxim submission to the supreme exclusive Oness of Allah, and the ®´cognition of the Apostle who conveyed and propagated the Message of Islam. Within this domain of realization, the complete dimensions of the Muslim theism could be conceptualized. The plea institutes the supplication by the Muslim Ummah that their confident understanding of their doctrinal teachings remains adherent in their minds and heart; that they would not turn away from the light of guidance as have done others before them.

The prayers continue to complete the sequence of the human plea, our

absolute confidence of this Divine justice, the Muslim adherent resolves to confident freedom of action in solemn earnest effort to fulfill the demands of his life within the main frame of his duties as a Muslim. It is verily stated here that Allah will accept the spiritual duty from every individual soul according to its capacity of effort and endeavour on the path of actualizing Divine imperatives to attain spiritual excellence on the path of faith. Every soul is credited with whatever it has earned, and it is debited with whatever it has brought upon itself. This signifies the absolute independence of every individual with respect to his deeds in life, his final account in life with which to face judgement in the hereafter. There is no hierarchy in Islam, no dispensations from any authority, only Divine Providence is supreme to which every individual is directly and precisely related. Every human is responsible for himself defending its cause against the transgression and iniquity of the self; responsible for the obedience and submission to Divine injunctions of faith. Every individual is obligated and chargeable with the actualization of Divine ordinances in all walks of life, for himself, and on the stage of history during his lifetime. This is the absolute reality, the kernel of confidence and certainty that programmes human action with which each individual will face Divine justice on the Day of Judgement.

The realization of such reality progresses into the requirement of supplication, invocation, and imploring appeal. Our Lord, condemn us not if we forget or fall into error. Our Lord, do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. This manifests the status of appeal for Divine mercy, guidance and pardon; implying the confession that to err is human, and to forgive is divine. In this totality of understanding, the human individual remains in perpetual understanding of his position regarding Divine authority. A position of humility and humble weakness, confession of wrong and transgression, true repentance, penitence, and remorseful self -

intimate connotative supplications and invocation. For the believer, these words present the most appealing glimpses from the Quranic Milieu.

In Surat (Al - Baqara, 2, verse, 286) "On no soul does Allah assign a burden greater than it can bear. It is credited with whatever it has earned, and it is debited with whatever it has brought upon itself. Our Lord, condemn us not if we forget or fall into error. Our Lord do not lay any obligation upon us as that you placed on those before us. Our Lord, do not overburden us with more than we can tolerate. Pardon us, forgive us, and grant us mercy; you are our Protector, and so support us against disbelieving folk".

This is the last verse of Surat Al-Baqarah, the longest Surat of the Holy Quran comprising in its text a wide sector of the dimensions of theistic Islamic doctrines. The Surat portrays the attributes and the commitments of the Muslim Ummah, and pronounces the duties, responsibilities and functions of its adherents in the life of mankind throughout history. Reference is given to the erroneous conduct of Bani Israil and their immoral corruptive atrocities in spite of what Allah had granted and endowed them with gratitude, preference and plenitude. The Surat expands on the question of Faith, illustrating its various aspects, and discussing its denial. It provides in a comprehensive manner the Islamic ordinances, and culminates the argument with confession of faith and its practical manifestations of adherent obedience, confession of iniquity, repentance, and request for forgiveness and guidance.

This last verse signifies the expectation of the Muslim in the infinite mercy and justice of the Creator, during his short journey of life on earth, the period of his vicegerency. The Muslim is confident that Allah shall not assign to any soul, a burden greater than it can bear. In

Glimpses From the Quranic Milieu

The Invocation

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.)

The inherent property of belief and credence has lived within the constitution of mankind ever since human creation. The original grounds of belief are intrinsic in the intellect of the mind, which possesses the unique faculty of thought, knowledge acquisition, assimilation, and intelligent justification. Credence has been the primary and most significant realization of the human mental function. The belief and confident acceptance. of sovereign supreme authority of the Transcendent Creator, brings about a definite equilibrium, justification, and purpose of the whole cosmic existence. The creation of mankind as the only creation designed to possess cognitive thought brought about the real sense of understanding the whole purpose of creation with its intricate teleological patterns. The human thought and understanding functions only in the light of the Transcendent Divine Providence. This realization makes it incumbent on every Muslim to make an effort in action in prayer and in supplication to attain Divine Transcendent Light. The adherent to the Islamic Faith realizes only too well that invocation, appeal, beseechment, supplication and prayers to Allah bring the individual closer to understanding the purpose of human existence. Mankind was created to resume the office of vicegerent of Allah on earth. Mankind cannot successfully deserve this office except by making the effort to perceive Transcendent Light, understand Divine Will, adhere to obedience of Divine imperatives, and offer continuous perpetual invocations and supplications to Allah. The Holy Quran is affluent with the profound grace, eloquent expressive meaningful phrases of

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part V

Jumadah Al Ulla, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.Glimpses From The Qur'anic Milieu.

The Invocation.

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2- Tawhid, The Principle of Ethics.

By : Saad Moustafa Moustafa.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Siny*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبدالرحيم
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
العنوان
إدارة الأزهر - بالقاهرة ..
تليفون : ٢٦٣٨٥٩٩
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ
ديسمبر ١٩٩٢ م
الجزء السادس
السنة الخامسة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين .

هذان المؤتمران للأزهر الشريف

شهد الأزهر الشريف مؤتمرين :

فأما أحدهما ، وكان تاليا للأول ، فهو المؤتمر الثانى عشر لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد صحبه الاجتماع الرابع للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد عقد هذا المؤتمر بقاعة « المؤتمرات الدولية » بمدينة نصر بالقاهرة فى الفترة : ٢ - ٥ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ الموافق ٢٨ - ٣١ / ١٠ / ١٩٩٢ م .

عنى هذا المؤتمر بـ « حاضر العالم الإسلامى » أوطانا وأقليات ، وتصدى لدراسة مشاكله السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ لذا تناول ، وأفاض ، وأفسح المجال لمشاكل : القرن الإفريقى ، والصومال ، وليبيا ومشاكل المسلمين فى بورما وكشمير والهند ، وفلسطين وقضيتها : حاضرها ومستقبلها ، وبخاصة القدس ، والمركز القانونى الدولى لهذه المدينة ، كما تناول ــ فى أعماله : الجمهوريات الإسلامية المستقلة عما كان يعرف بـ « الاتحاد السوفيتى » .

وكان ــ طبيعيا ــ أن يعنى بمأساة البوسنه والهرسك ، ومشكلات العالم الثالث ، وأن يطرح دراسات عامة تجمع ما للعالم الإسلامى من حاجة ، وما يتربص به من مؤامرات قائمة ، وأخرى يتناولها التدبير بكل ما انطوى عليه خبث « النظام العالمى الجديد » ومهمة « الناتو » ــ حلف الأطلنطى ــ بعد سقوط الشيوعية ، لذا كان من خوته ــ فى هذا المجال ــ عنايته بدراسة حاضر العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية والسياسية ، والمسلمين والنظام العالمى الجديد ، والتركيز على إيضاح الفكر الصهيونى ، ومخططات اختراق العالم الإسلامى ، والاهتمام المؤكد بتصفية الشوائب بين الدول الإسلامية ، وإزالة آثار حرب الخليج .

اشترك فى هذا المؤتمر وفود المسلمين من كل من :

- (أبوظبى) ــ أذربيجان ــ الأردن ــ الإمارات العربية المتحدة ــ أمريكا اللاتينية ــ إنجلترا ــ إندونيسيا ــ أوزبكستان .
- باكستان ــ بلغاريا ــ بنجلاديش ــ البوسنه والهرسك .
- تتارستان ــ تركمانستان ــ تركيا ــ تونس .
- جزر القمر .
- زغرب (كرواتيا) .
- سرى لانكا ــ السعودية ــ سنغافورة ــ السنغال ــ السودان ــ سوريا .
- شاشان .
- طشقند .
- كوريا الجنوبية ــ الكويت .
- مالى ــ ماليزيا ــ المغرب ــ مقدونيا ــ موريشيوس .

● نيجيريا .
● الهند .
● اليابان ـ اليمن .

ثم لقد أسهمت المناقشات ، والأحاديث الجانبية ـ فى قاعة المؤتمر ، وخارجها ـ فى إثراء المعرفة والاطلاع على الأحوال الإسلامية التى تناولتها هذه البحوث ، ففاضت على كثير من مضامينها . كما تناولت نقدا كريما لبعضها ـ على منبره .

وفى الحق إنه لو لم يكن لهذا المؤتمر إلا الحرية الحكيمة التى ألقت ـ فى قاعته ، وفى أعقاب بحوثه ـ بكل ما فى الأجواء الإسلامية من أعباء ومتناقضات وآلام جعلت الكثير لا يُخْفُون اليأس من العالم الغربى المصر على هزيمة المسلمين ، والقضاء على وحدة كيانهم ، وتبديد قواهم ، وزعزعة اقتصادهم ، وزرع قنابل موقوتة داخل كل بلد من بلدانهم ، يتمثل بعضها فيما يسميه هذا الغرب بـ « الأقليات » ليفجر الخلاف الدموى فى أراضيهم ؛ فلا يتمتعون بوحدة الأمة ، ولا عز الْمَنَعَة بين أشواك الفتنة ، وضلال الافتراء ... لو لم يكن لهذا المؤتمر إلا هذا النشاط لكفى به نجاحًا .

كانت مرارة الحوادث ، ومشاعر الإحباط بادية على الوجوه مستفيضة بالقنوط من الغرب ، والعدل الدولى معًا .

والدليلْ : البوسنه والهرسك ..
ما الذى منع الغرب أن يعامل هذا البلد معاملته لـ« لتوانيا » و « كرواتيا » .. ؟
لا شيء إلا دين البوسنه والهرسك . !!
ما كان غريبا ـ إذن ـ أن يتساءل البعض فى أحاديثهم الجانبية :
لماذا نُبْقِى على الغرب ؟
ماذا استفاد المسلمون من الغرب ؟
لماذا يشارك المسلمون حتى الآن فى هيئة الأمم ومؤسساتها ؟
لماذا يساهمون فى قرارات ليست إلا عداء للإسلام وطعنا فى المسلمين ؟
ألم يُحَدِّث الله المسلمين بحقيقة هؤلاء وقلوبهم فقال ـ تعالى :

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾
سورة التوبة ـ آية : ١٠

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢١٧

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ٨

فلِمَ الرضى بالسوط ، والإشادة بالعذاب ، لم لا يتركها المسلمون ، فتذهب إلى الجحيم وترقد رقدة عصبة الأمم ، فى ذيل تاريخ طويل من السخرية والهزء بالمسلمين . ؟!!

وتتردد الإجابة : لأننا مزقنا أنفسنا ، ولم نرض أن نكون أمة واحدة على ما رضى الله ـ تعالى ـ لنا ، فَتَرَكَنَا اللهُ ـ جل وعلا ـ لأنفسنا .

على أن هموم المسلمين جميعا لم تَفُتْ المؤتمر ، وقد قال الإمام الأكبر ـ فى ختام جلساته :

« المجلس واع لمهمته ، يعمل بما فوق الطاقة ، ونستمع النصح ونزيد به إقبالا على العمل ، فليس ـ فيما أعلم ـ أن لجنة الصياغة أغمضت عينها ، عن شىء ؛ بل ربما فعلت أكثر مما نريد» .

لذا كانت قرارات هذا المؤتمر وتوصياته فى مستوى الحوادث ، وعلاجا لشئونها .

نسأله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد .

● ● ●

● وأما المؤتمر الآخر فهو مؤتمر « التوجيه الإسلامى للعلوم » وقد عقد بقاعة جامعة الأزهر بمدينة نصر / القاهرة ـ الفتــرة (٢٧) من ربيـــع الآخر إلى (٢) من جمادى الأولى ـ ٢٤ ـ ٢٨ / ١٠ / ١٩٩٢ م فهو سابق على مؤتمر المجمع ، وقد عقد برعاية فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر .

وكما يبدو من اسمه كان مؤتمرا علميا شارك فيه أكثر من عشرين ومائة عالم وباحث يمثلون عشرين دولة إسلامية ، وطرح فيه للبحث نحو من ثمانين بحثا تهدف إلى ضبط حقيقة العلوم ، وسد الثغرات غير الإسلامية التى يشوب بها الغرب حقائق العلوم .

وأذكر ـ فى هذا المقام ـ ما يردده تلاميذنا المسلمون ـ دون فقه لما يقولون : (المادة لا تفنى ولا تستحدث) .

لقد سبق أن تحدثت بشأن هذه الكلمة عام ١٤٠١ هـ مع أخى العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور أنس مصطفى النجار أستاذ الأشعة التشخيصية ، والمفتش الدولى للذرة فى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق ، قلت : والأستاذ الجليل يوافقنى :

إن خطورة الكلمة أنها جعلت المادة قديمة بذاتها ، وليس قديما بذاته إلا الله ــ سبحانه ــ وما عدا ذاته فهو مخلوق ، أى أن للمادة (أوّل) لم تكن قبله موجودة ، وإذا كانت كذلك فلها نهاية محتومة ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾(١) .

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾(٢) .

وقال ــ سبحانه ــ عن ذاته :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

لقد كان يجب أن يحفظ تلاميذنا عن وعى : « ان الله خلق المادة ، وتفنى إذا أراد لها الفناء » .

ولقد سجل الكتاب العزيز فناءً للمادة ، فالسحرة الذين نازلوا نبى الله موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ كان بأيديهم عِصِىٌّ وحبال ، وكلاهما مادة أخذت حَيِّزًا من الفراغ لا يجادل فى ذلك عاقل .. وهى العصى والحبال التى خدعوا بها النظارة الذين جاءوا من كل أنحاء مصر قائلين : ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾(٤) .

وألقى السحرة حبالهم وعصيهم وخدعوا أعين الناس فرأوها ثعابين ، وألقى موسى عصاه فابتلعتها جميعا وَفَنِيَتْ مادتها تماما ؛ فإن عصا موسى ـ عليه السلام ـ عادت إلى حالها الأولى وزنا وشكلا ، فسجد السحرة مؤمنين .

قد يقال : هذه معجزة .

نقول : لقد ظهرت قدرته ـ تعالى ـ على إفناء المادة تماما ، وقدرته ـ تعالى ـ ليست وفقا على المعجزات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

حقيقة نحن ـ المسلمين ـ نؤمن بكتاب الله ـ تعالى ـ وليس يعنينا ـ إطلاقا ـ رأى الفلاسفة ، وأنصاف وأتباع الفلاسفة ، وأبناؤنا ينبغى أن يتعلموا حقائق العلوم على ما هى عليه دون سموم الفكر الغربى وإلحاده ، ومما يؤسف له أن فى الشرق حِطَّةِ علمية أخرى لا تزال تردد مقالة « دارون » التى صرعها الغرب ... لماذا ... ؟ لا ندرى .

(١) ختام .. القصص (٢) الرحمن ٢٦ ، ٢٧ (٣) الحديد ٣ (٤) الشعراء

إن هذا المؤتمر .. « التوجيه الإسلامى للعلوم » حاجة ضرورية ليستعيد العلم نَفَسُه حقائقه الطبيعية كما خلقها الله ــ تعالى وتقدس ــ وليعلم من أراد أن يكون على مستوى الحقائق الكونية أن العلم ليس خصما للإسلام ، وأنه لا تصطدم حقيقة علمية بكلمة إلهية ، كيف .. والله ــ جل جلاله ــ هو الخالق المنشىء لكل مادة وخصائصها العلمية ؟

وبعد :

فقد تمت مناقشة البحوث فى سبع وعشرين جلسة ، مُتَوَّجَةً بتوجيه حكيم من فضيلة الإمام الأكبر فى كلمات الافتتاح :

« استنبطوا ما شئتم من العلوم التجريبية ، وحاذروا أن تستعملوها فى الشر إلا للرد على الشر » .

وهذا العدد من مجلة الأزهر يقدم حديثا عن المؤتمرين معنيا بالترتيب الآتى :

(ا) كلمات الافتتاح .
(ب) عرض للبحوث وبعض كلمات ألقيت بالقاعة .
(جـ) قرارات وتوصيات كلا المؤتمرين .

والمجلة ــ على سنتها ــ فى عرض البحوث ؛ فإن البحث إذا كان فى (كَمّ) المقال فيمكن نشره كله ، فأما إذا تجاوز هذا المقدار ، فإن حجم المجلة يوجب علينا أن نعطى القارىء خلاصة دقيقة للبحث نشفعها بجزء من نص البحث نفسه ، ونرجو أن نتمكن من استيعاب كل البحوث فى هذا العدد ، فإن لم يتيسر ، ففى الأعداد القادمة الكفاية ، والله ــ سبحانه ــ ولى التوفيق .

د. على أحمد الخطيب

السيد محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية

كلمات جلسة الافتتاح

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

ألقاها نيابة عنه :
فضيلة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب
وزير الأوقاف

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموقر . السادة العلماء الأجلاء .

ضيوف مصر الأعزاء . أحييكم بتحية الإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بكل الإعزاز والتقدير تستقبلكم مصر . علماء أعلاما فى سماء الدعوة الإسلامية نعتز بكم مقدرين رسالتكم ودوركم .

فمرحبا بكم أيها العلماء الأجلاء على أرض مصر كنانة الله فى أرضه موطن الأزهر المعمور ساحة العلم ومشرق النور الذى حمل لواء الدعوة الإسلامية الراشدة أكثر من ألف عام ولا يزال صرحا شامخا ومنبرا للفكر الإسلامى المستنير وظل علماؤه ودعاته علامات مشرقة فى سماء الفكر الوسطى المستنير ، وكانوا فى فهمهم لجوهر الإسلام وسماحته نجوما زاهرة فى سماء الإسلام والمسلمين ينيرون الطريق للفهم الصحيح لدين الله القويم .

مرحبا بكم وقد عبرتم البحار والمحيطات لتعالجوا هموم أمتكم وقضايا المسلمين ولتصلوا ما أمر الله به أن يوصل حتى يلتئم من جديد ركب الدعوة الإسلامية المعتدل بعيدا عن تعصب المتعصبين وغلو المتشددين وترويع الآمنين .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر الموقر .. السادة العلماء :

أحمد الله أن وفقكم لاختيار قضية حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى تواجه المسلمين لتكون

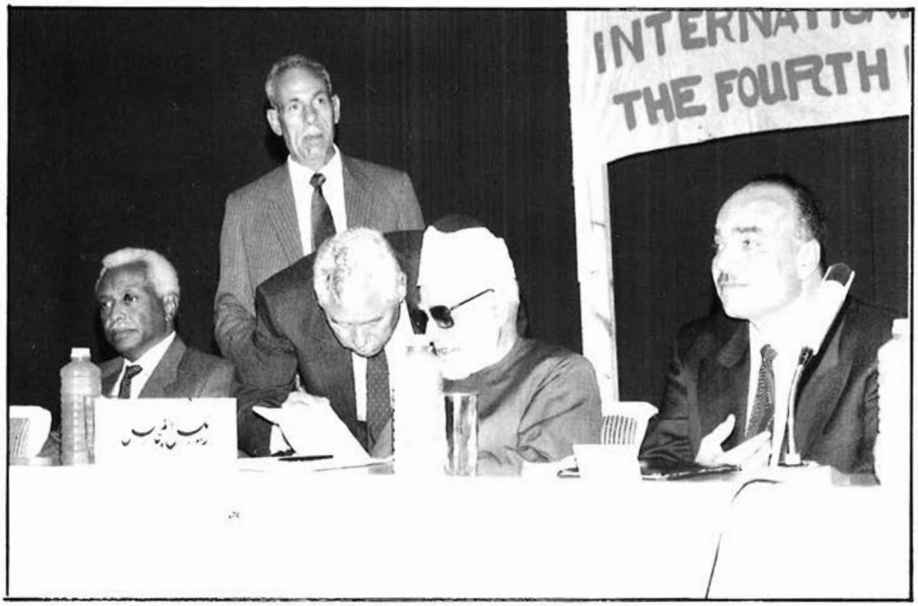

جانب من المنصة يتوسطها فضيلة الإمام الأكبر رئيس المؤتمر وعن يمينه السيد المشير سوار الذهب نائب الرئيس ، وعن يساره فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف

محورا لمؤتمركم الموقر فى مرحلة من أخطر المراحل التى تمر بها أمتنا العربية وعالمنا الإسلامى .

هذه المرحلة التى اختلطت فيها المفاهيم وزاغت الأبصار عن رؤية الحق وألبست الأهواء والمطامع الشخصية الضيقة ثوب الأهداف العامة للأمة حتى لا يكاد الإنسان العادى يدرى أين معالم الطريق . مما أضعف قدرة أمتنا فى الساحة المحلية والعالمية وأضعف بالتالى ما كان يمكن أن يكون لها من وزن وثقل وتأثير .

ومن هنا كان ضروريا أن يحتشد علماء الأمة وقادة الفكر فيها ليقيموا واقع الأمة ويدرسوا على الطبيعة والواقع مشكلاتها ويشخصوا بالموضوعية والمصارحة الدقيقة عللها وجروحها حتى يتعرفوا على موطن الداء فيحسنوا وصف الدواء .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، السادة العلماء :

دعونى أقول لكم فى صدق ووضوح إن أمتنا العربية والمسلمة تواجه فى هذه الآونة أقسى تحد تعرضت لمثله على مدى التاريخ فمع كل المحن الهائلة التى مرت فى تاريخنا كله كانت ذاتية الأمة المصونة من التفتت تتحرك من جديد لرأب الصدع وتقيم المعوج وتصحح الطريق .

أما اليوم فأمتنا تواجه تحديا من نوع جديد تجمعت فيه عليها عوامل كثيرة وخطيرة تهدد الأمة فى ذاتيتها وفى صميم وجودها كله فتكون أو لا تكون .

ومن منطلق المسئولية دعونى أصارحكم أيها العلماء الأجلاء ؛ إننا فى حاجة إلى أن نقف وقفة

صدق مع النفس لنصحح مسيرتنا ونعالج قضايانا وفى تقديرى أن عالمنا الإسلامى ـ اليوم ـ يواجه مشاكل متعددة منها ما يلى :

أولا : إن النزاعات والصراعات الإقليمية والمحلية تشغلنا عن رؤية الحقيقة الكبرى التى جعلت منا أمة واحدة فى ميزان الحق وفى ميزان الناس ولست فى حاجة إلى أن أضع أمام مؤتمركم الموقر قائمة طويلة بالمنازعات القائمة بين أقطار عربية وإسلامية تستهلك طاقتنا جميعا وتبدد جهدنا وتشغلنا عن قضايانا المصيرية .

فأنتم خير من يعلمها ويعيشها ، ولقد آن الأوان أن يعلم الجميع أنه لا مكان فى العالم للضعفاء أو المنقسمين . فبدون الوحدة والتضامن والتكافل لن تكون لهم على خريطة العالم الجديد مكان أو مكانة .

ثانيا : إن ظروفا تاريخية متعددة قد ردتنا عن مسيرة النهضة وجعلتنا جزءا مما يسميه المعارصون بالعالم الثالث تعبيرا عن التخلف وصارت أكثر شعوبنا فى هذه القائمة المؤلمة التى آن الأوان أن نغيرها ونصححها حتى نأخذ مكاننا اللائق بنا فى المجتمع المتحضر .

فلا مكان للعاجزين عن فرض وجودهم إلا بالعلم والعمل البناء وديننا دين عمل وحضارة وبناء .

ثالثا : إن هناك واقعا أليما وخللا خطيرا يحيط بنا ، وأعنى به انشغال الكثيرين من المسلمين بالجزئيات عن الكليات فى ديننا وألهتهم الفروع عن الأصول ، وفى غمرة هذا الخلل قدّم الإسلام فى كثير من المواقع كما لو كان دعوة للعسر والعناء والتشديد على الناس وإكراه المخالفين والتضييق عليهم بل لقد وصل الأمر ببعض من لا يعلمون سماحة الإسلام إلى استباحة العنف والأذى وسفك الدماء فى الدعوة إلى دين جعله الله رحمة للعالمين .

ولقد أدى هذا الخلل فى الفهم الحقيقى للإسلام إلى انتشار صورة ظالمة جائرة للإسلام والمسلمين ، يصور البعض معها أن الإسلام عقبة فى طريق التقدم وأن المسلمين دعاة جمود وتخلف وأنهم بذلك أصبحوا غرباء على مسيرة الإنسانية المعاصرة ... مع أن الإسلام دعوة للرحمة وأساسا راسخا للسماحة والسلام .

ومن هنا فإن على مؤتمركم الموقر الذى ضم هذه الصفوة المقتدرة من علماء الأمة وقادة فكرها أنْ يبذلوا كل ما يستطيعون للخروج بنا من هذا المنعطف العصيب الذى لم تمر الأمة بمثله فى تاريخها كله .

إن مؤتمركم الموقر تتعلق عليه الآمال فى أن يبحث المشكلات ويدرس الأزمات .

وأن يرسم لمستقبل المسلمين معالم الطريق الذى يجب عليهم أن يسلكوه وأن يحدد لهم الغايات التى يجب أن ينطلقوا لبلوغها .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

يطيب لى أن أذكّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ أذكر بخصائص الإسلام العظيم .. الذى قرن العمل للدنيا بالعمل للآخرة ففى الأثر :

(إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا . واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

فعلى المسلمين أن يتمسكوا بالعروة الوثقى ويلتزموا بها فلا يفصلوا بين مطالب الدنيا وبين غايات الدين

ويطيب لى أن أذكر بما فى الإسلام من مبادىء وتوجيهات إيجابية بناءة تحرك فى المسلم طاقات

المبادرة الذاتية لكل ما هو خير ونافع لنفسه وللناس من غير أن يدفعه أحد إلى ذلك .

كما يطيب لى أن أذكّر بما يتميز به الإسلام من وسطية لا تعرف الشطط إلى يمين أو يسار ، ولا تعرف الغلو أو التطرف بل تمضى بصاحبها حتى يبلغ غايته دونما إفراط أو تفريط كما عبر عنه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى قوله :

« إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

ولعلى فى غير حاجة إلى التذكير بأعظم الخصائص فى الإسلام العظيم .. الإسلام السمح الذى لا يعرف تعصبا ولا ضيق أفق .. الإسلام الذى تتسع دنياه للناس ـ كل الناس ـ من يدينون به ومن يدينون بغيره .

بل لعل من سمات العظمة فى الإسلام العظيم أنه جعل إيمان المسلم به لا يكتمل إلا بالإيمان بجميع رسل الله فلا تفريق بين أحد من رسله .. وما جاء فى القرآن عن تكريم رسل الله جميعا لا يحتاج إلى بيان .

الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

إن العالم يمر اليوم بحالة من طغيان المادية الفكرية والسلوكية على الأنظمة والشعوب بل وعلى الأفراد ويترجم هذا التوجه المادى عنفا فى اغتصاب الحقوق ، وعنفا فى التعامل مع الآخرين ، وعدوانا بشعا على آدمية الإنسان .

ولا خلاص للبشرية من هذا كله إلا بإعلاء القيم الإنسانية النبيلة التى دعت إليها رسالات السماء ، وأن نكون نحن فى شعوبنا أول الملتزمين بها والداعين إليها .

ومن هنا يتضاعف الأمل فى أن يخرج مؤتمركم الموقر بتوصيات ومقررات يكون فيها الدواء والشفاء ، ويتعلق بها الأمل والرجاء .

ولعل من أخطر وأهم ما ينبغى أن يناقشه مؤتمركم الموقر هو هذه الخلافات والنزاعات الداخلية التى تقع بين الأخ وأخيه ، وبين العربى والعربى ، وبين المسلم والمسلم ..

إنها فى تقديرى من أخطر التحديات التى تواجه أمتنا العربية المسلمة .

ولعل الدرس القاسى الذى عشناه جميعا إبان حرب الخليج كفيل بأن يملأ قلوبنا رعبا منه وحرصا على عدم تكراره .

كما أن المحن التى يعيشها بعض إخواننا فى الصومال وفى البوسنه والهرسك ، وفى غيرهما من ديار الإسلام جديرة بأن تكون محل عنايتكم .

الإمام الأكبر :

فليكن مؤتمركم إنطلاقة لقواعد البناء التى ترسى دعائم الإخاء على تقوى من الله ورضوان ليرى الناس كل الناس هذا الدين العظيم على حقيقته بيسره وسماحته .. وتقدمه وحضارته .. وحتى نستقيم نحن جميعا على طريقته ، فنفتح بذلك أبواب الأمل لمستقبل عامر بالخير .. زاهر بالعطاء .. يستخلفنا فيه ربنا كما استخلف الذين من قبلنا .. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الإمام الأكبر :

تحية لمؤتمركم ، ومرحبا بضيوف مصر فى بلدهم ووطنهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

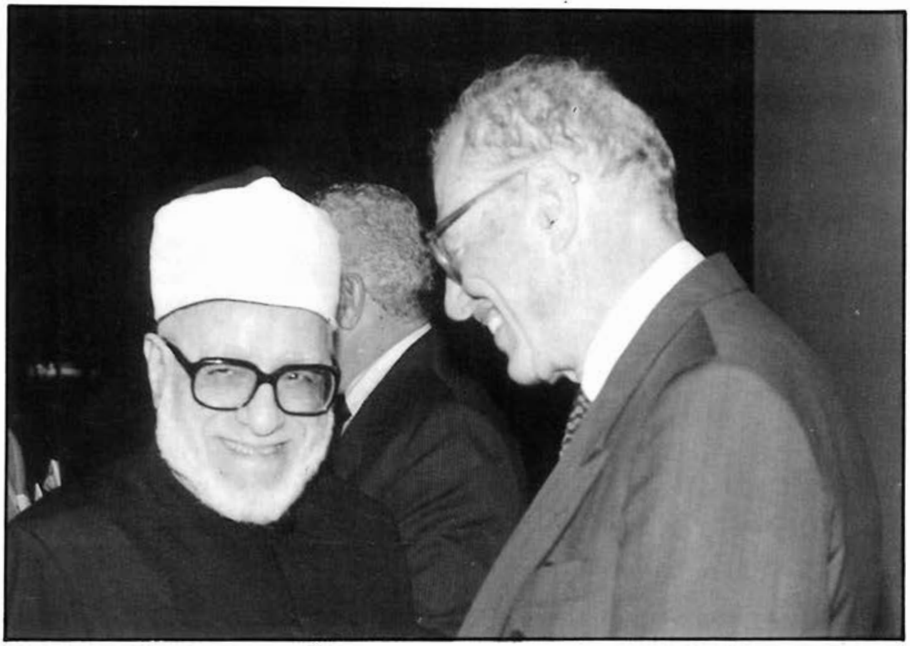

حديث باسم بين فضيلة الإمام الأكبر والامين العام للمجلس الإسلامى العالمى الأستاذ كامل الشريف

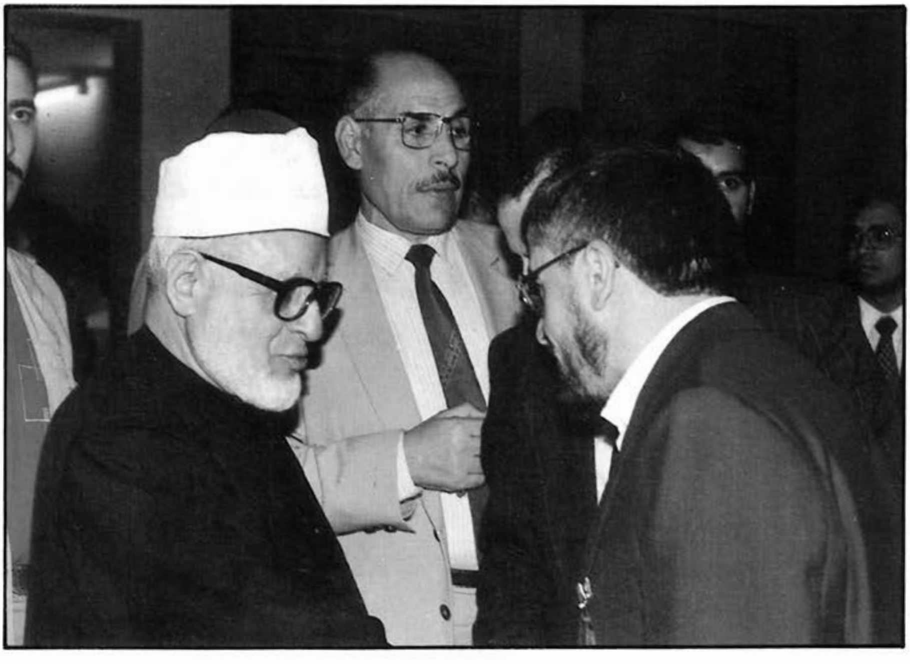

فضيلة الإمام الأكبر فى حديث مع الأستاذ حمدى أرسلان (تركيا) يتوسطهما فضيلة الأستاذ الدكتور
عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الازهر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

وبعد :

أرحب بالحفل الكريم على أرض مصر وفى رحاب الأزهر الشريف الذى تواصل جهاده طوال ألف عام ويزيد ، يفد إليه طلاب العلم من شتى البلاد الإسلامية خماصا ويروحون إلى أوطانهم بطانا بما يفيضون به من العلم فى مدارسهم ومساجدهم ؛ يستزيد أهل العلم من فيض ما قبسوا من تراث الإسلام الذى أضاء حياة أجيال المسلمين فى عصورهم المتعاقبة ، وما يزال الأزهر « بحمد الله » يجاهد ويوفد علماءه إلى شتى أقطار المسلمين معلمين وناشرين علوم الإسلام وثقافته .

ونحمد الله الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ..

حيث قد تنوعت وتكاثرت معاهد العلم وجامعاته على أرض المسلمين فى كل مكان تَسْتَنِبتْ العلماء وتؤهلهم ليكونوا هداة مرشدين وقادة صالحين مصلحين ، يحملون هموم أمتهم التى ليس لها من دون الله كاشفة .

هذه الهموم التى تواكبت على شعوب المسلمين حتى لم ينج منها وطن من أوطانهم ، فهم بين شعب مضطهد على أرضه أو مطرود من دياره أو مغلوب على أمره ، وتاه من بين أقدامهم الطريق المستقيم ، فتفرقت بهم السبل وتوالت النذر ، وصار بعضهم لبعض عدوا ، كما صار عِرْضهم مستباحا لا يجد مُعْتَصما يناديه .

ويمكن إجمال ما ألم بالأمة الإسلامية من علل : فى خمود المودة والتراحم وموارد دعم الأخوة الإسلامية فيما بين شعوب الأمة والأفراد والزعماء وتفجر القبلية والمذهبية والفتن مما مكن عدوها من تفجيرها من الداخل حتى صار بأسهم بينهم شديدا وقلوبهم شتى ، فضعفوا واستكانوا وركنوا إلى غيرهم فى كل شئون حياتهم لاسيما فى الفصل فى خصوماتهم ، مما أغرى بهم المتربصين بهم الدوائر ، وتخلل بين صفوفهم وأحاط بهم الساعون بينهم بالوقيعة ، يوحون إليهم بفكر ملوث مسموم ، تغيرت به عاداتهم وأعرافهم ، فالتبس عليهم أمر الدين والدنيا .

نعم : فتن داخلية وخلافات تتفجر كل يوم وإيحاءات خارجية تسوق إلى الردى حتى قال

قائلهم : « انج سعد فقد هلك سعيد » وما كان هذا شأن المسلمين ، أهل النجدة والشجاعة والشهامة ونصرة المظلوم ، بل كانوا كما وصفوا : يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

ولهذا لم يعد مفر من أن يتنادى العلماء إلى رحاب الأزهر الشريف ليتذاكروا حال العالم الإسلامى ، ويستظهروا علله التى أنهكت قوته ، وانفصمت بها وحدته ، فلم يعد صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، كما وهن حسه أو ذهب فلم يعد كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وأصبح فى حاجة إلى طب يستكشف أدواءه ويصف دواءه .

وها أنتم هؤلاء تدعون لا للخطب والقصائد ولا للتباكى حيث عز البكاء ، ولا للتلاوم وانتحال الأعذار ، وإنما لتتشاوروا امتثالا لقول الله سبحانه ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبالمشورة تصلون بعون الله وهداه ــ إلى أن تعيدوا إلى أمتكم وحدتها ، وتزيلوا مخاوفها مما ألم بها من هزائم نفسية إستشرت وتكاثرت حتى كادت تلحقها بالأذلين .

أنتم ــ أيها الحفل الكريم ــ آتاكم الله علما وحكمة فأقبلوا على قضايا أمتكم ــ بحثا ودرسا ــ وربما كانت كل همومها هما واحدا يتمثل فى فرقة عاتية تتزايد وتنمو نحو شئون الدين والدنيا مع أن الإسلام الذى أوحاه الله سبحانه إلى رسول الله محمد ﷺ قرآنا يتلى وبيانا على لسان هذا الرسول الأمين ﷺ قولا وفعلا وتقريرا ، قد شرع الله عزائم هذه الوحدة وعروتها الوثقى ، فالقرآن الكريم ملء صدورنا وسطورنا نتلوه وننصت إلى تلاوته فى الغدو والآصال ، وفى العشى والإبكار وهذه القبلة « الكعبة المشرفة » جمعنا الله عليها فى الصلوات وهذه أسس الإسلام الخمسة ندين بها ونسعى إلى مرضاة الله بأدائها وهذه ذمة الله وذمة رسوله نحتمى بها ، ونؤوب إليها .

الحفل الكريم : هذا المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة قام داعيا إلى وحدة الكلمة والهدف فى مجالات تحتاج إلى التكامل والتنسيق بين الجهود المبذولة ولاسيما فى الدعوة والإغاثة . وهذه الدورة الرابعة للهيئة التأسيسية وهو فى نماء « عدة وعددا » ينبغى المزيد من التنسيق بين جهود الهيئات والمنظمات والوزارات المشاركة حتى تصل بنا الجهود الجماعية إلى الخير المأمول .

إن الأمل أن نقبل على الفحص والدرس حتى ننصح الأمة وتنكشف الغمة . ونعوذ بالله من أن يكون جمعنا هذا ــ كسوق قام ثم انفض وإنما نستعين بالله وبحوله وقوته سبحانه وهداه أن ننتهى إلى كلمة سواء تهدينا إلى عمل رشيد نتابع به إبراء أمة الإسلام من أدوائها حتى نستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم .

الحفل الكريم :

مرة أخرى : أرحب بكم فى مصر

باسم الأزهر الشريف وباسم المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ..

وباسمكم أقدم الشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على تفضله برعاية مؤتمركم هذا ..

وأدعو الله كما علمنا فى كتابه الكريم ..

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

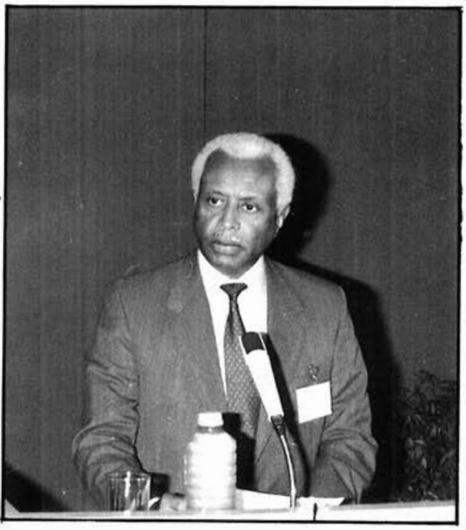

السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب الرئيس

كلمة السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى

إن الحمد لله نحمده ونشكره على نعمائه ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سماحة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة .. معالى ممثل فخامة رئيس الجمهورية الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف .. معالى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الدكتور حامد الغابد . أصحاب المعالى والفضيلة والسعادة الوزراء والعلماء والسفراء .. الجمع الكريم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى مطلع كلمتى هذه لابد لى أن أحمد الله تعالى مرات ومرات على لطفه بأرض الكنانة وشعبها الأبى ، حين لطف بهم وخفف عنهم آثار الزلزال المدمر ، إننا إذ نعرب عن مشاعر المواساة والعزاء لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ شعب الكنانة وأن يعوضهم خيرا مما فقدوا وأن يجزل لهم الثواب والمغفرة .

أيها السادة الأفاضل :

يبادر الأزهر الشريف بقيادته الحكيمة الموفقة كعادته السنوية باستضافة الدورة التأسيسية الرابعة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة كما استضاف من قبل كافة الدورات السابقة ، وليس هذا بمستغرب فقد حمل الأزهر الشريف لواء الدعوة الاسلامية لأكثر من ألف عام ولا يزال بإذن الله موفقا فى حملها . حفظ الله الأزهر الشريف وشعب وحكومة وقيادة مصر العظيمة .

أيها السادة :

لا أشك أن أى مسلم سوى مدرك لما يتعرض له المسلمون فى أنحاء المعمورة من مآسى إلا وقد إمتلأ قلبه بالأسى والحزن للحالة المأسوية التى أصبحت سمة ملازمة لمجتمعات المسلمين فى كافة أقطار الدنيا .

فالمسلمون على كثرتهم التى تربو على المليار نسمة أصبحوا غثاء كغثاء السيل فلا يسعفون هالكا ولا ينتصرون لمظلوم ولا يكاد يشرق صباح يوم جديد الا ومأساة جديدة قد أطلت برأسها فى بقعة من بقاع المسلمين حتى ليكاد يستقر فى وجداننا أن أمرا صار مبيتا يلاحق جموع المسلمين ليمحوها من وجه الأرض .

وليس هذا مجرد استنتاج بل هى حقيقة ماثلة نعايشها يوميا فى مأساة البوسنه والهرسك وفلسطين المحتلة والصومال ومسلمى بورما ثم الحصار المضروب على ليبيا وتكريس آثار حرب الخليج .

إن قضية البوسنه والهرسك تمثل أبشع صور التتارية فى العصر الحديث وفى شريعة النظام العالمى الجديد ، الذى يكاد يقنن إبادة شعب بأكمله ومحو دولته من خريطة العالم وشاهدنا فى ذلك أن الدول الأوروبية تكاد تجمع فيما بينها ألا تسمح لدولة إسلامية أن تقوم فى أوروبا إذ كيف نفسر تلك اللامبالاة فى إتخاذ خطوات إيجابية لحماية المسلمين ، كما فعلت حين تحركت بإيجابية لحماية الكروات حينما تعرضوا لهجوم الصرب ! بل على النقيض من ذلك غضت الطرف وأعطت بذلك الضوء الأخضر للصرب للقضاء على المسلمين بتلك الصورة البشعة التى لا تماثلها إلا صبرا وشاتيلا . وقد وضح مؤخرا أن هناك إتجاها لتقسيم البوسنه والهرسك على أساس عرق ، وهى سابقة خطيرة فى المجتمع الدولى لأنها ستكون بمثابة مكافأة المعتدى الذى قتل الآلاف وأصاب أضعافهم ، كما أنها تتناقض مع مبادىء الأمم المتحدة وتسخر من ميثاقها الذى يتعهد بحماية أعضاء المنظمة ويمنع مكافأة المعتدى على عدوانه .

أيها السادة الأفاضل

إن المسلمين لابد لهم أن يعوا حقيقة أصبحت واضحة كوضوح الشمس بل لا يتحرج مروجوها من التصريح بها دون خوف أو مجاملة ذلك أن الغرب قد اتخذ من الإسلام عدوا له بدلا من الشيوعية . وقد أكد ذلك قادة حلف الأطلنطى حينما نظروا فى جدوى بقاء الحلف بعد

زوال خطر الشيوعية . فأجمعوا على ضرورة بقائه لمواجهة الصحوة الاسلامية التى فى نظرهم لا تقل خطرا عن الشيوعية .

والحديث عن الصحوة الإسلامية يقودنا إلى الحديث عن الأصولية التى أصبحت توصم بها أى محاولات للعودة لتعاليم الإسلام السمحة وتطبيقها فى الحياة العامة مع نبذ موروثات الإستعمار القبيحة التى حاول جاهدا تثبيتها فى فترة استعماره للبلاد العربية .

أيها السادة الأفاضل

أن أهم ما يتميز به المجلس الاسلامى العالمى للدعوة والإغاثة أنه لا يتبع جهة بعينها ولا ينتمى لدولة بذاتها بل هو مجلس عالمى لكافة المسلمين الذين شاركوا ــ عبر منظماتهم ــ فى تكوينه وقد كان للأزهر الشريف وقيادته الرشيدة شرف الدعوة إليه وإخراجه بهذه الصورة التى جسدت آمال المسلمين فى قيام جهاز عالمى محايد يتحدث باسمهم ويدافع عن حقوقهم ويعالج خلافاتهم .. إذن هو بصفته الحيادية هذه مؤهل للقيام بأدوار عظيمة ربما عجزت بعض الدول عن القيام بها .

وتمشيا مع أهداف هذا المجلس التى ارتضيناها توجب علينا ــ وحالة المسلمين كما وصفناها ــ أن نسرع الخطى فى رأب الصدع وإصلاح ذات البين بين دول العالم الاسلامى وللمجلس مبادرات ناجحة فى النزاع بين موريتانيا والسنغال .

وحرى بهذا المجلس أن يبدأ بتسوية الخلافات وإزالة آثار الفرقة ، فلا يجور فى حقه بل ولا ينبغى له ألا يفعل شيئا إزاءها . لأن هذه الخلافات ألحقت الضرر بالأمم الإسلامية جمعاء .

فآمل ألا ينفض هذا المجلس إلا وقد أوكلنا إلى لجنة مختارة ومفوضة منه لتبدأ بإذن الله جولة موفقة فى إزالة آثار حرب الخليج وتوحيد الصف الإسلامى فإن المعادلة الآن هى أن تكون كلمة إسلامية أو لا تكون .

فى ختام كلمتى هذه أود أن أذكّر السادة رؤساء الهيئات والمنظمات الاسلامية المشاركة فى هذه الدورة والمتغيبة عنها بضرورة مواصلة جهودها لإزالة آثار الزلزال الذى تعرضت له الشقيقة مصر وأدعوها لمضاعفة جهودها لإنقاذ الآثار الاسلامية العريقة وإعادة بناء المساجد والمدارس التى تأثرت بالزلزال .

أيها السادة

فى خلال الأربع سنوات المنصرمة قام المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بجهود مقدرة عبر هيئاته ولجانه المتخصصة فى حدود ما سمحت به الإمكانات المحددة ــ والفضل والشكر بعد الله سبحانه وتعالى يعود إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس والى معالى الأمين العام والى الأمانة العامة وعلى رأسها المدير العام وحاشيته ، جزاهم الله جميعا خير الجزاء .

كما نشكر الهيئات الاسلامية المختلفة التى ساهمت مع المجلس فى تنفيذ برامجه ونخص بالشكر رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بجدة وذلك لدعمهم المتواصل لهذا المجلس .

وفى الختام الشكر مكرر للأزهر الشريف لاستضافته للمجلس والشكر لسمو الأمير محمد الفيصل آل سعود لاستضافته للمجلس فى مقر رئاسة البنوك الإسلامية ولتبرعه السخى ببناء مقر دائم للمجلس جزاهم الله خيرا .. ثم الشكر لمصر العروبة والإسلام شعبا وحكومة وقيادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

فضيلة الأستاذ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية ورئيس لجنة الإعلام بالمؤتمر

الأستاذ صلاح طه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر رئيس اللجنة المالية والادارية لأعمال المؤتمر

فضيلة الأستاذ محمد حسين مساعد رئيس لجنة أعمال المؤتمر

كلمة معالى الأستاذ
كامل الشــريف
الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعــوة والإغــاثة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وأصحابه وسلم أجمعين .

فضيلة الرئيس ، سيادة نائب الرئيس ، أصحاب المعالى ، أصحاب الفضيلة ، أيها الإخوة الأجلاء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأرحب بكم فى اجتماعكم السنوى كهيئة تأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كما أرحب برؤساء المنظمات الرسمية والشعبية الذين يحضرون اجتماعنا هذا ، وأعبر عن شكرنا وامتناننا لحضورهم ، وعن رغبتنا فى تنظيم العلاقة معهم ، وتطلعنا لتنسيق جهودنا مع جهودهم ، ووضع أيدينا مع أيديهم لخدمة ديننا ، وقضايا أمتنا .

أيها الإخوة الفضلاء :

ستجدون ـ إن شاء الله ـ فى تقرير الأمانة العامة الشامل صورة تعكس مسيرة مجلسكم بين

دورتي الهيئة التأسيسية ، إنطلاقا من قراراتكم في الدورات الماضية ، وما تم إنجازه فعلا ، وما هو في سبيل الإنجاز ، وما تعذر القيام به ، وأسباب ذلك ، الأمر الذي يعفيني من تكراره ، وإذ جاز لي أن أحدد بعض المنطلقات التي أرجو أن تظفر بعنايتكم في هذه المرحلة ، وأن تعطوا الأمانة العامة الخطوط العريضة التي تسير على أساسها ، فإنني أحدد هذه الأمور :.

أولا في مجال التنسيق :

لقد قررتم إنشاء هذا المجلس من منطلق الحاجة الواضحة للتعاون وتنسيق الجهود في مجالات الدعوة والإغاثة ، لتوسيع مجالات العمل ومنع الإزدواجية والتناقض وتوجيه الجهود نحو أولويات مدروسة ، وتوفير معلومات صحيحة تعين على اتخاذ مواقف موحدة في ساحات الفكر وساحات العمل ، وأعتقد أن المرحلة القصيرة الماضية ، كانت كافية لتوضيح مجالات التنسيق الواسعة ورسم إطارها ، وتحديد وسائلها ، وهو إنجاز مهم في حد ذاته ، إذا ما قورن بالغموض الذي صاحب الفكرة في البداية ، والذي أوجد بعض الحساسيات الطبيعية ، والمخاوف المشروعة ، ولقد وضح الآن أن المجلس ليس منظمة جديدة تنافس سائر المنظمات أو تزاحمها في ميادين اختصاصها ، ولكنه امتداد لها وجسر يربطها بغيرها ، ومنبر مشترك تعبر من خلاله عن أفكارها وتجاربها ، تؤثر منه في غيرها وتتأثر به وتستفيد منه ، وأهم من ذلك كله ، أنه تنظيم « تعاوني » يجعل جهودها في خدمة الإسلام وقضاياه ، أكثر فاعلية وأشد قوة واتساعا ، ولكي ينجح هذا التنسيق ويؤدي أغراضه المقصودة ، وفوائده المرجوة ، لابد من التزام الجميع وتجاوبهم بروح جدية مع القرارات الجماعية التي يتخذونها بمحض إرادتهم ، ويسعدني القول أن السنة الماضية قد اتسمت ـ والحمد لله ـ بهذه الروح إلى حد مرضي ، وأصبحنا نحس بمزيد من الاهتمام والتجاوب من عدد كبير من المنظمات الأعضاء ، مما يشجعنا على التفاؤل وتوقع المزيد من النجاح ، إذ لا توجد نهاية لما يمكن أن يحرزه الإنسان من النجاح بالإيمان والعزم والنظام ، بعد إرادة الله ـ تعالى ـ وتوفيقه الموعود للمؤمنين الصادقين .

وتحت عنوان (التنسيق العريض) تقع قضايا تفصيلية كثيرة ، سوف نناقشها ـ بإذن الله ـ مع تطور اجتماعنا ، تتعلق بتبادل المعلومات ، والإتفاق على الندوات والمؤتمرات وتوجيه الدعاة ، وتنظيم حملات الإغاثة ، ومواجهة القضايا الإسلامية بموقف واحد ، وجهد منظم ، وإبراز تيار فكري عميق يخاطب العالم المعاصر ويتفهم مشكلاته ، وغير ذلك من مجالات التنسيق الكثيرة ، وقبل أن أفارق هذه النقطة أود أن أشير إلى أمرين :

أولهما أننا نلمس بداية ناجحة في التنسيق المحلي بين المنظمات الإسلامية في بعض البلاد التي يتواجدون فيها ، وأقول بداية فقط لأنني آمل أن تتوسع هذه التجربة في كل البلاد ، وأن تدخل فيها كل المنظمات ، وفي هذا المجال أجد مجالا واسعا للتعاون بين المنظمات الأعضاء والهيئات المحلية الزميلة ، وهذا الهدف يلزمه تعليمات صريحة من قيادات المنظمات بوجوب الالتزام بخطط التنسيق .

أما الأمر الآخر فهو ميل بعض المنظمات إلى

التوسع فى فتح فروع مستقلة ، بينما تقتضى خطة التنسيق أن يكون للمنظمات الأعضاء مكتب واحد ، وخصوصا فى مناطق الأقليات ، أو أن تعتمد المنظمة العضو فى البلد المعين كلما أمكن ذلك ، حتى ينفق المال المحدد على مجالات العمل نفسها ، وليس على أجرة البيوت والموظفين والأجهزة الإدارية ، وأرجو أن تكون هذه السياسة إتجاها نتفق عليه ، وأن نتعاون على تذليل العقبات التى تعترضه ، ومن التجارب التى ظهرت مع الممارسة أيضا ، أن تعدد مجالات النشاط ، واتساع الرقعة الجغرافية التى يعمل فيها المجلس ، وتباعد مواطن المنظمات الأعضاء ، كل ذلك يجعل الإتصالات اليومية صعبة وكثيرة التكاليف ، الأمر الذى يجعل من الضرورى تقوية أجهزة الأمانة العامة حتى تتمكن من اتخاذ مبادرات سريعة ، وخطوات مباشرة فى القضايا الإسلامية ، على ضوء قرارات الهيئة التأسيسية وهيئة الرياسة الجليلة .

أما إذا بقى جهاز الأمانة العامة وإمكاناتها للتحرك السريع على الحال الراهنة ، مع تراكم القرارات والتوصيات التى تصدرونها برسم التنفيذ ، وانفجار المشكلات التى تنتظر تدخل المجلس ، فإن من الممكن أن تتولد حالة من الإحباط واليأس من فكرة التنسيق والتعاون ، لدى الأعضاء، والجمهور المسلم على حد سواء، وهنا لابد أن نحذر من ظاهرة سلبية يتعرض لها العمل الشعبى الإسلامى عموما ، وهى أنه حين تعجز منظمة ـ أية منظمة ـ عن ملاقاة الآمال الواسعة ، والطموحات العريضة ، فإن الميل ـ عادة ـ لا يكون لدعم تلك المنظمة ودراسة مشكلاتها ، وعلاج النواقص التى تبدو فيها ، ولكن المسارعة لهدمها والتخلى عنها ، وإيجاد منظمة جديدة تلاقى نفس المصير ـ بطبيعة الحال ـ مادامت الجذور السلبية قائمة دون تغير .

ثانيا ـ الخلافات فى البلدان الإسلامية :

لا نغالى إذا قلنا : إن العالم الإسلامى ، ـ وخصوصا المجموعة العربية ـ يشهد مرحلة من التمزق والخلاف لم يشهد مثلها منذ وقت طويل ، سواء بين بعض الحكومات المختلفة ، أو بين حكومات معنية وحركات إسلامية ، وقد عكس مجلسكم مشاعر القلق التى تحسون بها إزاء هذه الحالة ، وما تجلبه من أخطار جسيمة على الحاضر والمستقبل ، وقد حرصت هيئة الرياسة والأمانة العامة على تشخيص هذه الحالات ، وتحديد أسبابها وجمع المعلومات المحايدة عنها ، وتحصيل آراء المنظمات الأعضاء عنها ، بهدف إيجاد موقف موحد ، قاعدته مخافة الله ـ تعالى ـ والحرص على صالح المسلمين ، ووسائله النصح والتذكير والموعظة الحسنة ، وتحاشى مواقف التحيز والتبعية ، والتأييد الأعمى ، وأساس ذلك كله ، أن يظل هناك جهاز إسلامى شعبى حيادى بمعزل عن السياسات الرسمية ، أو المواقف الحزبية ، يدعو للخير والحق ، ويذكر بمبادىء الأخوة الإسلامية ، من فوق النزعات العاطفية العابرة . وقد قام المجلس مباشرة ، كما أسهمت بعض المنظمات الأعضاء فى مجالات مختلفة سوف ترونها فى التقرير ، وأخص بالذكر الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . لكن ما أود التركيز عليه هو أن نتفق على دعم حياد هذا المجلس واستقلاليته ، وترفعه عن الانزلاق فى الخصومات ، وإلا فَقَدَ

مصداقيته وفعاليته ، أقول ذلك مع إدراكى التام لشدة الضغوط السياسية التى تتعرض لها المنظمات الشعبية فى مرحلة قلقة متوترة ، غير أن أملى لا يزال كبيرا فى قادة منظماتنا أن يجدوا المعادلة السليمة أمام هذه التناقضات الحادة ، حتى يستمر مجلسكم فى جهوده التوفيقية بنجاح ، وألا يفقد صلته الإيجابية المتوازنة مع جميع الأطراف .

وأعتقد أننا متفقون تماما على أن بقاء الخلافات السياسية والعقائدية فى بعض البلدان الإسلامية ، من أهم الثغرات التى يتسلل منها الأعداء ليفسدوا علينا أمرنا ، ويعطلوا مسيرتنا نحو القوة والوحدة ، ولاشك أن هذا المجلس بتشكيله الراهن ، وما تجمع فيه من الخبرات ، وسياسته الحيادية ، يستطيع أن يفعل الكثير فى هذا المجال .

وفى هذا المجال قامت رياسة المجلس بزيارات منظمة لعدد من رؤساء الدول الإسلامية ، بهدف التشاور معهم ، وكسب تأييدهم لهذه الفكرة ، وفى النية الاستمرار – إن شاء الله – فى هذا المسعى الخير ؛ ويتصل بهذا الميدان ناحية أخرى لا تقل خطرا ، وهى : الصراعات الفكرية بين الجماعات الإسلامية نفسها حول مناهج العمل ، وأساليب الدعوة ، وطبيعة الصلات بالمؤسسات الرسمية والعامة ، وقد يعين هذا المجلس على فهم هذه الظاهرة الخطرة والتعامل معها ، أن قادته يتمتعون بخبرات طويلة فى العمل الإسلامى ، ويحظون بالثقة من الجهات الرسمية والشعبية على السواء ، الأمر الذى يسمح لهم بتقديم النصح ، والدعوة للخير ، وجمع كلمة الأمة على كلمة سواء ، على أساس كتاب الله تعالى ، والصحيح من سنة رسول الله – ﷺ – ومنهج السلف الصالح فى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثالثا – الإسلام والعالم الخارجى :

يمر العالم المعاصر الآن فى مرحلة جديدة ، تشهد تغيرات عميقة واسعة ، ويقف على مفترق طرق ، يقول المتفائلون : انها يمكن أن تؤدى للسلام العادل والتعايش الإيجابى ، بين الأمم والحضارات ، ويقول الواقعيون : إن الأسماء والظواهر هى التى تغيرت ، أما الحقائق فهى باقية على حالها ، وأول الحقائق هى الإنسان نفسه بأطماعه وشهواته وغروره وميله نحو السيطرة والكبرياء فى الأرض ، وأن هذه الطبيعة الشريرة سوف تتغلب على كل الآمال الزاهية كما فعلت فى الماضى ، وقد يضربون الأمثال على أحداث دامية تقع أمام عين العالم وبصره ، مثل : فلسطين ، والبوسنه والهرسك ، والصومال وكشمير وغيرها ، وأن يجرى هذا فى العالم الإسلامى – وحده – ليس من قبيل المصادفة العارضة .

أين يقع العالم الإسلامى من كل ذلك ؟

وما هو الدور المطلوب ؟

تحت هذه الأسئلة العريضة والخطيرة معا ، تقع محاور كثيرة لابد أن تدرس بعناية فائقة ، وأن توضع لها الخطط المقابلة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

– دراسة دوافع الحملات الإعلامية والعملية ضد المسلمين فى مناطق المجابهة .

– ما هى أنسب الخطط الملائمة لكل حالة ؟

– وسائل حشد الجهود الرسمية والشعبية فى انسجام وتكامل لحمل مسئولياتها .

– التمييز الواعى بين الفئات المقابلة ، لنتبين الخصوم من الأصدقاء ، ونتعرف على الجهات التى

تعادى الإسلام عن جهل ، أو عن انسياق مع التراث التاريخى ، ولديها الإستعداد لأن تتجاوب مع منطق العقل والحق والإنسانية .

ـ ما عناصر الخطاب الإسلامى الملائمة فى هذه المرحلة ، كدين يدعو للعدل والسلام ، ويعترف بالديانات الأخرى ، ويحترم كتابها وأنبياءها وشعائرها ، ويتحاشى العنف وإراقة الدماء إلا فى الدفاع عن النفس وحرية العقيدة؟

ومن كل ذلك تتضح سعة هذه القضية ، وتعدد جوانبها ومجالاتها ، وكثرة الوسائل النظرية والعملية التى يمكن أن تستخدم فيها ، ومن الإنصاف أن نقول : إن لدى المنظمات الأعضاء فى هذا المجلس خبرة واسعة ، واتصالات كثيرة يمكن أن تشكل بداية هامة إذا تواصلت وتكاملت ونتج عنها التخطيط المشترك المأمول ، وسوف ترون فى تقرير الأمانة العامة بدايات متواضعة فى كل هذه الميادين ، كما أن طريق العمل أصبح واضحا إذا توفرت له الإمكانات المادية والعملية .

أيها الأخوة الفضلاء :

من المفيد أن نذكر فى هذه المناسبة أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة هو أول محاولة جادة لجمع العمل الإسلامى الشعبى والرسمى فى مشروع موحد ، يقوم على المرونة والإعتدال ، والإعتراف بالواقع القائم الذى يحكم أمتنا ، والعمل على تطوير هذا الواقع باستمرار ليكون أكثر قوة وصلابة فى وجه التحديات ، ووسائلنا لذلك هى : التشاور ، والموعظة ، والنصح لأئمة المسلمين وعامتهم ، ولا يخفى أن مجلسا ، يطمح لتحقيق هذا المشروع الكبير ، ويقف على طريق واضح للعمل المنظم ، يحتاج إلى دعم مالى ومعنوى كبير من أهله ومنظماته أولا ، ثم من ذوى العزائم والنوايا الطيبة بين المسلمين الذين يهمهم العمل الإسلامى المنظم .

لقد استطاع هذا المجلس ـ والحمد لله ـ رغم حداثة مولده ، وتواضع إمكاناته ، والظروف الصعبة التى مر بها فى هذه الفترة القصيرة ، أن يعلو على موج الأحداث ، وأن يحقق الكثير فى مجالات التنسيق التى أشرنا إلى طرف منها ، غير أن الشوط الأكبر لا يزال أمامنا ينتظر العمل والإقدام ، وثقتنا فى الله ـ تعالى ـ أولا ، ثم فى إخواننا ، وهم على مستوى المسئولية وعند حسن الظن ـ إن شاء الله ـ أن يدعموا هذه المسيرة ، وأن يتقدموا لحمل أعبائها بعزم المؤمنين وتصميم المجاهدين ، ولا يفوتنى أن أعبر عن أعظم مشاعر الشكر والتقدير لجمهورية مصر العربية حكومة وشعبا بقيادة الرئيس محمد حسنى مبارك ، وحكومته الرشيدة ، ولاسيما معالى وزير الأوقاف ، على دعمهم لهذا المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، كما أقدم الشكر لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس ، وسيادة نائب الرئيس ، وهيئة رياسة المجلس الجليلة ، وأصحاب المعالى والسعادة والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة ، على مثابرتهم ودأبهم وحرصهم على إنجاح فكرة هذا المجلس ، ودعم العمل الموحد .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينير قلوبنا وأبصارنا ، وأن يجمع كلمتنا ويوحد صفنا ، وأن يلهمنا الإخلاص فى القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فضيلة الشيخ عبدالله عمر نصيف
الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى

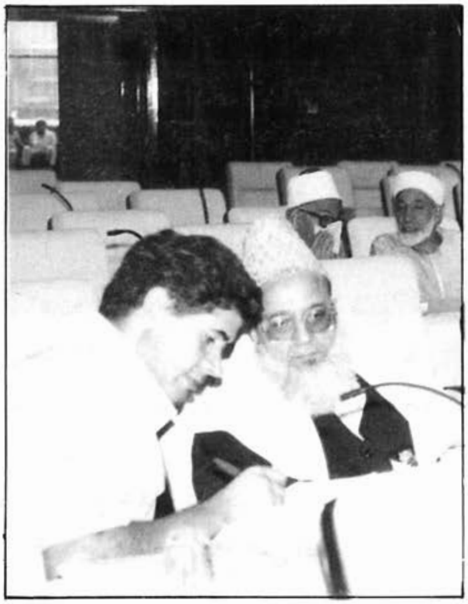

فضيلة الأستاذ عبدالرشيد ربانى الامين العام لجمعية العلماء ببريطانيا فى حديث مع الأستاذ عادل خفاجة محرر الجلسة

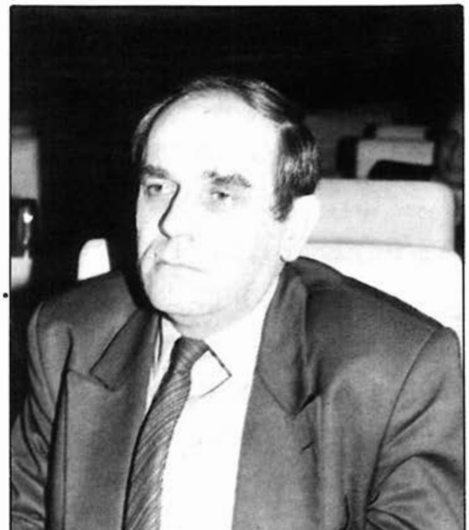

فضيلة الشيخ محمد أفندى رجبى
رئيس المشيخة الإسلامية فى (مقدونيا)

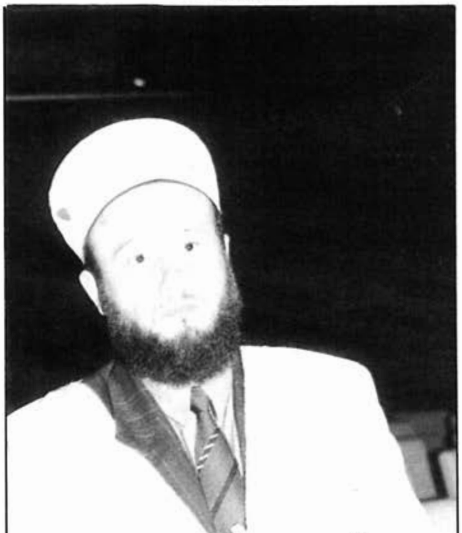

فضيلة الشيخ (فكرى صالح حسن) مفتى بلغاريا
إقرأ كلمتة فى باب (كلمات القاعة)

كلمة الأمين العام لجامعة الدول العربية
ألقاها نيابة عنه
رمزى بدران
مدير إدارة آسيا وأوروبا الشرقية
بالجامعة العربية

معالى الوزير ممثل السيد رئيس الجمهورية
فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف
سعادة المشير عبدالرحمن سوار الذهب
سعادة الأمين العام السيد كامل الشريف
السادة العلماء والضيوف الأجلاء

إنه لمن دواعى سرورى أن أتحدث إليكم باسم جامعة الدول العربية ، معربا عن شكر وتقدير الجامعة العميق لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق على دعوته الكريمة لحضور هذا المؤتمر ـ الذى يعقد بإشراف الأزهر الشريف ـ عن حاضر العالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل ، متمنيا فى الوقت نفسه لهذا المؤتمر النجاح وتحقيق الأهداف المرجوة منه والتى من شأنها رفعة المسلمين فى كافة أرجاء العالم .

فضيلة الإمام الأكبر :

يشهد العالم اليوم متغيرات سريعة ومتلاحقة تكاد تشمل جميع أوجه الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية . وقد كان من بعض نتائج هذه المتغيرات ، إنتهاء الحرب الباردة وحصول تحول جذرى فى طبيعة العلاقات الدولية ، وغياب إحدى الدولتين العظميين عن الساحة الدولية وهو الإتحاد السوفيتى ، وليضع ذلك كله نهاية للنظام الدولى الذى ساد بعد الحرب العالمية الثانية ، والذى كانت سمته الأساسية الإستقطاب الثنائى بين الغرب والشرق ، وليضع العالم على عتبة نظام دولى جديد ، لم تتبلور ملامحه النهائية بعد .

والأقطار الإسلامية المنضوية رسميا تحت منظمة المؤتمر الإسلامى ليست بعيدة عن هذه المتغيرات ، خصوصا وأن جميعها أعضاء فى جميع المنظمات الدولية والإقليمية وتأتى فى مقدمتها جامعة الدول العربية والتى تضم إحدى وعشرين دولة عربية ، هذه الأقطار لابد وأن يكون لها دور أساسى فى بلورة ودعم النظام الدولى الجديد طالما كان هدفه تحقيق العدالة والمساواة القائمين على ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى وعلى تطبيق الشرعية الدولية التى لا يمكن أن تتجزأ .

فضيلة الإمام الأكبر :

تتعرض بعض الأقطار الإسلامية اليوم إلى العديد من المخاطر وذلك إما نتيجة للتنافس الدولى الحاد على هذه الأقطار بسبب موقعها الجغرافى المتميز والثروات التى تحتويها ، أو بسبب الأطماع الخارجية وفى مقدمتها الأطماع الصهيونية التى أدت إلى إحتلال إسرائيل للأراضى العربية ، واستمرار إسرائيل فى ممارسة سياسة التوسع والعدوان وانتهاكها لحقوق الإنسان العربى ، ورفضها الانصياع إلى الشرعية الدولية والانسحاب من الأراضى العربية المحتلة والسماح للشعب الفلسطينى فى ممارسة حقه فى تقرير المصير . فى حين أن الدول العربية تتمسك بالسلام القائم على العدل وعلى مبادىء القانون

الدولى والشرعية الدولية . ومن هنا كانت استجابة الدول العربية لمبادرة السلام الأخيرة برعاية الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتى سابقا ، حيث رحب مجلس الجامعة فى اجتماعه فى سبتمبر ١٩٩١ بالجهود المبذولة لعقد مؤتمر دولى للسلام وصولا إلى سلام شامل وعادل للصراع العربى الإسرائيلى وقضية فلسطين على أساس مبادىء الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بما فى ذلك قرارا مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

ونحن مازلنا متمسكين بهذه المبادرة ، ونأمل فى أن تؤدى المباحثات الجارية إلى السلام العادل والذى يفترض وضع حد للاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية المحتلة ومبادلة الأرض بالسلام وتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ .

وهناك قضية أخرى تشغل الضمير العالمى كله وبصورة خاصة العالم الإسلامى وهو مايجرى فى جمهورية البوسنة والهرسك العضو فى الأمم المتحدة منذ ١٩٩١/٥/٢٠ والتى تتعرض سيادتها إلى انتهاك صارخ من قبل الصرب ، كما يتعرض المسلمون وهم يشكلون الغالبية فى هذه الجمهورية إلى عمليات إبادة جماعية على أساس عرق ودينى ، ومانتج عن ذلك احتلال أكثر من ٧٠٪ من أراضى هذه الجمهورية بيد الصرب وتشريد السكان . وحسب إحصاءات الأمم المتحدة فإن عدد الذين أخرجوا من ديارهم منذ بداية الصدام فى يوغسلافيا والذى بدأ فى منتصف ١٩٩١ يقدر بحوالى مليونين وسبعمائة وستين ألفا (٢,٧٦٠,٠٠٠) أكثر من نصفهم من المسلمين سكان البوسنه والهرسك .

ان الموقف فى جمهورية البوسنه والهرسك مأساوى للغاية ويشكل وصمة عار فى جبين العالم المتحضر ، لذلك لابد من تضافر جميع الجهود الدولية من أجل وقف القتال الدائر فى البوسنه والهرسك ، وإيجاد حل للصراع الدائر هناك يضمن الحفاظ على وحدة وسيادة هذه الجمهورية طبقا لمبادىء الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة وعودة اللاجئين إلى ديارهم وإطلاق سراح الأسرى . كما لابد من تضافر جميع جهود الأقطار الإسلامية من أجل المساعدة على تنفيذ الشرعية الدولية وتقديم المساعدة فى كافة المجالات الممكنة . ولقد قامت جامعة الدول العربية بعرض موضوع البوسنه والهرسك على مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه الأخير فى سبتمبر ، واتخذ المجلس قراراً أعرب فيه عن التضامن الكامل مع جمهورية البوسنه والهرسك فى نضالها العادل من أجل صون سيادتها واستقلالها السياسى ووحدة ترابها . كما تضمن القرار العديد من الإجراءات الواجب القيام بها على المستويين الإقليمى والدولى من أجل رفع المعاناة عن شعب البوسنه والهرسك .

أيها السادة :

أن مايحز فى النفس هو بشاعة الكارثة المدمرة التى حلت بشعبنا فى الصومال منذ زهاء عامين ، حين انهارت بنية الدولة ، وتحطمت كل مقومات الحياة الإقتصادية والإجتماعية ، ووصل جحيم الحرب الأهلية إلى كل شبر من أرض الصومال . ولا تزال هذه الحرب تحصد الآلاف من الأبرياء ، بل وقد تسببت فى المجاعة التى تفتك بالنفس والنفيس .

ولقد بذلت الجامعة منذ بدء المشكلة جهودا حثيثة لمعالجة المسألة بدراسة الوضع فى مجالس الجامعة المتعددة وطرح المقترحات والحلول المناسبة لرأب الصدع وإرسال الوفود للإتصال بكافة الأطراف المشتركة فى الصراع ، والمساهمة فى أعمال الغوث وفتح صندوق فى الأمانة العامة لجمع التبرعات لتخفيف الناتج عن آثار الحرب .

ولقد ناشدت الجامعة أطراف النزاع بالالتزام الكامل بوقف اطلاق النار والإمتناع عن أية أعمال عدائية من شأنها أن تزيد من تدهور الأوضاع فى الصومال ، واتخاذ الحوار الوطنى سبيلا لحل الخلافات بالطرق السلمية .

كما طالبت جميع الجهات المعنية الصومالية بالتعاون الوثيق والكامل مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية لتنفيذ قرارات مجلس الأمن المعنية بالصومال ، ومواصلة المساعى لعقد مؤتمر مصالحة وطنية شاملة يضع حلا نهائيا لأزمة الصومال ويصون وحدته وسلامته الإقليمية ويحقق المصالح المشروعة لجميع أبنائه .

هذا واستنادا إلى تكليف من مجلس الجامعة ، يقوم السيد الأمين العام ببذل المساعى الحميدة وإجراء المشاورات الضرورية مع مختلف الفصائل والفعاليات الصومالية بهدف التحضير لعقد مؤتمر المصالحة الوطنية فى أقرب فرصة ممكنة وذلك بالتعاون الوثيق مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية المعنية .

وإن الجامعة تهيب من على هذا المنبر بأن تقوم المنابر والهيئات الإسلامية ببذل الجهود لدى الأطراف الصومالية لكى تستجيب لنداء الدين والعقل والضمير وأن تضع حداً لنزيف الدم وتعمل لما فيه مصلحة الصومال ورضائه وتقدمه .

أيها السادة :

لقد كان من نتيجة تفكك الإتحاد السوفيتى أن حصلت الجمهوريات التى كانت تابعة له على استقلالها ومن ضمنها جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية والتى تضم حوالى ٦٠ مليون مسلم ، وتمتد على مساحات جغرافية كبيرة ، وذات موقع متميز مما يجعل منها مركز استقطاب حيوى للنشاط الدولى .

وتكتسب هذه الجمهوريات أهمية خاصة بالنسبة للوطن العربى وذلك بسبب الروابط الدينية والثقافية والحضارية التى تربط بينهما وحاجة هذه الجمهوريات إلى العودة إلى جذورها . وقد أعطت جامعة الدول العربية هذا الموضوع الاهتمام اللازم وكلف مجلس الجامعة فى اجتماعه الأخير السيد الأمين العام للقيام بزيارات إلى هذه الجمهوريات للاطلاع على الوضع عن كثب وتعزيز العلاقات العربية مع هذه الدول فى كافة المجالات .

معالى الإمام الأكبر

مرة أخرى أكرر باسم جامعة الدول العربية التحية لهذا المؤتمر الهام وأتمنى له النجاح فى تحقيق كافة المهام المنوطة به ، كما أكرر مرة أخرى شكرى لكم ومن خلالكم إلى الأزهر الشريف للجهود الخيرة التى يقوم بها فى سبيل رفع كلمة الحق .

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

فضيلة الشيخ صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه مع الزميل الأستاذ محمود الحنفى ـ أنظر حديثه
فى باب (كلمات القاعة)

وفد السودان الشقيق يتوسطه فضيلة الشيخ كرم محمد كرم ، وعن يمينه الشيخ تاج السر محجوب
منوفل ، وعن يساره الأستاذ أحمد على السنجق

فضيلة الشيخ محمد حسن أبجر
رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بـ (تشاد)

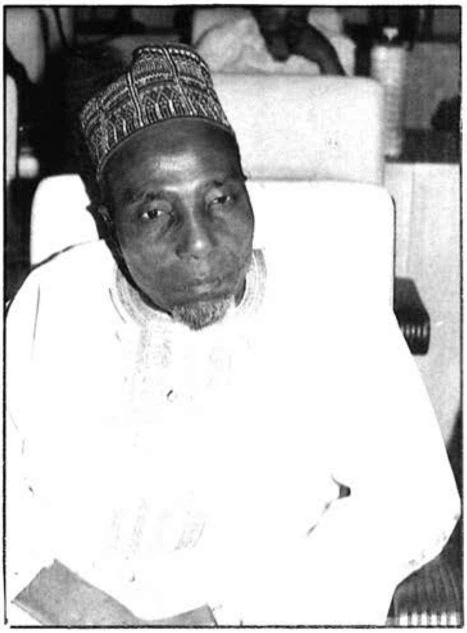

الأستاذ أحمد ليمو عضو نيجيريا

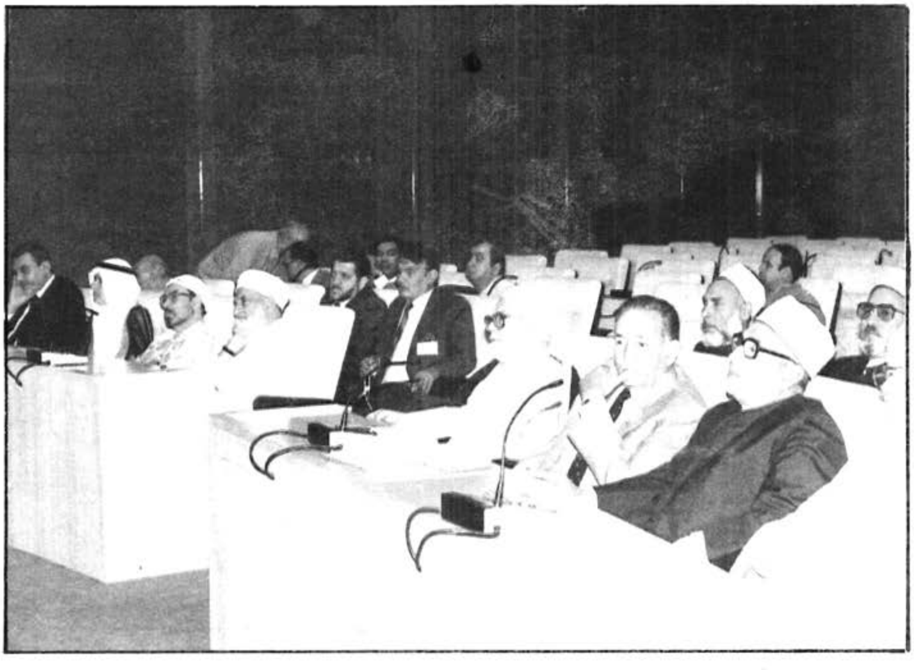

جانب من قاعة المؤتمرات الدولية بمدينة نصر التى شهدت جلستى الإفتتاح والختام ، ويبدو فيها فضيلة وكيل الأزهر الأسبق الأستاذ محمد بدر الدين حسام

كلمة معالى الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى ألقاها نيابة عنه : ممثل الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الذى أرسله الله الى كافة خلقه بشيرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

صاحب الفضيلة سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، صاحب الفضيلة المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، صاحب المعالى الأستاذ الدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس ، أصحاب الفضيلة والمعالى ممثلى المنظمات الأعضاء فى المجلس .

أيها الأخوة الكرام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يشرفنى وقد مَنَّ الله علينا سبحانه بأن نجتمع لنتشاور فى ظل الإسلام وفى مبادئه فنلتقى على ثرى جمهورية مصر العربية موئل النخوة الإسلامية والشرف العربى والوطن الثانى لجمهرة العرب والمسلمين .

وفى هذه المناسبة أود أن أنقل إليكم تحيات وتقدير معالى الدكتور حامد الغابد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى وشكره العميق على دعوتكم الكريمة ويؤسفه أن يعتذر عن عدم تمكنه من تلبية دعوتكم شخصيا بسبب ارتباطات قاهرة تعذر عليه إلغاؤها .

وأود بادئ ذى بدء ان أعرب عن شكرى الخالص وامتنانى العميق لفخامة الرئيس محمد حسنى مبارك لما يبذله فخامته من جهد موصول لخدمة التضامن الإسلامى وتقديم كل الدعم الممكن لمنظمة المؤتمر الإسلامى والدفاع عن قضايا الأمتين : العربية والإسلامية وجمع الشمل ورأب الصدع .

واسمحوا لى أن أشيد إشادة خاصة بصاحب الفضيلة سماحة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة للجهود الدؤوبة والطيبة التى ما فتىء يبذلها سماحته على رأس المجلس الإسلامى ، وللدور البارز الذى يبذله فى مجال نشر الدعوة والثقافة العربية والإسلامية وتحسين أوضاع المسلمين فى العالم .

أصحاب السعادة والفضيلة .

لقد تلقت الأمة الإسلامية بكل أسى نبأ الزلزال المروع الذى أصاب جمهورية مصر العربية وما أسفر عنه من ضحايا وتدمير فى الأبنية والمنشآت . وإننى أنقل الى مجلسكم الموقر باسم منظمة المؤتمر الإسلامى صادق العزاء والمواساة ، نسأل الله أن يجنب الشعب المصرى الشقيق الأذى والحزن وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير .

أيها الأخوة الكرام .

إن المرحلة الحالية من التاريخ البشرى تتسم

بتغيرات عميقة وتحولات سريعة فى مجالات عديدة من الحياة الدولية يجب التنبه لآثارها على الصعيد الداخلى والخارجى لمزيد التمكن من ناحية مستقبل أمتنا الإسلامية . إن هذه التحولات وإن كانت تحمل فى طياتها بعض الوعود الإيجابية لتحمل أيضا العديد من المخاطر والتهديدات التى تتربص بالشعوب الإسلامية .

إن العدوان الصربى الخطير والوحشى على جمهورية البوسنه والهرسك مازال قائما ، وإن القضية لا تتعلق فقط بمصير هؤلاء الناس، بل بوجودهم ذاته . ولقد أثارت أعمال القتل والحصار والتجويع والفظائع التى يتعرض لها شعب البوسنه والهرسك غضبا عارما، وألحق بالقيادة الصربية الخزى والعار على مر العصور . ومع ذلك فإن مشاعر السخط التى تسود المجتمع الدولى من جراء العدوان الصربى على المسلمين فى البوسنه والهرسك لم تترجم إلى استجابة فورية تتناسب مع خطورة الوضع .

ولقد قامت منظمة المؤتمر الإسلامى بعقد دورة إستثنائية لوزراء خارجية الدول الإسلامية عقدت فى إسطنبول بالجمهورية التركية فى الفترة من ١٧ إلى ١٨ يونيو ١٩٩٢ م. كما قام معالى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى بتقديم المساعدات الإنسانية العاجلة لمسلمى البوسنه والهرسك .

بالإضافة إلى الجهود القيمة التى قامت بها لجنة الإتصال الخاصة بالبوسنه والهرسك المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى . ولقد كانت هذه اللجنة أداة هامة قامت بمتابعة أنشطة منظمة المؤتمر الإسلامى فى اطار الأمم المتحدة ، وقامت بمتابعة تنفيذ القرارات التى إتخذتها الدورة الإستثنائية لوزراء الخارجية التى عقدت كما ذكرت فى إسطنبول حول قضية البوسنه والهرسك .

ولقد كان لهذه اللجنة الدور الأساسى في تنفيذ القرارات التى إتخذها مجلس الأمن بشأن البوسنه والهرسك .

كما قام الأمين العام بتقديم تقرير مفصل حول وضع المسلمين هناك إلى المؤتمر التنسيقى لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامى الذى عقد على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٩٢ م .

وقرر الأمين العام إنشاء بعثة دائمة للمنظمة فى جنيف لتنسيق جهود الدول الأعضاء فى مكتب الأمم المتحدة لمتابعة عملية السلام الخاصة بيوغسلافيا .

أصحاب السعادة والفضيلة ،

لقد أدى التناحر والقتال بين الفصائل المتناحرة فى الصومال إلى دمار شامل تقريبا للبنية الأساسية والسياسية والإقتصادية ودفعت ملايين الصوماليين إلى الموت وإن منظمة المؤتمر الاسلامى وهى تعمل دون كلل لتعبئة المساعدات الإنسانية للصومال فإنه ما زال هناك الكثير الذى ينبغى عمله ، إذ يتطلب الوضع الإنسانى فى الصومال المزيد من الجهد من قبل المؤسسات والجمعيات الإسلامية لإنقاذ الملايين الذين يتعرضون للموت المحقق .

إن الوضع الحالى للأمة الإسلامية رغم الوعود الحقيقية التى يحفل بها لم يعط الى حد الآن الأجوبة المنتظرة والدواء الشافى لآلام الشعوب المسلمة فى فلسطين وأفغانستان والصومال والفلبين وكشمير وبورما . وبصفة عامة لم يظهر من الوضع الحالى أى حل يذكر للعوز الاقتصادى المدقع الذى يعانى منه مئات الملايين من المسلمين .

لذلك فإنه من الطبيعى التحلى باليقظة فى مواجهة الضغوط المتعددة والآخذة فى التصاعد

والتى توجه ضد المسلمين . ومن مظاهر هذه الضغوط على الصعيد الخارجى تلكم الحملات المعادية والمنظمة التى توجه ضد المسلمين وضد طريقة عيشهم وطرق تفكيرهم وضد أسس ديننا الإسلامى الحنيف نفسها . كذلك وفى العديد من البلدان الإسلامية وداخل بعض الجماعات المسلمة تمثل المشاكل الإقتصادية مصدرا لضغوط شعبية قوية يحاول البعض فى أغلب الأحيان إضفاء صبغة دينية عليها . إن بعض القوى تستغل الصعوبات الحقيقية للحياة اليومية التى يواجهها المسلمون بالإضافة إلى بعض العوامل الناجمة عن سعى الجمعيات الإسلامية للتطور لتصعيد تقوم به بعض العناصر المتطرفة فى العالم الإسلامى .

وفى سياق كهذا فان دور المؤسسات والمنظمات العاملة فى حقل الدعوة والإغاثة لجد حيوى لحماية أمتنا من كل الأخطار المحدقة بها ولإعلاء المبادىء الإسلامية السامية من تسامح وسلم وعدل وتضامن وتعاون وحوار ، تلكم المبادىء التى لم تفتأ أمتنا المجيدة أبدا عن المناداة بها .

وفى هذا السياق أنشأت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى لجنة لتنسيق العمل الإسلامى فى مجال الدعوة تضم فى عضويتها العديد من الهيئات والمنظمات والمؤسسات الإسلامية وتم عقد الاجتماع السادس لها فى مقر الأمانة العامة بمدينة جدة فى الفترة من ٨ / ٩ فبراير ١٩٩٢ م من أجل وضع (إستراتيجية) للعمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة تشكل هذه (الإستراتيجية) منهاجا خاصة لأولئك العاملين فى مجال الدعوة الإسلامية لتوضيح المفاهيم والخصائص ومصادر العمل الإسلامى .

وفى انتظار إعداد هذه (الإستراتيجية) وخطة العمل إتخذت الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامى عددا من المبادرات الهادفة إلى إعادة تنشيط أعمال الدعوة بما يتماشى والموقف الإسلامى والدولى الحالى . فقد تقرر عقد ثلاث ندوات اقليمية على مستوى واسع فى افريقيا وآسيا وأوروبا ، تتعلق هذه الندوات بالعمل الإسلامى المشترك لنشر الدعوة ، وتهدف إلى زيادة تعريف المسلمين بدينهم وثقافتهم وتعميق إيمانهم والدفاع عن القيم الإسلامية ضد ما تتعرض له من هجوم والعمل على تطوير الجماعات والأقليات المسلمة عبر العالم ، وعلى نشر الإسلام ، ودعم التضامن والتعاون بين المسلمين .

وقد تم بحمد الله عقد الندوة الأولى حول «دور الإسلام فى السياسة الإنمائية» فى مدينة نيامى بجمهورية النيجر فى الفترة من ٢١ إلى ٢٥ مايو ١٩٩٢ م . وقد شارك فى أعمالها العديد من الشخصيات الإسلامية وكذلك عدد من ممثلى الدول الأفريقية الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

أصحاب السعادة والفضيلة ،

إننى لعلى يقين بأن العمل المثمر الفعال الذى ستقومون به سيستجيب لمتطلبات أمتنا فى هذا الميدان على ضوء التجارب المثمرة والإيجابية التى خاضتها المؤسسات والمنظمات المشاركة فى أعمال هذه الدورة .

وأود أن أؤكد لكم بأن الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى لن تدخر جهدا فى سبيل التعاون مع مجلسكم الموقر لتحقيق الأهداف السامية المشتركة التى يسعى إليها .

وأدعو الله أن يثبت أقدامنا وأن يوفق أعمالنا لما فيه الخير . إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

من كلمات القاعة :

وهى كلمات تحدث قائلوها بها بيانا لمعاناة مواطنيهم فى أوربا وغيرها ... كلمات ترسى اليقين بسوء القصد لدى الغرب بالإسلام والمسلمين ، وفى الحق إن الغرب لا يطيق الإسلام أفرادا ، فكيف يطبقه دولة ...

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ ... ها هو يلتهم دولة البوسنه والهرسك لينهى وجودهم كدولة فى أوربا ، قبل أن يستدير إلى الشرق .. إلى آسيا وإفريقيا ، وله فيها قنابل موقوتة ، فتائلها بين يديه ، وتفجيرها موكول إليه ... وإذا كنا لازلنا نعى ونتذكر فلنذكر إشارة القس الأكبر للفاتيكان وجنده المنصرون فى حديث ـ من قبل سنتين ـ حمل أمنيته بالقضاء على الإسلام فى أفريقيا بنهاية القرن العشرين ، وجاءت الكلمة ـ فى غلاف من المجاز ـ يقول بتنصير إفريقيا بنهاية القرن العشرين .

والله من ورائهم محيط

كلمة عضو وفد البوسنه والهرسك :

كتبت السيدة سمية أحمد خضر ـ من داخل قاعة المؤتمر كلمة الأستاذ أحمد صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه والهرسك :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[1] صدق الله العظيم

البوسنه والهرسك ، هذه الجمهورية العظيمة التى هى آخر فتوحات المشرق الإسلامى ، وبوابته إلى أوربا من ناحية الشمال ، هذه الجمهورية تمثل جزءاً من العالم الإسلامى : روحا ... تاريخا ... سلوكا ، كما تمثل ـ أيضا ـ جزءاً جغرافيا من أوربا .

هذه الجمهورية تدافع عن العقيدة ... عن « لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله » .

لقد هوجم المسلمون فى أرضهم لأنهم أرادوا

---

(١) مطلع (العنكبوت) .

السلام ... الحرية ... الاستقلال ، وظهرت قوة لا تريد لهم دينهم ولا لغتهم ... لا تريد لهم العزة ولا الخير ... بل ولا كيانهم أو شرفهم . ثم هى فى النهاية لا تريد لهم الوجود .

ورفض مسلمو البوسنه والهرسك أن يسجدوا لصربيا .

إننا لن نسجد إلا لله ــ وحده ــ سبحانه وتعالى ، رب العالمين .

فى نفس الطريق الذى سار فيه رسول الله ــ ﷺ ــ نحن سائرون .

إن أهل البوسنه والهرسك يلاقون أبشع ... بل أفظع ماعرف تاريخ البشر من فظائع التعذيب ، وصنوف ألوانه التى تقشعر لها الأبدان ، وتدمى لها القلوب .... كأنما هى جزء من هول يوم القيامة :

استشهاد ... معتقلات ... (تعاذيب) ... أهوال لم يسمع عنها من قبل : فإلى جانب بقر بطون الحوامل ، قطعت رؤوس الأطفال ، وألقى بها إلى أمهاتهم .

وغير ذلك كثير ... ونقول : الحمد لله .

نحن نعرف ماهية هذا الطريق ...

بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)﴾ آل عمران ــ ١٤٢ . ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾ البقرة

كانت قرطبة بوابة الإسلام من الغرب .. مثلما البوسنه والهرسك بوابة من الشرق واستطاع الحقد الصليبى بالتخطيط والتآمـــر أن يقضى على الإسلام ... ومنـذ خمسمائة عام أُخرِج منها المسلمون بالحرب والتنكيل والتعذيب ومحاكم التفتيش ودمرت قرطبة ... ودمر غيرها من معالم الإسلام وحضارته .

وها هو التاريخ يعيد نفسه :

دُمِّرَ بقرطبة نحو سبعمائة مسجد ... وفى البوسنه والهرسك ثمانمائة مسجد؛ ما يراد للمسلمين فى البوسنه والهرسك .. هو نفس ما أريد لهم فى فلسطين ، وهو هو ما أريد لهم من قبل فى قرطبة . وما يراد لهم فى الشرق فى الهند كشمير ... ثم بورمـا ... الفلـــبين ... بنجـــلاديش .. وفى الجنوب : ارتيريا ... الصومال .

إن الضربة موجهة أيضا .. للمسجد الحرام فى مكة المكرمة ... والمدينة المنورة ... والمسجد الأقصى .

إن هناك مخططا استعماريا صليبيا وضعت وثائقه عام (١٨٤٤) ألف وثمانمائة وأربعة وأربعين ... إنه موجود ... هدفه تقويض العالم الإسلامى بإضعافه .. ثم القضاء عليه .

قال رسول الله ــ ﷺ ــ:

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة على قصعتها . قلنا : يارسول الله ، أمن قلة بنا يومئذ ، قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت(٢) .

لله غالب على أمره ولو كره الكافرون .

---

(٢) مسند أحمد ٥/٢٧٨ .

كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بـ (تشـاد)

وألقى الشيخ محمد حسن أبجر رئيس المجلس الإسلامى الأعلى فى (تشاد) كلمة عاتب فيها قادة الفكر والعمل الإسلامى فى الحكومات والمنظمات والهيئات الإسلامية فقال : إننى أشعر بالأسى حين أرى أن (تشاد) يتم تجاهلها فى العديد من المؤتمرات والندوات التى تنظم فى سائر أنحاء العالم الإسلامى برغم أن تشاد يمثل المسلمون فيها (٨٥٪) من السكان وهم جميعا فى حاجة إلى من يرشدهم ويبصرهم بأمور دينهم ، وحضورنا مثل هذه المؤتمرات يساهم فى ربط شعبنا المسلم فى تشاد بسائر الشعوب الإسلامية ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾

وأنتهز الفرصة لأطلب من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن يمد

أبناءه فى تشاد بعدد من الدعاة والوعاظ، وأيضا بمطبوعات فى الفقه والتشريع وأصول الدين .

كذلك أطالب بزيادة عدد المنح الدراسية المخصصة لأبناء تشاد بالأزهر سواء بالمعاهد الأزهرية أو بجامعة الأزهر على أن تشمل منح جامعة الأزهر مختلف التخصصات ؛ فلا تقتصر على كليات : اللغة وأصول الدين والشريعة ، إنما تمتد لتشمل كليات الهندسة والطب والزراعة ، لأننا فى حاجة ماسة للطبيب المسلم والمهندس المسلم فالمنصرون فى (تشاد) يدخلون بداية بعلمائهم من الأطباء والمهندسين - وهم بالفعل كذلك - ولكنهم مع عملهم يمارسون التنصير .

وقد عقب فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر على كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى لتشاد بخصوص المنح الدراسية وكونها مقتصرة على كليات اللغة العربية وأصول الدين والشريعة بقوله :

جامعة الأزهر تضم داخل كلياتها أكثر من سبعة آلاف طالب وافد من مختلف أنحاء العالم وهو كم لا يمكن بحال أن يتواجد داخل جامعة أخرى سوى الأزهر .

أما المنح الدراسية فهى توجه للدول ، والدول تبتعث طلابها لجامعة الأزهر ويختارون الكليات التى يرغبون فى الالتحاق بها ؛ لأننا لا يمكن أن نجبر طالبا على دراسة لا يرغبها وإلا فإنه حتما سيفشل ، فالإستعداد النفسى للدراسة عامل مهم لنجاح العملية التعليمية ، إنما يمكن للجهات التى تُوَجَّهُ المنحُ إليها من الجامعة سواء كانت وزارات أو هيئات أن تقوم بترغيب طلابها المبتعثين للأزهر للدراسة بالكليات العملية كالطب والهندسة والزراعة وتشرح لهم المزايا التى ستعود على شعوبهم من جراء مثل هذه الدراسة وما تمثله من سد باب ينفذ منه المنصرون داخل القارة الإفريقية .

كلمة وحديث لمفتى بلغاريا :

تحدث فضيلة الشيخ فكرى صالح مفتى بلغاريا عن أوضاع المسلمين فى بلاده فقال :

مسلمو بلغاريا نحو ثلاثة ملايين ، وهم قد عانوا فى ظل الحكم الشيوعى مختلف صفوف الاضطهاد حتى وصل الأمر إلى حد القتل الجماعى للمسلمين ونفيهم ومصادرة ممتلكاتهم وإغلاق مدارسهم ومساجدهم ، بل وتجريف المقابر الإسلامية ، وكانت ذروة هذه الأحداث عام ١٩٨٤ عندما اتفق رجال الحكم الشيوعى مع بعض ضعاف النفوس من المسلمين وقلدوهم منصب الإفتاء فأعلنوا للعالم أن مسلمى بلغاريا يعيشون فى أمن وسعادة واطمئنان .

وبدأ الأمر فى التحسن التدريجى من عام ١٩٨٩ عندما استطاع المسلمون التخلص من رجال الإفتاء عملاء الشيوعيين ، ثم شَرُفْتُ فيما

بعد باختيار إخوانى المسلمين فى بلغاريا لشخصى لأكون مفتيا لهم .

مرحلة جديدة ولكن :

وبالفعل بدأت مرحلة جديدة استرددنا فيها مدارسنا ومساجدنا وقامت دار الإفتاء بالرعاية والإشراف على المدارس والطلاب المسلمين ، ولكننا لا نستطيع القول بأننا ننعم الآن بالحرية كلها ، فهذا لم يحدث ، فالحكومة منعت عنا المرتبات والمعاشات وتم فصل عدد كبير من الموظفين المسلمين من أعمالهم بحجة توفير النفقات وهو أمر لم يطبق إلا على المسلمين ، ونعيش حاليا فى ضيق مالى شديد بالنسبة لمصروفات المدارس والمساجد والأئمة والدعاة ، والحكومة حاليا فى طريقها لمصادرة الأوقاف .

الأدهى من هذا أننا ممنوعون من جمع التبرعات حتى من بعضنا البعض وغير مصرح لنا بتلقى أموال من خارج بلغاريا والمصرح به فقط هو الاقتراض بالربا من بنوك الحكومة بضمان المدارس والمساجد ولم نقدم حتى الآن على هذا ؛ لأننا نعلم أن الهدف هو الاستيلاء على المدارس والمساجد بشكل يبدو أمام الرأى العام العالمى شرعى ومقبول .

وتحدث فضيلته إلى الأستاذ أحمد تقى الدين المحرر بالمجلة فقال :

إن مسلمى البوسنه بدأت آلامهم ومعاناتهم مع الحكم الشيوعى بنفس الأسلوب الذى نعيشه الآن وأخشى أن تكون المضايقات الحالية لمسلمى بلغاريا تمهيداً لكارثة جديدة تحيق بمسلمى أوربا .

نحن نريد من إخواننا قادة وزعماء العالم الإسلامى تقديم المعاونة الصادقة لنا ، نحن نعلم أن الجميع يحمل نحونا أعمق المشاعر الطيبة وهذا أمر جميل نحمده لهم ولكننا فى حاجة إلى دعم مالى عاجل مصحوب بتدخل سياسى إسلامى منظم للدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية فى أوربا .

جامعة الأقليات الإسلامية

ولدى اقتراح أهديه إلى قادة العالم الإسلامى وهو خاص بانشاء جامعة إسلامية على نمط الجامعة العربية تمثل فيها كل الأقليات الإسلامية فى العالم ، ويعرض الجميع مشكلاتهم للتغلب على التعتيم الإعلامى الذى تعيشه هذه الأقليات ، وخاصة أقليات أوربا التى تدبر ضدها حاليا أشياء خطيرة يعرفها الجميع خاصة فى فرنسا وبلجيكا حيث وصل الأمر إلى درجة التصفية الجسدية .

المنح

كذلك أعتقد أنه ليس من المقبول أن تقتصر المنح الدراسية المقدمة لنا على الدراسة فى كليات : اللغة العربية والشريعة وأصول الدين فهذه الدراسات مفيدة لأبنائنا بالفعل من أجل إعداد جيل مسلم مثقف واع ، لكننا فى حاجة كذلك إلى المهندس المسلم والطبيب المسلم وهى أمور ليست ميسرة لنا حيث توضع أمام أبناء المسلمين العراقيل للحيلولة دون التحاقهم بكليات الطب والصيدلة والهندسة حتى نظل فى حاجة للحكومة فى هذه التخصصات ومن يرغب فى الالتحاق بهذه الكليات يصطدم بمصروفات عالية جدا لا نقدر عليها ، ولذلك نرغب فى الحصول على منح دراسية لكليات الطب والهندسة والصيدلة بالدول العربية والإسلامية .

حديث لفضيلة الأمين العام لجمعية العلماء البريطانية

تحدث فضيلة الشيخ عبد الرشيد ربانى الأمين العام لجمعية العلماء البريطانية إلى الأستاذ عادل رفاعى خفاجه محرر المجلة فقال : إن « جمعية العلماء » فى بريطانيا جمعية دينية ، وهى أكبر المنظمات الإسلامية هناك . وتهدف فى المقام الأول إلى :

ـ تعليم أبناء المسلمين بصفة خاصة ؛ ولذلك فقد قامت الجمعية ببناء حوالى ٢٧ مدرسة فى بريطانيا ، ونحن نجتهد ونطالب الحكومة بتخصيص مدرستين داخليتين لأبناء المسلمين تتفق مناهجها مع تعاليم الإسلام وتشمل المواد الإسلامية كالفقه والتفسير ، وأن تكون الإقامة بها كاملة لخدمة الفتيات المسلمات خاصة .

ـ كما تهدف الجمعية ـ أيضا ـ إلى تدريب الأئمة والخطباء ـ وبناء المساجد ، والدعوة إلى الله .

ـ تقوم الجمعية بعقد مؤتمر سنوى ؛ لمناقشة ما يجد من مشاكل واحتياجات لأبناء المسلمين . وهى مؤتمرات هامة ـ بحمد الله ـ حيث يحضرها العلماء من جميع أنحاء العالم .

ـ تقوم الجمعية بنشر الكتيبات والنشرات الإسلامية بلغات ثلاث هى : العربية والانجليزية والأوردية .

ـ وبفضل الله زادت المدارس والمساجد ـ خلال خمسة عشر عامًا ـ من مائتى مدرسة ومسجد إلى ألف ومائتى مدرسة ومسجد .

ـ وقد طالبت الجمعية حكومة بريطانيا منذ سنتين أن تخصص للمسلمين مجازر للذبح الحلال لتوزيع اللحوم على المستشفيات والمدارس التى يدرس فيها أبناء المسلمين ، واستجابت الحكومة لذلك .

ـ كما طالبت الجمعية بألا يشترك أبناء المسلمين فى الأدعية الصباحية التى تقام للطلبة البريطانيين فى المدارس ، وأن يُعهد بالأدعية للطلبة المسلمين لعلماء المسلمين .

ـ وتطالب الجمعية الحكومة ـ أيضاً ـ بتطبيق القانون الاسلامى « للأحوال الشخصية » لما فى قانــون البــلاد من مشاكل ـ فى الطــلاق والتوريث .... الخ ـ تختلــف مع القانــون الإسلامى ، ولا يصح أن تطبق على المسلمين .

حديث رئيس المشيخة الإسلامية بـ(مقدونيا)

تحدث فضيلة الشيخ محمد أفندى رجبى رئيس المشيخة الإسلامية بـ(مقدونيا) إلى الأستاذ أحمد تقى الدين محرر المجلة فقال :

لست فى حاجة لعرض الإضطهاد السياسى والعرقى الذى يتعرض له الإسلام والمسلمون فى مقدونيا فهى نفس الظروف ونفس الملابسات التى تواجهها كافة الأقليات الإسلامية فى العالم ، وقد يقول قائل :

إن هناك حرية سياسية وحقوق إجتماعية مكفولة فى أوربا ، ولكن الواقع أن هذا الكلام للإستهلاك المحلى فقط فهناك كبت وقتل وتشريد ، وهناك تجويع ، فأوربا اليوم بعد أن فرغت من الخطر السوفيتى تخطط الآن لمواجهة مايسمونه بالخطر الإسلامى ، ولكنهم يخططون بشكل علمى مدروس ، إنهم يعملون على دفعنا للهجرة خارج أوربا ، يستعملون سفاحى الصرب لتنفيذ عمليات إغتيالات واسعة النطاق ضد قيادات العمل الإسلامى فى أوربا .

والصربيون سفاحون بطبعهم ومعروفون بكراهيتهم للإسلام منذ قرون طويلة حيث أنهم لم ينسوا للدولة العثمانية أنها مزقت مملكتهم شر ممزق ، وبالتالى فأمر طبيعى أن يقوموا بقتل المسلمين فى حين أن هذا يتم بالإتفاق مع أجهزة الأمن والمخابرات الأوربية

أما الحكومات فهى تمارس نوعا آخر أو أسلوباً آخر فى مقاومة الإسلام فالمرأة المسلمة ـ مثلا ـ لا تجد أمامها من سبيل إلا الذهاب للمستشفيات الخاصة ـ المملوكــة لمسيحــيين ويهود ـ أو مستشفيات الحكومة من أجل إجراء عملية ولادة .

تجرى لها العملية فعلا ، ويقدم لها خصم خاص وتعامل أفضل معاملة حتى تخرج من المستشفى لتكتشف أن الطبيب الذى أجرى لها عملية الولادة قد استأصل الرحم وهى بعد أن خرجت من المستشفى لا تملك الدليل على أن ذلك حدث داخل هذه المستشفى .

وتحت شعار تحديد النسل تم إلزام الأسر المسلمة بعدم إنجاب أكثر من ثلاثة وأحيانا طفلين اثنين فقط ومازاد على ذلك فلا يحق له العلاج المجانى أو التعليم المجانى أو الحصول على أى نوع من الخدمات بما فى ذلك الحصول على الغذاء والوظيفة وإذا اعترض أحد يقال له هذا هو القانون ، وهذا هو النظام وإذا لم يعجبك فلن يمنعك أحد من الهجرة !!

أجل هذا هو المخطط : تهجير المسلمين بشكل تنتفى معه شبهة الاضطهاد الدينى ، ويبدو الأمر وكأنه متعلق بالحرية الشخصية !!

هذه بعض مظاهر الإضطهاد الدينى ضد مسلمى أوربا بصفة عامة أما فى مقدونيا ـ وعلى

النحو الذى أعايشه ـ نجد المسلمين يتعرضون بشتى السبل لمحاولة فتنتهم عن دينهم .

فمثلا : الماء وهو ـ كما نعرف ـ ضرورى للمسلمين لا بالنسبة للشرب فقط ولكن للطهارة ـ أيضا ـ والحكومة عندنا تدرك هذا فقامت بتحديد شرائح لاستهلاك المياه باهظة الثمن جدا بشكل يلحق الضرر بالمسلم أكثر من غيره ؛ فالمسلم يستخدم الماء فى الوضوء والاغتسال بشكل دائم ومتكرر ، أما غيره فلا يقوم بذلك ، وإنما يكفيه الاستحمام مرة أو مرتين فى الأسبوع الواحد ، كذلك الطهارة هامة للمسلم وهى بالماء أيضا ، أما غير المسلم فيستعيض عنها (بالورق الطبى) .

المسلم له طعام شرعى يتمثل فى لحوم الماشية والأغنام والأسماك والدجاج ، ولابد من ذبحها بالطريق الشرعى ، ولكنك تستطيع أن تشترى عشرة خنازير ولا يمكنك شراء دجاجة حية لتذبحها ذبحا شرعيا لماذا ؟ لأنهم غمروا الأسواق بالخنازير ، وهى محبوبة ومفضلة لدى غير المسلمين عن غيرها من اللحوم ، وحبسوا سائر أنواع اللحوم الأخرى التى أحلها الله ـ تعالى .

هذا بعض من كثير لا يسعف الذاكـــرة استحضاره وقلناه فى كثير من الملتقيات والمؤتمرات الإسلامية ولكن أحدا لم يتدخل لنجدتنا ، فقط : الأمنيات والدعوات الطيبة !

من رسائل القاعة إلى مجلة الأزهر .

وتلقت مجلة الأزهر من بعض الحاضرين بالمؤتمر الرسائل التالية :

(أ) المسلمون فى قبرص واليونان :

كتب إلى المجلة الأستاذ حمدى أرسلان ـ مندوب حزب الرفاهية ـ أنقرة ـ تركيا يقول :

فرض العدو على مسلمى قبرص حصاراً اقتصاديا وسياسيا بحيث لم يبق لهم طريق إلا تركيا ، ويُطْلَبُ إلى الرئيس رءوف دنكتاش فى الأمم المتحدة التخلى عن الدولة التركية فى قبرص والانضمام إلى الجمهورية اليونانية ، وَتَقَبُّل العيش تحت رياستها علما بأن اليونانيين ارتكبوا مع مسلمى قبرص ألوانا مما يرتكبه ـ الآن ـ الصرب والكروات ـ مع مسلمى البوسنه والهرسك ، وذلك لعدة سنوات ... مجازر يعرفها العالم .

ومسلمو قبرص يحتاجون إلى العون المعنوى أكثر من العون المادى ، وإلى الاعتراف بهم ، وبحقهم فى حياتهم الإسلامية المستقلة بعيدا عن الضغوط اليونانية .

هذا :

وفى تراقيا الغربية باليونان لا يسمح للمسلمين بتعمير المساجد ، أو إنشاء المدارس ، كما تمنع حكومة اليونان دخول العلماء والدعاة من تركيا لهؤلاء المسلمين ... بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث منعت إقامة أبنية جديدة ، أو ترميم القديم .

وفى الجانب الثقافى تجبر أبناء المسلمين على ممارسة الدراسة فى مواد تعليمية أعدت فى أثينا ، كما تضع قوانين مختلفة لحث الأتراك اليونانيين على الهجرة والخروج من البلاد .

وقال : فى كلمته التى ألقاها بمنبر المؤتمر :

كنت أرجو أن تجد مشكلة قبرص مكانا لضمها إلى (البند) العاشر نظرا لما يتعرض له المسلمون هناك .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

بيـــان المؤتمر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾(١) .

صدق الله العظيم

فى أوقات عصيبة تمر بها الأمة الإسلامية ، ووسط أحداث جسام يتعـرض لها العـالم الإسلامى ، وحروب ومحن واضطهـادات تتعرض لها كثير من الأقليات الإسلامية ، على نحو من القسوة والكثرة والتزامن الذى لم يسبق له مثيل وفى وقت يزداد فيه مد اليقظة الإسلامية وتنفتح فيه الفرص أمام دعوة الإسلام الهادية إلى الرحمة والإخاء الإنسانى .

إنعقدت الدورة الثانية عشرة لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة مع الدورة الرابعة للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى رحاب الأزهر الشريف ، على هيئة مؤتمر مشترك تحت عنوان « حاضر العـالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل » وتحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية ، وبرئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر رئيس مجمع البحوث الإسلامية والمجلس العالمى للدعوة والإغاثة . فى المدة من ٢ حتى ٥ من جمادى الأولى ١٤١٣هـ الموافق ٢٨ ـ ٣١ من أكتوبر ١٩٩٢م وشارك فى هذا الاجتماع ، من منظمات وهيئات الدعوة والإغاثة الأعضاء بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة والمراقبين الآتى ذكرهم :

١ ـ الأزهر الشريف	القاهرة
٢ ـ رابطة العالم الإسلامى	مكة المكرمة
٣ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	الكويت
٤ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	جدة
٥ ـ بيت الزكاة	الكويت
٦ ـ منظمة الدعوة الإسلامية	الخرطوم
٧ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامى	الكويت
٨ ـ لجنة الإغاثة الكويتية	الكويت
٩ ـ لجنة الدعوة الإسلامية	الكويت

(١) سورة الأنفال : الآية رقم ٢٤

١٠ ـ لجنة مسلمى أفريقيا — الكويت
١١ ـ المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس — الأردن
١٢ ـ مؤسسة الملك فيصل الخيرية — الرياض
١٣ ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامى — الرياض
١٤ ـ الهيئة الوطنية للإغاثة — الخرطوم
١٥ ـ الوكالة الإسلامية للإغاثة — الخرطوم
١٦ ـ الاتحاد العالمى للمدارس العربية الإسلامية الدولية — الرياض
١٧ ـ مؤتمر العالم الإسلامى — باكستان
١٨ ـ لجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان — الكويت
١٩ ـ الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية — القاهرة
٢٠ ـ لجنة الإغاثة الإنسانية « بنقابة أطباء مصر » — القاهرة
٢١ ـ جمعية « إقرأ » الخيرية — جدة
٢٢ ـ هيئة الدعوة والارشاد — الخرطوم
٢٣ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية برنجهام — لندن

وزارات الأوقاف وإدارات الشئون الإسلامية فى البلاد الآتية :

٢٤ ـ جمهورية مصر العربية
٢٥ ـ المملكة الأردنية الهاشمية
٢٦ ـ دولة الكويت
٢٧ ـ دولة قطر

من المنظمات المراقبة التى حضرت المؤتمر :

٢٨ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى — جدة
٢٩ ـ جامعة الأزهر الشريف — القاهرة
٣٠ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — القاهرة
٣١ ـ جامعة الإمام البخارى — دول الكمنولث
٣٢ ـ جامعة الزيتونة — تونس
٣٣ ـ الجامعة الإسلامية — غزة
٣٤ ـ جامعة الشرق والغرب — شيكاغو
٣٥ ـ كلية الدراسات الإسلامية — سراييفو
٣٦ ـ المركز الإسلامى — استراليا
٣٧ ـ دار الحقانية — باكستان
٣٨ ـ اتحاد مسلمى كينيا الوطنى — كينيا
٣٩ ـ اتحاد مسلمى كوريا الجنوبية — كوريا
٤٠ ـ المشيخة الإسلامية بالبوسنه والهرسك — البوسنه والهرسك
٤١ ـ مشيخة جمهورية مقدونيا — مقدونيا
٤٢ ـ بيت القرآن — موريشيوس
٤٣ ـ الجمعية الخيرية للتعاون العربى — الأردن
٤٤ ـ مجلس الجمعيات والمنظمات الإسلامية — الأردن
٤٥ ـ وزارة العدل — جزر القمر
٤٦ ـ لجنة الشئون الدينية بوزارة الداخلية — مالى
٤٧ ـ دار الرعاية الإسلامية — لندن
٤٨ ـ جمعية الوقف الإسلامى — نيجيريا
٤٩ ـ جمعية العلماء البريطانية — لندن
٥٠ ـ مركز الدعوة الإسلامية — أمريكا الجنوبية
٥١ ـ حزب الرفاة — تركيا
٥٢ ـ ممثل برلمان سريلانكا — سريلانكا
٥٣ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — تشاد
٥٤ ـ المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية — أندونيسيا
٥٥ ـ جمعية علماء الطائفة الإسلامية — يوغوسلافيا
٥٦ ـ الوكالة الإسلامية — سراييفو
٥٧ ـ مجلة الحق — باكستان

بالإضافة إلى العديد من الشخصيات والقيادات الفكرية الممثلة لمختلف الشعوب الإسلامية .

درس المؤتمر ، فى دورته هذه ، حاضر العالم الإسلامى ، مع نظرة إلى المستقبل .. فكان أن التقت العقول والأفئدة على ملاحظات رؤى أن

يتوجه بها إلى الأمة الإسلامية ، شعوباً وحكومات ، ومؤسسات ومنظمات وأحزاب ونقابات .. وإلى الرأى العام العالمى .. والمنظمات الدولية .. وإلى كل المعنيين بحقوق الإنسان والسلام .

لقد استعرض المؤتمر ماقيل عن النظام العالمى الجديد ومايتجه إليه من نشر العدل بين الدول والتخلى عن العصبيات العرقية والإقليمية ، وانتهاج سبل السلام ، وحل المشكلات التى تثور بين الدول والشعوب ، وأن تتسامى الإنسانية إلى أن يكون مسلكها متسامحاً يحمى فيه القوى الضعيف ، ولا يتحيفه أو يتركه نهباً للعدوان والضياع .

هذا هو الحلم الإنسانى الذى يتراءى فى مخيلة الشعوب .

لكن ظهر أن هذا الحلم سراب وخيال ، فما إن برزت مشاكل بين بعض المسلمين وشعوب أخرى تختلف عنهم فى الدين وتشترك معهم فى الوطن حتى قام هؤلاء بالعدوان على أولئك المسلمين قتلا وطرداً وتشريداً وانتهاكاً للأعراض ، فلم يرحم العدوان امرأة ولا طفلاً ، بل هدموا الديار والمساجد والمصانع ، وأحرقوا الزروع وانتهكوا الأعراض وطردوهم من بلادهم وديارهم ، هذا ما قام به الصرب ضد المسلمين فى وطن هؤلاء الأخرين وديارهم ، عدوانا على دولة عضو فى الأمم المتحدة وكافة منظماتها .

وهذه الأقلية المسلمة فى بورما وما تعرضت له من اضطهاد حتى هاجر آلاف منها إلى بنجلاديش وتايلاند يقيمون فى العراء دون طعام أو غطاء .

وهذه كشمير المسلمة التى قررت الأمم المتحدة إجراء استفتاء بها عام ١٩٤٧ م لتقرير المصير .

وهذه الهند تتزاحم الهجمات ، وتتوالى على مساجد المسلمين وديارهم .

وهذه مشكلات الصومال وفلسطين والفلبين ومقدونيا وكوسوفو والجمهوريات الأخرى .

وهذه ليبيا والعدوان على استقلالها ومحاصرتها على الرغم مما أبدت من الرغبة فى محاكمة المتهمين أمام محكمة محايدة .

وهذه الأقليات المسلمة فى بعض الدول الأوربية التى تُطارد بسبب دينها وتصادر مساجدها وتحرم من حرية العقيدة ، فأين النظام العالمى الجديد الذى توج نفسه بالعدل وبأنه حامى الحقوق الإنسانية والمدافع والمحرر للأراضى والشعوب المعتدى عليها ؟

● وفى الوقت الذى يكثر فيه الحديث عن حقوق الإنسان ، يرى المؤتمر كثيراً من الحقوق المهدرة لكثير من الشعوب ، وخاصة فى عالم الإسلام . حتى لقد امتد هذا الانتقاص إلى حكومات انتزعت منها حقوق سيادتها على أجزاء من أوطانها .. وامتد كذلك إلى منظمات إقليمية حتى وقفت موقف العاجز عن حل مشكلات أقاليمها .. الأمر الذى ترك كثيراً من المشكلات دون حلول .

● وفى الوقت الذى تتنادى فيه ، جمهرة الإنسانية إلى التدين ، وتبرز حاجة البشرية إلى الإيمان الدينى ليضبط بأخلاقياته شئون الدنيا .. تعلو أصوات داعية الحضارة الغربية إلى أن تتخذ من الإسلام وأمته وعالمه عدوا بعد أن اندثر النظام الشيوعى .

● وعلى حين يتضمن ميثاق الأمم المتحدة الكثير من النصوص التى تتحدث عن الحقوق المتساوية للشعوب فى تقرير مصيرها .. فإن الكثير من

شعوب الأمة الإسلامية قد اغتصبت حقوقها وأهدرت من الأقوياء أصحاب نظرية العالم الجديد .

● حتى اليونسكو ، التى قامت لرعاية الحقوق الثقافية والمواريث الحضارية لمختلف الأمم ، وقفت عاجزة ، أمام قوى القهر والاحتلال التى تدمر الآثار الحضارية ، وتشوه التراث الثقافى وتمسخ معالم التاريخ والهوية الحضارية كما حدث ويحدث فى فلسطين والبوسنه وغيرهما من بلاد الإسلام أمام سمع وبصر النظام العالمى الجديد .

● وعلى حين يتردد الحديث كثيراً عن ضرورة الاتجاه إلى السلم العالمى ، نجد المخططات التى تريد أن تعمل على اشغال الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى فى النزاعات القومية والصراعات العرقية .. والخلافات المذهبية .

وهذا التجويع الذى يهدد به المسلمون فى كل مكان دون أن تتحرك مشاعر الإنسانية لدى أولئك الذين يلقون بفائض المحاصيل فى البحار والمحيطات مع أنهم يبشرون بنظام عالمى جديد .

وأمام هذا الواقع ، وتلك المخاطر والتحديات رأى المؤتمر وهو يدرس حاضر العالم الإسلامى ـ ويتلمس السبل لمستقبل أفضل للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ـ رأى ـ أن يتوجه إلى شعوب الأمة الإسلامية وحكامها وحكوماتها ومؤسساتها وإلى الرأى العام العالمى بالدعوة إلى تحكيم القيم التى تقررها الأديان من العدالة والحرية والمساواة ـ مع وضع معايير لحل كل المشكلات العالمية دون تمييز ، علماً بأن المسلمين متسامحون بحكم الإسلام إنسانيون لا يعرفون بغضاً ولا يقتلون النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا الأسرى ولا يصادرون الأرض ولا الديار نزولاً على أحكام الإسلام فى القرآن والسنة .

وها هو النظام العالمى الجديد بكافة دعاته ودعاياته يسارع إلى التدخل لحل الكثير من المنازعات لدرجة استعمال القوة ، لكنه فى جانب مشكلات المسلمين يجنح إلى الحياد فلا يتدخل سياسياً ولا عسكرياً بل يمنع الأمم المتحدة عن اتخاذ المواقف الحاسمة .

والمؤتمر يدعو الشعوب الإسلامية إلى المزيد من الالتزام بالإسلام السمح .. إسلام الوسطية والاعتدال .. الذى يدعو كل الناس إلى إعمار الأرض بالعمل الصالح ، الذى يقود إلى سعادة الدنيا والآخرة .. الإسلام الذى ينفى الإكراه ، ويصل فى تكريم الإنسان ـ كل إنسان ـ إلى حيث يصبح جديراً بالخلافة عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض .

ونريد لقوى اليقظة الإسلامية المعاصرة رشداً ، يوحد صفوفها على وسطية الإسلام .. ويصحح صورتها أمام العالم ، ويرتب أولويات مهامها ، ويحول بينها وبين استنفاد طاقاتها فى الصراعات الداخلية ، سواء كانت بين فصائلها أو بينها وبين الحكومات .

ويدعو المؤتمر قوى الخير فى أمة الإسلام ـ وهى كثيرة ولله الحمد ـ أن تهتم بالعمل التطوعى ،ـ وخاصة فى حقلى الدعوة والإغاثة ـ قياماً بفرائض الإسلام وتخفيفاً لمعاناة الذين يتعرضون للمحن .. تحقيقاً لفريضة وحدة الأمة ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[1] و « من لم

(١) سورة المؤمنون : الآية رقم ٥٢ .

يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ـ كما قال المعصوم ، ـ ﷺ ـ.. ويؤكد للعالم ، بدياناته وحضاراته وأممه وشعوبه .. أن المسلمين ـ الذين يقاربون فى التعداد ربع البشرية ـ هم جزء من هذا العالم ، ترتبط سعادتهم بسعادته .. ورخاؤهم برخائه .. وأمنهم بأمنه .. وأن لدى المسلمين ، مايضاف للحضارة الإنسانية ، دون أن ينتقص من إيجابيات قيمها وإنجازات علومها وآدابها .. إن لدى الإسلام والمسلمين الرغبة والإمكانات فى ترشيد الحياة المادية بالقيم الروحية ، لتحقيق التوازن للإنسان فى هذه الحياة .. ولديهم النسق الفكرى الذى يجمع بين عبودية الإنسان لله وحده وبين استثمار ماسخره الله له مع ضمان حرية العقيدة لكافة الأديان امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

ويؤكد المؤتمر على المزيد من العلاقات المتكافئة ـ فى الحقوق والواجبات ـ بميادين السياسة والثقافة والإعلام والإقتصاد ـ بين الدول والشعوب والحضارات . كل هذا طلباً لنظام عالمى واقعى يحقق الشرط الأول للعالمية ، بقيامه على ماهو مشترك إنسانى لدى الأمم والحضارات التى تكون هذا النظام .. وبتمثيل متكافىء ، فى منظماته ، لكل الأمم والحضارات والقارات .

ويدعو المؤتمر علماء الأديان والمؤسسات الدينية إلى ضرورة التمييز بين الدعوة إلى الدين ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبين استغلال الأزمات المادية والنفسية والكوارث السياسية والاقتصادية فى تحويل الناس عن دينهم .. فشرف الغايات يقتضى شرف الوسائل والأساليب .

ويؤكد المؤتمر على أن الانتقاص من حرية الشعوب الإسلامية إنما ينال من حرية الحاكمين قبل المحكومين .. وهذا يلقى عبئاً على حكومات وحكام الشعوب الإسلامية والمنظمات الإقليمية ـ وخاصة منظمة المؤتمر الإسلامى ـ التى يتعين عليها أن تُعْمِل مواثيقها ، وتبعث الروح فى أجهزتها ، ليصبح الأمن الإسلامى مسئولية جماعية إسلامية .. وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

سورة المائدة : الآية رقم ٢ .

وعلى الله قصد السبيل .. ومنه نستمد العون والتوفيق ،

التوصيـــات

أولًا : العمل على توحيد الأمة الإسلامية وذلك بتوحيد تشريعاتها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، وتنسيق مناهج التعليم وأسس التربية بين أبنائها ، وتحقيق التكامل فى اقتصادياتها ، والتوجهات الإعلامية لبلادها ، مع مراعاة ظروف الحال لكل دولة ، والتدرج فى الإصلاح .

ثانياً : العمل على تنمية قوى اليقظة الإسلامية ، وترشيد صحوتها منعاً لاستنفادها فى الصراعات الداخلية وبث روح العمل الجاد فى كافة المجالات لمواجهة التحديات .

ثالثاً : دعوة الحكومات والشعوب الإسلامية فى البلاد الإسلامية إلى تشجيع الحوار الفكرى بين التيارات المختلفة فى الأمة وصولاً إلى اتفاق الكلمة فى القضايا الأساسية والبعد عن الإكراه واستعمال العنف من كافة الأطراف .

رابعاً : تطبيق حقوق الإنسان كما قررها الإسلام فى العمل والتعليم والتنقل دون قيود بين أقاليم الأمة الإسلامية طلباً للتعاون والتفاعل بينها .

خامساً : تتولى منظمات الدول الإسلامية والعربية تنسيق الجهود بين هذه الدول فى المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والإعلامية فى الإطارين الإسلامى والدولى طلباً للتكامل بينها .

سادساً : العمل على إزالة آثار حرب الخليج وإنهاء مشكلة الأسرى ووقف الحملات الإعلامية ، تهيئة لتطبيع العلاقات بين الشعوب والدول الإسلامية .

سابعاً : العمل على دعم الأقليات الإسلامية المنتشرة فى مختلف أنحاء العالم ومد جسور التعاون معها ومع دولها فى المجالات المختلفة للحصول على حقوقها المشروعة فى نطاق المواثيق الدولية .

ثامناً : دعوة كافة الشعوب والمنظمات والحكومات الإسلامية إلى دعم مجموعة دول الكمنولث المستقلة « الاتحاد السوفييتى سابقاً » والأقاليم الإسلامية المتمتعة بالحكم الذاتى فى الحفاظ على استقلالها ووحدتها وذلك مثل : (قراتشاى شركسك ، الأنجوش ، الشاسان ، داغستان ، قباردينو بلقار ، بيشكارستان ، تتارستان) .

تاسعاً : تكليف هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بتشكيل لجان الصلح لإنهاء المنازعات بين الدول والشعوب الإسلامية والتنسيق فى هذا مع الدول والمنظمات الإقليمية المعنية .

عاشراً : دعم الجهود المبذولة لاستخلاص حقوق الفلسطينيين المشروعة واستعادة القدس عاصمة لدولة فلسطين ، وتقوية الانتفاضة الفلسطينية وتحرير الأراضى العربية المحتلة بكافة الوسائل .

حادى عشر : العمل على تنشيط المنظمات الإقليمية القائمة بين الدول الإسلامية والعربية ، ودعم الجهود التى تقوم بها لتنسيق السياسات والأنشطة بين الدول الأعضاء .

ويقترح المؤتمر تدارس تعديل ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامى بما يسمح بتشكيل قوات دفاعية مشتركة من الدول الأعضاء لمواجهة أى عدوان على إحداها .

ثانى عشر : التوصية لدى منظمة المؤتمر الإسلامى بتشكيل لجنة لفض المنازعات بين الدول فإذا تعثرت ، جاز للطرف المتضرر الالتجاء إلى محكمة العدل الإسلامية دون حاجة إلى موافقة الطرف الآخر مع اقتراح تعديل ميثاق المنظمة بما يتفق مع ذلك ، ومع دعوة المنظمة إلى اتخاذ إجراءات تمكين المحكمة من القيام بواجباتها .

ثالث عشر : تشجيع منظمات الدعوة والإغاثة على إنشاء فروع نسائية لها ، تقوم بواجبات تلك المنظمات فيما يختص بالنساء والأطفال .

رابع عشر : يدعو المؤتمر المسئولين فى الدول الإسلامية عن الإعلام المرئى والمسموع والمقروء إلى مراعاة الآداب والقيم الإسلامية فى المادة الإعلامية التى تقدمها تلك الوسائل والعناية بالتعريف بالإسلام وإذاعة القيم الإسلامية . .

خامس عشر : يوصى المؤتمر الدول العربية والإسلامية بإنشاء ودعم صناديق التنمية والعمل على استثمار أموالها فى الدول الإسلامية فى المجالات التى تدفع عجلة التنمية والتقدم ، لتعاون على تيسير الأعمال والقضاء على مشكلات الكساد والبطالة ، كما يدعو المؤتمر إلى تشجيع المشروعات المشتركة بين الدول الإسلامية .

سادس عشر : المساعدة على تنمية وتدريب الموارد البشرية فى مختلف الدول الإسلامية وتهيئة المناخ الملائم للإبداع والتفوق بين عناصر الأمة ووضع الوسائل الكفيلة بالحفاظ على الثروة البشرية الإسلامية واستثمارها فى داخل الوطن الإسلامى .

سابع عشر : العمل على حصر كافة القرارات التى صدرت عن المنظمات العربية والإسلامية لقيام أسواق اقتصادية مشتركة ودراسة العقبات التى حالت دون التنفيذ ويمكن الاسترشاد بالخطوات التى خطتها المجموعات الدولية الأخرى .

ثامن عشر : حث الأموال العربية المستثمرة فى غير الدول العربية والإسلامية على الاستثمار فى الدول الإسلامية ، مع وضع كافة الضمانات الشرعية التى تؤمنها من المخاطر غير التجارية .

تاسع عشر : تشجيع إنشاء مراكز المعلومات فى مختلف المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية وتسهيل تبادلها بين الدول والأقطار الإسلامية ومع العالم الخارجى .

عشرين : التواصل مع حضارات شعوب العالم المختلفة وتنمية التعاون وتشجيع الحوار فيما يخدم البشرية وفى إطار القيم الإسلامية .

حادى وعشرين : الاهتمام بدعم التمثيل الإسلامى والعربى فى مختلف المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ، لإمكان استفادة العالم الإسلامى مما تقدمه من مساعدات فنية ومالية وإنسانية ، كمفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين ، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة .

ثانى وعشرين : يقدر المؤتمر موقف الدول الأجنبية التى تناصر قضايا المسلمين ، وتدعم حقهم المشروع ، وتسهم فى رد العدوان عنهم ، ويدعو الدول والشعوب الإسلامية إلى أن تضع هذا فى الاعتبار عند تحديد علاقاتها بالجميع .

ثالث وعشرين : اطلع المؤتمر على سير أعمال التنسيق بين المنظمات الإسلامية الأعضاء فى المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وخصوصاً فى تبادل المعلومات ، وتنظيم حملات الإغاثة فى المناطق المنكوبة ، والمحتاجة ، وتنشيط أعمال الدعوة والتعليم ، ومواجهة القضايا الإسلامية ، وإصلاح ذات البين ، ويدعو المؤتمر المجلس إلى بذل مزيد من الجهود فى هذا الاتجاه ، كما يعهد للمجلس متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة فى هذا المؤتمر .

البحوث

حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى تواجه المسلمين

للأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق

تحدث الباحث فى مقدمة بحثه عن شكوى علماء الأمة ومفكريها من سوء أحوال المسلمين ؛ تلك الشكوى التى انتقلت لتصبح همًّا يجتاح المسلمين كافة ، ومما زاد الأمر إحباطا قاتلا ؛ أنه ما من قرارات أو توصيات وجدت طريقا للتنفيذ ، ولقد يوجب هذا الوضع التعس على قادة الأمة ومفكريها أن يواجهوا أسباب التعاسة بعيدا عن المجاملات التى هى سببها أولا وأخيرا ، وأن نعترف أن المسلمين ـ جميعا ـ على أبواب أندلس أخرى « حيث لا يبقى لنا وجود » .

ومن أجل تفادى القارعة أخذ الباحث فى رصد أسباب الضياع الذى تعانيه الأمة ؛ فرآها سيادته : أنها تكمن فى : (فقدان مفهوم الأمة) تلك الأمة التى خاطبها المولى ـ سبحانه ـ بموجبات الوحدة فيما بينها فاستطاعت فى زمن قياسى أن تقيم دولة لم ير التاريخ لها نظيرا ، ثم مضت تصنع الإنجاز الأعظم للدين والتاريخ والعالم ، ثم فقد المسلمون مفهوم الأمة ، ومزقوا بأيديهم مضمونها ، وتمزقوا ممالك وأحزابا ، وكان أولى بهم أن يتعاونوا فيما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه ، ثم بعد هذا التمزق شغل المسلمون أنفسهم بعالم الغيب دون عالم الشهادة فتخلفوا اقتصاديا واجتماعيا ، وشمل تخلفهم كل مظاهر الحياة التى تقدم فيها أعداؤهم

وملكوا ـ فيها ـ ناصية القيادة ، وأصبح العالم الإسلامى مصابا بـ(عاهة فكرية) أضَرَّت بالدين والوحدة معا ، وألقت بهم شتا وانفصاما ؛ فكان لذلك انعكاساته الرهيبة على العالم الإسلامى ، وهذه مأساة البوسنه والهرسك شاهد صدق على حرب صليبية يحذر المتحدثون باسم الأمـة الإسلامية أن يجهروا بالتصريح بها ، ولما كانت وشائج المسلمين ممزقة انصرفت أقرب الأمم الإسلامية إلى هذه الجمهورية عن إنقاذها ، ونظيرتها فى بلغاريا وألبانيا ...

ثم زرعت الفتن بين المسلمين ، وكان من بينها مشكلات الحدود بين دول إسلامية ، وقد جرت كوارث ـ والأصل ألا حدود ـ وصار لمشكلة الحدود المصطنعة بُعْدٌ ثان بالغ الخطر يكمن فى أنها مفتاح الفتن التى تثيرها القوى المعادية للإسلام ، كذلك وقفت مشكلة الحدود حاجزا كثيفا أمام عمليات التكامل الإقتصادى الذى كان يجب أن يتم بين تلك الدول فتكون لها سوق إسلامية ؛ وفُقِد بالتالى معنى التكافل ، وانتهت مشكلة الحدود بوصم الدول الإسلامية بالتخلف ووجدت مكانها فى العالم الثالث .

لذا ؛ حذر الباحث من مناقشة مشكلة الحدود بالروح الإقليمى الداعى للتجزئة والتمزيق ، اللذين هما هدفا القوى الاستعمارية أساسا بالنسبة للوطن الإسلامى كله ؛ لتظل هناك مشكلات قائمة بأرضه ، ثم ينتقل الباحث إلى الحديث عن القرن الإفريقى وأهميته لديارنا المقدسة حيث هو حزام أمن لها ، وممر الدعوة إلى قلب إفريقيا ، لذا أسرعت القوى الاستعمارية إلى وضع أقدامها فيه لتغرس ثقافتها .

وتناول الباحث الحديث عن الصومال ، وما تعرض له من جهود تنصيرية يساعدها ما تثيره القوى الاستعمارية عن طريق (القبلية) التى هى العاهة التى فعلت بالصومال ما انتهى إليه أمره اليوم مع أن إمكانات الصومال الطبيعية مشجعة جداً لإقامة وطن مستقر وقوى عند مدخل القرن الإفريقى .

ثم عرج الباحث إلى الحديث عن الدول الإسلامية العائدة من الاتحاد السوفيتى ، وذكَّرَ المسلمين بواجبهم حيال أهليهم الذين تجب مساعدتهم مساعدة ليس خلفها أهداف إقليمية ضيقة ، وذكر ـ على سبيل المثال ـ أن تركيا دخلت هذه الديار لتنشر العلمانية ، بينما دخلتها إيران لتدعم التشيع ودخلها بعض العرب بأفكارهم السياسية والعَقَدِية .. وكل ذلك يشير إلى توجه مذهبى معين سوف يكون له مخاطر تمزق هؤلاء الإخوة مادام الأمر حرصا على (الدعاية) لا (الدعوة) .

ونقدم من هذا البحث ما دبجه يراع الباحث حول : فقدان مفهوم الأمة وما ترتب عليه ـ قال :

أولًا : فقدان مفهوم الأمة :

حين خاطب القرآن أتباعه بكونهم « خير أمة أخرجت للناس » وحدد مهمتهم فى الحياة من خلال الآية الشهيرة :ـ

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران/ ١١٠ فإنما كان يحدد معالم الإطار الشامل للرسالة الخاتمة التى يفترض أن تبقى عبر الزمان والمكان ، ويفترض أن يكون أتباعها هم القائمون بالتعديل والتصحيح

والضبط على السلوك الإنسانى كله فى كل أنحاء العالم حتى يكون الدين لله ، ويعيش الناس ـ كل الناس ـ مستظلين بالدين الحق والعدل ، ويبقى الإنسان حراً وعزيزاً وسيداً فى الأرض جديراً بالخلافة فيها عن الله .

وبالفعل ، وفى زمن قياسى ، استطاع سلفنا الصالح فى عصر النبوة والراشدين أن يقيموا الدولة ، وأن يبنوا الأمة الخيرة على معالم الإسلام وقدموا للعالم النموذج الأمثل للعطاء الحضارى للإسلام فهفت إليه القلوب ، وانتشر بذاتيته الفاتحة قبل أن يكون له سيف وسلطان .

وبالملاحظة البسيطة والواعية للوضع الذى كان عليه المسلمون فى تلك الحقبة سنلحظ ـ وبوضوح ـ أنه يمثل الوضع الأمثل والصيغة المثلى لمعنى الأمة التى قرر القرآن فى آيتى الأنبياء (والمؤمنون) أنها لا تستحق صفة « الأمة » إلا إذا كانت موحّدة وذلك فى قوله ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ **الأنبياء ٩٢** وقوله ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾(٢) المؤمنون ٥٢ .

ومن ثم مضت « الأمة » تصنع الإنجاز الأعظم للدين وللتاريخ وللعالم . كل أبنائها ـ رعاة ورعية ـ على قلب رجل واحد تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، كما تحدث المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وأسأل ـ وبوضوح كامل : هل نحن اليوم « أمة » ؟ وإذا كان الجواب بالنفى ، وهو كذلك حتما ؟ فهل يجوز لمفكر ، أو لأى مهتم بالمستقبل أن يتصور إمكانية قيامنا بالدور الذى ناطه بنا القرآن ؟ بل هل يجوز لمفكر ، أو لأى مهتم بأحوالنا أن يتصور ـ ولو لساعة ـ أن وجودنا يمكن أن يستمر على هذه الحال ؟ أم أنّ مضينا على طريق « الأندلس » هو الحتم المقضى الذى صنعناه ـ وما نزال نصنعه بأيدينا ؟.

ثانياً :

نحن كما مزّقنا ـ وبأيدينا ـ (مفهوم الأمة) وفرّغناه من مضمونه الواحدى ، مزّقنا كذلك وبأيدينا مفهوم « الدين » ، وأحلناه إلى مذهبيات واختلافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ولإدراك البون الشاسع بين ما نحن فيه وماينبغى أن نكون عليه أقول : لقد عاش سلفنا العظيم أعظم أيام الازدهار فى تاريخ الدعوة تمكّنا وانتشارا فى أرجائها حين عاشوا الإسلامَ البسيط العظيمَ السهل الذى يلخصه موقف الرجل الذى جاء إلى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يطلب إليه أن يُعلِّمه الإسلام ، فأخبره الرسول ـ ﷺ ـ بأركان الإسلام الخمسة المعروفة فقال الرجل : وهل علىَّ غيرها ؟ قال ـ ﷺ ـ لا ، إلا أنْ تَصَدّق فمضى الرجل يقول : والله لاأزيد ولاأنقص ، فقال الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه كلمته الباقية المشهورة : « أفلح إن صدق » وقد صدق المجتمع كله عصر الرسول والراشدين فى استيفاء هذه الأركان والعمل بموجباتها دون خلافات أو مذهبيات فسادوا العالم فى زمانهم وكَوَّنوا للإسلام دولته الموحدة فى زمن قياسى لا نظير له فى التاريخ .

وإذا كانت لرسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعض الغزوات فلم تكن إلا دفاعاً ؛ ذلك لأن الإسلام قد مكّنه دُعاتُه والمتحدثون باسمه فى ذلك التاريخ من أن ينتشر فى الأرض بذاتيته الفاتحة التى استهوت ـ وماتزال ـ تستهوى القلوب ؛ إذا

وجدت من يحسنون تقديمها للناس لا بالصراخ على المنابر ، ولكن بالقدوة البسيطة الصادقة التى استطاع التجار من المسلمين أن ينشروا بها الإسلام فى أعماق إفريقيا ، وفى المساحة الشاسعة من أنحاء آسيا دون حرب أو قتال ؛ لأنه ببساطته الهائلة يماثل بساطة الفطرة التى فطر الله الناس عليها فتهفو إليه ، ثم جئنا نحن فبدأنا أول ما بدأنا بتحطيم مفهوم الأمة ـ كما سبقت الإشارة ـ وأحلناها إلى دويلات وممالك ، وأقمنا الحواجز والسدود بين المسلم وأخيه المسلم ، ثم ثَنينا فأدخلنا على صفاء الدين رُؤانا الإقليمية الضيقة ، أو بتعبير أدق صبغنا الإسلام بصبغات حكام الأقاليم ، وسجل التاريخ أن الإسلام يتشيَّع إذا كان الحاكم من الشيعة ، و (يتسنّن) إذا كان الحاكم من أهل السنة .. مع أن الإسلام واحـــد ، والأصل الـــذى لا يصح الاستمداد إلا منه واحد هو القرآن والسنة ، لكن السياسة ـ قاتلها الله ـ صنعت ـ وما تزال تصنع ـ هذه الإساءة الكبرى إلى الإسلام .

ولا أظن أن واحدا من الأخوة الأجلاء المشاركين فى هذا المؤتمر لم تبلغه مقالات أعداء الإسلام حين نتحدث به إليهم أن يقولوا : أى إسلام تبشروننا به : إسلام الخومينى ، أم إسلام ابن عبد الوهاب ، أم إسلام الأزهر ، أم إسلام الترابى ، أم إسلام جبهة الجزائر ، أم إسلام المغتربين عندنا فى المهجر ؟ ثم يضيفون : إننا نقرأ عن الإسلام شيئا ، ونرى فى واقعكم أشياء ؛ فأين الحقيقة فى هذا التناقض ؟ وهل يكون بوسعكم أن تتفقوا ولو على المبادىء التى لا خلاف حولها ؟

قلت لمحدثى : هل تعلم أن لدينا قاعدة نسميها القاعدة الذهبية وهى « أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه »

قال : ولم لا تفعلون ؟ ولم أقل لمحاورى هذا لماذا لم نفعل ولماذا لن نفعل ؟ لم أقل لمحاورى ولكنى أقول لكم : إن العلة فى هذا التمزيق الخطير الذى صنعناه بعقيدتنا ، وكيف حولناها إلى شيع وأحزاب يعود إلى ذلك الداء الذى اعترى الأمة كلها بعدما غاب عنها مفهوم « الأمة الموحدة » وتمزقت كما أشرنا إلى دويلات وممالك ؟ فقد اقتضت السيـــاسة الدنيوية ـ لا الشرعية ـ أن يكون لكل دويلة حظ تنتزعه لنفسها من الوجاهة يستمد بركته من الدين ، ولو أن هذا الأمر كانت غايته التنافس لخدمة الدين لكان خيراً وبركة لكنما كانت غايته خدمة أوضاع الدنيا باستثمار الدين .

ولست أحب أن أنكأ الجراح فكلنا يعرف هذا الواقع ويعيشه ويذكر بداياته يوم ارتفعت « المصاحف » على أسِنَّة الرماح تعبيرا بكلمة حق أريد بها الباطل .. وما أشبه الليلة بالبارحة فالماضون رفعوا المصاحف تفاديا للهزيمة كسبا للوقت حتى تحقق المكيدة السياسية غايتها .

أما أهل اليوم فالتنافس بالغ الحدة للانفراد بمن يستحق لقب المتحدث الرسمى باسم الإسلام الذى يرتضيه الجميع ؛ فإن لم يرتضوه نازعهم وحاربهم حتى يبلغ مراده ، وإن أدى ذلك إلى إحداث شروخ وانقسامات تسىء إلى الإسلام كله فذلك لا يعنيهم ؛ لأن الغاية عند أصحاب هذه السياسة أن يكونوا هم الغالبين ، نعم : أن يكونوا هم الغالبين ، وإن أدى غَلَبُهم إلى هزيمة الإسلام كله .

فهل تحبون أن أضع النقاط على الحروف ؟ وهل من صالح الأمة أن نزيد الخرق اتساعا ؟ أما أنا فلن أفعل وحسبى هذه المرة أن أُذَكِّر ، وأن أدعوكم إلى رأب هذه الصدوع الخطيرة التى صنعتها الأطماع الدنيوية فى جدار الدين .

نظرة إلى مستقبل المسلمين

للأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد

من علامات التراجع الحضارى فى حياة الامم أن يفقد أبناؤها الثقة فى حاضرهم ، وأن يتعاموا عن النظر إلى مستقبلهم ، وأن يفروا من الحاضر والمستقبل معا إلى الماضى بمن كان فيه وما كان فيه .

ولا يستطيع المسلم الصادق أن يفلت من الإحساس الغامر بالحزن والأسى وهو يرى من حوله شعوبا تنطلق متسابقة إلى أمام .. همتها مشغولة بالغد والمستقبل وأبصارها معلقة بالأفق البعيد والعرب والمسلمون ينكسون الرءوس أو يلوونها إلى وراء فينبشون قبورهم بأيديهم ، أو ينقبون عن درر تركها الأولون ، أجيال هناك من الناس والشعوب تحقق بالعلم وسلطان العقل ثورات متعاقبة فى تاريخ الإنسان تضيف بها حلقات جديدة فى سلسلة اكتشاف الوجود والتعرف على سنن الله الضابطة لحركة الكون والناس وتذليل الأرض وتسخيرها كما أذن الله ، وأكثر المسلمين مشغولون بالنظر إلى الماضى منكفئون على أحداثه وقضاياه مذهولون بذلك كله عن حاضرهم .

العصر ـــ أيها العلماء الأجلاء ـــ يستيقظ اليوم كل صباح على هموم كبيرة ويقض مضجع علمائه وساسته ومؤرخيه ما يرون من نذر التدهور المطرد فى علاقات الأفراد والشعوب ومخاطر الحروب التى وضع العلم فى أيدى أطرافها أسلحة رهيبة للتدمير الجماعى الذى يأكل الإنسان وحضارته وكل ما أبدع عقله وقدمت يداه ،

وأكثر مفكرى العرب والمسلمين فى شغل عن هذا كله بجدل لا آخر له حول عدد من القضايا القديمة يتوارثون الخلاف والجدل حولها جيلا بعد جيل ، لا ينسونها فيستريحون ولا يحسمون أمرهـــا فيريحون .

ولقد ــ والله ــ آن أن ترتفع الرءوس المنكسة ، وأن تلوى الأعناق التى لا تنظر إلا إلى وراء .. لنواجه معا تبعات مستقبل آت لا ريب فيه .

وإذا كان هذا الجمع الكريم قد شغل فى يوميه الأولين بأحاديث الحاضر ومشاكله وأزماته فقد كان ذلك مقدمة لابد منها قبل الحديث عن المستقبل واحتمالاته .

وإذا كان علماء الأمة وعقلاؤها يوقنون بأن المستقبل كله بيد الله وأن تقدير الغيب كله من أمره وعلمه سبحانه ، فإنهم يعرفون كذلك أن يد الله فى دنيا الناس يد عدل ورحمة وهى لهذا لا تحاسب الناس ولا تحدد مستقبلهم بقاعدة «كن فيكون» ، وإنما تضع الموازين القسط للناس جميعا وترسى لهم سننا ثابتة تضبط الكون كله ، وترتبط فيها الأسباب بالنتائج ، والعـــواقب بالأعمال ، ولهذا فإن ما يصنعه المسلمون فى حاضرهم هو الذى يحدد مصيرهم فى مستقبلهم ، وما نحققه اليوم فى واقعنا من شروط النهضة وأسباب الانبعاث هو وحده الذى يفتح أمامنا آفاق الرجاء ويطرق بنا أبواب الأمل فى التغيير .

ولا بد أن نذكر ونحن نتوجه إلى الحديث عن مستقبل المسلمين أن التقدم العلمى فى وسائل الرصد والقياس والسرعة الهائلة التى تتحقق بها الكشوف العلمية المتلاحقة قد جعل استشراف المستقبل أقرب إلى التقدير العلمى المنضبط منه إلى التنبؤ والرجم بالظنون .

إن الدارسين لعلوم التخطيط واستشراف المستقبل يقررون أن منهج هذا الاستشراف يمر بمراحل ثلاث :

الأولى : رسم خريطة الواقع ، وتحديـــد مكوناته ، وتحليل القوى المحركة لها ، وبيان الوزن النسبى لكل منها .

الثانية : تصور البدائل الممكنة الوقوع إذا تركت مكونات الواقع تتحرك حركتها الذاتية ، أو تتأثر بمؤثرات خارجية تحركهـــا مصالح الآخرين .

الثالثة : تحديد الحركة الواجبة الاتباع فى الحاضر لتوجه التحرك إلى المستقبل توجيها يحقق القدر الأكبر من أهداف الجماعة ، وهذه المرحلة الثالثة تتجاوز مجرد التحليل والاستشراف لتدخل فى نطاق «التوجيه والتأثير» على صورة المستقبل .

وعلى كثرة ما قيل ويقال فى وصف حاضر المسلمين وتحديد مكوناته ، وعلى تعدد محاولات تشخيص الأزمة التى تواجه المسلمين المعاصرين ، فلا يزال مستقرا عندى أن تلك الأزمة ترجع فى جزء كبير منها إلى علل ثلاث وهى التى تشكل اليوم أبرز مظاهر الضعف وعناصر الأزمة فى حاضر المسلمين :

العلة الأولى : اضطراب فكرى ، وخلل ثقافى فى فهم الإسلام نفسه ، وتحديد مهمة المسلم فى الحياة ، وهو اضطراب أفقد الأمة وحدتها الفكرية والنفسية .

العلة الثانية : تفرق والتفاف حول حدود إقليمية وقطرية ضيقة سقط معه من النفوس والعقول معنى «الأمة» واشتغل فيه كل أحد «بخلافه الفردى» تاركا أمر «جماعة المسلمين» تحت رحمة الآخرين .

العلة الثالثة : عزلة عن العالم واستخفاف بمسيرة الحضارة ورفض للاخريـــــن .. تحت شعارات «تميز المسلمين» واختلافهم عن سائر الناس ، وحاجتهم الى المحافظة على «نقاء» دعوتهم أن يتسلل إليها أوشاب من حضارات الآخرين .

ولنا الان مع هذه العلل الثلاث وقفة لن تطول قبل أن ننتقل بالحديث إلى ما نراه عناصر القوة وبشائر النهضة فى واقع المسلمين .

وقد يكون غريبا أن نتساءل اليوم من جديد عن فهم الإسلام وتحديد مهمة المسلم فى الحياة وقد مضى على رسالة الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولكن هذا التساؤل لابد منه ونحن نرى حولنا ما نرى من نماذج السلوك المضطرب والموقف الحائر تجاه الحياة ، آلاف من الشباب المسلم يقاطعون الدنيا ويركن بعضهم إلى عزلة تحاجز بينهم وبين تيار تلك الحياة محتمين بأسوار من الرفض والاحتجاج ، والإحساس بالغربة والانتكاس .

إن الجيل الذى يراد له أن يبنى حضارة المسلمين لابد أن يدرك أن المسلمين ناس كأمثال الناس ، وأن مهمتهم على هذا الكوكب مهمة بناء وتعمير ، وأن مقاطعة الحياة لايمكن أن تكون مسلكا إسلاميا مقبولا ، كما أن الإعراض عن الدنيا والتقاعس عن الضرب فى الأرض لا يفضى إلا إلى تراجع شأن المسلمين وهوانهم على الناس ذلك أننا — نحن المسلمين — نعرف أن سنة الله فى الناس لا تتخلف وأنه لا يعفى من حكمها شعب ولا أمة .. كما نعرف أن وعده بالنصر والاستخلاف فى الأرض وعد مشروط

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

وأنه سبحانه كتب فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عباده الصالحون ، وليس من الصلاح فى شيء أن يعجز المسلمون وأن يتكاسلوا أو يفنوا أعمارهم كلها يطحنون كلاما ، ويجترون ماضيا ، ويعتزون بأمجاد أمة قد خلت من قبل .

إن معنى هذا كله بلغة هذا العصر — أنه لا مكان للمسلمين على خريطة المستقبل إلا إذا تابوا عن خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل ، وإلا إذا شمر كل واحد منهم عن ساعديه وتعبد الله ليله ونهاره بالعمل الكثير الذى يعوض ما ضاع من عمر الأمة فى الجدل الطويل .

نعم إن المهمة الكبرى للمسلمين إنما تتمثل فى هداية الناس وإرشادهم لقيم الهدى والعدل والاستقامة على أمر الله ولكن الناس لا يستمعون إلى هذه النداءات كلها إذا جاءت من كسالى عاجزين ، وارتفعت بها أصوات يكذب حالها مقالها وتنقض سيرتها شعاراتها .

إن من مظاهر الخلل الثقافى فى حياتنا أن عنايتنا بعلوم المنقول لا تزال تشغل الأمة عن علوم المعقول ، وأن الرواية فى وعى أجيال متعاقبة من شبابنا ورجالنا أوشكت أن تحجب العقل عن علوم الدراية .

لقد ضاع من حياة أمتنا وقت هائل طويل فى مقابلات مغلوطة بين العقل من جانب والنصوص من جانب آخر ، وقولنا الذى سنظل نردده فى ذلك أن النقل رواية عن واهب العقل وأن صريح المنقول لا يمكن أن يناقض صحيح المعقول ، إذ لا يمكن لليقين أن يصادم اليقين ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ولنذكر فى صراحة وشجاعة أنه إذا كانت آفة الدنيا من حولنا أن الأرض قد أخذت زخرفها وازينت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وتصوروا أن العقل يستطيع — بعيداً عن النقل — أن يهدى إلى الرشد ، فإن آفتنا — نحن المسلمين — أننا عطلنا العقول وركنت عامتنا وخاصتنا إلى المنقول ، فتوقف كثيرون عن السعى ، واختلط التوصل بالتواكل ، وامتزجت القناعة بالخمول ، وتداخلت فى فهم الكثيرين نعمة الإبداع مع زريلة الابتداع ، كما تداخلت فريضة الاجتهاد مع فاحشة الرجم بالظنون والأهواء فتقدم الناس — بسبب ذلك كله — وتأخرنا وتحركت الدنيا ، وتحجرنا وأنزل العقل عن عرشه فى حياتنا كلها .

أما العلة الثانية وهى التفرقة والذهول عن حالة الأمة وهمومها فقد ساعد عليه أمران :

أولهما : اشتغال أكثر الدعاة والمصلحين بتصويب الفكر وتصحيح المقولات عن هموم الناس ومعالجة المشكلات ، وتحول الدعاة والساسة والمصلحون وشباب الأمة أجمعين إلى فقهاء ومشرعين يتحدثون عن الإسلام ، ونسوا أمر المسلمين وصار الواحد منهم عالماً كان أو متعالماً يستبيح لنفسه أن يخرج على الجماعة وأن يشق وحدتها لخلاف فى أيسر الفروع وأوهن الجزئيات إن الخلاص الفردى فى منهج الإسلام لا يمكـــن ولا يجوز أن يشغـــل عن الخلاص الجماعى ، وإذا كان الحساب بين يدى الله حساب أفراد فإن مما يحاسب عليه هؤلاء الأفراد مسئوليتهم عن الجماعة واشتغالهم بحال الأمة واهتمامهم بأمر المسلمين ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ .

الأمر الثانى : الغفلة عن حقيقة كبرى هى استحالة صمود الأجزاء المتفرقة من جسد هذه الأمة فى وجه تحديات الأمن وتحديات الرخاء ، فنحن ــ أيها السادة العلماء وأيها السادة الأمراء من أولياء أمر المسلمين ــ نعيش عصراً تتجمع فيه الشعوب ، وتتوحد فيه الأفكار ، وتندمج فيه الكيانات الصغيرة فى وحدات إقليمية كبرى ، ويضحى فيه حكام تلك الشعوب بالكثير من مظاهر سيادتهم وسلطانهم حتى يبلغوا المدى فى حماية شعوبهم ورعاية مصالحها ، وما أمر الوحدة الأوربية عنا ببعيد فقد تراجعت مظاهر السيادة فى أقطارها وأوشكت الحدود أن ترتفع وتزول وظهرت عملة موحدة جديدة وجوازات سفر موحدة جديدة وتشريعات موحدة جديدة ، كل ذلك حتى تثبت هذه الشعوب فى مواجهة تجمعات أخرى تنشأ فى آسيا وأمريكا .

فهل نستوعب ــ حكاماً ومحكومين ــ طبيعة هذا التحول العالمى ، وفداحة الخطر الذى يتهددنا جميعاً حين نصر على هذا التفرق ثم ننتقل منه إلى صراعات محلية وحروب أهلية تكاد تذهب بما بقى من أسباب القوة وعناصر المنعة والقدرة على مواجهة الآخرين ؟

أما الأمر الثالث : وهو العزلة ، فقد دفعنا إليه إحساس بالخوف من الآخرين ، ووهم بتصور إمكان الاستغناء عن أولئك الآخرين ، ونسينا أن المسلمين ناس من الناس ، وأن مكانهم فى هذه الدنيا لا يمكن إلا أن يكون مع الناس .. مصداق قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ وتمكينا لهذه العزلة وتبريرا لها قيل كلام طويل عريض عن تميز الإسلام وتميز المسلمين ، وعن ضرورة الاعتكاف الحضارى تأميناً لنقاء الدعوة الإسلامية ومحافظة على روح حضارة الإسلام .

وقولنا هنا أنه لا مجال بعد اليوم لعزلة المسلمين عن العالم ، فهى : مستحيلة أولاً ، ومدمرة ثانياً ، فالحواجز بين الناس والشعوب قد أسقطت الثورة الصناعية جانباً منها ثم جاءت الثورة فى وسائل الاتصال فأسقطت البقية الباقية منها ، والزمن يتسارع ، ومن تباعد عن ركب الحياة ضاع ، وقتلته الحيرة ، والتجارب الإنسانية منذ الآن سوف تقع كلها فى ساحات مكشوفة ، والتبادل الحضارى والثقافى بين الناس والشعوب سوف يجرى هو الآخر فى ميادين مفتوحة لا حجب فيها ولا حواجز .. إن أسوار الحماية والوصاية على السلوك الفردى لم تعد أسلوباً تربوياً ممكناً ولا فعالاً ، وإنما صارت القضية تنمية الإحساس بالمسئولية وتشجيع الإقدام على ممارسة الحرية .. ولقد كتب على الجيل الجديد أن يواجه ــ بقامته العالية ــ لفح الرياح الهوجاء التى تهب من كل مكان .

إن عزلة المسلمين عن العالم هى التى هيأت

لضرب المسلمين فى أفكارهم ، ومكنت للصهيونية فى غفلة من المسلمين أن تحشد معها تأييد الغرب المسيحى زاعمة أن المسلمين مختلفون وغرباء وأنها هى الشريك الحقيقى الوحيد فى حضارة الغرب المسيحى .

أما عناصر القوة فى حاضر المسلمين فنشير منها إلى ثلاث :

أولها وأقلها شأناً أن الله تعالى فتح على المسلمين أبواب ثروة هائلة بما أخرجه لهم من باطن الأرض من معدن سائل يحتاج إليه الآخرون فزاد الغنى .. وتعاظمت الثروة وتكدست الأموال .. وصار فى وسع المسلمين ، لو أحسنوا التصرف ووجهوا هذا المال إلى ما ينفع الأمة أن يحققوا استقلالاً سياسياً واقتصادياً يؤمن لهم مكانة كريمة على خريطة العالم الجديد .

العنصر الثانى : تعاظم موجة اليقظة والانبعاث بين المسلمين .. وتوجه الملايين منهم إلى استشعار رسالتهم فى الوجود وإلى تثبيت هويتهم الحضارية ، كمسلمين أمناء على الحق وشهداء على الناس... وهى موجة يباركها الله .. وتتلاحق خطواتها على امتداد المشرق والمغرب .. ولكنها هى الأخرى تحتاج إلى دراسة ورعاية كما تحتاج إلى تصويب وترشيد .

أما العنصر الثالث : فهو أن البشرية تواجه حاجة موضوعة إلى فهم الإسلام ومبادئه الكبرى .

فالتقدم المادى السريع أثَّر خللاً فى علاقات الناس بالناس .. وصار علماء الغرب يتحدثون عن أزمة كبرى جديدة فيما يسمونه « نوعية الحياة » وأنها مهددة فى نقائها واستمرار صلاحيتها لحياة الإنسان .

والعنف والجريمة والهرب إلى المخدرات آفات توشك أن تهلك الحرث والنسل .. والناس فى كل مكان يتصايحون طلباً للنجدة وبحثاً عن القيم الحافظة التى جاءت بها الأديان .. والمسلمون مهيأون لأداء دور جديد .

وإذا كانت هذه عناصر القوة وتلك عناصر الضعف فى واقع المسلمين فأين المصير ، وكيف تكون صورة مستقبل المسلمين ؟ الأمر مرهون بما نفعله بأنفسنا ، وبتعاملنا مع عناصر هذا الواقع بشقيها .

وللعلماء فى ذلك كله دور هائل وأمانة لا فكاك منها ؛ فهم يرون ما لا يراه الآخرون . ولا تزال لهم فى عقول الناس وقلوبهم مكانة تمنحهم فرصة هائلة للتأثير .

وبقى أن تشحذ الهمم ، وأن يزول الصدأ عن العقول ، وأن تقال كلمة الحق .. وأن يتنادى العقلاء بأن « حى على الفلاح » .

وأذنوا لى ــ فى ختام هذا الحديث عن مستقبل المسلمين ــ أن أشير إلى مهمتين عاجلتين لا تحتملان التأخير :

الأولى : أن يعمل العلماء مع أولى الأمر على التعجيل باحتواء الخلافات التى طفت على سطح حياتنا العربية والإسلامية بين أقطار المسلمين .

الثانية : أن يبادر العقلاء إلى فض الاشتباك القائم بين الحكومات الإسلامية والعديد من روافد العمل الإسلامى .

الثالثة : أن تبدأ ــ بعد إبطاء ــ حركة اتصال بالعالم لرد عادية التشويه والتزييف عن الإسلام والمسلمين ففى إطار تلك العادية تستباح حقوق المسلمين ويناصبون العداء .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

(صدق الله العظيم)

رؤيـــة نقديـــة لحاضر العالم الإسلامى

بقلم
أ.د. محمد سيد أحمد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين
جامعة الأزهر
بالقاهرة

نعمـــة الإســـلام

يضم العالم الإسلامى قوة بشرية جاوزت (المليـار) من المسلـمين ، يسكنـون موقعـا جغرافيا لا مثيل له ، تمتد أرضه من شرق آسيا إلى غرب أفريقيا بلا عوائق طبيعية تذكر ، وحبا الله هذه المنطقة بموارد متنوعة ومتكاملة تكفى حاجة السكان وتزيد عليها .

ويحظى العالم الإسلامى بعوامل متجانسة فى الدين واللغة والتاريخ والتقاليد والآمال والآلام ــ تجعله شعباً واحداً رغم الحدود السياسية المصطنعة ، ويكفينا فخرا وشرفا أن الإسلام هو الذى بنى هذه الأمة منذ أكثر من أربعة عشر قرنـا ، ومنحهـا الحضارة وأبقـى ذكرهـا فى العالمين .

إن الله ــ تعالى ــ يمن علينا بنعمة الإسلام تلك النعمة التى ألـفت القلـوب ووحـدت الكلمـة وأنقذت الأمة فقد كان العـرب قبـل الإسلام متناحرين متحاربين فجمعهم الإسلام على التوحيد وحقق بينهم الوحدة قال تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١) **إن التوحيد فى العقيدة والوحدة فى**

(١) آل عمران ١٠٣ .

المجتمع هى الصراط المستقيم ، من انحرف عنه تلقفته الشياطين وتردى فى أودية الضلال . قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢) **إن الأمة المجاهدة** اقتصاديا واجتماعيا وعسكريا فى حاجة قصوى إلى وحدة الصف وأمانة الكلمة حتى **لا يخترقها عدو ، ولا ينال منها** حاقد ولا يعكر صفوها خائن ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٣) **إن الطاعة لله هى التى تمنح الناس وحدة الكلمة وانتظام الصف ، ومن منطلق الطاعة لله تأتى الطاعة لرسول الله ــ ﷺ ــ كما قال تعالى :** ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(٤) **ثم تمتد هذه الطاعة** لله ولرسوله **لتشمل طاعة كل ولى أمر يسير بكتاب الله وسنة رسوله** ، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾(٥) فكل مسئول فى موقعه لابد أن يكون أمينا على رعيته ، صادقا فى خدمتهم ، مجاهدا فى سبيل سعادتهم ، وهنا يؤلف الله القلوب حول هذا الراعى وذلك المسئول فيعيش الناس عباداً لله إخوانا .

حول الأسرى وما بعد العاصفة :

إن مأساة حرب الخليج يتحمل وزرها طاغية العراق المستبد الذى خدع وخُدع ونافق ونوفق ، وأستدرجته الأيدى الآثمة ؛ فوقع تحت مخالب الصهيونية الصليبية العالمية فأغرته وأغرت به ، حتى أقدم على الخطيئة الكبرى باحتلال الكويت وتشريد أهله .

ومن بدهيات الأمور فى الفقه الاسلامى أنه فى حال قتال أهل العدل لأهل البغى ، لا يقتل أسير ، ولا يزفف على جريح ولا تغنم أموال ولا تسبى ذرارى ؛ لأن المقصود هو ردعهم وأن يفيئوا إلى أمر الله . قال تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ سورة الحجرات **وهذه الآية الكريمة توجب السعى إلى الصلح ابتداء أو انتهاء** ، فعبرت بلفظ ﴿ إن ﴾ وهى تستعمل فى الشرط الذى لا يتوقع حصوله غالبا ، واستخدمت لفظ ﴿ طائفتان ﴾ ولم تقل فرقتان ، لأن الطائفة دون الفرقة ولهذا قال ــ تعالى :

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾(٧) **ووصفت الآية الكريمة الطائفتين بأنهما من المؤمنين تنبيها على قبح ذلك وتبعيدا لهم عن الاقتتال** ، وعبرت الآية بالفعل الماضى فى قوله ﴿ اقتتلوا ﴾ ولم تقل ﴿ يقتتلوا ﴾ لأن صيغة الماضى توحى بالانتهاء أما صيغة المضارع فتوحى بالدوام والاستمرار .

وأسند بالفعل إلى واو الجماعة فى قوله ﴿ اقتتلوا ﴾ إشارة إلى الفرقة القائمة والفتنة العمياء والتحزب البغيض ، فكل واحد يرتكب حماقة فى هذا الاقتتال وعندما جاء الأمر بالصلح

---

(٢) الأنعام ١٥٣ .
(٣) الصف ٤ .
(٤) النساء ٨٠ .
(٥) النساء ٥٩ .
(٦) الحجرات ٩ .
(٧) التوبة ١٢٢ .

قال ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ بالمثنى ولم يقل بينهم إشارة إلى عودة الاتفاق وتجميع الكلمة وقرب انتهاء الفجوة فبعد أن كانوا جمعا اصبحوا فريقين يلتقيان للصلح تمهيدا لأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد .

وجاء التعبير بقوله تعالى : ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ دلالة على **أن القتال ليس جزاء للباغى كحد الخمر مثلا** الذى يقام وإن ترك الشرب ، **بل القتال إلى حد الفيئة ، فان فاءت الباغية حرم قتالهم . فإذا وضعت الحرب أوزارها بين أهل العدل وأهل البغى عادت الأمور إلى نصابها** قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية(٨) فإن انجلت الحرب ومع أهل العدل لهم أموال ردت عليهم ، وما تلف منها فى غير قتال فهو مضمون على متلفه ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب من نفس ومال فهو هدر . وما أتلفوه على أهل العدل فى غير ثائرة الحرب من نفس ومال فهو مضمون عليهم ، وما أتلفوه فى ثائرة الحرب ففى وجوب ضمانه عليهم قولان : أحدهما : يكون هدرا لا يضمن ، والثانى : يكون مضمونا عليهم ، لأن المعصية لا تبطل حقا ولا تسقط غرما ، فتضمن النفوس بالقوة فى العمد ، والدية فى الخطأ . وقال الوزير ابن حبيرة(٧): **اتفق الفقهاء على أن أموال البغاة لهم . واتقن الفقهاء على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغى لا ضمان فيه .**

واختلف الفقهاء فيما يتلفه أهل البغى على أهل العدل فى حال القتال من مال أو نفس فقال أبو حنيفة عن مالك وأحمد فى إحدى الروايتين : لا يضمن وقال الشافعى فى القديم : يضمنون ، وعن أحمد : مثله .

ومن هنا فلا يجوز شرعا أن يبقى أسير بعد انتهاء المعركة ، بل يطلق سراح الجميع . إننا جميعا إخوة ، وحق الأخوة فى أدنى مراتبها أن نطلق حريته ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى ههنا ــ ويشير إلى صدره الشريف ــ بحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

إننا نطالب بفك العانى ورد الأسير واحترام الإنسان والحفاظ على كرامة المسلم .. إننا حين نطـــالب مخلصين باطـــلاق سراح الأسرى الكويتيين .. فمن نطالب ؟ ألسنا نطالب حاكم العراق ؟! .

هنا أقول كلمة لوجه الله والحق ، أرجو أن تصغوا إليها بقلوبكم قبل أسماعكم لقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن أعداء الأمس يمكن أن يكونوا أصدقاء اليوم .

ومن قيم الإسلام التى نعتز بها ــ العفو عند المقدرة ..

ومن مكـارم الأخـلاق أن نبقـى للصلـح موضعا .

إن طاغية العراق استحوذ عليه الشيطان ، فهل نكون عونا للشيطـان عليـه ؟! لقـد مر الصحابى الجليل أبو الدرداء على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه فى قَلِيبٍ ألم تكونوا مستخرجيه ؟! قالوا : بلى قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذي عافاكم ،

(٨) الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب ص ٦١ ط الحلبى سنة ١٩٧٣ .

(٩) الافصاح عن معانى الصحاح لأبى المظفر يحيى بن محمد ج ٢ ص ٢٣١ ط المؤسسة السعيدية بالرياض .

قالوا : أفلا تُبْغَضُهُ ؟! قال : إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخى .. !!

ولنتذكر هذه الوقائع :

١ ـ لقد خاض مسطح مع الخائضين فى عرض الصديقة بنت الصديق ، فلما أنزل الله تعالى براءتها قرآنا يتلى ، وكان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح لقرابته وفقره ، قال أبو بكر : والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذى قال فى عائشة ..

فأنزل الله تعالى : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ »(١٠) .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : والله إنى أحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كانت عليه وقال : لا أنزعها منه أبدا ..

٢ ـ فى غزوة أحد ابتلى المسلمون وزلزلوا زلزالا شديدا ، ووقفت هند بنت عتبة مع نسوة مشركات يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ يجدعن الآذان والأنف ، ويتخذنها قلائد وأقراطا .

ولم يكن شىء أوجع لقلب رسول الله ـ ﷺ ـ من رؤيته عمه حمزة صريعا فقال : والله لأقتلن بك سبعين منهم ، وقال المسلمون : لئن ظفرنا الله عليهم لنزيدن على صنيعهم ، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب لأحد قط ، ولنفعلن ، هنا نزل القرآن المجيد يقول :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١١)

٣ ـ بعد عشرين عاما من الدعوة الإسلامية جاء نصر الله **والفتح ووقف الرسول ـ ﷺ ـ يتأمل أهوال سنوات مضت ، ووجد أعداءه رهن كلمة ينطق بها** ، فقال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟! قالوا : خيرا ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم ، فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. !!

٤ ـ واليوم يجلس العرب مع اليهود فى مفاوضات من أجل السلام ، رغم أن اليهود هم السفهاء من الناس ، وقتله الأنبياء ، وقد دنسوا المسجد الأقصى الشريف وذبحوا المسلمين وسلبوا فلسطين وعاثوا فى الارض فسادا .

٥ ـ لقد ردَّدْنا جميعا هذه الآية الكريمة ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ ووقفنا عند هذا الحد ، مع أن الواجب يحتم أن نقرأ الآية بتمامها ﴿ فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ .

إننا نطالب أن نتحمل الشق الثانى من الآية الكريمة بشجاعة الايمان ، ونتحرك بتواضع النصر وعزة الصفح .

إننى أقترح أن يقوم هذا الملتقى بمبادرة إسلامية يتولاها العلماء أنفسهم وأن يشكل وفد يمثل الازهر الشريف ورابطة العالم الاسلامى والمجلس العالمى للدعوة والاغاثة ويزور بغداد غدا ويطرح مشروعا للصلح والتعاون العربى الاسلامى .

إننا بكل أسى قد سلمنا العراق للولايات المتحدة الأمريكية تفترسها وتسلب أموالها وتذل شعبها وتطحنه .

ليذهب صدام إلى حيث أراد لنفسه هوانا وذلة وصغارا ، ولكن ليبق الشعب العراقى بقوته وثروته وأبنائه سندا للعروبة والإسلام .

(١٠) النور ٢٢ .

(١١) النحل ١٢٦ : ١٢٨ .

إن الصهيونية الصليبية هى التى مكنت لطاغية العراق وأمدته بما يسمى تكنولوجيا التقدم وسلبت أمواله ، ثم كرت عليه بالتدمير وسلبت أموالنا مرة أخرى .

وهناك مؤامرة عالمية تتعقب مواضع القوة فى العالم الإسلامى ، ويثار الان ضجة إعلامية حول ما يسمى « القنبلة الذرية الإسلامية » وتتجه العيون الى باكستان وايران والجزائر .. الخ .

فهل آن لنا أن نقولها بوضوح كامل وصراحة قوية :

متى نغلق ملف مأساة الخليج بأكمله ؟ ومتى نفتح عهداً جديداً نتعالى فيه على الجراحات ، ونتناسى فيه الآلام ونقف فيه يدا واحدة وصفا فى وجه المؤامرات الدولية المحدقة بأمتنا ؟

إن الأمة الإسلامية اليوم تكالبت عليها الأمم وبدأت تنتقص من أطرافها وأطلت النزاعات العرقية والطائفية بقرونها السوداء .

إننا قد نسمع أصواتا تعمق الخلافات وترفض التعاون وتتهم بالخيانة ونوزع الشعارات الخادعة ، وهى أصوات تتاجر بالكلمة وتنافق خلف كل راية ، ولا يعنيها إلا تمزيق الأمة وتقطيع أوصالها .

﴿ ...وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(١٢) .

النظام العالمى الجديد :

كنت مشاركا فى مؤتمر حقوق الإنسان الذى عقد فى مدينة طهران سنة ١٩٩١ ، ووقف أحد الاخوة الاتراك وقال : إن وثيقة حقوق الانسان التى أصدرتها الامم المتحدة عام ١٩٧٤ م لم تكن إلا لحماية الانسان اليهودى ، تولى كبرها الرئيس الأمريكى روزفلت اليهودى .

واحتج المشاركون الأوربيون فى المؤتمر وخرجوا من القاعة .. !!

لكن الحقيقة التى أكدتها الاحداث ــ وما زالت ــ هى أن حقوق الانسان لا تعرف إلا للإنسان الأبيض ، وأنها دعوى يرفع الصوت بها حينا ويهمس بها أحيانا وفق مآرب الصهيونية العالمية والصليبية الدولية .

لقد ضاعت حقوق فلسطين باسم الأمم المتحدة فى عام صدور الوثيقة الدولية ، وما زالت حقوق الإنسان تتناسى فى أفريقيا وآسيا تحت سمع المجتمع الدولى ، ويقتل المسلمون ويذبحون فى كشمير وبورما والصين والفلبين وفى كل مكان ، ولا أحد يتحرك حتى كانت المأساة الكبرى فى دولة البوسنه والهرسك . وسقطت كل الاقنعة الزائفة ، وظهر الوجه القبيح لما يسمى (النظام العالمى الجديد) بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

إن أكذوبة النظام الدولى الجديد التى تسامعنا بها منذ حرب الخليج ، لا تعنى إلا مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية لقد بدأوا هذه المرحلة منذ أطلقوا على عاصفة الصحراء اسم : (مجد العذراء) .

وظهرت على شاشات التليفزيون صورة طائرة تحمل الصواريخ وقد كتب عليها الجنود رسائل بالطباشير الابيض وموجهة الى أهدافها تقول للعراقيين : نادوا على الله ، فإذا لم يستجيب لكم نادوا على المسيح .

(١٢) يوسف ٢١ .

كما ظهر على عدد آخر من الصواريخ رسائل نقول : نادوا على الله فإذا لم يستجب لكم فنادوا على شوارتزكوف(١٣) .

وأذكر أنى سمعت تعليقا فى فجر اليوم الأول لعاصفة الصحراء منسوبا لأحد كبار القادة العسكريين الغربيين يقول فيه : الآن يكتب التاريخ من جديد .

وأثناء وجود القوات الأمريكية على الأرض السعودية ارتدى بعض العسكرين قمصانا مطبوعا عليها خريطة المملكة العربية السعودية يتوسطها العلم الامريكى ، وقد أثار هذا غضب الأمير خالد ابن سلطان قائد القوات المشتركة ومسرح العمليات ، وقال لشوارتزكوف قائد قوات التحالف :

إن هذا الاجراء قد يفسر على أن المملكة محتلة من الولايات المتحدة(١٤) .

إن الصرخات التى تطلق اليوم لإنقاذ مسلمى البوسنه والهرسك تذهب أدراج الرياح ، وإن أصوات الاستغاثة التى تصدر من الأرامل واليتامى والشيوخ لم تعد تؤرق أحدا من البشر طالما أنها أصوات إسلامية وإن المؤامرة الدولية للقضاء على الدولة الاسلامية فى البوسنه والهرسك لم تعد تخفى على أحد وأسوق هنا رأيا لصحيفة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٢ م بشرح هذه المؤامرة .

بإعلان تقسيم جمهورية البوسنه والهرسك وتفتيتها الى مناطق حكم ذاتى ــ تكون الحرب فى منطقة البلقان قد دخلت مرحلة تنفيذ أغراضها الحقيقية وكشفت عن نواياها .

لقد حرص بيان التقسيم على التأكيد على أن هذا التقسيم سوف يتم على أسس جغرافية وليست عرقية ، وهو ما يؤكد ما اعترف به خبراء الغرب أنفسهم من أن خريطة تقسيم البوسنه جاهزة منذ ما قبل اندلاع الحرب فى شهر أبريل الماضى ، وأن الخريطة بشكلها هذا تحقق مزاعم كل من الصرب والكروات التى ترجع الى عصر ما قبل الحرب العالمية الثانية فى اراضى الجمهورية ذات الأغلبية الإسلامية غير أنه لم يعد من الممكن على الاطلاق ان نغض الطرف عن أصابع الغرب الخفية وراء هذا التقسيم للقضاء على وجود دولة إسلامية موحدة فى منطقة البلقان ، وهو ما تؤكده (سيناريوهات) التحرك الغربى فى مواجهة العدوان الصربى على البوسنة منذ تقاعس المجموعة الاوروبية ، الى التردد والمماطلة الامريكية الى تخاذل منظمة الامم المتحدة ثم أخيرا فى مؤتمر لندن الذى حدد خطة التحرك على أساس حل الخلافات أساسا بين الصرب والكروات بخطوات لا تمت لمأساة البوسنه والهرسك .

ومن مفارقات العصر الغربية أن تقسيم البوسنه الإسلامية يأتى فى نفس الوقت الذى تسقط فيه خطوط التقسيم التى مزقت العالم على مدى الأعوام الخمسة الماضية وتعلوا أصوات نظم الغرب الديمقراطية المنادية بالليبرالية والتحرر .

حقا إن النظام العالمى الجديد هو مرحلة جديدة من مراحل الحروب الصليبية .

وان قرارات الأمم المتحدة لم تعد تطبق إلا على المسلمين عقابا وهوانا وذلة ،فالقرارات التى صدرت ضد ليبيا هى امتداد لقرارات التعسف والظلم التى انصاع لها العالم الاسلامى بعد عاصفة الصحراء ..

---

(١٣) راجع كتاب « حرب الخليج » للأستاذ محمد حسنين هيكل .

(١٤) راجع رد الأمير خالد على شوارتزكوف فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٢م .

وإن التلويح بالحرب ضد العراق من جديد هو تأكيد لهذا التعسف البغيض من أجل تدمير كل شيء والسيطرة على كل شيء فى المنطقة العربية إننا لا نلوم أعداءنا على ما يفعلون بنا فتلك طبيعتهم ولكن نلوم أنفسنا **فمأساة الهوان والذلة التى تعيشها الأمة الإسلامية يتحمل وزرها الحكام المسلمون ، وأن موقفهم المتخاذل أمام الجرائم المروعة ضد مسلمى البوسنه والهرسك** ما هو إلا تأكيد لغيبة الوعى ، وغيبوبة العقل ، والانفصال عن آمال **الشعوب الاسلامية وآلامها** .

إن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، وانطلاقا من هذه الحقيقة الشرعية ، فلسنا فى حاجة الى صدور قرارات من مجلس الأمن تجيز استخدام القوة العسكرية لصد العدوان الغربى الغاشم ، فإننا كمسلمين أمة واحدة ، والدفاع عن النفس ليس فى حاجة الى قرارات دولية يتحكم فيها عدونا الذى يتوطأ مع الصرب .

الأمم المتحدة :

لقد كفرنا بالأمم المتحدة وآمنا بالله وحده ، الذى منحنا حق الحياة الحرة الشريفة وأذن لنا فى الدفاع عن الحق والعرض والشرف .. قال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾(١٥) .

الصـــومال :

إننا نلوم أنفسنا بعد أن أصبح بأسنا بيننا شديدا ، وأصبحنا نخرب بيوتنا بأيدينا قبل أيدى عدونا فالأحداث الدامية فى الصومال تؤكد غيبة الوعى الاسلامى ، فالناس يموتون جوعا فى وقت تتسلط عليهم فيه شرذمة من طلاب الزعامات الفاسدة لكى يحكموا مقابر الموتى ، ويرأسوا مواكب القتلى ، ويتربعوا على عرش اليتامى والثكالى .

وإن اقتتال إخوة الدين ورفقاء الجهاد فى أفغانستان يصيب الأمة الاسلامية فى مقتل ويلطخ مرحلة جهاد باسل فى تاريخنا الحديث .

الجـــزائر :

وما يجرى فى الجزائر هو استمرار لتلك المأساة الحزينة فى أمة الاسلام ، وإذا كنا نعيب على القوات الصربية إقامتها لمعسكرات اعتقال لمسلمى البوسنه والهرسك فها نحن أولاء أمام تلك المعسكرات فى قلب الجزائر المسلمة وبأيدى المسلمين ، فقد تناقلت الصحف بتاريخ ١٩٩٢/٨/١٠ م أن المجلس الأعلى للدولة فى الجزائر أعلن أن معسكرات الاعتقال التى أقامتها سلطات الامن فى الصحراء منذ اعلان حالة الطوارىء سوف يتم إغلاقها تدريجيا غير أنه لم يحدد موعدا لاغلاق المعسكرات .

وذكرت صحيفة « الجزائر اليوم » أن جماعة من المعتقلين فى معسكر « أوجوروني » بالصحراء هددوا بالانتحار الجماعى بسبب الظروف السيئة التى يمرون بها .

---

(١٥) الحج ٣٩/ ٤٠ .

مواجهة النظام العالمى الجديد

إن تصحيح مسار النظام العالمى الجديد يقتضى منا أن نستيقظ قبل فوات الأوان ، وأن يعود إلينا الرشد قبل نزول الطوفان ، وأن نتحرك قبل وقوع الكارثة وذلك على النحو التالى :

١ ـ إننا نطالب منظمة المؤتمر الإسلامى أن تتولى مهمة الخلافة على العالم الإسلامى ، وأن تكون الصوت الموحد والوحيد لقوى المسلمين ، وأن تتواصل مسيرة التعاون والدفاع المشترك عن حقوق المسلمين فى كل مكان من أرض الله .

ونحن نرى أن الخلافة الإسلامية التى أسقطتها الصهيونية والصليبية يمكن أن تعقد ممثلة فى رئيس الدورة لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وعن طريق توحيد السياسات الخارجية والاقتصادية والتربوية والإعلامية للأمة الإسلامية .

فالخلافة الإسلامية لا تعنى أكثر من ذلك ، ومنذ عهد الرسول ـ ﷺ ـ وعلى مدى عصور الدولة الإسلامية كان هناك ولاة ينوبون عن الخليفة فى كل إقليم ومصر يديرون شئونه ويحكمون أمره بما يتناسب وخصائصه .

٢ ـ إن أموال أثرياء المسلمين حكاماً وأفراداً وحكومات موضوعة اليوم فى بنوك اليهود ، وهم يستطرون عليها وينتفعون بها ويقيدون حركتها .

ولعلنا نذكر ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية وتفعله مع أموال إيران والعراق ودول الخليج .

إننا نطالب بصحوة إسلامية إقتصادية تستعيد هذه الأموال لإيداعها فى أمة الإسلام ، ووطن المسلمين حفظاً واستثماراً وأداء للحقوق .

٣ ـ إن الأمة الإسلامية لا ينقصها الموارد ، ولا تعوزها الطاقات ، ولا تفتقد الكفاءات ولكن ينقصها من يتولى أمرها باسم الله ، ويقودها على طريق الحق والعدل والقوة بالحق فى المنهج ، والعدل فى الحكم ، والقوة فى التنفيذ . قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾(١٦) .

٤ ـ إن الأمة الإسلامية تتعاون مع جميع الأمم وتتحالف مع كافة الدول فى إطار حقوق الإنسان وكرامة البشر وحضارة الشعوب . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾(١٧) .

ومن هنا فإن منظمة الأمم المتحدة بشكلها الحالى لم تعد الصيغة المقبولة للتعاون الدولى ، ويجب تصحيح مسارها للتواءم مع متطلبات الأمم وآمال الشعوب ، ولذا فنحن نطالب بإلغاء ما يسمى بحق الفيتو والعضوية الدائمة للدول الكبرى فى مجلس الأمن ، ونقترح أن تكون عضوية مجلس الأمن بالانتخاب المباشر لكافة المقاعد من الجمعية العامة .

بعد ما سقط الدب الأحمر قمت بزيارة لدول الكومنولث الإسلامية ضمن وفد رسمى برياسة الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف المصرى ، وقضينا ثلاثة عشر يوماً ، حلقنا خمسة وعشرين ساعة فى الجو ، منتقلين بين موسكو

(١٦) الحديد ٢٥ .

(١٧) الحجرات ١٣ .

عاصمة روسيا الاتحادية ، و (الما آتا) عاصمة جمهورية كازاخستان ، و (طقسند) عاصمة جمهورية أوزبكستان ، و (باكو) عاصمة جمهورية أذربيجان ، و (عشق آباد) عاصمة جمهورية (تركمانستان)، والتقينا بمجموعة من المسئولين منهم من يشغل منصب رئيس الجمهورية ، ورئيس البرلمان ، ونائب رئيس الوزراء ، ووزير الخارجية ، ووزير الشئون الدينية ، ورئيس أكاديمية العلوم ، ومسئول مركز الدراسات القانونية ، ومسئول معهد الاستشراق ومن خلال اللقاءات ظهرت مجموعة ملاحظات تصف الواقع وتتحدث عن المستقبل منها :

١ ــ لقد عاشت الشعوب الإسلامية فى دول الكومنولث الحقبة الشيوعية السوداء فى معاناة كاملة ، واستبداد طاغ ، وجبروت ظالم ، وفقدت الكثير من وعيها ودينها وكرامتها وثروات أرضها على مدى سبعين عاماً ، وسبقتها حقبة لا تقل عنها ضراوة هى الحكم القيصرى ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الحكومة فى جمهورية أوزبكستان عن مائة وخمسين عاماً قضاها المسلمون فى ظل الحكم القيصرى ثم الحكم الشيوعى ، هلك فيها الحرث والنسل وضاعت القيم والأخلاق العامة ، وهدمت المساجد ونبشت القبور والصدور ، إن الحياة العامة الآن ليس بها مَعْلَمٌ ؛ فالخمر فى كل مكان ، ولحم الخنزير فى كل بيت ، ولهيب الجنس يلفح كل إنسان ، والتعليم بلا دين ، والإعلام بلا أخلاق ، وكان المسلمون يتوارثون الإيمان بالقلب ، والقلة القليلة تتعلم الدين فى جوف الليل ، وتحرص على الأطعمة والأشربة الإسلامية فى الخفاء .

٢ ــ إن دول الكومنولث الإسلامية بها شعوب تبحث عن هويتها ، وهى أمة تريد أن تعود لدينها وإسلامها والطريق يحتاج إلى جهاد ومجاهدة ، وقد تحدث معنا نائب رئيس الوزراء فى كازاخستان وقال : إن بناء المواطن المؤمن شىء صعب ، ويحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير أما الكفر فهو شىء سهل يسير .

وقد عرض العلماء مشروعاً إسلامياً على رئيس الدولة فى أوزبكستان يتضمن خمسة عشر بنداً ، منها حجاب المرأة والاهتمام بالطعام الإسلامى فى الحياة العامة والدراسات الإسلامية فى مناهج التعليم المختلفة .

وقامت المشيخة الإسلامية فى كازاخستان بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة المحلية ، وعملت تقويماً للصلاة ، وأصدرت صحيفة سميت « الإيمان » .

وافتتحت المساجد بالجهود الذاتية .

وبدأ الناس يؤدون فريضة الحج ، وقام رئيس دولة تركمانستان بأداء العمرة .

٣ ــ إن العالم الإسلامى مدين لهذه الدول بعلمائها الذين خدموا العلم اأيلاسلامى بكافة فروعه وتخصصاته فهم أحفاد البخارى والترمذى والنسائى والزمخشرى وابن سيناء والفارابى وكثير من علماء اللغة والتفسير والحديث والفقه والقراءات والفلسفة . وهذه الدول اليوم فى حاجة إلى وفاء الدين عن طريق :

- ☐ المنح الدراسية .
- ☐ تدريب الأئمة والعلماء .
- ☐ إقامة المساجد .
- ☐ إنشاء المدارس والجامعات الإسلامية .
- ☐ تحفيظ القرآن المجيد .
- ☐ تعليم اللغة العربية .
- ☐ توزيع الكتب .

٤ ــ حكام هذه الشعوب فى عهدها الجديد هم بقايا الحزب الشيوعى وتلاميذ الفكر الماركسى

فهم ما زالوا فى صراع نفسى بين ما عاشوا عليه ، وما يجب أن يكونوا عليه الآن ، ومعرفتهم بالإسلام تكاد تكون معدومة .

وقد أخبرنا أحد المسئولين الدينيين أنه بدأ يعلم رجال الحكومة الطهارة والوضوء والصلاة .

والحكومات القائمة الآن لا تتبنى الإسلام بمفهومه العام الشامل وتفضل النموذج التركى والدول العلمانية التى تدع الدين للشعب والجهود الذاتية ، وقد بدأ الخلاف بين العلماء والسلطة الحاكمة هناك حول تطبيق الإسلام ولكن الوضع فى أذربيجان يكاد يختلف نوعاً ما فالدولة فى صراع عسكرى مع (أرمينيا) حول أقليم (كاراباخ) وبدأت الحرب تأخذ شكلاً دينياً جعلت الناس فى جمهورية أذربيجان يتلفتون إلى الإسلام وذهب الجنود إلى إدارة الشئون الدينية يطلبون المصاحف يضعونها فى جيوبهم ، وأصبح نداء التكبير « الله أكبر » فى ميدان المعركة من بواعث الأمل أمام الكفرة الأرمن ــ على حد تعبير أحد المسئولين هناك ــ وقد التقى الوفد المصرى برئيس جمهورية أذربيجان فتحدث طويلاً ، وذكر أنه عاش فى مصر سنتين (٦٣ ــ ١٩٦٥م) مترجماً فى منطقة السد العالى ، وتحدث عن الحقبة الشيوعية السوداء التى قضت على هوية الشعب وسلبته الدين والوطن ، وذكر أن الحكومة فى أذربيجان تعمل الآن على ثلاثة محاور فى وقت واحد هى :

(أ) التعريف بالنفس ، وتقديم الهوية الأذربيجانية إلى العالم .

(ب) الديمقراطية .

(جـ) الإسلام .

وقال : إن اللون الأخضر فى العلم الأذربيجان يشير إلى الإسلام ، وأضاف أنهم الآن فى سبيل معرفة الإسلام والثقافة الإسلامية فى صفائها ونقائها بعيداً عن المذاهب وبلا دخول فى صراعات الفرق .

وامتدح الحضارة الإسلامية التى قدمت الكثير إلى العالم ، وشاركت بجهود علمائها فى الحضارة الإنسانية وقارن رئيس الجمهورية وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وذكر أن الإسلام يمنح الناس الهدوء النفسى والسكينة ، وهو شىء مهم جداً لمسيرة الحياة ، بينما تدفع الحضارة الغربية الناس إلى الانتحار . ودعا إلى تقديم الإسلام إلى العالم الغربى بصورة وضاءة من خلال عطاء الحضارة الإسلامية فى القديم والحديث .

٥ ــ إن التعاون الثقافى والدينى مع هذه الدول ليس منفصلاً عن مجالات التعاون الأخرى الاقتصادية والسياسية ، فشعوب هذه الدول فى حاجة ماسة إلى البنية الأساسية فى كافة الجوانب . وكانت هناك مطالب ملحة لافتتاح خطوط للطيران تربط بين عواصم هذه الدول والعالم الإسلامى ، وبناء المصانع وإنشاء البنوك وتبادل الخبرات والكفاءات الإدارية وتوفير ضرورات الحياة الاقتصادية .

٦ ــ إن الساحة هناك تستوعب جهود جميع الدول ، ولا تستطيع دولة واحدة أن تملأ الفراغ بمفردها ، وكلما ضيقنا سبل المنافسة وحققنا قدراً من التعاون كانت النتيجة خيراً وبركة .

والدور المصرى له أهمية خاصة فهو دور مبرأ من الهوى والأغراض السياسية والمذهبية فمصر لا تصدر فكراً سياسياً ولا مذهباً دينيا ، ويقدم الأزهر الشريف الإسلام بسماحته وصفائه ، وهو الجامعة الوحيدة التى تملك ألفاً من الأعوام ، وتحتوى كافة الاتجاهات ، **ويمكنها التعامل مع الجميع بلا عقد** ، وتحظى باحترام المسلمين قاطبة ، وأبناء الأزهر موجودين فى كل مكان من أرض الله الواسعة .

حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل توصيات مقدمة إلى المؤتمر

التحديات الإعلامية فى العالم الإسلامى المعاصر

الأستاذ عبدالفتاح الرفاعى
مستشار المكتب الفنى لرئيس هيئة الاستعلامات

يرى الباحث أنه لايزال إسهام المسلمين الحضارى فى الماضى وعودهـــم فى الحاضر يناشدهم أن يكون لهم صوت مسموع ومؤثر ، ودور فى بناء الواقع الراهن وأن يجاهدوا لرسم معالم مشروع حضارى واضح المعـالم يحرر ما بداخلهم من طاقات ويلبى احتياجات العيش فى كرامة بين الأمم ويتمكنون به من ممارسة حوار متكافىء مع غيرهم .

ولكى يتحقق ذلك يلزم المسلمين البدء باستقراء أوضاعهم ليتبينوا عناصر القوة والضعف فيزيدوا القوى قوة ويعالجوا الضعف ما يزيله ، وفى ذلك أعمال لسنة الله فى خلقه ، يقول تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

سورة الرعد/ ١١ .

ويرى الباحث أنه ينبغى أن يقوم بجانب ذلك قراءة فاحصة ناقدة لما ينشر عن المسلمين ، وتحليل عناصر الصورة المرتسمة فى أذهان الغير عنا ـ نحن المسلمين ـ تمهيدا لتصحيح مواطن الخطأ .

وإلى القارىء نص حديثه ومقترحاته :

ومن أجل مزيد من التعرف على الذات ، وازالة اللبس ، وتصحيح المفاهيم ، وإنشاء علاقات على أسس جديدة ، وبناء الثقة المتبادلة بين الأطراف الفاعلة على الساحة العالمية نقترح هذه التوصيات : ـ

أولا : من أجل خلق رأى عام إسلامى ضاغط يسهم فى صناعة القرار وصياغة الواقع يتعين إفساح المجال لوضع المنظمات الإسلامية القائمة ، والإعلامية منها على وجه الخصوص لمباشرة مسئولياتها ، والقيام بدورها ، ورسم حدود واضحة لعلاقة هذه هذه المنظمات بالأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى المجتمعات الاسلامية والمجتمعات الأخرى والعمل على توطيد أواصر هذه العلاقات واستثمار ذلك لصالح شعوب الأمة الاسلامية .

ثانيا : يجب أن نستمر فى الحوار الجاد مع المسئولين عن وكالات الأنباء الكبرى فى العالم ، ومع مراسليهم من أجل التفاهم ، ومعالجة أوجه القصور فيما ينشر عن العالم الاسلامى .

ثالثا : السعى من أجل اشتراك كتاب وصحفيين ومراسلين من العالم الاسلامى فى الوكالات والشبكات الإعلامية الأجنبية ، وطلب تدريب عدد أكبر منهم ، وإشراكهم فى

نقل الأخبار من الدول الأوروبية والأمريكية واليابانية والصينية ودول (الكومنولث الجديد) ، وذلك لإحداث توازن فى نقل الأخبار والمعلومات من وإلى بلدان العالم الاسلامى .

رابعا : تكثيف التبادل الإعلامى والتعاون بين دول العالم الإسلامى حيث يلاحظ غياب اهتمام هذه الدول بتبادل الأخبار الخاصة بكل منها .

خامسا : يتعين على وزراء إعلام الدول الإسلامية ، باعتبارهم المسئولين ، فى معظم الأحيان عن توجيه الإعلام اليومى أن يخصصوا فى أجهزة إعلامهم مجالات ومساحات أوسع لنشر أخبار البلدان الإسلامية ، ونقترح أن يكون ذلك بتخصيص صفحة أو مساحة زمنية كافية لأخبار العالم الاسلامى فى وسائل إعلام تلك الدول المرئى والمسموع والمقروء منها .

سادسا : تشجيع الاستثمارات ، لاسيما من الدول ذات الدخول البترولية الكبيرة ، فى أجهزة الإعلام المحلية والإقليمية والأجنبية ، وفى هذا الاتجاه يمكن إنتهاز فرصة أن نظام الإعلام الغربى منفتح ومن الممكن النفاذ إليه اقتصاديا ومهنيا للمساهمة فى تطوير الرسالة الإعلامية الصادرة والواردة من وعن هذه الدول . وذلك فى تقديرى أجدى من شراء صحف قائمة .

سابعا : إطلاق يد القطاع الخاص وتشجيعه للاستثمار فى الإعلام لأن هذا القطاع يتمتع بمرونة وقدرة على المنافسة وجدارة مهنية ، فضلا عن أنه غير مكبل بقيود رسمية بيروقراطية ولا تعوقه أزمة ثقة . وينبغى تنحية الإشفاق على مصير القضايا القومية أو الوطنية من أن تكون بين أيدى أفراد أو مؤسسات خاصة لأن ذلك معناه فقدان الثقة فى هؤلاء الأفراد وهذه المؤسسات واذا انعدمت الوطنية عند الافراد هل يمكن أن نعثر عليها بين الجماعات ؟.

ثامنا : إتاحة دور أكبر لأجهزة الإعلام التابعة للمنظمات الإسلامية فى اتجاه تأسيس مكتب الإحصائيات الأساسية عن الإعلام والقضايا الحضارية الإسلامية على غرار (اليونسكو)، وإنشاء مركز توثيق إسلامى شامل ، حيث إن التوثيق لا ينتهى دوره عند التقديم الصحيح للشطر الأعظم من محتوى الرسالة الإعلامية ، بل يتجاوز ذلك إلى إتاحة فرصة للاستخدام المناسب للمادة الإعلامية ، وضمان دقتها وصحتها ، وإمكان إثرائها واستكمال عناصرها وفتح آفاق جددة لمزيد من استكشافاتها المستقبلية .

وإذا كان «التوثيق» شرطا أساسيا لازما للخطة الإعلامية التى نعيشها فى دورة يتجاوز ذلك ويمتد الى المرحلة التالية ، إذ أنه هو الذى يقوم «بتحييد» الخطر الذى يمكن أن ينشأ عن سرعة زوال تلك الخطة بحكم إيقاع الحياة السريع ، فالتوثيق هو الذى «يثبت» تلك اللحظة الإعلامية ويجعلها مرجعا ومستندا لما يستجد من مواد إعلامية فى المستقبل .

تاسعا : تشجيع الهيئات المهتمة بالحوار بين الأديان وعقد اتفاقيات تبادل معها فى مجال الندوات والأبحاث والجامعات والخبرات لتعزيز التعاون والتبادل الثقافى .

عاشرا : تشجيع إقامة المعارض الثقافية الإسلامية فى داخل العالم الإسلامى وخارجه للتعرف على منجزات هذه الحضارة وإنعاش

ذاكرة العالم الإسلامى وغيره من الشعوب تيسيرا لمد جسور التواصل فيما بينها .

حادى عشر : حفاظا على ذاكرة العالم الإسلامى من الضياع نرى ضرورة المبادرة بإصدار فهرس المؤسسات الثقافية والعلمية والإعلامية الموجودة لدى دول العالم الإسلامى ، وتتولى منظمة المؤتمر الإسلامى الإشراف على إعداد هذا الفهرس .

ثانى عشر : تشجيع إنتاج وتبادل الفهارس والمخطوطات و(الأفلام) والأبحاث المشتركة التى تعالج قضايا العالم الاسلامى المعيشية والمصيرية .

ثالث عشر : توسيع نطاق نشر المكتبات وعقد الندوات فى بلدان العالم الإسلامى وخارجه .

رابع عشر : إصدار مجلة إسلامية مرتين فى السنة ولتكن بعنوان : (العالم الإسلامى : الحاضر والمستقبل) لتغطية أخبار هذا العالم ، ولتكون أداة ربط أفراد هذا العالم ووسيلة تعارف على مجريات الأمور له وتقع مسئولية النشر على هيئة تحرير محدودة يتم اختيارها من قيادات الرأى فى العالم الإسلامى ، وإلى جانب ذلك نقترح إصدار نشرة اخبارية أصغر من المجلة تهتم بأخبار التطورات الدينية والثقافية والاجتماعية فى العالم الإسلامى وتغطية المناظرات الثقافية والانجازات فى مجال الفنون والمؤلفات الإسلامية .

خامس عشر : دعوة الاتحادات المهنية فى الدول الإسلامية وأعضائها لعقد اتفاقيات مع نظرائهم على مستوى العالم الخارجى لعقد اتفاقيات لتعزيز التعاون والتبادل الثقافى ، ومن الممكن البدء فى ذلك بانشاء (اتحاد كتاب العالم الإسلامى و(اتحاد الناشرين الإسلاميين) و(رابطة الصحفيين المسلمين) و(اتحاد الإذاعات الإسلامية) وإعداد مشروع ترجمة طموح تقع على عاتقه مسئولية إعداد ترجمات دقيقة لأمهات الأعمال الخاصة بالعالم الإسلامى ، التى يكتبها باحثون مسلمون أو غير مسلمين .

وأخيرا أود أن أنبه إلى أن التركيز على المحور الإعلامى يستند إلى أن ثورة الإتصالات الحديثة جعلت ظواهر القهر ، وانتهاكات حقوق الإنسان فى أية دولة من دول العالم مسألة «عالمية» وسواء كان القهر قوميا أو عرقيا أو سياسا ، فان الأمر يتحول دوما الى مسألة لا تخص الدولة التى تجرى على أراضيها عملية الاستبداد ، وإنما تمس المجتمع الدولى ككل ، وبسرعة فائقة ويشكل ذلك قيدا كبيرا على قدرة الدولة على العسف والقوة تحسبا لردود الفعل العالمية .

كل ذلك قد حدث نتيجة لثورة الاتصالات الحديثة التى جعلت العالم قرية (إليكترونية) صغيرة ، وأضعفت من تأثير الحدود الجغرافية والحواجز الثقافية ، فقربت بين سكان المعمورة وأظهرت أهمية الالتفات إلى الهوية الذاتية للأمم وصقل العناصر التى ساهمت فى بنائها وشحذ العزائم والأسلحة للدفاع عنها ، وليس من المعقول أن تتنبه أجزاء كثيرة من العالم إلى ذلك وأن يبقى العالم الإسلامى غائبا عن المشاركة فى إرساء دعائم النظام العالمى الذى تتبلور معالمه ، وأن يظل خارج حركة التاريخ غافلا عن اتجاه مسيرته .

د.عبد الفتاح الرفاعى

الـدور العـلمى للـدول الإسـلامية

د. محمد رجائى الطحلاوى

عن «الدور العلمى للدول الإسلامية فى الحاضر الإسلامى والنظرة المستقبلية» كانت (الدراسة) التى أعدها الدكتور محمد رجائى الطحلاوى رئيس جامعة أسيوط حيث أكد أن المميزات والثروات الطبيعية فى العالم الإسلامى قد جعلته عرضة للأطماع بصفة مستمرة من جانب القوى المعادية للإسلام التى أغرقته بأنواع متعددة من الصراعات الدولية وصراعات الحدود والنظم السياسية (والايديولوجيات) الغريبة عنه والأفكار الشعوبية والقوميات حتى لاتتمكن البلاد الإسلامية من النهوض ومسايرة العصر .

وطالب الدول الإسلامية بأن تعمل جاهدة على التخلص من الصراعات الغارقة فيها واللحاق بالعصر والأخد بأساليب التقدم ورفض الدعاوى التى تنادى بالانفصال عن هذا العالم بالاعتماد على الذات ذلك أن الاعتماد على الذات وان كان الركيزة الأساسية فى سبيل النهوض إلا أن الدول الإسلامية فى حاجة ماسة إلى هذا العالم للإطلاع على تقدمه العلمى الهائل الذى يتطور يوما بعد يوم .

ونبَّه الباحث إلى أن حقائق الحياة فى الغالم تؤكد أنه لا مكان إلا للكيانات الكبرى والموارد الضخمة ولابد للدول الإسلامية ان تبحث لنفسها عن صيغ التعاون فيما بينها حتى تستطيع ان تجد موطىء قدم فى عالم التكتلات الاقتصادية الكبرى .

وقدم الباحث عدة توصيات طالب فيها بضرورة البحث عن صيغة للتعاون العلمى بين

الدول الإسلامية وتشجيع إقامة المؤتمرات والندوات العلمية (والتكنولوجية) من منظور إسلامى ، وإنشاء قاعدة وشبكة معلومات تربط أجهزة البحث العلمى فى دول العالم الإسلامى بعضها ببعض ، ونقتطف الجزء التالى من البحث لنقدم بعضه ، قال :

ومن السذاجة المفرطة أن نتصور أن هذا العالم المتقدم سيتيح للدول الإسلامية بسهولة الاطلاع على التقنية ونقلها إلى مجتمعاتها ، بالإضافة إلى أن تكلفة (التكنولوجيا) فى أكثر السلع والخدمات الحديثة أصبحت تفوق تكلفة المواد الأولية والعمالة الداخلة فى إنتاجها ، ونستطيع أن نتبين ذلك بوضوح فى الدول النامية ، كما أن العلاقات الدولية السائدة حاليا تضيف إلى هذه التكلفة أبعاداً سياسية وأمنية خطيرة ، ذلك ؛ لأن تكلفة التكنولوجيا تخطت حدود السلع والخدمات العسكرية إلى ما يسمى (بالتكنولوجيا الاستراتيجية) التى تتمثل فى التطورات (التكنولوجية) الحاكمة ، الأمر الذى لايجب أن تستسلم له الدول الإسلامية ، وتبدأ على الفور مرحلة من التعاون الثنائى والجماعى ، لاستثمار الثروة الكبيرة التى تملكها هذه البلاد من الباحثين ، وأبحاثهم التطبيقية لتطوير الإنتاج ورفع كفاءته ، وتوثيق الصلات والتعاون بين مراكز البحث العلمى ومراكز الإنتاج ، إذ أن الدول الإسلامية تملك بالفعل ثروة هائلة من العلماء والباحثين لايقل عددهم فى بلد إسلامى واحد وهو جمهورية مصر العربية عن (خمسين ألف عالم وباحث) من الحاصلين على شهـــادات الماجستير والدكتـــوراه غير البحوث الأخرى ، استفادت بهم الجامعات ومراكز البحوث ، بينما سافر منهم الكثير إلى دول عديدة . واستطاعوا أن يطبقوا بحوثهم فى هذه الدول .

الشيخ سيد سعود وكيلاً للأزهر

أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قراراً جمهورياً بتعيين فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود وكيلاً للأزهر الشريف .

وبهذه المناسبة تتقدم مجلة الأزهر بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ أحمد عطا سعود ، على هذه الثقة الغالية راجية لفضيلته وللأزهر الشريف دوام الرقى والتوفيق .

القرن الأفريقى وعوامل استقراره

للدكتور محمد عبدالعاطى

بدأ البحث بمقدمة عرّفت بدول القرن الأفريقى ، وهى : الصومال وأثيوبيا وجيبوتى والساحل الشرق لكينيا مبينا أهمية القرن دوليا من حيث الموقع الجغرافى إذ يتحكم فى مدخل البحر الأحمر حيث يمر البترول عبره من دول الخليج لأمريكا وأوربا ماراً بقناة السويس ، وكذا أهمية موقع القرن الافريقى على المحيط الهندى حيث أساطيل القوى العظمى .

ثم تناول الصراعات فى المنطقة والتى كانت مدخلا للتدخل الإسرائيلى والنفوذ الاستعمارى مؤكدا استيلاء أثيوبيا على أقليم أوجادين الصومالى فى منتصف الخمسينيات ، وضمها لأرتيريا سنة ١٩٦٢ ، وانتزاع بريطانيا لكل الساحل الكينى الذى كان خاضعا لزنجبار العربية كما استولت بريطانيا على إقليم (ناقض) الصومالى وضمته لكينيا ثم ضمت (طانجانيقا) (زنجبار) العربية سنة ١٩٦٤ ، ثم تفجرت مشكلة جنوب السودان منتصف الستينات .

وبعد استقلال الدول السابقة وانضمامها للمؤسسات وللهيئات الدولية قام الباحث بدراسة مشكلاتها التى تتعلق بالمصلحة العربية الإسلامية حيث إن استفحال مشاكل القرن يهدد الأمن لدول البحر الأحمر والمحيط الهندى والعكس صحيح .

وبعد المقدمة تناول الباحث الأمور التالية :

١ ـ الأطراف المتصارعة والتـــى تخضع مشكلاتها لاعتبارات مصلحية دفاعية واقتصادية وأيدلوجية فكرية ، وسماها عوامل ديناميكية .

٢ ـ الصراعات الأثيوبية فى القرن وساعد عليها عوامل طبيعية كالجفاف بالإضافة إلى الصراعات الداخلية والحرب الدائرة فى الشمال بينها وبين حركتى تحرير كل من إرتريا وشعب التجرى ومشكلات قبلية وعرقية ، فأثيوبيا تعرف بأنها (متحف السكان) وفى أقصى الشمال قبائل بنى عامر الحامية وشعب الأمهرا والزنوج والفلاشا واليهود السود أضف إلى ذلك التنوع الدينى من إسلام ونصرانية ؛ ناهيك عن التوترات الخارجية ثم تناول الباحث القضية الأرترية وهى قضية شعب يمثل أكثر من (٥) مليون نسمة من أصل (٤٧) مليون هم عدد السكان الكلى لأثيوبيا ، وأورد فى شأن استقلال أرتريا قول ممثل باكستان الذى جاء فيه : إنه من الواضح أن إرتريا المستقلة ستكون أكثر قدرة على الاسهام فى السلم والأمن عن أرتيريا الموضوعة فى اتحاد فدرالى مع أثيوبيا ضد الرغبات الحقيقية لشعبها وهو ما لم يُعمل به حيث لم يعط الأرتريون حق تقرير المصير إلا بعد حرب ثلاثين عاما استكمل الشعب الأرترى خلالها استقلال أراضيه وأقام حكومة مؤقتة ساعده على ذلك نهاية النظام المركسى الشمولى .

أما بالنسبة لقضية (شعب التجرى) فقد كونت جبهتها سنة ١٩٦٥ بغية قيام حكم ذاتى وحكومة مؤقتة ودستور وانتخابات حرّة ثم تفاوضت أثيوبيا مع الجبهة على تحقيق مطالبها شرط انسحاب الجبهة من الأراضى الأثيوبية التـــى احتلتها ، ثم تناول مشاكل أثيوبيا مع السودان والتى تحسنت العلاقات بينهما لوجود مصالح مشتركة ، ثم تناول أثيوبيا والصومال مؤكدا أن العلاقات بينهما طيبة ثم تناول مشاكل أثيوبيا مع كينيا ، وأثيوبيا مع الدول العربية والإسلامية .

ثم ناقش الأوضاع الصوماليـــة الداخليـــة والخارجية على القرن الافريقى ، ثم الأوضاع الداخلية والخارجية لجيبوتى وتأثيرها على نفس المنطقة ، واقترح لإصلاح تلك الأوضاع أمورا منها :

عدم التدخل الأجنبى وإجراء المفاوضات تحت إشراف منظمة الوحدة الإفريقية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والأمم المتحدة ومجلس الأمن .

ثم تناول القرن الافريقى فى عصر ما بعد الحرب

الباردة والذى نشأ عنه خريطة سياسية معقدة أسهمت فيها المنازعات الإقليمية والمجاعة والجفاف .

ثم تناول التعاون الإسرائيلى الأثيوبى وأثره على القرن الإفريقى .

وتمثل ذلك التعاون فى الاستعانة بإسرائيل فى تحديث أثيوبيا تقنيا وزراعيا وعسكريا بالاضافة إلى المساعدات الخارجية ، ثم أورد جداول مصنفة لمجالات التعاون بين البلدين شملت التعاون العسكرى والفنى والاقتصادى .

وتناول ما سماه آليات ذلك التعاون وقصد بها الأهداف والدوافع والظروف والأحوال التى كانت وراء نجاح ذلك التعاون ، وكان تهجير الفلاشا من أهمها ، وأنهى البحث بتأكيد تهديد ذلك التعاون الإسرائيلى الأثيوبى المشين للأمن العربى وهو شىء نودُّ ألّا يفوت القارىء الالتفات إليه والتعمق فيه .

حيث يقول الكاتب فى التعاون الإسرائيلى الأثيوبى ما نصه :

التعاون الاسرائيلى الأثيوبى وأثر ذلك على القرن الإفريقى :

تحظى العلاقات الإسرائيلية مع الدول الإفريقية جنوب الصحراء بأهمية خاصة من منظور السياسية الخارجية الإسرائيلية وذلك منذ الزيارة الأولى التى قامت بها جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل لافريقيا عام ١٩٥٨ ، ولقد اتسمت العلاقات منذ عام ١٩٥٨ وحتى عام ١٩٦٠ بكونها علاقات محدودة وتجريبية .

إلا أنه فى الفترة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٣ أخذت تلك العلاقات تنشط عقب استقلال إحدى وعشرين دولة افريقية من المتحدثة بالانجليزية والفرنسية جنوب الصحراء ، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين اسرائيل وهذه الدول .

ولا يخفى أن توطيد إسرائيل لعلاقاتها مع إفريقيا جاء نتيجة لآمال ورغبات متبادلة عكستها أهداف السياسة الخارجية لكل منها .

فمن ناحية ظلت رغبة الدول الافريقية حديثة الاستقلال فى التحديث تكنولوجيا ، وزراعيا وعسكريا بمثابة الاهتمام السائد لغالبية هذه الدول ، ومع تباين الدرجة حول مدى اعتماد دول افريقيا على المساعدات الخارجية ، فقد مثلت اسرائيل على وجه الخصوص مصدر جذب خاص للمساعدات ، وذلك لأسباب منها :

١ ــ هو أن إسرائيل برغم أنها مقيدة باعتبار الميزانية إلا أنها لم تكن جزءا من الميراث الاستعمارى ، كما لم تشكل تهديداً لوحدة افريقيا نظرا لمواردها وحجمها المحدودين .

٢ ــ أن السياسة الخارجية لافريقيا ، كانت تهدف إلى تفادى السيطرة والهيمنة من قبل قوى خارجية سواء كانت أوربيين أو أسيويين أو عربا لقد استفادت اسرائيل من فتور العلاقات بين بعض الدول الإفريقية والعربية ، لذلك سارعت فور اعلان استقلال دول إفريقيا إلى تبادل التمثيل الدبلوماسى معها إلى جانب عرضها الرسمى بتقديم المساعدات لتلك الدول . والمعروف أن الأدوات الاقتصادية كانت إحدى الوسائل الهامة التى استندت إليها إسرائيل فى تحركها نحو القارة .

وقد تعددت أوجه النشاط الإسرائيلى فى القارة خاصة فى مجال الزراعة والمشروعات المشتركة ، وحاولت إسرائيل استغلال الظروف الصعبة للدول الإفريقية حديثة الاستقلال ومنها تدهور أوضاع الزراعة منها ، فحاولت أن تقدم لهذه الدول حلولا لمشكلاتها الزراعية مستقاة من تجاربها فى الزراعة .

وكذلك نجحت إسرائيل فى إقامة مشروعات مشتركة مع دول القارة لخلق نوع من الترابط المصلحى كان من نتيجتها ازدياد التبادل التجارى ، وتكوين شركات تجارية متعددة تتخصص فى التعامل مع الدول الافريقية ، وتقديم قروض وتسهيلات ائتمانية إلى جانب اتفاقيات النقل الجوى والتدريب المهنى والفنى .

ويمكن القول أن إسرائيل كانت تهدف من وراء مخططها فى إفريقيا إلى كسب صداقة هذه الدول بما يتيح لها تجاوز حزام المنطقة العربية المفروض حولها ، وتطويق الدول العربية المعادية وهناك دول صديقة لإسرائيل مثل تركيا فى الشمال ، وإيران فى الشرق ، ودول إفريقيا فى الجنوب وفى الوقت الذى تمكنت فيه إسرائيل من التغلغل داخل أفريقيا وبالذات فى القرن الإفريقى لم يكن هناك اهتمام عربى يذكر بها ، فطوال عقدى الخمسينات والستينات لم يكن هناك أى تعاون عربى افريقى رغم توفر جميع العوامل التى تدفع إليه ، مما ساعد على نجاح السياسة الإسرائيلية هناك بحصولها على تأييد الدول الإفريقية لسياستها الخاصة بدعم الوجود الإسرائيلى والخروج من العزلة السياسية ، ولذلك كان من الطبيعى أن تظل منظمة الوحدة الإفريقية مجمدة لعدة سنوات عن الإدانة الحاسمة للعدوان الاسرائيلى على العرب ، ولكن حرب ١٩٦٧ أدت إلى تغيير موقف بعض الدول الافريقية ، إذ ساعدت على كشف حقيقة السياسة الاسرائيلية العدوانية ، فأيدت السنغال القرار رقم ٢٤٢ وقطعت علاقاتها مع إسرائيل ، وجاءت حرب ١٩٧٣ لتزيد الاتجاه الافريقى المؤيد للعرب ففى نهاية ديسمبر ١٩٧٣ بلغ عدد الدول الإفريقية التى قطعت علاقتها مع اسرائيل ٤٢ دولة

وكان ذلك تعبيرا عن التضامن السياسى الافريقى مع العرب ، ومن هنا بدأ التفكير فى تأكيد التضامن السياسى بتدعيم التعاون الاقتصادى بين العرب والافارقة ، ومن هنا كان التفكير فى بدء حوار عربى أفريقى .

لقد أتاح وقف الحوار العربى الافريقى لاسرائيل فرصة لاسترجاع موقفها داخل القارة الافريقية ، معتمدة فى ذلك على المساعدات العسكرية والاقتصادية التى دأبت على استخدامها هناك ، وجاءت المعاهدة المصرية الاسرائيلية التى وقعت عام ١٩٧٩ ، لتساعد اسرائيل فى تحركها الافريقى ، إذ حاولت اسرائيل على أثرها الترويج بأن أسباب المقاطعة الافريقية لاسرائيل قد انتهت ، وكانت زائير أول دول افريقية تستجيب لهذه المساعدة وأعلنت عن عودة علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى مايو ١٩٨٢ .

الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمشكلة الصومال

للدكتورة سهير حسن عبدالعال

بدأ البحث بمقدمة ركزت على صعوبة تطبيق (الديمقراطية) فى الصومال وهو مادلت عليه الأحداث التى شهدتها البلاد منذ انهيار نظام « سياد برى » فى يناير سنة ١٩٩١ حتى الآن . وهى نتيجة طبيعية لنزعته الشريرة فى إحياء النزاعات العشائرية والقبلية داخل المجتمع الصومالى البائس ، والتى أدت إلى حرب أهلية دامية ضاعت معها أو تكاد بنْية الدولة الصومالية المهترئة .

إن دراسة التركيب العرقى والسياسى والاجتماعى هو أفضل المداخل لاستجلاء المشكلة وانعكاساتها ، كما أكدت ذلك الباحثة التى أخذت فى إبداء بعض الملاحظات التى صاحبت الأزمة الصومالية ، وقد فشل التوحد العرقى والثقافى فى النأى بالصومال عن الحروب وكذا نقص المعونات الغذائية ، ثم أخذت الباحثة فى تقَصِّى المشكلة تاريخيا منذ استقلال الصومال عام ١٩٦٠ حيث تناولت جذور الأزمة التى كان أولها :

فرض الشماليين للوحدة على الجنوبيين مما دفع الآخرين إلى فرض شروط مجحفة تمثلت فى استيلائهم على ثلثى أعضاء البرلمان بمجلسيه النيابيين فسادوه تماما كما سادوا فى مناصب رياسة الجمهورية ورئيس الوزراء واستأثروا بالعاصمة مما لم يرض الشماليين .

وبينت الباحثة وجود تيارين : أحدهما الأقرب للثقافة الإسلامية والانتماء العربى والثانى : التيار المنخرط فى الحضارة الغربية واللغة اللاتينية مما أدى إلى الصدام بينهما ثم الارتماء فى أحضان الحكم الشمولى الذى تدعمه أسس عشائرية تم فيها تجاهل العدالة الإجتماعية . كما حُلّت الأحزاب ، وألغيت المحكمة العليا ، واعتمدت الماركسية اللينينية عقيدة رسمية ، واستبدلوا بالإسلام الاشتراكية العلمية اليسارية ، وهى الفلسفة التى نادى بها رئيس السنغال السابق سنجور .

وتميز ذلك الحكم بالصراع الطبقى والفساد المادى .

وأكدت الباحثة عدم ملاءمة تلك الفلسفة للمجتمع الصومالى الفقير أصلا ، مما أوقعه ــ حين محاولة تطبيقها على المسلمين ــ فى تناقض حيث لم يذكر فى الدستور أن دين الدولة هو الإسلام .

هذا وقد قامت جبهات معارضة بالحزب الشمولى هناك عَبّرت عن نفسها فى محاولات عدة لقلب نظام الحكم ومن أشهر هذه الجبهات جبهة الخلاص الصومالى ، وحركات التمرد الأخرى . وكانت أسباب الانقلابات دائما تتمثل فى تحيز (برى) لعائلته وإعطائها أعلى المناصب .

هذا بالإضافة إلى إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى الذى أدّى بدوره إلى تدهور الأحوال كنتيجة طبيعية لطرد الخبراء الروس .

وقد كان لتوطين البدو فى المناطق الصالحة للزراعة أثره السيىء على الرعاة .

كذلك فإن علماء الدين رفضوا أمورا منها : المساواة التامة بين الرجل والمرأة فى الميراث ، ومنع

تعدد الزوجات ؛ إذ رأوا فيها مخالفة صريحة للإسلام .

كما عارض مثقفو الصومال الانضمام للجامعة العربية .

وإلى ذلك كان للعامل الاقتصادى وما جَرَّهُ من قروض وديون ثقيلة ذات خدمات وفوائد أَثَرُهُ السيء .

هذا وقد أوردت الباحثة نسبا ضخمة تعبر عن التضخم وتقلص الناتج القومى ، وانحداره .

قسمت الباحثة الصومال إلى تركيبات أفقية (سلالات وقبائل) وتركيبات رأسية (طبقات متباينة) .

تنقسم الصومال إلى قبائل الدارود والهاوية والأسحق التى تنقسم بدورها إلى عشائر وبطون غير قابلة للانصهار فى المجتمع الصومالى .

ثم تناولت الباحثة الأزمة السياسية وتطورها وكيفية توزيع الخريطة السياسية هناك ، حيث تنازعت الصومال قوى أربعة هى :

١ ـ الرئيس الصومالى المؤقت على مهدى محمد .

٢ ـ رئيس المؤتمر الصومالى الموحد الجنرال محمد فارح عيد .

٣ ـ الرئيس الصومالى المخلوع والعشائر المؤيدة له .

٤ ـ رئيس الحركة الوطنية الصومالية عبدالرحمن على نور الذى أعلن نفسه رئيسا لجمهورية أرض الصومال . هذا ولم تفلح كل المحاولات العديدة فى إيقاف السلب والنهب الذى استشرى ، ولا حتى فى إيصال المعونات الغذائية للملايين التى يُبيد الجوع معظمها بلا رحمة .

ثم تناولت الباحثة محاولات دول العالم لإغاثة منكوبى الصومال مؤكدة أن منظمة الوحدة الأفريقية فشلت كعهدها فى هذه المهمة وفى أماكن أخرى من القارة السوداء كما لم تفلح الجامعة العربية كذلك ولا الأمم المتحدة فى أىٍّ من مهامها هناك وأخيراً تناولت الباحثة وسائل إصلاح الأحوال المنهارة فى الصومال وفى هذا السياق طرحت خططا قريبة المدى تتمثل فى بدء الحوار بين الشمال والجنوب وذلك لاقامة اتحاد (فيدرالى)[1] أو (كنفدرالى)[2] بينهما ، وخططا بعيدة المدى توجب على كافة القوى السياسية هناك أن تعيد طرح كافة القضايا الخلافية والمصيرية للوصول إلى حلول ناجعة لها ، ومن هذه القضايا الانتماء والثقافة واللغة والدستور والاقتصاد وغيرها ، وبغير ذلك التحرك الواعى يصبح الحديث ـ عن مستقبل النظام الديمقراطى التعددى وتماسك السلطة هناك ـ نوعا من الترف .

هذا وقد رسمت الباحثة صورة للمجتمع الصومالى على الرغم من قتامتها إلا أنها تُعد واضحة حيث تقول :

أما القسم الثانى للتركيب الاجتماعى فى الصومال ، وهو تقسيم الشعب إلى عدة فئات اجتماعية تتباين حسب العمل الذى تقوم به .

ويشكل الرعاة النسبة الغالبة من الصوماليين ، فحتى سنة ١٩٧١ كانت هذه

---

(١) اتحاد بين وحدات سياسية تتنازل عن سيادتها الفردية لسلطة مركزية ولكنها تحتفظ بسلطات حكومية محدودة . (راجع المورد : مادة Con. Federal,) .

(٢) اتحاد دول ، تحالف .

النسبة تصل إلى ٨٠٪ من السكان ، غير أن القحط الذى أصابهم فى أوائل السبعينيات قد خفض كثيرا من هذه النسبة ، نتيجة للكميات الكبيرة من الماشية التى نفقت من الجفاف ، والتى اتجه أصحابها إلى العمل كمزارعين فى الحقول ، أو كأيدى عاملة فى المدن ، وقد شجعت الحكومة هذا الاتجاه وعملت على توطين كثير من البدو فى المناطق الصالحة للزراعة ؛ لزيادة الأيدى العاملة الزراعية التى يقل عددها عن حاجة الأرض . وتشكل نسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز ٧,٠٪ منهم ، ويُعتمد عليهم فى حراسة أغنام بعض الأغنياء من البدو .

أما المزارعون ، فقد زادت نسبتهم إلى إجمالى الشعب عن ٢٠٪ ، وذلك نتيجة لظروف القحط السابق ذكرها ، ويمثل العمال الصناعيون نسبة ضئيلة من المجتمع الصومالى ، فهم حوالى ١٪ من مجموع الصوماليين القادرين على العمل ، ويعود ذلك إلى أن النشاط الصناعى فى الصومال محدود للغاية ، ومحصور تقريبا فى بعض الصناعات الغذائية والاستهلاكية البسيطة .

وهناك فئة أخرى من الصوماليين لا تتميز بنوع خاص من الأعمال وهى مكونة من أفراد تركوا مهنتهم الأصلية من رعى أو زراعة ، وهاجروا إلى المدينة للبحث عن عمل وهم يقومون فيها بأعمال مختلفة ، كثير منها موسمى ، وقد تدفع الحاجة بعض العاطلين منهم إلى الجريمة والانحراف .

وتبقى فئات اجتماعية أخرى يمكن حصرها فى رجال الدين والبرجوازية والمثقفين ، وينتمى رجال الدين إلى عدة طرق صوفية نذكر أهمها : الطريقة القادرية وتعتبر أقدم الطرق الصوفية التى دخلت الصومال وقد قوى تأثيرها فى البلاد فى القرن التاسع عشر ، والطريقة الثانية هى الطريقة الأحمدية وقد دخلت الصومال فى القرن التاسع عشر ، ونافست القادرية فى عدد مريديها الذين تركزوا فى المناطق الخصبة .

وآخر الطرق الصوفية التى أدخلت إلى الصومال هى الطريقة الصالحية ، وقد كان لرجال الدين دور هام فى الصومال فى أوائل هذا القرن ، وذلك من الناحية الاجتماعية والسياسية ، فقد أسسوا قوى جديدة ، وجمعوا فيها مريديهم من مختلف القبائل ، وكان الهدف وراء ذلك نشر تعاليم الإسلام من خلال الطريقة الصالحية وتجميع الصوماليين للنضال ضد الاستعمار .

أما البرجوازية فتنتمى الغالبية العظمى من أفرادها إلى فئة الأجانب ، فالايطاليون ينشطون فى زراعة الموز ، والتجارة ، أما الجاليات العربية ـ وبخاصة اليمنيون الجنوبيون ـ والهنود والباكستانيون فهم رجال أعمال وتجار ، وتكاد هذه الفئة ـ الثرية من رجال الأعمال ـ تخلو من الصوماليين ، فالغالبية العظمى من التجار الوطنيين يقومون بالنشاط التجارى البسيط ؛ لسد حاجات جمهرة الفلاحين والعمال والدعاة .

ومما لاشك فيه أن تحديد هذه الفئات المتباينة السابقة فى المجتمع الصومالى كان من أسباب الصراع والخلاف بينهم مما أشعل الحرب الأهلية الدامية .

المركز القانونى الدولى لمدينة القدس

للأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام

أستاذ القانون الدولى

مقدمـــة :

من المسائل التى تثير مشاكل كبيرة فى المفاوضات الجارية بين الأطراف العربيـــة والطرف الإسرائـــيلى ، إيجاد حل لمشكلـــة القدس ، وتحاول إسرائيل أن تباعد بينها وبين أن توضع فى جدول المفاوضات حالياً حتـــى لا يؤدى الخلاف حولها إلى إنهاء المفاوضات كلها .

وفى تقديرى أن أصعب نقط الخلاف بين الطرفين ستكون مسألة القدس ؛ لذا خصصت هذا البحث للحديث عنها للعديد من الأسباب أجملها فيما يلى :

فالقدس أهم مدينة فى العالم كله من حيث عدد المقدسات الموجودة فيها ، ومن حيث عدد من يقدسها من الناس ، فيها العديد من المقدسات الإسلامية مثل : المسجد الأقصى وقبة الصخرة ،

والعديد من المساجد والأضرحة الإسلامية . وفيها أهم المقدسات اليهودية ، المعبد أو هيكل سليمان ، وفيها أخيراً طائفة واسعة من المقدسات المسيحية على رأسها كنيسة القيامة .

وعلى ذلك فإذا كانت هناك حاجة إلى حماية المقدسات الدينية ، فإن مدينة القدس تعد المجال الطبيعى لأعمال قواعد الحماية القانونية للمقدسات الدينية .

وإلى القارىء نص حديث الأستاذ الدكتور فى :

«تطور المركز القانونى الدولى لمدينة القدس»

توافرت مجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية والدينية على إعطاء أهمية خاصة لمدينة القدس ، وجعلت منها دائماً مدينة تختلف فى وضعها ربما عن أية مدينة أخرى فى العالم ، إذ أن المدن المقدسة الأخرى تتوافر صفة التقديس فيها بالنسبة لديانة واحدة مثل مكة أو المدينة بالنسبة للمسلمين ، أو الفاتيكان بالنسبة للمسيحيين ، إنما القدس هى المدينة المقدسة بالنسبة لاتباع الديانات السماوية الثلاثة ، اليهودية والمسيحية والإسلام .

لذا ؛ تمثل الدراسة القانونية الدولية لمدينة القدس حلقة هامة من سلسلة حلقات الدراسات التى يعقد هذا المؤتمر لإبرازها ، ذلك أن المؤتمر يهتم بدراسة المقدسات الدينية والقيم الثقافية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، ولا شك أن القدس تعد نموذجاً لتجسد المقدسات الدينية ، ولتجسد الانتهاكات التى تجرى للمقدسات فى أراضى فلسطين المحتلة كذلك فيها .

نقول : إن القدس تتجسد فيها مشكلة المؤتمر ، ومشكلة الدراسات القانونية الدولية التى تتصل بالمقدسات الدينية بشكل عام ، لأنه لا يوجد فى العالم مكان يتوافر فيه كل هذه الكمية من المقدسات بالنسبة لديانات ثلاث ؛ لذا فقد شهد صراعاً دولياً يكاد أن يكون مستمراً بين القوى الدولية المختلفة التى سادت ثم بادت وظهرت غيرها وهكذا حتى الآن . هذا الصراع يتصل بالقدس وبالسيادة عليها ، والسيطرة على الأماكن المقدسة فيها .

وليس من هدفنا فى هذه الدراسة أن نعرض تفصيلاً للتاريخ السياسى والقانونى لمدينة القدس لأن ما يهمنا أكثر هو الوضع القانونى لهذه المدينة فى الوقت الحاضر ؛ لذا فإن ما نعرضه قبل ذلك انما نستهدف به توضيح الوضع الحالى ؛ لذا لن نطيل الحديث فيه .

وإذا كان التاريخ الحضارى للعالم يبدأ بالحضارات القديمة فقد رأينا صلات وثيقة بين القدس والحضارات القديمة جميعها المصرية والآشيورية والبابلية ، بل كانت محلاً لصراع طويل بين مختلف الحكام والحضارات .

ويهمنا من حلقات هذا الصراع ذلك الذى قام بين العبرانيين ــ اليهود ــ والسكان الأقدمين للقدس من « البيوسيين » ، والذى انتصر فيه العبرانيون ــ اليهود ــ وأسسوا أول دولة فى فلسطين فى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد بعد حرب طاحنة سفكت فيها دماء غزيرة ثم حلقات الصراع بينهم وبين الحضارات الأخرى التى سادت فى الشرق والتى قضت على هذه الدولة فى عصر أبناء

سليمان ، لينتهى وجود هذه الدولة إلى الأبد . وقد سيطرت حضارة اليونان وحضارة الرومان بعدها على العالم ، وسيطرت على القدس ، ثم قامت الحضارة الإسلامية بعد ذلك وأنهت الحكم الرومانى لهذه الدولة ليتم تعريب المدينة وليستمر الحكم العربى الإسلامى لها حتى بداية هذا القرن ، وإن تخلله فترة حكم صليبى متعصب قام به الغرب المسيحى فى إطار ما عرف تاريخياً بالحروب الصليبية ، كما أنه من الضرورى أن ننوه إلى أن مراكز السيطرة الإسلامية على المدينة قد انتقلت من الحكم الإسلامى للخلفاء الراشدين إلى حكم بنى أمية إلى حكم بنى العباس ، ثم يشهد السيطرة الفاطمية فالأيوبية فالمملوكية فالعثمانية وإن ارتبط جزء هام من تاريخ المدينة بصلاح الدين الأيوبى وانتصاره على الصليبيين وإخراجهم من القدس ليضع أسساً للتسامح والمحبة فى هذه المدينة المقدسة . وبعد الحكم العثمانى وقعت القدس فى يد الاستعمار البريطانى بدءاً من عام ١٩١٧ ، ليسلمها للإستعمار الصهيونى بدءاً من عام ١٩٤٨ ـ لتدخل أتون الصراع الحضارى بين العرب والصهيونية وتمر بحلقات غريبة تظهر ما يضمره الغرب للعرب والمسلمين من كراهية ولتشهد تأثيراً له أهميته بالقوى الدولية المختلفة والتعرض كذلك على منابر الهيئات الدولية والمنظمات الدولية لعالمنا المعاصر . وسنلم بأطراف هذا الصراع سريعاً فى هذا القسم .

الفصـــل الأول

القدس تحت سبطرة العبرانيين

الواقع أنه لا خلاف حول أن أول من سكن مدينة القدس وسيطر عليها هم البيوسيون ـ ، وينحدر البيوسيون من الكنعانيين وهم فرع من الساميين الذين نزحوا من الجزيرة العربية وسكنوا المدينة وعمروها من قبل الميلاد . لذا كان الاسم الأول لمدينة القدس فى هذا التاريخ الغابر هو « بيوس » .

وبين البيوسيين والعبرانيين ـ اليهود ـ قامت معركة هامة (عام ١٠٠٠) قبل الميلاد انتهت بانتصار العبرانيين على يد « داود » الذى كون أول مملكة يهودية فى فلسطين فى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . وخلفه فى حكم المدينة ابنه سليمان والذى كان نبياً كأبيه ، بالإضافة إلى كونه رجل إدارة وتعمير ، بينما كان يغلب على أبيه صفة أنه رجل حرب شجاع .

وتغير اسم المدينة فى عصرهما إلى « أورشليم » وقام سليمان ببناء المعبد وقيل : إنه اختار لهذا المعبد جبل الموريا لاعتقاده إن إبراهيم شرع فى ذبح ولده إسحق عليه[1] .

---

(١) يوصف هذا المعبد فى الإصحاحين السادس والسابع من سفر الملوك بأنه بنى فى سنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من مصر .

وكلم الرب سليمان قائلاً : هذا البيت الذى أنت بانيه ان سلكت فيه وأن البيت طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً . وقد بنى البيت من الحجارة .

وكلم الرب سليمان قائلاً : هذا البيت الذى أنت بانيه ان سلكت فيه فرائضى وعملت أحكامى وحفظت كل وصاياى للسلوك فيها فانى أقيم معك كلامى الذى تكلمت به إلى داود أبيك وأكلك فى وسط بنى اسرائيل ولا أترك شعبى اسرائيل .

(راجع : د. عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، الهيئة المصرية الكتاب) . (١٩٧٤ .. ص٦٢) ..

قوله : « شرع فى ذبح ولده إسحق عليه » . هذا حديث اليهود . أما الذبيح بحق فهو إسماعيل .

وهكذا شهدت المدينة فى مرحلة من الزمن دولة عبرانية قامت عليها أسسها النبى داود خلفه فى حكمها ابنه سليمان الذى تم تشييد المقدسات الدينية اليهودية فى عهده ، فقد بنى المعبد الهام للدين اليهودى الذى أطلق عليه « هيكل سليمان » بناه بيتاً للرب كما تشير نصوص التوراه . ولكن اليهود لم يوقروا حرمة هذا البيت فى عهودهم المختلفة ؛ لذا يسجل التاريخ عنهم أنهم « اعتدوا على حرمة هذا المعبد وأضاعوا بهاءه ورونقه ، إذ حولوه إلى سوق للبيع والشراء ، ويتزاحم فى ساحته تجار الثيران والكباش والحمام ويصبح مربطاً للأنعام فى عهودهم الأولى » وهكذا غطى خوار البقر وثغاء الأنعام على صلوات الكهنة وتراتيل اللاويين . لذا تنبأ المسيح بنهاية هذا البناء وقال لتلاميذه : « أترون هذه الأحجار العظيمة ، لا يترك حجراً على حجر إلا وينقض » . وقد تحققت نبوءته قبل خمس وثلاثين سنة على هذا الحديث ، إذا اختفى هذا الصرح من البناء بعدها[٢] .

ولم تستمر هذه الدولة العبرانية طويلاً فقد أنقسمت فى عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما إسرائيل ويهوذا ، حيث اتخذت مملكة يهوذا من القدس عاصمة لها ، وتعرضت المملكتان للتدمير الشامل . فقد قام الآشوريون مملكة إسرائيل فى القرن الثامن قبل الميلاد وأسروا سكانها « السبى الأول » . وتحطمت المملكة الثانية فى عام ٥٨٧ ـ القرن السادس قبل الميلاد على يد نبوخذنصر الذى حطم هيكل سليمان ومدينة القدس وأخرج سكان المدينة منها محققاً ما أطلق عليه السبى الثانى حيث أخذهم إلى بابل كأسرى بعد أن ذبح قائدهم وقتل أبناءه . وبذلك ينتهى عصر السيادة اليهودية على فلسطين . لذا فإن مجموع عمر هذه الدولة هو ٤١٣ سنة تقريباً .

ومن المؤكد أن اليهود عادوا بعد هزيمة كورش للبابليين فى عام ٥٣٩ وأعادوا بناء المعبد ، ولكن فلسطين خضعت فى هذه المرة للحكم الفارسى ولم تحكم منهم بعد ذلك أبداً[٣] وتفصيل ذلك أن الدولة الفارسية سقطت فى يد الإسكندر الأكبر الذى وصل إلى أورشليم واستولى عليها ، وقام بهدم المعبد مرة ثانية فى عام ١٧٠ قبل الميلاد[٤] ، وخضعت فلسطين بعد ذلك للحكم الرومانى فى

---

(٢) راجع فى تفاصيل هذه المرحلة :

Joelle Ie Morzellec, Ia question de jerusalem devant I, organisiation des Nation unies, Toom I, P.13, thise, lym III1976.

وقد روى عن الرسول ـ ﷺ ـ أن الله أوحى إلى داود أن ابن لى بيتاً اذكر فيه ، فخط داود خطة بيت المقدس فإذا تربيعه بيبت رجل من بنى اسرائيل فسأله داود أن يبيعها أياه فأبى . فحدثته نفسه أن يأخذه ، فأوحى الله إليه أن ياداود أمرتك أن تبنى لى بيتاً أذكر فيه فأردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب ، ان عقوبتك ألا تبنيه . قال يا رب فمن ولدى ، قال فمن ولدك ، وبناه سليمان بن داود .

(٣) من الثابت أنه بعد أن قضى كورش على مملكة البابليين ، حكم الفرس الامبراطورية البابلية كلها حتى حدود مصر . وقد منح الفرس المسبيين من اليهود حق العودة إلى أورشليم وعاد بعضهم وفضل البعض الآخر البقاء فى المنازل التى أقاموها على نهر دجلة . ولكن « كورش » شرع فى إعادة بناء المعبد ومات قبل أن يكمله وأتم « خحمينا » البناء فى ٤٥٢٥ قبل الميلاد وحدد حدود مدينة القدس بأنها « بلدية القدس الحالية والمراكز والقرى .

(٤) كان ذلك فى القرن الثالث قبل الميلاد وخضعت أورشليم لحكم بطليموس الذى نقل كثيراً من الأسرى اليهود إلى الاسكندرية حيث اتخذها عاصمة لدولته .

عام ٦٣ قبل الميلاد . وقام اليهود بثورة كبرى ضد هذا الحكم أدت إلى التخلص منهم نهائياً من المدينة فى عام ٧٠ قبل الميلاد ، وتم إزالة أورشليم حيث قام الرومان ببناء مدينة أخرى فوقها سميت باسم « إيليا » .

ويجب التوقف عند مرحلة الحكم الرومانى للمدينة إذ قد استمر فترة طويلة لنتعرف على بعض الأحداث الهامة التى وقعت وأثرت فى تاريخ المدينة .

الفصـــل الثـــانى

القدس تحت السيادة الرومانية

تمتد فترة السيادة الرومانية على القدس منذ عام ٦٣ قبل الميلاد إلى عام ٦٣٧ ميلادية ، وهو التاريخ الذى دخل فيه المسلمون المدينة بعد هزيمتهم للرومان ، وإن كانت السيطرة الرومانية على المدينة لم تكن كاملة فى بعض الفترات ؛ حيث كان الصراع بين الرومان واليهود على أشده ، خاصة بعد مولد المسيح وظهوره فى فلسطين قرب المدينة المقدسة ، التى شهد معبدها محاوراته مع كهنتهم ، ومحاولاتهم العديدة التخلص منه ، حتى شرعوا فى قتله ، ورفعه الله إليه وخلصه من شرورهم .

ولعل بداية التقديس المسيحى للمدينة ترجع إلى اعتناق الإمبراطور الرومانى قسطنطين المسيحية فى القرن الرابع الميلاد وإعلانها دينا رسمياً للدولة عام ٣١٣م ، وإلى قيام والدته الإمبراطورة هيلانه بزيارة المدينة عام ٣٣٦ وحصرها للأماكن التى شهدت دعوة المسيح وتباركت به ثم إقامتها لكنيسة القيامة التى يعتقد المسيحيون أن المسيح مدفون فيها(٥) .

ومن أهم الأسماء التى برزت فى هذه الفترة اسم الإمبراطور الرومانى هورديان إذ شهد اليهود نهاية درامية لهم ولمدينتهم على يديه ، فقد حول المدينة إلى مستعمرة يهودية وغير اسمها إلى « إليا » كابتولينا وحظر عليهم تأدية بعض المراسم والعادات اليهودية ، مما جعلهم يثورون عليه بقيادة باركوخيا وينجحون فى السيطرة على المدينة لمدة ثلاث سنوات وقام هورديان بنفسه بقتل ماركوخيا والقضاء تماماً على الوجود اليهودى بالمدينة ، حيث حظر عليهم دخول المدينة وبقى هذا الحظر مستمراً منذ عام ١٣٥ ميلادية وحتى دخول المسلمين فيها عام ٦٣٧ ، وأن سمح لهم فى بعض الفترات بدخول المدينة يوماً واحداً فى العام وبالحج إليها فى فترات أخرى كان الحكام الرومان للمدينة فيها أكثر تسامحاً .

وقد ظهر أثر هذا الحظر واضحاً فى العهدة العمرية ، أى فى الاتفاق الذى أبرم بين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وصفرتيوس حيث جاء نص صريح فيه يقرر أن « لا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود » .

الفصـــل الثـــالث

القدس مدينة عربية إسلامية

دخل المسلمون القدس عام ٦٣٧م كما أسلفنا فى فترة حكم الخليفة العادل عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وقد حكم المسلمون هذه المدينة منذ هذا التاريخ وحتى سقوطها فى يد الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧ فى إطار الحرب العالمية الأولى عندما كانت إحدى مدن إقليم

---

(٥) بنيت العديد من الكنائس الأخرى فى العصر الرومانى أهمها كنيسة القلب المقدس ، ودير بطرس ناسفور ، ثم كنيسة الصعود التى يعتقد المسيحيون ان المسيح صعد من المكان الذى بنيت عليه إلى السماء .

فلسطين التابع للدولة العمثانية التى خسرت الحرب أمـــام الأعـــداء الأوروبين من دول الحلفاء[٦] .

والواقع أن الطابع العربى الإسلامى قد أثر تأثيراً واضحاً على المدينة وتاريخها ، فإلى جانب بروز مقدسات إسلامية لها أهميتها ، حكم المسلمون مجتمعاً له مقدساته الأخرى ، اليهودية والمسيحية ، هذا الحكم تميز بإجماع المؤرخين بالـــتسامح وبالسماح بممارسة شعائر كافة الأديان فى المدينة ، وقد ظهر هذا التسامح والاحترام لمشاعر وعقائد وشعائر الآخرين منذ دخول خليفتهم العادل عمر إلى المدينة وعلى مدار الحكم الإسلامى على اختلاف القائمين عليه وحتى سقوط المدينة بيد الاستعمار البريطانى عام ١٩١٧ .

فمن ناحية نجد أن الخليفة عمر حرص على أن تظل كنيسة القيامة ــ وهى المكان المقدس لدى المسيحيين ــ بأيديهم وباعد بينها وبين أن تكون مكاناً مقدساً للمسلمين برفض الصلاة فيها ، كذلك فقد « أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم .. وعلى أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهــون على دينهم ولا يضار أحـــد منهم .. » ، الأمر الذى يعد قمة فى التسامح ، والذى أوضح النمط الذى يجب أن يسود بالنسبة للأماكن المقدسة .

وقد بحث عمر ــ رضى الله عنه ــ عن مكان المسجد الأقصى ويقال أنه صلى بمكان قريب من صخرة يعقوب على أطلال هيكل سليمان ، وفى هذا المكان أقيم مسجده بشكل بدائى فى النهاية ، واهتم عمر كذلك بالصخرة فمحاً بيديه ما وجد فيها من قاذورات وتبعه المسلمون ، وظلت الصخرة محل عناية المسلمين حتى جاء عبد الملك بن مروان وأقام عليها القبة الشهيرة[٧] .

وقد اهتم عبد الملك بن مروان بالأماكن المقدسة أكثر من ذلك إذ جدد بناء المسجد الأقصى ، وبنى كذلك مسجد الصخرة .

وعلى مدار التاريخ الإسلامى للمدينة بنيت العديد من المساجد والمدارس والتكايا الإسلامية لتعطى الطابع العربى الإسلامى لهذه المدينة .

وقد حكمت المدينة من قبل الخلفاء الراشدين الأربعة ، ثم فى عهد الأمويين زاد الاهتمام بها ، وفتر هذا الاهتمام فى عهد العباسيين ، حيث شهدت المدينة سيطرة صليبية عليها امتدت أقل من قرن وتم تطهيرها منهم على يد صلاح الدين الأيوبى ، لتنتقل إلى الحكم المملوكى ثم العثمانى بدءاً من عام ١٥١٧ وحتى ١٩١٧ .

وهكذا نجد أن حكم المسلمين للمدينة قد دام ثلاثة عشر قرناً بينما لم يستمر الحكم اليهودى للمدينة أكثر من ثلاثة قرون فى العصور الغابرة ، فى حين أن الحكم الرومانى قد استمر حوالى أربعة قرون .

---

(٦) تمثل ذلك فترة قصيرة هى التى عرفت فى التاريخ باسم الحروب الصليبية استولى فيها مسيحيون من أوروبا على بيت المقدس وأسسوا مملكة فيه استمرت فى الفترة من ١٠٩٩ حتى أجلاهم صلاح الدين عنها فى عام ١١٨٧ ، وإن كان ذلك قد دفع الغرب إلى توجيه حملة صليبية ثالثة عام ١٩١١ لم تنجح فى استرداد المدينة المقدسة ، وإن حصل الصليبيون على بعض المزايا من خلال صلح الرملة الذى أبرموه مع صلاح الدين عام ١١٩٢ .

(٧) ترجع قداسة الصخرة عند المسلمين إلى رحلة الإسراء والمعراج فقد ورد أن الرسول ــ ﷺ ــ صعد إلى السماء وعاد إلى الأرض عليها . وقد قام عبد الملك بن مروان ببناء قبة فوقها « أحاطها بستائر » ، وعين لها خداما لرعايتها والعناية بها ، كما ورد أن القبة كانت تضاء بزيت خصص لها تخرج منه رائحة زكية « زيت الياسمين » وكان ذلك عام ٧١٢ هـ .

القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها

ا. د محيى الدين الصافى
رئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين بالقاهرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه أجمعين وبعد

فإن الناظر فى حاضر القضية الفلسطينية يجده حاضرا معتما مظلما لأن الفلسطينيين شردوا من ديارهم ومن بقى منهم فى أرضهم يتعرضون للقتل والتعذيب والتشريد وهدم البيوت وإتلاف الممتلكات لإجبارهم على ترك بيوتهم وأراضيهم لتستوطنها العصابات الصهيونية التى وفدت على فلسطين من كل مكان بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة سنة ١٩٦٧م هذه الدولة التى زرعتها القوى الاستعمارية لتكون شوكة فى ظهر العالم العربى والإسلامى لتضعفه فلا يهدد مصالحها فى استغلال ثروات الدول العربية من بترول ومواد خام كثيرة تحتاجها هذه الدول فى صناعتها وعلى رأسها أمريكا وكل الدول الكبرى الصناعية ولئلا يكون لها جيش قوى تدافع به عن نفسها أمام هذه الدول الاستعمارية .

نحن نواجه دولة يدعى أهلها وهم اليهود حقا تاريخيا فى فلسطين يقولون : إنها أرض الميعاد التى وعدهم الله بها لأنهم شعبه المختار ، فدولتهم قائمة على أساس دينى ، وقد استغل الاستعمار هذا التعصب الدينى فَسَاعدهم على قيام دولتهم لما فشلت جهودهم فى بقاء جيوشهم الاستعمارية فى قلب العالم العربى والإسلامى ونحن الآن فى مرحلة مفاوضات معهم ليأخذ الفلسطينيون الأرض التى احتلت فى عام ١٩٦٧ ، ونحن نقتدى برسول الله ﷺ فنعاهدهم إن كانوا صادقين فى طلب السلام ، وإلا فالحرب ستظل مستمرة بيننا وبينهم إلى أن يخرجوا من الأرض . هذا هو حاضر القضية الفلسطينية فنرى اسرائيل وصلفها وتجبرها وعدوانها لا أحد يستطيع أن يردعها لأنها تقف وراءها دول جعلوا أرضها ترسانة للأسلحة المدمرة بما فيها الأسلحة النووية التى لا تملك أية دولة عربية منها شيئا .

هذا هو الحاضر الذى يؤلم نفس كل مسلم ، أما

من قرأ القرآن الكريم ودرس السنة المطهرة دراسة متعمقة فيبدو المستقبل له زاهيا مشرقا مهما طال الزمن فإن الغلبة للمسلمين بإذن الله تعالى ، وآيات القرآن تفضحهم ، وتبين تمردهم على الله تعالى ، وقتلهم أنبياءه بغير حق ، وعقاب الله تعالى لهم بتسليطه عليهم عبادا لله أولى بأس شديد ليسوموهم سوء العذاب . يقول الله ـ تعالى ـ فى سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾[1]

ويقول تعالى : فى سورة الأعراف :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٧

إن هناك ستة أدلة على أن القدس مدينة إسلامية وكذلك بقية أرض فلسطين :

الدليل الأول : ان بيت المقدس فيها وهو المسجد الذى سخر الله تعالى الجن فبنته لسليمان عليه السلام أولى القبلتين للمسلمين روى البراء أن رسول الله ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ، أو قال أخواله من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وأنه كان يريد أن تكون قبلته إلى البيت الحرام فولاه الله شطر المسجد الحرام وهو فى صلاة العصر .

الدليل الثانى : ان بيت المقدس ثالث الحرمين الشريفين لقول الرسول ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى الذى بايلياء وهى القدس » رواه مسلم .

الدليل الثالث : أن بيت المقدس هو مَسْرى رسول الله ﷺ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾[2] .

الدليل الرابع : ان الله أخذ الميثاق على الأنبياء انه إذا جاء محمد ليؤمنن به ولينصرنه وذلك فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ ﴾ آل عمران : ٨١

الدليل الخامس : هو أن القدس فتحت عنوة للإسلام عندما فتحت الشام فهى أرض إسلامية بالفتح فقد فتحت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ست عشرة للهجرة الشريفة .

الدليل السادس : ان المسجد الأقصى مسجد من مساجد الله تعالى يعبد الله تعالى فيه على الدين

(١) الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة الإسراء .

(٢) أول الإسراء .

الحق ، والدين الحق الآن هو الإسلام لقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٣) .

رد على خرافة :

وهذه نبذة من كلام الباحث نقدمها بنصها ردًا على خرافة (أرض الميعاد) :

بقى أن نرد على خرافة أرض الميعاد ، وهو ما نقلناه من الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين ففى هذا الاصحاح يخاطب الله تعالى نبيه إبراهيم بقوله : ﴿ وأقيم عهدى بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهداً أبديا لأكون إلهالك ولنسلك من بعدك وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا ﴾ فعلى فرض صحة هذا فهل أنسال إبراهيم هم بنو إسرائيل وحدهم ؟ أم من أنسأله بنو اسماعيل أيضا وقد كان نبينا ـ ﷺ ـ من ولد إسماعيل كما ورد فى نسبه عليه السلام ، ولكنهم حرفوا هذا ليقصروا هذا العهد ووراثة أرض كنعان على بنى إسرائيل وحدهم ولا يجعلون لأبناء اسماعيل نصيبا فى أرض الميعاد ، فيقولون فى الاصحاح نفسه : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة » .

ويقول الدكتور محمد عبدالسلام فى كتابه بنو إسرائيل فى القرآن الكريم ويمكن القول بأن وعد الله لهم ـ إن صح ـ قد تحقق لهم بعد موسى عليه السلام فقد دخلوا الأرض المقدسة بقيادة يوشع عليه السلام وأقاموا دولة دينية ثم لما انحازوا عن هدى ربهم وعصوا رسله أزال الله دولتهم وحاق بهم سوء المآب ويمكن أن يقال : إن ذلك على فرض صحته قد تحقق فى زمن داود عليه السلام وفى زمن سليمان عليه السلام فهم أنبياء وكانوا يقيمون العدل ويدعون إلى دين الله الحق فى زمانهم ، ثم يقول الدكتور محمد عبدالسلام : على أن اليهود مختلفون فى حدود أرض الميعاد فقد طالب بعضهم بإقامة وطن يهودى فى أية منطقة وقد فكروا فى إقامتها فى قبرص أو مدغشقر .

وأخيرا هناك الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول ـ ﷺ ـ « لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فينادى الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فتعال فاقتله » .

وأخيرا لابد لكل مسلم أن يكون على يقين من نصر الله للمسلمين وخذلانه لليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء وأعداء الإنسانية جميعا ويجب على اللجنة العالمية للدعوة توعية المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه الحقائق الدينية ليعملوا على هزيمة هذا الكيان المصطنع الذى أقض مضاجع جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية وفى يقينى ان النصر سيأتى فى طريقين : الطريق الأول اتحاد العرب والمسلمين على محاربة هذا الوباء والطريق الثانى أن تشعر أمريكا ودول أوربا أن فى دعمها لليهود وبال عليهم من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير .

(٣) آل عمران : ١٩ .

المسلمون فى بورما وكشمير

اعداد الأستاذة منى عمار
«مركز صالح للاقتصاد الإسلامى»

ألقت الباحثة الضوء على المعاناة والتعذيب والوحشية التى تتنزل بأهل بورما وكشمير من قبل ذوى السلطة ، برغم ما تنادى به الأمم المتحدة ، وبرغم مطالبتها أن يصوت البورميون والكشميريون بخصوص مستقبلهم .

وفى حديثها عن جمهورية بورما وديانات أهلها ، ذكرت عدد المسلمين بها وهم نحو ثلاثة ملايين تقريبا ، يتبعون المذهب الحنفى والشافعى .

وبخصوص جمهورية كشمير وممارسات الاضطهاد والقمع التى يلاقيها المسلمون فى كشمير كشفت عن بعض ما يخطط ضد المسلمين لمحو هويتهم الإسلامية ، مثل :

- تغيير المنهج التعليمى الإسلامى إلى المنهج التعليمى الهندوسى .
- تحويل المعاهد العلمية إلى أوكار لنشر الفساد الخلقى .
- تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس .
- إباحة الخمر وترويجها على حساب الدولة فى جميع أنحاء الولاية .
- تجريد اللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشىء وبين الكتب الإسلامية .
- بث الفرقة والخلاف بين المسلمين .
- استخدام وسائل الإعلام الأساليب الإباحية ، والدعوة إلى القومية الهندية .
- طمس معالم التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية .
- التنكيل بالعناصر المجاهدة .

ثم عرضت الباحثة للمشكلات الأساسية للمسلمين فى بورما وكشمير ، فذكرت أنها تتمثل فى الآتى :

- حق ممارسة الشعائر الدينية فى حرية تامة .
- حق تنظيم أمور الجماعة المسلمة طبقا للشرع الإسلامى .
- حق الدعوة إلى دين الله ونشره .

بالاضافة إلى حق تقرير المصير .

ثم تساءلت الباحثة ـ أمام كل هذا التعذيب الذى تلاقيه الأقليات المسلمة فى كل أنحاء العالم :

أين حقوق الإنسان ؟ وأين ضمير العالم ؟ وأين مواثيق الأمم المتحدة وقوانينها ؟ ثم انتقلت إلى دور المسلمين تجاه هذا الوضع فى بورما وكشمير وردود الفعل الدولية على هذا الوضع قائلة :

دور المسلمين إزاء الوضع فى بورما وكشمير :

إن هذه الممارسات الوحشية ضد المسلمين فى بورما وكشمير وما يتعرضون له من ممارسات قمعية لا يمكن السكوت عليه ، ولكن يجب على المسلمين أن يفعلوا شيئا من أجل رفع هذه الممارسات عن إخوانهم المسلمين فى هذه الأقليات ، إن الحل فى أيدينا ؛ فمقومات الحياة الاقتصادية العالمية لدينا .

ونستطيع ـ نحن المسلمين ـ لو أردنا أن نوقف عجلة الحياة عمن يعتمدون علينا ولابد من اتخاذ موقف إسلامى موحد تجاه هذه النظم ولابد من إنشاء مجلس أعلى لشئون الأقليات المسلمة على مستوى العالم الإسلامى كله ، ولابد من إنشاء صندوق إغاثة للمطاردين والمحرومين من إخواننا فى العقيدة .

فهذا واجب على كل مسلم يغار على أمته وواجب على كل من تربطه بهذه الأقليات قرابة وطنية ، أو قومية ، أو من تجرى فى عروقه عزة الإسلام وكرامته .

ويجب ألا يوجد فى مشارق الأرض ومغاربها مسلم ذليل مهان مستضعف .

ردود الفعل الدولية على الوضع فى بورما وكشمير :

الكونجرس الأمريكى يؤنب الهند بخصوص كشمير ، أوصى الكونجرس الأمريكى وبالاجماع بقبول مشروع قرار يطلب من حكومة الهند اتخاذ خطوات مهمة من أجل تحسين وضع حقوق الإنسان فى كشمير .

كما استنكر التجاوزات الكبيرة لحقوق الإنسان فى كشمير من قبل الهند وطلب من الهند بدء الحوار السياسى مع الكشميريين وكان هذا بناء على طلب من الكشميريين فقد توجهوا إلى الولايات المتحدة ، طلبا للمساعدة واستخدام نفوذها للحد من العدوان الهندى وللحد من التعسف من قبل الحكومة الهندية ، وقد أوفدت الأمم المتحدة لجنة للهند وباكستان فى يوليه ١٩٤٨ لبذل مساعيها الحميدة لإعادة السلام بين الدولتين وإجراء استفتاء ، وقد أصدرت اللجنة قرارين بموافقة حكومتى باكستان والهند ، الأول فى ١٣ أغسطس ١٩٤٨ والثانى فى ٥ يناير ١٩٤٩ يقضيان بما يلى :

ـ وقف القتال وتعيين خط له .

ـ انسحاب الجيش الباكستانى ورجال القبائل والرعايا الباكستانيين إلى ما وراء الخط المعين لها ، أى تجريد الإمارة من السلاح .

ـ إجراء استفتاء حيادى تحت إشراف الأمم المتحدة لتقرير المصير .

وقد قبلت الدولتان هذين القرارين ، وعقدت إتفاقية بينهما بذلك ، وعلى هذا الأساس توقف القتال فى ٥ يناير ١٩٤٩ ، وتعين خط وقف إطلاق النار فى ٢٧ يوليه ١٩٤٩ .

ومضت سنوات وسنوات على صدور هذين القرارين وتوقيع هذه الاتفاقية ، ورغم ذلك فالهند لا تسمح بإجراء الإستفتاء ، فقد عدلت عن موقفها منه ، لأنها وجدت فى طلب انضمام

المهراجا إليها وثيقة شرعية ، وقد صرح بذلك رئيس وزراء الهند (نهرو) فى مارس ١٩٥٦ فى البرلمان الهندى عندما قال : إن الحديث عن إجراء استفتاء فى كشمير ليس له ما يبرره ، وفى ابريل ١٩٥٦ أعلن نهرو إلغاء اتفاقية الاستفتاء متذرعا بأن انضمام باكستان إلى الحلف المركزى قد قضى على أسس الاستفتاء ، وبعد عام من هذا التصريح وضعت الجمعية التأسيسية للإمارة مسودة دستور اعتبرت بموجبها كل الإمارة ــ بما فى ذلك كشمير الحرة ــ جزءا لا يتجزأ من الاتحاد الهندى .

وفى ٢٥ أغسطس ١٩٦٠ أعلن وزير الدفاع الهندى (كريشنا مينون) « إن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند مثلها مثل : واجستان أو مدراس ، كما أعلن رئيس وزراء الهند نهرو مرارا ، إنه لن يكون هناك استفتاء بكشمير لا الآن ولا فيما بعد .

وفى يوليه ١٩٦٥ قبضت الهند على ناصية الحكم فى كشمير وأنزلت علم الإمارة عن مبنى المجلس النيابى فى سرينجار عاصمة كشمير ورفعت مكانة العلم الهندى واعتبرتها ولاية هندية .

وصرح أحد الوزراء الهنود (نابدا) بقوله : « لقد ضمت كشمير نهائيا إلى الهند وبلا رجعة ، وأصبحت جزءا منها ، ولم يعد هناك معنى لتقرير المصير » . وبعد ذلك هدد رئيس وزراء الهند (لال بهادر شاسترى) ووزير الدفاع (شافان) بمعاقبة كل من يصر على غير هذا القول .

وفى سبتمبر ١٩٦٥ دعا رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى زعماء الهند وباكستان للالتقاء فى (طشقند) لمحاولة تسوية النزاع بطريقة سليمة .
ووقعت اتفاقية طشقند فى ١٠ يناير ١٩٦٦ بين الدولتين ، وتقضى بالعمل على إحلال السلام بين الدولتين وتسليم أسرى الحرب وبحث القضايا الخاصة بمشاكل اللاجئين وغير ذلك من الأمور التى تهم كلا الطرفين ، ولكن الاتفاقية لم تتعرض للبحث عن حل لمشكلة كشمير ويبدو أن كلا من الدولتين قد قنع بنصيبه من كشمير .

وكما هو معتاد فقد استنكرت مصر هذا العدوان ضد البورميين والكشميريين :

أولا : باعتبارهم من بنى الإنسان الذى كرمه الله سبحانه وتعالى وله من الحقوق والواجبات التى يجب مراعاتها وعدم التعدى عليها .

ثانيا : باعتبارهم مسلمين ينتمون إلى أمة محمد ــ ﷺ ــ وواجب على كل مسلم المحافظة على حقوق أخيه المسلم كما أوصتنا شريعتنا الإسلامية وإن مؤتمر الإغاثة الخاص بالمسلمين فى العالم ، والذى ينظمه الأزهر الشريف لأكبر دليل على قيام مصر بدورها كرائدة للمواقف الإنسانية والتى تحسب لها فى عديد من المواقف السابقة والتى شهد لها الجميع .

ونأمل من الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية فى لم شمل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها والمحافظة على حقوقها والوقوف يدا واحدة أمام أى معتد آثم .

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ .

صدق الله العظيم

الإســـلام والمســلمون فى القـــرم

بقلم أ.د/ محمد عبد العليم العدوى
أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى
والحضارة الإسلامية
كلية اللغة العربية ـ المنصورة
بجامعة الأزهر

يتناول الباحث ـ بداية ـ الناحية الجغرافية لشبه جزيرة القرم فيقول :

القرم شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود بين « آزوف » والبحر الأسود وتقترب من جهة الشرق من مضيق كرتش الذى يصل بحر آزوف بالبحر الأسود ـ وهى الآن تحت حكم روسيا الاتحادية ـ ومساحتها ٣٦,١٥٠ كم٢ وتشكل الجبال القسم الجنوبى بينما تقوم السهول الواسعة المنبسطة فى الشمال ، والتى تتصل بالبر الأوروبى ببرزخ ضيق . وتشتهر بفواكهها الكثيرة حيث المناخ الملائم كما تشتهر بثروتها المعدنية خاصة الحديد .

وعاصمتها الحالية « اكمتشك » وكانت عاصمتها القديمة « باغجة سرى » ومن مدنها الشهيرة « يالطا » والتى عقد فيها مؤتمر « يالطا » فى نهاية الحرب العالمية الثانية بين الرئيسين : الأمريكى رزوفلت ورئيس الحزب الشيوعى ستالين .

وقد تم فى هذا المؤتمر تقسيم العالم ، ولا سيما الإسلامى إلى مناطق نفوذ لكلتا الدولتين .

ثم يتساءل الباحث قائلا :

ولكن متى وكيف وصل الإسلام إلى هذه المنطقة ؟

وقد وصل الإسلام إلى شبه جزيرة القرم حوالى عام ٧٣٠هـ/١٣٣٩م عن طريق التتار الذين استقروا فى المنطقة ثم اعتنقوا الإسلام .

وقد استولى التتار على ما كانت تسيطر عليه إمارة « جنوة » الإيطالية من شبه الجزيرة فى

جنوبها الشرق وهى المنطقة الجبلية . وكان استيلاؤهم على الأراضى الواقعة شمالى بحر « آزوف » عام ۷۸۰هـ - ۱۳۷۸م . وظلوا يحكمونها من قبل العثمانيون الذين كانوا فى فترة قوتهم فى الوقت الذى ضعفت فيه قوة التتار ، وقويت شوكة الروس ، وصارت خطراً على التتار ، ونشب بينهم وبين التتار نزاع كانت الجولة الأولى فيه لتتار القرم ، حتى وصلوا إلى مدينة « موسكو » ونهبوها انتقاماً من أعمال الروس الوحشية فى بلاد التتار الشرقية حيث طردوا أهل قازان واستراخان « الحاج طرخان » ثم انتصر الروس على التتار وانتزعوا أراضيهم الشمالية .

ثم تابع الباحث حديثه .. فقال :

وفى عهد السلطان « أحمد خان الثالث » حاصرت الجيوش العثمانية البالغ عددها مائتى ألف جندى قيصر روسيا ، إلا أن الحصار لم يطل أمده حيث رفعه قائد الجيش « بلطة جى محمد باشا » واكتفى بإمضاء القيصر على معاهدة « فلكون » المؤرخة فى ۹ جمادى الآخرة عام ۱۱۲۳هـ/۲۵ يوليو ۱۷۱۱م . والتى أخلى القيصر بمقتضاها مدينة « أزاق » .

واستمر النزاع الذى أدى إلى ضعف الدولة العثمانية حتى اضطرت إلى مغادرتها شبه جزيرة القرم ، فدخلها الروس ، واضطهدوا التتار المسلمين ، وأصبحت القرم ملكاً للتاج الروسى .

الشيوعيون والقرم :

ثم يتناول الباحث بعد ذلك سياسة الشيوعيين مع المسلمين فيقول :

وعندما قامت الثورة البلشفية الشيوعية بقيادة لينين عام ۱۳۳٦هـ/۱۹۱۷م لم تكن مهمتها فى أول الأمر سهلة ميسرة .

فمن جهة كان جزء كبير من الشعب الروسى لا يزال متردداً فى معاونتهم بل كان بعضهم يناوىء حكمهم ، ومن جهة ثانية فشلت دعوتهم فى استهواء أفراد الطبقات العاملة فى غرب أوروبا ، ومن جهة ثالثة فإن قوات روسيا البيضاء كانت تستعد للقضاء على الثورة البلشفية بقوة السلاح . ولذلك لم يبق إلا أن يولوا وجوههم نحو مستعمراتهم السابقة فى الشرق يلتمسون من أهلها العون . ففى ۷ ديسمبر سنة ۱۹۱۷م أصدر مجلس قوميسيرى نداء موجهاً إلى شعوب روسيا من المسلمين وكان من بين من وقعوه لينين وستالين .

وقد جاء فى هذا النداء :

أن امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص والاستعماريين تشتعل ناراً .

وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم مسلمى روسيا والشرق أنتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل . أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم .

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم ولا يطغى عليها طاغ ولا يعتدى عليها معتد . هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل .

وإذاً ، فشدوا أزر هذه الثورة وخذوا بساعد حكومتها الشرعية . إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم

لنتلمس عندكم العطف والعون ولا يجوز أن يمر هذا النداء دون تدبر ودرس .

فإن حكام روسيا الجدد قد اعترفوا صريحاً بما اقترفه الحكم الصليبى السابق من دنايا وآثام فى جنب المسلمين .

لقد خدع المسلمون بهذه الدعوة فقد أصدر لينين فى ابريل ١٣٣٧هـ/١٩١٨م أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية التى كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل وفى عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م وجه جحافل قواته إلى القرم وعندئذ فرضت القوات البلشفية حصاراً شديداً على أهل القرم حتى انتشرت المجاعة ويصور لنا الباحث الصورة التى خلفها الشيوعيون هناك .

فيقول :

ولقد كان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية خمسة ملايين نسمة من التتار المسلمين أبيد أكثرهم حتى لم يبق عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م إلا نصف مليون فقط[١] . وكان المفروض أن يزدادوا خلال عشرين عاماً لا أن يقلوا ولكن نتيجة الحكم الارهابى الدموى الأحمر والبطش السيوعى الذى هان بجانبه بطش القياصرة .

فإن سكان القرم كانوا يموتون جوعاً وقتلاً وسحلاً ويفر من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح عددهم خلال عشرين عاماً من هذا الحكم الرهيب خمسمائة ألف نسمة فقط .

وكان فى القرم عند دخول قوات لينين ١٥٥٨ مسجداً هدمت جميعها وتحولت إلى نواد واصطبلات ومتاحف ما عدا بضعة مساجد أبقيت للعبرة ، حتى الجوامع الأثرية مثل جامع حان وجامع احماقيو وجامع طوزيازار ، حطمت أو حولت إلى متاحف[٢] .

ورغم أن القرم بعد المجاعة أظهرت استسلامها للحكم البلشفى الرهيب وأظهرت الخضوع ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة محلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعى الهتغارى (بالاكون) وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم الآسيوية الاشتراكية السوفيتية .

إلا أن بالاكون استمر فى سياسة تهجير أهل القرم من التتار وإحلال روس سلاف وأوكرانيين وبلغار محلهم ، ورغم انخراط بعض سكان أهل القرم فى الحزب الشيوعى ، وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم إلى رئاسة جمهورية القرم بعد بالاكون مثل ولى إبراهيم إلا أن لينين قام بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م وفى عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م قتلوا رئيس الجمهورية محمد قوباى مع جميع وزرائه وفى عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م تكررت نفس القصة والمشهد الأليم حيث قام قياصرة روسيا البلاشفة بإعدام رئيس الجمهورية إلياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته[٣] .

ونتيجة لما قاساه تتار القرم من الأهوال على يد هؤلاء السفاحين وقفوا موقفاً سلبياً فى مقاومة الألمان فى الحرب العالمية الثانية استسلم الفيلق القومى البالغ عدده ثمانية عشر ألفاً للألمان نكاية فى الروس وعلى أمل أن ذلك ربما جعل الألمان

---

(١) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر وانظر الكيد الأحمر لعبدالرحمن حبنكه ، المسلمون الاتحاد السوفيتى ولعل مايحدث للفلسطينيين المحاصرين اليوم فى اسرائيل ولبنان شبيه بما حدث للقرميين وكذلك مايحدث فى البوسنه والهرسك .

(٢) الإسلام فى وجه الزحف الأحمر ، والكيد الأحمر .

(٣) وتلك هى سياسة الروس قياصرة وشيوعيين وليس ببعيد فيما حدث فى الجمهوريات الإسلامية وما حدث ويحدث الآن فى أفغانستان انظر بحثنا المنشور فى كتيب مع عدد مجلة الأزهر لشهر شعبان ١٤٠٥/١٩٨٧ عن تاريخ الأفغان .

يشفقون بهم ويعطفون عليهم ويعاملونهم معاملة حسنة .

ولكن الكفر ملة واحدة ، فما أن علم الألمان أن هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام والشراب بعد أن نزعوا منهم السلاح ، وساقوهم حفاة مسافة ١٥٠ كم سيراً على الأقدام دون طعام فسقط بعضهم على الطريق من شدة الاعياء ثم سجنوا فى جامعة بناؤها قلعة من قلاع العصور الوسطى .

لا يصل إليها النور ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان فبدأوا يتساقطون جوعاً وقد تدلت ألسنتهم تقطر منها الدماء وقد ثلمتها جدران السجن أثناء أخذها الدهان منها وكنت ترى الرجل يقفز على الجدار عله يصل إلى منطقة أعلى لم يذهب ما عليها من الدهان وقد شخصت عيناه وامتد لسانه ، ثم لا يلبث أن يقع على جثة سبقته وبدأ يخف عدد الموتى بدلاً من أن يزداد فعرفت الضابطة الألمانية أن بعضهم يأكل لحم بعض من مات فاقتادتهم خارج السجن وقتلتهم رمياً بالرصاص جميعاً لم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة حتى تصل إلينا أخبار هذه الكارثة المفجعة .

وعلى الرغم من هذه الكارثة التى حلت بالتتار على يد الألمان ادعى الروس أن التتار شعب من عملاء الألمان تجب محاكمته لذا دخلوا عاصمة القرم (باغجة سرى) الواقعة شرق (سيباستيبول) اليوم بين المرتفعات فبدأوا بطمس معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية وجمعوا المصاحف الكريمة وأحرقوها فى الميادين العامة وقتلوا من السكان ما يقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباق عن بلادهم وحلت جمهوريتهم ولا يزال تتار القرم يهيمون على وجوههم فى مناطق متفرقة من مجاهل سيبريا وغيرها يطالبون بعودتهم إلى مواطنهم وإعادة جمهوريتهم على الرغم من أنهم يعرفون أنها صورة من تاريخهم .

ومنذ خمس عشرة سنة أى : فى سنة ١٩٧٧م شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية فأرسل الروس بعض أفراد رجال الأمن يخربون البيوت التى قطنها هؤلاء العائدون فوق رءوس ساكنيها واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون ورفضوا طلبات العودة من التتار .. وشاءت إرادة الله أن ينهار الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٩١م وتذهب الشيوعية إلى غير رجعة وتداس أعلامها بالنعال ويظل الإسلام فى قلوب المسلمين ولكنهم لا يزالون هائمين يريدون العودة إلى وطنهم ولكن روسيا تحكم عليهم قبضتها .. وتمنعهم من العودة إلى ديارهم لأنهم مسلمون .. ترى هل هناك من فرق بين ما حدث للمسلمين تحت الاحتلال القيصرى الصليبى والشيوعى الإلحادى وبين ما يحدث الآن للمسلمين فى البوسنة والهرسك .. وما حدث لهم من قبل .؟

وهل يأخذ المسلمون العبر والعظات من صحائف التاريخ ، وهل آن الأوان لينفرُوا خفافاً وثقالاً . يجاهدون بأموالهم وأنفسهم .. وينصرون المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .. فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ألا إن الأمر جد خطير .. والجنة تحت ظلال السيوف .

والله غالب على أمره .. ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

والله الموفق .

دور الإعلام العربى في مواجهة آثار حرب الخليج

ورقة عمل مقدمة من أ. د محمد كرم شلبى
رئيس قسم الصحافة والإعلام جامعة الأزهر

تطرح ورقة العمل هذه سؤالا محددا هو :

إلى أى حد يمكن للإعلام العربى أن يؤدى دورا فى إزالة الآثار الخطيرة التى نتجت عن حرب الخليج ، ولكنا فى البداية فى حاجة إلى تعريف مصطلح الإعلام العربى : فالمقصود به كل ما يصدر عن المؤسسات والهيئات العربية من رسائل إعلامية مطبوعة أو مسموعة أو مرئية موجها إلى المواطن العربى سواء كانت هذه الوسائل حكومية أو حزبية أو خاصة .

إن حرب الخليج التى شاركت فيها سبع وثلاثون دولة عربية وغير عربية ، مسلمة وغير مسلمة لم تقتصر آثارها على الجانب العسكرى وحده ؛ بل امتدت إلى سائر المجالات الأخرى سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية ؛ فقد ساد التمزق والفرقة النفسية العربية والذى يتضح فى المواجهة الحادة بين المؤيدين لما جرى والمعارضين له .

إن المواطن العربى ـ عسكريا كان أو مدنيا ـ أصبح فى أشد الحاجة لأن يستعيد ثقته فى أشقائه العرب والمسلمين ، وعلى هذا النحو يكون على الإعلام العربى أن ينهض بهذا الإنسان ، وأن يأخذ بيده ليجتاز به حواجز العزلة والأزمة العقلية والفكرية العنيفة التى يعيش الآن ذروتها .

واقع الإعلام العربى الآن :

ولكن الإعلام العربى وبرامجه هذه الأيام يسير فى الاتجاه المضاد تماما للأهداف التى كان عليه أن يسعى لتحقيقها ، ولا يزال مستمرا فى تجسيد الفرقة وإغراق العقلية العربية فى المزيد من الشكوك والخوف من المستقبل والريبة فى كل ما هو عربى ، والثقة فى كل ما هو أمريكى وغربى . وذلك ما تشير إليه نتائج العينة « العشوائية » من البرامج والمواد فى محطات (الراديو) وفى الصحف العراقية والكويتية الموجة إلى المواطن العربى على امتداد العالم ، حيث :

أولا : يشترك إعلام البلدين فى تصعيد موجة العداء والتحريض تجاه كل منهما الآخر .

ثانيا : تحتل قضية الخلاف على الحدود « قبولا من جانب الكويت ورفضا من جانب العراق » درجة بارزة فى اهتمام اعلام البلدين بالقضية .

ثالثا : لازال الإعلام العراقى مستمرا فى الهجوم على القيادات والأنظمة السياسية العربية التى ناصرت الكويت والعمل على تشويهها .

رابعا : تبرز فكرة نبذ الفكرة العربية فى الصحافة الكويتية وتحبيذ تصعيد الصداقة مع الغرب عامة وأمريكا خاصة على عكس الإعلام العراقى الذى يكرس العداء للغرب .

خامسا : تعتمد وسائل الإعلام الكويتية على المصادر الغربية فى استقاء الأخبار فى حين يتجنبها العراق .

سادسا : يركز الإعلام الكويتى على تفسير وجود القوات الأجنبية على أنها ضرورة يحتمها الخطر العراقى بينما يصورها الإعلام العراقى على أنها « خيانة » .

سابعا : لازال إعلام البلدين متماديا فى توظيف الفكرة الإسلامية ، واستقطاب العناصر المؤيدة لأهدافه .

ثامنا : تمثل قضية الأسرى الكويتيين محورا رئيسيا فى مرتكزات الاعلام الكويتى فى الهجوم على العراق .

تاسعا : تمثل قضية التدخل الأجنبى الأمريكى على وجه الخصوص فى شئون العراق الداخلية محورا أساسيا فى الرسائل الإعلامية العراقية ، ومحاولات الغرب لتمزيق وحدة العراق وتجزئته فى إطار مؤامرة دبرها الغرب ، وشارك فيها بعض الحكام العرب .

عاشرا : هناك تباين ملاحظ فى درجة الاهتمام بقضية فلسطين والعداء لإسرائيل فبينما يواصل الإعلام العراقى تصعيد الهجوم على إسرائيل نجد اهتمام الإعلام الكويتى بهذه القضايا يتضاءل إلى حد الندرة .

هذا وعلى الرغم من أننا نلتمس أعذارا ومبررات لموقف كل من البلدين إلا أن الخطر الحقيقى أصبح يتمثل فى كون هذه الظاهرة تجاوزت حدود أزمة بين بلدين عربيين لتصبح هوة واسعة تفصل بين موقفين وتجزِّىء العالم العربى إلى قسمين متضادين متعارضين كل قسم يقف وراءه أنصاره ومؤيدوه .

إن الفرصة لم تزل سانحة لأن يؤدى الإعلام العربى دوره فى إزالة هذه الآثار البشعة من خلال رجل الإعلام العربى ، ودور المؤسسات والهيئات السياسية والإعلامية الشعبية والحزبية ولا بأس من تصور جدول أعمال أو قائمة أولويات لما هو مطلوب الآن وعلى الفور .

ونقدم إلى القارىء ما اخترناه من هذا البحث ليلقى الضوء قويا فيما هدف إليه الباحث قال :

وعندما نحاول البحث عن تفسير لموقف الإعلام العربى ودوره والعوامل التى جعلته إعلاما يسعى لتكريس التفرقة والإحباط على هذا النحو .. نجد أن السبب فى ذلك إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة النظام الإعلامى السائد فى العالم العربى ، والذى هو بطبيعة الحال صدى للنظام السياسى ، حيث تسيطر السلطة على الإعلام تخطيطا وتنفيذا ووسائل ، سواء من خلال الملكية المباشرة لوسائل الإعلام أو من خلال تقييدها بالقيود والضوابط القانونية والرقابية .

فالمعروف أن كافة محطات «الراديو والتليفزيون» ووكالات الأنباء فى الوطن العربى، مؤسسات حكومية مملوكة للدولة مهما اختلفت المسميات والصيغ الإدارية أو القانونية. وكذلك الحال بالنسبة للصحف فى ٩٠٪ من البلاد العربية، حيث هى صحف تملكها الدولة أو تمولها أو تمسك بحق إصدارها أو إلغائها أو تحديد وحصر نشاطها واتجاهاتها. ولا استثناء فى ذلك إلا لبعض الصحف الناطقة باسم الأحزاب فى البلدان العربية التى تأخذ بنظام التعددية الحزبية.

ومعنى هذا ببساطة أن الأمر أصبح مرهونا بإرادة الحكومات والحكام فى المقام الأول، ومن ثم تصبح الجهود السياسية «والدبلوماسية» لرأب الصدع ومحاولات التقريب بين وجهات النظر هى الأداة الفاعلة الآن..

وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى أن الفرصة لم تزل سانحة ومتاحة لأن يؤدى الإعلام العربى دوره فى إزالة هذه الآثار البشعة وما تتمخض عنه يوميا من مشكلات أكثر تعقيدا وإيلاما، حيث لا يزال الأمل كبيرا ـ وممكنا ـ من خلال رجل الإعلام والمثقف العربى نفسه، وأقصد به تلك الفئة التى حملتها الأمة مسئولية قيادتها الفكرية إعلاما وتثقيفا وتوجيها وإرشادا وترشيدا. هذا فى المقام الأول.

ويأتى بعد ذلك دور المؤسسات والهيئات السياسية والاعلامية الشعبية والحزبية ـ النقابات والروابط والجمعيات والاتحادات ـ وهى التى تملك صحفا ونشرات وتملك عقد المؤتمرات والندوات للبحث عن حل للخروج من المأزق.

فى العالم العربى اتحادات للاذاعة العربية، والاداعات الإسلامية، وروابط وجميعا لوكالات الأنباء، ونقابات للصحفيين والكتاب والمؤرخين والمثقفين وشتى ألوان الابداع الفكرى، فضلا عن الأحزاب التى تمثل شتى التيارات السياسية السائدة فى الوطن العربى.

من هذه المؤسسات تكون البداية الحقيقة للاتفاق على كلمة سواء على مجال توجيه وصياغة النفسية العربية والعقل العربى الآن ولا بأس من تصور جدول أعمال أو قائمة أولويات لما هو مطلوب الآن وعلى الفور:

أولا: البحث عن كيفية الوصول إلى اتفاق يقضى بوقف كافة حملات العداء والكراهية التى توجه أو تستثمر الإسلام والعروبة لأغراض تخدم مصالح قطرية أو فئوية تؤدى إلى التفرقة أو التحزب أو العداء أو الكراهية.

ثانيا: وضع ميثاق شرف إعلامى يلتزم به كافة العاملين فى وسائل الاعلام العربية يكفل إيقاظ الضمير العام والالتفاف حول قضايا رئيسية تستهدف النهوض من الكبوة والتوجه لبناء المستقبل.

ثالثا: تشكل لجنة إشرافية تحت رعاية الجامعة العربية لتنفيذ هذا الميثاق أو المقررات ووضع الإجراءات المناسبة للالتزام بتنفيذها.

رابعا: ترشيد مؤسسات الإنتاج الإعلامى فى الوطن العربى، ووقف التسابق اللاهث لإنتاج المواد الاعلامية التى تقوض الانتماء العربى أو تساهم فى تشويه صورة الإنسان العربى وإحباطه.

خامسا: التنسيق بين الجهود الإعلامية والدبلوماسية فى تخفيف حدة التوتر وإنجاح كافة جهود الوساطة لحل المشكلات القائمة «الحدود ـ الأسرى.. الخ» بين كافة الدول العربية.

خلاصة لبيان من مُسْلمى البوسنه والهرسك

إلى العالم الإسلامى

البوسنه والهرسك مأساة القرن العشرين بكل المقاييس والجرح الدامى فى الجسم الإسلامى بعد الجرح الغائر فى الجسد العربى فى فلسطين هذا الجرح الذى لم يندمل بعد ؛ البوسنه والهرسك مأساة تحول الولدان شيبا حيث تنوع الفتك والتنكيل فيها تنوعا يفوق وصفه بلاغة البلغاء فمن حوامل تبقر بطونهن إلى عذارى تُنْتهك أعراضهن إلى شيوخ تمتهن كرامتهم إلى شباب تقطع أوصالهم ورجال ونساء تبتر أطرافهم إلى تشريد لا حدّ له ، إلى تخريب شمل كل المنشآت فى كل أنحاء تلك الجمهوريات الإسلامية الوليدة . ونخص هنا بالذكر ما صدر عن رياسة المجتمع الإسلامى فى بيان إحصائى حزين[1] مس شغاف القلوب تناول فيه حصر أماكن العبادة المحطمة والمقدسات المهدمة والمدمرة وما أصابها من تلفيات فى جمهورية البوسنه والهرسك هذا العام ١٩٩٢ فى فترة لم تتجاوز الستة أشهر وقام بتجميع وتصنيف تلك المعلومات (محرم عمردك) مؤكدا أن التهديد بالخطر من جراء العدوان المستمر ضد البوسنه والهرسك لايقتصر على الأرواح والممتلكات فقط حيث انه فى خلال ستة أشهر تسبب فى التدمير المروع لمعالم دينية كثيرة ومبان ذات قيمة فى المجتمع الإسلامى هناك .

وهذا التدمير ذو آثار مروعة من حيث أنه متعمد محكم التخطيط يستهدف كل شيء شُيد منذ قرون عديدة ويمت للإسلام بصلة ، فى هذا القطر المضعضع الأركان .

إن هذا الإجرام السافر الذى قام به الصرب والكروات وساكنى جمهورية الجبل الأسود وهم الذين يمثلون الطغمة المسيطرة على الجيش اليوغسلافى ليذكرنا بقول الشاعر فى أبيات قصيرة أشبهت طلقات الرصاص حين قال :

سقط النقاب عن الوجوه الكافرة

وحقيقة الشيطان بانت سافرة

ولقد تسبب عدوان هؤلاء الأشرار فى خسائر

(ﻫ) قام بتوزيع البيان بقاعة المؤتمر أحد أعضاء وفد البوسنه والهرسك

(١) هذا الحزن فى ذاته ، وهذه الأوصاف ضرب من ترويع المسلمين فى كل مكان .. لماذا ؟. يا سبحان الله ! ترى : مَنْ دفع بالجدّاد فى نفوس المسلمين ، ورضى لهم هذا الهوان ، وهم المستعدون لعمل أى شىء ، وكل شىء من أجل الإسلام ..؟ مجلة الأزهر .

لا حصر لها ولا حدّ شملت ــ فى أهم ما شملت ــ الإرث الهندسى لجمهورية البوسنه والهرسك الإسلامية ، إن هذا الاعتداء وتلك الحملة الوحشية غير الحضارية داست فى طريقها كل شىء: الأخضر واليابس حتى الصروح الهندسية والمقاصر الإسلامية العظيمة للعمارة المدنية .

وقد خص الكاتب بالذكر مساجد شملت مدنا كبيرة فى هذا البلد المسكين منها مسجد (غازى هسرف بيز) ومسجد (تسار وكريفا دزاميجا) ومسجد (مغرب) فى سراييفو ، ومساجد أخرى فى مدينة (فوكا) ومسجد (السلطان عزمى) فى (يايبتس) ومسجد (كارجسبى) فى مدينة (مستر) وكلها مساجد لم تنج كغيرها من ذلك العدوان الإجرامى .

إن تدمير الصروح الهندسية الإسلامية فى هذه الأيام ليس فى حقيقة الأمر إلا استمرار لبرامج الابادة لكل ما هو إسلامى واستئصال شأفة المسلمين ونـــزع شوكتهم من وسط أوربـــا (المتحضرة)[1] والدليل على ذلك هو ما نقله مُعِد تلك القائمة من قول ــ ان دل على شىء ــ فإنما يدل على أن ما يحدث إن هو إلا وصمة عار فى جبين تلك الحضارة المزعومة[2] حيث يقـــول بالحرب الواحد : إن القانون اليوغسلافى الذى صدر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حوى فقرة تعطى الصفة القانونية وتُضفى الصيغة الشرعية ، بل وتشجع بكل الوسائل المتاحة والممكنة هذه الممارسات اللا إنسانية » .

إن هذا الاتجاه البربرى يتم تشجيعه والإيماء به على نطاق واسع فى كل برامج المنظمات الصربية القومية الوطنية .

إن الكثير من الأهداف الإسلامية والتى تم تسويتها بالأرض حتى الآن كانت فى مراحل سابقة أماكن لذكر الله عمها التدمير وشملها الخراب والإتلاف وذلك حتى فيما سبق الأحداث الجارية حيث إن الكراهية والبغض والعداء أمور تشيع ضد المسلمين وكل ما يمتلكون من تحف فنية وأهداف قومية .

إن ذكرى خمسة قرون مجيدة امتلأت بالمآثر من الوجود الإسلامى فى هذه البلاد تواجه الآن تحديا لا قبل لها به وإساءة عزّ أن تُمْحَى ؛ بل إنها تواجه بشكل أو بآخر إزالة تلك الحضارة بكل أساليب العنف والشر .

ولقد بلغت الكراهية والحقد حدا لم تبلغه فى أى وقت من الأوقـــات حيث صار الاعتـــــداء والاغتصاب أمرا عاديا يُمارَس صباح مساء . ويؤكد هذا ويوثقه تلك القائمة الجوهرية المغزى القيمة المعنى لما أصاب أماكن العبادة هناك من خسائر وتلفيات وأضرار والتى أكد المصنف أنها لسوء الحظ على الرغم من كثرة ما بها فليست قائمة كاملة ولا نهائية . هذا إلى جانب أنها حوت تحديدا دقيقا لعدد (٣٤١) مبنى ضمت المساجد وملحقاتها مُبَيّنًا اسم كل موقع مرفقا به تاريخ البناء والتدمير وهو أمر يذيب القلوب المؤمنة ألما وحسرة وكمدا ويصيب كل خيال محلق بالعجز التام عن ادراك حقيقة ما حدث ويحدث حيث إنه فوق الخيال وخارج ما يتصوره إنسان .

---

(١) وهى متحضرة فعلا حيث أتت بألوان فى فن تقتيل العُزَّل لم يسبق لها مثيل فتميزت بعلامة أفردتها فى هذا العصر وتحضرت بها .

(٢) وما وصمة عار ، وما قيمتها ؟ لقد وصم العار الذين أهلكوا المسلمين فى الأندلس ، فجعله الصليبيون وسام شرف لهم ... مجلة الأزهر .

العالم الإسلامى من الوجهة الإقتصادية

د. محمد ابراهيم منصور

تناول الدكتور محمد إبراهيم منصور أستاذ الإقتصاد بكلية التجارة جامعة أسيوط فى بحثه «العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية فى مواجهة تطورات النظام العالمى الجديد» فقدم عدة مقترحات وتوصيات تناط مسئولية تطبيقها بالحكومات والمنظمات الإقليمية فى العالم الإسلامى وقسم هذه التوصيات إلى قسمين :

(أ) قسم يتناول الإنتاج والتبادل وأوصى فيه بالعمل على تحقيق الأمن الغذائى فى الدول الإسلامية ، وإنشاء اتحادات لتنمية الصادرات للحد من تدهور شروط التجارة أمام السلع التى تتحكم فى أسعارها الدول الصناعية المتقدمة ، والمساهمة فى تنمية وتطوير ومساعدة الجمهوريات الإسلامية فى أواسط آسيا وإنشاء صندوق إسلامى لمساعدة هذه الجمهوريات ، والعمل على إيقاف النقل العكسى للتكنولوجيا المتمثل فى

هجرة العقول المفكرة من أبناء الدول الإسلامية للعمل فى الدول الصناعية المتقدمة .

(ب) أما القسم الثانى فجعله يتعلق بالمجال المالى والنقدى فأوصى الباحث بإعادة توجيه محركات رأس المال الإسلامى بحيث تتجه صوب النشاطات القادرة على بلوغ هدف التنمية المتكاملة لاسيما المشروعات الإستراتيجية والقطاعات التى تقود النمو وتخدم الدول الإسلامية ككل لا دولة واحدة .

وأوصى كذلك بإنشاء وحدة حسابية إسلامية ترتبط بسلسلة مع كل العملات الإسلامية يتم ترجيعها طبقا لاعتبارات معينة مثل الناتج القومى الإجمالى والأهمية النسبية للتجارة الخارجية الإسلامية ، ويحذر الباحث الأمة الإسلامية من التحديات التى تطرحها تطورات النظام العالمى الجديد ، والتكتلات الاقتصادية التى باتت تشكل أبرز ملامحه وقال فى ذلك :

ويقينا فإن الأقطار الإسلامية لا يمكنها أن تغالب هذه التحديات فرادى ، وإنما عبر صيغ جماعية تنصهر فيها إرادة العمل المشترك ، وتتدرج فى صعودها من التعاون إلى الوحدة بحيث يفضى العمل الجماعى فى النهاية إلى قيام السوق الإسلامية المشتركة وظهور الجماعة الاقتصادية الإسلامية لتصبح ركنا فى بناء نظام اقتصادى عالمى عادل يحقق المساواة فى توزيع المنافع بين الدول المتقدمة والدول النامية ، الإسلامية وغير الإسلامية .

ولكن ينهض العالم الإسلامى بالتبعات الملقاة على عاتقه فى مواجهة تحديات النظام العالمى الجديد على الصعيد الاقتصادى ، فإن ثمة مقترحات وتوصيات تناط مسئولية تطبيقها بالحكومات والمنظمات الإقليمية فى العالم الإسلامى .

الإسلام والنظام العالمى الجديد

د. حامد بن أحمد الرفاعى

تحت عنوان « الإسلام والنظام العالمى الجديد » كانت الدراسة التى أعدها الدكتور حامد بن أحمد الرفاعى الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامى ، وعضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد ، وقد نبهت دراسته إلى أن الإنسانية تمر اليوم بحالة من اليقظة والانتباه إلى خطورة الضياع الذى تعانيه بسبب هجر القيم والمبادىء الربانية وتدنى الأوضاع الأمنية والاقتصادية فضلا عن انتشار وسائل الدمار الشامل ومن هنا أخذت الأصوات ترتفع مطالبة بوضع حد لهذا التدهـــــور الخطير لمسيرة الإنسانية .

وتساءلت الدراسة عن حدود مسئولية المسلمين تجاه هذه الظاهرة البشرية والإيجابية وكيفية المساهمة فيها ؟

وكان الإطار المنهجى والفكرى للإجابة متمثلا فى ضرورة الالتزام بالثوابت والمنطلقات التى جاء

بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فالقيم والمبادىء الإسلامية أمر واقعى وموضوعى فهى لم تكن قط مستعصية على ميادين الواقع والحياة ، ولم تخل الأرض يوما من واقع يمثلها ويترجم مقاصدها وغاياتها ، والتاريخ المنصف ، والآثار المادية والثقافية الشاخصة هنا وهناك تتحدث بجلاء عن روائع حضارية كانت بفضل شريعة الإسلام وقيمها وأدبياتها أنموذجا يحتذى به العالم .

وحددت الدراسة عدة مفردات لهذا الإطار المنهجى منها الحوار بالبيان والحكمة ، وأهمية التزام المسلمين بقيم وتعاليم الإسلام وكذلك الالتزام بالعدل وإنصاف الناس ، وضرورة الفهم الصحيح لمنهج الاستخلاف فى الأرض فنحن لسنا محتكرين لهذا المنهج كما أن غيابنا أو تغييبنا عن المشاركة فيه هو تجريد لمنهج الاستخلاف فى عمارة الأرض من القيم الربانية يؤدى لا محالة إلى فساد الأرض ودمار حياة الناس عليها ، فالأمة الإسلامية مثلما أنها تختزن فى أرضها كما هائلا من الطاقة تشكل مرتكزا أساسيا فى توازن المصالح العالمية ، وموازنات السياسة الدولية ، فإنها تمتلك مخزونا أجل وأعظم أهمية وأكثر نفعا للإنسانية فهو مخزون فريد من القيم والمبادىء وثروة ضخمة من الفقه التشريعى يسهل على الإنسانية مهمتها ، ويختصر جهدها فى تحقيق آمالها فى انبعاث مشروع حضارى معاصر ؛ ولذا فإن أى مشروع لتحقيق نظام عالمى عادل يبقى عاجزا عن تحقيق غايته المجدية مع غياب أو تغييب الفعاليات العربية والإسلامية قيمة ومادة .

وحذرت الدراسة من خطورة تجاهل المجتمع الدولى للإسلام والمسلمين ، هذا التجاهل الذى يلقى ظلالا كثيفة من الشكوك حول دوافع النظام العالمى الجديد ، وهذا ما جاء فى ختام الكلمة بعنوان :

غياب العدل فى الشريعة الدولية القائمة .

إنه لمستهجن وغير مقبول عندنا ــ نحن المسلمين ــ ان تحتكر جهات دولية لنفسها حق التحكم فى القرارات الدولية ، من خلال ماأسموه صلاحية حق النقد «الفيتو» متجاهلة ومستهترة برأى المجموعة الدولية بأسرها ، وما قيمة إصرار هذه الجهات فى التأكيد على الديمقراطيات الإقليمية ، وهى تمعن فى انتهاك واغتيال الديمقراطية الدولية ، وهل يبقى بعد ذلك من معنى أو مصداقية للتحدث عن نظام عالمى جديد ، مع استمرار هذا النهج اللاحضارى فى التعامل بين المجتمعات الدولية المعاصرة ؟ وبعد فإننا ندعو الناس جميعا ، ونؤكد على أنفسنا ابتداءً ، بأن نقيم تعاملنا ، على أساس ما تقدم من قيم ومبادىء ومثل ربانية ، وندعوا الزعامات السياسية فى العالم ، لإعادة النظر فى منهجية العلاقات الدولية القائمة ، وإعطاء الفرصة الجادة لحكماء وعقلاء الأمم من العلماء والمفكرين والمصلحين ، لأداء مساهمة فعالة بهذه المهمة الحضارية العالمية ، فهى مهمة ضخمة وصعبة لابد أن تتكامل فى أدائها كل الفعاليات البشرية المتنوعة ، على أساس من القيم الإنسانية الربانية السابقة الذكر ، ليكون القرن القادم بحق قرن تواصل وتعايش وسلام ، ولكى لا تعود آلة الحرب والدمار لتكون سيدة الموقف من جديد ، وهذه مسئولية تحمّلها العقلاء والحكماء والمفكرين من المؤمنين جميعا ، وكذلك الهيئات الدولية الشعبية والرسمية .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم المنعقد بقاعة المؤتمرات بجامعة الأزهر

الفترة

٢٧ من ربيع الآخر ـ ٢ من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ

٢٤ ـ ١٩٩٢/١٠/٢٩

د. أحمد فؤاد باشا

إن إمكانية البعث الحضارى للأمة الإسلامية يمكن أن تتحقق إذا ماأعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره ، كما كان ، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف : «العقيدية» والعملية ، ثم يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت والمناسبة لطبيعة العصر . وإذا كان أصحاب التفسير المادى للتاريخ يقولون بحتمية سقوط الدول والحضارات بشكل أو بآخر إلى غير عودة ؛ فإن هذه المقولة لاتنطبق إلا على الحضارات المادية ذاتها ، على نحو مانشهد الآن فى عصرنا من انهيار تام للماركسية والأنظمة الإلحادية التى تدور فى فلكها .

أما التفسير الدينى للصحوة الإسلامية الحضارية فيستند إلى حقيقة تاريخية مؤداها أننا أمة لا يصلح حالها إلا على أساس الدين الذى صَلَح به أوّلُها . لكن أساليب الغزو الفكرى تشيع عكس هذا لتباعد بيننا وبين الحضارة ، ولتحول بيننا وبين مابلغه الآخرون . وهنا يكمن سر خطورة

الإتجاه «العلمانى» ، الوافد إلينا والمتفشى بيننا ، على إمكانية نجاح الجهود الإصلاحية ؛ لأنه يفصل تماماً بين المقومات المادية لقيام النهضة والطاقات الروحية الخلاقة المغذية لها ، بل إنه ينفى الدين من مجال التأثير فى توجيه شئون الحياة الدنيا ، ويستدعى العلم وحده ويقدسه لكى يقوم بهذا التأثير . وإذا كان هذا قد جاز فى مرحلة سابقة من تاريخ الغرب لها ظروفها الخاصة فإنه مرفوض رفضا باتا فى عرف الإسلام .

من هنا تأتى أهمية الدعوة إلى التوجيه الإسلامى للعلوم ، من واقع تصوّر إسلامى صحيح ينطلق من الإهتمام بتكوين عقلية إسلامية سويّة تنبذ التلقين والتقليد الأعمى لهذا الإتجاه الغربى ، وتعتز بحاستها النقدية وخصوصياتها الفكرية ، وتؤمن بأن ماوصلت إليه الحضارة المعاصرة من علوم وتقنيات ما هو إلا إمتداد طبيعى لما حققته الحضارة الإسلامية الرائدة التى كانت بدورها إمتداداً لحضارات أقل نضجاً ، وبذا لايكون هناك أى تناقض بين علوم الغرب المعاصرة وبين المناخ الفكرى الإسلامى ، على أن تعاد صياغة هذه العلوم والمعارف ، ويفاد من تطبيقاتها وتقنياتها ، فى إطار إيمانى إسلامى يربطها بجذورها الإسلامية .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه الدعوة إلى التصحيح الإسلامى لوجهة العلوم والمعارف سوف يكون لها أجل الأثر فى تصحيح واقع الفكر الإنسانى المعاصر لدى عقلاء العالم ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام فى حقائقه واستفادوا منه فى إصلاح شئون حضارتهم . وعندئذ فقط يكون التفكير العلمى لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة بوصفه بحثا موضوعياً نزيهاً عن الحقيقة الخالصة أينما وجدت ، والإفادة منها فيما يعمر الحياة وينفع الناس ويعمق الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ على هدى وبصيرة .

فى ضوء هذه المعانى تأتى أهمية مؤتمر «التوجيه الإسلامى للعلوم» الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع جامعة الأزهر ، وعقد برعاية الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الفترة من ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٣ هـ حتى ٢ جمادى الأول ١٤١٣ هـ/ ٢٤ ـ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٢ م بمركز جامعة الأزهر للاقتصاد الإسلامى وشارك فيه جمع غفير من علماء الدول الإسلامية ونوقشت الأبحاث المقدمة ، بعد جلسة الافتتاح فى خمس عشرة جلسة ، وشملت المحاور الأربعة الآتية :

١ ـ التوجيه الإسلامى للعلوم ـ مفهومه وأهدافه ومنهجه ومعوقاته .

٢ ـ التوجيه الإسلامى للعلوم الإنسانية والإعلام وتقويم مناهجها الحالية .

٣ ـ التوجيه الإسلامى للعلوم الأساسية والتطبيقية وتقويم مناهجها الحالية .

٤ ـ دور الجامعات والمؤسسات الأكاديمية الإسلامية فى توجيه العلوم .

ونقدم كلمات الافتتاح ـ يليها تحليلا عاما للجلسات فبعض البحوث ثم القرارات والتوصيات التى اتخذت من واقع الأبحاث المقدمة والتى أقرت فى الجلسة الختامية .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر / شيخ الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .

معالى الأستاذ الدكتور/ عبد الله عبد المحسن التركى رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية .

فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

موضوعنا الذى تحدث فيه الزملاء تحت عنوان مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم موضوع هام ، ومن الأهمية بمكان أن يتدارسه السادة العلماء المشاركون فى هذا المؤتمر لأنه يرد بشكل عملى على ماينادى به البعض من انحسار الإسلام وانحصاره فى عبادات ، أو فى أركانه الخمسة الظاهرة .

هؤلاء اللذين يتنادون بذلك ينبغى أن يعلموا ويتعلموا من دراسات هذا المؤتمر : أن الإسلام كما قيل قديماً « دين ودنيا » ، وأنه جاء ليحكم كل تصرفات الإنسان وأعماله ، ليس العمل العبادى فحسب ، وإن كان كل عمل الإنسان فى نظر الإسلام عبادة ، ولكن حتى الأعمال التجريبية ، حتى العلوم التجريبية ، كل هذا علم ينفع الإنسان فهو مشمول برعاية الإسلام ، وبضوابطه وبأخلاقياته ، وسلوكياته وإذا كان لى – بعد الأحاديث المستفيضة – التى قدمها الزملاء الكبار – أن أوصى هذا المؤتمر فإنى أقترح أن تكون هناك خطوات عملية تتعاون فيها الجامعات الإسلامية فى هذا المجال العلمى ، ولعلى إذا صدق فهمى أتنبأ بأن توجيه هذا المؤتمر هو للدراسات والعلوم التجريبية التى تملأ العالم الآن والتى نشعر أننا فيها مقتدون ونقدة إلى الآن ، وليست لنا تجارب ننفرد بها أو نتقدم بها إلى سوق العمل العلمى ، وهذا ما أعنيه من أنه فى نظرى ربما يكون من توصيات هذا المؤتمر أن تكون هناك جمعيات علمية مشتركة بين الجامعات الإسلامية وذوى الإختصاص التجريبى فيها لتقود الحياة العلمية التجريبية فى العالم الإسلامى لاأقول سباق مع الآخرين ؛ فإننا ربما لازلنا فى أول الطريق ، ولكن لحوقاً بهم وإبرازاً لدور الإسلام ، لذلك أقول وأكرر أنه : « دين ودنيا » ، إنه يحكم كل شيء ويحكم حتى خلجات النفس ، يحكم الصحة والمرض ، يحكم الإنتاج ، يحكم كل مافى هذا العالم من صنع الإنسان بحكم الإسلام .

أيها الإخوة لعلنا حين نذكر العلوم ومعايير الإسلام الأخلاقية فنتنبأ بأننا نبتعد عن كل علوم الشر ، وأنا لاأجد فى العلم شراً فقد قال القائل القديم [عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه] وتوق الشر من الخير .

فادرسوا ما شئتم ، واستنبطوا ما شئتم من علوم تجريبية ، وحاذروا أن تستعملوها فى الشر ، إلا فى الرد على الشر .

أدرسوا ماشئتم أيها العلماء ، ولكن أرجو وآمل أن نرى علماً يتوجه بتوجيه الإسلام فى أخلاقياته وسلوكياته وأستخداماته . إلا عند الضرورة .

لست بحاجة إلى أن أسوق إليكم الأدلة فإن الله – سبحانه – عَلَّمَ آدم الأسماء كلها فليست الأسماء محمد وعلى وإسماعيل إلى آخر الأسماء بين المسلمين وغيرهم ، وإنما الأسماء تشمل كل العلم والمعلومات ، والإنسان هو مستودع علم الله هو الذى ينبت به هذا العلم ويتفرع ويملأ الدنيا علماً وخيراً وشراً كذلك .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ .(سورة البقرة)

أحييكم فى مؤتمركم وأدعو الله لكم بالتوفيق وأدعوا الله أن يكون لمؤتمركم جديد لأنى لاأحب أن تقتصر المؤتمرات على الخطب فقط ، وإنما لعلنا نجد علماً مقروناً بالعمل شكراً لكم ، وشكراً لمن أقاموا هذا المؤتمر ، وأتاحوا لنا اللقاء بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور / عبدالله التركى

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية

الحمد لله الذى خلق الإنسان وأودع فيه خصائص المعرفة : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾(1)

والحمد لله الذى هَدَى معارف الإنسان بالوحى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(2) .

والصلاة والسلام على خير أنبيائه ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .

---

(1) النحل (78) .
(2) مطلع العَلَق .

فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر .

الأخ الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

الأخ الأستاذ الدكتور إدريس العبدلاوى الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية .

الأخ الأستاذ الدكتور عبد الرشيد عبد العزيز سالم - (وكيل وزارة الأوقاف المصرية) .

أيها الإخوة العلماء والباحثون والمشاركون :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد .

فإنى أحمد الله - جلت قدرته - الذى يَسَّرَ لنا هذا اللقاء ، وأشكر لجامعتنا العريقة - جامعة الأزهر - تعاونها مع رابطة الجامعات الإسلامية فى إقامة هذا الملتقى المبارك ، وأخص بالشكر فضيلة شيخ الأزهر ، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى .

كما أشكر أصحاب الفضيلة العلماء والباحثين الذين أسهموا بأبحاثهم ودراساتهم فى موضوع هذا الملتقى الهام ، الذى يرجو كلُّ مخلص أن يسهم فى مسألة تأصيل العلوم وربطها بالإسلام باعثاً ووسيلةً وغاية .

أيها الإخوة :

لقد أدرك الإنسان بمقتضيات الفطرة وموجبات الحاجة ، أن شئون حياته لا تحقق إلا بالعلم والمعرفة ، فطفق يُعنى بالعلوم والمعارف : رغبةً فى الترقى ، وتفننًا فى معالجة أمور حياته .

ونلحظ - هنا - أنه فى عهود النبوات والرسالات كانت العلومُ المتصلةُ بـ« الإنسان » مهتديةً بالوحى فى حالات استجابة الأقوام لدعوات أنبيائهم ورسلهم .

أما فى الفترات التى تفصل بين الرسل ، أو الفترات التى جعل فيها التأبى والإعراضُ عن دعوات الرسل ، فإن « علوم الإنسان » قد اكتنفها الضلالُ فى الباعث والوسيلة والمضمون والغاية .

ونجد فى القرآن الكريم إشاراتٍ واضحةً إلى هذا التخبط المعرفى ، أو إلى عَوَجِ العلوم واعتلالها وضلالها :

- ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾(1) .
النجم ٢٨

- ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(2) .
الانعام ١١٦

- ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾(3) .
الأنعام ١٤٨

ولما جاء الإسلام تبدل الحال غير الحال ، وربط علوم الإنسان بالوحى ، فاهتدى به علماء

(١) النجم (٢٨) .
(٢) الأنعام (١١٦) .
(٣) الأنعام (١٤٨) .

الإسلام فى دراساتهم وأبحاثهم ، فكانت لهم إسهاماتهم الرائعة والواسعة المدى فى مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية .

كانت لهم إسهاماتهم فى علوم : السلوك ، والتربية ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والأدب ، واللغات ، والسياسة ، والاقتصاد .

وقد نهض بذلك علماءُ فحولٌ جهابذة ، بلغت شهرتهم الآفاق ، ونقلت عنهم الحضاراتُ والأممُ الأخرى .

بيد أن العالم الإسلامى مرّ بفترات عُقْم وجَدْب ومحاق فى مجالات العلوم الكونية والإنسانية . وفى الوقت ذاته نهض غيرهم فى المجالين الاثنين .

فلما صحا المسلمون ، وأدركوا أنْ قد فاتهم الكثيرُ من علوم الكونيات والإنسانيات ، تلبسوا بمحاولات تعويض مافاتهم .

وقد اكتنفت هذه المحاولات وتخللتها أمورٌ لابد من الإشارة إليها :

١ ـ مفاجأةُ المسلمين بكَمٍّ هائل ، وتنوع مذهل فى حقل العلوم الكونية : الفيزياء والكيمياء ، والطب ، والزراعة ، والجيولوجيا ، والفلك ، والاتصالات ، وماتفرع عن هذه من فروع شتى تتناسل منها فروعٌ أدقُ وأكثرُ تخصصاً .

٢ ـ مفاجأتهم ـ كذلك ـ بحشد واسع ومتطاول من العلوم الإنسانية ، كعلوم الاجتماع ، والنفس ، والتربية ، والإعلام ، والإقتصاد ، والسياسة ، والجغرافيا ، وماتفرع عن هذه ـ ونظائرها ـ من فروع عديدة تتوالد منها شعبٌ أدقُ وأكثرُ تخصصاً .

لقد انبهر أكثرهم بذلك إلى درجة نسيان الذات ، والذهول عن الكينونة الخاصة ، وأصابتهم الحيرة والاضطراب ، وفقدوا القدرة على التمييز والانتقاء والاصطفاء ، مما حمل بعضهم على الانغلاق الذى يَحْرِمُ صاحبته من الانتفاع بما يفيد .

لبث المسلمون فى هذا التيه العلمى والفكرى عقوداً عديدة ، ثم بدأ الإحساس بالمشكلة ينمو ويضغط ، ثم تحول الإحساس إلى وعى تمثل فى دعواتٍ غَيْرَى ، ولكنها دعواتٌ لم يواكبها عمل علمى يقدم الأصول والأسس التى تحقق المراد ، وهو : (التأصيلُ الإسلامى للعلوم) .

وأتصور أن هذا المؤتمر نقلة علمية وفكرية جيدة نحو تحقيق هذه المهمّةِ الجليلة : (مهمةِ التأصيل الإسلامى للعلوم) .

نقول هذا ، وفى أذهاننا مفهومٌ معين للمؤتمر ، وهو : العرض الموضوعى لأسس التأصيل ، ومفاهيمه ، يواكب ذلك ويعقبه حوارٌ جاد ، وهادىء ، وعميق ، يمحص ماهو مقدم ، فيقرُّ وينفى ويضيفُ فى سياقٍ ينتهى باستخلاص النتيجة وتحريرها فى نص واضح المضمون ، مضبوطِ العبارة .

فى ضوء هذا ، أستأذن الإخوة فى عرض وجهة النظر التالية :

إننى أتصور قضية التأصيل ومَحَاوِرَهُ على النحو التالى :

أولًا : إستكشافُ مقاييس التأصيل ومعاييره ومفاهيمه ، والمصادر التى نجتلى منها هذه المفاهيمَ والمعاييرَ هى :

(أ) الكتابُ والسنة ، إذ ينبغى اجتلاءُ المفاهيمِ والمعاييرِ من مقتضيات العقيدة ، وأحكـامِ الشريعة ، وثوابتِ الأخلاق .

(ب) والمصدر الثانى للمفاهيم والمعايير هو : التراثُ الإسلامى . والعملُ المطلوب هنا هو : استقراءُ مافى تراثنا من مفاهيمَ ومعاييرَ ورُؤًى . ويتطلب ذلك : الاستقراءَ الكاملَ البصير .. ونقول : (البصيرَ) لئلا يتسللَ إلى مهمة الإنتقاءِ من التراث مفاهيمُ إلتاثت بالخرافة والجهل ، فنحت عن المعايير الحاكمة : معاييرِ الكتاب والسة .

ثانياً : فى هدى المعايير والمفاهيم الواضحةِ المضبوطة ـ المستخلصةِ من الكتاب والسنة ، والمنتقاةِ من التراث الإسلامى .

فى هدى هذه المعايير والمفاهيم ، ينبغى دراسةُ العلومِ الكونية والإنسانيةِ على مستوياتٍ ثلاثة :

(أ) مستوى الدراسةِ الوصفية .

(ب) مستوى الدراسةِ التحليلية النقدية .

(جـ) مستوى الدراسةِ الإنتقائيةِ التى تأخذ من هذه العلوم ماينفعِ ويفيد ، وفق معيارٍ سليمٍ علمياً ، مجمعاً عليه ، أو موضعَ اتفاقِ غالبِ المشاركين فى البحوث والحوار .. والتى تدع من هذه العلوم مايتعارض مع عقائدنا وقيمنا .

وهذا كُلُّهُ يتعلق بالعلوم الإنسانية .

أما العلومُ الكونيةُ ، فإن المطلوب بشأنها هو : إيجادُ إطارٍ فكرى قويمٍ منيرٍ يكون بديلًا لـ« فلسفة العلوم » الكونية ، أو يكونُ مرشداً لها ، يُقِرُّ صالحها ، وينفى خبثها .

ثالثاً : أن تقسم العلوم إلى فئتين :

١ ـ فئةِ العلومِ الكونية ، وتختص بها نخبةٌ من المتخصصين فى الكونيات .

٢ ـ فئةِ العلومِ الإنسانية ، وتختص بها نخبةٌ من المتخصصين فى الإنسانيات .

ثم يتكون فريقٌ متكامل من هؤلاء المتخصصين جميعاً ، يضمُ متخصصين فى العلوم الشرعية لِابتغاءَ تبادلِ المفاهيم ، وتنسيقِ المضامين ، وتوحيدِ المنهج والسياق .

ونحسب أن هذه الخطواتِ خليقةٌ بأن تُبلِّغنا المطلوب ، وتَقِفَنا على مانريد بحول الله وقوته .

أيها الإخوة :

لقد قامت جامعةُ الإمام محمد بن سعودٍ الإسلاميةُ بجهودٍ فى هذا المجال ، من حيث التخطيطُ والتدريسُ والبحث والنشر ، وقامت جامعاتٌ إسلاميةٌ أخرى ـ فى مقدمتها ـ جامعةُ الأزهر بجهودٍ فى هذا المجال ، وقامت محاولاتٌ وجهود أخرى جماعيةٌ وفردية ، وآن الأوان لكل هذه الجهود أن تلتقى ويستفيد بعضُها من بعض ، وتنطلق نحو غايةٍ واحدةٍ ، ووفقَ خطةٍ تعاونيةٍ تكاملية ، أرجو أن يعطيها هذا المؤتمر أهميةً خاصة .

وختاماً أسأل الله لجهودنا هذه ، ولجميع الجهودِ المخلصة ، التوفيق والنجاح ، لخدمة ديننا وأمتنا . «وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾»(١) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) العنكبوت (٦٩) .

كلمة الأستاذ الدكتور/ عبدالفتاح الشيخ

رئيس جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الاسلامية .

السادة العلماء أعضاء المؤتمر .

السادة الحضور .

احييكم بتحية الاسلام .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اسمحوا لى ان أحييكم أجمل تحية فى هذه القاعة التى شهدت فى الأشهر الأخيرة حلقات علمية متعددة لدراسة موضوعات هامة تمس حياة المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة والمجتمعات الأخرى بصفة عامة .

من هذه القضايا الإقتصاد فى الإسلام ، الإدارة فى الإسلام ، الطفولة فى الإسلام ، حقوق المرأة فى الإسلام ، الإسلام وضوابطه فى ضوء الشريعة الإسلامية .

أرحب بكم فى جامعة الأزهر صاحبة التراث العريق فى حقبة تزيد على الألف عام .

أيها السادة : إن الشريعة الاسلامية لم تأت لتعالج الجانب الروحى فقط ، بل جاءت لتعالج مناهج الحياة المختلفة فالإسلام دين سماوى عام نزل من الله لصالح البشر فى كل شىء .

جاء الإسلام بمقررات إلاهية وقواعد كلية تقوم عليها جميع التنظيمات : سياسية كانت أم إدارية ، أم إقتصادية ، أم دستورية .

ودورنا ــ ايها السادة ــ قاصر على فهم هذه النصوص والقواعد الكلية لاستنباط ما يُحكِم امورنا الطارئة سواء كانت علمية أم غيرها .

فدور العلماء قاصر على شرح تلك القواعد وتقنين النظم والعلوم على ضوء ما تشير اليه فالشريعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق المصلحة العامة للناس جميعا فى كل شىء ، كما أنه من الصعب علينا فى ديننا أن نفرق بين ما هو دينى فقط أو دنيوى فقط . إذ كل ما يصدر عنا محكوم عليه من قبل الله ــ تبارك وتعالى ــ فنجازى على فعله بالثواب أو العقاب وصدق الرسول الكريم ــ ﷺ ــ القائل (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى)[1] .

فالأعمال هنا عادة تشمل الدينى والدنيوى ، فالدين هو الأساس فى كل شىء ، ولا يمكن أن يتصور إسلام من غير ان يحكم كل شىء .

نعم الإسلام قد منح الفرد أو الجماعة الشخصية المستقلة ، لكن ذلك إنما كان فى إطار المصلحة العامة . والقواعد الكلية للشريعة ، بذلك حفظ الاسلام للعقل كرامته ، وصانه عن الفوضى فى تفكيره الفردى الأنانى ، إذ يقول جل ذكره . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات ١٣

بهذه الآية الكريمة يضع القرآن الكريم حقائق العقيدة والشريعة .. وحقائق الوجود والإنسانية .. حقائق تفتح للقلب والعقل آفاقا عالية وآمالا بعيدة ، وتثير فى النفس والذهن خواطر عميقة ومعانى كبيرة ، وتشمل من مناهج التكوين والتنظيم ، وقواعد التربية والتهذيب ، ومبادىء التشريع والتوجيه ، مايتجاوز الحدود المعروفة للعقل الإنسانى وقواعد التدبير والتفكير لهذا العقل المحدود بمغرياته الحيوانية والعدوانية .

وبهذه الحقائق التى تتضمنها آية لا تزيد سطورها على سطرين يتكون عالم نقى القلب ، نظيف المشاعر ، عف اللسان ، عف السريرة والتصرف عالم له شرائعه المنظمة لأوضاعه ، وله نظمه التى تكفل صيانته ، فيتوافق باطن هذا العالم وظاهره ، وتتلاقى شرائعه ومشاعره ، وتتوازن دوافعه وزواجره ، وتتناسق أحاسيسه وخطاه ، وهو يتجه ويتحرك الى الله .

ومن ثم يوكل قيام هذا العالم الرفيع الكريم النظيف ، وسلامته وصيانته لمجرد أدب الضمير ونظافة الشعور ، ولا يوكل لمجرد التشريع والتنظيم ، بل يلتقى هذا بذلك فى ترافق وتناسق .

كذلك لا يوكل لشعور الفرد وجهده كما لا يترك لنظم الدولة وإجراءاتها . بل يلتقى فيه الأفراد بالدولة والدولة بالأفراد ، وتتلاقى بالتالى الواجبات والحقوق فى تعاون واتساق .

والفرد هنا هو الإنسان المسلم فى بقاع الأرض الإسلامية ، والدولة هنا لا يقتصر مفهومها على أرض تحدها أنهار وجبال فى ما يسمونه بالحدود

(١) متفق عليه .

الجغرافية السياسية ، وإنما هى دولة الإسلام بمفهومها الذى يجب يمتد توازنها من أجيال الأجداد إلى مايبزغ على ظهر الحياة من بنين وحفدة عن اقتناع بالماضى الذى لا ينسى وثقة فى مستقبل يجب أن نعمل له لنعيد للماضى نوره ، ونفرش وهج الشمس فى مستقبلها .

ايها السادة : أصبح الجميع فى كل بقاع الدنيا ينادى بأنه لابد من عنصر تهذيبى يعدل نزعة الجسم والعقل ، وبالموازنة بين عنصر التهذيب الذى يكونه البشر وبين العنصر التهذيبى الدينى نجد جليا أن العنصر التهذيبى الدينى لا يمكن أن يغنى عنه — فى مهمة التهذيب — عنصر تهذيبى آخر هو من صنع الانسان ، ذلك أن النفس الإنسانية ذات نزعات فطرية ، ومن أولى هذه النزعات الإيمان بقوة غيبية لها وحدها الحكم على القلب والوجدان والإيمان بهذه القوة يدفع إلى طاعتها ولذة الانقياد لها فيما عُلم أنه من جهتها .

هذه الحقيقة شهدت بها الطبيعة البشرية قبل ان تطغى عليها المادة وسلطانها .

هذه الحقيقة تمهد لها كل الشرائع والكتب المنزلة ، انظر قول الله تعالى « فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) (ســورة الروم)

وإذا أمكن أن يكون للحكماء عنصر تهذيبى لأنفسهم يتفقون عليه ويؤمنون به دون أن يختلفوا فيه ، فإنه لا يمكن أن يكون عنصرا تهذيبيا لغيرهم لأن الوازع التهذيبى إن لم يكن نابعا من القلب وعن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، كان بمثابة القوانين التى من صنع البشر يخضع لها الإنسان ظاهريا فقط حيث يخشى طائلة القانون لا غير .

على أن حكمة الحكماء لا تحيط بجميع الجوانب التى كثيرا ما تخفى على العقل المحدود فى إدراكه ، ومن هنا إضطربت قواعد وظهرت أخطاء وتغيرت إتجاهات الطبيعة .

أيها السادة : إن العنصر الدينى ضرورة ملحة لتلبية نزعة الطبيعة فى الانسان ، فإن الأديان جميعها تقف موقف الوسط فى التوجيه والاخذ بالاعتدال والوسطية فى كل شىء ، ليصان العالم وأفراده من الشذوذ فى نموه وسلوكه وتصرفه

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾

الأنعام ١٥٣

ايها السادة : علينا جميعا كدعاة لدعوة الإسلام التى تُقيم سائر العلوم لكبح جماح المعرفة المؤدية فى الكثير منها الى القتل والدمار والفتك بالبشرية ، فكثير من العلوم المجردة عن الوازع الدينى أصبحت أداة للتخريب والطغيان أكثر من أن تكون أداة للتعمير والعدل ، وبهذا انقلبت الحياة إلى جحيم .

أيها السادة : لن يصلح حال هذه الأمة (أمة الإسلام) إلا بما صلح به أولها وهو بث الروح الدينى الخالص بين علمائها وغيرهم .

لكن ينبغى أن يكون واضحا لنا جميعا أن المقصود بالدين هو الدين الذى فهم فهما واضحا صحيحا أخذا من مصادره الأولى دون التجاء الى التقيد برأى فرقة خاصة أو مذهب معين .

كما ينبغى علينا إتقان وسيلة التفاهم وطرق التأثير على القلوب أشكركم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور / عبدالرشيد عبدالعزيز سالم

وكيل وزارة الأوقاف المصرية

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاماً على خاتم الأنبياء والمرسلين .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، سيادة الأخ الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر معالى الأستاذ الدكتور عبدالله التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ، الأخوة العلماء ، السادة الضيوف ، أحييكم بتحية الإسلام ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته . وبعد .

فإن كان مؤتمركم الموقر عن « التوجيه الإسلامى للعلوم » ميدان بحث العلماء والمفكرين الذين أعدوا بحوثهم للعرض عليكم طوال أيام المؤتمر .

فإنى أريد أن أقول كلمة موجزة عن تربية الإنسان فى الإسلام ، وبناؤه العلمى ، واتجاهاته السلوكية فيه . ولعلى بذلك لاأكون قد خرجت عن موضوع المؤتمر ومحتواه .

إن الإسلام يتميز فى تربيته ، بأنه يأخذ الكائن البشرى على طبيعته ، ثم يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة ، والارتقاء بها إلى أقصى درجات السمو الإنسانى ، دون أن يكبت شيئاً من النوازع الفطرية ، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع ، وبين المثل العليا التى يرسمها له .

إنه فى تعاليمه ومبادئه يقترب من الإنسان فى حذر ، فلا يراه مَلَكاً مجرداً من الشهـــوات والرغبات ولا (شيطاناً) ليس فيه إلا الشهوات والرغبات ، وإنما هو بين بين ، وفى مقدوره ـ إن أراد ـ أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر والنقاء ، كما فى مقدوره أيضا أن يصل إلى مستوى الشيطان من الفجور والشر . ولكنه فى حالته الطبيعية بين هذا وذاك (إنسان) مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر ، وذلك شيء من طبيعته ، وليس مفروضا عليه من خارج نفسه . لذلك تعمل التعاليم الإسلامية على إبراز جوانب الخير فيه ، وجعلها فى درجة أقوى من جوانب الشر لينتصر بذلك على تُرَابية الأرض ، التى منها تنطلق كل ألوان الصراع البشرى ، وتأتى الأطماع والأحقاد والفتن ، وتشب العداوات وتضرم النيران ، وتموت الحقيقة ، وتختفى بسمة الحياة فى ظلمات التيه والضلال .

وبين الخير والشر والاقتراب منهما ، نجد فى الإسلام حرصاً كاملاً على إيجاد التوازن فى نفس الإنسان ، ليمتد ذلك منه إلى التوازن فى المجتمع ، ثم فى ربوع الدنيا بعد ذلك بقدر الطاقة ، حتى لايطغى أحدهما على الآخر ، أو ينفصلا ، فلا يكون فى الدنيا إلا مَلَك أو شيطان .

إن الإسلام لاينشد ذلك أبداً ، ولو كان التحول كله جهة «الملائكة» ، وإنما يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة ، وضرورات المجتمع ، ونوازع الفرد ، من غير أن يطغى هدف على هدف ، ولا مصلحة على مصلحة ، وأنما يسير الكل فى توافق واتساق يحقق ـ حين يتم ـ أقصى ما يمكن من السعادة لبنى الإنسان ، ويجعل الطريق بين الخالق والمخلوق ممهداً بالفكر والتصور والعمل .

لهذا كان البناء العلمى للإنسان المسلم يقوم على أساسين مترابطين لاينفصل أحدهما عن لآخر :

أساس روحى يستشرف الحق والفضيلة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، ومايتصل بهما من علوم الدين التى لا تصلح الحياة الإنسانية إلابها .

وأساس مادى منبعه ومحتواه أمور الدنيا التى بها تنشأ الحياة ، وتقوم الحضارة ، ويمتد العمران ؛ وتُقضى الحاجات ، ويرتقى الإنسان .

فهم المسلمون فى العصر الأول هذه الحقيقة فأبدعوا فى علوم الدنيا كما أبدعوا فى علوم الدين ، وسبقوا بوسائل الحضارة والتقدم غيرهم عشرات السنين ، فكان العالم كله يركض خلفهم سعياً لإدراك مفاهيمهم ، واستيعابا لحركتهم ، وتقليداً لأعمالهم . حتى أن مطارنة أوربة فى ذلك الوقت أخذوا يرددون «إن شباب النصارى ذوى المواهب الممتازة ، لايعرفون غير لغة العرب وكتاباتهم ، فهم يقرءون ويدرسون الكتب العربية بمنتهى الحماسة ، وينفقون المبالغ الطائلة فى اقتنائها لمكتباتهم ، ويعلنون فى كل مكان أن هذه العلوم وهذه الآداب مثيرة للإعجاب . وإذا ماتحدثت إليهم عن الكتب المسيحية ردوا عليك باحتقار بأن هذه الكتب غير جديرة باهتمامهم ؛ ويسجل (الفارو) مطران قرطبة : أن النصارى قد نسوا لغتهم وبين الآلاف المؤلفة منهم قلما تجد واحدا بوسعه أن يكتب رسالة إلى صديق بلغة (لاتينية)

مقبولة ، فى حين أن العديد منهم يستطيع التعبير عن نفسه بأناقة بالعربية .

ايها السادة : لقد كان التوجيه الإسلامى للعلوم يتم من أجل الإنسان ، وفى سبيل الحياة لذلك كانت هذه العلوم مصدر خير ونعمة للبشرية كلها ، وكانت موضع جذب واستقطاب من بنى الإنسان ، وامتد فيضها إلى كل أنحاء الأرض ، فعمرها وارتقى بها وأنار لها الطريق ، وكانت الاتجاهات السلوكية للعلماء المسلمين فى الناحيتين (الروحية والمادية) موضع إعجاب وتقدير لدى كل صاحب عقل وبصيرة .

فهم يرون أن الاختلاف فى الرأى والمعتقد الدينى والدنيوى جزء من الطبيعة البشرية التى أرادها الله على ذلك النحو ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود ١١٧ .

لذلك فإن للمختلفين معهم فى الرأى والعقيدة شرعية البقاء والإستمرار ، بل ومن الواجب عليهم إحترامهم وتقديرهم والبر بهم ، مادامو لم يشهروا السلاح فى وجوههم ، ولم يسعوا إلى فتنتهم فى دينهم . ليس فقط استناداً إلى حق الإنسان فى الكرامة والصيانة ، والحفظ المقرر فى العديد من النصوص القرآنية بصرف النظر عن انتاء ذلك الإنسان أو ملته ، وإنما أيضا استجابة للتوجيه الالهى : .

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
الممتحنة ٨

عرفوا أن المجتهد المخطىء لايُحاسب ولايحاكم ، بل يثاب من قبل الله ــ سبحانه وتعالى ــ إذا حسُنت نيته ، وسلم قصده ، بشرط أن يكون مستوفياً شروط الاجتهاد . وسندهم فى ذلك الحديث النبوى الشهير الذى يقرر للمجتهد المصيب أجران . وللمجتهد المخطىء أجر .

وضعوا كثيراً من الضوابط عند تناول أى قضية علمية أو فكرية ، دينية كانت أم دنيوية واشترطوا أن يكون المتصدى للحوار والاجتهاد مؤهلاً لتلك المهمة ، بحيث يبلغ درجة من العلم والدراية تسمح له بالاختلاف والاتفاق ، إن تحقق له ذلك ، فسيصبح بالضرورة مدركاً للساحة التى يوجه منها وإليها خطابه ، وللمساحة التى له أن يتحرك فيها ، لايتجاوز حدودها .

كانت هذه سلوكيات العلماء فى عصور السلف ، لذلك انتصروا وفازوا وبقيت أمجادهم عبر التاريخ .

وكان التوجيه الإسلامى للعلوم لخير البشرية وتقدمها ورقيها ، لذلك اندفع إليه الناس من كل بقاع الأرض يغرفون من معينه ، ويرتوون من فيضه .

ومن الله أرجو أن يعتدل ميزان الدنيا ، فيمسك علماء الإسلام مرة أخرى بجوانب الروح والمادة وينطلقوا بهما إلى سعادة البشرية وسلامها وأمنها .

وفقكم الله وسدد على طريق الخير خطاكم وأسعدكم بصحبة طيبة على أرض مصر الغالبية وأهلا بكم فى دياركم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نظـــرة شـــاملة فـــى المؤتمـــر

يسرية فؤاد على
المركز الاقتصادى ـ جامعة الأزهر

نظم هذا المؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والدكتور / محمد على محجوب وزير الأوقاف .

شارك فى المؤتمر أكثر من مائة وعشرين عالماً وباحثاً يمثلون عشرين دولة إسلامية وعربية وتمت مناقشة أبحاثه فى سبع وعشرين جلسة ، وقد وصل عدد البحوث إلى ثمانين بحثاً تناولت سبل (أسلمة) علـــوم الإقـــتصاد ، والإدارة ، والـــطب ، والكيمياء ، والإعلام ، والإجتماع ، والأدب .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على أهمية هذا المؤتمر ذلك لأنه يقطع الطريق على من يدعى انحصار الإسلام فى العبادات ، وطالب بتعاون الجامعات الإسلامية ، وتكوين جمعيات علمية للاختصاص التجريبى لتعود الحياة التجريبية للعالم الإسلامى حيث لن تتحقق نهضتنا إلا بالتقدم فى العلوم التطبيقية .

وذكر الدكتور عبدالفتاح الشيـخ / رئيس جامعة الأزهر أن من الصعب فى ديننا أن نفرق بين ماهو دينى فقط أو دينوى فقط ، فإن الشريعة جاءت لتعالج مناهج الحياة المختلفة . وأكد أن العلوم التى تخلت عن الوازع الدينى أصبحت أداة للتخريب بدلاً من أن تكون أداة للعدل ، وأعلن أن الجامعة إتخذت خطوات كبيرة نحو تأصيل العلوم الاجتماعية والإقتصادية والتربوية تأصيلاً إسلامياً يؤكد ذاتيتنا الإسلامية ، ويضع اللبنات الأولى للمناهج التعليمية التى تلتزم بالإسلام .

واختتم كلمته بقولـه : ينبغـى أن يكـون واضحاً لنا جميعاً أن المقصود بالدين هو الدين الذى فهم فهماً واضحاً صحيحاً من مصادره

الأولى دون التجاء إلى التقيد برأى فرق خاصة أو مذهب معين .

وقال الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى كلمته : إن هذا المؤتمر نقلة علمية وفكرية جيدة نحو تحقيق هذه المهمة الجليلة « مهمة التأصيل الإسلامى للعلوم » حيث إن هناك مفهوماً معيناً للمؤتمر « هو العرض الموضوعى لأسس التأصيل ومفاهيمه يواكب ذلك ويعقبه حوار جاد وهادىء يمحص ماهو مقدم فيقر وينفى ويضيف لاستخلاص النتيجة فى نص واضح .

ناقش المؤتمر ثمانين بحثاً دارت حول أربعة محاور رئيسية سبق الحديث عنها .

هذا ومن بين الأبحاث الهامة التى ناقشتها الندوة

١ ــ بحث الداعية الإسلامى الشيخ/ أبو الحسن الندوى . حول « مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم » أسسه وأهدافه ، وقد ركز فيه على تفوق المسلمين العلمى فى الماضى ودورهم الرائد فى العلوم النافعة والتجريبية ، التى أظهرت تفوقهم فى شتى العلوم .

بحث لفضيلة الشيخ مناع القطان المدير السابق للمعهد العالى للقضاء بالرياض جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية .

وفيه تناول التعريف بالعلم وأقسامه السبعة وهى :

الأوليات ، والمشاهدات الباطنة ، والمحسوسات الظاهرة ، والتجريبيات ، والمتواترات والوهميات ، والمشهورات .

كذلك تحدث فيه عن اليقين فى العلم ومراتبه الثلاث :

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين

مشيرا فى هذه الأقسام إلى ما يحصل بالدلائل القطعية ، وما يحصل بالمشاهدة ، وما يكون بالملابسة .

٣ ــ بحث الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل عن : (قصور العلم كأساس فى حاجته إلى التوجيه) ذكر فيه :

أن التقدم العلمى التجريبى الذى حققته الحضارة الغربية الحديثة لم يقم على ميراث غربى أوربى بقدر ما قام على ميراث إسلامى ، حيث إن الحضارة الإسلامية لم يقتصر دورها على مجرد رعاية تراث الفكر الإنسانى وتقديمه للحضارة الأوروبية ، وإنما تعدت ذلك إلى وضع المنهج العلمى التجريبى للإسلام .

٤ ــ بحث للدكتور/ كمال إمام رئيس قسم الشريعة بجامعة المنيا الذى أكد فيه ضرورة أن يقوم الإعلام بدور النظام الإعلامى البديل لسد الخلل فى تدفق المعلومات بين الشمال والجنوب ، والتأكيد على خصوصية العالم العربى والإسلامى .

٥ ــ وناقش المؤتمر بحثاً للأستاذ/ جودة محمد عواد أكد فيه على عدد من المعوقات أهمها :

الانبهار بالغرب فى أساليبه العلمية السائدة فى معظم المجتمعات الإسلامية ، والبرامج الإعلامية التى تبتعد بالشباب عن هويتهم العربية الإسلامية .

من بحوث مؤتمر (التوجيه الإسلامى للعلوم)

«المعجزة القرآنيـة فى حسـاب السـرعة الضـوئية» (*)

أ . د . منصور محمد حسب النبى
أستاذ الطبيعة بجامعة عين شمس

الموجــز

طبقا للتفسير العلمى لآيتى السجدة : ٥ والحج : ٤٧ المعتمد من هيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة بمكة المكرّمة بعد استعراض أقوال جمهور كبير من المفسرين ، أمكن الوصول إلى معادلة جديدة في نظام الأرض والقمر تؤدى إلى حساب الحد الأقصى للسرعة الكونية من النص القرآنى لهاتين الآيتين وقدره ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو مترا فى الثانية . وهذه النتيجة تتفق تماما مع قيمة سرعة الضوء المعلنة دوليا وتؤكد بذلك صحة أهم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين فى النسبية الخاصة لأينشتين !

أولا : مقدمــة

١ ــ الحركة فى الكون

الكون كله فى حركة دائبة ، وهذه حقيقة نعرفها بالبحث العلمى فى الظواهر الفيزيائية

(*) ألقى هذا البحث فى نهاية المؤتمر ، وكان له صدى مختلف ، والمجلة تقدمه ليكون مناط بحث ورد لمن شاء أن يعقب عليه تعقيبا علمياً بحتاً ، فهو بحث لم يُسبق بنظير له مما جعل النقد يوجه إليه من علماء المؤتمر بقسميهم ، لكن الحق يقال : إن الباحث لم يدع أنه قال فيه الكلمة الأخيرة ، ولا أنه يرفض فيه نقدا ...

المنتشرة فى جميع أنواع المادة والطاقة المرئية ، وغير المرئية والموجودة فى الكون كله سواء كانت فى السماء أو فى الأرض أو فيما بينهما ... فى الذَّرَّةِ أو فى المجرة ... فالكل يجرى والكل يسبح فى فلك ... والحركة مستمرة ودائبة هنا وهناك فى كل مكان وزمان فى هذا الكون الذى لايعرف السكون ... وصدق الحق تبارك وتعالى مشيرا إلى إنتشار الحركة في الكون .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد : ٤)

وقوله سبحانه مشيرا إلى (الطواف) كإحدى سنن الله الكونية التى تشمل جميع الأجرام السماوية ، وذلك بسباحة كل منها فى فلكه الخاص :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنبياء : ٣٣)

وقوله عز وجل مشيرا إلى جريان جميع الأجرام السماوية :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (الرعد : ٢)

وقوله تعالى مشيراً إلى تمدد الكون :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الذريات : ٤٧)

وعلى الرغم من هذه الإشارات العلمية القرآنية فلقد اعتقد الإنسان ــ قديما ــ أن الأرض ثابتة لا تتحرك ، وأنها مركز الكون ، وأن الشمس والقمر والنجوم كلها تدور حولها ، وبذلك فالإنسان مستقر على أرضه الثابتة ، لأنه سيد الكون ، والكل مُسَخَّر له يدور حول أرضه الساكنة اعترافا بعظمته وإجلالا لَقَدْرِهِ طبقا للنظرة اليونانية القديمة الخاطئة ، والمشاهدة الظاهرية اليومية للحركة الخادعة لهذه الأجرام دون التدقيق فى مفهوم الحركة والسكون ، وهل الحركة مطلقة أم نسبية ، وهل هى حركة ظاهرية خادعة أم هى حركة حقيقية ؟

وظل هذا الاعتقاد الخاطىء سائدا حتى جاء (كوبر نيكس عام ١٥٤٣ م) وأعلن أن الأرض ليست ساكنة ، ولكنها تدور حول الشمس ، وأن الشمس هى المركز وليست الأرض ، وتزعزع إيمان الإنسان بقيمته فى هذا الكون ، وثارت الكنيسة على (كوبر نيكس) ، ولكن ظهور (قوانين نيوتن للحركة) ودرسات (كبلر) و(جاليليو) فى القرن السابع عشر أيدت جميعها النظرة العلمية الصحيحة لكوبر نيكس .

ومنذ ذلك الحين والإنسان يعلم أن ثبات أرضه نسبى ، أما فى الواقع فهو يتحرك مع أرضه ، ويالها من حركة سريعة هائلة ، وليته يتحرك حركة واحدة إذاً لهان الأمر وسهل الحساب ، ولكنه يتحرك مع أرضه ملازما لها حركات متعددة فى آن واحد[1] ، دون أن يشعر بالدوار أو الإغماء نتيجة هذا الجريان الذى يصل إلى سرعة قدرها ١٠٤٤ ميل/ساعة عند خط الاستواء نتيجة الدوران اليومى للأرض حول نفسها ، وسرعة قدرها ٦٧٠٠٠ ميل/ساعة نتيجة دوران الأرض حول الشمس ، علاوة على أن العلم الحديث أضاف فى القرن العشرين حركة ثالثة للأرض مع الشمس ، وهى تدور بسرعة قدرها ٤٩٧٠٠٠ ميل/ساعة

حول مركز المجرة (سكة التبانة)، وحركة رابعة للأرض مع الشمس، وهى تجرى فى اتجاه نجم النسر الواقع بسرعة قدرها ٤٣٠٠٠ ميل/ساعة، وحركة خامسة لنا مع مجرتنا سكة التبانة وهى تنطلق فى الفضاء تتباعد (طبقا لظاهرة تمدد الكون) عن المجرات الأخرى، وتختلف سرعة تباعد المجرات عنا ما بين ٦٠٠ ــ ٤٠٠٠٠ ميل/ثانية. وتزداد هذه السرعة كلما زادت المسافة بيننا وبين المجرات طبقا (لقانون هبل). ويتساءل الانسان الآن: عما إذا كانت المجرات الأخرى هى التى ترتد عنا بهذه السرعة الأخيرة، أم نحن الذين نهرب منها بالسرعة نفسها؟ أم أن كلًّا منا هارب من الآخر بنصف السرعة المذكورة؟ وبهذا فإننا لانستطيع عموما أن نتكلم عن السرعة إلا بمفاهيم نسبية! كما أننا لاندرى إلى أين نحن ذاهبون مع الشمس وهى تجرى فى هذا الفضاء الكونى؟ وصدق الحق ــ تبارك وتعالى ــ فى قوله ــ سبحانه:

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ (يس: ٣٨)

٢ ــ المكان والزمان(٢)

الزمن شىء ليس له معنى إلا فى وجود الحركة التى تميزه، تماما كالألوان التى لا نحس بها إلا فى وجود عيون مبصرة. والأحداث تعنى الحركة، والإنسان يدرك الزمن الفيزيائى كإيقاع حركى منتظم فهو يدرك مرور الزمن مع: دقات قلبه المنتظمة، وتكرار المد والجزر، وتعاقب الليل والنهار، وتوالى أوجه القمر، ولقد شجعت الظواهر الكونية المتكررة المنتظمة المحيطة بكوكب الأرض الانسان على اختراع فكرة الزمن: فاليوم الأرضى هو زمن دوران الأرض حول نفسها.

بينما الشهر العربى هو زمن دوارن القمر حول الأرض.

والسنة هى زمن دوران الأرض حول الشمس، ويشير القرآن الكريم إلى الأهلة التى جعلها الله تعالى مواقيت للناس، تحدد كثيرا من أزمنة مصالحهم بقوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)

والزمان مرتبط بالمكان، ولقد اكتشف العلماء حديثا أن الزمن نسبى وليس مطلقا؛ لأنه يتوقف على المكان الذى نعيش فيه ونقيس منه الزمن، وبذلك فإن لكل كوكب يومَهُ وعَامَهُ الخاص طبقا لسرعة دورانه حول نفسه وحول الشمس، وعلى سبيل المثال فيوم المشترى ١٠ ساعات فقط بينما عَامُهُ (١٢) سنة أرضية.

والكائنات الحية من طبيعتها أيضا أن تتحرك فى زمان ومكان وهى عند انتقالها بنفسها من مكان لآخر تتفاوت فى الزمن والمسافة نتيجة اختلاف سرعتها فى قوله تعالى:

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ (النور: ٤٥)

ولم يتعرف الإنسان حتى القرن السادس عشر الميلادى على سرعة تزيد على سرعة الجواد العربى

(١) بحث للمؤلف بعنوان «حركات الأرض بين العلم والقرآن» منشور فى حولية كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر. العدد الثانى ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م.

(٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن للمؤلف. دار الفكر العربى القاهرة.

الأصيل الذى يقطع عادة حوالى أربعين ميلا فى الساعة ! . وفى أوائل القرن السابع عشر الميلادى تمكن الانسان لأول مرة من قياس (سرعة الصوت) فى الهواء وقدرها ٧٥٠ ميلا فى الساعة ! وقد رأى العلماء آنذاك أن هذه السرعة أمر خارق ! **وأخذوا يتساءلون : هل للضوء سرعة معينة ، أم أنه ينتشر خطيا بسرعة لا نهائية كما كان يعتقد (الفيلسوف ديكارت) ؟**

فى عام ١٦٣٨ م أعلن (جاليليو) أن سرعة الضوء محدودة ، ولكنه فشل فى قياسها إلى أن قام (رومر) عام ١٦٧٦ م بقياس سرعة الضوء لأول مرة بطريقة فلكية بمراقبة أقمار المشترى باستخدام تليسكوب جاليليو ثم تبعه (برادلى) (١٧٢٩ م) ثم (فيـــــزو) (١٨٤٨ م) و(فوكـــولت) ١٨٦٢ م ، (كورونـــو) (١٨٧٦ م) و(ميكـــلسون) (١٨٨٠ م) وتتابعت القياسات فى القرن العشرين لجميع الأمواج الكهرومغناطيسية لتعطى سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء ، وتؤكد القيمة الدولية المعترف بها وقدرها :

٢٩٩٧٩٢,٥
كيلو متر/ثانية

وهذه السرعة الخارقة تكتب أحيانا للتقريب وسهولة التعبير بالمقدار المعروف ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية (٣٠٠,٠٠٠ كم/ثانية) .

ومنذ أن عرف الإنسان هذه القيمة الهائلة لسرعة الضوء وهو يتساءل عن : إمكانية وجود سرعة تفوق سرعة الضوء ؟! وجاء الرد عن هذا السؤال نظريا فى عام ١٩٠٥ حين أعلن العالم (ألبرت أينشتين) استحالة وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء فى النظرية النسبية الخاصة ، وذلك على مستوى الكون الحالى الملموس والمشاهد لنا !

٣ ــ النظرية النسبية لأينشتين

نحن نعلم أن ميكانيكا (نيوتن) (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧ م) تعتبر من أعظم إنجازات العقل البشرى حتى الآن ، والتى على أساسها تتم حساب ممرات الكواكب والأقمار والنجوم ؛ بل ومسارات الصواريخ والأقمار الصناعية فى الفضاء وقوانين الحركة التى تحدد سلوك المركبات والمقذوفات والماكينات ، وغير ذلك من قوانين الميكانيكا الكلاسيكية (لنيوتن) ، والتى اتضح انها ستظل صحيحة علميا ، ولكنها تستبدل بقوانين جديدة فى ما يسمى بالميكانيكا الموجية فى حالة دراسة الجسيمات الذرية الدقيقة ، وتستبدل أيضا بما يسمى بالميكانيكا النسبية لأينشتين (١٩٠٥ م) بالنسبة للأجسام التى تقترب سرعتها من سرعة الضوء ، كما أن قوانين (نيوتن) للجاذبية استبدلها (أينشتين) بالنسبية العامة للفضاء الأحدب (١٩١٦ م) ولن أتعرض هنا لتفاصيل هذه القوانين ؛ لأننا لو غُصْنا فيها لغرقنا رغم أنها تشير إلى سر عظيم من أسرار الكون ، ولكننى سوف أكتفى هنا بعرض المبادىء الرئيسية للنسبية لِنُقَلِّبَ فقط فى ما يهمنا من أصداف على شواطىء بحر النسبية وبحيط المعرفة الكونية لنَمَسَّ الموضوع من أساسياته التى أشار إليها القرآن الكريم كما سيتضح لنا فيما بعد .

لقد اتفقت البشرية فى عصرنا هذا على أن أينشتين (١٨٧٩ ــ ١٩٥٥) هو أعلم علماء القرن العشرين ؛ لأنه بلغ أسمى مراتب المجد العلمى بإعلانه النظرية النسبية الخاصة (١٩٠٥) والعامة (١٩١٦ م) التى كشفت الستار عن أهم قضايا الكون الأساسية .

وتعتمد النسبية على المبادىء الرئيسية التالية التى أعلنها (أينشتين) ، وأيدتها التجارب العملية فى (الفيزياء) والفلك فيما بعد وهى :

(أ) إلغاء فكرة الأثير كوسط افتراضى كونى تسبح فيه الأجرام السماوية ، فالضوء ليس فى حاجة لوسيط ينقله من السماء إلى الأرض ، كما أن الأثير كمكان ثابت مطلق لا وجود له ؛ لأن المكان المطلق والزمان المطلق لا وجود لهما ، وإنما هما نسبيان ، والضوء ينتشر حتى فى الفراغ بسرعة محددة .

(ب) سرعة الضوء فى الفراغ (أو الهواء) وقدرها ٢٩٩٧٩٢,٥ كيلو متر/ثانية ثابت كونى لايتغير فهو المطلق الوحيد فى الكون ، لأن قيمته لاتعتمد على حركة الراصد أو المصدر الضوئى .

(جـ) سرعة الضوء فى الفراغ أو الهواء هى الحد الأقصى للسرعة فى هذا الكون ، ولن يصل البشر إلى قياس سرعة أكبر منها ، لأنه من المستحيل أن نجد جسما ماديا يتسارع حتى يبلغها ، ومن العبث أن نتحدث عن سرعة أكبر منها فى هذا الكون .

ولتبسيط هذا فنحن نعلم أن ميكانيكا (نيوتن) القديمة تسمح لنا بالجمع الاتجاهى للسرعات العادية المألوفة . ولو فرضنا رصاصة تنطلق بسرعة ٣٥٠ كم/ساعة بالنسبة للأرض من فوهة مسدس ، ثم ركبنا سيارة تتحرك بسرعة ١٥٠ كم/ساعة ثم أطلقنا الرصاصة من نفس المسدس فى اتجاه حركة السيارة أولا ثم فى اتجاه مضاد ثانيا لوجدنا أن السرعة المحصلة للرصاصة فى الحالة الأولى = ٣٥٠ + ١٥٠ = ٥٠٠ كم/ساعة بينما تصبح ٣٥٠ - ١٥٠ = ٢٠٠ كم/ساعة فى الحالة الثانية مع العلم بأن السرعات كلها مقيسة بالنسبة لأرض ساكنة نسبيا .

أما فى حالة نجم فى السماء يتحرك بسرعة ١٠٠ ألف كم/ثانية مثلا ويشع ضوءاً بالسرعة المعروفة ٣٠٠ ألف كم/ثانية فى الفراغ فإنه طبقا لقانون نيوتن فإن الضوء سيصل إلينا من النجم بسرعة ٤٠٠ ألف كم/ثانية (أى مجموع السرعتين) اذا كان النجم مقتربا منا نحن سكان الأرض ، وبسرعة ٢٠٠ ألف كم/ثانية (أى بفرق السرعتين) إذا كان النجم مبتعدا عنا ! وهذا غير صحيح لأن ميكانيكا (نيوتن) لا تنطبق على السرعات العالية كما أعلن ذلك أينشتين فى النسبية الخاصة ، وهو يؤكد لنا أن الضوء سيصلنا بسرعته المطلقة التى لاتتغير أى ٣٠٠ ألف كم/ثانية سواء كان النجم مقتربا منا أو مبتعدا عنا طبقا لقانون جديد فى تراكب السرعات لا يسمح لنا برقم أعلى من سرعة الضوء التى لاتعتمد على حركة الراصد أو المصدر ، فهى متساوية من وجهة نظر جميع المراقبين المتحركين فى مختلف الكواكب فى مجرتنا ، او فى المجرات الأخرى فالجميع يقيسون نفس السرعة الموحدة فى الكون كله ، أى ٣٠٠ ألف كم/ث (تقريب للرقم الدولى ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية) فهذا رقم كونى مطلق ، وليس نسبى . وتحدى (أينشتين) بذلك مفاهيمنا القديمة فى جمع السرعات قائلا :

«**إن سرعة الضوء ـــ شئنا أو أبينا ـــ هى المطلق الوحيد فى الكون !**» .

وإذا بدأنا بهذه المفاهيم لأينشتين وجردنا الكون كله من المفاهيم المطلقة ماعدا سرعة

الضوء فهى المطلق الوحيد بينما المكان والزمان نسبيان ، فإننا سنصل إلى أن الكون له أبعاد أربعة : (طول وعرض وارتفاع وزمن) وان كل شىء يتحرك يحمل زمنه معه ، وأن الجسم الذى يتحرك بسرعة تقترب من سرعة الضوء ينكمش زمنه وطوله وتزداد كتلته بالنسبة للمشاهد طبقا لقوانين النسبية الخاصة ! ، وأن المادة تتحول لطاقة أو العكس طبقا لعلاقة اينشتين التى تنص على أن : الطاقة تساوى حاصل ضرب الكتلة فى مربع سرعة الضوء ! ، وبهذا نصل إلى إدماج المكان والزمان والمادة والطاقة فى أعظم قانون عرفته البشرية فى القرن العشرين فى النسبية الخاصة لأينشتين (١٩٠٥ م) .

(د)الكون كله منحنى طبقا للنظرية النسبية العامة لأينشتين (١٩١٦ م) التى تؤكد مبدأ تحدب الفضاء بمكانه ، وزمانه ، ومادته ، وطاقته لدرجة أن الضوء بجميع أمواجه لايسير فى خطوط مستقيمة ، ولكنه ينحنى أو يتعارج أو يعرج فى الفضاء الكونى المحدب بأبعاده الأربعة فى الهندسة الكونية الجديدة التى تؤكد أن الجاذبية نوع من التسارع فى حسابات معقدة تعرف (بقانون التكافؤ) !

(أ)ثبات سرعة الضوء فى الفراغ ، وهى المقدار المطلق الوحيد فى الكون (٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية) . وقيمتها هى الحد الأقصى للسرعة الكونية (نسبية خاصة) .

(ب)العروج (بمعنى السير فى إنحناء) هو صفة شاملة للكون (نسبية عامة) .

ثانيا : القرآن الكريم يقرر الحد الأقصى للسرعة الكونية

يقول سبحانة وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجده : ٥)

وطبقا لأقوال جمهور كبير من المفسرين[٣] والمفهوم العلمى للنسبية فإننا نثبت فيما يلى أن هذه الآية تحدد مقدار السرعة القصوى فى هذا الكون ويؤيد ذلك النص القرآنى فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ **(الحج : ٤٧)**

١ ــ آية السجده : ٥

(أ)الآية تشير إلى دوام التدبير والعروج :

يقول أبو حيان : أشارت الآية إلى دوام أمر الله .

ويقول الألوسى : تكرار التدبير إلى يوم القيامة يدل عليه العدول إلى (المضارع) فى الفعل يدبر ويعرج .. كأنه قيل : يُجَدّدَ هذا الأمر مستمرا .

ويقول الفخر الرازى : إن قوله تعالى :

﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر ، وليس المراد منه قصر التدبير والعروج على يوم واحد أهـ .

فاليوم هنا (وحدة قياس) وليس كوقت انتهاء حدث وانقطاعه .

(٣) بحث بعنوان « المعجزة العلمية فى بيان الحقائق الكونية » للطبيب محمد دودح الباحث بهيئة الإعجاز العلمى للقرآن بمكة المكرمة بمقر رابطة العالم الإسلامى تحت إشراف الشيخ عبدالمجيد الزندانى أمين عام الهيئة المذكورة .

وقوله تعالى :

﴿كان مقداره﴾ يدل بالفعل الماضى (كان) على معنى الأزلية والدوام ؛ لأنها فى موضع قياس كما فى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾النساء : ١٢٦) بمعنى أى وهو دوما كذلك (فتح البارى) .

وأما لفظ «مقداره» فيدل على : المقدار بمعنى المقياس والحد (المعجم الوسيط) .

والضمير فى «مقداره» يعود على التدبير والعروج ولايعود على اليوم (مجاهد وأبو حيان) ؛ لأن اليوم لايستوعب كل التدبير والعروج لأمر كونى دائم ، ولأن حرف الجر فى قوله تعالى : ﴿فى يوم﴾ يدل على أن اليوم المحدود اشتمل على مقدار محدود من التدبير والعروج الدائم الغير محدود ، أى أن اليوم هنا وعاء لِعَيِّنَةٍ من التدبير والسير تماما مثل قولنا : «ماء البحر فى الكوب» أى بعض من ماء البحر فى الكوب لا البحر كله أهـ .

ولقد نفى معظم المفسرين استيعاب اليوم لكل التدبير والعروج ، حتى لايتوهم البعض بأن آية السجدة مقصود بها بيان.عمق السماء وتحديد المسافة بين السماء والأرض ، فهذا توهم لادليل عليه ولابرهان ، ويتعارض مع القرآن فى قوله — تعالى :

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

(الذريات : ٤٧)

كما أن الأحاديث المنسوبة للنبى — عليه الصلاة والسلام — فى بيان عمق السماء ضعيفة الإسناد ، كما أن أقوال البعض بأن اليوم هنا (غيبى) ومن أيام الآخرة قول خاطىء يتعارض مع الوصف القرآنى ﴿مما تعدون﴾ .

(ب)الآية تشير إلى أن اليوم من أيام الدنيا المحدودة والسنوات قمرية معهودة : أفاد جميع المفسرين (ابن عباس — الألوسى — الزمخشرى — ابن كثير — الطبرى وأبى حيان وغيرهم) أن اليوم من أيامكم معشر البشر أى من أيام الدنيا المحدودة ، وأن السنة من سنين الدنيا التى تعهدونها .

(جـ)قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ :

تدل — كما فهم معظم المفسرين — على حد السرعة فى السماء ؛ لأن الأمر هنا يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد (الزمخشرى وأبو حيان) منسوبا إلى حد استطاعة البشر فى قوله تعالى : ﴿مما تعدون﴾ أى مما يقع تحت قياسكم ، فيمكنكم أن تعدوه بطريقتكم التى تعهدون فى عد السنين وتحصُون .

وقال ابن عباس : «لسرعة سير هذا الأمر يقطع مسيرة سنة فى يوم من أيامكم» وأكد ذلك أيضا الزمخشرى والقرطبى وأبو حيان .

ولقد أجمع المفسرون على أن شهور السنة القمرية مبنية على سير القمر فى المنازل كما فى قوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (يونس : ٥) فيكون بذلك معنى قوله تعالى : ﴿ألف سنة مما تعدون» هو مسافة ألف سنة قمرية أو سير القمر فى ألف سنة قمرية ، لأن الذى يقاس على سيره فى ألف عام لن يكون الإبل مثلا ، بل يكون آية عامة مشهودة وتسير بانتظام وأجلها فوق الألف عام .. وهذه الأوصاف تتناسب مع القمر المستخدم أصلا عند العرب فى عدد السنين .

وقوله تعالى ﴿ثم يعرج إليه﴾ : يدل على عروج الأمر أى الصعود أو السير فى انحناء بغير تحديد الاتجاه ، أى الحركة فى خطوط ملتوية ، أى أن الفعل يعرج يدل على الحركة وقطع المسافات فى مسارات منحنية ، ومنه الفعل تعارج أى : حاكى مشية الأعرج ومنه تعرج الشىء وتعرج : انعطف ومال وفاعل يعرج هنا هو (الأمر) (المعرف بأل) ويدل على وجود وكونى من مادة هذا العالم المنظور فى السماء والأرض بدلالة الاقتران فى التعبير عن تدبير الأمر من السماء إلى الأرض المعهودتين لنا ، وعن الوسط بين السماء والأرض أى الفراغ أو الهواء الذى يتم فيه العروج بهذه السرعة الموصوفة . (وقوله عز وجل ﴿يعرج إليه﴾ يدل على كونية الأمر فى ملك الله ـــ تعالى ـــ وفى تقديره وحكمه ، وأنه أمر حادث له بداية ونهاية ، وترجع قوانينه كلها إليه ـــ وحده ـــ كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ (هود : ١٢٣) .

وبالرجوع إلى الآية القرآنية التالية فإن الضوء ـــ معبرا ـــ عنه كلمح بالبصر هو أحد الأوامر الإلهية الكونية كما فى قوله ـــ تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾
(القمر ٤٩ ـــ ٥٠)

قال الفخر الرازى : ﴿كلمح بالبصر﴾ إشارة إلى غاية السرعة .

ولقد أجمع المفسرون على أن الأمر فى آية السجدة شىء كونى بالغ السرعة وليس أمرا تحمله الملائكة ؛ لأن الله هو المدبر للأمر فى آية السجدة ، كما أن سرعة عروج الأمر الكونى هنا تختلف عن سرعة عروج الملائكة كما فى قوله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ **(المعراج : ٤)**

وسوف نتعرض لسرعة الملائكة فى آخر المقال ولكن السؤال الآن هو : ماسرعة الأمر الكونى فى آية السجدة ؟

وهل هى سرعة الضوء ؟

٢ ـــ آية الحج : ٤٧

يقول تعالى :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

ولقد أجمع المفسرون على أن موضوع النصين : هنا وفى آية السجدة : ٥ يتناول أمرا كونيا واحدا كما قال ابن جرير الطبرى : هو هو سواء . وأن المماثلة هنا بين اليوم والألف سنة ليست الزمن ، ولكن فى مسافة السير للدلالة على نفس الحد للسرعة الكونية . ولقد ورد فى تفسير الآلوسى والزمخشرى ، وابن كثير ، والطبرى وغيرهم أن المقادير فى النصين واحدة حيث قدر اليوم باعتبار مسافة السير فيه بألف سنة لاستبعاد أن يكون ذلك التقدير زمنيا ، أى أن اليوم مما نعد من أيام الدنيا لايساوى مطلقا زمن ألف سنة مما نعد من سنين الدنيا ، ولقد قال ابن العربى والقرطبى والشوكانى أن معنى ﴿عند ربك﴾ أى فى ملكه وتقديره وحكمه أى المتحقق فى هذا الكون بهذه السرعة الموصوفة بالآية .

وقوله ــ تعالى : ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ متبوعا بالقانون الكونى القرآنى للسرعة القصوى ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ تعبير لإظهار القدرة العظيمة ببيان ما عند الله فى ملكه من سرعة جبارة عظيمة المقدار ، تتضاءل عندها كل مقاييس وتصورات أهل الأرض ، فضرب الله للبشر مثلا بأعلى سرعة موجودة بين الأرض والسماء ، أى بأكبر سرعة فى الفراغ فى الكون المادى المشاهد ، مما يفتح لنا الباب على مصراعيه فى البحث عن التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج ، كموضوع هام فى الإعجاز العلمى للقرآن .

٣ ــ التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج : ــ

طبقا لما سبق فى المقدمة العلمية للنظرية النسبية لأينشتين ، واسترشادا بالنص القرآنى للآيتين فى سورتى السجدة والحج ، ولأقوال جمهور كبير من صفوة المفسرين يمكن استنتاج ما يلى : ــ

(أ)قوله ــ تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ، وقوله ــ سبحانه : ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ : تعبير قرآنى عن الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة الثابتة الدائمة فى هذا الكون والتى لايتوقف مقدارها على حركة الراصد أو المصدر ، وهذا يؤكد المبدأ الرئيسى للنسبية الخاصة إذا ثبت حسابيا أن السرعة المشار إليها فى الآيتين هى سرعة الضوء(٤) !

(ب)الوصف القرآنى بتحرك الأمر الكونى بالعروج يشير إلى المبدأ الرئيسى للنسبية العامة التى تصف الحركة فى الكون بالعروج فى مسارات منحنية ، فالضوء أيضا والكون كله بما فيه من زمان ومكان ومادة وطاقة فى حالة انحناء وعروج ، فالمعارج تملأ الكون تعبيرا عن السجود لله مصداقا لقوله تعالى :

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ **(المعارج : ٣)**

(جـ)أن آيتى السجـدة : ٥ ، والحج ٤٧ تسمحان لنا علميا بحساب الحد الأقصى للسرعة الكونية المطلقة طبقا للمعادلة القرآنية التالية والمستنتجة من النص الشريف للآيتين ، والتى أقرها من الناحية الشرعية مؤتمر مكة المكرمة (١٤١٠ هـ)(*) : «المسافة التى يقطعها الأمر الكونى بالسرعة القصوى فى السماء فى زمن قدره يوم أرضى واحد تساوى تمام المسافة التى يقطعها القمر فى فلكه الخاص حول الأرض فى زمن قدره ألف سنة قمرية» .

فإذا طبقنا هذه العلاقة القرآنية ؛ فإننا سوف نحصل على قيمة الحد الأقصى للسرعة الكونية كثابت كونى مهما تغير زمن اليوم الأرضى وطول المدار القمرى بمرور الدهر فالعلاقة تعتبر قانونا فى الفيزياء الفلكية فى نظام الأرض والقمر(*) قائما على التفسير العلمى لآيتى السجدة والحج .

[يتبع]

(٤) تابع البحث فى العدد القادم ، وراجع (الكون والإعجاز العلمى للقرآن) للكاتب . دار الفكر العربى ــ القاهرة .

* قانون عرضه المؤلف على المؤتمر التحضيرى للفيزياء الفلكية المنعقد فى مكة المكرمة فى ١٤١٠/٥/١ (٨٩/١١/٢٩) بهيئة الإعجاز العلمى برابطة العالم الإسلامى .

مستقبل التربية والتعليم في البوسنه والهرسك

إعداد : قسم التحرير بالمجلة

فضيلة الشيخ يعقوب سليموفيسكى
رئيس العلماء والطائفة الاسلامية فى البوسنه والهرسك

البوسنه والهرسك .. إحدى الجمهوريات الإسلامية التى يجرى ذبحها تمهيداً لدفنها فى ظل الشرعية الدولية الجديدة ، إذ كيف يسمح المسلمون لأنفسهم بأن تكون لهم دولة فى قلب أوربا ؟!

ولكن ـ رغم القتل والتشريد ـ مازال أبناء البوسنه والهرسك على صمودهم فى كافة الميادين ، ومن بين هذه الميادين : ميدان التربية والتعليم .

فى إطار مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالإشتراك مع جامعة الأزهر .. قدم الدكتور عمر ناقيتشيتفينش عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية بسراييفوا دراسة علمية عن التربية والتعليم فى البوسنه والهرسك فى ظل الوضع الجديد بعد اندثار الشيوعية وسقوط الإتحاد اليوجوسلافى وإعلان قيام جمهورية البوسنه والهرسك ، بعنوان « خلاصة معايير التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم وتقويم تربيته فى بيئة إسلامية تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى » .

وتعميما للفائدة رأت (مجلة الأزهر) أن تقوم بنشر بحث الدكتور عمر مصحوباً بشىء من الاختصار ـ يحتمه حجم المجلة ـ مع الاحتفاظ بقلم الباحث فى كل كلمة نوردها فى هذا المختصر حتى يتعرف قارئنا الكريم فى العالم الإسلامى على ما جرى ويجرى فى هذه البقعة الإسلامية العزيزة على نفس كل مسلم .

خلاصة معايير التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم وتقويمه فى بيئة إسلامية تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى

إعداد
د. عمر ناقيتشيفيتش
كلية الدراسات الإسلامية سرايفو

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾
سورة آل عمران : الآية ٧٩ .

وقبل أن ندخل الموضوع بعنوان « معايير التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم وتقويم تربيته فى بيئة تعيش وسط بيئات الأديان السماوية الأخرى ، لابد أن نشير :

١ ـ إلى بعض المعلومات عن موقع منطقة بوسنه وحالة المسلمين فيها .

٢ ـ إلى بعض صفات المربى المسلم ، ومن ثم نتحدث عن المعايير التى نراها من أهميتها لوضعنا الراهن وهى لب الموضوع . وذلك من زاوية حادثة حدثت أو تحدث عندنا فى بوسنه .

لقد جئت من إحدى المناطق المنعزلة عن البيئة الإسلامية والتى هى ـ مع تشابه سكانها ـ جزيرة محيطة بالبحر العميق حيث تضرب عليها الأمواج من جميع جوانبها وتهب رياح شديدة حاملة معها أنواعاً من السموم تسمم بها أرواح الأطفال والشباب الصافية ، لقد جئت من بوسنه وهرسك احدى جمهوريات يوغسلافيا السابقة الواقعة بشبه جزيرة بلقان والتى تعيش فيها حوالى خمسة ملايين نسمة ومن جملة سكانها نصفهم مسلمون أباً وجداً . وبالرغم من أنهم يعيشون وسط البيئة الأوروبية المعادية للفكر الإسلامى غالباً فإنهم مازالوا يرسلون تحياتهم الحارة إلى روح الحبيب الأكرم بالكلمات :

إن نلت ياريح الصباح يوماً إلى أرض الحرم
بلغ سلامى روضة فيه النبى المحترم

وتقول بعض الإحصائيات : أن عدد المسلمين الذين هاجروا بوسنه وهرسك ويعيشون هم وأبناؤهم فى مختلف البلاد الإسلامية وأوروبا الغربية وأمريكا وخاصة فى دولة تركيا يزيد بكثير عن الذين يعيشون اليوم فيها . وكثيراً ما نخاف أن يحدث مع مسلمى بوسنه مثل ماحدث مع مسلمى الأندلس .

إن مسلمى بوسنه يعيشون فى العزلة وليس لهم المفر وهم اليوم مثل ما قال طارق بن زياد فى خطبته مخاطباً لجيش المسلمين قبيل فتوح الأندلس : أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصون من أيدى عدوكم .. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا (من خطبة طارق بن زياد قبل فتوح الأندلس) .

إن مسألة دخول الإسلام بلاد بوسنه لم تلق عليها حتى الآن الأضواء الكافية إلا أن الإسلام انتشر غالباً على أيدى العثمانيين فى دفعتين كبيرتين ومن هذه الزاوية ينبغى النظر إلى إنتشار الإسلام بين سكان هذه المنطقة كمسيرة واحدة لموجتين كبيرتين ، الأولى : عندما اعتنق الجزء الأكبر من أهاليها الإسلام مباشرة إثر مجيء السلطان محمد الفاتح والموجة الثانية لاعتناق الإسلام فى بوسنه ظهرت فيما بعد فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى . والجدير بالذكر أن اعتناق الإسلام من جانب سكان بوسنه لم يقتصر على طائفة معينة منهم بل شملت سكان القرى والمدن فى وقت واحد وذلك لأسباب عديدة منها ، حسب ماهو معروف .

* حسن دعوة الفاتح .
* تعاليم القرآن وديموقراطية الإسلام .
* الرغبة فى الحفاظ على الامتيازات السابقة والحصول على الجديدة .
* الرغبة فى الحفاظ على الامتيازات التى حصل عليها سكان بوسنه المسلمون من السلطان الفاتح فى إرسال أطفالهم وشبابهم إلى إستانبول .

ولسنا فى حاجة إلى أن نحصى جميع العوامل التى كان لها التأثير الفعال فى نشر اللغات الإسلامية العربية والتركية والفارسية بين سكان بوسنه بل سنكتفى هنا بالإشارة إلى أن تلبيتهم لدعوة الفاتح ونشر الدين الإسلامى وتكييفهم الحياة مع هذه المبادىء فرضت عليهم أن يتعلموا هذه اللغات إذا أرادوا أن يحافظوا على حقوقهم وجميع الإمتيازات المكتسبة أو الممنوحة لهم ، أو أرادوا أن يطلعوا على الدين الإسلامى ، وخاصة إذا أرادوا أن يعلموا الناس مبادىء الدين الجديد لأن التعليم فى جميع المدارس كان يجرى باللغات الثلاث إذ أن اللغة التركية كانت لغة إدارية رسمية بينما اللغتان العربية والفارسية كانتا لغتى العلم والدين والأدب . وبانتشار الإسلام فى هذه البقعة من شبه جزيرة بلقان انتشرت حضارته وعلومه وآدابه باللغات الثلاث وكانت المساجد والكتاتيب والمعاهد الدينية والتكايا (الزوايا) المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد ينابيع الكتابة والحضارة الجديدة[1] ، وكانت هذه الجوامع والمعاهد الدينية تبنى فى كل مكان يعيش فيه المسلمون وخاصة فى الأماكنة الرئيسية وقد كان فى بوسنه وحدها فى خلال القرن الماضى مايزيد عن ألف مسجد وألف وخمسمائة كتاب لتعليم الأطفال مبادىء الإسلام وقراءة القرآن الكريم ومائة مدرسة (المعهد الدينى) . ونتيجة ذلك ظهر عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء الذين استعملوا هذه اللغات الإسلامية فى إنتاجاتهم الفكرية .

وبدأت بوسنه تتأثر بطابع مدن البلاد الشرقية حيث إنها تطورت تحت تأثير الحضارة العربية الإسلامية وفنها المعمارى بصورة مباشرة وأنشأت فى كل مدينة كبيرة وصغيرة منشآت خيرية

---

(١) قدمت مجلة الأزهر كتاباً بعنوان «المختار من الجوهر الأسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنه لمؤلفه محمد بن محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسنوى المعروف بالخانجى . وفى الكتاب بيانات مفصلة عن مجهود المسلمين العلمى فى هذه الديار .. مجلة الأزهر

وشيدت مبانى جديدة ذات طابع ثقافى دينى واجتماعى خيرى وعلمى إنسانى ، وكانت المصادر الأساسية لتمويل بناء هذه المدارس والمراكز الثقافية تتمثل فى الأوقاف العديدة ، وعندما تراجع العثمانيون منها تحول كثير من تلك المراكز إلى حطام أو آثار بسبب العصبية القومية والكراهية الدينية التى ظهرتا فى شكلهما الكامل يحوطهما جهل عوام الناس، نذكر هنا على سبيل المثال مدينة بلغراد ــ وإن كانت بلغراد تقع فى صربيا، خارج بوسنه ــ أنه كان فيها ٢٧٠ كتاباً وتسع مدارس (معاهد دينية مختلفة) وتسعة معاهد لدراسة الحديث النبوى وسبع عشرة زاوية ومائتان وسبعون مسجداً ، أما اليوم فمسجد صغير واحد لاغير .

(كان فى بلغراد ٢٧٠ كتاباً وتسع مدارس وتسعة معاهد دينية لدراسة علم الحديث سميت «دار الحديث» وسبع عشرة زاوية ومائتان وسبعون مسجداً بمحاريبها . وليا تشيلبى سياحت نامسى ، ترجمة الدكتور ح. شابا نوفيتشر ، سراييفو ، ص ٩٦ ــ ٩٩) .

ذكرنا آنفاً أن بعض هذه المبانى الإسلامية دمرت قبل الحرب العالمية الثانية وبقيت بعضها ولكن السلطات الماركسية الشيوعية التى سيطرت فى البلاد بعد الحرب العالمية الثانية بذلت أقصى جهودها لمحو ما بقى منها . وحيث أننا نناقش هنا موضوع التعليم والتربية فإننا سنركز كلمتنا على هذا الموضوع بصورة موجزة .

لقد حاول حاملو هذه الأفكار الهدامة بكل وسيلة ممكنة التدخل فى أوساط إسلامية ودوائرها لغرض إساءة هدف التعليم والتربية للجيل الناشىء بعلومهم المتوغلة وأخلاقهم وسلوكياتهم المنحرفة وقد مكنت السلطات فى كثير من بلاد أوروبا الشرقية إعطاء المناصب العليا أو الرئاسة إلى أشخاص معينين ليديروا ويطلعوا من قريب على المؤسسات الإسلامية والشئون الدينية وتكوين المواقع الإجتماعية المناسبة بين الجماهير لأنفسهم لاستجلاب مودة الجماهير بهدف توجيه الضربات القاضية فى الوقت المناسب لتلك المؤسسات الإسلامية والإسلام نفسه . ولتحقيق هدفهم هذا وجدوا أصدقاءهم وعملاءهم من بين المواطنين المرتدين «لزى علماء الدين» الذين يظهرون بصورتهم الحقيقة كلما سنحت لهم الظروف ، ولا يخفى أن الشعب فى هذه البلاد وكثير من البلاد التى سيطرت عليها الشيوعية شاهدوا نماذج هؤلاء المرتدين لزى علماء الدين أو المثقفين الجامعيين المتظاهرين بأنهم مسلمون . ونتيجة عن أعمال هؤلاء كان :

* اضطرار الشباب إناثاً وذكوراً وبغض النظر عن أديانهم إلى العمل فى معسكرات الشباب متعايشاً فى الخيام ، بهدف شق الطرق ومد سكك الحديد وبناء الدولة ــ حسب أقوالهم الكاذبة ــ وفى الواقع كان الهدف الوحيد من تجنيد الشباب هذا وتربيتهم تربية ملحدة وإبعادهم عن الإسلام .

* إغلاق الكتاتيب فى يوغسلافيا كلها ومنع الكتابة بالحروف العربية ، حتى فى المجلة الإسلامية الوحيدة المسماة بـ «غلاسنيق» .

* إغلاق أبواب جميع المعاهد الدينية (المدارس) ومنع الشباب والأطفال عن تعليمهم الدينى .

* تحويل مبانى المعاهد الدينية إلى أغراض أخرى .

★ منح عمل مدرسة واحدة (المعهد الدينى) لسد حاجة السكان المسلمين ليوغسلافيا كلها (وهى مدرسة الغازى خسرو بك) لكن غيرت السلطة بالتعاون مع عملائها من بين المواطنين المتلبسين بزى علماء الدين ومع مثلهم من الجامعيين المثقفين برنامج التعليم ومنعت طلاب هذه المدرسة من دراسة المواد العلمية (الرياضة والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء).

★ تأميم جميع الأوقاف بغض النظر عما جاء فى وقفية صاحب الخيرات والواقف وأصبحت الطائفة الإسلامية أفقر الطوائف مادياً ومعنوياً حيث ترك كثير من الأئمة والخطباء والمعلمين وظائفهم بسبب عدم وجود أية مصادر أو إمكانيات لسد حاجة المعيشة وتغذية أهاليها، وبعد إغلاق أبواب المدارس الدينية من طرف الحكومة أمام الطلبة فإنه لم يبق مجال أمامهم لتعليم مبادىء الدين إلا فى بيوتهم ونتيجة عن ذلك نجد اليوم أن كثيراً من المساجدالموجودة فى بلاد أوروبا الشرقية بدون الأئمة والخطباء ومئات الآلاف من المسلمين لايعلمون شيئاً عن الإسلام والأخلاق الإسلامية لأنهم نشأوا وتربوا فى البيئة التى كانت تهدف إلى تربية الجيل الناشىء لمخالفة الإسلام وأغراضه. واليوم وبعد اندثار الشيوعية وإعطاء النوع من الحرية الدينية إلى الشعوب التى كانت تعيش تحت سلطة الشيوعية نجد أنفسنا أمام المسئولية الكبيرة ماذا نفعل وفى أى إتجاه نتحرك؟ لذا خصصنا نحن فى بوسنه وقتاً طويلاً لدراسة هذه الأوضاع لوضع البرامج المدروسة والدقيقة، وقد وجدنا أنه أمامنا طريقين أو توجيهين:

★ التوجيه الإسلامى للعلوم

★ وتوجيه المربى والمعلم إسلامياً، فإننا اخترنا وفقاً لظروفنا، هذا الآخر لأننا نرى أنه التوجيه الإسلامى لبرامج تربية المعلم أو المربى إسلامياً أهمها وأعظمها وبعد تحليل جميع الشروط والإمكانيات التى تحيطنا قررنا بما يلى:

١ – تحليل آراء طلبة المدارس الثانوية الحكومية وآراء آبائهم بشأن التعليم الدينى وميولهم إليه لإثبات نوعية التعليم الدينى، هل سيكون التعليم الدينى تعليماً إجبارياً أو اختيارياً و تطوعياً (فاكولتاتبف).

٢ – تحليل اهتمام الجماهير بالدين ونوعية هذا الاهتمام هل هو شىء طبيعى أو ظاهرة من الظواهر المعاصرة التى لم يتوقعها أحد؟

٣ – تحليل برامج التعليم الدينى التى كانت مقررة وسارية المفعول قبل إلغاء التعليم الدينى فى المدارس الحكومية وكذلك تحليل برنامج التعليم الدينى لطوائف دينية أخرى وخاصة الطائفة الكاثوليكية حيث أن لها خبرة طويلة فى التعليم فى شتى الميادين والظروف.

٤ – تحليل متطلبات دينية معاصرة وتنسيق برامج التعليم بمبادىء طرق التعليم المعاصرة مع المحافظة فى ذلك على الكيان الإسلامى وعدم السماح بالانحراف والإبعاد عن الأصول الدينية الإسلامية مع السعى الدائم للمزيد من الدقة والبحوث والآراء والإبداع والتحقيق والحفظ الفقه العريق لأنه إرث السلف الصالح.

٥ – تحليل الأخطاء التى وقعت فيها الهيئات الحكومية التعليمية الشيوعية أثناء تربيتها الجيل

المعادى للديانات ، لأن الجيل الناشىء المتربى على المبادىء الماركسية رفض تلك النظرية .

٦ ـ وضع البرامج الجديدة وفقاً للمتطلبات المعاصرة فى سبيل رفع المعنوية الإسلامية وتعميم دراستها (علم الأخلاق وتهذيب النفس وسير السلوك) والتى أهملتها طرق التعليم السابقة إهمالا كاملا .

٧ ـ تحليل متطلباتنا التعليمية بشأن المعلمين ، وفقاً لظروفنا الحالية ، فى الوقت الراهن لسد حاجتنا فى التعليم فى المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية التى لم يكن فيها أى نوع من أنواع التعليم الدينى بل إن جميع المواد الدراسية المقررة فيها كانت تناقش بصورة معادية للدين بغية تحقيره أمام أعين الناس .

إن الحالة السياسية تحسنت[١] وبدأ الدين يؤدى دوره المهم فى المجتمع لذا كنا مضطرين إلى أن نتخذ هذه الخطوات لندرك مافاتنا من التعليم والتربية طوال خمسين سنة ، إن عدد المدارس الابتدائية والثانوية الحكومية فى بوسنه مع الطلاب المسلمين يحتاج أكثر من ثلاثة آلاف معلم ومعلمة ومن المعلوم أن المدرسة الموجودة الدينية (مدرسة الغازى خسرو بك فى سراييفو) وكلية الدراسات الإسلامية فى سراييفو أيضا لا تستطيعان سد حاجة التعليم الدينى المعاصر وإذا أخذنا بعين الاعتبار أننا مازلنا نحتاج إلى الأئمة والخطباء فى كثير من المساجد فى القرى والمدن فمن الواضح أن هذا العدد سيزداد بكثير ومن ثم أن هناك عدداً كبيراً من أهالى بوسنه المتوسط العمر يحتاجون إلى التعليم الدينى أيضا ، نرى أنه سيكون من الضرورى بذل جهودنا الجبارة وتعبئة جميع القوى الإسلامية الواعية والمهتمة بقضية تربية الجيل الناشىء وتعليمه تعليماً إسلامياً معاصراً فى العالم الإسلامى لتقديم المساعدة المادية والمعنوية داخل يوغسلافيا وخارجها ، وخاصة أننا نحتاج فى الوقت الحاضر إلى توسيع عمارة الكلية أو إنشاء الجديدة مع دار الطلبة لتربيتهم تربية إسلامية ، وبأننا نعيش وسط البيئة الأوروبية المتحضرة ، ونرى أن الطائفة الإسلامية فى بوسنه تمثل جماعة إسلامية واعية منظمة لكن الخطر يحيطها من جميع جوانبها .

لذا اسمحوا لى أن أذكركم فى نهاية كلمتى هذه أبيات شاعر من بنى أبى بكر بن كلاب يستنجد أبا بكر الصديق لتقديم المساعدة إلى المحصورين بجواثا من قبيلة أزد المتمسكين بالإسلام عندما عاد كثير من العرب إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية فلم يكن يسجد لله تعالى فى بسيط الأرض إلا فى ثلاثة مساجد : مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبدالقيس فى البحرين فى قرية يقال لها جواثا ، وفى ذلك يقول :

ألا أبلغ أبا بكر رسولا ... وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ... قعود فى جواثا محصرينا
كأن دماءهم فى كل فج ... دماء البدن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ... وجدنا النصر للمتوكلينا

(شرح مسلم للنووى ١/٢٠٢)

---

(١) يقصد الحياة السياسية داخل المجتمع فى البوسنه والهرسك بعد سقوط الشيوعية بغض النظر عن العدوان الخارجى الصربى .

توصيات مؤتمر
التوجيه الإسلامى للعلوم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد ، فإنه فى الفترة من ٢٧ من ربيع الثانى إلى الثانى من جمادى الأولى ١٤١٣ هـ الموافق ٢٤ ــ ١٩٩٢/١٠/٢٨ م ، وفى رحاب مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر ، وبالتعاون بين جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية ــ عقد مؤتمر :

« التوجيه الإسلامى للعلوم »

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وبرياسة كل من معالى الأستاذ الدكتور / عبدالله عبدالمحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية ومدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح حسينى الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، وبحضور عدد كبير من رجال الفكر والعلم والدعوة والإعلام .

وقد تتابعت ــ بعد حفل الافتتاح ــ جلسات المؤتمر التى بلغت سبعاً وعشرين جلسة ألقيت فيها ملخصات البحوث التى قدمت ، وجرت مناقشات خصبة حول ماورد فيها من قضايا علمية كثيرة متعددة الجوانب .

وقد انطلق الباحثون والمناقشون من إيمان عميق بأن التوجيه الإسلامى للعلوم ضرورة ملحة لاستعادة هوية الأمة الإسلامية عقيدة وشريعة وحضارة .

كما احتسب الحاضرون عند الله ما أصاب مصر من جراء الزلزال ، وأشادوا بما أبداه شعب مصر من إيمان بقضاء الله فيهم ، وحرص قيادة مصر على مواجهة هذه المحنة .

وينتهز أعضاء المؤتمر الفرصة للتنوية الحميد بالجهود التى بذلتها جامعة الأزهر وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم .

ومن مجموع نتائج المناقشات والتفاعلات العلمية بين الباحثين والمناقشين ، ومن واقع أوراق البحوث التى نوقشت يتقدم المؤتمرون بالتوصيات التالية :

أولا : بالنسبـــة لرابطـــة الجامعـــات الإسلامية :

يوصى المؤتمرون رابطة الجامعات الإسلامية بالعمل على تحقيق مايلى :

١ ـ تشكيل لجنة علمية من رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر، والاستعانة فيها بالمهتمين بالتوجيه الإسلامى للعلوم مهمتها ضبط المصطلحات والمفاهيم والمنهجية المتصلة بالتوجيه الإسلامى للعلوم .

٢ ـ تكوين لجنة فى كل جامعة إسلامية مهمتها متابعة الإجراءات الفعلية لعملية توجيه العلوم توجيهاً إسلامياً تضم متخصصين فى العلوم الشرعية وفى العلوم الأخرى ، على أن تجتمع هذه اللجان بصفة دورية مع اللجنة المشار إليها فى البند السابق لتبادل الخبرات والتنسيق والمتابعة .

٣ ـ التعاون مع المراكز والهيئات التى تمنى بقضايا الإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسائر الهيئات الأخرى التى تعنى بقضية التوجيه الإسلامى للعلوم وتشجيع الجامعات الأعضاء على هذا التعاون .

٤ ـ تكويـــن فرق عمـــل من العلمـــاء المتخصصين للقيام بمسح شامل للتراث العلمى الإسلامى وصياغته بلغة العصر ، وذلك بهدف الإفادة من هذا التراث فى التوجيه الإسلامى للعلوم .

٥ ـ تنظيم ندوات ومؤتمرات ولقاءات تعمل على تدعيم التعاون بين علماء الشريعة من جهة والعلماء المتخصصين فى العلوم الكونية والإنسانية من جهة أخرى . وصولا إلى تحقيق هدف التوجيه الإسلامى للعلوم .

٦ ـ إنشاء جائزة سنوية تسمى «جائزة التوجيه الإسلامى للعلوم» تمنح للمبرزين فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم .

٧ ـ إنشاء مركز للمعلومات يعمل على جمع وتسجيل ومتابعة جهود الأفراد والهيئات فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم بالتعاون مع جامعة الأزهر على أن يكون مقره بها .

٨ ـ تعاون رابطة الجامعات الإسلامية مع كل من المنظمتين الإسلامية والعربية للتربية والثقافة والعلوم وغيرها من المنظمات والهيئات المهتمة بالتوجيه الإسلامى للعلوم بهدف دعم العمل على توجيه العلوم والإعلام توجيهاً إسلامياً .

٩ ـ العمل على طبع أعمال هذا المؤتمر وتوزيعه على الجامعات الأعضاء فى الرابطة تعميماً منها .

١٠ ـ متابعة دراسة موضوع هذا المؤتمر فى مؤتمرات أخرى تنظمها الرابطة لتعميق هذا التوجيه وبخاصة مايتعلق بمنهجة التوجيه الإسلامى للعلوم .

١١ ـ تكوين لجنة بالتعاون مع جامعة الأزهر مهمتها متابعة تنفيذ توصيات هذا المؤتمر فى مختلف الجهات .

ثانياً : بالنسبة للجامعات الإسلامية :

يوصى المؤتمرون الجامعات الإسلامية أن تعمل على تحقيق الآتى :

١٢ ـ مراجعة مناهج جميع العلــوم فى التخصصات غير الشرعية بهدف تنقيتها مما يتعارض مع الدين الحنيف وتوجيهها توجيهاً إسلامياً .

١٣ ـ تشجيع طلاب الدراسات العليا على اختيار موضوعات للماجستير والدكتوراه تسهم فى توجيه العلوم فى مختلف التخصصات توجيهاً إسلامياً .

١٤ ـ دعوة الباحثين إلى تحليل ونقد المصادر الأجنبية التى يرجعون إليها فى بحوثهم سواء أكانت فى العلوم التطبيقية أم الإنسانية . وذلك وفق التصور الإسلامى .

١٥ ـ تدريس مقرر عن «الإعجاز» العلمى للقرآن الكريم» على وجه العموم وبخاصة فى مجال الطب لما كشفت عنه البحوث العلمية من جوانب إعجاز متعددة فى هذا المجال .

١٦ ـ تدريس مادة «الثقافة الإسلامية» والعناية باللغة العربية فى الكليات الإنسانية والتطبيقية فى جامعات الدول العربية والإسلامية تحقيقاً للتواصل بين العلوم التطبيقية والشرعية .

١٧ ـ إعداد دعاة يجيدون لغة أجنبية واحدة على الأقل وبخاصة لغة المجتمع الذى يعدون لنشر الدعوة فيه ، وحبذا أن يتلقى هؤلاء الدعاة العلوم الشرعية فى مرحلة الإعداد بتلك اللغة ، على ألا يكون فى ذلك حيف على اللغة العربية .

١٨ ـ تنقية مناهج إعداد المعلم فى مراحل ماقبل الجامعة مما يتعارض مع الدين الحنيف وتوجيهها توجيا إسلاميا بما يساعد معلم المستقبل على تدريس مادة تخصصه وفق هذا التوجيه .

١٩ ـ العناية بإسهامات العلماء المسلمين فى مختلف العلوم وذلك لتدريس مقررات خاصة بهذا المجال ، وإنشاء معاهد متخصصة تعنى بهذا المجال .

٢٠ ـ العمل على دعم وحدات البحوث التى تعمل فى مجال التوجيه الإسلامى للعلوم وفتح آفاق التعاون بينها ، وتوجيه أقسام الإعلام أيضا إلى العناية بهذا المجال .

ثالثاً : بالنسبة لوزارات المعارف والتربية :

يناشد المؤتمرون وزارات المعارف والتربية فى الدول الإسلامية بتوجيه عناية خاصة إلى الأمور التالية :

٢١ ـ العمل على زيادة نصيب العلوم الشرعية فى خطة الدراسة فى التعليم العام (ماقبل الجامعى) وتركيز مناهجها بما يساعد الطالب على المعرفة الوثيقة بأسس دينه ، وما يساعده على السلوك بمقتضاه .

٢٢ ـ توجيه كافة العلوم فى التخصصات غير الشرعية توجيهاً إسلامياً وتنقيتها من عوامل التغريب التى تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف .

٢٣ ـ مراعاة مقتضيات التوجيه الإسلامى للعلوم فى الكتب الدراسية وفى المناخ المدرسى وأن يكون لمسجد المدرسة دور أساسى فى تربية طلابها .

٢٤ ـ أن يعنى النشاط المدرسى بالتربية

الإسلامية وبمساعدة الطلاب على اكتساب التعاليم الإسلامية الصحيحة والسلوك بمقتضاها .

٢٥ ـ أن يكون السلوك القويم من بين الأسس التى يبنى عليها تقويم الطالب بالمدرسة وتوجيه .

٢٦ ـ توجيه مزيد من الاهتمام لمناهج اللغة العربية وبخاصة مايتعلق بطرق تدريسها تمكيناً للطلاب من الاطلاع على التراث الإسلامى ، وتقويماً للسانهم عند المخاطبة بها .

٢٧ ـ توعية التلاميذ بإسهامات الرواد المسلمين فى مختلف مجالات المعرفة وفى الحضارة الإنسانية على وجه العموم .

رابعاً : بالنسبة لمؤسسات الإعلام :

يناشد المؤتمرون أجهزة الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية تحقيق مايلى :

٢٨ ـ تنقية البرامج والمواد الإعلامية المختلفة مما يتعارض مع التوجيه الإسلامى للإعلام ، والحرص على مراعاة هذا التوجيه فى إعداد هذه البرامج والمواد وتقديمها .

٢٩ ـ اختيار العاملين فى مجال الإعلام ممن تتوافر فيهم القدوة فى السلوك الإسلامى والقدرة والرغبة فى مراعاة التوجيه الإسلامى فى أداء رسالتهم .

٣٠ ـ العمل على تجلية مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم والتوعية بأهميته وإلقاء الأضواء على منهجه بمختلف الوسائل وذلك من خلال بث ونشر ندوات يدعى إليها المعنيون بهذا التوجيه ، والإعلام عن مختلف الأنشطة التى ينظمها الآخون وتتعلق بهم .

٣١ ـ تجلية إسهامات العلماء المسلمين فى العلوم بخاصة وفى الثقافة الإنسانية بعامة ونشرها .

٣٢ ـ الاستمرار فى تشجيع الإعلام الإسلامى ودعم منظمة إذاعات الدول الإسلامية للوصول إلى الغاية المستهدفة .

٣٣ ـ الدعوة إلى دعم وكالة الأنباء الإسلامية حتى تكون حاجزاً يواجه التدفق الإعلامى غير الإسلامى وتنقيته مما يخالف تعاليم الإسلام .

٣٤ ـ استخدام القمر الصناعى العربى فى إنتاج إسلامى مشترك يذاع على أكثر من قناة فضائية عربية مما يؤدى إلى دعم التوجه الإسلامى للعلوم وللإعلام ويساعد على تكوين وحدة فكرية وثقافية تواجه البث المباشر من الإعلام غير الاسلامى .

وأخيراً يتقدم المؤتمرون بشكرهم العميق لجامعة الأزهر العريقة وبخاصة مركز الاقتصاد الإسلامى بها لاستضافتها المؤتمر ، كما يشكرون رابطة الجامعات الإسلامية التى شاركت فى تنظيم هذا المؤتمر وفى دعمه .

وقد قرر المؤتمرون فى نهاية أعمالهم إرسال برقية شكر إلى سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية على حسن ضيافة جامعة الأزهر للمؤتمر ومواساته وشعب جمهورية مصر العربية فى محنة الزلزال ، وبرقية شكر مماثلة لخادم الحرمين الشرفيين الملك فهد بن عبدالعزيز لرعايته لرابطة الجامعات برئاسة الدكتور / عبدالله عبدالمحسن التركى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والله ولى التوفيق

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

وحدة الأمة سبيلها إلى النصر

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد المسلوت
إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

تمر بنا حوادث الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، فإذا أَفَقْنا وجدنا الركب قد تخطانا وإذا نحن خلف القافلة ، والعالم مشغول بالكفاح ونحن مازلنا نرصد المتاعب بعضنا لبعض .

أليس يجب أن نغسل ماقى الصدور من أدران الضغن والموجدة ، وأن نطهرها من الأطماع التى ألحت عليها ، حتى تعود إلى أصالتها من الطهر والنقاء إن أردنا أن نستعيد مكانتنا فى الحياة .

قال فضيلته عليه رحمة الله .

حين يفكر الإنسان فى حال هذه الأمة ، وما تفشى بينها من أدواء مهلكة وأمراض قاتلة ، لا يلبث أن تملكه الحسرة وتغالبه الدمعة ويحس فى أعماقه بالألم الدفين والهم اللاذع ، فنحن أتباع دين كريم يدعو إلى القوة البانية المشيدة ، ويوصى أصحابه بالعزة ، ويحذرهم من الضعف والاستكانة والذلة . والله تعالى يقول : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ورسولنا صلوات

الله عليه يقول : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

والتاريخ الصادق الأمين حافل بروائع المثل التى ضربها أسلافنا العظام حين تجردوا من مطامع الدنيا وطهروا أنفسهم من رجسها ، ولم تلههم طيبات الحياة ، ومفاتن العيش عن الجهاد فى الله ، والفناء فى سبيله ، فعزوا وفازوا ، وكانوا قادة الدنيا وسادة العالم .

ومن العجب أننا نطالع فى أسفار التاريخ هذه المثل ، ونؤمن بها ونعتز بما تحوى من صور البطولة والعظمة ، ولكنا لا نحاول أن نأخذ أنفسنا بهذا السلوك ، ولا أن نحملها على التحلى بما كانوا عليه من فضائل . ولذلك ضعف شأننا وهان أمرنا ، وتمزقت وحدتنا وتحللت قوتنا وحل بيننا الخصام محل الوئام والتدابر مكان التآلف ، وأصبحنا لقمة سائغة لا تغص بها الحلوق ، وغنيمة سهلة لا تكلف النهازين المستغلين عناء ولا مشقة .

لماذا لا نلتمس الدواء من ماضينا ؟ ولماذا لا نصلح آخر هذه الأمة بما صلح به حال أولها ؟

إن عبر الحياة وأحداثها ناطقة بأن العماد الذى تقوم عليه الدول وتحيا به الشعوب عزيزة الجانب منيعة السلطان نافذة الكلمة ، هو الوحدة : وحدة الجهود ، ووحدة المشاعر ، ووحدة القلوب وحدة الأهداف والغايات . كما أن التفكك والانحلال واضمحلال الشخصية وفناء المقومات وضياع النفوذ وإنهيار السلطان لا يتسرب إليها إلا من قبيل الفرقة والتنازع ، ومن هنا حرص الإسلام أشد الحرص على تأكيد الوفاق فى نفوس الناس ، وأنذر المتنازعين بالفشل وذهاب الريح .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ .

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

فإذا اتحدت الأمة وتآلفت فيها القلوب وتآخت النفوس ، وعاشت متماسكة مترابطة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، إستطاعت فى سهولة ويسر أن تعمل وأن تنتج وأن تخيف العدو الطامع وترهب الخصم المساور ، وتسير فى موكب الحياة شامخة سعيدة ، لا يشغلها توزع النفوس بالخصومات الفاجرة ، ولا اشتعال القلوب بالأحقاد الثائرة . ولا نزوع الناس إلى الإنتقام الغادر .

إذا اتحدت الأمة صفت النفوس من المواجد والأضغان ، وطهرت القلوب من الحسد والتباغض ، وشعر كل فرد بأنه عضو فى هذا الجسد القوى يجب أن يصونه ويحافظ على سلامته .

ولقد ضرب الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه المثل الرائع فى هذا المعنى ليقتدى به كل من يريد أن ينجح فى دعوته ويوفق فى رسالته ، فإنه حين جهر بالدعوة وصدع بأمر ربه ، لم يغفل المعنى الذى تقوم به الجماعات وينجح به الدعاة . لم يغفل الرابطة التى يجب أن تقوى بين المجاهدين وتتوثق بين العاملين . بل ألف بين قلوب لم تكن تعرف الألفة ، وآخى بين نفوس طالما تمردت على الإخاء ، وربط بالحب بين أفئدة أنكرت الحب حقبا متطاولة من الزمان ، وجعل المسلم يؤمن حقيقة أنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ويحب له ما يحب لنفسه .

ولما دخل المدينة قضى على كل ما كان يتسعر فيها من فتنة ، وينشب بين قبائلها من عداوات مدمرة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وجعل المتخاصمين المتدابرين من الأوس والخزرج جسما واحدا ، وقلبا واحدا ، وكتلة واحدة يظلها الحب ويكتنفها الإخاء . فلم يقدر أن يطمع فيهم عدو ولا أن يمشي بين صفوفهم دخيل ، ولم يستطع غريب أن ينقض عليهم دعوتهم ، أو يكيد لهم فى صفوفهم . وحذرهم أشد التحذير من أن يصيخوا إلى دعاة الفرقة ، وأبواق الشتات الذين يبغون فيهم الفتنة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

أليست بين أيدينا هذه العظات البالغة هادية لامعة ؟ ألسنا نعتز بأننا سلالة هذه الصفوة التى عرفت ربها فنصرها ، وأعزت دينها فأعزها ، وقامت بحقه فأمدها بالعون والنصر والتأييد .؟ بلى ولكننا استسلمنا لما يتردد فى نفوسنا من شهوات طاغية ، وخضعنا لما يستبد بنا من أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأطماع خلابة ورغبات متقدة فى اللذة والاستمتاع ، استسلمنا للشياطين المضلة التى توسوس فى صدورنا بالتفرق وتصدع الشمل ، وتدعونا إلى الكيد والختل والتباغض والتحاسد . ومن العجب أننا نقف بعد ذلك متباكين متصايحين .

تمر بنا صور الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، وتطوف أحداث الوجود فلا نتنبه إلا على القوارع المدوية والصيحات المجلجلة ، فإذا استفقنا من الغاشية واستيقظنا من السبات العميق وجدنا الركب قد سار ونحن خلف القافلة ، ووجدنا الدنيا كلها مشغولة بالكفاح والعمل ، ونحن مازلنا ننفض عن عيوننا غبار النوم والكسل .

يجب أن نشق هذه الصدور وأن نغسلها من أدران الضغن والموجدة ، يجب أن نطهرها من الأطماع التى ألحت عليها فأظلمتها ودنست أرجاءها وجوانبها . يجب أن نعودها الطهر والمحبة فقد تعبت من طول ما كرهت ، وشقيت من كثرة ماعانت من البغض والخصام .

لقد جرب الناس الخلاف والشقاق فلم يحصلوا إلا على الضنى والعذاب والشقاء المقيم ، وجربوا العكوف على الشهوات والإقبال على اللذات والحرص على المطامع والغايات ، وجربوا الإثم والعصيان والبعد عن الله والاقبال على الدنيا . أفما ان لهم ان يجربوا الطاعة الخالصة والاخوة الطاهرة والحب فى الله ؟ :

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ الحديد

إن العدو لا يأتى المسلمين من قلة عدد ، إنما يهدم بناءهم ويمزق وحدتهم ويفرق جمعهم ويشتت صفوفهم بتنابذهم واختلافهم ، وتفرقهم فى الأهواء والمشارب ، وتوزعهم فى الأغراض والمطامع . فما أحوج المسلمين فى هذه الفترة العصيبة إلى أن يوحدوا صفوفهم ويربطوا بين قلوبهم برباط الإخاء والحب حتى يخرجوا من هذه المعركة الحامية فائزين منتصرين .

تلخيص تقريب النشر في معرفة القراءات العشر

تحقيق فضيلة الشيخ ابراهيم عطوه عوض

﴿بابُ فرش الحروف : سورة البقرة﴾

« الٓم » مَرَّ لأبى جعفر فى السكت « أأنذرتهم » مَرَّ فى الهمزتين من كلمة . قرأ نافع وابن كثير وأبو عَمرو « وما يخادعون » بضم الياء والألف بعد الخاء وكسر الدال ، والباقون بفتح الياء ــ وإسكان الخاء وفتح الدال بلا ألف .

قرأ الكوفيون « يكذبون » بفتح الياء وتخفيف الذال ، والباقون بالضم والتشديد .

قرأ الكسائى وهشام ورويس « قيل ، وغيض ، وجىء ، وحيل ، وسيق ، وسيىء ، وسيئت » باشمام كسر . أوائِلهن بالضم ، وافقهم ابن ذكوان فى « حيل » وهو والمدنيان فى « سيىء وسيئت » والباقون بإخلاص الكسر .

« السفهَاء ألا » مَرَّ فى الهمزتين من كلمتين .

« مستهزؤون » مَرَّ لأبى جعفر فى الهمز المفرد ، ولحمزة فى الوقف على الهمز .

« ذهب بسمعهم » مَرَّ لرويس كأبى عمرو فى الإدغام الكبير .

قرأ يعقوبُ « ترجعون » وما جاء منه غَيْبًا وخِطاباً إذا كان من رجوع الآخرة بفتح أوله وكسر الجيم حيث وقع ، وافقه أبو عمرو فى « يوما ترجعون فيه » آخر البقرة ، والأخوة فى « وإنكم إلينا لا ترجعون » فى المؤمنون ، ونافع والأخوة فى « وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون » فى القصص ، وابن عامر والأخوة فى « ترجع الأمور » حيث وقع ، ووافقه فى « يرجع الأمر » فى هود كل القراء إلا نافعا وحفصا ؛ فإنهما يضمان الأول ويفتحان الجيم ، وكذا قرأ فى غيره الباقون .

قرأ الأبوان والكسائى وقالون « هو ، وهى » بإسكان الهاء إذا كان قبلها واو أو فاء أو لام نحو « وهو بكل شىء عليم ، فهو خير لكم ، لهو خير ، وهى تجرى ، فهى خاوية ، لهى الحيوان » ؛ والكسائى أسكن هاء « ثم هو يوم القيامة » فى القصص ، واختلف فيه ، وفى « يُمّل هو » آخر البقرة عن أبى جعفر وقالون .

« هؤلاء إن » مَرَّ فى الهمزتين من كلمتين ، قرأ أبو جعفر « للملائكةُ اسجدوا » بضم التاء حيث وقع ، وعن ابن وردان أيضا إشمام الضم ، والباقون بكسر التاء .

قرأ حمزة « فأزالهما » بألف وتخفيف اللام والباقون بتشديدها بلا ألف .

قرأ ابن كثير « فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ » بنصب (آدم) ورفع (كلمات) والباقون برفعه ونصبها بالكسر .

قرأ يعقوب « فلا خوفَ » كيف وقع بفتح الفاء بلا تنوين ، والباقون بالرفع والتنوين ، وكذا ابن كثير ، وأبو جعفر والبصريان فى « فلا رفث ولا فسوق » وأبو جعفر فى « ولا جدال » ، والباقون بالفتح بلا تنوين فى الثلاثة ، وكذا ابن كثير والبصريان .

« ولا تقبل » هنا بالتأنيث والباقون بالتذكير قرأ أبو جعفر والبصريان « وعدنا » هنا وفى الأعراف ،

«ووعدناكم» فى طه بلا ألف من الوعد ، والباقون بها من المواعدة .

قرأ أبو عمرو «وبارئكم» هنا بإسكان الهمزة «ويأمركم وتأمرهم ، وينصركم ، ويشعركم» حيث وقعن بإسكان الراء ، وعنه الاختلاس فى الكلمات الست ، وعنه من طريق الدورى إخلاص الحركة ، وبه قرأ الباقون .

قرأ ابن عامر «يغفر لكم» هنا ، فى الأعراف بالتأنيث وضم أوله وفتح ثالثه ، وافقه المدنيان ويعقوب فى الأعراف ، وقرأ المدنيان هنا بالتذكير والضم والفتح ، والباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء .

«النبيين ، والأنبياء ، والنبى والنبوة» ذكر لنافع فى الهمز المفرد ، وكذا «الصابئين» .

قرأ حفص «هزوا وكفوا» بإبدال الهمزة واوًا ، والباقون بالهمز فيهما ، وسكن حمزة وخلف ــ زاى «هزوا» وفاء «كفوا» ، ووافقهما يعقوب فى «كفوا» .

وسكن ابن كثير دال «القدس» حيث وقع ، ونافع وأبو عمرو وحمزة وخلف وشعبة والبزى ــ بخلاف عنه ــ (طا) «خطوات» حيث وقع ، وسكن كل القراء غير أبى جعفر (سين) «اليسر» و«العسر» كيف وقعا نحو : «ذو عسرة» و«العسرى ، واليسرى» .

واختلف عن ابن وردان فى «الجاريات يسرا» ، وسكن كل القراء ــ غير شعبة ــ زاى «جزأ ، وجزء» حيث وقعا ، ومر تشديدها لأبى جعفر .

وسكن نافع وابن كثير ــ كاف «أكلها ، وأكله ، والأكل ، وأكل» ووافقهما أبو عمرو فى «أكلها» فقط .

وسكن نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف عين «الرعب ، ورعبا» حيث أتيا .

وأبو عمرو سين «رسلنا ، ورسلهم ، ورسلكم» مما وقع مضافا إلى ضمير على حرفين ، ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف (حاء) «السحت ، وللسحت» فى المائدة .

وسكن نافع ذال «الأذن ، وأذن ، وأذنيه» كيف وقعن .

وكل القراء ــ إلا ورشا ــ (قربة) فى التوبة .

وحمزة وخلف وشعبة وابن ذكوان وهشام ــ بخلاف عنه ــ راء «جرف» فيها أيضا .

وأبو عمرو (باء) «سبلنا» حيث [وقع] وعاصم وحمزة وخلف قاف «عقبا» فى الكهف .

وابن كثير وأبو عمرو والأخوة وهشام وحفص ــ كاف «نكرا» فى الكهف والطلاق .

ونافع وابن كثير وأبو عمرو والكوفيون حاء «رُحْما» .

ونافع وابن كثير وأبو عمرو غين «شغل» فى يس .

وابن كثير كاف «نكر» فى القمر .

وحمزة وخلف وشعبة راء «عربا» فى الواقعة .

وأبو عمرو والكسائى وقنبل شين «خشب» فى المنافقون .

وكل القراء سوى أبى جماز ، بخلاف عن الكسائى وابن وردان ــ حاء «سحقا» ، وهشام لام «ثلثى» فى المزمل .

وكل القراء ــ سوى روح ــ ذال «عذرا» فى المرسلات ، وأبو عمرو والأخوة ذال «نذرا» فيها ، وقرأ الباقون بالضم فى ذلك كله .

قرأ ابن كثير «عما يعملون» قبل «أفتطمعون» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

قرأ أبو جعفر «إلا أمانى» وما جاء منه نحو (أمانيهم) ، و (ليس بأمانيكم) ، (ولا أمانى أهل الكتاب) ، و (فى أمنيته) بتخفيف الياء فيهن وإسكان المرفوعة والمخفوضة من ذلك ، وبكسر الهاء من «أمانيهم» ، والباقون بتشديد الياء فيهن ، وإظهار إعرابه .

قرأ المدنيان «خطيئاته» بالجمع ، والباقون بالإفراد .

قرأ ابن كثير والأخوان «لا يعبدون» بالغيب — والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة ويعقوب «حسناً» بفتح السين ، والباقون بضم الحاء وإسكان السين .

قرأ الكوفيون «تظاهرون» هنا و «إن تظاهرا» فى التحريم بالتخفيف ، والباقون بالتشديد .

قرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة وإسكان السين بلا ألف — والباقون بضم الهمزة وألف بعد السين .

قرأ المدنيان وعاصم والكسائى ويعقوب «تفادوهم» بضم التاء وألف بعد الفاء ، والباقون بفتح التاء وإسكان الفاء بلا ألف قرأ نافع لابن وابن كثير ويعقوب وخلف وشعبة «يعملون أوليك» بالغيب ، والباقون بالخطاب .

«القدس» مَرَّ لابن كثير .

قرأ ابن كثير والبصريان «يُنَزِّلَ ، وتنزل ، وننزل» جاء بالتخفيف إلا «وماننَزّله» فى الحجر ، ووافقهم الأخوة فى «ينزل الغيث» فى لقمان والشورى ، وخفف ابن كثير «أن ينزل آية» فى الأنعام ، والبصريان «وننــزل من القرآن» ، و «تنزل علينا» فى سبحان ، وابن كثير وأبو عمرو «بماينزل» فى النحل ، والباقون بالتشديد .

قرأ يعقوب «بما يعملون قل» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ الأخوة وشعبة «جبريل» هنا وفى التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة .. بعدها ياء ، وشعبة من طريق يحيى بن آدم كذلك إلا أنه يحذف الياء ، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز ، والباقون كذلك ؛ إلا أنهم يكسرون الجيم .

قرأ البصريان وحفص «ميكال» بلا همزة ولا «ياء» بعدها ، والمدنيان وقنبل من طريق ابن شنبوذ بهمزة بلا ياء بعدها ، والباقون بهمزة بعدها ياء .

قرأ ابن عامر والأخوة «ولكنْ الشياطين» هنا و «لكن الله قتلهم ، ولكن الله رمى» فى الأنفال ، بتخفيف (لكن) ورفع ما بعدها ، وكذا قرأ نافع وابن عامر «ولكن البرّ من آمن ، ولكن البر من اتقى» هنا وكذا الأخوة . «ولكن الناس أنفسهم يظلمون» فى يونس ، والباقــون بالتشديــد والنصب .

قرأ ابن عامر — سوى الداجونى عن هشام — «ما ننسخ» بضم النون وكسر السين ، والباقون بفتحهما ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو «وننسأها» بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بعدها ، والباقون بضم النون وكسر السين بلا همزة .

قرأ ابن عامر «عليم قالوا» بلا واو بعد عليم ، والباقون بالواو ، قرأ ابن عامر «كن فيكون» بنصب النون حيث وقع إلا قوله «كن فيكون الحق» فى آل عمران ، و «فيكون قوله» فى الأنعام فلا خوف فى رفعها فيهما ، فالمختلف فيه ماعداهما ، والباقون بالرفع ، قرأ نافع ويعقوب ، «ولا تسأل» بفتح التاء وجزم اللام ، والباقون بضم التاء والرفع .

قرأ ابن عامر ــ سوى النقاش عن الأخفش ــ «إبراهام» بألف فى ثلاثة وثلاثين موضعا : خمسة عشر هنا ، وثلاثة فى النساء وهى الأخيرة : «ملة إبراهيم ، واتخذ الله إبــراهيم ، وأوحينــا إلى إبراهيم» ، وواحد فى الأنعام وهو الأخير «ملة إبراهيم» ، واثنان فى التوبــة وهما الأخيران «وما كان استغفار إبراهيم ، وإن إبراهيم لأواه» ، وواحد فى إبراهيم ، واثنان فى النحل ، وثلاثة فى مريم ، وواحد فى العنكبوت ، وواحــد فى الشورى ، وواحد فى الذاريات ، وواحد فى النجم ، وواحد فى الحديد ، وواحد فى الممتحنة وهو الأول منها : «أسوة حسنة فى إبراهيم» ، وعن ابن ذكوان أنه قرأ بالألف فى البقرة ، وعنه أيضا بالياء فى الجميع ، وكذا الباقون .

قرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» بفتح الخاء والباقون بكسرها .

قرأ ابن عامر «فأمتعه» بتخفيف التاء والباقون بتشديدها .

قرأ ابن كثير ويعقوب «أرنا ، وأرنى» حيث وقعا بإسكان الراء ، ووافقهما ــ فى فصلت ــ ابن ذكوان وشعبة والحلوانى عن هشام ، واختلف عن أبى عمرو ، فعنه قرأ كذلك ، وعنه ــ من طريق الدورى ــ الاختلاس ، ومن طريق السوس الإسكان ، والباقون بالإتمام ، وكذا روى عن هشام ــ من طريق الداجونى .

قرأ المدنيان وابن عامر «وأوصى» بهمزة مفتوحة بين الواوين مع تخفيف الصاد ، والباقون بتشديد الصاد بلا همز .

قرأ ابن عامر والأخوة وحفص ورويس «أن تقولون» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ البصريان والكوفيون ــ سوى حفص ــ «لرءوف» حيث وقع بقصر الهمزة .

قرأ ابن عامر ــ والأخوان وأبو جعفر وروح «عما تعملون» قيل و «لئن أتيت» بالخطاب ، والباقون بالغيب .

قرأ ابن عامر «مُوَلَّاها» بفتح اللام وألف بعدها والباقون بكسر اللام وياء بعدها .

قرأ أبو عمرو «عما تعملون» قبل و «من حيث» بالغيب والباقون بالخطاب .

قرأ الأخوة «يطوع خيرا» بالغيب وتشديد الطاء وإسكان العين فى الموضعين ، ووافقهم يعقوب فى الأول والباقون بالخطاب والتخفيف وفتح العين .

قرأ الأخوة «الريح» بالتوحيد هنا ، وفى الأعراف والكهف والنمل وثانى الروم وفاطر والجاثية ، ووافقهم ابن كثير فى الأعراف والنمل والروم وفاطر ، واختص هو بموضع الفرقان وحمزة وخلف بالحجر ، والباقون بالجمع ، واختص أبو جعفر بالجمع فى إبراهيم ــ وسبحان والكهف والأنبياء وصٓ والشورى ، واختلف عنه فى الحج ووافقه نافع فى إبراهيم والشورى .

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابن وردان بخلاف عنه «ولو ترى» بالخطاب ، والباقون بالياء .

قرأ أبو جعفر ويعقوب «إن القوة ، وإن الله» بكسر الهمزة فيهما ، والباقون بالفتح ، وتقدم اختلافهم فى ضم «طا» خطوات ــ أبو جعفر هنا وفى المائدة والنحل ويٓس «والميتة» فى موضعى الأنعام و «ميتا» فى الأنعام والفرقان والزخرف والحجرات وقٓ و «لبلد ميت ، وإلى بلد ميت ، والحى من الميت ، والميت من الحى» بتشديد الياء فيها كلها ، ووافقه نافع فى «الميتة» فى يٓس و «ميتا» فى الأنعام والحجرات ، و «بلد ميت ، والميت» ووافقهما يعقوب فى الأنعام ،

ورويس فى الحجرات ، وعنه التخفيف أيضا ، ووافقهما أيضا الأخوة وحفص فى « بلد ميت » ووافقهـــم يعقـــوب فى « الميت » والباقـــون بالتخفيف .

قرأ عاصم وحمزة نحو « فمن اضطر ، وأن أحكم وأن أشكر » بكسر النون ، وكذا الدال من « ولقد استهزى » والتاء من « قالتِ اخرج » والتنوين من نحو « فتيلا . انظر ، وعيـــون ادخلوها » ، واللام من نحو « قل ادعوا » والواو من نحو « أوادعوا » مما اجتمع فيه ساكنان وضم فيه أوَّلُ الفعل وثالثه ، ووافقهما يعقوب فى غير الواو ، وأبو عمرو فى غير الواو واللام ، واختلف عن ابن ذكوان فى كسر التنوين وضمه ، واستثنى بعضهم عنه « برحمة ادخلـــوا » فى الأعراف ، و « خبيثة اجتثت » فى إبراهيم ، واختلف أيضا عن قنبل فى التنوين المكسور نحو « منيب ادخلوها » ، وقرأ الباقون بالضم .

قرأ أبوجعفر « اضطر » حيث وقع بكسر الطاء ، واختلف عن ابن وردان فى « اضطررتم » إليه ، والباقون بالضم .

قرأ حمزة وحفص « ليس البر أن » بالنصب ، والباقون بالرفع ، و « لكن البر » مرّ لنافع وابن عامر .

قرأ يعقوب والأخوة وشعبة « موص » بفتح الواو وتشديد الصاد ، والباقون بالإسكان والتخفيف .

قرأ المدنيان وابن ذكوان « فدية » بلا تنوين « طعام » بالخفض ، والباقون بالتنوين والرفع .

قرأ المدنيان وابن عامر « مساكين » بالجمع وفتح النون بلا تنوين ، والباقون بالإفراد والخفض مُنَوَّنًا ، ومرّ « القرآن » لابن كثير « واليسر والعسر » لأبى جعفر .

قرأ يعقوب وشعبة « ولتكملوا العدة » بتشديد الميم والباقون بالتخفيف .

قرأ أبو جعفر والبصريان وورش وحفص « البيوت ، وبيوت » حيث وقع بضم الباء والباقون بكسرها ، وكذا كسر حمزة وشعبة العين من « العيون » وكسر ابن كثير والأخوان وابن ذكوان وشعبة « العين » من العيـــون « والشين » من « شيوخنا » فى غافر و « الجيم » من « جيوبهن » فى النور – إلا أنه اختلف عن شعبة فى « جيوبهن » – والباقون بضم ذلك .

و « لكن البر » مرّ لنافع وابن عامر .

قرأ الإخوة « ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم » بحذف الألف فيهن ، والباقون بإثباتها ، و « فلا رفث ولا فسوق » لابن كثير والبصريين وأبى جعفر « ولا جدال » لأبى جعفر .

قرأ المدنيان وابن كثير والكسائى « فى السلم » بفتح السين والباقون بكسرها .

قرأ أبو جعفر « والملائكـــة وقضى » بالجر والباقون بالرفع .

« ترجع الأمور » مَرَّ ليعقوب وابن عامر والأخوة .

قرأ أبو جعفر « ليحكم » هنا وفى آل عمران وموضعى النور بضم الياء وفتح الكاف ، والباقون بالفتح والضم .

قرأ نافع « حتى يقول » بالرفع والباقون بالنصب . قرأ الأخوان « إثم كبير » بالثاء المثلثة والباقون بالباء الموحدة . قرأ أبو عمرو « قل العفو » بالرفع والباقون بالنصب .

« لأعنتكم » مَرّ تسهيله للبزى .

قرأ الإخوة وشعبة « يطهرن » بتشديد الطاء

والهاء والباقون بفتحها . قرأ حمزة وأبو جعفر ويعقوب « يخافا » بضم الياء والباقون بفتحها .
« يفعل ذلك » مَرَّ لأبى الحارث .

قرأ ابن كثير والبصريان « لا تضار » برفع الراء ، والباقون بنصبها ، وسكن الراء مخففة أبو جعفر ـــ بخلاف عنه ـــ وكذا واو « ولا يضار كاتب » .

قرأ ابن كثير « ما آتيتم » هنا وفى الروم بالقصر ، والباقون بالمد .

قرأ الإخوة « تماسوهن » هنا وفى الأحزاب بضم التاء وألف بعد الميم ، والباقون بالفتح بلا ألف ، قرأ الأخوة وأبو جعفر وابن ذكوان وحفص « قَدَرُهُ » معا بفتح الدال ، والباقون بإسكانها .

« بيده عقدة النكاح » مَرّ لرويس .

قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص « وصية » بالنصب والباقون بالرفع ..

وشدد العين مع حذف الألف منهما و « من فيضعفه ومُضَعَّفَة » وسائر الباب الابنـــان وأبو جعفر ويعقوب والباقـون بالتخفيـف والألف[1] .

قرأ خلف لنفسه وعن حمزة والدورى عن أبى عمرو وهشام ورويس « يبسط » هنا و « بسطة » فى الأعراف بالسين ، واختلف فيهما عن قنبل والسوس وابن ذكوان وحفص وخلاد ، والباقون بالصاد فيهما ، وعن شعبة ورويس القراءة بالسين هنا وبالصاد فى الأعراف .

قرأ نافع « عسيتم » هنا وفى القتال بكسر السين والباقون بالفتح ، قرأ قنبل وشعبة وروح بخلاف عنهم « بسطة » هنا بالصاد والباقون بالسين .

قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو « غرفة » بفتح الغين والباقون بضمها .

قرأ المدنيان ويعقوب « دفاع » بكسر الدال وألف بعدها هنا وفى الحج ، والباقون بفتح الدال وإسكان الفاء بلا ألف .

مَرّ « القدس » لابن كثير .

« ولا بيع ولا خلة ولا شفاعة » لابن كثير والبصريين .

قرأ المدنيان « أنا » بإثبات ألفه وصلا عند الهمزة المضمومة حيث جاء نحو « أنا أحيى » وكذا عند المفتوحة نحو « أنا أول » ، واختلف عن قالون عند المكسورة نحو « أنا إلَّا » والباقون بالقصر عند الثلاث .

« لبثت » مَرَّ إدغامُهُ للأبوين وابن عامر والأخوين .

« يتسنّه » مَرَّ فى الوقف وصله بغيرها للإخوة ويعقوب .

قرأ ابن عامر والكوفيون « ننشزها » بالزاى والباقون بالراء .

قرأ الأخوان « قال اعلم » بوصل الهمزة وجزم الميم على الأمر والابتداء بكسر الهمزة والباقون بالقطع والرفع على الخبر .

« ليطمئن » مَرَّ تسهيله عن ابن وردان .

قرأ حمزة وأبو جعفـــر وخلـــف ورويس « فصِرْهن » بكسر الصاد والباقون بضمها ، ومَرَّ ضم زاى « جُزْ » لشعبة وتشديدها لأبى جعفر ، ويضعف للابنين وأبى جعفر ويعقوب و « رئاء » لأبى جعفر .

قرأ ابن عامر وعاصم « ربوة » بفتح الراء هنا ، وفى (المؤمنون) ، والباقون بضمها .

« أكلها » مَرَّ لنافع وابن كثير وأبى عمرو .

قرأ ابن كثير بخلاف عنه « ولا تيّمموا » بتشديد التاء وصلا ، وكذا أخواتها مما يأتى وجملته أحد

وثلاثون موضعا هذا أولها ، «ولا تفرقوا» فى آل عمران و «الذين توفاهم» فى النساء «ولا تعاونوا» فى المائدة و «فتفرق بكم» فى الأنعام ، و «تَلْقَف» فى الأعراف وطه والشعراء ، «ولا تولوا ، ولا تنازعوا» فى الأنفال ، و «هل تربصون» فى التوبة و «ان تولوا ، فإن تولوا ، لا تكلم» فى هود و «ما تنزل» فى الحجر «إذ تلقونه ، فإن تولوا» فى النور ، «وعلى من تنزل الشياطين . تنزل» فى الشعراء ، «ولا تبرجن ، ولا أن تبدل» فى الأحزاب ، «ولا تجسسوا . لتعارفوا» فى الحجرات ، «أن تَوَلَّوْهَمْ» فى الممتحنة «تكاد تميز» فى الملك ، «لما تخيرون» فى (نٓ) «عنه تلهى» فى عبس ، «نارا تلظى» فى الليل ، «شهر . تنزل» فى القدر ، فإن كان قبلها حرف مَدٌّ زيد فيه لالتقاء الساكنين .

وإذا ابتدأ بهن خففهن ووافقه أبو جعفر على تشديد «لا تناصرون» ورويس على تشديد «نارا تلظى» ، وعن البزى تشديد تاء «كنتم تمنون» فى آل عمران ، و «فظلتم تفكهون» فى الواقعة ، قرأ يعقوب «ومن يؤت الحكمة» بكسر التاء ــ ويقف بالياء على أصله والباقون بفتح التاء .

قرأ ابن عامر والأخوة «نعما» بفتح النون هنا وفى النساء ، والباقون بكسرها ، وأبو جعفر بإسكان العين ، وعن أبى عمرو وقالون وشعبة على تشديد الميم .

قرأ ابن عامر وحفص و «يكفر» بالياء ، والباقون بالنون ــ والمدنيان والأخوة بالجزم والباقون بالرفع .

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر «يحسب» كيف وقع مستقبلا نحو «يحسب ، ويحسبن» ــ بفتح السين ــ والباقون بكسرها .

قرأ حمزة وشعبة «فأْذَنُوا» بقطع الهمزة ومدّها وكسر الدال ، والباقون بفتحها ووصل الهمزة .

قرأ نافع «مُيْسُرَة» بضم السين والباقون بفتحها ، قرأ عاصم «وأن تصدقوا» بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها .

ومَرَّ «يوما ترجعون» للبصريين ، و «أن يمل هو» لأبى جعفر وقالون .

قرأ حمزة ــ «إن تضل» بكسر الهمزة فتذكر برفع الراء والباقون بفتح الهمزة ونصب الراء وابن كثير والبصريان بتخفيف الكاف والباقون بتشديدها .

قرأ عاصم «تجارة حاضرة» بالنصب فيهما والباقون بالرفع .

«ولا يضار» مَرَّ لأبى جعفر .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «فرهن» بضم الراء والهاء بلا ألف ، والباقون بكسر الراء وألف بعد الهاء .

قرأ ابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب «فيغفر ، ويعذب» برفع الراء والباء والباقون بجزمهما ، وَمَرَّ إدغام الراء وأدغام الباء فى الإدغام الصغير .

قرأ الإخوة «وكتابهُ» التوحيد والباقون بالجمع ، قرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء والباقون بالنون .

ياءات الاضافة

ياءات الإضافة ثمان : «إنى أعلم» معا «عهدى الظالمين ، بيتى للطائفين ، فاذكرونى أذكركم ، بى لعلهم ، منى إلا ، ربى الذى» ، وزوائدها «فارهبون ، فاتقون ، تكفرون ، الداع إذا دعان ، واتقون ياأولى الألباب .

ومَرَّ حكم الأمرين .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾

مذابــح البوســـنه والهرســك
أندلـس جديـدة فى أوربـا

تأليف : لواء أ . ح . د/ فوزى محمد طايل
عرض وتعليق قسم التحرير بالمجلة

ظهر هذا الكتاب ـ فى وقت اشتدت فيه الحاجة إليه ـ فالمسلمون بهذه الجمهورية فى حال حرب طاحنة يستطيع أن يقدم موازينها عالم ذو رأى ودراسة حربية له نظرتــه الشاملــة للحوادث ، ودراسته القيمة فى دقائقها .

فى هذا الكتاب يعرض المؤلف للفكر والممارسة الاستراتيجية الغربية فى شبه جزيرة البلقان بعامة ، وفى بلاد أقاليم المسلمين بهذه المنطقة الحيوية بخاصة .

والكتاب تولت طباعته وتوزيعه « الزهراء للإعلام العربى » ، ويقع الكتــاب فى أكثر ـ قليلا ـ من مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، إذ به عدد من الخرائط التى توضح المخططات الاستراتيجية الغربية لهذه المنطقة منذ مطلع القرن العشرين ، وما يتصورونه بمطلع القرن الحادى والعشرين . وينقسم الكتاب إلى مقدمة وسبعة فصول .

ـ يعرض مؤلف الكتاب لحال المسلمين فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر للهجرة فى مقدمة كتابه فيقول :

شاء الله ـ تبارك وتعالى ـ جلت قدرته ، وعظمت حكمته أن تعيش أمتنا الإسلامية أياما عصيبة توشك الأمم فيها أن تتداعى عليها كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، وليس هذا من قلة فى النفر ، فالمسلمون كثرة ، لكنها كغثاء السيل ، وليس من قلة فى المال ، ففى أرض المسلمين تسكن ثروات وفيرة « وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » (النحل/١٨) .

بيد أن إرادة هذا الجمع الغفير من الناس أسيرة أعدائهم ، وثرواتهم صارت قوة لغيرهم وسيفا مسلطاً عليهم .

ولا يستطيع منصف أن يرجع هذا إلا إلى تقصير مسلمى هذه الأمة : علماء وحكاماً ، خاصة عامة ، فإن الله تبارك وتعالى ليس بظلام للعبيد ، فبتقصيرنا تبدل حالنا من بعد قوة ضعفا . يقول جل شأنه :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأنفال/٥٣) .

لقد ظلم المسلمون أنفسهم إذ جعلوا كتاب الله وراءهم ظهريا ، وتركوا الاجتهاد ، وتركوا الجهاد ، فتخلف المسلمون ، وما تخلف الإسلام ، وصاروا هدفا لرماة ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ، الذى ما هو إلا استعادة للمخططات الصليبية القديمة التى صارت الآن طوع أصابع

الصهيونية العالمية . هذه المخططات ترى بكل الوضوح استعادة أوضاع العالم إلى ما قبل ظهور الإسلام ، بمعنى استرداد الأرض التى كانت تحتلها الامبراطورية الرومانية ، والتى دخل أهلها فى دين الله الخاتم طائعين راضين .

ولعل أولى الخطوات الحاسمة فى ذلكم المخطط الشيطانى هو تفريغ أوربا من أى وجود إسلامى ذى كيان . ولعل المكان المقصود بالذات هو « شبه جزيرة البلقان » بما فيها من « بوسنه وهرسك » ، و« ألبانيا » ، و« كوسوفو » ، و« سنجق » ، بل و« مقدونيا » (التى يشكل المسلمون نصف سكانها) . ولعل الخطوة الثانية مباشرة هى « تركيا » المسلمة التى أصبحت تحاصرها التهديدات من جهة « العراق » و« قبرص » .

لئن كان البعض قد عميت عليه الأمور فرأى فى أزمة الخليج (١٩٩٠/١٩٩١م) مجرد فتنة ، تم احتواؤها بالاستعانة فيها بغير المسلمين ، فإن اجتياح « الصرب » « لبوسنه وهرسك » ، وأعمال القتل والتشريد فى المسلمين ، وخطف أطفالهم لتنصيرهم ، فيصبحوا أعداء للإسلام ، وتدمير مساجدهم عمدا ، فى ظل استحسان وتحريض « المجتمع الدولى » عن طريق « الترك والاهمال » ، قد وضعت الأمة الإسلامية أمام مرآة توضح لأبنائها ، بكل جلاء ، حالتهم المتدنية ، وضعفهم المزرى ، كما أنها نزعت القناع الواهى عن الوجه القبيح « للنظام العالمى الجديد » .

لقد غير « التحالف الصليبى الصهيونى » من « تكتيكات حركته » ، فلم يعد يتبع أسلوب المواجهة السافرة الصارخة بل صار يتبع أسلوب « القتل الهادىء » والعمل « غير المستفز » حتى يتجنب احتمال أن تفيق هذه الأمة من غفوتها فتهب تدافع عن عقيدتها ، وأراضيها ، وثرواتها . وهو فى نفس الوقت يقوم بعملية غسيل للمخ كى يستبدل من النفوس والوجدانات قيم الإسلام بقيم أخرى وضعية ماأنزل الله بها من سلطان .

– وبعد هذه المقدمة يعرض لنا المؤلف فصلا بعنوان « بوسنه وهرسك دار إسلام » ، يوضح فيه المكانة الجغرافية لهذا البلد المسلم ، وثقافتهم ، وبعض أحوالهم الاجتماعية ، والوضع القانونى لجمهورية بوسنه وهرسك ، من وجهتى نظر القانون الدستورى ، والقانون الدولى ليقول لنا إن جمهورية « بوسنه وهرسك » « دار إسلام » ذات كيان مستقل منذ أكثر من خمسمائة وثلاثين عاما ، وأن هذه الصفة لم تنزع عنها فى أى وقت من الأوقات طوال هذه المدة ، وإن كانت أراضيها قد تعرضت للانتقاص ، حتى غدت كما هى الآن ، ووزع بعض أهلها من المسلمين على باقى جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافى .

– وفى فصل ثان يوضح لنا المؤلف الميراث التاريخى وما تركه من آثار نفسية نتجت عن ثلاثة أحداث هامة هى : فتح « الأندلس » ، وهزيمة الصليبيين فى « حطين » وطردهم من « القدس » ، وفتح خلفاء المسلمين من العثمانيين « للقسطنطنية » و« هضبة أناضول » ، و« شبه جزيرة البلقان » ، ووصولهم إلى مشارف « فيينا » عاصمة الامبراطورية النمساوية .

وعندما دارت الأيام وعلت أوربا ، وضعوا مخططاتهم ، التى أخذت صورتها النهائية منذ أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى (القرن العشرين الميلادى) لضرب الإسلام ، فلا عجب إذاً إذا وجدناهم يتحدثون منذ نهاية العقد الماضى عن

اتخاذ الإسلام عدواً أول لهم ، وعن ضرورة انتهاز الفرصة لضرب الأمة الإسلامية فى مقتل والقضاء على حضارتها وثقافتها وتجريدها من ثرواتها ، وتحويل المسلمين إلى مجرد مشردين ينتظرون ما يسمونه « بالمعونات الإنسانية » .

ولعل أكثر نجاح حققه الغرب فينا : غرسه لقيمه الفاسدة ولأفكاره العلمانية ، ولنفايات حضارته ، فى نفوس بعض مثقفينا ممن هزموا أنفسهم ، قبل أن يهزمهم الآخرين ، فنبذوا شرع الله ومناهجه واستحسنوا اتباع خطوات الشيطان ، ومناهج الملحدين ومن اتخذوا دين الله هزوا ولعبا .. وبذا استأنسهم الغرب ، فصاروا دون غيرة تدفعهم لنصرة إخوان لهم يقتلون ويذبحون ويشردون .

ــ وفى الفصل الثالث يعرض المؤلف للعداء الفكرى الأوربى (اليهودى/النصرانى) الذى ناصب الإسلام من ظهوره وسطوع شمسه على ظلمات العالم ، فراحوا يكيدون للمسلمين كيدا ، وكانت منطقة « شبه جزيرة البلقان » ، والمنطقة التى يطلقون عليها « الشرق الأوسط » ــ وهى قلب الأمة الإسلامية ــ ميدانا للصراع بين الجانبين ، فابرز الارتباط « الاستراتيجى » الحتمى بينهما عبر البحر المتوسط ، فمن يسيطر على شبه جزيرة البلقان ، والمحيط الهندى بذراعيه (البحر الأحمر ــ الخليج) يضع قلب الأمة الإسلامية بين خطرين محدقين ، كما لو كانت بين فكى تمساح كبير . وهذا هو البعد الاستراتيجى لاحتمالات تطور الاحداث خلال العقد الأخير من القرن العشرين فى شبه جزيرة البلقان . فالمطلوب ، بكل الوضوح ، تفريغها تماما من أى كيان إسلامى ، ومما يسهم فى إنجاح هذا الهدف الشيطانى تقوية إسرائيل بحيث تتفوق كما ونوعا ــ من حيث التسليح ــ على كل جاراتها مجتمعات ، وتسخير تركيا ، وربما غيرها من البلدان لخدمة الاستراتيجية الغربية .

ويوضح لنا هذا الفصل أن الأوربيين صاروا يرفضون التعايش مع الإسلام ، ولا يرغبون حقيقة فى أن يأتوا مع أهله إلى كلمة سواء ، ولا يرغبون فى حوار حقيقى ، اللهم إلا إذا كان بهدف النيل من الإسلام ومن بنيه .

لكن .. أيكون الحل الذى يتمناه أتباع « المسيح » عليه السلام ــ رسول السلام ــ هو سفك دماء النساء والأطفال والشيوخ ، وكسر عظام الفتية والفتيات ، وهتك أعراض النساء ، وهدم بيوت الله عمداً ، والتنكيل بعلماء المسلمين على مرأى ومسمع من الناس ، وتشريد أهل البلاد من بلادهم ؟

« قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ .. » .

(آل عمران/١١٨)

ــ فإذا أطل علينا الفصل الرابع من هذا المؤلف نجده يتحدث عن « نشأة الأزمة فى بوسنه وهرسك ، وعن تطورها » ، الذى من المتوقع أن يشمل كل مناطق البلقان التى يسكنها مسلمون لهم كيان مستقل أو شبه مستقل .

وعلى الرغم من وجود ثلاثة تجارب مريرة حالية تتمثل فى عملية محو « الصومال » من على الخريطة ، وابتلاع « فلسطين » ومعها « بيت المقدس » ، وتقسيم « العراق » ، فضلا عما حدث ويحدث فى بورما والهند وسريلانكا ، وابخازيا ، ولانجوش وشوشان ، وناجورنو كاراباخ .. الخ فإن أزمة « بوسنه وهرسك » تعد

تجربة فريدة تعكس حقد الغرب على الإسلام بصورة فجة ، تتعدد فيها الأصابع الفاعلة والمحركة من وراء الستار ، وتلك التى تنتظر اغتنام الفرصة .

– ويحلل المؤلف فى الفصل الخامس مواقف « أطراف الأزمة وأهدافهم » الخفية والمعلنة ، ويوضح إلى أى مدى يوجد اتفاق ، وتنافس يوشك أن يبلغ حد الصراع بين أوربا من جانب ، وبين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر ، فكلا الطرفين يسعى ليسبق الآخر فيسيطر على شبه جزيرة البلقان .

ويلقى المؤلف الضوء – أيضا – على الدور المتخاذل التابع الذى تقوم به الأمم المتحدة ، وعلى الموقف غير المبالى لجامعة الدول العربية ، والضعف المخزى الذى ظهر به التجمع الإسلامى ممثلا فى منظمة المؤتمر الإسلامى .

ولا ينسى دور الفاتيكان وتأييده للحركة الصليبية ضد الإسلام ولاستخدام القوة المسلحة ضد المسلمين فى إطار ما يطلق عليه « السلام العادل » ، و« الحرب المبررة » .

ثم يتتبع المؤلف الأزمة منذ بدء سقوط الشيوعية موضحا أن ما يحدث الآن فى بوسنه وهرسك ، وما يتوقع أن يحدث فى باقى أرجاء « شبه جزيرة البلقـــان » ، و« قبرص » ، وغير ذلك قد تم التخطيط الدقيق له مسبقا ، وأن هناك تصورات واضحة فى أذهان الغرب لما ستؤول إليه هذه المذابح التى يندى لها جبين الإنسانية .. لكن أين هى الإنسانية ؟

ولا ينسى الباحث توضيح موقف « كرواتيا » الملىء بالنفاق وتربص الدوائر بالمسلمين إذ يقول رئيسها « فرانيو توديمان » Franjo Tudiman «إن المستقبل سيء حقيقة .. إن (البوسنويين) يصرخون صرخة بريئة مثيرة للعواطف » ويرى توديمان أن الحل الوحيد هو تقسيم بوسنه وهرسك بين الصرب والكروات .

ويكشف المؤلف الدور المشبوه الذى يلعبه مفوضا الأمم المتحدة ، والجماعة الأوربية هناك ، كما يكشف عن مدلول ومغزى كل من زيارة الرئيس الفرنسى ، ووزير الخارجية البريطانى للمنطقة ، والمشادة التى حدثت مع أمين عام الأمم المتحدة بسبب رفضه فكرة السيطرة على الاسلحة الثقيلة التى يستخدمها الصربيون .

– ويتناول الفصل السادس تصورات المؤلف « لما قد يتطور إليه الموقف ، سواء فى شبه جزيرة البلقان ، أو ما قد يسفر عنه هذا الصراع من احداث فوضى تعم أوربا كلها ، خاصة وسط وشرق أوربا ، كذا انعكاسات الموقف فى البلقان على البلدان الإسلامية الواقعة شرق وجنوب البحر المتوسط ، وفى حوض البحر الأسود ، للارتباط الاستراتيجى الوثيق بين هذه البلدان جميعها . ويستخدم المؤلف اصطلاح « إعادة فتح ملف المسألة الشرقية » لعله يريد الاشارة إلى اقدام الغرب مستقبلا على محاولة زيادة تفتيت وتصفية القوى الإسلامية فى أرجاء دولة الخلافة العثمانية التى انفصمت عراها بعد الحرب العالمية الأولى بكيد وتدبير الغرب .. ومن الميادين المرشحة لذلك – فضلا عن تقسيم العراق – النيل من تركيا نفسها ، وإنهاء الوجود الإسلامى فى « قبرص » بطريقة شبيهة لما تم فى بوسنه وهرسك ، ناهيك عن ما ينتظر حدوثه فى إقليم « كوسوفو » ، وإقليم « سنجق » التابعين لجمهورية صربيا .

– وينهى المؤلف كتابه بفصل سابع عنون له

بما يلى : « الأمن الإسلامى بين الفرصة والخطر » ، يعرض فيه لفكره عن كيفية نهوض الأمة الإسلامية من كبوتها ، واستيقاظها من غفوتها منتهزة هذه الظروف العصيبة ، أو ليس الله بقائل : «فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا » (الشرح/ ٥ ـ ٦) .

ويوضح الكاتب فكرته فى قوله : لعل الله ـ جلت حكمته ـ قد جعل هذه المحنة ، لتكون بمثابة نقطة التحول ، والفرصة التى تخرج فيها الأمة مما هى فيه من كرب وغمة ، لكن الأمر يحتاج جهادا ونية ، وعزيمة وإرادة : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » (الرعد/١١)

ويقول الكاتب إن تحرير « بوسنه وهرسك » فرض على المسلمين .. فمشكورة هى مجهودات الحكومات الإسلامية ، قلت أو كثرت ، وندعو لهم بالتوفيق فى مساعيهم السياسية و« الدبلوماسية » ، التى يجب أن تلقى التأييد والمساندة من كل مسلم على أى حال . لكن هذه المساعى لن تعيد أرضا ، ولن تحمى عرضا ، ولن تردع معتديا لا يرعى فينا إلا ولا ذمة ، وهى لن تحفز الأوروبين ، والأمريكيين ، واليهود للإسراع بالقتال والموت فداء للمسلمين القاعدين منهم أو المقاتلين ، فضلا عن أنها لن تجبرهم على تغيير أهدافهم ، والتى ليس من بينها ردع عدوان الصرب وإعادة أرض « بوسنه وهرسك » إلى أهلها .. وإن فعل هؤلاء وتدخلوا عسكريا ؛ فسيكون ذلك من أجل السبق لاحتلال هذه الأرض ، وضمان تفريغها من الإسلام والمسلمين ، لتخلص لهم .

فلا بديل إذاً عن الجهاد فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لا لشىء إلا لأنهم يقولون : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

يقول جل شأنه :

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة/٣٩) .

ولا يظن أحدا أن ما بالمسلمين من ضعف يوجب عليهم القعود عن القتال .. ألا يكفينا قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (البقرة/٢٤٩)

ويدعو المؤلف فى هذا الفصل إلى وضع « استراتيجية إسلامية » ، اقترح ملامحها العامة ، وختم بحثه بقول الله تعالى :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝ ﴾

(النور/٥٥)

هذا وقد ينبغى أن نلفت النظر إلى تعبير المؤلف «شر الجهاد فى سبيل الله» ص ٩١ . فلاندرى : هل الكاتب يريد أن يعكس التخاذل لدى المسلمين فى العالم من موقفهم إزاء البوسنه والهرسك فجعلهم يتصورون أن الجهاد ضد الغزاة لهذا البلد التعس شراً أم كان ذلك سبق قلم من المؤلف، أياما كان الأمر فإن القارىء يصدق هذا التعبير .

وفق الله تعالى المؤلف ودانا سواء السبيل .

الفتـاوى

إعداد الأستاذ: عبدالمنعم فودة

سؤال/ من السيد/ ع . ع . ع

أنا شاب موظف وعندى محل البان ليساعد على دفع عجلة الحياة لقد عرفت ان اللبن الذى يحضره التاجر لى مضاف إليه نسبة من الماء وذلك بواسطة أنبوبة تسمى (ميزان الكثافة) علما بأن نسبة الدسم فى هذا اللبن عالية جدا تصل إلى (٨ بنط) وهى تعتبر نسبة عالية جدا ، أعرف ذلك عن طريق تحليل عينة منه . علما بأنه يوجد لبن ليس مضافا إليه أى نسبة من الماء وتكون نسبة الدسم فيه قليلة .

فأيهما أفضل ــ اللبن المضاف إليه الماء عالى الدسم ، أم اللبن الغير مضاف إليه ماء وهو خفيف الدسم وحتى هذا نادر الحصول عليه لأنى على قدر خبرتى فى هذا المجال أرى أن أكثر تجار اللبن يغشون اللبن وطرق الغش كثيرة إلا النادر منهم الذين حاولت معرفتهم دون جدوى علما بأننى لاأضيف أو أنتزع شيئا من اللبن الذى أبيعه ، وهل لو بعت اللبن العالى الدسم والمضاف إليه نسبة الماء هذه يكون الربح حلالا أم حراما .

أفيدونا أفادكم الله ..

يجيب الأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

غش اللبن حرام مؤكد التحريم لقول النبى ﷺ من غشنا فليس منا ويجب أن يبقى اللبن على حسب ما حلب من الحيوان دون إضافة ماء أوخلافه إليه والذى يبيع لبنا مغشوشا يرتكب محرما ولايحل له ثمن حصل عليه بطريق الغش .

والله أعلم

د/عبدالجليل شلبى

سؤال من السيد/م . م . م

أنا شاب أبلغ من العمر ٣٣ عاما لم أتزوج بعد نظراً لآن المرتب لايفى بضروريات الحياة ، وأننى أمارس العادة السرية حتى لا أقع فى الرذيلة «الزنا» : هل تلك العادة السرية حرام أم حلال أم ماذا بالضبط .. علما بأن فكرة الصيام لإسكات الشهوة لا أشعر بالراحة النفسية تجاهها ، ولا أميل إليها .

ونظرا لتأخرى فى سن الزواج أصبحت شخصا يكاد يقترب من العدوانية وأثور لأتفه الأسباب وأشعر باليأس والسخط .

نرجو إفادتنا ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

يجيب فضيلة الدكتور محمود عبدالمتجلى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

العادة السرية حرام لاتحل مزاولتها لأنها مفسدة للأخلاق وضارة بالجسم والعقل قال الله تعالى :

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَـٰدُونَ ﴿٣١﴾ سورة المعارج

والاستمناء باليد يدخل ضمن ما وراء ذلك .

والله أعلم

الشيخ/محمود عبدالمتجلى

سؤال من السيد/س . م . ش

طلقت زوجتى خمس مرات متفرقات «على حسب قول زوجتى» وأنا فى حالة غضب شديد وفى أوقات استحكم فيها الغضب بى وأشتد وأحال بينى وبين نيتى فأصبحت لا أتصور ما أقول ولا أدرى ما أفعل . وكأننى أصبحت وقد انغلق على قصدى وارادتى .

ثم أوقعت يمين الطلاق ـــ على زوجتى «وفى طهر جامعتها فيه» ـــ بمنزل أخويها وأمامهما بأن قلت لها «أنت طالق . أنت طالق . أنت طالق» .

ومرة ثانية أوقعت عليها يمين الطلاق وكان ذلك أثناء الدورة الشهرية بقولى لها أنت طالق . أنت طالق . أنت طالقي . بمنزل أخويها وأمامهما .

فما حكم الدين فى أيمان الطلاق وأنا غاضب بالشكل الوارد بالسؤال ؟

وما حكم الدين فى اليمينين الآخرين ؟

وهل لى أن أراجع زوجتى أم لا . وكيف تكون الرجعة إن كان هناك رجعة ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

يجيب فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى عضو لجنة الفتوى بالأزهر ، يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد لقد أعترفت على نفسك بأنك طلقت زوجتك خمس مرات متفرقات فزوجتك حرمت عليك بعد الطلقة الثالثة أما الطلقة الرابعة والخامسة فقد وقعت فى غير محل لأنها أصبحت أجنبية منك بعد الثالثة وأما تمحكك بعد ذلك والتماس الأعذار لنفسك بأنك طلقتها مرة وأنت غضبان ومرة فى طهر جامعتها فيه ، ومرة وهى حائض كلام لايسمع .

وطلاق الغضبان يقع إلا أن يصل إلى حالة لايميز فيها بين الأرض والسماء كما يقع الطلاق فى طهر حصل فيه جماع ويقع أيضا طلاق الحائض

فلا تحل لك إلا بعد زوج آخر كنص القرآن الكريم ولايكون بطريق المحلل لأن زواج المحلل باطل .

والله أعمل
د/عبدالجليل شلبى

سؤال من السيد/م . م . م

زوج شقيقتى الصغرى سافر إلى دولة الكويت مكث هناك حوالى شهر فقط ، ثم عاد سريعا حيث كان قريب له بتلك الدولة أحضر له عملا بالبنك ، إلا أن زوج شقيقتى رفض العمل بالبنوك أساسا بحجة أن العمل بالبنوك حرام .

عند عودته إلى أرض الوطن ثار جدل واسع هناك من يؤيده ، وهناك من يعارضه ، ومن بينهم أنا إذ قلت أن العمل بالبنوك ليس محراما .

نرجو الإفادة السليمة هل العمل بالبنوك حرام أم حلال .

أفيدونا أفادكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

يجيب على هذه الفتوى الدكتور محمود عبدالمتجلى عضو لجنة الفتوى بالأزهر يقول :

العمل بالبنوك التى تتعامل بالربا حرام ، لأن الموظف يسهل عملية الربا فهو شريك فى الإثم لقول النبى ﷺ لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده والكل فيه سواء .

والله أعلم
الشيخ/محمود عبدالمتجلى

السؤال من السيد/م ــ س ــ ع

توفيت امرأة عن زوج ، أم ، أب ، أولاد ذكور وإناث/فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأن للزوج الربع فرضا وللأم السدس فرضا وللأب السدس فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم ،،،

السؤال من السيد/ع ــ ج ــ ف

١ ــ سيدة أهدت ابنها قطعة من أثاث بيتها ثم توفى الابن فهل لها الحق فى استرداد ما وهبته لأبنها .

٢ ــ توفى رجــل عن زوجــه ، أم ، أولاد ذكور/فمن يرث وما نصيبه وترك منقولات خاصة به ؟

الجواب لفضيلة الدكتور محمود عبدالمتجلى يقول :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد عن الأول بأنه لايحق للمرأة أن تسترد ماوهبته لأبنها قبل وفاته لأنها ملكت بالموت .

وعن الثانى بأن للزوجة الثمن فرضا وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى لأولاده تعصيبا الذكور يقسم بينهم بالتساوى والله تعالى أعلم ،،،

د/ محمود عبد المتجلى

طرائف .. و .. مواقف

للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« كان يقال »

المنظر محتاج إلى القبول ، والحسب محتاج إلى الأدب ، والسرور محتاج إلى الأمن ، والقرابة محتاجة إلى المودة ، والمعرفة محتاجة إلى التجارب ، والشرف محتاج إلى التواضع والنجدة محتاجة إلى الجِدّ .

« اسمع .. »

يامن يسعى لقاعد ، ويسهر لراقد ، ويحرس لراصد ، ويزرع لحاصد ، ويبخل لباذل ويجوع لآكل .

« ألست ككلب الصيد ؟ »

وذى حرص تراه بلم وافرا
لوارثِــهِ ويدفـــع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو
فريستــه ليأكلهـــا سواه

« حقاً »

خفف أعرابى ــ صلاته ــ فلاموه على ذلك ، فقال : «إن الغريم كريم» .

« قالوا »

● من أخطأ فى ظاهر دنياه ، وفيما يؤخذ بالعين ، كان حريا أن يخطىء فى باطن دينه ، وفيما يؤخذ بالعقل .

● تعوَّذوا بالله من فتنة العابدْ الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر .

● إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لايرحمه ، سلط عليه حاسداً .

● اِرْضَ بالله صاحبا ، ودَع الناس جَانِباً .

● الدنيا قنطرة ، فاعبروها ولا تَعمرُوها ..

● مامن قطرة أحب إلى الله من قطرة دم فى سبيله ؛ وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته .

« نصيحة »

قال رجل لأم الدرداء : إنى لأجد فى قلبى داءً لاأجد له دواءً ؛ أجد قسوة شديدة ؛ وأملاً بعيداً . قالت : اطَّلِعْ فى القبور واشْهَدِ الموتى !!

« أستاذ الأحنف فى الحلم »

قال الأحنف بن قيس : لقد تعلمت الحلم من « قيس بن عاصم المنقرى » ؛

إنى جالس معه فى فناء ، وهو يحدثنا ، إذ جاز جماعة يحملون قتيلا ، ومعهم رجل مأسور . فقيل له : هذا ابنك قتله أخوك ، فوالله ماقطع حديثه ، ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم أنشد :

أقول للنفس تأنيبا وتعزيــة
إحدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه
هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت إلى بَعض ولده ، فقال : قم فأطلق عمك ، ووار أخاك ، وسق إلى أمه مائة من الإبل فإنها غريبة

« دعاء »

اللهم لاتدعنا فى غمْرة ، ولاتأخذنا على غرة ولا تجعلنا من الغافلين .

كلمـــة الإمـام الأكبـر

فـى

المؤتمر الإقليمى الثـانى للفطريـات

المنعقـد بجامعـة الأزهـر

فى الفتـرة ١٠ ـ ١٣ من ربيـــع الآخر ١٤١٣هـ

الموافق ٧ ـ ١٠ / ١٠ / ١٩٩٢م

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعـد :

إن التاريخ العلمى للمسلمين شاهد على أن من بينهم علماء نبغوا فى كافة ميادين العلم الفكرى النظرى والعملى ، وأرسوا أسس حركة علمية وفكرية انتفعت بها الإنسانية فى تعاقب عصورها منذ أن كانت نهضة المسلمين العلمية إنسانية فى طابعها وفى أهدافها .

والعلم فى جملته تراث إنسانى ، لكن المسلمين انفردوا ـ فيما قرأت ـ بصقل وتهذيب علم الكيمياء ، وأضافوا إليـه معارف وتجارب ، رفعته إلى مرتبة العلوم الأخرى .

ولقد مهدت بحوث علماء الكيمياء المسلمين استخدام هذا العلم فى تيسير سبل العيش للإنسان ، وخففت عنه آلام الحياة وأوصابها .

وكان للمنهج التجريبى الذى سلكه أعلام هذا العلم المسلمون فضل كبير فى خدمة الصناعة والزراعة والطب ؛ بل والفنون على اختلاف أنواعها وأهدافها .

وهم بتجاربهم فى البحث والاعتماد على الأجهزة والآلات اللازمة للتقدير الكمى الدقيق قد أسهموا بقدر أوفى فى تأصيل هذا العلم وارساء قواعده .

وأذكِّر السادة أعضاء المؤتمر بنفر من العلماء المسلمين الذين أثروا هذا العلم ، وأثروا فى توجيهه ذلكم :

جابر بن حيان الذى وصف بأنه أحد صناع التاريخ البشرى والحضارة الإنسانية وأبو الكيمياء غير مدافع .

وأنه واضع أسسها ورافع عمدها ، وأعظم رواد العلوم التجريبية ، وهو أول عالم كيميائى فى العالم استعمل ـ الميزان ـ فى تجاربه العلمية

وصولا إلى وزن كل عنصر من العناصر الداخلة فى المركب الكيميائى المراد إعداده وتحضيره .

ولم يستخدم علماء أوربا الميزان فى تجاربهم إلا بعد جابر بن حيان بنحو ستة قرون أو تزيد .

وله نظريات وتجارب ساقها فى كتبه ، ومنها كتابه :

« المعرفة بالصفة الإلهية والحكمة الفلسفية » .

وبهذه المناسبة فقد كان جابر بن حيان وأمثاله من علماء المسلمين روادا وقادة فى مختلف العلوم النظرية والتجريبية ، فهم أئمة فى علوم الدين واللغة والطب والكيمياء والصيدلة .

فقد اهتموا بالأحماض وبالقلويات .

ومن هؤلاء العلماء : الرازى وأبو منصور الموفق .

وقد وضعوا نماذج للمعمل وأدواته ما تزال بأشكالها وأسمائها سائدة فى مجتمع أهل هذا العلم .

ولقد استعان العلميون من المسلمين الأوائل بعلمهم هذا فى استخدامات إنسانية كثيرة حيث شاركوا فى تحضير الأملاح والأدوية والروائح العطرية ، وأفادوا بها فى صناعة الزجاج ، والورق والطلاء والسكر والجواهر الثمينة .

وكان للعالم « مسلمة بن أحمد الجريطى الأندلسى » صاحب كتاب « المنهج القويم فى البحث العلمى » فضل السبق فى وضع قاعدة : نقاء المادة .

تلك القاعدة التى استفاد بها العلميون فى السيطرة والهيمنة – بعلمهم هذا – على كل مجالات الحياة والعلم الإنسانى .

وهذا : « عز الدين الجلوكى » أول من توصل إلى أن المواد الكيميائية لا تتفاعل مع بعضها إلا بأوزان معينة ، فوضع بذلك أساس قانون النسبية الثابتة فى الاتحاد الكيميائى بعد أن استطال بحثه فى هذا القانون نحو خمسة عشر عاما .

وأنه بعد نحو خمسة قرون من وفاته أعلن أحد العلماء فى فرنسا قانون النسبية الثابتة ، ومنطوقه نفس منطوق « نظرية الجلوكى » وهو أول من حذر من استنشاق الإنسان للغازات والأبخرة الناتجة عن التفاعلات الكيميائية ، وطالب بوضع قطعة من القماش أو القطن على الأنف .

وكان هذا إرهاصا لصنع (الكمامات) التى يستعملها الأطباء والكيميائيون .

أسوق هذا المثل لأحيى الأساتذة والطلاب فى كلية العلوم بجامعة الأزهر ، وآمل أن يعيدوا أمجاد العلميين المسلمين من أمثال هؤلاء .

ثم ليعلم الناس – كل الناس – أن هذه الدراسات العلمية والمعملية ليست نشازا فى جامعة الأزهر ، إذ أن الأزهر الشريف فى القرون المتعاقبة – حيث يخطو بشبابه المتجدد فى النصف الأخير للقرن الحادى عشر من عمره المجيد المديد إن شاء الله وبحوله وقوته – عمل – ومازال – يعمل فى رحاب العلم والتعليم والدعوة إلى الله جادا فى دراساته لإبراز آيات الله فى كافة ما يحتويه هذا الكون من مخلوقات فى نظام وتناسق وحتى يسهم فى بيان أهداف قول الله تعالى فى القرآن الكريم :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

(سورة فصلت – آية : ٥٣

وسبحانه وتعالى القائل :

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

(سورة العلق – آية : ٥)

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)

الفهـــرس

● الافتتاحية : هذان المؤتمران للأزهر الشريف
للدكتور على أحمد الخطيب ٧٨٥
(كلمات جلسات الافتتاح)
● كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ٧٩٣
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٧٩٨
● كلمة السيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب
(نائب رئيس المجلس الإسلامى) ٨٠٠
● كلمة معالى الأستاذ كامل الشريف ٨٠٤
● كلمة السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية ٨١٠
● كلمة معالى الدكتور حامد الغابد
(الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى) ٨١٥

كلمات وأحاديث

● من كلمات القاعة ٨١٨
● كلمة رئيس المجلس الإسلامى الأعلى بـ (تشاد) .. ٨٢٠
● كلمة وحديث لمفتى بلغاريا ٨٢٠
● حديث لفضيلة الأمين العام لجمعية العلماء البريطانية ٨٢٣
● بيان المؤتمر ٨٢٦
● التوصيات ٨٣٠

البحـــوث

● حاضر العالم الإسلامى والتحديات التى
تواجه المسلمين للأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق ٨٣٣
● نظرة إلى مستقبل المسلمين
للأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد ٨٣٧
● رؤية نقدية لحاضر العالم الإسلامى
بقلم : أ.د محمد سيد أحمد المسير ٨٤٢
● حاضر العالم الإسلامى ونظرة للمستقبل
للأستاذ عبد الفتاح الرفاعى ٨٥٢
● الدور العلمى للدول الإسلامية
د. محمد رجائى الطحلاوى ٨٥٥
● القرن الأفريقى وعوامل استقراره
للدكتور محمد عبد المعطى ٨٥٧
● الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية
لمشكلة الصومال للدكتورة سهير حسن عبدالعال . ٨٦١
● المركز القانونى الدولى لمدينة القدس
للأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام ٨٦٤
● القضية الفلسطينية حاضرها ومستقبلها
أ.د محى الدين الصافى ٨٧٠
● المسلمون فى بورما وكشمير للأستاذة منى عمار .. ٨٧٣
● الإسلام والمسلمون فى القرم
بقلم : أ.د محمد عبد العليم العدوى ٨٧٦
● دور الإعلام العربى فى مواجهة آثار حرب الخليج
للأستاذ الدكتور محمد كرم شلبى ٨٨٠
● خلاصة لبيان مسلمى البوسنه والهرسك
إلى العالم الإسلامى ٨٨٣
● العالم الإسلامى من الوجهة الاقتصادية
د. محمد إبراهيم منصور ٨٨٥
● الإسلام والنظام العالمى الجديد
د. حامد بن أحمد الرفاعى ٨٨٦
● مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم
د. أحمد فؤاد باشا ٨٨٨
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى
(مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم) ٨٩٠
● كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله التركى ٨٩٢
● كلمة الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ ٨٩٦
● كلمة الأستاذ الدكتور عبدالرشيد عبدالعزيز سالم . ٨٩٩
● نظرة شاملة فى المؤتمر : يسرية فؤاد على ٩٠٢
● المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
أ.د منصور محمد حسب النبى ٩٠٤
● مستقبل التربية والتعليم فى البوسنه والهرسك
إعداد : قسم التحرير بالمجلة ٩١٣
● توصيات مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ٩١٩
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر (وحدة الأمة سبيلها
إلى النصر) للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٩٢٣
● تلخيص تقريب النشر فى معرفة القراءات العشر (٦)
تحقيق : الشيخ إبراهيم عطوه عوض ٩٢٦
● مذابح البوسنه والهرسك : أندلس جديدة فى أوروبا
عرض وتعليق التحرير بالمجلة ٩٣٣
● الفتاوى إعداد : الأستاذ عبدالمنعم فوده ٩٣٨
● طرائف ومواقف للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٩٤١
● كلمة الإمام الأكبر فى المؤتمر الإقليمى الثانى للفطريات ٩٤٢

القسم الفرنسى

● المقالة الثانية : زينب لبيب ٩٤٧
● المقالة الأولى : رقية جبر ٩٤٩

القسم الإنجليزى

● المقالة الثانية : للشيخ أحمد نيمو ٩٥٤
● المقالة الأولى : د. أنس مصطفى النجار ٩٥٨

simultanément plusieurs épouses. Désormais, la polygamie n'est appliquée que dans la plus faible mesure pour devenir le moyen d'une vie décente, loin de dépendre des désirs personnels et du libertinage.

Des cas de force majeure peuvent exister rendant la polygamie une vraie nécessité tels que la stérilité ou la maladie de l'épouse. L'Islam a résolu de tels problèmes sociaux, par le moyen le plus digne et le plus honnête. Cependant, il a mis une condition à la polygamie et qui consiste à l'obligation d'être parfaitement équitable à l'égard de chacune des épouses. Si cette condition requise n'est pas appliquée, l'homme devra se contenter d'une seule épouse.

Or cette condition est presqu'impossible. Allah (T.P) l'a déclaré dans le verset 129 de la même sourate. Si le mari procède entre ses épouses à un partage égal de ses nuits, s'il subvient équitablement à leur entretien ... il ne saura être équitable à l'égard de chacune d'elles en ce qui concerne l'affection et le penchant. En effet, le Prophète (paix soit sur lui) dit en ce qui concerne ses propres épouses :

"O Allah, tel est mon partage en ce que je détiens, ne me blâmez pas en ce que Vous détenez, Vous Seul, et que je ne peux pas détenir"[1].

Ainsi, le mariage en Islam est une union légitime et honnête permettant à un homme et à une femme la procréation et la sauvegarde de la société. Le mariage devient permis ou interdit selon qu'il est parfait ou nul.

Dr. Zeinab Labib

---

1. « اللهم إن هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »

Voir EL QORTTOBI : El Gâmé Liakhâm El Qorân, op. cit., T5 p. 407
(Traduction personnelle)

craignez de ne pas être équitables, prenez une seule femme ou vos captives de guerre*. Cela vaut mieux pour vous, que de ne pas pouvoir subvenir aux besoins d'une famille nombreuse • Donnez spontanément** leur douaire à vos femmes, mais si elles sont assez bonnes pour vous en abandonner une part, mangez celle-ci en paix et tranquilité")(1).

Sourate Les Femes, 129 (Vous ne pouvez être parfaitement équitables à l'égard de chacune de vos femmes. Même si vous en avez le désir***. Ne soyez donc pas trop partiaux et ne laissez pas l'une d'entre elles comme en suspens. Si vous établissez la concorde, si vous craignez Allah*, Sachez qu'Il est Celui qui pardonne et qu'Il est Miséricordieux)(1).

D'après ce dogme, il est interdit d'épouser une orpheline, sans lui prescrire la dot qui lui est dûe comme toute autre épouse. Aïcha raconte que ce verset fut révélé dans la circonstance suivante : (2) un homme, ayant élevé une orpheline, l'épousa pour sa beauté et pour les biens qui lui appartiennent. En plus, il ne lui prescrit aucune dot ... ce qui est injuste d'après le verset en question.

Donc, l'homme doit verser obligatoirement une dot à sa femme et qui sera déterminée par un accord mutuel du couple. Il a la permission d'en épouser jusqu'à quatre, mais dans la mesure où cette permission est indispensable. Mais s'il craint d'être injuste ou inéquitable envers elles, il ne devra prendre qu'une seule épouse afin de subvenir aux besoins de sa famille.

Nous voyons donc que ces versets autorisent la polygamie qui fait l'objet de nombreuses discussions. Mais comme nous venons de le montrer, la polygamie n'est point une nouvelle législation instituée uniquement par l'Islam qui a trouvé qu'elle se répandait d'une façon inhumaine, dépouillant la femme de sa dignité humaine et ceci, sans qu'elle soit soumise à la moindre restriction. Or, devant une nécessité impliquée par quelques circonstances de la vie, l'Islam n'a fait que régler cet état qui permet à l'homme d'avoir

---

* L'expression ما ملكت أيمانكم pourrait être traduite littéralement par "les esclaves que vos mains possèdent" La difficulté de la traduction d'une telle figure de style revient à ce que cette expression est purement arabe. D'autre part, D. Masson l'a traduite incorrectement par "captives de guerre".

** D'après Mokhtâr El Sahah, le terme « نحلة » signifie "de bon gré" et non pas "spontanément". EL RAZI : Mokhtâr El Sahah, op. cit., p. 674.

*** Appel sous-entendu à renoncer à la polygamie, puisque la condition d'être équitable à l'égard de chacune des épouses est une chose impossible.

1. قال الله تعالى :

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن
تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

* Remarquons que ce rappel de craindre Allah (T.P) sera repris dans la majorité des versets qui traitent le dogme de la répudiation afin de ne pas commettre d'injustice à l'égard de la femme.

2. Voir IBN KATHIR : Tafsir El Qorân El Azim, op. cit, T1 p. 449.

LA POLYGAMIE ET SA RAISON D'ETRE EN ISLAM

Par Dr. ZEINAB LABIB

Dans la sourate les Femmes, la majorité des dogmes traitent du statut de la femme, tels que les dogmes du mariage, des droits de la femme, de l'héritage, des femmes interdites etc ... ce qui explique le titre de la sourate.

Au début de cette sourate, le Seigneur (T.P) invite les croyants à L'adorer et à craindre Sa grande puissance puisqu'il les a créés d'une personne unique, Adam, et d'elle Il a créé son épouse, Eve. De ce couple, Il a fait naître un grand nombre d'hommes et de femmes. Donc tous les gens sont liés par les liens de la fraternité et de l'humanité. Plus loin, Allah (T.P) ordonne aux croyants de donner aux orphelins ce qui leur est dû, et de donner à leurs épouses la dot prescrite, une suite de permissions et d'interdictions suivra, elle résulte des versets suivants :

Sourate Les Femmes, 3-4 (Si vous craignez de ne pas être équitables à l'égard des orphelins ... Epousez comme il vous plaira deux, trois ou quatre femmes*. Mais si vous

---

* Le lecteur du Qorân se demanderait, peut-être, sur le lien qui unit les parties de ce verset, 3.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾

En effet, l'étude de l'exégèse nous apprend que cette parole est adressée à l'homme qui désire épouser une orpheline pour ne pas lui donner de dot, comme c'était l'habitude à l'époque préislamique. Afin de ne point commettre d'injustice, cet homme est conseillé d'épouser d'autres femmes parmi celles, auxquelles il sera tenu au versement de la dot prescrite. Pour cette raison, nous adopterons la traduction de A. Yousef Ali qui interprète exactement l'idée du verset : "Si vous craignez de n'être pas équitables envers les orphelines, épousez deux, trois ou quatre femmes, à votre convenance, parmi les autres".
A. YOUSEF ALI : Targamat Maâni Al Qorân, op. cit., p. 97.

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ (٣) وَءَاتُوا۟
ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا (٤) ﴾ .

torturés par la faim." Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait en sa possession des ressources qui lui permettaient de vivre confortablement, même fastueusement, car Allah lui avait donné droit au cinquième des butins "Sachez que le cinquième de n'importe quel butin que vous prenez revient à Allah, au Prophète, ..." Sourate viii "Al-Anfal", le sens du verset "41".

Il y a bien d'autres choses par lesquelles Allah a voulu favoriser Son Prophète (paix soit sur lui), en lui accordant la victoire sur les ennemis de l'Islam.

Mais, en donnant l'exemple, il préférait mener la vie d'un musulman pauvre. D'ailleurs, il disait : "Ô Allah, fais que je mène une vie humble, que je meure humble, pour qu'au jour de la Résurrection je sois avec les humbles."

Que les Prières, les Bénédictions et le salut d'Allah soient sur toi, Ô notre maître et le Messager d'Allah.

Dr. Rokeya Gabr

La vie privée du Messager d'Allah (paix soit sur lui)

par Dr. Rokaya Gabr

La vie privée du Messager d'Allah (paix soit sur lui) parmi les membres de sa famille et avec ses compagnons était un vrai modèle de vertu. Il était le portrait vivant et la personnification de la grandeur d'âme et de la noblesse du coeur. Toujours maître de lui, Mohammad (paix soit sur lui) était un exemple vivant des hautes valeurs morales.

Alors que la vie des rois, des chefs et des présidents, à certaines époques, se caractérisait par le luxe et l'abondance : leurs maisons étaient pleines de meubles luxueux, de beaux vêtements, d'ornements et de toutes sortes de mets et de boissons exquises, la vie du Prophète (paix soit sur lui) chez lui, par contre, était entièrement différente. En fait, il menait une vie tout à fait modeste, sobre, pleine de modération, entièrement soumis à la volonté d'Allah. Il n'aspirait pas aux plaisirs éphémères de ce monde, alors qu'il pouvait en jour s'il le désirait.

"Aïcha disait à son neveu" Orwa Ebn Al Zobaïr : "On voyait croître le croissant de lune, puis le suivant et celui "d'après ... trois nouvelles lunes se succédaient en l'espace de deux mois sans qu'aucune des maisons du Messager d'Allah (paix soit sur lui) n'ait allumé du feu."

"Orwa dit : "Je demandais alors à ma tante : Mais comment donc est-ce que vous débrouilliez pour manger ?" "Mon neveu, répondit-elle, nous nous contentions des deux "noirs" : les dattes et l'eau."

"Omar Ebn El Khattab (qu'Allah soit satisfait de lui) a dit également : "Un jour je suis entré chez le Messager d'Allah (paix soit sur lui), je l'ai trouvé étendu sur une natte rugueuse. Lorsque je me suis assis auprès de lui, je remarquai -- comme il ne portait qu'un seul vêtement -- que le tapis avait laissé une empreinte sur son flanc. Mon regard fit alors le tour de la chambre où je ne vis qu'une poignée d'orge dans un coin. A cet instant, mes jeux fondirent en larmes; il me demanda : "Qu'est-ce qui te chagrine Ebn Al Khattab.?" Je répondis alors : Ô Prophète d'Allah, comment ne pas avoir les larmes aux yeux à la vue de ton flanc marqué par la natte, lorsque tu n'es vêtu que d'un seul vêtement, et que tu ne possèdes chez toi qu'une poignée d'orge ? Alors que Kesra, César, vivent dans le faste et l'abondance, portent de riches vêtements, toi, Ô, Messager d'Allah (paix soit sur lui), la meilleure de créatures humaines et le maître de tous les hommes du premier au dernier, tu vis aussi pauvrement ?"

Le Prophète (paix soit sur lui) répondit alors : "Ô Ebn El Khhatab, ne préfères-tu pas mériter le Paradis et leur laisser la vie de ce monde ?"

D'autre part, lorsque sa fille bien-aimée Fatma vint à lui pour se plaindre d'être fatiguée, épuisée même, à force d'exécuter les travaux ménagers, et qu'elle lui demanda une servante pour l'aider à la maison, le Prophète (paix soit sur lui) lui reconmmanda de prendre patience et d'avoir recours à la glorification, à l'invocation et à l'imploration d'Allah. Puis il ajouta : "Je ne puis répondre à ta demande alors que les plus nobles croyants sont

REVUE AL-AZHAR

GOMADI AL AKHIRA 1413
Volume 65 - - Partie VI

Section Française

Comité de Rédaction :
Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

The major task before the pioneers of the Islamisation of knowledge programme now is to ensure that their effort is not frustrated directly or indirectly by anti-Islamic forces planning scientifically to destroy the universal Ummah of Islam culturally, economically and politically with its own hands. However, with sincerity, dedication on the part of all concerned the divine prediction regarding successive resurgence and ultimate prevelance of Islam in the world will continue to be realised.

essentially in further courses or seminars designed specially for conceptual transformation of knowledge of any discipline, which might have been imparted to them from secular point of view.

In the effort to review the education system in the Muslim communities in the foregoing manner, consideration should be given to establishment of the highest possible standard academically and otherwise. However, it is not easy in terms of financial and other necessary resources to establish a very high standard of education by any policy of mass production. Hence, it is advisable to go about the suggested reform of the system initially in private schools which may be few and expensive but excellent in every respect. The expected very high standard of such schools will attract automatically the middle and upper classes of the society to enrol their children at any rate of fees as always in the practice. Generally speaking, it is the product of the best intstitutions of learning or training that play leading roles in most affairs of the contemporary world. Thus future leaders of the Muslim Ummah will be, people with "Taqwa" which, in turn, will inspire them to conduct the affairs of the Ummah in every respect in a proper Islamic manner.

The foregoing exposition is not to be regarded as merely utopian. Practical steps are already being taken in various parts of the world with signs of great success. Research and curriculum development centres of Islamisation of knowledge have been established by some Muslim organisations in America and Europe. Similarly, Islamic universities have been opened in some countries in Asia, where manpower development for the same purpose is progressing. Model Islamic primary schools as a pilot programme of Islamisation of knowledge at the primary level have taken off very successfully in an African country.

do what they believe is in conformity with divine teachings and, of course, in the inerest of Islam and the Muslim Ummah.

However, despite what may appear to be tremendous progress in modern education among the members of the Muslim Ummah throughout the world, "Taqwa" as moral effect of education is not fully realised. On the contrary, the secular concepts of modern education tend to erode "Taqwa" involuntarily from the mind of many so called educated pepole.

There lies the root cause of the general misbehaviour and lack of consideration for Islamic interests on the part of some contemorary Muslim leaders and intellectuals.

The general tendency of other Muslims who feel very concerned about the welfare of Islam and the Ummah is to complain or try to act against such Muslim leaders as have been behaving un-Islamically under secular infuence of modern education. In nearly all cases, protests against the leaders only end in severe persecution of faithful Muslims thereby aggravating the distrubing situation of the contemporary Ummah in every respect.

The remedy is, in the educational system in the Muslim communities whereby the moral effect of education will reflect a very high standard of "Taqwa" in every respect among new generations of educated Muslim and leaders. To achieve that effect every discipline at every level of education including training institutions of the armed forces should be taught in accordance with Islamic concept of education. In the case where Muslim students or trainees have to study in the institutions of secular concepts of education in order to obtain some specific qualifications, another provision should be made for such students and trainees. They should be directed to participate

MUSLIM EDUCATION AND THE NEW WORLD ORDER

By
Justice Sheikh Ahmed Lemu
Nigeria

The concept of "New World Order' is being formulated by the contemporary world powers with a view to achieving some specific objectives naturally in their own best interest.

Consolidation of political and economic domination of the world by the powers concerned is of great priority to them. The Muslim Ummah has been facing serious problems in the contemporary world. These range from hostile activities of anti-Islamic forces to the un-Islamic behaviour of some Muslim leaders and intellectuals. Without reciprocal measures by the Muslim Ummah, which can effectively neutralise the obvious objectives of the New World Order, the current disturbing situation of the Ummah will only be aggravted.

Fortunately for the Muslim divine guidance on effective solutions to all problems is available to them in the Qur'an and Sunnah. It is based essentially on "Taqwa" (or khash-yatul Lah) meaning, in general terms, piety as well as consciousness of Divine Existence arising from innate sound knowledge.

Islamic doctrines of teaching prove mankind will attain sources of knowledge. Part of this is spiritual knowledge, which indicates the realization that the phenomena which can be observed in this world do not comprise the whole of reality, inasmuch as there is a realm beyond the reach of human perception. With the spirit of Taqwa arising from this kind of knowledge, the subjects of Allah who possess it will only

management are fundamental to the proper development of the natural resources of Muslim countries. The promotion of knowledge transfer and capabilities at the infrastructural levels, and the upgrade of responsibility at higher heirarchic are essential qualifications for the success of national development programms. The most fundamental means to achieve these ends are the implementation and actualization of Divine injunctions.

efficiency of these nations in order to suffice their basic fundamental requirements for dignified existence. This optimization of efforts requires rational dialogue between the various social fractions of each nation, and also between the different nations themselves. Such dialogue will ultimately result in a platform of consensus of understanding of the salient social issues of difference. One essential justification to meet this goal necessitates the formulation of a ground plan of cooperation in political, economic, educational and cultural aspects.

The preservation and maintained assistance to Muslim minorities in non-Islamic nations, in order that they may pursue a life of respect and sufficiency. This is the basic fundamental of human rights, and should become an issue of prime significant importance to all the Muslim Nations and Muslim communities at large. This should essentially originate from a Trust Fund organized by Muslim nations, and aiming at the social promotion and development of the Muslim minorities scattered throughout the world continents. Unemployment, ignorance, disease, sordid habitation, malnutrition, and social disputes should be absolutely and totally erradicated from Muslim societies. This is not only a humane necessity, but it is also a basic fundamental Islamic imperative. There is a paramount need to institute means to bring about a radical transformation of the humiliating deplorable conditions of Muslim minorities living in non-Muslim states. Such a transformation should be the prime goal of Muslim states.

Another important resolution indicated the essential need for all Muslim nations to conform with the basic fundamental principles of moral values, modesty, and social order. By such effort of conduct, divine injunctions will be actualized. Such imperatives of human behaviour are inherent in every department of concern to the life of mankind. The acquisition of beneficial knowledge and means of

mirage in the minds of nations.

In every corner of the earth, Muslims are being prodigally prosecuted, and unhumanly treated. In Burma, Kasmir, India, Somal, Phillipines, Yougoslavia, Palestine, and several other countries; Muslims are suffering the unyielding constraints of despotic tyranny and oppressive domination. In view of this disgraceful pitiful and despicable situation of Muslims in the Muslim world; the congress convened to study the means and strategy to mitigate and appease conditions, and to seek channels for more favourable future for Muslim nations. The dignity of humanity must be preserved, human rights must be instituted, and social justice must prevail. Islamic doctrines call for peace and human respect, let this remain a milestone on the path of human existence for all mankind, Muslim and non-Muslim alike. The jurisdiction of responsibility in the Muslim Ummah optimizes itself during times of need. The congress summons all Muslim nations to harness their efforts in order to achieve the milieu of safety, respect and dignified existence for all Muslims and mankind everywhere. This responsibility is the incumbent duty of every Muslim individual.

Over the four days period of the Congress, several presented articles were actively discussed which were intimately relevant to the subject matter and the theme of the congress. At the end of the congress, several resolutions were agreed up which indicated the general thoughts and issues that were discussed during the sessions of the congress. The most salient features of these resolutions were directed to the highly crucial and cardinal importance of the legislative and educational unification of the Muslim Nations. This is basically brought about by the fundamental actualization of their socio-economic standardization, and their mass media cultural programmes. Such efforts should aim at the promotion of productive

The Congress on "The Islamic World - Present and Prospective Outlook"

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The twelveth session of the Islamic Research Council in Cairo, and the fourth session of the Founding Commission of the World Islamic Council; joined together within the framework of a congress under the name "The Islamic World, Present and Future Prospective Outlook". The Congress was held in Cairo in the abode of Al-Azhar, under the auspices of President Muhammad Hosney Mubarak, and Chairmanship of the Reverend Sheikh Gad Al-Haq Aly Gad Al-Haq, the Rector of Al-Azhar. The Congress was held during the period of 2-5 Jummada Al-ula, 1413; 28 - 31 October, 1992. The Islamic organizations participating in the congress were fifty seven, representing the various Islamic countries and institutions in the world.

The Congress convened at a time when crucial events are taking place in the world at large. At the very nucleus of these events, the Muslim Communities all over the world are experiencing the most tyrannic form of social coercion, compulsion, relentless deprivation and subjugation. In the four corners of the earth, this phenomenon of violent desposition against Muslim societies has become so grievously disastrous, insipid and unsavory. This demanding situation was the central theme of th congress, to study the present and future of the Islamic societies in this rapidly changing world, socially, economically and politically. The current terms in use, as human rights, social justice, peace, and respect to the humanity of mankind are only a false

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 65, Part VI

Jumadah Al Akhira, 1413, Hijrah

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., PH. D.

CONTENTS

1.The Congress on "The Islamic World - Present and Prospective Outlook".

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2- Muslim Education and The New World Order.

By : Justice Sheikh Ahmed Limu. (Nigeria)

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by: *Mrs. Fatimah Muhammad Siny*

AL AZHAR

MAGAZINE

ENGLISH SECTION